

تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

للإمام محيي السُّلَّة
أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى ٥١٦ هـ)

طبعة جديدة مُنقَّحة ومُرتَّبة
ميَّزت فيها الآيات المتعلقة بالتفسير بلون أحمر
منصَّطة برسم المصحف

دار ابن حزم

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

تفسير البخوي
(معالم التنزيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسين بن مسعود أبي محمد البغوي

هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر من أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية. نسبته إلى «بغا» من قرى خراسان، بين هراة ومرو، والفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها.

وهو من أئمة السلف الصالح الذين التزموا بالكتاب والسنة في مفهوم الاعتقاد وخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته. وكان عالماً، ديناً، عاملاً على طريقة السلف، وكان ثبناً حجة صحيح العقيدة في الدين.

ومن ثناء العلماء عليه تلقيبه بلقب «محيي السنة» وغير ذلك من الألقاب والصفات التي أثبتتها له كل من ترجم له.

نشأ على المذهب الشافعي ولقب إمام هذا المذهب، إلا أنه لم يتعصب لمذهبه وكان ينظر في أقوال العلماء وأدلتهم.

فقال عنه ابن كثير: كان ديناً ورعاً، علامة زمانه، عابداً، زاهداً، صالحاً.

وقال السيوطي: كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك، وقناعة باليسير. وسماه في طبقات الحفاظ الحسين بن محمد ابن مسعود.

وقال الإمام الذهبي: كان يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان إماماً زاهداً، سيداً، قانعاً باليسير.

سمع من عدد كثير من العلماء، في الحديث والتفسير والفقه نذكر منهم:

- ٢ - أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، الفقيه والمعروف بشيخ الحجاز.
- ٣ - عبدالواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي، الهروي، روى الصحيح عن النعمي.
- ٤ - حسان بن سعيد المنيعي، أبو علي، - والمنيعي نسبة إلى منيع جد - .
- ولقد أقبل عليه الكثير من طلاب العلم، لسعة معرفته بعلوم كثيرة نذكر البعض منهم:

- ١ - أبو المكارم فضل الله ابن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، وهو آخر من روى عنه بالإجازة.
- ٢ - الحسن بن مسعود أبو علي البغوي أخو الإمام الحسين البغوي.
- ٣ - أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني، الواعظ المحدث.
- ولقد ترك الإمام - رحمه الله - علوماً في الحديث والتفسير والفقه كان لها الأثر النافع نذكر منها:

- التهذيب: وهو في فقه الشافعية وهو مشهور.
 - شرح السنة: وهو في الحديث، وفوائد الأخبار المروية عن النبي ﷺ.
 - لباب التأويل في معالم التنزيل: وهو في التفسير.
 - مصابيح السنة: وهو مجموعة من الأحاديث اعتمد على نقل الأئمة لها.
 - والجمع بين الصحيحين وغير ذلك.
- توفي الإمام - رحمه الله - بمرور الروذ وهي مدينة من مدن خراسان، سنة ست عشرة وخمسائة للهجرة.

وفي وفيات الأعيان ١٤٥/١ وفيه رواية أخرى في وفاته سنة ٥١٦هـ. وفي تهذيب ابن عساكر ٣٤٥/٤ ووفاته فيه سنة ٥١٦هـ.





الكلام عليه، تقديره: أبدأ
بسم الله أو قل:
بسم الله، وأسقطت الألف
من الاسم طلباً للخفة
لكثرة استعمالها، وطولت
الباء. قال القتيبي: ليكون
افتتاح كلام كتاب الله
بحرف مُعظم.

كان عمر بن عبدالعزيز
رحمه الله يقول لكتابه:
طولوا الباء وأظهروا السين
وفرّجوا بينهما ودوروا
الميم تعظيماً لكتاب الله
تعالى.

وقيل: لما أسقطوا
الألف ردّوا طول الألف

على الباء ليكون دالاً على سقوط
الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف
في: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]
رُدّت الباء إلى صيغتها، ولا تحذف
الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله
ولا مع غير الباء. والاسم هو
المسمى وعينه وذاته، قال الله
تعالى: ﴿إِنَّمَا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، أخبر أن اسمه
يحيى ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَبْنِيحَىٰ
خُذِ الْكِتَابَ﴾ [مريم: ١٢]،
وقال: ﴿مَا مَقْبُولُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا
أَسْمَاءُ سَيَّئُورًا﴾ [يوسف: ٤٠]
وأراد [بالأسماء] الأشخاص
المعبودة، لأنهم كانوا يعبدون
المسميات وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾
[الأعلى: ١]، و﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾
[الرحمن: ٧٨] ثم يُقال للتسمية
أيضاً اسم، فاستعماله في التسمية
أكثر من المسمى، فإن قيل: ما معنى

سورة فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة
الكتاب، وأم القرآن، والسبع
المثاني، سُميت فاتحة الكتاب
لأن الله تعالى بها افتتح القرآن،
وسميت أم القرآن وأم الكتاب: لأنها
أصل القرآن، منها بَدِءَ القرآن، وأم
الشيء: أصله، ويُقال لمكة: أم
القرى، لأنها أصل البلاد، دُحيت
الأرض من تحتها، وقيل: لأنها
مقدمة وإمام لما يتلوها من السور
يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها
في الصلاة، والسبع المثاني: لأنها
سبع آيات باتفاق العلماء، وسُميت
مثاني لأنها تتثنى في الصلاة، فتقرأ
في كل ركعة.

وقال مجاهد: سُميت مثاني
لأنَّ الله تعالى استثنى هذه الأمة
فدخرها لهم، وهي مكية على قول
الأكثرين. وقال مجاهد: مدنية،
وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة
بالمدينة، ولذلك سُميت مثاني،
والأول أصح أنها مكية لأن الله تعالى
منَّ على الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ
مَّا يَكُنَّ سَبْعًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [الحجر: ٨٧]،
والمراد منها: فاتحة الكتاب،
وسورة الحجر مكية، فلم يكن يمن
عليه بها قبل نزولها.

سورة الفاتحة

① قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء أداة
تخفف ما بعدها، مثل مِنْ وَعَنْ،
والمتعلق به الباء محذوف للدلالة

التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو
تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة،
واختلفوا في اشتقاقه، قال المبرد في
البصريين: هو مشتق من السمو وهو
العلو، فكانه علا على معناه وظهر
عليه، وصار معناه تحته، وقال ثعلب
في الكوفيين: هو مشتق من اليوسم
والسمة وهي العلامة وكانه علامة
لمعناه وعلامة للمسمى، والأول
أصح لأنه يُصغر على سمي، ولو
كان من السميت لكان يُصغَّر على
الويسم كما يُقال في الوعد وعيد،
ويقال في تصريفه: سميت، ولو كان
من الوسم لقليل: وسمت.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ قال الخليل
وجماعة: هو اسم علم خاص لله
تعالى لا اشتقاق له كأسماء الأعلام
للعباد، مثل زيد وعمرو.

وقال جماعة: هو مشتق. ثم
اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من آله

إلهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويذكر وإلهتك» [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ لَدَّهٖ كُلُّ الْكُلِّ يَمَّا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال المبرد: هو قول العرب: ألّهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر: ألّهت إليها والحوادث جمة فكان الخلق يسكنون إليه ويطمثون بذكره، يقال: ألّهت إليه أي: فزعت إليه، وقال الشاعر: ألّهت إليها والركائب وقُفّ وقيل: أصل الإله «ولاه»، فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولّهون إليه، أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يولّه كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

① قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا فيهما، منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان وتنديم، ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر (تطمعياً) لقلوب الراغبين، وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال: للرحمن معنى العموم، والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا، وهو على العموم لكافة الخلق.

والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص.

ولذلك قيل في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى غير الله رحمن، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة (فعل).

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتميّز والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها [ليست] من الفاتحة وليست من سائر السور، وإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي، لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة ﴿يَسْمِئُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ﴾ وابتداء الآية الأخيرة ﴿صِرْطُ الدِّينِ﴾، ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداءها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وابتداء الآية

الآخيرة ﴿عَبْدَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن، وبما أخبرنا [أبو الحسن] عبد الوهاب بن محمد الكسائي، أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، وأنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جبير قال:

﴿وَلَقَدْ مَاتَنَّا سَبْعًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ [الحجر: ٨٧]. هي أم القرآن قال أبي: وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال: ﴿يَسْمِئُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ الآية السابعة، قال سعيد: قرأها علي ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال: ﴿يَسْمِئُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ الآية السابعة، قال ابن عباس: فادخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم.

ومن لم يجعلها من الفاتحة، احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «قمت وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كلهم كان لا يقرأ ﴿يَسْمِئُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ إذا افتتح الصلاة»، قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم.

وعن ابن مسعود قال: كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال الشعبي: كان رسول الله ﷺ يكتب في بدء الأمر على رسم قرش باسمك اللهم حتى نزلت ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا﴾ [هود: ٤١]، فكتب باسم الله حتى نزلت ﴿قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ أَوْ اَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت آية ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئَيْنِ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتب مثلاً.

قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة. يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إلي من النعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال شكرت فلاناً على علمه، فكل حامد شاكِر وليس كل شاكِر حامداً وقيل: الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﴿اعْمَلُوا مَالاً ذَوَاداً شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، يعني: اعملوا الأعمال لأجل الشكر، فشكراً مفعولاً له وانتصب باعملوا.

قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ السلام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد.

قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾، فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار: رب الدار، ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: رب فلاناً الصنعة يربها إذا أتمها وأصلحها، فهو رب مثل طب وير، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم، ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفة، إنما يقال: رب كذا مضافاً، لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل، و«العالمين»: جمع عالم [والعالم جمع] لا واحد له من لفظه، واختلفوا في العالمين.

قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال قتادة ومجاهد والحسن: هم جميع المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رِعْزُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤]، واشتقاقه من العلم والعلامة، سُمُوا به لظهور أثر الصنعة فيهم، قال أبو عبيدة: هم أربع أمم الملائكة والإنس والجن والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم: عالم لأنها لا تعقل.

واختلفوا في مبلغهم، قال سعيد بن المسيب: لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالم، أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر، وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. وقال كعب الأحبار: ولا

يحصى عدد العالمين أحد إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنصُرُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الم نشر: ٣١].

قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿مَلِكِ﴾ وقرأ الآخرون «ملك» قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الرب، [كما] يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحد غير الله.

قال أبو عبيدة: «مالك» أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبيد والطيور والدواب، ولا يقال ملك هذه الأشياء، ولأنه لا يكون مالك لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه.

وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك، وليس كل ملك ملكاً، ولأنه أوفق لسائر القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿تَسْتَلِي اللَّهُ إِلَيْكَ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤] و﴿إِلَيْكَ الْفُتُوشُ﴾ [الحشر: ٢٣] قال مجاهد: الدين الحساب، قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] أي الحساب المستقيم، و﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين، قاضي يوم الحساب وقال قتادة: الدين الجزاء. ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً، كما يقال: كما تدين تدان.

قال محمد بن كعب القرظي: مالك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يَمَانُ بن رباب: الدين القهر، يقال

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود: هو القرآن. وروي عن علي مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله».

وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبدالله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبدالله المزني: طريق رسول الله ﷺ. وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحبه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالنيات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم. وقال عبدالرحمن: هم النبي ﷺ ومن معه. وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل بيته، وقال شهر بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ [وأهل بيته].

قرأ حمزة: «عليهم ولديهم وإليهم» بضم الهاء، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تنبيهاً وجمعاً إلا قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنْبِيَاءٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقرأ الآخرون بكسرهما، فمن ضم الهاء ردها إلى

إياك أعني وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً فيقال: ما عنيت إلا إياك.

قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نوحّدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي: مُذلل، ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

فإن قيل: لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة؟ فلهذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل، ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير، ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، اهدنا: أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا، كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تنهاى على مذهب أهل السنة.

﴿الصِّرَاطَ﴾: «وسراط» قرئ بالسين رواه أؤيس عن يعقوب وهو الأصل، سمي سراطاً لأنه يسطر السابلة، ويُقرأ بالزاي، وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

دينه فدان، أي: قهرته فذل. وقيل: الدين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكاً لأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقرأ أبو عمرو: «الرحيم ملك» بإدغام الميم في الميم، وكذلك يُدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو متقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن في غير المثلين فإنه لا يدغمهما وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير، وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله: ﴿بَيْنَ طَائِفَةٍ﴾ [النساء: ٨١] ﴿وَالْفَصْفَ صَفًا﴾ ﴿فَأَلْجَأِ بَنِى يُثْرَاجَ﴾ [الذاريات: ٣٠]، و﴿وَالَّذِينَ رَبَّيْتُمْ﴾ [الذاريات: ١]، وأدغم التاء فيما بعدها من الحروف. وافقه الكسائي وحمزة في إدغام الصغير، وهو إدغام الساكن في المتحرك برواية جابر وخلف إلا في الراء عند اللام والدال عند الجيم، وكذلك لا يدغم حمزة - برواية خلاء وخلف - الدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة.

قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، «إينا» كلمة ضمير خَصَّتْ بالإضافة إلى المضمَر، ويستعمل مقدماً على الفعل، فيقال:

(فصل في

فضائل فاتحة الكتاب)

أنا أبو الحسن أحمد بن
عبدالرحمن بن محمد الكيالي أنا أبو
نصر محمد بن علي بن الفضل
الخزاعي، أنا أبو عثمان عمرو بن
عبدالله البصري ثنا محمد بن عبد
الوقاب، ثنا خالد بن مخلد
القطواني حدثني محمد بن جعفر بن
أبي كثير هو أخو إسماعيل بن جعفر
عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه،
عن أبي هريرة قال:

«مرّ رسول الله ﷺ على أبي بن
كعب وهو قائم يُصلي فصاح به
فقال: «تعال يا أباي» ففعل أباي في
صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ،
فقال: «ما منعك يا أباي أن تجيئني إذ
دعوتك؟ أليس الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» [الأنفال:

٢٤] قال أباي: لا جرم
يا رسول الله، لا تدعوني إلا أجبتك
وإن كنت مصلياً، قال: «تحب أن
أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا
في الإنجيل ولا في الزبور ولا في
الفرقان مثلها؟» فقال أباي: نعم
يا رسول الله فقال: «لا تخرج من
باب المسجد حتى تتعلّمها»،
والنبي ﷺ يمشي يريد أن يخرج من
المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال
له أباي: السورة يا رسول الله، فوقف
فقال: «نعم! كيف تقرأ في
صلاتك؟» فقرأ أباي أم القرآن، فقال
رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده
ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل
ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها

فقال: ﴿مَنْ لَمَنَهُ اللَّهُ وَعَظِيَ عَلَيْهِ﴾
[المائدة: ٦٠]، وحكم على
النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا
أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾
[المائدة: ٧٧].

وقال سهل بن عبدالله: غير
المغضوب عليهم بالبدعة، ولا
الضالين عن السنة. والسنة للقرآن
أن يقول بعيد فراغه من قراءة
الفاتحة: «آمين»، مفصلاً عن
الفاتحة بسكته، وهو مخفف ويجوز
عند النحويين ممدوداً ومقصوراً،
ومعناه اللهم اسمع واستجب، وقال
ابن عباس وقتادة: معناه كذلك
يكون، وقال مجاهد: هو اسم من
أسماء الله تعالى، وقيل: هو طابع
الدعاء، وقيل: هو خاتم الله على
عباده يدفع به الآفات عنهم، كخاتم
الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما
فيه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد بن القاضي، وأبو حامد
أحمد بن عبدالله الصالحي قالا: أنا
أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا
أبو علي محمد بن أحمد بن
محمد بن معقل الميداني، ثنا
محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق أنا
معمر عن الزهري عن ابن المسيب
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام:
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾، فقولوا: آمين، فإن
الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام
يقول: آمين، فمن وافق تأمّنه تأمّن
الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»
صحيح.

الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد،
ومن كسرهما فلاجل الياء الساكنة
والياء أخت الكسرة، وضم ابن كثير
وأبو جعفر كل ميم جمع ضمّاً مشبهاً
في الوصل إذا لم يلقها ساكن، فإن
لقبها ساكن فلا يُشبع، ونافع يخيّر،
ويضم ورش عند ألف القطع، وإذا
لقتها ألف وصل - وقبل الهاء كسرة أو
ياء ساكنة - ضم الهاء والميم حمزة
والكسائي وكسرهما أبو عمرو،
وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله،
والآخرون [يقرؤون] بضم الميم
وكسر الهاء لأجل الياء أو لكسر ما
قبلها وضم الميم على الأصل.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غير صراط الذين
غضبت عليهم، والغضب هو إرادة
الانتقام من العصاة، وغضب الله
تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما
يلحق الكافرين.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: وغير
الضالين عن الهدى، وأصل الضلال
الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء
في اللبن إذا هلك وغاب، و «غير»
ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير،
ولذلك جاز العطف [عليها]، كما
يُقال: فلان غير محسن ولا مجمل،
فإذا كان غير بمعنى سوى، فلا يجوز
العطف عليها بلا، ولا يجوز في
الكلام: عندي سوى عبد الله ولا
زيد. وقرأ عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: «غير المغضوب
عليهم وغير الضالين»، وقيل:
المغضوب عليهم: هم اليهود -
والضالون: هم النصارى لأن الله
تعالى حكم على اليهود بالغضب،

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سألت. صحيح. [وأخرجه مسلم عن قتية عن مالك].

سورة البقرة

[سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① ﴿الَمْ﴾ قال الشعبي وجماعة: الَمْ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها.

قال أبو بكر الصديق [رضي الله عنه]: في كل كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السور.

وقال علي [رضي الله عنه]: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف (التهجي).

قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً وإن سرّ القرآن فواتح السور فدغها، وسلّ عما سوى ذلك.

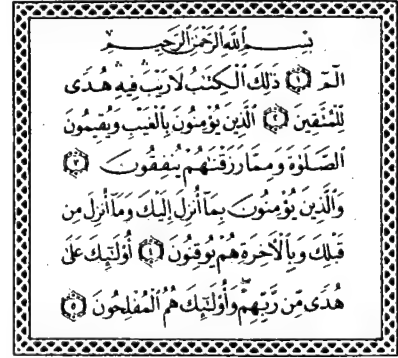
وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقليل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿كَتَبَ﴾ [مریم: ١]، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من

مسلم عن الحسن بن ربيع عن أبي الأحوص.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزمهرى عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن: أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ:

«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي [خداج، هي خداج] خداج غير تمام»، قال: فقلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام؟ فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفسك فلاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل»، قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنتي علي عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إيتاك نعبد وإيتاك نستعين، يقول الله عز وجل: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: اهتنا الصراط



وانها لهي السبع المثاني التي آتاني الله عز وجل، هذا حديث حسن صحيح.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي، أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار بن رزيق، عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: «أبشّر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته»، صحيح. [أخرجه

عليه والصاد من صادق. وقيل في ﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف: ١] أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في المص: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد.

وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: معنى المص: أنا الله أعلم، ومعنى المص: أنا الله أعلم وأفضل، ومعنى المص: أنا الله أرى، ومعنى المص: أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريد أن تقول: قلت لها قفي فقالت قاف أي: وقفت.

وعن سعيد بن جبيرة قال: هي أسماء الله تعالى «مقطعة» لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول الممر وحمل، ون، فتكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء «السورة» وبيانه أن القائل إذا قال: قرأت المص عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مبادئ كتبه المنزلة بمبادئ أسمائه الحسنى.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: هذا الكتاب وهو

القرآن، وقيل: هذا فيه مضمرة أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلط عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال: هذا (ذلك) الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل، وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا (للتقريب وذلك) للتبديد.

وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال: ذلك الكتاب يعني ما تقدم (سورة) البقرة من السور، لا شك فيه. والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق، وهذا الدرهم ضرب فلان، أي: مضروبه، وأصل الكتاب الضم والجمع، ويقال للجند كتبية، لاجتماعها وسُمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى أحرف.

قوله تعالى: ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه لقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير فيه بالإشباع في الوصل، وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلها ما لم يلحقها ساكن، ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء، وإن كان غيرها يشبعها بالضم واواً، ووافقه حفص في قوله: ﴿فِيهِ مَكَانٌ﴾ [الفرقان: ٦٩] (فيشبعه).

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحزمة والكسائي، زاد حمزة والكسائي عند الياء، وزاد حمزة عند الواو، والآخرون لا يدغمونها، ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هادياً تقديره لا ريب فيه في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان، للمتقين، أي: للمؤمنين قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده.

وفي الحديث: كنّا إذا أقمّر البأس اتقينا برسول الله ﷺ.

أي: إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، [فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب]، قال عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] لكعب الأحبار: حدثنا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وشمّرت، قال كعب: ذلك التقوى، وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خير من أحد، وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير، وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وفي الحديث: «جماع التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾» [النحل: ٩٠] الآية وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع الذين خفض، نعتاً للمتقين (يؤمنون) يصدقون، ويترك همزة أبو عمرو وورش، والآخرين يهملونها، وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل [نحو] يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا.

وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيماناً لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَّمْ يُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وذلك لأن الرجل قد يكون [مسلماً] في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

وقد اختلف [في] جواب النبي ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام، وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن بويه الزُّرَّاد البخاري، أنا أبو

القاسم علي بن أحمد الخزاعي، ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو أحمد عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كهَمَس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يغمَر قال: كان أول من تكلم في القدر - يعني بالبصرة - معبدالجهني، [قال] خرجت أنا وحמיד بن عبدالرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء، فلقينا عبدالله بن عمر فاستفتاه أنا وصاحبي. اكتبوا أي: أحاطوا. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا أناس يَتَقَفُّرون هذا العلم ويطلبونه، يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني بُرءاء، والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قَبِلَ الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: حدثنا عمر بن الخطاب، قال:

بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجلٌ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ وركبته تمس ركبته، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»،

فقال: صدقت، فتعجبنا من سؤاله وتصديقه، ثم قال: فما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره»، فقال: صدقت، ثم قال: فما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: صدقت، ثم قال: فأخبرني عن الساعة، فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربُّتها وأن ترى الحفاة العُراءَ رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر»، قال: صدقت، ثم انطلق، فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر هل تدري من الرجل؟» قال: قلت لله ورسوله أعلم قال: «ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه».

فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لِمَا ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لِمَا بطن من الاعتقاد، وذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم». والدليل على أن [الأعمال من] الإيمان، ما أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحني أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاه، ثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، ثنا

يُشْرَ بن موسى ثنا خالد بن الوليد عن جرير الرازي، عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضغ وسيعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان».

وقيل الإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه.

قوله تعالى: ﴿بِالْغَيْبِ﴾، والغيب: مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم، ف قيل للغائب: غيب، كما قيل للعاذل: عدل، وللزائر: زور، والغيب ما كان مغيباً عن العيون.

قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان.

وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن. وقال الحسن: الآخرة. وقال زر بن حبيش وابن جريج: الوحي، نظيره: ﴿أَعِنْدُكُمْ عِلْمٌ الْغَيْبِ﴾ [النجم: ٣٥]، وقال ابن كيسان: بالقدر، وقال عبدالرحمن بن يزيد: كنا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقوا به فقال عبدالله: إن أمر محمد كان بيتاً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيث، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ الْإِيمَانِ﴾، إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش:

﴿يُؤْمِنُونَ﴾، بترك الهمزة، وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة إلا في ﴿أَتَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ [المائدة: ١٤]، و﴿يَتَّبِعْنَا﴾ [يوسف: ٣٦]، ويترك أبو عمرو كلها إلا أن يكون علامة للجزم نحو ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ﴾ [القمر: ٢٨]، و﴿أَتَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿سَقَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، و﴿إِنْ شَاءَ﴾ [الشعراء: ٤]، و﴿نَسْأَهَا﴾، ونحوها أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو: ﴿مُؤَصَّلَةً﴾، و﴿وَرَوَّيَا﴾، ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل، إلا ﴿وَقَوَّيْ﴾ و﴿قَوَّيْ﴾، ولا يترك من عين الفعل إلا: ﴿أَرْزَيْيَا﴾، وبابه إلا ما كان على وزن فعلٍ مثل: ذئب.

قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِنُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطياً حقوقه، والمراد بها الصلوات الخمس، ذكر بلفظ «الواحد»؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ الْبَنِيَّانَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مِنْهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، يعني: الكتب.

والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء، وقيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، الآية، إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة، ومن

الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين: الدعاء.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، «أي»: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما يُنتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿يُفْقُونَ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق، لأنه يُخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه: نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾، يعني: القرآن. ﴿وَمِمَّا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالوا [وأبو عمرو] وأهل البصرة ويعقوب كل مدة تقع بين كلمتين، والآخرون يمدونها، وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُمِّيت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة، وسُمِّيت الآخرة: آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا. ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان: وهو العلم.

وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال، ولذلك لا يُسمى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذ ليس علمه عن استدلال.

﴿أُولَئِكَ﴾، قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾، أي: أهل هذه الصفة، وأولاء كلمة

لا تلي إلا الفعل، لأن الجزم يختص بالأفعال. ﴿تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذه الآية نزلت في أقوام حقَّت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾، طبع الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعي خيراً ولا تفهمه. وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يتفكرون به، وأراد على أسماعهم كما قال ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشُوَةٌ﴾: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ بالإمالة وكذلك كل ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يُميلانها، ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه. زاد الكسائي إمالة جبارين، والجوار، والجار وبارئكم ومن أنصاري، ونسارع وبابه، وكذلك يميل هؤلاء كل ألف هي بمنزلة لام الفعل أو كان علماً للتأنيث إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: الكبرى، والأخرى، ولام الفعل مثل: ترى، وافترى، يكسرون الراء منها.

والكافر يستر الحق بجهوده.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحد، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحد هو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس لعنه الله وكفر اليهود. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له. قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متساوٍ لديهم ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خوفتهم وحذرتهم، والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير، وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً، وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في تقعان في أول الكلمة، والآخرين يلبنون الثانية، ﴿أَمْ﴾ حرف عطف على الاستفهام، ﴿أَمْ﴾ حرف جزم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشُوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَسْجُدُوا لِلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَسْجُدُ لِلَّذِينَ هُمْ أَنفُسُهُمْ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ ۖ لَّا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِنَّا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَوْلَا الضَّلَالَةُ يَأْتَهُنَّ فَمَا كَانَتْ تُعَذِّبُهُمْ وَمَا كَانُوا لَهُمْ جَارِينَ ﴿١٥﴾

معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب، كما في حرف ذلك ﴿عَلَىٰ هَذَىٰ﴾، أي: رُشد وبيان وبصيرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي: الباقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزُّراع: فلاحاً، لأنه يشق الأرض، وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح [أي: يشق]، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾: يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحد، وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سُمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمي الزُّراع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب،

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى، والعذاب: كل ما يعيى الإنسان ويشق عليه، قال الخليل بن أحمد: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه: الماء العذب لأنه يمنع العطش.

﴿٨﴾ قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجذ بن قيس وأصحابهم، حيث أظهروا كلمة الإسلام لِيَسْلُمُوا من النبي ﷺ وأصحابه، واعتقدوا خلافها، وأكثرهم من اليهود، والناس: جمع إنسان، سمي به لأنه عهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ نَنسِي﴾ [طه: ١١٥]، وقيل: لظهوره من قولهم آتست، أي: أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به، ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ، أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع، فالخداع يظهر خلاف ما يضمن، والخداع من الله في قوله: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهِرُ لَهُمْ وَيُعَجِّلُ لَهُم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة، وقيل: أصل الخداع: الفساد. معناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضموه من الكفر. وقوله: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾، أي: يُفْسِدُ عَلَيْهِم نعيمهم في الدنيا بما يصيرونهم إليه من عذاب الآخرة، فإن قيل: ما

معنى قوله: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾، والمفاعلة للمشاركة وقد جلَّ الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلاناً وطارقت النعل.

وقال الحسن: معناه يُخادعون رسول الله ﷺ؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، أي: أولياء الله، وقيل: ذكر الله ههنا تحسین، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا، كقوله تعالى: ﴿فَأَن يَلَّهِ حُكْمٌ وَاللَّسْوَلُ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ما يخادعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد. وقرأ الباقون. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ على الأصل: ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم.

﴿١١﴾ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَمٌ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، وسمي الشك في الدين مرضاً لأنه يُضعف الدين كالمرض يُضعف البدن، ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، لأن الآيات كانت تنزل ترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً،

وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَمٌ فََرَادَهُمْ يَجَسَّ إِلَىٰ جَيْهَتِهِ﴾ [الشورى: ١٢٥]، قرأ ابن عامر وخمزة ﴿فَرَادَهُمُ﴾، بالإمالة، وزاد حمزة إمالة (زاد) حيث وقع، وزاغ، وخاب، وخاف، وطاب، وحاق، وضاق، والآخرين لا يميلونها، وجفَّ إلى قلوبهم، مؤلم يخلص وجهه إلى قلوبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر، وقرأ الكوفيون] يكذبون بالتخفيف، أي: يكذبهم إذ قالوا: آمنا وهم غير مؤمنين، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ الْكُفَّاءُ﴾ قرأ الكسائي (قيل، وغيبض، وجيء، وحيل، وسبق، وسيئت) يزوم أوائلهن الضم، - ووافق ابن عامر في (سبق، وحيل، سبيء، وسيئت) - ووافق أهل المدينة في (سبيء، وسيئت): لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو، مثل قُتِلَ، وكذلك في أخواته، فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة، وقرأ الباقون بكسر أوائلهن، استقلوا الحركة على الواو، فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ يمعني للمنافقين، وقيل لليهود، أي قال لهم المؤمنون، ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين، ﴿فَالْوَاوُ إِنَّمَا تَحْنُ مُفْلِجُونَ﴾: يقولون هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون.

﴿١٢﴾: كَلِمَةً تَنْبِيهٍ يَنْبَغِي بِهَا الْمُخَاطَبُ، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ أَنفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ، وَالنَّاسَ بِالتَّعْوِيقِ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أَي: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَفْسِدُونَ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِبْطَانِ الْكَفْرِ صَلَاحٌ، وَقِيلَ: لَا يَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿١٣﴾: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أَي: لِلْمُنافِقِينَ، وَقِيلَ: لِلْيَهُودِ، ﴿ءَايُوا كَمَا ءَامَنَ آدَامُ﴾ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقِيلَ: كَمَا ءَامَنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ أَشْقَاهُ﴾ أَي: الْجَهَالُ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَصِحُّ النِّفَاقُ مَعَ «الْمُجَاهِرَةِ» بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ أَشْقَاهُ﴾؟ قِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَظْهَرُونَ هَذَا الْقَوْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمُ أَشْقَاهُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أَنَّهُمْ كَذَلِكَ، فَالْسَفِيهِ خَفِيفُ الْعَقْلِ رَقِيقُ الْحِلْمِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ثُوبٌ سَفِيهِ أَي: رَقِيقٌ، وَقِيلَ: السَفِيهِ الْكَذَّابُ الَّذِي يَتَعَمَّدُ (الْكَذْبَ) بِخِلَافِ مَا يَعْلَمُ.

قَرَأَ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ «أَشْقَاهُ» آلَا بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَيْنِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ هَمْزَيْنٍ وَقَعْنَا فِي كَلِمَتَيْنِ اتَّفَقْنَا أَوْ اخْتَلَفْنَا، وَالْآخَرُونَ يَحْقُقُونَ الْأَوَّلَى وَيَلِينُونَ الثَّانِيَةَ فِي الْمَخْتَلَفَتَيْنِ طَلَبًا لِلخَفَةِ، فَإِنْ كَانَتَا مُتَّفَقَتَيْنِ مِثْلُ: (هَؤُلَاءِ، وَأُولَئِاءِ، وَأُولَئِكَ، وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ)، قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْبَزْزِيُّ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَوَرُشُ وَالنَّوَّاسُ وَيَعْقُوبُ بِتَحْقِيقِ

الْأَوَّلَى وَتَلْسِينِ الثَّانِيَةِ، وَقَرَأَ قَالُونَ [بِتَخْفِيفِ الثَّانِيَةِ] لِأَنَّهُ مَا يَسْتَأْنِفُ أَوَّلَى بِالْهَمْزَةِ مِمَّا يُسَكَّتُ عَلَيْهِ.

﴿١٤﴾: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا لَقُوا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كَأَيْمَانِكُمْ ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ رَجَعُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخُلُوةِ، ﴿إِلَى﴾، بِمَعْنَى: الْبَاءِ، أَي: بِشَيَاطِينِهِمْ، وَقِيلَ: إِلَى بِمَعْنَى مَعَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٢] أَي: مَعَ أَمْوَالِكُمْ. ﴿شَيْطَانِيكُمْ﴾، أَي: رُؤْسَانِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَهُمْ خَمْسَةُ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ بِالْمَدِينَةِ، وَأَبُو بَرْدَةَ فِي بَنِي أَسْلَمَ، وَعَبْدُ الدَّارِ فِي جُهَيْنَةَ، وَعُوفُ بْنُ عَامِرٍ فِي بَنِي أَسَدَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ السُّودَاءِ بِالشَّامِ، وَلَا يَكُونُ كَاهِنٌ إِلَّا وَمَعَهُ شَيْطَانٌ تَابِعٌ لَهُ. وَالشَّيْطَانُ: الْمَتَمَرِّدُ الْعَاتِي مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَصْلُهُ الْبُعْدُ، يُقَالُ: بَثَرْتُ شَيْطُونًا، أَي: بَعِيدَةً الْعَمَقِ، سُمِّيَ الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا لِامْتِدَادِهِ فِي الشَّرِّ وَبُعْدِهِ مِنَ الْخَيْرِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أَي: عَلَى دِينِكُمْ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِمَا نَظَّهَرُوا مِنَ الْإِسْلَامِ. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (مُسْتَهْزَؤُونَ، وَيَسْتَهْزَؤُونَ، وَقُلْ اسْتَهْزَؤُوا، وَلِيُطْفَؤُوا، وَلِيُطَاوُوا، وَيَسْتَنْبُونُكَ، وَخَاطِبِينَ، وَخَاطُونَ، وَمَتَكُنْ وَمَتَكُونُ فَمَالُونَ، وَالْمُنْشُونَ) بَتَرَكَ الْهَمْزَةَ فِيهِمْ.

﴿١٥﴾: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، أَي: يَجَازِيهِمْ جَزَاءَ اسْتَهْزَائِهِمْ، سَمِيَّ الْجَزَاءُ بِاسْمِهِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحْزَنُوا سِتْرَةَ سِتْنَةٍ يَتْلَاهَا﴾ [الشُّورَى: ٤٠]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ أَنْ يُفْتَحَ لَهُمْ بَابُ مِنَ الْجَنَّةِ فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ سُدَّ عَنْهُمْ وَرُدُّوا إِلَى النَّارِ. وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُضْرَبَ لِلْمُؤْمِنِينَ نُورٌ يَمْشُونَ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ فَإِذَا وَصَلَ الْمُنَافِقُونَ إِلَيْهِ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُبُورًا لَّهُمْ بَابٌ﴾ [الحديد: ١٣] الْآيَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ يَظْهَرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِفَاقِهِمْ. ﴿وَيَسْتَهْزِئُ﴾: يَتَرَكَّهُمْ وَيَمْلِكُهُمْ، وَالْمَدَّ وَالْإِمْدَادُ وَاحِدٌ، وَأَصْلُهُ الزِّيَادَةُ إِلَّا أَنَّ الْمَدَّ أَكْثَرُ مَا يَأْتِي فِي الشَّرِّ، وَالْإِمْدَادُ فِي الْخَيْرِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَدِّ: ﴿وَمَدَّ لَّهُمُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وَقَالَ فِي الْإِمْدَادِ: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٦]، ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطُّور: ٢٢]. ﴿فِي طَغْيَانِهِمُ﴾، أَي: فِي ضَلَالَتِهِمْ، وَأَصْلُهُ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، وَمِنْهُ: طَغَى الْمَاءُ. ﴿يَسْمَهُونَ﴾، أَي: يَتَرَدَّدُونَ فِي الضَّلَالَةِ مُتَحِيرِينَ.

﴿١٦﴾: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَيْئَةِ﴾: أَيِ اسْتَبَدَّلُوا الْكَفَرَ بِالْإِيمَانِ، ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْدُثُهُمْ﴾، أَي: مَا رِيحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ، أَضَافَ الرِّيحَ إِلَى التِّجَارَةِ لِأَنَّ الرِّيحَ يَكُونُ فِيهَا كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: رِيحُ بَيْعِكَ وَخَسْرَتُ صَفَقَتِكَ. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: مِنَ الضَّلَالَةِ، وَقِيلَ: مُصِيبِينَ فِي تِجَارَتِهِمْ.

﴿١٧﴾: ﴿مَثَلُهُمْ﴾: شَبَّهَهُمْ، وَقِيلَ:

صفتهم، والمثل: قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿كَتَلَّيْ﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية، ونظيره ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿أَسْتَوْفَدَ نَارًا﴾: أَوْفَدَ نَارًا، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَكُمْ﴾، أي: حول المستوفد، وأضاء لازم ومتعد، يقال: أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره، وهو: هنا متعد، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾. قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدي: نزلت في المنافقين. يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفِيت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمثروا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

وقيل: ذهب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، وقيل: ذهب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ، فضرب النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب النور عنه، لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار

إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة.

وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، ثم وصفهم الله فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هُمُ سُبُلَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٠]، أي: هم صم عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكانهم لم يسمعوا، ﴿يَكُمُ﴾ خرس عن الحق لا يقولونه، أو

أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكانهم لم ينطقوا بالحق، ﴿عَمَى﴾ أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾، أي: كاصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى آخر: إن شئت مثلهم بالمستوفد، وإن شئت بأهل الصيب، وقيل: أو بمعنى الواو يريد، وكصيب؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، بمعنى: ويزيدون، والصيب: المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فيعمل، من صاب يصوب، أي: نزل ﴿يَنُزِّلُ السَّمَاءَ﴾، أي: من السحاب.

قيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ يَكُمُ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧١﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَاعَهُمْ فِيهَا ذُنُوبَهُمْ مِنَ الضَّوْعِ حَدَرَا لَمُوتٍ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٧٢﴾ يَكَادُ الزُّقُ يُخِفُّ أَبْصَرُهُمْ لَمَّا أَضَاءَتْ لَهُمْ مَنُورًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٣﴾ يَتْلُو الشَّامِثُ آيَاتِكُمُ الَّتِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾ الَّتِي جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٦﴾ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِالنَّارِ الَّتِي هِيَ وَهُدَاهَا النَّاسُ وَالْحِجَابَةُ أَعْيَتْ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٧٧﴾

وجمعاً. ﴿يُذِ﴾، أي: في الصيب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب، ولذلك ذكره، وقيل: السماء تُذَكِّر وتؤثت، قال الله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]، وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿ظُلُمَاتٍ﴾: جمع ظلمة ﴿وَرَعْدٌ﴾: وهو الصوت الذي يُسمع من السحاب، ﴿رَوَّقٌ﴾: وهو النار التي تخرج منه. قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين: الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والبرق لمعان سوط من نور، يجز به الملك السحاب، وقيل: الصوت زجر السحاب، وقيل: تسبيح الملك، وقيل: الرعد نطق الملك والبرق ضحكه، وقال مجاهد: الرعد اسم الملك، ويقال لصوته أيضاً رعد، والبرق: مَصْعُ ملك يسوق السحاب، وقال شهر بن

خَوْفٌ: الرعد ملك يزرع السحاب فإذا تبددت ضمتها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل: الرعد انحراف الريح بين السحاب، والاول أصح. ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت من سماعها أو يغشى عليه، ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء.

رُوي عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

قوله: ﴿حَذَرَ الْقَوْتِ﴾، أي: مخافة الهلاك، ﴿وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾، أي: عالم بهم وقيل جامعهم وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: أي تهلكوا جميعاً. ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل نصب والخفص، ولا يُميلان: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ يَبْعَثُ﴾ [البقرة: ٤١].

﴿يَكَاذِبُونَ﴾، أي: يقرب، يقال: كاذ يفعل إذا قرب ولم يفعل، ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ يختلسها، والخطف استلاب بسرعة، ﴿كُلَّمَا﴾: كل حرف جملة، ضم إلى ما الجزاء فصار أداة للتكرار، ومعناها متى ما، ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، أي: وقفوا متحيزين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم

يقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن الساري (لا يُمكِنه) المشي فيها، ورعد من صفة أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفة أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده، فهذا مثلٌ ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خَوْفُوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، ﴿يَكَاذِبُونَ﴾ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ أي: القرآن يبهز قلوبهم، وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر الإسلام، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد والوعيد.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاءً وشدةً هَرَبُوا حَذَرًا مِنَ الْهَلَاكِ، ﴿وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾ جامعهم، يعني: لا ينفعهم هَرَبُهُمْ لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم.

﴿يَكَاذِبُونَ﴾، يعني: دلائل الإسلام تزعمهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْ فِيهِ﴾،

يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلما نالوا غيمَةً وراحَةً في الإسلام قَبِتُوا وقالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: رأوا شدةً وبلاءً ﴿قَامُوا﴾ [أي تأخروا] ووقفوا [أو قعدوا]؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِ اللَّهُ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾، أي: بأسماعهم كما ذهب بأسماعهم الظاهرة، وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العز والامان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر، قرأ ابن عامر وحمزة: «شاء، وجاء»، حيث كان بالإماله.

﴿قوله تعالى: ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ﴾. قال ابن عباس ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو ههنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين.

﴿أَقْبِدُوا﴾: وخدوا. قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد.

﴿رَبِّكُمْ أَلَيْسَ خَلْقُكُمْ﴾: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق، ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، أي: وخلق الذين من قبلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلكم تنجون من العذاب، وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء؛ كما قال:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّاهُمْ يَذْكُرُ ۖ أَوْ يَخْتَفُونَ﴾ [طه: ٤٤]، أي: ادعوا إلى الحق وتكونا على رجاء التذكر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيويه: لعل وعسى خرفاً ترج، وهما من الله واجب.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ رِيشًا﴾، أي: بساطاً، وقيل: مناماً، وقيل: وطاءً، أي: ذللها ولم يجعلها حَزْنَةً لا يمكن القرار عليها، والجعل لها من معنى: الخلق، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾، أي: سقفاً مرفوعاً، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي: من السحاب، ﴿مَاءً﴾، وهو المطر، ﴿فَأَنْجَبَ بِهِ مِنَ النَّحْلِ﴾: من ألوان الثمرات وأنواع النباتات، ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: طعاماً لكم وعلفاً لدوابكم، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله.

وقال أبو عبيدة: التذ الضد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل وال ضد، ﴿وَأَنْتُمْ تَقْلُبُونَ﴾: أنه واحد خلق هذه الأشياء.

﴿وَلَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، أي: وإن كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿يَمَّا زَكَّيْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿عَلَى عِبَادِكُمْ﴾: محمد ﷺ، ﴿فَأَنزَلْنَا﴾: أمر تعجيز، ﴿بِشُورٍ﴾، والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر، من أسأرت، أي: أفضلت وحذفت الهمزة.

وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة، ومنه سور البلد لارتفاعه، سُمِّيَتْ سورة لأن القارئ ينال بقراءتها منزلةً رفيعةً حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن، ﴿وَلَنْ

يُنَالِيَهُ﴾، أي: مثل القرآن، ومن: صلة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتُخَّصِمُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ، يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يحسن الخط والكتابة.

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾، أي: واستعينوا بالهتكم التي تعبدونها، ﴿وَلَنْ دُونَ اللَّهِ﴾، وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه، فلما

تحذاهم عجزوا، فقال:

﴿وَلَنْ تَقْعَلُوا﴾، ﴿وَلَنْ تَقْعَلُوا﴾، ﴿وَلَنْ تَقْعَلُوا﴾، فيما مضى قال ذلك لبيان الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة للنبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله، قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا النَّارَ﴾، أي: فأمنا واتقوا بالإيمان النيار، ﴿الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر النهاب، وقيل: جميع الحجارة، وهو دليل على عظمة تلك النار، وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿أُعِيتَ﴾: هُتِيت [الكافرون].

﴿وَيَنْبِئُ الَّذِينَ

يَنْبِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَمَا رَفَعُوا مِنْهَا مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُوا مُشْبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿١٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمِنًا فَأَخِيتُمْ ثُمَّ بُيِئْتُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ إِلَيْدُ رُجُوعٍ ﴿١٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿ءَامَنُوا﴾، أي: أخبر، والبشارة: كل خير صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي: الفعلات الصالحات، يعني: المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات، قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي: أخلصوا الأعمال؛ كما قال: ﴿فَلْيَمْلِكْ عَمَلُ صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: خالياً عن الرياء، قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: جمع الجنة، والجنة: البستان الذي فيه أشجار مشرة، سُمِّيَتْ بها لاجتماعها وتسترها بالأشجار، وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة [تدخل] الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها».

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى المروزي، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا [أبو] عبدالرحمن بن أبي شريح أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حنجر، أنا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملات ما بينهما ريحاً، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»، صحيح [أخرجه محمد بن عبدالله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد].

عبدالله الصفار، أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبرزون، يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس، طعامهم الجشاء ورشحهم المسك».

قوله تعالى: «وَلَهُمْ فِيهَا»: في الجنات «أَزْوَاجٌ»: نساء وجوار، يعني: من الحور العين، «مُطَهَّرَةٌ»: من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط، والمنى، والولد، وكل قدر، قال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد، وقال الحسن: هن عجائزكم الخمص العُمش طهرن من قدرات الدنيا، وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق، «وَهُنَّ فِيهَا خَلَائِفُ»، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

أنا أبو عمرو عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الثعيمي، أنا محمد بن يوسف الفربري، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُري في السماء إضاءة،

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا، أي: من تحت أشجارها ومساكنها «الْأَنْهَارُ»، أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم؛ لقوله تعالى حكاية عن فرعون: «وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» [الزخرف: ٥١]، أي: بأمرى، والأنهار جمع نهر، سُمِّيَ به لسعته وضياؤه، ومنه النهار. وفي الحديث: «أنهار الجنة في غير أخذود».

«كُلَّمَا»: متى ما، «رُزِقُوا»: أطلعوا «وَمِنْهَا»: أي: من الجنة، «مِنْ ثَمَرَةٍ»: أي: ثمرة، ومن: صلة، «رِزْقًا»: طعاماً، «قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ»، وقبل: رفع على الغاية، قال الله تعالى: «لِلَّهِ الْأَمْثَرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» [الروم: ٤]، قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الشمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، «وَأَتَوْا بِهَا» بالرزق، «مُتَشَابِهًا»، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان مختلفاً في الطعم، وقال الحسن وقتادة: متشابهاً أي يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيّب، وقيل: متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

أنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبدالله محمد ابن

أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبد الله [بن محمد] بن مسلم أبو بكر الجوريدي أنا أحمد بن الفرّج الحمصي، أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، أنا محمد بن المهاجر عن الضحّاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كُريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول:

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا هَلْ مِنْ مُشْمَرٍ لِلْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا وَهِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهْرٌ مَطْرَدٌ، وَثَمَرَةٌ نُضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ وَخُلَلٌ كَثِيرَةٌ وَمَقَامٌ أَبَدٌ فِي دَارِ سَلِيمَةٍ وَفَاكِهَةٌ خَضِرَةٌ وَخَبِيرَةٌ، وَنِعْمَةٌ فِي مَحَلَةٍ عَالِيَةٍ بِهِيَّةٍ»، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشتمرون لها قال: «قولوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قال القوم: إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ جَرْدٌ مُرْدٌ كَحَلٍّ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ».

وأنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى، أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعيد عن علي قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ لَسَوْقًا لَيْسَ فِيهَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ إِلَّا الصُّورُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةَ دَخَلَ فِيهَا، وَإِنْ فِيهَا لِمَجْتَمَعٍ حُورٌ عَيْنٌ يَنَادِينَ،

بصوت لم يسمع الخلاق بمثله نحن الخالدات فلا نبيد أبداً ونحن الناعمات لا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نستخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكثا له أو نحن له».

ورواه أبو عيسى عن هناد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري، أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك:

أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ لَسَوْقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ فَتَهَبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتُحْشَوُ فِي وَجُوهِهِمْ وَثِيَابُهُمْ فَيَزْدَادُونَ حَسَنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ زَادُوا حَسَنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ زَادْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ زِدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا قَوْمًا﴾.

سبب نزول هذه الآية: أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبًّا﴾ [العنكبوت: ٤١]،

قالت اليهود: ماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟.

وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلهاً يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، أي: لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ يذكر شيئاً، ﴿مَّا بَعْضُهُ﴾، ما: صلة، أي: مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق، سُمِّيَتْ بعوضة كأنها بعض البق، ﴿فَمَا قَوْمًا﴾، يعني: الذباب والعنكبوت.

وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يُقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بمحمد والقرآن، ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: المثل هو الحق: ﴿الصدق﴾ من زَيِّبٍ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا؟ أي: بهذا المثل، فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم أجابهم فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من الكفار، وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً، ﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾، أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضلّ الماء في اللبن إذا هلك، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، قال الله تعالى: ﴿فَسَقَّ عَنْ آثَرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: خرج، ثم وصفهم فقال:

كان قبل الهاء: واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون ﴿أَنْ يُبَيِّنَ هُوَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: وقال ربك، وإذ زائدة وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وإذا حرفا

توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضياً؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَكَبَّرُ بِكَ الَّذِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، يريد وإذا مكر، وإذا جاء [إذا] مع الماضي كانت معناه مستقبلاً؛ كقوله: ﴿إِذَا جَاءَ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿إِذَا جَاءَ فَصُرْ﴾ [النصر: ١]، أي: يجيء. ﴿وَاللَّاتِ كِبَى﴾ [والملائكة] جمع ملك، وأصله مالك من المألكة والألوكه والألوك: وهي الرسالة، فقلبت فقيلاً: ملاك، ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام: فقيلاً: «ملك» وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض.

وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا، فبعث الله إليهم جنوداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزائن الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً، فهبطوا

أراد به الأرحام، ﴿وَنُفِثُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَافِرُونَ﴾: المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:

﴿٢٨﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ؟ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين، ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿رُكْنُكُمْ أَمْرًا﴾: نطفاً في أصلاب آبائكم، ﴿فَأَخْرَجَكُمْ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ﴾: عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُصِيبُكُمْ﴾: للبعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا رُجُوعٌ﴾، أي: تُردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم، قرأ يعقوب ﴿رُجُوعٌ﴾ [في] كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء، وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء، وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء، ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَوَاءً مَنَ وَجْهًا﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدى، ﴿وَوَعَدُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو، وهي بسكون الهاء إذا

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٥﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَاتَّبَعَ عَالِيَهُمْ هُوَ وَآلُوهُ الْوَالِدِينَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يَنْفُسُونَ: يخالفون ويرتكبون، وأصل النقص الكسر ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿أَسْتُ بَرِيكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويؤمنوا نعتة، ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد، ﴿وَيَقْلُوبُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ﴾، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْبَشَرِ﴾ [النساء: ١٥٠]، وقال المؤمنون: ﴿لَا تَزِفُّ بَيْتَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقيل:

إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال [ويعلمون الأودية] وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب، فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا المُلْك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، فقال الله تعالى له ولجنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: بدلاً منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة، والمراد بالخليفة ههنا آدم سمّاه خليفة لأنه خلف الجن، أي: جاء بعدهم.

وقيل: لأنه يخلفه غيره، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُقْسِدُ فِيهَا﴾: بالمعاصي، ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ بغير حق، أي: كما فعل بنو الجان فقاموا الشاهد على الغائب، وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق [وصلاة البهائم وغيرهما سوى آدميين] وعليها يرزقون.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا حبان بن هلال، أنا وهيب أنا سعيد الجُرْيزي عن أبي عبد الله الجُسْزِي عن عبادة بن الصّامست عن أبي ذر أن

رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحانه الله وبحمده».

وقيل: نحن نصلي بأمرك، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة، ﴿وَقُدِّسَ لَكَ﴾، أي: نشني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونظير أنفسنا لطاعتك، وقيل: ونزّهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم، قرأ أهل الحجاز والبصرة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ بفتح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبلها ألف مفتوحة إلا في مواضع معدودة، ويفتحون في بعض مواضع عند الألف المضمومة والمكسورة، وعند غير الألف، وبين القراء في تفصيله اختلاف.

﴿٣١﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: سُمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، وكنيته أبو محمد وأبو البشر، فلما خلقه الله تعالى علّمه أسماء الأشياء.

وذلك أن الملائكة قالوا لما

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة [والجماعة].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علّمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء، قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، إنما قال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾، ولم يقل عرضها، لأن المسميات إذا جمعت من يعقل وما لا يعقل يُكنى عنها بلفظ من يعقل، كما يُكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخوص، فلذلك قال ﴿عَرَضَهُمْ﴾، ﴿فَقَالَ أَنُؤْمِنُ﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ أي الموجودات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [في] أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل وأعلم منه، ﴿قَالُوا﴾ فقالت الملائكة إقراراً بالعجز:

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾: تنزيهاً لسك، ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْتَنِي، معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل، ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج، فلما ظهر عجزهم:

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَكَادُ يُبَاهِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء [باسمه] وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يا ملائكتي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما كان منهما وما يكون، لأنه قد قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقر: ٣٠].

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ﴾، قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أن إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف، ثم قال للملائكة الذين معه: أرايتم إن قُضِلَ هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سُلِطت عليه لأهلكته ولئن سُلِط عليّ

لأعصينه، فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ﴾ يعني: ما تُبْذِيه الملائكة من الطاعة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني إبليس من المعصية.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ بضم الشاء على جوار ألف اسجدوا، وكذلك قرأ ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، بضم الباء، وضعفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه، واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي من الملائكة، فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه مع جميع الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَمُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، وقوله: ﴿اسْجُدُوا﴾، فيه قولان:

الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل: ﴿وَوَحَّوْا لَهُ سَجْدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض إنما كان انحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل معنى قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل، ﴿فَسَجَدُوا﴾ يعني: الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، وكان اسمه عزازيل بالسرانية وبالعربية الحارث، فلما

عصى غير اسمه وصورته، فقيل: إبليس لأنه أبليس من رحمة الله تعالى، أي: يش.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنسان، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة.

وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال قوم: من الملائكة الذين [كانوا] يصوغون جليّ أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنّاً لاستارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَاءً﴾ [الصافات: ١٥٨]، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية. قوله: ﴿أَنِّي﴾ أي: امتنع فلم يسجد، ﴿وَأَسْتَكْبِرُ﴾، أي: تكبر عن السجود لآدم، ﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار ﴿وَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله أنه من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاة.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل

وقاسمهما بالله أنه لهما لمن
الناصحين فاغترآ، وما ظنا أن أحداً
يحلف بالله كاذباً فيأدرت حواء إلى
أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكل
[منها].

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى [إذا] سكر قادتة إليها فأكل، قال إبراهيم بن ادهم: أورشنا تلك الأكلة حزنًا طويلًا، قال ابن عباس وقتادة: قال الله عز وجل لآدم: ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبِعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدًا. فأهبطا من الجنة، وكانا يأكلان منها رغداً فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث فيها وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد، ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله، فلم يبلغه حتى بلغ ما شاء الله.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة التي نُهي عنها قال الله عزَّ وجلَّ: يا آدم ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب زينته لي حواء، قال: فإني أقمبها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً ودميتها في الشهر مرتين، فرئت حواء عند ذلك فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك، فلما أكلا تهافت عنهما ثيابهما وبذت سواتهما وأخرجا من الجنة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مُطَرًّا﴾ أي: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدم وحواء وإبليس

شيء، وقال علي: شجرة الكافور،
﴿فَنَكُونَا﴾: فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾،
أي: الضارين بأنفسكما بالمعصية،
وأصل الظلم: وضع الشيء في غير
موضعه.

﴿فَازَ الْهُمَاءُ﴾، [أي]: استزَلَّ
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾ آدم وحواء، أي: دعاهما
 إلى الزَّلة، وقرأ حمزة «فَازَ الْهُمَاءُ»،
 أي: نحاهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾: قَبَعَآلٌ من
 شطن، أي: بَعُدَ، سُمِّيَ به لبعده عن
 الخير وعن الرحمة، ﴿عَنَهَا﴾ عن
 الجنة ﴿فَأَفْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من
 النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن
 يدخل الجنة ليؤسوس إلى آدم وحواء
 فمنعته الخزنة فأتت الحية وكانت
 صديقة لإبليس وكانت من أحسن
 الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير
 وكانت من خزان الجنة، فسألها
 إبليس أن تُدْخِلَهُ فِيهَا فادخلته
 ومرت به على الخزنة وهم لا
 يعلمون، فادخلته الجنة.

وقال الحسن: إنَّما رَأَهما على باب الجنة، لأنَّهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن خُلدًا، فاغتَنم ذلك منه الشيطان فأتاه الشيطان من قِبَل الخُلد، فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح، فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما فاغتما، ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخُلد، فأبى أن يقبل منه

محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو
يزيد محمد بن يحيى بن خالد، أنا
إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير
ووكيع وأبو معاوية، عن الأعمش
عن أبي صالح عن أبي هريرة .

عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمر بالسجود فعصى فله النار».

﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿وَلَقَدْ يَكَادُمُ الْأَرْضُ الْكَرَّةَ﴾، وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قُصيرة أي من شقه الأيسر، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، خلقها الله عز وجل من غير أن يحس به آدم ولا وجد له ألماً، ولو وجد ألماً لما عطف رجل على امرأة قط، فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما في خلق الله، فقال لها: من أنت؟ قالت: زوجتك خلقتني الله لك تسكن إليّ وأسكن إليك ﴿وَلَا مِنْهَا رَعْدٌ﴾: واسعاً كثيراً، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما، ﴿وَلَا تَفَرَّيَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، يعني: للأكل، قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر.

وقال آخرون: على شجرة مخصوصة، واختلفوا في تلك الشجرة، فقال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة، وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب، وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال قتادة: شجرة العلم، وفيها من كل

تلقاء نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي. وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء، قال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة.

وروي المسعودي عن يونس بن خباب وعلمة بن مرثد قالوا: لو أن دموع [جميع] أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة، ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة.

قال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياة من الله تعالى، قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾: فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ﴾: يقبل توبة عباده، ﴿الْجِيمُ﴾: بخلقه.

﴿٢٨﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَعَلْنَا﴾، يعني هؤلاء الأربعة، وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الآخر من السماء الدنيا إلى الأرض، ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، أي: فإن يأتكم يا ذرية آدم ﴿فَبِئْسَ هُدًى﴾، أي: رُشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول، ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدًى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قرأ يعقوب: «فلا خوف» بالفتح [في] كل القرآن، والآخرين بالصنم والتنوين «فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فيما يستقبلونهم «وَلَا

سَالِمَانَهُنَّ مِنْذُ حَارَتَاهُنَّ». وروى «أنه نهى عن ذوات البيوت».

وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان».

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ فِي الْأَرْضِ مَسَرَّةٌ﴾: موضع قرار ﴿وَبَشِّرِ﴾: بلسنة ومستمع ﴿إِلَّا حِينَ﴾: إلى انقضاء أجالكم.

﴿٢٧﴾ ﴿فَلَمَّا﴾: تلحق، والتلقي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم، ﴿وَأَدَّ مِنْ زِينَةٍ﴾: قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء، قرأ ابن كثير (آدم) بالنصب (كلمات) برفع التاء، يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته، واختلفوا في تلك الكلمات، فقال سعيد بن جبيرة ومجاهد والحسن: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية.

وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هي قوله لا إله إلا أنت سبحانك ويحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الثواب الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك ويحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال: يا رب أرايت ما أتيت، أشياء ابتدعته من

فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ذِكْرٌ إِنَّي آنَسْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهِمُونِ ﴿٣٠﴾ وَءَاثُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُسَدِّدًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٣١﴾ وَلَا تَلْسُوا النَّحْيَ بِالْأَيْدِي وَكُتِبُوا النَّحْيَ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَنْتَظِنُ أَنْهُمْ لُقِنُوا رَبَّهُمْ وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٣٦﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ذِكْرٌ إِنَّي آنَسْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْغَالِبِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهَا نُفُسٌ مِنْ نُفُسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ فِيهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٨﴾

والحية، فهبط آدم بسرديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة، وإبليس بالأيلة، والحية بأصفهان، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَشْيَاقَانَ لَكَا عَدُوٌّ بَيْنَ﴾ [الأعراف: ٢٢].

أنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد بن الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث:

«أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال: من تركهن خشيةً أو مخافةً نائير فليس مثلاً، وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: «ما

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم [في الدنيا]، ولا هم يحزنون في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالقرآن ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَبِيحُ إِسْرَءِيلُ﴾: يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبدالله، وإيل: هو الله تعالى. وقيل: صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: (إسرائيل) بغير همزة، ﴿أَذْكُرُوا﴾: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكراً وفي الكفر نسياناً. قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿يَسْتَبِيحُ﴾، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ تَسْمَدُوا﴾: ﴿إِسْرَءِيلُ﴾: ﴿أَلَيْسَ أَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على أجدادكم وأسلافكم.

قال قتادة: هي النعم التي خُصت بها بنو إسرائيل: من فلق البحر، وإنجائهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المَنَّ والسُّلَى، وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى.

وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾: أي: بامتثال أمري ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾: بالقبول والشواب، قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة [في قوله]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] إلى أن قال: ﴿لَأُكْفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا قوله: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾، وقال الحسن: هو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِثَوَرٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل: هو قوله [تعالى]: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الكلبي: عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني إسماعيل نبياً أميناً من اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي معه غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، يعني: أمر محمد ﷺ. ﴿وَأَتَيْنَا فَارُوقَ﴾: فخافوني في نقض العهد، وأثبت يعقوب الباءات المحذوفة في الخط مثل (فارهبوني، فاتقوني، واخشوني)، والآخرون يحذفونها في الخط.

﴿١١﴾ ﴿وَمَا آمَنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾: يعني القرآن، ﴿مُضِلًّا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أي: موافقاً لما معكم يعني التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾، أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود

بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فيتابعكم اليهود على ذلك فتبوا بآثامكم وآثامهم، ﴿وَلَا تَشْكُرُوا﴾، أي: ولا تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾: ببيان صفة محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَ﴾، أي: عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلاً يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنهم إن يتنوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المأكلاً، فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ﴿وَأَتَيْنَا فَارُوقَ﴾: فخاشوني.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾: أي: لا تخلصوا، يقال: لَبَسَ الثَّوبَ يَلْبَسُ لِبَاسًا، وَلَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ يَلْبَسُ لِبَاسًا، أي: خَلَطَ، يقال: لا تخلصوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير [صفة محمد ﷺ]، والآخرون على أنه أراد لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية، قال مقاتل: إن اليهود أقرروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليصدقوا في ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ الذي تقرون به ﴿بِالْبَاطِلِ﴾، يعني: بما تكتبونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، أي: لا تكتموا، يعني: نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ تَقْلَمُونَ﴾: أنه نبي مرسل.

﴿١٧﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها

وحدودها، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر، وقيل: من تزكى، أي: تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة لأن فيها تطهيراً وتنمية للمال، ﴿وَارْكَبُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، أي صلوا مع المصلين: محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأنه ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، فكانه قال: صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: إعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لهذا أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حث على إقامة الصلاة جماعة كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالإيمان.

﴿إِنَّمَا مَرْءٌ أُنَاسٌ بِالْإِيمَانِ﴾، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقربيه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغتروا نعت محمد ﷺ، ﴿وَتَسَوَوْا أُنْفُسَكُمْ﴾، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ الْكَافِرِينَ﴾: تقرؤون التوراة فيها نعت وصفته، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه حق فتتبعونه، والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يُشد به ركة البعير فيمنعه عن الشroud، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى

أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد، عن أنس بن مالك:

أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبِر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبد الله أنا سفيان عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قال أسامة بن زيد:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه أي تنقطع أمعاؤه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا أتبه وأنهاكم عن المنكر وأتبه».

وقال شعبة عن الأعمش: «فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه».

﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب الآخرة، ﴿بِالْمَقْبَرِ وَالصَّلَاةِ﴾: أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد الصبر على

أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سُمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى «على» أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ١٣٢]، ﴿وَرِثَا﴾، ولم يقل وإنهما، رذ الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما، كما قال: ﴿كُنَّا لِلْجَنَّةِ نَائِلِينَ﴾ [الكهف: ٣٣]، أي: كل واحدة منهما، وقيل: معناه ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالْقَبْرِ﴾ [وإنه لكبير، وبالصلاة] وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً.

وقال المورج: رذ الكناية إلى الصلاة لأنها أعم؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْبُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا﴾ [التوبة: ٣٤] رذ الكناية إلى الفضة لأنها أعم، وقيل: رذ الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ولم يقل يرضوهما، لأن رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل.

وقال الحسين بن الفضل: رذ الكناية إلى الاستعانة، ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾، أي: لشقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾، يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَسْوَاطُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، فالخشاع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

﴿الَّذِينَ يَبْطِئُونَ﴾: يستيقنون، أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى، أي: يصدقون بالبعث، وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه والظن من الأضداد يكون شكاً ويقيناً وأمثالاً كالرجاء يكون خوفاً وأمثالاً وأمثالاً، ﴿أَنَّهُمْ مُّكَلَّفُونَ﴾: مُعَايِنُو ﴿رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة، وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿وَأَنَّهُمْ لَآئِدُونَ﴾: فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء لكن يحصل به الشرف للأبناء.

﴿وَأَنفَعُوا بَوْمًا﴾: واخشوا عقاب يوم، ﴿لَا تَجْرَى نَفْسٌ﴾: لا تقضي نفس ﴿عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾، أي: حقاً لزوماً، وقيل: لا تغني، وقيل: لا تكفي شيئاً من الشدائد، ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنهَا شَفَعَةٌ﴾، قرأ ابن كثير ويعقوب بالتاء، لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقر بالياء، لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير على المعنى والتأنيث على اللفظ؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال في موضع آخر: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: لا تقبل منها شفاعاً إذا كانت كافرة ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنهَا عَدْلٌ﴾، أي: فداء، وسمي به لأنه مثل المفدي والعدل المثل، ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾: يُمنعون من عذاب الله.

﴿وَأَذِّنْ لِّكُم مِّنْ مَّالِ فِرْعَوْنَ وَسُوءِ مَسْئَلِهِ﴾ [يعني]: أسلافكم وأجدادكم فاعتدها ميتة عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿مِّنْ مَّالِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربع مائة سنة، ﴿يَسْأَلُونَكُم﴾: يُكلفونكم ويديقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة

هكذا كالإبل السائمة في البرية.

وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في الأعمال فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وُضع عليه الجزية.

وقال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون، فذوو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت أعناقهم [وأيديهم] ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها، وطائفة ينقلون الحجارة [والطين يبنون له القصور]، وطائفة منهم يضربون اللبن ويطحنون الآجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج، جزية يؤدونها كل يوم، فمن غريت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريته غُلَّتْ يمينه إلى عنقه شهراً، والنساء يغزلن

﴿وَأَذِّنْ لِّكُم مِّنْ مَّالِ فِرْعَوْنَ وَسُوءِ مَسْئَلِهِ﴾ [يعني]: أسلافكم وأجدادكم فاعتدها ميتة عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿مِّنْ مَّالِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربع مائة سنة، ﴿يَسْأَلُونَكُم﴾: يُكلفونكم ويديقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية.

الكتان ويشجن، وقيل: تفسيره ذكر ما بعده ﴿يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، فهو مذكور على وجه البذل من قوله: ﴿يَسْأَلُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾، ﴿وَلَسْتَ بِمُحْسِنِينَ﴾: يتركونهم أحياء.

وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلي بها، ولم تتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه، فقالوا يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل فقال لهم: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا أتركت، ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في بني إسرائيل اثني عشر ألف صبي في طلب موسى، وقال وهب:

بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل أفندي صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وموسى في السنة التي يذبحون فيها، ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ عَظِيمٌ﴾، قيل: البلاء الميخنة، أي: في سؤمهم إياكم سوء العذاب مخنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة، أي: في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، وقال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا لِلنَّارِ وَالْفِئْرِ قِسْمًا﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾، قيل: معناه فرقنا لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسُمِّيَ البحر ببحراً لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه.

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط، حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنتهم حتى أصبحوا،

طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يُعَدُّون ابْنَ العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً.

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف، فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يُخرجوه معهم فلذلك انسَدَ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أَتُشَدُّ اللَّهَ كُلُّ مَنْ يَعْلَمُ أَيْنَ مَوْضِعَ قَبْرِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ، ومن لم يعلم به فَضُضْتُ أذْنَاهُ عَنْ قَوْلِي، وكان يمر بين الرجلين ينادي [فلان] يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي، فأمره الله تعالى بإيتائها سُؤْلَهَا، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوف الماء في النيل، فادع الله تعالى حتى [يحسر عنه] الماء،

فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مَرَمَرٍ وحمله حتى دفنه بالشام، فَفُتِّحَ لَهُمُ الطَّرِيقُ فَسَارُوا وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَاقَتِهِمْ وَهَرُونَ عَلَى مَقْدَمَتِهِمْ، ونذر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمئة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دُهم الخيل سوى سائر الشيات.

وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات، وكان فرعون يكون في سبعة الدهم، وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة

فنظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلنا غرقنا؟ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْأَمْعَانُ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء: ٦١] - ٦٢ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿أَوَّحِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣]،

فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كُتِبَ، فضربه وقال: انفلت يا أبا خالد بإذن الله تعالى، ﴿فَانْفَلَقَ كَأَنَّ كُلَّ فَرْقٍ كَالْقَوْرِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار [البحر] يسباً فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء: أن تشبكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض، حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا فَرْقًا بَيْنَ الْيَمِّ فَأَنبِئُكُمْ﴾: من آل فرعون والغرق.

﴿وَأَنفَلَقَ يَالِ زَيْحُونَ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا، ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه، وقيل: قالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرس أنشئ فجاء جبريل على فرس أنشئ وديق، فتقدمهم وخاض البحر، فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه، ولم يرى فرس جبريل، واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم [يشحذهم و]

يسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر [وخرج ميكائيل من البحر] وهم أولهم بالخروج، فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم [عليهم] وأغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو [بحر القلزم] طرف من بحر فارس، قال قتادة: [هو] بحر من وراء مصر يقال له: إساف، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا نَظْرًا﴾ إلى مصارعهم، وقيل: إلى هلاكهم.

﴿وَلَا وَعَدْنَا﴾، هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله وعاقبت اللص وطارت النعل، وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر يلفظ المواعدة، وقرأ أهل البصرة «وَأُذْ وَعَدْنَا» من الوعد، ﴿مُوسَى﴾: اسم عبري عَرَبَ و«مو» بالعبرانية الماء «وشى» الشجر، سُمِّيَ به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العبرانية، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، أي: انقضاءها ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن [التاريخ] بالليل دون النهار لأن شهور العرب وُضعت على سير القمر، [والهلال إنما يهل بالليل]،

وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل النهار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنُّ لَكُمْ أَلِيلٌ سَلَخَ مِنهُ النَّهَارُ﴾ [يسس: ٣٧]، وذلك أن بني إسرائيل لما آمنوا من

عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس، يقال له: فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمي واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن مظفر.

وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة - وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر - فلما رأى جبريل على ذلك الفرس، ورأى مواضع قدم الفرس تحضر في الحال قال: إن لهذا شأن، فأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام، قال عكرمة: ألقي في روعه أنه إذا ألقي في شيء غيره - وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة عرس لهم، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السفطري لبني إسرائيل: إن الحلي التي استعتموها من قوم فرعون غثينة لا تحل لكم فاحرقوها حفرة

فادفنها فيها حتى يرجع موسى،
فيرى فيها رايه.

وقال السدي: إن هارون عليه
السلام أمرهم أن يلقوها في حفيرة،
حتى يرجع موسى ففعلوا، فلما
اجتمعت الجلي صاغها السامري
عجلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها
القبضة التي أخذها من تراب فرس
جبريل عليه السلام، فخرج عجلاً
من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن
ما يكون، وخار خورة، وقال
السدي: كان يخور ويمشي فقال
السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى
فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه ههنا
وخرج يطلبه.

وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا
الوعد فعدّوا اليوم مع الليلة يومين،
فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع
موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان
موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت
العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة،
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى
ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل
وسمعو قول السامري: عكف ثمانية
آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه،
وقيل: كلهم عبده إلا هارون مع اثني
عشر ألف رجل وهذا أصح.

وقال الحسن: كلهم عبده إلا
هارون وحده، فذلك قوله تعالى:
﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، أي: إلهاً من
بَعْدِهِ، أظهر ابن كثير وحفص الدال
من (أخذت، واتخذت)، والآخرين
يُدغمونها، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾:
ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون
العبادة في غير موضعها.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: محونا

ذنوبكم، ﴿وَبِئْسَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: من بعد
عبادتكم العجل، ﴿لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا عفو
عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر
هو الطاعة بجميع الجوارح في السر
والعلانية، قال الحسن: شكر النعمة
ذكرها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْعِمَ
رَبُّكَ فَحَثِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

قال الفضيل: [شكر كل نعمة أن
لا يُعصى الله بعد تلك النعمة]،
وقيل: حقيقة الشكر العجز عن
الشكر. حكى أن موسى عليه السلام
قال: إلهي أنعمت عليّ النعم السوابغ
وأمرتني بالشكر، وإثما شكري إياك
نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى
تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من
علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن
ما به من نعمة فهو مني، وقال داود:
سبحان من جعل اعتراف العبد
بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل
اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة،
﴿وَالْفُرْقَانَ﴾، قال مجاهد: هو التوراة
أيضاً ذكرها باسمين، وقال الكسائي:
الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة،
يعني: الكتاب المفروق بين الحلال
والحرام، وقال يمان بن زباب: أراد
بالفرقان انفراق البحر؛ كما قال
[تعالى]: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ
فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾،
بالتوراة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾:
الذين عبدوا العجل، ﴿يَقُولُوا لَكُمْ
ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: ضررتم
بأنفسكم، ﴿وَاتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: إلهاً.

قالوا: فأى شيء نصنع؟ قال:
﴿فَقُولُوا﴾: فارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾:
خالقكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال:
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، يعني: ليقتل
البريء منكم المجرم، ﴿ذَلِكَ﴾،
أي: القتل، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾،
فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا:
نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية
مُخْتَبِينَ، وقيل لهم: من مدّ حبوته
أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو
رجل فهو ملعون مردودة توبته،
وأصلت القوم عليهم الخناجر فكان
الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه
وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي
لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى
كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم
ضباباً وسحابة سوداء لا يبصر
بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى
المساء، فلما كثر القتل دعا موسى
وهرون عليهما السلام وبكيا وتضرعا
وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل،
البقية البقية، فكشف الله تعالى
السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل،
فكشفت عن الوف من القتلى، روي
عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: كان
عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك
على موسى فأوحى الله تعالى إليه:
أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول
في الجنة؟ فكان من قُتل منهم
شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه ذنوبه،
فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾،
أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم
فتجاوز عنكم، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾:
القابل التوبة [منكم] ﴿الزَّحِيمُ﴾
بخلقه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ

يَتُوسَمُونَ كَنُ تُوْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَزَىٰ اللَّهُ
جَهَنَّمَ، وذلك أن الله تعالى أمر
موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس
من بني إسرائيل يعتذرون إليه من
عبادة العجل، فاختار [موسى]
سبعين رجلاً من قومه من خيارهم
فقال لهم: صُومُوا وَطَهِّرُوا وَطَهِّرُوا
ثِيَابَكُمْ فَفَعَلُوا، فخرج بهم موسى
إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا
لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام
ربنا، فقال لهم: أفعل. فلما ذنا
موسى إلى من الجبل وقع عليه عمود
الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في
الغمام، وقال للقوم: اذْهَبُوا فَدَنُوا
حتى دخلوا في الغمام وخرُّوا
سجداً، وكان موسى إذا كلمه ربه
وقع على وجهه نور ساطع لا
يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر
إليه، فضرب دونهم الحجاب
وسمعه وهو يكلم موسى يأمره
وينهاه، وأسمعهم الله إني أنا الله لا
إله إلا أنا ذو بَكَّةٍ أخرجتكم من
أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا
تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى
وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا
له: لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة معانية، وذلك أن العرب
تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال:
جهرة ليُعلم أن المراد منه العيان،
﴿فَأَخَذَتْكُمْ الْعَقَوبَةُ﴾، أي: الموت.

وقيل: ناز جاءت من السماء
فأحرقتهم، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، أي:
ينظر بعضكم [إلى] بعض حين
أخذكم الموت، وقيل: تعلمون،
والنظر يكون بمعنى العلم، فلما
هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع

ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا
أتيتهم وقد أهلكك خيارهم؟ ﴿لَوْ
شِئْتُمْ أَهْلَكَم بِمَنْ قَبْلَ وَإِنَّ أَهْلَكُمْ
بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ إِنَّا﴾ [الأعراف:
١٥٥]، فلم يزل يناشد ربه حتى
أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل،
بعد ما ماتوا يوماً وليلة وينظر
بعضهم إلى بعض كيف يحيون،
فذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم،
والبعث: إثارة الشيء عن محله،
يقال: بعثت البعير وبعثت النائم
فانبعث، ﴿بَيْنَ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، قال
قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم
وأرزاقهم، ولو ماتوا بأجلهم لم
يُبعثوا إلى يوم القيامة.

﴿لَتَلَكُنَّ﴾: لتلكنَّ، ﴿تَتَذَكَّرُونَ وَكَلَّلْنَا
عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ﴾، في التيه تقيكم حرَّ
الشمس والغمام من الغم، وأصله:
التغطية والستر، سُمِّيَ السحاب
غماماً لأنه يُغطي وجه الشمس،
وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن
يستترهم فشكوا إلى موسى
فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً
أطيب من غمام المطر، وجعل لهم
عموداً من نور يُضيء لهم الليل إذ لم
يكن لهم قمر، ﴿وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ
وَأَلْزَمْنَا كُنُفَكُمْ﴾، أي: في التيه،
والأكشرون: عن أن المَنَّ هو
الترنجبين.

وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ
كان يقع على الأشجار طعمه
كالشهد، وقال وهب: هو الخبز
الرقاق، قال الزجاج: * المَنَّ ما
يمن الله به من غير تعب.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا
محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل، أنا أبو نعيم أنا سفيان،
عن عبد الملك هو ابن عمير، عن
عمرو بن حُرَيْث عن سعيد بن زيد
رضي الله عنه قال:

قال النبي ﷺ: «الكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ
وماؤها شفاء للعَيْنِ».

قالوا: فكان هذا المَنَّ يفتح كل
ليلة على أشجارهم مثل الثلج لكل
إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى
قتلنا هذا المَنَّ بحلاوته، فادع لنا
ربك أن يطعمتنا اللحم، فأنزل الله
تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه
السماني، وقيل: هو السماني بعينه،
بعثه الله سحابة فمطرت السماني في
عرض ميل وطول رمح في السماء
بعضه على بعض والسلوى: العسل
فكان الله ينزل عليهم المَنَّ والسلوى
كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع
الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما
يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم
الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه
ليومين، لأنه لم يكن ينزل يوم
السبت. ﴿كُلُوا﴾، أي: وقلنا لهم
كلوا: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾: [من]
حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ولا
تدخروا لغد، ففعلوا فقطع الله ذلك
عنهم، ودود وفسد ما ادخروا،
فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: ومما
يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع
مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا
مؤنة في الدنيا ولا حساب في
العقب.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».

٥٨ قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا قَنَا أَنْتَلُوا مَذُو الْقَرْيَةِ﴾، سُمِّيَت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقرة للبحوض لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة، ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: يلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر.

وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام، ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: موسعاً عليكم، ﴿وَأَنْتَلُوا أَبْوَابَ الْقَرْيَةِ﴾، يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب ﴿سُجَّدًا﴾، أي: رُكْعاً خضعاً منحنين.

وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى، ﴿وَوَلُّوا حِجَّتَهُ﴾، قال قتادة: حطّ عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحطّ الذنوب، ورفعها على تقدير: قولوا مسألتنا حطة، ﴿فَنَزَّلْنَا

حَطَّتَكُمْ﴾: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة ونافع بالياء وضمتها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالثاء وضمتها [وفتح الفاء]، وفي الأعراف قرأ جميعاً ويعقوب بالثاء وضمتها، وقرأ الآخرون فيهما: بنصب النون وكسر الفاء، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثواباً من فضلنا.

٥٩ ﴿سَجَّدَ﴾: فغَيْرَ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم، وقالوا: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، وذلك أنهم بدّلوا قول الحطة بالحطة فقالوا بلسانهم: حطانا سقماتاً، أي: حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى.

وقال مجاهد: طوّطه لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم فأبوا أن يدخلوها سجداً فدخلوا يزحفون على أستانهم مخالفة في الفعل، كما بدّلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر، أنا عبدالرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدّلوا فدخلوا يزحفون على أستانهم وقالوا حبة في شعرة»، ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ أَلْمَامَةِ﴾، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ﴿هَيْمًا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى..

٦٠ ﴿وَإِذْ أَسْتَشَقَّى مُوسَى﴾: طلب السقيا ﴿بِقَوْمِهِ﴾، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى [الله] إليه كما قال: ﴿فَقُلْنَا أَتَرِبَ إِلَيْنَا﴾، وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعيتان تتقدان في الظلمة نوراً، واسمها عليق، حملها آدم عليه السلام من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاه موسى عليه السلام، قال مقاتل: اسم العصا بنعته، قوله تعالى: ﴿أَلْعَجَرُ﴾، اختلفوا فيه، قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بدليل أنه عرّفه بالآلف واللام، وقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربّعاً على قدر رأس الرجل، وكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين، وقيل: كان الحجر رخاماً، وقيل: كان من الكدّان، فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف.

وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل

الهمزة فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة، وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون (النبيين) على الأصل، ﴿يَقْبِرَ الْمَيِّتَ﴾، أي: بلا جرم، فإن قيل: فلم قال بغير الحق، وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل: ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق، وهو مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَمْكُرْ بِالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه [تعالى] ينقسم إلى الجور والحق، ويروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار، وقامت (سوق بقتلهم) في آخر النهار، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود سُموا به لقولهم ﴿إِنَّا هُنَا إِنَّا تِلْكَ﴾، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، سُموا به لقول الحواريين: ﴿نَحْنُ أَصْحَابُ اللَّهِ﴾، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها: ناصرة، وقيل لاعتنائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، قرأ أهل المدينة والصابيين والصابون بترك الهمزة،

والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبأ ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سُموا به لخروجهم من دين إلى دين.

قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكلتهم، قال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم [بين] اليهود والنصارى يخلقون أوساط رؤوسهم ويجيئون مذاكيرهم، وقال قتادة: هم قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة ويقرون بالله تعالى أخذوا من كل دين شيئاً، قال عبدالعزيز بن يحيى: انقرضوا. ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على التحقيق.

ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين، مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء السني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ويحيى الراهب ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وبايعه، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من

الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان الاسمان لزمهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالإسلام لأمة محمد ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ استقامة أمرهم ﴿مَنْ آمَنَ﴾، أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمرأ، أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال: بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك.

وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالاستتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، إنما ذكر بلفظ الجمع لأن ﴿مَنْ﴾ يصلح للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم يا معشر اليهود، ﴿وَوَقَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾، وهو الجبل

صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا: والله لا نُسَاكُتُكُمْ في قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار عبروا بذلك سنتين فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوّروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاونون.

قال قتادة: صار الشبان قردة والشيخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: أمر تحويل وتكوين، ﴿خَرِيعِينَ﴾: مُبْعِدِينَ مطرودين، قيل: فيه تقديم وتأخير، أي كونوا خاسئين قردة، ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ: الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعد، يقال: خسأته خسأً فخسأ خسوأً، مثل رجعت رجعاً فرجع رجوعاً.

﴿جَعَلْنَاهَا﴾، أي: جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿نَكَالاً﴾، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه، ومنه النكول عن اليمين: وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه يكون أنكالاً.

﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال قتادة: أراد بما بين يديها، يعني: ما سبقت من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة

جزاء لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيمهم عن أخذ الصيد، ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾: ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يَسْتَتُوا بسنتهم، ﴿وَمَا﴾ الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾ وما يحدث من القرى بعد ليتعظوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: فجعلناها وما خلفها، أي: ما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالاً وجزاء لما بين يديها، أي: لما تقدم من ذنوبهم باعتبارهم في السبت، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا قَالَ مُوَيْقٍ لِّقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾﴾: البقرة هي الأنثى من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سُمِّيت به لأنها تبقر الأرض، أي: تشقّها للحراثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائها، ثم أصبح يطلب ناره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى.

قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم

موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، ﴿قَالُوا أَتَتَذْبَحُ بَقَرَةً﴾ تستهزئ بنا نحن نسالك عن أمر القتل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه.

قرأ حمزة «هزوا وكفوا» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتثقل، وبترك الهمزة حفص. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، أي: ممن المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكانت تحته حكمة.

وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجيلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل فصارت العجيلة في الغيضة عواناً، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أبناك وزلّك عجلة استودعها الله في غيضة كذا انطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل

قَالُوا آتِنَا رَبَّكَ بَيِّنَاتٍ لَّنَا مَا فِي الْبَقَرَةِ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا
 إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْذُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّدُولِ
 تُبَيْرِ الْأَرْضِ وَلَا تَفْقِي الْمَرْثَ مُسَلَّمَةً لِشَيْءٍ فِيهَا قَالُوا
 أَتَنَزَّلُ عَلَى الْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ
 قُلْنَا نَفْسًا فَادَرٍ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٠﴾
 فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَكِّي
 عَائِيَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَنْفَقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ
 مِنْهَا لَمَاءٌ يَطْرَبُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٧٢﴾ أَفَتَعْمَلُونَ لَكُمْ آبُوتَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِينٌ وَهُمْ
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْحَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا
 وَإِذَا خَلَا بِضَعْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ يَمَافَتَحَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُجَاوِرَكُمْ بِهِ عَذْرَبَكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

رضى مني، فانطلق بها إلى
 السوق، وأتى الملك
 فقال: استأمرت أمك؟
 فقال الفتى: إنها أمرتني أن
 لا أنقصها عن ستة دنانير
 على أن أستأمرها، فقال
 الملك: فإني أعطيك اثني
 عشر على أن لا تستأمرها،
 فأبى الفتى ورجع إلى أمه
 فأخبرها بذلك، فقالت:
 إن الذي يأتيك ملك في
 صورة آدمي، ليخبرك فإذا
 أتاك فقل له: أتأمرنا أن
 نبيع هذه البقرة أم لا؟
 ففعل فقال له الملك:
 اذهب إلى أمك وقل لها:

وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها
 أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن
 شعاع الشمس يخرج من جلدها،
 وكانت تسمى المذهبة لحسنها
 وصفرتها، فأبى الفتى الغيضة فأرأها
 ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك
 بلإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
 ويعقوب أن تأتي إلي فأقبلت تسعى
 حتى قامت بين يديه، فقبض على
 عنقها يقودها، فتكلمت البقرة
 بإذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى
 البار بوالدتك أركبني، فإن ذلك أهون
 عليك، فقال الفتى: إن أمي لم
 تأمرني بذلك، ولكن قالت جذ
 بعنقها، فقالت البقرة: بلإله بني
 إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي
 أبداً أتطلق، فإنك لو أمرت الجبل أن
 ينقل من أصله وينطلق معك لفعل،
 لبرك بأملك ففسار الفتى بها إلى أمه،
 فقالت له: إنك فقير لا مال لك فيشق
 عليك الاحتطاب بالنهار والقيام
 بالليل، فانطلق فبع [هذه] البقرة،
 فقال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة
 دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان
 ثمن البقرة ثلاثة دنانير، فانطلق بها
 إلى السوق.

وبعث الله ملكاً ليري خلقه قدرته،
 وليختبر الفتى كيف يرّه بوالدته،
 وكان الله به خبيراً فقال له الملك:
 بكم تباع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة
 دنانير واشترط عليك رضى والدتي،
 فقال الملك: لك ستة دنانير ولا
 تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو
 أعطيتني وزنها ذهباً لم أخذه إلا برضا
 أمي، فردّها إلى أمه وأخبرها بالثمن،
 فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على

أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن
 عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل
 يقتل في بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلا
 بملء مسبكها دنانير فأمسكوها
 وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح
 تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون
 موسى حتى وصف لهم تلك البقرة
 بعينها، مكافأة له على يرّه بوالدته
 فضلاً منه ورحمة، فذلك قوله تعالى:

﴿قَالُوا آتِنَا رَبَّكَ بَيِّنَاتٍ لَّنَا مَا
 فِيهَا﴾ أي: ما صفتها ﴿قَالَ﴾ موسى
 ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾، يعني: فسأل الله تعالى
 فقال إنه يعني أن الله تعالى يقول:
 ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِسَ وَلَا بُكْرَ﴾، أي:
 لا كبيرة ولا صغيرة، والفارص:
 المسنة التي لا تلد، يقال منه فرضت
 تفرض ففروضاً، والبكر: الفتاة
 الصغيرة التي لم تلد قط، وحذفت
 الهاء منهما للاختصاص بالإنثاء
 كالحائض، ﴿عَوَانٌ﴾: وسط تصف

﴿بَيِّنَاتٍ﴾، أي: بين السُّنَنِ،
 يقال: عَوَّنت المرأة تعوناً إذا زادت
 على الثلاثين، قال الأخفش: العوان
 التي لم تلد قط وقيل: العوان التي
 نشجت مراراً، وجمعها عون،
 ﴿فَأَفْكَلُوا مَا تَوْمَرُونَ﴾: من ذبح
 البقرة ولا تكثرُوا السؤال.

﴿قَالُوا آتِنَا رَبَّكَ بَيِّنَاتٍ
 لَّنَا مَا لَوْهَا﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
 بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا، قال ابن
 عباس: شديدة الصفرة، وقال قتادة:
 صاف، وقال الحسن: الصفراء
 السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال
 أسود فاقع، إنما يقال أصفر فاقع،
 وأسود حالك وأحمر فاني وأخضر
 ناضر وأبيض بقق للمبالغة، ﴿تَنْظُرُونَ﴾:
 إليها يعجبهم حسننها
 وصفاء لونها.

﴿قَالُوا آتِنَا رَبَّكَ بَيِّنَاتٍ لَّنَا مَا
 فِيهَا﴾: أسائمة أم عاملة؟ ﴿وَأَنَّ الْبَقَرِ

تَشَبَّهَ عَلَيْنَا، ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر؛ كقوله تعالى: ﴿أَعْمَادُ ثَغْلٍ تُنْقِرُ﴾ [القمر: ٢٠]، وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه، ﴿وَلَيْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهَذَّوْنَ﴾: إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ لَمْ يَسْتَنْوُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ».

﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ: مذكلة بالعمل، يقال: رجل ذلول بين الذل ودابة ذلول بينة الذل، ﴿تُبْرِئُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ﴿وَلَا تَسْقِي لَحْرَةً﴾، أي: ليست بساقية، ﴿مُسَلَّمَةً﴾: بريئة من العيوب، ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾: لا لون فيها سوى لون جميع جلدها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿فَتَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، ﴿فَدَبَّحُوا بِهَا غُلَّاهُ﴾: قال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل: وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

﴿٧٢﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَأَى فَلَنَّهُ نَسَاً﴾: هذا أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة، واسم القاتل عاميل، ﴿فَأَذَرَتْهُمُ فِيهَا﴾، أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف مثل قوله: ﴿أَنَّا قَاتَلْتُمُ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال ابن

عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي: يحيل بعضكم على بعض، من الدرة: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه، ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ﴾، أي: مظهر: ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فإن القاتل كان يكتم القتل.

﴿٧٣﴾ فَقُلْنَا أَمْزُورٌ، يعني: القاتل، ﴿بَعْضُهُمَا﴾، أي: ببعض البقرة، واختلفوا في ذلك البعض، فقال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة: بغضب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما ييلي، ويركب عليه الخلق، وقال الضحاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل: هذا أدل بها لأنه آلة الكلام، وقال الكلبي وعكرمة: بفخذها الأيمن، وقيل: بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القاتل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجه - أي: عروق العنق - تشخب دماً، وقال: قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: «وما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»، وفيه إضمار تقديره فضرِبَ فُحْيِي، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْآيَاتِ وَالْمَوَاقِفِ﴾: كما أحيا عاميل، ﴿وَوَرِيكُمُ الْيَتِيمَ فَلَاكُمُ مَقُولُونَ﴾، قيل: تمنعون أنفسكم من المعاصي، أما حكم هذه المسألة في الإسلام إذا وجد قاتل في موضع ولا يعرف قاتله، فإن كان ثم لوث على إنسان، واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا

عن قاتل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وجد قاتل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه، فادعى الولي على بعضهم، يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تَزُورُ الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعي عليه إن ادعوا قتل خطأ، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين، وذهب بعضهم إلى وجوب القود وهو قول عمر بن عبدالعزيز، وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعي عليه لوث، فالقول قول المدعي عليه مع يمينه، ثم هل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان: أحدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى، والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا حكم للوث، ولا يبدأ بيمين المدعي، وقال: «إذا وجد قاتل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها، والدليل على أن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما أخبرنا به عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن يحيى بن سعيد عن سُفْيَرِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ:

رسول الله ﷺ: «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم، وقال: «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستفدّها، فقال الذئب: فمن له يوم السبع، أي: يوم القيامة يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! فقال: أومن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم».

وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حراء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرّكت الصخرة، فقال النبي ﷺ: «اهدأ. أي: اسكن. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، صحيح أخرجه مسلم.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع، أنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن هشام الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس البجلي الرازي، أنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

«كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فمررنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع، أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع

جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول:

«كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك المسارية، وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت».

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِقُرْبِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِتَقِيلٍ﴾: بساءه ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالتاء.

﴿وَمَا اللَّهُ بِتَقِيلٍ﴾: قوله عز وجل: ﴿أَتَقَطُّونَ﴾: أفترجون؟ يريد محمداً وأصحابه، ﴿أَن يُّؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: يصدقكم اليهود بما تخبرونهم به؟ ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، يعني: التوراة، ﴿ثُمَّ يَخْرُفُونَ﴾: يغيثون ما فيها من الأحكام، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾: علموه [كما] غيروا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾: أنهم كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا بعدما سمعوا كلام الله إلى

قومهم رجع الناس إلى قولهم، وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني: متافقي اليهود الذين آمنوا بألستهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾: كإيمانكم، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وهوب بن يهودا، أو غيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهم على ذلك، ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما قص الله عليكم في كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق، والفتاح: القاضي.

وقال الكسائي: بما بيّنه الله لكم من العلم بصفة النبي ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم، ونظيره ﴿لَفَتْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتِي مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، أي: أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما من الله عليكم وأعطاكم، ﴿لِيُخَاصِمُوكُمْ﴾، يعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟ وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ آمنوا به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: اتحدّثونهم بما أنزل الله عليكم، يعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة،

وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما
عذبهم الله به على الجنايات، فقال
بعضهم لبعض: أنحدثونهم بما
أنزل الله عليكم من العذاب
ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا
الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله،
وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة
قال بعضهم لبعض حين قال لهم
النبي ﷺ يا إخوان القردة
والخنازير، فقالوا: من أخبر محمداً
بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم، ﴿أَفَلَا
تَتَّقُونَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَتَّقُونَ﴾
 أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا يُؤْرَثُونَ﴾: يخفون،
 ﴿وَمَا يَلْمُوكَ﴾: يبدون، يعني
 اليهود.

٧٨) وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أَتُوبُونَ﴾، أي: من اليهود أُمِّيُونَ لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع: أُمِّي، منسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة.

لأوروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ﴾، قرأ أبو جعفر: «أمانتي»، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفاً، وقراءة العامة بالتشديد، وهو جمع: أمية وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّا نُمَتِّعُ أَقَلَّ السَّاطِنِينَ﴾ في أثني عشر [الحج: ٥٢]، أي: في قراءته، قال أبو عبيدة: إلا تلاوته وقراءته عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة، لا

يعرفون معناه، قال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلا كذباً وباطلاً، قال الفراء: الأمانى: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت، أي: ما كذبت وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره، وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمثي وهي

أَمَانِيهِمُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي تَمْتُونَهَا عَلَى اللَّهِ
عِزَّ وَجَلَّ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: ﴿كُنْ يَدْعُلُ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانٍ﴾
[البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿كُنْ
نَسَمًا الْكَارِ إِلَّا أَكِنَامًا مَقْدُودَةً﴾
[البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿عَنَّا أَبْكُوا
اللَّهُ وَأَحْبَبُوا﴾ [المائدة: ١٨]، فعلى
هذا تكون إلا بمعنى «لكن»، أي: لا
يعلمون الكتاب لكن يشتمون أشياعه، لا
تحصل لهم، ﴿وَأَن هُمْ﴾، وما هم
﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، يعني: وما [هم إلا]
يظنون ظناً وتوهماً لا يقيناً، قاله قتادة
والربيع، قال مجاهد: يكذبون.

٧١ قوله عز وجل: ﴿قَوْلًا﴾، قال الزجاج: «ويل» كلمة تقولها العرب لكل واقع فيهلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والشبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُكْتُمُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أَتُومُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا مَا بَيَّنَّ وَلَهُمْ
الْأَبْطُونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلِ الَّذِينَ يُكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُفَوِّقُوا بِهِ وَمَا هُمْ إِلَّا
قَوْلُ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَتَى بِهِمْ وَقِيلَ لَهُمْ مَتَا يَكْتُمُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَكْتُمُ النَّكَارَ إِلَّا مَا كُنَّا مَعَهُ ذُو قُلُوبٍ
أَتُخَذَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ فَلْنُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَتُمْ يَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ كَذِبٌ مِنْ كُتُبٍ سَفِيفَةٍ
وَأُحْطِطَ بِهِمْ خِلَافَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّا لَنَاقِلِينَ
إِحْسَانًا ذُو الشُّرْقَى وَالْيَمَنِ وَالْمَغْرِبِينَ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حَسَنًا وَاقْبَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْنَا لَأَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾

جبال الدنيا لا تَمَاعَثُ وَلَذَابَتْ مِنْ
شِدَّةِ حَرِّهِ.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر
محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو
الحسن محمد بن يعقوب الكسائي،
أنا عبدالله بن محمود، أنا أبو
إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال،
أنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن
سعد عن عمرو بن الخلوث أنه
حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم
عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه:

عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»، ﴿لَئِنْ يَكْفُرُوا لَكَ كُفْرًا بَاطِلًا، ثُمَّ يَقُولُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَنُشْرِيَنَّ بِهِ بِمَا تُحِبُّونَ مِنْ بَدَلٍ فَتَعْلَمَنْ أَنَّهُ كَذِبٌ عَظِيمٌ﴾، وذلك أن

أخبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة [القامة]، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه [وينكرونها]، قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: [ما] كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعت محمد ﷺ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من المآكل، ويقال: من المعاصي.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: اليهود ﴿لَنْ نَحْسَبَ النَّكَارُ﴾: لن تصيبنا النار، ﴿إِلَّا أَنْبَاءاً مَقْدُونَةً﴾: قدراً مقدراً ثم يزول عنا العذاب [ويعقبه النعيم]، واختلفوا في هذه الآية، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آبائهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكذبياً لهم، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿أَتَعَذَّبْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ألف استفهام دخلة على ألف الوصل ﴿عَهْدًا﴾ مؤثقة أن لا يعذبكم إلا هذه المرة، ﴿فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ

عَهْدُهُ﴾، وعده، قال ابن مسعود: عهداً بالتوحيد، يدل على قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، يعني: قوله لا إله إلا الله، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟﴾ ثم قال:

﴿بَلَى﴾، وبلى وبلى: حرفاً استدراك، ومعناها نفى الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل. ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، يعني: الشرك ﴿وَأَخْلَفْتُ بِهِ عَهْدَهُمْ﴾، وقرأ أهل المدينة «خطيئته» بالجمع، والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجعاعة: هو الشرك يموت عليه، وقيل: السينة الكبيرة والإحاطة به أن يصير عليها فيموت غير تائب، قاله عكرمة والربيع بن خيثم.

وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما أذنب ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب، وهي الرين، قال الكلبي: أوبقته ذنوبه، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: تهلكوا، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَأُولَئِكَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، قرأ ابن كثير وحمة والكسائي ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، بالياء، وقرأ والآخرين بالتاء؛ لقوله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْبًا﴾، معناه أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) صار الفعل مرفوعاً وقرأ أبي بن كعب: «لا تعبدوا إلا الله»، على النهي، ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ووصيئناهم بالوالدين، ﴿إِحْسَانًا﴾ بزأ بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالفه أمر الله تعالى، ﴿وَيُذِي الْقُرْبَى﴾، أي: وبذي القرابة، والقربى مصدر كالحسيني، ﴿وَالْيَتَامَى﴾، جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له، ﴿وَالسَّكِينِ﴾، يعني: الفقراء، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْبًا﴾: صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «حَسَنًا» بفتح الحاء والسين، أي: قولاً حسناً، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾، وذلك أن قوماً منهم آمنوا، ﴿وَأَنشَأْتُمْ شُرَكَاءَ﴾، كإعراض آبائكم.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾، أي: لا تريقون، ﴿وَدِمَاءَكُمْ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكانكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾، [أي]: لا

يُخرج بعضهم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيثوا جوار من جاوركم فتلجؤوهم إلى الخروج بسوء جواركم، ﴿ثُمَّ أَفْرَضْتُمْ﴾: بهذا العهد أنه حق وقبلتم، ﴿وَأَسْتَرْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتقرون بالقبول.

﴿٨٥﴾ قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبية، ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: يقتل بعضهم بعضاً، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِينِهِمْ تَبْهَتُونَ عَلَيْهِمْ﴾، بتشديد الظاء، أي: تتظاهرون، أدغمت التاء في الظاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَارُؤُاْ﴾ [المائدة: ٢]، ومعناها جميعاً تعاونون، والظهير السعوي، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْفُتُونِ﴾: بالمعصية والظلم، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى﴾، [و] قرأ حمزة «أسرى»، وهما جمع: أسير، ومعناها واحد، ﴿تَقْدُوهُمْ﴾: بالمال وتنقدوهم، [و] قرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب «تَقْدُوهُمْ»، أي: تبادلوهم، أراد مفادة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءة تين واحد، ومعنى الآية، قال السدي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَةِ أَنْ لَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يُخْرِجَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَإِنَّمَا عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ وَجَدْتُمُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاشْتَرَوْهُ بِمَا قَامَ مِنْ ثَمَنِهِ وَأَعْتَقُوهُ، فَكَانَتْ قَرِيبَةً حَلَفَاءِ الْأَوْسِ وَالنُّضَيْرِ حَلَفَاءِ الْخَزَرِجِ،

وكانوا يقتتلون في حرب سنين، فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤهم وبنو النضير وحلفاؤهم وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، فيقولون: فلم تقاتلوهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيبرهم الله تعالى بذلك، فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، وفي

الآية تقديم وتأخير، ونظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وهو محرم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء.

قال الله تعالى: ﴿أَفْتُونُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته. وأنت تقتله بيدك، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾: يا معشر اليهود، ﴿إِلَّا نَزِيًّا﴾: عذاب وهوان، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فكان خزي قريظة القتل والسبي، وخزي النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أدراع وأريحاء من الشام، ﴿وَيَوْمَ

وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَفْرَضْتُمْ وَأَسْرَضْتُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْهَتُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْفُتُونِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُمْ مَحْرُومٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْشُونُومٌ يَّبْعِثُ الْكِتَابَ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا نَزِيًّا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَقْبَسْتُمْ يَدُوكُمْ لِحَالِكُمْ أَشَدَّ الْمَدَابِ وَمَا اللَّهُ يَخْلُفُ عَمَّا هَمَلْتُمْ ﴿٨٥﴾ أَوَّلِيكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَقُ عَنْهُمْ الْمَدَابِ وَلَا هُمْ يُصَرُّونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

أَقْبَسْتُمْ يَدُوكُمْ لِحَالِكُمْ أَشَدَّ الْمَدَابِ، وهو عذاب النار، ﴿وَمَا اللَّهُ يَخْلُفُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء.

﴿٨٦﴾ قوله عز وجل: ﴿أَوَّلِيكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا﴾: استبدلوا «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَقُ عَنْهُمْ الْمَدَابِ وَلَا هُمْ يُصَرُّونَ»، لا يُمنعون من عذاب الله عز وجل.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: أعطينا «مُوسَى الْكِتَابَ»: التوراة جملة واحدة، «وَقَفَّيْنَا»: وأتبسنا «مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِالرُّسُلِ»: رسولاً بعد رسول، «وَمَا آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ»: البشارات الواضحات، وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة، وقيل: أراد الإنجيل، «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»، قرأ ابن كثير «القدس» بسكون الدال، والآخرون

الذي عليه غشاء، معناه: عليها غشاة فلا تعي ولا تفقه ما تقول، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥]، وقرأ ابن عباس: «غُلف» بضم اللام، وهي قراءة الأعرج، وهي جمع غلاف، أي: قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك، قاله ابن عباس وعطاء، وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثاً إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه، ولو كان فيه خير لوعته وفهمته، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَمُمْهُمْ اللَّهُ﴾: طردهم الله وأبعدهم عن كل خير، ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾: يقللهم ما يؤمنون، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليل، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي: قليلاً يؤمنون، ونصب (قليلاً) على الحال، وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: يقليل يؤمنون [ونصب (قليلاً) بنزع الخافض، و(ما) صلة على قولهما، وقال الواقدي: معناه لا يؤمنون] قليلاً ولا كثيراً، كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا، أي: لا تفعله أصلاً.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾: موافق ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: التوراة، ﴿وَكَاوُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿بَلْ﴾، [أي]: من قبل مبعث محمد ﷺ، ﴿يَسْتَنْصِرُونَ﴾: يستنصرون، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبهام أمر أو

زَيْلِكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله إلى السماء، وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحاً للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي الموتى، ويرى الناس [به] العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل

له روحاً كما جعل القرآن روحاً لمحمد ﷺ، لأنه سبب لحياة القلوب، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام، قالوا: يا محمد لا مثل عيسى - كما تزعم - عملت، ولا كما يُقَصُّ علينا من الأنبياء فعلت، فأتينا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تُهَوِّكُ أَنْفُسَكُمْ أَتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم وتعظمتن عن الإيمان، ﴿فَقَرِيفًا﴾: طائفة ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: مثل عيسى ومحمد ﷺ، ﴿وَقَرِيفًا تَقْتُلُونَ﴾، أي: قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا، وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، جمع أغلف وهو

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْخِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ يَسْأَلُونَ أَشْرَافَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فُضْلِهِ عَلَى مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَهُمْ بِغُسَبٍ عَلَى غُسَبٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابُهُمْ بَشِيرٌ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ يَقُونُوا وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنْشِرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكُنُ يَأْمُرُكُمْ بِهِمُ الْيَسْكُنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾

بضمتها، وهما لغتان مثل: الرُّغب والرُّغب، واختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد بالروح [الروح] الذي نفخ فيه، [و] القدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً، نحو: بيت الله، وناقاة الله، كما قال: ﴿فَتَفَخَّخَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ٢٠]، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة، يعني: الروح الطاهرة، سمي روحه قدساً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام، قيل: وصف جبريل [عليه السلام] بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم يقترب ذنباً، قال الحسن: القدس هو الله، وروحه جبريل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ

دهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، يعني: محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتة وصفته، ﴿كَفَرُوا﴾ يبدؤ: بغياً وحسداً، ﴿فَلَمَّا عَلَّ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَسْكُنُوا أَشْرَؤُا بِهِمْ﴾، بشس ونعم فعلان ماضيان وضعاً للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بشس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، وقيل: الاشتراء ههنا بمعنى البيع، والمعنى: بشس ما باعوا به حظ أنفسهم، أي [حين] اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار، ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿بَغْيًا﴾، أي: حسداً، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه، ﴿أَن يُزِيلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾، أي: النبوة والكتاب، ﴿عَلَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة «ينزل» بالتخفيف، إلا في «سبحان» في موضعين: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ﴾ [الإسراء: ٨٢] و﴿وَحَقُّ نَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُكُمْ﴾ [الإسراء: ٩٣] فإن ابن كثير يشدهما، وشدد

البصريون في الأنعام ﴿عَلَّ أَن يُزِيلَ مَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧]، زاد يعقوب تشديد ﴿يَمَا يُزِيلُ﴾ في النحل، وافق حمزة والكسائي في تخفيف ﴿وَنُزِّلَ الْقَيْتُ﴾ [لقمان: ٣٤] في سورة لقمان وحم وعسق، والآخرون يشددون الكل ولم يختلفوا في تشديد ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ [الحجر: ٢١] في الحجر، ﴿بَغْيًا وَبَغْضٍ﴾: رجعوا بغضب ﴿عَلَّ عَصْبٍ﴾، أي: مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني: بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعبسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾: الجاحدين بنسبة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مخزٍ يهانون فيه.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمَ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿فَالَا تُؤْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾، يعني: التوراة، يكفيها ذلك، ﴿وَنُكَفِّرُكُ بِمَا وَرَّاءُ﴾، أي: بما سواه من الكتب كقوله عز وجل: ﴿مَنْ أَتَّبَعِيَ وَرَّاءَ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧]، أي: سواه، وقال أبو عبيدة: بما وراءه أي بما سواه من الكتب، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، يعني: القرآن، ﴿صَدَقًا﴾، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾: من التوراة، ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، ﴿تَقُولُونَ﴾، أي: قتلتم، ﴿وَالْبَيْكَةَ﴾ الله

مِن قَبْلُ، ﴿وَالَمْ أَصْلِهِ لِمَا، فَحَذَفَتْ الْآلِفَ فِرْقًا بَيْنَ الْمَخْبَرِ وَالِاسْتِفْهَامِ، كَقَوْلِهِمْ فِيمَ وَسِمَ، ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: بالتوراة، وقد نهيت فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالذلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، ﴿فَمَ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن دُونِهَا تَعْلِيلًا﴾ كَاللَّيْلُوتُ.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَوَفَّقْنَا لُوقَكُمْ أَلُطُورَ حُدُودًا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا﴾، أي: استجبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعاً على المجاورة، لأنهما سبب للطاعة والإجابة، ﴿فَالَا تَحْتَسِبُ﴾: قَوْلُكَ، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أَتْرَكَ، وقيل: سمعنا بالأذان، وعصينا بالقلوب، قال أهل الحناني: إنهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان نُسِبَ ظُكُ إِلَى الْقَوْلِ اقْسَاعًا.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: حب العجل، معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخلطها، كإشرب اللبن لشفة الملازمة، يقال: فلان مشرب اللبن إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالعبرد، ثم يفرقه في النهر وأمرهم بالشرب منه، فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربته، قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِسْمِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ يُخَفِّضُكُمْ﴾: أن تعبدوا العجل من

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ يُؤْمِرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هِيَ بِأَمْرٍ خَرِجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ۚ يَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَا كُفِّرُوهَا إِلَّا أَفْكُسُونَهَا ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا أَبَدُوا مِنْهُمُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَوْمُونَهُ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

ماواه حق إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت، أي: ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

رؤي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات».

﴿٩٤﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون، وأراد ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ بما قدموه من الأعمال، وأضافها إلى اليد [دون سائر الأعضاء] لأن أكثر جنائيات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن ليد فيها عمل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ، السلام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجذبهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، قيل: هو متصل بالاول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله: ﴿عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾، ثم ابتدا ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، وأراد بالذين أشركوا المجوس، قاله أبو العالية والربيع، سُموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يريد ويتضح،

دون الله، أي: بنس إيمان بأمركم بعبادة العجل، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله عز وجل.

﴿٩٦﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَسْكَاةً تُقْدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانً﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿مَنْ أَتَّبَعُوا اللَّهُ وَاتَّبَعُوا﴾ [المائدة: ١٨]، فكذبهم الله عز وجل والزهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، يعني: الجنة، ﴿خَالِصَةً﴾، أي: خاصة ﴿مِنَ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾، أي: فأريدوه أو اسألوه، لأن من علم أن الجنة

﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَمُرُّ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، يعني: تعمير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم، يقولون: عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك، ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْغَّبٍ﴾: بمُباعده، ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾، [أي]: من النار ﴿أَنْ يَمُرُّ﴾، أي: طول عمره لا ينقذه زحزحه وتزحزح من العذاب (وزحزح) لازم ومتعد، يقال: زحزحته، فتزحزح، وزحزحته: فتزحزح، ﴿وَاللَّهُ يَبْصِرُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حبرا من أحبار اليهود، يقال له عبدالله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: «جبريل»، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لأمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وإنه عادنا مرارا، كان أشد ذلك علينا أن الله تعالى أنزل على نبيتنا: أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقته، فانطلق حتى لقيه بابل غلاما مسكينا فأخذه ليقته، فدفع عنه جبريل، وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذة عدوا، فانزل الله هذه الآية.

وقال مقاتل: قالت اليهود إن

جبريل عدونا لأنه امر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا.

وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرها على مدارس اليهود، فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم كلاماً فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمزون بنا فيؤذوننا وأنت لا تؤذيها وأنا لنطمع فيك، فقال عمر: والله ما أتاكم لحبكم ولا أسألكم لأنني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ، وأرى آثاره في كتابكم [وأنتم تكتُمونها]، فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل، فقالوا: ذاك عدونا يُطلع محمداً على أسرارنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والمغنم، فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً؟ قالوا: نعم، قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل، قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، قال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لميكائيل فإنه عدو لجبريل، ومن كان عدواً لهما كان الله عدواً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ، فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات، فقال: «لقد وافقك ربك يا عمر»، فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أضل من الحجر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل، ﴿رَزَاكُ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذکور، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: يا محمد ﴿وَيَاذِئِ اللَّهِ﴾: بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما قبله من الكتب، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿٩٨﴾ قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَلِلْعَلِيِّ رُسُلِهِ وَلِجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾: خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: ﴿وَلِلْعَلِيِّ﴾، تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَّهُ وَغُلَّ رِيحَانٌ﴾ ﴿[الرَّحْمَنُ: ٦٨]﴾، خص النخل والرومان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، [للتفضيل]، والواو فيهما بمعنى «أو»، يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء [فإنه عدو لكل]، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿فَأَنَّكَ اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، قال عكرمة: جبر وميك وإسراف هي العبد بالسريانية، قال وإيل هو الله تعالى، ومعناها: عبدالله وعبدالرحمن، وقرأ ابن كثير «جبريل» بفتح الجيم غير مهموز، بوزن فعليل، قال حسان:

وجبريل رسول الله فينا
ودرج القدس ليس له كفاء
وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة والإشباع وزن (سلسيل)، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ أبو عمر ويعقوب وحفص «ميكال» بغير همز، قال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد
وبجبرائيل وكذبوا ميكائلا

[وقال آخر]:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر جبريل وميكال
وقرأ نافع وأهل المدينة: بالهمز والاختلاس، بوزن ميفاعل، وقرأ الآخرون: بالهمز والإشباع بوزن ميكائيل، قال ابن صوريا: ما جئنا يا محمد بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات مفضلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن أمر الله عز وجل.

﴿٩٩﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْكَلْنَا﴾، واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، ﴿عَهْدُوا عَهْدًا﴾، يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنن به، فلما خرج [إليهم] محمد ﷺ كفروا به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم [من الميثاق] وعهد إليهم في محمد ﷺ أن يؤمنوا به، قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا عهد في محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي «أو كلما عاهدوا» فجعلهم مفعولين، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والتضيير، دليله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦]، ﴿بَذَرُوا﴾: طرحه ونقصه ﴿فَرِيقًا﴾:

ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف، تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً، قالوا: نعم، فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسیه فحفروا فأقام ناحية فقالوا له: ادن، قال: لا أحضره، فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، فقال الشيطان لعنه الله: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا، ثم طار الشيطان عنهم، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب واستعملوها، فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: ﴿وَمَا كَفَرَ شَيْئَنَ﴾: بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً بالسحر ويعمل به، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمة (ولكن)، خفيفة النون، (والشياطين)، رفع، وقرأ الآخرون (ولكن)، مشددة النون (والشياطين) نصب، وكذلك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتِلُهُمْ﴾ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَكْبُ﴾ [الأنفال: ١٧]، ومعنى ﴿وَلَكِنَّ﴾: نفى الخبر الماضي وإثبات المستقبل. ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ الْيَتَرُ﴾، قيل: معنى السحر: العلم والحدق بالشيء، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا بِكَآتِبَةِ السَّجَرِ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخيل، والسحر وجوده حقيقة عند

شَيْئَنَ، أي: في ملكه وعهده.

وقصة الآية: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه، ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات استخرجوها وقالوا: للناس إنما ملكهم سليمان بها فتعلموها، فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا: معاذ الله أن يكون

هذا من علم الله، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة [على] سليمان، فلم يزل هذا حالهم [وفعلهم] حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي، وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها، فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسیه، وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُونَ وَمُزَوَّرٍ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا هُنَّ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْتَرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمَا وَرَوَّعَهُمَا وَهُمْ بِصَارِيْنٍ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعْلَمُونَ مَا بَعْثُهُمْ وَلَا يَتَعْلَمُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْفَ كَانَ شَرًّا وَإِيَّاهُ اتَّخَذُوا آلِهَةً لَّيْسَ بِهِمْ عِلْمٌ وَكَانُوا يَصْطَلِحُونَ وَأَتَقُوا لِمَا تُوِيهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرًا لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَقُولُوا رِيعًا وَيَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ مَا تَوْهَّجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشُّرَكَاءِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٣﴾

طوائف منهم، من اليهود، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال الشعبي: كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباغ وحلجوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها، فلذلك نبيهم لها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾، يعني اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدث وتكلم به، ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ

أهل السنة وعليه أكثر الأمن، ولكن العمل به كفر، حكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يُخيل ويُمرض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قتل به، فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره، وقيل: إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار، ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل، قال الله تعالى: ﴿يَحِلُّ لَكَ مِنَ الْبَيْتِ مِنْ سَاحِرٍ أَوْ نَجَسٍ﴾ [طه: ٦٦]، لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، ولل كلام تأثير في الطباع والنفوس، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيخمي ويغضب، وربما يحرم منه، وقد مات قوم بكلام سمعوه، فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾، أي: ويعملون الذي أنزل على الملكين، أي: إلهاماً وعلماً، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم وقيل: اتبعوا ما أنزل على الملكين، وقرأ ابن عباس والحسن: «الملكين» بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: عذجان، لأن الملائكة لا يعلمون السحر، وبابل هي بابل العراق، سُميت بابل لتبليب الألسنة بها عند سقوط صرح نمrod، أي: تفزقها، قال ابن مسعود: ببابل أرض الكوفة، وقيل: جبل دماوند، والقراءة المعروفة: ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾

بافتح، فإن قيل: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان، أحدهما: أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر، ويذكran بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم: بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما، والتأويل الثاني وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمن شقي يتعلم السحر منهما [ويأخذه عنهما ويعمل به] فيكفر به، ومن سعد يتركه، فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً فيه ابتلاء للمعلم والمتعلم، والله أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم.

قوله عز وجل: ﴿هَؤُلَاءِ وَمِثْلَهُمَا اسْمَانُ سَرِيَانٍ وَمَا فِي مَحَلِّ الْخَفْضِ عَلَى تَفْسِيرِ الْمَلَكَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا نَصَبَا لِعَجْمَتِهِمَا وَمَعْرِفَتِهِمَا، وَكَانَتْ قَصَّتُهُمَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُفَسِّرُونَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَأَوْا مَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ الْخَبِيثَةِ فِي زَمَنِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَيَّرُوهُمْ وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَاخْتَرْتَهُمْ، فَهُمْ يَعْصُونَكَ بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ أُنْزِلْتُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ وَرَكِبْتُ فِيكُمْ مَا رَكِبْتُ فِيهِمْ لَرَكِبْتُمْ مِثْلَ مَا رَكِبُوا، فَقَالُوا: سَبِّحَانِكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْصِيكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَاخْتَارُوا مَلَكَ مِنْ خِيَارِكُمْ أَهْبِطْهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَكَانَا مِنْ أَصْلَحِ

الملائكة وأعبدتهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزاي وهو ماروت، غُيِّرَ اسمهما لما قارفا الذنب [وعزائيل]، فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله، فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد مطأطأ رأسه حياة من الله تعالى، وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومئذ، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتنا، قالوا جميعاً، وذلك أنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلما رأياها أخذت بقلوبهما، فراوداها عن نفسها فأبى وانصرف، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبى، وقالت: لا إلا أن تعبدنا ما أعبد وتصلينا لهذا الصنم، وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء، فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قلدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما

ما قالت بالأمس، فقالوا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم، وأمون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس: وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكباً. وقال بعضهم: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها، فقال أحدهما للآخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي من حب هذه؟ قال: نعم، فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة، فسألاها نفسها فقالت: لا إلا أن تقضيا لي على زوجي، فقضيا لها ثم سألاها نفسها، فقالت: لا إلا أن لي صنماً أعبيده إن أنتما صليتما معي له فعلت، فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول، قال صاحبه مثله، فصليا معها فمسيحت شهاباً. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: إنها قالت لهما [حين سألاها نفسها]: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا باسم الله الأعظم، قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علمها، فقال: إني أخاف الله [رب العالمين]، قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلمها ذلك، فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم

إلى أنها هي الزهرة بعينها، وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها، فقال: ﴿لَا أَقِيمُ بِالْحَقِّ لَكُمُ الْكَافِرِ﴾ [التكوير: ١٥]، والتي فتنت هاروت وماروت إنما هي امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها، فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هماً بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنتهما، فعلما ما حل بهما من الغضب فقصدا إدرس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل، وقال له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدرس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذبان.

واختلفوا في كيفية عذابهما، فقال عبدالله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة.

وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما منصوبة تحت أجنتهما، وقال قتادة: كُبلًا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقال مجاهد: جعلوا في جب ملئت ناراً.

وقال عمر بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقه أعينهما مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما

وبين الماء إلا أربع أصابع، وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قال له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قال: من أي أمة [أنت]؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قال: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم، قال: الحمد لله وأظهرها الاستبشار، فقال الرجل: وبم استبشاركما؟ قال: إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحداً وحين صلاة ﴿حَقٌّ﴾: ينصحاها أولاً، ﴿يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾: ابتلاء ومحنة، ﴿لَا تَكْفُرْ﴾، أي: فلا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولهم: فتنت الذهب والفضة، إذا أذبتهما بالنار ليمتيز الجيد من الرديء، وإنما وُحِدَ الفتنة وهما اثنان لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تثني ولا تجمع، وقيل: إنهما يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات، قال عطاء والسدي: فإن أبي إلا التعلم قال له: انت هذا الرماد وأقبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء، فذلك نور المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه، وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافه واحدة.

﴿فَيَتَلَمَّظُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَالْعَمَةِ﴾، وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه، قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُمْ﴾، قيل: أي السحرة، وقيل: الشياطين، ﴿يَصْنَعُونَ بِيَدِهِمْ﴾، أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحْكَامٍ﴾، أي: أحداً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: بعلمه وتكويده، فالساحر يسحر والله يكون، قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدره ومشيتته، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾، يعني: السحر يضرهم، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾، أي: اختار السحر، ﴿مَا لَوْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: في الجنة، ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ من نصيب، ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾: باعوا به ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾، حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإن قيل: أليس قد قال ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ بعدما أخبر أنهم علموا؟ قيل: أراد بقوله: ولقد علموا، يعني: الشياطين، وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما علموا، فكانهم لم يعلموا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمُحَمَّدٍ﴾ والقرآن، ﴿وَأَتَقَوْا﴾: اليهودية والسحر، ﴿لَمْ نُؤْتِهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾: لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا﴾، وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، أي: أزعنا سمعك، أي: فرغ سمعك للكلامنا،

يقال: أزعى إلى الشيء ورعاه وراعاه، أي: أصفى إليه واستمعته، وكانت هذه اللفظة سباً فيجأ بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة، كانوا إذا أرادوا أن يحتمقوا إنساناً قالوا [له]: راعنا، يعني: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً فاعلموا به الآن،

فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعا سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها للرسول ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رِعْسًا﴾ لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ، ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾، أي: انظر إلينا، انتظرنا وتأن بنا، يقال نظرت فلاناً وانتظرته، ومنه قوله تعالى: ﴿انْظُرْنَا نَقْتِشَ مِنْ فُرُوجِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، قال مجاهد: معناه فهمناه، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾: ما تؤمرون به وأطيعوا، ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾، يعني: اليهود، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وذلك أن

سورة البقرة

١٠٣

﴿مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نَسِيهَا ءَأْتَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
﴿أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَسْتَبْدِلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَءَ الْفَسِيلِ﴾
﴿وَدَكْشَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِنْ بَدَلِ إِيمَانِكُمْ كَمَا رَاحِلًا حَسْبًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَدَلِ مَا بَيَّعْتُمْ لَهُمُ الْخَوْفَ فَاغْتَرَوْا وَأُضْفِحُوا أَحْقَ بَأْسِ اللَّهِ بِأَمْرِ رَسُولِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ قَدِرٌ﴾
﴿وَأَقْبِمُوا الْفَسَادَ وَءَاتُوا الزَّكٰوٰةَ وَمَا تَقْدِمُوا إِلَّا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَخْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
﴿وَقَالُوا إِن يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِنْ أَمَّا لَمْ يَكُنْ هُوَ أَوْ نَصْرُهُ يَكُنْ﴾
﴿لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
﴿بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

١٠٤

المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ، قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه، ولو دذنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكديباً لهم ﴿مَا يُوَدُّ﴾، أي: ما يحب وما يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يعني اليهود، ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾، جزه بالنسق على (من) ﴿أَنْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: خير ونبوة، ﴿وَمِنْ﴾، صلة، ﴿وَاللَّهُ يَتَمَتَّعُ بِرَحْمَتِهِ﴾: بنبوته، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، والفضل ابتداء إحسان بلا علة، وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية، وقيل معنى الآية: إن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق فلما بعث النبي ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بوذ اليهود ومحبتهم، وأما المشركون، فإنما لم

يقع بؤدهم لأنه جاء تضليلهم وعيب آلهتهم، [فنزلت الآية فيه].

﴿إِنَّمَا تَنسَخُ بِنَآيِهِ أَوْ تُنْهِيَا﴾، وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمر بخلاف ما يقوله، إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، كما أخبر الله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ وأنزل ﴿إِنَّمَا تَنسَخُ بِنَآيِهِ أَوْ تُنْهِيَا﴾ [النحل: ١٠١]، فبين وجه الحكمة من النسخ بهذه الآية.

والنسخ في اللغة شيان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نَسَخْتُ الشَّمْسُ الظِّلَّ، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو المراد من الآية، وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط ويُنسخ الحكم، مثل آية الوصية للأقارب، وآية عدة الوفاة بالحوال، وآية التخفيف في القتال، وآية الممتحنة، ونحوها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَنسَخُ بِنَآيِهِ﴾: ما ثبت خطها وبُذِلَ حكمها ومنها: أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها، مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلاً عن المصحف وعن القلوب، كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن

حنيف أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم، قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فغعدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك سورة رُفعت تلاوتها وأحكامها»، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوةً وحكماً، ثم من نسخ الحكم ما يُرفع ويُقام غيره مقامه، كما أن القبة نُسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نُسخت بالميراث، وعدة الوفاة نُسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومُصَابرة الواحد العشر في القتال، نُسخت بمصَابرة الاثنين، ومنها ما يُرفع ولا يُقام غيره مقامه كامتحن النساء، والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار.

أما الآية فقوله: ﴿إِنَّمَا تَنسَخُ بِنَآيِهِ﴾، قراءة العامة بفتح النون والسين، من النسخ، أي: ترفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين، من الإنساخ وله وجهان، أحدهما: أن نجعله كالمنسوخ، والثاني: أن نجعله نسخة له، يقال: نَسَخْتُ الكتاب، أي: كتبته، وأنسخته غيري: إذا جعلته نسخة له، أو «تُنْهِيَا»، أي: ننسها عن قلبك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى: ﴿سُورَةُ اللَّهِ فَتَنِّيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: تركوه فتركهم، وقيل: «تُنْهِيَا»، أي: نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه،

فيكون النسخ الأول من رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، والإنشاء يكون ناسخاً من غير إقامة غيره مقامه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «أو ننسأها» بفتح النون الأولى والسين مهموزاً، أي: نؤخرها فلا نبذلها، يقال: نسأ الله في أجله ونسأ الله أجله. وفي معناه قولان: أحدهما نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن، جعلناه من النسخة «أو ننسأها» أي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزل. «فَأَنْتَ بِخَيْرٍ مِّنْهَا»، أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، «أَوْ يُنْهِيَا»: في المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر. «أَلَمْ تَقْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: من النسخ والتبديل، لفظة استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿أَلَمْ تَقْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْكَ السَّكُوتَ وَالْأَرْزِينَ وَمَا لَكُمْ﴾: يا معشر الكفار عند نزول العذاب، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: مما سوى الله ﴿وَمِنْ وَلِيِّ﴾: قريب وصديق، وقيل: من وال، وهو القيم بالأمور، «وَلَا تُصَيِّرْ»: نأمر بمنعكم من العذاب.

﴿أَلَمْ تَرِيدُوا أَنْ﴾

تَمَقُّلُوا رَسُولَكُمْ، نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد اتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالسنورة، فقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم: محمداً ﷺ، ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾، سأله قومه [فقالوا]: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٥٣]، وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرأيتكم الله جهنم، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين. ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قُضِيَ السَّبِيلُ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية.

نزلت في نفر من اليهود، قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت، فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا، وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله تعالى رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلَةً وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال

رسول الله ﷺ: «قد أصبتما الخير وأفلحتما»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي: تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ كَفَّارًا حَكِيمًا﴾، نصب على المصدر، أي: يحسدونكم حسداً، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَنْفُسِهِمْ﴾، أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْ مَا بَيْنَ لَهُمُ الْحَقِّ﴾، في السنورة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق، ﴿فَاعْتَدُوا﴾: فاتركوا ﴿وَأَصْحَابُهَا﴾، وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُمْ صَوْرَتُ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم، حكم لبعضهم بالإسلام وبعضهم بالقتل والسبي والجزية، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَنْبِئُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَرَّبُوا﴾: تسلفوا ﴿لِأَشْيَئِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: طاعة وعمل صالح ﴿تَعْبُدُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: تجددوا ثوابه عند الله، وقيل: أراد بالخير المال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ رَزَقْتَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأراد: من زكاة أو صدقة ﴿تَعْبُدُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حتى

الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾، أي: يهودياً، قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش اليهود: جمع هائد، مثل غافد وعود وحائسل وحول، ﴿أَوْ نَصْرَانًا﴾، وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا [دين] اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية، وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فكذب بعضهم بعضاً، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، أي: شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿مَكَاتُوا﴾، أضلته: أتوا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: حججكم على ما زعمتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم قال رداً عليهم:

﴿بَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ آتِنَاكَ وَجْهَهُ﴾، أي: ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لِلَّهِ﴾، [أي: اختلص دينه لله]، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يسخر بسائر جوارحه، ﴿وَقَوْمٌ مَحْسُورٌ﴾: في عمله، وقيل: مؤمن. وقيل: مخلص، ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ﴾ ولا حوث مَكُونُوا وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

[وَأَعْتَصَى] «مَنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ»، يعني: بيت المقدس ومحاربه «أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى» عمل «فِي خَرَابِهَا أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ»، وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها، يعني بيت المقدس، بعد عمارتها رومي إلا خائفاً لو علم به قتل، وقال قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متكرراً لو قدر عليه لعوقب، قال السدي: أخيفوا بالجزية. وقيل: هذا خبر بمعنى الأمر، أي: أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً من القتل أو السبي، أي: ما ينبغي، «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ»: عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمي، قال مقاتل والكلبي: يفتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية، «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»، وهو النار، وقال عطاء وعبدالرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا [رسول الله ﷺ] وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا [رسول الله ﷺ] من أن يعمره بذكر فقد سعوا في خرابه، «أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ»، يعني: أهل مكة، يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم. و أمر النبي ﷺ منادياً ينادي: «أَلَا لَا يَحْجُنَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مَشْرِكٌ»، فهذا

مجاهد: يعني عوام النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: أنهم ليسوا على شيء من الدين، وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، مثل قوم نوح وهود وصالح ولسوط وشعيب عليهم السلام، قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء، «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: يقضي بين المحق والمبطل، «فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»: من الدين.

قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ»، الآية نزلت في طيطوس بن إسبسيبانوس الرومي وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال قتادة والسدي: هو يختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارى طيطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم، قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا، وقال قتادة: حملهم بغض اليهود على معاونة بختنصر البابلي المجوسي، فانزل الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ»، أي: أكفر

قوله: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْقَمَرِيُّ عَلَى شَيْءٍ»، نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ اتاهم أبحار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعمسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فانزل الله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ»، وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف، فدلّ تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل، «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»، يعني: آباءهم الذين مضوا، «وَمِثْلَ قَوْلِهِمْ»، قال



خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

﴿١١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْكَشِيرُ وَالْقَرِيبُ﴾ فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحزوا القبلة وصلوا، فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا، [وأنهم مخطئون في تحزيبهم]، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية.

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به.

وقال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة، قال أبو العالية: لما صرفت القبلة إلى الكعبة وعيرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مجاهد والحسن: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[غافر: ٦٠]، قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْكَشِيرُ وَالْقَرِيبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، ملكاً وخلقاً ﴿فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، يعني: أينما تحولوا وجوهكم ﴿فَنَمَّ﴾، أي: هناك وجه الله، قال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أي: إلا هو، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حبان: فثم قبلة الله، والوجه والوجهة والجهة: القبلة، وقيل: رضا الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: غني يعطي من السعة، قال الفراء: [الواسع]: الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع المغفرة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا.

﴿١١٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، قرأ ابن عامر قالوا اتخذ الله بغير واو، وقرأ الآخرون بالسواو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَنَهُ﴾، بزه وعظم نفسه.

أخبرنا عبدالواحد الخليجي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن عبدالرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«قال الله تعالى: كَذِبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عبداً وملكاً، ﴿كُلُّ لَكُمْ قَتِيلُونَ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: مُطْعِمُونَ، وقال عكرمة ومقاتل: مُقَرَّبُونَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قَاتِمُونَ بالشهادة، وأصل القنوت القيام.

قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت».

واختلفوا في حكم الآية، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق، لأن لفظ كل يقتضي الإحاطة بالشئ بحيث لا يشذ منه شيء، ثم سلكوا في الكفار طريقين، فقال مجاهد: يسجد ظلالم لله على كره منهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّامُ الْغُيُوبِ وَالْقَنُوتِ وَالْأَسَاوِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقال السدي: هذا يوم القيامة، دليله: ﴿وَعَنَتِ الْأُجُوهُ لِلَّهِ الْقَنُوتِ﴾ [طه: ١١١]، وقيل: ﴿قَتِيلُونَ﴾: هذلولون مسخرون لما خلقوا له.

﴿١١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يُوحِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: مبدعهما ومنشئهما من غير مثال سبق، ﴿وَرِثَا فَتَى آثَرَا﴾، أي: قسره، وقيل:

إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله عز وجل: ﴿بَشِيرًا﴾، أي: مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالشواب الكريم، ﴿وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب: «ولا تسأل»: على النهي.

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبوي»، فنزلت هذه الآية، وقيل: هو على معنى قولهم: لا تسأل عن [شئ] فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون «ولا تسأل» بالرفع، على النفي بمعنى: ولست بمسؤول عنهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَاتَّكَمَ عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَعَظِمَكَ الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، «عن أصحاب الجحيم»، والجحيم معظم النار.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ رَمَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ يَدَهُمْ قُلْ إِنَّكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْمَهْدِيُّ﴾، وذلك أنهم [كانوا] يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعون في أنه إن أمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرضون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلي إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَمَىٰ

محالة كان كالموجود، فصَحَّ الخطاب.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عياناً بأنك رسوله، وكل ما في القرآن ﴿لَوْلَا﴾ فهو بمعنى هلا إلا واحداً وهو قوله: ﴿لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفافات: ١٤٣]، معناه فلم لم يكن، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾:

دلالة وعلامة على صدقك [في ادعائك النبوة]، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمُ﴾، أي: كفار الأمم الخالية، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ شَكَّهْتُمْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال، ﴿فَقَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالصدق؛ كقوله: ﴿وَيَسْتَلْهِمُونَكَ الْحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، أي: صدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن دليله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥]، وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، دليله: قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثاً إنما أرسلناك بالحق، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

وَلَنْ رَمَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ يَدَهُمْ قُلْ إِنَّكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْمَهْدِيُّ وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَدَأَ إِلَهُكَ مِنَ الْعَالَمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨٥﴾ الَّذِينَ اتَّبَعْتَهُمْ كَتَبَ يَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ تَلَاوِيَهُ عُلُوقُ السَّمِيعِينَ ﴿٨٦﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَقْنُوا يُومًا لَا تَجْزِي شَيْءَ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٨﴾ وَإِذْ أَنْتَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَئِيءٌ يَكْتُمُ فَأَنشَأُوا لَكَ فِي جَانِبِكَ اللَّتَائِمَ إِمَامًا قَالُوا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيئَكَ لِلنَّاسِ وَأُمَّنًا وَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَتُجَدِّدُكَ فِي الْوَدَّاعِ ﴿٩٠﴾ وَأَنشَأُوا لَكَ مَقَامًا بِإِذْنِهِمْ فَصَلِّ وَرَبِّهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَاسْتَسْمِعْ لَكَ طَهْرًا بِسَبِّ اللَّطَائِفِينَ وَالْمَكْفِيِّينَ وَالرَّكْعِ الْكُشُودِ ﴿٩١﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّهُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَةً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَتَيْنَهُمْ فَلَا تُمْ أَصْطَرُهُ إِلَّا عَذَابُ النَّارِ وَبَشِّرَ الصَّادِقِينَ ﴿٩٢﴾

أحكمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات، قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديراً أو تدبيراً، ﴿فَاتَّكَمَ يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون في جميع المواضع إلا في آل عمران ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠]، وفي سورة الأنعام: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ قوله ﴿الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً وقرأ الآخرون بالرفع على معنى: فهو يكون، فإن قيل: كيف قال: ﴿فَاتَّكَمَ يَقُولُ لَمْ كُنْ﴾ والمعدوم لا يُخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: فإنما يقول له، أي: لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو إن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا

هَكَذَا الْيَهُودُ، إِلَّا بِالْيَهُودِيَّةِ، وَلَا
التَّصَارِي إِلَّا بِالتَّصْرَانِيَّةِ، وَالْمَلَّةُ
الطَّرِيقَةُ، وَلَكِنْ اتَّعَمَّ أَهْوَاءُهُمْ،
قِيلَ الْخُطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَرَادُ بِهِ
الْأُمَّةُ؛ كَقَوْلِهِ: «لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَطِّينَ
عَلَيْكَ» [الزمر: ٦٥]، «بَعْدَ الَّذِي
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ»: الْبَيَانُ أَنَّ دِينَ اللَّهِ
هُوَ الْإِسْلَامُ وَالْقِبْلَةُ قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَهِيَ الْكَعْبَةُ، «فَمَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا صَوِيرٍ».

(الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيراً، وقال الضحاك: هم ممن آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيدابنا كعب وابن يامين. وعبد الله بن صوريا، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: هم المؤمنون عامة، ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ يَلَاؤِيَّةٌ﴾، قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلونه حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما أشكل عليه إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه، قوله:

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وَمَنْ يَكْزُرْ
بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٧﴾

وَيَذَرُ أَكْثَرُ الْأَكْثَرِ يَقَعُ الْآخِرُ
 أَمَعْتُ عَلَيْكَ وَأَيُّ فَضْلِكَ عَلَى الْعَالَمِينَ
 وَالْعَوَّلُ يَوْمًا لَا يَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
 شَيْئًا وَلَا يُقِيلُ فِيهَا عَدْلٌ وَلَا يُفْعَلُهَا
 شَيْئًا وَلَا هُمْ يُحْصَوْنَ ﴿١٠﴾

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَيْنَاكَ بِرُوحٍ مِنْ رَبِّكَ يَخْلُفُنَا فَآتَيْنَاهُ بِالْحَقِّ﴾﴾، قرأ ابن عامر: «إبراهيم» بالالف في أكثر المواضع، وهو اسم أعجمي ولذلك لا يُجر، وهو إبراهيم بن تارخ [هو أزر] بن ناخور، وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقيل: بابل، وقيل: كوفي، وقيل: لشكر، وقيل: حران، وكان أباه نقله إلى أرض بابل أرض نمروذ بن كنعان، ومعنى الابتلاء: الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً، واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام، فقال عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سماً، شرايع الإسلام لم يُبتل بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم، فكتب له البراءة، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّهْنَاهُ إِلَىٰ وَفَىٰ﴾ ﴿النجم: ٣٧﴾، عشر في براءة: ﴿الْمُتَّقِينَ الْمُكْدِبِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى آخرها، وعشر في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخرها، وعشر في سورة المؤمنين في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿المؤمنون: ١﴾ الآيات، وقوله: ﴿إِلَّا الصَّالِينَ﴾

[المعارج: ٤٢٢]، في سنال سائل،
وقال طابوس عمن ابن عباس
رضي الله عنهما: ابتلاه الله تعالى
بعشرة أشياء، وهي الفطرة خمس في
الرأس: قص الشارب، والمضمضة،
والاستنشاق، والسننك، وقرق الرأس،
وخمس في الجسد: تقليم الأظافر
وتف الإبط وحلق العانة والختان
والاستنجاء بالماء.

وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام «أول من قصَّ الشارب، وأول من اختنَّ، وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الثَّيِّب، فلما رآه قال: يا رب ما هذا؟ قال: الوُقار، قال: يا رب زدني وقاراً».

قال مجاهد: هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل: ﴿لِيُؤْثِرَ بِكَ وَالْعَقَبَ﴾ إلى آخر القصة، وقال الربيع وقتادة: مناسك الحج، وقال الحسن: ابتلاء الله بسبعة أشياء: بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظم، وعلم أن ربه دائم لا يزول، وبالنار فصبر عليها، وبالهجرة وبذبح ابنه وبالبختان فصبر عليها، قال سعيد بن جبير: هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفغان البيت ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية، فرفعا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال يمان بن رباب: هنّ مُحاجة قومه، قال الله تعالى: ﴿وَعَاظِبَةً قَوْمَهُ﴾ [الأنعام: ٨٠] إلى قوله: ﴿وَوَيْلٌكَ حُجَّتَنَا أَتَيْنَاهَا إِزْمِيَّةً﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقيل: هي قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَكُونُ﴾ [الشعراء: ٧٨]، إلى آخر الآيات.

﴿فَأَنذَرْتَهُمْ﴾ قال قتادة: أذاهن، وقال الضحاك: قام بهن، وقال نعمان: عمل بهن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: يُقْتَدَى بِكَ، في الخير ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿وَعَن ذُرِّيَّتِي﴾، أي: ومن أولادي أيضاً فأجعل منهم أئمة يقتدى بهم في الخير، [قال] الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ﴾: لا يصيب ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء والباقون بفتحها، أي: من كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يُطاع في ظلمه، ومعنى الآية: لا ينال ما يحدث إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من وليك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنَةُ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿١٢٥﴾ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: الكعبة، ﴿مَكَّةَ لِلنَّاسِ﴾: مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد بن جبیر: يأتون إليه من كل جانب ويحجّون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأ، وقال قتادة وعكرمة: مجمعاً، ﴿وَأَنبَأَ﴾، أي: مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإنهم كانوا يتعرّضون لأهل مكة، ويقولون هم أهل الله، ويتعرّضون لمن حوله؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَبْرًا مِّمَّا وَنَحْنُ نَخْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبدالله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه»، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، ﴿مِن مَّقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، قال ابن يمان: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجله بيناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم، ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى عن حميد، عن أنس قال:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُ مِنْ مَّقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك النبر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن فقلت لهن: إن انتهين أو لبيدتهن الله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى: ﴿عَنِّي رُبُّهُ إِن طَلَّقَكُنْ أَن يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ [التحریم: ٥] الآية،

ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عوف أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَأَنذَرْتَهُ مِنْ مَّقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وأما بدء قصة المقام.

فقد روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر وضعهما بمكة، وأنت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة [وقد] ماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم مكة وقد ماتت هاجر

فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامراته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب للصيد، وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة وسألها عن عيشهم، فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فاقترنيه [مني] السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ربح أبيه، فقال لامراته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال اقترني زوجك [مني] السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، قال: ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج منهم بأخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامراته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وهو يسجيء الآن إن شاء الله، فأنزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم فقالت: نحن بخير وسعة فدعا لها بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز وبر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برأ أو شعيراً أو تمرأ، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعتة عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه

الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر، فيقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فاقترنيه [مني] السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل وجد ربح أبيه، فقال لامراته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ كبير أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه، فقال ذلك إبراهيم [النبي أبي]، وأنت العتية أمرني أن أمسكك.

وروي عن سعيد بن جبير أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم لبثت عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعاً كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تعينني عليه، قال: أعينك عليه، قال: إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا ما مسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب».

قوله عز وجل: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَٰهَ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾، أي: أمرناهما وأوحينا إليهما، قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولد، ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رُزق الولد سمّاه به. ﴿أَنْ طَهَّرَهَا بَيْتِي﴾، يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً، أي: ابنائه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبير وعطاء: طهره من الأوثان والريب وقول الزور، وقيل: بخراه وخلّقه، قرأ أهل المدينة وحفص ﴿بَيْتِي﴾ يفتح الباء ههنا وفي سورة الحج [٢٦]، وزاد حفص في سورة نوح [٢٨]، ﴿وَالطَّائِفِينَ﴾: السائرين حوله، ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: المقيمين المجاورين، ﴿وَالْأَرْصَافَ﴾: جمع راصع، ﴿الشُّجُورَ﴾: جمع ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: (الطائفين): هم الغرياء والعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد عكرمة: الطواف للغرياء أفضل، والصلاة لأهل مكة أفضل.

﴿وَلَا تَالِ الْإِزْمَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَالِ الْإِزْمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾، يعني: مكة، وقيل: الحرم، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، ﴿وَالَّذِينَ أَقَامُوا فِي الْبُيُوتِ﴾، إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص: أن الطائفت كانت من بلاد الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قلغها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه فمئها أكثر ثمرات مسكنة، ﴿مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَاللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: دعاء للمؤمنين خاصة،

وُلِدَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ بَيْنَا بَيْتَ يُذَكِّرُ فِيهِ، فَسَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَوْضِعَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ السَّكِينَةَ لِتَدُلَّهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، وَهِيَ رِيحٌ حَجُوجٌ لَهَا رَأْسَانُ شَبَهَ الْحَيَّةَ، فَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْنِيَ حَيْثُ تَسْتَقِرُّ السَّكِينَةُ، فَتَبِعَهَا إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَتَطَوَّى السَّكِينَةَ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، كَتَطَوَّى الْحَجَّافَةَ. هَذَا قَوْلُ عَلِيِّ وَالْحَسَنِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ اللَّهُ سَحَابَةً عَلَى قَدَرِ الْكَعْبَةِ فَجَعَلَتْ تَسِيرُ وَإِبْرَاهِيمَ يَمْشِي فِي ظِلِّهَا إِلَى أَنْ وَافَقَ مَكَّةَ، وَوَقَفَتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، فَنَوْدِيَ مِنْهَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ ابْنِ عَلَى قَدَرِ ظِلِّهَا لَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ، وَقِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ جِبْرِيلَ لِيَدُلَّهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فَبَنِيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ الْبَيْتَ، فَكَانَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَإِسْمَاعِيلُ بَنَاوِلَهُ الْحَجَرِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، يَعْنِي أَسْسه، وَاحِدَتَهَا: قَاعِدَةٌ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: جُدِرَ الْبَيْتُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا بَنَى الْبَيْتَ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ طُورِ سِنَاءَ وَطُورِ زَيْتَا وَلِبْنَانَ وَهُوَ جَبَلُ الشَّامِ وَالْجُودِي وَهُوَ جَبَلُ الْجَزِيرَةِ، وَبَنَى قَوَاعِدَهُ مِنْ حِرَاءَ وَهُوَ جَبَلُ بَمَكَةَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، قَالَ لِإِسْمَاعِيلَ: انْثَنِي بِحَجَرٍ حَسَنٍ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَمًا فَأَتَاهُ بِحَجَرٍ، فَقَالَ: انْثَنِي بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا، فَمَضَى إِسْمَاعِيلُ يَطْلُبُهُ فَصَاحَ أَبُو قَبِيصٍ: يَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّ لَكَ عِنْدِي وَدِيعَةً فَخَذَهَا فَأَخَذَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدَ

قَالَ الرُّوَاةُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مَوْضِعَ الْبَيْتِ قَبْلَ الْأَرْضِ بِالْفِي عَامٍ وَكَانَتْ زَيْدَةٌ بَيْضَاءُ عَلَى الْمَاءِ فَدَحِيصَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهَا، فَلَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ اسْتَوَحَشَ، فَكَشَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ مِنْ يَاقُوتَةٍ، مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ لَهُ بَابَانِ مِنْ زَمْزَدٍ أَخْضَرَ بَابُ شَرْقِيٌّ وَبَابُ غَرْبِيٌّ، فَوَضَعَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ، وَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي أَهْبَطُ لَكَ بَيْتًا تَطُوفُ بِهِ كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي وَتَصَلِّيَ عِنْدَهُ كَمَا يَصَلِّيُ عِنْدَ عَرْشِي، وَأَنْزَلَ الْحَجَرَ وَكَانَ أَبْيَضَ فَاسْوَدَّ مِنْ لَمَسِ الْحَيْضِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَوَجَّهَ آدَمُ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ إِلَى مَكَّةَ مَاشِيًا، وَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا يَدُلُّهُ عَلَى الْبَيْتِ، فَحَجَّ الْبَيْتَ وَأَقَامَ الْعِمَاسِكَ، فَلَمَّا فَرَغَ تَلَقَّاهُ الْمَلَائِكَةُ وَقَالُوا: بُرِّحْ جُحُوكَ يَا آدَمُ، لَقَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْفِي عَامٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَجَّ آدَمُ أَرْبَعِينَ حِجَّةً مِنَ الْهِنْدِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى رَجْلَيْهِ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَيَّامِ الطُّوفَانِ فَرَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَعَثَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى خَبَأَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي جَبَلِ أَبِي قَبِيصٍ صَيَانَةً لَهُ مِنَ الْغُرُقِ، فَكَانَ مَوْضِعَ الْبَيْتِ خَالِيًا إِلَى زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَمَا

وَأَذِيعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْتَمِعِلَ رَبَّنَا قَبْلَ مَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَتُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ رَعَى عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَتَسْلِمُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَضِعَا يَدَيْهِ يُرِيتُهُمْ وَقُوبُ يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْأَنْبُوتَ إِذْ قَالَ لِيَسْلِمَ مَا تَشْعُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَبُذُ الْكُفْرَ وَاللَّهَ وَاللَّهَ مَا بَيْنَاكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَاسْتَمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَالْهَارُونَ وَحُودَ وَمَنْ لَمْ يُسْلِمُوا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا تَسْتَلْزِمُوا كَانُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

﴿قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَتَمَّعْتُ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿فَأَتَمَّعْتُ﴾ خَفِيفًا بضم الهمزة، وَالْبَاقُونَ مُشَدَّدًا، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، ﴿قِيلَ﴾، أَي: سَارَزَقَ الْكَافِرَ أَيْضًا قَلِيلًا إِلَى مَتْنِهِ أَجَلُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ الرِّزْقَ لِلْخَلْقِ كَافَّةً مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَإِنَّمَا قَدَّرَ بِالْقَلِيلِ لِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، ﴿ثُمَّ اصْطَفَيْنَاهُ﴾، أَي: أَلَجَّهْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿إِلَّا عَذَابَ النَّارِ وَيُؤْتِ السَّامِعِينَ﴾، أَي: الْمَرْجِعَ يَصْبِرُ إِلَيْهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَجَدَ عِنْدَ الْمَقَامِ كِتَابٌ فِيهِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ صَنَعْتَهَا يَوْمَ خَلَقْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَحَزَمْتَهَا يَوْمَ خَلَقْتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَحَفَفْتَهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حَتَفَاءَ، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سَبِيلٍ، مُبَارَكٌ لَهَا فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ.

﴿١٢٧﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾،

فوضعه مكانه، وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور، ويسمى الضراح، وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل: أول من بنى الكعبة آدم، واندرس زمن الطوفان، ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه، ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا﴾، فيه إضمار، أي: وقولان: ربنا تقبل منا بناءنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾، لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنباتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿وَمِن دُرُوبِنَا﴾، أي: أولادنا ﴿أَتُتُّ﴾: جماعة، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿تُسَلِّمُ لَكَ﴾: خاضعة لك، ﴿وَأَرْوَاكَ﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء، وأبو عمرو بالاختلاس، والباقون بكسرهما، ووافق ابن عامر وأبو بكر في الإسكان في حم السجدة، وأصله: أرئنا، فحذفت الهمزة طلباً للخفة، ونقلت حركته إلى الراء، ومن سكنها قال: ذهب الهمزة فذهبت حركتها، ﴿مَنَاسِكَ﴾: شرائع ديننا وأعلام حجتنا، وقيل: مواضع حجتنا، وقال مجاهد: مذابحننا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والنامسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسُمي الوقت عرفة والموضع عرفات. ﴿وَبُئِيَ عِلَّاتُنَا﴾، تجاوز عنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْتِئْ فِيهِمْ﴾، أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، أي: مرسلًا منهم، أراد به محمداً ﷺ.

حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس البلخي، أنا الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أنا محمد بن المكي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا ابن أخي ابن وهب أنا عمي أنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية:

عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طيئته، وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام».

وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولا منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾، كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه، وقيل هي جماعة حروف، يقال خرج القوم بأيتهم، أي: بجماعتهم، ﴿وَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ﴾،

يعني: القرآن، ﴿وَالْمَكْنَةَ﴾، قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواظ القرآن وما فيه من الأحكام. وقال ابن قتيبة: هي العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي [الأحكام أو] القضاء، وقيل: الحكمة الفقه، قال أبو بكر بن بريد: كل كلمة وعظمتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، ﴿وَرَفَعَهُمْ﴾، أي: يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْمُكَرِّمُ﴾، قال ابن عباس: العزيز: الذي لا يوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم، بيانه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء، وقيل: القوي، والعزة القوة، قال الله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِتَالُوتِ﴾ [يس: ١٨]، أي: قوتنا، وقيل: الغالب، قال الله تعالى إخباراً: ﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْحَطَّابِ﴾ [ص: ٢٣]، أي: غلبني، ويقال في المثل: من عزَّ بَرٌّ، أي: من غلب سلب.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ صَلَوةٍ﴾، وذلك أن عبداً بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عز وجل قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن

لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء إذا أراده، ورغب عنه إذا تركه، وقوله ﴿وَمَنْ﴾: لفظة استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ، يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضل من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكل سفيه جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه، وفي الأخبار: أن الله تعالى أوحى إلى داود: اعرف نفسك وأعرفني، فقال: يا رب كيف أعرف نفسي وكيف أعرفك؟ فأوحى الله إليه: اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء. وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، و﴿نَفْسَهُ﴾ على هذا القول: نصب بنزع حرف الصفة، وقال الفراء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهت نفسه، فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه، كما يقال: ضقت به ذرعاً أو ضاق ذرعى به، ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الْذُنُبِ﴾: اخترناه في الدنيا، ﴿وَلَقَدْ﴾ في الآخرة لِمَنْ أَصْلَحِينَ، يعني: مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن

الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الْذُنُبِ﴾ والآخرة وإنه لمن الصالحين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾، أي: استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلماً، قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي أَلْمَلِكِينَ﴾، أي: فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار.

﴿وَوَعَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ نَبِيُّهُ وَتَعْقُوبُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: و«أوصى» بالالف، وكذلك [هو] في مصاحفهم، وقرأ الباقون ﴿وَوَعَىٰ﴾ مشدداً، وهما لغتان مثل أنزل ونزل معناه: ووصى إبراهيم [بنيه] ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت زددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية، أي: وصى إبراهيم بنيه الثمانية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية، تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة، ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توائم فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوب على أثره أخذاً بعقبه، قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه، يعني ووصى

أيضاً يعقوب بنيه الاثني عشر ﴿يَعْقِبُ﴾، معناه أن يا بني: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ﴾: اختار ﴿لَكُمْ الدِّينَ﴾، أي: دين الإسلام، ﴿فَلَا تُؤْتُواهُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، مؤمنون، وقيل: مخلصون، وقيل: مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: أنه قال ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي: محسنون بربكم الظن.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال:

سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل».

﴿قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾﴾، يعني: أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ آلَ مُوْسَىٰ﴾، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألس تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود.

وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والثيران،

فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدُونِي؟ قَالَ عَطَاءٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يَخْتِيَرَهُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، فَلَمَّا خَيْرَ يَعْقُوبُ قَالَ: يَا رَبِّ أَنْظِرْنِي حَتَّى أَسْأَلَ وَلَدِي وَأَوْصِيَهُمْ، ففعل [الله] ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من؟ ﴿قَالُوا تَبَدُّ إِلَهَكَ وَإِلَآهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، وكان إسماعيل عمًّا لهم، والعرب تسمي العم أبا كما تسمي الخالة أماً. قال النبي ﷺ: «عمُّ الرجل صنو أبيه».

وقال في عمه العباس: «ردوا عليّ أبي فأني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»، وذلك أنهم قتلوه. ﴿إِلَآهَا وَجِدًا﴾، نصب على البدل من قوله: ﴿إِلَآهَكَ﴾، وقيل: نعبد إلهاً واحداً، ﴿وَنَحْنُ لَمْ نُسَلِّمُوا﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من العمل، ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [من القول والعمل] ﴿وَلَا تُنْتَلَوْنَ عَنْهَا كَأَنَّا يَمُنُّونَ﴾، يعني: يستل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾، قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل

فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعميسى والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى نبينا [عميسى] أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا

ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ﴾ **﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾**، بل نتبع ملة إبراهيم، وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم، وقيل: معناه بل تكون على ملة إبراهيم، فحذف على فصار منصوباً، ﴿حَنِيفًا﴾، نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة نصب على القطع، أراد به ملة إبراهيم الحنيف، فلما أسقطت الألف واللام لم يتبع المعرفة النكرة فانقطع منه، فَنُصِبَ.

قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلا دين الإسلام، وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم، وقال سعيد بن جبير: الحنيف هو الحاج المختن، وقال الضحاك: إذا

سورة البقرة

سورة البقرة

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ **﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَكَ إِبْرَاهِيمَ﴾**، يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَكَ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو عشر صحف، ﴿وَالْأَنْبِيَاءَ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَمْ نُسَلِّمُوا﴾ **﴿فَإِنَّ ءَامَنُوا بِمِلَّةِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ قُلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُمُ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَمْ نَعْبُدْهُ﴾** **﴿قُلْ أَتَمَنَّا بِتَنَافِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾** **﴿وَلَا أَتَمَنَّا وَلَكُمْ أَغْنَىٰ عَنْكُمْ وَنَحْنُ لَمْ نُخْلَسُوا﴾** **﴿أَمْ نَقُولُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيعقوب﴾** **﴿وَالْأَنْبِيَاءَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَغْلَمُ أَرَأَيْتُمْ أَتَعْبُدُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾** **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْتَلَوْنَ عَنْهَا كَأَنَّا يَمُنُّونَ﴾**

١١

كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الحنيفة الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وإقامة المناسك، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثم علم المؤمنين طريق الإيمان، فقال جل ذكره:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَكَ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو عشر صحف، ﴿وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَنْبِيَاءَ﴾، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطاً: واحد منهم: سبط، سُموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما: سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من

العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء. ﴿وَمَا أَوْفَى مُوسَى﴾، يعني: التوراة، ﴿وَعِيسَى﴾، يعني: الإنجيل، ﴿وَمَا أَوْفَى﴾: أعطي ﴿الْبَيْتُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَعْمَلٍ مِنْهُمْ﴾، أي: نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿وَتَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر، أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقلوا: «أَمَّاكَ يَا اللَّهُ» الآية.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾، أي: بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، و (المثل) صلة؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَيْسَ كَيْتَابُهُ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به، أي: أتوا بإيمان كليمانكم وتوحيد كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم، والباء زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَزَبَ لِيَكُ يَجْمَعُ أَلْتَلَوُا﴾ [سريم: ٢٥]، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم:

﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَلَنْ نَلُوَا فَمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أي: في خلاف ومنازعة، قاله ابن عباس وعطاء، يقال: شاق مشاقة إذا خالف؛ كأن كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ [هود: ٨٩]، أي: خلافي، وقيل: في عداوة، دليله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاوُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣]، أي: عادوا الله ﴿فَنَكَيْتُهُمْ﴾ الله: يا محمد، أي يكفيك شر اليهود والنصارى، وقد كفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿وَهُوَ أَلْسَيْجُ﴾: لأقوالهم، ﴿أَلْسَيْجُ﴾ بأحوالهم.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقناة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال ابن عباس: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له: المعمودية، وصبغوه به ليظهره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء، يعني: الزموا دين الله، قال الأخفش: هي

بدل من قوله ﴿يَلْبَسُوا إِزْيَافَةً﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ديناً، وقيل: تطهيراً، ﴿وَتَحْنُ لَكُمْ عَيْدُونَ﴾: مطيعون.

﴿قُلْ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿أَتُمَاجِرُونَا فِي اللَّهِ﴾، أي: في دين الله، والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم، فقال الله: ﴿قُلْ أَتُمَاجِرُونَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم، ﴿وَلَكَّا أَفْعَلْنَا وَلَكُمْ أَفْعَلْنَا﴾، أي: لكل واحد جزء عمله، فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿وَتَحْنُ لَكُمْ تَخْلُصُونَ﴾، وأنتم به مشركون، قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرثي بعمله، قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

﴿قُلْ﴾ قال الله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ﴾، يعني: أتقولون [صيفته] صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالناء؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُمَاجِرُونَا فِي اللَّهِ﴾، وقال بعده: ﴿قُلْ أَلَسْتُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، يعني: يقول اليهود والنصارى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾: يا محمد ﴿أَلَسْتُمْ أَهْلُكُمْ﴾ بدينهم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ؟﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن

يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ﴾: أخفى ﴿شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾: وهي علمهم بأن إبراهيم وبنوه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ أَمْرٌ أَفْضَلُ فَذَعَلْتَ لَهَا مَا كَتَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبَتْ وَلَا تَتْلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، كزره تأكيداً.

﴿قوله تعالى: ﴿سَقُولُ﴾ الشُّهُاءُ﴾: الجهاد ﴿بِالنَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ﴾، أي شيء صرفهم وحولهم ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ أَلَيْ كَانُوا عَلَيْهَا﴾، يعني: بيت المقدس، والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردّد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملك له والخلق عبيده، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أن عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَلِكَ﴾: أي: وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه، وهي مردودة على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْطَقَيْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾ [البقرة: ١٣٠]، أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته

واصطفينا هم، ﴿وَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق، أنا أبو محمد بن زكريا بن

يحيى، أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر، فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك، حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة وهي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى».

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين، ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾:

﴿سَقُولُ الشُّهُاءِ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قُلُوبِهِمْ أَلَيْ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَبِيعُ الرَّسُولَ وَمَنْ يَقْلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ كَلِمَةَ الْكِبَرِ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هُنَا اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَيْنَ آتَيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ مَآيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَكِنْ اتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْكَ مِنْ الْوَحْيِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْغَالِينَ﴾ ﴿الْقُلُوبُ يَكُودُ﴾

١٢٢

محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: مُعَدَّلاً مذكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] فينكرون ويقولون: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البيئ - وهو أعلم بهم - أما إقامة للحجة. فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا إنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت عليه كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمة فيزيكهم ويشهد بصدقهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله

النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا
إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة
حدثنا الأعمش: أخبرنا أبو صالح
عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بنوح
يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟
فيقول: نعم يا رب، فيسأل أمته هل
بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير،
فيقال: مَنْ شهودك؟ فيقول: محمد
وأُمته، فقال رسول الله ﷺ: فيُجاء
بكم فتشهدون»، ثم قرأ
رسول الله ﷺ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِنُكَوِّرَ شُهُدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ
الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا»، أي: تحويلها،
يعني عن بيت المقدس، فيكون من
باب حذف المضاف، ويحتمل أن
يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً
على تقدير: وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها منسوخة، وقيل: معناه
التي أنت عليها وهي الكعبة؛ كقوله
تعالى: «كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ» [آل
عمران: ١١٠]، أي: أنتم، «وَلَا
يُعَلِّمُ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ»، فإن قيل: ما
معنى قوله «وَلَا يُعَلِّمُ» وهو عالم
بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد
به العلم الذي يتعلق به الثواب
والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم
به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد
معناه لنعلم العلم الذي يستحق
العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل:
«وَلَا يُعَلِّمُ»، أي: لنرى وتُمَيِّز من
يتبع الرسول في القبلة [التي أرادها]

فسي أزلنا]، «مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى
عَقْبَيْهِ»، فيرتد، وفي الحديث: «أن
القبلة لما حُولت ارتدَّ قومٌ من
المسلمين إلى [دين] اليهودية،
وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه»،
وقال أهل المعاني: معناه إلا لِعِلْمِنَا
مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى
عَقْبِهِ، كأنه سبق في علمه أن تحويل
القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم،
وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى
الماضي؛ كما قال الله تعالى:
«فَلِمَ تَقَالُوبُ الَّذِينَ أَنبَأَ اللَّهُ» [البقرة:
٩١]، أي: فلم قتلتموهم؟ «وَلِإِنْ
كَانَتْ»، أي: وقد كانت، أي تولية
الكعبة، وقيل: الكناية راجعة إلى
القبلة، وقيل: إلى الكعبة، قال
الزجاج: وإن كانت التحويلة
«لِكَبِيرَةٍ»: ثقيلة شديدة، «وَلَا عَلَى
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ»، أي: هداهم الله،
قال سيبويه: «وَلِإِنْ» تأكيد شبيهة
باليمين، ولذلك دخلت اللام في
جوابها.

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِمَانَكُمْ».

وذلك أن حُيَيَّ بن أخطب
وأصحابه من اليهود، قالوا
للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم
نحو بيت المقدس إن كانت هدى،
فقد تحوّلتم عنها، وإن كانت
ضلالة فقد دنتم الله بها؟ ومن مات
منكم عليها فقد مات على
الضلالة، فقال المسلمون: إنما
الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما
نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم
على من مات منكم على قبلتنا؟

وكان قد مات قبل أن تحوّل إلى
الكعبة من المسلمين أسعد بن
زرارة، من بني النجار والبراء بن
معمر من بني سلمة، وكانا من
النقباء، ورجال آخرون، فانطلق
عشائرهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا
رسول الله قد صرفك [الله] إلى
قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين
ماتوا وهم يصلون إلى بيت
المقدس؟ فأنزل الله تعالى: «وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِمَانَكُمْ» يعني:
صلاتكم إلى بيت المقدس، «إِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي الْقَائِمِينَ لِرُؤُوسِهِمْ رَجِيمًا» قرأ أهل
الحجاز وابن عامر وحفص
«الرؤوف» مشبهاً على وزن فعول،
لأن أكثر أسماء الله تعالى على
فعل وفعل، كالغفور والشكور
[والرحيم والكريم] وغيرها، وأبو
جعفر يلين الهمزة، وقرأ الآخرون
بالاختلاس على وزن فعل، قال
جرير:

للمسلمين عليك حقاً

كفعل الوالد الرؤوف الرحيم
والرافة: أشد الرحمة.

﴿قَدْ رَأَى نَقْلُكَ وَجْهَكَ فِي
السَّمَاءِ﴾، هذه الآية وإن كانت
متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في
المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر
القبلة أول ما نُسخ من أمور الشرع،
وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه
كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما
هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو
صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب
إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى
قبلتهم مع ما يجدون من نعته في

التوراة، فصلّى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحب أن يُوجّه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام. وقال مجاهد: كان يُحب ذلك من أجل اليهود لأنهم كانوا يقولون: يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا، فقال لجبريل عليه السلام: «وَدِدْتُ لو حَوَّلَنِي اللهُ إِلَى الكعبة، فَإِنَّهَا قِبْلَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فإنك عند الله عز وجل بمكان، فرجع جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يُدِيمُ النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلًا وَجَّهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتَوَلَّيْتَ قِبْلَةً﴾، فلتحولنك إلى قبلة ﴿رَضَيْنَاهَا﴾، أي: تحبها وتهواها، ﴿قَوْلٌ﴾، أي: حَوْلٌ ﴿وَجَّهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرّم، ﴿وَكَيْتَ مَا كُنْتُمْ﴾، من بز [أو بحر] شرق أو غرب: ﴿قَوْلًا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، عند الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر، أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في

نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبَل الكعبة وقال: «هذه القبلة».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد، أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق، عن البراء:

أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاتها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه، فمَرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَلَ بيت المقدس، لأنه قبلة أهل الكتاب، فلما ولّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذلك، وقال البراء في حديثه هذا: إنه مات على القبلة قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقَتَلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ لَكُمْ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين. قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سَلَمَةَ، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصَّلَاة واستقبل الميزاب، وحول الرجال

مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسُمِّيَ ذلك المسجد مسجداً للقبليتين. وقيل: كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال:

بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلا شيء يتبدعه من تلقاء نفسك فتارة تُصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة، ولو ثبت على قبلتنا لكتنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي نتنظره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ أُنْثَى﴾، يعني: أمر الكعبة، ﴿الَّذِينَ رَتَّبْنَاهُمْ﴾، ثم هذهم فقال: ﴿وَمَا اللهُ بِمُخَلٍّ عَمَّا يُعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقرن بالياء، يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة.

كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر: وفلك الله يا ابن سلام فقد صدقت، ﴿وَلَا قَرِيبًا مِنْهُمْ لِيَكُونُوا﴾ **الْحَقُّ**، يعني: صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة، ﴿وَهُمْ يَمْلِكُونَ﴾.

ثم قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي: هذا الحق، خبر مبتدأ مضمّر، وقيل: رُفِعَ بإضمار فعل، أي: جاء الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾: الشاكين.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾، أي: لأهل كل ملة قبله، والوجهة: اسم للمتوجه إليه، ﴿هُوَ مُوَلِّاُ﴾، أي: مستقبلها، ومقبل عليها، يقال: ووليت، ووليت إليه إذا أقبلت عليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه، قال مجاهد: هو موليتها وجهه، وقال الأخفش: هو كناية عن الله عز وجل، يعني [الله تعالى]: مولتي الأمم إلى قبلتهم، وقرأ ابن عامر: «هو مولاها»، أي: المستقبل مصروف إليها، ﴿فَأَسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، أي: إلى الخيرات، يريد بادروا بالطاعات، والمراد: المبادرة إلى القبول، ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا﴾: أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يوم القيامة فيجزئكم بأعمالكم [إن خيراً فخير وإن شراً فشر]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالباليه، و[قرأ] الباقون بالتاء.

﴿وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

سعيد المَقْبُورِي عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «القبلة ما بين المشرق والمغرب».

وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم من السنة، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القبلة. ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ

أَهْوَاءَهُمْ﴾: مرادهم، الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به الأمة، ﴿وَيُنَادُوا بِمَا جَاءَكَ مِنْ أَلْفَمٍ﴾، من الحق في القبلة، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَبِيتَ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿يَعْرِفُونَ﴾، يعني: يعرفون محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾: من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبدالله بن سلام: إن الله

قد أنزل على نبيّه ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ قال عبدالله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: وكيف ذلك؟ فقال: أشهد أنه رسول حق من الله تعالى، وقد نعته الله في

سورة البقرة

سورة البقرة

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعَنُونَ الْبَاقِينَ وَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴿١٤٥﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّاٌ فَاَسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٦﴾ وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِلَّا بَنَاتِكُمْ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَيْنُكَ وَلَا لَعْنُكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٤٨﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٩﴾ فَادْكُوفِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا بِالنَّاصِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥١﴾

٢٢

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: اثنتا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: معجزة، ﴿مَّا تَعْمُوا قِلَّتْكَ﴾، يعني: الكعبة، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَالِحٍ بِلَهُمْ وَمَا بِمَعْنَاهُمْ بِتَالِحٍ قِبَلَةَ بَعْتِينَ﴾، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب، والنصارى تستقبل المشرق، وقبلة المسلمين الكعبة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المَعْلَى بن منصور أخبرنا عبدالله بن جعفر المخزومي، عن عثمان الأخسي عن

قَوْلًا يُؤْمَرُكُمْ مَطَرًا، وإنما كرر لتأييد النسخ، ﴿يَنَالُ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: ﴿إِلَّا﴾ فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها، فيقولون: ليست لكم قبلة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [منهم] وهم قريش واليهود، فأما قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود، فتقول: لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: ﴿يَنَالُ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، يعني: اليهود، وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهم مشركو مكة، وحجتهم أنهم قالوا لما صرفت القبلة إلى الكعبة: إن محمداً قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني: لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش فإنهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم، والاحتجاج بالباطل يسمى: حجة؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَنْهُمْ ذَا حِجَّةٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]،

وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ خفض كأنه قال: إلا [سوى] الذين ظلموا، قاله الكسائي، وقال الفراء: نُصِبَ بالاستثناء، قوله تعالى: ﴿يَوْمَهُمْ﴾، يعني: من الناس، قيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْتَ الْظُلُّ﴾ [النساء: ١٥٧]، يعني: لكن يتبعون الظن، فهو كقول الرجل: ما لك عندي حق إلا أن تظلم، قال أبو روق: ﴿يَنَالُ يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾، يعني: اليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة [قبلة] لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها، فحوله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجتهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني: إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق، وقال أبو عبيدة: قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ليس باستثناء، ولكن ﴿إِلَّا﴾ في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة، كما قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه

لعمري أبوك إلا الفرقدان
معناه: والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية: فتوجهوا إلى الكعبة ﴿يَنَالُ يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾ يعني لليهود، عليكم حجة فيقولوا: لم تركم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جدّه

وتحول عنها إلى قبلة اليهود؟ ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهركم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، ﴿وَأَخْشَوْا وَلَا تَمَيَّنُوا﴾، عطف على قوله: ﴿يَنَالُ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ولكي أتيم نعمتي عليكم بهديتي إياكم إلى قبلة إبراهيم، فتتم به لكم الملة الحنيفية، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تمام النعمة الموت على الإسلام، قال سعيد بن جبيرة: لا يتم [نعمته] على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾: لكي تهتدوا من الضلالة، و﴿لعل وعسى﴾ من الله واجب.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، هذه الكاف للتشبيه، تحتاج إلى شيء ترجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين أحدهما، قال: ﴿رَبَّنَا وَأَعْمَلْنَا سَلَمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، والثانية قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَنْتَ فِيهِمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فبعث الله الرسول، وهو محمد ﷺ، ووعد إجابة الدعوة الثانية أن يجعل من ذريته أمة مسلمة، يعني: كما أجبت دعوته ببعث الرسول، كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين، وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها

منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً وإن مشيت إلي هرولت إليك، وإن هرولت إلي سَعَيْتُ إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن عبدالله أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء عن أبي هريرة قال:

قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا إسماعيل بن عياش، أخبرنا عمرو بن قيس السكوني، عن عبدالله بن بسر قال:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى».

قوله تعالى: «وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا»، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروا بالمعصية، فإن من أطاع الله، فقد شكره ومن عصاه فقد كفره.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ بِأَلْوَنٍ﴾ [١٥٢] يعني: بالنصرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾، نزلت في قتلى

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمر بن حفص، أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال:

قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن

تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي، وثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبدالملك الدمشقي، أخبرنا سليمان بن عبدالرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية، عن الحسن بن أنس [بن مالك] قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أنامله هذه العشر:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَمَاتَهُ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْسٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْثِ وَيَشْرِ الْأَصْدِيقِ ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٣﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الصَّافَّاتِ وَالْمَرْءَ مِنْ سَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ مَعَ الْبَيْتِ أَوْ غَسَمَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُوكَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَّلَعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكَرٌ عَلَيْهِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُدَّتْ مِنْ عَمْدٍ مَا يَكْتُمُ لِنَاسٍ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّاسُ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاؤُهُمْ كُفَارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلِلَّهِ كُزَّةٌ وَلِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

وهو قوله: «فَأَذْكُرُوا لِي أَذْكُرْكُمْ»، معناه: كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب «رُسُلًا يَنْصَحُكُمْ»، يعني: محمداً ﷺ، «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا»، يعني: القرآن، «وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»، قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواظب القرآن، «وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ»، من الأحكام وشرائع الإسلام.

﴿فَأَذْكُرُوا لِي أَذْكُرْكُمْ﴾، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وقال سعيد بن جبیر: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]

بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ [أي هم أموات]، ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ كما قال في شهداء أحد: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية، فيصل إليهم الوجع.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾﴾، أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام: لجواب القسم [المحذوف]، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء [من الله] لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالمأ به، ﴿يَتَنَبَّهُونَ لِمَا كُفِّرُوا﴾، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿وَالْجُوعُ﴾، يعني: القحط، ﴿وَتَقْتُلُونََ الْأَنْمَالَ﴾: بالخسران والهلاك، ﴿وَالْأَنْفُسَ﴾، يعني: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب، ﴿وَالشَّرَّاتِ﴾، يعني: بالجوائح في الثمار، وحكي عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمار موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاک [ابن عبدالرحمن بن عزرب] عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد».

﴿وَيُكْرِهُ الصَّيْرُ﴾: على البلبا والريازا، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيداً وملكاً، ﴿وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: في الآخرة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمان، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محاضر بن المورع أخبرنا سعد بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تُصيب عبداً فيقول: إنا لله

وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتى، وأخلف له خيراً منها»، قالت: فلما توفي أبو سلمة عزّم الله لي فقلت: اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها، [قالت]: فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة، يعني: الاسترجاع، ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأَسَّى عَلَى يَوْسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿أُولَٰئِكَ﴾: أهل هذه الصفة: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، صلوات: أي: رحمة، فإن الصلاة من الله رحمة، و «رحمة» ذكرها الله تأكيداً، وجميع الصلوات، أي رحمة بعد رحمة، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نِعَمُ الْعِدْلَانِ وَنِعَمُ الْعِلَاوَةِ فَالْعِدْلَانِ: الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية، وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجبر الصابرين، منها ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صَعَصَعَةَ أَنَّهُ

قال: سمعت أبا الحُبَاب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصَبِّ منه».

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا [أحمد] بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن خَلْحَلَة، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «ما يُصِيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذىٍ ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشَاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

جاءت امرأة بها لَمَمٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يشفيني، قال: «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك»، قالت: بل أصبر ولا حساب علي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبدالرحمن بن أبي نزار، أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي، أخبرنا أحمد بن نجدة

أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الجُماني، أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي التَّجُود، عن مصعب بن سعد عن سعد، قال:

سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أشدَّ الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأُمُلُ فالأُمُلُ، يبتلى الله الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلأً ابْتُلِيَ على قدر ذلك، وإن كان في دينه رقةٌ هُوَنَ عليه، فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وما له ذنب».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح قال: حدَّثني الليث حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك:

عن النبي ﷺ، أنه قال: «إِنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، فَإِنَّ الله إذا أَحَبَّ قومًا ابتَلَاهُم، فمن رضي فله الرِّضَا، ومن سخط فله السُّخْطُ».

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده، حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو الحسين علي بن

محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا أبو [علي] إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُفِيثُهُ، ولا يزال المؤمن يُصِيبُهُ البلاء، ومَثَلُ المنافق كمثل شجرة الأُزْة لا تهتز حتى تُسْتَحْصَد».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن العِزَّار بن حُرَيْث عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يُؤَجَّر في كل أمره حتى يُؤَجَّر في اللقمة يرفعها إلى فيِّ امرأته».

﴿١٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ﴾، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، يقال صفاة وصفى، مثل: حصاةٌ وحصيٌّ ونواةٌ ونوىٌّ، والْمَرْوةُ: الحجر الرخو، وجمعها: مَرْوَاتٌ، وجمع الكثير: مرو، مثل: تمرّة وتمرّات وتمر، وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام

دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدها شعيرة، وكل ما كان مُعْلَمًا لقربان يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة، فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر لله ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر ههنا: المناسك التي جعلها الله إعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعاً، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾، فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين: قصد زيارة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، أي: لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي: مال عن القصد، ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾، أي: يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء. وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكُسرَت الأصنام كان المسلمون يتخرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله، واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة، وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه تطوع، وهو قول ابن عباس، وبه قال ابن سيرين ومجاهد، وإليه ذهب سفيان الثوري

وأصحاب الرأي، وقال الثوري وأصحاب الرأي على مَنْ تَزَكَّه دَمٌ، واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوقاب بن محمد الكسائي الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبدالله بن مؤمل العائذي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيصن، عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي تجرة اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبدالدار. قالت:

دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين فنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة، فرأيتني يسعى وإن مثزره ليدور من شدة السعي، حتى لأقول: إني لأرى ركبتيه، وسمعته يقول: «اسْعُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال:

قلت لعائشة زوج النبي ﷺ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾، فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول، كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لِمَنَاةَ وكانت مناة جذو قديد، وكانوا

يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال عاصم: قلت لأنس بن مالك: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر بن عبدالله أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول: «تَبَدُّا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ»، فبدأ بالصفا، وقال: كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، يصنع ذلك ثلاث مرات، ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك، وقال: كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه.

قال مجاهد رحمه الله: حج موسى عليه السلام على جبل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان قطاف بالبيت، ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى المسعى وهو يلتي فيقول: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، فقال الله تعالى: لَبَّيْكَ عِبْدِي، أنا معك، فخر موسى

توبتهم، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: الرجاء بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي، ﴿الرَّحِيمُ﴾: بهم بعد إقبالهم علي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَأْوَاهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ غَظَاءُ اللَّهِ وَالْعَذَابُ﴾، أي: لعنة الملائكة ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فليعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم يلعه الناس، فإن قيل: فقد قال ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه.

﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللغة وقيل في النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا تُمْ يَطْرُوكَ﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون، وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦].

﴿قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾﴾، سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وأنسبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص، والواحد: الطي لا نظير له ولا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر

فوق ما يستحق، يشكر اليسر ويعطي الكثير.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُنَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾﴾، نزلت في علماء اليهود [حين] كتبوا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من [سائر] الأحكام التي كانت في التوراة، ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾، وأصل اللعن الطرد والبعد، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْيَهُودُ﴾، أي: يسألون الله أن يلعنهم ويقولون:

اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء: الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله، وقال ابن مسعود: ما تلاعنَ اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتبوا أمر محمد ﷺ وصفته، وقال مجاهد: اللاعنون: البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وقالت: هذا من شؤم ذنوب بني آدم، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: ممن الكفر، ﴿وَأَسْلَمُوا﴾: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم، ﴿وَيَبْتَغُوا﴾: ما كتبوا، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أتجاوز عنهم [جميع سيئاتهم] وأقبل

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي الْبَطْنِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَفْئِدَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَطْنِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَكًا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتَةٍ وَتَعْرِيفٍ لِرُوحِ النَّاسِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَزِيدُونَ الْعَذَابَ أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٠﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوَ أَنَّا لَكَاكِرَةٌ فَتَبَرَّأْنَا فَمِنْهُمْ مَن تَبَرَّأَ وَأَمَّا كَذَلِكَ فَرِيضَةُ اللَّهِ أَعْتَابَهُمْ حَسْرَتٌ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٢﴾ يٰ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ يَنْتَضِيَ خُطُوبُ النَّاسِ وَلَكُمُ عَذَابٌ يُؤْتِيهِمْ إِنَّمَا يَمُرُّكُمُ بِالسُّورَةِ وَالْفَحْشَةِ وَأَنْ تَقُولُوا لَعَنَ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾

عليه السلام ساجداً. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، [وكذلك الثانية: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾] [البقرة: ١٨٤]، بمعنى: يتطوع، ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الباقر بالتاء، وفتح العين في الماضي، وقال مجاهد: معناه ومن تطوع بالطواف بالوصف والمروة، وقال مقاتل والكلبي «فمن تطوع»، أي: زاد في الطواف بعد الواجب، وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحجّة الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾، مجاز لعبد بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبد

الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا مكي بن إبراهيم وأبو عاصم، عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم: ﴿وَاللَّهُمَّ اكْفِنا بِهَذَا﴾، ﴿إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، و﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾» [البقرة: ٢٥٥].

قال أبو الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول: إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات: سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر والنبات. قوله تعالى: ﴿وَإِخْتَلَفَ الْأَلْبَنُ وَالْهَاجِرُ﴾، أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء ي خلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر [خلفه]، أي: بعده، نظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حُلَّةً﴾ [الفرقان: ٦٢]، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة

والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآئِدَةً لَهُمْ أَلْيَلٌ مُسَلَّخٌ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَالَّذِي أَلَّى بِجَهَنَّمَ فِي الْآخِرِ﴾، يعني: السفن واحده وجمعه سواء، فإذا أريد به الجمع يؤنث، وفي الواحد يُذكر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: ﴿إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْفَلَكُ الْكَاشِفُ﴾ [الصافات: ١٤٠]، وقال في الجمع والتأنيث: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي الْفَلَكِ وَجَّهْتَ بِهِ رِيحَ طَبَقَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَالَّذِي أَلَّى بِجَهَنَّمَ فِي الْآخِرِ﴾ الآية فهي الفلك: تسخيرها وجريانها على وجه الماء، وهي موقرة لا ترسب تحت الماء، ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، يعني: ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب، ﴿وَمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾، يعني: المطر، قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل، وقيل: أراد به السماء المعروفة، يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض، ﴿فَأَنصَبْهُ﴾، أي: بالماء يسها وجدوبتها، ﴿وَرَبَّ فِيهَا﴾، أي: فرق فيها ﴿مِنْ كُلِّ ذَاكِبَةٍ وَتَرْفِيفِ الْبَرْقِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿الْبَرْقِ﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف، وكل ریح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام، اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات:

﴿الْريحُ الْعَقِيمُ﴾ [الذاريات: ٤١]، اتفقوا على توحيدها، وفي الحرف الأول من سورة الروم: ﴿الْريحُ مُبَيَّرَتٌ﴾ [الروم: ٤٦]، اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرهما على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح تذكر وتؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال، والقُبول والُدُبور والنكباء، وقيل: تصريفها أنها تارة تكون لينا، وتارة تكون عاصفاً، وتارة تكون حاراً، وتارة بارداً، قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء، وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس، قال شريح القاضي: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح، والبشارة في ثلاث من الرياح: في الصبا والشمال والجنوب، أما الدُبور فهي الريح العقيم، لا بشارة فيها، وقيل: الرياح ثمانية، أربعة للرحمة، وأربعة للعذاب، فأما التي للرحمة: فالمبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات، وأما التي للعذاب: فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾، أي: الغيم المذلّل، سُمي سحاباً لأنه ينسحب، أي: يسير في سرعة كأنه يُسحب أي يُجَرّ، ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنُ لِقَؤُهُمْ يَقُولُونَ﴾، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً، قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يُدرى من أين تجيء، الرعد والبرق والسحاب.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَن يَكْفُرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْئَادًا﴾، أي: أصناماً يعبدونها. ﴿يُحْيِيهِمْ كَضَبٍ﴾

اللَّهُ»، أي يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله، فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي: أثبت وأدوم على حُبِّه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن الكافر يُعرض عن معبوده في وقت البلاء ويُقبل على الله تعالى، كما أخبر الله عزَّ وجلَّ عنهم فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ لَكَ اللَّهُ غُلَظِيضٌ لَهُ الْذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، والمؤمن لا يُعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، قال سعيد بن جبیر: إن الله عزَّ وجلَّ يأمر يوم القيامة من أحرقت نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم، فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم، فيقتحمون فيها فينادي منادٍ من تحت العرش: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وقيل: إنما قال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَى الذِينَ ظَلَمُوا﴾، قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ﴿ولو ترى﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب ﴿وَلَوْ﴾ ههنا محذوف،

ومثله كثير في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ﴾ [الرعد: ٣١] الآية، يعني: لكان هذا القرآن، فمن قرأ بالتاء معناه: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم في شدة العذاب، لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه: قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا، أي: أشركوا في شدة العقاب، لرأيت أمراً فظيماً، ومن قرأ بالياء معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب، أي: ولو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب، لعرفوا مضرة الكفر، وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم، قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرْوُونَ﴾، قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها، ﴿الْعَذَابِ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، أي: بأن القوة لله جميعاً معناه: لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعاً، وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿إن القوة﴾ و﴿إن الله﴾ بكسر الالف على الاستئناف، والكلام تام عند قوله: ﴿إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابِ﴾، مع إضمار الجواب.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ الذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾، هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأنبياء، فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس، ﴿وَنَقَطَ لَهُمْ﴾، أي: عنهم ﴿الْأَسْبَابَ﴾، أي: الروصلات التي كانت بينهم في الدنيا، من القربابات والصدقات، وصارت مُخَالَتَهُمْ عداوة، وقال ابن جريج:

الأرحام؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا أَشَابَ يَتَنَهَرُ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأً تَنُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وأصل السبب ما يُوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة وبيعة، يقال للحبل: سبب، وللطريق: سبب.

﴿وَقَالَ الذِينَ اتَّبَعُوا﴾، يعني: الأنبياء ﴿لَوْ أَنَّكَ لَنَا كَرَّةٌ﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَتَقَبَّرَ بِهِنَّ﴾، أي: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾: اليوم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما أراهم العذاب، كذلك ﴿يُرِيهِمْ اللَّهُ﴾، وقيل: كَتَبَرُوا بعضهم من بعض، يُرِيهِمُ الله: أَعْتَلَهُمْ حَرَرِيًّا: ندامات ﴿عَلَيْهِمْ﴾، جمع حسرة، قيل: يُرِيهِمُ [الله] ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ، فلما عَذَّبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا، قال السدي: تُرْفَعُ لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم [وقصورهم] فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون ﴿وَمَا هُمْ بِخَافِرِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن

صوتاً ﴿وَنَذَكَّهُ﴾، فأضاف المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَنَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، معناه: كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت، فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناق، وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك و يقبلون الكلام لاتضاح المعنى عندهم، يقولون: فلان يخافك خوف الأسد، أي: كخوفه الأسد، وقال تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَقَاعَهُ لَتَتَوَّأ بِالْعَصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، وإنما العصبه تنوء بالمفاتيح، وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناق بالغنم، فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والتداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمثل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتاً يقال له الصدى لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية: كمثل الذي ينق بما لا يسمع منه الناق إلا دعاء ونداء. ﴿سَمَّ﴾، تقول العرب لمن [لا يسمع، ولا يعقل] كأنه أصم،

﴿بَنَكَمْ﴾، عن الخير لا يقولونه، ﴿عَتَى﴾، عن الهدى لا يبصرونه، ﴿فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿١٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. حلالات

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو محمد و عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجيب لذلك».

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على نعمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَشْكُرُونَ﴾، ثم بين المحرمات فقال:

﴿١٧٣﴾ ﴿إِنَّا حَرَمْنَا عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿الْمَيْتَةَ﴾ في كل القرآن بالتشديد، والباقون يشددون البعض، والميتة: كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح، ﴿وَالَّذِمَّ﴾، أراد به السدم الجاري، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، واستثنى الشرع من الميتة السمك

والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلها.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ، المِيتَتَانِ: الحوت والجراد، والدمان: أحسبه قال: الكبد والطحال».

﴿وَلَكُمْ الْخَيْرُ﴾، أراد به جميع أجزائه، فعبّر عن ذلك باللحم لأنه معظمه، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَيْتَرِ اللَّهِ﴾، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، ولأن المشركين كانوا إذا ذبحوا لألهتهم [شيئاً] يرفعون أصواتهم بذكرها، فجري ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مهل، وقال الربيع بن أنس وغيره: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَيْتَرِ اللَّهِ﴾، قال: ما ذكر عليه اسم غير الله، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾، بكسر النون وأخواته، عاصم وحمزة، ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ويعقوب إلا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمن كسر قال لأن الجزم يحرك إلى الكسر، ومن ضم فلهضم أول الفعل، نقل حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إلى أكل الميتة، أي:

أحوج وألجى إليه، ﴿غَيْرَ﴾، نُصِبَ على الحال، وقيل: على الاستثناء، وإذا رأيت (غير) يصلح في موضعها «لا» فهي حال، وإذا صلح في موضعها «إلا» فهي استثناء، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَاوٍ﴾، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغياً إذا تراءى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم والمجاوزة الحد، يقال: عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم، واختلفوا في معنى قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَاوٍ﴾، فقال بعضهم: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: غير خارج على السلطان، ﴿وَلَا عَاوٍ﴾، [أي: ولا] متعد عاص بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو الفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن [في إباحته] له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، فقال الحسن وقتادة: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [لا يأكله] من غير اضطرار ﴿وَلَا عَاوٍ﴾، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: غير طالباها وهو يجد غيرها، ﴿وَلَا عَاوٍ﴾، أي: غير متعد ما حُدَّ له، [فما يأكل] حتى يشبع، ولكن يأكل منها قوتاً مقداراً ما يسد به رَمَقَهُ، وقال مقاتل بن حيان ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: مستحل لها، ﴿وَلَا عَاوٍ﴾، أي: متزود منها، وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: غير مجاوز للقدر

الذي أُجِّلَ له، ﴿وَلَا عَاوٍ﴾، أي: لا يُقَصِّر فيما أُبيح له فيدعه، قال مسروق: من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار، واختلف العلماء في مقدار ما يَحِلُّ للمضطر أكله من الميتة، فقال بعضهم: مقدار ما يسد رَمَقَهُ، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه، والقول الآخر: يجوز أن يأكل حتى يشبع، وبه قال مالك رحمه الله تعالى، وقال سهل بن عبد الله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ مفارق للجماعة، ﴿وَلَا عَاوٍ﴾ مبتدع مخالف للسنة، ولم يُرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فلا حرج عليه في أكلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، لمن أكل في حال الاضطرار، ﴿رَحِيمٌ﴾، حيث رخص للعباد في ذلك.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾﴾، نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يُصَيِّبون من سفلتهم الهدايا والمأكَل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، ولما بُعث محمد ﷺ من غيرهم، خافوا ذهاب مأكَلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغَيَّرُوهَا، ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغيّر وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ ونبوته، ﴿وَنَسُوا نِعْمَ اللَّهِ﴾، أي: بالمكتوم

﴿فَتَنَّا قَلِيلًا﴾، أي: عوضاً يسيراً، يعني: المأكَل التي يُصَيِّبونها من سفلتهم، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، يعني: إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه يصير ناراً في بطونهم، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب [والخطايا]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَشْرَكُوا الشَّكْلَةَ بِالْهَدْيِ وَالْمَذَابِ بِالْمَقْفُورَةِ فَتَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، قال عطاء والسدي: هو ما الاستفهام معناه: ما الذي صبرهم على النار؟ وأي شيء يصبرهم على النار حتى تركوا الحق وآتبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجراهم على العمل الذي يُغَيِّرُهُم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على [عمل] أهل النار، أي: ما أدومهم عليه.

﴿وَأُولَئِكَ يَأْنِ أَنْ تَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، يعني: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون ﴿وَأُولَئِكَ﴾ في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم، ﴿يَأْنِ أَنْ تَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، أي: لأن الله نزل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا بُيُوتَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبُيُوتِ وَالْمُؤْتُونَ وَحِينَ النَّبَأِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ أَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ أَهْلَهُمْ هُنَا وَمِنْ الْأَمْثِلِ الْعَصَا فِي الْقُلَلِ الْمَرْبُوعَةِ وَالْمَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَفْئِ بِالْأَفْئِ فَمَنْ عَفَىٰ لَمْ يَنْفَعِ شَيْءٌ فَلْيَاكُفْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَائِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حُكْمٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْضَرَكُمْ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا أَلَوْصِيَّةً لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

٢٧

معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله، من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿البقرة: ٦﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، أي: في خلاف وضلال بعيد.

﴿قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا بُيُوتَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، قرأ حمزة وحفص: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الراء، والباقون برفعها، فمن رفعها جعل البر اسم ليس وخبره في قوله: ﴿أَنْ تُولُوا﴾، تقديره: ليس البر توليتكم بوجوهكم. ومن نصب جعل ﴿أَنْ تُولُوا﴾ في موضع الرفع على اسم ليس تقديره: ليس توليتكم

وجوهكم البر كله؛ كقوله تعالى: ﴿تَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا﴾ [الجاثية: ٢٥]، والبر: كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق، وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم،

ولكنه ما بينه في هذه الآية، وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون، وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، فلما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض، وحدت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾، أي: [كل البر] أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا [على] غير ذلك، ﴿وَلَكِنْ﴾، وعلى ما ذكر في هذه الآية، وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك، ﴿وَلَكِنْ الْبِرُّ﴾، قرأ نافع وابن عامر، ﴿وَلَكِنْ﴾، خفيفة النون ﴿الْبِرُّ﴾، رفع، وقرأ الباقر بتشديد النون ونصب البر، قوله تعالى: ﴿مَنْ

آمَنَ بِاللَّهِ﴾، جعل ﴿مَنْ﴾ وهي اسم خبر للبر هو فعل، ولا يقال: البر زيد، واختلفوا في وجهه، قيل: لما وقع ﴿مَنْ﴾ في موضع المصدر جعله خبراً للبر، كأنه قال: ولكن البر الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل، وأنشد الفراء:

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتْيَانُ إِنْ تَبَتِ اللَّحَىٰ
ولكنما الفتیان کل فتی ندی
فجعل نبات اللحية خبراً للفتى، وقيل: فيه إضمار، تقديره: ولكن البر [بر] من آمن بالله، فاستغنى بذكر الأول عن الثاني؛ كقولهم: الجود حاتم، أي: الجود جود حاتم، وقيل معناه: ولكن ذا البر من آمن بالله؛ كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: ذوو درجات، وقيل معناه: ولكن البار من آمن بالله؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، أي: للمتقي، والمراد من البر ههنا الإيمان والتقوى، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْآخِرَةِ﴾: كلهم، يعني: الكتب المنزلة، ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: أجمع، ﴿وَآتَى النَّالَ﴾، أي: أعطى المال على (حبه) اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير إنها راجعة إلى المال أي أعطي المال في حال صحته ومحبهه المال، قال ابن مسعود: أن تؤتیه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا [موسى بن إسماعيل] أخبرنا

عبدالواحد، ثنا عمار بن القعقاع أنا أبو زرعة، أخبرنا أبو هريرة قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان».

وقيل: هي عائدة إلى الله عز وجل، أي: على حب الله تعالى، ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: أهل القرابة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المجبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن غيبة، عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين، عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر، يبلغ به النبي ﷺ قال:

«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ لَشَاغِبُونَ﴾، قال مجاهد: يعني المسافرين المنقطع عن أهلهم يمرّ عليك، ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

﴿وَالشَّالِطِينَ﴾، يعني: الطالبين. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب

عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن أبي بُجيد الأنصاري، وهو عبدالرحمن بن بُجيد، عن جدته وهي أم بجيد:

أن رسول الله ﷺ قال: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحْرَقٍ»، وفي رواية: قال لها رسول الله ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِي شَيْئاً إِلَّا ظُلْفاً مُحْرَقاً فَادْفَعِي إِلَيْهِ».

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق النسيئة وفك الرقبة، وقيل: فداء الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: وأعطى الزكاة ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ﴾: فيما بينهم وبين الله عز وجل، وفيما بينهم وبين الناس، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، [وإذا عاهدوا أوفوا]، وإذا قالوا صدقوا وإذا اتَّخَذُوا أَدْوَاءَ واختلَفُوا في رفع قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾، قيل: هو عطف على خبر، ومعناه: ولكن ذا البسر: المؤمنون والموفون بعهدهم، وقيل: تقديره وهم الموفون [بعهدهم] كأنه عدّ أصنافاً، ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل: رفع على الابتداء والخبر، يعني: وهم الموفون، ثم قال: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، وفي نصيبها أربعة أوجه، قال أبو عبيدة: نصيبها على تطاول الكلام، ومن شأن العرب أن تغيّر الإعراب إذا طال الكلام والنسق، ومثله في سورة النساء: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وفي سورة المائدة: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وقيل:

معناه: أعني الصابرين، وقيل: نصيبه نسقاً على قوله ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾، أي: وآتي الصابرين، وقال الخليل: نصب على المدح، والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون أفراد الممدوح والمذموم، فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه، فالمدح كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ١٦٢]، والذم كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ لَشَاغِبُونَ﴾ [الأحزاب: ٦١]، قوله تعالى: ﴿فِي الرِّقَابِ﴾، أي: الشدة والفقر، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾: المرض والزمانة، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، أي: القتال والحرب.

أخبرنا المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضَرَّب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال:

كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتفقنا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، يعني: إذا اشتدّ الحرب ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ صَلَفُوا﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا عَنكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، قال الشعبي والكلبي وقناة: نزلت هذه الآية في حَيِّينَ من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكانت

بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض، حتى جاء الإسلام، قال مقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بين الأوس والخزرج، قالوا جميعاً: وكان لأحد الحَيَّين على الآخر طَوْل في الكثرة والشرف، وكانوا يتكحون نساءهم بغير مهور، فأقسموا لقتلن بالبعد منا الحُرَّ منهم، وبالمراة منا الرجل منهم، وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضِعْفِي جراحات أولئك، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالمساواة [بينهم]، فرضوا وأسلموا، قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، أي: فُرض عليكم القصاص، ﴿فِي الْقَتْلِ﴾، والقصاص: المُساواة والمُماثلة في الجراحات والديّات، وأصله من قصّ الأثر إذا اتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾، وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان في الأحرار المسلمين، أو العبيد من المعاهدين أو العبيد منهم، قُتل من كل صنف منهم الذكر إذا قُتل بالذكر والأنثى، وتُقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يُقتل مؤمن بكافر ولا حرٌّ بعبد، ولا والدٌ بولد ولا مسلم بذي، ويُقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحرّ والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد

الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مُطَرِّف عن الشعبي عن أبي جُحَيْفَةَ قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي شيء سوى القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَة، إلا أن يُؤتي الله عبداً فهُماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: [العقل] فكأنك الأسير، ولا يُقتل مؤمنٌ بكافر».

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقام الحدودُ في المساجد ولا يُقاد بالولد الوالد».

وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يُقتل بالذمي، وإلى أن الحرَّ يُقتل بالعبد، والحديث حجة لمن لم يُوجب القصاص على المسلم يقتل الذمي، وتُقتل الجماعة بالواحد، رُوي عن سعيد بن المسيّب: أن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال: لو تَمَّألاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً، ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس، إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يُقتل بالمرضى والزَّمن، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاءً أو ناقصة بإصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرتين، ولا يجري بين الذكر والأنثى، ولا بين العبيد،

ولا بين الحرّ والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مَقْيَسٌ على النفس.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبدالله بن منير أنه سمع عبدالله بن بكر السهمي، أخبرنا حميد عن أنس ابن النضر [بن مالك]:

أن الرُّبَيْعَ عمته كسرت ثنيةً جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأَرشَ فأبوا فاتوا رسول الله ﷺ، فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتُكسر ثنية الرُّبَيْعِ، لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتابُ الله القصاصُ»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: تَرَكَ لَهُ وَصَفَحَ عَنْهُ مِنَ الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالذية، هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل العمد، وقوله: ﴿مَنْ أَخِيهِ﴾، أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنائتان في قوله: ﴿لَهُ﴾ و﴿مَنْ أَخِيهِ﴾، ترجعان إلى ﴿مَنْ﴾ وهو القاتل، و[في] قوله ﴿شَيْءٌ﴾ دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القَوْدُ لأن شيئاً من الدم قد بَطُلَ. قوله تعالى: ﴿فَالْيَاكُفُورُ﴾، أي: على الطالب للدية

أن يتبع بالمعروف فلا يُطالب بأكثر من حقه، ﴿وَأَذِلَّةٌ لِذِي الْإِحْسَانِ﴾، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مُماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه، ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين: أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية، فله أخذ الدية، وإن لم يرض به القاتل، وقال قوم: لا دية له إلا برضى القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي:

أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل، وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخْتَفِي عَنْ رَيْبِكُمْ وَرَحْمَةً﴾، أي: ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم [فيها] القصاص، فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفاً منه ورحمة، ﴿فَمَنْ

أَشَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية، ﴿فَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل؛ لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، وقال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، أي: بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قُتل يُقتل، يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم بقتله، [وقيل في المثل: القتل أنفى للقتل]، وقيل معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتض من الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة، ﴿يَتَأُولُوا الْأَلْبَابَ لَكُمْ أَنْتُمْ تَشْهَوْنَ﴾، أي: تنتهون عن القتل مخافة القود.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: فرض عليكم، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أي: جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أي: مالا، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفَعُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢ و ٢٧٣]، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلزَّوْجَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نُسخت بآية الميراث.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد، أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال:

كنت أخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».

فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون، وبقي وجوبها في حق [الأقارب] الذين لا يرثون من الوالدين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن، قال طاوس: من أوصى لقوم سَمَاهم وترك ذوي قرابته محتاجين، انتزعت منهم ورثت إلى ذوي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حق الكافة، وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد، أخبرنا [أبو] إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن نافع عن ابن عمر:

أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه». قوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، يريد: يوصي بالمعروف فلا يزيد على الثلث، ولا يوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفَ أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَسَّكُمْ تَنْقُوتٌ ﴿٢٣٠﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣١﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْوَعْدَ وَلِتُزَكِّيَ عَنْكُمْ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٢٣٣﴾

٢٨

لأخجل فالأخجل، أي: الأحوج فالأحوج.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري، عن سعد [بن إبراهيم عن عامر بن سعيد] عن سعد بن مالك قال:

جاءني النبي ﷺ يعودني فقلت: يا رسول الله أوصي بمالي كله، قال: «لا» قلت: فالشطر، قال: «لا» قلت: فالثلث، قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم غالة يتكفؤن الناس بأيديهم».

وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن

أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، وإن هذا شيء يسير فاتركه لعيالك. وقال علي رضي الله عنه: لأن أوصي بالخمسة أحب إلي من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: يُوصى بالسدس أو

الخمس أو الربع. وقال الشعبي: إنما كانوا يُوصون بالخمسة أو الربع. قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ نُصَبَ عَلَى المصدر، وقيل: على المفعول، أي: جعل الوصية حقاً، ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: المؤمنين.

﴿٢٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَدَّلُكُمْ﴾، أي: غير الوصية في الأوصياء أو الأولياء أو الشهود، ﴿بَعْدَمَا يَتَمَرَّ﴾، أي: بعد ما سمع قول الموصي، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة، قيل: الكناية راجعة إلى الإيضاء؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْظِعَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، رد الكناية إلى الوعظ، ﴿فَإِذَا أَتَاهُمْ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ﴾، والميث بريء منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْبِرُ﴾، لما أوصى به الموصي، ﴿عَلِيمٌ﴾: بتبديل المبدل أو سمع لوصيته عليم بنيته.

﴿٢٣٣﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾،

أي: علم؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَّاءُ خُدُوعَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي: علمتم، ﴿مِنْ مَوْصٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد؛ كقوله تعالى: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نوحًا﴾ [الشورى: ١٣] و﴿وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد؛ كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ﴿وَالَّذِي يَدُلُّ وَيُوصِيكُمُ يَوْسَىٰ بِهَا أَوْ دَينُ﴾ [النساء: ١١، ١٢]، ﴿جَنَفًا﴾، أي: جوراً وعدولاً عن الحق، والجنف: الميل، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، أي: ظلماً، وقال السدي وعكرمة والربيع: الجَنَفُ: الخطأ، والإثم: العمد، فأصلح بينهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، واختلفوا في معنى الآية، قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يُوصي فَرَأَ يميل إمامتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها، فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف، فينظر [للموصي] والورثة، وقال الآخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميث في وصيته أو جار متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يُصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق لهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أي: لا حرج عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال طاووس: جَنَفُهُ توليجه، وهو أن يُوصي لبني بنيه، يُريد ابنه أو لولد ابنته ولزوج ابنته يُريد بذلك ابنته، وقال الكلبي: كان الأولياء

والأوصياء يُمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَكُمْ بَدْلَكُمْ سِعَةً﴾ [البقرة: ١٨١] الآية، وإن استغرق المال كله، ولم يبق للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين والأقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الوصي أن يوصلح، فانتزع الله تعالى ذلك منهم، ففرض الفرائض.

زوي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل يعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيصاران في الوصية فتجب لهما النار»، ثم قرأ أبو هريرة ﴿وَبِئْسَ بَدْلًا وَصِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ [النساء: ١١ و١٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أي: فُرض وأوجب [و] الصوم والصيام في اللغة: الإمساك، يُقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهر، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سوية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، أي: صمتاً، لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة: الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه، قال سعيد بن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء

الإسلام، وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى، كما فُرض علينا، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا، فصار أربعين [يوماً]، ثم إن ملكاً لهم اشتكى فمه، فجعل الله عليه إن هو بريء من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فبريء، فزاد فيه أسبوعاً، ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزادوا فيه عشرة قبل وعشرة بعد، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يُشك فيه، فيقال من شعبان، ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض الله عليهم شهر رمضان فصاموا [قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً]، ثم لم يزل القرن الآخر يستن ستة القُرْن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَى﴾، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: ﴿لَكُمْ تَقْوَى﴾ تحذرون [عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع].

﴿إِنَّمَا مَقْدُورُهُ﴾، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نُسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نُسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد بن إسحاق: كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة.

حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فُرض رمضان كان هو القريضة، وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وقيل: المراد من قوله: ﴿إِنَّمَا مَقْدُورُهُ﴾: شهر رمضان، وهي غير منسوخة، ونصب ﴿إِنَّمَا﴾ على الظرف، أي: في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خبر ما لم يسم فاعله، ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ نَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾، أي: فأفطر فعدة ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ﴾، أي: فعليه عدة [من أيام أخر]، والعدد والعدة واحد من أيام أخر، أي: غير أيام مرضه وسفره،

و﴿أَمْرٌ﴾ في موضع خفض، لكنها لا تنصرف، فلذلك نُصب، قوله تعالى: ﴿وَمَعَ الَّذِيْنَ يُطِيقُوْنَ﴾، اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخْتارين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، خَيرهم الله تعالى لثلاثِ يَشَقَّ عليهم، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نُسخ التخيير ونزلت العزيمة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم، ولكن يشق عليه، رُخص له في أن يفطر ويفدي، ثم نُسخ، وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم، خَير بين أن يصوم وبين أن يفطر ويفدي، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وثبتت الرخصة للذين [لا] يطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكِبَر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس ﴿وعلى الذين يطوقونه﴾ بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي: يُكَلِّفون الصوم، وتأويله: على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يُرجى زوال

مرضه، فهم يُكَلِّفون الصوم ولا يطيقونه، فلهم أن يفطروا ويُطعموا مكان كل يوم مسكيناً، وهو قول سعيد بن جببر، وجعل الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَذِيَّةً طَعَامٌ مِّسْكِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: ﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَعَ اللَّيْمِ﴾ [ق: ٩]، وقولهم: المسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون: «فدية، وكفارة» منونة، و﴿طَعَامٌ﴾ رفع، وقرأ ﴿مَسْكِينٍ﴾ بالجمع هنا، أهل المدينة والشام، والآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون، ومن وُحِدَ خفض النون ونونها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مُدّاً من الطعام بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من القمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يُعطي كل مسكين عشاءً وسحورة، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾، أي: زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاووس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مُدٌّ

فهو خير له، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فمن ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل: هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم، وإن شقَّ عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدي، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مُكَلَّفٍ في إفطار رمضان إلا لثلاثة، أحدهم: يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني: عليه القضاء دون الكفارة، والثالث: عليه الكفارة دون القضاء، أما الذي عليه القضاء والكفارة: فالحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفتران وتقضيان، وعليهما مع القضاء الفدية وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم: لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم التَّخَيُّمي والزهرى، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة: فالمريض والمسافر والحائض والنفساء، وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يُرجى زوال مرضه، ثم بيّن الله تعالى أيام الصيام فقال:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي: كُتِبَ عليكم شهر رمضان، وسُمِّي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان [فقد] قال مجاهد: هو من أسماء الله تعالى، يقال: شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح: أنه اسم للشهر سُمِّيَ به

من الرمضاء، وهي الحجارة المحماة، لأنهم كانوا يصومونه في الحر الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ﴾، سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القرء: الجمع، وقد يحذف الهمز فيقال: قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير «القرآن» بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالنوراة والإنجيل، وزوي عن مقسم عن ابن عباس أنه سئل عن قوله عز وجل: ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الدخان: ٣]، وقد نزل في سائر الشهور، وقال عز وجل: ﴿وَرَوْنَاهَا فَرَقَةً﴾ [الإسراء: ١٠٦]؟ فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ١٧٥]، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكن جبريل كان يعارض

محمدًا ﷺ في رمضان ما أنزل الله إليه، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء ويُنسِيه ما يشاء.

وزوي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضين من [شهر] رمضان»، ويروى «في أول ليلة من رمضان»، وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من [شهر] رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الزبور على داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: من الضلالة، و«هُدًى» في محل التصب على القطع، لأن القرآن معرفة «وهدي» نكرة، «وَيَسِّرَتِ يَمِينَ الْهُدًى»، أي: دلائل واضحة من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، «وَالْقُرْآنَ»، أي: المفروق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر [فليصمه]، اختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، زوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: [لا] يجوز له أن يفطر، وبه قال عبيدة السلماني؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: الشهر كله، وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له الفطر، ومعنى الآية: فمن شهد

منكم الشهر كله فليصمه، أي: الشهر كله، ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه، والدليل عليه: ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه، وكانوا يأخذون بالأحداث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، [و] أعاد هذا الكلام ليُعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ بثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر، وهو قول ابن سيرين، قال طريف بن تمام العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال: إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي: هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعداً، وذهب الأكثرون إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهد الصوم أفطر، وإن لم يجهد فهو كالصحيح، وأما السفر فالفطر فيه مباح، والصوم جائز عند عاقبة أهل العلم إلا ما زوي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير

وعلي بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم في السفر، ومن صام فعليه القضاء.

واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر».

وذلك عند الآخرين في حق من يُجهد الصوم، فالأولى له أن يفطر، والدليل عليه ما:

أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم، أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت محمد بن عمرو بن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله قال:

كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: «ما هذا؟» قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصوم في السفر».

والدليل على جواز الصوم: ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو نعيم الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبيد الله القواريري، أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجزييري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:

كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم.

واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، روي ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المنسب

والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل، وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس، وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرهما عليه؛ لقوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»، وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبدالعزيز.

ومن أصبح مقيما صائما ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أما المسافر إذا أصبح صائما فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبدالعزيز بن محمد عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس معه فقل له: يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام، فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس، وصام بعض، فبلغه أن أناسا صاموا فقال: «أولئك العصاة».

واختلفوا في السفر الذي يُبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ»، بإباحة الفطر في المرض والسفر، «وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»، قرأ أبو جعفر «العسر واليسر» ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون، وقال الشعبي: ما خيّر رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل، «وَلْيُكْفِلُوا الْيُسْرَةَ»، قرأ أبو بكر بتشديد الميم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَيَسِّرَ اللَّهُ لِي الْأَمْرَ» [المائدة: ٣]، والواو في قوله تعالى: «وَلْيُكْفِلُوا الْيُسْرَةَ» واللام لا مكي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي: لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتكم في مرضكم وسفركم، وقال [عطاء]: «وَلْيُكْفِلُوا الْيُسْرَةَ»، أي: عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر:

أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين، إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أغمي عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا».

«وَلْيَكُونُوا لِلَّهِ» : ولتعظموا الله، «عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ» : أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخضكم به دون سائر أهل الملل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً فذكره التلبية، «وَلَمَّا كُمُتُمْ فَتَنَكَّرُوا» : الله على نعمه [التي خضكم بها]، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبدالعزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَفُتِّحَتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراح، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد

المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء، أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجَنِّ وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ».

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد الثَّغِينِي المصري بها المعروف بأبي النحاس قيل له: أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العنزي البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار، حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار، أخبرنا أبو جعفر

أحمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي، أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال:

خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ أَظْلَمُكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ». [وفي رواية: «قد أظلمكم»، بالطاء: أظلم: أشرف]، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه وقيامه ليلاً تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة [أي المساهمة] وشهر يزداد فيه الرزق، من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يُفطر به الصائمين؟ قال رسول الله ﷺ: «يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَرَ صَائِماً عَلَى مَذَقِهِ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَحَ صَائِماً سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةٍ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ. وَهُوَ شَهْرُ أَوَّلِهِ رَحْمَةً وَأَوْسَطِهِ مَغْفَرَةً وَآخِرِهِ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصَلْتَيْنِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمْ، وَخَصَلْتَيْنِ لَا غَنَى بِكُمْ عَنْهُمَا، أَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمْ فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمض الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يَدْعُ الصائم طعامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ من أجلي، وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عند الله من ريح المسك، الصَّوْمُ جُنَّةٌ الصَّوْمُ جنة».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف، حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد:

عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله

الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن رشدين بن سعد عن حُيَ بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحُبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ [أنه] قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رب إني منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشققني فيه، ويقول القرآن: رب إني منعتك النوم بالليل فشققني فيه فيشفعان».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غَلَطَ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقرب رؤما فنناجيه أم بعيداً فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وفيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم [يا محمد] إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء، كما قال: ﴿وَمَنْ أَوْزَتْ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل [أخبرنا موسى بن إسماعيل]، أخبرنا عبدالواحد عن عاصم عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري قال:

لما غَزَا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرْبِعُوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم».

قوله تعالى: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾، قرأ أهل المدينة غير قالون وأبي عمرو بإثبات الياء فيها في الوصل، والباقيون يحذفونها وصلاً ووقفاً، وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة، وثبت يعقوب جميعها وصلاً ووقفاً، واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط وصلاً ووقفاً، ﴿تَبَسَّطُوا﴾، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيئوا إلي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى: العطاء، ومن العبد: الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي، أي: ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني، ﴿وَلْيَتُوبُوا إِلَىٰ لِقَائِهِمْ يَرْشُدُوا﴾، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، وقوله: ﴿أَنْتُمْ تَسْتَجِيبُونَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد ندعو كثيراً فلا يُجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: أُجِيبْ دعوة الداعي إن شئت؛ كما قال:

﴿كَذِشْتُ مَا تَدْعُونَ إِلَّاءَ إِنْ شَاءَ﴾
[الأنعام: ٤١]، أو أُجِيبَ دَعْوَةَ
الدَّاعِي إِنْ وَافَقَ الْقَضَاءُ، أَوْ أُجِيبَهُ إِنْ
كَانَتْ الْإِجَابَةُ خَيْرًا لَهُ، أَوْ أُجِيبَهُ إِنْ
لَمْ يَسْأَلْ مُحَالًا.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أخبرنا أبو منصور
[محمد بن محمد] بن سمعان أخبرنا
أبو جعفر محمد بن أحمد بن
عبدالجبار الرياني، أخبرنا حميد بن
زنجويه أخبرنا عبدالله بن صالح،
حدثني معاوية بن صالح أن ربيعة بن
زيد حدثه عن أبي إدريس، عن أبي
هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «يَسْتَجِيبُ اللَّهُ
لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قِطْعَةٍ
رَحِمٍ أَوْ يَسْتَعْجَلُ، قَالُوا: وَمَا
الاسْتِعْجَالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَقُولُ
قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ
قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ فَلَا أَرَاكَ تَسْتَجِيبُ
لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْعُ
الدَّعَاءَ».

وقيل: هو عام، ومعنى قوله: **«أُخِيبُ»**، أي: أسمع، ويقال: ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يُعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل: معنى الآية أنه لا يخيب دعاءه فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يُقدَّر له أذخر له الثواب في الآخرة أو كفَّ عنه به سوءاً [في الدنيا]، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا
أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو

جعفر الرياني أخبرنا
حميد بن زنجويه، أخبرنا
محمد بن يوسف، أخبرنا
ابن ثوبان وهو
عبد الرحمن بن ثابت بن
ثوبان، عن أبيه عن
مكحول عن جبير بن نفير
عن عبادة بن الصامت
حدثهم:

أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو كفّ عنه من السوء مثلاً ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

وقيل: إن الله تعالى
يُجيب دعاء المؤمن في
وئخر إعطاء [من يح
ليدعوه فيسمع صوته، ويع
من لا يحبه لأنه يبغض
وقيل: إن للدعاء آداباً وشر
أسباب الإجابة، فمن استك
من أهل الإجابة، ومن أخل
من أهل الاعتداء في الد
يستحق الإجابة.

﴿قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا لَكُمْ تَلَّةَ الْقِيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ سَائِلِكُمْ﴾﴾،
فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكني، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث، فإِنما عني به الجماع، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء، قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أنظر الرجل حلَّ له الطعام والشراب

أَجَلَ لَكُمْ يَسَّةَ الصَّيَاوَةِ الرَّفَّتْ إِلَى فَيْسَاطِكُمْ مِنْ يَأْسٍ
 لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَذَابُكُمْ كَثُفَ تَحْتَانُوتٍ
 أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ تَشْهَرُونَ
 وَاتَّبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ
 الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَا
 مَةَ إِلَى الْأَيْلِ وَلَا تَشْهَرُوا فِيهَا وَأَنْتُمْ عَنْكَافُونَ فِي الْمَسْجِدِ
 تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
 بِالْطَّيْلِ وَتُؤْذُوا بِهَا إِلَى الْكُفَّارِ لِكُلِّ فِرْقَانٍ
 أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ يَسْأَلُونَكَ
 عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِفُ النَّاسِ وَالصَّحْجِ وَلَيْسَ الْبِرُّ
 بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَتَاهَا
 وَأَتَا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقَى اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ وَتَقِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُكُمْ
 وَلَا تَقْتَدَرُوا رَأْيَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٠﴾

إلى أن يصلي العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حُرِّمَ عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعدما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجاءعتُ أهلي، فهل تجد لي من رخصة؟ فقال النبي ﷺ: «ما كنتُ جديراً بذلك يا عمر»، فقام رجال فاعترفوا بمثله، فنزل في عمر وأصحابه: ﴿إِنَّمَا لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ﴾ أي: أباح لكم ليلة الصيام: ﴿أَلَوْفَتْ لَكُمْ لَيْلَتُكُمْ مِنْ يَوْمٍ لَكُمْ﴾ أي: سكن لكم، وَأَنْتُمْ يَوْمَ لَيْلَتِكُمْ، أي:

سكن لهن، دليله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا لَا يُتْرَكُ لَأَيِّمٍ وَلَا مُتْرَكٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجدهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش لكم، وأنتم لحاف لهن، وقال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يوارى الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ ثَلَاثِي دِينِهِ».

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُمْ﴾ أي: تخونونها وتظلمونها بالمجاعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء [رمضان] كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُمْ﴾، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مسح ذنوبكم، ﴿فَاقْبَلُوا بِكُلِّ خَيْرٍ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجاعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة

التي كتب الله لكم، بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقال معاذ بن جبل ابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر، قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾، نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صرمة بن قيس بن صرمة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صرمة، وقال الكلبي: أبو قيس صرمة بن أنس بن صرمة.

وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدمي الطعام، فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخياً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء من صلي العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه إذ هي به قد نام، وكان قد أغيا وكل [من العمل]، فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً»، فذكر له حاله فأغتم لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا

سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف، ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال:

أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فعملوا إنما يعني بهما: الليل والنهار.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال:

لما نزلت ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقاب أسود وإلى عقاب أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل لا يستبين لي، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنْ بَلَغَ الْيُنَادِي بَلِيلَ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَنْدِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»، قال: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى

لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت.

واعلم أن الفجر فجران: كاذب وصادق، فالكاذب: يطلع أولاً مستطيلاً كذب السرحان ويصعد إلى السماء، فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا هناد ويوسف بن عيسى، قالوا: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سودة بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الْقِيَامَ إِلَىٰ آلَيْهِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، فإذا غربت حصل الفطر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن

الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم». قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُلُوا عَنْكُمْ عَنِكَوْنِ فِي الْكِسْفِ﴾ [وقد نويتم الاعتكاف في المساجد وليس المراد عن مباشرتهن في المساجد لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف]، والعكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع: هو الإقامة في المسجد على عبادة الله [تعالى]، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ:

أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الآخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد، فثبوا عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف، ويفسد به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه، ولا يفسد به الاعتكاف عند

أكثر أهل العلم، وهو أظهر قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة: يبطل بها اعتكافه، وهو قول مالك، وقيل: إن أنزل بطل اعتكافه، وإن لم ينزل فلا، كالصوم. وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف، لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله أي: ما منع الله عنها، قال السيدي: شروط الله، وقال شهر بن حوشب: فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، فلا تأتوها ﴿كَذَلِكَ﴾، هكذا ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، قيل:

نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عايش الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً [أنه غلبني عليها] فقال النبي ﷺ للحضرمي:

«أَلَمْ يَبَيِّنْهُ؟» قال: لا، قال: «فَلَمْ يَمِينْهُ»، فانطلق ليحلف، فقال رسول الله ﷺ: «[أَمَا إِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ] لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لِيَلْقِيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ».

أي: لا يأكل بعضكم مَالَ بعض بالباطل، أي: من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل: الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع: قد يكون بطريق الغصب والنهب، وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة، «وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْخُكَّارِ»، [أي: تُلْقُوا أُمُورَ تِلْكَ الْأَمْوَالِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَرْبَابِهَا إِلَى الْحُكَّامِ]، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يُقَالُ: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلاه يدلوه إذا أخرجه، قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بَيِّنَةٌ فيجحد المال، ويخاصم فيه إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور، وقوله: «وَتَذَلُّوا» في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه ولا تدلوا بها إلى الحاكم، وقيل: معناه لا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحاكم، قال قتادة: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم، فإن قضاءه لا يُحِلُّ حراماً، وكان شريح القاضي يقول: إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً، ولكن [لا يسعني إلا أن أقضي] بما يحضرني من البَيِّنَةِ،

وإن قضائي لا يُحِلُّ لك حراماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنُّ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

قوله تعالى: «لَتَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» طائفة «وَمِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْرِ»: بالظلم، وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقطع بها مال أخيه، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: أنكم مبطلون.

قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ»، نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عَثَمَةَ الْأَنْصَارِيِّينَ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْهَلَالِ يَبْدُو دَقِيقاً ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَمْتَلِئَ نُوراً، ثُمَّ يَعُودُ دَقِيقاً كَمَا بَدَأَ وَلَا يَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ»، وهي جمع هلال، مثل رداء وأردية، سُمِّيَ هَلَالاً لِأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ عِنْدَ رَوْيَتِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ اسْتَهِلَّ الصَّبِيُّ إِذَا صَرَخَ حِينَ يُوَلَّدُ، وَأَهْلُ الْقُرُومِ بِالْحَجِّ إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ «فَقَدْ هِيَ مَوْقِفٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ»، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة

والصوم والإفطار وآجال الديون وعُدد النساء وغيرها، فذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا»، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد منه [ويهبط]، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يَجِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ، ويرون ذلك بَرّاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخُمْسِ، وهم قريش وكنانة وخزاعة [وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صَعَصَعَةَ وبنو حضر بن معاوية، سُمُّوا حُمْساً لِتَشَدُّدِهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَالْحِمَاسَةُ الشَّدَّةُ وَالصَّلَابَةُ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْتاً لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: رِفَاعَةُ بْنُ التَّابُوتِ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْبَابِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَ دَخَلْتَ مِنَ الْبَابِ وَأَنْتَ مُحَرَّمٌ؟» فَقَالَ: رَأَيْتُكَ دَخَلْتَ [منه] فَدَخَلْتُ عَلَى أَثَرِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَحْمَسُ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنْ كُنْتُ أَحْمِسيَ فَإِنِّي أَحْمِسي رَضِيْتُ بِهَدْيِكَ وَسَمِيَّتِكَ وَدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يَجِلَّ بينهم وبين السماء شيء، فكان

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ فَتَقْتُلُوهُمْ وَأُخْرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أُخْرِجُوهُمْ وَالذِّفْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ لِلْحَرَامِ حَيْثُ يَقْتُلُونَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ قَاتِلَكُمْ فَكَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩١﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٢﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مِمَّنْ أَعَدَّ عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٣﴾ وَأَنِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْلُوبُوا يَدَيَكُمْ إِلَى الْبُهْلَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَغْلُوا رءُوسَكُمْ فِي حَجِّ اللَّهِ هَدْيٌ يُحِلُّهُ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آذَى مِنْ رَأْسِهِ فَمُذَذًى مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ مِمَّا فِدَا أَيْمَنْتُمْ مِنْ تَحَنُّنٍ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَيَسَامَ لثَمَةً يَوْمَ الْحَجِّ وَسَمِعُوا إِذْ رَأَيْتُمْ نَكَاحَ عَشْرَةِ كَامِلَةٍ ذَكَلَيْنِ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٥﴾

٢٠

بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: [هذه أول آية نزلت في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافة، قاتلوا أو لم يقاتلوا] بقوله: ﴿فَاتَّقُوا الشُّرَكَيْنَ﴾ [التوبة: ٥]، فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا الشُّرَكَيْنَ﴾ قريب من سبعين آية. وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾، أي: لا تبتدؤوهم بالقتال، وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين، ومعنى

الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته، فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء، فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته، حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة، فقال النبي ﷺ: «لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟» قال: «لَأَنِّي رَأَيْتُكَ دَخَلْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَحْمَسُ»، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: «وَأَنَا أَحْمَسُ»، يَقُولُ: «وَأَنَا عَلَى دِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مِنْ ظُهُورِكُمْ﴾»

قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر «البيوت، والغيوب، والجيوب، والعيون، وشيوخاً» بكسر أوائلهن، لمكان الباء، وقرأ الباقر بالضم على الأصل، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «جيوهن» بكسر الجيم، وقرأ أبو بكر وحمزة «الغيوب» بكسر الغين، «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى»، أي: البرُّ يز من اتقى «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنَ الْبُيُوتِ»، [أي]: في حال الإحرام، «وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ».

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة الله، «الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ»، كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى رسول الله ﷺ بالكف عن قتال المشركين، ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قتله منهم

الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام، فصالحهم على أن يرجع غامه ذلك، على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه للعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بما قالوا، وأن يصدوهم عن البيت الحرام، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني محرمين، «الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ»، يعني: قريشاً «وَلَا تَقْتُلُوا»، فتبدؤوا بالقتال في الحرم [وأنتم] محرمين، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُشْكِرِينَ﴾. ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ فَتَقْتُلُوهُمْ﴾،

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾، أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان، ولا من ألقى إليكم السلام، هذا قول ابن عباس ومجاهد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن سهل القهستاني المعروف بأبي تراب، أخبرنا محمد بن عيسى الطرسوسي، أنا يحيى بن بكير أنا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة، عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال:

كان النبي ﷺ إذا بعث جيشاً قال: «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً كبيراً».

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في صلح

قيل: نُسخَت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة: الجَذْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿وَأَنزِلُوهُمْ فِي بَئِثٍ أَنزِلُوهُمْ﴾، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، ﴿وَالَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الْقَتْلِ﴾، يعني: شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوهُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَنْتُمْ أَغْنَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوهم» بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقر بالالف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يحل بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان: قوله ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ﴾، أي: حيث أدركتموهم في الجبل والحرم، وصارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ثم نسخها آية السيف في «براءة»، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿كَذَلِكَ جَاءَ الْكُفْرُ﴾.

﴿فَإِنْ أَتَوْا﴾، عن القتال والكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ كَرِيمٌ﴾، أي: غفورٌ لِمَا سَلَفَ رحيمٌ بالعباد.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، يعني: المشركين، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قُتل، ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، فلا يُعبد شيءٌ دونه، قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير، فقال: ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل [في قوله]: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، فقال: يا ابن أخي لأن أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]... قال: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟ قال: [قد] فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرجل يقتل في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عمر: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس [لكم] غنى عن الملك، ﴿فَإِنْ أَتَوْا﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَلَا عُدُونُ﴾، فلا سبيل ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قاله ابن عباس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْأَعْدَاءُ قُضِيَ فَلَا عُدُونَكُمْ عَلَى﴾

[القصص: ٢٨]، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلا على الظالمين الذين بقوا على الشرك، [وما يفعل بأهل الشرك] من هذه الأشياء لا يكون ظلماً، وسماه عدواناً على طريق المجازاة والمقابلة، كما قال: ﴿مَنْ أَغْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وسُمي الكافر ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا السَّيْرَ﴾، نزلت هذه الآية في غمرة القضاء وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة.

فذلك معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا﴾، يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيت فيه عمرتكم سنة سبع [من الهجرة]، بـ ﴿الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا﴾، يعني: ذا القعدة الذي صُدمتم فيه عن البيت سنة ست، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا﴾: جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والقيصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه: إن بدءوكم بالقتال

في الشهر الحرام فقاتلوه فيه، فإنه قصاص بما فعلوا فيه، ﴿فَمَن أَفْعَدْتُمْ عَلَىٰكُمْ فَأَغْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، وقاتلوه ﴿بِمِثْلِ مَا أَفْعَدْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾، سُمِّيَ الجزء باسم الابتداء على ازدواج الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُوا سِتْرَ سِتْرٍ مِّثْلًا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿١٩٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، قيل: الباء في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ زائدة، يُريد: ولا تلقوا أيديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة عبر بالأيدي عن الأنفس؛ كقوله تعالى: ﴿فِيمَا كَبَبْتُ أَيْدِيكَ﴾ [الشورى: ٣٠]، أي: بما كسبتم، وقيل: الباء في موضعها، وفيه حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي: فلا تأخذوا في ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للإنسان: ألقى بيده إلا في الشرك، واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق، يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بترك الإنفاق في سبيل الله، وهو قول حذيفة والحسن وقادة وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم إنني لا أجد شيئاً وقال

السدي فيها: أنفق في سبيل الله، ولو عقلاً ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ولا تقبل: ليس عندي شيء، وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجل: أمرنا بالنفقة في سبيل الله [تعالى]، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم نفقة في حق خيفة العيلة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا أبو غسان، أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي، أخبرنا واصل مولى أبي عيينة عن بشار بن أبي سيف، عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غصيف قال: أتينا أبا عبيدة نعوذه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَبْعُمائة، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها».

وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعث بغير نفقة، فإذا أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً، فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلحق بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو من المشي، وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد.

قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار، وذلك أن الله تعالى لما أعز [دينه] ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

والتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك ودُفن في أصل سور القسطنطينية، وهم يستسقون به.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة، فيياس من رحمة الله وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِشُونَ رَوْحَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي أحسنوا أعمالكم وأخلاقكم وتفضلوا على الفقراء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا لِلَّهِ وَالْمَرْءَ بِذِيهِ﴾، قرأ علقمة وإبراهيم

النخعي: «وأقيموا الحج والعمرة لله»، واختلفوا في إتمامهما فقال بعضهم: هو أن يُتِمَّهَما بمناسكهما وحُدودهما وسُننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير، وللحج تحللان، وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الزيارة، والحلق، فإذا وجد شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلاث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستبيح جميع محظورات الإحرام إلا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق. قال سعيد بن جبير وطاؤوس: تمام الحج والعمرة أن تحرّم بهما [مُفَرَّدَيْنِ مُسْتَأْنَفَيْنِ] من ديرة أهلك، [وسُئِلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، قَالَ: أَنْ تَحْرَمَ بِهِمَا مِنْ دَوْرَةِ أَهْلِكَ، وَمِثْلُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَالَ قَتَادَةُ: تَمَامُ الْعُمْرَةِ أَنْ تُعْمَلَ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الْحَجِّ، فَإِنْ كَانَتْ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ثُمَّ أَقَامَ حَتَّى حَجَّ فِيهَا مَتَعَةً، وَعَلَيْهِ فِيهَا الْهَدْيُ إِنْ وَجَدَهُ أَوْ الصَّيَامَ [إِنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ]، وَتَمَامُ الْحَجِّ أَنْ يُؤْتَى بِمَنَاسِكَهَا كُلِّهَا حَتَّى لَا يَلْزِمَهُ عَامِلُهُ دَمٌ بِسَبَبِ قِرَآنٍ وَلَا مَتَعَةٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِمْتَامُهَا أَنْ تَكُونَ النِّفَقَةُ حَلَالًا وَيَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ،

وقال سفيان الثوري: [إتمامها] أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة. قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاج قليل. واتفقت الأمة على وجوب الحج [على] من استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العُمْرة، فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقربة الحج في كتاب الله، [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى]: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وبه قال عطاء وطاؤوس ومجاهد وقَتَادَةُ وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه، وذهب قوم إلى أنها سنة، وهو قول جابر وبه قال الشافعي، وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، على معنى أتموهما إذا دخلتم فيهما، أما ابتداء الشروع فيها فتطوع، واحتج من لم يوجبهما بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: «لا، وأن تعتمروا خير لكم».

والقول الأول أصح، ومعنى قوله: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، أي: ابتدؤوهما فإذا دخلتم فيهما فأتتموهما فهو أمر بالابتداء والإتمام، أي: أقيموهما؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَيْتُمَا الْكِبَايِمَ إِلَى آلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: ابتدؤوه وأتموه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن

زنجويه، أخبرنا ابن أبي شيبة، أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم، عن شقيق عن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة».

وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعُمْرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه: الأفراد والتمتع والقِرآن، فصورة الأفراد أن يُفْرَدَ الحج، ثم بعد الفراغ منه يعتمر، وصورة التمتع: أن يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يُحْرَمَ بالحج من مكة، فيحج في هذا العام، وصورة القِرآن أن يُحْرَمَ بالحج والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف، فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه فذهب جماعة إلى أن الأفراد أفضل ثم التمتع ثم القرآن وهو قول مالك والشافعي، لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام

حَجَّةُ الْوُدَّاعِ فَمَنْ مِّنْ أَهْلِ بَعْمَرَةَ، وَمَنْ مِّنْ أَهْلِ بَحْجٍ وَعُمَرَةَ، وَمَنْ مِّنْ أَهْلِ بِالْحَجِّ، وَأَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَجِّ، فَأَمَّا مَنْ أَهْلُ بِالْعُمَرَةَ فَحَلَّ وَأَمَّا مَنْ أَهْلُ بِالْحَجِّ أَوْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمَرَةَ، فَلَمْ يَحْلُ حَتَّى كَانَ يَوْمَ النَّحْرِ.

أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْوَهَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ، أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْعَزِيزُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَلَّالُ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ أَخْبَرَنَا الشَّافِعِيُّ أَخْبَرَنَا مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ وَهُوَ يَحْدُثُ عَنْ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، وَلَا نَعْرِفُ غَيْرَهُ وَلَا نَعْرِفُ الْعُمَرَةَ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْرَدَ الْحَجَّ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْقِرَانَ أَفْضَلُ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ وَاحْتَجُّوا بِمَا:

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ مَلَّاسٍ النَّمِيرِيُّ أَخْبَرَنَا مَرْوَانَ بْنَ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِيَّ أَخْبَرَنَا حَمِيدٌ [قَالَ]: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ:

أَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لِيَكْ بِحَجَّةٍ وَعُمَرَةَ»، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ التَّمَتُّعَ أَفْضَلُ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ، وَاحْتَجُّوا بِمَا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ بَكِيرٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ:

تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوُدَّاعِ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ، [وَأَهْدَى] فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْخُلَيْفَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَهْلُ بِالْعُمَرَةَ ثُمَّ أَهْلُ بِالْحَجِّ، [فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ]، فَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَهْدَى فَسَاقَ الْهَدْيَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ قَالَ لِلنَّاسِ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى فَإِنَّهُ لَا يَحْلُ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ، حَتَّى يَقْضِيَ حَجَّتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَهْدَى فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَيَسْعَى بَيْنَ الصُّفَا وَالْمُرَّةِ وَلْيَقْصُرْ وَلْيَحْلِلْ، ثُمَّ لِيَهْلُ بِالْحَجِّ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ»، فَطَافَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ خَبَّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى أَرْبَعًا فَرَكَعَ حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَانْصَرَفَ فَأَتَى الصُّفَا فَطَافَ بِالصُّفَا وَالْمُرَّةِ سَبْعَةَ أَطْوَافٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ وَنَحَرَ هَدْيَهُ يَوْمَ النَّحْرِ وَأَفَاضَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَهْدَى وَسَاقَ الْهَدْيَ مِنَ النَّاسِ.

وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي تَمَتُّعِهِ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ، فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ ابْنِ

عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ فِي إِحْرَامِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِ «اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ» كَلَامًا مُوجِزًا أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا مِنْهُمْ الْمَفْرُودَ وَالْقَارْنَ وَالتَّمَتُّعَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ مِنْهُ [ﷺ] أَمَرَ تُسَكَّهُ وَيَصْدُرُ عَنْ تَعْلِيمِهِ، فَأَضْيَفَ الْكُلَّ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَمَرَ بِهَا وَأَذِنَ فِيهَا، وَيَجُوزُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ، كَمَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ لَهُ، كَمَا يَقَالُ: بَنَى فُلَانٌ دَارًا وَأُرِيدَ أَنَّهُ أَمَرَ بِنِائِهَا، وَكَمَا زُيِّدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَجَمَ مَاعِزًا.

وَأَمَّا أَمْرُ بِرَجْمِهِ، وَاخْتَارَ الشَّافِعِيُّ الْإِفْرَادَ، لِرَوَايَةِ جَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَابْنَ عُمَرَ وَقَدَّمَاهُ عَلَى رَوَايَةِ غَيْرِهِمْ لِتَقَدُّمِ صَحْبَةِ جَابِرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَحُسْنِ سِيَاقِهِ لِابْتِدَاءِ قِصَّةِ حَجَّةِ الْوُدَّاعِ وَآخِرِهَا، وَلِفَضْلِ حَقِّقِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَرَّبَ ابْنُ عُمَرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَالَ الشَّافِعِيُّ فِي «اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ» إِلَى التَّمَتُّعِ، وَقَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْإِخْتِلَافِ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا، وَإِنْ كَانَ الْغُلَطُ فِيهِ قَبِيحًا مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مَبَاحٌ، لِأَنَّ الْكِتَابَ ثُمَّ السُّنَّةَ ثُمَّ مَا لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّمَتُّعَ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ وَإِفْرَادَ الْحَجِّ وَالْقِرَانَ وَاسْعَ كُلَّهُ، وَقَالَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ أَفْرَدَ الْحَجَّ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَى مَا [لَا] يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ أَدْرَكْنَا دَوْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَحَدًا لَا يَكُونُ مُقِيمًا عَلَى الْحَجِّ إِلَّا وَقَدْ ابْتَدَأَ إِحْرَامَهُ بِالْحَجِّ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ

رحمه الله: ومما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد:

روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج.

وقال ابن شهاب عن عروة: إن عائشة أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر.

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «هذه عمرة استمتعنا بها».

وقال سعد بن أبي وقاص [في المتعة]: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

قال الشيخ الإمام: وما زوي عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلا الحج لا ينافي التمتع، لأن خروجهم كان لقصد الحج، ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْتُمْ﴾، اختلف العلماء في الإحصار الذي يُبيح للمحرم التحلل من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو إضلال راحلة يُبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، [و] قالوا:

لأن الإحصار في كلام العرب هو: حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة، يقال: منه أحصر فهو مُحَصَّرٌ، وما كان من حبس عدو أو سجن يُقال: حُصِرَ فهو مُحَصُّورٌ [و] إنما جعل ههنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما:

زوي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كُسِرَ أو عَجِرَ فقد حلَّ [و] عليه الحج من قابل»، قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا: صدق.

وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وزوي معناه عن ابن عمر وعبدالله بن الزبير، وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: الحصر والإحصار بمعنى واحد، وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته، فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديبية [و] كان ذلك حبساً من جهة العدو، ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾، والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه

إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام، كما: زوي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة، فقال لها النبي ﷺ: «حُجِّي واشترطي وقولي: اللهم مَجِّلِي حيث حبستني».

ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِنَ الْغَدْيِ﴾، ومحل ذبحة حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه، ويبعث بهديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق، واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً، ففي قول: لا بدل له فيتحلل والهدي في ذمته إلى أن يجد، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول: عليه صوم التمتع، وفي قول: تقوم الشاة بدرامه ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدق به، فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مُدٍّ من الطعام يوماً كما في فدية الطيب واللبس، فإن المحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحراً أو برء أو لبس قميص أو مرض فاحتاج إلى مداوته بدواء فيه طيب، فعل وعليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة، فإن لم يجد يقوم الشاة بدرامه، والدراهم يشتري بها طعاماً فيتصدق به، فإن عجز صام عن كل مُدٍّ [من الطعام] يوماً، ثم المحصر إن كان إحرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته،

وإن كان بحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه، وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَسْرَرَ مِنْ أَهْلِهِ﴾، أي: فعلية ما تيسر من الهدى، ومحل رفع، وقيل: ﴿مَا﴾ في محل نصب، أي: فاهد ما استيسر، والهدى جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدي إلى بيت الله تقريباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه في الموضع الذي أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى ﴿مَحَلَّهُ﴾ حيث يحل ذبحه فيه [وأكله].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية، قال:

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث

مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أحب ذلك! [قال: نعم، قالت] فاخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُذْنَكَ وتدعوا حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك [و] نحر بُذْنَهُ ودعا حالقه فحلقه، فلما رآوا ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً [أي: ازدحاماً].

وقال بعضهم: محل هدي المحصر: الحرم، فإن كان حاجباً فمحل يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحل يوم يبلغ هديه الحرم، قوله تعالى: ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ نَبِيًّا قَدْ رَأَى مِنْ رُؤُوسِكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِلَّا أَنْ تَضْطَرُّوا إِلَى حَلْقَةٍ لِمَرْضٍ أَوْ لَأَذَى فِي الرُّأْسِ مِنْ هَوَاءٍ أَوْ صُدَاعٍ﴾، فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية، نزلت في كعب بن عُجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف، أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر وزقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة:

أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه، فقال: «أيؤذيك هوائك؟» قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو

بالحديبية، ولم يبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم فُزْقاً بين ستة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَارٍ﴾، أي: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾، أي: ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، ﴿أَوْ شُكْلٍ﴾، واجدتها نسكة، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم، إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، أما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مَرْضَكُمْ﴾، أي: من خوفكم وبرأتكم من مرضكم، ﴿فَن تَمَتَّعَ بِالْعِمَّةِ إِلَى لَحَجِّ قَا اسْتَسْرَرَ مِنْ أَهْلِهِ﴾، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله بن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة خرج من إحرامه بعمل عُمرة واستمتع بإحلاله ذلك، بتلك العُمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم: معناه فإذا أمنتكم وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عُمرة وأخرتم العُمرة إلى السنة القابلة فاعتمرت في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتكم

بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق [من] الآفاق في أشهر الحج، ففضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج، ولوجوب دم التمتع أربع شرائط: أحدها أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، والثالث أن يُحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، والرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر، فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنائيات، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الأضحية.

قوله تعالى: ﴿فَنَ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ لَنَزَّ﴾ أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يوماً قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاث في أيام التشريق، يُروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد

واسحاق، قوله تعالى: ﴿وَسَيِّئًا إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، أي: صوموا سبعة أيام إذا رجعتُم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَىٰ آبَائِكُمْ﴾، ذكرها على وجه التأكيد، وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتُم، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى، وقيل: كاملة بشروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبر ومعناه أمر، أي: فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿وَلَا تَكُنُوا مِنَ الَّذِينَ﴾، أي: هذا الحكم، ﴿لَمَّا يَكُنِ الْأَنفُسُ فِي هَضْبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم، وبه قال طاووس، وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان [ونخلتان]، وقال الشافعي: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، وذم القرآن كدم التمتع، والمكي إذا قرَن أو تمتع فلا هدي عليه.

قال عكرمة: سُئِلَ ابن عباس عن متعة الحج، فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع، وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا إهلالكم بالحج عُمرَةً إِلَّا مَنْ قَلَدَ الْهَدْيَ»، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نُهَلَّ بالحج، فإذا فرغنا فقد تمَّ حُجَّتَنَا وعلينا الهدى. فجمعوا بين نسكين في عام، بين الحج والعمرة، فإن الله أنزل في كتابه وسنة نبيه، وأباحه للناس من غير أهل مكة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ﴾، ومن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة، حتى يطلع الفجر يوم النحر فإنه يتحلل بعمل العمرة، وعليه القضاء من قابل، والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقرآن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع، عن سليمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كذا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت، واسعوا بين الصفا والمروة، وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا أو قصروا، ثم ارجعوا فإذا كان عام قابل فحجوا وأهدوا، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

وَالْتَلْبِيسَةِ، وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر، وبه قال عطاء وطاووس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وقال: ينعد إحرامه بالعمرة، لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علق الصلوات بالمواقيت، ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: في أداء الأوامر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، على ارتكاب المنامي.

﴿١٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمن قال: عشر عتبر به عن الليالي، ومن قال تسع عتبر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال: ﴿أَشْهُرٌ﴾ بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت، والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فنقول: أتيتك يوم الخميس، وإنما أثناء في ساعة منه، وتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، وقيل: الاثنان فما فوقهما جماعة، لأن معنى الجمع ضم الشيء إلى الشيء فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة، جاز أن يُسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة، وقد ذكر الله تعالى الاثنین بلفظ الجمع، فقال: ﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]، أي: قلبكما، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذو القعدة وذو الحجة كلاً، لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿فَمَنْ رَمَى فِيهِكَ الْحَجَّ﴾، أي: فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام

وقته لا ينعد إحرامه عن الفرض، [وذهب جماعة إلى أنه ينعد إحرامه بالحج]، وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وأما العمرة فجميع أيام السنة لها وقت إلا أن يكون متلبساً بالحج، روي عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حتم رأسه خرج فاعتمر.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالرفع والتنوين [فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين]، واختلفوا في الرَفَث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمر بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي،

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرَفَث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام، قال حصين بن قيس: أخذ ابن عباس رضي الله عنهما بذنب بغيره، فجعل يلويه وهو يحدو ويقول:

وهن يمشين بنا هميسا
إن تصدق الطير نذك لميسا
فقلت له: أترفت وأنت محرم؟ قال: إنما الرَفَث ما قيل عند النساء، وقال طاووس: الرَفَث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرَفَث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرَفَث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس: هو المغاصي كلها، وهو قول طاووس والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والزهرني والربيع

القرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهي عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السباب.

بدليل قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقاله كفر».

وقال الضحاك: هو التنابز بالألقاب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْرِ الْأَسْمَاءُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْأَيْمَنِ﴾ [الحجرات: ١١].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيار أبو الحكم، قال:

سمعت أبا حازم يقول سمعت أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحج اليوم ويقول بعضهم: الحج غدًا، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم.

وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج

عمرة إلا من قلّد الهدى»، قالوا: كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم.

وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة: كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يتجادلون فيه. وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة، فكل يقول: ما فعلته هو الصواب، فقال جلّ ذكره: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، أي: استقرّ أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ، فلا اختلاف فيه من بعد.

وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة، فأبطل النسيء. قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها: نهي، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، أي: لا ترتابوا، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به.

قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّرُوا فَلَا تَحْيَرُ أَرَاؤُ الْقَوَّيْنِ﴾، نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألو الناس، وربما يُفضي بهم

الحال إلى النهب والغصب، فقال الله جلّ ذكره: ﴿وَتَكَرَّرُوا﴾، أي: ما تبخلون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿فَلَا تَحْيَرُ أَرَاؤُ الْقَوَّيْنِ﴾ من السؤال والنهب، ﴿وَأَتَقَوَّنَ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ﴾: يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾،

أخبرنا عبدالواحد بن المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبدالله، أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا.

وروي عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري في هذا الوجه، يعني: إلى مكة، فيزعمون أن لا حج لنا؟ فقال: ألستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قلت: بلى، قال: أنت حاج، جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، أي: حرج أن

تَبَتُّوْهُ فَضَلَا [رَزَقْنَا] وَمِنْ رَبِّكُمْ، يعني: بالتجارة في مواسم الحج، «كَذَا أَفْضَلُ»: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءً، أي: صبّه، «مِنْ عَرَفَتِي»، هي جمع عرفة، جمع بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله سُمي الموقف عرفات، واليوم عرفة، فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يُري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول: أعرفت؟ فيقول: عرفتُ، فسُمي ذلك المكان عرفات، واليوم عرفة، وقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أُهبط [من الجنة] إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا، فسُمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي: لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية، وأناه من أناه أمره الله [تعالى] أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج فلما بلغ الجمرة عند العقبة استقبله الشيطان ليرده، فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار، فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبر فطار، فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيقه ذهب، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز، فسُمي ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعنت، فسُمي الوقت عرفة

والموضع عرفات، حتى إذا أمسى ازْدَلَف، [أي: قرب] إلى جمع، فسُمي المزدلفة. وزوي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه، فلما أصبح روى يومه أجمع، أي: فكَرَّ آمَنَ الله تعالى هذه الرؤيا؟ أم من الشيطان؟ فسُمي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى، فسُمي اليوم يوم عرفة. وقيل: سُمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل: سُمي بذلك من العرف، وهو الطيب، وسُمي منى لأنه يُمنى فيه الدم، أي: يُصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيباً، وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة.

قوله تعالى: «فَاذْكُرُوا اللَّهَ» بالدعاء والتلبية، «عِنْدَ الْمَشَارِقِ الْكَرَائِي»، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة إلى المحسر، وليس المازمان ولا المحسر من المشعر الحرام، وسُمي مشعراً من الشعار، وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من المنع، فهو ممنوع [من] أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، وسُمي المزدلفة جمعاً لأنه يُجمع فيه بين صلاتي المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر، قال طاووس: كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس، ومن مزدلفة بعد أن

تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير كيما تفيبر، فأخر الله هذه، وقدم هذه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبدالله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول:

دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب، نزل فبال ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله، قال: فقال: «الصلاة أمامك»، فركب فلما جاء المزدلفة، نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلّى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيه في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً.

وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يُسبغ بينهما شيئاً ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلّى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب [ناقته] القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبّره وهلّله ووخّده، فلم يزل وإقفاً حتى أسفر جداً، ودفع قبل أن تطلع الشمس.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير، أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن

عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة بن زيد كان ردّف رسول الله ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قالا: لم يزل النبي ﷺ يُلَبِّي حتى رمى جمرَةَ العقبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾، أي: واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم لدينه ومناسك حجّه، ﴿وَرَأَى كَثِيرٌ مِنْ قَبْلِهِ لَيْنَ الْعَصَايِ﴾، أي: وقد كنتم [قبل]، [أي]: وما كنتم من قبله إلا من الضالين؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى نَظْمَكَ لَيْنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي: وما نظمتك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله: ﴿رَأَى قَبْلِهِ﴾ راجعة إلى الهدى، وقيل: إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسُ﴾، قال أهل التفسير: كانت قريش وحلفاؤها ومن دأب بدنها وهم الخمس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقطان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظّمون أن يقفوا مع [سائر العرب] بعرفات، [وسائر الناس] كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الخمس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه ستّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم: خاطب به جميع المسلمين، وقوله تعالى: قال ﴿وَمِنْ

حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسُ﴾ من جمع، أي: ثم أفيضوا من جمع إلى منى، وقالوا: لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فكيف يسوغ أن يقول: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير، وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: فمن فرض فيهن الحجّ فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، وقيل: ثم بمعنى الواو، أي: وأفيضوا؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧]، وأما الناس فهم العرب كلهم غير الخمس، وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس ههنا إبراهيم عليه السلام وحده؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]، وأراد محمداً ﷺ وحده، ويقال هذا الذي يُقْتَدَى به ويكون لسان قومه، وقال الزهري: الناس ههنا آدم عليه السلام وحده، دليله قراءة سعيد بن جبيرة: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسُ﴾، بالياء، وقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان [يسير] رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين

دفع؟ قال: كان يسير العنق، فإذا وجد فجوة نصّ.

قال هشام: والنص فوق العنق. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد، حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال: أخبرني سعيد بن جبيرة مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للابل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البرّ ليس بالإيضاع»، ﴿وَأَسْتَفِيرُوا اللَّهَ﴾ [١٩٩] الله عَفُوٌّ رَحِيمٌ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا قَضَيْتُمْ نَسَائِكُمْ﴾، أي: فرغتم من حجكم وذبحتم نَسَائِكُمْ، أي: ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكاً إذا ذبح نسكته، وذلك بعد رمي جمرَةِ العقبة والاستقرار بمنى، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير والتحميد والثناء عليه، ﴿كَذِكْرُ آبَاءِكُمْ﴾، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله بذكره، وقال: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾ [البقرة: ١٥٢]، فإني الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنتم إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلّم يلهج بذكر أبيه لا بذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي

أباه، ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾، وسئل ابن عباس عن قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لو لديك إذا شتما، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾، يعني: بل أشد، أي: أكثر ذكراً، ﴿فَمِنْ أُنْكَاسٍ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الْأُدُنِ﴾، أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإبلًا وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، قال قتادة: هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: من حظ ونصيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الْأُدُنِ حَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ الْكَافِرُ﴾، يعني: المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن [أبي] أسامة أنا أبو عبدالرحمن المقرئ، أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالوا: أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبدالرحمن الحُبَلي يحدث عن عبدالله بن

عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

وقال الحسن: ﴿فِي الْأُدُنِ حَسَنَةٌ﴾ العلم والعبادة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ الجنة. وقال السدي وابن حبان: ﴿فِي الْأُدُنِ حَسَنَةٌ﴾ رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ المغفرة الثواب.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني غبيد الله بن زُحْر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة:

عن النبي ﷺ قال: «أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي عِنْدِي مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنُ عِبَادَةِ رَبِّهِ فَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يَشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كِفَافاً فَصَبِرَ عَلَى ذَلِكَ» ثم نفص بيده فقال: «هَكَذَا عَجَّلْتُ مَنِيَّتَهُ، قُلْتُ بَوَاكِه، قُلْ تَرَاثَهُ».

وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، وقال عوف في هذه الآية: من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكركاني الطوسي

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، أخبرنا محمد بن عبدالله الأنصاري، أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ، فقال: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟» فقال: يا رسول الله كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبتني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: «سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه، هلاً قلت: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي إسحاق الحجاجي، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبدالرحمن الدغولي، أخبرنا محمد بن مشكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الْأُدُنِ حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ الْكَافِرُ﴾.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه [عن]

الْمَائِدَاتِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُكُمْ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَمَنِ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مَوْتًا فَخَلُّوا فِي السَّيْرِ كَأَنَّهُ لَا تَسِيرٌ فَاخْطَبُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٦﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُجَارِ وَأَلْمَلِيحَةٍ فَيُضَيِّقُوا إِلَى اللَّهِ فَيَرْجِعَ الْأُمُورَ ﴿٢٠٨﴾

٢٢

عبد الله بن السائب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود: ﴿رَبَّنَا مَا آتَانَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْفَسَادَ﴾.

﴿٢٠٢﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: حظٌ ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾: من الخير والدعاء بالشواب والجزاء، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وغي صدر ولا إلى رُؤْيَةٍ ولا فكرٍ، قال الحسن: أسرع من لمح البصر. وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿٢٠٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، يعني: التذكيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبر مع كل حصاة

وغيرها من الأوقات، ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾: الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام رمي الجمار، سميت معدودات لقلتهن؛ كقوله: ﴿ذَرَهُمْ مَّعْدُودَةً﴾ [يوسف: ٢٠]، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، وزوي عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر

وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس: المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق. وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق.

وزوي عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله».

ومن الذكر في أيام التشريق التكبير، واختلفوا فيه فروي عن عمرو وعبد الله بن عمر أنهما كانا يكبران بمعنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجالس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق، ويكبر الناس بتكبيرهما، ويتأولان هذه الآية، والتكبير أدبار الصلوات مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء، واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يبتدىء التكبير عقب صلاة الصبح

من يوم عرفة ويختم بعد العصر من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال مكحول وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه [وهو المرجح عند الشافعي]، وذهب قوم إلى أنه يبتدىء التكبير عقب صلاة الصبح من يوم عرفة، ويختم بعد العصر من يوم النحر، يروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال قوم: يبتدىء التكبير عقب صلاة الظهر من يوم النحر ويختم بعد [صلاة] الصبح من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن ابن عباس، وبه قال مالك والشافعي، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج، وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية، ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبيرة والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً، وهو قول أهل المدينة وإليه ذهب الشافعي، وقال: وما زاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبر اثنين، يروى ذلك عن ابن مسعود.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أراد أن من تفرغ الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة سبع حصيات، ورخص في ترك البيتوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج، ثم

كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة، ورمى يومها فذلك له واسع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، [وقوله تعالى] ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، يعني: لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تأخره، وقيل معناه: فمن تعجل فقد ترخص ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالترخص، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [في ذلك] بترك الترخص، وقيل معناه: رجع مغفوراً له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر.

كما روينا: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

وهذا قول علي وابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿لَنْ أَتَّقِيَ﴾، أي: لمن اتقى أن يصيب في حجة شيئاً نهاه الله عنه، كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق»، قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: ﴿لَنْ أَتَّقِيَ﴾ الصيد، لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلص أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب إثمهُ إن اتقى فيما بقي من عمره، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمعون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾،

قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أبي، وسُمي الأخنس لأنه [كان] خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام [عنده]، ويقول [له]: إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يدنى مجلسه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: تستحسنه ويعظم في قلبك.

ويقال في الاستحسان أعجبنى كذا، وفي الكراهية والإنكار: عجبْتُ من كذا، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ﴾، يعني: قول الأخنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب، ﴿وَمَوْأَدُ الْخِصَامِ﴾، أي: شديد الخصومة، يقال: لددت يا هذا وأنت تلدُ لدّاً ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلدّه لدّاً، يقال: رجل لَدّ وامرأة لداء وقومُ لدّ، قال الله تعالى: ﴿وَيُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧]، قال الزجاج: اشتقاقه من لذيدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله: أنه في أي وجهٍ أخذ من يمين أو شمال، في أبواب الخصومة غلب، والخصام: مصدر خاصمه خصاماً ومخاصمة، قاله أبو عبيدة، وقال الزجاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم، مثل: بحر وبحار ويحور، قال الحسن: ﴿أَلَدُ الْخِصَامِ﴾، أي:

كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطية. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها:

عن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَدُّ الْخَصْمِ».

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾، أي: أدبر وأعرض عنك، ﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، ﴿يُفْقِدُ فِيهَا﴾، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، ﴿وَيُهْلِكُ الْخَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، وذلك أن الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً، والنسل: نسل كل دابة، والناس منهم: وقال الضحاك: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾، أي: ملك الأمر وصار والياً ﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: إذا وليَ فعمل بالعدوان والظلم، فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، أي: لا يرضى بالفساد، وقال سعيد بن المسيب: قطع الدراهم من الفساد في الأرض. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ

اللَّهِ، أَي: خَفِيَ اللهُ، ﴿أَخَذَتْهُ الْمِرَّةُ﴾ بِالْإِثْمِ، أَي: حملته العزة، وحمية الجاهلية على الفعل بالإثْمِ، أَي: بالظلم والعزة والتكبر والمنعة، وقيل معناه: ﴿أَخَذَتْهُ الْمِرَّةُ﴾ لِلْإِثْمِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ، فَأَقَامَ الْبَاءَ مَقَامَ اللَّامِ، قَوْلُهُ: ﴿فَحَسِبُوهُمْ جَهَنَّمَ﴾، أَي: كافيه، ﴿وَكَيْشَ الْيَهُودِ﴾، أَي: الفرائس، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنْ مِنْ أَكْبَرَ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ لِلْعَبْدِ: اتَّقِ اللَّهَ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَرُوي أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: اتَّقِ اللَّهَ فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْضِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَقَاتِ اللَّهِ﴾، أَي: لَطَلَبَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

رُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَرِيَةِ الرَّجِيعِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ إِنَّا قَدْ أَسْلَمْنَا، فَبَعَثَ إِلَيْنَا نَفَرًا مِنْ عُلَمَاءِ أَصْحَابِكَ يَعْلَمُونَنا دِينَكَ، وَكَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُبَيْبَ بْنَ عَدِي الْأَنْصَارِيَّ وَمَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَخَالِدَ بْنَ بَكِيرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ بْنَ شَهَابِ الْبَلَوِيَّ وَزَيْدَ بْنَ الدُّثْنَةَ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ الْأَنْصَارِيَّ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ عَيْنًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ فَسَارُوا فَتَرَلَوْا بَيْطَانَ الرَّجِيعِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَعَهُمْ تَمْرٌ عَجْوَةٌ فَأَكَلُوا

النَّارَ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ أُعْطِيَ اللَّهَ تَعَالَى عَهْدًا أَنْ لَا يَمْسَهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسُ مُشْرِكًا أَبَدًا، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ: عَجَبًا لِحِفْظِ اللَّهِ الْعِبْدَ الْمُؤْمِنَ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمْسَهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسُ مُشْرِكًا أَبَدًا فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ عَاصِمَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَسْرَ الْمُشْرِكُونَ خُبَيْبَ بْنَ عَدِي الْأَنْصَارِيَّ وَزَيْدَ بْنَ الدُّثْنَةَ فَذَهَبُوا بِهِمَا إِلَى مَكَّةَ، فَأَمَّا خُبَيْبٌ فَابْتَاعَهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ لِيَقْتُلُوهُ بِأَيْهِمْ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى لِيَسْتَحْذَ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنْيُ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ فَمَا رَأَى الْمَرْأَةَ إِلَّا خُبَيْبٌ قَدْ أَجْلَسَ الصَّبِيَّ عَلَى فَخْذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ خُبَيْبٌ أَتَخْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ الْغَدْرَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قُطْفًا مِنْ عَنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ إِنْ كَانَ إِلَّا رَزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْجِلِّ وَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أَصْلِي رَكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوهُ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنََّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قَتْلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ يُحْسِبُوا أَنْ مَا بِي

[وَطَرَحُوا النَّوِيَّ] فَمَرَّتْ عَجْوَةٌ فَأَبْصُرَتِ النَّوِيَّ فَرَجَعَتْ إِلَى قَوْمِهَا بِمَكَّةَ وَقَالَتْ: قَدْ سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ أَهْلٌ يَشْرَبُ، مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَركب سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ مَعَهُمُ الرِّمَاحُ حَتَّى أَحَاطُوا بِهِمْ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرُوا [ذَلِكَ لِحِي] مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحِيَانٍ [فَنَفَرُوا لَهُمْ] بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامَ، فَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ فَقَالُوا: تَمْرٌ يَشْرَبُ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ [فَلَحَقُوهُمْ] فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَدَفْدٍ فَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ فَقَتَلُوا مَرْثَدًا وَخَالِدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَارِقٍ فَشَرَّ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ كُنَانَتَهُ وَفِيهَا سَبْعَةُ أَشْهُمٍ فَقَتَلَ بِكُلِّ سَهْمٍ رَجُلًا مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ دِينَكَ صَدَرَ النَّهَارِ فَاحْمِ لِحْمِي آخِرَ النَّهَارِ، ثُمَّ أَحَاطَ [بِهِ] الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ فَلَمَّا قَتَلُوهُ أَرَادُوا جَزَ رَأْسَهُ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سَلَاةٍ بَنَتْ سَعْدُ بْنُ شُهَيْدٍ، وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أُحُدٍ لَشَنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرِبَنَ فِي قَحْفِهِ الْخَمْرُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَجُلًا مِنَ الدَّبْرِ وَهِيَ الزَّنَابِيرُ فَحَمَتِ عَاصِمًا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَسَمَّى حِمِيَّ الدَّبْرِ فَقَالُوا: دَعُوهُ حَتَّى نَمْسِيَ فَتَذْهَبَ عَنْهُ [الدَّبْرُ] فَنَأْخُذَهُ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ سَوْدَاءَ وَأَمْطَرَتْ مَطَرًا كَالْعَرَالِي فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ غَدِيرًا فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَحَمَلَ خَمْسِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى

جزع لزدت، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً ولا تُبق منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي شق كان في الله مصري
وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلوا مُمزع
فصلبوه حياً فقال: اللهم إنك

تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ
سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم
قام أبو سروعة عقبة بن الحارث

فقتله، ويقال: كان رجل من
المشركين، يقال له سلامان أبو

ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي
خبيب فقال له خبيب: اتق الله فما

زاده ذلك إلا عتواً فأنفذه [من
ظهره]، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا

قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْأُذُنِ﴾، يعني: سلامان، وأما

زيد بن الدثنة فابنتاه صفوان بن أمية
ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فبعثه مع

مولي له يسمى نسطاس إلى التنعيم
ليقتله بأبيه، واجتمع معه رهط من

قريش فيهم أبو سفيان بن حرب،
فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل:

أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً
عنننا الآن بمكانك نضرب عنقه،
وأنت في أهلِكَ؟ فقال: والله ما
أحب أن محمداً ﷺ الآن في مكانه
الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه وأنا
جالس في أهلي، فقال أبو سفيان:

ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً
كحُب أصحاب محمد محمداً، ثم
قتله النسطاس، فلما بلغ النبي ﷺ
هذا الخبر قال لأصحابه: «أيكم ينزل
خبيباً عن خشبته وله الجنة»، فقال

الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي
المقداد بن الأسود، فخرجوا يمشيان
بالليل ويكمنان بالنهار، حتى أتيا

التنعيم ليلاً وإذا حول الخشبة أربعون
رجلاً من المشركين نيام نشاوى،
فأنزلاه فإذا هو رطب ينثني لم يتغير

منه شيء بعد أربعين يوماً ويده على
جراحته وهي تبض دماً اللون لون
الدم والريح ريح المسك، فحمله

الزبير على فرسه وسارا، فانتبه الكفار
وقد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً
فركب منهم سبعون فلما لحقوهما

قذف الزبير خبيباً فابتلعت الأرض،
فسمي بليع الأرض، فقال الزبير: ما
جراكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع

العمامة عن رأسه فقال: أنا الزبير بن
العوام وأمي صفية بنت عبدالمطلب،
وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان

رابضان يدفعان عن شبليهما، فإن
شتمت ناضلتكم وإن شتمت نازلتكم،
وإن شتمت انصرفتم، فانصرفوا إلى

مكة وقدما على رسول الله ﷺ
وجبريل عنده، فقال: يا محمد إن
الملائكة لتباهي بهذين [الرجلين] من

أصحابك فتزل في الزبير والمقداد بن
الأسود: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ شَرَى

نَفْسَهُ أَتَيْكَ مَتَكَاتٍ اللَّهُ﴾، حين
شريا أنفسهما بإنزال خبيب عن
خشبته.

وقال أكثر المفسرين: نزلت في
صهيب بن سنان الرومي، حين أخذه
المشركون في رهط من المؤمنين،

فعدبوه فقال لهم صهيب: إني
شيخ كبير لا يضركم أميكنكم كنت أم
من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا

مالي وتذروني وديني ففعلوا، وكان

شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة
ما شاء الله، ثم خرج إلى المدينة
فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال

له أبو بكر: ربح بيعك يا أبا يحيى،
فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسر،
قال صهيب: ما ذاك؟ فقال:

أنزل الله فيك، وقرأ عليه هذه الآية.
وقال سعيد بن المسيب وعطاء:

أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ،
فاتبعه نفر من مشركي قريش، فنزل
عن راحلته ونثل ما في كنانته، ثم

قال: يا معشر قريش لقد علمتم إني
لجئن أرماكم رجلاً، والله لا أضع
سهماً مما في كنانتي إلا في قلب

رجل منكم، وأيم الله لا تصلون إليّ
حتى أرمي بكل سهم من كنانتي
[رجلاً منكم] ثم أضرب بسيفي ما

بقي في يدي، ثم افعلوا ما شئتم
[يأيها]، وإن شئتم دللتكم على مالي
بمكة وخليتم سبيلي، قالوا: نعم،

ففعل ذلك، فأنزل الله [فيه] هذه
الآية.

وقال الحسن: أتدرون فيم نزلت
هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي
الكافر، فيقول له: قل لا إله إلا الله،

فيأبى أن يقولها، فقال المسلم: والله
لأشرين نفسي. لله، فتقدم فقاتل وخذه
حتى قُتل.

وقيل: نزلت الآية في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، قال
ابن عباس: أرى من يشري نفسه

ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا
بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة
بالإثم، قال: [هذا] وأنا أشري نفسي
لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك،
وكان عليّ إذا قرأ هذه الآية يقول:

اقتتلا ورب الكعبة. وسمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا عبدالرحمن بن [أبي] شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة:

أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً﴾، قرأ أهل الحجاز والكسائي «السِّلَاحِ» ههنا بفتح السين، وقرأ الباقر بكسرهما، وفي سورة الأنفال [وَأَن جَاهِدُوا لِلَّهِ] بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقر بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر، حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام النصيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلَنَقُصِّمْ بها في صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً﴾، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة

أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم.

قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم، فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ﴾، أي: آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذْرًا عَلَيْهِمْ﴾،

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش، أخبرنا علي بن عبدالعزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله:

عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون أنتم كما تهوكب اليهود والنصارى؟ لقد جنتكم بها ببضاء نقيّة، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي».

﴿كَأَن زَكَّيْتُمْ﴾: أي ضللتهم، وقيل: ملتكم، يقال: زلت قدمه نزل زلاً وزلاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس، فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم، ﴿وَمِن بَشِيرٍ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْبَشِيرِ﴾، أي: الدلائل

الواضحات، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في نعمته، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أمره، فالعزیز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمثيبيون خطوات الشيطان، يقال: نظرت وانتظرت بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى لم يكن إلا بمعنى الرؤية، ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾، جمع ظلة، ﴿وَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمي غماماً لأنه يغم، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام، فلا ينظر إليه أهل الأرض، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ أبو جعفر بالخفض عطفًا على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ الباقر بالرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظواهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزّه عن سمات الحدوث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة، قال الكلبي: هذا هو [العلم] المكتوم الذي لا يُفسر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن

سعد وأحمد وإسحاق، يقولون فيها
وفي أمثاله: أقروها كما جاءت بلا
كيف، قال سفيان بن عيينة: كلما
وصف اللُّهُ به نفسه في كتابه
فتفسيره: قراءته والسكوت عنه،
ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى
ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وَفِيّ الْأَمْثَلِ﴾، أي: وجب العذاب وُفِرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿وَلِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأَمْوَالُ﴾، قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقر بضم التاء وفتح الجيم.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أَي: سَلِّ يَا مُحَمَّدُ يَهُودَ الْمَدِينَةِ: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾: أَعْطَيْنَا آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ، ﴿بَيْنَ ءَايَمٍ يَبِينُ﴾، ذَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، مِثْلَ الْعَصَا وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَفُلْقِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا الدَّلَالَاتُ الَّتِي آتَاهُمُ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَنْ يَذِلَّ﴾، يَعْنِي: يُغَيِّرُ ﴿رُضَّةَ اللَّهِ﴾: كِتَابَ اللَّهِ، وَقِيلَ: عَهْدُ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَنْ يُنْكِرُ الدَّلَالََةَ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿يُنْزِلْهُ﴾ بِعَدَمِ جَآنِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْقَوَابِ.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، الأكثرون على أن المُرَّزِينَ هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق [إليها] بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل:

نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، ﴿يَسْتَحَرُونَ مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً ووللاً وخباباً وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه وكانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من

ضعفاء المؤمنين وقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من قراء المهاجرين، فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ﴿وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقرهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿فَوَقَّعَهُمْ يَوْمَ الْقَيْمَةِ﴾، لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبيري أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان التَّهْدِي عن أسامة بن زيد قال:

سَلِّ بِحَبْلِ إِسْرَءِيلَ كَمَا أَتَيْتَهُمْ مِنْ آيَةٍ يُبْذَلُونَ وَمَنْ يُبْدِلِ هَذِهِ
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٧﴾ زَيْنَ الْبَيْنِ
 كَفَرُوا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَفَسَحُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
 أَتَقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ﴿٦٨﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ بِحُكْمٍ بَيْنَ النَّاسِ
 فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَقَدِيَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٩﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ
 وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
 أَلَا إِنَّمَا نَصْرُهُ قَرِيبٌ ﴿٧٠﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُبْقِيونَ قُلْ
 مَا أَفْعَلُ مِنْ خَيْرٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَلَسْتُ بَكَا
 وَابٍ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧١﴾

قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين، ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وإذا أهل الجد محبسون إلا من كان منهم من أهل النار، فقد أمر به إلى النار».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف،
أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا
إسحاق بن إبراهيم، حدثني
عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن
سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مرَّ
رجل على رسول الله ﷺ فقال
لرجل عنده جالس: «ما رأيك في
هذا؟ فقال رجل من أشرف الناس:
هذا والله حري إن خطب أن يُنكح،
وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت
رسول الله ﷺ، ثم مرَّ رجل [آخر
فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك

في هذا؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».

﴿وَاللَّهُ يَرِزُّكَ مِنْ يَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، [قال ابن عباس]: يعني كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقرر على من يشاء ويبسط لمن يشاء، ولا يعطي كل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه، فلا يُعترض عليه ولا يُحاسب فيما يرزق، ولا يُقال: لم أعطيت هذا وحرمت هذا، ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك، [لا يسأل عما يفعل]، وقيل: معناه لا يخاف نفاذ خزانته، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون لمن يخاف من نفاذ خزانته، [والله تعالى خزانته لا تنقص بكثرة الإنفاق].

﴿قوله تعالى: ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، [قال]: سُمِّي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا، وكانوا مسلمين إلى أن قتل [قابيل] هابيل فاختلفوا، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾، قال

الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملّة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بعث بعده النبيين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورؤي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم، فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيّرهم عمرو بن لحي، ورؤي عن أبي العباس عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين غرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً، ﴿مُنْذِرِينَ﴾: بالشواب من آمن وأطاع، ﴿وَمُذْهِبِينَ﴾: محذرين بالعقاب من كفر وعصى، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب، تقديره: [أنزل مع كل واحد منهم] الكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصدق،

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سعة الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقيل: معناه ليحكم كل نبي بكتابه، ﴿فِيمَا ائْتَفَقُوا فِيهِ وَمَا اختلف فيه﴾، أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أَوْتَوْهُ﴾، أي: أعطوا الكتاب، ﴿وَمَنْ بَدَّلَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولا خلافهم معنيان: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ تَوْبَةً بَعْضُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله، قال الله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿وَمَنْ بَدَّلَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، صفة محمد ﷺ في كتبهم، [ما] ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ وظلماً وحسداً ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ائْتَفَقُوا فِيهِ﴾، أي: لما اختلفوا فيه، ﴿وَمِنَ الْحَقِّ يَازِيدُهُ﴾، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت،

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَرَسِ الْأَعْرَابِ وَقَالَ فِيهِ قَالَ يُدْعَى كَبِيرٌ وَصَدْعٌ سَبِيلُ اللَّهِ وَكَفَرٌ يَدُوعٌ وَالْمَسْجِدُ الْأَعْرَابُ وَإِعْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٥﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَغْنُودُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١٧﴾

وَالزَّمَانَةَ، ﴿وَزُرُّوهُ﴾، أي: حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾، ما زال البلاء بهم حتى استبطوا النصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾، قرأ نافع ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾، بالرفع، معناه: حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ وَجْهَانِ: الرفع

والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لفريضة، وجعلته النصارى إلهاً، فهدانا الله للحق فيه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾، قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَقْلَبْتُمُ الْأَكْبَادَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أحد، وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسز قوم النفاق، فأنزل الله تعالى تطيباً لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، معناه: أحسبتم والميم صلة قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾، أي: ولم يأتكم و﴿مَا﴾ صلة ﴿مَثَلِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، شبه الذين مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من النبيين والمؤمنين، ﴿مَسَّهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾: الفقر والشدة والبلاء، ﴿وَالشَّرَّاءُ﴾: المرض

يُجَازِيكُمْ بِهِ، قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، أي: فرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال عطاء: الجهاد تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري، واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]، ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن يعده الحسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية، وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم

والنصب، فالتصب على ظاهر الكلام لأن ﴿حَتَّى﴾ تنصب الفعل المستقبل، والرفع لأن معناه الماضي، و﴿حَتَّى﴾ لا تعمل في الماضي.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال، فقال: يا رسول الله بماذا تنصق وعلى من تنفق؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾.

وفي قوله ﴿مَاذَا﴾ وجهان من الإعراب، أحدهما: أن يكون محله نصباً لقوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾، تقديره: أي شيء ينفقون، والآخر: أن يكون رفعاً بـ ﴿مَا﴾ ومعناه: ما الذي ينفقون؟ ﴿قُلْ مَا أَفْقَرُ مِنْ حَيرٍ﴾، أي: من مال، ﴿مَثَلِ الَّذِينَ خَلَوْا وَآلِئِنَّ السَّكِينِ وَإِنَّ السَّكِينِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾،

الثعلبي، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي، [أخبرنا أبو الهيثم بن كليب]، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا سعيد بن عثمان السعيد عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سفي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

وقال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، مثل صلاة الجنائز، وزد السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزواً أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت، ومن قعد فهو عدة إن استعين به أغان وإن استغفر نقر، وإن استغنى عنه قعد.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ كُزَّةً لَكُمْ﴾، أي: شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة: نسخها قوله تعالى: ﴿سَمَكًا وَأَلْفَاةً﴾، يعني: أنهم كرهوه ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لأن فسي الغزو إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾، يعني: القعود عن الغزو، ﴿وَمَوْ شَرٌّ لَكُمْ﴾: لما فيه من فوات الغنيمة والأجر، ﴿وَاللَّهُ يَتْلُمُكُمْ وَأَشَدُّ لَا تَقْلُمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُمُكُمْ عَنِ النَّهْرِ أَلْكَارِ قَتَالٍ فِيهِ﴾؟ سبب نزول هذه الآية:

أن رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن جحش وهو ابن عمّة النبي ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدّمه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبدالله وخالد بن بكير، وكتب لأمرهم عبدالله بن جحش كتاباً وقال له: «سر على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت فافتح الكتاب، واقراه على أصحابك، ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحداً من أصحابك على السير معك»، فسار عبدالله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن [نخلة] فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منه بخبر، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فليطلق، ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بجران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما يتعقبانه فتخلفا في طلبه،

ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك إذ مرت عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبدالله المخزومي، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبدالله بن جحش: إن القوم قد دُعِروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم، فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم، فقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمّنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب، فتشاور القوم وقالوا: [لئن] تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي فقتله، فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة، وأدى النبي ﷺ ذية ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش، قال مجاهد وغيره: لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنتين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ [فيه] الحرائب، وعير بذلك أهل مكة من

كان فيها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصبابة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ [ذلك] رسول الله ﷺ، فقال لابن جحش وأصحابه: «ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام»، ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم، قالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم، فقال: بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قدما فآذاهما، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً، وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً، فقتله الله [تعالى] فطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال رسول الله ﷺ: «خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية»، فهذا سبب نزول هذه الآية.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْرِ وَالْفَحْشَى﴾ يعني: رجباً، سئتي بذلك لتحريم القتال فيه، قوله

تعالى: ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ﴾، أي: عن قتال فيه، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ كَيْبَرٌ﴾: عظيم، تم الكلام ههنا ثم ابتداء، فقال: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: وصدكم المسلمين عن الإسلام ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾، أي: كفركم بالله، ﴿وَالْتَسِجِدَ الْحَرَارَ﴾، [أي: بالمسجد الحرام، وقيل: وصدكم عن المسجد الحرام]، ﴿وَلَا تَخْرُجْ أَهْلِيهِ﴾، أي: إخراج أهل المسجد ﴿وَمَنْ أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ﴾، أي: الشرك الذي أنتم عليه، ﴿أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾، أي: أعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن أنيس إلى مؤمني مكة: إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى، ﴿يَقْتُلُونَكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين، ﴿حَتَّى يَرْضَوْكُمْ﴾: يصرفوكم، ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَلُّوْا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْ دِينِهِ فَبِمَنْتَ﴾، جزم بالنسق، ﴿وَهُوَ كَارٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قال أصحاب السرية: يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْرِ وَالْفَحْشَى﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنْ

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾، فارقوا عشايرهم ومنازلهم وأموالهم، ﴿وَجَاهِدُوا﴾، المشركين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، [في] طاعة الله فجعلها جهاداً، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾، أخبر أنهم على رجاء الرحمة، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْرِ وَالْفَحْشَى﴾، الآية

نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ونفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهب للعقل منسبة للمال، فأنزل الله هذه الآية.

وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون: إن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة، وهي: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثم نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْرِ وَالْفَحْشَى﴾ قل فيهما إنهم كبير، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله تقدم في تحريم الخمر»، فتركها قوم لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾، وشربها أقوام لقوله: ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْ دِينِهِ فَبِمَنْتَ﴾، إلى أن صنع عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب، فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرا: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا إلى آخر السورة بحذف لا،

فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فحُرِّمَ السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيضحوا إذا جاء وقت الظهر، واتخذ عتب بن مالك صَنِيعاً ودَعَا رجالاته من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للأنصار، وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لَحَى البعير فضرب به رأس سعد فشجّه موضحة فانطلق به سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري، فقال عمر: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَاناً شافياً، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله: ﴿فَقَدْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام، فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب.

قال أنس: حُرِّمَتِ الخمر ولم يكن يومئذٍ للعرب عيش أعجب منها، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية في سورة

المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحباب إلى الطريق فصبنا ما فيها فمنا من كسر صَبَّه، ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يعقوب بن إبراهيم أخبرنا ابن عُليّة، أخبرنا عبدالعزيز بن صهيب قال: قال لي أنس بن مالك:

ما كان لنا خمر غير فضيخكم، وإنني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: حُرِّمَتِ الخمر، فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

وعن أنس رضي الله عنه: سُمِّيتِ الخمر خمرًا لأنهم كانوا يَدْعُونَهَا فِي الدنان حتى تختمر وتتغير، وعن ابن المسيّب: لأنها تُرِكَتْ حتى صفا صفوها ورسب كدرها.

واختلف الفقهاء في ماهية الخمر، فقال قوم: هي عصير العنب أو الرُّطْبُ الذي اشتدَّ وغلا من غير عمل النار فيه، واتفقت الأئمة على أن هذه الخمر نجس يُحَدُّ شاربها وَيُفْسَقُ، وَيَكْفَرُ مُسْتَحِلُّهَا، وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا، ولا يحرم ما يُتَّخَذُ مِنْ غَيْرِهَا كَالْمُتَّخَذِ مِنَ الحنطة والشعير والذرة والعسل

والفانيد، إلا أن يسكر منه فيحرم، وقالوا: إذا طبخ عصير العنب والرُّطْبُ حتى ذهب نصفه فهو حلال، ولكنه يُكْرَهُ، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا: هو حلال مباح شربه، إلا أن السكر منه حرام، ويحتجّون بما رُوي أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله [و:] إن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث، وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالاً وهو قول إسماعيل بن عليّ، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يُحَدُّ شاربه، واحتجّوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي حدثنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت:

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبَيْعِ، فَقَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ».

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي الفرات، عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْكِرَ كَثِيرُهُ قَلِيلُهُ حَرَامٌ».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أبا عبد الغفار بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها [و] لم يتب لم يشربها في الآخرة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى عن أبي حيان التيمي، عن الشعبي عن ابن عمر قال:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: من العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر: ما خامر العقل.

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمرًا، وإن من التمر خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وإن من البُرّ خمرًا، وإن من الشعير خمرًا». فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد أنه أخبره:

أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال: إني وجدت من فلان ربح خمر أو شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب! فإن كان يُسكر جلدته، فجلده عمر الحد تامًا.

وما روي عن عمر وأبي عبيدة ومُعَاذ في الطلاء فهو فيما طُبِخ حتى خرج عن أن يكون مُسكرًا، سئل ابن عباس عن الباذق، فقال: سبق محمد الباذق، فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾، يعني: القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يُخاطر الرجل على أهله وماله فأتيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والميسر: ففعل من قولهم: يسر لي الشيء إذا وجب يسر يسرًا وميسرًا، ثم قيل للقمار: ميسر، وللمقامر: ياسر ويُسر، وكان أصل الميسر في الجزور، وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورًا فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يُسهمون عليها بعشرة أقداح يقال لها الأزلام والأقلام السبعة، منها أنصاء وهي الفذ، وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أسهم، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلّى وله سبعة، وثلاثة منها لا أنصاء لها وهي: المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الزبابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض، ثم يجيئها ويخرج قدحًا منها باسم رجل منهم،

فأتيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما خرج، فإن خرج له واحد من هذه الثلاثة التي لا أنصاء لها كان لا يأخذ شيئًا، ويغرم ثمن الجزور كله، وقال بعضهم: كان لا يأخذ شيئًا ولا يُغرم، ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئًا، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمّون من لم يفعل ذلك، ويسمّونه البرم، وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب، والمراد من الآية أنواع القمار كلّها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجزور والكعباب، وروي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج أنهما من الميسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهَا إِتْمٌ كَبِيرٌ﴾: وزر عظيم من المخاصمة والمشامة وقول الفُحش، قرأ حمزة والكسائي ﴿إِتْمٌ كَبِيرٌ﴾، بالشاء المثناة وقرأ الباقون بالباء، فالإثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصَدِّكُم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ﴾؟ [المائدة: ٩١]، ﴿وَمَنْ تَبِعَ لَئِذَا﴾، فمِنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستئمرار الطعام، وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر: إصابة المال من غير كَد ولا تعب، وإزئفاف الفقراء به، والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساء ذلك فعادى صاحبه فقصده بالسوء، ﴿وَأَتَتْهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْتِهِمَا﴾، قال الضحّاك وغيره:

قال ﷺ: «أنفقه على خادمك»، قال: «عندي آخر»، قال ﷺ: «أنت أعلم».

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾، قال الزجاج: إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها القبيل، كأنه قال: كذلك أيها القبيل، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، لأن خطابه يشتمل على خطاب الأمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّا لِلنَّبِيِّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّكُم مِّنْهُم مَّا كَانَتْ يَدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِمْ وَأَنفُقُوا﴾، قال: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا، وتتفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى، وقال أكثر المفسرين معناها: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهّدوا فيها، وفي إقبال الآخرة ويقائها فترغبوا فيها.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾، قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَىٰ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَاذِبِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية، تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجاً شديداً حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، حتى كان يصنع لليتيم طعام [فيفضل] فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ

محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الساجر، أنا إبراهيم بن عبدالله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول».

وقال عمرو بن دينار:

الوسط من غير إسراف

ولا إقتار، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال طاووس: ما يسر، والعفو اليسر من كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْغَنَاءَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، أي: الميسور من أخلاق الناس.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي، أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله عندي دينار، قال ﷺ: «أنفقه على نفسك»، قال: عندي آخر، قال ﷺ: «أنفقه على ولدك»، قال: عندي آخر، قال ﷺ: «أنفقه على أهلك»، قال: عندي آخر،

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُمُ فَإِنُكُنُّمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَسْكَبُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَمَّا يُؤْمِنُوا فَمَا تَبْتَغُونَ مِمَّنْ يَمْشِي مِثْلَ وَجْهِكَ وَأَنْفُكَ يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَيْمَانَهُمْ يَقْبَلُونَ ﴿٢٢٠﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحْجُوزِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرِضُوا إِنَّهُنَّ فِي الْمَحْجُوزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٢١﴾ يَسْأَلُكُمْ خُزْنُكُمْ فَأَنفُقُوا حَتَّىٰ تَرْضَوْا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَىٰ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَمْوَالَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْوَالَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْوَالَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْوَالَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، [وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم]، هو ما يحصل به من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾؟ وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفق؟ فقال: ﴿قُلِ الْمَغْفُورُ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿الْمَغْفُورُ﴾ بالرفع، معناه: الذي يُنْفَقُونَ هو العفو، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: قل: أنفقوا العفو، واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما قُضِيَ عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية الزكاة وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن

إِصْلَاحٌ لَّهُمْ حَيْرٌ، أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجره ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجراً [لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم]، قال مجاهد: يوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم. ﴿وَلَنْ تَخْاطَبُوهُمْ﴾، هذه إباحة المخالطة، أي: إن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومسكنكم وخدمكم ودوابكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمرهم أو تكافؤهم على ما تُصيبون من أموالهم، ﴿فَلَا تَخَوَّنُكُمْ﴾، أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾: لأموالهم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: لها، يعني: الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وإفساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾، أي: لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً لكم، وأصل العنت: الشدة والمشقة، ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: العزيز الذي يأمر بعزة، سَهَّلَ عَلَى الْعِبَادِ أَوْشَقَ عَلَيْهِمْ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعانات.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾﴾، سبب نزول هذه الآية أن أبا مَرْثَدَ الْغَنَوِي بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها

سمعت به امرأة مشركة يُقال لها عناق، وكانت خليلته في الجاهلية فأنته وقالت: يا أبا مَرْثَدَ ألا تخلو؟ فقال لها: ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، فقالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال: نعم ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فاستأمره، فقالت: أبي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً ثم خلّوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها، فقال: يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُ﴾.

وقيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْحَصْنَةُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

فإن قيل: كيف أطلقت اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن بن فارس: لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان تزوج نائلة بنت فرافصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية. [فكتب إليه عمر رضي الله عنه: خلّ سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكنني أخاف أن تتعاطوا المومسات منهن]. قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تَنُفِقُوا بِمَالِكُمْ﴾: بجمعتها ومالها، نزلت في خنساء وليدة سودة كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: يا خنساء قد ذكرت في الملا الأعلى على سوادك ودمامتك فأعتقها وتزوجها.

وقال السدي: نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سودة فغضب عليها ولطمها، ثم فرغ فأتى النبي ﷺ فأخبره بذلك، فقال له ﷺ: «وما هي يا عبدالله؟» فقال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلّي، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مؤمنة»، قال عبدالله: فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أنتكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، هذا إجماع: لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك، ﴿وَلَقَدْ تَمَرَّتْ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ﴾، يعني: المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْبِرَّةِ وَالْإِيقَةِ بِآيَاتِهِ﴾، أي: بقضائه وقبده وإرادته، ﴿وَيَتَّبِعُونَ آيَاتِهِ﴾، أي: أوامره ونواهيه، ﴿لَسَلَّامٌ لِّكُلِّ نَبِيٍّ مِّنْهُمْ﴾، يتعظون.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلْتُكَ عَنِ الْكَافِرِينَ﴾﴾، أخبرنا أبو طاهر عمر بن

عبدالعزیز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، أنا موسى بن إسماعيل أنا حماد ابن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن اليهود كانت إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فسئل رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْحَيْضِ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهم في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فقالت اليهود: وما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشير إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا ننكحهن في الحيض فتمتد وجه رسول الله ﷺ [حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ]، فبعث في آثارهما فسقاها فعرفنا أنه لم يجد عليهما.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ﴾، أي: عن الحيض، وهو مصدر حاضت المرأة حيضاً حيضاً ومحيضاً، كالسير والسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾، أي: قدر، والأذى كل ما يكره من كل شيء، ﴿فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْحَيْضِ﴾، أراد بالاعتزال ترك الوطء [لهن]، ولا

تَقْرُبُونَّ، أي: لا تجامعوهن، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائز.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة، أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، كِلَانَا جنب، وكان يأمرني أن أتزر فيباشرنى وأنا حائض، وكان يُخرج رأسه إلي وهو متكف فأغسله وأنا حائض.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعد بن حفص، أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته: أن أم سلمة قالت: حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الخيمة فأنسلت فخرجت منها فأخذت ثياب حيصتي فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست؟» قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الخيمة.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنيفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم، أنا أبو الموجه محمد بن عمرو، أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض فأناوله للنبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في وتغرق والغرق فيتناوله فيضع فاه في موضع في.

فوطء الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعززه الإمام إن علم منه ذلك، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه، فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه، وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه، منهم قتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق، لما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد، أنا أبو جعفر الرازي عن عبدالكريم بن أبي المخارق عن يقسم عن ابن عباس:

أن النبي ﷺ سئل في رجل جامع امرأته وهي حائض، فقال: «إن كان الدم عيطاً فليصدق بدينار، وإن كان صفرة فبنصف دينار»، ويروى هذا موقوفاً على ابن عباس.

ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها، ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه، حتى إذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب [عليها] قضاء الصلاة، وكذلك النفساء.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجوبي، أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيدة بن معتب الضبي عن إبراهيم النخعي عن الأسود عن عائشة قالت: كنّا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة.

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا من المصحف ولا قراءة القرآن، ولا يجوز للزوج غشيانها.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي، أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال: حدثني جِسرة بنت دِجاجة قالت: سمعت عائشة تقول:

جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت أصحابه شاردة في المسجد، فقال: «وَجِّهُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ عَنِ الْمَسْجِدِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جَنْبٍ».

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، يعني: يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففاً، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض ولينقطع دمهن، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعني: اغتسلن، ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾، أي: فجامعوهن، ﴿وَمِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة، وقال ابن عباس: طَوَّوهنَّ في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، أي: اتفقوا الأدبار، وقيل: ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ بمعنى في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج؛ كقوله عز وجل: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلْمَلَأَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، أي: في يوم الجمعة، وقيل: فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله أن تؤتوهن [فيه]

وهو الطهر، وقال ابن الحنفية: من قَبِلَ الحلال دون الفجور، وقيل: لا تأتوهن صائحات ولا محتكفات ولا محرمات، وأتوهن وغشيانهن لكم حلال، واعلم أنه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيّم عند عدم الماء إلا تحريم الصوم، فإن الحائض إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوق غسلها بالنهار صَحَّ صومها، والطلاق في حال الحيض يكون بدعيّاً وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيّاً، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل، وقال مجاهد وطاووس: إذا غسّلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل. وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيّم عند عدم الماء؛ لأن الله تعالى علّق جواز وطئها بشرطين: بانقطاع الدم والغسل، ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾، يعني: من الحيض، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعني: اغتسلن فأتوهن، ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد من [ذلك] الغسل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، أي: اغتسلوا، فدلّ على أن قبل الغسل لا يحلّ الوطء.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِبِ الْمُتَوَلَّيْنَ فَيُحْبِطُوا صَوْمَهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يجب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين

بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يجب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبيرة: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد: التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِبِ الْمُتَوَلَّيْنَ فَيُحْبِطُوا صَوْمَهُمْ﴾ [الإسراء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَلَيْ شَيْئًا﴾،

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن حامد الأصهباني، أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس، أنا يعقوب القُفمي عن جعفر بن [أبي] المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس:

جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حوّل رحلي البارحة فلم يرّد عليه شيئاً، فأرّحى الله إليه: ﴿وَسَأَلَكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَلَيْ شَيْئًا﴾، يقول: «أذير وأقبل واتق الذبّر والخبيضة».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب، أنا ابن غيّنة عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبدالله يقول:

كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها أن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿وَسَأَلَكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَلَيْ شَيْئًا﴾.

وروي مجاهد عن ابن عباس قال: كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرت عليه وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ﴾ الآية، يعني: موضع الولد، ﴿فَأَتُوا رَبَّكُمْ أَلَّا تُشْنَمُوا﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات. و﴿أَلَّا﴾ حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة ﴿أَلَّا تُشْنَمُوا﴾: إنما هو الفرج، ومثله [عن الحسن، وقيل: حرث] لكم، أي: مزرع لكم ومنبت للولد بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر، وقال سعيد بن المسيب: هذا في العزل، يعني: إن شئتم، فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا، وسئل ابن عباس عن العزل فقال: حرثك إن شئت فأعطش وإن شئت فأرو، وروي عنه أنه قال: تُستأمر [الحرّة في العزل ولا تستأمر] الجارية، وبه قال أحمد وكره جماعة العزل، وقالوا: هو الواد الخفي.

وروي عن مالك عن نافع قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ﴾، فقال: أتدري فيم نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه، فنزلت هذه الآية، ويحكي عن مالك إباحة ذلك، وأنكر ذلك أصحابه، وروي عن عبدالله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبدالله فقال له: يا أبا عمر ما حدثت بحديث نافع عن عبدالله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن؟ فقال: كذب العبد وأخطأ إنما قال عبدالله: يُؤْتُونَ في فروجهن من أدبارهن. والدليل على تحريم الأدبار ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد بن الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع، أخبرنا عبدالله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة الجلاح، عن خزيمة بن ثابت:

أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن، فقال النبي ﷺ: «في أي الخمرتين، أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أم من دبرها في قبلها فنعم، أم من دبرها في دبرها فلا، فإن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الحافظ أنا

عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي أنا عبدالله بن عمر بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأة في دبرها».

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾، قال عطاء: التسمية عند الجماع، قال مجاهد: وقدموا لأنفسكم يعني: إذا أتى أهله فليدع.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي [أنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحداكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره الشيطان أبداً».

وقيل: قدّموا أنفسكم، يعني: طلب الولد.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع

وإبراهيم النخعي وقتادة ومكحول،
وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه،
وقالوا: لا كفارة فيه ولا إثم عليه،
وقال علي: [هو اليمين على]
الغضب، وبه قال طاووس وقال
سعيد بن جبير: هو اليمين في
المعصية لا يؤاخذ الله بالجنث فيها،
بل يَحْنُثُ وَيُكْفَرُ، وقال مسروق:
ليس عليه كفارة، أَتَكْفَرُ خَطَوَاتِ
الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل
يحلف على المعصية: كفارتها أن
يتوب منها، وكل يمين لا يَحِلُّ لك
أن تفي بها فليس فيها كفارة، ولو
أمرته بالكفارة لأمرته أن يُتِمَّ على
قوله، وقال زيد بن أسلم: هو دعاء
الرجل على نفسه، كقول الإنسان:
أعني الله بصري إن [لم] أفل كذا،
[أخرجني الله من مالي إن لم آتك
غداً ويقول هو إن فعل كذا]، فهذا
كله لغو لا يؤاخذ الله به، ولو
آخذهم به لعجل لهم العقوبة، ﴿وَلَوْ
يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ
بِالْخَيْرِ لَفَضَحْهُمْ عَنْ آلِهِمْ﴾ [يونس: ١١]،
وقال: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ
دُعَاةً وَيَالْتَقِي﴾ [الإسراء: ١١]، قوله
تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاجِدُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ﴾، أي: عزمتم وقصدتم إلى
اليمين، وكسب القلب: العقد
والنية، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله
أو باسم من أسمائه أو بصفة من
صفاته، فاليمين بالله أن يقول:
والذي أعبد والذي أصلي له والذي
نفسى بيده، ونحو ذلك، واليمين
بأسمائه: كقوله: والله والرحمن
[والرحيم] ونحوه، واليمين بصفاته

كقوله: [وكبيراء الله] وعزة الله
وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله
ونحوهما، فإذا حلف بشيء منها
على أمر في المستقبل، فَحَنِثَ تجب
عليه الكفارة، وإذا حلف على أمر
ماض أنه كان ولم يكن، أو على أنه
لم يكن وقد كان إن كان عالماً به
حالة ما حلف [به]، فهو اليمين
الغُمُوس وهو من الكباثر، وتجب فيه
الكفارة عند بعض أهل العلم عالماً
كان أو جاهلاً، وبه قال الشافعي.

ولا يجب عند بعضهم وهو قول
أصحاب الرأي، وقالوا: إن كان
عالماً فهو كبيرة ولا كفارة لها كما
في سائر الكباثر، وإن كان جاهلاً
فهو اليمين اللغو عندهم، ومن حلف
بغير الله [تعالى] مثلاً، مثل أن قال:
والكعبة وبيت الله ونبي الله، أو
حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون
يميناً ولا تجب به الكفارة إذا حلف
وهو يمين مكروهة، قال الشافعي:
وأخشى أن يكون معصية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد [أنا] أبو إسحاق
الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك
عن نافع عن عبد الله بن عمر أن
رسول الله ﷺ أدرك عمر بن
الخطاب وهو يسير في ركب وهو
يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ:
«إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم،
فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو
ليصمت».

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن
بَنِيهِمْ نُسَبَةٌ أَربعَةٌ أَشْهُرٌ﴾، يؤلون
أي: يحلفون، والآية: اليمين،
والمراد من الآية اليمين على ترك

وطء المرأة، قال قتادة: كان الإيلاء
طلاقاً لأهل الجاهلية، وقال
سعيد بن المسيب: كان ذلك من
ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا
يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها
غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً
فيتركها لا أئماً ولا ذات بعل، كانوا
عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله
له أجلاً في الإسلام، واختلف أهل
العلم فيه، فذهب أكثرهم إلى أنه إن
حلف أن لا يقرب زوجته أبداً أو
سُمي مدة أكثر من أربعة أشهر يكون
مولياً، فلا يتعرض [له] قبل مضي
أربعة أشهر وبعد مضيتها يوقف ويؤمر
بالفء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة،
والفء: هو الرجوع عما قاله بالوطء
إن قدر عليه، وإن لم يقدر فالبطلان،
فإن لم يف ولم يُطْلَقْ طلق عليه
السلطان واحدة، وذهب إلى الوقوف
بعد مضي المدة: عمر وعثمان وعلي
وأبو الدرداء وابن عمر، قال
سليمان بن يسار: أدركت بضعة
عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم
يقولون بوقف المولي، وإليه ذهب
سعيد بن جبير وسليمان بن يسار
ومجاهد، وبه قال مالك والشافعي
وأحمد وإسحاق، وقال بعض أهل
العلم: إذا مضت أربعة أشهر تقع
عليها طلاقه بائنة، وهو قول ابن
عباس وابن مسعود، وبه قال سفيان
الثوري وأصحاب الرأي. وقال
سعيد بن المسيب والزهري: تقع
طلقة رجعية، ولو حلف أن لا يطأها
أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى بل
هو حالف، فإذا وطئها قبل مضي
تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين،

ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون مؤبداً عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة، [لأن بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق، وقد مضت المدة، وعند من لا يقول بالوقف يكون مؤبداً ويقع الطلاق بمضي المدة]، ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي رحمه الله، لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع، وهو قلة صبر المرأة عن الزوج، فيستوي فيه الحر والعبد. وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تنصف مدة العتة بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنصف برق المرأة، وعند مالك برق الزوج، كما قال في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿تَرْتَضُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، أي: انتظار أربعة أشهر، والترتص: التثبت والتوقف، ﴿إِنْ قَامُوا﴾: رجعوا عن اليمين بالوطء، ﴿إِنْ أَلَّهْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وإذا وطئ خرج عن الإيلاء، وتجب عليه [كفارة اليمين] عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة، فقال: ﴿إِنْ أَلَّهْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وذلك عند الأكثرين في إسقاط العقوبة لا في الكفارة، ولو قال لزوجه: إن قربتك فعبدي حر أو صرت طالقاً، أو لله علي عتق رقبة أو صوم أو صلاة، فهو مؤبد لأن المولي من يلزمه أمر بالوطء ويوقف بعد مضي المدة، فإن فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به، وإن التزم في الدمة يلزمه كفارة اليمين في

قول، وفي قول: يلزمه ما التزم في ذمته من الإعتاق أو الصلاة أو الصوم.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾، أي: حققوه بالإيقاع، ﴿إِنْ أَلَّهْ سَمِيعٌ﴾: لقولهم، ﴿كَلِمَةً﴾: بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿إِنْ أَلَّهْ سَمِيعٌ كَلِمَةً﴾، فدل على أنه يقتضي سموعاً، والقول هو الذي يسمع.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ ثَلَاثَةٌ قُرْءٌ﴾، أي: المخليات من حبال أزواجهن، ﴿يَتَرْتَضُونَ﴾: ينتظرون، ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرْءٍ﴾، فلا يتزوجن، والقُرء: جمع قرء مثل فرع، وجمعه القليل: أقرؤ، والجمع الكثير: أقرء، واختلف أهل العلم في القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد، واليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة: «دعي الصلاة أيام أقرائك». والصلاة أيام أقرائك.

وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها، وذهب جماعة إلى أنها الأطهار، وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي.

واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض، قال النبي ﷺ لعمر: «مُرْهُ فَلْيَرَاغِبْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ

التي أمر الله أن يطلق لها النساء». فأخبر أن زمان العدة هو الطهر. ومن جهة اللغة قول الشاعر:

ففي كل عام أنت جاشم غزوة
تشد لأقصاها عزم عزائك
مورثة مالا وفي الحي رفة
لما ضاع فيها من قروء نسائك
وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقرأهن، وإنما تضع بالسفر زمان الطهر، لا زمان الحيضة، وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها، ومن ذهب إلى أن الأقرء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة، وهذا الاختلاف من حيث إن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعاً، يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت إذا طهرت فهي مقرء، واختلفوا في أصله، فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه، يقال: رجع فلان لقرئه ولقارته، أي: لوقته الذي يرجع فيه، وهذا قارئ الرياح، أي: وقت هبوبها، قال مالك بن الحارث الهذلي:

كرهت العقر عقر بني شليل
إذا هبت لقارثها الرياح
أي: لوقتها، والقرء يصلح للوجهين لأن الحيض يأتي لوقت،

جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ، فسرد لي قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة، قال: «فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندهن فإنكنم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما إن تستكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد [اللهم اشهد] ثلاث مرات».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن يحيى، أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم».

قوله تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِجَبٍ دَرَجَةً﴾، قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهد، وقيل: بالعقل، وقيل: بالشهادة، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل: بالرجعة، وقال سفيان

وزيد بن أسلم: بالإمارة، وقال القتيبي: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِجَبٍ دَرَجَةً﴾، معناه: فضيلة في الحق، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، أنا [أبو] حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان:

أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي ﷺ فيها، ثم رجع فرأى رجالاً يسجد بعضهم لبعض، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في [ابتداء الإسلام] يطلقون من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها كذلك ثم راجعها، يقصد [بذلك] مضارتها، فنزلت هذه الآية: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، يعني: الطلاق الذي يملك الرجعة عقبيه مرتان، فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَكَاتُ الْيَمْرِ﴾، قيل: أراد بالإمسك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه الإمساك بعد الرجعة، يعني: إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح

وَحُسْنُ الصَّحْبَةِ، ﴿أَوْ تَصْرِيعٌ يَخْسَنُ﴾، هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها، وقيل: الطلقة الثالثة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَصْرِيعٌ يَخْسَنُ﴾، وصرح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة: الطلاق والفراق والترحال، وعند أبي حنيفة: الصريح هو لفظ الطلاق فحسب، وجملة الحكم فيه: أن الحر إذا طلق زوجته طلاقاً أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له أن يراجعها بغير رضاها ما دامت في العدة، فإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها، أو خالها، فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها وإذن وليها، فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، [وأما العبد إذا كانت تحته امرأة فطلقها طلقتين فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر]، واختلف أهل العلم فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الطلاق بالرجال، والعدة بالنساء، يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل، وفي قدر العدة حال المرأة، وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق،

فيملك العبد على زوجته الحرّة ثلاث تطليقات، ولا يملك الحرّ على زوجته الأمة إلا تطليقتين، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ﴾: أعطيتهم من المهور وغيرها، ثم استثنى الخلع، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَخَفَا أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى، ويقال: في حبيبة بنت سهل، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت إليه زوجها، وقالت [له]: إنه يسيء إلي ويضربني، فقال [لها]: ارجعي إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها، قال: فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب، فقال: ارجعي إلى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه، وقالت: يا رسول الله لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس فقال: «ما لك ولأهلك؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إليّ منها غيرك، فقال لها: «ما تقولين؟» فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ حين سألها، فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني، فأخرجني منه، وقالت: يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً يُنزل الله عليك خلاقه فهو من أكرم الناس حباً لزوجته، ولكني أبغضه،

فلا أنا ولا هو، قال ثابت: يا رسول الله [إني] قد أعطيتها حديقة فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها، فقال لها: «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟» قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابت خذ منها ما أعطيتها، وخلّ سبيلها»، ففعل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا زاهر بن جميل، أخبرنا عبد الوقاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر بعد الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَخَفَا﴾، أي: يعلما ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، قرأ أبو جعفر وحمة ويعقوب ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ بضم الياء، أي: يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والولي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا، وقرأ الآخرون ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء، أي: يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يُقيما حدود الله، تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهي الله الرجل أن يأخذ امرأته شيئاً مما آتاها

إلا أن يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، أي: فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله ﴿عَلَيْهَا﴾ الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقتراحهما؛ كقوله تعالى: ﴿يَا كَايُهَا حُوتُهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وإنما الناسي فتى موسى دون موسى، وقيل: أراد أنه لا جناح عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر ممّا أعطاه، وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطاه من المهر، وقال سعيد بن المسيّب: لا يأخذ منها جميع ما أعطاه بل يترك [لها] شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز، غير أنه يُكره لِمَا فيه من قطع الوصلة بلا سبب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، أنا عبد الله بن محمد بن [أبي] شيبة، أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن إسحاق بن شاذان بن أحمد بن عيسى بن يونس أنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن مُحارب بن دثار، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مَنْ أَبْغَضَ الْحَلَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقَ».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجدويه، أنا ابن أبي شيبة محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنا أبي أنا [أبو] أسامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب، عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَأْتُهُ الْجَنَّةَ».

وقال طاووس: الخلع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية، والآية خرجت على وفق العادة في أن الخلع لا يكون إلا في حال خوف النشوز غالباً، وإذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينة، وانتقص به العدد. واختلف أهل العلم في الخلع، فذهب أكثرهم إلى أنه تطليقة بائنة ينقص بها عدد الطلاق، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي، وإليه ذهب مالك والشوري والأوزاعي وأصحاب الرأي، وهو أظهر قول الشافعي، وذهب قوم إلى أنه فسُخ لا ينتقص به عدد الطلاق، وهو قول عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وبه قال عكرمة وطاوس، وإليه ذهب أحمد وإسحاق، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين، ثم ذكر بعده الخلع، ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال: «إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا عِلَّ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْبًا».

غيره [البقرة: ٢٣٠]، ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً، ومن قال بالقول الأول جعل الطلقة الثالثة: «أَوْ تَشْرِيحُ بِإِحْسَنٍ». قوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»، أي: هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه، «فَلَا تَمْتَدُّوا»، فلا تجاوزوها، «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

قوله تعالى: «إِنْ طَلَّقَهَا»، يعني: الطلقة الثالثة، «فَلَا عِلَّ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ»، أي: من بعد الطلقة الثالثة، «حَتَّى تَنْكِحَ زَوْبًا غَيْرَ»، أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً، نزلت في تميمية، وقيل: في عائشة بنت عبدالرحمن بن عتيك القرظي، كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً،

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول:

جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبثت طلاقتي وتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة؟ قالت: نعم، قال: «لا، حتى يذوق غسيلتك وتذوقي عسيلته».

وروي أنها لبثت ما شاء الله، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني، فقال لها النبي ﷺ: «كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر»، فلبثت حتى قبض النبي ﷺ، فأتت أبا بكر رضي الله عنه، فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني، فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتته وقال لك ما قال، فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه أتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: لا ترجعي إليه لئن رجعت إليه لأرجمك.

قوله تعالى: «إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا»، يعني: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما جامعا فلا جناح عليهما، يعني: على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، يعني: بنكاح جديد، «إِنْ طَلَّقَا»، أي: علماً، وقيل: رجوا، لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل، «أَنْ يَتَرَاجَعَا حُدُودُ اللَّهِ»، أي: يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير دلسة، وأراد بالدلسة: التحليل، وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق، قالوا: إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجاً آخر ليحللها للزوج الأول فإن النكاح فاسد، وذهب جماعة إلى أنه إذا لم يشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها،

زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمك فطلقتها! ثم جئت تخطبها؟ ألا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْسُوهُنَّ أُنَّ يَكُونَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَجْلُهُنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَقْسُوهُنَّ أُنَّ يَكُونَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، أي: لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدّة، يقال: عضلت المرأة: إذا تشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج، والداء العضال الذي لا يُطاق علاجه، وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح، إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل، ولا لنهي الولي عن العضل معني، وقيل: الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم، والأول أصح، ﴿إِذَا رَاضُوا بِتَمِّمٍ بِالْمَرْثَةِ﴾، بعقد حلال ومهر جائز، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: [ذلك] الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وإنما قال ذلك موحداً والخطاب للأولياء، لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم، ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليس بكاف خطاب، فقالوا ذلك، فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في

الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر، قيل: هو خطاب للنبي ﷺ، فلذلك وُحِدَ ثم رجع إلى خطاب المؤمنين، فقال: ﴿ذَلِكَ أَتَى لَكُمْ﴾، أي: خير لكم، ﴿وَالْأَهْلُ﴾: لقلوبكم من الريبة وذلك أنه كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون، ﴿وَاللَّهُ يَتَمَنَّاهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾، أي: والمطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن ﴿يُرْضِعْنَ﴾ خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد؛ لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها، ﴿تَوَلَّى كَامِلِينَ﴾، أي: ستين، وذكر الكمال للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿بَلَّغْ عَمْرَهُ كَامِلًا﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقيل: إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً، كما قال الله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مُقَلَّوْنَتْ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وإنما هي شهران وبعض الثالث، وقال: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال: أقام فلان بموضع كذا

حولين، وإنما أقام به حولاً وبعض آخر، فيبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهراً، واختلف أهل العلم في هذا الحد، فمنهم من قال: هو حد لبعض المولودين، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها إذا وضعت لسته أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، وإن وضعته لسبعة أشهر فإنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً، وإن وضعت لسته أشهر فإنها ترضعه أحداً وعشرين شهراً، وإن وضعت لعشرة أشهر فإنها ترضعه عشرين شهراً كل ذلك تمام ثلاثين شهراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمَلٌ وَفَصْلَةٌ ثَلَاثُونَ شهراً﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال قوم: هو [حد] لكل مولود بأي وقت وُلِدَ لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين، فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾، وهذا قول ابن جريج والشوري، ورواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المراد من الآية بيان أن الرضاع الذي يثبت [به] الحرمة ما يكون في الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين، قال قتادة: فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين، ثم أنزل التخفيف فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَمَّ الرِّضَاعَةَ﴾، أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حدٌ محدود [لهما]، وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به. ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لِمَ﴾، يعنسي: الأب، ﴿وَرِثَتَهُنَّ﴾:

له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل: هو الباقي من والدي المولود، بعد وفاة الآخر عليه، مثل الذي كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة، وقيل: ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي والزهري، **﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾**، يعني: الوالدين، **﴿فِيصَالًا﴾**، [أي]: فطاماً، قيل: الحولين **﴿عَنْ تَرَاضٍ فِيهِمَا﴾**، أي: اتفاق [من] الوالدين، **﴿وَتَشَاوَرًا﴾**، أي: يشاورون أهل العلم به حتى يُخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**، أي: لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين، **﴿وَلَوْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾**، أي: لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم، أو تعذر لعلة بهن أو انقضاء لبن أو أردن النكاح، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾**، إلى أمهاتهم، **﴿هَآآئِيَّتُمْ﴾**، ما سئتم لهن من أجره الرضاع [أو] بقدر ما أرضعن، وقيل: إذا سلمتم أجور المراضع إليهن، **﴿يَا مَعْزُوفٍ﴾**، قرأ ابن كثير **﴿هَآآئِيَّتُمْ﴾** [وفي الروم: ٣٩] بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم يقال آتيت جميلاً إذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة، يعني: إذا سلمتم لأمره وانقذتم لحكمه، وقيل: إذا سلمتم للاسترضاع عن

راجعاً إلى الصبي، أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا تُرضعه الأم حتى يموت، أو لا يُنفق الأب، أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا يكون الباء زائدة، ومعناه: لا تضار والدته ولدها، ولا أب ولده، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين. قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الْوَارِثِ يَثُلَ ذَلِكَ﴾**، اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه الذي كان على أبيه في حال حياته، ثم اختلفوا في أي وارث هو من ورثته، فقال بعضهم: هم عصبة الصبي من الرجال، مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء، وهو مذهب سفيان، قالوا: إذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه، وقيل: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء، وهو قول قتادة وابن أبي ليلى، ومذهب أحمد وإسحاق، وقالوا: يجبر على نفقته كل وارث قدر ميراثه، عصبة كانوا أو غيرهم، وقال بعضهم: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى، فغير مراد بالآية، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، تكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن

طعامهن، **﴿وَيَكُونَنَّ﴾**: لباسهن، **﴿يَا مَعْزُوفٍ﴾**، أي: على قدر الميسرة، **﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾**، أي: طاقتها، **﴿لَا تُضَاكَّرُ وَابْنَةٌ يُولَدُهَا﴾**، قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء، نسقاً على قوله: **﴿لَا تُكَلِّفُ﴾** وأصله تضار، فأدغمت الراء في الراء، وقرأ الآخرون **﴿تُضَاكَّرُ﴾**، بنصب الراء، وقالوا: لما أدغمت الراء في الراء حُرِكتْ إلى أخف الحركات وهو النصب، ومعنى الآية: لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه، **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ﴾**، أي: لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما أَلْفَهَا تُضَارُهُ بذلك، وقيل: معناه لا **﴿تُضَاكَّرُ وَابْنَةٌ﴾** فكرهه على إرضاعه إذا كرهت هي إرضاعه، وقيل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ﴾**، فيحتمل أن يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع الولد من غيرها، فعلى هذين القولين أصل الكلمة: لا تضار، بفتح الراء الأولى على الفعل المجهول، والوالدة والمولود [له] مفعولان، ويُحتمل أن يكون الفعل لهما يكون تضار بمعنى: تضارر بكسر [الراء] الأولى على تسمية الفاعل، والمعنى: **﴿لَا تُضَاكَّرُ وَابْنَةٌ﴾** فتأبى أن ترضع ولدها ليشق على أبيه، **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾**، أي: لا يضار الأب أم الصبي فينزع منها ويمنعها من إرضاعه، وعلى هذه الأقوال يرجع الضرر إلى الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرر

تراض وإنفاق دون الضرار، ﴿وَالْقَوَا
اللهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يموتون وتتوفى أجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفى: أخذ الشيء وافيًا، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: يتركون أزواجًا، ﴿يَتَرَصَّعْنَ﴾: ينتظرن، ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، أي: يعتدّن بترك الزينة والطيب والنقلة على فراق أزواجهن هذه المدة، إلا أن يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاء في الابتداء حولا كاملا؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَمًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا، وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد: كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشرا واجبة عند أهل زوجها، فانزل الله تعالى: ﴿مَتْنَمًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو معنى قول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ حَرَجْنِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، فالعدة كما هي واجبة عليها، وقال عطاء: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، وسكنت في وصيتها، وإن شاء خرجت، قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى، فتعدت حيث شاءت ولا سكنى لها، ويجب عليها الإحداد في

عدة الوفاة، وهي أن تمتنع من الزينة والطيب، فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن، ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه، فإن كان فيه طيب فلا يجوز، ولا يجوز لها أن تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الأسود، ولا بأس بالكحل الفارسي الذي لا زينة فيه، فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فقد رخص فيه كثير من أهل العلم ومنهم

سالم بن عبدالله وسليمان بن يسار، وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي، وقال الشافعي رحمه الله: تكتحل به ليلا وتمسحه بالنهار.

قالت أم سلمة: دخل علي رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة وقد جعلت على وجهي صبرا فقال: «إِنَّهُ يَشُبُّ وَجْهَهُ، فَلَا تَجْعَلِيهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ وَتَنْزِعِيهِ بِالنَّهَارِ».

ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي، ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر، ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي، وقال سفيان:

لا تلبس المصبوغ، بحال.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَصَّعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٩﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَشْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ لَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَقُولُوا عِدَّتُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَزِرُ مَوَاعِدَةُ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاعْلَمُوا رُءُوسَهُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَحْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْوَسْطِ قَدَرَهُمْ وَعَلَى الْمَقْدُورِ قَدَرَهُمْ مَتَّعُوا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤١﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا وَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوتَ أَوْ يُعْفُوا الَّذِي يَدُوهُ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٤٢﴾

زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي، أنا أبو مضعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمر [بن] حزم، عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة أنها أخبرته بهذه الأحاديث الثلاثة، قالت زينب:

دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مسّت به بطنها ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَتَوَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَجِدَ عَلَى مِيتٍ فَوْقَ ثَلَاثَ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا». وقالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش لزواج النبي ﷺ حين توفي أخوها عبدالله

فدعت بطيب فمست به، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تحب على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً». قالت زينب: وسمعت أمي أم سلمة تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»، قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى يمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به، فقلماً تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بكرة فترمي بها، ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره.

وقال مالك: تفتض، أي: تمسح جلدها، وقال سعيد بن المسيب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد، ويقال: إن الولد يرتكض، أي: يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريباً من نصف مدة الحمل، وإنما قال «عشراً» بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي، لأن العرب إذا أبهت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي، فيقولون: صمنا

عشراً، والصوم لا يكون إلا بالنهار، وقال المبرد: إنما أنت العشر لأنه أراد المدد، أي: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة، وإذا كان المتوفى عنها زوجها حاملاً فعذتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، روي عن علي بن عباس رضي الله عنهم: أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أنزلت سورة النساء الفُصْرَى بعد الطُولَى، وأراد بالقصرَى سورة الطلاق ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْصَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، نزلت بعد قوله تعالى: ﴿يَرْزُقْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، [وبالطُولَى] في سورة البقرة فحمله على النسخ، وعامة الفقهاء خصّوا الآية بحديث سُبَيْعة وهو ما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مَضْعَب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة:

أَنْ سُبَيْعَةَ نَفَسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَتْ أَنْ تُنْكَحَ، فَأْذَنَ لَهَا، فَنَكَحَتْ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، خطاب للأولياء، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾، أي: من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل: فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع،

﴿وَالْمَعْرُوفُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ﴾، والإحْدَادُ واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق ففيها نظر، فإن كانت رجعية لا إحْدَاد عليها في العدة، لأن لها أن [تصنع] ما يُشوق قلب الزوج إليها ليُراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاثة قولان، أحدهما: [عليها] الإحْدَاد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحْدَاد عليها، وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، أي: النساء المُعْتَدَات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مرادة من غير تصريح، والتعريض بالخطبة مباح في العدة، وهو أن يقول: رُبُّ رَاغِب فيك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك علي لكريمة، وإني فيك لراغب، وإن من غرضي أن أتزوج، وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتُك لأحسنن إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني، والمرأة تجيبه بمثله إن رغبت فيه، وقال إبراهيم: لا بأس أن يهدي إليها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت [من شأنه].

زوي أن سَكِينَةَ بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال: يا بنت حنظلة أنا مَنْ قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ

وحنن جدي عليّ وقدمي في الإسلام! فقالت سكينه: انخطبني وأنا في العدة وأنت [ممن] يؤخذ العلم عنك! فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة، فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدته تحامله على يده، والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة يُنظر إن كانت ممن لا يحل بانث [منه] نكاحها، كالمطلقة ثلاثاً، والمُبانة باللعان والرضاع، فإنه يجوز خطبتها تعريضاً، [وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها، يجوز لزوجها خطبتها تعريضاً وتصريحاً]، وهل يجوز للغير تعريضاً؟ فيه قولان، أحدهما: يجوز كالمطلقة ثلاثاً، والثاني: لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضاً بالخطبة، [و] قوله تعالى: ﴿وَيَنْ خُطِبَ إِلَيْهَا﴾، [الخطبة] التماس النكاح وهي مصدر خُطِبَ الرجل المرأة يَخْطُبُ خُطْبَةً، وقال الأخفش: الخطبة الذكر والخُطبة التشهد، فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿أَوْ أَكْتَنَنْتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، من نكاحهن، يقال: أكننت الشيء وكننته لفتان. وقال ثعلب: أكننت الشيء [أي: أخفيته في نفسي]، وكننته سترته، قال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي

إن شاء ولا يتكلم بشيء ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَنَدُوهُنَّ﴾: بقلوبكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ بِيْرًا﴾، اختلّفوا في السر المنهي عنه، فقال قوم: هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح، ويقول لها: دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء، ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال زيد بن أسلم: أي لا ينكحها سراً فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك، وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي: لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة، قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، فيقول: أتيتك الأربعة والخمسة، وأشباه ذلك، ويذكر السر ويُرَاد به الجماع، قال امرؤ القيس: ألا زعمت بسباسة القوم أنني كبرت وألا يُحسن السر أمثالي وإنما قيل للزنا والجماع: سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة. [و] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عَقْدَةَ الْكَفَّاجِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾، أي: لا تُحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى تنقضي العدة، وسماها الله: كتاباً، لأنها فرض من الله؛ كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ

عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ١٨٣]، أي: فرض عليكم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاعْلَوْهُ﴾، أي: فخافوا الله، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ حَلِيمٌ﴾، لا يعجل بالعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ولم تمسوهن ولم تفرضوا.

نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يُسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسها، فنزلت هذه الآية، فقال له رسول الله ﷺ: «متعها ولو بقلنسوتك».

قرأ حمزة والكسائي «ما لم تماسوهن»، بالالف ههنا وفي الأحزاب على المفاعلة، لأن بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَنْتَظِرُ أَنْ يَمْسَا﴾ [المجادلة: ٤]، وقرأ الباقون ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ بـلا ألف، لأن الغشيان يكون من فعل الرجال، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسُوهُنَّ بِمَرْءٍ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أو تفرضوا لهن فريضة، أي: توجبوا لهن صداقاً، فإن قيل: فما الوجه في نفي الجُنَاح عن المطلق؟ قيل: الطلاق قطع سبب الرصلة. وجاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق».

فنفي الجُنَاح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن

من قبل المسيس، والفرض بصدق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سِنَّة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها، بخلاف المدخول بها، فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض، ﴿وَيَتَوَهَّنَ﴾، أي: أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع: ما يُتَبَلَّغ به من الزاد، ﴿عَلَى الْوَيْسِ﴾، أي: على الغنى، ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْفَقِيرِ﴾، أي: الفقير، ﴿قَدَرُهُ﴾، أي: إمكانيه وطاقته، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص «قدره» بفتح الدال فيهما، وقرأ الآخرون بسكونهما، وهما لغتان، وقيل: القدر بسكون الدال: المصدر، وبالفتح: الاسم، ﴿مَتَّعَ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: متَّعُوهُنَّ، ﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: بما أمركم الله به من غير ظلم، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، وبيان حكم الآية: أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً، ثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالاتفاق، وإن طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها، على قول الأكثرين، ولها نصف المهر المفروض.

واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنها لا متعة لها، لأنها تستحق المهر، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، وهو قول عبدالله بن عمر،

وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي، لأن استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع، فلها المتعة على وحشة الفراق، فعلى القول الأول لا متعة إلا لواحدة، وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس، وعلى القول الثاني: لكل مطلقة متعة إلا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، قال عبدالله بن عمر: لكل مطلقة متعة إلا التي فُرض لها ولم يمَسَّها زوجها، فحسبها نصف المهر، قال الزهري: متعتان يقضي بإحداهما السلطان ولا يقضي بالآخرى، بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى، فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والمسيس، وهو قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، والتي تلزمه فيما بينه وبين الله [تعالى] فلا يقضي بها السلطان، فهي المطلقة بعد المسيس، وهو قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، وذهب الحسن وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس أو بعد الفرض قبل المسيس؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَمِنْهُنَّ سِرْكًا حِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وقالوا: معنى قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا تَمَّ نَفْسُوهُنَّ أَوْ قَرَّبْتُمُوهُنَّ قَرِيبَةً﴾، أي: أو لم تفرضوا

لهن فريضة، وقال بعضهم: المتعة غير واجبة والأمر بها أمر ندب واستحباب.

رُوي أن رجلاً طَلَّقَ امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شريح في المتعة، فقال شريح: لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين، ولم يجبره على ذلك، واختلفوا في قدر المتعة، فَرُوي عن ابن عباس: أعلاها خادم، وأوسطها ثلاثة أثواب: دِرْعٌ وَخِمَارٌ وَإِزَارٌ، ودون ذلك وقاية، أو شيء من الورق، وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي، قال: أعلاها على الموسع: خادم، وأوسطها: ثوب، وأقلها: [أقل] ما له ثمن وحسن ثلاثون درهماً، وطلق عبدالرحمن بن عوف امرأته وحماتها جارية سوداء، أي: متَّعها، ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، وقال أبو حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز. والآية تدل على أنه يُعتبر حال الزوج في العسر واليسر، ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح، وللمرأة مطالبة بأن يفرض لها صداقاً، فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهرٌ مثلها، وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة، وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول، فاختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا؟ فذهب جماعة

إلى أنه لا مهر لها، وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس، كما لو طلقها قبل الفرض والدخول، وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى، فكذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود: لها صداق نسائها ولا وَكْسَ ولا شَطَطَ، وعليها العدة ولها الميراث، فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بَرُوع بنت واشق امرأة مثا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الشافعي رحمه الله: فإن ثبت حديث بَرُوع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي ﷺ، وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث، وكان علي يقول في حديث بَرُوع: لا يقبل قول أعرابي من أشجع على [كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ].

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْقَئُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسَوَّيْنَ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَمِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ﴾، هذا في المطلقة بعد الفرض قبل الميسس، فلها نصف المفروض وإن مات أحدهما قبل الميسس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع.

واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فذهب جماعة إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق ولا عِدَّة عليها، لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل الميسس نصف المهر ولم يوجب العِدَّة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود، وبه قال الشافعي رحمه الله، وقال قوم: يجب لها كمال المهر وعليها العدة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق، ومثله عن زيد بن ثابت، وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلمت نفسها، لا على تقدير الصداق.

وقيل: هذه الآية ناسخة للآية التي في سورة الأحزاب: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَيْنٍ تَمْنَوْنَها فَيَتَعَوَّهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فقد كان للمطلقة قبل الميسس متاع فُتُسِخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل الميسس نصف المفروض، ولا متاع لها. وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ستمتم لهن مهراً ﴿فَمِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ﴾، أي: لها نصف المهر المسمى، ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتَ﴾، يعني: النساء، أي: إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، قوله تعالى: ﴿أَوْ يَمُوتُوا أَلَا يَتَعَوَّهِنَّ﴾، اختلفوا فيه فذهب بعضهم: إلى أن الذي بيده عِدَّة النكاح هو الولي، وبه قال ابن

عباس رضي الله عنه، معناه: إلا أن تغفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو أو يغفو وليها، فيتترك نصيبها إن كانت المرأة بكرًا، أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها، وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعة، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرًا، فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عِدَّة النكاح هو الزوج، وهو قول علي، وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة والشعبي وشريح ومجاهد وقتادة، وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرًا كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، كما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية [إلا أن] تغفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، أو يغفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية الذي بيده عِدَّة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده، ﴿وَأَنْ تَمُوتُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، [موضعه رفع بالابتداء، أي: فالعفو أقرب للتقوى]، أي إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء، جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا، كانت الغلبة للمذكر، معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى، ﴿وَلَا تَسُوا أَلْفَضِلَ بَيْنَكُمْ﴾، أي: إفضال بعضهم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً

هريرة وعائشة رضوان الله عليهم، وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أنه قال:

أمرتني عائشة أن أكتب لها مُصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فَأَذْنِي ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، فلما بلغت أذنتها فأملت علي ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ - صلاة العصر - ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله ﷺ، وعن حفصة مثل ذلك.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة: سَلْ عَلِيّاً عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، فسأله، قال: كتنا نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملاً الله أجوافهم وقبورهم ناراً».

ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل، وقد خَصَّها النبي ﷺ بالتغليظ، أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا

وبالقنوت، ولأن الله تعالى خَصَّها في آية أخرى من بين الصلوات، فقال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨]، يعني: يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع، وهي لا تُقصر ولا تُجمع إلى غيرها، وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر، وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري

وأسماء بن زيد، لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلوات النهار في الطول.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود، أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر، أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبير قال: يحدث عن عروة بن الزبير، عن زيد بن ثابت قال:

كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ﷺ منها، فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾.

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر، رواه جماعة عن رسول الله ﷺ، وهو قول علي وعبدالله بن مسعود وأبي أيوب وأبي

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجاً لَا أَرْزُقْكُمْ إِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْنُوا اللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيتَةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنِماً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُقِيمِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلُ النَّاسَ لَا يَسْأَلُوكَ ﴿٢٤٣﴾ وَفَتَلُوهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَغْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ أَضعافاً كَثِيراً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

على الإحسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، أي: واضربوا وذاوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها، وإتمام [شروطها] وأركانها، ثم خَصَّ [الله تعالى] من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيرُه وأَعَدُّهُ، واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى، فقال قوم: هي صلاة الفجر، وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر، وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد، وإليه ذهب مالك والشافعي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، والقنوت: طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام

محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم، أنا هشام [أنا] يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال:

كنا مع بُريدة في غزوة في يوم ذي غيم، فقال: بَكْرُوا بِصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر [فقد] حبط عمله».

وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا بأكثرها، ولم يُنقل عن أحد من السلف وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا يعينها أبهما الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها. قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، أي: مطيعين، قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس: والقنوت: الطاعة، قال الله تعالى: ﴿أَمَّا قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي: مُطيعاً، وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين، فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين، وقيل: القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي أنا

أحمد بن منيع، أنا هشيم أنا إسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن سُبَيْل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم، قال:

كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يَكَلِّم الرجلُ منّا صاحبه إلى جنبه، حتى نزلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع، وغضُّ البصر، والركود وخفض الجناح كان العلماء إذا كان أحدهم يُصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يُحدّث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً، وقيل: المراد من القنوت طول القيام.

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي، أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عُيينة عن أبي الزبير، عن جابر قال: قيل للنبي ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت».

وقيل: قانتين، أي: داعين، دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً يدعو على أحياء من بني سليم على رِعل ودُكوان وعُصية.

وقيل: معناه مصلّين؛ كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩]، أي: مصل.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَآلًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، فرجالاً أي: رجالة، يقال: راجل ورجال، مثل

صاحب وصحاب، وقائم وقيام، ونائم ونيام، أو رُكباناً على دوابهم، وهو جمع راكب، معناه: إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين موقنين للصلاة حقّها لخوف، فصلّوا مشاةً على أرجلكم أو رُكباناً على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسابقة يصلى حيث كان وجهه، راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة، وغير مستقبلها، ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سَخَّ أو غشيته سِيلٌ يخاف منه على نفسه فعَدَا أَمَامَهُ مُصلياً بالإيماء يجوز، والصلاة في حال الخوف على أقسام، فهذه صلاة شدة الخوف، وسائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة النساء إن شاء الله تعالى، ولا يُتقص عددُ الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم.

وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد وقتادة: أنه يُصلي في حال شدة الخوف ركعة، وقال سعيد بن جبير: إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً قتل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، واذكر الله، [فإذا ذكرت الله] فتلك صلاتك. ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، أي: فصلّوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها، ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾: يا معشر الرجال، ﴿وَيَذَرُونَ﴾، أي: يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾، أي: زوجات، ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب على معنى: فليوصوا وصية، وقرأ الباقر بالرفع، أي: كُتِبَ عليكم الوصية، ﴿فَتَمَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، متاعاً بنصب على المصدر، أي: متعوهن متاعاً، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعاً، والمتاع: نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنينها وما تحتاج إليه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، نُصِبَ على الحال، وقيل: بنزع حرف على الصفة، أي: من غير إخراج.

نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامراته، فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي ﷺ والديه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركه زوجها حولاً كاملاً وكانت عِدَّة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً كاملاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنائها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها، فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن، ونسخ عِدَّة الحول بأربعة أشهر

وعشراً. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجَ﴾، يعني: من قَبْلِ أنفسهم قبل الحول [من غير إخراج الورثة]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَقْرُوفٍ﴾، يعني: التزین للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان، أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم إذا خرجن قبل انقضاء الحول، والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج، لأن مقامها في بيت زوجها حولاً غير واجب عليها، خيرها الله تعالى بين أن تُقيم حولاً ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى، إلى أن نَسَخَهُ [الله تعالى] بأربعة أشهر وعشراً، ﴿وَأَلَّاهُ غَيْرُ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَقْرُوفِ﴾ ﴿حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، إنما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَيَتَوَفَّوْنَ عَلَى الْكُوفِ قَدْ رُفِعَ الْقَفَرُ﴾ ﴿حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ﴾، جعل المتعة لهن بلام التملك، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: المؤمنين المتقين الشرك.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾

الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها داوودان قِبَل واسط، وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية، وسلم الذين خرجوا [منها]، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون [عليهم] من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفتح، فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن مُوتُوا فماتوا جميعاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب حدثنا مالك عن ابن شهاب، عن عبدالله بن عامر بن ربيعة:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»، فرجع عمر من سرغ.

قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فرؤا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم: إن الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع

منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت [في مكانهم]، فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فلما رأى الملك ذلك قال: اللَّهُمَّ رَبِّ يَعْقُوبَ وَإِلَهَ مُوسَى وهرون قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا ليتقوا الهلاك قال لهم الله تعالى: ﴿مُوتُوا﴾ عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد، فما أتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأزوّحت أجسادهم، فخرج إليهم الناس فخرجوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها، واختلفوا في مبلغ عددهم، قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال وهب: أربعة آلاف، وقال مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو رواق: عشرة آلاف، وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً، وقال عطاء بن أبي رباح: سبعون ألفاً، وأولى الأقاويل قول من قال: كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَتْلُوا أُولَافَكُمْ﴾ والأولف جمع الكثير، وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لما دون عشرة آلاف أولف، قالوا: فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم، فمَرَّ عليهم نبي يقال له: حزقيل ابن يودي، ثالث خلفاء بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، وذلك أن القيم بأمر بني إسرائيل كان بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل، كان يقال له ابن العجوز لأن أمه

كانت عجوزاً فسألت الله [تعالى] الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، قال الحسن ومقاتل: هو ذو الكفل، وسُمي حزقيلاً ذا الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فلما مَرَّ حزقيلاً على أولئك الموتى، وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجباً، فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية؟ قال: نعم، فأحياهم الله [تعالى]، وقيل: دعا حزقيلاً ربه أن يحييهم فأحياهم، وقال مقاتل والكلبي: هم كانوا قوم حزقيلاً أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيلاً في طلبهم، فوجدهم موتى فبكى وقال: يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه إني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيلاً: اخبوا بإذن الله، فعاشوا. قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا سبحانه اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرًا طويلاً وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد دنساً مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح، قال قتادة: مَقْتَهُمُ اللَّهُ على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم، ثُمَّ بُعِثُوا ليستوفوا بقية آجالهم، ولو ماتوا بآجالهم ما بعثوا، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ أي: ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب، وقال

أهل المعاني: هو تعجيب، يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان، وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعانيه النبي ﷺ فهذا وجهه، ﴿أَلَمْ تَرَ لِمَ آَلَيْنَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُولُوفٌ﴾، جمع ألف، وقيل: مؤلفة قلوبهم جمع ألف، مثل قاعد وقعود، والصحيح: أن المراد منه العدد، ﴿حَدَّرَ أَلْمُوتَ﴾، أي: خوف الموت، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، أمر تحويل؛ كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿ثُمَّ أَخْبَهُمْ﴾، بعد موتهم، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَضَلَّ عَلَى النَّاسِ﴾، قيل: هو على العموم في حق الكافة [في الدنيا]، وقيل: على الخصوص في حق المؤمنين، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

﴿وَقَتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة [الله] أعداء الله، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا، أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يُجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازي عليه، فسَمَّى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعدهم من الثواب قرضاً، لأنهم يعملونه لطلب

وقيل: هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوقيفه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويسبط بعضها فيقدم لنفسه خيراً.

كما جاء في الحديث: «القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبلها الله كيف يشاء» الحديث.

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي إلى الله تعودون فيجزئكم بأعمالكم، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب، كناية عن غير مذكور، أي: من التراب خلقهم وإليه يعودون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي إلى الملأ من القوم: وجوهمهم وأشرفهم، وأصل الملأ: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيول والمجن، وجمعه أملاء، ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: من بعد موت موسى، ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ﴾، واختلفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقال السدي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعائها فولدت غلاماً فسمته شمعون، تقول: سمع الله تعالى دعائي، والسين تصوير شيئاً بالعبرانية، وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوى بن يعقوب، وقال سائر المفسرين: هو إسمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون، وقال مجاهد: هو أشمويل،

أي: ينفق في طاعة الله قرضاً حسناً، قال الحسين بن علي الواقدي يعني: محتسباً طيبة بها نفسه، [و] قال ابن المبارك: من مالٍ حلال، وقيل: لا يمتن به ولا يؤذي ﴿فَيَضْرِبُهُمُ اللَّهُ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب «فيضربه» وبابه بالتشديد، ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب، وقرأ الآخرون ﴿فَيَضْرِبُهُمُ﴾ بالالف مخففاً، وهما لغتان، ودليل التشديد قوله:

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، لأن التشديد للتكثير، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل: بإضمار أن، وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقاً على قوله يقرض ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، قال السدي: وهذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل: سبعائة ضعف، ﴿وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْسُطُ﴾، قرأ أهل البصرة وحمة «يسبط» هنا، وفي الأعراف: ﴿بَسْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، بالسين كنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد، وقيل: يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير، ويسبط بالتوسيع، وقيل: يقبض بقبول التوبة والصدقة، ويسبط بالخلف والثواب، وقيل: هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له،

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ أَهَئِهِمْ لَنَا مَالٌ كَمَا أَتَيْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَنَا نَسْأَلُ اللَّهَ قِتَالًا وَلَمَّْا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ لَّهُمْ نَبِيٌّ مِّمَّنْ لَّهُ الْقِتَالُ فَقَدِ بُسِتَ لَكُمْ مَّا لَوْ كُنْتُمْ مَعَهُ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ بِالْأَمَلِ مِنْهُ وَلَمْ يُدْعُ سَعْدُ بْنُ مَالٍ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَضْرَفَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُمُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيَاءِهِ وَالْحَسْبُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُومًا مِّنْ نَّشَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَّهُمْ نَبِيٌّ مِّمَّنْ لَّهُ الْآيَةُ مَلَكُهُ أَن يَأْتِيَكُمْ بِالتَّابُوتِ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

نوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ، وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض لأنه يقطع من ماله شيئاً يُعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازة: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَ يُدْزِرُ اللَّهُ رُسُلَهُمُ﴾، [الأحزاب: ٥٧]، أي: يؤذون عباد الله، كما جاء في الحديث الصحيح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي؟». وقوله عز وجل: ﴿يَقْرِضُ اللَّهُ﴾،

وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة، وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: كان سبب مسألتهم إياه ذلك أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيه كالب كذلك حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس نبياً فدعاهم إلى الله تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد إلياس اليسع، فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله، ثم خلف فيهم الخلف وعظمت [فيهم] الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشانا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل [بقوتهم] وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم ولقي بنوا إسرائيل منهم بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النوبة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته إشمويل،

تقول: سمع الله تعالى دعائي، فكَبُرَ الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه ذلك الشيخ، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ، وكان لا ياتمن عليه أحداً فدعاه جبريل بلحن الشيخ: يا أشمويل، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه دعوتني، فكره الشيخ أن يقول لا فيفرغ الغلام، وقال: يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فنام، ثم دعاه الثانية، فقال الغلام: يا أبت دعوتني، فقال: ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فرجع الغلام فنام، فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل، فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم تنلك، وقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربه، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى أشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لأشمويل: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ بِكَ نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾، استفهام شك، يقول: لعلمكم، قرأ نافع ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بكسر

السين، كل القرآن، وقرأ الهاقون بالفتح، وهي اللغة الفصحى بدليل قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾، مع ذلك الملك، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ بِكَ نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أن لا تفعلوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فإن قيل: فما وجه دخول أن في هذا الموضع، والعرب لا تقول ما لك أن لا تفعل، وإنما يقال: ما لك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّالِفِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، والحذف كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨]، وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل، فحذف في، وقال الفراء: أي: وما يمنعنا أن [لا] نقاتل في سبيل الله؟ كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَتَّبِعَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال الأخفش: أن ههنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿وَقَدْ أَرْجَاكَ مِنْ يَدُنَا وَأَنْشَأْنَا﴾ أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية: أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فطبيع ربنا في الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا، قال الله

تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، وذلك أن أشمويل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فاتى بعضاً وقرن فيه دهن القدس، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طولُه طولُ هذه العصا، وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو مَلِكُ بني إسرائيل، فاذن به رأسه وملكه عليهم، وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب، سمي طالوت لطوله، وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه، وكان رجلاً دَبَّاحاً يعمل الأديم، قاله وهب، وقال السدي: كان رجلاً سقاءً يسقي على حمار له من النيل، فضل حماره فخرج في طلبه [وقيل: كان خريندجاً]، وقال وهب: بل ضلّتْ حُمُرُ لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمَرَّ بِبَيْتِ أشمويل عليه السلام، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا لكان حسناً، فدخلوا عليه فبينما هما عنده يذكران له [شأن دابتهما]، إذ نَشَّ الدهنُ الذي في القرن، فقام أشمويل عليه السلام فقام طالوت بالعصا فكانت طوله، فقال لطالوت:

قَرَّبَ رأسك فقرِّبه فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: أنت مَلِكُ بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم، فقال طالوت أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ قال: بلى، قال: فبأي آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمُرَه، فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت مَلِكًا، ﴿قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا، أَيْ: من أين يكون له الملك علينا؟﴾ وَتَحْنُ أَحَقُّ: أولى ﴿بِالْمُلْكِ مِنَّا؟﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط نبوة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب، ومنه كان موسى وهارون [عليهما السلام]، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب، ومنه كان داود وسليمان [عليهما السلام]، ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب، وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهراً، فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم، وكانوا يسمون سبط الإثم، فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك قالوا: هو فقير، ﴿وَلَمْ يَوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة ﴿فِي الْوَلَدِ وَالْجَسَدِ﴾، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وقيل: إنه أتاه الوحي حين أوتي الملك، وقال

الكلبي: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل [في وقته] وأعلمهم، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل: العالم بما كان، والعليم بما يكون، فقالوا له: فما آية ملكه فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت.

﴿فَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى﴾: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾، وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات، ثم [بعد ذلك] عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده، ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى، فكان موسى يضع فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إسمويل، وكان فيه ما ذكر الله تعالى: ﴿فَبِئْسَ الْكَبِيرُ﴾: ﴿فَبِئْسَ الْكَبِيرُ﴾، اختلّفوا في السكنية ما هي؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ربح خجوج هفافة لها رأسان، ووجه كوجه الإنسان، وعن مجاهد: شيء يُشبه الهرة له

رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان، وقيل: له عينان لهما شعاع وجناحان من زُمُرْدٍ وَزَبَرْجَدٍ فكانوا إذا سمعوا صوته تَبَيَّنُوا بالنصرة، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قُدَّامَهُمْ، فإذا سَارَ سَارُوا، وإذا وقف وقفوا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي طستٌ من ذهب من الجنة، كان يُغسل فيه قلوبُ الأنبياء [عليهم السلام]، وعن وهب بن منبه قال: هي روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يُريدون، وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: السكينة فعيلة من السكون أي: طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا، ﴿وَبَقِيَ مِمَّا تَرَكَ آدَمُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾، يعني: موسى وهارون أنفسهما، كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه، وَفَقِيرٌ من المَنِّ الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلّم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قَدَّمُوهُ بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سَلَطَ الله عليهم العمالقَة فغلبوهم على التابوت، وكان السبب في ذلك أنه كان لَعَلَى الْعَالَمِ الذي رَئَى إِشْمُوِيلَ عليه السلام ابنان شaban وكان عِليّ حَبَرَهُمْ وصاحبَ قربانهم، فأحدث ابنه في القربان

شيئاً لم يكن فيه، وذلك أنه كان لَعَلَى مَنْوُطِ الْقَرْبَانِ الذي كانوا ينوطونه به كلابين، فما أخرجوا كان للكهان الذي ينوطه فجعل ابنه كلابيب، وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبهن بهن، فأوحى الله تعالى إلى إسموِيلَ عليه السلام انطلق إلى عِليّ فقل له: منعك حبُّ الولد من أن تزجر ابنك عن أن يُحدثا في قرباني وقديسي شيئاً، وأن يعصيانني فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك وإياهما، فأخبر إسموِيلَ عِليّ بذلك ففرع فرعاً شديداً، فسار إليهم عدوٌ ممن حولهم فأمر ابنه أن يخرجوا بالناس فيقاتلا ذلك العدو، فخرجوا وأخرجوا معهما التابوت فلما تهيّؤوا للقتال جعل عِليّ يتوقع الخبر ماذا صنعوا، فجاءه رجلٌ وهو جالس على كرسيه وأخبره أن الناس قد انهزموا وإن ابنك قد قُتِلَ، قال: فما فعل التابوت؟ قال: ذهب به العدو فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات، فخرج أثرُ بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً، فسألوا البيّنة فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتاكم التابوت، وكانت قصة التابوت أن الذين سبّوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود، وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسَمَرُوا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعَت يد الصنم ورجلاه، وأصبح ملقى تحت التابوت، وأصبحت أصنامهم منكسةً

فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية وجعٌ في أعناقهم حتى هلك أكثرهم، فقال بعضهم لبعض: اليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه إلى قرية كذا، فبعث الله على أهل تلك القرية قاراً فكانت الفأرة تبيت مع الرجل منهم فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه، فأخرجوه إلى الصحراء فدفعوه في مخرة لهم، فكان كل من تبرّز [بها] أخذه الباسور والقولنج فتحثروا [في أمرهم وفي الأماكن يضعوا التابوت]، فقالت امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم، فأتوا بِعَجَلَةٍ، بإشارة تلك المرأة، وحملوا عليها التابوت، ثم علّقوها على ثورين وضربوا جُنُوبَهُمَا، فأقبل الثوران يسيران، وكلّ الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، فأقبلتا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا يَيزِيَهُمَا وقطعا حبالهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما، فلم يَرِعْ بني إسرائيل إلا بالتابوت، فكبروا وحمدوا الله، فذلك قوله تعالى: ﴿فَحَمَلُوا الْحَمْلَ﴾، أي: تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي

الله، وهم الذين ثبتوا مع طالوت، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ جُمِعَتْ﴾: جماعة، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وجمعه فئات وفؤون في الرفع، وفئين في الخفض والنصب، ﴿فَلَيْسَ غَلَبَتْ فِئَةُكَ كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ﴾: بقضائه وقدره وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: بالنصر والمعونة.

﴿وَلَمَّا بَرَّرُوا﴾، يعني: طالوت وجنوده، يعني: المؤمنين، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: المشركين، ومعنى برزوا: صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آفِئْ عَيْنَانَا﴾: أنزل واصبب ﴿صَبْرًا وَكَثِيفًا أَفْدَانَا﴾: قو قلوبنا، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَرَمُوهُمْ يَأْذَنُ اللَّهُ﴾، [أي: بعلم الله تعالى]، ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾، وصفة قتله: قال أهل التفسير: عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة، فقال لأبيه يوماً: يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته، فقال له: أبشر يا بني فإن الله [عز وجل] جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجنني، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريدك الله بك، ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فأستبح فما يبقى جبل إلا سبّح معي، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله تعالى، فأرسل جالوت

إلى طالوت أن ابرز لي أو ابرز إلي من يقاتلني، فإن قتلتني فلکم ملكي وإن قتلته فلي ملککم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد، فسأل طالوت نبيهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله في ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ويكون على رأسه كهيشة الإكليل، ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجزبهم فلم يوافقهم منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم أن في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت إيشا، فقال: اعرض عليّ بنيك، فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السوارى، فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً، فقال لإيشا: هل بقي لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال النبي: يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال: كذب، فقال النبي: إن ربي كذبك، فقال: صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود، استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلاً قصيراً مسقاماً مصفراً أزرق أضر، فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزبية التي كان يريح

إليها فوجده يحمل [شأتين] يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه طالوت يفعل ذلك قال: هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم، فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض، فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي؟ قال: نعم، قال: وهل آنت من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح ليحيته عنها وأضرقتها إلى قفاه فردة، فمرّ داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر: يا داود احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي ملء كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر كذا الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة، انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس الدرع وركب الفرس فسار قريباً [من جالوت] ثم انصرف إلى الملك فقال من حوله: جئ الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال له داود: إن الله إن لم ينصرني لم يغبني عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل جالوت كما أريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد

الرجال وأقوامهم وكان يهزم الجيوش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد، فلما نظر إلى داود ألقى الله في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم، وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام، فقال: أتيتني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم أنت شر من الكلب، قال: لا جرم لأقسم لحملك بين سباع الأرض وطير السماء، فقال داود: أو يقسم الله لحملك، فقال داود: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر، وقال: باسم إله إسحاق ووضعه في مقلعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ووضعه في مقلعه فصارت كلها حجراً واحداً بأمر الله، ودور داود عليه السلام المقلع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلاً فأخذ يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، والناس يذكرون داود بخير، فجاء داود طالوت وقال: أنجز لي ما وعدتني، فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق، فقال داود: ما شرطت علي صداقاً وليس لي شيء، فقال: لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غلف فإذا قتل منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي، فأتاهم [داود] فجعل كلما قتل واحداً

منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت وألقاها إليه، وقال: ادفع إلي امرأتي فزوجه إياها وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه، وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له: ذو العينين، فقالت ابنة طالوت لداود: إنك مقتول في هذه الليلة، قال: ومن يقتلني؟ قالت: أبي، قال: فهل أجرت جرماً [أستحق به القتل]؟ قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك، قال: لئن كان الله أراد ذلك ما أستطيع خروجاً ولكن اتيني بزق خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاء ودخل تحت السرير، فدخل طالوت نصف الليل، فقال لها: أين بعلك؟ قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر، فلما وجد ريح الخمر قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج [من عندها]، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً، فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره، فاشتد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمرى الله سبحانه الحجة وفتح له الأبواب، فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عن رجله [وسهماً عن يمينه] وسهماً عن شماله، ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرفها، فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني

ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت [الليلة] القابلة أتاه ثانية وأعمرى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب، فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية، فقال: اليوم أقتله فركض على أثره فاشتد داود وكان إذا فزع لم يُدرك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت، فقال: لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلا قتله وأغرى بقتل العلماء، فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها، فرحمها الخباز وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها فوق في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها فلما أكثر

عليهم ناداه مناد من القبور: يا طالوت أما ترضى أن قتلنا حتى تؤذي أمتنا أمواتاً، فإزداد بكاءً وحزناً، فرحمه الخباز فقال: ما لك أيها الملك؟ قال: هل تعلم في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة؟ فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه، فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نذليج، فقالوا له: وهل تركت ديكاً يسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فإزداد حزناً وبكاءً فلما رأى الخباز ذلك قال له: أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله، قال: لا، فتوثق عليه الخباز [بالإيمان] فأخبره أن المرأة العالمة عنده، قال: انطلق بي إليها [حتى] أسأله هل لي من توبة، وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم، فإذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم، فلما بلغ طالوت الباب، قال الخباز: إنها إذا رأتك فرغت، فخلفه خلفه ثم دخله فقال لها: ألسنت أعظم الناس مئة عليك أنجيكت من القتل وآريتك؟ قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة، هذا طالوت يسأل هل له من توبة، فغشي عليها من الفرق، فقال لها حين أفاقت: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بهما إلى قبر إسمويل فصلت ودعت ثم نادى: يا صاحب القبر، فخرج إسمويل من القبر

ينفض رأسه من التراب، فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة، قال إسمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا أتيت وجئت لأطلب التوبة، قال له: كم لك من الولد؟ قال: عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى عن ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك، ثم تقا تل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع إسمويل إلى القبر وسقط وخر ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده، وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه، فدخل على أولاده فقال لهم: أرايتم لو دُفعت إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: بلى نفديك بما قدرنا عليه، قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم، قالوا: فاعرض علينا ما ينجيك منها، فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول؟ قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز بماله ولده فتقدم وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شذ هو بعدهم للقتال حتى قُتل، فجاء قاتله إلى داود ليشهره، وقال: قتلت عدوك، فقال داود: وما أنت بالذي تحيا بعده ففرض عنقه، فكان ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم. قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد

قتل طالوت سبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود، فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَتَمُّ﴾ الله الملك والحيكمة، يعني: النبوة، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة، ولم يكن من قبل [بل] كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، [وهو] قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَكَانَ يَسَاءُ﴾، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، فكان يصنعها ويبيعها، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل: منطق الطير وكلام الجبل والنمل. وقيل: هو الزبور، وقيل: الصوت الطيب والألحان، فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح، وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديره مفضلة بالجواهر مدرسة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث، ولا يمسه ذر عاثة إلا برىء وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت، فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مذهباً إلى السلسلة فتناولها، ومن كان كاذباً لم ينلها، فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيْدِنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيُتِمُّهُنَّ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٤﴾ لَا تَرَاءَى فِي الدِّينِ قَدَرَيْنَ الرَّشْدُ مِنَ الْفِي قَمَنَ يَكْفُرُ بِالْظُلُومِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٥﴾

والخديعة فرفعت، وقيل: رفعت السلسلة في زمن داود حين أوحى الله إليه ما كان من مكرهم، فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً جوهره ثمينة فلما استردّها أنكر فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكاز فنقرها وضمناها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر [عند] السلسلة، فقال صاحب الجوهرة: ردّ عليّ الوديعه، فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعه، قال: فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده، فقبل للمنكر: قم أنت فتناولها، فقال لصاحب الجوهرة: خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده، ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها، فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعه التي يدعيها عليّ قد وصلت إليه فقرب

مني السلسلة، فمدّ يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة من بين أظهرهم. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب «دفع الله» بالالف ههنا وفي سورة الحج، وقرأ الآخرون بغير الالف، لأن الله تعالى لا يغالبه أحد، وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالالف قال: قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب:

أحسن الله عنك الدفاع، قال [ابن عباس]: لولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله بن زنجويه أنا أبو بكر بن خريجة، أنا عبدالله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي، أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن سليمان، عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبدالرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ

وَجَلَّ لِيَدْفَعَ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِائَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ»، ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي:

كلمه الله تعالى، يعني: موسى عليه السلام، «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»، يعني: محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام: رحمة الله عليه ما أوتي نبي آية إلا أوتي نبينا مثل تلك الآية، وفضل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقتها، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار، أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بسبب، أُوتيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرغب، وأحلت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون».

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْتَةُ وَلَكِنْ اقْتَتَلُوا قَوْمَهُمْ مِنْ ءَآمَنَ﴾، ثبت على

إيمانه بفضل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، بخذلانه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، يُوقِفُ مَنْ يَشَاءُ فُضْلاً وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ عَذَاباً. سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: هو طريق مظلم فلا تسلكه، فأعاد السؤال، فقال: بحر عميق فلا تلجّه، فأعاد السؤال، فقال: سرّ الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه.

﴿٢٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنَّا رَزَقْنَكُمْ﴾، قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾، أي: لا فداء فيه، سَمَاءٌ بَيْعاً لَأَن الْفِدَاءَ شَرَاءَ نَفْسِهِ، ﴿وَلَا خَلَّةَ﴾، ولا صداقة ﴿وَلَا شَفْعَةَ﴾، إلا بإذن الله، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة كلها بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وفي سورة الطور: ﴿لَا لَقَوْمٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ﴾ [الطور: ٢٣]، وقرأ الباقر كلهم بالرفع والتنوين، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

﴿٢٥٥﴾ قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُّومُ﴾، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الزياتي، أنا حميد بن زنجويه أنا ابن

أبي شيبة، أنا عبدالأعلى عن الجريري عن أبي السليل، عن عبدالله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أبا ذر أي آية من كتاب الله أعظم؟ قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ [يا أبا المنذر]»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي [أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل قال: عثمان بن الهيثم أبو عمرو، نا عوف، عن محمد بن سيرين] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، فقال فخلّيت سبيله فأصباح، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارة؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذه، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فلإني محتاج ولي عيال ولا أعود، فرحمته

فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكّا حاجة وعيلاً فرحمته وخلّيت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حتى تختتم الآية فإنك لن يزال من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، [فخلّيت سبيله فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: «وما هي؟» [قال:] قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرّئاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر

هو المُلَيْكي، عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول ﴿حَمْدٌ﴾ ﴿تَزِيلُ الْكَرْبَ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿الْعَزِيزُ الْغَلِيْبُ﴾ [غافر: ١ - ٢]، حفظ في يومه ذلك حتى يُمسي ومن قرأهما حين يُمسي حفظ في ليلته تلك حتى يُصبح».

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ﴾، رفع بالابتداء وخبره في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى ﴿الْقَيُّومُ﴾ وقرأ عمر وابن مسعود «القيام»، وقرأ علقمة «القيم»، وكلها لغات بمعنى واحد، قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس [بما كسبت]، وقيل: هو القائم بالأمور، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السّنة النعاس، وهو النوم الخفيف، والوَسْطَانُ بين النائم واليقظان، يقال منه: وَبَيْنَ يَسْنٍ وَسْنٍ وبسنة، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل، وقال المفضل الضبي: السّنة في الرأس، والنوم: في القلب، فالسنة أول النوم وهو النعاس، وقيل: السنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب، فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات، ولأنه تغيّر ولا يجوز عليه التغيّر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم

الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش، عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال:

قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفّض القسط و [يرفعه] يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه التور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة، وقال: «حجابه النار»، ﴿لَمْ يَأْمُرْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكاً وخلقاً، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، بأمره، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم الدنيا لأنهم يخلّفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل [بن سليمان]: ما بين أيديهم ما كان قبل [خلق] الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، أي:

من علم الله، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أن يُطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]، قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: ملأ وأحاط به، واختلفوا في الكرسي، فقال الحسن: هو العرش نفسه، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي: موضوع أمام العرش، ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: سعته مثل سعة السموات والأرض.

وفي الأخبار: «أن السموات والأرض في جنب الكرسي، كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش، كحلقة في فلاة».

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، وقال علي ومقاتل: كل قائمة من [قوائم] الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام. ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور، وهو يسأل

للأنعام الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وعلى وجهه غضاضة منذ عهد العجل، وملك على صورة سيد السباع، وهو الأسد يسأل [الله] الرزق [للسباع من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الطير، وهو النسر يسأل [الله] الرزق للطير من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار: أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي علمه، وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم: كراسة، وقيل: كرسية ملكه وسلطانه، والعرب تسمي الملك القديم: كرسياً. ﴿وَلَا يَوْنُومُ﴾، أي: لا يثقله ولا يشق عليه، يقال: أدنى الشيء أي أثقلني، ﴿حَقْلَهُمَا﴾، أي: حفظ السموات والأرض، ﴿رَمَوْا اللَّيْلُ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلوي بالملك والسلطنة، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَافَ فِي آلِئِينَ﴾.

قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة - والمقلاة من النساء التي لا يعيش لها ولد، وكانت تنذر لثن عاش لها ولد لتهودته إن عاش ولدها جعلته في اليهود، فجاء

الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناؤنا وإخواننا، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَافَ فِي آلِئِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «خبروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم».

وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فممنهم أهلهم، فنزلت ﴿لَا إِكْرَافَ فِي آلِئِينَ﴾.

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قديماً المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَافَ فِي آلِئِينَ﴾ فخلى سبيلهما، وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يُقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرهاً أنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَافَ فِي آلِئِينَ﴾، فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يُقرّوا بالجزية، فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام.

وقيل: كان هذا في ابتداء قبل أن يؤمر بالقتال، فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْغَوْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ يَخْرِجُونَهُمْ مِنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَنِّي وَأُمِيتَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمَشِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَا ذِكْرَ سَرَ
عَلَى قُرَيْشٍ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ عَلَى عُرُوشِهِمَا قَالَ أَنِّي يُبْعِثُ هَذَا اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرِبَاتِكَ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَانْظُرْ إِلَى
جِمَارِكَ وَلْيَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهُمَا لَاحِقًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

رضي الله عنه: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْفِتْنِ﴾، أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، يعني: بالشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: كل ما يُطغى الإنسان، فاعول، من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدلة من هاء التانيث، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تانيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: قيل: سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام، ﴿عَلِيمٌ﴾: بحرصك على إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ

الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ناصرهم ومعينهم، وقيل: مُحِبُّهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام: ﴿تَجْعَلُ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فالمراد منه: الليل والنهار، سُمي الكفر:

ظلمة لالتباس طريقه، وسُمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْغَوْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ يَخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً، فقال تعالى في المذكر والمؤنث: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَتَ اللَّهِ فَيَكْفُرُوا بِهَا﴾ [النساء: ٦٠]، وقال في المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَبَدِّلُوا﴾ [الزمر: ١٧]، وقال في الجمع: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، فإن قيل: كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يُبعثَ لِمَا

يجدون في كتبهم من نعته، فلما بُعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، وقالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه: إخراج، كما يقول الرجل لأبيه: أخرجتني من مالك، ولم يكن فيه؛ كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن قط في ملتهم، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو نمrod، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وأدعى الربوبية؟ ﴿أَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَكَ﴾، أي: لأن أتاه الله الملك فطغى، أي: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: فسلیمان وذو القرنين، وأما الكافران: فنمرود وبختنصر، واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمrod، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ فقال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُ وَيُمِيتُ﴾، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قُحطوا على عهد نمrod، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من

ربك فإن قال أنت، باع منه الطعام، فاتاه إبراهيم فيمن أناه، فقال له نمرود: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّتُ﴾، فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئاً، فرجع إبراهيم فمر على كتيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو أجود طعام ما رآه أحد فأخذته فصنعت له منه فقرَّبته [إليه]، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به، فعرف أن الله رزقه فحمد الله.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّتُ﴾، وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره: قال له من ربك؟ قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّتُ﴾، قرأ حمزة: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّتُ﴾ بإسكان الياء وكذلك ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، و﴿عَنِّيَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧]، و﴿ثَلَّ لِيَبَايَ الَّذِينَ﴾ [إبراهيم: ٣١]، و﴿أَنْتَنِي الْكَتَبَ﴾ [مريم: ٣٠]، و﴿سَقَى الْعُتْرَةَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، و﴿يَكَاوِي الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، و﴿يَاوِي الشُّكُورَ﴾ [سبأ: ١٣]، و﴿سَقَى الشَّيْطَانَ﴾ [ص: ٤١]، و﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، و﴿إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨]، أسكن الياء فيهن حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في ﴿لِيَبَايَ الَّذِينَ﴾ [ماتروا] [إبراهيم: ٣١]، وابن عامر [فسي] ﴿عَنِّيَ الَّذِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وفتحها الآخرون ﴿قَالَ﴾

نمرود [لإبراهيم] ﴿أَنَا أَنِّي وَأُخَيِّتُ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿أَنَا﴾ بإثبات الألف والمد في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة، والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسرين: دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لاجترأ، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأحيي من أمت إن كنت صادقاً، فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرُ﴾، أي: تحير وذهش وانقطعت حجته، فإن قيل: كيف بُهِت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم، فيقول له: سأل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب، قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأله ذلك، دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾، وهذه الآية مسوقة على الآية الأولى، تقديره: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، [والذي الذي] مر على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه؟ وهل رأيت الذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المار. فقال قتادة وعكرمة والضحاك:

هو عزيز بن شرحيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية، فقال وهب وعكرمة وقاتدة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابور أباد، وقال السدي: سلماباد، وقيل: دير هرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العناب وهي على فرسخين من بيت المقدس، ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصوراً إذا سقط، وخوى البيت بالفتح خواء ممدوداً إذا خلا، ﴿عَلَى عُرُوشِهِمَا﴾: سقوفها، واحداها عرش، وقيل: وكل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها، ﴿قَالَ أَلَمْ يَأْتِيهِ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق بن منبه: أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل ليسدده في ملك، ويأتيه بالخبر من الله عز وجل، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى أرمياء أن ذكر قومك نعيمي وعرفهم أحداثهم [وركوبهم معصيتي] واذعهم إلي، فقال أرمياء: إني ضعيف إن لم تقويني، عاجز إن لم تبغنيني، مخدول إن لم تنصريني، فقال الله عز وجل: أنا الهلك [ما تقول]، فقام أرمياء

فيهم ولم يدِرْ ما يقول، فألهمهم الله في الوقت خُطْبَةً بليغةً طويلةً بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني أحلف بعزتي لأَقْبِضَنَّ لهم فتنَةً يتَحَيَّرُ فيها الحليم ولأَسْلُطَنَّ عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عددٌ مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله تعالى إلى أرمياء: إني مهلك بني إسرائيل [بيافث]، ويافث من أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، فلما سمع الله تضرعه وبكائه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك [من إهلاكهم]؟ قال: نعم يا رب، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسرُّ به، فقال الله تعالى: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح، فقال: إن يُعَذِّبَنَا رَبُّنَا فبذنوب كثيرة، وإن عفا عَنَّا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بَعْدَ الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصيةً وتمادياً في الشر، وذلك حين اقترب هلاكهم فقلّ الوحي، ودعاهم الملك إلى التوبة [فتمادوا في غيهم]، فسَلَطَ الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملك الخبر

فقال لأرمياء: أين ما زعمت أن الله أوحى إليك، فقال أرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد، وأنا به واثق، فلما قَرَّبَ الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكاً قد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسناً ولا يزيدهم إكرامي إياهم إلا إسقاطاً لي، فأفتني فيهم، فقال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير، فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل، فقعد بين يديه، فقال له أرمياء: مَنْ أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له أرمياء: أما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ فقال: يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتها أحد من الناس إلى رَجَمِهِ إلا قَدَمَتِهَا إليهم وأفضل [من ذلك]، فقال له النبي أرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم واسأل الله الذي يُصلح عباده الصالحين أن يُصلحهم [لك]، فانصرف الملك، فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففرغ منهم بنو إسرائيل، فقال ملكهم لأرمياء: يا نبي الله أين ما وعدك الله؟ قال: إني برِّي واثق، ثم أقبل الملك إلى أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده، فقعد بين يديه، فقال له أرمياء: من أنت؟ فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يَأْنِ لَهُمْ أَنْ

يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبيهم منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يُرضي الله، فقال النبي: على أي عمل رأيتمهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله، فغضبت الله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً إلا ما دعوت الله عليهم لِيُهْلِكَهُمْ، فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقيهم، وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من في أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان [ناراً] وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني به، فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفيتاك ودعائك، فاستيقن [أرمياء] عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول ربّه، فطار أرمياء حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترساً تراباً فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس، فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين

كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وفُزق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلاثاً قتلهم وثلاثاً سباهم وثلاثاً أقرهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم فلما ولى عنهم بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشي إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: **«أَيْ يَحْيَى هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا»**، وقال الذي قال: إن الماز كان عزيزاً وإن بختنصر لما خرّب بيت المقدس وقدم بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود، فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة، فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل، فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: **«أَيْ يَحْيَى هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا»**، قالها تعجباً لا شكاً في البعث. رجعنا إلى حديث وهب. قال: ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فآلقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام، وأمات حماره، وعصيره وتينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحك ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك

من ملوك فارس يقال له: نوشك، فقال [له]: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل أحد [منهم]، وردّهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه [قبل]، فلما مضت المائة أحيا الله مئة عَيْنِيَّ وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض، ثم نُودي: أن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً فكانت كذلك، ثم نُودي أن الله يأمرك أن تحيا فقام بإذن الله ونهق، وعمر الله أرمياء فهو الذي يرى في الفلوات، فذلك قوله تعالى: **«فَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةُ عَارَ تُمْ جَعَلْتُهَا»**، أي: أحياه، **«فَقَالَ كَمْ لَيْتُ»**، أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله: كم لبثت **«فَقَالَ لَيْتُ يَوْمًا»**، وذلك أن الله تعالى أماته ضحك في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: **«أَو بَقِيَّةُ يَوْمٍ»**،

بل بعض يوم **«فَقَالَ»** له الملك: **«بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظُرَ إِلَيَّ طَوَائِكَ»**، يعني: التسين، **«وَشَرَّائِكَ»**، يعني: العصور، **«لَمْ يَكُنْ»**، أي: لم يتغيّر، فكان التسين كأنه قُطف من ساعته، [والعصور كأنه عُصر من ساعته]، قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب **«لَمْ يَتَسَنَّ»** بحذف الهاء في الوصل، وكذلك **«فَيَهْدُهُمْ أَفْتَدِيَهُ»** [الأنعام: ٩٠]، وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفًا، فمن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة، وقال: أصله يتسنّ، فحذف الياء في الجزم وأبدل منه هاء في الوقف، وقال أبو عمرو: وهو من التسنن، بنونين، وهو التغير؛ كقوله تعالى: **«فَرِحَ حَمَلُ تَسْتَوِيرٍ»** [الحجر: ٢٦ ٢٨ ٣٣]، أي: متغيّر، فعوضت من أحد النونين ياء؛ كقوله تعالى: **«ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلِيهِ يَتَسَنَّ»** [القيامة: ٣٣]، أي: يتمطّط، وقوله: **«وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا»** [الشمس: ١٠]، وأصله: دسّها، ومن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لأم الفعل، وهذا على قول من جعل أصل السنة السّنة، وتصغيرها شنيهة، والفعل من المسانهة، وإنما قال: **«لَمْ يَكُنْ»** ولم يشته مع [غيره مع] أنه أخبر عن شيئين ردًا للمتغيّر إلى أقرب اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين، لأنه في معنى الآخر، **«فَأَنْظُرَ إِلَيَّ جَمَارِكَ»**، فنظر [إليه] فإذا هو عظام

بيض، فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر، ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، قيل: الواو زائدة مقحمة، وقال الفراء: أدخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه: ولنجعلك آية [أي] عبرة ودلالة على البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قريته شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس واللحية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الظَّالِمِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: «ننشرها» بالراء، معناه: نحياها، يقال: أنشر الله الميت إنشأراً ونشره نشوراً، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّا نَنْشُرُهُمْ﴾ [عبس: ٢٢]، وقال في اللازم: ﴿وَلِيَّوُا الشُّورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال الآخرون بالنزاي، أي نرفعها من الأرض [ونردها إلى مكانها من الجسد]، ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه وإزاجه، أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أنه أراد به عظام حمارة، وقال السدي: إن الله تعالى أحيا عزيزاً، ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، فبعث الله تعالى ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل، وقد ذهبت بها الطير والسباع، فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر [فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم، ﴿ثُمَّ نَكُونُ لَحْمًا﴾، ثم

كسى العظام لحماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه، فقام الحمار ونهق بإذن الله، وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يمت حمارة بل أماته هو، فأحيا الله عينيه ورأسه، وسائر جسده ميت، ثم قال له: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حمارة قائماً واقفاً كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرُمة في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ وانظر إلى عظامك كيف ننشزها، في الآية تقديم وتأخير وتقديرهما: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ولنجعلك آية للناس، وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أحيا الله تعالى عزيزاً بعدما أماته مائة سنة ركب حمارة حتى أتى محلته فأنكره الناس [وأنكر هو الناس] وأنكر منازلها، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته، فقال لها عزيز: يا هذه هذا منزل عزيز؟ قالت: نعم هذا منزل عزيز وبكت، وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً، فقال لها: فلاني أنا عزيز، قالت: سبحان الله فإن عزيزاً قد فقدناه منذ مائة سنة لم نسمع له بذكر، قال: فلاني أنا عزيز إن الله تعالى أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيزاً

كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادع الله أن يرده علي بصري حتى أراك، فإن كنت عزيزاً عرفتك، فدعا ربّه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها، وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت إلى بني إسرائيل، وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة، وبنو بنه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لي ربّه فردّ علي بصري وأطلق رجلي، وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، [قال] فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزيز [والشامة بين كتفيه]، وقال السدي والكلبي: لما رجع عزيز إلى قومه، وقد أحرق بختصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزيز على التوراة، فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة، وبعثه نبياً فقال: أنا عزيز فلم يصدقوه، فقال: إني عزيز قد بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم، قالوا: أمليها علينا فأملأها عليهم من ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعدما ذهبت إلا أنه ابنه، فقالوا: عزيز ابن الله، وستأتي القصة

وَلَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَعَدَّ أَرْبَعَةً مِّنَ النَّفَرِ فَعَرَّضَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ وَيَتَيْنَكَ سَعْيًا وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْكَ سَبْعُ مِثَالٍ فِي كُلِّ مِثْقَالٍ وَاتَهُ حَبُّوَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٩﴾ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٠﴾ قَوْلٌ مُّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ مَأْمُورُوا لِأَنَّهُمْ لَا يُغْلَبُونَ ﴿٢٦٢﴾ صَدَقَكُمْ بِمَا مَلَئْتُمْ وَأَلَّيْكُمْ بِاللَّهِ وَاللَّهُ يَبْفِقُ مَا لَمْ يَبْفِقُوا أَتَىٰ النَّاسَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَسَىٰ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٣﴾

علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعينة، وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمروذ فقال [له]: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال نمروذ: أنا أحيي وأميت، فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر، وزعم أن هذا إحياء وإماتة، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمروذ: أنت عاينته فلم يقدر أن يقول

نعم، فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى، قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ بِقُوَّةِ حُجَّتِي، فإذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته.

وقال سعيد بن جبير: لما اتَّخَذَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، سَأَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ رَبَّهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فَيُبَشِّرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ، فَأْذَنَ لَهُ، فَاتَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَكُنْ فِي الدَّارِ فَدَخَلَ دَارَهُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَغْيَرُ النَّاسِ، إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ بَابَهُ، فَلَمَّا جَاءَ وَجَدَ فِي دَارِهِ رَجُلًا فَتَرَّاهُ عَلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَذْنُ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي؟ فَقَالَ: أَذْنُ لِي رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: صَدَقْتَ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ، جِئْتُ أَبَشِّرُكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ اتَّخَذَكَ خَلِيلًا، فَحَمْدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ: فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ:

[بتمامها] في سورة براءة إن شاء الله تعالى.

وله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكَ﴾ ذلك عياناً، ﴿فَكَانَ أَعْلَمُ﴾، قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون «أَعْلَمُ» بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: اعلم، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مرَّ على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: بحيرة طبرية، قالوا: فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر، فكان إذا مدَّ البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها، فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جَزَرَ البحرُ ورجع جاءت السباع فأكلت منها فما سقط منها يصير تراباً، فإذا ذهب السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال: ربِّ قد علمتُ أنك لتجمعنها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر، فأرني كيف تُحييها لأعين فازدادَ يقيناً فعاتبه الله تعالى، ﴿فَكَانَ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ﴾، يَا رَبِّ عَلِمْتُ وَأَمَنْتُ، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعينة والمُشاهدة، أراد أن يصير له

أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ أنك اتخذتني خليلاً وتجبني إذا دعوتك.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال أرني كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن

طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرمة بن يحيى عن وهب بهذا الإسناد مثله، وقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى».

حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنما شكنا في أنه هل يجيبهما إلى ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما بقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فأبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبث في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا! فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه.

قوله: «أَوَلَمْ تَوْنُوا؟؟ معناه: قد آمنتم فلم تسأل [إحيائي الموتى]؟

شهد له بالإيمان؛ كقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح
يعني: أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين. «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ»، قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاوساً وديكاً وحمامةً وغراباً، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة، وقال عطاء الخراساني: أوحى [الله] إلى [إبراهيم] أن خذ بطّة خضراء وغراباً أسود وحمامةً بيضاء وديكاً أحمر، «فَصَرَّهْنِ إِيَّكَ»، قرأ أبو جعفر وحمزة «فَصَرَّهْنِ إِيَّكَ» بكسر الصاد، أي: قطعهن ومزقهن، يقال: صار يصير صيراً، إذا قطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع، قال الفراء: هو مقلوب من صرّيت أضري صرياً، إذا قطعت، وقرأ الآخرون «فَصَرَّهْنِ» بضم الصاد، ومعناه: أملهن إليك ووجههن يقال: صرت الشيء أضوره، إذا أملته، ورجلٌ أضور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء معناه: اجمعهن واضمهن إليك، يقال: صار يصور صوراً إذا اجتمع، ومنه قيل لجماعة النحل: صور، [أو] من فتره بالإمالة والضم قال: فيه إضمار معناه: فصرنهن إليك ثم قطعهن، فحذفه اكتفاء بقوله: ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً لأنه يدل عليه، وقال أبو عبيدة: فصرنهن معناه قطعهن أيضاً، والصور: القطع.

قوله تعالى: «ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا»، قرأ عاصم برواية أبي بكر «جُزْءًا» مثقلاً مهموزاً،

والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشدداً الزاي بلا همز، وأراد به بعض الجبال، قال بعض المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، ويتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزائها على الجبال واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء، ويجعلها على أربعة أجبل، على كل جبل رُبعاً من كل طائر، وقيل: جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على جانب الشمال وجبل على جانب الجنوب، وقال ابن جريج والسدي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن، ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يصير إلى العظم الآخر وكل بضعة [لحم] تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير رأس، ثم أقبلن إلى رؤوسهن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه، فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه، فذلك قوله تعالى: «ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا»، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد به المشي دون الطيران؛ كما قال الله تعالى: «فَأَسْعَوْا إِلَيْ دَرِكِ اللَّهِ» [الجمعة: ٩]، أي: فامضوا،

والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد عن الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، وأن أرجلها غير سليمة [لم تحلها الحياة] والله أعلم، وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿كَمَثَلِ﴾، زارع ﴿جَبَّيْ﴾، وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿أَنْبَتَتْ﴾: أخرجت، ﴿سَبَّحَ سَكَابِلَ﴾، جمع: سنبلة، ﴿فِي كُلِّ سُكَّارٍ مِائَةَ حَبَّةٍ﴾، فإن قيل: فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به، وإن لم يوجد معناه ﴿فِي كُلِّ سُكَّارٍ مِائَةَ حَبَّةٍ﴾، إن جعل الله فيها ذلك، وقيل: هو موجود في الدخن، وقيل: معناه أنها إن بُذِرَتْ أَنْبَتَتْ مائة حبة، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً إليها، وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبلة أَنْبَتَتْ مائة حبة. ﴿وَأَنََّّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قيل: معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء، ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، غني يعطي عن سعة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق ماله.

﴿قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبدالرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربّي، فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله فيما أمسكت لك، وفيما أعطيت»، وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية.

وقال عبدالرحمن بن سُمرة: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبتها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يدخل فيها يده ويقبلها ويقول: «ما ضَرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم»، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعة الله، ﴿ثُمَّ لَا يُنْفِقُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾، وهو أن يمنّ عليه بعطائه، فيقول: أعطيتك كذا، ويَعْتَدُّ نِعْمَةً عليه فيكدرها ﴿وَلَا أَدَّى﴾، [الأدّى]: وهو أن يعيره، فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني [بسؤالك لي]؟

وقيل: من الأدّى: أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه، وقال سفيان: ﴿مَنًّا وَلَا أَدَّى﴾، هو: أن يقول: قد أعطيتك [وأعطيت] فما شكرت. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: كان

أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يشغل عليه فكفّ سلامك عنه، فحظّر الله على عباده المَنّ بالصنيعة، واختصّ به صفة لنفسه، لأنه من العباد تعبير وتكدير، ومن الله إفضال وتذكير، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، أي: ثوابهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قوله مَرْوُوفٌ﴾، أي: كلام حسن وردّ على السائل جميل، وقيل: عدة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه [به] بظهر الغيب، وقال الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، أي: تستر عليه خلته ولا تهتك عليه سيّره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده، ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ﴾، ﴿يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾، أي: من وتعير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أي: مستغن عن صدقة العباد، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعَجِّلُ بالعقوبة على من يَمُنُّ وَيُؤْذِي بالصدقة.

﴿قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾﴾، أي: أجور صدقاتكم ﴿بِالَّذِينَ﴾، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمنّ على الله تعالى، ﴿وَالْأَذَى﴾، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿كَأَذَى يُنْفِقُ مَالَهُ﴾، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿رَبَّةَ النَّاسِ﴾، أي: مرأاة وسمعة ليروا نفقته وليقولوا: إنه كريم سخي، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَتَبَيَّنُ مِنْ أُنْفُسِهِمْ كُمُوتٌ يَرْزُقُونَ أَصَابَهُمَا وَإِلَافًا قَاتَتْ أَكْثَرَهَا ضَعْفَتِ فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَإِلَافًا قَطَلَتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٤﴾ أَوْدَأْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضَعُفَةٌ فَأَصَابَهَا بَأْسُ الْعَصَا فَنِيءَ نَارًا فَاحْرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ طَائِفَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنْهُ تُدْفِقُونَ وَاسْتَمُوا بِتَأْخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُقَرِّبُوا فِيهِ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٦﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكَرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٨﴾

٤٥

الْآخِرِ، يريد أن الرياء يُبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرائي، ﴿فَمَثَلُهُ﴾، أي: مثل هذا المرائي، ﴿كُمُوتٌ يَرْزُقُونَ﴾، وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فواحدة صفوانة، ومن جعله واحداً فجمعه [صفاف] صفي، ﴿عَلَيْهِ﴾، أي: على الصفوان، ﴿زُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَإِلَافٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿فَتَرَكَهُ مَكْدَرًا﴾، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمراي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي، ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واطمحل لأنه

لم يكن لله [تعالى]، كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً، ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾، أي: على الشواب عن شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد:

أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن

حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني، أن عقبة بن مسلم حدثه أن شُفِي الأصبحي حدثه، أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قال: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك الله بحق لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقاريء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آتاء الليل وآتاء النهار، فيقول الله له كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قاريء فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: فماذا قُلت؟ فيقول: يا رب أمرت بالجهاد في سبيلك، فقالت حتى قُلت،

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك»، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلقٍ تُسعر بهم النار يوم القيامة».

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿وَتَكْتِبُ لَنَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي: تصديقاً من أنفسهم، أي: يُخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالشواب [من الله]، وتصديق بوعد الله، ويعلمون أن ما أخرجوا خيرٌ لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم، وقال عطاء ومجاهد: يتثبتون أين يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت، فإن كان الله أمضى، وإن خالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ لِلَّهِ تَبَتُّلاً﴾ [المزمل: ٨]، أي: تبتلاً، ﴿كَمَثَلِ جَذَمٍ﴾، أي: بستان، قال المبرد والفراء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس، ﴿بِرَبِّهِمْ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ و﴿إِلَّا رَبُّهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٠] في سورة المؤمنين بفتح الراء، وقرأ الآخرون بضمها، وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء [ولا يعلو عن الماء]، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن

وأزكى، ﴿أَسَابِكًا وَأَيْلٌ﴾، مطر شديد كثير، ﴿فَقَالَتْ أَكَلَهَا﴾: ثمرها، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالثقل، وزاد نافع وابن كثير تخفيف «أكله» و«الأكل» وخفف أبو عمرو «رسلنا، ورسلكم، ورسلمهم، وسبلنا» ﴿ضَعُفَتْ﴾، أي: أضعفت في الحمل، قال عطاء: حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿فَلَنْ يُبَيِّنَهَا وَأَيْلٌ فَطَلَّ﴾، أي: فطش وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائماً، قال السدي: هو الندى. وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تُربع في كل حال ولا تُخلف سواء قل المطر أو كثر، كذلك يُضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي [بها] سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، [هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْغُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، قوله: أيود يعني: أيحب أحدكم «أن تكون له جنة»، أي: بستان، ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿لَوْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَسَافَةُ الْكِبَرِ وَلَمْ ذَرِيَّةٌ مُّقْتَدَةٌ﴾، أولاد صغار ضعاف عجزة، ﴿فَأَسَابِكًا إِعْصَارًا﴾،

وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير، ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَّتْ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي، يقول: عمله في حسنه كحسني الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً محتيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يُبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيب لهما ولا توبة ولا إقالة.

قال عبيد بن عمير: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن تزون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: [يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضرت مثلاً لعمل، قال عمر رضي الله عنه: أي عمل؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل المرائي، قال عمر رضي الله عنه: لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله،

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿٢٦٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾: من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات وفيه دلالة على إباحة الكسب، وأنه يتقسم إلى طيب وخيث.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، أخبرنا أبو جعفر الرئاني، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرئاني، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكر، أنه حدثه:

عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، فكان داود لا يأكل إلا من عمل يديه».

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني، أخبرنا جناح بن نذير يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحييم الشيباني، أخبرنا

أحمد بن حازم أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يكتسب عبد مالاً حراماً فيتصدق منه فيقبل الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

[فصل]. والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين ديناراً أو مائتي درهم.

قال سمره بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعه للبيع.

وعن أبي عمرو بن حماس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقي أدمة أحملها، فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: ما لي غير هذا، وأهب في القرظ، فقال: ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا كَرِهَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ﴾، قيل: هذا أمر بإخراج العُشور من الثمار والحبوب، وأتفق أهل العلم على إيجاب العشر في النخل والكروم، وفيما يُقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير

مؤنة، وإن كان مسقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العشر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله عن أبيه:

عن النبي ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عُثْرِيّاً: العُشر، وفيما سُقي بالنضح نصف العشر».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نافع، عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد:

أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم: «يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدي زكاته زيباً كما يؤدي زكاة النخل تمراً».

واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يُقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه، وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يجب العشر في جميع البقول والخضروات والثمار إلا

حقه وتركه، قال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد. وزوي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟ هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتكم، ﴿حَكِيمٌ﴾، محمود في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ إِلَى الْفَقْرِ﴾، أي: يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، ويُقال: وعدته خيراً ووعدته شراً، قال الله تعالى في الخير: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: ٢٠]، وقال في الشر: ﴿الْأَنَارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الْآزِثَ كَثْرَتاً﴾ [الحج: ٧٢]، فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير: وعدته وفي الشر أوعدته، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفِقَار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَقْصَةِ﴾، أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوكُم مَّقَرَّةً مِّنْهُ﴾، أي: لذنوبكم و﴿فَضْلاً﴾ ورزقاً وخلفاً، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ غَنِيٌّ عَلِيمٌ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزينادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا

مالك رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرَسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ [بِهِ] صَدَقَةٌ».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا﴾، قرأ ابن كثير برواية البرقي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها، وهي واحد وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاء أن أسقطت إحداهما، فردّ هو الساقطة وأدغم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ومعناه: لا تقصّدوا، ﴿الْحَيِّثُ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، زوي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج. إذا كان جذاذ النخل. أقناء من التمر والبشر فيعلقونه على حبل بين الأسطواناتين في مسجد رسول الله ﷺ فياكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قَنُوَ الْحَشَفِ وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَيِّثُ﴾، أي: الْحَشَفَ والرديء.

وقال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَيِّثُ﴾ الرديء منه تنفقون، ﴿وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ﴾، يعني: الخبيث، ﴿إِلَّا أَنْ تَقْرَبُوا فِيهِ﴾، الإغماض: غَضُّ البصر، وأراد ههنا: التجويز والمساهلة، معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن

الحشيش والحطب، وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فإنما يجب بيدو الصلاح، ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبنا فيه العشر، فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العُشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أَوْسُقٍ عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج مَنْ شرط النصاب بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أَوْسُقٍ من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الزُّورِ صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة».

وروي يحيى بن عبادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أَوْسُقٍ».

وقال قوم: الآية في صدقات التطوع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس بن

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَاللَّطِيلِينَ مِنْ آصَارٍ ۚ إِنَّ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمَتًا فِيَّ وَإِنْ تَخَفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمُنُّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۚ ﴿٢٦٩﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقْ عَنْهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٠﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْبَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعْطِفِ يَتَرَفَّعُ فِيهِمْ يَسْتَكْبِرُونَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْهَكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٢﴾

أن رسول الله ﷺ قال لها: «أنفقي ولا تحصي، فيحصى الله عليك، ولا تُوعي فيوعي الله عليك».

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات

ناسخة ومنسوخة، وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن، ولا يكونوا كأهل نهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة، وإنما أنزلت في أهل الكتاب، جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال، وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل لم يختلف في شيء منه، وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيج عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾، ﴿مَنْ﴾ في محل الرفع على ما لم يُسم فاعله، و﴿الْحِكْمَةُ﴾ خبره، وقرأ يعقوب يؤت الحكمة بكسر التاء، أي: من يؤتبه الله الحكمة، دليله قراءة الأعمش «ومن يؤته الله» حُكي عن

الحسن، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: الورع في دين الله، ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: فيما فرض الله عليكم، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾، أي: ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتكم به، ﴿فَالِئِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُهَا﴾، ويحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال ﴿يَمْلِكُهَا﴾ ولم يقل يعلمها، لأنه رده إلى الآخر منها؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتَسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيٍّ﴾ [النساء: ١١٢]، وإن شئت حملته على «ما»؛ كقوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْ عَلَيْكُمُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعْظُمُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ولم يقل بهما، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدقون من الحرام، ﴿مِنْ آصَارٍ﴾، من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ﴾، أي: تظهروها، ﴿فَنِعْمًا﴾، أي: نعمت الخصلة هي، و«ما» في محل الرفع، و«هي» في محل النصب، كما تقول: نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت فقلت: نعم الرجل زيد، وأصله نعم ما فوصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر ﴿فَنِعْمًا﴾ بكسر النون وسكون العين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع

أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: ابن آدم أنفق أنفق عليك»، وقال: قال رسول الله ﷺ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تُغْيِضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِيهِ يَمِينُهُ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْاُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبيد الله بن سعيد أخبرنا عبدالله بن نمير، أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء.

برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما، وكلها لغات صحيحة، وكذلك في سورة النساء. ﴿وَلَا تَنْفِقُوا﴾، تُسَرِّوْهَا، ﴿وَتُؤْتُوْنَهَا الْفَقْرَةَ﴾، [أي: تُؤْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ] في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل.

وفي الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظْلَمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرا على عهد

رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن. قوله تعالى: ﴿وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء، أي: «ونحن نكفر»، وقرأ ابن عامر حفص بالياء ورفع الراء، أي: «ويكفر الله»، وقرأ أهل المدينة وحمة والكسائي بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لأن موضعها جزم الجزاء، وقوله: ﴿وَيَنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، قيل: ﴿وَيَنْ﴾ صلة، تقديره: نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفر [عنكم] الصغائر من الذنوب، ﴿وَاللَّهُ يَمَا تَمَلُّونَ خَيْرٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مَذْهَبٌ﴾، قال الكلبي: سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود، وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم، وأرادهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام، فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مَذْهَبٌ﴾، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ﴿وَلَعَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ يَشَاءُ﴾، وأراد به هداية التوفيق، أما هدي البيان والدعوة كان على عهد رسول الله ﷺ، فأعطوهم بعد نزول الآية، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ

خَيْرٍ﴾، أي: مال، ﴿يُؤْتِيَكُمْ﴾، أي: تعملونه لأنفسكم، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لَتَيْفَةٍ وَجْهَ اللَّهِ﴾، وما جحد لفظه نفي ومعناه نهى، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، شـرط كالأول، ولذلك حذف التون منهما، ﴿يُؤْتِي لَكُمْ﴾، أي: يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك أدخل فيه «إلا»، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين، وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

﴿قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُقْسِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هو مردود على موضع اللام من قوله: ﴿يُؤْتِيَكُمْ﴾، كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، [وقيل: خبر مخذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب، وهم فقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم

الَّذِينَ يَرْتَبِطُونَ الْخَيْلَ
لِلْجِهَادِ فَإِنَّهَا تَتَغَلَّفُ لَيْلًا
وَنَهَارًا سَرًّا وَعَلَانِيَةً.

أخبرنا عبد الواحد بن
أحمد المليحي، أخبرنا
أحمد بن عبد الله النعمي،
أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن
إسماعيل، أخبرنا علي بن
حفص أخبرنا ابن المبارك
أخبرنا طلحة بن أبي سعيد
قال: سمعت سعيد
المقبري يحدث أنه سمع
أبا هريرة رضي الله عنه
يقول: قال النبي ﷺ:

﴿الَّذِينَ يَكُونُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
قَالَ اللَّهُ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٤﴾ يَمْشُونَ
اللَّهُ الرِّبَا وَيَرَى الصَّدَاقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٧﴾ إِن لَّكُمْ تَعْلَمُونَ
فَأَذْنُوبًا يَحْرَبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَكَيْدُكُمْ زَهُوٌّ
أَمْوَالُكُمْ لَا تَطْلُبُونَ وَلَا تَقْلَبُونَ ﴿٢٧٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ
ذُوعُورًا قَاطِرَةً إِلَى مَبَازِغٍ وَآنَ تَصَدُّقًا خَيْرًا لَّكُمْ
إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَأَقْرَبُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِئَالِي
اللَّهِ تَوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

الذين يرتبطون الخيل
للجهاد فإنها تغلف ليلاً
ونهاراً سرّاً وعلانية.

أخبرنا عبد الواحد بن
أحمد المليحي، أخبرنا
أحمد بن عبد الله النعمي،
أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن
إسماعيل، أخبرنا علي بن
حفص أخبرنا ابن المبارك
أخبرنا طلحة بن أبي سعيد
قال: سمعت سعيد
المقبري يحدث أنه سمع
أبا هريرة رضي الله عنه
يقول: قال النبي ﷺ:

«من احتبس فرساً في

سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده
فإن شيعته وريته وزوته ويوله في ميزانه
يوم القيامة».

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ﴾، قال الأخفش: جعل
جواب الخبر بالفاء، لأن ﴿الَّذِينَ﴾
بمعنى «من»، وجواب من بالفاء في
الجزاء ومعنى الآية من أنفق كذا فله
أجره عند ربه، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
يَكُونُونَ الرِّبَا﴾، أي: الذين يعاملون
به، وإنما خص الأكل لأنه معظم
المقصود من المال ﴿لَا يَقُومُونَ﴾،
يعني: يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾، أي:
يصترعه ﴿الشَّيْطَانُ﴾، أصل الخبط:
الضرب والوطء وهو ضرب على غير
استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ
الناس وتضرب الأرض بقوائمها،

محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا
قتيبة أخبرنا شريك عن حكيم بن
جبير، عن محمد بن عبد الرحمن بن
يزيد، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ:

«من سأل الناس وله ما يغنيه جاء
يوم القيامة ومسالته في وجهه
خُمُوش أو خُدُوش أو كدُوح»،
قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال:
«خمسون درهماً أو قيمتها ذهباً».

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ﴾، من مال، ﴿فَارَكَّ اللَّهُ يَوْمَ
عَلِيمٌ﴾ وعليه مجازي.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِإِثْلٍ وَاتِّكَارٍ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، زوي
عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال: نزلت هذه الآية في
علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
كانت عنده أربعة دراهم لا يملك
غيرها، فنصدق ب درهم ليلاً وب درهم
نهاراً وب درهم سرّاً وب درهم علانية.
وعن الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنه قال: لما نزلت
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بعث عبد الرحمن بن
عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب
الصفة [نهاراً]، وبعث علي بن أبي
طالب رضي الله عنه في جوف الليل
بوسق من تمر، فأنزل الله تعالى
فيهما: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِإِثْلٍ وَاتِّكَارٍ﴾ الآية، عني بالنهار:
علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف،
وبالليل: سر صدقة علي رضي الله
عنه، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء
ومكحول والأوزاعي: نزلت في

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾، أي: الجنون، يقال:
مُسَّ الرجلُ فهو ممسوس إذا كان
مجنوناً، ومعناه: أن أكل الربا يُبعث
يوم القيامة كمثل المصروع.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم
السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق
الشعبي، أخبرنا عبد الله بن حامد
أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف،
أخبرنا عبد الله بن يحيى، أخبرنا
يعقوب بن سفيان أخبرنا
إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن
عباد، عن أبي هارون العبيدي عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،
عن رسول الله ﷺ في قصة
الإسراء، قال:

«فانطلق بي جبريل عليه السلام
إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه
مثل البيت الضخم منضدين على
سابلة آل فرعون، وآل فرعون
يُعرضون على النار عُذْواً وعشياً،

قال: فيقبلون مثل الإبل المنهوكة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومُدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة، قال: وآل فرعون يقولون: اللهم لا تقم الساعة أبداً، قال: [و] يوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَمِيِّ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، أي: ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه فطالبه [به]، فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَأَمَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، وأعلم أن الربا في اللغة الزيادة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّرَبِّوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾، أي: ليكثر ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال

مخصوص بيته رسول الله ﷺ فيما: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب، عن أيوب بن أبي تيممة عن محمد بن سيرين، عن مسلم بن يسار وزجل آخر، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البُرّ بالبُرّ، ولا الشعير بالشعير، ولا التمر بالتمر، ولا الملح بالملح، إلا سواء بسواء عيناً بعين يداً بيد، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب، والبُرّ بالشعير، والشعير بالبُرّ، والتمر بالملح، والملح بالتمر، يداً بيد كيف شئتم». ونقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما. «من زاد أو استزاد فقد أَرَى».

وروى هذا الحديث [من] طرق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك عن عبادة، فالنبي ﷺ نصّ على ستة أشياء، وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع، وأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف، وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر،

واختلفوا في ذلك الوصف، فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلّة الوزن، وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها، وأما الأشياء الأربعة [المطعومة] فذهب قوم إلى أن الربا يثبت فيها بعلّة الكيل، وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجصّ والثورة ونحوهما، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيّب وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيها الربا بوصف الطعم، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفاواكه والبقول والأدوية مكيّلة كانت أو موزونة، إما:

رُوي عن معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل».

فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً، والربا نوعان ربا الفضل وربي الثّناء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النّقدين بجنسه، أو باع مطعوماً بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلاً نوعي الربا، حتى لا يجوز إلاّ متساويين في معيار الشّرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير

يشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير يَبْعُ بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الرِّبَا بغير جنسه نُظِرَ إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل: إن باع مطعوماً بأحد النقيدين فلا ربا فيه، كما لو باع بغير مال الرِّبَا، وإن باعه بما يوافقه في الوصف مثل: إن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جزافاً وثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب»، إلى أن قال: «إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله: «عيناً بعين» فيه تحريم النساء، وقوله: «يداً بيد كيف شئتم»، فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبايعة. ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرُدَّ عليه أفضل [منه]، فهو قرض منفعة، وكل قرض جزئ منفعة فهو ربا. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل ردّاً إلى الوعظ، ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ﴾، عن أكل الرِّبَا، ﴿فَلَمْ يَأْمُرْهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي: ما مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له، ﴿وَأَمَرَهُمْ بِأَلَّا يَكُونُوا لَكُمْ أَعْيُنَ﴾، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أمّره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحلّ له

ويحرّم عليه، وليس إليه من أمر نفسه شيء، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾، بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن المثنى، حدثني غندر أخبرنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال:

«إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثن الكلب، وكسب البغي، ولعن أكل الربا ومؤكله، والواشمة والمستوشمة، والمصور».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا [عبد] الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ أكل الرِّبَا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا يحيى هو ابن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الرِّبَا سبعون باباً أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه».

﴿قوله تعالى﴾: ﴿يَمْنَعُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، أي: ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَمْنَعُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة، ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يُشْمَرُها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾، بتحريم الرِّبَا، ﴿أَتَيْمٍ﴾، فاجر بأكله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمُوا الصَّالِحِينَ وَآمَنُوا بِقَوْلِهِمْ وَأَنَا أَرْكَوهُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾، قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي، فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرأ النصف وأضعف لكما ففعلا، فلما حلّ الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعاً وأطاعاً وأخذاً رؤوس أموالهما.

قال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يُسْلِفَانِ في الرِّبَا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، ففجأ الإسلام ولهما أموال عظيمة في الرِّبَا، فأنزل تعالى هذه الآية، فقال

النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة:

«ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبدالمطلب، فإنها موضوعة كلها».

وقال مقاتل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف [وهم]: مسعود وعبدليال وحبيب وربيعة، وهم بنو عمرو بن عميرة بن عوف الثقفي، كانوا يُدانيون بني المغيرة بن عبد الله بن عميرة بن مخزوم، وكانوا يُربون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الأخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد، وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة، فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين، وكان ذلك ما لا عظيم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنْ لَّمْ تَقْلُمُوا﴾، أي: إذا لم تذروا ما بقي من الربا، ﴿فَإَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر ﴿فَإَذْنُوا﴾ فالمد، على وزن آمنوا، أي: فاعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن، [أي: أوقعوا في الأذن]، وقرأ الآخرون ﴿فَإَذْنُوا﴾ مقصوراً بفتح

الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لأكل الربا يوم القيامة: حُذَّ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله النار، وحرب رسول الله السيف، ﴿وَإِنْ تَنَبَّرْتُمْ﴾، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، ﴿فَلَئَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْلُمُونَ﴾، بطلب الزيادة ﴿وَلَا تَقْلُمُونَ﴾، بالنقصان عن رأس المال، فلما نزلت [هذه] الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله، فرفضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة، وقالوا: آخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا، فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُرٌّ عُسْرَةً﴾، يعني: وإن كان الدين عليه الذين مُعْسَرًا، رُفِعَ الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر، وذلك جائز في النكرة تقول: إن كان رجل صالح فأكرمه، وقيل: «كان» بمعنى وقع، وحينئذ لا تحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر «عُسرة» بضم السين، ﴿فَقَطْرَةً﴾ أمر في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة، ﴿إِنْ مِيسَرَةً﴾، قرأ نافع «ميسرة» بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد «ميسرة» بضم السين مضافاً، ومعناها: اليسار والسعة، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾، أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المُعسر، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قرأ عاصم

«تصدقوا» بتحفيف الصاد، [وقرأ] الآخرون بتشديدها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير عن حازم، عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه:

أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبأ منه، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العُسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فأعطاه إياه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر مُعْسِراً أو وَضَعَ له أنجاه الله من كَرْبِ يوم القيامة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرثاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنهما قال:

قال النبي ﷺ: «إن الملائكة لتَلْتَقِ روح رجل كان قبلكم فقالوا له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، قالوا: تَذْكُر؟ قال: لا إلا أنني رجل كنت أدأين الناس فكنت أمر فتياي أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المُعسر، قال الله تبارك وتعالى: تجاوزوا عنه».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ بِذِينِ الْإِلَهِ أَجَلُكُمْ مُسْكًى
فَأَكْتُمُوهُ وَلِيَكُنَّ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلَأِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَمِثْلِ اللَّهُ رَيْبُكُمْ وَلَا يَتَّخِذْ مِنْهُ شَيْئاً
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْطِيعُ
أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلَأِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا مَثَلَيْنِ
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنْ اَلشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ اَلشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِنَّ أَجْلَهُمُ إِلَيْكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بَغْيًا كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾

وفتح الجيم، أي: تُرَدُّونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، ضعها على جبريل عليه السلام: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً وعشرين يوماً، وقال ابن جريج: تسع ليال، وقال سعيد بن جبیر: سبع ليال، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة.

قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الزبا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ بِذِينِ الْإِلَهِ أَجَلُكُمْ مُسْكًى﴾، قال ابن عباس رضي الله

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه».

أخبرنا أبو الحسن السرحسي أخبرنا زاهر بن

أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه أنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرايت إن قتل في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدْبِرٍ يُكْفَرُ اللَّهُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فلما أدبر ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به، فتودي فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليه قوله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم إلا الدين»، كذلك قال جبريل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ بِذِينِ الْإِلَهِ أَجَلُكُمْ مُسْكًى﴾، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير، عن ربيعي عن أبي اليسر، قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «من أنظر مُعْسِراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».

فصل

«في الدين وحسن قضائه

وتشديد أمره»

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة أخبرنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا سلمة بمنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ، فأغلظ له، فهم به أصحابه، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقبلاً»، واشتروا له بغيراً فأعطوه إياه، قالوا: لا نجد إلا أفضل من بيته، قال: «اشتروه فأعطوه إياه»، فإن خيركم أحسنكم قضاءً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع».

عنهما: لما حرم الله الربا أباح السلم، وقال: أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

قوله: ﴿إِذَا تَدَايَيْتُمْ﴾، أي: تعاملتم بالدين، يقال: دايته إذا عاملته بالدين، وإنما قال ﴿بِدِينِكُمْ﴾ بعد قوله: ﴿إِذَا تَدَايَيْتُمْ﴾؛ لأن المداينة قد تكون مجازاة، وقد تكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل ذكره تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِثْلَ بَاطِلٍ يُفْتَرُ بِهَا وَيُجَادَلُ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، الأجل: مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل مجله، وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيبعاً كان أو سلفاً أو قرضاً، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب، فإن ترك فلا بأس، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال بعضهم: كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله: ﴿إِن كَانَ آيُنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلَئِنَّ الَّذِي أَوْثَقَ آخِثُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وهو قول الشعبي، ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ﴾، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب

﴿كِتَابًا بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾، أي: لا يمتنع، ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طُوب، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْزُبُ عَنْ كَاتِبٍ وَلَا شَهِيدٍ﴾، ﴿كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَأَمْرَهُ﴾، ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، يعني: المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن، فالإملاء ههنا، والإملاء قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُكَلِّمُكَ عَلَيْهِ بِكُورَةٍ وَأَصِيلَةٍ﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، يعني: المملي، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾، أي: لا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئاً، ﴿إِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾، أي: جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي: السفه المبذر المفسد لماله أو في دينه، قوله: ﴿أَوْ صَمِيحًا﴾، أي: شيخاً كبيراً، وقيل: هو ضعيف العقل لعتوه أو جنون، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ حَقَّهُ﴾، لخرس أو عي أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب أو جهل بما له وعليه،

﴿فَلْيَسْتَلِ﴾، أي: قِيَمَهُ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني: إن عجز من عليه الحق من الإملاء فليمل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بحقه، ﴿وَأَسْتَقْبُوا﴾، أي: وأشهدوا ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، أي: شاهدين ﴿بَيْنَ رَجُلَيْنِ﴾، يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان [والكفار]، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد، ﴿لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ﴾، أي: لم يكن الشاهدان رجلين، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾، أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين.

واختلفوا في غير الأموال، فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين، وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثبوة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وشهادة أربع نساء، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَضَوْنَ مِنْهُ﴾، يعني: من كان مرضياً في ديانه وأمانته. وشرائط قبول الشهادة

تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرهن» بضم الهاء والراء، وقرأ الباقون «فرهن» وهو جمع: رهن، مثل: بخل وبغال وجبل وجبال، والرهن: جمع الرهان: جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيدة وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل: سقف وسقف، وقال أبو عمرو: وإنما قرأنا «فرهن» ليكون فرقاً بينها وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة: «رهن» بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيب في الرهن لغتان، مثل: كَتَبَ وَكُتِبَ وَرُسِّلَ وَرُسِّلَ، ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا آلات الكتابة فارتهنوا ممن تداينونهم زهوناً لتكون وثيقة بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله: فرهان مقبوضة، أي: ارتهنوا وأقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم، فإذا سلم لزم من جهة الراهن، حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحَضَرِ الرهن مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين: خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط.

والدليل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي، ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب.

﴿فَإِنْ آيَنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا﴾، وفي [حرف أبي] «فإن أئتمن»، يعني:

تعالى: ﴿فَإِنْ آيَنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية، وقال الآخرون: هو أمر نذب. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَاكَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. هذا نهى للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى وتصبحت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: أصله يضار بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه: ولا يضار الكاتب فيأبى أن

يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحزف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طائوس والحسن وقتادة. وقال قوم: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان: نحن على شغل فاطلب غيرنا، فيقول الداعي: إن الله أمركم أن توجبوا ويلج عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما، ﴿وَإِنْ تَقَعُوا فِي السَّيْرِ﴾ ما نهيتكم عنه من الضرار، ﴿فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكُفُّكُمْ﴾، أي: معصية وخروج عن الأمر، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ وَيَكُفُّكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُفُّ سَوْفَ عَلَيْهِمْ. .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ

تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾ فَإِنْ آيَنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَمَّا قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامِنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُهُمْ رَبَّهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَعْرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَكِيمٌ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَتَعَمَّأَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا سَيِّئِينَ وَلَا نَحْمِلْ أَوْخَاطًا نَارِبَنَا وَلَا نَحْمِلْ عَلَى بَاطِلٍ إِسْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ يَكُفُّونَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا لَاقَاةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٤٩

حاضرة»، قراهما عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة أو المبايعه تجارة، وقرأ الباقون بالرفع، وله وجهان، أحدهما: أن يجعل الكون بمعنى الوقوع، معناه: إلا أن تقع تجارة، والثاني: أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل، وهو قوله: «تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ»، تقديره: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ليس فيها أجل، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوا﴾، يعني: التجارة، «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ»، قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره وثقده ونسيته، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة؛ كقوله

فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتبه من شياً لحسن ظنه به، ﴿فَلْيَوِّزْهُ الَّذِي أُوتِيَ﴾ أَمْتَنَهُ، أي: فليقبضه على الأمانة، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ﴾، إذا دُعيتُم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ مَآئِمٌّ﴾، أي: فاجز قلبه، قيل: ما وعد على شيء لإياعاده على كتمان الشهادة، قال: ﴿فَإِنَّهُ مَآئِمٌّ قَلْبُهُ﴾ وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَحْمِلُونَ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها، ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

﴿لَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ مَا فِي السُّورَتَيْنِ وَمَا فِي الْآزْهِرِ﴾، ملكاً وأهلها [له عبيدٌ وهو مالكهم]، ﴿وَلَمَّا تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة، معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلموا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسرّوه يحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل، كما ذكر في سورة آل عمران: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] إلى أن

قال: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوهُ مَا فِي مُدِيرِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَكْفُرُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها، فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها. والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المنهال الضرير وأمية بن بسطام العيشي واللفظ له، قال: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

لَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ﴿لَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ مَا فِي السُّورَتَيْنِ وَمَا فِي الْآزْهِرِ وَلَمَّا تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية، قال: اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي: لرسول الله ﷺ. كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿مَنْ أَمَرَ الرَّسُولَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ مَأْمَرٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك

نسخها الله فأنزل الله: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ قَسًا إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا بِأَفْثَةٍ أَوْ نَسِيَةٍ﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، قال: نعم، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: نعم.

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه، وقال في كل ذلك: «قد فعلت» بدل قوله «نعم»، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر [رضي الله عنهم]، وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني أخبرنا أبو القاسم بن الحكم العرني أخبرنا مسعر بن كدام، عن قتادة عن زُرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا مَوَسَّسَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ».

وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ خبر لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً

فقال: ﴿يَا كَسِبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، فليس الله عبد أسرّ عملاً أو أعلنه من حركة في جوارحه أو همّة في قلبه إلا يجزه الله به ويُحاسبه عليه، ثم يغفر بما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال الآخرون: معنى الآية: إن الله عز وجل يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها.

وهذا قول عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال:

«يا عائشة هذه معاتبه الله العبد بما يُصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة [يشاكها] والبضاعة يضعها في كفه فيفقدتها فيروع لها، حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج الثبر الأحمر من الكير».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرّياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر

أمسك عليه بذنبه حتى يُوافيه به يوم القيامة».

وقال بعضهم: ﴿وَلَا تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله، فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا [عليه] فإن ذلك مما ﴿لَا يَكِلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْتِنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، قال عبدالله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ الله العبد بالهمّة؟ قال: إذا كان عزماً أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تُبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يُحاسبكم به الله ويُخبركم به ويُغفركم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويُعذب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويُروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدلّ عليه أنّه قال: يُحاسبكم به الله، ولم يقل: يُؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذه، والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرّاد أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال:

كنت أخذاً بيد عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل

فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النّجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يُدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يُستره من الناس فيقول: أي عبدي! أتعرّف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي رب، ثم يقول: أي عبدي أتعرّف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي رب حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطي كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، رفع الرأه والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب، وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويُعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، والله على كل شيء قدير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي: صدق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، يعني: كل واحد منهم، ولذلك وحّد الفعل، ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «وكتابه» على الواحد، يعني: القرآن، وقيل معناه: [الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد]؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ آلِيَّيْنِ مُبَشِّرِينَ

وَمُؤْمِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ [البقرة: ٢١٣]، وقرأ الآخرون: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكُوكَ بِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، فيه إضمارٌ تقديره: يقولون لا تُفَرِّقْ، وقرأ يعقوب: ﴿لَا يَفْرُقُ﴾ بالياء، فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه: لا يُفَرِّقُ [بين] الكل، وإنما قال ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ ولم يقل بين آحاد، لأن الأحاد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَتَدِّعِي عَنْهُ حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ﴿وَكَلَّأُوا سَيْمًا﴾، قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، روي عن حكيم بن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسل تعط، فسال بتلقين الله تعالى فقال: ﴿غُفْرَانُكَ﴾ وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرانك، ﴿أو على المفعول به﴾، أي: نسألك غفرانك، ﴿رَبَّنَا وَارْحَمْنَا﴾ كالمصدر.

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ظاهر الآية قضاء الحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، فأجاب: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان، ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله: ﴿وَلَنْ تُبَدُّوا مَا فِي

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ كما ذكرنا، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون؛ كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قال: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة.

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، أي: للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر وعليها وزره ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾، أي: لا تعاقبنا ﴿إِنْ كُنَّا نَسِيْنَا﴾، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك؛ كقوله [تعالى]: ﴿سَأَلَ اللَّهُ فَتَسِيَّبُهُ﴾ [التوبة: ٦٧]، قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَاْنَا﴾، قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَلْبَهُ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، قال عطاء: إن نسيانا أو أخطانا

يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه.

قال النبي ﷺ: ﴿رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَاُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه، ﴿كَمَا كُفِّرْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلُنَا﴾، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذبتهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]، أي: عهدي، وقيل معناه: لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك: أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء رُبع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها، ومن أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً على يابه، ونحوها من الأثقال والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَضِعْنَهُمْ إِمْرَهُمْ وَأَلْفَلْنَاهُ إِلَىٰ كَانَتْ عَلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقيل: الإصر ذنب لا توبة له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، أي: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيقه، وقيل: هو حديث النفس

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا يونس وأحمد بن شيبان قالا: ثنا سفيان بن عُيينة عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ:

«الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ بهما في ليلة كفتاه»، [أي عن قيام الليل].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا حماد بن سلمة أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بالقي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تقرأن في دار ثلاث ليالٍ فيقرَّبها شيطان».

سورة آل عمران مدنية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى:

﴿١﴾ **أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ** قال الكلبي: والربيع بن أنس وغيرهما: نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستمين راكباً قدموا على

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: «لا أوأخذكم»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ قال: «لا أحمل عليكم إصراً»، ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «لا أحملكم»، ﴿وَاعْتَصِفْ عَنَّا إِلَى آخِرهَا، قَالَ: «عَفُوْتُ عَنْكُمْ وَغَفَرْتُ لَكُمْ وَرَحِمْتُكُمْ وَنَصَرْتُكُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة، قال: آمين.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أسامة حدثني مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مُصَرِّف عن مرة عن عبد الله قال:

«لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبض به فوقها فيقبض منها قال: ﴿إِذْ يَفْقَى الْبَيْتَ مَا يَقْنُ﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمس، وأعطني خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المقحّمات، كبائر الذنوب.



والوسوسة، حُكي عن مكحول أنه قال: هو الغلظة، [قيل: الغلظة شدة الشهوة]، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: [هو] العشق، وقال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِفْ عَنَّا، أَي: تجاوزْ وامحُ عَنَّا ذنوبنا، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾: فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا وحافظنا وولينا، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا﴾، قال الله تعالى: «قد غفرتُ لكم»، وفي

رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم، العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبدالمسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وخبرهم، دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بلحارث بن كعب يقول: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» فصلوا إلى المشرق، فسلم السيد والعاقب، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما»، قال: قد أسلمنا قبلك، قال كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير، قال: إن لم يكن عيسى ولداً لله فمن يكن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهم النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم؟» قالوا: لا، قال: «فإن ربنا صوّر

عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا ليس بذی صورة وليس له مثل وربنا لا يأكل ولا يشرب»، قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذي كما يُغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» فسكتوا، فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها، فقال عز من قائل: ﴿لَمَّا سَأَلَ اللَّهُ مِنَ الْمَمِيِّمِ مَوْصُولَ عِنْدَ الْعَامَةِ، وَإِنَّمَا فَتَحَ الْمِيمِ لَالتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، حُرِّكَ إِلَى أَخْفِ الْحَرَكَاتِ، وَقَرَأَ أَبُو يُوسُفَ وَيَعْقُوبُ بْنُ خَلِيفَةَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﴿لَمَّا سَأَلَ اللَّهُ مِنَ الْمَمِيِّمِ عَلَى نِيَّةِ الْوَقْفِ، ثُمَّ قَطَعَ الْهَمْزَةَ لِلْإِبْتِدَاءِ وَأَجْرَاهُ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقْطَعُ أَلْفَ الْوَصْلِ.﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ ابتداء وما بعده خبره، ﴿وَاللَّهُ الْقَيُّمُ﴾ نعت له.

﴿وَزَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن، ﴿وَالْحَقُّ﴾: بالصدق، ﴿مَصَوِّفًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾، وإنما قال: ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن: ﴿زَكَرَ﴾ لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل: للتكثير، والتوراة، قال البصريون: أصلها وُورِيَّةٌ على وزن:

قَوْعَلَةٌ مثل دوحلة وحَوْعَلَةٌ فحوّلت الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفاً فصارت توراة، ثم كتبت ياء على أصل الكلمة، وقال الكوفيون: أصلها تفعللة مثل توصية وتوفية، فقلبت [الياء] ألفاً على لغة طيء، فإنهم يقولون للجارية جارة، وللتوصية توصاة، وأصلها من قولهم: وري الزند إذا خرجت ناره وأورته أنا، قال الله تعالى: ﴿أَوْرَثَهُمُ الْتَارَ أَلَيْ تَوْرُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]، فسُمي التوراة لأنها نور وضياء، قال الله تعالى: ﴿وَضِيَاءُ وَزَكَرَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقيل: [هي] من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره، وكان أكثر التوراة معارض من غير تصريح، والإنجيل: إفعيل من النجل وهو الخروج، ومنه سُمي الولد نجلاً لخروجه، فسُمي الإنجيل به لأن الله تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً [قيل]: هو من النجل وهو سعة العين، سُمي به لأنه أنزل توسعة لهم ونوراً، وقيل: التوراة بالعبرانية تور تور، [أو] معناه: الشريعة، والإنجيل بالسريانية: إنقليون، ومعناه: الإكليل. قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ لَتُفَصِّلُ الْفَصْلَ﴾، هادياً لمن تبعه، ولم يشته لأنه مصدر، ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ [اليفرق] بين الحق والباطل، وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدًى للناس، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٦﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُمَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْزَاقِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، [من الصور المختلفة] ذكراً أو أنثى أبيض أو أسود حسناً أو قبيحاً تاماً أو ناقصاً، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْكَافِي﴾، وهذا ردٌ على وفدٍ نجرانٍ من النصراني حيث قالوا: عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولداً وقد صوّره الله تعالى في الرحم؟

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول:

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن [خلق] أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك أو قال: يُبعث إليك الملك بأربع كلمات، فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، قال: وإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع [فيسبق عليه الكتاب] فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر

الجرجاني أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد:

يبلغ به النبي ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتب ذلك فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف، فلا يُزاد فيها [و] لا يُنقص».

﴿قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، مَبِينَاتٌ مَفْضَلَاتٌ سُمِّيَتْ مُحْكَمَاتٍ مِنْ الْإِحْكَامِ، كَأَنَّهُ أَحْكَمُهَا فَمَنْعَ الْخَلْقِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لظهورها ووضوح معناها، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصله الذي يعمل عليه في الأحكام، وإنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، ولم يقل: أمّهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالأية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقبل معناه: كل آية منه من أم الكتاب، كما قال: ﴿وَحَمَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَائْتْنَاهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، أي: كل واحدة منهما آية، ﴿وَأَنْفَرُ﴾، جمع أخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عُمر وُزفر، ﴿مُتَشَبِّهَاتٌ﴾، فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المُحْكَم والمُتَشَبِّه وقد جعل الله كل القرآن

محكماً في مواضع أخر، فقال: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [هود: ١]، وجعل كله متشابهاً [في موضع آخر] فقال: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ لِلْكَوْنِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؟ قيل: حيث جعل الكل محكماً أراد أن الكل حق ليس فيه عيبٌ ولا هزلٌ، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يُشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل بعضه ههنا محكماً وبعضه متشابهاً.

واختلف العلماء فيهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المُحْكَمَاتُ هُنَّ الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿هَلْ تَمَسَّالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفَّ عَيْنُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿وَوَقَّعَ رَبُّكَ إِلَّا تَقْبُدُوا إِلَّا يَأْتِيَهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآيات. وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحق ويصدق بعضه بعضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ إِلَّا الْفَلْسَفِيُّ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَيَجْعَلُ الْيَقِيكَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠]، وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به

والمتشابهات: منسوخه، ومقدّمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به. وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه. والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة، من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا. قال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما احتمل أوجهاً. وقيل: المحكم ما يُعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا تشبه، والمتشابه هو الذي يُدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية ياذن: المتشابه حروف التهجي في أوائل السور، وذلك أن رهطاً من اليهود منهم حُبي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا إلى النبي ﷺ فقال له حيي: بلغنا أنه أنزل عليك ﴿الزَّيْلُ﴾ نشدك الله أنزلت عليك؟ قال: «نعم»، قال: فإن كان ذلك حقاً فإني أعلم مدة ملك أمتك هي إحدى وسبعون سنة، فهل أنزل غيرها؟ قال: «نعم». ﴿الزَّيْلُ﴾ [الأعراف: ١]، قال: فهذه أكثر، هي إحدى وستون ومائة سنة، قال: فهل غيرها؟ قال: «نعم»، ﴿الزَّيْلُ﴾

[هود: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، [قال]: فهل غيرها؟ قال: «نعم» ﴿الزَّيْلُ﴾ [الرعد: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، ولقد غلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن ممن لا يؤمن بهذا، فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾.

واختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران الذين خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسينا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجها بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله الشعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَكْبَرُ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم».

قوله تعالى: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: طلب الشك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم، وتأويله: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: ﴿سَأَتَّبِعَكَ يَا أَوَّلَ بَنِي سُلَيْمٍ﴾ [الكهف: ٧٨]، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ وَحَسَنُ تَأْوِيلٍ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: عاقبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، اختلف العلماء في نظم هذه الآية، فقال قوم: الواو في قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً معناه: والراسخون في العلم قائلين آمناً به، هذا كقوله تعالى: ﴿مَّا آفَاكُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال: ﴿لِلْفَقْرَىٰ الْمُهَاجِرِ الْيَتِيمِ الْأُخْرَىٰ مِنْ دِينِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا أَدَارًا وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا عطف على ما

سبق، ثم قال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر: ١٠]، يعني: هم مع استحقاقهم للغيء يقولون: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا، أي: قائلين على الحال، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية: أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وقال مجاهد: أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله ﴿وَأَلْرَّاسِخُونَ﴾ واو الاستئناف، وتم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يَسْكُنُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم، ورواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وأكثر التابعين، واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يُطْلَغ عليه أحداً من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها. والخلق مُتَعَبِدُونَ في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله ﴿إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وفي حرف أبي: «ويقول الراسخون في العلم آمنا به»، وقال عمر بن عبدالعزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنا به كل من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، [أي: الداخلون في العلم] هم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء [في الشيء] وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسخاً ورُسوخاً، وقيل: الراسخون في العلم علماء مؤمنون أهل الكتاب، مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: ﴿لَنَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٢]، يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالم العامل بما عِلِمَ المتبع له. وقيل: الراسخ في العلم مَنْ وَجَدَ في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنا به سمّاهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به، أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿وَمَا يَسْكُنُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾: و ما يتعظ بما في القرآن، ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: دُورُ العقول.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، أي: ويقول الراسخون [في العلم]: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا، أي: لا تملأها عن الحق والهدى كما أَرَزَعْتَ قلوب الذين في قلوبهم زيغ فضلوا وأضلوا، ﴿مَتَدِدَةً مَّيِّتَةً﴾، وقفتنا

لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾: أعطنا من عندك، ﴿رَحْمَةً﴾، توفيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى. وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْفَاكُ﴾.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، أنا أبو بكر عبدالرحمن بن القاسم القرشي، يُعرف بابن الرواس الكبير بدمشق، أنا أبو مسهر عبدالأعلى بن مسهر الغساني أنا صدقة، أنا عبدالرحمن بن زيد بن جابر حدثني بشر بن عُبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النّاس بن سمعان الكلّابي قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَقِيْمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَزِيْغَهُ أَزَاغَهُ»، [قال]: وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ. والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري [أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن إياس الجريري عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْقَلْبِ

كرشة بأرض فلاة تُقلبها الرياح ظهراً لبطن.

⑩ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَائِعٌ النَّاسِ يَوْمَ﴾، أي: لقضاء يوم، وقيل: اللام بمعنى: في، أي: في يوم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِكُ الْيَكْسَادَ﴾، وهو مفعال، من الوعد.

⑪ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ﴾: لن تنفع ولن تدفع، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، قال الكلبي: من عذاب النار، وقال أبو عبيدة: من بمعنى عند، أي: عند الله ﴿شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

⑫ ﴿كَذَّابٌ عَالِي فِرْعَوْنَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم مع نبيهم في الكفر والتكذيب به وبما جاء، وقال عطاء والكلبي وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون. وقال الأخفش: كافر آل فرعون وشأنهم. وقال التضر بن شميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ يَنْبَغِيهِمْ﴾: كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ﴾ الله، فعاقبهم الله، ﴿يَذُوقُوا﴾ وقيل: نظم الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ عند حلول النعمة والعقوبة [بهم]، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، [من

عذاب الله شيئاً]، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

⑬ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾، قرأ حمزة والكلبي بالياء فيهما، أي: أنهم يغلبون ويحشرون، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب، أي: قل لهم يا محمد إنكم ستغلبون وتحشرون إلى جهنم.

وقال مقاتل: أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في

الآخرة، فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ يوم بدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَالِبُكُمْ وَحَاشْرُكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾.

وقال بعضهم: المراد بهذه الآية اليهود.

وقال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر: هذا والله النبي الذي بشرنا به [موسى]، لا ثرة له راية، وأرادوا اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة [له] أخرى، فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ، شكوا، فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستفزهم، فأجمعوا

سورة التوبة

الآيات

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ① كَذَّابٌ عَالِي فِرْعَوْنَ ② وَالَّذِينَ يَنْبَغِيهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ ③ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ⑤ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَقْسَى إِلَيْهَا ⑥ فَدَكَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقُرْآنِ وَفِتْنَةِ الْقُرْآنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ⑦ وَأُخْرَى كَافَّةً يَوْمَ تَأْتِيهِمْ فِي غَافِلَةٍ فَأُخْذُوا مِنْ أَيْنَ لَا يُدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِيُصْرَفَ عَنْ ذَلِكَ ⑧ قُلْ لِلنَّاسِ حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَا تَدْعُوا إِلَى مَعْرِضٍ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ⑨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ⑩ كَذَّابٌ عَالِي فِرْعَوْنَ ⑪ وَالَّذِينَ يَنْبَغِيهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ ⑫ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑬ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ⑭ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَقْسَى إِلَيْهَا ⑮ فَدَكَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقُرْآنِ وَفِتْنَةِ الْقُرْآنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ⑯ وَأُخْرَى كَافَّةً يَوْمَ تَأْتِيهِمْ فِي غَافِلَةٍ فَأُخْذُوا مِنْ أَيْنَ لَا يُدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِيُصْرَفَ عَنْ ذَلِكَ ⑰ قُلْ لِلنَّاسِ حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَا تَدْعُوا إِلَى مَعْرِضٍ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ⑲ كَذَّابٌ عَالِي فِرْعَوْنَ ⑳ وَالَّذِينَ يَنْبَغِيهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ ㉑ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ㉒

٥١

أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

وقال محمد بن إسحاق عن رجاله، ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال:

«يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، فقد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبحت فيهم فرصة، وإنا والله لو قاتلناك لعرفت أننا نحن الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾. يعني اليهود. تُهْزَمُونَ في الدنيا في

قتالكم محمداً ﴿وَتُخْرَجُونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُتَسَّ إِلَيْهَا﴾: الفرار، أي: بشئ ما مهد لهم، يعني: النار.

﴿١٣﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، ولم يقل قد كانت، والآية مؤنثة لأنه رذها إلى البيان، أي: قد كان [لكم] بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، أي: عبرة وذلافة على صدق ما أقوال لأنكم ستغلبون، ﴿فِي يَتَيَّنِينَ﴾: فرقتين، وأصلها فيء: الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض، ﴿وَالْتَقَاتَا﴾، يوم بدر، ﴿فَنَفَّثْنَا فِي سَكَبٍ﴾ طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد، وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وأكثرهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف. قوله تعالى: ﴿وَأُخْرِي﴾: كإفزة، أي: فرقة أخرى كافر، هم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول

مشهد شهده رسول الله ﷺ، ﴿يَرَوْنَهُمْ يَنْتَهُنَّ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني: ترون يا معشر اليهود وأهل مكة مثلي عدد المسلمين، وذلك أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على مَنْ تكون الدائرة فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر مع ذلك للمسلمين، فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل: كيف قال ﴿يَنْتَهُنَّ﴾ وهم كانوا ثلاث أمثالهم؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثليه سواء، فيكون ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني هو الأصح: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى، حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم [يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم] يزيدون [علينا] رجلاً واحداً، ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال أراهم مائة. وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين، يعني: يرى

المشركون المسلمين مثليهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترأ المشركون عليهم، ولا ينصرفوا [عنهم]، فلما أخذوا في القتال كثروهم [الله] في أعين المشركين، ليجنّبوا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجتروا [عليهم]، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْهُمُ كَكُوفٍ﴾ إِذِ اتَّيَسَّرَ فِي آفَافِكُمْ فَلَا رَيْبَ لَكُمُ فِي أَفْتِنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْبَرُ﴾، أي: في رأي العين، نُصِبَ بنزع حرف الصنعة، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَةَ مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ فِي ذَلِكَ﴾، [أي: في] الذي ذكرته، ﴿لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَلْأَكْبَرُ، لذوي العقول، وقيل: لمن أبصر الجميع.

﴿١٤﴾ قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ﴾، جمع شهرة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿يَرَى النَّاسُ﴾، بدأ بهن لأنهن حبات الشيطان، ﴿وَالْأَكْبَرُ﴾، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: ألف ومائتا مثقال، وعنهما رواية أخرى: اثنا عشر ألف درهم وألف دينار، دية أحدهم. وعن الحسن قال: القنطار دية أحدهم، وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة: هو مائة ألف ومائة من مائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم، ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا. وقال سعيد بن المسيب

﴿الْمُتَّبِعِينَ بِالْأَسْخَارِ﴾، قال مجاهد وقتادة والكلبي: يعني المصلين بالأسحار، وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يُصلُّون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسحر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدَّوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا، وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يُحيي الليل، ثم يقول: يا نافع أَسَحَرْنَا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، [قعد وأخذ] يستغفر الله ويدعو حتى يُصبح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أنا قتيبة أنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «يُنزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فيقول: أنا الملك أنا الملك مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ».

وحكي عن الحسن: أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من هذا الذئب يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران.

قال الكلبي: قدم خبرنا من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصرا

المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه [ورأياه] عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالوا له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالوا له: فإننا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال: أسألا، قالوا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان.

قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، أي: بيّن الله، لأن الشهادة تبين، وقال مجاهد: حَكَمَ الله، وقيل: عَلِمَ الله، وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه [لنفسه] قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بحر ولا بحر، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله: ﴿وَاللَّاتِ كُفَّ﴾، أي: وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين: الإقرار، ﴿وَأُولُوا الْأَلْبُومِ﴾، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه. وقال السدي والكلبي: [يعني] جميع علماء المؤمنين. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل، ونظم الآية: شهد الله

قائماً [بالقسط]، نصب على الحال، وقيل: نصب على القطع، ومعنى قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، أي: قائماً بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم بأمر فلان، أي: مديّر له ومتعهده لأسبابه، وقائم بحق فلان أي: مجاز له، فالله جلّ جلاله مديّر ورازق ومجاز بالأعمال، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، يعني: الدين المرصّي [للله] الصحيح، كما قال: ﴿وَرَوَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ بَيْتًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ بَيْتًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفتح الكسائي الألف من ﴿أَنْ﴾ الدين ﴿رَدًّا عَلَى أَنْ الْأُولَى، تقديره: شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء، والإسلام: هو الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم، واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودلّ عليه أوليائه، فلا يقبل غيره، ولا يُجزّي إلا به.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا أبو عمرو الفراتي أنا أبو موسى عمران بن موسى، أنا الحسن بن سفيان أنا عمار بن عمر بن المختار، حدثني

أُنبِئَ عَنْ غَالِبِ الْقُطَانِ، قَالَ: أَتَيْتُ الْكَوْفَةَ فِي تِجَارَةٍ فَنَزَلْتُ قَرِيباً مِنْ الْأَعْمَشِ، وَكُنْتُ اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كُنْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَنْتَحِدَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَإِذَا الْأَعْمَشُ قَائِمٌ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ فَمَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالُوا بِإِقْسَامٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَهِيرُ الْعَظِيمُ﴾، ثُمَّ قَالَ الْأَعْمَشُ: وَأَنَا أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَهِيَ لِي عِنْدَ اللَّهِ وَدِيعةٌ، ﴿إِنَّ الْوَيْلَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، قَالَهَا مَراراً. قُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئاً، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ وَوَدَعْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ آيَةَ تَرُدُّهَا، فَمَا بَلَغَكَ فِيهَا؟ [قَالَ لِي: أَوْمًا بَلَغَكَ مَا فِيهَا؟ قُلْتُ: أَنَا عِنْدَكَ مِنْذُ سَنَتَيْنِ لَمْ تَحْدِثْنِي]، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحْذُنْكَ بِهَا إِلَى سَنَةٍ، فَمَكَّثْتُ عَلَى بَابِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَأَقَمْتُ سَنَةً فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ قُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ مَضَتْ السَّنَةُ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُجِئُهَا بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنْ لِعَبْدِي هَذَا عِنْدِي عَهْدٌ وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ وَفَى بِالْعَهْدِ، أَذْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الْأَوَّلُونَ أَوْثَرُ الْكِتَابِ﴾، قَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ تَرَكُوا الْإِسْلَامَ، أَي: وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ فِي نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿إِلَّا بَيْنَ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾، يَعْنِي: بَيَانُ نَعْتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَ الْمَوْتَ دَعَا سَبْعِينَ

رَجُلًا مِنْ أَحْبَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاسْتَوْدَعَهُمُ التَّوْرَةَ وَاسْتَخْلَفَ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ، فَلَمَّا مَضَى الْقَرْنُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ وَقَعَتِ الْفِرْقَةُ بَيْنَهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلَئِكَ السَّبْعِينَ، حَتَّى أَهْرَقُوا بَيْنَهُمُ الدَّمَاءَ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْاخْتِلَافُ وَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ، يَعْنِي بَيَانُ مَا فِي التَّوْرَةِ، ﴿بَقِيًا بَيْنَهُمْ﴾، أَي: طَلِبًا لِلْمَلِكِ وَالرِّيَاسَةِ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَابِرَةَ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ: نَزَلَتْ [هَذِهِ الْآيَةُ] فِي نَصَارَى نَجْرَانَ وَمَعْنَاهَا: وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ، يَعْنِي: الْإِنْجِيلَ فِي أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفَرَّقُوا الْقَوْلَ فِيهِ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿بَقِيًا بَيْنَهُمْ﴾، أَي: لِلْمَعَادَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا كُنْتُ آتِيًا اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَ حَاجِبُكَ﴾، أَي: خَاصِمُكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالُوا: لَسْنَا [عَلَى] مَا سَتَيْتَنَا بِهِ يَا مُحَمَّدُ وَإِنَّمَا الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ نَسَبٌ وَالِدِينُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَنَحْنُ عَلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ أَتَشْتَكُونَ رِجْهِي لِلَّهِ﴾، أَي: انْقَضَتْ لَكَ وَحْدَهُ بَقْلِي وَلِسَانِي وَجَمِيعُ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خَصَّ الْوَجْهَ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْجَوَارِحِ مِنْ الْإِنْسَانِ، وَفِيهِ بَهَاوُهُ فَإِذَا خَضَعَ وَجْهَهُ لِلشَّيْءِ فَقَدْ خَضَعَ لَهُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ أَخْلَصْتُ عَمَلِي لِلَّهِ، ﴿وَمَنْ أَتَّبَعْنِي﴾، أَي: وَمَنْ أَتَّبَعْنِي فَاسْلَمَ كَمَا

اسْلَمْتُ، وَأَتَّبَعْتُ نَافِعَ وَأَبُو عَمْرٍو الْيَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «اتَّبَعْنِي» عَلَى الْأَصْلِ وَحَذَفَهُ الْآخَرُونَ عَلَى الْخَطِّ لِأَنَّهُا فِي الْمَصْحَفِ بَغِيرُ يَاءٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَوَّلِينَ﴾، يَعْنِي: الْعَرَبَ ﴿اسْلَمْتُمْ﴾، لَفْظَةُ اسْتِفْهَامٍ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أَي: وَاسْلَمُوا، كَمَا قَالَ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أَي: انْتَهَوْا، ﴿كَانَ اسْتَمُوا فَقَدْ افْتَكَدُوا﴾، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: اسْلَمْنَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ عُزَيْرًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ فَقَالُوا: مُعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عُزَيْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدًا، وَقَالَ لِلنَّصَارَى: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالُوا: مُعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عِيسَى عَبْدًا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾، أَي: تَبْلِغُ الرِّسَالَةَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ الْهَدَايَةِ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِينَ﴾، عَالِمٌ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَبِمَنْ لَا يُؤْمِنُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَ الْأَوَّلُونَ يَكْفُرُونَ بِمَا كُنْتُ آتِيًا اللَّهُ﴾، يَجْحَدُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، قَرَأَ حَمِزَةً «وَيَقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ» بِالْف، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: كَانَ الْوَحْيُ يَأْتِي عَلَى أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ فَيَذْكُرُونَ قَوْمَهُمْ فَيَقْتُلُونَ، فَيَقْرَأُ رِجَالٌ مِمَّنْ اتَّبَعَهُمْ وَصَدَقَهُمْ فَيَذْكُرُونَ قَوْمَهُمْ فَيَقْتُلُونَ أَيْضًا فَهُمْ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقَسْطِ مِنَ النَّاسِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الشَّرِيحِيُّ أَنَا أَبُو

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
دخل رسول الله ﷺ بيت
المدراس على جماعة من اليهود
فدعاهم إلى الله عز وجل، فقال له
تعيم بن عمرو والحارث بن زيد:
«على أي دين أنت يا محمد؟ فقال:
«على ملة إبراهيم»، فقالا: إن
إبراهيم كان يهودياً، فقال
رسول الله ﷺ: «فهللما إلى
التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبيا
عليه، فانزل الله تعالى هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس رضي الله عنهما:

أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر
زنيا، وكان في كتابهم الرجم ففكرهوا
رَجْمَهُمَا لشرفهما فيهم، فرفعوا
أمرهما إلى رسول الله ﷺ ورجوا أن
يكون عنده رخصة، فحكم عليهما
بالرجم، فقال له النعمان بن أوفى
ويحري بن عمرو: جُزْتُ عليهما يا
محمد ليس عليهما الرجم، فقال
رسول الله ﷺ: «بيني وبينكم
التوراة»، فقالوا قد أنصفتنا، قال:
«فمن أعلمكم بالتوراة؟» قالوا: رجل
أعور يسكنُ فذك يُقال له ابن
صوريا، فأرسلوا إليه فقدم المدينة
وكان جبريل قد وصفه
لرسول الله ﷺ فقال له
رسول الله ﷺ: «أنت ابن صوريا»،
قال: نعم، قال: «أنت أعلم
اليهود؟» قال: كذلك يزعمون،
قال: فدعا رسول الله ﷺ بشيء من
التوراة فيها الرجم مكتوب، فقال له:
«اقرأ»، فلما أتى على آية الرجم
وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها على
رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن

في أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبَاد بني إسرائيل، فأمرُوا من قتلهم بالمعروف ونهَوْهم عن المنكر، فقتلُوهم جميعاً في آخر النهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم.

﴿فَيَبْشِرُهُ﴾: أخبرهم
﴿بِكَذَابِ الْيَمِينِ﴾، وَجِئْنَا،
وإنما أدخل الفاء على خبر
﴿إِنَّ﴾، وتقديره: الذين
يكفرون ويقتلون فبشّرهم،
لأنه لا يقال: إن زيدا

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَت
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، ويسطان
العمل في الدنيا أن لا يقبل، وفي
الآخرة أن لا يُجَازَى عليه.

١٧ قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أُنزِلَ أَوْ نُيِيَّبَ مِنْ الْكِتَابِ،
 يعني: اليهود، ﴿يَدْعُونَ إِلَيْهِ كَلْبًا﴾
 الله، اختلَفوا في هذا الكتاب، فقال
 قتادة: هم اليهود دُعوا إلى حُكْمِ
 القرآن فأعرضوا عنه. وروى
 الضحاك عن ابن عباس رضي الله
 عنهما في هذه الآية:

إن الله تعالى جعل القرآن حكماً
 فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ،
 فحكم القرآن على اليهود والنصارى:
 أنهم على غير الهدى، فأعرضوا
 عنه، وقال آخرون: هو التوراة.
 وروى سعيد بن جبير وعكرمة

الزَّوْجَ إِلَى اللَّهِ أَوْ ثَوًّا فَيُسَبِّحُ مِنْ حَيْثُ كَانَ حَتَّى يُبْعَثَ إِلَى كِتَابِ
أَمْرِ يَحْكُمُ بِهِمْ يُخَوِّلُ هُنَّ مَرْجُلًا مِنْهُنَّ وَهُنَّ مُعْرَضُونَ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُنَّ كَوَالِدَاتٍ أَلْفَاكًا مَسْخُورَاتٍ وَأَعْرَضْنَ عَنْهُمْ
فِي دِينِهِنَّ مَا كُنَّ أَفْئَةً وَوَرَأَ ﴿٣٢﴾ كَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمُ
يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ وَوُفِّقَتْ كُلُّ شَيْءٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ
لَا يُلَاحِظُونَ ﴿٣٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ تَبَّكَ اللَّهُ تَبَّكَ تَوَلَّى الْمَلَائِكَةُ
مِنْ نِسَاءٍ وَتَبَّخَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نِسَاءٍ وَبُعِزَّ مِنْ نِسَاءٍ وَتَبَّخَ
مِنْ نِسَاءٍ يَكِيدُ الْعَبِيدُ إِنَّكَ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤﴾ تَوَلَّى الْإِنْسَ
فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّى الْفَهَارِ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْعَمَى مِنَ الْعَمِيَّةِ
وَتُخْرِجُ الْبَصِيَّةَ مِنَ الْعَمَى وَتَرْفُقُ مِنْ نِسَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٥﴾
لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَلَآ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُنَّ
تَقَةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ تَقَتَهُ إِلَى اللَّهِ الْعَصِيدُ ﴿٣٦﴾ قُلِ
إِنْ تَحْشَرُوا مَا فِي سُدُورِكُمْ أَفَأَنْتُمْ يَعْلَمُونَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٧﴾

إسحاق الشعلبي، أنا أبو عبدالله
الحسين بن محمد [بن] فنجويه
الديثوري، أنا أبو نصر منصور بن
جعفر النهاوندي، أنا أحمد بن
يحيى بن الجارود أنا محمد بن
عمرو بن حيان أنا محمد بن جُمَيْر
أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن
مكحول عن قُبَيْصَةَ بن ذؤيب
الخُزَاعِي عن أَبِي عُبَيْدَةَ بن الجراح
رضي الله عنه قال:

قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً أو رجلاً أمراً بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ»، إلى أن انتهى إلى قوله: «وَمَا لَهُمْ مِنَ تَعْمِيرٍ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً

سلام: يا رسول الله قد جاوزها، فقام فرفع كفه عنها، ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة زوجاً، وإن كانت المرأة حُبلى ترتص حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجماً فغضب اليهود لذلك وانصرفوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَو تَرَى إِلَى اللَّهِ لَيْتَ أَوْفُوا صِيَبًا مِنْ أَلْحَبِ يُعْطُونَ لَكَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ التوراة، ﴿يَعْتَمِدُ بَيْنَهُمْ ثَرْ يُتَوَلَّى فَرِيقٌ وَيَنْهَرُ وَمِنْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً وَكَرِهُوا فِي وَيَوْمَهُ، الغرور: هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء، ﴿مَا كَانُوا بِفَتْوَىكَ﴾ الافتراء: اختلاق الكذب.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿يُؤَيِّرُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾، وهو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ﴾، وفُتِرَتْ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، أي: جزاء ما كَسَبَتْ من خير أو شر ﴿وَمَنْ لَا يُطْلُقُ﴾، أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَالِكِ﴾:

قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل مملك فارس والروم في أمته فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه: لما فتح رسول الله ﷺ مكة وَعَدَّ أمته

ملك فارس والروم. قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ﷺ ملك فارس والروم؟ وهم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ قيل: معناه يا الله، فلما حُذِفَ حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناه: يا الله أيتها بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم: هَلُمَّ إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خففوا أيضاً فقالوا لا هَمْ، قوله: ﴿مَالِكُ الْمَالِكِ﴾، [يعني: يا مالك الملك]، أي: مالك العباد وما ملَكُوا، وقيل: يا مالك السموات والأرض، وقال الله تعالى في بعض الكتب: [أنا الله مَلِكُ الْمُلُوكِ]، وَمَالِكُ الْمُلُوكِ وَقُلُوبُ الْمُلُوكِ ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسبب الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم.

قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن قَشَّةٌ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جببر: يعني مملك النبوة، وقال الكلبي: تؤتي الملك من تشاء: محمداً وأصحابه، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ أبي جهل وصناديد قريش، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب، وتنزع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي:

﴿تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن قَشَّةٌ﴾، أتسى الله الأنبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، نزع من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: ﴿تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن قَشَّةٌ﴾: آدم وولده، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿وَيُعْزِزُ مَن قَشَّةً وَيُذِلُّ مَن قَشَّةً﴾، قال عطاء: ﴿وَيُعْزِزُ مَن قَشَّةً﴾: المهاجرين والأنصار، ﴿وَيُذِلُّ مَن قَشَّةً﴾: فارس والروم، وقيل: ﴿وَيُعْزِزُ مَن قَشَّةً﴾ محمداً ﷺ وأصحابه، حين دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها قهراً على أهلها، ﴿وَيُذِلُّ مَن قَشَّةً﴾: أبا جهل وأصحابه، حتى جُزِثَ رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل: ﴿وَيُعْزِزُ مَن قَشَّةً﴾: بالإيمان والهداية [ودخول الجنة]، ﴿وَيُذِلُّ مَن قَشَّةً﴾: بالكفر والضلالة [ودخول النار]، [وقيل: تُعْزِزُ مَن تَشَاءُ بالطاعة، وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بالمعصية]، وقيل: تُعْزِزُ مَن تَشَاءُ بالنصر، وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بالقهر، وقيل: تُعْزِزُ مَن تَشَاءُ بالفقر، وقيل: تُعْزِزُ مَن تَشَاءُ بالغناء، وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بالحرص والطمع، ﴿يَبْدُوكَ الْغَيْبَ﴾، أي: يبذل الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما. قال تعالى: ﴿سَرَّيْلُ نَبِيِّكُمْ﴾ الْحَرَّ [النحل: ٨١]، أي: الحر والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما. ﴿إِنَّكَ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَيْدُ فِي الْفُتُورِ﴾، أي: تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة

والليل تسع ساعات، ﴿وَوُجِدَ الْهَارِ فِي الْيَلِّ﴾، حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، النهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر، ﴿وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهْرِ وَتُخْرِجُ النَّهْرَ مِنَ اللَّيْلِ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿الْيَلِّ﴾ بتشديد الياء ههنا وفي الأنعام ويونس والروم، وفي الأعراف: ﴿يَلِّكَ يَلِّكَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وفي فاطر: ﴿إِنَّ بَلَدًا مِّنْ يَلِّكَ﴾ [فاطر: ٩]، زاد نافع: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، و﴿لَحْمٌ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] و﴿الْأَرْضُ الَّتِي تَحْيِيهَا﴾ [يس: ٣٣] فيشدها والآخرين يخففونها وشد يعقوب ﴿وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهْرِ﴾ و﴿لَحْمٌ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن مسعود وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة: معنى الآية: يُخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان، وقال عكرمة والكلبي: يخرج الحي من الميت، أي: الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير، وقال الحسن وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، فالؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال الزجاج: يُخرج النبات الغصن الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الطري السامي. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِرَحْمَةٍ جَاسِرَةٍ﴾، من غير تضيق ولا تقتير.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن

محمد الحنفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أنا محمد بن الأزهر أنا الحارث بن عمير، أنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْآيَتِينَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِئْسَ جَسَدٌ﴾ مَشْفَعَاتٍ مَعْلُقاتٍ بِالْعَرْشِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ، قُلْنَ: يَا رَبِّ تُهْبِطُنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مِنْ يَعْصِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِي حَلَفْتُ لَا يَقْرُوكُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مِثْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَلَا سَكَنَتَهُ حَظِيرَةُ الْقُدُسِ، وَلَنْظَرْتُ إِلَيْهِ بَعِينِي الْمَكْنُونَةَ، كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً وَلَقَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَلَا عُدَّتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ وَنَصَرْتُهُ مِنْهُمْ». [رواه الحارث بن عمير وهو ضعيف].

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد [يظنون بنفراً] مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَفْتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَبْرِ وَسَعِيدُ بْنُ خَيْشَمَةَ وَأُولَئِكَ الْغَفَرُ: اجْتَنَبُوا هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ

لَا يَفْتَنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَيُخْرِجُوكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَبَى أُولَئِكَ الْغَفَرُ إِلَّا مَبَاطَنَتَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ مَقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَغَيْرِهِ، وَكَانُوا يُظْهِرُونَ الْمَوَدَّةَ لِلْكَفَّارِ مَكَّةَ.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المنافقين: عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مِثْلِ فَعْلِهِمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، أي: مُوَالَاةَ الْكَفَّارِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ إِلَيْهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ عَلَى عِزَّةِ الْمُسْلِمِينَ، ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: ليس من دين الله في شيء، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قُتْلًا﴾، يعني: إلا أن تخافوا منهم مخافة، قرأ مجاهد ويعقوب: «تقية» على وزن بقية لأنهم كتبوها بالياء، ولم يكتبوها بالالف: مثل حصاة ونواة، وهي مصدر يقال: تقيت تقاة وتقى تقية وتقوى، فإذا قلت: اتقيت كان المصدر الاتقاء، وإنما قال تتقوا من الاتقاء، ثم قال: تقاة ولم يقل: اتقاء لأن معنى اللفظين إذا كان واحداً يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَبْتَلُ إِلَهُهُمُ النَّاسَ﴾ [المزمل: ٨]، ومعنى الآية: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداونتهم ومباطنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين [على المؤمنين]، أو

يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيديريهم ويدهانهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه مضارته ما أمكن، من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قُتل فله أجر عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم، قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جذة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، [فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام]، فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم، وقال يحيى البكاء: قلت لسعيد بن جبيرة في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم: التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال سعيد: ليس في الإسلام تقية، وإنما التقية في أهل الحرب، ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾، أي: [و] يُخَوِّفُكُمُ اللَّهُ عَقْرَتَهُ عَلَى مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَارْتِكَابِ الْمُنْهِي وَمُخَالَفَةِ الْأُمُورِ، ﴿قَوْلَى اللَّهِ الْعَمِيرِ﴾.

﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُحُفِكُمْ﴾، قلوبكم من مودة الكفارة، ﴿أَوْ تُبْذَرُوا﴾ من موالاتهم، قولاً وفعلًا، ﴿يَسْلُكُهُ اللَّهُ﴾، قال الكلبي: إن تُسْرُوا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تظهروه بحريه وقتاله، يَغْلِبُهُ اللَّهُ ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به في الدنيا بالأسر والقتل بنصره عليكم وفي الآخرة بالعذاب الشديد، ثم قال: ﴿وَمَعَكُمْ﴾ رفع على

الاستئناف ﴿مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: إذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض؟ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ نصب ﴿يَوْمَ﴾ بنزع حرف الصفة، أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس، ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ تُجْزِيهَا﴾

لم يبخس منه شيء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شَوْءٍ﴾ جعل بعضهم خيراً في موضع النصب، أي تجد محضراً ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير، وجعله بعضهم خيراً مستأنفاً، دليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما: ﴿وما عملت من سوء وذن لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَوَدُّ أَنْ يَبْسُطَ يَدَيْهَا﴾، أي: بين النفس ﴿وَيَبْسُطَ﴾، يعني: وبين السوء ﴿أَمْدًا بَعِيدًا﴾، قال السدي: مكاناً بعيداً، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب، والأمد: الأجل، والغاية التي ينتهي إليها، قال الحسن: يسر أحدهم أن لا يلقي عمله أبداً، وقيل: يؤذ أنه لم يَحْمَلْهُ ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكُمْ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

سورة التغاوت

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَأْمَلَتٍ مِنْ خَيْرٍ تُحْمَلُ وَمَأْمَلَتٍ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٩﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ لَنَا نَافِعًا وَلِيَّ سَنِيَّتِهِمْ مَرْيَمَ وَلِيَّ أُبَيِّدَهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٥﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَوَضَعَهَا وَكْرًا كَلِمًا حَلَالًا عَلَيْهَا ذِكْرًا لِيُحْزَنَ وَالْبَعْدَ عَندَ رَبِّهَا قَالَ يَتُومُّ لِي لَيْلٌ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقف النبي ﷺ على قریش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلّقوا عليها يَبِضُّ النِّعَامِ وجعلوا في آذانها الشُّنُوفَ وهم يسجدون لها، فقال: «والله يا معشر قریش لقد خالفتُم مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وإسماعيل»، فقالت له قریش: إنما نعبدُها حباً لله ليقربونا إلى الله زُلْفَى، فقال الله تعالى: قل لهم يا محمد إن كنتم تُحِبُّونَ اللَّهَ وتعبدون الأصنام ليقربوكم إليه [زلفى]، فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، فأنار رسول الله إليكم وحثّهم عليكم، [أي:] اتَّبِعُوا شريعتي وستتي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، حبُّ المؤمنين لله أتباعهم أمره وإيثار طاعته،

وابتغاء مرضاته؛ وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ لَكَ دُونَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾..

﴿٣٢﴾ وقيل: لما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبّه كما أحبّت النصارى عيسى ابن مريم، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، [أي]: أعرضوا عن طاعتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، أي: لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن يأتي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن عبادة أنا يزيد أنا سليم بن حيان وأثنى عليه، أنا سعيد بن ميناء قال: حدثنا أو سمعت جابر بن عبدالله يقول:

جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، [فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً]، فقالوا: مثله

كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة ويعدّ داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقالوا: فالدار: الجنة، والداعي: محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس.

﴿٣٣﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام. و﴿اصْطَفَىٰ﴾: اختار، افتعل من الصفة، وهي الخالص من كل شيء، ﴿آدَمَ﴾ أبو البشر، ﴿نُوحًا﴾ و﴿آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ و﴿آلَ عِمْرَانَ﴾، قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَبِيلُكَ﴾ و﴿تَرَكْنَا آلَ مُوسَىٰ وَآلَ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران بن يصر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، والد موسى وهارون، وقال الحسن وهب: هو عمران بن أشهم بن أمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، ومآله: مريم

وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم، ﴿عَلَىٰ التَّوَكُّلِ﴾ [أي عالمي زمانهم].

﴿٣٤﴾ و﴿ذُرِّيَّةً﴾، اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويستوي الأولاد والآباء ذرية، فالأبناء ذرية، لأنه ذراهم، والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا ذُرِّيَّةٌ﴾ [يس: ٤١]، أي: آباءهم، ﴿ذُرِّيَّةً﴾ نصب على معنى: اصطفى ذرية ﴿بِمَنْهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، أي: بعضها من ولي بعض، وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، وهي حنة بنت قافوذ أم مريم، وعمران: هو ابن ماثان، وليس [هو] بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألف وثمانون سنة، [وقيل: كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفاً سنة]، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: جعلت الذي في بطني محرراً لنذراً مني لك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْهُ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ والنذر: ما يؤجبه الإنسان على نفسه ﴿مُحَرَّرًا﴾، أي: عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما

أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يُولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعنُ فطعن في الحجاب».

قوله: ﴿فَقَبِّلْهَا رُحْمًا يَقْبُولُ حَسَنًا﴾، أي: تقبل الله مريم من حنة، مكان المحرّز، وتقبل بمعنى: قبل ورضي، والقَبُول: مصدر قبل يَقْبَلُ قَبُولًا، مثل الولوع والوزوع، ولم يأت غير هذه الثلاثة، وقيل: معنى التقبل: التكفل في التربية والقيام بشأنها، ﴿وَأَلَيْهَا تَبَاكَ حَسَنًا﴾، معناه: وأنبثها فنبئت نباتاً حسناً، وقيل: هذا مصدر على غير اللفظ، وكذلك قوله: ﴿فَقَبِّلْهَا رُحْمًا يَقْبُولُ حَسَنًا﴾، ومثله شائع؛ كقوله: تكلمت كلاماً، وقال جويبر عن

الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَقَبِّلْهَا رُحْمًا يَقْبُولُ حَسَنًا﴾، أي: سلك بها طريق السعداء، وأنبثها نباتاً حسناً، يعني: سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبئ في اليوم ما ينبت المولود في العام، ﴿وَوَكَّلْنَا زَكْرِيَّا﴾، قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها، فلففتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يملون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار [أيهم يأخذها]، لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي

[ما في بطنها]، ولذلك أثبت، ﴿قَالَتْ﴾ حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً، ﴿وَنَبِيٌّ إِلَيْنَا وَمَعْتَنَّا أَنْتَ﴾، اعتذاراً إلى الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ يَمَّا وَمَعْتَنَّا﴾، بحزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل، وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب ﴿وَمَعْتَنَّا﴾ برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم، ﴿وَلَكِنَّ الْأَكْثَرَ كَالْأَكْثَرِ﴾، في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ليليتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس، ﴿وَلَا يَسْتَيْتَنَّا مَرِيَّةٌ﴾، وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن، ﴿وَلَا يَأْتِي أُبْيُذَهَا﴾ أمنعها وأجيرها، ﴿يَاكَ وَدُرَّتْهَا مِنْ أَوْلَادِهِمَا﴾ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، والشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمى بالشبه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم من مولود إلا يمسسه الشيطان حين يُولد، فيسهل الصبي صارخاً من [مس] الشيطان، غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿وَلَا يَأْتِي أُبْيُذَهَا يَاكَ وَدُرَّتْهَا مِنْ أَوْلَادِهِمَا﴾،

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن

أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا اعتقته وخلصته من الرق، قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرّز إذا حرّز جعل في الكنيسة يقوم عليها يكنسها ويخدمها ولا يرح مقيماً عليها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام فيه وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرّز لبيت المقدس، ولم يكن محرّزاً إلا الغلمان ولا تصلح له الجارية، لما يُصيّبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا اختين، وكانتا أشياخ بنت قافوذا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت قافوذا أم مريم عند عمران، وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحرّكت بذلك نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدّته وخدّمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت؟ أرايت إن كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك؟ فوقعاً جميعاً في همّ من ذلك، فهلك عمران وحنة حامل بمريم.

﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا﴾، أي: ولدتها، إذا هي جارية، والهاء في قوله: ﴿وَصَعَتْهَا﴾ راجعة إلى النذير لا إلى

هَذَا الَّذِي عَزَاكَ رَبِّي قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ ذَلِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَذَاتَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْغُرَابِ أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِحَبْنٍ مَصْدَقًا بِكَلِمَتِهِ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَصُورًا وَيَسْمَعُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَنَا بَشَرٌ لَمْ أَكُنْ لَكَ آيَةً فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ آثَرِهِ وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ لَشَكْرٌ كَثِيرٌ وَسَخَّ وَالْعِشَى وَالْإِنْتِكَرُ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكُمَا وَأَمْطَلَكُمُ الْكِبْرَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا اقْبُرِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ الْعَجِيبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بَشَّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُعَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

أَفَلَا مَهْمُ مَعَ جَرِيَةِ الْمَاءِ
[فَذَهَبَ بِهَا الْمَاءُ]،
فَسَمِعَهُمْ وَقَرَعَهُمْ زَكْرِيَا،
وَكَانَ رَأْسُ الْأَخْبَارِ
وَنَبِيِّهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَهَا زَكْرِيَا﴾،
قَرَأَ حَمْزَةً وَعَاصِمٌ
وَالْكَسَائِيُّ «كَفَّلَهَا» بِتَشْدِيدِ
الْفَاءِ، فَيَكُونُ زَكْرِيَا فِي
مَحَلِّ النِّصَبِ أَيِ:
ضَمْنِهَا اللَّهُ وَزَكْرِيَا وَضَمُّهَا
إِلَيْهِ بِالْقَرَعَةِ، وَقَرَأَ
الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ فَيَكُونُ
زَكْرِيَا فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ،
أَيِ: ضَمُّهَا زَكْرِيَا إِلَى
نَفْسِهِ وَقَامَ بِأَمْرِهَا، وَهُوَ

زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق
من أولاد سليمان بن داود عليهما
السلام، قرأ حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم **زَكْرِيَّا**، مقصوراً،
والآخرون ممدوداً، فلما ضمَّ زكريا
مريمَ إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع
لها [مرضعه]، وقال محمد بن
إسحاق: ضمَّها إلى خالتها أم يحيى
حتى إذا شبَّت وبلغت مبلغ النساء،
بنى لها محراباً في المسجد وجعل
بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا
بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد
إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها
وشرايبها وذُهنها كل يوم، **كُلَّمَا دَخَلَ**
عَلَيْهَا زَكْرِيَّا أَلْمِزَابَ، [وأراد
بالمحراب] الغرفة [التي بناها]،
والمحراب أشرف المجالس
ومقدمها، وكذلك هو من المسجد،
ويقال للمسجد أيضاً: محراب،
وقال المبرد: لا يكون المحراب إلا

خالئها، فقالت له الأبحار: لا تفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس بها لثُركت لأُمها التي ولدتها، لكننا نفتتح عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلاً إلى نهر جار، قال السدي: هو نهر الأردن، فآلقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، وقيل: كان على كل قلم اسم واحد منهم، وقيل: كانوا يكتبون التوراة فآلقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فأترَّتْ قلم زكريا، فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر، قاله محمد بن إسحاق وجماعة، وقيل: جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء، قال السدي وجماعة: بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين، وجرت

أَنْ يُرْتَقَى [أَعْلِيَهُ بَدْرَجْ]، قَالَ
الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: كَانَ زَكَرِيَّا إِذَا خَرَجَ
يُغْلِقُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، فَلِذَا دَخَلَ
عَلَيْهَا غَرَفَتَهَا، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾،
أَي: فَكَاهَتْ فِي غَيْرِ حِينِهَا [فَإِثْرَى]
فَكَاهَتْ الصَّيْفَ فِي الشِّتَاءِ، وَفَكَاهَتْ
الشِّتَاءَ فِي الصَّيْفِ، ﴿قَالَ يَتَرَىمُ أَنَّ
لِيَ وَلَدًا﴾، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْنَاهُ:
مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ
وَقَالَ: مَعْنَاهُ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ لَكَ هَذَا
لَأَنَّ ﴿أَنَّ﴾ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِهَةِ
و «أَيْنَ» لِلسُّؤَالِ عَنِ الْمَكَانِ، ﴿فَأَنكَرَتْ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أَي: مِنْ قُطْفِ
الْجَنَّةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنْ مَرِمَ مِنْ
حِينَ وُلِدَتْ لَمْ تَلْقَمْ ثَدْيًا قَطُّ بَلْ كَانَ
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهَا
زَكَرِيَّا ﴿أَنَّ لِيَ وَلَدًا﴾؟ فَتَقُولُ:
﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، تَكَلَّمْتُ وَهِيَ
صَغِيرَةٌ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:
ثُمَّ أَصَابَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَزْمَةٌ، وَهِيَ
عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِهَا حَتَّى ضَعُفَ
زَكَرِيَّا عَنْ حَمْلِهَا، فَخَرَجَ عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سَنِّي
وَضَعُفَتْ عَنْ حَمَلِ مَرْيَمَ بِنْتِ
عِمْرَانَ، فَأَيُّكُمْ يَكْفُلُهَا بَعْدِي؟
فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ جَهَدْنَا وَأَصَابْنَا مِنْ
السَّنَةِ مَا تَرَى فَتَدَاوَعُوهَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَمْ
يَجِدُوا مِنْ حَمْلِهَا بَدَأَ فَتَقَارَعُوا عَلَيْهَا
بِالْأَقْلَامِ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى رَجُلٍ
نَجَارٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ:
يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّ
مَرْيَمَ، فَحَمَلَهَا فَعَرَفَتْ مَرْيَمَ فِي
وَجْهِهِ شِدَّةَ مَوْتَةٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ
لَهُ: يَا يُوسُفُ أَحْسِنْ بِاللَّهِ الظَّنَّ

فإن الله سيرزقنا، فجعل يوسف يُرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف، فيقول: ﴿يَتَذَكَّرُ أَنَّ لِرَبِّهِ هَذَا؟﴾ ﴿فَإِنَّ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولداً في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقروضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

﴿٣٨﴾ قال الله تعالى: ﴿مُتَّالِكٌ﴾، أي: عند ذلك ﴿فَدَخَلَ مَحْرَابَ وَغَلَقَ الْأَبْوَابَ وَنَاجَى رَبَّهُ﴾، قال رب، أي: يا رب، ﴿عَبَّ لِي﴾ أعطني من لَدُنْكَ، أي: من عندك، ﴿ذَرِيَّةً طَيِّبَةً﴾، أي: ولداً مباركاً طيباً صالحاً رضيعاً، والذرية تكون واحداً وجمعاً ذكراً وأنثى، وهو ههنا واحد بدليل قوله عز وجل: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: سامعه، وقيل: مُجِيبٌ؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتَ بِرَبِّكَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ﴾ [يس: ٢٥]، أي: فأجيبوني.

﴿٣٩﴾ ﴿فَنَادَتْ الْمَلَائِكَةُ﴾، قرأ حمزة والكسائي «فناداه» بالياء، والآخرين بالياء «فمن قرأ بالتاء» فالتأنيث لفظ

الملائكة، وللجمع مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيهم أحسن؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ الْآخِرَاتِ﴾ [الحجرات: ١٤]، وعن إبراهيم قال: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: يذكر الملائكة في القرآن، قال أبو عبيدة: وإنما نرى عبدالله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم: الملائكة بنات الله تعالى، وروى الشعبي: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء، وذكروا القرآن، وأراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده؛ كقوله تعالى في سورة النحل: ﴿يُرْسِلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [النحل: ٢]، يعني: جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يعني: نعيم بن مسعود، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيساً يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقل ما يبعث إلا ومعه جمع، فجري على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾، أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يُقَرَّبُ القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم بالدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني: في المسجد عند

المذبح يصلي والناس ينتظرون. إن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففرع منه، فناداه وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبَشِّرُكَ﴾، [قرأ ابن عامر وحمزة ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الالف على إضمار القول، تقديره: فنادته الملائكة فقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبَشِّرُكَ﴾، وقرأ الآخرون بالفتح بإيقاع النداء عليه كأنه قال: فنادته الملائكة بأن الله يبشرك، قرأ حمزة ﴿يَبَشِّرُكَ﴾ وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله: ﴿يَبْشُرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، فإنهم اتفقوا على تشديدها، ووافقه الكسائي ههنا في الموضعين وفي «سبحان» و «الكهف» و «عسق»، ووافق ابن كثير وأبو عمرو في «عسق»، والباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر بشيراً، وهو أعرب اللغات وأفصحها، دليل التشديد قوله تعالى: ﴿يَبْشُرُ عَبْدًا﴾ [الزمر: ١٧]، و﴿يَبْشُرْتَهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، قالوا: ﴿بَشَرْتَكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٥٥]، وغيرها من الآيات، ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة، وقرءة ابن مسعود رضي الله عنه، ﴿يَبْشُرُ﴾ هو اسم لا يجز لمعرفته، وللزائد في أوله، مثل: يزيد ويعمر، وجمعه يحيون مثل موسون وعيسون، واختلفوا في أنه لم سمي يحيى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، [و] قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه استشهد، والشهداء

أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحياء بالطاعة حتى لم يعص ولم يهزم بمعصية، ﴿مُؤَقَّاتٌ﴾ نصب على الحال، ﴿يَكْمُرُ بَيْنَ اللَّهِ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، سُمِّيَ عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة [لأنه بها كان]، وقيل: سُمِّيَ كلمة لأنه يُهتدى به كما يُهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبياً بلا أب، فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قُتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام [إلى السماء]، وقال أبو عبيدة ﴿يَكْمُرُ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: بكتاب من الله وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي: قصيدته.

قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ هو فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع ويتبعه إلى قوله، قال المفضل: أراد سيذاً في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسنُ الخلق، قال سعيد بن جبیر: السيد الذي يطيع ربه عز وجل، وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحلیم الذي لا

يغضبه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقى [قاله الضحاك]، وقال سفيان والثوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق [أقرانه] وقومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي. قال رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سلمة؟» قالوا: جد بن قيس على أنا نبخله، قال: «وأي داء أدوا من البخل، لكن سيدكم عمرو بن الجموح».

قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ آلِ الْكَافِرِينَ﴾، والحصور: أصله من الحصر وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبیر وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن: الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول، فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقيل هو الفقير الذي لا مال له، فيكون الحصور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدية الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره، وفيه قول آخر: أن الحصور [هو] الممنوع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين، أحدهما: لأن الكلام خرج مخرج الشناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ﴾، أي: يا سيدي، قال لجبريل عليه السلام، هذا قول الكلبي وجماعة:

وقيل: قاله الله عز وجل ﴿أَنْ يَكُونَ﴾، يعني: أين يكون، ﴿وَلِي عَظَمٌ﴾، أي: ابن ﴿وَقَدْ بَلَغَ الْكِبَرُ﴾، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل: معناه: وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا عَاقِرًا﴾، أي: عقيم لا تلد، يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرأ وعقارة، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعُ مَا يُنْكِرُ﴾، فإن قيل: لم قال: زكريا بعدما وعده الله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ لِي عَظَمٌ﴾، أكان شاكاً في وعد الله وفي قدرته، قيل: إن زكريا لما سمع [نداء] الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي [سمعت] ليس من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قاله عكرمة والسدي، وجواب آخر: وهو أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كيفيته، أي: كيف ذلك أن جعلني وامرأتي شائين، أم ترزقنا ولداً على الكبر مثلاً أم ترزقني من امرأة أخرى؟ قاله مستفهماً لا شاكاً، هذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَعْمَلُ

لَيْءًا مَّائِكَةً، أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكراً لك، ﴿قَالَ مَائِكَتَكَ أَلَّا تَكْفَرُ الْنَّاسَ﴾، أي: تكف عن الكلام، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾، وتقبل بكليتك على عبادتي لا أنه يحبس لسانه عن الكلام، ولكنه نهى عن الكلام، وهو صحيح سوي كما قال في سورة مريم: ﴿أَلَّا تَكْلِمُ النَّاسَ تِلْكَ لَيْلٍ سَوِيَّةٍ﴾ [مريم: ١٠]، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْيِي بِالْفَتَى وَالْإِنْكَارِ﴾، فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسرين: غفل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، قال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية، بعد مُشافهة الملائكة إياه، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾، أي: إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليدين، وكانت إشارته بالأصبع الممبجة، قال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يُبين، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً، ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيَحْيِي بِالْفَتَى وَالْإِنْكَارِ﴾، قيل: المراد بالتسبيح: الصلاة، والعشي ما بين زوال الشمس إلى [غروبها]، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والإبكار، ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَالَتْوَأَلَمْ يَكُنْ لَّكَ﴾، يعني: جبريل، ﴿يَمْرُؤٌمِنْ اللَّهِ أَتَمَّطَفَنكِ﴾: اختارك،

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّكَ﴾، قيل: من مسيس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب، ﴿أَتَمَّطَفَنكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّكَ إِسَاءَةٌ﴾، قيل: على [نساء] عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء، وقيل: بالتحريم في المسجد ولم [يحرر فيه أحد من النساء إلا هي].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن [أبي] رجاء، أخبرنا النضر عن هشام أخبرني أبي قال: سمعت عبدالله بن جعفر قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول:

سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة رضي الله عنهما».

ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة، وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ وَحَنَّتْ عَمْرَانُ وَأَسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطُّعَامِ».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن الزاوي، أخبرنا محمد بن زكريا الخفافري أخبرنا إسحاق الديري أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنهم:

أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وأسية امرأة فرعون».

﴿٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصُّ أَقْتًا رِيَكًا﴾، قالت لها الملائكة شفاهاً، أي: أطيعي ربك، قال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى [تورمت] قدمها وسالت دماً وقيحاً ﴿وَأَسْتَجِبُ وَأَرْكَبُ﴾، قيل: إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، يجوز أن يقول الرجل: رأيت زيداً وعمراً وإن كان قد رأى عمراً قبل زيد، ﴿مَعَ أَزْوَاجِهِمْ﴾، ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، يقول لمحمد ﷺ: ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى، [على نبينا وعليهم السلام، ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ

وكهلاً: نبياً بشرها بنبوة عيسى عليه السلام، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلاً أي: حليماً، والعرب تمدح الكهولة، لأنها الحالة الوسطى في احتكاك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، ﴿وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: هو من العباد الصالحين.

﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ يا سيدي، تقوله لجبريل، وقيل: تقول لله عز وجل، ﴿هَكَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يصبني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، ﴿هَآلَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أراد كون الشيء، ﴿وَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾، كما يريد.

﴿قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُهُ﴾﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُهُ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، وقيل: رده على قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ﴾ ﴿وَيَعْلَمُهُ﴾، وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾، أي: الكتابة والخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: العلم والفقه، ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. علمه الله التوراة والإنجيل.

﴿رَسُولًا﴾، أي: ونجعله رسلاً ﴿إِلَّا يَخُفِّضْ إِلَيْنَا﴾، قيل: كان رسلاً في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسلاً بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿إِنِّي﴾، قال الكسائي:

القدم لا أخمص له، وسمي الدجال مسيحاً [لأنه ممسوح إحدى العينين]، وقال بعضهم: هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سُمِّيَ [عيسى عليه السلام] مسيحاً لأنه ما مسح ذا غاية إلا برأ، وقيل: سُمِّيَ بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقيم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون

المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سُمِّيَ الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿وَجِيهًا﴾، أي: شريفاً رفيعاً ذا جاه وقدر، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمَعْرُوفِينَ﴾، عند الله.

﴿وَيَعْلَمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ صغيراً قبل أو أن الكلام، كما ذكره في سورة مريم: ﴿هَآلَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَآتَنِي الْكِتَابَ﴾ [مريم: ٣٠] الآية، حكى عن مجاهد قال: قالت مريم كنت إذا خلوتُ أنا وعيسى حدثني وحديثه، فإذا شغلني عنه إنسان سبج في بطني وأنا أسمع قوله، ﴿وَكَهْلًا﴾، قال مقاتل: يعني إذا [اجتمعت قوته] قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلاً: بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها [الله] أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل:

وَيَعْلَمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٤٥﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴿٤٦﴾ وَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِنَّا يَخُفِّضْ إِلَيْنَا ﴿٤٩﴾ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَنْزَمَ وَأُنْشِئُ الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْشِئُكُمْ بِمَآثَ كُلِّنَ وَمَا تَدْعُرُونَ فِي بَيْتِكُمْ لَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ كَثِيرٌ مِّنْ دُونِ ﴿٥٠﴾ وَمَصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْفُخُوا فِيهِ وَأُطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَىٰ بَيْنَهُمْ أَكْفَرُوا قَالَ مَنْ أَضَارِكُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ غَيْرُ أَضَارِكُ اللَّهُ مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

الغيب، أي: من أخبار الغيب ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿وَمَا كُنْتُ﴾ يا محمد، ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَتَمُمْ﴾، سهامهم في الماء للاقتراع، ﴿أَلَيْسَ يَكْفُلُ مَرِيَمَ﴾ يحضنها ويربها، ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْضِبُونَ﴾، في كفالها.

﴿قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾﴾، إنما قال اسمه، ورد الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم سُمِّيَ مسيحاً، فمنهم من قال: هو فعيل بمعنى المفعول يعني: أنه مسح من الأقدار وطُهر من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح

إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأنني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ﴾، علامة، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، تصدق قلبي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل [من ذلك الآيات] دلّ على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما هي؟ قال: ﴿أَنْتُمْ﴾، قرأ نافع بكسر الألف على الاستثنا، وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأنني ﴿أَخْلَقْتُ﴾، أي: أصوّر وأقدر، ﴿لَكُمْ مِنْ أَلْبَانٍ كَهَيْئَةِ الْعَلَقِ﴾، قرأ أبو جعفر «كهَيْئَةِ الطير»، ههنا وفي المائدة، والهيئة الصورة المهيأة من قولهم: هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته، ﴿فَأَنْخَلُ فِيهِ﴾، أي: في الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا يَلَذُّنَ اللَّهُ﴾، قراءة الأكثرين بالجمع، [لأنه خلق طيراً كثيراً]، وقرأ أهل المدينة ويعقوب «فيكون طائراً» على الواحد ههنا وفي سورة المائدة، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خصّ الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً لأن لها ثدياً وأسناناً، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليمتيز فعل الخلق من فعل الخالق [تعالى]، وليعلم أن الكمال لله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُكَ بِالْحَقِّ وَالْأَكْبَرِ﴾، أي: أنشفيهما وأصححهما، واختلفوا في الأكمة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال

عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ﴿وَالْأَكْبَرِ﴾ هو الذي به وضوح، وإنما خصّ هذين لأنهما داءان عياءان وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، [فأراهم الله المعجزة] من جنس ذلك، قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق مشى إليه عيسى، وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا آتُونِي بِذَنْ أُغْفِرْ﴾، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقيني بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره [فدعا الله تعالى فقام عازر] وودّكه يقطر فخرج من قبره [وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مرّ به ميتاً على عيسى عليه السلام على سرير يحمل، فدعا الله عيسى فجلس على سريريه ونزل على أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلاً يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس فدعا الله عزّ وجلّ [باسمه الأعظم] فأحيها الله تعالى، وبقيت بعد ذلك زمناً وولد لها، وأما سام بن نوح عليه السلام،

فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة، [وقيل: خوفاً من خروج روحه ثانياً فيحصل له ما حصل أولاً من سكرات الموت]، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال [عيسى]: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرط أن يُعْذِنِي الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل. قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ أَخْبِرْكُمْ﴾، ﴿يَمَا تَأْكُلُونَ﴾، مما لم أعينته، ﴿وَمَا تَنْتَضِرُونَ﴾، ترفعونه، ﴿فِي يَوْمِئِذٍ﴾، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما أذخره للعشاء.

وقال السدي: كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آبائهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا، فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى عليه السلام، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا، فقال: فما في هذا البيت قالوا خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتشوا عنهم فإذا هم خنازير، فقشا ذلك في بني إسرائيل فهتّت به بنو إسرائيل، فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة عنهم إلى أهل مصر، وقال قتادة: إنما كان هذا

في المائدة، وكانت خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى، وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبنوا للغد فخانوا وخبؤوا، فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما أذخروا منها، فمسخهم الله خنازير. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرته، ﴿لَا يَكْفِي لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ عطف على قوله ﴿وَرَسُولًا﴾، ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ الْقُودِرَةِ وَإِذْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي خُوفٌ عَلَيْكُمْ﴾، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حرم عليكم، وقد ذكر البعض ويراد به الكل؛ كقول لبيد:

تَرَكَ أَمْكَنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا
أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَفُوسِ حَمَامَهَا
يعني: كل النفوس.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْشُرُ بَيَاتِهِ مِنَ النَّفْسِ﴾، يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾، أي: وجد، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿قَالَ مَنْ أَصْحَابِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي: كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة فنفته بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو

وأمه يسبحان في الأرض، فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك المدينة جبار متعد فجاء ذلك الرجل يوماً مغتماً حزناً فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً، قالت: لا تسأليني، قالت: أخبريني لعل الله يفرج كربته، قالت: إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا يوماً أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة، قالت: فقول لي لا تهتم فإنني أمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك، فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك، فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شر، قالت: فلا تبال فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، قال عيسى عليه السلام: فقول لي إذا اقترب ذلك فاملاً قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني، ففعل ذلك، فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحوّل ماء القدور مرقاً ولحماً وماء الخوابي خمرًا لم يَرِ النَّاسُ مثله قط، فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال: من أين هذا الخمر؟ قال: من أرض كذا، قال الملك فإن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى، فلما خلط على الملك واشتد عليه، قال: فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وأنه دعا الله فجعل الماء خمرًا، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحب الخلق إليه، فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمرًا ليجاء

به إليّ حتى يُحيي ابني، فدعا عيسى فكلمه في ذلك، فقال عيسى: لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر، قال الملك: لا أبالي أليس أراه حيًّا؟ فقال عيسى: إن أحبيته تتركوني وأمّي نذهب حيث نشاء؟ قال: نعم، فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته فدعاه عاش تبادروا إلى السلاح، وقالوا: أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه، فياكلنا كما أكل أبوه، فاقتلوا وذهب عيسى وأمه فمَرَّ بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصطاد السمك، قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: ومن أنت؟ قال: عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله، ﴿مَنْ أَصْحَابِي إِلَى اللَّهِ﴾، فأمنوا به وانطلقوا معه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَصْحَابِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى، تقول العرب: الذود إلى الذود إبل، أي: مع الذود؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَى﴾، بمعنى في، أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله وسبيله، وقيل: ﴿إِلَى﴾ في موضعه معناه: من يضم نُصرتَه إلى نُصرة الله لي، واختلّفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سُمّوا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين، وقال الحسن: كانوا قصّارين، سُمّوا بذلك لأنهم كانوا يُحوّرون الثياب، أي:

وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْمَكْرِينِ﴾، فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، ومن الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال: ﴿سَقَتْنَاهُمْ مِّنْ جَيْثٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال الزجاج: مكر الله عز وجل مجازاته على مكرهم، فسُمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُتَكِبِينَ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قُتل، قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم، ولعنهم فمسخهم الله خنازير، فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وأميرهم، فزع لذلك وخاف دعوته، فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام، [فثاروا إليه] ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له: ططيئانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل غرفته لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يُقاتله فيها فالتقى الله عليه شبه عيسى عليه

السلام، فلما خرج [عليهم] ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه، قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا [له] خشبة ليصلبوه [عليها]، فأظلمت الأرض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحذكم قبل أن يصبح الديك ويبيعني بdraهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال لهم: ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه، ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى، فرفع عيسى، وأخذ الذي دلهم عليه، فقال: أنا الذي دلتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى، فلما صُلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما: علام تبكيان إن الله قد رفعني ولم يصنبي إلا خيراً، وإن هذا شيء شبه لهم، فلما كان بعد سبعة أيام [من فعلهم]، قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية - اسم موضع في جبلها - فإنه لم يبك [عليك] أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، ثم ليجمع لك الحواريون فيثبهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجمعت له الحواريون فيثبهم في

الأرض دعاة ثم رفعه الله عز وجل إليه وتلك الليلة هي التي تُدخن فيها النصارى، فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْمَكْرِينِ﴾، وقال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين، فدخل عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه: أيكم يقذف عليه شبيهي فإنه مقتول، فقال رجل من القوم: أنا يا نبي الله، فقتل ذلك الرجل، ومنع الله عيسى عليه السلام، ورفعته إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وطار مع الملائكة [الكرام]، فهو معهم حول العرش، وصار إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً، قال أهل التواريخ: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورى شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفع الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فكانت نبوته ثلاث سنين، وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين، [فتوفيت مريم عليها السلام وهي بنت اثنين وخمسين سنة].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَارْفُكْ إِلَيَّ﴾، اختلفوا في معنى التوفي ههنا، قال الحسن

والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيكَ سَاعَةٌ وَلَا يَأْتِيكَ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه [إلى السماء] لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إلي وأما لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت وكذا واستوفيته إذا أخذته تاماً، والآخر: إني متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكل ذي عين نائم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه إني متوكل ورافعك إلي؛ كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أي: ينيمكم بالليل، وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى عن علي بن [أبي] طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: إني مميتك يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب [بن منبه]: توفي الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه إليه، والآخر: ما قاله الضحاك وجماعة: أن في هذه الآية تقديمًا وتأخيراً معناه: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ [أنه] قال: «والذي نفس محمد بيده لئوشككن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد».

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «يهلك [الله] في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلّي عليه المسلمون».

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال: نعم، قوله: ﴿كَلَّا﴾ وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه «وكهلاً» بعد نزوله من السماء؟ قوله تعالى: ﴿وَمَطَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: مخرجك من بينهم ومنجيك منهم، ﴿وَيَجْعَلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه [في التوحيد من أمة محمد ﷺ]، فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والمحجة، وقال الضحاك: يعني

الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل هم الروم، وقيل: أراد بهم النصارى، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع [في الآية] بمعنى الادعاء والمحبة، لا اتباع الدين، ﴿ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة، ﴿فَأَنصُرْكُمْ بَيْنَكُمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ تَخَلُفٌ﴾، من أمر الدين وأمر عيسى. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي والجزية والدّلة، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾، أي: في الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ مِن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، قرأ الحسن وحفص بالياء، والباقون بالنون، أي: نوفي أجور أعمالهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يرحم الكافرين ولا يشي عليهم بالجميل.

﴿ذَلِكَ﴾، أي: هذا الذي ذكرت من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿تَتَلَوُوهُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: نخبرك به ويتلوه جبريل عليك، ﴿وَمِنَ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، يعني: القرآن [و] الذكر ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي: المحكم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات، أي: من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارىء

كتاب [الله] أو من يُوحى إليه وأنت أُمِّي لا تقرأ.

﴿٥٩﴾ إِنَّكَ مِثْلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ مَا دَخَلْنَا فِي الْآيَةِ

نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: «وما أقول؟» قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ أنزل الله تعالى هذه الآية:

﴿إِنَّكَ مِثْلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾، فسي كونه خلقه من غير أب وأم، ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ رُؤُوبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ﴾، يعني: لعيس عليه السلام، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ رُؤُوبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً، أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس: هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

﴿٦٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، [أي: هو الحق]، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته.

﴿٦١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ حَاجَّكَ

فِيهِ﴾، أي: جادلَكَ في أمر عيسى أو في الحق، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ﴾، بأن عيسى عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ مَا تَوَلَّوْا﴾، وأصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، قال الفراء: بمعنى تعال كأنه يقول: اوتفع، ﴿وَنَدُّعُ﴾، جزم على جواب الأمر، وعلامة الجزم سقوط الواو، ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: أبناءنا أراد الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعلياً رضي الله عنه، والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، يُريد إخوانكم، وقيل: هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي ننزع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن، والابتهاال: الالتعان، يقال عليه بهلة الله، أي: لعنته، ﴿فَتَبْتَصِلُ لَمَسْتَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، منا ومثكم في أمر عيسى.

فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فخلا بعضهم ببعض فقالوا: للعاقب وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل والله ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم ذلك لتهلكن

[عن آخركم]، فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا رسول الله ﷺ محتضناً للحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليه خلفها، وهو يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمثروا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض منكم نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا، فقال رسول الله ﷺ: «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم»، فأبوا فقال: «فإني أنا بذككم [بالحرب]»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا [على] أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألفاً في صفر وألفاً في رجب، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال: «والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعثوا لمسخوا قردة وخنازير ولا يضطرم عليهم الوادي ناراً ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

﴿٦٢﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْفَسُ الْحَقِّ﴾: النبا الحق، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾، [و] ﴿وَمِنْ صَلَوةٍ تَقْدِيرِهِ﴾.

وما إليه إلا الله، ﴿وَلَيْكَ اللَّهُ لَهْوَ الْقُرَيْشِ الْحَكِيمُ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْرِدِينَ﴾، الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ﴾،

قال المفسرون: قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختلفوا في إبراهيم عليه السلام فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه، وأولى الناس به، وزعمت اليهود: أنه كان يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كَيْلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، بَلْ كَانَ [إِبْرَاهِيمَ] حَنِيفًا مُسْلِمًا وَأَنَا عَلَى دِينِهِ وَأُولَى النَّاسِ بِهِ، فَاتَّبِعُوا دِينَ دِينِ الْإِسْلَامِ، [فَقَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ مَا تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذَ رِيًّا كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى رِيًّا؟] وَقَالَتِ النَّصَارَى: يَا مُحَمَّدُ مَا تَرِيدُ إِلَّا أَنْ نَقُولَ فِيكَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ فِي عَزِيرٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً﴾.

والعرب تسمي كل قصّة لها شرح ﴿كَلِمَةً﴾ ومنه سميت القصيدة كلمة ﴿سَلَامٌ﴾ عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستوٍ، يقال دعا فلان إلى السواء، أي إلى التصفّة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَأَيْتُمْ فِي سُورَةِ الْحَجِّيرِ﴾ [الصفافات: ٥٥]، وإنما قيل: للنصف سواء لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها، سواء نعت للكلمة إلا أنه مصدر،

والمصادر لاتثنى ولا تجمع ولا توث، فإذا فتحت السين مددت، وإذا كُسرت أو ضُمّت قصرت؛ كقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ [طه: ٥٨]، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ومحل ﴿أَلَا﴾ رفع على إضمّار هي، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة؛ أي: تعالوا إلى أن لا

نعبد الله، ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَجْنَابَهُمْ دُوبَاتٍ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله، وقيل: معناه لا نطيع أحداً في معصية الله، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾، أي: فقولوا أنتم [يا أمّة محمد ﷺ] لهم: اشهدوا ﴿يَا أَيُّهَا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون بالتوحيد.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن

سورة التوبة

سورة التوبة

إِنْ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ لَهْوَ الْقُرَيْشِ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْرِدِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ الْآيَةُ ﴿٦٥﴾ أَلَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ الْآيَةُ ﴿٦٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ رِئَاسَةً فَمَا لَكُمُ يَوْمَ عِلْمٍ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ لِلرَّهِيمِ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَافَةً مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَمَّهُ وَهُوَ النَّبِيُّ وَالرَّبُّ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلِلَّهِ الْكُوفِينَ ﴿٧١﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ الْآيَةُ ﴿٧٣﴾ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٧٤﴾

٥٨

عباس رضي الله عنهما أخبره:

أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قرش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ عاهد فيها أبا سفيان وكفار قرش فأتوه وهو بإيليا فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله وزسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسين و﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مَثَلًا إِلَيَّ كَلِمَةً سَلَامٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ الْآيَةُ﴾ ﴿٦٥﴾ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ إِن تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأَفَّلُ الْكَافِرُ لِمَ نَعْمَاجُوتٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾
تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَا أَزَلَيْتُمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَاطِلٍ﴾، أي: وإنما أنزلت التوراة والإنجيل بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿هَكَانُمْ﴾ بتلين الهمزة، حيث كان مدني، وأبو عمرو والباقون بالهمزة واختلفوا في أصله، فقال بعضهم: أصله أنتم، وهاء تنبيه، وقال الأخفش: أصله أنتم، فقلبت الهمزة الأولى هاء كقولهم: هزقت الماء وأزقت، ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه، وهو في موضع النداء يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿حَاجِجَتُمْ﴾ [جادلستم] ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني: في أمر موسى وعيسى، واذعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم ﴿فَلِمَ تَعْمَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم، يعني: في أمر محمد ﷺ، لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فلم تَحَاجُّوْنَ في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا

عِلْمٌ لَكُمْ بِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَشْرَعُ لَا تُقَاتِلُون﴾، ثم برأ الله تعالى إبراهيم بما قالوا، فقال:

﴿٦٧﴾ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْأَدْيَانِ﴾ [كلها] إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف المائل يُؤَخِّدُ ويَحْجُ ويُضْحِي ويَحْتَسِبُ ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل.

﴿٦٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْكَافِرُ﴾ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، أي: من اتبعه في زمانه، ﴿هَؤُلَاءِ النَّبِيُّ﴾، يعني: محمداً ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: من هذه الأمة، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناد حديث هجرة الحبشة: لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكان من أمر بدر ما كان، اجتمعت قريش في دار الندوة، وقالوا: إن لنا في الذين هم عند النجاشي من أصحاب محمد ﷺ ثأراً ممن قتل منكم بيدر، فاجمعوا مالا واهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم، ولينتدب ذلك رجلان من ذوي رأيكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدايا الأدم وغيره، فركبا البحر

وأتيا الحبشة، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا له: إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصالحك محبتون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإنما كنا قد ضيقنا عليهم الأمر والجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد [قد قتلهم] الجوع والعطش، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيهم، وقالوا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيتونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وستتكت، قال: فدعاهم النجاشي، فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: مُرُوا هذا الصائح فليُعِدَّ كلامه، ففعل جعفر، فقال النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته، فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه وقال: ألا تسمع كيف يَرْطُئُونَ بحزب الله، وما أجابهم به النجاشي، فساءهما ذلك، ثم دخلوا عليهم فلم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك، فقال لهم النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا إليّ وتحيتوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك ومثلك،

وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام، تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل، قال: أيكم الهاتف ليستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: فتكلم، قال: إنك ملك من ملوك أهل الأرض، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمُرْ هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر، فتسمع محاورتنا، فقال عمرو لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار، فإن كنا عبيداً أبقينا من أربابنا فازدنا إليهم، فقال النجاشي: أعبيد هم أم أحرار؟ فقال عمرو: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية، ثم قال جعفر: سلهما هل أهرقنا دماً بغير حق فيقتص منا؟ قال النجاشي: إن كان قنطاراً فعليّ قضاؤه، فقال عمرو: لا ولا قيراطاً، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد، على دين آبائنا فتركوا ذلك وابتغوا غيره، فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه [وتركتموه] والدين الذي اتبعتموه اصدقني؟ فقال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله

ونعبد الحجارة، وأما [الدين] الذي تحولنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى ابن مريم، موافقاً له، فقال النجاشي: يا جعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك، ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده، قال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبياً مرسلأ، فقالوا: اللهم نعم قد بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي، فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟ قال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم، ويرى اليتيم، ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال: اقرأ عليّ [شيئاً] مما يقرأ عليكم، فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع، وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليهم سورة الكهف، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ جعفر عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفسه من سواكه قدر ما يقضي العين، فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون مثل هذا، ثم

أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - يقول: آمنون - من سيكم أو أذاكم غُرم، ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا دُهوره اليوم على حزب إبراهيم، قال عمرو: [يا نجاشي] ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن تبعهم، فأنكر ذلك المشركون وادّعوا [في] دين إبراهيم، ثم ردّ النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه، وقال: إنما هديتكم إليّ رشوة فاقبضوها، فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة، قال جعفر: فانصرفنا فكنّا في خير دار وأكرم جوار، وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصوصتهم في إبراهيم، وهو بالمدينة ﴿لَكَ أَتَى النَّاسُ بِالْإِيمَانِ لِلَّذِينَ أَتَّبَعُوهُ وَكَانَ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾، أي: تمت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿لَوْ يُبْلِغُوكُمْ﴾ [يستزليونكم] عن دينكم ويردوكم إلى الكفر، ﴿وَمَا يُبْلِغُوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٧٠﴾ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ تُنْفِرُونَ﴾، أن نعت في التوراة والإنجيل مذكور.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْفَوَاحِشَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا عَنَّا جِهَةً لَّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن تَعْبَعُوا لِكُفْرَانٍ أَهْلُكُمْ هُدًى لِّلَّهِ أَنْ يَتُوبَ أَحَدُهُمْ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يَتُوبُ إِنَّهُ قَدْ تَعَبَ لِكُفْرَانٍ هُدًى لِّلَّهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُورَانِ تَأْمَنُ بِقِطَارِ يَوْمِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنُورَانِ تَأْمَنُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلْ مَنَ أَوَّلَ بَعْدِهِمْ وَأَتَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ وَأَيْمَنَهُمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أَزْلَمَ لَكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْعِسْفَةِ وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٥٩

﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْفَوَاحِشَ تَخْلُطُونَ الْإِسْلَامَ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَقِيلَ: لِمَ تَخْلُطُونَ الْإِيمَانَ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْحَقُّ، بِالْكَفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْبَاطِلُ؟ وَقِيلَ: لِمَ تَخْلُطُونَ التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى مُوسَى بِالْبَاطِلِ الَّذِي حَزَقْتُمُوهُ وَكُتِبَتْهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَتَقُولُونَ الْفَوَاحِشَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ وَدِينَهُ حَقٌّ.

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسَّيِّدِي: تَوَاطَأَ اثْنَا عَشَرَ خَبْرًا مِنْ يَهُودٍ خَبِيرٍ وَفَرَى عَيْنِيَّةَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ بِاللِّسَانِ دُونَ الْإِعْتِقَادِ ثُمَّ اكْفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ، وَقُولُوا: إِنَّا نَظَرْنَا فِي كِتَابِنَا وَشَاوَرْنَا عُلَمَاءَنَا فَوَجَدْنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ هُوَ بِذَلِكَ الْمَنْعُوتِ وَظَهَرَ لَنَا كَذِبُهُ، فَإِذَا

فَعَلْتُمْ ذَلِكَ شَكَّ أَصْحَابُهُ فِي دِينِهِمْ وَاتَّهَمُوهُ. وَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمْ أَعْلَمُ بِهِ مَتَى، فَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ.

وقال مجاهد ومقاتل والكسبي: هذا في شأن القبلة لما صُفرت إلى الكعبة شقَّ ذلك على اليهود، فقال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ أَمْرِ الْكعبة وصلوا إليها أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ اكْفَرُوا وَارْجِعُوا إِلَى قِبَلَتِكُمْ آخِرَ النَّهَارِ لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ:

هؤُلاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَهُمْ أَعْلَمُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى قِبَلَتِنَا، فَاطْلُعَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ عَلَى سَرْهَمٍ، وَأَنْزَلَ: ﴿رَبِّهِمْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ﴾، أَوَّلُهُ سُمِّيَ وَجْهًا لِأَنَّهُ أَحْسَنُهُ وَأَوَّلُ مَا يُوَاجِهُهُ النَّاظِرُ فَيَرَاهُ، ﴿وَالْآخِرَةُ عَاجِرُهُ﴾، [عند غروب الشمس]، فَيَشْكُونَ وَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ.

﴿٧٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن تَعْبَعُوا لِكُفْرَانٍ هُدًى لِّلَّهِ أَنْ يَتُوبَ أَحَدُهُمْ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يَتُوبُ إِنَّهُ قَدْ تَعَبَ لِكُفْرَانٍ هُدًى لِّلَّهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُورَانِ تَأْمَنُ بِقِطَارِ يَوْمِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنُورَانِ تَأْمَنُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلْ مَنَ أَوَّلَ بَعْدِهِمْ وَأَتَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ وَأَيْمَنَهُمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أَزْلَمَ لَكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْعِسْفَةِ وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

تَعَالَى أَنْ الْبَيَانُ بَيَانُهُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هَذَا كَلَامٌ مُّعْتَرِضٌ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَمَا بَعْدُهُ مُتَّصِلٌ بِالْكَلامِ الْأَوَّلِ إِخْبَارٌ عَنْ قَوْلِ الْيَهُودِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَمَعْنَاهُ: وَلَا تَقُولُوا إِلَّا لِمَن تَتَّبَعُ دِينَكُمْ وَلَا تَقُولُوا لِمَن تَتَّبَعُ دِينَكُمْ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالْآيَاتِ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلَوى وَفَلَقَ الْبَحْرَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَلَا تَقُولُوا أَنْ يَحْجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ لِأَنكُمْ أَصَحُّ دِينًا مِنْهُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ، وَقِيلَ: إِنْ الْيَهُودُ قَالَتْ لِسَفَلَتِهِمْ: وَلَا تَقُولُوا إِلَّا لِمَن تَتَّبَعُ دِينَكُمْ، ﴿أَنْ يَتُوبَ أَحَدُهُمْ مَّا أُوتِيتُمْ﴾ مِنَ الْعِلْمِ، أَي: لَشَلَا يُؤْتَى أَحَدٌ، وَ «لَا» فِيهِ مَضْمُورَةٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أَي: لَشَلَا تَضِلُّوا، يَقُولُ: لَا تَصَدِّقُوهُمْ لَشَلَا يَعْلَمُوا مِثْلَ مَا عَلِمْتُمْ فَيَكُونُ لَكُمْ الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ، وَلَشَلَا يَحْجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَيَقُولُوا: عَرَفْتُمْ أَنْ دِينَنَا حَقٌّ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ جَرِيرٍ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ «إِنْ يَتُوبُ أَحَدٌ بِكسر الالف، فَيَكُونُ قَوْلُ الْيَهُودِ تَأْمَنًا عِنْدَ قَوْلِهِ: إِلَّا لِمَن تَتَّبَعُ دِينَكُمْ، وَمَا بَعْدُهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿إِنَّ أَهْلَكُمْ هُدًى لِّلَّهِ أَنْ يَتُوبَ أَحَدُهُمْ﴾ إِنْ بِمَعْنَى: الْجَحْدِ، أَي: مَا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿أَوْ يَحْجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، يَعْنِي: إِلَّا أَنْ يَجَادِلَكُمْ الْيَهُودُ بِالْبَاطِلِ فَيَقُولُوا: نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ، فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، أَي: عِنْدَ فَعَلَ رَبِّكُمْ بِكُمْ ذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ

جبير والحسن والكليبي ومقاتل.
وقال الفراء: ويجوز أن يكون ﴿أَوْ﴾
بمعنى حتى؛ كما يُقال: تعلق به أو
يُعطيك حقل، ومعنى الآية: ما
أعطي أحد مثل ما أعطيتكم يا أمة
محمد من الدين والحجة حتى
يُحاجوكم عند ربكم! وقرأ ابن كثير
﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ بالمد على الاستفهام،
وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره: أن
يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر
اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه
ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة
والربيع، قالوا: هذا من قول الله
تعالى، يقول: قل لهم يا محمد إن
الهدى هدى الله بأن أنزل كتاباً مثل
كتابكم وبعث نبياً حسدتموه وكفرتكم
به، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قوله: ﴿أَوْ﴾
﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ على هذه القراءة رجوع إلى
خطاب المؤمنين، وتكون ﴿أَوْ﴾
بمعنى «أن»، لأنهما أحدهما موضع الآخر،
وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر،
أي: وإن يُحاجُّوكم يا معشر
المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد
إن الهدى هدى الله ونحن عليه،
ويجوز أن يكون الجميع خطاباً
للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن
يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر
المؤمنين حسدوكم، فقل: ﴿إِنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾، وإن حاجبوكم،
فقال: ﴿إِنَّ إِلَهُنَّ هُدَى اللَّهِ﴾،
ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد
تم عند قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقوله
تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ من كلام الله
يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا
عند تلبيس اليهود وتزويرهم في

دينهم، يقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك، فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلييس اليهود لئلا يرتابوا.

قوله: ﴿يَخْلُصُ بِرَحْمَةٍ﴾،
أي: بنبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(٧٥) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِقِطَاعِهِ يُدَّوِّعُ إِلَيْكُمْ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِقِطَاعِهِ يُدَّوِّعُ إِلَيْكُمْ﴾، هم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِهِ يُدَيِّرُوا لَا يُؤَدُّوهُ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: كفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جويري عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِقِطَاعِهِ يُدَّوِّعُ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فآذاهوا إليه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِهِ يُدَيِّرُوا لَا يُؤَدُّوهُ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: فتخاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش ديناراً فآخاهه ولم يؤده إليه،

قوله: ﴿يُؤْذِنُهُ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة «يؤذنه»، و«لَا يُؤْذِنُهُ» و«وَنُصِّلَهُ»، و«نُؤْذِنُهُ» «نزلته» ساكنة الهاء، وقرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاس كسراً، والباقون بالإشباع كسراً، فمن سكن الهاء قال لأنها وضعت في موضع الجزم وهو الباء الذاهبة، ومن اختلس فأكفى بالكسرة عن الباء، ومن أشبع فعلى الأصل، لأن الأصل في الهاء الإشباع، ﴿إِلَّا مَا دُتَّ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، قال ابن عباس مُلْحَأً، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاک: مواظباً أي تَوَاضَبَ عليه بالاقترضاء، وقيل: أراد [إن] أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تغارقه رده إليك، فإن فارقت وأخرته أنكره ولم يُؤْذِنُهُ، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَيْبٌ﴾، أي: في مال العرب إثم وخرج؛ كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حُرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياهم منهم، وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا انقضاهم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادّعوا

أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبهم الله عز وجل، وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال ردّاً عليهم:

﴿بَلَى﴾، أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ أي: ولكن من أوفى، ﴿بِعَهْدِهِ﴾، أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفى ﴿وَأَتَى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن عمر.

أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾﴾، قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبذلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المأكول والرّشا التي كانت لهم من أتباعهم.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبدالله قال:

قال رسول الله ﷺ: «من حلف علي يمينٍ صَبْرٍ يقطع بها مالَ امرئٍ مسلمٍ لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية، فدخل الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ فقالوا: كذا وكذا، فقال: في أنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فحدثته، فقال: «بَيْتُكَ أَوْ يَمِينُهُ»، قلت: إذا يحلف عليها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمينٍ صَبْرٍ وهو فيها فاجرٌ يقطع بها مالَ امرئٍ مسلمٍ لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر، عن أبيه قال:

جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ، فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرضٍ لي كانت لأبي،

فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرها ليس له فيها حق، فقال النبي ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟» قال: لا، قال: «فلك يمينه»، قال: يا رسول الله إن الرجل فاجرٌ لا يُبالي على ما يحلف عليه، قال: «ليس لك منه إلا ذلك»، فانطلق ليحلف، فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: «أما لئن حلفَ على ماله ليأكله ظلماً ليلقَيْن الله وهو عنه مُعْرِضٌ».

ورواه عبدالملك بن عمير عن علقمة، وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عُبدان، وروى [أنه] لما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف. وأقرّ لخصمه بحقه ودفعه إليه.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي (أبو إسحاق الهاشمي)، أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبدالرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبدالله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة:

أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه حَرَّمَ الله عليه الجنة وأوجب له النار»، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك»، قالها ثلاث مرات.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن

محمد أنا هشيم بن محمد أنا العوام بن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى:

أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمَعْدِ اللَّهِ وَيَأْمِنُ بِهَا قُلُوبُهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ أي: يستبدلون ﴿بِمَعْدِ اللَّهِ﴾ أراد الأمانة، ﴿وَيَأْمِنُ بِهَا قُلُوبُهُمْ﴾ ثَمًّا قَلِيلًا، أي: شيئاً قليلاً من حطام الدنيا، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾، لا نصيب لهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ونعيمها، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾، كلاماً ينفعهم ويُسرهم، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أكلم فلاناً إذا كان غضب عليه، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي: لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم ولا يُبليهم خيراً، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا يُثني عليهم بالجميل ولا يُطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد أنا سفيان أنا مسلم بن الحجاج محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مذك عن أبي زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا ينظر إليهم ولا يُزَكِّيهم ولهم عذاب أليم»، قال: قرأها رسول الله ﷺ ثلاث

مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِل والمُتَّان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، في رواية: «المسبِل لإزاره».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أسيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أبو نصر محمد بن حمدويه المروزي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا ينظر إليهم ولا يُزَكِّيهم ولهم عذاب أليم، رجل حلف يميناً على مال مسلم فاقطعه، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد صلاة العصر أنه أعطي بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل منع فضل ماله، فإن الله [سبحانه] وتعالى يقول: اليوم أمتعتك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك».

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ قَوْلُهُمْ﴾، يعني: من أهل الكتاب ﴿قَوْلُهُمْ﴾، أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر، ﴿يَلْوَنُ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾، أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما

سورة التوبة

سورة التوبة

وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ قَوْلُهُمْ قَالُوا أَلْسِنَتُهُمْ بِالْكِتَابِ لِيَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ مَرْبًّا أَمَا يُرْمَى بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَقُومُوا يَوْمَ وَلَسْتُمْ بِتَعَالَى أَفَرَّرْتُمْ وَأَعْذَمْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ لِأُمُومٍ قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَوَاشِدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَعَدَّ لِلْغَافِلِينَ اللَّهُ سِجِّينًا مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلْتِهَادًا وَجُوعًا ﴿٨٣﴾

٦٠

غَيَّرُوا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يُقال: لَوَّى لسانه عن كذا، إذا غيَّره، ﴿لِيَحْسَبُوهُ﴾، أي: لتظنوا ما حرفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، [أي]: الذي أنزله الله تعالى [على أنبيائه]، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، وهم كاذبون عمداً، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كاذبون وأنهم هم المغيرون له من عند أنفسهم، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وأحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن

عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾، يعني: عيسى ﴿أَنْ يُؤَيَّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾، أي: الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾، يعني: محمداً ﷺ ﴿أَنْ يُؤَيَّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾، أي: القرآن.

وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالوا: يا محمد تريد أن نعبدك وتتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله، ما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾، أي: ما ينبغي لبشر؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٦]، أي: ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، يوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَنْ يُؤَيَّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْعَمُّ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عز وجل، ﴿وَالنَّبِيُّ﴾، المنزلة الرفيعة بالأنبياء، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلشَّاكِينَ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾، أي: ولكن يقولوا كُونُوا، ﴿رَبِّكُمْ﴾، واختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء علماء، وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين، وقيل: الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: حكماء علماء نُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالماً

يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنبياء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأحرار، والأحرار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس، قال المؤرج: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربي، فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال المبرد: هم أرباب العلم سُموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربه يُربه، وأخذها: ريان كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضُمَّت إليه ياء النسبة، كما يقال: لحياني ورباني، وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو الذي يَرْبُ علمه بعلمه، قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة، ﴿يَمَّا كُنْتُمْ﴾، أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي آلِهَةٍ صِينًا﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هو في المهد، ﴿تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد من التعليم، وقرأ الآخرون ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف من العلم؛ كقوله: ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، أي: تقرأون.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾، قرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: ثم يقول، فيكون مردوداً على البشر، أي: ولا

يأمر ذلك البشر، وقيل: على إضمار «أن»، أي: ولا أن يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقر بالرفع على الاستثنا، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَنْبَاءً﴾، كفعل قریش والصابنين حيث قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعُزير ما قالوا، ﴿أَيُّكُمْ بِالْكَفَرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قاله على طريق التعجب والإنكار، يعني: ولا يقول هذا.

﴿وَلَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، قرأ حمزة ﴿لَمَّا﴾ بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الموصولة، ومعناه: إن الذي يريد للذي أتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي أتاهم من الكتاب والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه: للذي أتيتكم، بمعنى الخير، وقيل: بمعنى الجزاء، أي: لئن أتيتكم ومهما أتيتكم، وجواب الجزاء، قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾.

قوله: ﴿لَمَّا أَتَيْتُكُمْ﴾ قرأ نافع وأهل المدينة «آتيناكم» على التعظيم؛ كما قال: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُكُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، و﴿وَمَا آتَيْنَا لَكُمْ صِينًا﴾ [مريم: ١٢]، وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾، واختلفوا في المعنى بهذه الآية: فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن

يُلْغُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَأَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَنْصُرَهُ إِنْ أَدْرَكَه، وَإِنْ لَمْ يَدْرَكَه أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِنَصْرَتِهِ إِنْ أَدْرَكَوهُ، فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى، وَمَنْ عِيسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّمَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَرْسَلَ مِنْهُمْ النَّبِيِّينَ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، وَإِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثاً إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ النَّبِيِّينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي بَنْتَلَةَ بْنِ كَعْبٍ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فَارَادَ: أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَأْخُذُوا الْمِيثَاقَ إِلَى أَمَمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، إِنْ أَدْرَكَوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَأَمَمِهِمْ جَمِيعاً فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَانْتَفَى بِذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ مَعَ الْمَتَّبِعِ عَهْدُ أَهْلِ الْأَتْبَاعِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيّاً أَدَمَ فَمِنْ بَعْدِهِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ لِيُؤْمِنَ بِهِ، وَلِئِنْ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءَ لِيَنْصُرُنَّهُ،

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، يَعْنِي: مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ حِينَ اسْتَخْرَجَ الذَّرِيَّةَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ كَالْمَصَابِيحِ وَالشُّرُجِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿فَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾، أَي: قَبِلْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ عَهْدِي، وَالْإِصْرُ: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ﴾، اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أَي: فَاشْهَدُوا أَنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى أَتْبَاعِكُمْ، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاشْهَدُوا، أَي: فَاعْلَمُوا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ كُنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، الْإِقْرَارُ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الْعَاصُونَ الْخَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿أَفَقَدْ دِينٌ﴾، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَقَدْ دِينٌ أَلَّوْ يَبْقَوْنَ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا فَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَضَى النَّبِيُّ ﷺ «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِقَضَائِكَ وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَقَدْ دِينٌ أَلَّوْ يَبْقَوْنَ﴾، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ «يَبْقَوْنَ» بِالْيَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾، ﴿وَلَمْ آتَاكُمْ﴾: خَضَعَ

وَانْقَادَ، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾، فَالطَّوْعُ: الْإِتْقَانُ وَالْإِتْبَاعُ بِسَهُولَةٍ، وَالْكَرْهُ: مَا كَانَ بِمَشَقَّةٍ وَإِبَاءٍ مِنَ النَّفْسِ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿طَوْعاً وَكَرْهاً﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَسْلَمَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ طَوْعاً وَأَسْلَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ طَوْعاً وَبَعْضُهُمْ كَرْهاً خَوْفاً مِنَ السَّيْفِ وَالسَّبِي، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: طَوْعاً الْمُؤْمِنُ، وَكَرْهاً ذَلِكَ الْكَافِرُ، بِدَلِيلِ: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلُّهُمْ بِالْأَشْجَارِ وَالْأَنْجَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وَقِيلَ: هَذَا يَوْمُ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قَالَ بَعْضُهُمْ: طَوْعاً، وَبَعْضُهُمْ: كَرْهاً، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمُؤْمِنُ أَسْلَمَ طَوْعاً فَتَفَعَّلَ الْإِسْلَامَ، وَالْكَافِرُ أَسْلَمَ كَرْهاً فِي وَقْتِ الْبَاسِ فَلَمْ يَتَفَعَّلْ الْإِسْلَامَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَكَ بِنَعْمَتِهِمْ إِيتَانٌ لَكُنَّا وَكُنَّا﴾ [غافر: ٨٥]، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ اسْتَعَاذَتْهُمْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَّارِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَكِبُوا فِي السَّفَرِ دَعَا إِلَهُ الْغُلَامَيْنِ لَهُ الْأَيْنُ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: طَوْعاً الَّذِي وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَرْهاً الَّذِينَ أُجْبِرُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مِمَّنْ يُسَبِّى مِنْهُمْ فَيُجَاءُ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ، ﴿وَالَّذِينَ يُرْجَوْنَ﴾، قَرَأَ بِالْيَاءِ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبٌ كَمَا قَرَأَ «يَبْقَوْنَ» بِالْيَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا إِلَّا أَبَا عَمْرٍو فَإِنَّهُ قَرَأَ «يَبْقَوْنَ» بِالْيَاءِ وَ«تُرْجَوْنَ» بِالتَّاءِ، قَالَ: لِأَنَّ الْأَوَّلَ خَاصٌّ وَالثَّانِي عَامٌّ، لِأَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ

قُلْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٩٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَكُنَ مِنْ أَحَدِهِمْ تِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ أَقْبَدْتُمْ يَدَ أُولَٰئِكَ لَهَرَّ عَذَابُ الْبُورِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٩١﴾

الخلق إلى الله عز وجل.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: ﴿أَمَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية.

﴿٨٥﴾ قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزلت فيهم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا

كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، لفظة استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة [ويعطيهم] الثواب [فيها]، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وذلك أن

الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه [بالمدينة]، أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، لما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة فأسلم وحسن إسلامه.

﴿٩٠﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو

العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، يعني: ذنبوا في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ كلما نزلت آية كفروا بها، فأزادوا كفراً، وقيل: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بقولهم: نترتبص بمحمد رب المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا: نقيم على الكفر ما بدأ لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمّن دخل منهم في الإسلام قُبلت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافراً ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٦١] الآية.

فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿إِنْ تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾، قيل: لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعايعة، كما قال: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْأُنْثَىٰ﴾ [النساء: ١٨]، وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نترتبص بمحمد [رب المنون]، فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، ﴿إِنْ

تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، لن يقبل منهم ذلك [لأنهم مترتبون غير محققين، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾].

﴿٩١﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كَافَرًا فَلَنْ يُمْسِكَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ لَوْلَا الْأَرْضُ﴾، أي: قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها، ﴿هَبْطًا﴾، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون درهماً. ﴿وَلَوْ أَقْنَدْتُ يَدَهُ﴾، قيل: معناه لو اقتدى به، والواز زائدة مقحمة، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا غندر أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك:

عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنث تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي».

﴿٩٢﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَتَابَعُوا﴾، يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: لن تكونوا أبراراً.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن

الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى

الفجور، و [إن] الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

قوله تعالى: ﴿حَقَّقْ تَتَابَعُوا﴾، أي: من أحب أموالكم إليكم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة، وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر، وقال عطاء: ﴿إِنَّ تَتَابَعُوا﴾، أي: شرف الدين والتقوى حتى تصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول:

سورة التوبة

سورة التوبة

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ وَمِمَّا نُنْفِقُوا مِنْهُ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ إِلَّا بِمَا كَرِهْتُمْ وَإِذْ تَقُولُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ فَنُفِخَ بِالسُّورَةِ فَلَمْ يَأْتُوا بِالْبُرْهَانِ فَاتَّوَعْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَقْرَبُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا كَرِهَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ دَحْلِهِ كَانَ دَأْبُ الْإِنْسَانِ حَتَّى الْآيَاتِ مِنْهُ اسْتِطَاعَ الْيَهُودُ سَيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ عَذَابَ الْغُلَامِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدَّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ مَّأْنٍ تَبْعُوا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ وَاللَّهُ يَقْبَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فِيهِمَا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالْكِتَابَ يَرْدُّكُمْ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٠٠﴾

«كان أبو طلحة الأنصاري أكثر أنصاري بالمدينة مالاً وكان أحب أمواله إليه بئرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلي بئرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. فقال رسول الله ﷺ: «بخ، بخ، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيها، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عته.

وروي عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فتحت فدعا بها فأعجبه، فقال عمر: إن الله عز وجل يقول: ﴿لَنْ نَأْخُذَ بِكَ بِأَلْفٍ حَتَّى تُفَقِّهَ وَمَا يُفَقِّهُونَ﴾، فأعتقها عمر.

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْخُذَ بِكَ بِأَلْفٍ حَتَّى تُفَقِّهَ وَمَا يُفَقِّهُونَ﴾، قال ابن عمر: فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة، [وكانت جارية له] هي حرة لوجه الله تعالى، ولولا أنني لا أعود في شيء جعلته الله لنكتها.

﴿وَمَا تُفَقِّهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، أي: يعلمه ويجازي به.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾.

سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وأنت تأكلها، فليست على ملته، فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام»، فقالوا: كل ما نحرّمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ

يريد: سوى الميتة والدم، فإنه لم يكن حلالاً قط، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ

إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو يعقوب عليه السلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل حلالاً له ولبنو إسرائيل، وإنما حرّمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة حرمتها.

واختلفوا في الطعام الذي حرّمه يعقوب على نفسه وفي سببه، قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي: كان ذلك الطعام لحمان: الإبل وألبانها.

وروي أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرّم أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها، فحرّمهما، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك: هي العروق، وكان السبب في ذلك أنه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه، فيما روى جوير [ومقاتل]

عن الضحاك: أن يعقوب عليه السلام كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم، فتلقيه ملك من الملائكة، فقال: يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراخ، فعالجه فلم يصرخ واحداً منهما صاحبه، فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك، ثم قال له الملك: أما إنني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتكم هذه الغمزة لأنك كنت نذرت إن أنيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر

ولذلك، فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً، فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك، فاتاه الملك وقال: إنما غمزتكم للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو، وكان رجلاً بطشاً قوياً فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصصره [فلم يصصره]، فغمز الملك فخذ يعقوب، ثم صعد إلى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر إليه، فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاءً وشدة، فكان لا ينام الليل من الوجع، وبيت وله زقاء، أي: صياح، فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق، فحرّمه على نفسه [حين الله شفاه]، فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم.

وروي جوير عن الضحاك عن ابن عباس [قال]: لما أصاب يعقوب عرق النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحم الإبل فحرّمها يعقوب على نفسه، وقال الحسن: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجوز تبعداً لله تعالى، فسأل ربه أن يجيز له ذلك فحرّمها الله على ولده، ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرّم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة، فقال السدي: حرّم الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها، وقال عطية: إنما كان محرّماً عليهم بتحريم

إسرائيل، فإنه كان قد قال: إن عافاني الله [تعالى] لا أكله ولا يأكله ولذلي ولم يكن محرماً عليهم في التوراة، وقال الكلبي: لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حُرِّمَ عليهم بعد التوراة بظلمهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَيُظْهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ كَلِمَتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفٍ﴾، إلى أن قال: ﴿ذَلِكَ حَرَمُهُمْ يَتَّبِعُونَ وَكُلًّا صَدَقُوا﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حَرَّمَ الله عليهم طعاماً طيباً أو صَبَّ عليهم رجزاً وهو الموت، وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حَرَّمَهُ الله في التوراة، وإنما حَرَّمَهُ على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله [تعالى]، فكذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ، فقال: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ قَاتُوا بِالْتَّوْبَةِ قَاتِلُوهُمْ﴾، حتى يتبين أنه كما قلتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فلم يأتوا، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ في جميع ما جاء به.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا

وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، قال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه [الله تعالى] قبل الأرض بالفي عام، وكان زبدية بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته، هذا قول عبد الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي، وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، روي عن علي بن الحسين: أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنيوا في الأرض بيتاً على مثاله وقدره، فبنوه واسمه الضراح، وأمر مَنْ في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وروى: أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام، وكانوا يحجونه، فلما حجّه آدم قالت الملائكة: بِرَّ حُجَّكَ يَا آدَمَ، حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وُضِعَ هدى للناس ليروى ذلك عن علي بن أبي طالب. وقال الضحاك:

إن أول بيت وضع فيه البركة، وقيل: أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه ويحج إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قبلة للناس، وقال الحسن والكلبي: أول مسجد ومُتَعَبَّد وُضِعَ للناس يُعبد الله فيه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِّنَ أَنَّ اللَّهَ أَنْ يُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، يعني: المساجد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي [أنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا [موسى بن إسماعيل أخبرنا] عبد الواحد أنا الأعمش أخبرنا إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: سمعت أبا ذر يقول:

«قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وُضِعَ في الأرض أولاً؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، ثم قال: «أينما أدركتكَ الصلاة بعدُ فصل فإن الفضل فيه».

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال جماعة: هي مكة نفسها، وهو قول الضحاك، والعرب تعاقب بين الباء والميم، فتقول: سبد رأسه وسمده، وضرورة لازمة ولازم، وقال الآخرون: بكعة موضع البيت، ومكة: اسم للبلد كله، وقيل: بكعة موضع البيت والمطاف، سُمِّيَتْ بكعة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزحفون إليك بعضهم بعضاً ويصلي بعضهم بين يدي بعض، ويمر بعضهم بين يدي بعض، وقال عبد الله بن الزبير: سُمِّيَتْ بكعة لأنها تبك أعناق الجابرة، أي تدقها فلم

يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله، وأما مكة فإنها سُميت بذلك لقلّة ما فيها، من قول العرب: مَكَةُ الفصيل ضِرْعُ أمه وأمتك إذا امتص كل ما فيه من اللبن، وتدعى أم رحم لأن الرحمة تنزل بها، ﴿مَبَازِكُ﴾ نصب على الحال، أي: ذا بركة ﴿وَهْدَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنه قبلة للمؤمنين ﴿يُؤْيِيهِمْ﴾ قرأ ابن عباس «آية بينة» على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون ﴿يُؤْيِيهِمْ﴾ بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير حوله فلا تعلق فوقه، وأن الجارحة إذا قصدت صيداً فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه [ولم تجرحه فيه]، وإنه بلد صدر إليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والأبرار، وإن الطاعة والصدقة فيها تُضاعف بمائة ألف.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن أبي لؤي بن رباح وعبيد الله بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله الأغرا عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة

فيما سواه، إلا المسجد الحرام».

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ من أن يحاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم آمناً من القتل والغارة، وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر المفسرين، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْتَحِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقيل: المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً؛ كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقيل: هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأمّنه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن من وجب عليه القتل قصاصاً أو حداً فالتجأ إلى الحرم فلا يُستوفى منه فيه، ولكنه لا يُطعم ولا يُبايع ولا يُشارى، حتى يخرج منه، فيقتل، قاله ابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يُستوفى فيه، أمّا إذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفى فيه عقوبته بالاتفاق، وقيل: معناه: من دخله معظماً له متقرباً إلى الله عز وجل كان آمناً يوم القيامة من العذاب، قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَلْطَأَ إِلَيْهِ

سَبِيلًا﴾، أي: لله فرض واجب على الناس حج البيت، قرأ أبو جعفر وحزمة والكسائي وحفص «حج البيت»، بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة، وقرأ الآخرون بفتح الحاء، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد، والحج أحد أركان الإسلام.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال:

قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

قال أهل العلم: ولوجوب الحج خمس شرائط الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، ولا يجب على الكافر ولا على المجنون، ولو حجاً بأنفسهما لا يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد، ولو حج صبي يعقل، أو عبد يصح حجّهما تطوعاً ولكن لا يسقط به فرض الإسلام عنهما فلو بلغ الصبي، أو أعتق العبد بعدما حج واجتمع في حقّه شرائط وجوب الحج، عليه أن يحجّ ثانياً ولا يجب على غير المستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَلْطَأَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، غير أنه لو تكلف

فحج يسقط عنه فرض الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادراً مستطيعاً بنفسه، والآخر: أن يكون مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فإن يكون قادراً بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة.

أخبرنا عبد الواحد بن محمد الكسائي الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن إبراهيم بن يزيد عن محمد [بن] عباد بن جعفر قال: قعدنا إلى عبدالله بن عمر فسمعتة يقول:

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاج؟ قال: «الشعث الثفل»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله، أي الحج أفضل؟ قال: «العجج والشجج»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «زاد وراحلة».

وتفصيله: أن يجد راحلة تصلح لمثله، ووجد الزاد للذهاب والرجوع، فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن ذئب يكون عليه، ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخرؤا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج [في ذلك الوقت]، ويشترط أن يكون الطريق آمناً فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رضيع يطلب شيئاً

لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل [المأهولة] معمورة يجد الزاد والماء، فإن كان زماناً جدوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها، فلا يلزمه الحج، ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحب لو فعل، وعند مالك يلزمه، وأما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زميماً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر [به من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر]، أو لم يكن له مال لكن بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، ويقال في العرف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، وإنما يفعله بماله وأعوانه، وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المغصوب في المال، وحجة من أوجه ما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عباس أنه قال:

كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنتظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج،

أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْكَافِرِينَ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد: من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن الكلماتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو، أخبرنا سهل بن عمار أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال: «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَلَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: لم تصرفون عن دين الله، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبَوَّعَهَا﴾، تطلبونها، ﴿عُوجاً﴾، زيغاً وميلاً، يعني: لم تصدّون عن سبيل الله باغين لها عوجاً؟ قال أبو عبيدة العوج: بالكسر. في الدين والقول والعمل، والعوج: بالفتح. في الجدار، وكل شخص قائم

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ وَآتَمُوا وَحْيَهُ وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا آؤَانَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَنْ تَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ مِّنْكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

تُطِيعُوا قَوْلًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ يَرْدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَفِيرِينَ»، قال جابر: فما رأيت قط يوماً أقبح، أولاً أحسن آخراً من ذلك اليوم. ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، يعني: ولم تكفروا؟ ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، [أي]: القرآن، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، محمد ﷺ، قال قتادة: في هذه الآية عِلْمَانِ بَيِّنَانِ: كتابُ الله ونبيُّ الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فأبقاه بين أظهركم رحمةً من الله ونعمةً.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبدالوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان عن يزيد بن حيان قال: سمعت زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإنني تارك فيكم الثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله تعالى وخذوا به»، فحث [عليه] ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾، أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه

من الأشعار، وكان بُعث يوماً اقتتل فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى ثواب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس وجابر بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئت والله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً

وقالا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدمكم الظاهرة، وهي الحرة. فخرجوا جميعاً إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعوهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال ﷺ:

«يا معشر المسلمين أبدو عوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله الله!! فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فالتقوا السلاح من أيديهم ويكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِإِنْ

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾، [أن في التوراة مكتوباً نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِإِنْ تُطِيعُوا قَوْلًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ﴾،

قال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي. وكان شيخاً عظيماً الكفر شديد الضغن على المسلمين. على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من الفتنة وصلح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بُعث وما كان قبله، وأنشداهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه

وطاعته، ﴿فَقَدْ هَوَىٰ إِلَىٰ مِرْكِلِ شَيْقَمٍ﴾، طريق واضح، وقال ابن جريج: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يُلْهِمْهُ اللَّهُ﴾، يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصم له.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان: ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج، فقال الأوسي: منّا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، ومنّا حنظلة غسيل الملائكة، ومنّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر، ومنّا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة، وقال الخزرجي: منّا أربعة أحكموا القرآن: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنّا سعد بن عباد خطيب الأنصار ورئيسهم، فجرى الحديث بينهما فغضباً وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس والخزرج معهم السلاح، فاتاهم النبي ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس: هو أن يطاع فلا يُعصى، وقال مجاهد: أن تُجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا الله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم

وآبائكم. وعن أنس أنه قال: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يُخزن لسانه، قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فتسخت هذه الآية، وقال مقاتل: ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذه الآية ﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي: مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوضون أموركهم إلى الله عز وجل، وقال الفضل: مُحسنون الظن بالله [تعالى].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد أخبرنا سليمان بن سيف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمّرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره؟».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلاً لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف [من النار]، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة،

وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله المتذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تُحبون في الفرقة، وقال مجاهد وعطاء: بعهده الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن.

وزوي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، والشفاء النافع، وعصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه».

وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ﴿وَلَا تَقْرَأُوا﴾، كما افترقت اليهود والنصارى.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً [ويسخط لكم ثلاثاً]، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تُنصحووا من ولى الله أمركم، [ويسخط لكم] قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا يَمَنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾.

قال محمد بن إسحاق بن يسار وغيره من أهل الأخبار: كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقت بينهما عداوة بسبب قتل بينهم، فتطاولت تلك العداوة

والحرب بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالإسلام، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ، وكان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفاً يسميه قومه الكامل لجلبه ونسبه قدم مكة حاجاً أو معتمراً، وكان رسول الله ﷺ قد بعث وأمر بالدعوة، فتصدى له [رسول الله ﷺ] حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال له سويد: فعلت الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» فقال: مجلة لقمان، يعني: حكمته، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها عليّ»، فعرضها، فقال: «إن هذا الكلام حسن، ومعني أفضل من هذا، قرآن أنزل الله عليّ نوراً وهدى»، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُدْ منه ولم ينفِرْ وسرّ بذلك، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل يوم بُعث، فإن قومه ليقولون: إنه قد قتل وهو مسلم، ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع، ومعه فئة من بني الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتسمون الجلف من قريش على قوم من الخزرج؛ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أتاهم فجلس إليهم، وقال: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئاً، وأنزل الله عليّ الكتاب»، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن،

فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قوم هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال: دغثاً منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ويُعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، وهم ستة نفر: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبدالله [بن رثاب]، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج؟ قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قالوا: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم كانوا أهل أوثان وشرك، وكانوا إذا كان منهم شيء قالوا: إن نبياً الآن مبعوث قد أطل زمانه، ننبهه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ

أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يستبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه وأسلموا، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا به ﷺ [وصدقوه]، فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل، أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا عفراء، ورافع بن مالك [بن العجلان]، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عباد، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وهؤلاء خزرجيون، وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا، إلى آخر الآية، «فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتكم بحذة في الدنيا فهو كفارة له، وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم»، قال:

وذلك قبل أن يُفرض عليهم الحرب، قال: فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويُعلمهم الإسلام ويُفقههم في الدين، وكان مُصعب يُسمى بالمدينة المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة، ثم إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر، فجلسا في الحائط فاجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن خُضير: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي [معهم]، ولولا ذلك لكفيتك، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن خُضير سيّذي قومهما من بني عبد الأشهل وهما مشركان، فأخذ أسيد بن خُضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا والله سيد قومه قد جاءك، فاصدق اللّه فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلّمه، قال: فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركّز حربته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لنعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وجهه وتسّهله، ثم قال: ما أحسن هذا

وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل وتطهرُ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، [و] سأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب [به] من عندكم، فلما وقف على النادي قال: قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمْتُ الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما، فقالا: فافعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك فقام سعد مغضباً مبادراً للذي ذكره له من بني حارثة، فأخذ الحرية، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمّت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره، قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه، وإن اتبعك لم يخالفك منهم أحد، فقال [له] مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركّز الحرية فجلس،

فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالوا: فغفرنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم لإشراقه وتسّهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن خُضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأياً وأيمتنا نقيّة قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلاً ولا امرأة إلا مسلم ومسلمة، ورجع أسعد بن زرارة [ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة]، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر، وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرّ وأحد والخندق، قال: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين سبعون رجلاً

مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبه من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية، قال كعب بن مالك: وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج، وكانت تلك الليلة التي واعدنا فيها رسول الله ﷺ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخيرناه وكنا نكنتم عمن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غدأ، ودعواناه إلى الإسلام فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبه، وكان نقيباً، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نسلّل مستخفين تسلّل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار، وأسما بنت عمرو بن عدي أم منيع إحدى نساء بني سلمة، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا معه عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا معشر الخزرج، وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار خزرجها وأوسها، أن محمداً ﷺ منا

حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوهُ بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت، قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم»، قال: فأخذ البراء بن مغرور بيده [ﷺ] ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أئزنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلاً يعني العهد، وإنا قاطعوها فهل عسيّت إن فعلنا نحن ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «الدمّ الدمّ والهدمّ الهدمّ، أنتم مني وأنا منكم، أحارب من حاربتهم وأسالم من أسالمتهم»، وقال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً كفلاء على قومهم بما فيهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن

مريم»، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. قال عاصم بن عمر بن قتادة: إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلن أسلمتموه، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على تهلكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة، قالوا: فلأنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، قالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وقينا؟ قال: «الجنة»، قال: أبسط يذك فبسط يده فبايعوه، وأول من ضرب على يده [ﷺ] البراء بن مغرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت، صوتاً ما سمعته قط: يا أهل الجباب، هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا عدو الله هذا أرب العقبة، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رجالكم»، فقال العباس بن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدأ على أهل منى بأسيا فانا، فقال رسول الله ﷺ: «لم تؤمر بذلك

ولكن ارجعوا إلى رحالكُم»، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فتمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدث علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وصدقوا ولم يعلموا وبعضنا ينظر إلى بعض، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت له كلمة كاني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي فقال: والله لتنتعلتنيهما، قال: يقول أبو جابر رضي الله عنه: مه والله لقد أحفظت الفتى فاردد إليه نعله، قال: لا أردهما، [فأل والله صالح] والله لئن صدق القال لأسلبنه، قال: ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد، فلما قدموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فأذوا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها، وأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار، فأول من هاجر إلى المدينة

أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ثم عامر بن ربيعة ثم عبدالله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ أزسلاً إلى المدينة فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيّه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ يَا معشر الأنصار﴾ [إِذْ كُنْتُمْ أَقْدَاءً] قبل الإسلام ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِالْإِسْلَامِ﴾، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾، أي: فصرتُم، ﴿بِرَحْمَتِهِ وَبِدِينِهِ الْإِسْلَامِ﴾، ﴿إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية بينكم، ﴿وَكُنْتُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، أي: على طرف مثل شفا البئر [أي: طرفها]، معناه: وكنتُم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنْقَذَكُمُ﴾ الله ﴿مِنْهَا﴾ بالإيمان، ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَلَتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ﴾، أي: كونوا أمة، ﴿مِنْ﴾ صلة ليست للتبعية؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الزِّنَىٰ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ﴾ [الحج: ٣٠]، لم يُرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد اجتنابوا [جميع] الأوثان، والسلام في قوله: ﴿وَلَتَكُنَّ﴾ لام الأمر، ﴿يَذْعُونَ إِلَىٰ الْأُخْرَىٰ﴾: إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ الْكُفْرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتْلُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر قال: أنا عبد الغافر بن محمد قال: أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان

ثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قال أبو سعيد رضي الله عنهما:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مَنْكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فليُسّاهُ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

أخبرنا أبو عبدالله بن الفضل الخرقى قال: أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبي عمرو عن عبدالله بن عبدالرحمن الأشعري عن حذيفة:

أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدراوردي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبدالعزيز بن مسلم القسَمَلي أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال:

سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْرِزُوا مَن سَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فإني

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمتهم الله تعالى بعقابه».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول:

قال النبي ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فاتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يدي أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخَتَلَوْا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة.

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: هم الحرورية بالشام. قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام، فقال: هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخَتَلَوْا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَسْكُنَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَعَلِيهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ».

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين، وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا تَوَلَّوْا﴾ [النساء: ١١٥]، فإذا انتهوا إليه حزنوا وتسود وجوههم من الحزن، ويبقى أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئاً مما رفع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعاً مؤمناً ويبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون

السجود، ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤوسهم وجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنوا حزناً شديداً فاسودت وجوههم، فيقولون: ربنا ما لنا مسودة وجوهنا، فوالله ما كنا مشركين؟ فيقول الله للملائكة: ﴿اظْهَرُوا كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤]، قال أهل المعاني: ابيضاض الوجوه إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبشواب الله [تعالى]، واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله، يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَّيِّدَةٍ وَزِيَادَةٍ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْظِلُّا رَزَقَهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال: ﴿يَوْمَ يُؤْمَرُ تَائِبَةٌ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَرُ كَايِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢ - ٢٤] وقال: ﴿يَوْمَ يُؤْمَرُ شَافِرَةٌ ﴿حَاجِكَةٌ ﴿شَتِيرَةٌ ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَرُ عَلِيَّا عِبْرَةٌ ﴿[عبس: ٣٨ - ٤٠]، ﴿هَآئِنَا الْاَلَيْنَ ﴿أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، ﴿فَقُذِّقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فإن قيل: كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم؟ وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: حكي عن أبي بن كعب أنه: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم ربهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق. وقال الحسن: هم المنافقون تكلّموا بالإيمان بالستهم، وأنكروا بقلوبهم،

سورة آل عمران

١٠٧

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلِىُّ الْاُمُورِ
 ﴿١٠٧﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَوْ آمَنَ
 اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهٖمْ وَنَهْمُ الْمُؤْمِنُوْنَ
 وَكَرِهْتُمُ الْفٰسِقُوْنَ ﴿١٠٨﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا اَدٰى
 وَلَنْ يَغْنِيْلَكُمْ يَوْمَ لَمْ يَلِذْ اَدْبَارُكُمْ لَا يَنْصُرُوْنَ ﴿١٠٩﴾ ضَرِبْتَ
 عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ اِنَّ مَا كَفَرُوْا اِلَّا يَحْبِلُ مِنْ اَلَلّٰهِ وَحَبْلِ بَنِ الْاَنَاسِ
 وَيَا مَعْصِيْ مِنَ اَللّٰهِ وَضَرِبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذٰلِكَ
 بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِقَايَتِ اَللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْبِيَاۡءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَاَكَاوَا يَعْتَدُوْنَ ﴿١١٠﴾ لَيْسُوا سَوَآءً
 مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قَالِمَةٌ يَتْلُوْنَ ءَايٰتِ اَللّٰهِ مَا تَلَآتِلِ
 وَهُمْ يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿١١١﴾ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ
 وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُوْنَ
 فِي الْخَيْرٰتِ وَأُوْلٰئِكَ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١١٢﴾ وَمَا يَفْعَلُوْا
 مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفِّرُوْهُ وَاَللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١١٣﴾

٦٤

أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

﴿١٠٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ففي جنة الله، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿١٠٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلِىُّ الْاُمُورِ﴾.

﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالوا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورؤي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جوبير عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة، الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم. ورؤي [عن] عمر بن الخطاب قال: كنتم خير أمة أخرجت للناس تكون

وعن عكرمة: إنهم أهل الكتاب آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، فلما بُعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر، قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس ذووني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ فوالله ما يرحوا يرجعون على أعقابهم».

وقال الحارث الأعور: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة، وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية، ثم نادى: هم الذي كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشي هني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة:

لاولنا ولا تكون لآخرنا.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبي حمزة قال: سمعت زهدهم بن المضرب عن عمران بن حصين رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وقال: «إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يُشهدون، ويندرون ولا يؤفون، ويظهر فيهم السمن».

وبهذا الإسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد:

عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن

أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مَدَّ
أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله ﴿كُنْتُمْ﴾ أي: أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ صلة قوله ﴿خَيْرٌ أُمَّةٍ﴾، أي: أنتم خير الناس للناس.

قال أبو هريرة معناه: كنتم خير
الناس، تجيئون بهم في السلاسل
فتدخلوهم في الإسلام، قال قتادة:
هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي قبله
بالقتال، فهم يقتلون الكفار
فيدخلوهم في دينهم، فهم خير أمة
للناس، وقيل: «للناس» صلة قوله
أخرجت أي: ما أخرج الله للناس
أمة خيراً من أمة محمد ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو
إسحاق الشعلبي أنا أبو عبد الله
الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو
علي الحسين بن محمد بن حبيش
المقري أنا علي بن زنجويه أخبرنا
سلمة بن شبيب أنا عبد الرزاق أنا
معمّر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن
جده:

أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن

محمد الفيركي أخبرنا أبو عبدالله
محمد بن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو
الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا
علي بن زيد عن أبي نُصْرَةَ عن أبي
سعيد الخدري:

عن النبي ﷺ قال: «ألا وإن هذه
الامة توفى سبعين أمة هي خيرها
وأكرمها على الله عز وجل».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضل أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال عبدالرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأبح أنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ: «مثل أمي
مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم
آخره».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو
إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد
المخلدي أخبرنا أبو نعيم
عبد الملك بن محمد بن عدي أخبرنا
أحمد بن عيسى التنيسي أخبرنا
عمرو بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن
عبد الله عن زهير بن محمد عن
عبد الله بن محمد بن عقيل عن
الزهرى عن سعيد بن المسيب عن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حُرِّمَتْ على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرِّمَتْ على الأمم كلهم حتى تدخلها أمتي».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال:
أخبرنا أبو إسحاق الشعلبي أنا أبو
عبدالله الحسين بن محمد أخبرنا أبو

القاسم عمر بن محمد بن عبدالله بن
حاتم الترمذي أخبرنا جدي لأمي
محمد بن عبدالله بن مرزوق أنا
عفان بن مسلم أنا عبدالعزيز بن
مسلم أخبرنا أبو سنان يعني
ضرار بن مرة عن محارب بن دثار
عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة».

قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آتَاكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خِيَارًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْيُسُوفُ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أي: الكافرون.

﴿قوله تعالى: ﴿لَنْ يَصُورَهُمْ إِلَّا أَزْجًا﴾﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى مَنْ آمَن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، فأذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: لا يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إِلَّا أَزْجًا باللسان وَعِيدًا وطعنًا، وقيل: كلمة كفر تتأذون بها ﴿وَلَنْ يَصْنَعَهُمْ إِلَّا أَزْجًا﴾، بل يكون لكم النصر عليهم.

﴿ثُمَّ﴾ حُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَفَنَ مَا تُؤَفِّرُونَ، حيث ما وجدوا ﴿لَا يَحْجِلُ مِنْ أَلَدِهِ﴾، يعني: أينما وجدوا استضعفُوا وقتلوا أو سُبُّوا فلا يأمنون إلا بحبل: عهد من الله تعالى بأن يُسْلِمُوهُمَا، وَحَبْلِ بَيْنِ النَّاسِ من المؤمنين ببذل جزية أو أمانٍ، يعني من الله: إلا أن يعتصموا بحبل الله فيأمنوا [على أنفسهم وأموالهم].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَعْزِبَ مِنَ اللَّهِ﴾، رجعوا به، ﴿وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَتَةَ ذَلِكَ يَنتَهِي عَنْهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يَنْتَهِي مِنَ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه، قالت أخبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شراؤنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها، فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ وهو وقف، لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَنْتَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، يعني: المؤمنين والفاسقين، ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِذَا أُذِيَ﴾، ووصف المؤمنين بقوله: ﴿أَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، وقيل: قوله ﴿يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ابتداء كلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواء، ثم ابتداء فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: ﴿أَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله

لم يضيقوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحدوده. وقيل: قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذو أمة، أي: ذو طريقة مستقيمة. ﴿يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿أَتَمَّةٌ﴾ أي: ساعاته، واحداها: إنسي وآناه، مثل نخعي وأنحاء، وإنسي وآناه مثل: معني وأمعاء، وآني مثل منا وأمناء، ﴿وَقَدْ يَسْجُدُونَ﴾، أي: يصلون، لأن السجدة لا تكون في السجود، واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود: هي صلاة العتمة يصلونها ولا يصلها من سواهم من أهل الكتاب، وقال عطاء: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ الآية، يريد: أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً ﷺ، وكان من الأنصار منهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ، منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس، كانوا موحدين يفتسلون من الجنبات ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي ﷺ فصدقوه ونصروه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أُولَدَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمَا وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٤﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجَأُوا بَصُلَافاً مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِ لَوْ تَكُنْ حَبَالاً وَدُؤَاماً عَيْتُمْ قَدْ بَدَّتْ الْعِصْيَةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحِصِي صُدُورُهُمْ أَكْثَرَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ مُعَقِلُونَ ﴿١١٥﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِغُيُوبِهِمْ وَلَا تَجِدُ لَهَا غَیْبَةً وَلَا تَعْلَمُونَ بِمَا تَكْتُبُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَهْدَ اللَّهِ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَسْأَلُكُمْ حَسَنَةٌ سَأَلُوكُمْ وَإِنْ تُسْأَلُكُمْ سَيِّئَةٌ تَقْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا أَتَقَاتُوا لَا تَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَصْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَاتٍ لِقِتَالِ اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَعِيَالُهُمْ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ وَأُولَئِكَ يَنْتَهُمُ مِنَ الْغَيْبِ﴾.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا بِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالياء فيهما؛ لقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، وأبو عمرو يَرَى القراءتين جميعاً، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تُعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجزلون عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْغَيْبِ﴾، بالمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أُولَدَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يبلغ عن نفسه

تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالآلاد. ﴿وَأَوَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وإنما جعلهم من أصحابهم لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ السَّيْرَةِ الدُّنْيَا﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بدير وأحد على عداوة رسول الله ﷺ وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار [في الدنيا] وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرائي الذي لا يتبغى به وجه الله تعالى، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السُّموم الحارة التي تقتل، وقيل: فيها صِرٌّ أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ لَزَرَ قَوْمٍ﴾، ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿فَأَمَلَكْنَاهُ﴾، فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، [بذلك]، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية.

﴿قوله تعالى: ﴿يَتَكَلَّمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخَلِدُوا بِطَانَةِ رَبِّكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار

والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصفون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿يَتَكَلَّمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخَلِدُوا بِطَانَةِ رَبِّكُمْ﴾، أي: أولياء أصفاء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً بطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مبايعتهم، فقال جل ذكره: ﴿لَا يَأُولُكُمْ حَبَالٌ﴾، أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يؤرثكم الشر والفساد، [والحبال: الشر المفعول الثاني، لأن «يألو» يتعدى إلى مفعولين، وقيل: بترع الخافض، أي بالخبال، كما يقال: أوجعته ضرباً، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: يؤذون ما يشق عليكم من الضّر والشر والهلاك، والعنت: المشقة، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾، أي: البغض، معناه ظهرت أماراة العداوة، ﴿وَمِنْ أَقْوَمِهِمْ﴾، بالشتيمة والوقية في المسلمين، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين، ﴿وَمَا تُخْفِي سُودُكُمْ﴾، من العداوة والغيط، ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ إن كنتم تقولون.

﴿قوله تعالى: ﴿هَاتِئُنَّ مَا نُنَبِّئُكُمْ﴾ كناية للمخاطبين من الذكور، ﴿أَوَلَا﴾ اسم للمشار إليه، يريد: أنتم أيها المؤمنون، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾، أي: تحبون هؤلاء اليهود الذين

نهيتمكم عن مبايعتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿وَلَا يُؤْمِنُكُمْ﴾، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل: هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، يعني: بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم، ﴿وَإِذَا لَقَوُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾، وكان بعضهم مع بعض ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآيَاتِ﴾، يعني: أطراف الأصابع واحدها أنملة بضم الميم وفتحها، ﴿وَمِنْ الْكَاذِبِينَ﴾، لما يرون من اتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، [وعص: الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال]، وإن لم يكن ثم عص، ﴿قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْتِكُمْ﴾، أي: ابقوا إلى الممات بغيطكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: بما في القلوب من خير وشر.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ﴾، أي: تُصَبِّحكم أيها المؤمنون ﴿حَسَنَةً﴾ بظهوركم على عدوكم وغنيمة تالونها منهم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وخصب في معاشكم ﴿تَسْوِفُهُمْ﴾، تحزنهم، ﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف يكون بينكم أو جذب أو نكبة تصيبكم، ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾، وإن تفسروا على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ تخافوا ربكم ﴿لَا يَغُرُّكُمْ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿كَيْدَهُمْ شَيْئاً﴾، قرأ ابن كثير ونافع

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفَكُمُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفُرْكُمْ أَنْ يَبْدُكُمْ رَبَّكُمْ بِأَلْفَيْنِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مِثْرَ لَيْلٍ ﴿١٢٣﴾ لَنْ أَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَأَتُوكُمْ مِنْ قُورَيْهِمْ هَذَا يَبْدُكُمْ رَبَّكُمْ بِأَلْفَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا لِبَشَرِكُمْ وَلِطَمَعِينَ قُلُوبُكُمْ وَمَا أَقْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٥﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمِبُمْ فَتَقِلُّوا أَغْيَابًا ﴿١٢٦﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظِلْمُوتٌ ﴿١٢٧﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ لِمَنْ يَشَاءُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ يَأْتِيهَا الْيُزَيْنُ مَأْمُورًا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٩﴾ وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُهِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣١﴾

فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق، وإن رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي، وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب، لا يرون أنا جئنا عنهم وضعفنا، وقال رسول الله ﷺ: «إنني رأيت في منامي بقرًا تدبح

وأهل البصرة: ﴿لَا يَتْرُكُكُمْ﴾ بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير ضيراً، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضَرَّ يَضِرُّ ضراً، مثل ردَّ يردُّ رداً وفي رفعه وجهان، أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم أدغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الثانية اتباعاً، والثاني: أن يكون لا بمعنى ليس ويضم فيه الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضرركم كيدهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْعَوْنَ يَجِيطُ﴾، أي: عالم.

﴿وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَمَلِكِ ثُبُوتِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلُودَ الْقِتَالِ﴾، قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أحد، لأن ما بعده إلى قريب من آخر السورة في حرب أحد، وقال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة رضي الله عنها يمشي على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح.

قال محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما:

إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبدالله بن أبي ابن سلول ولم يدع قط قبلها فاستشاره، فقال عبدالله بن أبي وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه،

صلى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج إليهم، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من [أمر] حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَمَلِكِ﴾ أي واذكر إذ غدوت من أهلك ﴿ثُبُوتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزل المؤمنين ﴿مَقْلُودَ الْقِتَالِ﴾، أي: مواطن، ومواقع للقتال، يقال: بوات القوم إذا وطنتهم، وتبوءوا هم إذا تواطنوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْزِعًا صَدَقَ﴾ [يونس: ٩٣]، وقال: ﴿إِنْ بَوَّأْنَا لِقَوْمِكَ يَضْرِبُكَ﴾ [يونس: ٨٧]، وقيل: تتخذ معسكراً، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾، أي: تَجَبْنَا وتضعفنا

فأولئها خيراً، ورايت في ذباب سفي ثلماً فأولئها هزيمة، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولئها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة، وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا في الأزقة، فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله ﷺ من حيهب للقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبس لأمته فلما رآه قد لبس السلاح ندموا، وقالوا: ينس ما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، فقاموا واعتدوا إليه وقالوا: اصنع ما رأيت، فقال ﷺ: «لا ينبغي لني أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل»، وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعدما

وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبدالله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبدالله بن أبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبدالله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، ناصرهما وحافظهما [عن الانصراف من القتال]، ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فُلَيْتَوَكِّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن [عمرو] عن جابر قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بنو سلمة وبنو حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَصَّرْنَاكُمْ﴾، ويذكر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع، وعليه الأكثر، وقيل: اسم لبشر هناك، وقيل: كانت بدر بئراً لرجل يقال له

بدر، قاله الشعبي، وأنكر الآخرون عليه، يذكر الله تعالى في هذه الآية مِثْقَلَهُمْ بالنصرة يوم بدر، ﴿أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فنصرهم الله مع قلة عَدِيدِهِمْ وَعُدُوهُمْ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَيْبَكُمْ﴾، اختلفوا في هذه الآية، فقال قتادة: كان [هذا] يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة؛ كما قال: ﴿فَأَنْتَجَبَ لَكُمْ أَيْ مُبَدِّلَكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكرهنا، ﴿ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَتَوَقَّوْا وَأَتَوْكُم مِّن قَوْمِهِمْ هَذَا يَتَّبِعُكُمْ يَحْسَبُ أَنَّكُمْ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف [من الملائكة] كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف رداء المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكونون عدداً ومدداً.

قال محمد بن إسحاق: لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي، وفتى شاب يتنبل له فلما فني النبل أتاه به فنشره، فقال: ارم أبا إسحاق مرتين، فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يُعرف.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: أخبرنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني: جبريل وميكائيل.

وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر: أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَيْبَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع فلم يأتهم ولم يمدّهم، فلم يمدّهم الله أيضاً بالخمسة آلاف، وكانوا قد أمدوا بألف.

وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدّهم أيضاً في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدّهم الله حتى حاصروا قريظة والنضير.

قال عبدالله بن أبي أوفى: كُتِبَ

محاضري قريظة والنضير ما شاء الله
فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا
رسول الله ﷺ بغسل فهو يغسل
رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام،
فقال: وضعت أسلحتكم ولم تضع
الملائكة أوزارها؟ فدعا
رسول الله ﷺ بخرقه فلف بها رأسه
ولم يغسله، ثم نادى فينا فقمتا حتى
أتينا قريظة والنضير، فيومئذ أمدنا الله
تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة،
ففتح لنا فتحاً يسيراً.

وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا
يوم أحد وَعَدَّهم الله المَدَدَ إن صَبَرُوا
فلم يصبروا فلم يُمدَّوا به.

قوله تعالى: ﴿إِن يُدْرِكُمْ يَتَبَوَّأُونَ﴾،
الإمداد: إعانة الجيش بالجيش،
وقيل: ما كان على جهة القوة
والإعانة، يقال فيه: أمدّه إمداداً، وما
كان على جهة الزيادة، ويقال فيه:
مدّه مدّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ
يُدْمِدُكُمْ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقيل: المدّ
في الشر، والإمداد في الخير، يدلّ
عليه قوله تعالى: ﴿يُدْمِدُكُمْ فِي
طُلُوعِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ
يَنْ أَلْمَذَابِ مَدّاً﴾ [مريم: ٧٩]، وقال
في الخير: ﴿إِنِّي مُدِّدُكُمْ بِأَنْفٍ مِنْ
الْمَلَكِ مَرْدِيَّةٍ﴾ [الأنفال: ٩]،
وقال: ﴿وَأَمْدُكُمْ بِأَنْفٍ وَبَيْنٍ﴾
[الإسراء: ٢٦]، قوله تعالى:
﴿وَلَنَنْزِلَنَّ الْآلِفَ مِنَ الْمَلَكِ مُنْزِلِينَ﴾ قرأ
ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير؛
لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْزَلْنَا لَأَلِيمُ
الْمَلَكِ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ
الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى:
﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْنَا الْمَلَكِ﴾ [الفرقان:
٢١]، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْ جُودًا لَوْ

تَرَوْكَا» [التوبة: ٢٦]، ثم قال: ﴿لَا يَمَسُّكُمْ﴾ «وَأَنْ تَصِيْرُوا» لعدوكم «وَتَتَّقُوا» مخالفة نبيكم «وَأَتَوْكُم» [يعني المشركين] «ثُمَّ فَوَّيْهِمْ هَذَا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، «يَتَذَكَّرُكُمْ رَبُّكُمْ بِعَسَّةَ الْكُفْرَيْنَ الثَّلَاثَةِ»، لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله: «تُسَوِّمُونَ»، أي: معلمين، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر الواو أراد أنهم سَوَّموا خيلهم، ومن فتحها أراد به أنفسهم، والتسويم: الإعلام من السومة وهي العلامة، واختلفوا في تلك العلامة، فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفراء، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: [كانت عليهم] عمائم بيضاء قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عمائم صفراء مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعنه في نواصي الخيل وأذناها، وزوي أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «تَسَوِّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ بِالصُّوفِ الْبَيْضِ فِي قُلَانِهِمْ وَمَغَارِفِهِمْ».

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ يعني هذا الوعد والممدد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، أي: بشارة لتستبشروا به

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ ولتسكن ﴿مَثْوًىكُمْ يَوْمَ﴾
فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة
عددكم، ﴿وَمَا أَتَّبَعُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾
الْمُهَيَّزِ لِلْمَكِيدِ، يعني: لا تحيلوا
بالنصر على الملائكة والجند، فإن
النصر من الله تعالى فاستعينوا به
وتوكلوا عليه، فإن العز والحكم له.
﴿قوله تعالى: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾، يقول لقد نصركم الله
[يبدل] ليقطع طرفاً، أي: لكي يهلك
طائفة من الذين كفروا، وقال
السدي: معناه ليهدم ركناً من أركان
الشرك بالقتل والأسر، فقتل من
قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون
وأُس سبعون، ومن حمل الآية على
حرب أحد، فقد قُتل منهم يومئذ
سنة عشر وكان النصر للمسلمين
حتى خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلب
عليهم، ﴿وَأَرْبَكْتَهُمْ﴾ قال الكلبي:
يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم
لوجوهم، قال السدي: يلعنهم،
وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل:
يجزنهم، والمكبوت: الحزين،
وقيل: [أصله] يكبدهم، أي: يصيب
الحزن والغيط أكبادهم، والتاء
والدال يتعاقبان كما يقال: سبت
رأسه وسبده إذا حلقه، وقيل:
يكبتهم بالخيبة، ﴿فَتَقَبَّلُوا خَائِبِينَ﴾،
لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجونه من
الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية.

فقال قوم: نزلت في أهل بشر
معوثة وهم سبعون رجلاً من القراء
بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل بشر

ما أصابهم من جدد الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أذأنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثله لم يمثلهما أحد من العرب بأحد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، [وقيل: أراد النبي ﷺ أن يدعو عليهم بالاستئصال، فنزلت هذه الآية]،

وذلك لعلمه فيهم بأن كثيراً منهم يسلمون. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي: ليس إليك، اللام بمعنى «إلى»؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، أي: إلى الإيمان، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم، أو: إلا أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [اعتراض بين نظم الكلام، ونظم الآية: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله].

﴿١٢٩﴾ ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾.

﴿١٣٠﴾ ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا اٰمٰنَآءَ الْبٰرِئِیْنَ اَصْحٰبًا مُّصٰفَقَةً﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول أجل الدين من زيادة المال على الدين وتأخير الطلب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿فَلَكُمْ تَقْوٰیكُمْ﴾.

﴿١٣١﴾ ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا

اللَّهَ الْعَنَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمٰتٌ﴾.

وقال قوم: نزلت يوم أحد.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ كُسرَت رُبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُكُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ شَجُوا نَبِيَّهْمُ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللَّهُمَّ الْعَن أَبَا سَفِيَانَ اللَّهُمَّ الْعَن الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَن صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةٍ»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فأسلموا وحسن إسلامهم.

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن إسحاق: لما رأى رسول الله ﷺ والمسلمون يوم أحد

﴿١٢٩﴾ وَسَارِعُوْا اِلَىٰ مَغِيْرٰتِكُمْ وَرَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴿١٣٠﴾ الَّذِيْنَ يُغْفِرُوْنَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكٰظِمِيْنَ الْغَيْظَ وَالْعَٰفِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٣١﴾ وَالَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا فَحِشَةً اَوْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اِلَهَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ وَمِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ اِلَّا اِلَهًا وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلٰٓى مَا فَعَلُوْا وَهُمْ يَصَلُّوْنَ ﴿١٣٢﴾ اُولٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا اِلَٰهًا اَعْمِلٰنَ ﴿١٣٣﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوْا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُكْفَرِيْنَ ﴿١٣٤﴾ هٰذَا بَيٰٓآتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿١٣٥﴾ وَلَا تَهِنُوْا وَلَا تَحْزَنُوْا اَنْتُمْ اَلْاَعْلَوْنَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٣٦﴾ اِنْ يَسْتَكْبِرُوْا فَخُفِّضْهُمْ مِّنَ الْقَوْمِ فَزَيِّدْهُمْ فِيْ سُلٰٓةٍ وَتِلْكَ اَلْاٰتِيَآءُ نُّذٰرٌ لِّهَآئِیْنَ النَّاسِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴿١٣٧﴾ ءٰمَنُوْا وَاتَّخِذُوْا مِنْكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِيْنَ ﴿١٣٨﴾

معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلّموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، وقتت شهراً في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهري قال: حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول:

أَن تَارَ الْآلِ أَيْ أُبَيِّنَ لِلْكَافِرِينَ.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا.

﴿وَسَارِعُوا﴾ قرأ هل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الباقون بالسواو ﴿إِلَّا مَقْفَرًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [أي] بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي تُوجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، ورؤي عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل:

إلى الأعمال الصالحة. ورؤي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، كما قال في سورة الحديد: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكبر من عرضه، يقول: هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: وإنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله [تعالى] وهذا على التمثيل لا أنها كالسماوات والأرض لا غير معناه: كعرض السماوات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، كقوله تعالى:

﴿خَلِيلُكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] يعني: عند ظنكم وإلا فهما زائلتان، وروي عن طارق بن شهاب: أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده

أصحابه رضي الله عنهم، قالوا: أرايتم قوله ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ فقال: عمر: أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار فأين يكون الليل؟ فقالوا: إنه لمثلها في التوراة، ومعناه أنه حيث يشاء الله، فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنشَأْنَا رَفْدَكَ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وأراد بالذي وعدنا: الجنة فإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السماوات والأرض قيل إن باب الجنة في السماء وعرضها السماوات والأرض، كما أخبر، وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: أنفي السماء [هي] أم في الأرض؟ فقال: [و] أي أرض وسماء تسع الجنة؟ ف قيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش [و] قال قتادة: كانوا يرون [أن] الجنة فوق السماوات السبع، وأن جهنم تحت الأرضين السبع. ﴿أُبَيِّنَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْفَرَاءِ﴾، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وقد جاء في الحديث.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عمر الفراتي أخبرنا أبو العباس أحمد بن إسماعيل العنبري، أخبرنا أبو عبدالله بن حازم البغوي بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيى بن سعيد عن

الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخل».

﴿وَالصَّغِيرُ الْغَيْظُ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلئ غيظاً فيردّه في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقُلُوبَ لَنَاصِحٌ كَظِيمٌ﴾ [غافر: ١٨].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الإسفراييني أخبرنا أبو عبدالله بن محمد بن زكريا الغلابي أخبرنا روح بن عبدالمؤمن أخبرنا أبو عبدالرحمن المقرئ أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدُرُ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَا اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يَخْتِيرَهُ مِنْ آتِي الْحُورِ شَاءَ».

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال الكلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُعْتَصِمِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

قال ابن مسعود: قال المؤمنون: يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله متاً، كان أحدهم إذا أذنب [أصبحت] كفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بابه، اجدع أنفك أو أذنك، افعل كذا وكذا، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال عطاء: نزلت في نيهان التمار وكنيته أبو معبد أنه امرأة حسناء، تبتاع منه تمرأ فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجود منه، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: اتق الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ، وذكر ذلك، فنزلت هذه الآية.

وقال مقاتل والكلبي: أخطى رسول الله ﷺ بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفي في غزاة واستخلف الأنصاري على أهله فاشتري لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثرها وقبل يدها، ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقيفي [من الغزاة] لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله، فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله ووصفت له الحال، والأنصاري يسبح في الجبال تائباً مستغفراً، فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً وقال الأنصاري: هلكك، وذكر القصة، فقال أبو بكر: ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، ثم أتيا

عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك، فأتيا النبي ﷺ فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا فَتْحَةً﴾.

يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا، ﴿وَأَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبله أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر. وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيد الله، أن الله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يقيموا ولم يشبوا عليه، ولكن تابوا وأتابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العيد ذنباً عمداً إصراراً حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرّياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نصيرة قال: لقيت مولى لأبي بكر رضي الله عنه فقلت

له: أَسَمِعْتَ من أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ:

«ما أصرّ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة».

﴿وَهُمْ يَلْمِزُوكَ﴾، قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله [تعالى] يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسين بن الفضل: أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غُفِرَ لهم.

﴿أَوَّلَئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَزَاءُ تَجَرَّتْ بِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَقَمَ أَجْرُ الْكَافِرِينَ﴾، ثواب المطيعين.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرّياني أنا حميد بن زنجويه أنا عفان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة وإذا حلف لي صدقته، وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه: سمع رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ عَبْدٍ مُّؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي ثُمَّ

يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ورواه أبو عيسى عن قتبية عن أبي عوانة وزاد: ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [لك عمران: ١٣٥] الآية.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبد الملك أخبرنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: كان قاضٍ بالمدينة يقال له: عبدالرحمن بن أبي عمرة فسمعتة يقول:

سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَذْنِبَ ذَنْبًا فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنِبَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن مغلي كرب، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى [قال]:

«قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ابن آدم إنك إن تلقاني بقرباب الأرض خطايا لقيتُك بقربابها

مغفرة بعد أن لا تُشرك بي شيئا، ابن آدم إنك إن تُذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرنني أغفر لك».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسن بن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:

«قال الله تعالى: مَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو فَضْلَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا».

قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ إلـى آخرها.

﴿قوله تعالى﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ، قال عطاء: شرائع، وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا تبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم، وقيل: سنن أي: أمم، والسنة: الأمة، قال الشاعر:

ما عاينَ النَّاسَ مِنْ فَضْلِ كَفَضِلِكُمْ
وَلَا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سَالِفِ السَّنَنِ
وقيل معناه: أهل السنن، والسنة [هي]: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سن فلان سنة حسنة، وسنة سيئة إذا عمل عملاً اقتدي به فيه من خير وشر، ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة،

بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإذالة أنبيائي عليهم. ﴿فَيُفْرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: آخر أمر المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فإنا أمهلهم واستدراجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿مَكَذَا﴾ أي: هذا القرآن، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، عامة، ﴿وَمَكَذَى﴾، من الضلالة، ﴿وَوَعَدَةُ الْوَعْدِينَ﴾، خاصة.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجراح يوم أحد، يقول الله تعالى: وَلَا تَهِنُوا أَي: لَا تَضَعُفُوا وَلَا تَجْبُونُوا عَنْ جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ بِمَا نَالَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ: حمزة بن عبدالمطلب ومُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعُونَ رَجُلًا، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ فإِنَّكُمْ وَأَنْتُمْ الْأَخْلَاقُونَ بِأَنْ يَكُونَ لَكُمْ الْعَاقِبَةُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعنني: إذ كنتم مؤمنين [علي سنتي] أي: لأنكم مؤمنون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

الْمَائِدَةُ

وَالْيَحْصَصُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُ الْكٰفِرِيْنَ ۖ اَمْرٌ حَسِيْٓمٌ اَنْ تَدْخُلُوْا اِلَآءَ اَٰلِهَةٍ وَلَمْ يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَهِلْتُمْ بِمَنكُمْ وَيَعْلَمُ الصّٰدِقِيْنَ ۝۱۳۹ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّوْنَ اَلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَآيْتُمُوْهُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ۝۱۴۰ وَمَا عٰمِدُ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٖ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ اَنْقَلَبْتُمْ عَلٰٓى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰٓى عَقْبِهٖ فَلَنْ يَصُرَ اِلَآهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰكِرِيْنَ ۝۱۴۱ وَمَا كَانَ لِتُنْفِيسِ اَنْ تَمُوْتُۤ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ كُنَّا مُّؤَمِّدًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَاَوْفُواْ بِهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فَاَوْفُواْ بِهَا وَسَيَجْزِي الشّٰكِرِيْنَ ۝۱۴۲ وَكَانَ مِنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيْثُوْنَ كَثِيْرًا فَمَآ وَهَمُّوْاۤ اِلَّا اَصَابَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَمَآ ضَعُفُوْا وَمَآ اسْتَكْبَرُوْا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰدِقِيْنَ ۝۱۴۳ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوْا رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَاِصْرَآفَآ نَاۤ اِمْرًا وَكَذِبَتْ اَقْدَامُنَا وَاصْرَفْنَا عَلِ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ۝۱۴۴ فَانْلٰهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْحٰسِنِيْنَ ۝۱۴۵

٦٨

من أحد مع الكآبة والحزن، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَجٌ يَوْمَ أَحَدٍ، فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَجٌ يَسْفُلُهُ﴾، يوم بدر، ﴿وَتِلْكَ الْاٰيَاتُ لِّتَذٰوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فيوم لهم ويوم عليهم، أدبيل المسلمون على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدبيل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منه سبعين وقتلوا خمسا وسبعين.

أخبرنا عبد الواحد بن

أحمد الميلحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يحدث قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تَبْرَحُوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم فلا تَبْرَحُوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فإننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ قالوا: والله لئن أتيت الناس فلنصين من

الغنيمة، فلما أتوهم صرقت وجوههم فأقبلوا منهزمين. فذلك قوله ﴿وَأَرْسُولٌ يَذُوقُكُمْ فِيْ أَخْرَجْنٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا مئتا سبعين. وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هُبُلُ أعل هُبُلُ، فقال النبي ﷺ: «ألا تحجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا لله أعلى وأجل»، قال إن لنا العُزى ولا عُزى لكم، فقال النبي ﷺ: «ألا تحجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم».

وروي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان: يوم بيوم وإن الأيام ذول والحرب سجال، فقال عمر رضي الله عنه: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاك في النار.

قال الزجاج: الدولة تكون

يعلون علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك»، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزمهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾.

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الجراح، فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِيْ ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَجٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿فَرَجٌ﴾ بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجد، وقال الفراء: [القرح] بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا

للمسلمين على الكفار، لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنْدًا لَّكُمْ الْيَوْمَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ. قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: إنما كانت هذه المداولة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، يكرم أقواماً بالشهادة، ﴿وَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَالِينَ﴾.

﴿وَلَيَحْصَحَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يظهركم من الذنوب، ﴿وَيَتَعَقَّ الْكُفْرُوتَ﴾، يفنيهم ويهلكهم، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محققهم واستئصالهم.

﴿أَنزَحْتُمْ﴾ أي: أحسبتم؟ ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَكِن يَلْعَنُ اللَّهُ﴾ [أي: ولم يعلم الله]، ﴿الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْقَادِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ﴾، وذلك أن قوماً من المسلمين تمثوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله: ﴿تَمَتُّونَ الْمَوْتَ﴾ أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ يعني: أسبابه، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، بعد قوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: معناه: وأنتم تنظرون إلى رسول الله ﷺ.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾﴾ قال أصحاب المغازي:

خرج رسول الله ﷺ حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل، وجعل عبدالله بن جبير [وهو أخو خوات بن جبير] على الرجال، وكانوا خمسين رجلاً، وقال: أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عثاً بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وأنا لن نزال غاليين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله ﷺ سيفاً فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يُشخن، فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، فلما أخذه اعتنم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله ﷺ: «إنها لَمُسِيَّةٌ يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع»، ففلق به هام المشركين، وحمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم.

وروي عن البراء بن عازب قال: فأننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة والله لثاين الناس فلنُصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم.

قال الزبير بن العوام: فرأيت هنداً وصواحباتها هاربات مصعدات في

الجبل، باديات خدامهن ما دون أخذهن شيء، فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم يتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب، فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم فهزموهم وقتلوهم، ورمى عبدالله بن قميصة رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه، ورُباعيته وشجه في وجهه فأنقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها، وكان قد ظاهر بين درعين، فلم يستطع أن ينهض إليها فجلس تحته طلحة [فنهض] حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْجِبْ طَلْحَةُ» وقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدغن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد، وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد حمزة فلاكنها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها، وأقبل عبدالله بن قميصة يريد قتل النبي ﷺ فذُذِبَ عنه مصعب بن عمير - وهو صاحب راية رسول الله ﷺ - عن رسول الله ﷺ فقتله ابن قميصة، وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع إلى المشركين وقال: إني قتلنا محمداً وصاح صارخ ألا إن محمداً قد قُتل، ويقال: إن ذلك الصارخ كان إبليس لعنة الله عليه، فانكفأ الناس، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ»، فاجتمع إليه

ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سيئة قوسه، ونثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال له: «إرم فذاك أبي وأمي»، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، وكان إذا رمى أشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبلة، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقى بها رسول الله ﷺ، وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ مكانها، فعادت كأحسن ما كانت، فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي، وهو يقول: لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله لا يعطف عليه رجل مثا؟ فقال ﷺ: دعوه حتى إذا دنى منه، وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ فيقول له: عندي رمكة أعلفها كل يوم فزق ذوة أفتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: «بل أنا أفتلك إن شاء الله»، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه، فخدشه خدشة فتدهأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فأخذه أصحابه وقالوا: ليس عليك بأس، فقال: بلى لو كانت هذه الطعنة بريعة ومُضر لقتلتهم، أليس قال لي: أفتلك؟ فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث إلا يوماً

حتى مات بموضع يقال له سرف.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي [حدثنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن علي أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتد غضب الله على من قتل نبي واشتد غضب الله على من دس وجه رسول الله ﷺ.

قالوا: وفشا في الناس أن محمداً قد قُتل فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا وألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان [محمد] قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ وموتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شد بسفيه فقاتل حتى قُتل، ثم إن رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس، فأول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، فقال: عرفت عينه تحت المغفر تزهرا فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي أن

اسكت، فانحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم النبي ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبي الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قد قُتلت، فزُعت قلوبنا فولينا مديرين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده
ببرهانه والله أعلى وأمجّد
وشق له من اسمه ليُجلّه
فدو العرش محمود وهذا محمد
قوله تعالى: ﴿فَإِذْ نَادَىٰ أَنِ قَاتِلْ أَتَقَاتِلَ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَيُّ رَجَعْتُمْ إِلَىٰ دِينِكُمْ الْأُولَ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ، فَيُرَدِّدْهُ مِن دِينِهِ، فَكَانَ يَمُورُ اللَّهُ شَيْفَاً، يَارْتَدَادُهُ وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾، قال الأخفش: اللام في ﴿لِنَفْسٍ﴾ منقولة [من تموت] تقديره: وما كانت نفس لتموت، ﴿وَلَا يَأْذَنُ اللَّهُ﴾، بقضائه الله وقدره، [وقيل: بعلمه]، وقيل: بأمره، ﴿كُنَّا تُوجَلًا﴾ أي: كتب لكل نفس أجلاً لا يقدر أحد على تغييره وتأخيرها، ونصب ﴿كُنَّا﴾ على المصدر، أي: كتب كتاباً، ﴿وَمَنْ يَرِثْهُ تَوَابٌ أَكْبَرُ مِمَّا يَنْتَهِا﴾

يعني: من يُرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نُؤْتَهُ منها ما يكون جزاء لعمله، يريد نُؤْتَهُ منها ما يشاء مما قدرناه له، كما قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالِجَةَ عَمَلًا لَمْ يَفِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قُتلوا، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، أي: المؤمنين المطيعين.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أخبرنا أبو الحسن أحمد [بن محمد] بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم عبدالصمد الهاشمي أنا أبو يحيى محمد بن عبدالله بن يزيد بن عبدالرحمن المقرئ أنا أبي أنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشنت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله له».

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن توبة الزرّاز أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس بن محمد الجرحاني وأبو أحمد محمد بن أحمد المعلم الهروي قالوا: أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي أخبرنا

حيان بن موسى وعبدالله ابن أسماء ابن أخي جويرية بن أسماء قال: أخبرنا عبدالله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّجْوَى فَنَظَرَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ﴾، قرأ ابن كثير «وكائن» بالمد والهمزة على وزن فاعل، وبتليين الهمزة أبو جعفر، وقرأ الآخرون ﴿وَكَايْنٍ﴾ بالهمزة والتشديد على وزن كَعَيْنٍ، ومعناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضُمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، ويقف بعض القراء على ﴿وَكَايْنٍ﴾ بلا نون، والأكثرون على الوقف بالنون، قوله: ﴿فَنَظَرَ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون ﴿فَنَظَرَ﴾ فمن قرأ ﴿فَنَظَرَ﴾ فليقلوه: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قُتلوا، لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبياً قُتل في القتال، ولأن ﴿قاتل﴾ أعم، قال أبو عبيدة: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلاً فيه، وإذا حمد من قُتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان ﴿فَنَظَرَ﴾ أعم، ومن قرأ «قُتل» فله

ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون القتل راجعاً إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه، والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ راجعاً إلى الباقين، والوجه الثالث: أن يكون القتل للربيين لا غير، وقوله: ﴿رَيْثُونٌ كَثِيرٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الربيون الأثوف، وقال الكلبي: الرئيثة الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحّاك: الرية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والربانيون الولاة والربيون الرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أي: فمنا جَبَنُوا، ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقُتل الأصحاب. ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾، قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلّوا، وقال عطاء وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُصْتَبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾، نصب على خبر كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما

رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم: «احموا ظهورنا فإن رأيتونا قد غَنِمْنَا فلا تُشْرِكُونَا وإن رأيتونا نقتل فلا تُنْصِرُونَا». وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف، حتى ولّوا هاربين.

فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْشُرُونَهُمْ يَإِذْذِيهِ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله، قال أبو عبيدة: الجس: الاستئصال بالقتل، ﴿حَتَّى إِذَا قُتِلْتُمْ﴾ أي: إن جبنتم، وقيل: معناه فلما فشلتم، ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾، والواو زائدة في ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ يعني: [حتى] إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فقتلتم.

ومعنى التنازع الاختلاف، وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ، وثبت عبدالله بن جبير في نفر يسير دون العشرة، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبدالله بن جبير وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت ديوراً بعد ما كانت صباً، وانتفضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش، ونادى

مَوْلَانَكُمْ، ناصركم وحافظكم على دينكم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بشس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما

هَمُّوا به فذلك قوله تعالى سنلقيهم في قلوب الذين كفروا الرعب، الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب ﴿الرُّعْبَ﴾ بضم العين، وقرأ الآخرون بسكونها، ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا يَأْلُو مَا لَمْ يُمَزَّلْ يَوْمَ سُلْطَنَاهُمْ﴾ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ، ﴿وَمَا وَهُمْ أَلَا كَذَّابٌ وَيَقْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾، مقام الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ مَكَانَهُمْ وَعَدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد [و] قد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فانزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ مَكَانَهُمْ وَعَدَهُ﴾ بالنصر والظفر، وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء، ﴿إِذْ تَحْشُرُونَهُمْ يَإِذْذِيهِ﴾، وذلك أن

يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُؤُوسِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَتَنَقَّلُوا خَيْرِينَ ﴿١٤٨﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٩﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا يَأْلُو مَا لَمْ يُمَزَّلْ يَوْمَ سُلْطَنَاهُمْ وَمَا وَهُمْ أَلَا كَذَّابٌ وَيَقْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ مَكَانَهُمْ إِذْ تَحْشُرُونَهُمْ يَإِذْذِيهِ إِذَا قُتِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ أَنْ تُبِيدُوا مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْأَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غَيْبَتَهُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾ إِذْ تَصْحَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَكْبَادٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُمُ عَمَّا يَخْرُجُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يُرِيدُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾

كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آفِرْنَا دُونَنَا﴾ أي: الصغار، ﴿وَأَسْرَفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾، أي: الكبار، ﴿وَكَيْتَ أَفْدَانَا﴾، كي لا تنزول، ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْرِ الْكَافِرِينَ﴾، يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد ﷺ، ﴿فَقَالَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، النصر والغنيمة، ﴿وَحُشْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، أي: الأجر والجنة، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه، يعني: المنافقين في قولهم: للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم، ﴿يُرْجِعُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، يرجعوكم إلى أول أمركم [من] الشرك بالله، ﴿فَتَنَقَّلُوا خَيْرِينَ﴾، مغبونين.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهُ

إليس لعنه الله إن محمداً قد قتل، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَصَبَّحْتُمُ﴾ يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره، ﴿وَبَدَّ مَا أَرْنَكُمُ مَا تُحِبُّونَ﴾ [الله] ﴿ثُجُبُونُ﴾ يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يعني: الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير حتى قتلوا، قال عبدالله بن مسعود: وما شعرت أحداً أن من أصحاب النبي ﷺ يُريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ مَرَكْتُمْ عَنْهُمْ﴾، أي: ردكم عنهم بالهزيمة، ﴿فَبَيَّضَتْكُمْ﴾، ليبتحنكم، وقيل: ليُنزل عليكم البلاء ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾، فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة [منكم لأمر نبيكم] ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذْ تُصِيدُونَ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تُصِيدُونَ هارين، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة «تَصْعَدُونَ» بفتح التاء والعين، والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين، والإصعاد: السير في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذ أبعد في الذهاب، وكلنا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مُصْعِدٌ وصاعد، وقال المفضل: صعد وأصعد صَعَدَ بمعنى واحد، ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرجون ولا تقيمون على أحد، لا

يلتفت بعضهم إلى بعض، ﴿وَالرُّسُلُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾ أي: في آخركم ومن ورائكم إلي عباد الله فأننا رسول الله من يكرهه الجنة، ﴿فَأَذَانُكُمْ﴾، فجازاكم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الشواب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِكَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] جعل البشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الشواب الذي كنتم ترجون ﴿عَفَا يَعْنِي﴾، وقيل: الباء بمعنى على، أي:

غماً على غم، وقيل: غماً متصلاً بغم، فالغم الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالهم من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: ما سمعوا أن محمداً ﷺ قد قُتل فأنساهم الغم الأول، وقيل: الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان.

وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رآه وضع رجل سهماً في قوسه وأراد أن يرميه، فقال: «أنا رسول الله»، ففرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ [وفرح النبي ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكَ مِنْ بَدْوٍ الْقُرْآنُ آمَنَ مَا سَأَلْتَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَمَا طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَأَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاهِيهِمْ وَلَيَسْتَلِیَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَصِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٤﴾ يَتْلُوهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْحَنُوا كَالَّذِينَ ذُكِّرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَقُولُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٥﴾ وَلَئِنْ قُلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُمْسِكِينَ مَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٦﴾

منه، ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله ﷺ: «ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبد في الأرض»، ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، وقيل: إنهم عَفَا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿وَلَوْ بَدَّى الْقُرْآنُ آمَنَ﴾

وهي الخطيئة، وقيل: أزل واستزل بمعنى واحد، ﴿بِتَعْصُونَ مَا كَسَبُوا﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿وَقَالُوا لَا خَافِيَةَ مِنَّا﴾، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ أي: غزاة جمع غزاة فقتلوا، ﴿كُلُوا كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَالُوا وَمَا قَاتَلُوا لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعني: قولهم وظنهم، ﴿حَسْرَةً﴾ (غنا) ﴿فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخْبِي وَيَكُنُّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «يعملون» بالياء، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿وَلَكِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾، قرأ نافع وحمزة والكسائي «مُتُّمْ» بكسر الميم، وقرأ الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت، كقولك: من قال يقول قلت، بضم القاف، ومن كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف يخاف خِفْتُ، ﴿لَمَعْفُورَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾، في العاقبة، ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، من الغنائم، قراءة العامة «تجمعون» بالياء، لقوله ﴿وَلَكِن قُتِلْتُمْ﴾ وقرأ حفص عن عاصم «يجمعون» بالياء، يعني: خير مما يجمع الناس.

﴿وَلَكِن مِّمَّنْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِمَلِكِ اللَّهِ

تَحْشُرُونَ﴾، في العاقبة.

﴿١٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فبرحمة من الله، ﴿وَمَا﴾ صلة، كقوله ﴿فِيمَا نَقَضُوا﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿وَأَمَلْتُ لَهُمْ﴾ أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تُسرغ إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد، ﴿وَكُلُوا كُنْتُمْ قُلُوبًا﴾ يعني: جافياً سيء الخلق قليل الاحتمال، ﴿غَلِظَ الْقُلُوبُ﴾، قال الكلبي: فظاً في القول غليظ القلب في الفعل، ﴿لَا تَقْصُرُوا مِنَ الْوَعْدِ﴾، أي: لنفروا وتفرقوا عنك، يقال: فضضتهم فانفضوا، أي: فرقهم تفرقوا ﴿فَأَقَعَتْ غَتَمٌ عَنْهُمْ﴾، تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم، ﴿وَسَأَلُونَهُمْ فِي الْأَكْثَرِ﴾ أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، من قول العرب: شُرْتُ الدابة، وشورتها، إذا استخرجت جريها، وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من موضعه، واستخرجته، واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله [تعالى] نبيه ﷺ بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد، وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو، وقال مقاتل وقتادة: أمر الله تعالى بمشاورتهم تطبيقاً لقلوبهم، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر

شق ذلك عليهم، وقال الحسن: قد علم الله عز وجل أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده.

أخبرنا أبو ظاهر المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي: أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم [بن علي] الصالحاني أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا أحمد بن محمد بن ماهان أخبرني أبي أخبرنا طلحة بن زيد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«مَارَيْتُ رَجُلًا أَكْثَرَ اسْتِشَارَةً لِلرَّجَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ لا على مشاورتهم، أي: فَمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وثق به واستعنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿١٥٧﴾ ﴿إِنْ يَصْرِفْكُمْ اللَّهُ﴾، يعنيكم الله ويمنعكم من عدوكم، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، مثل يوم بدر، ﴿وَلَنْ يَخْذَ لَكُمْ﴾ يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد، والخذلان: القعود عن النصرة، والإسلام للهلكة، ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِفُكُم بِمَا تَبْغُون﴾، أي: من بعد خذلانه، ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فِتْنَتَكُمْ أَلْتُؤَمُّونَ﴾، قيل: التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع البزاز ببغداد

أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري أخبرنا محمد بن أبي العوام أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة قال أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبدالله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن حياة بن شريح حدثني بكر بن عمرو عن عبدالله بن هُبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلُّ﴾ الآية.

روى عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت

يوم بدر، فقال بعض الناس أخذها رسول الله ﷺ.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم، فقال النبي ﷺ:

«لم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري؟» قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال النبي ﷺ: «بل ظننتم أننا نكُل ولا نُقسم لكم»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال قتادة: دُكر لنا أنها نزلت في طائفة غَلَّت من أصحابه، وقيل: إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلُّ﴾ فُعْطِيَ قوماً ومنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية، وقال محمد بن إسحاق ابن يسار: هذا في الوحي، يقول: ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلُّ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم: ﴿يَكُلُّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة، وقيل: اللام فيه منقولة، معناه: ما كان النبي ليكُل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن يكون من الغلول أيضاً، أي: ما كان لنبي أن يخون، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من

الإغلال، معناه: ما كان لنبي أن يخون، أي ينسب إلى الخيانة، ﴿وَمَنْ يَكُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: انزل فخذ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار، ثم يكلف أن ينزل إليه، فيخرجه فيفعل ذلك به.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، قال فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مذعّم، قال: فخرجنا حتى إذا كنا بوادي القرى فبينما مذعّم يحطّ رحلاً لرسول الله ﷺ إذ جاء سهم عائر فأصابه فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصَبَّها المقاسم تشتعل عليه ناراً»، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بِشَرَاكٍ أو شِرَاكَيْنِ إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا

زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة الأنصاري عن زيد بن خالد الجهني أنه قال:

توفي رجل يوم خيبر فذكر لرسول الله ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم» فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحبكم قد غل في سبيل الله» قال: ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز اليهود ما تساوي درهمين.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير. عن أبي حميد الساعدي قال:

استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثية على الصدقة فلما قديم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: «ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، فهلاً جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت».

وروي قيس بن أبي حازم عن

معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لا تصيبين شيئاً [بغير إذني] فإنه غلول، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة».

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه».

وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ قَوْمٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿١٦٦﴾ ﴿أَقْمِنَ أَنْتَ بَرِّوْنَ اللَّهِ﴾، فترك الغلول، ﴿كَمْ بَاءَ يَسْخَطُونَ﴾، فغل، ﴿وَمَا وَدَّ جَهَنَّمُ رُفْعَ الْعَصِيرِ﴾.

﴿١٦٧﴾ ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من أتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله، فلمن أتبع رضوان الله الشواب العظيم، ولمن باء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ يَمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٦٨﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بني ثعلبة، دليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وقال آخرون:

أراد به جميع المؤمنين، ومعنى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، دليله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿يَسْأَلُوا عَنْهُمْ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ وَيَرْفَعُ لَهُمْ أَلْقَابَهُمْ وَلِيْلَهُمْ أَلْقَابَهُمْ وَلِيْلَهُمْ أَلْقَابَهُمْ﴾، وقد كانوا، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل مبعثه ﴿لِي سَلِّقُوا ثِيَابَهُمْ﴾.

﴿١٦٩﴾ ﴿أَوْ لَمَّا﴾ [أي: حين] ﴿أَصَابَتْكُمْ مُطِيمَةٌ﴾، بأحد، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مَفَاتِيحَهُمْ﴾، يوم بدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين سبعين يوم أحد وقتل المسلمون منهم بدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا هَذَا﴾، من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

روى عبدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تختيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس فقالوا: يا رسول الله عشائرتنا وإخواننا، لا بل تأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون من أسارى أهل بدر.

فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي: بأخذكم

سَبِيلَ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزُقُونَ ﴿١٦٦﴾ الآية، قال: أما إنا قد
سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم
كطير خضر» وروى في جوف
طير خضر - لها قناديل معلقة
بالعرش تسرح في الجنة في أيها
شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة
بالعرش، فينما هم كذلك، إذ أطلع
عليهم ربك اطلاعه، فقال: سلوني
ما سئتم، فقالوا: يا رب كيف
نسالك ونحن نسرح في الجنة في
أيها شئنا، فلما رأوا أن لا يتركوا
من أن يسألوا شيئاً، قالوا: نسالك
أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في
الدنيا نفتل في سبيلك مرة أخرى،
قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا
هذا تركوا.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو
إسحاق الثعلبي أن عبد الله بن حماد
أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان أنا
جيعوبة أنا صالح بن محمد أنا
سليمان بن عمرو عن إسماعيل بن
أمية عن عطاء بن أبي رباح. عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال:

إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه:
«إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ
جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي
أَجْوِافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرْدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ
تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ
ذَهَبٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمَّا رَأَوْا طَيْبَ
مَقِيلِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرِبِهِمْ وَرَأَوْا مَا
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ، قَالُوا:
يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
التَّعِيمِ وَمَا يَصْنَعُ اللَّهُ بَنَّا كَيْ يَرْغَبُوا
فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَتَكَلَّمُوا عَنْهُ،

أَي: إِلَى الْإِيمَانِ،
﴿يَقُولُونَ﴾ بِأَقْوَاهِمُ،
يعني: كلمة الإيمان ﴿مَا
لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾
لَا يُخَوِّنُهُمْ، في النسب لا
في الدين وهم شهداء أحد
﴿وَقَعْدُوا﴾ يعني: لو [قد
هؤلاء القائلون عن الجهاد
﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾، وانصرفوا
عن محمد ﷺ وقعدوا في
بيوتهم ﴿مَا قُتِلُوا قُلُوبَهُمْ﴾، لهم
يا محمد، ﴿قَادَرُونَا﴾،
فادفعوا، ﴿عَنْ أَلْفَيْكُمْ﴾
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

أن الحدو لا يغني عن القدر.
قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية، قيل:
نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة
عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة
من المهاجرين، وقال آخرون: نزلت
في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً
أربعة من المهاجرين حمزة بن
عبدالمطلب ومصعب بن عمير
وعثمان بن شماس وعبدالله بن
جحش وسائرهم من الأنصار.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح
أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن
الحيري أنا حاجب بن أحمد
الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو
معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن
مرة عن مسروق قال: سألنا عبدالله
بن مسعود رضي الله عنه عن هذه
الآية:

﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْلِ الْجَمْعَانِ فَيَذَنُ اللَّهُ وَيُعَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ
﴿وَلْيُعَلِّمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَلْبِسْتُمْكُمْ هَمَّ الْكَفَرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَقْوَاهِمُ مَا لَيْسَ
فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَا يُخَوِّنُهُمْ
وَقَعْدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلُوبُهُمْ قَادَرُوا وَعَنْ أَلْفَيْكُمْ
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْزَنْ أَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿فَوَجِئَ
بِمَاءِ أَسْنَمُهُمْ الَّذِينَ مِنْ قُضَيْلٍ وَسُتَيْشِيرُونَ وَالَّذِينَ كَمْ يَلْعَنُوا
يَوْمَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
﴿يَسْتَيْشِرُونَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ وَقُضَلِي وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا أَمْرَهُمْ وَانْفَقُوا أَكْبَرُ عِلْمِهِمْ
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٦٧﴾

الفداء واختياركم القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْلِ﴾
الْجَمْعَانِ، بأحد من القتل والجرح
والهزيمة، ﴿فَيَذَنُ اللَّهُ﴾، أي:
بقضاء الله وقدره، ﴿وَلْيُعَلِّمُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ليُمَيِّزَ، وقيل:
ليُرى.

﴿وَلْيُعَلِّمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ
تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: لأجل
دين الله وطاعته، ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾، عن
أهلكم وحريمكم، وقال السدي:
أي: كثروا سواد المسلمين رابطوا إن
لم تقاتلوا يكون ذلك دفعاً وقمعاً
للععدو، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
لَا تَلْبِسْتُمْكُمْ﴾، وهو عبدالله بن أبي
وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد
وكانوا ثلاثمائة، قال الله تعالى:
﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

فقال الله عز وجل أنا مخبرٌ عنكم ومبلغٌ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَصْصِغُ نَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وسمعتُ عبد الواحد بن أحمد المليحي قال: سمعتُ الحسن بن أحمد القتيبي قال: سمعتُ محمد بن عبد الله بن يوسف قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البكري قال: سمعتُ يحيى بن حبيب بن عربي قال: سمعتُ موسى بن إبراهيم قال: سمعتُ طلحة بن خراش قال: سمعتُ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول:

لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلتُ: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيلاً وديناً، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً، قال: يا عبيدي تمنّ عليّ أعطك، قال يا ربّ أحيي فأقتل فيك الثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق متي أنهم لا يرجعون، فأنزلت فيهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾».

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا حميد عن

أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يموت له عند الله خيرٌ يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يَرَى من فضل الشهادة، فإنه يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرةً أخرى».

وقال قوم: نزلت هذه الآية في شهداء بثر معونة.

وكان سبب ذلك على ما روى محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك وغيرهم من أهل العلم قال: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مَلَأَ عِجْبَ الأُسْتَةِ - وكان سيد بني عامر بن صعصعة، على رسول الله ﷺ المدينة وأهدى إليه هدية، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: «لا أقبل هدية مشرك»، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك؟ ثم عرض عليه الإسلام، وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين، وقرأ عليه القرآن فلم يُسلم، ولم يبعد وقال: يا محمد إن الذي تدعو إليه حسنٌ جميل فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فيدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبيوا لك، فقال رسول الله ﷺ:

«إني أخشى عليهم أهل نجد»، فقال أبو البراء: أنا لهم جارٍ فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمر وأخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار

المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بثر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم فلما نزلوها، قال بعضهم لبعض أينكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال حرام بن ملحان: أنا. فخرج بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله ﷺ، فقال حرام بن ملحان: يا أهل بثر معونة إني رسول رسول الله إليكم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأبوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزئت وربّ الكعبة، ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر أباً براء قد عقد لهم عقداً وجواراً ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصىة ورغلاً وذكووان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فازتت بين القتلى، فضلوه

فيهم فعاش حتى قُتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينيهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر! فقالوا: والله إن لهذا الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره، فقال الأنصاري الله أكبر لكنني ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجزأ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فقلد عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً»، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفاؤه عامر إتياءه، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: من الرجل منهم لما قتل رأيت رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة، ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا

أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالأعلى بن حماد أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك:

أن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدولهم فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسبيهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا يبثر معونة قتلهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب: على رغل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس رضي الله عنه: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رُفع: بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخت فرفع بعدما قرأناه زماناً وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا﴾ الآية.

وقيل: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وأباؤنا وأبنائنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ولا تظننَّ ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن عامر «قتلوا» بالتشديد، والآخرين بالتخفيف ﴿أَمْوتًا﴾ [أي] كأموات من لم يُقتل في سبيل الله ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قيل أحياء في الدين، وقيل: في الذكر، وقيل: لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى

يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر، ولا تاكله الأرض.

وقال عبيد بن عمير: مرَّ رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِالشَّهَادَةِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأثوهم وزوروهم وسلّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يُسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه».

﴿يَرْزُقُونَ﴾، من ثمار الجنة وتُحفظها.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، رزقه وثوابه، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾، ويفرحون، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد لعلهم أنهم إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فهم لذلك مستبشرون، ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِبَعَثِهِمْ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ أَهْلُ الْكَسَائِي بِكسر الألف على الاستثناف، ﴿لَا يُعْجِزُ أَكْبَرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد الخلال حدثنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال:

«تَكْفُلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ».

وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَغَبَّ دَمًا لِلْوُثُ لَوْ دُمَ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمض الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسن الداريجردي أنا عبد الله بن يزيد المقرئ أنا سعيد حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ».

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآلِ الرَّسُولِ﴾ الآية.

وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يُرْهِبَ العدو، ويُريهم من نفسه وأصحابه قوة فتدب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابةً منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذي

أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله ﷺ: «إِلَّا لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَضَرِ يَوْمِنَا بِالْأَمْسِ، فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي كَانَ قَدْ خَلَفَنِي عَلَى أَخَوَاتِ لِي سَبْعَ، وَقَالَ لِي: يَا بَنِي إِنْهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَكَ أَنْ تَتْرَكَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ لَا رَجُلَ فِيهِنَّ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُوثِرُكَ عَلَى نَفْسِي فِي الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَخَلَّفَ عَلَى أَخَوَاتِكَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ، فَأَذَنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُرْهَباً لِلْعَدُوِّ، وَلِيُبلغهم أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلِبِهِمْ فَيُظَنُّوا أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوْهَنْهُمْ فَيَنْصَرَفُوا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَحَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا حِمْرَاءَ الْأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ».

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعبد الله بن الزبير: يا ابن أختي أما والله إن أباك وجدك تعني أبا بكر، والزبير لمن الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآلِ الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، فمرّ برسول الله ﷺ معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مُسلمهم وكافرهم عبيبةً نصّح رسول الله ﷺ بتهامة، صفقتهم معه لا يُخَفُونَ عَنْهُ شَيْئاً كَانَ بِهِ وَكَانَ مَعَهُ يَوْمئِذٍ مُشْرِكاً فقال: يا محمد والله لقد عزّ علينا ما

أصابك في أصحابك، ولودنا أن الله - تعالى - كان [قد] أعفاك منهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ، حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أصبنا جلة أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم، فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال له: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج مع أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم، وفيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال: فإني والله أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيته على أن قلت فيه أبياتاً:

كادت تهذب من الأصوات راحلتي
إذ سالت الأرض بالجرد الأبابل
فذكر أبياتاً فرد ذلك أبا سفيان
ومن معه، ومرّ به ركب من
عبد القيس، فقال: أين تريدون؟
قالوا: نريد المدينة، قال: ولم؟
قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم
مبلغون محمداً عني رسالةً وأحمل
لكم إيلكم هذه زيباً يعكاظ غداً إذا
وافيتمونا؟ قالوا: نعم، قال: فإذا
جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير
إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم،
وانصرف أبو سفيان إلى مكة، ومرّ
الركب برسول الله ﷺ وهم بحمراء
الأسد فأخبروه بالذي قاله أبو

سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الثالث.

هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله» فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مَرَّ الظهران، ثم ألقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان: يا نعيم واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإن هذه عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة فبطهم وأعلمهم أنني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو وبيضنها، قال: فجاء سهيل فقال له نعيم: يا أبا يزيد، أتضمن لي هذه القلائص من أبي سفيان وأنطلق إلى محمد وأنبطه؟ قال: نعم، فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال: أين

تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى [أن نقتل بها]، فقال: بش [الرأي رأيتم] أنوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد، أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال، وقال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافوا بدرأ الصغرى، فجمعوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يُرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، حتى بلغوا بدرأ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام، فأقام رسول الله ﷺ يندر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان [وأصحابه] من مجنة إلى مكة، فلم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحداً من المشركين، ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي أجابوا، ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض على صفة المؤمنين تقديره: إن الله لا يُضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، أي: [لأنهم

الجراح]، تم الكلام ههنا، ثم ابتدا فقال: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو، ﴿وَأَنْفُوا﴾، معصيته ﴿أَكْبَرُ عَظِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ أَتَأْسَفُونَ﴾ ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض أيضاً مردوداً على [قوله] الذين الأول وأراد بالناس: نعيم بن مسعود، في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآثَانَ﴾ [النساء: ٥٤] يعني: محمداً ﷺ وحده، وقال محمد بن إسحاق وجماعة: أراد بالناس الركب من عبد القيس، ﴿إِنَّ الْآثَانَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَرَادَهُمْ لَيْسَتَا﴾ تصديقاً [وقوة] وبقينا وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، ﴿وَقِمَ الْوَكِيلُ﴾، أي: الموكل إليه الأمور، فعمل بمعنى مفعول.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ الْآثَانَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخَذْتَهُمْ فَرَادَهُمْ لَيْسَتَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوا﴾، فانصرفوا،

فَاتَّخَذُوا بَعْضُهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَتَكِفًا لِبَعْضِهِمْ ۖ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ
 رَضُوا عَنْ آلِهِمْ وَاللَّهُ دُفِئَ عَنْهُمْ ۚ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۚ
 يَحْذَرُ آلِيَاءَهُمْ وَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواكُمْ كَمَا تَخَافُونَ آلِيَاءَهُمْ ۚ
 وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ
 شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا
 اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّمَا تُمَلِّئُهُمْ خَيْرًا لَّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا تُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا فِي آثَمِهِمْ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۚ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا
 أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْرَ مِنَ الْكُفْرِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْلِمَكُمْ
 عَلَى الْقَيْسِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ رَسُولِهِ ۚ مَنْ فَتَنَّا فَتَنَّا بِنَا
 وَرَسُولِهِ ۚ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمِنَ الْأَخْلَافِ ۚ وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ خَيْرٌ
 يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ
 لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ
 وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَيْرَ ۚ

بمسارعتهم في الكفر،
 ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾، نصيباً
 في ثواب الآخرة، فلذلك
 خذلهم حتى سارعوا في
 الكفر، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾، استبدلوا
 ﴿الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، [بمسارعتهم
 في الكفر]، وإنما يضرون
 أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة هذا

﴿يَتَمَعَّرُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ بعافية لم يلقوا
 عدواً ﴿فَقَبِلُوا﴾ تجارة وريح وهو ما
 أصابوا في السوق ﴿لَمْ يَسْتَسْمُوا سَوْءٌ﴾ لم يصيبهم أذى ولا مكروه،
 ﴿وَأَتَّخَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله
 وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا:
 هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله
 ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ دُو فَضْلِي عَظِيمٌ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُمَلِّئُهُمْ الْخَيْبَانَ﴾ يعني: الذي قال لكم: ﴿إِنَّ الْآثَمَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَخَشَرْتُمْ﴾، من فعل الشيطان ألقي في أفواههم لترهيبهم وتجنبوا عنهم، ﴿يَحْذَرُ أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود «يخوفكم أولياءه»، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواكُمْ﴾، في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بوعدني لأنني متكفل لكم بالنصر والظفر.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْزَنُوا﴾، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: [هم] المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾،

بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة عن علي بن زيد عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال:

سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: فأبي الناس شراً؟ قال: «من طال عمره وساء عمله».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْرَ مِنَ الْكُفْرِ﴾، اختلفوا فيها، فقال الكلبي: قالت قريش: يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة، والله عنه راض، فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال السدي: قال رسول الله ﷺ:

والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء فـ ﴿الَّذِينَ﴾ في محل الرفع على الفاعل تقديره: ولا يحسبن الكفار إملأنا لهم خيراً، ومن قرأ بالتاء يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿أَنَّمَا تُمَلِّئُهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ﴾، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشت طويلاً حميداً وتمليت حيناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَهْبِزْهُنَّ لِمَيْكَا﴾ [مريم: ٤٦] أي: حيناً طويلاً، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا تُمَلِّئُهُمْ﴾، نملهم ﴿لِيُزَادُوا فِي آثَمِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء في قريظة والنضير.

أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البزنجردي أنا أبو أحمد

«عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمِّي فِي صُورِهَا فِي الطِّينِ كَمَا عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ، وَأَعْلَمْتُ مَنْ يُؤْمِنُ بِي وَمَنْ يَكْفُرُ بِي»، فبلغ ذلك المنافقين، فقالوا استهزاء: زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد، ونحن معه وما يعرفنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأكم به»، فقام عبدالله بن حذافة السهمي، فقال: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال حذافة، فقام عمر فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا وَبِكَ نَبِيًّا فَاعْفُ عَنَّا عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، فقال النبي ﷺ: «فهل أنتم منتهون؟» ثم نزل عن المنبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

واختلفوا في حكم [هذه] الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق «حَتَّى يَبَيِّرَ لَكُمْ أَلْقَابَكُمْ»، وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: وما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب، «حَتَّى يَبَيِّرَ لَكُمْ أَلْقَابَكُمْ»، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء

وتشديدها وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالتخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه ميزاً وميزه تمييزاً إذا فترقه وامتاز، وإنما هو بنفسه، قال أبو معاذ: إذا فترقت بين شيئين، قلت: مزت ميزاً فإذا كانت أشياء، قلت: ميزتها تمييزاً، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فترقت بالتخفيف، ومنه فرق الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقته تفريقاً، ومعنى الآية: حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد، وقال الضحاك: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: «حَتَّى يَبَيِّرَ لَكُمْ أَلْقَابَكُمْ» وهو المذنب «مِنْ أَلْقَابِكُمْ» وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْقَبْرِ»، لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله، «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْتَهِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» فيُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ، نظيره قوله تعالى: «عَلَّمَ الْقَبْرِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رُسُلٍ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباه، «فَأَمَّاؤُا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» وَإِنْ

تَوَمَّنُوا وَتَوَمَّنُوا فَلَكُمْ أَسْرٌ عَظِيمٌ». ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، أَي: ولا يحسبن الباخلون البخل خيراً لهم، «بَلْ هُوَ»، يعني: البخل، «مَنْ هُمْ سَيُطَوَّقُونَ»، أي: سوف يطوقون، «مَا يَحُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ»، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حية تُطَوَّقُ في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبدالله المدني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبدالرحمن [بن عبدالله] بن دينار [عن أبيه] عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مَثَّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شِجَاعاً أَوْقَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ، يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ، يَعْنِي شَدَقِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكُ أَنَا كَبْرُكَ، ثُمَّ تَسْلَا: «وَلَا يَحْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ» [الآية].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنس الأعمش عن المعروف بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

انتهيت إليه يعني النبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده أو والذي لا إله

سورة النحل

سورة النحل

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَكَتَ عَنْهُمَا فَأَلُوهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِعَتْرٍ حَتَّى وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِعَبْدِهِ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُائِنَا أَلَّا نُؤْمِرَ رَسُولًا حَتَّى يَأْتِينَا بَقَرَانِ
فَأَكْثَلَهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ
وَيَأْتِيَنَّكُمْ قُلْتُمْ فَلِمَ فَتَنَّاكُمْ وَلِمَ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ مَا وَدَّ الْيَهُودُ
وَالزُّبُرُ وَالْكَتَّابُ الْمُنِيرُ ﴿٤٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَلَا نُمَوِّتُكَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَمَنَعُ الْفُتُورِ ﴿٤١﴾ تَلْبُوتُكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا
وَلَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَخَوُّوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾

٧٤

إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء، وذكر الحسن: أن قاتل هذه المقالة حيي بن أخطب.

وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: كتب النبي ﷺ مع أبي بكر [الصديق]

رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناساً كثيراً

غيره أو كما حلف، ما من رجل يكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمنه، تطوّه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أхраها ردت عليه أولاهما حتى يقضى بين الناس.

قال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقاً من النار، قال مجاهد: يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحرار اليهود الذين كتبوا صفة محمد ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْنُتُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧] ومعنى قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُتُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ أَوْدَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. ﴿وَلَهُ يِيرِثُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضُ﴾، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠]. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قرأ أهل البصرة ومكة [يعلمون] بالياء، وقرأ الآخرون بالياء.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قال الحسن ومجاهد: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضًا حسنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود:

يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير وهم أغنياء، فغضبت لله فضربت وجهه، فوجد ذلك فنحاص فأنزل الله تعالى رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

﴿سَكَتَ عَنْهُمَا قَالُوا﴾، من الإفك والفرية على الله فنجازهم به، وقال مقاتل: سيحفظ عليهم، وقال الواقدي: سأم الحفظ بالكتابة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ كُنْ بِالنَّبِيِّ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِعَتْرٍ حَتَّى وَنَقُولُ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قرأ حمزة

من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم، ومعه حبر آخر يقال له: أشيع فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فأمروا وصدقوا وأقرضوا الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، ويضاعف لك الثواب، فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني؟ فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء، وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك

﴿سَيَكْتَبُ﴾ بضم الياء، ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ برفع اللام ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء، و﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النار، وهو بمعنى المحرق، كما يقال: ﴿وَكَلَّهْمُ عَذَابَ آلِهٍ﴾ [التوبة: ٦١]، أي: مؤلم.

﴿ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْمُجْسِدِ﴾، فيعذب بغير ذنب.

﴿قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾، الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوت وفتحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب أنوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا وأن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿أَلَا تَوَدُّونَ رَسُولِي﴾، يزعم أنه من عند الله، ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَّاهُ بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ أَلْسِنَةُ الْغَافِرِينَ﴾، فإن جئتنا به صدقناك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ أي: سمع الله قول الذين قالوا، ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض رداً على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أي: أمرنا وأوصانا في كتبه ﴿أَلَا تَوَدُّونَ رَسُولِي﴾، أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقرآن تأكله النار فيكون دليلاً على صدقه، والقرآن: كل ما يُتَقَرَّبُ به العبد إلى الله تعالى من نسيكة وصدقة وعمل صالح، وهو فعْلان من القرية، وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنموا غنيمة جاءت

نارٌ بيضاء من السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف، فتأكله وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول، وإذا لم يُقبل بقيت على حالها.

وقال السدي: إِنَّ اللَّهَ تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتكم بقرآن تأكله النار حتى يأتكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قرآن، قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾، يا معشر اليهود، ﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّا لَذِي قُلْتُمْ﴾، من القرآن ﴿قُلْ﴾ قَتَلْتُمُوهُمْ؟ يعني: زكريا ويحيى [عليهم السلام] وسائر من قتلوا من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك، كقتل آبائهم الأنبياء، مع الإتيان بالقرآن والمعجزات، ثم قال معزياً لنبئه ﷺ.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، قرأ ابن عامر «وبالزبر» أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحداً [زبور] مثل: رسول ورسول، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، الواضح المضيء.

﴿قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ [منفوسة] ﴿ذَائِقَةُ الْعَذَابِ﴾.

وفي الحديث: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تعالى آدم اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها، فوعدها أن يردها فيها ما

أخذ منها، فما من أحد إلا يدفن في التربة التي خلق منها».

﴿وَإِنَّمَا تَوَفُّونَ أَجُورَكُمْ﴾، توفون جزاء أعمالكم، ﴿يَوْمَ الْفِتْنَةِ﴾، إِنَّ خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿فَمَنْ رُضِيَ عَنْهُ﴾، نُحْيِي وَأُزِيلُ، ﴿عَنِ الشَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [بالنجاه] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُتُورِ﴾، يعني منفعة ومتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم يزول ولا يبقى، وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له، قال قتادة: هي متاع متروكة يؤشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطدتم، والغرور الباطل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾» [السجدة: ١٧]، وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وافرؤوا إن شئتم: ﴿وَنُظِّلُ مَنَّادِينَ﴾ [الواقعة: ٣٠] ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها، وافرؤوا إن شئتم ﴿فَمَنْ رُضِيَ عَنْهُ الشَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعَ الْفُتُورَ».

﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج: نزلت الآية في أبي بكر وفنحاص بن عازوراء، وذلك أن النبي ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمذه، وكتب إليه كتاباً وقال لأبي بكر رضي الله عنه: «لا تفتأتن عليّ بشيء حتى ترجع»، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربك إلى أن نمذه، فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لا تفتأتن عليّ بشيء حتى ترجع»، فكف، فنزلت هذه الآية.

وقال الزهري: نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ ويسب المسلمين، ويحرض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه، في شعره ويسب نساء المسلمين، فقال النبي ﷺ: «من لي بآبن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟» فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «فافعل إن قدرت على ذلك»، فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، وقال له: «لِمَ تركت الطعام والشراب؟» قال: يا رسول الله قلت قولاً ولا أدري هل أفي به أم لا، فقال: «إنما عليك الجهد»، فقال: يا رسول الله إنه لا

بد لنا من أن نقول فيك، قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسيلكان بن سلام أبو نائلة، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عيسى بن جببر، فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم، وقال: «انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم»، ثم رجع رسول الله ﷺ، وذلك في ليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فآكثم عليّ، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء، عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة، فانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا، فقال أبو نائلة: إن معي أصحاباً أردنا أن تبيعنا طعأمك وثرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك، قال: أترهونوني أبناءكم، قال: إنا نستحي أن يُعبر أبناءنا فيقال هذا رهينة وسق، وهذا رهينة وسقين، قال: ترهونوني نساءكم، قالوا: كيف نرهئك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك، وأية امرأة تمتنع منك لجمالك، ولكننا نرهئك الحلقة، يعني: السلاح، وقد علمت حاجتنا إلى السلاح، قال: نعم، وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا

رآه فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم خبره، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ليلاً، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته فقالت امرأته: أسمع صوتاً يقطر منه الدم، وإناك رجل محارب، وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فكلنهم من فوق الحصن، فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة وإن هؤلاء لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، وإن الكريم إذا دعي إلى طعنة بليل أجاب، فنزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا: يا ابن الأشرف هل لك إلى أن تتماشى إلى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم؟ فخرجوا يتماشون، وكان أبو نائلة قال: لأصحابه إني فاتل شعره فأشتمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، ثم إنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده، فقال: ما رأيته كالليلة طيب عروس قط، قال: إنه طيب أم فلان يعني امرأته، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم أخذ بقود رأسه حتى استمكن ثم قال: اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسياهم فلم تغن شيئاً، قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حوّلنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال فوضعت في ثنودته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض

وَاِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ فَلَقِيَ قَيْسَ مَا يَشْرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفْتُ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا بَشَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا بِفِعْلِكَ إِنَّا نَعُدُّكَ أَبْتَارًا ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعُنَا مَنَادًا يَأْتِي سَادَى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَكَّلْنَا عَلَى الْآزْبَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآءِزْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ وَلَا تُخَيِّرْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾

٧٥

من أمرني بقتله لضربت عنقك، قال: لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب؟! فأسلم حويصة، وأنزل الله تعالى في شأن كعب: ﴿تُبَلِّغُونَ﴾ لتخبرن، واللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم ﴿فِي أَمْرِكُمْ﴾ بالجوائح والعاهات والخسران ﴿وَأَنْفُسَكُمْ﴾ بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، وقال عطاء:

هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم من أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿وَأَنْفُسَكُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا﴾ يعني اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿أَذْنَى كَثِيرًا فَإِنْ نَصَرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْتُلُوا﴾، الله، ﴿لَئِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْزِ الْأُمُورِ﴾، [أي] من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

﴿وَاِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالبلاء فيهما، لقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار

القول، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، أي: طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾، يعني: المأكول والرثاء، ﴿فَقَسَّ مَا يَشْرُونَ﴾، قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن عليم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة.

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية ﴿وَاِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل بن إسماعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البزتي أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

وقال الحسن بن عمار: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابيه، فقلت: إن رأيت أن تحدثني؟ فقال: أما علمت أنني قد تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على

آسيافا، قال: فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم، ثم وقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجننا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل كعب وجننا برأسه إليه، وتفل على جرح صاحبنا، فرجعنا إلى أهلكنا فأصبحنا وقد خافت يهود وقعتنا بعدو الله، فقال رسول الله ﷺ: «من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه»، فوثب محيصة بن مسعود على سنية رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله، جعل حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله قتلت أما والله لرُبُّ شحم في بطنك من ماله، قال محيصة: والله لو أمرني بقتلك

أهل العلم أن يُعلموا، قال: فحدثني أربعين حديثاً.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية، قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء، أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالياء «لا يحسبن» الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب، فلا يحسبنهم» وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الياء خبراً عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الياء، أي: فلا تحسبنهم يا محمد، وأعاد قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ تأكيداً، وفي حرف عبدالله بن مسعود «ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب» من غير تكرار، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري:

أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فلإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فنزل ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية.

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لعذبين أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

قال عكرمة: نزلت في فئاحص وأشنع وغيرهما من الأخبار يفرحون بإضلالهم الناس بنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل علم، وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبيرة: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك.

وقال قتادة ومقاتل: أنت يهود خير نبي الله ﷺ قالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيك ونحن لك رده، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفنا وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم هكذا

فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية،

وقال: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ قال الفراء بما فعلوا، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، أي: فعلت، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾ أي: بمنجاة، ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يصرفها كيف يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاتِّخَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسين الإسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا أحمد بن عبدالجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبدالرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس [عن أبيه: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما]:

أنه رَقَدَ عند رسول الله ﷺ فرآه استيقظ فتسوك ثم تروضاً وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى ختم السور، ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك، ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول:

«اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي لساني نوراً واجعل خلفي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوقني نوراً ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً».

ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً» قوله تعالى: ﴿لَا يَكُنْ لِلْأُولَىٰ أَلْبَابٌ﴾ ذوي العقول ثم وصفهم، فقال:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيلًا وَقَلِيلًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، قال علي بن أبي طالب وابن عباس والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة يصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أنا هناد أنا وكيع عن إبراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عمران بن حصين قال:

سألت رسول الله ﷺ عن صلاة المريض، فقال: «صلي قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب».

وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قل ما يخلو من إحدى

هذه الحالات الثلاث، نظيره في سورة النساء ﴿إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قَلِيلًا وَقَلِيلًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَتَشْكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما لِيَذْكُرَهُمْ ذلك على قدرة الله ويعرفون أن لها صانعاً قادراً مدبراً حكيماً، قال ابن عون: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب خشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة، ﴿رَبَّنَا﴾ أي: ويقولون ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ زده إلى الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿بَطِلًا﴾، أي: عبثاً وهزلاً بل خلقته لأمر عظيم، وانتصب ﴿بَطِلًا﴾ بنزع الخافض، أي: بالباطل، ﴿سُبْحَانَكَ قَوْلًا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾، أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ فِي صَبِيحٍ﴾ [هود: ٧٨] فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ الْكَاثِبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾، فكيف الجمع؟ قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلده في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها.

فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخُلُ قَوْمًا النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا».

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعني: محمداً ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين، وقال القرطبي: يعني القرآن، فليس كل أحد يلقي النبي ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، ﴿أَن آٰمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآثَرَارِ﴾، أي: في جملة الأبرار.

﴿رَبَّنَا وَآٰمِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، أي: على السنة رسلك، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾، ولا تُعَذِّبْنَا ولا تفضحنا ولا تهلكنا، ولا تُهِنَّا، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعَادَ﴾، فإن قيل: ما وجه قولهم: ﴿رَبَّنَا وَآٰمِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، وقد علموا أن الله لا يُخلف الوعد؟ قيل: لفظه دعاء ومعناه الخبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رُسلك، تقديره: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، لتؤتينا ما وعدتنا على رُسلك من الفضل والرحمة، وقيل: معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رُسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، قالوا: قد عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تَخْلِفُ وَعْدَكَ مِنَ النَّصْرِ، ولكن لا صَبْرَ لَنَا عَلَى حُلْمِكَ فَعَجِّلْ خَزِيمَهُم وَانصَرْنَا عَلَيْهِمْ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾، أي: بآني: ﴿لَا أُضِيعُ﴾،

لا أحبط، ﴿عَلَّ عَمِلَ بَيْنَكُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ﴾.

قال مجاهد: قالت أم سلمة يا رسول الله إنني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

قال الكلبي: في الدين والنصرة والموالاة، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاك: رجالكم شكل نساءكم ونساءكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ﴾، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿وَقَاتِلُوا﴾.

قرأ ابن عامر وابن كثير «قتلوا» بالتشديد، قال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرين بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ يريد أنهم قاتلوا العدو ثم إنهم قتلوا، وقرأ حمزة والكسائي «قتلوا وقاتلوا» وله وجهان، أحدهما: معناه وقاتل من بقي منهم، ومعنى قوله ﴿وَقَاتِلُوا﴾ أي: قُتِلَ بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر ﴿وَقَاتِلُوا﴾ وقد قاتلوا، ﴿لَا تُكْرِهَنَّ عَنْهُمْ سَبَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لأئيبينهم

ثواباً، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُمْ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

﴿١٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا يَغْرُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتعمنون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا يَغْرُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، وضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب، الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه غيره.

﴿١٩٧﴾ ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾، أي: هو متاع قليل، بُلَغَةٌ فانية ومُتَعَةٌ زائلة، ﴿ثُمَّ مَوَّاهُكُمْ﴾، مصيرهم، ﴿جَهَنَّمَ وَيَتَسَاءَلُونَ فِي الْفِرَاشِ﴾.

﴿١٩٨﴾ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقُوا بِهِمْ لَمَّ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تِلْكَ﴾، جزاء وثواباً، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على التفسير، وقيل: جعل ذلك ثزلاً، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِفِينَ﴾، من متاع الدنيا.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

جئت فإذا رسول الله في مشربة وإنه لعلى حضير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرطاً مصبوراً

وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحضير في جنبه، فبكيت فقال: «ما يُبكيك؟» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟ فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟».

﴿١٩٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾. الآية.

قال ابن عباس وجابر وأنس وقناة: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة وهو بالعريية عطية، وذلك أنه لما مات نعه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، النجاشي» فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على عُلج حبشي نصراني لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: نزلت في أربعين رجلاً من بني حارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فآمنوا بالنبي ﷺ، وقال ابن جريج: نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه، وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ خاضعين

مرابطاً جزى له مثل ذلك الأجر، وأجري عليه الرزق، وأمن من الفتنان، وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن: لم يكن في زمن النبي ﷺ غزو يُرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أنا مالك أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أخبركم بما يمحو الله الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسبأُ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**، قال بعض أرباب اللسان: اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلمكم تُفْلِحُونَ في دار البقاء.

تفسير سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾**، يعني: آدم عليه السلام، **﴿وَعَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾**، يعني: حواء، **﴿وَبَيْنَ نَفْسَيْنِ﴾**، نشر وأظهر، **﴿وَبَيْنَ كَثِيرٍ﴾**، **﴿وَبَيْنَ قَلِيلٍ﴾**، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾**، أي: تتساءلون به، قرأ أهل الكوفة

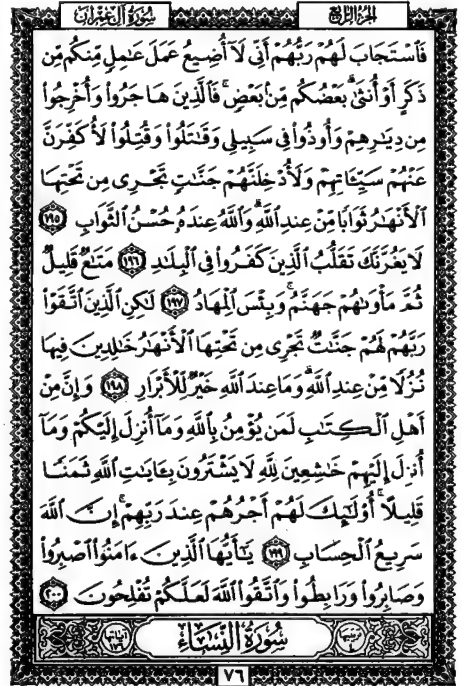
الرباط أن يربط [هؤلاء] خيولهم، وهؤلاء خيولهم، ثم قيل: ذلك لكل مقيم في غير يدفع عمن وراه، وإن لم يكن له مركب.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن منير أنه سمع أبا النضر أنا عبدالرحمن بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي:

أن رسول الله ﷺ قال: «رِباطٌ يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها وما عليها، وموضعٌ سَوِطٌ أحدم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها».

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي [أخبرنا عبدالله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوريزي] أنا يونس بن عبدالأعلى أنا ابن وهب أخبرني عبدالرحمن بن شريح عن عبدالكريم بن الحارث، أنا أبو عبيدة بن عقبة أنا شرحبيل بن السمط أنا سلمان الخير:

أن رسول الله ﷺ قال: «من رباط يوماً وليلة في سبيل الله كان له أجرٌ صيام شهرٍ مقيم، ومن مات



مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ، **﴿لَا يَشْتَرُونَ بِعَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**، يعني: لا يُحَرِّفُونَ كُتُبَهُمْ ولا يَكْتُمُونَ صفة محمد ﷺ لأجل الرياسة والمأكلة، كفعل غيرهم من رؤساء اليهود، **﴿اَوْ لَتَلِكْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا﴾، قال الحسن: اصبروا على دينكم فلا تدعوه لشدة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة الله، وقال الضحاک ومقاتل بن سليمان: على أمر الله، وقال مقاتل بن حيان: على أداء فرائض الله تعالى، وقال زيد بن أسلم: على الجهاد، وقال الكلبي: على البلاء، وصابروا يعني: على قتال الكفار، ورابطوا يعني: المشركين، قال أبو عبيدة: أي داوموا واثبتوا، والربط الشد، وأصل

فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْيَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ أَوْ مَالٍ، رَغِبُوا فِي نِكَاحِهَا وَلَمْ يُلْقِ حُوقَهَا بِسِنِّهَا بِإِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قَلَةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكُوهَا وَالتَّمَسُّوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ، قَالَ: فَكَمَا يَتَرَكُونَهَا حِينَ يَرِغِبُونَ عَنْهَا فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوهَا إِذَا رَغِبُوا فِيهَا إِلَّا أَنْ يُقْطَعُوا لَهَا الْأَوْفَى مِنَ الصَّدَاقِ وَيُعْطَوْهَا حَقَّهَا.

قال الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية يكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريباً فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة: كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدماً من مؤن نسائه مآل إلى مآل يتيمة الذي في حجره فأنفقه، فقليل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بعضهم: كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاؤوا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَثْرَانًا﴾ أنزل هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾، يقول كما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم

القيام بحقوقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي، ثم رخص في نكاح أربع فقال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرَبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، وقال مجاهد: معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً فكذلك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً، وكانوا يتزوجون ما شاؤوا من غير عدد، فنزل قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: مَنْ طَابَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنِّسَاءُ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشمس: ٥] أي ومن بناها، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] والعرب تضع «من» و«ما» كل واحدة موضع الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَتَنَّهُمْ مِّنْ يَّتَنَّى عَلَى بَطْنِهِ وَنِجْمٌ مِّنْ يَّتَنَّى عَلَى رِجْلَيْهِ﴾ [النور: ٤٥]، وطاب أي: حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يصرفن، والواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَمَلٍ﴾ [سبا: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿أَوَّلُ آيَةٍ مِّنْهُنَّ وَثُلَّةٌ وَثُلَّةٌ وَرَبْعٌ﴾ [فاطر: ١] وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة، وكانت الزيادة من خصائص النبي ﷺ لا مشاركة معه لأحد من الأمة فيها.

وزوي أن قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله ﷺ: «طلق أربعاً

وأمسك أربعاً» قال فجعلت أقول للمرأة التي لم تلد [مني] يا فلانة أوبري وللتي قد ولدت يا فلانة أقبلي.

وزوي أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي ﷺ: «أمسك أربعاً وفارق سائرهن».

وإذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر فإنه يجوز، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ينكح العبد امرأتين، ويطلق تطليقتين وتعد الأمة بحيفتين، فإن لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف. وقال ربيعة: يجوز للعبد أن ينكح أربع نسوة كالحر. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾، خشيتهم، وقيل: علمتم، ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، بين الأزواج الأربع، ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر ﴿فَوَاحِدَةً﴾ بالسرفع، ﴿أَوَّامًا مَّكَّتَ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهن ولا وقف في عدهن، وذكر الأيمان بياناً تقديره: أو ما ملكتم، وقال بعض أهل المعاني: أو ما ملكت أيمانكم، أي: ما ينفذ فيه إقسامكم، جعله من يمين

الحلف، لا يمين الجارحة، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مِيرَاسَهُمْ﴾، أقرب، ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تجوزوا ولا تميلوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائز مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: أن لا تضلوا، وقال الفراء: أن لا تجاوزوا، ما فرض الله عليكم وأصل العول: المجاوزة، ومنه عُولُ الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: أن لا تكثر عيالكُم، وما قاله أحد، إنما يقال: [من كثرة العيال] أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرّف «أن لا تعيلوا» وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

﴿وَأَتُوا ابْنَةَ صَدَقْتَيْنِ غِلَّةً﴾، قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كان زوجها غريباً حملوها إليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك، فنهاهم عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله قال الحضرمي: وكان أولياء النساء يُعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته، ولا مهر بينهما، فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

«نهى عن الشغار»، والشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، وليس بينهما صداق.

وقال آخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسايتهم الصداق، وهذا أصح، لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين، والصّدقات: المهور، واحداً صدقة، (نحلة) قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماة، قال أبو عبيد: ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس، وقال الزجاج: تديناً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن يوسف أخبرنا الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسّ الشروط أن تُوفوا به ما استحللتم به الفروج».

﴿وَإِنْ طَلَبَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ شَيْئاً﴾ يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرة، فلذلك وُحِدَ النفس، كما قال الله تعالى: ﴿وَصَاقَ يَوْمَ ذَرْعًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] ﴿وَقَرَىٰ عَيْنًا﴾ وقيل: لفظها واحد ومعناها جمع، ﴿فَكُلُّهُنَّ مِنِّيَّاءَ مَرِيئًا﴾، سائغاً طيباً، يقال: [هنا في] الطعام يهنى بفتح النون في الماضي وكسرهما في الباقي، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء،

والمريء: المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر، قرأ أبو جعفر «هنيئاً مريئاً» بتشديد الياء فيهما من غير همزة، وكذلك «بري» «وبريون» «وبريسا» «وكهية» والآخرون يهمزونها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجاً أو بنات أو أمهات، وقال آخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفية وابنتك السفية، وقال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفية مفسدة وأن ولده سفية مفسدة فلا ينبغي له أن يُسلط واحداً منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفق عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ لأنهم قوامها ومديروها، والسفية الذي لا يجوز

لوليه أن يؤتیه ماله هو المستحق الجِزْر عليه، وهو أن يكون مبدراً في ماله أو مفسداً في دينه، فقال جلّ ذكره: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: الجاهل بموضع الحق أموالكم التي جعل الله لكم قياماً، قرأ نافع وابن عامر «قِيَمًا» بلا ألف، وقرأ الآخرون «يَتَا» وأصله: قواماً، فانتقلت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البرّ وبه فكك الرقاب من النار. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم، ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال ﴿فِيهَا﴾ ولم يقل: منها، لأنه أراد اجعلوا لهم فيها رزقاً فإن الرزق من الله العطية من غير حدّ، ومن العباد أجرٌ موقتٌ محدود. ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مِّمَّا﴾ عدة جميلة، وقال عطاء: [يقول] إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت جعلت لك حظاً، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته، فقلّ له: عافانا الله وإياك بارك الله فيك، وقيل: قولاً لينا تطيب به نفوسهم.

① قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْسَ﴾ الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَاللَّيْسَ﴾ أي: اختبروهم في عقولهم

وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿فَإِنْ أَكْسَمْتُمْ﴾، أبصرتهم، ﴿يَتَمِّمُوا زُشْدَاكَ﴾، قال المفسرون يعني: عقلاً وصلاًحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه. قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها، فإذا رأى حسن تدبيره، وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه. واعلم أن الله تعالى علّق زوال الخجّر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة: اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان مختصان بالنساء فما يشترك فيه الرجال والنساء أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية، لما:

أخبرنا عبد الوهّاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عُيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

عُرِضْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فردّني، ثم عُرِضْتُ عَلَيْهِ عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فجازني، قال نافع: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: هذا فرق ما بين المقاتلة والذرية، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة، ومن لم يبلغها في الذرية.

وهذا قول أكثر أهل العلم. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة [سنة]، وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة، وأما الاحتلام فنعني به نزول المنّي سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩].

وقال النبي ﷺ لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن: «خُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَاراً» وأما الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج، فهو بلوغ في أولاد المشركين، إما روي عن عطية القرظي قال: كنتُ من سبي قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت.

وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين؟ فيه قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار، والثاني: لا يكون بلوغاً لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم، ولا يقبل قول

آبائهم فيه لكفرهم، فجعل الإنبات الذي هو أمانة البلوغ بلوغاً في حقهم، وأما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل، وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله، والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبدراً، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمداً دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله، دام الحجر عليه، ولا يدفع إليه ماله ولا ينفذ تصرفه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه وإن كان مفسداً في دينه، وإن كان مفسداً لماله قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله، والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه، لأن الله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإن ناس الرشد، والفسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإنفاق غير رشيد، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن، وإذا بلغ وأونس منه الرشد زال الحجر عنه،

ودفع إليه المال رجلاً كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج، وعند مالك رحمه الله تعالى: إن كانت امرأة لا يدفع المال إليها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت دفع إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتُجرب، وإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً نُظر فإن عاد مبدراً لماله حُجر عليه، وإن عاد مفسداً في دينه فعلى وجهين، أحدهما: يُعاد الحجرُ عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة، والثاني: لا يُعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال، والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم، ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبدالله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فقال علي: لأتبن عثمان فلاحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك [فقال الزبير: أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان وقال: احجر على هذا] فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير، فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْكُلُوْهَا﴾، يا معشر الأولياء ﴿اِمْرَاقًا﴾، بغير حق، ﴿وَيَدَارًا﴾ أي: مبادرة، ﴿أَنْ يَكْبَرُوْا﴾ و﴿أَنْ﴾ في محل نصب، يعني: لا تبادروا كِبَرَهُمْ ورُشْدَهُمْ حذراً من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما

يحل لهم ومن مالههم فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ عَقِيًّا فَلْيَسْتَوْفَّ﴾، أي: ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزوه قليلاً ولا كثيراً، والعفة الامتناع مما لا يحل، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيْرًا﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهد، ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السجزي أخبرنا الإمام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا أبو داود السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة أن خالد بن الحارث حدثهم أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم:

أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني فقير وليس لي شيء ولي يتييم، فقال: «كُلْ من مال يتييمك غير مسرف ولا مبدّر ولا متائل».

واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء، فذهب قوم إلى أن يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، والمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا أيسر قضاء، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمزلة ولّي اليتيم: إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت. وقال الشعبي: لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة، وقال قوم: لا قضاء عليه، ثم اختلفوا في

وهو عند سويد وعرفجة، ولم يعطيانى ولا بناتي شيئاً وهن في ججري، لا يطعمن ولا يسقين، فدعاهما رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل [كلاً ولا يُنكأ] عدواً، فأنزل الله عز وجل ﴿لِلرِّجَالِ﴾.

يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿يَمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ من الميراث، ﴿وَاللِّسَانِ﴾، وللإناث منهم، ﴿نَصِيبٌ يَمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ يَمَّا قَلَّ منه ﴿نَصِيباً مَّقْرُوصاً﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيباً فأنثت لهن الميراث، ولم يبين كم هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة: لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئاً فإن الله تعالى جعل لبناته نصيباً مما ترك، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن، فأنزل الله تعالى: ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي آوَلَدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]. فلما نزلت أرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة: «أن ادعيا إلى أم كُججة الثمن [مما ترك] وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال».

﴿٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعني: قسمة الموارث، ﴿أُولُو الْقَرْبَى﴾، الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ قَارِضُوهُمْ مِنْهُ، أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كانت

تبغي ضالة إبله وتهناً جزئها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضرب بنسب ولا ناهك في الخلب.

وقال بعضهم: والمعروف أن يأخذ ماله بقدر قيامه وأجرة عمله، ولا قضاء عليه، وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾، هذا أمر إرشاد، وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال

إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة، ﴿وَكُنْ لِلَّهِ حَيِّباً﴾ محاسباً ومجازياً وشاهداً.

﴿٧﴾ قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية.

نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كُججة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيته، سويد وعرفجة، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير، وإن كان الصغير ذكراً، وإنما كانوا يورثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة، فجاءت أم كُججة فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وأنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالاً حسناً،

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّقْرُوصًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ قَارِضُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضُعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى إِتْمَانًا كَلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا وَسَصَصُوا سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي آوَلَدِكُمْ لَكُمْ ذِكْرٌ مِثْلَ حَبْذِ الْأُنْثَى إِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُيُوتِي لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُمَا الشُّدْءَ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلثَّلَةِ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأَخَوَةِ الشُّدْءُ مِنْ بَدْوٍ وَصِيَّةٌ يُؤْتِي سَيِّدًا أَوْ دِينَ مَّا بَيْنَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

كيفية هذا الأكل بالمعروف، فقال عطاء وعكرمة: يأكل بأطراف أصابعه، ولا يسرف ولا يكتسي منه، [وقال]: لا يلبس الكتان ولا الخلل، ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة، وقال الحسن وجماعة: يأكل من تمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه، فأما الذهب والفضة فلا؛ فإن أخذ شيئاً منه فعليه رده [عليه]، وقال الكلبي: المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لي يتيماً وإن له إبلاً فأشرب من لبن إبله؟ فقال: إن كنت

هذه قبل آية الميراث فلما نزلت آية الميراث جعلت الموارث لأهلها، ونسخت هذه الآية. وقال آخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم، وقال الحسن: كانوا يعطون الثابت والأواني ورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيا من قسمته، وإن كان بعض الورثة طفلاً فقد اختلفوا فيه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: إن كانت الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانت صغاراً اعتذروا إليهم، فيقول الولي والوصي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار، ولو كان لي منه شيء لأعطيتهكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقوقك، هذا هو القول المعروف، وقال بعضهم ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار، فإن كانوا كباراً تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً أعطى وليهم. روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاماً لأجل هذه الآية، وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي. وقال قتادة عن يحيى بن يعمر: ثلاث آيات محكمات مديات تركهن الناس، هذه الآية وآية الاستئذان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَوِيَكُمْ أَلْيَنٌ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النور: ٥٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، وقال بعضهم: وهو أولى الأقاويل: إن

هذا على النذب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

① قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْنَسَ الَّذِينَ تَلَوْا تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾، أولاد صغاراً، ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾، الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته: انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً، قدّم لنفسك اعتق وتصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا، حتى يأتي على عامة ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يُجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القاتل هو الموصي يسره أن يحثه من بحضرته على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاء اليتامى يقول: من كان [منهم] في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يحب أن يفعل بذريته من بعده، قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته.

② قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾، قال مقاتل بن حيان: نزلت في رجل من بني غطفان، يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: حراماً بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أخبر عن ماله، أي

عاقبته تكون كذلك، ﴿وَسَبَّحُوا بُكْرَةً﴾، قراءة العامة بفتح الباء، أي: يدخلونها، يقال: صَلَّى النار يصلها صلاةً وصلاةً، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ كَاتِمٌ﴾ [الصافات: ١٦٣]، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الباء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُضِلُّهُ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠] ﴿سَأْتِلِيهِ سَرًّا﴾ [الم نشر: ٢٦] وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «رأيت ليلة أُسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل، إحداهما قالصة على منخره والأخرى على بطنه، وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً».

③ قوله تعالى: ﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ الْمُتَّكِنِ﴾، أَوَّلُكُمْ لِلذِّكْرِ يَثَلُ حَظُّ الْأُنثَيْنِ الآية، أعلم أن الورثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يُورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نِصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نِصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية وإبتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نِصِيبُهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] ثم صارت الورثة بالهجرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرِكِهِمْ وَلَهُمْ نِصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [الأنفال: ٧٢] فنسخ [الله] ذلك كله وصارت الورثة بأحد الأمور الثلاثة: بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعني بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض، لقوله

تعالى: ﴿وَأُولَ الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، والمعني بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالإلوة: أن المُنْتَقِ وَعَصَبَاتُهُ يرثون المُنْتَقِ، فنذكر بعون الله تعالى فصلاً وجيزاً في بيان من يرث من الأقارب. وكيفية توريث الورثة فنقول: إذا مات ميتٌ وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بإنفاذ وصاياه فما قُضِيَ يُقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام منهم، من يرث بالفرض من يرث بالتعصيب، ومنهم من يرث بهما جميعاً، فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض، ومن يرث بالإلوة لا يرث إلا بالتعصيب، أما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والأخوات والأمهات والجَدَّات، وأولاد الأم، ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والإخوة وبنو [الإخوة و] الأعمام وبنيتهم، منهم من يرث بهما كالأب يرث بالتعصيب إذا لم يكن للميت ولد، وإن كان للميت ابن يرث الأب بالفرض السدس، وإن كان للميت بنت يرث الأب السدس بالفرض ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب، وكذلك الجد، وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض، وجملة الورثة سبعة عشر: عشرة من الرجال وسبع من النساء، فمن الرجال الابن وابن الابن وإن سفل والأب والجد أبو الأب وإن علا، والأخ سواء كان لأب وأم أو لأب أو لأم، وابن الأخ لأم أو

للأب وإن سفل والعم للأب والأم أو للأب وأبناؤهما وإن سفلوا، والزوج ومولى العتاق، ومن النساء البنت وبنت الابن وإن سفلت [والأم]، والجدَّة أم الأم أم الأب، والأخت سواء كانت لأب وأم أو لأب أو لأم، والزوجة ومولاة العتاق، وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالخير: الأبوان والولدان، والزوجان، لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة، والأسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة: اختلاف الدين والرق والقتل وعمي الموت، ونعني باختلاف الدين أن الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم».

أما الكفار يرث بعضهم من بعض مع اختلاف مللهم، لأن الكفر كله ملة واحدة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وذهب [بعض أهل العلم] إلى أن اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي النصراني ولا النصراني المجوسي، وإليه ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحاق: لقول النبي ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»، وتأوله الآخرون على

الإسلام مع الكفر، أما الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه إثبات التوارث بين أهل ملتين شتى، والرقيق لا يرث أحداً ولا يرثه أحد لأنه لا ملك له ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وأم الولد، والقتل يمنع الميراث عمداً كان أو خطأ لما:

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «القاتل لا يرث».

ونعني بعنى الموت أن المتوارثين إذا عمى موتها بأن غرقا في ماء أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يورث أحدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حياته يقيناً بعد موته من ورثته. والسهام المحدودة في الفرائض ستة: النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس، فالنصف فرض ثلاثة: فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو لبنت الابن عند عدم ولد الصلب، وفرض الأخت الواحدة للأب والأم أو للأب إذا لم يكن ولد لأب وأم، والربع فرض [اثنين: فرض] الزوج إذا كان للميت ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد، والثمن: فرض الزوجة إذا كان للميت ولد، والثلثان فرض البنيتين للصلب فصاعداً ولبنتي الابن فصاعداً عند عدم ولد الصلب، وفرض الأختين لأب وأم أو للأب فصاعداً، والثلث فرض ثلاثة: فرض الأم إذا لم يكن للميت ولد، والاثنتان من الأخوة والأخوات، إلا في مسألتين:

إحدهما زوج وأبوان، والثانية: زوجة وأبوان، فإن للأم فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج والزوجة، وفرض الاثنين فصاعداً من أولاد الأم، ذكرهم وأنشاهم فيه سواء، وفرض الجد مع الإخوة إذ لم يكن في المسألة صاحب فرض، وكان الثلث خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة. وأما السدس ففرض سبعة: فرض الأب إذا كان للميت ولد، وفرض الأم إذا كان للميت ولد، أو اثنان من الإخوة والأخوات، وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الإخوة والأخوات إذا كان في المسألة صاحب فرض، وكان السدس خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة، وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكراً كان أو أنثى، وفرض بنات الابن إذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلاثين، وفرض الأخوات للأب إذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة للثلاثين.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».

وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض، والحجب نوعان: حجب نقصان وحجب حرمان، فأما حجب النقصان فهو أن

الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع والزوجة من الربع إلى الثمن، والأم من الثلث إلى السدس، وكذلك الاثنان من الإخوة [والأخوات فصاعداً] يحجبون الأم من الثلث إلى السدس. وحجب الحرمان هو أن الأم تُسقط الجدات كلهن وأولاد الأم وهم الأخوة للأم والأخوات يسقطون بأربعة: بالأب والجد وإن علا، وبالولد وولد الابن وإن سفل، وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا، ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله. وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم، وذهب قوم إلى أن الإخوة جميعاً يسقطون بالجد كما يسقطون بالأب، وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم، وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة رحمهم الله، وأقرب العصباء يسقط الأبعد من العصوبة، وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب ثم الجد أبو الأب وإن علا، فإن كان مع الجد أحد من الإخوة والأخوات للأب والأم أو للأب يشتركان في الميراث، فإن لم يكن جد فالأخ للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الإخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب، فإن استويا في الدرجة

فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم للأب والأم ثم العم للأب ثم بنوهم على ترتيب بني الإخوة، ثم عم الأب ثم عم الجد على هذا الترتيب، فإن لم يكن أحد من عصباء النسب وعلى الميت ولأه فالميراث للمعتق، فإن لم يكن حياً فلعصباء المعتق. وأربعة من الذكور يعصبون الإناث، الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب حتى لو مات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب فإنه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، ولا يفرض للبنت والأخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الإناث، ومن فوقه إذا لم تأخذ من الثلاثين شيئاً حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فلبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن، فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، والأخت للأب والأم أو للأب تكون عصبية مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقي للأخت، فلو مات عن بنتين وأخت فلبنتين الثلثان والباقي للأخت، والدليل عليه ما.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة أنا أبو قيس قال: سمعت هزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال: للبنت النصف وللأخت النصف، وإني ابن مسعود فسيتابعتني فشئل ابن مسعود وأخبر

بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين أقضى فيها بما قضى به رسول الله ﷺ: للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم.

رجعنا إلى تفسير الآية. واختلفوا في سبب نزولها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال:

سمعت [جابرًا يقول جاء] رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت، فقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلاله؟ فنزلت آية الفرائض.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في أم كجعة امرأة أوس بن ثابت وبناته.

وقال عطاء: استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبتين وأخًا، فأخذ الأخ المال فأتت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ بابنتي سعد فقالت: يا رسول الله إن هاتين ابنتي سعد وإن سعدًا قتل يوم أحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك»، فنزل «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكُمْ» إلى آخرها، فدعا رسول الله ﷺ عمهما فقال له: «أعطيتي ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن

وما بقي فهو لك»، فهو أول ميراث قُسم في الإسلام.

قوله عز وجل: «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكُمْ» أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم، أي: في أمر أولادكم إذا ماتم، للذكر مثل حظ الأنثيين. «فَإِنْ كُنَّ» يعني: المتروكات من الأولاد، «نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ»، أي: اثنتين فصاعدًا «فَوْقَ» صلة، كقوله تعالى: «فَأَخْرُجُوا فَوَقَّ الْأَفْئَاتِ» [الأنفال: ١٢]، «فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ» وَإِنْ كَانَتْ» يعني: البنت، «وَاحِدَةً»، قراءة العامة [بالنصب] على خبر كان، رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة، «فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّاتَيْهَا» يعني لأبوي الميت كناية عن غير مذكور، «لِكُلِّ وَجِدٍ وَنَهْمَا الشُّدُشُ وَمَا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ»، أراد أن الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ»، قرأ حمزة والكسائي «فلأمه» بكسر الهمزة استثقالاً للضمة بعد الكسرة، وقرأ الآخرون بالضم على الأصل «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ»، اثنان أو أكثر ذكوراً أو إناثاً «فَلِأُمِّهِ الشُّدُشُ»، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال: «فَإِنْ كَانَ

لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُشُ»، ولا يقال للابنتين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى: «نَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُهُمَا» [التحریم: ٤] ذكر القلب بلفظ الجمع، وأضافه إلى اثنتين، قوله تعالى: «وَبَيْنَ يَدَيْهِ صِصَتَانِ يُوسَىٰ هَبَّ أَوْ دَبَّرَ»، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر «يوسى» بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله، وكذلك الثانية وافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر الميت من قبل، بدليل قوله تعالى: «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ»، و«تُؤْتُونَ».

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية.

وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً، معناه من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان، والإرث مؤخر عن كل واحد منهما. «وَأَبَاؤُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ»، يعني: الذين يرثونكم [آبَاؤُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ]، «لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا»، أي: لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أطوعكم الله

عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ أَرْفَعَكُمْ
 درجة يوم القيامة، فالله تعالى يُشْفَعُ
 المؤمنين بعضهم في بعض، فإن كان
 الوالد أرفع درجة يوم القيامة في
 الجنة رفع إليه ولده وإن كان الولد
 أرفع درجة رفع إليه والده لتقرَّ بذلك
 أعينهم، ﴿فَرِيضَتُكَ مِنْ أَتْلَفٍ﴾، أي؛
 ما قدر الله من الموارث، ﴿لَإِنَّ أَتْلَفَ
 كَانَ عَلِيمًا﴾، بأمور العباد،
 ﴿حَكِيمًا﴾، بنصب الأحكام.

(٧) قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَصْطَ مَا تَرَكُوا أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَدٌ وَلَئِنْ كَانَتْ لَزَوَاجُكُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِيَتْ بِهَا أَوْ ذَرْبٍ﴾، هذا [في] ميراث الأزواج، ﴿وَلَهُنَّ الْأَرْبَعُ﴾، يعني: للزوجات الربع، ﴿وَمَا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ ذَرْبٍ﴾، هذا [في] ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثلث. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاكُمَا أَوْ امْرَأَتَانِ تَوَرَّثُوا كِلَاكُمَا﴾، ونظم الآية: وإن كان رجل أو امرأة يُورث كِلَاكُمَا وهو نصب على المصدر، وقيل: على خبر ما لم يُسم فاعله، تقديره: وإن كان رجل يورث ماله كِلَاكُمَا، واختلفوا في الكِلَاكُمَا فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكِلَاكُمَا مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ لَهُ. وزوي عن الشعبي قال: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عن الكِلَاكُمَا فقال: إني سأقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمَنِّي ومن

الشیطان، أراه ما خلا
الوالد والولد، فلما
استخلف عمر رضي الله
عنهما قال: إني لأستحيي
من الله أن أَرُدَّ شيئاً قاله
أبو بكر رضي الله عنه،
وذهب طاموس إلى أن
الكلالة مَن لا ولد له،
وهو إحدى الروایتین عن
ابن عباس رضي الله
عنهما، وأحد القولین عن
عمر رضي الله عنه،
واحتمج من ذهب إلى هذا
بقول الله تعالى: ﴿مَنْ أَلَّكَ اللَّهُ
يُنْفِكْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ
أَمَرْنَا هَٰلِكَ لَسَ لَمْ وَلَدٌ﴾

[النساء: ١٧٦]، وبيانه عند العامة مأخوذٌ من حديث جابر بن عبدالله، لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أبناء عبدالله بن حرام قُتل يوم أحد، وآية الكلاله نزلت في آخر عمر النبي ﷺ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه، واختلفوا في أن الكلاله اسم لمن؟ فمنهم من قال: اسم للميت، وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، لأنه مات عن ذهاب طرفيه، فكلَّ عمود نسيه، ومنهم من قال: اسم للورثة، وهو قول سعيد بن جبير، لأنهم يتكلمون الميت من جوانبه، وليس في عمود نسيه أحدٌ، كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خالٍ، وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلاله، أي: يرثني ورثة ليسوا بولد ولا

[illegible]

والِد، قال النضر بن شميل: الكلالة اسم للمال، وقال أبو الخير: سأل رجل عَقبَةَ عن الكلالة فقال: ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة، وما أعضل بأصحاب النبي ﷺ ما أعضلت بهم الكلالة، وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها: الكلالة والخلافة وأبواب الربا.

وقال معدان بن أبي طلحة:
خطب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال: إني لا أدع بعدي شيئاً
أهم عندي من الكلالة، ما راجعت
رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته
في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء
ما أغلظ لي في الكلالة، حتى طعن
بأصبعه في صدري فقال: يا عمر
الآن تكفيك آية الصيف التي في آخر
سورة النساء، وإني إن أعش أقض

النساء

سورة النساء

وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَسَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَلْيَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۚ

وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَتَاوَهُمَا فَإِنْ تَابَا فَاصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

وَلَكَسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْقَتْلَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا تُرِثُوا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَقْتُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءٍ أَيْتَمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَدْحَسَةٍ مُبَيَّنَّةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَئِيرُ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعل الله فيه خيرا كثيرا ۝

٨٠

بقضية يقضي فيها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ [القرآن].

ف قوله: «الآن تكفيك آية الصيف»؟
أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلاله آيتين إحداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والأخرى في الصيف، وهي التي في آخرها، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء، فلذلك أحاله عليها، قوله تعالى: «وَلَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ وَجِدْ مِثْلَهُمَا أَسَدُّهُنَّ» أراد به الأخ والأخت من الأم بالاتفاق وقرأ سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أم» ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل، على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكنا في الحكم سواء، ربما أضافت إلى أحدهما، وربما أضافت إليهما، كقوله تعالى: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ»،

﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾، فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد والأم، والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء في الإخوة والأخوات من

الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.

﴿مِنْ بَيْنِ وَصِيٍّ يُوصِي بِهِ أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ أي: غير مُدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية، قال: الحسن هو أن يوصي بدين ليس عليه، ﴿وَصِيَّةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾، قال قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الموت، ونهى عنه وقدم فيه.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من الفروض المحدودة، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، قرأ

أهل المدينة وابن عامر «ندخله جنات»، و«ندخله ناراً»، وفي سورة الفتح «ندخله» و«نعذبه» [الفتح: ١٧] وفي سورة التغابن «نكفر» و«ندخله» [التغابن: ٩] وفي سورة الطلاق «ندخله» [الطلاق: ١١] بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿قوله عز وجل﴾: «وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَسَةُ»، يعني: الزنا، «مِنْ نِسَائِكَ فَلْيَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ»، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، [فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود] «فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ»، فاحبسوهن، «فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا»، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، فكانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الشيب بالجلد والرجم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي رضي الله عنه أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي: قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والشيب بالشيب جلد مائة والرجم».

قال الشافعي رضي الله عنه: وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة حطان الرقاشي، فلا أدري أدخله عبد الوهاب بينهما فتزل عن كتابي أم لا. قال شيخنا الإمام: الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة [بن الصامت]، ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم، وذهب طائفة إلى أنه يجمع بينهما. روي عن علي رضي الله عنه: أنه جَلَدَ شراحة الهندانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة، وقال: جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر. وأكثر أهل العلم على أنه ثابت.

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ضَرَبَ وَغَرَبَ، وأن أبا بكر رضي الله عنه ضَرَبَ وَغَرَبَ، وأن عمر رضي الله عنه ضَرَبَ وَغَرَبَ.

واختلفوا في أن الإمساك في البيت كان حداً فنسخ أم كان حبساً ليظهر الحد، على قولين.

❦ قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾، يعني الرجل والمرأة، والهاء راجعة إلى الفاحشة، قرأ ابن كثير (اللدان، واللدنين، وهاتان،

وهذان) مشددة النون للتأكيد، ووافقه أهل البصرة في (فذللك) و[قرأ] الآخرون بالتخفيف. قال أبو عبيدة: خَصَّ أبو عمرو (فذللك) بالتشديد لقلة الحروف في الاسم ﴿فَتَاذُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة: فيقرؤهما باللسان: أَمَا خِفْتُ اللَّهَ؟ أَمَا اسْتَحِيتَ مِنْ اللَّهِ حَيْثُ زَنِيتَ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سُبُوهُمَا واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير وضرب النعال، فإن قيل: ذَكَرَ الْحَبَسَ فِي آيَةِ الْإِيذَاءِ، فكيف وجه الجمع؟ قيل: آيَةِ الْإِيذَاءِ فِي النِّسَاءِ وَهَذِهِ فِي الرِّجَالِ، وهو قول مجاهد، وقيل: آيَةِ الْإِيذَاءِ فِي الشَّيْبِ وَهَذِهِ فِي الْبَكْرِ، ﴿فَإِنْ تَابَا﴾، من الفاحشة، ﴿وَأَصْلَحَا﴾، العمل فيما بعد، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾، فلا تؤذوهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فنسخت بالجلد والرجم، والجلد في القرآن قال الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ والرجم في السنة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما أخبراه:

أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصِمَا إِلَى

رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، واذن لي أن أتكلم، فقال: «تكلم»، قال: إن ابني كان عسيماً [أي: أجيراً] على هذا، فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فاقنيت منه بمائة شاة ويجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غَنَمُكَ وجاريتُكَ فردُّ عليك، وجلد ابنه مائة وغربه عاماً وأمر أنيساً الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها» فاعترفت، فرجمها.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الرِّجْمِ فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَجِمْنَا بَعْدَهُ، وَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَاتِلِ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرِّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَالرِّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حَقٌّ عَلَى

من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

وجملة حد الزنا: أن الزاني إذا كان محصناً وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح، فحده الرجم مسلماً كان أو ذمياً وهو المراد من الشيب المذكور في الحديث، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان، ولا يرحم الذمي.

وقد صح، عن رسول الله ﷺ أنه رجم يهوديين زنياً، وكانا قد أحصنا. وإن كان الزاني غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً فلا حد عليه، وإن كان حراً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يحصن بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام، وإن كان عبداً فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان، إن قلنا يغرب فيه قولان، أصحابهما نصف سنة كما يجلد خمسين على [النصف من] الحر.

❶ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: [يعني التوبة التي يقبلها]، فيكون - على - بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿لِيَذِرَ يَسْمَلُونَ التَّوْبَةَ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عصى به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى

الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾، قيل: معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغزغر».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبا منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الأسود أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

❷ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ

يَسْمَلُونَ التَّوْبَةَ﴾، يعني: المعاصي ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، ووقع في النزع، ﴿قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْفَنِّ﴾، وهي حال السوق حيث تساق روحه، لا يقبل من كافر إيماناً ولا من عاص توبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَرَّ يَكُ يَفْعُهُمْ يُعَنِّمُ لَنَا رَأَوْا بَأْسًا﴾ [غافر: ٨٥]، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾، أي: هيانا وأعدنا، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

❸ ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّيْنُ مَاتُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾.

نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبانها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية، فقام ابن له من غيرها يقال له حضن - وقال مقاتل بن حيان: اسمه قيس بن أبي قيس - فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها، ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي

منه، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورثت نكاحي ابنه فلا [هو] ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي، فقال: «أقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾.

قرأ حمزة والكسائي [كرها] بضم [الكاف ههنا وفي سورة التوبة وقرأ الباقر بالفتح قال الكسائي هما] لغتان وقال الفراء: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَهْتَبْنَاهُ أَوْ لِمَنْ أَتَيْنَاهُ شَيْئًا﴾ أي: لا تمنعوهن من الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن، قيل: هذا خطاب لأولياء الميت، والصحيح أنه خطاب للأزواج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لفتدي وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فهى الله تعالى عن ذلك، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينٍ﴾ فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم، واختلفوا في الفاحشة، فقال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز، وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو رُذِّت حل للزوج أن يسألها الخلع، وقال عطاء: كان الرجل إذا أصاب امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها [فمنسوخ الله تعالى ذلك بالحدود] وقرأ ابن كثير وأبو بكر (مبينة)، و(مبينات) بفتح الياء، وافق أهل المدينة والبصرة في (مبينات)

والباقر بكسرهما، ﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال الحسن: راجع إلى أول الكلام، يعني: «وَعَايِرُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ غِلَظًا» [النساء: ٤] ﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، والمعاشرة بالمعروف: هو الإجمال في القول والمبيت والنفقة، وقيل: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا فِي سِكِّينَ وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾، قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ﴾، أراد بالزوج الزوجة إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة، ﴿وَعَايِرْتُمْ إِخْدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾، وهو المال الكثير صدقاً، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا بِنَتِهِ﴾، أي: من القنطار، ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ﴾، استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿بِهَتْنِكُنَّ وَإِنَّمَا تُمَيِّنُنَّ﴾، انتصابهما من وجهين: أحدهما بنزع الخافض، والثاني: بالإضمار تقديره: تصيبون في أخذه بهتاناً وإثماً ثم قال:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾، على طريق الاستعظام، ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أراد به المجامعة، ولكن الله حيي يُكني، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة، ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ بَيِّنَاتٍ غَلِيظًا﴾، قال الحسن وابن سيرين والضحاك

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَمَا تَنْتَهِزْنَ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا بِنَتِهِ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتْنِكُنَّ وَإِنَّمَا تُمَيِّنُنَّ﴾، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم بَيِّنَاتٍ غَلِيظًا ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَمَا سَبِيلًا﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ وَرَبِّبَتْكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُوهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلَ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

وقتادة: هو قول الولي عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وقال الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى».

﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم. قال أشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني اتخذتك ولداً وأنت من صالحى قومك، ولكنى أتى رسول الله ﷺ استأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

«إِنَّا كُنَّا مِنَّكَ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ»، قيل: بعد ما سلف،
وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما
مضى في الجاهلية فهو معفو عنه،
«إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً» أي: إنه
فاحشة، «وَكَانَ» فيه صلة،
و«الْفَحِشَةُ» أقبح المعاصي،
«وَمَقْتًا» أي: يُورث مقت الله،
والمقت: أشدُّ البُغض، «وَمَسَاءً
سَكِينًا»، ويشن ذلك طريقاً وكانت
العرب تقول لولد الرجل من امرأة
أبيه: مقيت وكان منهم الأشعث بن
قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن
أمية.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي
أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر
السجزي أنا الإمام أبو سليمان
الخطابي أنا أحمد بن هشام
الحضرمي أنا أحمد بن عبد الجبار
الطاردي عن حفص بن غياث عن
أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت
عن البراء بن عازب قال: مرَّ بي
خالي ومعه لواء فقلت: أين تذهب؟
قال: بعثني النبي ﷺ إلى رجل
تزوج امرأة أبيه آتية برأسه.

﴿٢٣﴾ قوله تعالى: «حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» [إلى آخر]
الآية، بين الله تعالى في هذه الآية
المحرمات بسبب الوصلة، وجملته
المحرمات في كتاب الله تعالى أربع
عشرة: سبعٌ بالنسب، وسبعٌ
بالسبب، فأما السبع بالسبب فمنها
اثنان بالرضاع وأربع بالصهرية
والسابعة المحصنات، وهن ذوات
الأزواج، وأما السبع بالنسب فقوله
تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ»

وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات
وإن علون من قبل الأم أو من قبل
الأب، «وَبَنَاتُكُمْ»، [وهي] جمع:
البنات، فيدخل فيهن بنات الأولاد
وإن سفلن، «وَأَخَوَاتُكُمْ»، جمع
الأخت سواء كانت من قبل الأب
والأم أو من قبل أحدهما،
«وَعَمَّتُكُمْ» جمع العمة، ويدخل
فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك
وإن علون، «وَعَمَلَتُكُمْ» جمع
خاله، ويدخل فيهن أخوات أمهاتك
وجدادتك، «وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ
الْأَخِي»، فيدخل فيهن بنات أولاد
الأخ والأخت وإن سفلن، وجملته:
أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله
وفصول أول أصوله. وأول فصلٍ من
كل أصل بعده، والأصول هن
الأمهات والجدات، والفصول البنات
وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله
هن الأخوات وبنات الإخوة
والأخوات، وأول فصل من كل
أصل بعده هن العمات والخالات
وإن علون، وأما المحرمات بالرضاع
فقوله تعالى: «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّائِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ»،
وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما
يحرم من النسب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد [الخلال] أنا أبو
إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن
مالك عن عبد الله بن دينار عن
سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير
عن عائشة زوج النبي ﷺ:

أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم
من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا

زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق
الهاشمي قال: أخبرنا أبو مصعب عن
مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن
عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة
زوج النبي ﷺ أنها أخبرتها:

أن رسول الله ﷺ كان عندها
وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في
بيت حفصة، فقالت عائشة رضي الله
عنها: قلت: يا رسول الله هذا رجل
يستأذن في بيتك، فقال
رسول الله ﷺ: أراه فلاناً - لعم
حفصة من الرضاعة - فقلت:
يا رسول الله لو كان فلان حياً
- لعمها من الرضاعة - أيدخل علي؟
فقال رسول الله ﷺ: «نعم إن
الرضاعة تُحرِّم ما يحرم من الولادة».

وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين
أحدهما أن يكون قبل استكمال
المولود حولين، لقوله تعالى:
«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ» [البقرة: ٢٣٣].

وزُوي عن أم سلمة رضي الله
عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «لا
يحرم من الرضاع إلا ما فتق
الأمعاء».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي ﷺ قال: «لا رضاع إلا ما
أنشز العظم وأنبت اللحم».

وإنما يكون هذا في حال الصغر،
وعند أبي حنيفة رضي الله عنه مدة
الرضاع ثلاثون شهراً، لقوله تعالى:
«وَحَلَمٌ وَفَضْلٌ ثَلَاثُونَ شَهْرًا»
[الأحقاف: ١٥]، وهو عند الأكثرين

لأقل مدة الحمل، وأكثر مدة
الرضاع، وأقل مدة الحمل ستة
أشهر، والشرط الثاني أن يوجد

خمس رضعات متفرقات، يُروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال عبدالله بن الزبير وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب سفيان الثوري، ومالك والأوزاعي وعبدالله بن المبارك وأصحاب الرأي، واحتج من ذهب إلى أن القليل لا يحرم بما:

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصّة من الرضاع والمصتان».

هكذا روى بعضهم هذا الحديث. ورواه عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وهو الصحيح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن.

وأما المحرمات بالصهرية فقوله: «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ»، وجملته أن

كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على النكاح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد، «وَرَبَائِكُمْ» التي في حُجُورِكُمْ يَنْ نِسَائِكُمْ التي دَخَلْتُمُ بِهِنَّ، الرِّبَائِب جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، سُميت ربيبة لتربيته إياها، وقوله: «فِي حُجُورِكُمْ» أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حُجْر فلان إذا كان في تربيته، «دَخَلْتُمُ بِهِنَّ» أي: جامعتموهن، ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولاده، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جاز له أن ينكح ابنتها، ولا يجوز له أن ينكح أمّها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الرِّبَائِب، «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُ بِهِنَّ فَلَا تُنْكَحُ عَلَيْكُمْ»، يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو مِتْن.

وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة، «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ»، يعنني: أزواج أبنائكم، وأحدنّها: حليّة، والذكر حليل، سُميا بذلك لأن كلّ واحد منهما حلال لصاحبه، وقيل: سُميا بذلك لأن كلّ واحد منهما يحلّ حيث يحلّ صاحبه من الحلول وهو النزول، وقيل: لأن كلّ واحد منهما يحلّ إزار صاحبه من الحَلّ وهو ضدّ العقل، وجملته: أنه يحرم على الرجل حلّائ أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من الرضاع والنسب بنفس

العقد، وإنما قال: «مِنْ أَصْلَابِكُمْ» ليعلم أن حليّة المتبنّى لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ، والرابع من المحرمات بالصهرية حليّة الأب والجدة وإن علا، فيحرم على الولد وولّد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» [النساء: ٢٢]، وقد سبق ذكره، وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين، والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطيء أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أب الواطيء وعلى ابنه.

ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهب جماعة إلى أنه لا تحرم على الزاني أم المزني بها وابنتها، وتحرم الزانية على أب الزاني وابنه، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة [بن الزبير] والزهري، وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى، وذهب قوم إلى التحريم، يُروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما، وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي. ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها فهل يُجعل ذلك كالدخول في إثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة فهل يُجعل كالوطء في

المشركين، فكرهوا غشيانهم
فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال عطاء: أراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أن تكون أمته في نكاح عبده يجوز أن يتزعمها منه وقال ابن مسعود: أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفقرة بينها وبين زوجها، ويكون بيعها طلاقاً فيحل للمشتري وطؤها، وقيل: أراد بالمحصات الحرائر ومعناه: أن ما فوق الأربع منهن حرام إلا ما ملكت أيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجواري. قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم [كتاب الله] وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا

عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ﴾، يعني: لكن
ما مضى فهو معفو عنه،
لأنهم كانوا يفعلونه قبل
الإسلام، وقال عطاء
والسدي: إلا ما كان من
يعقوب عليه السلام فإنه
جمع بين لينا أم يهوذا
وراحيل أم يوسف، وكانتا
أختين. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني:
ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن
قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من
النساء اللاتي حُرِّمْنَ بالسبب.

قال أبو سعيد الخدري: نزلت في
نساء كنَّ يهاجرن إلى رسول الله ﷺ
ولهن أزواج فيتزوجهن بعض
المسلمين، ثم يقدم أزواجهن
مهاجرين فنهى الله المسلمين عن
نكاحهن.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السبايا اللواتي سُبِينَ ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لِمَالِكِهِنَّ وطؤهن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينهما وبين زوجها.

قال أبو سعيد الخدري: بعث رسول الله ﷺ يوم حُنين جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِأُحْلٍ لَكُمْ مَا وَرَآةَ ذَلِكَ أَنْ تَنْتَقُوا
بِأَمْوَالِكُمْ تُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ قَدْ اسْتَسْتَمْتُمْ بِهِ
وَمَنْ قَاتَلَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا زَوَّجْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ أَتَرَكَ يَنْكِحُنَّ فَعَلَيْنَ يَضْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَدَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَضْرِبُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٥٢﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ سُنَنِ الدِّينِ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾

تحريم الربيبه؟ فيه قولان أصحهما وهو قول أكثر أهل العلم أنه ثبت به الحرمة، والثاني: لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بالشهوة. قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائناً جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحدهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يُحرّم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها. [لما]:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا
 زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي
 أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد

تتكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانث منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحاً في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبدالله بن نمير أنا أبي أنا عبدالعزيز بن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إني كُنْتُ أَؤْنْتُ لَكُمْ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عَنْده مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخْلِ سَبِيلَهُ وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبدالله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ نهى عن مِتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرٍ، وَعَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْحَمْرِ الْإِنْسِيَةِ.

وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المِتْعَةِ حرام، والآية منسوخة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المِتْعَةِ.

رَوَى عَنْ أَبِي نُضْرَةَ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ الْمِتْعَةِ، فَقَالَ: أَمَّا تَقْرَأُ فِي سُورَةِ

النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى؟﴾ قُلْتُ: لَا أَقْرَأُهَا هَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ.

وَرَوَى سَالِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ يَنْكُحُونَ هَذِهِ الْمِتْعَةَ؟ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، لَا أَجِدُ رِجَالاً نَكَحُهَا إِلَّا رَجَمْتُهُ بِالْحِجَارَةِ، وَقَالَ: هَدَمَ الْمِتْعَةَ النِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ وَالْعِدَّةُ وَالْمِيرَاثُ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَا أَعْلَمُ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئاً أَحْلَلَ ثُمَّ حَرَّمَ ثُمَّ أَحْلَلَ ثُمَّ حَرَّمَ غَيْرَ الْمِتْعَةِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلُوا أَجْرَهُمْ﴾ أَي: مُهَوِّزَهُمْ، ﴿وَرِيسَتَهُ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَايَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الرِّيسَةِ﴾، فَمَنْ حَمَلَ مَا قَبْلَهُ عَلَى نِكَاحِ الْمِتْعَةِ أَرَادَ أَنَّهُمَا إِذَا عَقَّدَا إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ فَلِذَا تَمَّ الْأَجَلُ فَإِنْ شَاءَتِ الْمَرْأَةُ زَادَتْ فِي الْأَجَلِ وَزَادَ الرَّجُلُ فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَا فَارْقُهَا، وَمَنْ حَمَلَ آيَةَ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ. قَالَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَايَيْتُمْ بِهِ﴾ مِنْ الْإِسْرَاءِ عَنِ الْمَهْرِ وَالْإِفْتِدَاءِ وَالْإِعْتِيَاظِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

[فصل في قدر الصداق]

وفيما يستحب منه]

أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ لِأَكْثَرِ الصَّدَاقِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ إِسْتَدْبَهِنَ

وَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يُغَالِي فِيهِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَلَا لَا تَغَالُوا فِي صَدَقَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا وَتَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئاً مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئاً مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَةً.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ السَّرْحَسِيُّ أَنَا زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ أَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَفْلَسُ أَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَحَاوَشِيُّ أَنَا عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي مِلْهَمَةَ قَالَ:

سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمْ كَانَ صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَةً وَنَشْرٌ، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشْرُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نَصْفُ أَوْقِيَةٍ، فَتِلْكَ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ، هَذَا صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ.

أَمَّا أَقْلُ الصَّدَاقِ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِيهِ، فَتُحِبُّ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ لِأَقْلِهِ بَلْ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مِيعاً أَوْ ثَمَناً جَازَ أَنْ يَكُونَ صِلَاقاً، وَهُوَ قَوْلُ رَبِيعَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَلَاثُ قَبْضَاتٍ زَهَبٍ مَهْرٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَوْ أَصْدَقَهَا سَوَطاً جَازَ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَتَقَدَّرُ بِنِصَابِ السَّرِقَةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ، غَيْرَ أَنَّ نِصَابَ السَّرِقَةِ عِنْدَ مَالِكٍ ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّرُ مَا:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال: أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني [قد] وهبت نفسي لك، فقامت [قياماً] طويلاً فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك من شيء تصدقها؟» قال: «ما عندي إلا إزارى هذا فقال رسول الله ﷺ: «إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً»، فقال: «ما أجده»، فقال: «فالتمس ولو خاتماً من حديد»، فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا [لسور سماها]، فقال النبي ﷺ: «قد زوجتكها بما معك من القرآن».

وفيه دليل على أن لا تقدير لأقل الصداق، لأنه قال: «التمس شيئاً» وهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال، ولأنه قال: «ولو خاتماً من حديد»، ولا قيمة لخاتم الحديد إلا القليل الشافه، وفي الحديث دليل على أنه يجوز تعليم القرآن صداقاً وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز وهو قول أصحاب الرأي، وكل عمل جاز الاستئجار عليه مثل البناء والخياطة وغير ذلك من

الأعمال جاز أن يجعل صداقاً، ولم يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقاً، والحديث حجة لمن جوزه بعدما أخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل، فقال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمْلِكَ لِحَاضِ ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْلِي حِجْرًا﴾ [القصص: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾، أي: فضلاً وسعة، ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُطَهَّرَاتِ﴾، الحرائر المؤمنات، ﴿قَرَأَ الْكِتَابِ﴾، بكسر الصاد حيث كان إلا قوله في هذه السورة ﴿وَالْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقرأ الآخرون بفتح جميعها، ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأَمَةِ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يَجِدَ مَهْرَ حُرَّةً، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْعَنْتِ، وَهُوَ الزَّانَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، وهو قول جابر رضي الله عنه، وبه قال طاوس وعمر بن دينار، وإليه ذهب مالك والشافعي وجوز أصحاب الرأي للحر نكاح الأمة إلا أن تكون في نكاحه حرة [أو] أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة أو أمة، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجوز إذا كانت تحت حرة، كما يقول

في الحر، وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال: ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأَمَةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مُؤْمِنَةً، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلَعَلَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَوْلَا أَوْلَاؤُكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْأَمَةِ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْأَمَةِ﴾ [المائدة: ٥] أي: الحرائر جوز نكاح الكتابية، بشرط أن تكون حرة، وجوز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين والله أعلم بآيائكم، أي: لا تعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بآيائكم، ﴿بِمَعْصُكُم مِّنَ بَعْضٍ﴾، قيل: بعضكم واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾، أي: مواليهن، ﴿وَأَنْكِحُوا أَوْلَادَهُنَّ﴾، مهورهن، ﴿وَالْمَمْلُوكَاتِ﴾ من غير مطل وضار، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾، عفاف بالنكاح، ﴿غَيْرَ مُسْتَفْحِحاتٍ﴾، أي: غير زانيات، ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾، أي: أحباب تزنون بهن في السر، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته، وذات الخدن: أن تختص بواحد لا تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز الثانية، ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن، وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون: ﴿أُحْصِنَ﴾ بضم الألف وكسر الصاد، أي:

تزوجهم، ﴿فَإِنْ آتَيْتَ بِشَحْوَةٍ﴾،
يعني: الزنا، ﴿فَمَلَّيْنِ نِصْفَ مَا عَلَى
الْمُصْنَعَيْنِ﴾، أي: ما على الحرائر
الأبكار إذا زنينا، ﴿مِنْ
الْعَذَابِ﴾، يعني: الحد فيجلد
الرقيق إذا زنى خمسين جلدة، وهل
يُعْرَب؟ فيه قولان، فإن قلنا يُعْرَب
فيُعْرَب نصف سنة على القول الأصح
ولا رجم على العبد. روي عن
عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة قال:
أمرني عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في فتية من قريش فجلدنا ولائِدَ
[من ولائد] الإمارة خمسين في
الزنا.

ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج أو لم يتزوج عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أنه لا حد على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا أَتَوْهُنَّ فَأَنَّ يَنْكِحُوهُنَّ قُلُوبَهُنَّ يَصِفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾، ورؤي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال طاوس، ومعنى الإحصان عند الآخرين الإسلام، وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصناً بالتزويج فلا رجم عليه، إنما حدّه الجلد بخلاف الحرّ، فحدّ الأمة ثابت بهذه الآية، وبيان [أنه بالجلد في الخبر] هو ما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي
أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله

حدثني الليث عن سعيد
يعني المقبري عن أبيه عن
أبي هريرة رضي الله عنهم
قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا زنت امرأة أحديكم فتيبن زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتيبن زناها فليبغها ولو يحبل من شعر».

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ﴾،
يعني: نكاح الأمة عند
عدم الطول، ﴿لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، يعني:
الزنا، يريد المشقة بغلبة

الشهوة، ﴿وَأَنْ تَصْرُوهَا﴾، عن نكاح الإماء متعفين، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لئلا يُخلق الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ﴾.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشُّهُورَ أَنْ يَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّضَ
عَنكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانِ مَصِيفًا ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ وَبِالْظُلْمِ لَا أَنْ
تَكُونَ بِحُكْمٍ عَنْ رِزْقٍ وَأَنْتُمْ وَلَكُمْ وَلَا تَقُولُوا أَلْفُ سَكَّةٍ
إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُمْ حَسِيمًا ﴿٣٣﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا
وظُلْمًا سَوَفَ نُفَصِّلْهُ فَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنْ عَجَبُوا أَكْبَارُ مَا نُهَوِّنُ عَنْهُ تَكْفِيرًا
عَنكُمْ سَخِرْنَا مِنْكُمْ وَلَدْخَلْنَاكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣٥﴾
وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفْضَلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نُصِيبٌ وَمِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نُصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَسَقُولُوا لِلَّهِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمْسَكُوا قَوْلَهُمْ
نُصِيبُهُمْ مِّمَّا لِلَّهِ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٧﴾

محرمة على من قبلكم، وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَيُؤْتِيهِمْ عَلَيْهِمْ﴾، وينجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، وقيل: يوفقكم التوبة ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بمصالح عبادته في أمر دينهم ودنياهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما دبر من أمورهم.

﴿وَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْكُمْ﴾، إِنْ وَقَعَ مِنْكُمْ تَقْصِيرٌ فِي
أَمْرِ دِينِكُمْ ﴿وَيُرِيدُ إِلَيْكُمْ
الْمُتُوبَاتِ أَنْ يَقُولُوا﴾، عَنِ الْحَقِّ،
﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بِإِثْمَانِكُمْ مَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ.

واختلفوا في الموصوفين باتباع
الشبهات، فقال السدي: هم اليهود
والنصارى، وقال بعضهم: هم
المجوس لأنهم يُحلِّون نكاح

الأخوات وبنات الأخ والأخت، وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم جميع أهل الباطل.

﴿وَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُقَفِّدَ عَنْكُمْ﴾، يسهل عليكم أحكام الشرع، وقد سهل كما قال حل ذكره: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال النبي ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة».

﴿وَوُضِعَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان: ﴿وَوُضِعَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤].

﴿يَكَايُنَا الَّذِي﴾ قوله تعالى: ﴿يَكَايُنَا الَّذِي﴾، ﴿أَمْثَلُ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني بالحرام، بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة [إلا أن تكون بَعْدَ تَجَرَّةٍ]، [قرأ أهل الكوفة] ﴿تَجَرَّةٍ﴾ نصب على خبر كان، أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة، ﴿عَنْ تَرَاحٍ بَيْنَكُمْ﴾، أي بطيب نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر:

أن رسول الله ﷺ قال: «المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه، ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال أبو عبيدة: لا تهلكوها، كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقيل: لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه، أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عينة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك:

أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عَذَّبَ به يوم القيامة».

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ بن عبدالرحمن المزني أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال سمعت الحسن: أخبرنا جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «خرج رجل فيمن كان قبلكم أرب فجزع منه فأخرج سكيناً فحزَّ بها يده فما رقا الدم حتى مات، فقال الله عز وجل: يادرنى عبدي بنفسه فحزمت عليه الجنة».

وقال الحسن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، أخبرنا عبدالواحد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا شعبة عن علي بن مدرك قال: سمعت أبا زرعة بن عمرو بن جرير عن جده قال:

قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

﴿وَمَنْ يَقْعَلْ ذَلِكَ﴾، يعني: ما سبق ذكره من المحرمات، ﴿عَذَابًا وَظُلُمًا﴾، فالعدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿فَتَوَفَّ نَصْلِيهِ﴾، ندخله في الآخرة، ﴿نَارًا﴾، يُصَلَّى فيها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، هيناً.

﴿إِنْ تَحْتَبَوْا﴾ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبَوْا﴾، ﴿كَبِيرًا مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ﴾، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال: سمعت الشعبي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشرāk بالله عز وجل وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي [محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا بشر بن المفضل أنا

الجبريري عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» [ثلاثاً] قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله عز وجل، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور، وواصل الأحمد بن أبي واثل عن عمرو بن شرحبيل عن عبدالله رضي الله عنهما قال:

قلت يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تعالى [تصديق قول النبي ﷺ] «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ الْقَسَمَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ» [الفرقان: ٦٨] الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثني سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث أنا أبو هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا

رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الزنا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت حميد بن عبدالرحمن يحدث عن عبدالله بن عمرو وقال:

قال رسول الله ﷺ: «من [أكبر] الكبائر أن يسب الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه [ويسب أمه].

وعن سعيد بن جبير: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هي إلى السبعمئة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عَصِي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هله الأمة إلا راجعاً عن الإسلام أو

جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر. وقال عبدالله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله: «إِنْ جَحَّتْ بِكُمْ كَبَائِرُ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ»، فهو

كبيرة قال علي بن أبي طلحة: [عن ابن عباس] هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وقال الضحاك: ما أوعده الله عليه حداً في الدنيا وعذاباً في الآخرة. وقال الحسين بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى: «اللَّهُ كَانَ شَهِيداً كَبِيراً» [النساء: ٢]، «إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَأً كَبِيراً» [الإسراء: ٣١]، «وَإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]، «إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ» [يوسف: ٢٨]، «سُجَّتْ لَكُمْ قُلُوبُكُمْ عَظِيمٌ» [النور: ١٦]، «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عَنْدَ اللَّهِ عَظِيماً» [الأحزاب: ٥٣]، قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو، واحتج بما أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكرمانى أنا أبو طاهر محمد [بن محمد] بن محمش الزيادي أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد أنا الحسين بن داود البخاري أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ينادي من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات، توابوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي».

وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة، وقيل: الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما

أكبره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة، وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام، وقال السدي: الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتها وتوابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاستق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهاها.

قال النبي ﷺ: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»، وقيل: الكبائر ما يستحقه العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون موافقته، كما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا [أبو] الوليد أنا مهدي عن غيلان عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك فهو من السيئات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَقْبِضُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ مُكَفِّرَةٌ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني هارون بن سعيد

الأيلي أنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْخُلُوا مَدَافِعَ كَرِيمًا﴾، أي: حسناً وهو الجنة، قرأ أهل المدينة ﴿مَدَافِعَ﴾ بفتح الميم ههنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

﴿٣٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية. قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا. فنزلت هذه الآية.

وقيل: لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء: نحن أحق وأجوز إلى الزيادة من الرجال، لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقال قتادة والسدي: لما أنزل الله قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْإُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] قال الرجال إنا لنرجو أن نُفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجراً لنا على الضعف من أجر النساء كما

فُضِّلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى: ﴿لِلْإِنْثَى مِثْلُ مِثْلِ الذَّكَرِ﴾ من الأجر ﴿وَلِلنِّسَاءِ مِثْلُ مِثْلِ الذَّكَرِ﴾ معناه: أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء، وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد فللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج. يعني: إن كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة الأزواج وحفظ الفروج قوله تعالى: ﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ قُضِيِّهِ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي (وسلوا، وسل، فسل)، إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز، ونقل حركة الهمزة إلى السين، والباقون بسكون السين مهموزاً. فهى الله تعالى عن التمتي لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه [سواء تمنّاها لنفسه أم لا]، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز. قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن. وقوله: ﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ قُضِيِّهِ﴾ قال ابن عباس: وأسألوا الله من فضله أي: من رزقه، قال سعيد بن جبيرة: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، وقال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿إِنَّ اللَّهَ

كَانَ يَكُلُّ مِمَّا عَلَيْهِمْ.

﴿وَلِكُلِّي جَمَلْنَا مَوَالِي﴾
أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي، أي: عصبه يُعطون ﴿وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ والوالدان والأقربون هم المورثون، وقيل: معناه ولكل جعلنا موالي أي: ورثة ﴿وَمِمَّا تَرَكَ﴾ أي: من الذين تركهم يكون (ما) بمعنى من، ثم فسر الموالي فقال: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي: هم الوالدان والأقربون، [فعلى هذا القول: الوالدان والأقربون] هم الوارثون، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿عقدت﴾ بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكم وقرأ الآخرون: ﴿عاقدت أيمانكم﴾، والمعاهدة: المحالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين، من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد. ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك [وهدمي هدمك] وثاري ثارك وحربي حريك ويسلمني سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتغفل عني وأغفل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك [ثابتاً] في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّوَفُّهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَرْكَامُ بِمَقْعَدِمْ أُولَئِكَ يَمُوتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث

لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. وقال رسول الله ﷺ في خطبته يوم فتح مكة: لا تحدثوا جلفاً في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا فيه فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار قديموا

المدينة وكانوا يتوارثون بترك المواجهة دون الرحم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّي جَمَلْنَا مَوَالِي﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتَّوَفُّهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، الآية

نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير - قاله مقاتل، وقال الكلبي: امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة - وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمةتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «لنقتصص

سورة النساء

النساء

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلِلَّذِينَ نَحَلْتُمْ خِصْمًا حَقُّوا حَقَّهُمْ وَبِمَا حَقَّ اللَّهُ وَالَّذِينَ نَحَلْتُمْ شُرُكُهُمْ فَعَطَوْهُمْ وَأَهْجَرُوهُمْ فِي الْفُجَاءِ وَأَصْرُهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمْ فَلَا تَعْصُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿١٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَنْفِقُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِيهِمْ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٦﴾ وَأَعِذُوا بِاللَّهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَالَّذِينَ إِيحَسُوا إِلَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَشِيًّا لَا قُوَّةَ لَهُ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْلُطُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْيِ وَاللَّهُ يَكُونُ مَعَهُ أَمْوَالُهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعِذُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٨﴾

١٨

من زوجها، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أناني بشيء»، فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خيراً، ورفع القصاص».

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: مسلطون على تأديبهن، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، ﴿وَبِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني: فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فَجُرْبُلٌ وَأَمْرًاكَانَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقيل: بالجهد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا

يحلّ للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالنبوة. ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: إعطاء المهر والنفقة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا حَقَّ تِلْكَ الْغَيْبِ﴾، أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرهم ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي: بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحقهن وأمرهم بأداء المهر والنفقة. وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الشعلبي أنا أبو عبد الله [محمد] بن فنجدويه أخبرنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن إسحاق المسوحي أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن

أمرتها أطاعتك وإذا غيبت عنها حفظتك في مالها ونفسها»، ثم تلا: ﴿الْبَيْتُ قَوَّيْنَتٌ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية. ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ﴾، عصيانهن، وأصل النشوز: التكبر والارتفاع، ومنه النشز: [وهو الموضع]، ﴿فَيُظْهِرُكُمْ﴾، بالتخويف من الله والوعظ بالقول، ﴿وَأَقْبِرُوهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿وَأَقْبِرُوهُنَّ﴾ يعني: إن لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضرباً غير مُبْرَحٍ ولا سائن، قال عطاء: ضرباً بالسواك.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقْبِح ولا تهجر إلا في البيت».

﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عيينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَيْهِ كِبيراً﴾، متعالياً من أن يُكَلَّفَ العباد ما لا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر منها النشوز جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ﴾، على العلم كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنّاً﴾

[البقرة: ١٨٢] أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَخَافُ مِنْ قُوَّةِ خِيَانَةٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

﴿وَلَمَّا تَخَافُ مِنْ قُوَّةِ خِيَانَةٍ﴾، يعني: خلافاً بين الزوجين، والخوف بمعنى اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظننتم شقاق بينهما، وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصنف ولا الفقرة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفقرة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلح، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾، يعني: الحكمين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾، يعني: بين الزوجين، وقيل: بين الحكمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكساتي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا الشافعي عن

أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ رِشْقَانِ بَيْنَهُمَا فَاغْلُظْا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلَيْهَا﴾، قال: جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فثام من الناس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين: تدریان ما عليكما؟ إن رأيتما أن تفرقا ففرقتما، قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي، فقال الرجل: أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه: كذبت والله حتى تُقَرَّ بمثل الذي أقرت به.

واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين والأصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاهما، وليس لحكم الزوج أن يُطلق دون رضاه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إلا بإذنها، وهو قول أصحاب الرأي لأن علياً رضي الله عنه، حين قال الرجل: أما الفرقة فلا، قال: كذبت حتى تُقَرَّ بمثل الذي أقرت به. فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على إقراره ورضاه والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاهما، فيجوز لحكم الزوج أن يُطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يخلع دون رضاها، إذا رآيا الصلاح كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك، ومن قال بهذا قال: ليس المراد من قول علي رضي الله عنه، للرجل: حتى تُقَرَّ أن رضاه شرط بل معناه: أن المرأة لما

رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل: أما الفرقة فلا، يعني: ليست الفرقة في كتاب الله، فقال علي: كذبت، حيث أنكرت أن الفرقة في كتاب الله، بل هي في كتاب [الله] فإن قوله تعالى: ﴿يُوفِّي اللَّهُ يَتِيمًا﴾ يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بإصلاح حالهما في الوصلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

كنت رديف النبي ﷺ فقال: «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟» قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟» [قال]: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم»، قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «دعهم يعملون».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَنُا، بِرَأْيِهِمَا وَعِطْفًا عَلَيْهِمَا، وَيُؤْذِي الْقُرْبَى﴾ أي: أحسنوا بذوي القربى، ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن زرة أنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً».

أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «من مسح رأس يتييم لم يمسحه إلا الله كان له بكل شجرة تمر عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتييم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه».

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَأَ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: ذي القرابة، ﴿وَالْمَلَأَ الْيَتِيمَ﴾، أي: اليتيم الذي ليس بينك وبينه قرابة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو [محمد] عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعت طلحة قال:

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جاورين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا أبو عامر الخزاز عن أبي عمران الجوني عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلقٍ، وإذا طبخت مرقّة فاكثر ماءها واغرف لجيرانك منها».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن منهل أنا يزيد بن زريع أنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد، وقال علي وعبدالله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نفقك، ﴿وَأَنْتَ أَلَسَّيْلُ﴾، قيل: هو المسافر لأنه ملازم السبيل، والأكثرون: على أنه الضيف، أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة

يعقوب بن إسحاق أنا شعيب [بن] عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جبير عن أبي شريح الخزاعي:

أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا [أبو] مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي:

أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم ليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل أن يثوي [أي: أن يقيم] عنده حتى يُخرجَه».

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: المماليك أحسنوا إليهم.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش أنا علي بن عبدالعزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة رضي الله عنها:

عن النبي ﷺ أنه كان يقول في مرضه: «الصلاة وما ملكت

أيما نكمت»، فجعل يتكلم ولا يفيض بها لسانه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي ذر الأعمش عن المعرور عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

رأيت أبا ذر وعليه بُرْدٌ وعلي غلامه بُرْدٌ، فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت خلّة وأعطيته ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فبُذِلَتْ منها فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: «أسأبت فلاناً؟» قلت: نعم، قال: «أفبُذِلَتْ [من] أمه؟» قلت: نعم، قال: «إنك امرؤ فيك جاهلية» قلت: على ساعتی: هذه من كبر السن، قال: «نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا سهل بن عمار أنا يزيد بن هارون أخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السبخي عن مرة الطيب عن أبي بكر رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة سيء المَلَكَة».

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾، المختال: المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُمْ رِيقَةً
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ
شَيْئًا قَلِيلًا ذَرًّا وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُؤْذَى الَّذِينَ
كَفَرُوا وَغَصَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللهَ حَيْثُ ﴿٤٢﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ اللَّهَ لَاتَقَرُّوهُمُ الْأَمْوَالَ
وَأَنْتُمْ مُكْرَهُونَ حَتَّى تَقْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنَاكَ إِلَّا عَارِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَقْتُلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِمَسَمَ الْأُنثَى فَلَمْ يُجِدُوا مَاءً
فَتَيَسَّمُوا سَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللهَ كَانَ عَوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصْرًا مِنْ
الرَّكْبِ يَشْرُونَ الْفُتُلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ خِلُوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٨٥

واحد من هذه الأشياء ذرة، والمراد
أنه لا يظلم لا قليلاً ولا كثيراً،
ونظمه: وماذا عليهم لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم
أي: لا يبخل ولا ينقص أحداً من
ثواب عمله مثقال ذرة، والذرة: هي
المنلة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذر
أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منها
ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل
يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قال في
آية أخرى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي
أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا
أبو بكر محمد بن عبد الله الجفدي أنا
الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان
أنا همام أنا قتادة عن أنس رضي الله
عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ
لا يظلم [المؤمن حسنة] يثاب عليها

كانوا يأتون رجالاً من
الأنصار يخالطونهم
فيقولون: لا تنفقوا
أموالكم فإننا نخشى عليكم
الفقر ولا تدرون ما يكون
فأنزل الله تعالى هذه
الآية: ﴿وَيَكْشِفُونَ مَا
آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾،
يعني: المال، وقيل:
يخلون بالصدقة ﴿وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ محل «الذين»
نصب عطفاً على الذين

يخلون، وقيل: خفض عطف على
قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ نزلت في
اليهود، وقال السدي: في المنافقين،
وقيل: [في] مشركي مكة المتفقين
على عداوة الرسول ﷺ. ﴿وَمَنْ يَكُنِ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾، صاحباً وخليلاً
﴿مَسَاءً قَرِينًا﴾، أي فبئس الشيطان
قربناً وهو نصب على التفسير،
وقيل: على القطع بالغاء الألف
واللام كما تقول: نعم رجلاً عبداً،
وكما قال تعالى: ﴿يَتَسَلَّلِينَ
بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿مَسَاءً مَثَلًا﴾
[الأعراف: ١٧٧].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما
الذي عليهم وأتي شيء عليهم؟ ﴿لَوْ
آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا
ذَرًّا﴾، [أدخل ابن عباس يده في
التراب ثم نفخ فيها، وقال: كل

بغير الحق تكبراً، ذكر هذا بعدما ذكر
من الحقوق، لأن المتكبر يمنع الحق
تكبراً.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي
أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن
الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف
السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن
همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله
عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل
يتبخر في بُردين وقد أعجبته نفسه
خَسَفَ اللهُ به الأرض فهو يتجلجل
فيها إلى يوم القيامة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق
الهاشمي أنا أبو مُصعب عن مالك
عن نافع عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ قال: «لا
ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ
خِيَلًا».

﴿وَالَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، البخل في
كلام العرب: منع السائل من فضل
ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب،
﴿وَيَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ
حمزة والكسائي ﴿بِالْبُخْلِ﴾ بفتح
الباء والخاء، وكذلك في سورة
الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء
وسكون الخاء، نزلت في اليهود
بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكنموها
وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان
العلم، وقال ابن عباس رضي الله
عنهما وابن زيد: نزلت في كردم بن
زيد وحبي بن أخطب ورفاعة بن
زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب
ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو

البرزق] في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، قال: «وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُعطى بها خيراً».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن أحمد بن حاتم البزاز الطوسي أنا أحمد بن محمد بن الحسن أن محمد بن يحيى حدثهم، أخبرنا عبدالرزاق وأخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الذبيري أنا عبدالرزاق أنا معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِثُوا فَمَا مَجَادَلَةٌ أَحَدُكُمْ لِمُصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدِّ مَجَادَلَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرُبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أَدْخَلُوا النَّارَ قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبُّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُضَوِّمُونَ مَعَنَا وَيُحْجُونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَن عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُورِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُورَهُمْ فَمَنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبِيهِ فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا قَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ أَمْرَتِنَا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنُّ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنُّ نِصْفِ دِينَارٍ، حَتَّى

يقول: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لِّشَيْءٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبُّنَا [قَدْ] أَخْرَجَنَا مِنْ أَمْرَتِنَا فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعْتَ الْمَلَائِكَةُ، شَفَعْتَ الْأَنْبِيَاءُ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، أَوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ [نَاسًا] لَمْ يَعْمَلُوا اللَّهُ خَيْرًا قَطُّ قَدْ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ أَجْسَادُهُمْ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْخَاتَمِ [مَكْتُوبٌ فِيهِ: هَؤُلَاءِ] عِتْقَاءُ اللَّهِ [مِنَ النَّارِ] فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ، قَالَ فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَيَقُولُ فَإِنْ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْهُ، فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: «رَضَايَ عَنْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله بن الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن المعافري ثم الجيلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: أَنْتَ كَرَمٌ مِنْ هَذَا شَيْءٍ؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَقَلَّكَ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَهَيْتَ الرَّجُلُ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

وقال قومٌ: هذا في الخصوم. وروى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذها، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه، فيأخذ منه وإن كان صغيراً، ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَفَجَّحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَنْتَهَرُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ويؤتى بالعبد فينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيأخذها، ويقال: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب من أين

وقد ذهبت الدنيا، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة: يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة، فيقول: ضغفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة. ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا وَلَئِنْ تَرَكَ حَسَنَةً يُمْسِكْهَا﴾، وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة: إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون؟ فيقول الله عز وجل: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صُكِّوا له صكاً إلى النار.

فمعنى الآية على هذا التأويل: أن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يشبه عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَرَكَ حَسَنَةً يُمْسِكْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز ﴿حَسَنَةً﴾ بالرفع، أي: وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك رزئة الذرة حسنة يُضَاعَفُهَا، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني: نبينا يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد، ﴿عَلَى هَذِهِ شَهِيدٌ﴾ شاهداً يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن [إسماعيل] أنا محمد بن يوسف أنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك عليك أنزل؟ [قال]: نعم، فقرأت سورة النساء حتى إذا أتيت [على] هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَذِهِ شَهِيداً﴾ قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [أي: يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا لَنَسُفَ الْأَرْضَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿شِئْنَا﴾ بفتح التاء وتشديد السين على معنى تنسوى، فادغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعيل كقوله تعالى: ﴿لَا تَكَلِّمْ قَوْمٌ إِلَّا بِإِذْنِي﴾ [هود: ١٠٥]، وقرأ الباقر بن بضم التاء وتخفيف السين على المجهول، أي: [لو] سويت بهم الأرض فصاروا هم والأرض شيئاً واحداً. قال قتادة وأبو عبيدة: يعني لو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها ثم تسوى بهم، أي: عليهم الأرض، وقيل: ودُّوا لو أنهم لم يُعِثُوا لأنهم إنما نقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية عليهم، وقال الكلبي:

يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع: كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتٌّ تَرَاباً﴾ [النبا: ٤٠]. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ قال عطاء: ودُّوا لو تسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد ﷺ ولا نعتة. وقال الآخرون: بل هو كلام مستأنف، يعني: ولا يكتُمون الله حديثاً لأن ما عملوه لا يخفى على الله ولا يقدرُونَ على كتمانهِ. وقال الكلبي وجماعة: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال سعيد بن جبيرة: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: هات ما اختلف عليك، قال: ﴿فَلَا أَشَاءُ يَنْتَهَرُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَمِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٤٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ كَاتِمٌ لِمَنْ يَشْرِكُهُ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا، وقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ يَتَنَبَّأُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠]، وذكر خلق السماء قبل [خلق] الأرض، ثم قال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ والذي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، إلى قوله: ﴿طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١] فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء، وقال: ﴿وَكُنَّا اللَّهُ عَفْوَراً رَجِساً﴾ [الفتح: ١٤] ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٥٨ و١٦٥] فكأنه كان ثم مضى؟ فقال ابن عباس:

رضي الله عنهما: فلا أنساب [بينهم] في النفخة الأولى قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَجَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الأخيرة ﴿وَأَنقَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما قوله ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون تعالوا نُقْلُ لِمَ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتُم حديثاً، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَوَّأُوا الرَّسُولَ لَوْ سَمِعُوا يَوْمَ الْأَرْضِ﴾، و﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين [ثم دحى الأرض] ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والأكام وما بينهما في يومين آخرين فقال: خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلق السموات في يومين، ﴿وَكَاكَ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيماً﴾ [الفتح: ١٤] والنساء: ١٠٠، أي: لم يزل كذلك، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله. وقال الحسن: إنها مواطن، ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همساً، وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون [والله ربنا] ما كنا مشركين وما كنا نعمل في سوء، وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ وفي موطن لا يتساءلون، وفي موطن يسألون

الرجعة، وآخر تلك المواطن أن يُخْتَمَ على أفواههم وتتكلم جوارحهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَدِيثًا﴾. ﴿١٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الْفَسَادَ وَأَنْتُمْ سُكْرَى﴾ الآية، والمراد من السكر: السكر من الخمر عند الأكثرين.

وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلاً ليصلي بهم فقرأ ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر.

وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به سكر النوم، نهى عن الصلاة عند غلبة النوم.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس أنا هارون بن إسحاق الهمداني أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصْلِي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنْ أَحْذَكُمُ إِذَا صَلَّى وَهُوَ يَنْعَسُ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ».

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَقْلُتُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾، نصب على الحال،

يعني: ولا تقرؤوا الصلاة وأنتم جُنُبٌ يقال: رجلٌ جنبٌ وامرأةٌ جنبٌ، ورجالٌ جنبٌ ونساءٌ جنبٌ، وأصل الجنباء: البُعد، وسُمي جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناس ويُعده منهم، حتى يغتسل. قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَقْتُلُوا﴾، اختلفوا في معناه فقال بعضهم: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيتموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم، وقال آخرون: بل المراد من الصلاة موضع الصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَرَبِّجْ وَمَلَأَتْ﴾ [الحج: ٤٠] ومعناه: لا تقرؤوا المسجد وأنتم جنبٌ إلا مجتازين فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه جنباء والماء في المسجد أو يكون طريقه عليه، فيمر به ولا يقيم وهذا قول عبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوماً من الأنصار كانت أبواهم في المسجد فتصيبهم الجنباء ولا ماء عندهم ولا ممرٌ لهم إلا في المسجد، فُرْخَصَ لهم في العبور، واختلف أهل العلم فيه فأباح بعضهم المرور فيه على الإطلاق، وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله، ومنع بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي، وقال بعضهم: يتييم للمرور فيه، أما الممكث فلا

يجوز عند أكثر أهل العلم.

لَمَّا رَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَجْهُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ عَنِ الْمَسْجِدِ فَإِنِّي لَا أَجِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَافِظٍ وَلَا جَنْبٍ».

وَجَوَّزَ أَحْمَدُ الْمَكِّيَّ فِيهِ وَضَعَفَ الْحَدِيثَ لِأَنَّهُ رَوَاهُ مِنْجَاهُ، وَبِهِ قَالَ الْمِزَنِيُّ، وَلَا يَجُوزُ لِلْجَنْبِ الطَّوَأُ كَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ الصَّلَاةُ وَلَا يَجُوزُ لَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي شَرِيحٍ أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ أَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ مَرَّةٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلِيمَةَ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي الْحَاجَةَ وَيَأْكُلُ مَعَنَا اللَّحْمَ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَكَانَ لَا يَخْجُبُهُ أَوْ يَحْجِزُهُ عَنْ [قِرَاءَةِ] الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا الْجَنَابَةَ.

وَغَسَلَ الْجَنَابَةَ يَجِبُ بِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ إِمَّا بِنَزْوِلِ الْمَنِيِّ أَوْ بِالتَّقَاءِ الْخَتَانَيْنِ وَهُوَ تَغْيِيبُ الْحَشْفَةِ فِي الْفَرْجِ وَإِنْ لَمْ يَنْزَلْ، وَكَانَ الْحَكْمُ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَنَّ مَنْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فَأَكْسَلَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْغَسْلُ ثُمَّ صَارَ مَنْسُوخًا.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ أَنَا عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَلَّالُ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ أَنَا الرِّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا سَفِيَّانُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ التَّقَاءِ الْخَتَانَيْنِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا التَّقَى الْخَتَانَانِ، أَوْ مَنِ الْخَتَانُ الْخَتَانُ فَقَدْ وَجِبَ الْغَسْلُ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرِيضًا، أَوْ جَمَعَ مَرِيضٌ، وَأَرَادَ بِهِ مَرَضًا يَضُرُّهُ إِمْسَاسُ الْمَاءِ مِثْلَ الْجَدَرِيِّ وَنَحْوِهِ، أَوْ كَانَ عَلَى مَوْضِعِ الطَّهَارَةِ جِرَاحَةً يَخَافُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِيهَا التَّلَفَ أَوْ زِيَادَةَ الْوَجَعِ، فَإِنَّهُ يَصْلِي بِالتَّيْمِمِ وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ مَوْجُودًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَعْضَاءِ طَهَارَتِهِ صَحِيحًا وَالبعض جريحاً غَسَلَ الصَّحِيحَ مِنْهَا وَتَيَمَّمَ لِلْجَرِيحِ، لَمَّا أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاشَانِيُّ أَنَا أَبُو عَمْرِ الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ الْهَاشِمِيِّ أَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو اللَّوْلُؤِيُّ أَنَا أَبُو دَاوُدَ سَلِيمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيُّ أَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْطَاكِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنِ الزَّيْبِرِ بْنِ خَرِيقٍ عَنِ [عَطَاءِ] عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مَتَا حَجَرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ، فَاحْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رَخِصَةً فِي التَّيْمِمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رَخِصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ قَالَ: «قَتَلْتُمُوهُ قَتَلْتُمُوهُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شَفَاءُ الْعِمَى السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصُرُ أَوْ يَعْصِبُ - شَكَ الرَّوَايَ عَلَى جَرَحِهِ خُرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ».

وَلَمْ يَجُزَّزْ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الْجَمْعَ بَيْنَ التَّيْمِمِ وَالْغَسْلِ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ أَكْثَرُ أَعْضَائِهِ صَحِيحًا غَسَلَ الصَّحِيحَ

وَلَا يَتَيَمَّمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ جَرِيحًا اقْتَصَرَ عَلَى التَّيْمِمِ. وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِمَنْ أَوْجَبَ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا. قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَوْعَى سَعْيٍ»، أَرَادَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ طَوِيلًا كَانَ أَوْ قَصِيرًا، وَعَدِمَ الْمَاءَ فَإِنَّهُ يَصْلِي بِالتَّيْمِمِ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، لَمَّا رَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سَنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيَمْسَهُ بَشْرَةً [فَإِنْ ذَلِكَ خَيْرٌ]»، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مَرِيضًا وَلَا فِي سَفَرٍ وَلَكِنَّهُ عَدِمَ الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ لَا يُعَدُّ فِيهِ الْمَاءُ غَالِبًا بَانَ كَانَ فِي قَرْيَةٍ انْقَطَعَ مَاؤُهَا فَإِنَّهُ يَصْلِي بِالتَّيْمِمِ ثُمَّ يُعِيدُ إِذَا قَدَرَ عَلَى الْمَاءِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَعِنْدَ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ لَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوْخِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِدَ الْمَاءَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَوْ جَسَدًا أَحَدًا وَتَكُنْ مِنْ الْفَاقِلِينَ»، أَرَادَ بِهِ إِذَا أَحْدَثَ، وَالْغَائِطُ إِسْمٌ لِلْمُطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ إِتْيَانُ الْغَائِطِ لِلْحَدَثِ فَكُنْتُ عَنِ الْحَدَثِ بِالْغَائِطِ، «أَوْ لَمَسْتُ الْإِنْسَاءَ»، قَرَأَ حَمِزَةً وَالْكَسَاةَ «لَمَسْتُ» هُنَا وَفِي الْمَائِدَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ «لَمَسْتُ» الْإِنْسَاءَ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى اللَّمَسِ وَالْمُلَاسَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْمَجَامَعَةُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَكُنِيَ بِاللَّمَسِ عَنِ الْجَمَاعِ لِأَنَّ الْجَمَاعَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِاللَّمَسِ، وَقَالَ قَوْمٌ: هُمَا التَّقَاءُ الْبِشْرَتَيْنِ سِوَاهُ كَانَ بِجَمَاعٍ أَوْ غَيْرِ جَمَاعٍ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَمْرٍو وَالشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ،

واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما، ينتقض وضوءهما، وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق: وإن كان اللمس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن و الثوري، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار، واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنتُ أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضتُ رجلي وإذا قام بسطتهما، قالت والبيت يومئذ ليس فيها مصابيح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي:

أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ [قالت: كنتُ نائمةً إلى جنب رسول الله ﷺ] ففقدته من

الليل فلمسته بيدي فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول: «أعوذُ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذُ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

واختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيما لو لمس امرأة من محارمه كالأم والبنت والأخت أو لمس أجنبية صغيرة، أصح القولين أنه لا ينتقض الوضوء لأنها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلاً، واختلف قوله في انتقاض وضوء الملموس [على قولين]، أحدهما: ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع، والثاني: لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد، ولو لمس شعر امرأة أو مئتها أو ظفرها لا ينتقض وضوءه عنده، وأعلم أن المحدث لا تصح صلاته ما لم يتوضأ إذا وجد الماء أو يتيمم إذا لم يجد الماء أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تُقبل [الله] صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

والحدث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عَيْنًا كان أو أثرًا، أو الغلبة على العقل بجنون أو إغماء على أي حال كان، وأما النوم

فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعداً متمكناً فلا وضوء عليه، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال:

كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون العشاء فينأمون، أحسبه قال قعوداً حتى تخفق رؤوسهم ثم يضلون ولا يتوضؤون.

وذهب قوم إلى أن النوم يُوجب الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، وبه قال الحسن وإسحاق والمُزني، وذهب قوم إلى أنه لو نام قائماً أو قاعداً أو ساجداً فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجعا وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي.

واختلفوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة إلى أنه يُوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنها، وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وأحمد وإسحاق، وكذلك المرأة تَمَسُّ فرجها، غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول: لا ينتقض إلا أن يمس ببطن الكف أو بطون الأصابع، واحتجوا بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك
عن عبد الله بن أبي بكر [بن]
محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع
عروة بن الزبير يقول: دخلتُ على
مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه
الوضوء، فقال مروان: من مسَّ
الذكر الوضوء، فقال عروة: ما
علمتُ ذلك، فقال مروان:

أخبرتني بُسرة بنت صفوان أنها
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا
مس أحدكم ذكره فليتوضأ».

وذهب جماعة إلى أنه لا يُوجب
الوضوء، روي ذلك عن علي وابن
مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبنه قال
الحسن وإليه ذهب الثوري وابن
المبارك وأصحاب الرأي، واحتجوا
بما روي عن طلق بن علي رضي الله
عنه أن النبي ﷺ سئل عن الرجل
مس ذكره، فقال: «هل هو إلا بضعة
منك؟» [ويروى: هل هو إلا بضعة
أو مضغة منه].

ومن أوجب الوضوء منه قال:
هذا منسوخ بحديث بُسرة لأن أبا
هريرة يروي أيضاً: الوضوء من مسَّ
الذكر، وهو متأخر الإسلام، وكان
قدوم طلق بن عليّ على
رسول الله ﷺ أول زمن الهجرة حين
كان بيني المسجد.

واختلفوا في خروج النجاسة من
غير الفرجين بالفصد والحجامة
وغيرهما من القيء ونحوه، فذهب
جماعة إلى أنه لا يُوجب الوضوء،
رُوي ذلك عن عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس، وبنه قال عطاء
وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب
وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب

جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقيء
والرعاف والفصد والحجامة منهم
سفيان الثوري وابن المبارك
وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق،
واتفقوا على أن القليل منه وخروج
الريح من غير السبيلين لا يُوجب
الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيرة
لأوجب قليله كالفرج.

«فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا»، اعلم
أن التيمم من خصائص هذه الأمة،
روي حذيفة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ
بثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صَفْوُنَا كَصُفْوِ
الملائكة، وجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا
مسجداً وجُعِلَتْ ثَرْتُهَا لَنَا طَهوراً إذا
لم نجد الماء»، وكان بدء التيمم ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن
محمد السرخسي أخبرنا أبو علي
زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو
إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد
الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن
مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن
أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج
النبي ﷺ قالت:

خرجنا مع رسول الله ﷺ في
بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو
بذات النخيش انقطع عقد لي فأقام
رسول الله ﷺ على التماسه وأقام
الناس معه، وليسوا على ماء وليس
معه ماء فأتى الناس أبا بكر
رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى ما
صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ
وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم
ماء، فجاء أبو بكر رضي الله عنه
ورسول الله ﷺ واضع رأسه على
فخذي قد نام فقال: أحسبني

رسول الله ﷺ والناس وليسوا على
ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبتني
أبو بكر رضي الله عنه وقال ما
شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده
في خاصرتي فلا يمنعي من التحرك
إلا مكان رسول الله ﷺ على
فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين
أصبح على غير ماء، فأنزل الله تعالى
آية التيمم «فَتَيَمَّمُوا» فقال أسيد بن
حضير وهو أحد النقباء: ما هي بأول
بركتكم يا آل أبي بكر، قالت عائشة
رضي الله عنها: فيعتنا البعير الذي
كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي
أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا عبيد بن إسماعيل أنا أبو
أسامة عن هشام عن أبيه:

عن عائشة رضي الله عنها: أنها
استعارت من أسماء قلادة فهلكت،
فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من
أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة
فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا
النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية
التيمم. فقال أسيد بن حضير:
جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر
قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً
وجعل للمسلمين فيه بركة.

«فَتَيَمَّمُوا»، أي: أقصّدوا،
«صَعِيداً طَيِّباً»، أي: تراباً طاهراً
نظيفاً قال ابن عباس رضي الله
عنهما: الصعيد هو التراب.

واختلف أهل العلم فيما يجوز به
التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله
تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه
اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار،

لأن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَتْ ثُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا»، وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ التِّيمَمَ بِالزَّرْنِیْخِ وَالْخَصِ وَالنُّوْرَةَ وَغَیْرِهَا مِنْ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ، حَتَّى قَالُوا: لَوْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَخْرَةٍ لَا غَبَارَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى التَّرَابِ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ حَتَّى زَالَ التَّرَابُ كُلَّهُ فَمَسَحَ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ صَخَّ تِيمَمُهُ، وَقَالُوا: الصَّعِيدُ وَجْهَ الْأَرْضِ.

لِمَا رَوَى عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

وَهَذَا مَجْمَلٌ، وَحَدِيثٌ حَذِيفَةٌ فِي تَخْصِیصِ التَّرَابِ مَفْسَّرٌ وَالْمَفْسَّرُ مِنَ الْحَدِيثِ يَقْضِي عَلَى الْمَجْمَلِ، وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ بِكُلِّ مَا هُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ، وَنَحْوَهُمَا وَقَالَ: إِنَّ الصَّعِيدَ اسْمٌ لِمَا تَصَاعَدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَالْقَصْدُ إِلَى التَّرَابِ، شَرْطٌ لَصَحَّةِ التِّيمَمِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَتِيمَمُوا﴾، وَالتِّيمَمُ: [هُوَ] الْقَصْدُ، حَتَّى لَوْ وَقَفَ فِي مَهَبِ الرِّيحِ فَأَصَابَ الْغَبَارَ وَجْهَهُ وَنَوَى لَمْ يَصَحَّ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَانْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، أَعْلَمَ أَنَّ مَسْحَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَاجِبٌ فِي التِّيمَمِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهِ فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْوَجْهَ وَالْيَدَيْنِ مَعَ الْمَرْفَقَيْنِ، بِضَرِيَّتَيْنِ يَضْرِبُ كَفَّهُ عَلَى التَّرَابِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا جَمِيعَ وَجْهِهِ، وَلَا يَجِبُ إِيصَالُ التَّرَابِ إِلَى مَا تَحْتَ الشَّعُورِ، ثُمَّ يَضْرِبُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَمْسَحُ بِيَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ، لِمَا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ

أَحْمَدَ الْخَلَّالُ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُ أَنَا الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الْخُوَيْرِثِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي الصَّمَةِ قَالَ:

مَرَرْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ حَتَّى قَامَ إِلَى جِدَارٍ فَحَتَّهُ بَعْضًا كَانَتْ مَعَهُ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْجِدَارِ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ.

فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ مَسْحِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ كَمَا يَجِبُ غَسْلُهُمَا فِي الْوُضُوءِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التِّيمَمَ لَا يَصَحُّ مَا لَمْ يَعْلُقَ بِالْيَدِ غَبَارَ التَّرَابِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّ الْجِدَارَ بِالْعَصَا، وَلَوْ كَانَ مَجْرَدَ الضَّرْبِ كَافِيًا لَمَا كَانَ حَتُّهُ، وَذَهَبَ الزَّهْرِيُّ إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ، لِمَا رَوَى عَنْ عَمَارٍ أَنَّهُ قَالَ: تَيَمَّمْنَا إِلَى الْمَنَاقِبِ. وَذَلِكَ حِكَايَةُ فَعْلِهِ وَلَمْ يَنْقُلْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

كَمَا رَوَى أَنَّهُ قَالَ: أَجْنَبْتُ فَتَمَسَّكْتُ فِي التَّرَابِ، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ [وَأَمْرَهُ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ] [انْتَهَى إِلَيْهِ]

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ التِّيمَمَ ضَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ وَمَكْحُولٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا:

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا آدَمُ أَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ عَنْ دُرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِرِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَصْبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَا أَنْتَ فَلَمْ تَصِلْ وَأَمَا أَنَا فَتَمَسَّكْتُ فَصَلَّيْتُ فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا يَكْفِيكَ هَكَذَا، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّهُ»

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ شُعْبَةَ بِإِسْنَادِهِ وَقَالَ: عَمَارٌ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَمَسَّكْتُ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَكْفِيكَ الْوَجْهُ وَالْكَفَانِ».

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنْبَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ يَصْلِي بِالْتِّيمَمِ، وَكَذَا الْحَائِضُ وَالتَّنَفُّسُ إِذَا طَهَرْتَا وَعَدَمْتَا الْمَاءَ. وَذَهَبَ عَمْرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى أَنَّ الْجَنْبَ لَا يَصْلِي بِالْتِّيمَمِ بَلْ يُوْخِرُ الصَّلَاةَ إِلَى أَنْ يَجِدَ الْمَاءَ فَيَغْتَسِلَ، وَحَمَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ الْأُنْثَى﴾ عَلَى اللَّمَسِ بِالْيَدِ دُونَ الْجَمَاعِ، وَحَدِيثَ عَمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُجَّةٌ، وَكَانَ عَمْرٌ نَسِيَ مَا ذَكَرَهُ لَهُ عَمَارٌ فَلَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِهِ. وَرَوَى أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ وَجَوَّزَ التِّيمَمَ لِلْجَنْبِ وَالْدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا:

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَلَّالِ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُ أَنَا الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عِبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي

﴿لَقَدْ تَحَدَّوْا مَكَهَ قَتَيْمُوا صَاحِبَكُمْ طَيِّبًا﴾، ظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء أو التيمم إذا لم يجد الماء عند كل صلاة، إلا أن الدليل قد قام في الوضوء فإن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد.

فبقي التيمم على ظاهره، وهذا قول علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد

وإسحاق، وذهب جماعة إلى أن التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة، ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي، واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها، وأن يقرأ القرآن إن كان جنباً، وإن كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو أن يطلبه في رحله ومن رفقائه، وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظره ينظر حوالته، وإن كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار عدل عنه لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ تَحَدَّوْا مَكَهَ قَتَيْمُوا﴾، ولا يُقال: لم يجد إلا لمن طلب، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط

رجاء العطارد من عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أمر رجلاً كان جنباً أن يتيمم ثم يصلي فإذا وجد الماء اغتسل.

وأخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عمرو بن بجدان عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر ابدأ فيها فبدوت إلى الربة فكانت تصيني الجنبابة فأمكنك الخمس والست، فأتيت رسول الله ﷺ فقال: [أبا ذر، فسكت، فقال: «تكلتك أمك يا أبا ذر لأملك الويل»، فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فستررتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكانني ألقىني عني جبلاً، فقال: «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسسه جلدك فإن ذلك خير».

ومسح الوجه واليدين في التيمم، تارة يكون بدلاً عن غسل جميع البدن في حق الجنب والحائض والنفساء والميت وتارة عن غسل الأعضاء الأربعة في حق المحدث وتارة يكون بدلاً عن غسل بعض أعضاء الطهارة بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه أن يتيمم بدلاً عن غسله، ولا يصح التيمم لصلاة الوقت إلا بعد دخول الوقت، ولا يجوز أن يجمع بين فريضتين بتيمم واحد لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] إلى أن قال:

فإن رأي الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب إليه أو كان الماء في البئر وليس معه آلة الاستقاء، فهو كالمعدوم يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَرَى إِلَى اللَّهِ مِنْكُمْ أَتَمَّ بِمَا عَظَمْتُمْ﴾، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رفاعه بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لوتيا باستهما وعاباه فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، يستبدلون، ﴿الْفُلْكَ﴾، يعني: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقِيلُوا التَّيْلَ﴾، أي: عن السيل يا معشر المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا عَظَمْتُمْ﴾، منكم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

نَصِيرًا، [قال الزجاج: معناه اكتفوا بالله ولياً واكتفوا بالله نصيراً].

﴿٤٦﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل:
هي متصلة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أَوْفُوا نُفُوسًا مِّنَ الْكُتُبِ﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا﴾ وقيل: هي مستأنفة، معناه:

من الذين هادوا من يحرفون، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: مَنْ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ يُرِيدُ: فريقٌ، ﴿يَحْرِفُونَ أَلْفَمٌ﴾، يُغَيِّرُونَ الْكَلِمَ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، يَعْنِي: صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتِ الْيَهُودُ يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَسْأَلُونَهُ عَنِ الْأَمْرِ فَيُخْبِرُهُمْ فَيَرَى أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ فَإِذَا انْتَصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ حَرَّفُوا كَلَامَهُ.

﴿وَقُولُوا لَا سَمْعَ﴾ قولك،
﴿وَعَيْنًا﴾، أَمْرُكَ، ﴿وَأَسْمَعَ عَيْدَ﴾
مُسْمَعٍ، أي: اسمع منا ولا نسمع
منك، ﴿عَيْدَ مُسْمَعٍ﴾، أي: غير مقبول
منك.

وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿وَرَاعَنَا﴾ أي: ويقولون راعنا يُريدون به النسبة إلى الرُّعونة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، تحريفاً، ﴿وَطَعْنَا﴾، قدحاً ﴿فِي الَّذِينَ﴾، لأن قولهم: راعنا من المُرَاعاة، وهم يُحرِّفونه، يُريدون به الرُّعونة، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَلَعْنَا وَاتَّبَعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، أي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، أي أعدل وأصوب، ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا نفرًا قليلاً منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

(٤٧) قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
أَوَّلُوا الْكِتَابَ﴾، يُخاطب اليهود،
﴿وَأَمَّاؤُا بِمَا زُكَّا﴾، [يعني: القرآن]،
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، يعني:
التوراة.

وذلك أَنَّ النبي ﷺ كلم أhabar اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الأشرف، فقال: «يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق»، قالوا: ما نعرف ذلك، وأمروا على الكفر، فنزلت هذه الآية، ﴿مِنْ بَقْلِ أَنْ تُطْلَمَ وَجُوهُ﴾.

قال ابن عباس: نجعلها كخف
البعير، وقال قتادة والضحاك:
نعميها، والمراد بالوجه العين،
﴿فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾، أي: نطمس
الوجه فنردها على القفا، وقيل:
نجعل الوجه منابت الشعر كوجوه
الفرقة، لأن منابت شعور الآدميين
في أذبارهم دون وجوههم، وقيل:
معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف
وعين وفم وحاجب ونجعلها
كالأفقاء، وقيل: نجعل عينيه على
القفا فيمشي القهقري.

روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمِعَ هذه الآية جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يأتي أهله ويوده على وجهه، وأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفائي.

وكذلك كعب الأبحار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه، فقال: يا رب آمنتُ، يا رب أسلمتُ مخافة أن يصيبه وعيدُ هذه الآية.

فإن قيل: قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟ قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسح في اليهود قبل قيام الساعة، وقيل: هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقيين، وقيل: أراد به في القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: ﴿نَطْحَسُ وُجُوهَهُ﴾ أي: نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب، والرّد عن بصائر الهدى على أديارها في الكفر والضلالة، وأصل الطمس: المحو والإفساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم بها فزّدها على أديارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك وتأوله في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من [أرض] الشام ﴿أَوْ تَلْعَمَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَعْدَابَ النَّبِيِّينَ﴾، فنجعلهم قردة وخنازير، ﴿وَكَاذِبُ أُمُورِ اللَّهِ مَقْضُوءٌ﴾.

﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يُعتق فلم يُوفَّ له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أنا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يضمننا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، الآيات وقد دعونا مع الله إلهاً آخر

وقتلنا النفس التي حَرَّمَ اللهُ وَزَيْنَا،
فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت:
﴿لَا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠ - ٧١]
الآيتين، فبعث بهما رسول الله ﷺ
إليهم فلمَّا قرؤوا كتبُوا إليه: إن هذا
شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً
صالحاً، فنزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن
يَشَاءُ﴾، فبعث بها إليهم فبعثوا إليه:
إنَّا نخاف أن لا نكون من أهل
المشيئة فنزلت: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ
اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، فبعث بها إليهم
فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى
النبي ﷺ فقبل منهم، ثم قال
لوحشي: أخبرني كيف قتلت حمزة؟
فلمَّا أخبره قال: «وحك غيب
وجهك عني»، فلحق وحشي بالشام
فكان بها إلى أن مات.

وقال أبو مجلز عن ابن عمر رضي الله عنه لما نزلت: ﴿يَعْبُدُوا إِلَهَ الْإِنسَانِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية قام رجل فقال: والشرك يا رسول الله، فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثاً فنزلت: ﴿إِنَّ إِلَهًا لَا يَمُوتُ﴾ [الشورى: ١٧] الآية.

وقال مطرف بن عبدالله بن
الشخير: قال ابن عمر رضي الله
عنه: كنا على عهد محمد
رسول الله ﷺ إذا مات الرجل على
كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى
نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيُغَيِّرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
فأمسكنا عن الشهادات. حكي عن
علي رضي الله عنه أن أرجى آية في

القرآن قوله: ﴿وَتَقَرَّرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ﴾ ،
اختلق ، ﴿إِنَّمَا عَظِيمًا﴾ .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح
أنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا
حاجب بن أحمد الطوسي أنا
محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن
الأعمش عن أبي سفيان عن جابر
قال :

أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجدتان؟ قال: «مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئاً دخل الجنة، ومَنْ ماتَ يشرك بالله شيئاً دخل النار».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا
أحمد بن عبدالله النعيمي أنا
محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أخبرنا أبو معمر أنا
عبدالوارث عن حسين يعني المعلم
عن عبدالله بن بريدة عن يحيى بن
يعمر حدثه أن أبا الأسود الدؤلي
حدثه أن أبا ذر حدثه قال :

أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ
وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ،
فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ
الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زْنَى وَإِنْ سَرَقَ؟
قُلْتَ: «وَأَنْ زْنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ:
«وَأِنْ زْنَى وَإِنْ سَرَقَ؟» قَالَ: «وَأِنْ زْنَى
وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: «وَأِنْ زْنَى وَإِنْ
سَرَقَ؟» قَالَ: «وَأِنْ زْنَى وَإِنْ سَرَقَ»
عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذُرٍّ، وَكَانَ أَبُو
ذُرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَأَنْ رَغَمِ
أَنْفِ أَبِي ذُرٍّ.

﴿ ۴۹ ﴾ قوله تعالى: ﴿ اَلَمْ تَرَ اِلَى

الَّذِينَ يَرْكَنُونَ أَفْسَهُمْ، (الآية)، قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود منهم بحري بن عمرو ونعمان بن أوفى ومرحب بن زيد، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، قالوا: وما نحن إلا كهيتهم، ما عَمَلْنَا بالنهار يُكْفِرُ عَنَّا بالليل، وما عَمَلْنَا بالليل يكفر عنا بالنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد وعكرمة: كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة يزعمون أنهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية، وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل: نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًا﴾، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: هو تزكية بعضهم لبعض.

روى طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال: إن الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقول: والله إنك كيت وكيت!! ويرجع إلى بيته وما معه من دينه شيء، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، الآية. قوله تعالى: ﴿يَا اللَّهُ يَرْكُزُ﴾ أي: يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح، ﴿مَنْ يَسْكُ وَلَا يَمْلِكُونَ﴾، قتيلاً، وهو اسم لما في شق النواة، والقطمير اسم للمقشرة التي على النواة، والنقير: اسم للنقطة التي على ظهر النواة، وقيل: الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الأصبعين من الوسخ عند الفتل.

كتاب ولا تأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَّتِ وَالْأَلْعُوتِ﴾ ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومثا ثلاثون فنلزم أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدنا على قتال محمد ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فإنا أهدى طريقاً، نحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم. ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: كعباً وأصحابه ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَّتِ وَالْأَلْعُوتِ﴾، يعني: الصنمين ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أبي سفيان وأصحابه ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ﴿سَبِيلًا﴾ ديناً.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

﴿أَلَمْ لَهُمْ﴾ يعني: ألهم والميم صلة ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهذا على جهة الإنكار، يعني: ليس لهم من الملك شيء، ولو كان لهم

ومكحول: الجبّت: الكاهن، والطاغوت: الساحر. وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: الجبّت: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت: الكاهن. ورؤي عن عكرمة: الجبّت بلسان الحبشة: شيطان. وقال الضحاك: الجبّت: حبيبي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف. دليله قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ أَن يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِلَهِاتِ آلِهَةً أُخْرَى﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن عوف العبدى عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «العبائة والطرق والطريرة من الجبّت».

وقيل: الجبّت كل ما حرم الله، والطاغوت كل ما يظني الإنسان. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾.

قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْكِتَابِ فَإِذَا لَا يَأْتُونُ النَّاسَ نَبِيرًا ﴿٥١﴾ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآءِ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٢﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِرَبِّهِمْ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُنِيَ بِهِمْ مَسِجْرًا ﴿٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَلَّتْ جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا عَلَى ظِلِّينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا أَلْمَنَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٧﴾

﴿٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿انظر﴾، يا محمد، ﴿كيف يَفَرُّونَ عَلَى اللَّهِ﴾، يختلقون على الله، ﴿الكتاب﴾، في تغييرهم كتابه، ﴿وكفى به﴾ أي بالكذب ﴿وإنما شيناً﴾.

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾، اختلفوا فيهما فقال عكرمة: هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله [عز وجل]، وقال أبو عبيدة: هما كل معبود يُعبد من دون الله [عز وجل] قال الله تعالى: ﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، قال عمر: الجبّت: الساحر، والطاغوت: الشيطان. وهو قول الشعبي ومجاهد. وقيل: الجبّت: الأوثان، والطاغوت: شياطين الأوثان لكل صنم شيطان، يُعبّر عنه، فيغتر به الناس. وقال محمد بن سيرين

من الملك شيء، ﴿فَإِذَا لَا يُوَثِّقُونَ﴾^(٥٤) لِحسدهم ويخلهم والنكير: النقطة التي تكون في ظهر الثواة ومنها تنبت النخلة، وقال أبو العالية: هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما يقر الدرهم.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾، يعني: اليهود، يحسدون الناس، قال قتادة: المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على الثبوة، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمداً ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وقالوا: ما له هم إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿عَلَى مَا أَنزَلَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقيل: حسدوه على الثبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، أراد بآل إبراهيم: داود وسليمان، وبالكتاب: ما أنزل الله عليهم وبالحكمة الثبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء، فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة، ولم يكن يومئذ لرسول الله ﷺ تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَيَتَّبِعُهُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، أعرض عنه ولم يؤمن به، ﴿وَكُنْ يَمْهَرُمُ سَوِيرًا﴾،

وقوداً، وقيل: الملك العظيم: ملك سليمان، وقال السدي: الهاء في قوله ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ راجعة إلى إبراهيم، وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام، فاحتاج إليه الناس فكان يقول: من آمن بي أعطيته، فمن آمن منهم أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.

﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾، ندخلهم ناراً، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾، احترقت، ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، غير الجلود المحترقة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يُبدلون جلوداً أيضاً كأمثال القراطيس.

وروي إن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه للمقاريء: أعدوها فأعادها، وكان عنده معاذ بن جبل، فقال معاذ: عندي تفسيرها «تبدل في كل ساعة مائة مرة»، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا سمعت رسول الله ﷺ قال الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن أسيد أنا الفضل بن موسى أنا الفضل بن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما بين متكبي الكافر مسيرة

ثلاثة أيام للراكب المسرع.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا شريح بن يونس أنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هارون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ضُرْسُ الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام».

فإن قيل: كيف تُعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟ قيل يُعاد الجلد الأول في كل كزة. وإنما قال: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبدل صفتها، كما تقول صنعت من خاتمي خاتماً غيره، فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصناعة والصفة تبدلت، وكمن يترك أخاه صحيحاً ثم بعد مرة يراه مريضاً ذليلاً فيقول: أنا غير الذي عهدت، وهو عين الأول، إلا أن صفته تغيرت. وقال السدي: يُبدل الجلد جلدًا غيره من لحم الكافر ثم يعيد الجلد لحماً ثم يخرج من اللحم جلدًا آخر. وقيل: يُعذب الشخص في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾. ولم يقل: لتذوق وقال عبد العزيز بن يحيى: إن الله عز وجل يُلبس أهل النار جلوداً لا تالم، فتكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلدٌ بجلدٍ بجلدٍ غيره، كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] فالسراويل تؤلمهم وهي لا تالم. قوله تعالى: ﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَوْجٌ مُتَّحَرَةً وَتَنْجِلُهُمْ ظِلًّا ظِلِيلًا﴾، كنيئاً لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حرٌّ ولا بردٌ.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾،

نزلت في عثمان بن طلحة الحنظلي من بني عبد الدار، وكان سادس الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله المفتاح، فقبل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله ﷺ أن يرده المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآنًا، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وكان المفتاح معه فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة.

وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات.

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني وأبو أحمد بن محمد بن أحمد المعلم الهروي قال: أنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أنا الحسن بن سفيان النسوي أنا شيبان بن أبي شيبة أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ قال: «ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالقسط، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْهَتِكُمْ فِي الشَّيْءِ الَّذِي تَتَضَحَّكُونَ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزيات أنا حميد بن زنجويه أنا ابن عباد [أنا] بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلنا يدين يمين، هم الذين يَغْدُلُونَ في حكمهم وأهلهم وما ولوا».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا [أبو] القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنْ أَبْغَضَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ».

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، اختلفوا في ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾، قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَاطِقُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا

محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثني نافع عن عبد الله رضي الله عنهم.

عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن [بن] محمد الدراوردي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرنا عبادة بن الوليد بن عبادة أن أباه أخبره عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا تَنَارَغَ الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

أخبرنا أبو عبد الله [عبد الرحمن] بن عبيد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا [أبو] أحمد بكر بن محمد بن حمدان [الصيرفي] أنا محمد بن يوسف الكديمي قال أخبرنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي التياح: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي فر: «اسمع وأطع ولو لعبيد حبشي كان رأسه زينة».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد

عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن أحمد المجبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله واصلوا خمسكم وضوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم».

وقيل: المراد أمراء السرايا، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا حجاج بن محمد [ابن جريج] عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: نزلت في عبد الله بن خذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أبو المقطف محمد بن أحمد التيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأضرابي أنا عمرو بن أبي غرزة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال: رسول الله ﷺ: «إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقْتُلُوا بِاللَّذِينَ

مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»، رضي الله عنهما،

وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان [بدليل قوله تعالى ﴿وَالشَّيْطَانُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾] [التوبة: ١٠٠] الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي قال: أخبرنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن إسماعيل المكي عن الحسن بن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يَصْلَحُ الطعامُ إلا بالملح» [قال: قال الحسن: قد ذهب ملحتنا فكيف نصلح.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَوْ مِنْ شَأْنِ رَسُولِهِ أَوْ مِنْ شَأْنِ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّةٍ أُولَئِكَ يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ سُلْبَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعان يتجاذبان ويتمانعان، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن رُجد فيهما، فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد. وقيل: الرد [إلى الله تعالى والرسول] أن يقول لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. ﴿لَا تَقْعُدُوا عَلَى أَرْسَالِهِمْ﴾، أي: الرّد إلى الله والرسول، ﴿مَنْ تَزَاوَرَوْا عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ كُفَرُوا﴾ أي: أقبلوا، أي: أحسن ما لا وعاقبة.

حلفاء الأوس أشرف وأكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فلما جاء الله بالإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فاختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا، وديتكم ستون وسقاً وديتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقال الخزرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديتنا وديتكم واحد فلا فضل لكم علينا، فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون من الفريقين: لا بل إلى النبي ﷺ فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة، يعني: الحظ، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا بل مائة وسق ديتي، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى آية القصص، وهذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَرْمُؤْنَ أَنْهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني إلى: أبي بردة الكاهن أو كعب بن الأشرف، ﴿وَقَدْ أُهْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. (٦٠)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يمرضون عنك إعراضاً.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

يهودي خصومة فقال اليهودي: ننتقل إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: انطلق بنا إلى عمر رضي الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى

محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك، فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، قال لهما رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله. فنزلت هذه الآية. وقال جبريل: إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا وناق بعضهم وكانت قريظة والنضير

في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قتل به أو أخذ ديته مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقاً، وكانت النضير وهم

الَّذِينَ يَرْمُؤْنَ أَنْهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

﴿الَّذِينَ يَرْمُؤْنَ أَنْهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الآية

قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلهم أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت هذه الآية.

قال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها واحد في جهينة وواحد في أسلم، وفي كل حي كاهن، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين

مُصِيبَةً، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿يَسْمَا قَدَمَتَ آيَاتِهِمْ﴾، يعني: عقوبة صدودهم، وقيل: هي كل مصيبة تُصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة، وتم الكلام ههنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يُخبر عن فعلهم فقال: ﴿ثُمَّ جَاءَ وَكَ﴾، يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، ﴿ثُمَّ جَاءَ وَكَ﴾ أي: يحيونك ويحلفون [لك]، وقيل: أراد بالمصيبة قتل عمر رضي الله عنه المنافق، ثم جاؤوا يطلبون دينه، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا بالعدول عنه في المحاكمة أو بالتراجع إلى عمر، ﴿إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾، وقال الكلبي: إلا إحساناً في القول، وتوفيقاً: صواباً، وقال ابن كيسان: حقاً وعدلاً، نظيره: ﴿وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ [التوبة: ١٠٧]، وقيل: هو إحسان بعضهم بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التأليف والجمع بين الخصمين.

﴿١٣﴾ ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، أي: عن عقوبتهم وقيل: فأعرض عن قول عذرهم وعظهم باللسان وقل لهم قولاً بليغاً. وقيل: هو التخويف بالله ﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾، وقيل: أن يُوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: إن القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق

قتلتهم لأنه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظْهُمْ﴾ في الملا ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ في السر والخلاء، وقيل هذا منسوخ بآية القتال.

﴿١٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: إلا ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَ وَكَ فَاسْتَفْتَوْا اللَّهَ وَاسْتَفْتَوْا لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، الآية.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير:

أن الزبير رضي الله عنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدماء إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك»، فغضب الأنصاري، ثم قال: يا رسول الله أن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق ثم احبس الماء

حتى يبلغ الجدر»، فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ [قبل ذلك] أشار على الزبير برأي، أراد [به] سعة له وللأنصاري فلما أخفط الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم. قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

وروي أن الأنصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما خرجاً مر على المقداد فقال: لمن كان القضاء، فقال الأنصاري: قضى لابن عمته ولوى شذقه ففطن له يهودي كان مع المقداد، فقال: قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم، وإني والله لقد أدبنا ذنباً مرة في حياة موسى عليه السلام فدعا موسى إلى التوبة منه، فقال: اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلتنا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا، فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت، فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، [الآية].

وقال مجاهد والشعبي: نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر رضي الله عنه. قوله تعالى ﴿فَلَا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف القسم

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿٦٦﴾ الآية، نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال [له] رسول الله ﷺ: «ما غير لونك؟» فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فنزلت هذه الآية.

وقال قتادة: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فكيف نراك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في أداء الفرائض، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ، والصديق المبالغ في الصدق، ﴿وَالشَّاهِدَاءُ﴾، قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال عكرمة: النبيون ههنا محمد ﷺ، والصديقون أبو بكر، والشهداء: عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، سائر الصحابة رضي الله عنهم، ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾، يعني: رفقاء الجنة، والعرب تضع الواحد

طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعل، ﴿لَا قَلِيلٌ وَهُمْ﴾، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله.

قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي».

قرأ ابن عامر وأهل الشام ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنصب على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلاً منهم، وقرأ الآخرون (قليل) بالرفع على ضمير الفاعل في قوله ﴿فَعَلَوْهُ﴾ تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَلِيًّا﴾، تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم.

﴿وَإِذَا لَاقَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثواباً وإفراً.

﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي: إلى الصراط المستقيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرَأُوا بِكُتُبِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَلِيًّا ﴿٦٧﴾ وَإِذَا لَاقَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٩﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدَاءُ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا ﴿٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِزْبَكُمْ مِنَ الْغَنَاءِ لِلْغَنَاءِ وَأَنْفَرُوا جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ بَطَلَةٌ فَاَنْفَرُوا بِهَا أَوْ بَرُّوا جَمِيعًا ﴿٧٣﴾ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٤﴾ وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ أَمْ أَبْتَغَتْ نَا يَكُنْ لَنَا بَلَاءٌ وَأَنْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ فَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْ تَوَلَّى يَخْرُجْ يَخْرُجْ أَوْ يُصَلِّ يَجْعَلْ لَكُمْ رِزْقًا وَسَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَمَنْ يَفْقَدِ اللَّهَ يَفْقَدْ سُبُلَ الْمَوْتِ فَاسْأَلْهُ عَنَّا وَتُزِيلْ إِلَيْنَا أَعْظَمًا ﴿٧٦﴾

﴿وَرَبُّكَ لَا يُؤْمِنُكَ﴾ ويجوز أن تكون (لا) في قوله ﴿فَلَا﴾ صلة، كما في قوله ﴿فَلَا أَقْبَهُ﴾ [الواقعة: ١٧٥]، ﴿حَقِّي بِحُكْمِكَ﴾. أي يجعلوك حكماً، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه، ومنه الشجر لا تيفاف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، قال مجاهد: شكاً، وقال غيره: ضيقاً ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾، وقال الضحاك: إثماً، أي: يائسون بإنكارهم ما قضيت، ﴿وَوَسَّوْا سَلِيمًا﴾، أي: يتقادوا لأمرك انقياداً.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل ﴿أَوْ اقْرَأُوا بِكُتُبِكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، معناه: ما كتبنا عليهم إلا

موضع الجمع، كقوله تعالى: ﴿مَنْ تَحْرِيمَكُمْ فَلَقَدْ﴾ [الحج: ٥] أي: أطفالاً ﴿وَيُولَدُونَ الذُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] أي: الأديار.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس:

أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَحِبُّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى وأبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن النسوي قالوا: أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو العباس السراج أنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي أنا سفيان بن عُيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها» [فلم يذكر كثير أمر]؟ قال: «إلا أنه يحب الله ورسوله»، قال: «فأنت مع من أحببت».

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْماً﴾ أي: بشئواب الآخرة، وقيل: بمن أطاع رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن

عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدُّوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بِعَمَلِهِ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وقض».

﴿قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَدْرًا﴾، من عدوكم، أي: عذبتكم وألصقتكم من السلاح، والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل والشبه والشبه، ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ اخْرُجُوا ﴿ثَبَاتٍ﴾ أي: سرايا متفرقين سرية بعد سرية، والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة، ﴿وَأَنْفِرُوا جَيْمًا﴾ أي: مجتمعين كلكم مع النبي ﷺ.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفِرَ لَنْ يَنْفِرَ﴾»، نزلت في المنافقين، وإنما قال ﴿يَنْفِرَ﴾ لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار الإسلام، إلا في حقيقة الإيمان، ﴿لَنْ يَنْفِرَ﴾ أي: ليتأخروا، ولينشاكلوا عن الجهاد، وهو عبدالله بن أبي المنافق، واللام في ﴿لَنْ يَنْفِرَ﴾ لام القسم، والتطئة: التأخر عن الأمر، يُقال: ما أبطأ بك؟ أي: ما أخرك عنا؟ ويقال: أبطأ أبطاءً وبطاً يبطء تطئة. ﴿فَإِنْ أَمْسَكْتُمْ مِصْبَةً﴾ أي: قتل وهزيمة، ﴿قَالَ قَدْ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْقُعُودِ﴾ «إِذْ لَوْ أَكُنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا»، أي: حاضراً في تلك الغزاة فيصينى ما أصابهم.

﴿وَلَنْ أَمْسَكْتُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾، فتح وغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق، وفيه تقديم وتأخير، وقوله ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ يَبْتَغِ مَوَدَّةَ﴾ متصل بقوله ﴿فَإِنْ أَمْسَكْتُمْ مِصْبَةً﴾

تقديره: فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً، ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ يَبْتَغِ مَوَدَّةَ﴾ أي: معرفة، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء، والباقون بالياء، أي: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن: ﴿وَلَيَكُنِّي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ في تلك الغزاة، ﴿فَأَقُوزَ قَوْراً عَظِيماً﴾، أي: أخذ نصيباً وافرأ من الغنيمة، وقوله ﴿فَأَقُوزَ﴾ نصب على جواب التمني بالفاء، كما تقول: وددت أن أقوم فيتبعني الناس.

﴿قوله تعالى: ﴿لَيَقْتُلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾»، قيل: نزلت في المنافقين، ومعنى يشرون أي: يشتررون، يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه: آمنوا ثم قاتلوا، وقيل: نزلت في المؤمنين المخلصين، معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتْ﴾، يعني يستشهد، ﴿وَيُؤْتِ قَلْبَ﴾، بظفر، ﴿فَسَوْفَ يُؤْتِيَهُ﴾، في كلا الوجهين ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾، ويدغم أبو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث كان أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفُلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا

[وهم] الكفار، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ [أي: مكره، كَانَ ضَمِيقًا]، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم.

﴿قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية.

قال الكلبي: نزلت في عبدالرحمن بن عوف الزهري، والمقداد بن الأسود الكندي، وقدامة بن مظعون الجمحي، وسعد بن أبي وقاص، وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل أن يهاجروا، ويقولون: يا رسول الله انذنا لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول لهم رسول الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنْ لَمْ أَوْمَرْ بِقِتَالِهِمْ»، «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»، فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرض، «عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُيِقَ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ»، يعني: يخشون مشركي مكة، «كَشَفَتِ اللَّهُ» أي: كخشيتهم من الله، «أَوْ أَشَدَّ» أكثر، «خَشِيَّةً»، وقيل: معناه وأشد خشية، «وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ»، الجهاد، «تَوَلَّاهُ»، هلا، «أَخْرَجْنَا إِلَهُ أَهْلَ قَرْيَةٍ»، يعني: الموت، أي: هلا تركتنا حتى نموت بأجالتنا؟ واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك، فقيل: قاله قوم من المنافقين لأن قوله: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾، لا يليق بالمؤمنين، وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفاً وجبناً

الله، في طاعة الله، يعاتبهم على ترك الجهاد، «وَالْمُسْتَضْعِفِينَ» أي: عن المستضعفين، وقال ابن شهاب: في سبيل المستضعفين لتخليصهم، وقيل: في تخليص المستضعفين من أيدي المشركين، وكان بمكة جماعة، «مِنَ الْإِنِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ»، يلقون من المشركين أذى كثيراً، «وَالَّذِينَ» يذغون ويقولون رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا»، يعني: مكة، الظالم أي:

المشرك، أهلها يعني القرية التي من صفتها أن أهلها مشركون، وإنما خفض «الظَّالِمِ» لأنه نعت للأهل، فلما أعاد الأهل على القرية صار كأن الفعل لها، كما يقال: مررت برجل حسنة عينه. «وَأَجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا»، أي: من يلي أمرنا لَدُنْكَ، «وَأَجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا»، أي: من يمنع العدو عنا، فاستجاب الله دعوتهم، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ولَّى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيراً ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين.

﴿قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: فسي [طاعة الله]، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» أي: في طاعة الشيطان، «فَقَاتِلُوا» أيها المؤمنون «أُولِيَاءَ الشَّيْطَانِ» أي: جزبه وجنوده

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أُولِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى لَمَعْنَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ النِّقَى وَلَا تَنْظَرُمُونَ قَدْ يَلَا ﴿٧٧﴾ إِنَّمَا تَكُونُوا يَدُورَكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُضَيِّعْهُمْ هَسَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُضَيِّعْهُمْ هَسَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونِ يَقُولُونَ حَبِيبًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرَأَاهُ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرَأَاهُ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقِي كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ وَغَنِيمَةٍ.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني أنا عبدالرحمن عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه من غنيمَةٍ وأجرٍ، أو يتوفاه فيدخله الجنة».

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ لا تجاهدون ﴿فِي سَبِيلِ

لا اعتقاداً ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها ﴿قِيلَ وَالْآخِرَةُ﴾ أي وثواب الآخر خير وأفضل، ﴿لَيْنَ الْفُلَى﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ قِيْلًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون بالثاء

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن معاوية الصيدلاني، أخبرنا الأصم، أنا عبد الله بن محمد بن شاكر، أنا محمد بن بشر العبدى، أنا مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يَم يرجع».

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ينزل بكم الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتٍ مُّشِيدَةٍ﴾، والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة وقال قتادة: معناه في قصور محصنة، وقال عكرمة: مُّجَصَّصَةٌ، والشيد: الجص، ﴿وَلَنْ تُصْلَبَهُمْ حَسَنَةٌ﴾، نزلت في اليهود

والمنافقين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه. فقال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تُصْلَبَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي خصب ورخص في السعر، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، لنا، ﴿وَلَنْ تُصْلَبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: الجذب وغلاء الأسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسئية القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين، ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسئية كلها من عند الله، ثم غيرهم بالجهل فقال: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ يعني: المنافقين واليهود، ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ حَوِيلًا﴾ أي: لا يفقهون قولاً، وقيل: الحديث ههنا هو القرآن أي: لا يفقهون معاني القرآن.

قوله: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ﴾ قال الفراء: كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهّموا أنّ اللام متصلة بها وآتوها حرف واحد، ففصلوا اللام مما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾، خير ونعمة ﴿فِي اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بلية أو أمر تكرمه، ﴿فِي نَفْسِكَ﴾، أي: بذنوبك، الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره،

نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آبِدِكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله تعالى السئية عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَنَفْسِكَ﴾، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك أنه ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في النعم: أصابني، بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً، فهو كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَلَنْ تُصْلَبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَتَكَبَّرُوا فِيهَا وَمَنْ مَّعَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣١]، لما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقيل: معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله، أي: من فضل الله، وما أصابك من سئية من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: يعني [فبذنوب أصحابك، أي بذنوب نفسك، وهو مخالفتهم لك]، فإن قيل: كيف وجّه الجمع بين قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وبين قوله ﴿وَلَنْ تُصْلَبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؟ قيل: قوله ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى اللَّهُ وَكِيلًا ۖ

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَشِيرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا لَاقِيلًا ۖ

فَقَبِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَارْحُضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۖ

مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهَا فِئْبَبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهَا كِذْلٌ مِنْهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَاقِبًا ۖ وَإِذَا يُنْفَخُ الْفُجُورُ فَسَوْفَ يَأْخُذُنَّ فِيهَا أُولُو رُءُوسِهِمْ إِنْ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم رباً، فانزل الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾، عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾، أي: حافظاً ورقياً بل كل أمورهم إليه تعالى، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾، يعني: المنافقين يقول باللسان للرسول ﷺ: إنا آمنا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾، خرجوا، ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، قال قتادة والكلبي: بيئت أي: غير ويدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ، ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتيبي: معناه قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهائراً وكل ما قدر بليل فهو تبييت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للعرب للشيء إذا قُدِّرَ: بَيِّتَ،

يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾، أي: يُثَبِّتُ ويحفظ، ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾، ما يُسْزَوْنَ ويُغَيِّرُونَ ويُقدرون، وقال الضحاك، عن ابن عباس: يعني ما يُسْزَوْنَ من النفاق، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تحجز بأسمائهم، منع الرسول ﷺ من الأخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى اللَّهُ وَكِيلًا﴾، أي: اتخذه وكيلاً فكفى بالله وكيلاً وناصراً.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ﴾، يعني: أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، وذكر كل شيء آخره. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، أي: تفاوتاً وتناقضاً كثيراً، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافاً كثيراً، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر [به] أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا باقر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشونه ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، يعني: المنافقين ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾، أي: الفتح والغنيمة أو الخوف والقتل والهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾، أشاعوه وأفشوه، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

كلها من عند الله، وقوله: ﴿وَيَنْفَسِكُ﴾، أي: وما أصابك من سيئة من الله بذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَسْبَغْتُ مِنْ مِصْبَكِي فِيمَا كُنْتُ آيِيكَ﴾ [الشورى: ٣٠] يدل عليها ما روى مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ «وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك». وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمع تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسْرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَخِرَةٍ مِنْ نَفْسِكَ﴾، ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَى النَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى اللَّهُ شَهِيدًا﴾، على إرسالك وصدقك، وقيل: كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

الرَّسُولُ إِلَى رَأْيِهِ وَلَمْ يَحْدِثُوا بِهِ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي يَحْدُثُ بِهِ، ﴿وَأُولَ الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ﴾، أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: عَلِمُوا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَمَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْشَى، والاستنباط: الاستخراج، يقال: استنبط الماء إذا استخرجه، وقال عكرمة: يستنبطونه أي: يحرصون عليه ويسألون عنه، وقال الضحاك: يتبعونه، يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين ولو ردوه إلى الرسول ﷺ وإلى ذوي الرأي والعلم، لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، أي: يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، كلكم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلاً لم يفشه، وعني بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لَأَنَّ عِلْمَ السِّرِّ إِذَا ظَهَرَ عِلْمُهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، والإداعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ثم قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ كلام تام، وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً فهم قوم اهتموا قبل مجيء الرسول ﷺ ونزول

القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما، وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يُدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ وأعدأبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم، فأنزل الله عز وجل ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصره وعاتبهم على ترك القتال، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ﴾ جواب عن قوله ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يُقْتَلْ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤] فقاتل، ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، على القتال أي حضهم على الجهاد ورغبهم في الشواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكباً فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أي: لعن الله، ﴿أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: قتال المشركين و﴿عَسَى﴾ من الله واجب، ﴿وَأَلَّهَ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطاناً، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقوبة.

﴿٨٥﴾ قوله عز وجل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا فِيهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سيئة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ

مِنْهَا﴾، أي: نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي: حُسن القول في الناس ينال به الشواب والخير، والشفاعة السيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر، قوله ﴿كِفْلٌ مِنْهَا﴾ أي: من وزرها، وقال مجاهد: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض، يُؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يُشفع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا [أحمد بن عبد الله النعمي]، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا سفيان الثوري، عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة، عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال:

كان النبي ﷺ [جالساً] إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه، فقال: «اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء»، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدراً أو مجازياً قال الشاعر:

وذي ضغين كففت النفس عنه
وكنث على إساءته مقبلاً
وقال مجاهد: شاهداً: وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مقبلاً أي: يوصل القوت إليه. وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ويقبث».

﴿٨٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّاتٍ فَيُؤَاخِطُكُمْ بِمَا أَنْتُمْ آدَرُوهَا﴾،



ورحمة الله، فردّ عليه
فجلس، فقال: «عشرون»
ثم جاء آخر فقال: السلام
عليكم ورحمة الله
وبركاته، فردّ عليه
فجلس، فقال: «ثلاثون».

واعلم أنّ السلام سنة
ورّد السلام فريضة، وهو
فرض على الكفاية
[وكذلك السلام سنة على
الكفاية] فإذا سلّم واحد
من جماعة كان كافياً في
السنة، إذا سلّم واحد على
جماعة ورّد واحد منهم
سقط الغرض عن
جميعهم.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد بن القاضي أنا أبو طاهر
محمد بن محمد بن محمش
الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن
عمر بن حفص التاجر، أنا
إبراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكير
الكوفي، أنا وكيع، عن الأعمش،
عن أبي صالح، عن أبي هريرة
رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «والذي
نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا
أدلكم على شيء إذا فعلتموه
تحابيتم؟ أفشوا السلام بينكم».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة، أنا
الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن
أبي الخير، عن عبدالله بن عمر [و]

أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي
الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام
وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم
تعرف».

ومعنى قوله: أي الإسلام خير،
يريد أي خصال الإسلام خير،
وقيل: «فَحَبِوا بِأَحْسَنِ مَتْنًا»، معناه
أي إذا كان الذي سلّم مسلماً، «أو
رُدُّوها» بمثلها إذا لم يكن مسلماً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق
الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن
مالك، عن عبدالله بن دينار، عن
عبدالله بن عمر رضي الله عنهم
قال:

قال رسول الله ﷺ: «[إن اليهود]
إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول:
السّام عليك، فقل: عليك».

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ
شَيْءٍ حَسِيًّا» أي: على كل شيء من
رّد السلام بمثله أو بأحسن منه،
حسبياً أي: محاسباً مجازياً، وقال
مجاهد: حفيظاً، وقال أبو عبيدة:
كافياً، يقال: حسبي هذا أي كفاني.

قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ»، اللّام، لام القسم
تقديره: واللّه ليجمعنكم الله في
الموت وفي القبور، «إِلَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»، وشيّت القيامة قيامة لأن
الناس يقومون من قبورهم، قال الله
تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ رِجَالًا»
[المعارج: ٤٣] وقيل: لقيامهم إلى
الحساب، قال الله تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ رَبِّيَ الْمَكِينِ» [المطففين: ٦]،
«لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
حَوِيلًا» أي: قولاً ووعداً، قرأ حمزة

التحية: [هي] دعاء الحياة، والمراد
بالتحية ههنا السلام، يقول: إذا سلّم
عليكم مُسلّم فأجيبوا بأحسن مما
سلم أو رُدُّوها [أي ردوا] كما سلّم،
فإذا قال: السلام عليكم، فقل:
وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا
قال: السلام عليكم ورحمة الله،
فقل: وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته، فردّ مثله، روي
أن رجلاً سلّم على ابن عباس
رضي الله عنهما، قال: قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد
شيئاً، فقال ابن عباس: إنّ السلام
يتهي إلى البركة.

وروي عن عمران بن الحصين:
أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال:
السلام عليكم، فردّ عليه، ثم
جلس، فقال النبي ﷺ: «عشر» ثم
جاء آخر فقال: السلام عليكم

والكسائي ﴿أَمَدُكُمْ﴾، وكلُّ صَادٍ ساكنة بعدها دالٌّ بإشمام الزاي.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾
اختلفوا في سبب نُزُولِهَا فقال قوم: نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين، فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو الوليد، أنا شعبة، عن عدي بن ثابت قال: [سمعت عبد الله بن يزيد يحدث، عن زيد بن ثابت قال]:

لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناسٌ ممن خرج معه كان أصحاب النبي ﷺ فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾، وقال: «إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار حَبَّتِ الْفِضَّة».

وقال مجاهد: [هم] قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا وأستاذوا رسول الله ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقاتل يقول هم منافقون، وقائل يقول هم مؤمنون وقال بعضهم: نزلت في ناس من قريش قديموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى بعدوا من المدينة

فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنا على الذي فارقتك عليه من الإيمان ولكننا اجتؤنا المدينة واشتقنا إلى أرضنا، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يذروا دينهم، وكان هذا بعين النبي ﷺ وهو ساكت لا ينهى واحداً من الفريقين، فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾ أي: صرتم فيهم فتنتين، أي: فرقتين، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: نكسهم وردهم إلى الكفر، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْذُوا﴾، أي: أن ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، وقيل: معناه اتقولون أن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله، ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ﴾ أي: [ومن] يضلل الله عن الهدى، ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى الحق.

﴿قوله تعالى: ﴿وَرُؤَا﴾، تمتوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمتوا ﴿وَأَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، في الكفر، وقوله ﴿فَتَكُونُونَ﴾ لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودؤا لو تكفروا ودؤا لو تكونون سواء، مثل قوله: ﴿وَرُؤَا﴾ ﴿وَأَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [القلم: ٩] أي:

ودؤا لو تذهبن ودؤا لو تذهبن، ﴿فَلَا تَنَجَّدُوا مِنْهُنَّ أُولَئِكَ﴾، منع من موالاتهم، ﴿حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، معكم، قال عكرمة: هي هجرة أخرى، والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٨] وقوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ونحوهما من الآيات، وهجرة المنافقين. وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابراً محتسباً، كما حكي ههنا، وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه. وهي ما قال النبي ﷺ: «المهاجر من هَجَرَ ما نهى الله عنه».

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿فَقُدُّوهُمْ﴾، أي: خذوهم أسارى، ومنه يقال للأسير: أخِذْ، ﴿وَأَفْشُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الجبل والحرم، ﴿وَلَا تَنَجَّدُوا مِنْهُمْ وَلَكُمْ وَلَا نَصِيرًا﴾، ثم استثنى طائفة منهم فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل، لا إلى الموالاة، لأن موالة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى ﴿يَصِلُونَ﴾ أي: ينتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالجلف والجوار، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد يلجأون إلى قسوم، ﴿يَبْتَغِيكُمْ وَيَبْتَغِي قَوْمَهُمْ﴾ أي: عهد، وهم الأسلميون، وذلك أن

جهل بن هشام وهما أخواه لأمه. لا والله لا يظلني سقف ولا أدق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني به، فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشاً وهو في الأطم، قال له: انزل فإن أملك لم يؤوها سقف بيت بعدك، وقد حلفت ألا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهما مائة جلدة، ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت: والله لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت به، ثم تركوه موثقاً مطروحاً في الشمس ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد فقال: يا عياش أهذا الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدي لقد تركت الهدى، ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها، فغضب عياش من مقالته، وقال: والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك، ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر إلى رسول الله ﷺ وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر بإسلامه فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله، فقال الناس: ويحك أي شيء قد صنعت؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت، وإنني لم

أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾.

وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿إِلَّا خَطَا﴾، استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ﴾، كاملة، ﴿إِلَّا أَهْلِيهِ﴾ أي: إلى أهل القاتل الذين يرثونه، ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتَ﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرائنه في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَبْلٌ مِّنْ دِيَةٍ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فتجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في

مال القتاتل، ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ﴾، والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين أو نسي النية ونوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين، وإن أفطر يوماً بغدر مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع؟ اختلف أهل العلم فيه، فمنهم من قال: ينقطع وعليه استئناف الشهرين، وهو قول النخعي وأظهر قول للشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً، ومنهم من قال: لا ينقطع وعليه أن يبني، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي، ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع، فإذا طهرت بنت على ما صامت، لأنه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه، فإن عجز عن الصوم فهل يخرج عنه بإطعام ستين مسكيناً، فيه قولان، أحدهما: يخرج كما في كفارة الظهار، والثاني لا يخرج لأن الشرع لم يذكر له بدلاً فقال: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ﴾.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: جعل الله ذلك توبة القاتل الخطأ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بمن قتل خطأ ﴿وَكَيْفَا﴾ فيما حكم به عليكم، أما الكلام في بيان الدية فأعلم أن القتل على ثلاث أنواع: عمد محض وشبه عمد وخطأ

محض، أما العمد المحض فهو: أن يقصد قتل إنسان بما يقصد به القتل غالباً فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافؤ، أو دية مغلطة في مال القاتل حالة، وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من ذلك الضرب غالباً، بأن ضربه بعضاً خفيفة، أو حجر صغير ضربة أو ضربتين، فمات فلا قصاص فيه، بل تجب فيه دية مغلطة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين، والخطأ المحض هو: أن لا يقصد قتله بل قصد شيئاً آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه، بل تجب [فيه] دية مخفضة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وتجب الكفارة في ماله في الأنواع كلها، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر.

ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عُدمت قيمتها وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول، وفي قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار، أو اثني عشر ألف درهم، إما زوي عن عمر رضي الله عنه فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم. وذهب قوم إلى أن الواجب في الدية مائة من الإبل، أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري رضي الله عنهما، وبه قال مالك. وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، ودية المرأة نصف

دية الرجل، ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابياً وإن كان مجوسياً فخمس الدية، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم، ودية المجوسي ثمانمائة درهم، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وذهب إليه الشافعي رضي الله عنه. وذهب قوم إلى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم، زوي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وقال قوم: دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبدالعزيز، وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله، والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلطة بالسَّن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها، وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وبه قال عطاء: وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، إما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي رضي الله عنه أنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن في قتل العمد الخطأ بالسُّوط أو العصا مائة من الإبل مغلطة، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها».

وذهب قوم إلى أن الدية المغلطة أربع: خمس وعشرون بنت

مخاض، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة، وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي، وأما دية الخطأ فمخففة، وهي أخماس بالاتفاق، غير أنهم اختلفوا في تقسيمها، فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة، وهو قول عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة، وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله، وأبدل قوم بني اللبون بنات المخاض، يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ودية الأطراف على هذا التقدير، ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم عصبات القاتل من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لأن النبي ﷺ أوجَّها على العاقلة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية، نزلت في مقيس بن صبابه الكندي، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشام قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابه أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديتَه، فأبلغهم الفهري

ذلك فقالوا: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نُؤدي دية فاعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأبى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه، ثم ركب بعيراً وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزل فيه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾.

﴿فَجَزَاءُ مَا جَفَمْتَ خَلَائِفًا فِيهَا﴾، بكفره وارتداده وهو الذي استثناءه النبي ﷺ يوم فتح مكة، [عَمَّنْ أُمَّةٌ] فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، قوله تعالى: ﴿وَصَبَّحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أي: طرده عن الرحمة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، اختلفوا في حكم هذه الآية، فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له، ف قيل له: ليس قد قال الله في سورة الفرقان: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ أَنْفِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى أن قال ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ كُذَّابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَيَلْزَمُهُ فِيهِمْ مِثْلُ مَا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٧ - ٧٠]، فقال: كانت هذه [الآية] في الجاهلية وذلك أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]،

فهذه لأولئك وأما التي في النساء فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل مسلماً متعمداً فجزاؤه جهنم، وقال زيد بن ثابت: لما نزلت التي في الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، عجبنا من لينها فلبينا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة، وأراد بالغليظة [هذه] الآية، وباللهينة آية الفرقان، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تلك آية مكية وهذه مدنية ولم ينسخها شيء، والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي كُلِّ نَفْسٍ مَّا تَابَ وَآمَنَ وَجَعَلَ صَاحِبُهَا﴾ [طه: ٨٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَقْبِضُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، [١١٦]، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما روي عن سفيان بن غيبة أنه قال: إن لم يقتل يقال له لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة. ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر، لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر، وهو مقيس بن صباية، وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار، وقيل: قوله تعالى ﴿فَجَزَاءُ مَا جَفَمْتَ خَلَائِفًا فِيهَا﴾ معناه هي جزاؤه إن جازاه، ولكنه إن شاء عذبه [بذنبه] وإن شاء غفر له بكرمه، فإنه

وَعَدَ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ، حكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مَا جَفَمْتَ خَلَائِفًا فِيهَا﴾ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذمماً وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذمماً وأنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي ومُنَجَّرُ مواعي
والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روي أن النبي ﷺ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة وقال:

إن رسول الله ﷺ قال وحوله
عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء

لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الصَّرَفِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتِيلِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَتِيلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ دَرَجَتَيْنِ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لِمَ كُنْتُمْ مَسْتَعْجِلِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَرِيعَةً فَلَبِإِجْرًا فَأُولَئِكَ مَا وَهُمْ جَهَنَّمَ وَنَسَاءً مَصِيرًا ﴿٩٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٨﴾ وَمَنْ يَجْرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَبِيرًا وَرِيعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوَلُوتُ فَفَدَوْهُمُ أَجْرًا عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَإِذَا صَرَفْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلْيَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠٠﴾

عاقبه، فبايعناه على ذلك.

﴿٩٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيُنَازِلُكُمْ إِلَيْكُمْ مَائِمًا إِنْ صَرَفْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلِينَ﴾ الآية

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فندك [وكان] مسلماً لم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بسرية لرسول الله ﷺ تريدهم، وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي، فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين، فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي ﷺ فالتجأ غنمه إلى عاقول من الجبل، وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي ﷺ فكبر ونزل وهو

يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر، قال رسول الله ﷺ: «أقتلتموه إرادة ما معي؟» ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد، فقال: يا رسول الله استغفر لي فقال: «وكيف بلا إله إلا الله؟!» قالها

رسول الله ﷺ ثلاث مرزات، قال أسامة: فما زال رسول الله ﷺ يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم إن رسول الله ﷺ استغفر لي بعد ثلاث مرزات، وقال: «اعتق رقبة».

وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا؟»

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيُنَازِلُكُمْ إِلَيْكُمْ مَائِمًا إِنْ صَرَفْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

يعني إذا سافرتكم في سبيل الله، يعني: الجهاد، ﴿قَاتِلِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والشاء من التثنية، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقرأ الآخرون بالياء والنون من التثنية، يقال: تبيئت الأمر إذا تأملته، (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم) هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي: المعادة وهو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقرأ الآخرون ﴿السلم﴾ وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم، وقيل: السلم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: تقبلون الغنم والغنيمة، و﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ منافعها ومتاعها، ﴿فَوَعَدَ اللَّهُ مَغَانِمَ﴾، أي غنائم، ﴿كَثِيرَةً﴾، وقيل: ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، قال سعيد بن جبير: كذلك كنتم تكفون إيمانكم من المشركين ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ﴾، بإظهار الإسلام، وقال قتادة: كنتم ضلألاً من قبل فمن الله عليكم بالهداية، وقيل معناه: كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة، ﴿قَاتِلِينَ﴾ أن تقتلوا مؤمناً، ﴿إِنْ كَانَتْ يَدَاكَ تُسَاهِلُونَ خَيْرًا﴾، قلت: إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية

شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن عبدالملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عصام عن أبيه

أن النبي ﷺ كان إذا بعث سرية قال: «إذا رأيتم مسلحاً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً».

١٥ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا عبدالعزيز بن عبدالله ثنا إبراهيم بن سعد عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيته مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت رضي الله عنه أخبره

أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَاللَّجُودَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمليها عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى [على رسوله] وفخذهُ على فخذِي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترَضَ فخذِي،

ثم سُري عنه فأنزل الله ﴿عَدَّ أُولِي الْقَرْبَى﴾.

فهذه الآية في فضل الجهاد والحث عليه، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿عَدَّ أُولِي الْقَرْبَى﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء، أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت ﴿الْقَتِيلِينَ﴾ يريد: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: غير أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر، ﴿وَاللَّجُودَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَدَّ أُولِي الْقَرْبَى﴾ فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقدمهم.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك، قَدَّنا من المدينة فقال: «إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ لَأَقْوَاماً مَا سَرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «نعم وهم بالمدينة حسبهم العذر».

وروى مقسم عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر، قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لِلَّهِ الْمَجْهُدِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ عَلَى الْقَتِيلِينَ دَرَجَةً﴾، أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعدين ههنا أولي الضرر، فضل الله المجاهدين

عليهم درجةً لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿وَلَا﴾ يعني المجاهد والقاعد ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يعني: الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَقَعَدَّ اللَّهُ الْمَجْهُدِينَ عَلَى الْقَتِيلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني: على القاعدين من غير عذر.

١٦ ﴿وَرَجَّتِ نَفْسُهُ وَبَقِيَ رَجْعُهُ﴾ وكان الله غفوراً رحيمًا، قال ابن محيرز في الآية: هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عذو الفرس الجواد المضطر، سبعين خريفاً، وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبدالله [بن محمد] بن مسلم أبو بكر الجوريزي أنا يونس بن عبدالأعلى أنا ابن وهب حدثني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبدالرحمن الجبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» قال فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدوا عليّ يا رسول الله، [ففعل قال رسول الله ﷺ]: لو أخزى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في

سبيل الله الجهاد في سبيل الله.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي الشاه أنا أبي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرُز أنا محمد بن يحيى أنا شريح بن النعمان أنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَتْ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قالوا: يا رسول الله أفلا تُنذر الناس بذلك؟ قال: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ [كُلِّ دَرَجَتَيْنِ] كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، وفرض العين أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حراً كان أو عبداً غنياً كان أو فقيراً، دفعاً عن أنفسهم وعن جيرانهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية، فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا

فرض على الأبعدين إلا على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين في بلادهم، فعلى الإمام أن لا يخلي سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلاً، والاختيار للمطيع الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره: [أَنْ لَا يَقْعَدَ عَنِ الْجِهَادِ]. ولكن لا يُفترض لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَقِينَ»، فلو كان فرضاً على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب.

﴿٩٧﴾ قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ» الآية، نزلت في ناس من أهل مكة تكلّموا بالإسلام ولم يهاجروا، منهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ» أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: «قُلْ يَتُوفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ» [السجدة: ١١]، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع «ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ»، بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم، قيل: أي المقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة.

ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ: «لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»، وهؤلاء قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَضُرِبَتْ

الملائكة وجوههم وأدبارهم، [وقالوا لهم: فِيمَ كُنْتُمْ؟ فذلك قوله تعالى: «قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ» أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أفني المسلمين؟ أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعبير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، «قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ»، عاجزين، «فِي الْأَرْضِ»، يعني أرض مكة، «قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَتَى الْمَدِينَةَ وَتَخْرُجُوا مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشَّرْكِ؟ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَمْنَا بِكَذِبِهِمْ»، فقال: «فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ»، منزلهم «جَهَنَّمَ وَسَوَاءٌ مَصِيرًا»، أي: بشس المصير إلى جهنم، ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال:

﴿٩٨﴾ «إِلَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَفْقَهُونَ هِيَئَةَ الْمَوْتِ»، أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

﴿٩٩﴾ «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ»، يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً أو صله إليه، «وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن قسالة أنا هشام عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قال: «سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء: [قنت] اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ [ابن الوليد] اللَّهُمَّ أَنْجِ سلمة بن هشام اللَّهُمَّ أَنْجِ المستضعفين من المؤمنين، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجعلها سنين كسني يوسف».

﴿١٠٠﴾ قوله تعالى: «وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً»، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مُرْتَعًا» أي: مُتَحَوِّلًا يتحول إليه، وقال مجاهد: متزحزحاً عما يكره، وقال أبو عبيدة: المُرَاغَم: المهاجر، يُقال: راغمت قومي وهاجرتهم، وهو الْمُضْطَرَبُّ والمُتَذَكَّبُ.

وروي: أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يُقال له جندب بن ضمرة، فقال: والله لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت، فصَفَّقَ يمينه على شماله ثم قال: اللَّهُمَّ هذه لك وهذه لرسولك، أبايك على ما يابيك عليه رسولك، فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وُاقَى المدينة لكان أتم وأَوْفَى أجراً، وضحك المشركون وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، فانزل الله: «وَمَنْ يَخْرُجْ

مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْكَوْثُ». أي: قبل بلوغه إلى مهاجره، «فَقَدْ وَقَعَ» أي: وجب «أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»، بإيجابه على نفسه فضلاً منه، «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا».

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: «وَلَا مَصْرَفَ فِي الْأَرْضِ» أي: سافرت، «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أي: حرج وإثم «أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ»، يعني من أربع ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»، في الصلاة ونظيره قوله تعالى: «عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَغُلَّابِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ» [يونس: ٨٣]، أي: يقتلهم. «لِأَنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا» أي: ظاهر العداوة.

اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، واختلفوا في جواز الإتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي، لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.

وذهب قوم إلى جواز الإتمام، روي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، وبه قال الشافعي رضي الله عنه، إن شاء أتم وإن شاء قصر، والقصر أفضل.

أخبرنا الإمام عبد الوهَّاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم

أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر الصلاة وأنتم.

وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ»، ولفظ «فَلَا جُنَاحَ» إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتماً، فظاهر الآية يُوجب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو، والقصر جائز في السفر في حال الأمن عند عامة أهل العلم، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهَّاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريح أخبرني عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار عن عبدالله بن باباه عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما قال الله تعالى «أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»، وقد أمن الناس، فقال عمر رضي الله عنه: عجيبت مما عجيبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته».

وهو في الظاهر كالم متصل به، وهو منفصل عنه، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْخَبْرَ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ وَإِنَّهُ لَكَيْنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، وهذه حكاية عن امرأة العزيز، وقوله: ﴿وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] إخبار عن يوسف عليه السلام.

﴿وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: أن المشركين لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعاً ندماً أن لو كانوا أكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فعللمه صلاة الخوف.

وجملته أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم، ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتموا صلاتهم، وذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية، وثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم الصلاة، ثم يسلم بهم.

وهذه رواية سهل بن أبي حنيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى

في السفر الطويل والقصير، روي ذلك عن أنس رضي الله عنه، وقال عمرو بن دينار: قال لي جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلف في حد ما يجوز فيه القصر، فقال الأوزاعي: مسيرة يوم، وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم يقصران ويفطران في أربعة بُرُود، وهي ستة عشر فرسخاً، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق وقول

الحسن والزهري قريب من ذلك، فإنهما قالوا: مسيرة يومين، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، قال: مسيرة ليلتين قاصدتين، وقال في موضع: ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام، وقيل: قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الْكُفْرَاءُ﴾ [النساء: ١٠١] متصل بما

بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله، روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: نزل قوله ﴿فَلْيَسَّرْ عَلَيْكُمْ الْجَنَاحَ أَنْ تَقْرَأُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] هذا القدر، ثم بعد حَوْلٍ سألوا رسول الله ﷺ عن صلاة الخوف فنزل: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبِضَكُمْ الْكُفْرَاءُ﴾ [النساء: ١٠١] ﴿وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ الآية. ومثله في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر،

وَلَا يَلْعَلُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ فَاقْتَتَلْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَقِمْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا بَأْسَلِحَتِهِمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهَا أَلْيَسَ لَكُمْ رَسُولًا أَلَسَ لَكُمْ آيَاتُ أَنْ تُنصَلُوا فَتُحْمَلَكُمْ إِلَى الْمَوَاقِدِ فَتَقْتُلُوكُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠١﴾ فَإِذَا أَقْبَضْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٢﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تَأْمِنُونَ فَلْيُحْمَلْ أَلْمُوتَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٤﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سافر رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة آمناً لا يخاف إلا الله تعالى فصلى ركعتين.

وذهب قوم إلى أن ركعتي المسافر ليستا بقصر إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف، يروي ذلك عن جابر رضي الله عنه وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد، وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقياً، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفاً كان أو آمناً.

واختلف أهل العلم في مسافة القصر، فقالت طائفة: يجوز القصر

كذلك بذات الرقاق، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

أنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاق صلاة الخوف: أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجأ العدو فصلّى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً فأتوا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفا وجأ العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم.

قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف، وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى، عن شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي خثمة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بهذا.

وذهب قوم إلى أن الإمام إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجأ العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الأخيرة ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وجأ العدو، وتعود الطائفة الأولى فتتم صلاتها، ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها، وهذه رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ [صلى] كذلك. وهو قول أصحاب الرأي.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أنا يزيد بن زريع أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه:

أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلّى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم، فقام هؤلاء فقصوا ركعتهم [وقام هؤلاء فقصوا ركعتهم].

وكلنا الروایتين صحيحة وذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح، وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى حديث سهل بن أبي خثمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّارِهِمْ﴾ أي: إذا صلوا، ثم قال: ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهذا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وقال: ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكُمْ﴾، ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة، فظاهره يدل [على] أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلاة، والاحتياط لأمر الصلاة من حيث أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء، والاحتياط لأمر الحرب من حيث إنهم إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والهرب إن احتاجوا إليه، ولو صلى الإمام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ قال أنا الصنعاني أنا عفان بن مسلم، ثنا أبان العطار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي مسلمة، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاق وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: «لا». قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك»، قال فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فأغمد السيف وعلقه فتودي بالصلاة، قال فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا فصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان.

أخبرنا عبد الوهاب بن [محمد] الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي أخبرني الثقة [أنبائي] بن عليّة أو غيره، عن يونس، عن الحسن، عن جابر رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل، فصلّى بطائفة ركعتين ثم سلم، ثم جاءت طائفة

أخرى صلى بهم ركعتين ثم سلم.
وروي عن حذيفة رضي الله عنه
عن النبي ﷺ في صلاة الخوف أنه
صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم
يقضوا.

ورواه زيد بن ثابت وقال: كانت
للقوم ركعة واحدة وللنبي ﷺ
ركعتان. وتأوله قوم على صلاة شدة
الخوف، وقالوا: الفرض في هذه
الحالة ركعة واحدة، وأكثر أهل
العلم على أن الخوف لا ينقص عدد
الركعات فإن كان العدو في ناحية
القبلة في مستوى إن حملوا عليهم
رأوهم صلى بهم الإمام جميعاً
وحرصوا في السجود، كما:

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي أنا أبو نعيم
الإسفراني، أنا أبو عوانة الحافظ أنا
عمار، أنا يزيد بن هارون أخبرنا
عبد الملك بن أبي سليمان، عن
عطاء، عن جابر رضي الله عنهما
قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة
الخوف فصففتنا خلفه صفين، والعدو
بيننا وبين القبلة فكبر النبي ﷺ
وكبرنا جميعاً ثم ركع وركعنا جميعاً
ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا
جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف
الذي يليه وقام الصف المؤخر في
نحر العدو فلما قضى رسول الله ﷺ
السجود وقام الصف الذي يليه انحدر
الصف المؤخر بالسجود، ثم قاموا
ثم تقدم الصف المؤخر، وتأخر
المقدم ثم ركع النبي ﷺ وركعنا
جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع
ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً

في الركعة الأولى، وقام الصف
المؤخر في نحر العدو، فلما قضى
رسول الله ﷺ السجود والصف
الذي يليه انحدر الصف المؤخر
بالسجود فسجدوا، ثم سلم
النبي ﷺ وسلمنا جميعاً قال جابر
رضي الله عنه: كما يصنع حرسكم
هؤلاء بأمرائهم.

واعلم أن صلاة الخوف جائزة
بعد الرسول ﷺ عند عامة أهل
العلم. ويحكي عن بعضهم عدم
الجواز ولا وجه له، وقال الإمام
أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: كل
حديث روي في أبواب صلاة الخوف
فالعمل به جائز، روي فيها ستة أوجه
أو سبعة أوجه.

وقال مجاهد في سبب نزول هذه
الآية، عن ابن عباس الزرقي قال:
كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان وعلى
المشركين خالد بن الوليد فصلينا
الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا
غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة
فنزلت الآية بين الظهر والعصر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾
أي: شهيداً معهم فأقمت لهم الصلاة،
﴿فَلَقُمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾، أي:
فلتقف، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾
﴿قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠] أي: وقفوا،
﴿وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ﴾، واختلفوا في
الذين يأخذون أسلحتهم، فقال
بعضهم: أراد هؤلاء الذين وقفوا مع
الإمام يصلون ويأخذون الأسلحة في
الصلاة، فعلى هذا إنما يأخذه إذا كان
لا يشغله عن الصلاة، فلا يؤدي من
بجنبه [فإذا شغلته حركته وثقلته عن

الصلاة كالجعبة والترس الكبير أو كان
يؤدي من جنبه]، كالرمح فلا يأخذه،
وقيل: وليأخذوا أسلحتهم أي:
الباقون الذين قاموا في وجه العدو،
﴿وَإِذَا سَجَدُوا﴾، أي: صلوا،
﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّائِكُمْ﴾، يريد مكان
الذين هم وجبة العدو، ﴿وَلَتَأْتِ
طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهم
الذين كانوا في وجه العدو، ﴿فَلْيَصَلُّوا﴾
﴿مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِحَدِيدِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ﴾،
قيل: هؤلاء الذين أتوا، وقيل: هم
الذين صلوا، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾،
يتمنى الكفار، ﴿لَوْ تَقَفَلُوكَ﴾ أي: لو
وجدوكم غافلين، ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾
﴿وَأَتَّبَعُوكَ قَبِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِتْلَةٌ وَاحِدَةٌ﴾،
فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة
واحدة، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ
بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾، رخص في وضع
السلاح في حال المطر والمرض، لأن
السلاح يشغل حمله في هاتين
الحالتين، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾، أي:
راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر
ما يتقي به من العدو.

وقال الكلبي، عن أبي صالح،
عن ابن عباس رضي الله عنهما:
نزلت في رسول الله ﷺ، وذلك أنه
غزا محارباً وبنى أنماراً فنزلوا ولا
يرون من العدو أحداً فوضع الناس
أسلحتهم، وخرج رسول الله ﷺ
لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع
الوادي والسماء ترش، فحال الوادي
بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه
فجلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة

فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله ﷺ إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سلّه من غِيْدِهِ فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللَّهُمَّ اكفني غورث بن الحارث بما شئت، ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ﷺ ليضربه فأكب لوجهه من زَلْخَةٍ زُلْخَهَا بين كتفيه، ونذر سيفه فقام رسول الله ﷺ فأخذه ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك؟ قال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال غورث: والله لأنت خير مني، فقال النبي ﷺ: أجل أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا: ويلك ما منعك منه. قال: لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي، وذكر حاله قال: وسكن الوادي فقطع رسول الله ﷺ الوادي [إلى] أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطْلَبٍ أَوْ كُنْتُمْ مُرْتَضًى أَنْ تَقْتُلُوا أُنُفُسَكُمْ فَذَلِكُمْ خَيْرٌ مِنْ عَدَاكُمْ﴾ أي: من عدوكم، قال سعيد بن جبیر، عن ابن عباس في هذه الآية: كان عبدالرحمن بن عوف جريحاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

مُهِمًا﴾، يهانون فيه [والجُنَاحُ: الإثم، من جنحت إذا عدلت عن القصد].

﴿وَإِذَا قَمَعْتُمْ الصَّلَاةَ﴾، يعني: صلاة الخوف، أي: فرغتم منها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي صلّوا لله ﴿وَقِيَا﴾ في حال الصحة، ﴿وَقُوتُوا﴾ في حال المرض، ﴿وَعَلَّ جُودَكُمْ﴾، عند الجرح والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد، على كل حال.

أخبرنا عمرو بن عبدالعزيز القاشاني أنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أنا داود السجستاني أنا محمد بن العلاء أنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن خالد بن سلمة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

﴿وَإِذَا أَنْطَأْتُمْ﴾ أي: سكنتم وأمنتم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ أي: اتمروا أربعاً بأركانها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، قيل: واجباً مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضاً مؤقتاً وقته الله عليهم، وقد جاء بيان أوقات الصلوات في الحديث.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا أبو بكر عبدالله بن هاشم حدثنا وكيع أنا سفيان، عن عبدالرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة الزرقعي، عن حكيم بن حكيم بن

عباد بن خُفَيْف عن نافع بن جبیر بن مطعم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتِنِي جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلّى وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرّم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل الأول، وصلى بي الفجر فأسفر، ثم التفت إلي وقال: يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين»

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر [أحمد] بن الحسن الحيري أنا وكيع أنا حاجب بن أحمد ثنا عبدالله بن هشام ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أن سائلاً أتاه فسأله عن مواقيت الصلاة، قال: فلم يرده عليه شيئاً ثم أمر بلالاً فأذن ثم أمره فأقام الصلاة حين انشق الفجر فصلّى، ثم أمره فأقام الظهر، والقاتل يقول: قد زالت الشمس أو لم تزل، وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ثم أمره فأقام المغرب حين وقعت الشمس ثم أمره فأقام العشاء حين سقط الشفق، قال: وصلى الفجر من

ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خباها عند رجل من اليهود، يقال له زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى: أن طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على يابه، وحمل الدرع إلى بيته، فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي ﷺ، فهم النبي ﷺ أن يقطع يد زيد اليهودي.

وقال مقاتل: إن زيدا السمين أودع درعاً عند طعمة فجحدها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بالامر والنهي والفصل، ﴿لِتَعْلَمَ بَيْنَ أَتَائِسٍ بِمَا أَرْكَكَ اللَّهُ﴾ بما علمك الله وأوحى إليك، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلظَّالِمِينَ﴾ [روى] طعمة، ﴿خَصِيمًا﴾، مُعِينًا مدافعاً عنه.

﴿فَلْيَهْزَأْ بِالْكُفُوفِ﴾، أي: يتوجعون، يعني الكفار، ﴿كَمَا تَأْكُوفُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، وقال بعض المفسرين: المراد بالرجاء الخوف، لأن كل راج خائف أن لا يدرك مأموله، ومعنى الآية: وترجون [من الله أي: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون، قال الفراء رحمه الله: ولا

يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجذ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] أي: لا يخافون، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون لله عظمته، ولا يجوز رجوتكم بمعنى: خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ أَتَائِسٍ بِمَا أَرْكَكَ اللَّهُ﴾ الآية

روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جابر له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَحْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَاوُنَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٥﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٦﴾ هَذَا تَرْتِيلُ لَوْلَا جَدُّ لَشَرِّ عَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجْدِلْ اللَّهَ عَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ يَمْلِكُ سَوْمًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ يَكِبْ لَمَّا قَامَ يُكِبْ عَنِ اللَّهِ عَنَّا قَوْمًا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَكِبْ خِلَافَةَ أَوْفَانًا ثُمَّ يَرِي بِهِ بَرِيًّا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِفْكَامًا مُبِينًا ﴿١١٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَفُتَّ ظَلَامُكَ مِنْهُ أَنْ يُعْضِلُوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١١﴾

الغد، والقائل يقول: طلعت الشمس أو لم تطلع، وصلى الظهر قريباً من وقت العصر بالأمس وصلى العصر والقائل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق الأحمر، وصلى العشاء ثلث الليل الأول، ثم قال: أين السائل، عن وقت الصلاة؟ [فقال الرجل: أنا يارسل الله، قال:] [ما بين هذين الوقتين وقت].

﴿١٠٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْؤُا فِي آيَاتِهِ الْقُوَى﴾ الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهْؤُا فِي آيَاتِهِ الْقُوَى﴾ أي: [لا تضعفوا في آيَاتِهِ الْقُوَى] في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه، ﴿لَنْ تَكُونُوا تَأْكُوفُونَ﴾، تتوجعون من الجراح،

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، مما هممت به من معاقبة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من جدالك عن طعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَجُولُوا لَا تَخَاصِمُ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾، خائناً، ﴿أَيُّهَا﴾ يريد خواناً في الدرع، أيماً في رمية اليهودي، قيل: إنه خطاب مع النبي ﷺ، والمراد به غيره، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنب تقدم قبل النبوة أو لذنب أتمه وقربته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار، الاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع.

﴿يَسْتَفْهِنُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: يستترون ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث، ﴿وَلَا يَسْتَفْهِنُونَ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: لا يستترون ولا يستحيون من الله، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾، يتقولون ويؤلفون، والتبيت: تدبير الفعل ليلاً، ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي لأنه كافر، فلم يرض الله ذلك منهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾، ثم يقول لقوم طعمة:

﴿هَآئِنْتَ هَآؤَآءَ﴾، أي: يا هؤلاء، ﴿جَدَلْتُمْ﴾ أي: خاصمتم، ﴿عَنْهُمْ﴾ يعني: عن طعمة، وفي قراءة أبي بن كعب «عنه» في العمى الذين، والجidal: شدة

المخاصمة من الجدل، وهو شدة القتل، فهو يريد قتل الخصم، عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: الجدل من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصصره على الجدالة، ﴿فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهَ عَنْهُمْ﴾، يعني: عن طعمة، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إذا أخذه الله بعدائه، ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، كفيلاً، أي: من الذي يذب عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة، ثم استأنف فقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾، يعني السرقة، ﴿أَوْ يَطْلَمْ نَفْسًا﴾، برميه البريء، وقيل: مَنْ يعمل سوءاً أي: شراً أو يظلم نفسه: يعني: إثمًا دون الشرك، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، أي: يتب إليه ويستغفره، ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾، يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَكْتِبْ إِثْمًا﴾، يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿فَلِئِمَّا يَكْتِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، فإنما يضر به نفسه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بسارق الدرع ﴿عَلِيمًا﴾، حكّم بالقطع على السارق.

﴿وَمَنْ يَكْتِبْ خِلَافَةً﴾، أي: سرقة الدرع، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ يمينه الكاذبة، ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ يَوْمَ﴾، أي: يقذف بما جنى ﴿يَوْمَ﴾، منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿فَقَدْ أَهْتَلَ بِهِتَانًا﴾ البهتان: هو البهت، وهو الكذب

سورة النساء

سورة النساء

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ صَدَقَةٌ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله، ما تولى وتصلوه، جهنم وساءت مصيراً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ شَرَكَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضللاً بعيداً ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا إِنْتَابُوا إِِنْ يَدْعُونَ إِلَّا لِيَسْتَظِلَّآ مَرِيدًا﴾، لعنه الله وقال لا تجدن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴿وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ وَلَا مَرْتَبَةٌ فَلْيَبْصُرْ أَفَئِدَتِ الْأَعْمَى وَلَمْ يَرَهُمْ فَلْيُعِيرْكَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا عَظِيمًا﴾، يعيدهم ويمنعهم، وما يعيدهم الشيطان لأعداءه ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَبْغِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾

٩٧

الذي يُتَحَيَّرُ فِي عِظَمِهِ، ﴿وَلِئِمَّا تُبَيِّنَا﴾، أي: ذنباً بيناً، وقوله ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ﴾، ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم وجعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾، يقول للنبي ﷺ: ﴿لَقَدْ هَمَمْتُ﴾، أضمرت، ﴿طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، ﴿أَتِ يَصْلُوكَ﴾، يخطونك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿وَمَا يُجْلِبُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني يرجع وبأله عليهم، ﴿وَمَا يَغْنُوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، يريد أن ضرره يرجع إليهم، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: القضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، من الأحكام، وقيل: من علم الغيب، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي

كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ، يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والنجوى: هي الإسرار في التدبير، وقيل: النجوى ما ينفرد بتدبيره قوم سراً كان أو جهراً فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالنجوى تكون فعلاً.

وقيل: هو استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة. قيل: النجوى هاهنا: الرجال المتناجون كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ [الإسراء: ٤٧] ﴿إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: حث عليها ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف، لأن العقول تعرفها، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية، عن الأعمش عن عمرو بن مرة، عن سالم هو ابن أبي الجعد، عن أم الدرداء [عن أبي الدرداء قال]:

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ؟ قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر، عن الزهري،

عن حميد بن عبد الرحمن، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة، وكانت من المهاجرات الأول، قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس بالكذاب من أصلح بين الناس وقال خيراً أو نعى خيراً».

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿إِتِّعَاءَ مَرْصَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضاه، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ أبو عمرو وحزمة «يؤتيه» بالياء، يعني: يؤتيه الله وقرأ الآخرون بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُنَاقِ﴾ الرَّسُولَ، نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتد عن الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُنَاقِ﴾ الرَّسُولَ، أي: يخالفه، ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾، من التوحيد والحدود، ﴿وَتَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: غير طريق المؤمنين، ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾، أي: نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا، ﴿وَتُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

رُوي أن طعمة بن أبيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن غلاط، فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح، فأخذ ليقتل، فقال بعضهم: دعوه فإنه قد لجأ إليكم فتركوه فأخرجوه من مكة، فخرج مع تجار من قضاة نحو الشام، فتركوا منزلاً فسرقت بعض

متاعهم وهرب، فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فصار قبره تلك الحجارة، وقيل: إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنائير فأخذ، فألقى في البحر، وقيل: إنه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنماً إلى أن مات فأنزل الله تعالى فيه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ أي: ذهب عن الطريق وحرم الخير كله.

وقال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وأمنت به، ولم اتخذ من دونه ولياً ولم أواقع المعاصي جراً على الله، وما توهمت طرفه عين أنني أعجز الله هرباً وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾، نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠] أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَ الْأَوَّلِينَ بِسْمِكُمْ عَن عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، قوله: ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله، ﴿إِلَّا إِنْتًا﴾ أراد بالإنثاء الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإنثاء، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١١٨﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرَ ﴿١١٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُنْظَرُونَ قَدِيرًا ﴿١٢٠﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢١﴾ وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخَبِّرًا ﴿١٢٢﴾ وَسَيُفْتَنُوكَ فِي النَّسَاءِ فَلِئَلَّا تُفْتِنَهُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُفْتَنُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ النَّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْمِنُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَكْتُمُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْقِسْطَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٣﴾

٩٨

والشُّرك: للشُّق الذي يكون فيه الوتر والخيط الذي يشد به الشراك.

﴿١١٨﴾ وَلَا يُفْتِنُهُمْ﴾ يعني: عن الحق، أي: لأغوينهم، يقوله إبليس، وأراد به التزيين، والأي فليس إليه من الإضلال شيء كما قال: ﴿لَا تَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩] ﴿وَلَا تُفْتِنُهُمْ﴾، قيل: أمْنِيَّتُهُمْ ركوب الأهواء، وقيل: أمْنِيَّتُهُمْ أَنْ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعث، وقيل: أمْنِيَّتُهُمْ إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي،

﴿وَلَا تَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فَمَاذَا كُنَّ أَفْتَنُهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك: يعني دين الله، نظيره قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَ تَلْقَى اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] أي: لدين الله، يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وقال عكرمة وجماعة من المفسرين: فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الأذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم، لأن فيه غرضاً ظاهراً، وقيل: تغيير خلق الله هو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة العباد فعبدها من دون الله، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: رتباً يطيعه، ﴿فَقَدْ خَسِرَ

بني فلان فكان في كل واحدة منهم شيطان يتراءى للسندنة والكهنة ويكلمهم، فلذلك قال: ﴿وَلَنْ يَدْعُوكَ إِلَّا شَيْطَانًا مُرِيدًا﴾، هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة [هذا] التأويل: وأن المراد بالإناث الأوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾، جمع الوثن فصير الواو همزة، وقال الحسن وقتادة: ﴿إِلَّا إِنْثَا﴾ أي: مواتاً لا روح فيه، لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثاً لأنه يخبر عن الموات، كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون الجنسين كما أن الموات أدزل من الحيوان، وقال الضحاك: أراد بالإناث الملائكة، [وكان بعضهم] يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة إناث، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: ١٩] ﴿وَلَنْ يَدْعُوكَ إِلَّا شَيْطَانًا مُرِيدًا﴾ أي: وما يعبدون إلا شيطاناً مريداً لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان، والمريد: المارد، وهو المتمرّد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد: إبليس.

﴿١١٩﴾ أَلَمَنَّهُ اللَّهُ﴾، أي: أبعدته من رحمته، ﴿وَقَالُوا﴾، يعني: قال إبليس، ﴿لَا تَحْزَنْ مِنْ عِبَادِكُمْ تَوْبِيحًا مَقْرُوضًا﴾، أي: حفظاً معلوماً، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه، وفي بعض التفاسير: من كل ألف واحد لله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون لإبليس، وأصل الفرض في اللغة: القطع، ومنه الفرضة في النهر وهي الثلثة تكون فيه، وفرض القوس

خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.

﴿١٢٠﴾ يَدْعُهُمْ وَيُفْتِنُهُمْ﴾ فوعده وتمنيته ما يوقع في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا، وقد يكون بالتحريف بالفقر فيمنعه من الإنفاق وصلة الرحم كما قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ويُمْنِيهِمْ بأن لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿وَمَا يَدْعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوبًا﴾، أي: باطلاً.

﴿١٢١﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾، أي: مفزاً ومعدلاً عنها.

﴿١٢٢﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: من تحت الغرف والمساكن، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

﴿١٢٣﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية.

قال مسروق وقتادة والضحاك: أراد ليس أمانيتكم أيها المسلمون ولا أمانى أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمننا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى. وقال مجاهد: أراد بقوله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ﴾ يا مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعث ولا حساب، وقال أهل الكتاب: ﴿لَنْ تَسَنَا النُّكَا إِلَّا أَنْبَاءًا مَقْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًا﴾ [البقرة: ١١١]، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ﴾ أي: ليس الأمر بالأمانى وإنما الأمر بالعمل الصالح، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في حق كل عامل.

وقال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا: يا رسول الله وإينا لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء؟ قال: «منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنةً فله عشر حسنات، ومن يجوزي بالسنة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلب أحاده أعشازه، وأما لما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته، فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل، فيعطي الجزاء في

الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه ببغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبيرقان والحارث بن محمد قالا: ثنا روح هو ابن عبادة، ثنا موسى بن عبيدة أخبرني مولى بن سبيح قال: سمعت عبدالله بن عمر يحدث، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

كنت عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُعِيرُ﴾، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أفرئت آية أنزلت علي؟ قال: قلت بلى، قال: فأقرئتها، قال: ولا أعلم إلا أنني وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها، فقال رسول الله ﷺ: مالك يا أبا بكر؟ فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وإينا لم يعمل سوءاً؟ إنا لمجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله، وليست لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يُجزوا يوم القيامة».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾، أي: مقدار التقير، وهو النقرة التي تكون في ظهر الثوراء، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر ﴿يَدْخُلُونَ﴾

بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم وحم المؤمن، زاد أبو عمرو ﴿يَنْظُرُونَ﴾ [فاطر: ٢٣] في سورة فاطر، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، روى الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا آمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، ونزلت أيضاً:

﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا﴾، أحكم ديناً ﴿وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل: فوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: مُوحِد، ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: دين إبراهيم عليه السلام، ﴿حَنِيفًا﴾، أي: مُسْلِماً مُخْلِصاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج، وإنما خص بها إبراهيم لأنه كان مقبولاً عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملة إبراهيم وزيدت له أشياء. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، صفياء، والخلة: صفاء المودة، وقال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان، وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس، فأصاب الناس سنة فحشروا إلى باب إبراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة كل سنة من صديق له بمصر، فبعث

غلمانة بالإبل إلى الخليل الذي له بمصر، فقال خليله لغلمانة: لو كان إبراهيم عليه السلام إنما يريد لنفسه احتملنا ذلك له، فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة، فرجع رُسل إبراهيم عليه السلام، فمروا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم: لو أنا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أننا قد جئنا بميرة، فإننا نستحي أن نمز بهم وإبلنا فارغة، فملؤوا تلك الغرائر سهلة، ثم أتوا إبراهيم [عليه السلام] فأعلموه وسارة نائمة، فاهتم إبراهيم لمكان الناس ببابه، فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار، فقالت: سبحان الله ما جاء الغلمان؟ قالوا: بلى، قالت: فما جاؤوا بشيء؟ قالوا: بلى، فقامت إلى الغرائر ففتحتها فإذا هي ملأى بأجود دقيق حواري يكون، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ إبراهيم [عليه السلام] فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة من أين هذا؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: هذا من عند خليلي الله، قال: فيومئذ اتخذ الله إبراهيم خليلًا.

قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخللة: الصداقة، فسمي خليلًا لأن الله أحبه واصطفاه. وقيل: هو من الخللة وهي الحاجة، سمي خليلًا، أي: فقيرًا إلى الله لأنه لم يجعل فقره وفاقه إلا إلى الله عز وجل، والأول أصح لأن قوله

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ يقتضي الخللة من الجانبين، ولا تتصور الحاجة من الجانبين.

ثنا أبو المظفر [محمد] بن أحمد التميمي ثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، ثنا خيشمة بن سليمان بن حيدة الأضرابلسي، ثنا أبو قلابة الرقاشي، ثنا بشر بن عمر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أبا بكر أخي وصاحبي، ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا».

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء.

قوله تعالى: ﴿رَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية. قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في بنات أم كُحجة وميراثهن، عن أبيهن وقد مضت القصة في أول السورة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقتها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية: هي اليتيمة تكون في

حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدمايتها ويكره أن يزوجه غيرها فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك.

قوله عز وجل: ﴿رَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك في النساء، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قيل: معناه ويفتيكم في ما يتلى عليكم، وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن وكتابه [يفتيكم فيهن]، وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَوْفَا إِلَيْنَا آتَاؤُهُمْ﴾ [النساء: ٢]، قوله: ﴿فِي يَتَنَّى النِّسَاءِ﴾، هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿الَّتِي لَا تَوْفَؤُهُنَّ﴾، أي: لا تعطينهن، ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، من صداقتهن، ﴿وَرَضَوْنَ أَنْ يَنْكِحَهُنَّ﴾، أي في نكاحهن لِمَالِهِنَّ وجمالِهِنَّ بأقل من صداقتهن، وقال الحسن وجماعة: أراد لا توفونهن حقهن من الميراث لأنهم كانوا لا يؤثرون النساء، ويرغبون أن ينكحوهن أي: عن نكاحهن لدمايتهن، ﴿وَالسَّامِعِينَ مِنْ آلِ الْإِنْسَانِ﴾ يريد: ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لا يؤثرون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿وَمَا أَوْفَا إِلَيْنَا آتَاؤُهُمْ﴾ [النساء: ٢] يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿وَأَنْ تَقْرُوا لِلْيَتَامَى﴾، أي: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهرهن وموارثهن، ﴿وَمَا تَقْلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ

تقدروا أن تُسووا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل، ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾، أي: إلى التي تُحبونها، ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ في القِسْم والتَّفَقُّة، أي: لا تُتَبِعُوا أهواءكم أفعالكم، ﴿تَقْدَرُوا كَالْمُلْقَةِ﴾، أي: فَتَدْعُوا الأخرى كالمنوطة لا أَيْمًا ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب «كأنها مسجونة»

وزوي عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يَقْسِمُ بين نسائه، فيعدل ويقول: «اللَّهُمَّ هذا قَسَمِي فيما أملك فلا تَلْمِني فيما تَمْلِكُ ولا أملك»، ورواه بعضهم عن أبي قلابة، عن عبدالله بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها مُتَّصِلًا.

وزوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقَهُ مَائِلٌ».

﴿وَإِنْ تَصْلِحُوهَا وَتَتَّقُوا﴾، الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾، يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، ﴿يَقْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِنْ سَعَتِهِ﴾، من رزقه، يعني: المرأة بزواج آخر والزواج بامرأة أخرى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، واسع الفضل والرحمة حكيمًا فيما أمر به ونهى عنه، وجملة حُكْم الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسَم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسَم

عصى الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حُرَّةً وأُمَةً فإنه يبيت عند الحُرَّة ليلتين وعند الأُمَةِ ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوال إن كانت بكرًا، وإن كانت ثيبًا فثلاث ليال ثم يُسَوِّي بعد ذلك بين الكل، ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يوسف بن راشد، ثنا أبو أسامة، ثنا سفيان الثوري، ثنا أيوب وخالد، عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله عنه قال: مِنْ السَّنَةِ إِذَا تَزَوَّجَ الْبَكَرُ عَلَى الثَّيْبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا، ثُمَّ قَسَمَ وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيْبُ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَسَمَ. قال أبو قلابة: ولو شئت لقلْتُ: إن أنسًا رفعه إلى النبي ﷺ.

وإذا أراد الرجل سفرَ حَاجَةٍ فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يُقرع بينهما فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره، وإن طالَت إذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، ثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا الربيع، ثنا الشافعي، ثنا عمي

محمد بن علي بن شافع، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبدالله، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها» أما إذا أراد سفر نُقْلَةٍ فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيدًا ومُلكًا﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿وَايَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن في كتابكم، ﴿إِنْ أَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: وَخَدُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ، ﴿وَرِئَاسَةً﴾، بما أوصاكم به الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: فإن الله ملائكة في السموات والأرض هم أطوع له منكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾، عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿حَمِيدًا﴾ محمودًا على نعمه.

﴿قوله ما في السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني شهيدًا أن فيها عبيدًا، وقيل: دافعًا ومُجِيرًا. فإن قيل: فأي فائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ قيل: لكل واحد منهما وجه، أما الأول: معناه الله ما في السموات وما في الأرض وهو يُوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما الثاني يقول: فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله

هذا خطاب مع الحكام في ليهم
الأشداق، يقول: وإن تلوا أي تميلوا
إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه قرأ
ابن عامر وحزمة ﴿تلوا﴾ بضم اللام،
قيل: أصله تلوا، فحذفت إحدى
الواوین تخفيفاً، وقيل: معناه وإن
تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا
فتتركوا أدائها ﴿فَلَاكُ اللَّهِ كَانَتْ بِمَا
تَعْمَلُونَ حَبِيرًا﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ

قال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن سلام وأسد وأسيد بني كعب، وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبدالله بن سلام، وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال النبي ﷺ: «بل آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، والقرآن ويكل كتاب كان قبله»، فأنزل الله هذه الآية.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ
والقرآن ويموسى عليه السلام والتوراة
﴿ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ،
﴿وَالْكِتَابِ الّٰزِي نَزَّلَ عَلَى رَسُوْلِهِ﴾،
يعني القرآن، ﴿وَالْكِتَابِ الّٰذِي اُنْزِلَ
مِنْ قَبْلُ﴾، من التوراة والإنجيل
والزبور وسائر الكتب، قرأ ابن كثير
وابن عامر وأبو عمرو «نزل وأنزل»
بضم النون والألف، وقرأ الآخرون
«نَزَّلَ وأنزل» بالفتح أي أنزل الله،
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ﴾ وَكُتُبِهِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾،

يعني: كونوا قائمين
بالشهادة بالقسط، أي:
بالعدل لله، وقال ابن
عباس رضي الله عنهما:

كونوا قوامين بالعدل في
الشهادة على من كانت له،
﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، في
الرحم، أي: قُولُوا الْحَقَّ
ولو على أنفسكم بالإقرار

أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ، فَأَقِيمُوا عَلَيْهِمُ اللَّهَ ، وَلَا تُحَابُوا غَنِيًّا لِّغَنَاهُ وَلَا تَرْحَمُوا فَقِيرًا لِّفَقْرِهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ ، أَيِ أَقِيمُوا مِنْكُمْ ، أَيِ أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ ، أَيِ كَلُّوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : مَعْنَاهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا ، ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ ، أَيِ : وَلَا تَجُورُوا وَتَمِيلُوا إِلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى لَتَعْدِلُوا ، أَيِ : لَتَكُونُوا عَادِلِينَ كَمَا يَقَالُ : لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى لَتَرْضَىٰ رَبَّكَ .

﴿ وَإِنْ تَلَوُّوا ﴾ ، أَيِ : تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ لَتَبْطُلُوا الْحَقَّ ﴿ أَوْ تُعْرَضُوا ﴾ عَنْهَا فَتَكْتُمُوهَا وَلَا تَقِيمُوهَا ، وَيَقَالُ : تَلَوُوا أَيِ تَدَاوَعُوا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، يَقَالُ : لَوْنَتْهُ حَقَّهُ إِذَا دَفَعْتَهُ وَمَطَلْتَهُ ، وَقِيلَ :

غنياً أي: هو الغني وله الملك
فاطلبوا منه ما تطلبون، وأما الثالث
فيقول: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: له
الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا
على غيره.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْتَهِبُوا ذَهَبَكُمْ﴾، يَهْلِكُكُمْ ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ﴾، يعني: الكفار، ﴿وَيَأْتِيَا ضَاحِكِينَ﴾، يقول بغيركم خير منكم وأطوع، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾. قادراً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾
فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿
يُرِيدُ: من كان يريد بعمله عَرَضاً من
الدنيا ولا يريد بها اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
آتاه الله من عَرَضِ الدنيا أو دفع عنه
فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة
من ثواب، ومن أراد بعمله ثواب
الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب

وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا»، فلما نزلت هذه الآية قالوا:
فإنا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل
رسول وكتاب كان قبل القرآن،
والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين
أحد منهم ونحن له مسلمون، وقال
الضحاك: أراد به اليهود والنصارى،
وقيل: ﴿يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾
بموسى وعيسى ﴿ءَامَنُوا﴾ بمحمد
والقرآن، وقال مجاهد: أراد به
المنافقين، يقول: ﴿يَكْفُرُ أَكْثَرُ
النَّاسِ﴾ باللسان ﴿ءَامَنُوا﴾ بالقلب.
وقال أبو العالية وجماعة: هذا
خطاب للمؤمنين، يقول: ﴿يَكْفُرُ
أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أقبلوا وثابوا
على الإيمان، كما يقال للقائم: قُمْ
حتى أرجع إليك، أي أثبت قائماً
وقيل: المراد به أهل الشرك، يعني
﴿يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ بالسلات
والغزى ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله.

﴿٧﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آذَوْا قِتَادَةَ هُمَ الْيَهُودُ آمَنُوا بِمُوسَىٰ ثُمَّ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ يِعَابِهِمْ الْعَجَلُ، ثُمَّ آمَنُوا بِالْتَّوْرَةِ ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ آذَوْا ذَوَاكَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ. وقيل: هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به، وكفرهم به تركهم إياه ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، وقيل: هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم

ارتدوا، ومثل هذا هل يُقبل توبته؟
 حُكي عن علي رضي الله عنه أنه لا
 يقبل توبته بل يُقتل، لقوله تعالى:
 ﴿لَوْ يَكُنِ اللَّهُ يُغْفِرْ لَكُمْ﴾، وأكثر
 أهل العلم على قبول توبته، وقال
 مجاهد: ثم ازدادوا كفراً أي ماتوا
 عليه، ﴿لَوْ يَكُنِ اللَّهُ يُغْفِرْ لَكُمْ﴾، ما
 أقاموا على ذلك، ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، أي طريقاً إلى الحق، فإن
 قيل: ما معنى قوله ﴿لَوْ يَكُنِ اللَّهُ
 يُغْفِرْ لَكُمْ﴾، ومعلوم أنه لا يغفر
 الشرك إن كان أول مرة؟ قيل: معناه
 أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام
 عليه يُغفر له كفره السابق، فإن
 أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا
 يُغفر له كفره السابق الذي كان،
 يُغفر له لو دَامَ على الإسلام.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾، أخبرهم يا محمد، ﴿وَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والبشارة: كل خبر يتغير به بشرة الوجه ساراً كان أو غير سار، وقال الزجاج: معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول العرب: تحيثك الضرب وعثابك السيف، أي: بدلاً لك من التحية، ثم وصف المنافقين فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَ﴾ (١٣٦) **أَوَّلِيَّةٌ** ، يعني: يتخلون اليهود أولياءً وأنصاراً أو بطانة ﴿وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **أَيَّبَنُوتُ عَنْهُمْ أَلَمَرَّةُ** ، أي: المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه: **وَقِيلَ** : أيطلبون عندهم القوة، ﴿فَإِنَّ أَلَمَرَّةُ﴾ أي: الغلبة والقوة والقدرة، **لِلَّهِ جَمِيعًا** .

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قرأ عاصم ويعقوب ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون (نُزِّلَ) بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا عشر المسلمين، ﴿إِنَّ إِذَا جِئْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني القرآن، ﴿يَكْفُرُوا بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ﴾، يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حَتَّى يَخُوشُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام ﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَخُوشُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوشُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، قال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كلُّ مُخْدِتٍ في الدين وكلُّ مُبْتَدِعٍ إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّا إِذَا نُنَالُهُمْ﴾، أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزئون ووضيتم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يُبَيِّنُكَ لَلسَّاعِلِينَ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوِّيرِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، والأكثرون على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولي. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ﴾
ينتظرون بكم الدوائر، يعني:

تعالى لكان كثيراً، وقال قتادة: إنما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير.

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، أي: طريقاً إلى الهدى.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا محمد بن المثنى، أنا عبد الوهاب يعني الثقفي، أنا عبد الله [عن نافع عن] بن عمر:

عن النبي ﷺ، قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار، وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا إِلَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي حجة بينة في عذابكم، ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿فِي الدَّرَكِ﴾ بسكون الراء والباقون

المؤمنين، أي: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخليطهم عنكم ومراسلتنا إياكم بإخبارهم وأمورهم، ومراءا المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين ﴿فَاللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، يعني: بين أهل الإيمان وأهل النفاق، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، قال علي [رضي الله عنه]: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه:

أي حجة، وقيل: ظهوراً على أصحاب النبي ﷺ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾، أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، يعني: المنافقين ﴿قَامُوا كَسَالًا﴾، أي: متثاقلين لا يريدون بها الله فإن رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون، ﴿يُرَاكُونَ النَّاسَ﴾، أي: يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله [عز وجل]، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله

الَّذِينَ يَرَبِّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ وَقَالُوا أَنزَلْنَا إِلَيْنَا آيَاتُكَ فَتَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَعِذْ عَلَيْكُمْ وَنَنْتَعِزْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا يُرَاكُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يُجْعَلُوا إِلَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٧﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾

المنافقين، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ﴾، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنافقين للكافرين، ﴿أَلَمْ نَسْتَعِذْ عَلَيْكُمْ﴾، والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: ﴿اسْتَعِذْ عَلَيْهِمْ أَكْثَبُطْنُ﴾ [المجادلة: ١٩] أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه وتطلعكم على سرهم؟ قال المبرّد: يقول المنافقون للكفار ألم تغلبكم على رأيكم ﴿وَنَنْتَعِزْكُمْ﴾، ونصرفكم ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من

الطاعة، ومن الله:
الثواب.

قوله: ﴿لَا يَجِبُ
لِلَّهِ الْجَهَرُ وَالسُّوْرَةُ مِنَ الْقَوْلِ
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: لا
يجب الله الجهر بالقبح من
القول إلا من ظلم، فيجوز
للمظلوم أن يخبر عن
[ظلم] الظالم وأن يدعو
عليه، قال الله تعالى:
﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ
قَالَ لَكَ مَا عَلَيَّ مِنْ سَبِيلٍ﴾
[الشورى: ٤١]، قال
الحسن: دعاؤه عليه أن
يقول: اللهم أعني عليه
اللَّهُم استخرج حقي منه،

وقیل: إِنْ شِئْتُمْ جاز أَنْ یَشِئْ بِمِثْلِهِ
لا یزید علیہ.

أخبرنا أبو عبد الله الخرفي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر [إسماعيل بن جعفر] أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا، فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم».

وقال مجاهد هذا في الضيف إذا
نزل بقوم فلم يقروه ولم يُحسنوا
ضيافته فله أن يشكو ويذكر ما صنع
به .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي
أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
إسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث

بفتحتها وهما لغتان كالظنن والظعن
والنهر والنهر، قال ابن مسعود
رضي الله عنه: ﴿فِي الذَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾
في ثوابيت من حديد مقللة في النار،
وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم
توقد فيه النار من فوقهم ومن
تحتهم، ﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً
من العذاب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من
النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، عملهم
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، وَتَّقُوا بِاللَّهِ
﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، أراد الإخلاص
بالقلب، لأن النفاق كفر القلب،
فَرَوَّالُهُ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ الْقَلْبِ،
﴿قَالُوا لَكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ
الْفِرَاءُ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فِي الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا
عَظِيمًا﴾، يَعْنِي: الْجَنَّةَ، وَحَذَفِ الْبَاءُ
﴿وَمَنْ يُؤْتَ﴾ فِي الْخَطِّ لِسْقُوطُهَا فِي
الْفَرْقِ، وَسُقُوطُهَا فِي الْفَرْقِ لِسْكُونِ
الْلامِ فِي ﴿اللَّهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَالِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ أي: إن شكرتم نعماءه ﴿وَوَاسْتَمْتُمْ﴾ به، فيه تقديم وتأخير، وتقديره: إن آمنتُم وشكرتم، لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذيبه عبادة لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا يُنقص من سلطانه، والشكر: ضد الكفر والكفر ستر النعمة، والشكر: إظهارها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَاكِرًا عَلِيمًا﴾، فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده وإضعاف الشواب عليه، والشكر من العبد:

سُورَةُ النِّسَاءِ

الجزء الثاني عشر

لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ جَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٥٨﴾ إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تَغْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ مَوْفٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٥٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرَّبُوا مِنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٦٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٦١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقَرِّبُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ هُمُ الْكَافِرُونَ أُولَئِكَ مَرَكٌ يُؤْتِيهِمُ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٢﴾ يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ فَتُخَدَّ لَهُمْ الصُّحُفُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْآيَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا مُنَادُونَ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٦٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِ نَجْمٍ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ حُدًى وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٦٤﴾

1.5

عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي
الخير عن عقبة بن عامر أنه قال:

قلنا يا رسول الله إنك تبعنا فتنزل
بقوم فلا يُقرؤنا فما ترى؟ فقال لنا
رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم
فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا
فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقَّ
الضيف الذي ينبغي لهم».

وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهر [به] من ظلم، والقراءة الأولى هي المعروفة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا ۖ﴾، لدعاء المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾، بعقاب الظالم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُدْرَأْ
خَيْرًا﴾، يعني: حسنةً فيعملُ بها
كُتِبَتْ له عشرًا. وإنْ همَّ بها ولم

نستأصلهم، قيل: هذا استدعاء إلى التوبة، معناه: أن أولئك الذين أجروا تابوا فغفونا عنهم، فتوبوا أنتم حتى نغفر عنكم، ﴿وَأَيْنَا مُوسَى سُلْطَنَا نُبَيِّنَا﴾، أي: حجة بينة من المعجزات، وهي الآيات التسع.

﴿وَرَفَعْنَا قُوتَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَتِهِمْ وَوَلَّكْنَا لَهُمُ انْخِلَاؤَ الْبَابِ مُبَدَّلًا وَلَقَدْ لَكُمُ لَا تَعْدُوا فِي الْكُتُبِ قُرْآنُ الْمَدِينَةِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ نَافِعُ بَرَايَةِ وَرَشٍ وَيُجْزَمُهَا الْآخَرُونَ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَعْتَدُوا وَلَا تَظْلَمُوا بِاصْطِيَادِ الْحَيْثَانِ فِيهِ، ﴿وَالْحَذَا مِثْمَ يَتَشَقَّ غَلِيظًا﴾.

﴿١٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْهَمُ﴾، أي: فينقضهم، و﴿مَا﴾ صلة كقوله تعالى: ﴿يَسْمَا رَحْمَتِي مِنْ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ونحوها، ﴿وَكُفِّرِهِمْ بِكَأَيِّتِ اللَّهِ وَقَلِيلِهِمُ الْأَلْبَابُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُونَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: ختم عليها، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني: ممن كذب الرُّسُلَ لا ممن طبع على قلبه، لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبداً، وأراد بالقليل: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً.

﴿١٥١﴾ ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بَشَتْنَا عَظِيمًا﴾، حين رموها بالزنا. ﴿١٥٢﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا فَنَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قُلْنَاهُ وَمَا صَلَوَةُ وَلَكِنْ شَيْءٌ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْقَى شَيْءَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الَّذِي دَلَّ الْيَهُودُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ حَبَسُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي بَيْتٍ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ رَقِيبًا فَالْقَى اللَّهَ تَعَالَى

كَالْكَفْرِ بِجَمِيعِهِمْ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿١٥٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، كُلُّهُمْ ﴿وَلَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، يعني: بين الرُّسُلِ وهم المؤمنون، يقولون: لا نفرق بين أحدٍ من رسله، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ الْجَزَاءَ﴾، بإيمانهم بالله وكتبه ورسله، قرأ حفص عن عاصم ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء، [أي: يؤتيهم الله]، والباقون بالنون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿١٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام، فأنزل الله عليه: ﴿يَسْتَلْكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكّم واقتراح، لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد. قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾

أي: أعظم من ذلك، يعني: السبعين الذين خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَقَالُوا إِنَّا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً، قال أبو عبيدة: معناه قالوا جهره أرنا الله، ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ يَظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا إِلَى جِوَارِهِمْ نِجَالًا﴾، يعني: إلهاء، ﴿وَجُنَّ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ آيَاتُنَا فَعَقَوْا عَنْ ذَلِكَ﴾، ولم

يَعْمَلُوا كُتُبًا لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿أَوْ تَغْفُوهُمْ﴾، وقيل المراد من الخير: المال، يُرِيدُ: إن بُدُوا صَدَقَةٌ تُعْطَوْنَهَا جَهْرًا أَوْ تَخْفَوُهَا فَتَعْطَوْهَا سِرًّا، ﴿أَوْ تَغْفُوا عَنْ سَوَوْهُمْ﴾، أي: عَنْ مَظْلَمَةٍ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا قَدِيرًا﴾، فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة. ﴿١٥٥﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير، وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: ديناً بين اليهودية والإسلام ومذهباً يذهبون إليه. ﴿١٥٦﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم

يعملها كتبت له حسنة واحدة، وهو قوله ﴿أَوْ تَغْفُوهُمْ﴾، وقيل المراد من الخير: المال، يُرِيدُ: إن بُدُوا صَدَقَةٌ تُعْطَوْنَهَا جَهْرًا أَوْ تَخْفَوُهَا فَتَعْطَوْهَا سِرًّا، ﴿أَوْ تَغْفُوا عَنْ سَوَوْهُمْ﴾، أي: عَنْ مَظْلَمَةٍ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا قَدِيرًا﴾، فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

﴿١٥٥﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير، وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: ديناً بين اليهودية والإسلام ومذهباً يذهبون إليه.

﴿١٥٦﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم

شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران. قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَا الَّذِي اُتْلُوْا فِيْهِ﴾، في قتله، ﴿لَئِي سَكَّرْتَهُ﴾، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت نخن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، وقيل: كان الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على وجه ططيافوس ولم يلقه على جسده، فاختلّفوا فيه فقال بعضهم: [قتلنا عيسى، فإن الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم] لم نقتله لأن جسده ليس جسد عيسى عليه السلام، فاختلّفوا. قال السدي: اختلافهم من حيث أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ قال الله تعالى: ﴿هَآؤُلَآءِ مِنْ عَمَلِهِ﴾، من حقيقة أنه قتل أو لم يُقتل، ﴿لَا اِنْبَآءَ اَلظَّالِمِيْنَ﴾، لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جلّ جلاله: ﴿وَمَا قُلُوْهُ يٰقِيْنَآ﴾، أي: ما قتلوا عيسى يقيناً.

﴿١٥٨﴾ قَوْلُهُ ﴿يٰقِيْنَآ﴾ يَرْجِعُ اِلَى مَا بَعْدَهُ وَقَوْلُهُ ﴿وَمَا قُلُوْهُ﴾ كَلَامُ تَامِ تَقْدِيْرِهِ: بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ يٰقِيْنَآ، وَالْهَاءُ فِي ﴿وَمَا قُلُوْهُ﴾ كَنَايَةٌ عَنْ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللّٰهُ: مَعْنَاهُ وَمَا قَتَلُوْا الَّذِيْنَ ظَنُّوْا اَنَّهُ عِيْسَى يٰقِيْنَآ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا مَعْنَاهُ: وَمَا قَتَلُوْا

ظَنَّهُمْ يٰقِيْنَآ، ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا﴾ مُنْبِعَاً بِالنَّقْمَةِ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿حَكِيْمًا﴾ حَكَمَ بِاللْعَنَةِ وَالْغَضَبِ عَلَيْهِمْ، فَسَلَطَ عَلَيْهِمْ ضَيْطُوسُ بْنُ سَبْسِيَانُوسَ الرُّومِيَّ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيْمَةً.

﴿١٥٩﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْ اَهْلَ الْكِتٰبِ اِلَّا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، وهو قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله ﴿بِمَا قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ اختلفوا في هذه الكناية، فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في البأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: فقيّل لابن عباس رضي الله عنهما: أرايت أن من خرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء قال: فقيّل أرايت إن ضرب غنق أحدهم؟ قال: يتلجلج لسانه، وذهب قوم إلى أن الهاء في ﴿مَوْتِهِ﴾ كناية عن عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَنْزَلَ فِيْكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا

يَكْسِرُ الصَّلِيْبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيْرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبِلَهُ أَحَدٌ، وَيَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَلَا يَنْ اَهْلَ الْكِتٰبِ اِلَّا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، قيل موت عيسى ابن مريم، ثم يُعيدُها أبو هريرة ثلاث مرات.

وروي عن عكرمة: أن الهاء في قوله ﴿يٰقِيْنَآ﴾ كَنَايَةٌ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُ: لَا يَمُوتُ كِتَابِي حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وقيل: هي راجعة إلى الله عز وجل يقول: «وَأَنْ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اِلَّا لِيُؤْمِنُنَّ بِاللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ مَوْتِهِ عِنْدَ الْمَعْلَنِةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ اِيْمَانُهُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يٰقِيْنَآ﴾ اَلْيَقِيْنَكَ يَكُوْنُ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقرّ بالعبودية على نفسه، كما قال تعالى مخبراً عنه ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وكل نبي شاهد على أمته قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

﴿١٦٠﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يٰظَلِمِيْنَ الَّذِيْنَ كَادُوْا﴾، وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبُهتانهم على مريم، وقولهم: «إنا قتلنا المسيح ﷺ» عَلَيْهِمُ لَعْنَتُ اللّٰهِ لَعْنَتٌ أَلْحَتْ لَهُمْ، وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال: ﴿وَعَلَّ الَّذِيْنَ كَادُوْا حَزْمًا مِّمَّنْ ذِي

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَدَاوُدَ زُورًا﴾ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦١﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٢﴾ لَئِنْ أَتَىكَ آيَاتُ الْكُفْرِ أَزْلًا مَوْسِيَةً وَلَأَتِيَنَّكَ يُثْمُودُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْرِفْ لَهُمْ وَلَا يُدِيرَ لَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٥﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَبُكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْخُذُكُمْ لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٦٧﴾

الصَّلَاة، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ الْكَفَرَةُ رَجُوعٌ إِلَى النِّسْقِ الْأَوَّلِ، ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَذِلَّةٌ سُنُّوهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قَرَأَ حَمْزَةً سَيُوتِيهِمْ بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَدْعُوهُمُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣]، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عِيوبَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ غَضِبُوا وَجَحَدُوا كُلُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، فَنَزَلَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] وَأَنْزَلَ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا

أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فَذَكَرَ عِدَّةً مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ، وَبَدَأَ بِذِكْرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ كَانَ أَبَا الْبَشَرِ مِثْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هَرَمًا أَبَوَيْنَ﴾ [الصفات: ٧٧] وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَأَوَّلُ نَذِيرٍ عَلَى الشَّرِّ، وَأَوَّلُ مَنْ عَذَّبَتْ أُمَّتُهُ لِرُدِّهِمْ دَعْوَتَهُ، وَأَهْلَكَ أَهْلَ الْأَرْضِ بَدْعَانِهِ وَكَانَ أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمُرًا وَجَعَلَتْ مَعْجَزَاتِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ عَمَرَ أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ سِنٌ وَلَمْ تَشَبْ لَهُ شَعْرَةٌ وَلَمْ يَنْتَقِصْ لَهُ قُوَّةٌ، وَلَمْ يَصْبِرْ نَبِيٌّ عَلَى أَدَى قَوْمِهِ مَا صَبِرَ هُوَ عَلَى طَوْلِ عَمَرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا، قَرَأَ

الْبَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ أَوَّلُوا الْبَصَائِرَ، وَأَرَادَ بِهِ الَّذِينَ اسْلَمُوا مِنْ عِلْمَاءِ الْيَهُودِ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾، يَعْنِي: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارَ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يَعْنِي: سَائِرَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، اخْتَلَفُوا فِي وَجْهِ انْتِصَابِهِ، فَحَكِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَبَانَ بْنِ عِثْمَانَ: أَنَّهُ غَلَطَ مِنَ الْكَاتِبِ يَنْبَغِي أَنْ

يَكْتُبَ وَ «الْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْبَائِلَةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَسَاحِرِينَ﴾ [طه: ٦٣] قَالُوا: ذَلِكَ خَطَأً مِنَ الْكَاتِبِ. وَقَالَ عِثْمَانُ: إِنَّ فِي الْمَصْحَفِ لِحَنًا سَتَقِيمُهُ الْعَرَبُ بِالسُّتْهَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَغْتَرُّ؟ فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَا يُحِلُّ حَرَامًا وَلَا يُحَرِّمُ حَلَالًا.

وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح، واختلفوا فيه، قيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمون الصَّلَاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمون الصَّلَاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين

طَلَقَ [الأنعام: ١٤٦]، وَنَظَّمَ الْآيَةَ: فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا، ﴿وَيَصَدِّقُهُمْ﴾، وَيَصْرِفُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، أَي: عَنْ دِينِ اللَّهِ صَدَأً كَثِيرًا.

﴿وَأَعْزَمُهُمُ الزُّبُرَا وَقَدْ تُوِّهُوا عَنْهُ﴾، فِي التَّوْرَةِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ أَفْكَرُ الْكَاثِبِ بِالْبُطْلِ﴾، مِنَ الرِّشَاءِ فِي الْحُكْمِ، وَالْمَأْكَلِ الَّتِي يَصْبِيحُونَهَا عَنْ عَوَائِمِهِمْ، عَاقِبَتَانِهُمَا بِأَنْ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ وَكَانُوا كَلِمًا ارْتَكَبُوا كَبِيرَةً حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ جَزَائِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَئِنْ أَرَادْتُمْ فِي آلِهِمْ مِنْهُمْ﴾، يَعْنِي: لَيْسَ كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، ﴿لَئِنْ أَرَادْتُمْ

الأعمش وحمزة «زُوراً» والزُّبور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتباً وصُحفاً مزبورة، أي مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل، وكان داود يبرز إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، الأعظم فالأعظم، والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم، فلما قارف الذنب لم يزد ذلك، ونفروا من حوله، فقليل له ذاك أنس الطاعة، وهذه وحشة المعصية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر الجوزقي أنا أبو العباس أنا يحيى بن زكريا أنا الحسين بن حماد حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو رأيته البارحة وأنا أستمع لقراءتك ولقد أعطيت مزمَاراً من مزامير آل داود»، فقال: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته [لك] تحبيراً.

وكان عمر رضي الله عنه إذا رآه يقول ذكّرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده.

قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وكما

أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلاً، وفي قراءة أبي «ورسل قد قصصناهم عليك من قبل»، ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حَقَّقَ بالمصدر ولم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يقال: [أراد فلان إرادة، يُريد حقيقة الإرادة، ويقال]: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير حقيقة.

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْمٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً ولا أنزلت إلينا كتاباً، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثته الرسل قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَافِلاً حَكِيمًا﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة أنا عبد الملك عن وزاد كاتب المغيرة عن المغيرة قال:

قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيته رجلاً مع امرأتي لضربه بالسيف غير مُضْفِح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لانا أغْيَرُ منه، والله أغْيَرُ مني، ومن أجل غيرة الله

حَرَّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المُنذِرِينَ والمُبَشِّرِينَ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمن أني رسول الله، فقالوا: والله ما نعلم ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ إن حجبوك وكذبوك، «أَنْزَلَ يُؤَلِّمُ» وَالتَّكْوِيْنَةُ يُشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بكتمان نَغَبَ محمد ﷺ، ﴿فَدَّ صَلُّوا صَلَلاً بَصِيلاً﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾، قيل: [إنما قال] «وَوَلَّكُوا» أتبع ظلمهم بكفرهم تأكيداً، وقيل: معناه كفروا بالله وظلموا محمداً ﷺ بكتمان نعت، «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ صَرِيحاً»، يعني: دين الإسلام.

﴿أَلَا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾، يعني اليهودية، «خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»، وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها إليها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ الْرُّوحَ﴾ [القدر: ٤]، يعني: جبريل فيها، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، يعني: جبريل.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا الوليد عن الأوزاعي حدثنا عمرو بن هانيء حدثني جنادة بن أمية عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنْ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ [الجنة] عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

﴿فَأَمَّا إِلَهُكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾، أي: ولا تقولوا هم ثلاثة، وكانت النصراني تقول: أب وابن وروح القدس، «أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»، تقديره: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم، «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ»، وعلم أن التبني لا يجوز لله تعالى، لأن التبني إنما يجوز لمن يُتصوّر له وليس له، ﴿لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾. وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبدالله ورسوله، فقال النبي ﷺ:

اليهود والنصارى فإنهم جميعاً غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى مجاوزة بالحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام، قال الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لا تشذّبوا في دينكم ففتنوا على الله الكذب ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، لا تقولوا أن له شريكاً ولداً ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ وهي قوله ﴿كُنْ﴾ [مريم: ٣٥]

فكان بشراً من غير أب، وقيل غيره، «أَلْقَيْنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» أي أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، «وَرُوحُ مِنْهُ»، قيل: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفاً، وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في ذراع مريم فحملت بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحاً لأنه ريح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره، وقيل: روح منه أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمةً لمن تبعه وآمن به، وقيل: الروح الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل عليه السلام بالنفخ وإلى عيسى أن كُنْ فكان كما قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَكُ الْرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام، معناه

يَبْتَهِلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَيْنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ فَأَمَّا إِلَهُكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكُ الْمَرْبُوتُ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسْتَكْبِرْ فَسَجَّحْنَاهُ إِلَى جِيعِمَا ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخُودُنَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَصِيرُونَ ﴿١٧٢﴾ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ فَيَدْأُوهُمْ فَهُمْ يَصِيرونَ كَالْخِرَافِ أَهْلِ الْبُيُوتِ ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَتِنَا وَفَضِّلْ بِنِعْمَتِنَا إِلَهُ صِرْطَانًا مُقْتَبِمًا ﴿١٧٤﴾

الرَّسُولَ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، تقديره: فآمِنوا يكن الإيمان خيراً لكم، ﴿وَلَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَبْتَهِلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾، نزلت في النصراني وهم أصناف أربعة: الماريعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت المرقسية: ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ويُقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية يقولون: ابن الله والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يُقال له بولس، سيأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقال الحسن: يجوز أن تكون نزلت في



محمدًا ﷺ، هذا قول
أكثر المفسرين، وقيل:
هو القرآن، والنفوساء:
السحبة، «وَأَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
ذُرًّا مُبِينًا»، بيّنًا يعني
القرآن.

﴿١٧٥﴾ «وَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَقْبَصُوا أَيْدِيَهُمْ»،
امتنعوا به من زيف الشيطان،
«سَيُجْزَوْنَ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِمْ
وَفَضْلٍ»، يعني الجنة،
«وَيُزَوِّجُهُمْ فِي حَرَمٍ مَرْغُوبٍ»
مُسْتَقِيمًا.

﴿١٧٦﴾ قوله تعالى:
«يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِي الْكَلَالَةِ»

«إِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ»، فنزل: «لَنْ
يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ» لن يأنف ولن
يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع
الأنفة، «وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْفَرُوقُونَ»،
وهم حملة العرش، لا يأنفون أن
يكونوا عبيدًا لله، ويستبدل بهذه الآية
من يقول بتفضيل الملائكة على
البشر، لأن الله تعالى ارتقى من
عيسى إلى الملائكة ولا يرتقى إلا
إلى الأعلى، لا يقال: لا يستنكف
فلان من كذا ولا عبده، إنما يقال:
فلان لا يستنكف من هذا ولا موله،
ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل ذلك
رفعًا لمقامهم على مقام البشر، بل
ردًا على الذين يقولون الملائكة
ألهة، كما رد على النصارى قولهم
المسيح ابن الله، وقال ردًا على
النصارى بزعمهم، فإنهم يقولون
بتفضيل الملائكة. وقوله تعالى:
«وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَسَخَّرْ
نَفْسَهُ لِيَّ وَتَبِعَ جَيْمًا»، قيل:
الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة،
والاستكبار: هو العلو والتكبر من
غير أنفة.

﴿١٧٧﴾ «وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَرَبُّهُمْ يَنْ
فَضِّلُهُم»، من التفضيف، ما لا عين
راث ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر، «وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا»، عن عبادته، «فَيَعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ فِي دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا».

﴿١٧٨﴾ قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ»، يعني:

نزلت في جابر بن عبد الله
رضي الله عنه، قال: عاذني
رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل،
وتوضأ وصب علي من وضوئه،
فعلقت فقلت: يا رسول الله لمن
الميراث وإنما يرثني الكلالة؟ فنزلت
«يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي
الْكَلَالَةِ»، وقد ذكرنا معنى الكلالة
وحكم الآية في أول السورة، وفي
هذه الآية بيان حكم ميراث الإخوة
للأب والأم أو للأب، قوله
[يستفتونك] أي: يستخبرونك
ويسألونك [يا محمد]، «قُلِ اللَّهُ
يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَٰذَا لَيْسَ
لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ
وَهُوَ يَرِثُهَا»، يعني إذا ماتت الأخت
فجميع ميراثها للأخ، «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
وَلَدٌ» فإن كان لها ابن فلا شيء
للأخ، وإن كان ولداً أنثى فلا شيء
للأخ، «وَأَمَّا الْبَنَاتُ» «فَإِنْ كَانَتْ

اثننتين فَلَهُمَا الشَّلَاقَانِ يَرِثُ كُلُّ وَاحِدَةٍ
أُخْتًا فَلَهُنَّ الشَّلَاقَانِ»، «وَأَمَّا الْإِخْوَةُ
فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ الْأَخَوَاتِ فَلَهُنَّ
النِّصْفُ» «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِي الْكَلَالَةِ»، قال الفراء رحمة الله عليه
وأبو حبيدة: معناه أن لا تفضلوا،
وقيل: معناه يبين الله لكم كراهة أن
تفضلوا، «وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي
أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا
إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء
رضي الله عنهم قال: آخر سورة
نزلت كاملة براءة، وآخر آية نزلت
خاتمة سورة النساء «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ
يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ».

وذوي عن ابن عباس رضي الله
عنهما أن آخر آية نزلت آية الرِّبَا،

وآخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وروي عنه أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وروي بعدما نزلت سورة النصر عاش النبي ﷺ عاماً، ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي ﷺ بعدها ستة أشهر، ثم نزلت في طريق حجة الوداع ﴿يَسْتَفْتِيكَ اللَّهُ فِي الْكَلْبَةِ﴾ فسميت آية الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، ثم نزلت آيات الرِّبَا، ثم نزلت ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً [والله أعلم بالصواب].



سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ
مائة وعشرون آية نزلت بالمدينة كلها إلا قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية، فإنها نزلت بعرفات.

رُوي عن أبي ميسرة قال: أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم يُنزلها في غيرها، قوله: ﴿وَالسَّخِيفَةُ وَالْمَوْوَدَّةُ وَالْمَرْوَةُ وَالْطَّيِّبَةُ وَمَا أَكَلَ السَّحْبُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ﴾، ﴿وَمَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْغُلُوجِ مُكَلِّينَ تَلَوِّثَهُنَّ﴾، ﴿وَعَلَّامَ الَّذِينَ أَوْفُوا

الْكِتَابَ حِلًّا لَكُمْ وَعَلَامَتُكُمْ حِلًّا لَهُمْ وَلِلْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وتمام الطهور في قوله: ﴿وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَلَا سَكِينَةٍ وَلَا وَهْلَةٍ وَلَا حَاسِرٍ﴾، وقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ
قوله تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي: بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدت فلاناً وعقدت عليه أي: ألزمته ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما يُعقد الحبل بالحبل [إذا وصل].

واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالعهود المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: ﴿وَرَأَى أَخَذَ اللَّهُ يَمِينَهُ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ لَتَلَفْتُنَّ لِلَّذِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال الآخرون: هو عام، قال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاهدوا عليه في الجاهلية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَمِ﴾، قال الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقرة والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على

أنفسهم من الأنعام.

وروي أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا دُبِحت أو نحرَت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله.

[قال الشيخ الإمام]: قرأت على أبي عبد الله محمد بن الفضل الخرقى فقلت: قرأ على أبي سهل محمد بن عمر بن طرفة وأنت حاضر، فقبل له: حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر بن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال: قلنا: يا رسول الله، ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه».

وروي أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمه». وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره، ومثله عن سعيد بن المسيب.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم.

وقال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيها وهي الظباء وبقر الوحش، سُميت بهيمة لأنها أبهمت عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إِلَّا مَا يَكُلُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ما ذكر في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾

[المائدة: ٣]، «عَذْرُ مُحْلِ الصَّيْدِ»، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحْلِي الصَّيْدِ، ومعنى الآية: أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةَ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا، فإنه صَيْدٌ لَا يَحِلُّ لَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، فذلك قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ حَرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يُخَيِّمُ مَا يُرِيدُ».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعِيرَ اللَّهِ﴾ نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري، أتى المدينة وخلف خيله [خارج] المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلام تدعو الناس؟ فقال له: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، [وأن] محمداً رسول الله»، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»، فقال: [حسن]، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وأتاي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: «يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم [بلسان] شيطان»، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم»، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتبعوه فلم يدركوه، فلما كان العام القابل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقد قلّد الهذليّ، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم قد خرج حاجاً فخل بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: «إنه قد قلّد الهذليّ»، فقالوا: يا رسول الله، هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا لَا تَخْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان
المشركون يحبون ويهدون، فأرادَ
المتكلمون أن يُغَيِّرُوا عليهم
فنهاهم الله عن ذلك.

وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشعّرة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وإشعارها: إعلامها بما يُعرف أنها هُدي، والإشعار هُنا: أن يطعن في صَحْفَةِ سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدَّم، فيكون ذلك علامة أنها هُدي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قَتَلْتُ قَلْبَدَّ بَذَنٍ النَّبِيَّ ﷺ بيدي، ثم قَلَدَهَا وأشعرها وأهداها، فما حَرُمَ عليه شيء كان أحلَّ له.

وقاس الشافعي البقرَ على الإبل
في الإشعار، وأما الغنم فلا تشعر
بالجرح، فإنها لا تحتمل الجرح
لضعفها، وعند أبي حنيفة رضي الله
عنه لا يشعر الهدى.

وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تُجْلُوا شعائر الله وهي أن تَصِيدَ وأنْتِ محرم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْلُوا حُلُمَهُمْ فَاتَخَذُوا﴾، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرمات الله

واجتناب مسخطه واتباع طاعته.

قوله: ﴿لَا تَنْتَهَرُوا لِمَا كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو الشيء، وذلك أنهم كانوا يُجَلِّونَه في الجاهلية عاماً ويَحْرَمُونَه عاماً، ﴿وَلَا تَنْتَهَرُوا﴾، وهو كل ما يُهْدَى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة، ﴿لَا تَنْتَهَرُوا﴾، أي: الهدايا المُقَلَّدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قَلَّدُوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لِحَاءِ شجرِ الحرم كيلا يَتَعَرَّضَ لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشَّخِير: هي القلائد نفسها، وذلك أَنَّ المشركين كانوا يأخذون من لِحَاءِ شجر مكة وَيُقَلِّدُونَهَا فُتُها عن نزع شجرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِينُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرضوا لهم، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿فَتَمْلَأُ مِنْ ثَمَرِهِ﴾، يعني: الرزق بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾، أي: على زعمهم، لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها، وقيل: ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون، وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّبَعُوا الشَّرِيعَ حَيْثُ وَجَدُوهَا﴾ [التوبة: ٥]، ويقول: ﴿فَلَا يَزِينُوا السَّبْعَ الْحَرَامَ بِدَعَائِهِمْ هَذَا﴾

الأنصاري قال: سَيَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن البِرِّ والإِثْمِ، قال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ ما خَاكَ في نَفْسِكَ وكُفِرْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٢﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْمَنَةُ وَالَّذِينَ وَلَّمُوا الْغَنَازِيرَ وَمَا أُولَ الْأَهْلِ لَيْسَ اللَّهُ بِهِ﴾، أي: ما ذُكِرَ على ذبحه اسم غير الله تعالى، «وَالْمُتَغَنِّفَةُ»، وهي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يختنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، «وَالْمُؤَفَّذَةُ» هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها، «وَالْمُتَدَرِّبَةُ»، هي التي تتردى من مكان عالٍ أو في بئر فتموت، «وَالْمُطْلَبَةُ»، هي التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التانيث تدخل في الفاعل إذا كان بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عين كحيل وكف خضيب، فإذا حذف الاسم وأفردت الصفة، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيلة وخضيبة، وهنا أدخل الهاء لأنه لم يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يذُر أنها صفة مؤنث أم مذكر، ومثله الذبيحة والنسيكة، وأكيلة السبع «وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ»، يريد ما بقي مما أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، «إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ»، يعني: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء.

وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذَكَّيْتُ النَّارَ إذا أَتَمَمْتُ اشعالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهائهم الدم.

لأن المصادر أكثرها على فعلان، بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها، «أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْمُقَرَّبِ»، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستثناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديدية، وكان الصَّدُّ قد

تقدم، «أَنْ تَقْتُلُوا»، عليهم بالقتل وأخذ الأموال، «وَمَا تَأْوُوا»، أي: ليس ببعضكم بعضاً، «عَلَّ الْأَلْفِ وَالْقَوَى»، قيل: البر متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السنة، «وَلَا تَأْوُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القرشي أنا الحسن بن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نغير بن مالك الحضرمي عن أبيه عن النّوّاس بن سمعان

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْمَنَةُ وَالَّذِينَ وَلَّمُوا الْغَنَازِيرَ وَمَا أُولَ الْأَهْلِ لَيْسَ اللَّهُ بِهِ وَالْمُتَغَنِّفَةُ وَالْمُؤَفَّذَةُ وَالْمُتَدَرِّبَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُكِرَ عَلَى ذَبْحِهِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ لَكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَسْتَأْذِنُكُم مَّا ذَا أَهْلٌ لَكُمْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَا عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَوَارِجِ مَكْلَبِينَ تَعْلَمُونَ مِنْ مَّا عَلَيْكُمْ اللَّهُ فَعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالسَّامِعِ ﴿٣﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَالٌ لَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَحِلُّونَ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسَفْهِحِينَ وَلَا مُتَجَدِّينَ أَحْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤﴾

[التوبة: ٢٨]، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقتل.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا حُلَّةٌ﴾، أي: من إحرامكم، «وَمَا تَأْوُوا»، أمر بإباحة، أباح للحلال أخذ الصيد؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: لا يحملنكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعتُ كذا، أي: حملني، وقال الفراء: لا يكسبنكم، يقال: جرم أي: كَسَبَ فلانُ جريمة أهله، أي: كاسبهم، وقيل: لا يدعونكم، «سَتَنَاقُ قَوْمٌ»، أي: بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنتت، قرأ ابن عامر وأبو بكر «سَتَنَاقُ قَوْمٌ» بسكون النون الأولى، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان، والفتح أجود،

قال النبي ﷺ: «ما أنهرَ الدَّمُ ودَكرَ اسمُ الله عليه فكلُّ غير السن والظفر».

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم وكما له أن يقطع الودجين معهما، ويجوز بكل مُحَدَّد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر إلا السن والظفر، لنهي النبي ﷺ عن الذبح بهما، وإنما يحل ما ذكيتَ بعدما جرحه السبع أو أكل شيئاً منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته، فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته، وكذلك المتردية والتطيحة إذا أدركتها حيّة قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً، ولو رمي إلى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الأرض فمات كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته، فإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل، وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء فيحل كيف ما وقع، لأن الذبح قد حصل بلإصابة السهم المذبوح.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، قيل: النُّصُب جمع، واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عُنُق وأعناق، وهو الشيء المنسوب.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقتادة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجراً منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونها ويُعظمونها

ويذبحون لها، وليست هي بأصنام إنما الأصنام هي المصوّرة المنقوشة، وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة، ومعناه: ما ذُبِحَ على اسم النُّصُب، قال ابن زيد: وما ذُبِحَ على النصب وما أهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: على بمعنى اللام، أي: وما ذُبِحَ لأجل النُّصُب.

﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِدُوا بِالْأَزْلَامِ﴾، أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم، والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القِداح التي لا ريش لها ولا نضل، واجدها: زَلَمَ، وزَلَمَ، بفتح الزاي وضمتها وكانت أزلامهم سبعة قِداح مستوية من شوحط، يكون عند سادس الكعبة، مكتوب على واحد: نعم، وعلى واحد: لا، وعلى واحد: منكم، وعلى واحد: مُلْصِقٌ، وعلى واحد: العقل، وواحد غُفْل ليس عليه شيء، وكانوا إذا أرادوا أمراً من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره، أو تدارؤوا في نسب أو اختلفوا في تحمل عقل جاؤوا إلى غُفْل، وكان أعظم أصنام قريش بمكة، وجاؤوا بمائة درهم أعطوها صاحب القِداح حتى يُجِيل القِداح، ويقولون: يا إلهنا أردنا كذا وكذا، فإن خرج نعم، فعلوا، وإن خرج لا، لم يفعلوا ذلك حولاً، ثم عادوا إلى القِداح ثانية، فإذا أجالوا على نسب، فإن خرج منكم كان وسطاً بينهم، وإن خرج من غيركم كان حليفاً، وإن خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف، وإذا اختلفوا في عقل

فمن خرج عليه فلدح العقل حملة، وإن خرج الغفل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرمه، وقال: ﴿ذَلِكَمُفْتَقٌ﴾، قال سعيد بن جبير: الأزلام حصي بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعجم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج، وروى أن النبي ﷺ قال: «الْعِيَافَةُ وَالطُّرُقُ وَالطَّيْرَةُ مِنَ الْجَنَّةِ»، والمراد من الطُّرُق: الضُّرْب بالحصي.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا فضل الكندي أخبرنا الحسن بن داود الخشاب أنا سويبة بن سعيد أنا أبو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقَسَمَ أَوْ تَطَيَّرَ طَيْرَةً تَرْدَهُ عَنْ سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام يتسوا، ويتس وأيس بمعنى واحد.

﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاسْخَوْا الْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَيْتُمْ عَلَيْكُمْ رِضْيَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ دِينًا﴾، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضيبة، فكادت

عضد الناقة تنلق من ثقلها فبركت.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العُميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: «يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: آية آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا».

قال ابن عباس: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟» فقال: أبكاني أننا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: «صدقت».

وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع

الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكانت هجرته في الثاني عشر.

قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يعني: يوم نزل هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الرُّبَا نزلت بعدها، وقال سعد بن جبيرة وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك.

وقيل: أظهرت دينكم وأتممتكم من العدو.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، يعني: أنجزت وعدي في قوله: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجّوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. سمعت عبد الواحد المليحي قال: سمعت أبا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي، سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، سمعت عبد الملك بن مسلمة أبا مروان المصري سمعت إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يـُصلحـه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموا بهما ما صحبتموه».

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَضَلُّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمخخصة خلوة البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاوراً خاوياً، ﴿غَيْرَ مَخْصَصٍ لِإِثْمٍ﴾، أي: مائل إلى إثم وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي، أن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نكون بالأرض فتصيبنا بها المخخصة فمتى نحل لنا الميتة؟ فقال: «ما لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تختثوا بها بقلأ فشأنكم بها».

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبيرة: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا

منها؟ فنزلت هذه الآية.

وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يُتَنَفَّع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرَّمَادِي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ زَرْعٍ انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ»، والاول أصح في سبب نزول هذه الآية.

«قُلْ أَيْحَ لَكُمْ الْكَافِرُوتُ»، يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ»، يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن يُدْرِكَ ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكواشب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم،

فَيَحِلُّ صَيْدُ جَمِيعِهَا، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، «مُكَلَّبِينَ»، والمُكَلَّبُ الذي يغري الكلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً: مُكَلَّبٌ، والكلاب: صاحب الكلاب، ويقال للصائد بها أيضاً كلاب، ونصب مكَلَّبِينَ على الحال، أي: في حال تكليكم هذه الجوارح أي إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد، «تَمْلُؤُنَّ»، تؤدبون آداب أخذ الصيد، «وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ»، أي: من العلم الذي علمكم الله، قال السدي: أي: كما علمكم الله، «مَنْ» بمعنى الكاف، «كَلَّوْا بِمَا أَسَكَّتْ عَلَيْكُمْ»، أراد أن الجارحة المعلمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالاً، والتعليم هو أن يُوجَدَ فيها ثلاثة أشياء: إذا أَشْلِيَتْ اسْتَشْلَيْتَ، وإذا رُجِرَتْ انْزَجِرَتْ، وإذا أخذت الصيد أَسَكَّتْ ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مراراً وأقلها ثلاث مرات كانت معلّمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم: عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ الْمَعْلَمُ وَسَمِيتَ فَاْمَسَكَ وَقَتْلَ فَكُلْ،

وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فامسك». وقتلن فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل، وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل، وإن وقع في الماء فلا تأكل».

واختلفوا فيما إذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئاً: فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه، روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول عطية وطاووس والشعبي، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي لقوله ﷺ: «وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه».

ورخص بعضهم في أكله روي ذلك عن ابن عمر وسليمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص، وبه قال مالك: لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فَكُلْ وَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ».

أما غير المعلم من الجوارح إذا أخذ صيدا أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل فلا يكون حلالاً إلا أن يدركه صاحبه حياً فيذبحه، فيكون حلالاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن يزيد أنا حيوة أخبرني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس عن أبي ثعلبة الخشني قال: قلت: يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في

آيتهم، وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم، وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟ قال: «أما ما ذكرت من آتية أهل الكتاب، فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صيدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل، وما صيدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صيدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل».

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَّمَهُ وَإِنَّمَا اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، ففيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما يُرسل الجارحة أو السهم.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علويه الجوهري قال: أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقرئ بالبصرة حدثنا عمر بن شبة أنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: ضحى رسول الله ﷺ بكيشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، قال: رأيت واضعاً قدمه على صفاجهما ويذبحهما بيده ويقول: «بسم الله والله أكبر».

قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الْكَلْبُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عز وجل، ﴿وَلَعَلَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي

محمد ﷺ حلال لكم، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه، قال عمر: لا يحل وهو قول ربيعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول، سئل الشعبي ومكحول عن النصراني يذبح باسم المسيح، قالوا: يحل فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون، وقال الحسن: إذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله فإذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك.

قوله عز وجل: ﴿وَلَعَلَّكُمْ حِلٌّ لَكُمْ﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الجل مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم أن تطعموهم حرام عليكم أن تزوجوهم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَلْكَفَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ حِلٌّ لَكُمْ﴾.

اختلفوا في معنى ﴿وَلَلْكَفَّةُ﴾، فذكر أكثر العلماء إلى أن المراد منهم الحرائر، وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال

هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية؛ لقوله تعالى: ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]، جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون الأمة مؤمنة، وجوز أكثرهم نكاح الأمة الكتابية الحرة، وقال ابن عباس: لا يجوز وقرأ ﴿فَتِلْكَ الْأَوَّلُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى يَقْطُرَ الْجَزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه.

وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفاف من الفريقين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة.

﴿إِذَا أَتَيْنَهُنَّ أُخْرِهْنَ﴾ أي: مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَوِّغِينَ﴾، غير مُعالنين بالزنا، ﴿وَلَا مُتَجِدِّينَ أَخْدَانٍ﴾، أي: غير مُسرِّين بالزنا، قال الزجاج: حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحلّه على جهة الإحصان وهو التزوج.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان المسلمين إتيانهم بالذي يخرجهم من الكفر أو يغني عنهم شيئاً وهي للناس عامة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

يَنْ كَلْبِيَّيْنِ»، قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ»، أي: بالله الذي يجب الإيمان به.

وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال مقاتل: بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: ومن يكفر بالإيمان، أي: يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد خبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال ابن عباس: خسر الثواب.

① قوله عز وجل: «يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ» أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة؛ كقوله تعالى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت القراءة.

وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية: «وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ» وأنتم على غير طهر، قال النبي ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ الصَّلَاةَ بوضوء واحد، ومسح على خفيه.

وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم.

وقال بعضهم: هو أمر على طريق الثذب، ندب لمن قام إلى الصلاة أن يجتهد لها طهارته وإن كان على طهر، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ».

وروي عن عبد الله بن حنظلة بن عامر «أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة».

وقال بعضهم: هذا إعلال من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة، أخبرنا أبو القاسم الحنفي أنا أبو الحارث الظاهري أنا الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عبيدة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأتني بطعام فقيل له: ألا تتوضأ؟ فقال: «لم؟ أصل؟ فتوضأ؟».

قوله عز وجل: «فَاغْسِلُوا

سورة المائدة

سورة المائدة

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَلِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَاءِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَى الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَكُمْ تَشْكُرُونَ ① وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِنَعَهُ الْوَيْلَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فَتَمَسَّحُوا بِالْيَدَيْنِ أَنْ تَغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ أُولَئِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ② يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَى الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَلِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَاءِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَى الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَكُمْ تَشْكُرُونَ ① وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِنَعَهُ الْوَيْلَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فَتَمَسَّحُوا بِالْيَدَيْنِ أَنْ تَغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ أُولَئِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ②

١٨٨

وُجُوهَكُمْ»، وحذو الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً وما بين الأذنين عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء، ويجب أيضاً إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب واللحار والعنقفة وإن كانت كثيفة، وأما العارض واللحية فإن كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل باطنها في الوضوء، بل يجب غسل ظاهرها، وهل يجب إمرار الماء على ظهرها ما استرسل من اللحية عن الذقن؟ فيه قولان:

أحدهما: لا يجب وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه، كذلك النازل عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله.

والقول الثاني: يجب إمرار الماء على ظاهره، لأن الله تعالى أمر بغسل الوجه، والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو، ويقال في اللغة: بقل وجه فلان وخرج وجهه: إذا نبت لحيته.

قول تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْمَرْفَاقِ﴾، أي: مع المرافق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: مع أموالكم، وقال: ﴿مَنْ أَضَاكِبَةٌ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، الصف: ١٤]، أي: مع الله.

وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفي الرجل يجب غسل الكعبين، وقال الشعبي ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين والكعبين في اليد والرجل لأن حرف «إلى» للغاية والحد، فلا يدخل في المحدود.

قلنا: ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا، وقيل: الشيء إذا حد إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا حد إلى غير جنسه لا يدخل؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْنَا أَيْتَكُمْ إِلَى أَيْتِلْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس، فقال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح. واحتج من أجاز مسح بعض

الرأس بما أخبرنا عبد الوقاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن عليه عن أيوب السختياني عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة: «أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصرته وعلى عمامته وخفيه». فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث، وبه قال الأوزاعي وأحمد وإسحاق ولم يجوز أكثر أهل العلم المسح على العمامة بدلاً من مسح الرأس، وقالوا: في حديث المغيرة إن فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية، وفيه دليل على أن مسح جميع الرأس غير واجب.

قوله عز وجل: ﴿وَأَرْبُطَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص ﴿وَأَرْبُطَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأ الآخرون: «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخفص، فمن قرأ ﴿وَأَرْبُطَكُمْ﴾ بالنصب فيكون عطفاً على قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفص فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، ورؤي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة، وقال الشعبي: نزل جبريل بالمسح وقال: ألا ترى التيمم يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً.

وقال محمد بن جرير الطبري: يتخير المتوضئ بين المسح على

الخفين وبين غسل الرجلين.

وذهب عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا: خفض اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: ٢٦]، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جُحِرُ ضِبِّ خَرِبٍ، فالخرب نعت للجر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة، والدليل على وجوب غسل الرجلين ما:

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب أنا يحيى بن محمد بن يحيى أنا الحجبي ومسدد قالوا: أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: تخلّف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرنه فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته: «وَيْلٌ لِّلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان أنا عبد الله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال: رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم

غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً، ثم قال: رأيتُ رسول الله ﷺ توضأً نحو وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

وقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿وَأَنبِئُكُمْ﴾ المسح على الخفين كما روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكِعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رِجْلَيْهِ. وليس المراد منه أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ، يُقَالُ: قَبَّلَ فُلَانٌ رَأْسَ الْأَمِيرِ وَيَدَهُ، وَإِنْ كَانَتِ الْعِمَامَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدُهُ فِي كُمِهِ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: «أَمَلَكْ ماء»، فقلت: نعم، فنزل عن راحلته فمَشَى حتى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاء فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَعَلِيهِ جَبَّةٌ مِنْ صُوفٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعِيهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجَبَّةِ فغَسَلَ ذِرَاعِيهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزَعِ خَفَّيْهِ فَقَالَ: «دَغَمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»، فَسَحَ عَلَيْهِمَا. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَ الْكَمِينِ﴾،

والكعبان هما العظامان النائتان من جانبي القدمين، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين.

وفرائض الوضوء: غسل الأعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى، ومسح الرأس، واختلف أهل العلم في وجوب النية: فذهب أكثرهم إلى وجوبها لأن الوضوء عبادة تفتقر إلى النية كسائر العبادات، وذهب بعضهم إلى أنها غير واجبة وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

واختلفوا في وجوب الترتيب وهو أن يغسل أعضاءه على الولاة كما ذكر الله تبارك وتعالى: فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله، ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واحتج الشافعي بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ويبدأ النبي ﷺ بالصفاء، وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»، وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلاً بما بدأ الله تعالى به ذكراً.

وذهب جماعة إلى أنَّ الترتيب
 ستة، وقالوا: الواو المذكورة في
 الآية للجمع لا للترتيب؛ كما
 قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
 لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]
 الآية، واتفقوا على أنه لا تجب
 مراعاة الترتيب في صرف الصدقات
 إلى أهل السهمان، ومن أوجب
 الترتيب أجاب بأنه لم يُنقل عن
 النبي ﷺ أنه راعى الترتيب بين أهل

السهمان، وفي الوضوء لم ينقل أنه
توضاً إلا مرتباً كما ذكر الله تعالى،
وبيان الكتاب يؤخذ من السنة؛ كما
قال الله تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾ [الحج:
١٧٧]، لما قدم ذكر الركوع على
السجود، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه
فعل إلا كذلك فكان مراعاة الترتيب
فيه واجباً، كذلك الترتيب ههنا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، أي: اغتسلوا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله».

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ أَزْوَاجًا مِمَّنْ فَتَرَدُّوا إِلَيْهَا وَإِنْ كُنْتُمْ كَارِهِينَهَا فَغَارٌ عَلَيْكُمْ أُولَئِكَ أَمْذَرُ﴾، بما فرض عليكم من الزنا، وهو التراب، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿وَيَنْفَرُ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾، من الأحداث والجنابات والسنوب، ﴿وَلَا يُمْسِكُمْ عَنْ أَيْدِيكُمْ﴾، قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِلَيَّ مَعَكُمْ لَنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَوَدَّعْتُمْ يَوْمًا وَعَزَّزْتُكُمْ بِأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ الْمَسِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
نَقَضْتُمْ بَيْعَتَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يَجْرُونَ الْكُلْبَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

يوماً فجاءه المؤذن فأذنه
بصلاة العصر فدعا بماء
فتوضأ، ثم قال: والله
لأحدثنكم حديثاً لولا آية
في كتاب الله ما
حدثتكموه، ثم قال: إني
سمعتُ رسول الله ﷺ
يقول: «ما من امرئ
مسلم يتوضأ فيحسن
وضوءه ثم يصلي الصلاة
إلا غفر له ما بينه وبين
الصلاة الأخرى حتى
يصليها»، قال مالك: أراه
يريد هذه الآية: [طه:
الصلوة للذكرى] ١٧،
ورواه ابن شهاب،

وقال عروة: الآية: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أُنزِلَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ
[البقرة: ١٥٩].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
أحمد بن عبد الله النعيمي أنا
محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث
عن خالد عن سعيد بن [أبي] هلال
عن نعيم المجرم قال: رقيت مع أبي
هريرة رضي الله عنه على ظهر سطح
المسجد، فتوضأ قال: إني سمعتُ
رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ أَمْتِي
يُدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ
آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُعْطِلَ
مِنْكُمْ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

٧ قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»، يعني: النعم
كلها، «وَمِثْقَةَ الْأُزَى وَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ»،
عهده الذي عاهدكم به أيها
المؤمنون، «إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا

الخطايا بالوضوء؛ كما قال الله
تعالى: «لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ» [الفتح: ٢]، فجعل تمام
نعمته غفران ذنوبه.

أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن
محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن
أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم
أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن
هشام بن عروة عن أبيه عن حمزان:
أَنَّ عِثْمَانَ تَوَضَّأَ بِالْمَقَاعِدِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا،
ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ وَضُوءِي هَذَا
خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ
وَرِجْلَيْهِ».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي
أنا أبو مصعب عن مالك عن
هشام بن عروة عن أبيه عن حمزان
مولي عثمان: أَنَّ عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَلَسَ عَلَى الْمَقَاعِدِ

وَأَمَلْنَا»، وذلك حين بايعوا
رسول الله ﷺ على السمع والطاعة
وفيما أحبوا وكرهوا، وهو قول أكثر
المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل:
يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين
أخرجهم من صلب آدم عليه السلام،
«وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ»، بما في القلوب من خير
وشر.

٨ قوله تعالى: «يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ
آمَنُوا كُتُوبًا قَوِيَةً بِأَشْهُدَاهُ
يُؤْمِنُونَ»، أي: كُتُوبًا لَهُ قَائِمِينَ
بِالْعَدْلِ قَوَالِينَ بِالصَّدَقِ، أَمْرُهُمْ
بِالْعَدْلِ وَالصَّدَقِ فِي أَعْمَالِهِمْ
وَأَقْوَالِهِمْ، «وَلَا يَجْرِمُكُمْ»، ولا
يحملنكم، «شَتَاكَ قَوْمٍ»، بغض
قوم، «عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا»،
أي: على ترك العدل فيهم
لعداوتهم. ثم قال: «أَعْدِلُوا»،
يعني: في أوليائكم وأعدائكم، «فَوُ
أَقْرَبُ لِلْقَوِيِّ»، يعني: إلى التقوى،
«وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ».

٩ «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ»، وهذا في موضع النصب،
لأن فعل الوعد واقع على المغفرة
ورفعها على تقدير، أي: وقال لهم:
مغفرة وأجر عظيم.

١٠ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

١١ «يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»، بالدفع
عنكم، «إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ»، بالقتل.

قال قتادة: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ يبطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يقتكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة، فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك، وأنزل الله صلاة الخوف.

وقال الحسن: كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل، فقال رجل من المشركين: هل لكم في أن أقتل محمداً؟ قالوا: وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قالوا: ودنا أنك قد فعلت ذلك، فأتى النبي ﷺ، والنبي ﷺ متقلد سيفه، فقال: يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف، وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: «الله»، فتهدهه أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف ومضى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله: بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة، في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة، فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، أحدهم عمرو بن أمية الضمري، فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء تسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا ثم تولّى يشتد حتى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطته

الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه، وقال: الله أكبر الجنة ورب العالمين، فرجع صاحبه فلقيا رجلين من بني سليم، وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما مودة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما فقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية، فخرج معه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش: أنا، فجاء إلى رchy عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره، فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال: لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من أصحابي فسالك عني قتل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي رضي الله عنه حتى تناهوا إليه ثم تبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٧ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

وَعَسَّئَا مِنْهُمْ أَتَقَى عَذْرَ رَبِّكَ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة، وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان، وقال: يا موسى إني كتبتها لكم داراً وقراراً فأخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به، فاختر موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء، فبعث هؤلاء النقباء يتجسسونه له الأخبار ويعلمون علمها، فلقبهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله. ويروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتى عوج، وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى عليه السلام، وذلك أنه جاء وقلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام، وكان فرسخاً في فوسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدد فقوّر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه

وجوه لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا الأنبياء ونفذوا كتابه وضيعوا فرائضه، ﴿لَعَنَهُمُ﴾، قال عطاء: أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن ومقاتل: عذبناهم بالمسخ، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْيسِيَّةً﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿قَلْيسِيَّةً﴾ بتشديد الباء من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكبة والذكية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَلْيسِيَّةً﴾ أي يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والتناق، ومنه الدراهم القاسية وهي الرديئة المغشوشة.

﴿يَحْرُفُونَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِيهِ﴾، قيل: هو تبديلهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء التأويل، ﴿وَشَوَّاهُ حَقًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾، يا محمد، ﴿تَتَلَوَّى عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾، أي: على خيانه، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاعية، وقيل: هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية ونسابة وعلامة وحساب، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾، أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهتهم بقتله وسفه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت منهم، ﴿لَا يَلِيكَ مِنْهُمْ﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين

وقال بعضهم لبعض: يا قوم، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ﷺ ولكن اكنتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، ثم أنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا رجلاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتداء الكلام فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمْ الْقِسْمَةَ﴾، يا معشر بني إسرائيل، ﴿وَأَتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ﴾، نصرتموهم، وقيل: ووقرتموهم وعظمتموهم، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قيل: هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، لأمحون عنكم سيئاتكم، ﴿وَأُجْزِيَنَّكُم بِجَنَّتِكُمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ صَبَلَ سِوَاهُ السَّبِيلِ﴾، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ﴾، أي: فبنقضهم، و﴿مَا﴾ صلة، ﴿يُؤْتِيَهُمْ﴾، قال قتادة: نقضوه من

وَيَسَّاتِ الْيَمِينِ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ أَكْثَرُ نَافِعُهُمْ فَشَوَّاهُ حَقًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْقَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوَّكَ يَمِينَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾

نصرته، فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله، وكانت أمه عنق إحدى بنات آدم وكان مجلسها جريباً من الأرض، فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حمزة من حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها وقال: ألا أطمحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك.

وروي: أنه جعلهم في كتفه وأتى بهم إلى الملك فطرحهم بين يديه، فقال الملك: ارجعوا فأخبروهم بما رأيتم، وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبها خمسة أنفس، فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم،

أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فَاتَمَتْ عَنْهُمْ وَأَصْلَحَ﴾، أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿١٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ أَهَذَا مِيثَاقَهُمْ﴾، قيل: أراد بهم اليهود والنصارى فاكتمى بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة، ﴿فَقَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَقْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، بالاهواء المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقناة: يعني بين اليهود والنصارى، وقال قوم: هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الأخرى، ﴿وَسَوْفَ يُنْشِئُهُمُ اللَّهُ يَمَّا كَانُوا يَقْسِفُونَ﴾ في الآخرة.

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَاخَلَفُ الْكِتَابِيُّ﴾، يريد يا أهل الكتابين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، ﴿وَيَقْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم ولا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾، يعني: محمداً ﷺ.

وقيل: الإسلام، ﴿وَكُتِبَ لَكُمْ﴾، أي: بين، وقيل: مبين وهو القرآن.

﴿١٦﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكَ﴾، رضاء، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، قيل: السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاز واللذافة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من ظلمات

الكفر إلى نور الإيمان، ﴿يُذَوِّبُهُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ﴾، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قُلْ قَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً إذا قضاه؟ ﴿إِنِ ارَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا رَبَّهُمْ﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى كالآب لنا في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا

سورة المائدة

وقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا رَبَّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُعْقِرُوا أَشْجَارَكُمْ يَسْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أُنْيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يُعْقِرُوا أَشْجَارَ الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ الَّتِي كَذَّبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزِدُوا عَلَيْهَا ذِكْرًا فَلَنْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ مِنْهَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُتَّخَذَ زِينَةً لِّكُمُ التَّنَاقُوتُ يَنْفَخُ فِيهَا زُفُوفًا يَنْفُخُ فِيهَا فَتَنُوكُمْ فِي الْآيَاتِ الْكُبْرَى فَكَانَ يَخْلُوعًا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أُنْصِرْ لَنَا رَبُّكَ إِنَّا ضَلَلْنَا فِي السَّبِيلِ الَّذِي كَذَّبَ اللَّهُ عَنْكُمْ فَكُنَّا نَمُوتُ فَخَلَّصْنَاكُمْ مِنْهُ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ تَوَارِعُونَ ﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾

في التوراة يا أبناء أبحاري، فبدلوا يا أبناء أبحاري، فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناءه وأحبوا له فلا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلم يعذبكم، أي: لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قرود وخنازير؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾، كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿يَقْرَأُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فضلاً، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عدلاً، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿يَتَاخَلَفُ الْكِتَابِيُّ﴾ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا، محمد ﷺ،

﴿يُمِيتُ لَكُمْ﴾ أعلام الهدى وشرائع الدين، ﴿عَلَى قَتَرٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾، أي: على انقطاع من الرسل.

واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستماية سنة، قال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، كيلا تقولوا، ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَلَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّرُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾، أي: منكم أنبياء، ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدام وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم. وزوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً».

وقال أبو عبد الرحمن الحُبلي: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، سأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

قال السدي: وجعلكم ملوكاً أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم. قال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جار فهو ملك. ﴿وَأَتْنَبَّكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿يَقَوِّرُ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، اختلفوا في الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيلينا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عبادته.

قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن، وقال ابن إسحاق: وهب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، وقال السدي: أمركم الله بدخولها، وقال قتادة: أمروا بها كما أمروا بالصلاة، أي: فَرَضَ عَلَيْكُمْ. ﴿وَلَا تَزِدُوا عَلَى آدَابِكُمْ﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فَتَنفَلُوا خَيْرِينَ﴾، قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقبل له: انظر ما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

﴿قَالُوا يَتَّبِعُونَ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكتسبوا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيقتلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلاً وقياً بما قال لهم موسى، أحدهما يوشع بن نون بن أفراتيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى، والآخر كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران، وكان من سبط يهودا وهما النقباء فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا في أرض مصر، ولئيتنا نموت في هذه البرية ولا يَدْخُلَنَا اللهُ أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غيمة لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأساً ونصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى أخباراً عنهم: ﴿قَالُوا يَتَّبِعُونَ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، وأصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يُقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهُمُوا بالانصراف إلى مصر خُرَّ موسى وهارون عليهما السلام

ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما للذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّكَ إِذْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ يُخَافُوكَ أَيُّ يَخَافُونَ﴾، أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير ﴿يَخَافُونَ﴾ بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فاسلما واتبعنا موسى، ﴿أَنَّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة، قالوا: ﴿أَخْلَوْا عَلَيْهِمُ الْكِبَافُ﴾، يعني: قرية الجبارين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوها فَإِنَّكُم مَّعْلُومُونَ﴾، لأن الله منجز وعده، وإنا رأيناهم فكانت أجسادهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فأراد بشو إسرائيل أن يرجعوهما بالحجارة وعصوهما.

﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَن نَّذْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَوَدُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا﴾، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق

وجهه وصره ما قال، فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهتهم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾، قيل معناه: وأخي لا يملك إلا نفسه، وقيل: معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخسي، ﴿فَافْضِلْ﴾، وقيل: فاقض بيننا، ﴿وَبَيْنَ الْقَوَمِ الْفَاسِقِينَ﴾، العاصين.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿إِنَّا هَا نَحْنُ نَحْكُمُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، قيل: فهما ثم الكلام ومعناه تلك البلدة محرمة عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى إلى موسى: بي حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولا يهتتم في هذه البرية ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، يتيهون مكان كل يوم من الأيام التي تجسّسوا فيها سنة، ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوها، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَا نَحْكُمُكُمْ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، ﴿يَتِيهُونَ﴾، يتحiron، ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم، فلبثوا أربعين سنة في سدة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل، وكانوا يسبرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه.

سورة المائدة

سورة المائدة

قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَن نَّذْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَوَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْضِلْ بَيْنَهُمَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّكَ إِنَّا نَحْكُمُكُمْ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا بَنُو إِسْرَءِيلَ وَمَا أَفْعَلْنَا بِأَقْرَبًا نَا فَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا كُنَّا فَعَلْنَا لَكَ فَلَتَلَكَّ قَالَ إِنَّمَا تَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ لَقَدْ سَطَّتْ لَكَ يَدُكَ لِنَقُتْلِي مَا أَتَيْتَ بِسُيُورِيكَ لَا فَتَلَكَّ إِنِّي أَخَافُ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُنِيَ وَإِنَّمَا تَكُونُ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَاسِيَةِ ﴿٢٩﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غَارِيضًا بِحُفَّتِ فِي الْأَرْضِ لِيَرَىٰ كَيْفَ يَكُونُ سَوَاءً أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ فَاعْرِجْتَ أَنَا كَوْنُ مِثْلَ هَذَا الْغُلَّابِ فَأَوْرَىٰ سَوَاءً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِينَ ﴿٣٠﴾

١١٢

وقيل: إن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا فيهم، والأصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة وإنما كانت العقوبة لأولئك القوم، ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحاء أحد ممن قالوا: إنا لن ندخلها أبداً فلما هلكوا وانقضت الأربعون سنة، ونشأت الجنواشي من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين.

واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح، فقال قوم: إنما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى عليه السلام إليهم بمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها يوشع وقاتل الجابرة ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ما شاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى إليه، ولا يعلم قبره

أحد، وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن عوج بن عتق قتل موسى عليه السلام.

وقال الآخرون: إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام، وقالوا: مات موسى وهارون جميعاً في التيه.

قصة وفاة هارون

قال السدي: أوحى الله عز وجل إلى موسى أنني متوفي هارون فات به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم يُر مثلاً وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه، فقال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فتم عليه، فقال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي، قال له موسى: لا ترهب إني أكفيك أمر رب هذا البيت فتم، قال: يا موسى نم أنت معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد منيته قال: يا موسى خذعتني، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له، فقال موسى عليه السلام: ويحكم كان أخي فكيف أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين، ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصّدقوه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون وبقي موسى، فقالت بني إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلت، فأذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مّزوا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بني إسرائيل أنه قد مات، فبرّاه الله تعالى ممّا قالوا، ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرّحم، فجعله الله أصمّ وأبكم.

وقال عمرو بن ميمون: مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه، وكانا قد خرجا إلى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: قتلته لحبنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتضرّع موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعته، فانطلق بهم إلى قبره فناداه موسى، فخرج من قبره ينفض رأسه، فقال: أنا قتلثك؟ قال: لا ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا.

وأما وفاة موسى عليه السلام، قال ابن إسحاق: كان موسى عليه الصلوة والسلام قد كره الموت وأعظمه، فأراد الله أن يحبب إليه الموت، فنبأ يوشع بن نون وكان يغدو ويروح عليه، فيقول له موسى عليه السلام: يا نبي الله ما أحدث الله إليك؟ فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما

أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره؟ ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى ذلك موسى كره الحياة وأحب الموت.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال: أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارث يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ «والله لو أنني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

وقال وهب: خرج موسى لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه، ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، فقال:

إن هذا العبد من الله لهو بمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعاً قط، فقالت الملائكة: يا صفّي الله تحب أن يكون لك؟ قال: دددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك، قال: فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه، ثم سوت عليه الملائكة.

وقيل: إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه.

وكان عُمر موسى مائة وعشرين سنة، فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون سنة، بعث الله يوشع نبياً فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبابرة، فصَدَّقوه وتابعوه فتوجه بني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة، ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها، وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم اردد الشمس عليّ، وقال للشمس: إنك في طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين

ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم، فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلواً فمزمهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال: هلّم ما عندك فأناه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجواهر كان قد غلّه، فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، ثم مات يوشع ودفن في جبل أفرائيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰ آلَ هَابِيلَ أَخَاهُ مِنَ الْبَطْنِ هَابِيلٌ مِّنْهُمَا قَاتِلٌ أَخَاهُ الَّذِي هُوَ مَبْعُوثٌ فِي الْقُرْآنِ﴾، وهما هابيل وقابيل، ويقال له قابين، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، وكان سبب قربانهما على ما ذكره أهل العلم أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجارية، وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث، ثم بارك الله عز وجل في نسل آدم عليه السلام، قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً.

واختلفوا في مولد قابيل وهابيل، فقال بعضهم: غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته أقليما في بطن واحد، ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: أن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخيطية، فحملت فيها بقايل وتوأمته أقليما، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً حتى ولدتهما، ولم تر معهما دماً فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوحمة والوصب والطلق والدم، وكان آدم إذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى، فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم، فلما ولد قابيل وتوأمته أقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا، وكان بينهما ستان في قول الكلبي وأدركوا، أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال: هي أختي أنا أحق بها، ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض، فقال له أبوه: إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك، وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها، وكانت القربان إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع، فخرجوا ليقربا قرباناً وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زروعه

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَفْعَلُ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَنْ يُضْمَأْسَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٢٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ
أَنَّهُمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا
آتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةَ وَجْهًا فِي سَبِيلِهِ
لَمَلَكُمْ قُلُوبُكُمْ ﴿٣١﴾ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ
لَهُمْ عَذَابُ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِنْهُمْ مَكْرُوفٌ يُقْتَدُوا بِهِمْ
عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

١١٢

وأضمر في نفسه ما أبالي يقبل مني أم لا، لا يتزوج אחتي أبداً، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿تَقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾، يعني هابيل ﴿وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾، يعني قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرؤيته قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قابيل وهابيل وهو في غنمه، ﴿قَالَ لَا تَقْبَلُكَ﴾، قال: ولم، قال: لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني، وتنكح אחتي الحسنة وأنكح أختك الدميعة، فيتحدث الناس أنك

خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿قَالَ﴾ هابيل: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَنْ يَبْسُطَ﴾، أي: مددت، ﴿إِنَّكَ يَدُكَ لَيَقْتُلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا تَقْبَلُكَ إِلَهِي أَخَاكَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال عبد الله بن عمر: وإيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر، كما

فعل عثمان رضي الله عنه، قال مجاهد: كتب عليهم في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾، ترجع، وقيل: تحمل، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾، أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن تكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتي وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم تقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك.

فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل: ذلك ليس بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطئن نفسه على الاستسلام

طلباً للثواب فكانه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾، أي: طأوعته وشايعته وعاونته، ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾ أي في قتل أخيه، وقال مجاهد: فشجعت، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له نفسه ذلك، أي: جعلته سهلاً، تقديره: صوّرت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله فلما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله، قال ابن جريج: فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر إليه فعلمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْمَلَكُوتِ﴾، وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة.

واختلفوا في موضع قتله، قيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فسوّد جسم القاتل وسأله آدم عليه السلام عن أخيه فقال: لم أكن عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك اسودّ جسديك، مكث آدم مائة سنة لم يضحك قط منذ قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

على جبل ثور، وقيل: عند عقبة حراء، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، وقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً، وقال ابن عباس: سنة، حتى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ويرجله حتى مكن له ثم ألقيه في الحفرة وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى:

﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سُوءَ أَخِيهِ﴾، فلما رأى قابيل ذلك ﴿قَالَ يَتَوَلَّى أَخِي بِكَرَمٍ مِمَّا لَمْ أَخْلُقْ مِنْهُ لَا يَأْتِيهِ مِنَ الْمَطَايِمِ فَاقْتَلْتَهُ وَخَلَعَ عُصَاهُ فَاسْتَبَقَ﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه كان قد سلب ثيابه، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، على حمله على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلعة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

قال عبدالمطلب بن عبد الله بن حنطب: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه الله: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيقاً، فقال الله تعالى: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم تلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنت قتلت؟ فحزّم الله عز وجل على الأرض يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً.

وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، وأضر الماء واغبرت الأرض، فقال آدم عليه السلام: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل، فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تَغَيَّرَ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهِا
فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مَغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغْيِيرُ كُلِّ ذِي وَلَوْنٍ طَعْمٌ
وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ
وروي المليح.

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال إن آدم عليه السلام قال شعراً فقد كذب، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء. ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مراثيه قال لثيث: يا بني إنك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه، فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المراثية فردّ المقدم إلى المؤخر، والمؤخر إلى المقدم، ووزنه شعراً وزاد فيه أبيات منها:

وما لي لا أجود يسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريع
أرى طول الحياة علي غمماً
فهل أنا من حيناتي مستريح
فلما مضى من عمر آدم عليه

السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنين ولدت له حواء شيئاً وتفسيره: هبة الله، يعني إنه خلف من هابيل. وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادة الخالق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده، وأما قابيل فقيل له: اذهب طريداً شريداً فرعاً مرعوباً لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فاتاه إبليس فقال له: إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيتاً للنار فهو أول من عبد النار، وكان لا يميز به أحد إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال ابنه: هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه فقتله فقال ابن الأعمى: قتل أباك؟ فرفع يده فطم ابنه، فمات فقال الأعمى: ويل لي قتل أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.

وقال مجاهد: فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذهما وساقيهما وعلقت من يوعثذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث ما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج.

قالوا: واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزمار والعيدان والطناير، واتهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام، وبقي نسل شيت.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُقْتَلْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».

❶ قوله عز وجل: «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ»، قرأ أبو جعفر من أجل ذلك بكسر النون موصولاً وقراءة العامة بجزم النون، أي: من جراء ذلك القاتل وجنابته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذاً، «كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ»، قتلها فيقاد منه، «أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ»، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»، اختلفوا في تأويلها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شذ عضد نبياً أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً.

قال مجاهد: من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلها لو قتل الناس جميعاً، «وَمَنْ أَحْيَاهَا» من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً.

قال قتادة: أعظم الله أجرها وعظم وزرها، معناه: من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل

الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، «وَمَنْ أَحْيَاهَا»، وتوزع عن قتلها، «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»، في الشواب لسلامتهم منه، قال الحسن: «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»، يعني: أنه يجب عليه من القصاص له بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، «وَمَنْ أَحْيَاهَا»: أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي قلت للحسن: يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إني والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دماننا، «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ».

❷ «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا»، الآية. قال الضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض.

وقال الكلبي: نزلت في قوم هلال بن عويمر، وذلك أن النبي ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج، فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر، ولم يكن هلال شاهداً فشدوا عليهم فقتلوه وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه

السلام بالقضاء فيهم. وقال سعيد بن جبیر: نزلت في ناس من غزوة عجل أتوا النبي ﷺ وباعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عجل فأسلموا واجتووا المدينة فامرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا.

ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحررة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا. قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً وهو المراد من قوله تعالى: «وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا».

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنينين، فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز، وقال بعضهم: حكمه ثابت إلا السمل والمثلة، وروى قتادة عن ابن سيرين

أن ذلك كان قبل أن ينزل الحد، وقال أبو الزناد: فلما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد.

وعن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة.

وقال سليمان التيمي عن أنس: إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة.

وقال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتباً لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم، وقال: إنما جزأهم هذا لا المثلة، ولذلك ما قام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة.

واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد، فقال قوم: هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين، والمكابرون في الأمصار، وهو قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله.

وقال قوم: هم المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذه الحدود، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب، والنفي كما هو ظاهر الآية، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والتخفي ومجاهد.

وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا في الأرض.

وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى.

وإذا قتل قاطع الطريق يقتل حتماً حتى لا يسقط بعفو ولي الدم، وإذا أخذ من المال نصيباً وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وإذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب.

واختلفوا في كيفيته: فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب وقيل: يصلب حياً ثم يطعن حتى يموت مصلوباً، وهو قول الليث بن سعد، وقيل: يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل، وإذا أخاف السبيل ينفي.

واختلفوا في النفي: فذهب قوم إلى أن الإمام يطلبه ففي كل بلدة يوجد ينفي عنه، وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز، وقيل: يطلب لتقام عليه الحدود، وهو قول ابن عباس والليث بن سعد، وبه قال

الشافعي، وقال أهل الكوفة: النفي هو الحبس، وهو نفي من الأرض، وقال محمد بن جرير: ينفي من بلده إلى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي إليه حتى تظهر توبته، قال مكحول: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجن، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من الحد، ﴿لَهُمْ جَزَاءُ﴾ عذاب وهوان وفضيحة، ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿لَا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَجِيمٌ﴾، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل أن يظفر به الإمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل، ويبقى عليه القصاص لولي القتل فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القطع والقتل والصلب، ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: إذا جاء تائباً قبل

واختلفوا في القدر الذي يقطع فيه، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار، فإن سرق ربع دينار أو متاعاً قيمته ربع دينار يقطع، وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي رحمهم الله، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عمرة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «القطع في ربع دينار فصاعداً».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم. ورؤي عن عثمان أنه قطع سارقاً في اثني عشر درهماً بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار.

وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم.

وذهب قوم إلى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم، ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال قوم: لا يقطع إلا في خمسة دراهم يروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلى.

إليه وجمعها وسائل، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَلَكُمْ تَقْلُبُونَ﴾ تلخيصه: امثلوا أمر الله تنجوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَّا﴾، فيه وجهان، أحدهما: أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَن يُخْرِجُوا مِنَّا﴾ [الحج: ٢٢]، والثاني: أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم؛ كما قال الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَّا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، أراد به إيمانها، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وجملة الحكم: أن من سرق نصاباً من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ، ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم، حكى عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل، وعامة العلماء على خلافه

يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَّا وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ وَمِنَّا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٣٥﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَتْ لَا تِلْكَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا فَأَوْتَاهُمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّوَتٍ إِلَى الْكَذِبِ سَمَّوَتٍ لِّقَوْمٍ آخَرِينَ لَا يَأْتُوكَ بِخَبَرٍ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَنْكُرُونَ أَن يُؤْتِيَهُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَخَذُّوهُ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِثْلَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِهِمْ فَلَمْ يَهْدِهِمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خَرَى وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٩﴾

القدرة عليه لا يكون لأحد عليه تبعة في دم ومال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه.

وروي عن علي رضي الله عنه في حادثة بن يزيد كان قد خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال، ثم جاء ثانياً قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيرد إلى صاحبه أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها.

وقيل: كل عقوبة تجب حقاً لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحذ الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال، والأكثرون على أنها لا تسقط.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا﴾، واطلبوا، ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي: القربة، فعيلة من توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أخبرني أبي أنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»، وقال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل، يرون أن منها ما يساوي ثلاثة دراهم.

ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل، وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش، لحديث عائشة رضي الله عنها «وإذا سرق شيئاً من غير حرز كشمز في حائط لا حارس له أو حيوان في بركة لا حافظ له، أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا قطع في ثمر مُعلق ولا في جريسة جبل، فإذا آواه الشراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن».

وروي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس على خائف ولا مثقب ولا مختلس قطع».

وإذا سرق مالا فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيئاً: لا قطع عليه.

وإذا سرق السارق أول مرة تقطع

يده اليمنى من الكوع، ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم.

واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً: فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرق رابعاً تقطع رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده يعزر ويحبس حتى تظهر توبته، وهو المزوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول قتادة، وبه قال مالك والشافعي لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في السارق يسرق «إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله».

وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثاً بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع، بل يحبس، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: «إنني لأستحي أن لا أدع له يداً يستنجي بها ولا رجلاً يمشي بها»، وهو قول الشعبي والنخعي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا﴾، نصب على الحال والقطع، ومثله: ﴿تَكْلَأُ﴾، أي: عقوبة، ﴿وَيَنْ أَلَهُ﴾ والله عزير حكيمة.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾، أي: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، العمل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا فيما بينه وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته فإذا قطع حصلت

التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجنابة، كما قاله ﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا﴾، ولا بد من التوبة بعده، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائماً عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لَمَّا مَلَكَتْ السَّحَابُوتُ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل واحد من الناس، ﴿وَيُعَذِّبُ مِنَ يَسْأَلُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي والكلبي: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من مات على كفره ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: الكبيرة، من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء على الكبيرة، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْكَافِرِ﴾، أي: في موالاة الكفار فإنهم لن يعجزوا الله، ﴿فَمَنْ أَلْفَتْهُمُ﴾، أي: ما أتت بهم من قلوبهم، وهم المنافقون، ﴿وَمِمَّنْ أَلْفَنَاهُ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَمِمَّنْ أَلْفَنَاهُ﴾، أي: قوم سماعون، ﴿وَالْمَكِيدِينَ﴾، أي: قائلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله،

وقيل: سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، «سَمِعُوا لَقَوْمٍ مَّالِحِينَ لَوْ يَأْتُونَكَ»، أي: هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين وهم أهل خيبر.

وذلك أن رجلاً وامراً من أشرف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين، وكان حذهما الرجم في التوراة، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فقالوا: إن هذا الرجل الذي يشرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب، فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسالوه عن ذلك، فبعثوا رهطاً منهم مستخفين وقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ما حذهما؟ فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، وأرسلوا معهم الزانيين فقدم رهط حتى نزلوا على بني قريظة والتضير فقالوا لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فُجِرُوا وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه، فقالت لهم قريظة والتضير: إذاً والله يأمركم بما تكرهون.

ثم انطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسُغِيَة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي السحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا

ما حذهما في كتابك؟ فقال ﷺ: «هل ترضون بقضائي؟» قالوا: نعم، فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال له جبريل عليه السلام: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل تعرفون شاباً أمرد أعور يسكن فذك يقال له ابن سوريا؟» قالوا: نعم، قال: «فأي رجل هو فيكم؟» فقالوا: هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة قال: «فأرسلوا إليه»، ففعلوا فأتاهم، فقال ﷺ: «أنت ابن سوريا؟» قال: نعم، قال: «وأنت أعلم اليهود»، قال: كذلك يزعمون، قال: «أنجعلونه بيني وبينكم؟» قالوا: نعم.

فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر، وقلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى، وأنزل عليكم كتابه وفيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟»

قال ابن سوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني بالتوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت لك، ولكن كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم»، فقال ابن سوريا:

والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام، فقال له النبي ﷺ: «فما كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟» قال: كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنى رجل آخر من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه، وقالوا: والله لا نرجمه حتى يرجم فلان - لابن عم الملك - فقلنا: تعالوا نجتمع فلنصنع شيئاً دون الرجم يكون على الوضع والشريف، فوضعنا الجلد والتحميم، وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقر ثم يسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما، فجعلوا هذا مكان الرجم، فقال اليهود لابن سوريا: ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت لما أثبتنا عليك بأهل ولكنت كنت غائباً فكرهنا أن نغتائبك، فقال لهم: إنه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته به، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده، وقال: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأنزل الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: إن اليهود

سورة المائدة

سورة المائدة

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَكَلُونَ لِشَحْتٍ فَإِنْ جَاءُوكَ
فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ
يُعْزِزْكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤١﴾ وَكَفَىٰ بِمُحْكَمَاتِكَ وَعِنْدَهُ
الْغُورَةُ فِيهَا أَحْكُمَ اللَّهُ ثُمَّ تَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحَارِمَ اسْتَحْفِظُوا مِنْ كُتُبِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ
وَأَخْشَوْنَ وَلَا تُشْرُوا وَبِئَانِي شَأْنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَكَسَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ
بِقِصَاصٍ مِمَّنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾

١١٥

لَمْ يَأْتُوكَ ﴿٤٠﴾ وَهُمْ أَهْلُ
خَيْبَرَ، ﴿يَحْكُمُونَ﴾
الْكَلَامَ، جمع كلمة،
﴿يُؤْمِنُونَ﴾، جمع مواضعه،
أي: من بعد وضعه
مواضعه، وإنما ذكر الكناية
ردًا على لفظ الكلم،
﴿يَقُولُونَ﴾، إِنْ أُرِيتُمْ هَذَا
فَحُدُّوهُ، إِي: إِنْ أَفْتَاكُمْ
محمد ﷺ بالجلد
والتحميم فاقبلوه، ﴿وَإِنْ
لَمْ تَوْتَوْهُ فَأَحْدَثُوا وَمَنْ يُؤْمِرْ
اللَّهُ فَنُفِثْهُ﴾، كَفَرَهُ
وضلالته، قال الضحاك:
هلاكه، وقال قتادة:
عذابه، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ

جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له
أَنْ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنِيًّا، فقال لهم
رسول الله ﷺ: «ما تجدون في
التوراة في شأن الرجم»؟ فقالوا:
نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن
سلام: كذبتُمْ إِنْ فِيهَا لَآيَةُ الرَّجْمِ،
فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَنَشَرُوهَا فَوْضِعَ أَحَدِهِمْ
يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلُهَا وَمَا
بَعْدَهَا، فقال له عبد الله: ارفع يدك،
فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا:
صدق يا محمد فيها آية الرجم، وأمر
بهما رسول الله ﷺ فرجما، فقال
عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل
يخني على المرأة يقبها الحجارة.

وقيل: سبب نزول هذه الآية
القصاص، وذلك أَنْ بَنِي النَضِيرِ كَانَ
لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى بَنِي قَرِظَةَ، فقال بنو
قَرِظَةَ: يَا مُحَمَّدُ إِخْوَانُنَا بَنُو النَضِيرِ
وَأَبُونَا وَاحِدٌ وَدِينُنَا وَاحِدٌ وَنَبِينَا
وَاحِدٌ، وَإِذَا قَتَلُوا مَنَّا قَتِيلًا وَاحِدًا لَمْ
يَقِيدُونَا وَأَعْطُونَا دِيْنَهُ سَبْعِينَ وَسَقًا مِنْ
تَمْرٍ، وَإِذَا قَتَلْنَا مِنْهُمْ قَتَلُوا الْقَاتِلَ
وَأَخَذُوا مَنَّا الضَّعْفَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ
وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ، وَإِنْ كَانَ الْقَتِيلُ امْرَأَةً
قَتَلُوا بِهَا الرَّجُلَ مَنَّا وَبِالرَّجُلِ مِنْهُمْ
الرَّجُلَيْنِ مَنَّا، وَبِالْعَبْدِ الْحَرِّ مَنَّا،
وَجَرَّاحَتُنَا عَلَى التَّضْعِيفِ مِنْ
جَرَّاحَتِهِمْ، فَاقْضُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ.

والأول أصح لأن الآية في
الرجم.

قوله: ﴿وَمَنْ أَلَّيْنِ هَادُوا سَمِعُوا
لِلْكَذِبِ﴾، قيل: اللام بمعنى إلى،
وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون
لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله:
﴿يَقُولُونَ﴾، أي: لأجل قوم ﴿وَالَّذِينَ

كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا
يرتشون ويقضون لمن رشاهم.

قال الحسن: كان الحاكم منهم
إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كفه
فيربها. إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه
ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب
ويأكل الرشوة.

وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في
الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو
يطل عنك حقاً، فاما أن يعطي الرجل
الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه
فلا بأس، فالسحت هو الرشوة في
الحكم على قول الحسن ومقاتل
وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود:
هو الرشوة في كل شيء، وقال ابن
مسعود: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً
أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل فهو
سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن
ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على
الحكم، فقال: الأخذ على الحكم

مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، فلن تقدر على
دفع أمر الله فيه، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ
يُؤْمِرُوا أَنْ يُطَهَّرُوا فُلُوهُمْ﴾، وفيه
رد على من ينكر القدر، ﴿هُمْ فِي
الْأُتْيَا خَزَىٰ﴾، أي: للمنافقين
واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة
وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي
اليهود الجزية أو القتل والسبي
والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ
وأصحابه وفيهم ما يكرهون، ﴿وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، الخلود
في النار.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا
لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِشَحْتٍ﴾، قرأ ابن
كثير وأبو جعفر وأهل البصرة
والكسائي ﴿لِلشَّحْتِ﴾ بضم الحاء،
والآخرون بسكونها، وهو الحرام،
وأصله الهلاك والشدة، قال الله
تعالى: ﴿يَسْحَرُكَ بِعَذَابٍ﴾ [طه:
٦١]، نزلت في حكام اليهود

كفر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعنة الله على الراشي والمرثي».

والسحت كل كسب لا يحل.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكُنْ بِمَنْ وَرَاءَهُ شَاقًّا﴾، خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك.

واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثر أهل العلم: هو حكم ثابت، وليس في سورة المائدة حكم منسوخ، وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شأوا حكموا وإن شأوا لم يحكموا، وإن حكموا حكموا بحكم الإسلام، وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة.

وقال قوم: يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم. والآية منسوخة نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروى ذلك عن ابن عباس، وقال: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان، قوله تعالى: ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢]، نسخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا الْمُسْكَرِينَ﴾ [التوبة: ٥]،

وقوله: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه؛ لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة. قوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل، ﴿وَأَنَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، أي: العادلين، وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور».

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُ التَّورَةُ﴾، هذا تعجيب للنبي ﷺ، وفيه اختصار، أي: كيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾، وهو الرجم، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: بمصدقين لك.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، أي: أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْغَلِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وكما قال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاهٌ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال الحسن

والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم، ذكر بلفظ الجمع كما قال: ﴿إِنْ لَمْ يَهْتَمَّ كَاتِبُ أُمَّةٍ فَلْيُنَادَا﴾ [النحل: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا؛ كما قال: ﴿وَأَنْ أَسْأَلَهُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، أي: فعلها، وكما قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٥]، [أي: عليهم]، وقيل: فيه حذف كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً.

﴿وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ﴾، يعني: العلماء، واحدهم جبر، وخبر يفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيدة: هو من الخبر الذي يكتب به، وقال قطرب: هو من الخبر الذي هو بمعنى الجمال يفتح الحاء وكسرها، وفي الحديث: «يخرج من النار رجل قد ذهب جبره وسبزه»، أي: حسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون ههنا من النصاري، والأخبار من اليهود، وقيل: كلاهما من اليهود.

قوله عز وجل: ﴿بِمَا أَسْتَفْظِرُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: استودعوا من كتاب الله، ﴿وَكَاثَرُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَهُ﴾، أنه كذلك.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آلِهِمْ بِطِيسٍ أَيْنَ مَرِّمْ حَتَّىٰ قَالَا بَيْنَ يَدَيْهِمَا
الْتَوْرَةُ وَآلِهَتُهُمَا إِلَهُيْهِمَا هُنَا وَهُوَ وَمَصِيدًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِمَا مِنَ التَّوْرَةِ وَهُنَا وَمَرَّحَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ وَلِيَحْكُمَ
أَهْلُ الْإِسْلَامِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ أَلَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا
عَلَيْهِ فَاخِصَّكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ فَتْرَةً وَسُيُوفًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيهَا
أَفَنتَكُمْ فَاسْتَغْنُوا ۚ الْخُرُوجُ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمْعِكُمْ جَمِيعًا
فَتَحْكُمَ بِمَا كُتِبَ لَهُمْ يَحْكُمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا تَمْتَدَّ عَنْهُمُ إِن تَفْتَنُوا كُنْ مِنْ
بَعْضِ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
يَعُذُّونَ عَنْهُمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
الْمَلَكُوتِ يَعُودُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

١٨٦

بحكمه في التوراة وهو: أن
النفس بالنفس واحدة
بواحدة إلى آخرها، فما
بالهم يتخالفون فيقتلون
بالنفس النفسين، ويفقأون
بالعين العينين، وخفف
نافع الأذن في جميع القرآن
ونقلها الآخرون، **﴿وَالْيَسَّرَ﴾**
بالتيسير، **﴿وَالْيَسَّرَ﴾**
الجوارح قياس عليها في
القصاص، **﴿وَالْجُرُوحُ﴾**
قصاص، فهذا تميم بعد
تخصيص، لأنه ذكر العين
والأنف والأذن والسن، ثم
قال: **﴿وَالْجُرُوحُ﴾**
قصاص، أي: فيما
يمكن الاقتصاص منه كاليد

والرجل واللسان ونحوها، وأما لا
يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو
جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا
قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف
على نهايته، وقرأ الكسائي **﴿وَالْعَيْنُ﴾**
وما بعدها بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن
عامر وأبو جعفر وأبو عمرو
﴿وَالْجُرُوحُ﴾ بالرفع فقط، وقرأ
الآخرون كلها بالنصب كالنفس.

قوله تعالى: **﴿مَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾** أي: بالقصاص **﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾**، قيل: الهاء في «له»
كناية عن المجروح وولي القتل،
أي: كفارة للمتصدق وهو قول
عبد الله بن عمرو بن العاص
والحسن والشعبي وقتادة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم
الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن
محمد بن إبراهيم الشعلي أنا
أبو عبد الله الحسين بن محمد

يَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ، قال قتادة والضحاك:
نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود
دون من أساء من هذه الأمة. روي
عن البراء بن عازب رضي الله عنه في
قوله: **﴿مَنْ أَلَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**، والظالمون
والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل:
هي على الناس كلهم.

وقال ابن عباس وطاوس: ليس
بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله
فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله
واليوم الآخر.

قال عطاء: هو كفرٌ دون كفر،
وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق،
وقال عكرمة معتاه: ومن لم يحكم
بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن
أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وسئل عبد العزيز بن يحيى
الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها
تقع على جميع ما أنزل الله لا على
بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما
أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما
من حكم بما أنزل الله من التوحيد
وترك الشرك، ثم لم يحكم بجميع ما
أنزل الله من الشرائع لم يستوجب
حكم هذه الآيات. وقال العلماء:
هذا إذا رد نص حكم الله عياناً
عمداً، فأما من خفي عليه أو أخطأ
في تأويل فلا.

قوله تعالى: **﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ﴾**
فيها، أي: أوجنا على بني إسرائيل
في التوراة، **﴿وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾**،
يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول
وفاءً يقتل به، **﴿وَالْمَوْتُ بِالْمَوْتِ﴾**،
تفقا بها، **﴿وَالْأَنفُ بِالْأَنفِ﴾**، يجدد
به، **﴿وَالْأَذُنُ بِالْأَذُنِ﴾**، تقطع بها،
قال ابن عباس: أخبر الله تعالى

الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا
عبد الله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة
أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه
قال: قال رسول الله ﷺ: «من
تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه
بقدره من ذنوبه».

وقال جماعة: هي كناية عن
الجراح والقتال، يعني: إذا عفا
المُجنى عليه عن الجاني فعفو كفارة
لذنب الجاني لا يُؤاخذ به في
الآخرة، كما أن القصاص كفارة له،
فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل،
قال الله تعالى: **﴿مَنْ عَفَا وَأَسْلَحَ﴾**
﴿فَلِجَنَّةِ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]،
روى ذلك عن ابن عباس رضي الله
عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد
وزيد بن أسلم، **﴿مَنْ أَلَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**.

قوله تعالى: **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ﴾**
آلِهِمْ، أي: على آثار النبيين

وما لا فلا ﴿فَاتَّكُم﴾، يا محمد، ﴿يَتَّبِعُهُمْ﴾، بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك، ﴿يَمَا أُنْزَلَ اللَّهُ﴾ تعالى في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا كِتَابٌ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنة، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شرعية وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شرعية.

قال قتادة: الخطاب للأمة الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، للتوراة شرعية وللإنجيل شرعية وللقرآن شرعية، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَكَّنَّاكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على ملة واحدة، ﴿وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ﴾، ليعتبركم، ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾، من الكتب وبين لكم من الشرائع، فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف، ﴿فَأَسْتَبَيَقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بِهِمْ يَمَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَافِظُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسد وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نفتنه عن

التفتيت، الخارجون عن أمر الله عز وجل.

قوله سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾، القرآن، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾، روى الوالي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقاتدة والسدي والكسائي.

قال حسان:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهَيِّجٌ لِنَبِينَا
وَالْحَقُّ يَغْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ
يريد شاهداً ومصداقاً.

وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبيرة وأبو عبيدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً، وقيل: أصله مؤمن مفعل من أمين، كما قالوا: مُبَيَّطَر من البيطار، فقلبت الهمزة هاء، كما قالوا: أرقّت الماء وهرقته، وإيهات وهيات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن صدقوا ولا فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضياً، وقال الخليل: رقيباً وحافظاً، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بِسُوءِ
أُولَئِكَ بَعْضٌ مِمَّن يَتَّبِعُكُمْ يَكُونُ فِيكُمْ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ اللَّهُ لَا يَدْرِي الْقَوْمُ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ فَقَرَأَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ تَحْقِيقٌ أَنْ تُبَيِّنَ دَابِرَهُ فَقَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٤٨﴾
وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ
لَهُمْ لَعْنُكُمْ حُطَّتْ آفَاتُهُمْ فَاذْهَبُوا خَيْرِينَ ﴿٤٩﴾ يَأْتِي
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رِزْقِهِمْ عَنْ رُبُّهِمْ فَوَقَّعَ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ
وَيُحِبُّونَهُمْ أَوْ لَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَتُوكَ اللَّهُ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٢﴾ يَأْتِي
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا
الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ تَخْشَوْنَ

الذين أسلموا، ﴿يَبْسُ أَيَّ مَرَضٍ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتُهُ الْإِنْجِيلِ
يُذَكِّرُ﴾، أي: في الإنجيل، يعني: الإنجيل،
﴿وَأَنْزَلَ وَمُصَدِّقًا﴾، يعني: الإنجيل،
﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ وَلَيَحْكُمَنَّ أَقْلُ الْإِنْجِيلِ يَمَا
أُنْزَلَ اللَّهُ يَوْمَ، قرأ الأعمش
وحمزة ﴿وَلَيَحْكُمَنَّ﴾: بكسر اللام
ونصب الميم، أي: لكي يحكم،
وقرأ الآخرون: بسكون اللام
وحزم الميم على الأمر، قال
مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين
والأخبار أن يحكموا بما في
التوراة، وأمر القسيسين والرهبان
أن يحكموا بما في الإنجيل،
فكفروا وقالوا عزيز ابن الله
والمسيح ابن الله، ﴿وَمَنْ لَزَّ
يَحْكُمَنَّ يَمَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

اللَّهُ يَقُولُ بِحُجَّتِهِمْ وَيُحْيِيهِمْ، قرأ أهل المدينة والشام «يرتده» بدالين على إظهار التضعيف «عَنْ وَيِيد»، فيرجع إلى الكفر.

قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه سيأتي يقوم يحبهم الله ويحبونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقصد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء. قال أبو بكر بن عياش: سمعت

أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبي مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة.

كان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق:

منهم: بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عيهلة بن كعب العنسي، ويلقب بالأسود، كان كاهناً مشعباً فتنبأ باليمن واستولى على بلادها، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحشوا الناس على التمسك بدينهم، وعلى النهوض إلى حرب الأسود، فقتله فيروز الديلمي على فراشه، قال ابن عمر رضي الله عنه: فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قُتل فيها، فقال رسول الله ﷺ: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك»، قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز»، فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض ﷺ من الغد؛ وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح، جاء أبو بكر رضي الله عنه.

والفرقة الثانية: بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب واسمه ثمامة بن قيس، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر، وزعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، ويعت بذلك إليه مع رجلين من

أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أتشهدان أن مسيلمة رسول الله؟» قالوا: نعم. قال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»، ثم أجاب: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، ومرض رسول الله ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كبير حتى أهلكه الله على يدي وحشي، غلام مطعم بن عدي قتل حمزة بن عبد المطلب، بعد حرب شديد، وكان وحشي يقول: قتلْتُ خيرَ الناس في الجاهلية وشرَّ الناس في الإسلام.

والفرقة الثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد، وكان طليحة آخر من ارتد، وأدعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وأول من قُوتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمَرَّ على وجهه هارباً نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير، حتى كفى الله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه.

قالت عائشة: «توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرب النفاق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالرجال الراسيات لهاضها».

يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء».

وعلى هذا التأويل أراد بقوله: «وَهُمْ رَكُوعٌ»، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال السدي: قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَكْثَرُ» أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مَرَّ بِهِ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي الْمَسْجِدِ فَأَعْطَاهُ خَاتَمَهُ.

وقال جوبير عن الضحاك في قوله: «إِنَّا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: «إِنَّا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، نزلت في المؤمنين، فقليل له: إِنَّ أَنَسًا يَقُولُونَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه، فقال: هو من المؤمنين.

﴿٥٦﴾ «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، يعني: يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، «وَالَّذِينَ آمَنُوا»، يعني: أنصار دين الله، «فَهُمْ الْقَلِيلُ».

﴿٥٧﴾ قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذُرًى وَقَرًا» الآية، قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن الثابت وسويد بن الحارث قد أظهرتا الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله عز وجل هذه

من قولهم: عزَّه أي غلبه. قال عطاء: «أَوَّلُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»: كالولد لوالده وكالعبد لسيده، «أَعَزُّ عَلَى الْكَافِرِينَ»: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: «أَشِدُّكَ عَلَى الْكَافِرِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ» [الفتح: ٢٩]، «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ»، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

«وَالَّذِي فَضَّلَ اللَّهُ يَرْثِيهِ مَنْ يَشَاءُ»، أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

﴿٥٨﴾ «إِنَّا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة ابن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذُرًى وَقَرًا» [المائدة: ٥١]، إلى قوله: «إِنَّا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، يعني: عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. وقال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا ألا لا

وقال قوم: المراد بقوله: «سَوَّوْا بَيْنَ اللَّهِ يَتَوَلَّوْا مِنْهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ» هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: «سَوَّوْا بَيْنَ اللَّهِ يَتَوَلَّوْا مِنْهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ»، قال رسول الله ﷺ: هم قوم هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري وكانوا من اليمن.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمام والحكمة يمانية».

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفياء الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه. قوله عز وجل: «أَوَّلُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»، يعني: أرقاء رحماء، كقوله عز وجل: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحِيمَةِ» [الإسراء: ٢٤]، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو من الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون قال الله تعالى: «وَيَسْكَدُ الرُّكْنِيَّ الَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» [الفرقان: ٦٣]، «أَعَزُّ عَلَى الْكَافِرِينَ»، أي: أشد غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم،

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَبًا﴾، بإظهار ذلك بالسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر، ﴿هِيَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَالْكَافِرَ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي ﴿وَالْكَافِرَ﴾ بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ لِّكُم مِّن دُونِهِ﴾.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْلٌ لَا يَبْلُغُونَ﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار هو وأهله نيام، فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله.

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العنز،

فما أقبح من صوت وما أسمع من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣] الآية.

﴿٥٩﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقُومُونَ مِنَّا﴾ الآية، قرأ الكسائي: ﴿هَلْ تَقُومُونَ﴾، بإدغام اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والتاء والنون، ووافقه حمزة في التاء والتاء وأبو عمرو في ﴿هَلْ تَرَى﴾ [الملك: ٣] في موضعين.

قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفر من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: ﴿هُؤُلُوا مَأْمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَهُ إِلَهِكُمْ وَلِتَمِيزَ﴾، إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقُومُونَ مِنَّا﴾، أي: هل تكرهون منا، ﴿إِلَّا أَن مَأْمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾، أي: هل تكرهون إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال.

﴿٦٠﴾ ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هَلْ أُتِينَكُم﴾، أخبركم، ﴿وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرتم، يعني: قولهم

لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَتَيْنَكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢]، ﴿مُتَوَاتِرًا﴾ وجزاء، نُصِبَ على التفسير، ﴿وَجَدَ اللَّهُ مَن لَّمَّةً لِلَّهِ﴾، أي: هو من لعنه الله، ﴿وَنُصِبَ عَلَيْهِ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾، فالفرقة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام.

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخين كلاهما من أصحاب السبت فشبَّانهم مُسَخُوا قُرَّة ومشايعهم مسخوا خنازير. ﴿وَجَعَلَ الْفِرَّةَ﴾، أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سؤل له، وتصديقها، قراءة ابن مسعود: ﴿ومن عبدوا الطاغوت﴾، وقرأ حمزة: ﴿وعبد﴾ بضم الباء، ﴿الطاغوت﴾ بجر التاء، أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء، مثل سبيع وسبيع، وقيل: جمع العباد، وقرأ الحسن: ﴿وعبد الطاغوت﴾ على الواحد، ﴿وَأُولَٰئِكَ سُرُّ تَكَاكَ وَأَصْلُ عَن مَّوَاهِ النَّبِيلِ﴾، [أي]: عن طريق الحق.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ إِلَٰهِكُمْ مَأْمَنًا وَبِحَبْلِ الْغَدَاةِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: ﴿مَأْمَنًا﴾ بك وصدقناك فيما

وَأَذَانًا يَشْرِي إِلَى الْعَذَابِ أَلْحَدُهَا هَرُوءٌ وَلَمَّا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْلِكُونَ ﴿٦٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَعْلَمُونَ مَا لَا أُنَاسٌ يَعْلَمُونَ مَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ أَنْ أَكْذَرَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ أَنْبِيَاكُمْ بِشَرِّهِمْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْفَنَارِ وَعَبْدَ الطَّلُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِأَوَّلِهِمْ قَالُوا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٤﴾ وَرَوَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدُونَ وَأَكْلِهِمْ أَلْشَحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ لَوْلَا يَنْتَهُمُ أَرْبَابَهُمْ أَلْشَحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُغُوا بِمَا قَالُوا لَوْلَا يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُعْذِرُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَوْلَا يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَفُتَ نَارُ الْآخِرَةِ فِي الْآرِضِ فَسَادًا وَآلَهُ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٧﴾

كلما نزلت آية، «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ وَالْفِتْنَةَ»، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد. وقيل: بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين، «إِنْ يَوْمَ أَلْقَيْنَهُمْ كَلِمًا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ»، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم بطيوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين.

وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيهم ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى

مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا ما تبر به قسمه قدر ما عبد أبائنا العجل. والأول أولى؛ لقوله: «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ».

«غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ»، أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة المسككة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة؛ لقوله تعالى: «إِذَا الْأَغْطَالُ

فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ» [غافر: ٧١]. «وَلُغُوا»، غُذِبُوا، «بِمَا قَالُوا»، فمن لعنهم أنهم مُسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، «بِلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ»، ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جل ذكره: «لَنَا خَلْقٌ يَدَيَّ» [ص: ٧٥]، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين».

والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف.

«يُنْفِقُ»، يـرزق، «كَيْفَ يَشَاءُ وَلَوْلَا يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَفُتَ نَارُ الْآخِرَةِ فِي الْآرِضِ فَسَادًا وَآلَهُ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»، أي: كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغياناً وكفراً،

قلت، وهم يُسْرُونَ الكفر، «وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ»، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، «وَاللَّهُ أَغْلَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ».

﴿٦٢﴾ وَرَوَى كَثِيرًا مِنْهُمْ، يعني: من اليهود «يَسْرِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدُونَ»، قيل: الإثم المعاصي والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كنتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فيها، «وَأَكْلِهِمْ أَلْشَحْتُ»، الرُشَا، «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

﴿٦٣﴾ لَوْلَا، هــلا، «يَنْتَهُمُ أَرْبَابَهُمْ وَالْأَحْبَارَ»، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود، «عَنْ قَوْلِهِمْ أَلْشَحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ».

﴿٦٤﴾ قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ»، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق، نسبه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك.

قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها.

وقال الحسن: معناه يد الله

وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حناناً، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨] الآية.

وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود.

وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها.

وقيل: نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَقُولُ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٥]، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧] الآية. فكان

النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَّمْ تَلْعَلْ مَا بَلَغْتَ رَسُولَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب ﴿رَسُولَهُ﴾ على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئاً، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل؛ كقوله: ﴿تَوَدُّونَ بَعْضُكُمْ يَكْتُمُ

وقال الفراء: أراد به التوسعة في الرزق كما يقال: فلان في الخير من قرنه إلى قدمه، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ﴿مِنْهُمْ أَنَّهُ مُتَّفِقٌ﴾، يعني: مؤمنني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿مُتَّفِقَةٌ﴾ أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة:

الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بشس شيئاً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا القبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، روي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب، وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية. روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه، فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت في عيب اليهود،

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيحًا ۖ وَلَا تَجِدُ أُولَٰئِكَ جَمِيعًا بَالِغِيٍّ فِي الْإِيمَانِ ۚ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا شُرُوعَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَٰكِنْ يَزِيدُ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَآرَأَيْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولُيْمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذِبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٦٩﴾

اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَكَادًا﴾ والله لا يحب المفسدين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿وَأَتَّقُوا﴾، الكفر، ﴿لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيحًا﴾ ولا تَجِدُ أُولَٰئِكَ جَمِيعًا بَالِغِيٍّ فِي الْإِيمَانِ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لَأَكْفُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض.

بَعْضُ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيْلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]، أخبر أن كفرهم ببعض محبط للإيمان ببعض.

وقيل: ﴿يَلَيْقَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، أي: أظهر تبليغه؛ كقوله: ﴿فَأَصْنَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ﴿وَلَنْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، فإن لم تظهر تبليغه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئاً لخوف يلحقك فما بَلَّغْتَ رسالته.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شجَّ رأسه وكسرت ربابيته وأوذى بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما
شجّ رأسه، لأن سورة المائدة من
آخر ما نزل من القرآن.

وقيل : والله يخصك بالعصمة من بين الناس ، لأن النبي ﷺ معصوم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا محمد بن يوسف أنا
محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا
شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي
سنان الدؤلي وأبو سلمة بن
عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله
أخبرهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ
قَبْلَ نَجْد، فلما قفل رسول الله ﷺ،
قفل معه فأدركهم القائلة في وادٍ كثير

العضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق
الناس يستظلون بالشجر، فنزل
رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق
بها سيفه ونمنا نومة، فإذا
رسول الله ﷺ يدعوننا وإذا عنده
أعرابي، فقال: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ
سِيفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَقِظْتُ وَهُوَ فِي
يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟
فَقُلْتُ: اللَّهُ ثَلَاثًا»، ولم يعاقبه
وجلس.

وروى محمد بن كعب القرظي
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
الأعرابي سئل سيفه، وقال: من
يمنعك مني يا محمد؟ قال: «الله»،
فرعدت يدا الأعرابي وسقط السيف
من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة
حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى
هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا محمد بن يوسف أنا
محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن
خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا
يحيى بن سعيد أنا عبد الله بن
عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة
رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ
سهر فلما قدم المدينة قال: ليت
رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني
الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح،
فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن
أبي وقاص جئت لأحرسك فنام
النبي ﷺ.

وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه

الآيَةُ: «وَاللَّهُ يَصْمُكُ مِنْ
الْكَافِرِينَ»، فأخرج رسول الله ﷺ
رأسه من القبة فقال لهم: «أيتها
الناس انصرفوا فقد عصمني الله
سبحانه وتعالى».

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ
الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا
التَّوْبَةَ وَالْإِصْلَاحَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ
رَبِّكُمْ﴾ ، أي: يجب عليكم فيهما، ﴿وَلَا يَذُكُّ كِتَابًا
مِّنْهُمَا مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَعَيْنًا
وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾ ، فلا تحزن، ﴿وَعَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّاحِبُونَ﴾، وكان
حقه: ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾، وقد ذكرنا في
سورة البقرة وجه ارتفاعه، وقال
سيبويه: فيه تقديم وتأخير تقديره:
إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى من آمن بالله إلى آخر
الآية، والصابئون كذلك، قوله:
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: باللسان،
وقوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ مِمَّنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، أي:
بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على
حقيقة الإيمان ﴿هَٰؤُلَاءِ مِمَّنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾،
أي: ثبت على الإيمان، ﴿وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِالْآخِرَةِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في التوحيد والنبوة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾، عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾، يحيى وزكريا.

﴿٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِذْ رُسُولٌ قَدْ خَلَتْ، مَضَتْ، مِنْ قَبْلِ الرُّسُلِ﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وَأَنْتُمْ صِدِّيقَةٌ﴾، أي: كثيرة الصدق.

وقيل: سُمِّيت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عز وجل في وصفها: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ [التحریم: ١٢]، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين، فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

وقيل: هذا كناية عن الحدث، وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلهاً؟

ثم قال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّ يُؤْكَفُونَ﴾، أي: يُصرفون عن الحق.

﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريق اليهود والنصارى،

رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّكُمْ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

﴿٧٦﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ﴾، يعني: المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: ﴿يَأْتِيَنَّكَ السَّيِّئَاتُ فَتَخِدْنِي وَأُخْبِرْ﴾

إِلَهُينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ [المائدة: ١١٦]، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإن الله يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٤٧]، وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». ثم قال رداً عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ لِي صِيبٌ﴾، ليصيبني، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

﴿٧٧﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ؟﴾ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ؟﴾، أي: انتهوا. والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَحَيَوُا الْأَنْفُسَ فَنُفْسُهُمْ مَمْلُوءَةٌ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَكَلُوهَا كَمَا يَكُلُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَهَا قَوْلٌ مَعْشُورٌ وَأَلِ اللَّهُ بِمَا يَكُونُ أَلِ اللَّهِ وَتَسْتَعْفِفُونَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا صِدْقُهُ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّ يُؤْكَفُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

﴿٧٦﴾ ﴿وَحَيَوُا﴾، ظنوا، ﴿أَلَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبْتَلُوا ولا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ، قرأ أهل البصرة وحزمة والكسائي «تكون» برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا، ﴿مَمْلُوءَةٌ﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وَصَمُوهَا﴾، عنه فلم يسمعه، يعني: عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوهَا كَيْدٌ مِنْهُمْ﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بِعَمِيرٍ يَمَّا يَمْلُكُونَ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اتَّبِعُوا اللَّهَ

والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، ﴿وَأَصْلُوا كَثِيرًا﴾، يعني: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿وَصَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن قصد الطريق، أي: بالاضلال فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بالضلال من اتبعهم.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾، يعني: أهل آيلة لما اعتدوا في السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: على لسان عيسى عليه السلام يعني كفاراً أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير، ﴿وَذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ مَعْلُومٍ﴾، أي: لا ينهي بعضهم بعضاً ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن محمد بن إسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد - يعني ابن عبد الله الواسطي - عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاء الناهي

تعذيراً، فإذا كان من الغد جالسه وأكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب

بعضكم على بعض، ولعنكم كما لعنهم».

﴿٨٠﴾ قوله تعالى: ﴿كَرِهِي كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾، قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين يتولون اليهود، ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، بشئ ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة، ﴿أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، غضب الله عليهم، ﴿وَفِي الْمَكَادِبِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَمَا أَوَّلَ إِلَهِمُ﴾، يعني: القرآن، ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾، يعني: الكفار، ﴿أَوَّلِيَّةَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيُؤْتُونَ﴾، أي:

قُلَيْبًا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَحْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ مَعْلُومٍ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ كَرِهِي كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْمَكَادِبِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أَوَّلَ إِلَهِمُ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوَّلِيَّةَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيُؤْتُونَ ﴿٨٢﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُهُمُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُمُ قَالُوا إِنَّا فَتَنَّاكَ بِهِمْ وَلَئِنْ كُنَّا لَبَاقِعُونَ ﴿٨٣﴾ فَتَنَّاكَ بِهِمْ وَهُمْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ ﴿٨٤﴾

خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

﴿٨٢﴾ قوله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُهُمُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُمُ﴾، لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه. وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظهارة للمشركين من اليهود.

قال أهل التفسير: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت

كل قبيلة على من فيها من المسلمين يُؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن، وعصم الله منهم من شاء، ومنع الله تعالى رسوله بعنه أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال: «إِنَّ بِهَا مَلَكًا صَالِحًا لَا يَظْلَم وَلَا يُظْلَم عَنْده أَحَدٌ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فَرَجًا». وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبيشة عطية، وإنما النجاشي اسم الملك - كقولهم قيصر وكسرى - فخرج إليها سرًا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف وأبو خذيفة بن غثبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلي بنت أبي حثمة، وحاطب بن عمرو وسهل بن بيضاء رضي الله عنهم، فخرجوا إلى البحر وأجروا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ، وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إليها، فكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان.

فلما علمت قريش بذلك وجهوا

عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردّوهم إليهم، فعصمهم الله، وذكرت القصة في سورة آل عمران.

فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، وعلا أمره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان - وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها - وبيعت إليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها: أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها، فأعطتها أوضاعاً لها سروراً بذلك، فأذنت خالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فأنفذ إليها النجاشي أربعمائة دينار على يد أبرهة، فلما جاءتها بها أعطتها خمسين ديناراً فردته وقالت: أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت: أنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدقتُ محمداً ﷺ وأمنتُ به، وحاجتي منك أن تقرّني مني السلام، قالت: نعم، قالت أبرهة: وقد أمر الملك نساء أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر، فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكر.

قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر،

فخرج من خرج إليه وأقامت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ، فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فردّ رسول الله ﷺ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]، يعني: أبا سفيان مودة، يعني: بتزويج أم حبيبة، ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة، قال: ذلك الفحل لا يقرّ أنفه.

وبيعت النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ﷺ، ابنه أزهى بن أصحمة بن أبجر في ستين رجلاً من الحبشة، وكتب إليه: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدّقاً وقد بايعتكم وبايعت ابن عمك وأسلمت لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافي جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يسّ إلى آخرها، فيكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾، يعني: وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون، وكانوا أصحاب الصوامع.

وقال مقاتل والكلبي: كانوا
أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من
الحبشة، وثمانية روميون من أهل
الشام.

وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً
أربعون من أهل نجران من بني
الحارث بن كعب، واثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية روميون من أهل
الشام.

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله محمداً ﷺ صدقوه وآمنوا به فأنى الله عز وجل بذلك عليهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا عِيسَى﴾، أي: علماء، قال قُطْرِب: القس والقسيس العالم بلغة الروم، ﴿وَرُؤَسَاءُ﴾، الرهبان المُبَاد أصحاب الصوامع، واحدُهم راهب، مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قريان وقرايين، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَتَعَزَّوْنَ﴾، لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الرَّسُولِ﴾، محمد ﷺ، ﴿رَجَعُوا أَعْيُنَهُمْ﴾، تَيسِيل، ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحِشَّة ﴿كَهَيِّصٍ﴾ [مريم: ١]، فما زالوا يبيكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني: أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾
وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ،
وذلك أن اليهود عتبروهم
وقالوا لهم: لِمَ آمَنتم؟
فأجابوهم بهذا، ﴿وَنَطْعُ أَنْ
يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ
الْمُتَّقِينَ﴾، أي: في أمة
محمد ﷺ، بيانه ﴿أَنْتَ
الَّذِينَ يَرْفَعُ عِبَادِي
الْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿قَالَتُمْ أَهَلْ آتَاكُمْ اللَّهُ بَعْدَ مَا قَاتَلْتُمُوهُمْ﴾،
 ﴿أَعْطَاهُمُ اللَّهُ،﴾ ﴿يَمَّا قَالُوا﴾
 ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾
 ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿وَإِنَّمَا﴾
 ﴿أَنْجَحَ قَوْلُهُمْ وَعَلِقَ الشَّوَابُ﴾

بالقول لاقرانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَكُ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾، يعني: الموحدين المؤمنين، وقوله من قبل: ﴿وَرَبِّهِمْ يُقِضُ رِبَ الْأَمْعِ مِنَّا عَرُؤًا مِنْ آلِ الْحَقِّ﴾، يدل على أن القول بالإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

﴿۸۶﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿۸۷﴾

(47)
 قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَمُوا ظِلِّينَ مَا آتَى اللَّهُ لَكُمْ﴾، الآية. قال أهل التفسير: ذكر النبي ﷺ الناس يوماً ووصف القيامة ففرق له الناس ويكوا، فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو، وأبو ذر الغفاري، وسالم

وَاِذَا سَمِعُوا اَنزَالَ اِلَى الْاَرْضِ رَنًا اَتَيْتَهُمْ فَيَقُصُّ رِثَ الدِّعِّ وَمَا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا مَا مَنَّا فَاَكْتَسَبَ مَعَ الشَّقِيْدِيْنَ ﴿٨٥﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ اَنْ يُّدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٨٦﴾ فَاتَّخَذَهُمُ اللّٰهُ يَمَانًا وَاَوْجَدَتْ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٨٧﴾ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا اُولَٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيْمِ ﴿٨٨﴾ يَتَّخِذُوْنَ اَنْهَارًا وَّارِثَةً لِّمَنْ يُّؤْتُوْنَ وَلَا تَسْجُدُوْا لِلّٰهِ لَا يَجِبُ الْمُتَعَبِيْنَ ﴿٨٩﴾ وَكُلُوْا وَشَارِبُوْا مِنْ حَلٰلِ مَا رَزَقَكُمْ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَّاسْقُوا اللّٰهُ الَّذِيْ اَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُفُوْتٍ ﴿٩٠﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِالْعُفُوِّ اَيِّنْكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَاَتُفَوِّتُكُمْ فَاَعْلَمَافِ عَشْرٍ مَّسْكِيْنَ مِنْ اَوْسَطِ مَا تُطِغَمُوْنَ اَهْلِيْكُمْ اَوْ كُنُفَهُمْ اَوْ تَحْرِيرَ رَقَبٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَوْسِيْمًا فَلْيَسَّ اَيْمَانًا وَّذٰلِكَ كَلِمَةٌ اَيِّنْكُمْ اِذَا حَلَفْتُمْ وَاَعْلَمُوْا اَيِّنْكُمْ كَذَلِكُمْ يَقِيْنُ اللّٰهُ لَكُمْ اَيْتُوْا لَعَلَّكُمْ تُفْشَرُوْنَ ﴿٩١﴾

مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعل بن مقرن رضي الله عنهم، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسبحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية - واسمها الحولاء - وكانت عطارة: «أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟» فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان بشيء فقد صدقك. فانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو

وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم أنبا أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال ﷺ: «إني لم أؤمر بذلك»، ثم قال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأكل اللحم والدسم وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: «ما بال أقوام حرّموا النساء والطيب والنوم وشهوات النساء؟ أما إني لست أمركم أن تكونوا قسيسيين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحبّوا واعتصموا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع»، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني ابن أنعم عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ

فقال: ائذن لنا في الاختصاء، فقال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من خصى ولا من اختصى، [إن] خصاء أمتي الصيام»، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في السياحة، فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في الترهّب، فقال: «إن ترهّب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة».

وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إني إذا أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة، فحرمت اللحم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يعني: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿وَلَا تَقْتَدُوا﴾، أي: ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام. وقيل: هو حبّ المذاكير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، قال عبد الله بن المبارك: الحلال ما أخذه من وجهه، والطيب ما غذى وأنمى، فأما الجوامد كالطين والشراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا:

أخبرنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يحبّ الحلواء والعسل».

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتخفيف، وقرأ ابن عامر ﴿عاقدتهم﴾ بالالف وقرأ الآخرون ﴿عقدتم﴾ بالتشديد، أي: وكُتبت، والمراد من الآية قصدتم وتعمدتم، ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾، أي: كفارة ما عقدتم الأيمان إذا حنثتم، ﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾، واختلفوا في قدره: فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مئداً من الطعام بمذّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن.

وقال أهل العراق: لكل مسكين مئدان، وهو نصف صاع، يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما.

وقال أبو حنيفة: إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من

غيرها فصاع، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم.

ولو غذاهم وعشاهم لا يجوز، وجوز أبو حنيفة، ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه.

ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق، بل يجب إخراج الحب إليهم، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك.

ولو صرف الكل إلى مسكين واحد لا يجوز، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام، ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز، وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة. واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز. قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَلَيْكُمْ﴾، أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل مُجَز. قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَوُكُمُ﴾، كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فإن اختار الكسوة، فاختلفوا في قدرها، فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة، إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو كساء أو نحوها، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاووس، وإليه

ذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

وقال مالك: يجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته، فيكسو الرجال ثوباً واحداً والنساء ثوبين درعاً وخماراً.

وقال سعيد بن المسيب: لكل مسكين ثوبان.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبٍ﴾، وإذا اختار العتق يجب إعتاق رقبة مؤمنة، وكذلك جميع الكفارات، مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان، يجب فيها إعتاق رقبة مؤمنة، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه إعتاق الرقبة الكافرة في جميعها إلا في كفارة القتل، لأن الله تعالى قيد الرقبة فيها بالإيمان، قلنا: المطلق يُحمل على المقيد كما أن الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وأطلق في موضع فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِبَائِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ثم العدالة شرط في جميعها حملاً للمطلق على المقيد، كذلك ههنا، ولا يجوز إعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة.

ويُشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة، يُعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة، وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب إذا لم يكن أذى شيئاً من النجوم، وعتق القريب عن الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً يَبْتَأ حتى

لا يجوز مقطوع إحدى اليدين، أو إحدى الرجلين، ولا الأعمى ولا الزمّن ولا المجنون المطبق، ويجوز الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب لا تضر بالعمل ضرراً يَبْتَأ.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كل عيب يفوت جنساً من المنفعة على الكمال يمنع الجواز.

حتى جَوَزَ مقطوع إحدى اليدين، ولم يجوز مقطوع الأذنين. قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير.

واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم: فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع، بل إن شاء تابع وإن شاء فَرَّقَ، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار، وهو قول الثوري وأبي حنيفة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾. ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿كَثْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، وحنثتم، فإن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث.

واختلفوا في تقديم الكفارة على

﴿فَاجْتَنِبُوا﴾، رد الكناية إلى الرجس، ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عريدوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاظا على حفراته، ﴿وَصَدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله، وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف، تقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرا ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، أعبد ما تعبدون، بحذف لا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ؟﴾ أي: انتهوا لفظة استفهام ومعناه أمر؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟﴾ [الأنبياء: ٨٠].

﴿وَأَلْبِغُوا اللَّهَ وَأَلْبِغُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاحْزَرُوا﴾، المحارم والمناهي، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ اللَّيِّنُ﴾، وفي وعيد شارب الخمر.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمود المحمودي أنا أبو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي

تحتشوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب، فالأفضل أن يحنث نفسه ويكفر، لما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن

عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمامة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكُلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير».

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل:﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفِتْرُ وَالْمَيْسِرُ، أَي: القمار، ﴿وَالْأَصْبَابُ﴾، يعني: الأوثان، سُميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها، واحداها نُصب بفتح النون وسكون الصاد، ونُصب بضم النون مخففاً ومثقلاً، ﴿وَالْأَزْكَامُ﴾، يعني: القِدَاح التي يستقسمون بها واحداها زَلَمٌ، ﴿وَيَسْرٌ﴾، خبيث مستقذر، ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، من تزيينه،

الحنث، فذهب قوم إلى جوازه، لما روي أن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير». وابن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وابن سيرين، وإليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي، إلا أن الشافعي يقول: إن كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لأنه بدني، إنما يجوز بالإطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول، ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه.

قوله عز وجل: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا تحلفوا، وقيل: هو الأصح، أراد به: إذا حلفتم فلا

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفِتْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْبَابُ وَالْأَزْكَامُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَقْلِيلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَصَدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾ وَأَلْبِغُوا اللَّهَ وَأَلْبِغُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاحْزَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ اللَّيِّنُ ﴿٩٢﴾ نَسَى عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَجَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ يَتْرُكُ مِنْ الصَّدَقَاتِ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَزَاءً مِنْ قَوْلِهِمْ تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي مَآثِرِ النَّاسِ وَتَقُولُ لِلَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كِتَابُ اللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَلَا حَسْرَةٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ لَئِنْ كُنْتُمْ تُؤْتُونَ زَكَاةً فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ اللَّيِّنُ ﴿٩٥﴾

عبد الملك بن قدامة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مسكرٍ حرام، وإن حتماً على الله أن لا يشربه عبدٌ في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِّمَها في الآخرة».

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أحمد بن أبيي أخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن عبد الله بن عمر أنه قال: أشهد أني سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «لَعَنَ اللَّهُ الخمرَ وشارِبَها وساقِياها وبائعَها ومُبتاعَها وعاصرَها ومُعْتَصِرَها وحاملَها والمحمولةَ إليه وأكلَ ثمنَها».

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، وشربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر، «إِذَا مَا اتَّقَوْا»، الشُّرْبَ، «وَمَا ءَامَنُوا»، وصدقوا، «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا»، الخمر والميسر بعد تحريمهما، «وَمَا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا»، ما حَرَّمَ الله عليهم أكله وشربه، «وَلَقَسُوا اللَّهَ يَحْيَىٰ لَكَرِهُوا»، قيل: معنى الأول إذا ما اتَّقَوْا الشُّرْبَ، وآمنوا وصدقوا ثم اتَّقَوْا، أي: داوموا على ذلك التقوى، «وَمَا ءَامَنُوا» وأزدادوا إيماناً، ثم اتَّقَوْا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتَّقَوْا بالإحسان، وكلُّ محسن متقٍ، «وَاللَّهُ يَحْيَىٰ لَكَرِهُوا».

﴿٩٤﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْلُغُوا إِلَىٰ هَذِهِ الْأَيَّةِ، نَزَلَتْ عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رجالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْلُغُوا إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ، لِيُخْتَبَرَكُمْ الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي، وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد، وإنما بَعْضُ، فقال ﴿يَتَّقُوا﴾ لأنه ابتلاهم بصيد البر خاصة. ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ﴾، يعني: الفرج والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد، ﴿وَرَمَلَكُمْ﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿لِيَلْعَنَ اللَّهُ﴾، ليرى الله، لأنه قد علمه، ﴿مَنْ يَخَافُ اللَّهَ وَالْيَتِيمَ﴾، أي: يخاف الله ولم يره؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، أي: يخافه فلا يصطاد في

حال الإحرام، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَ بِدَّةٍ فَذَكَرَ﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوجب ظهره وبطنه جلداً، ويُسلب ثيابه.

﴿٩٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ﴾، أي: محرمون بالحج والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرِم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرِم إذا دخل الحرم، نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شُدَّ على حمارٍ وحشٍ وهو مخرمٌ فقتله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا مِّمَّا حَرَّمَ﴾، اختلِفوا في هذا العمد، فقال قوم: هو العمد بقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمدًا وهو ذاك لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، هذا قول مجاهد والحسن، وقال الآخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة.

واختلفوا فيما لو قتله خطأ، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، وقال الزهري: على المتمتع بالكتاب وعلى المخطيء بالسنة، وقال سعيد بن جبير: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد.

قوله عز وجل: ﴿فَمَرَّةً يَنْتَلِ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿فَمَرَّةً﴾ منون، ﴿يَنْتَلِ﴾، رفع على البدل من

الجزاء، والآخرين بالإضافة ﴿فَجَزَاءٌ يُقَالُ مَا قُتِلَ مِنْ النَّعَمِ﴾، معناه: أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبيهاً من حيث الخلقة لا من حيث القيمة، ﴿يَعْتَكُمُ بِهِ ذَوْا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلاً عادلاً، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكمان به، وممن ذهب إلى إيجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النعم، يحكم حاكم في النعمة ببذنة وهي لا تساوي بذنة، وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة، وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشاً، فدل أنهم نظرُوا إلى ما يقرب من الصيد شبيهاً من حيث الخلقة، وتجب في الحمام شاة، وهو كل ما عبَّ وهدر من الطير، كالفاخنة والقمرى لا من حيث القيمة.

وروي عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة.

قوله تعالى: ﴿مَدْيًا بَلِغَ الْكَيْبَةِ﴾، أي: يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿أَوْ كَنْزَةً طَعَامًا مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾، قال الفراء رحمه الله: العَدْلُ بالكسر: المثل من جنسه، والعَدْلُ بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به: أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوم المثل دراهم، والدراهم طعاماً فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُد من الطعام يوماً وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين.

وقال مالك: إن لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاماً فيتصدق به، أو يصوم.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوماً.

وقال الشعبي والنخعي: جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخير.

قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، يعني: قبل التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾، في الآخرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، وإذا تكرّر من

المحرم قتل الصيد فيتعدّد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قتل المحرم صيداً متعمداً يسأل هل قتل قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال نعم لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه، فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه، ولكن يُمْلَأ ظهْرُهُ وصدره ضرباً وجيعاً، وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وجع وهو واد بالطائف.

واختلفوا في المحرم هل يجوز له أكل لحم الصيد؟ فذهب قوم إلى أنه لا يحل بحال، ويروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول طاوس وبه قال سفيان الثوري، واحتجوا بما. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن الصَّعْبِ بْنِ جُثَامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَاراً وَحْشِيّاً، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ، أَوْ بِرَدَّانَ فَرَدَّه عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهِ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ».

وذهب الأكثرون إلى أنه يجوز للمحرم أكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد له لأجله أو بإشارته، وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة، وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وإنما ردّ النبي ﷺ على الصَّعْبِ بْنِ جُثَامَةَ

عَنِ كُلِّ مَذْيُومًا،
وَاخْتَلَفُوا فِي الْجَرَادِ
فَرَخَّصَ فِيهِ قَوْمٌ لِلْمَحْرَمِ
وَقَالُوا: هُوَ مِنْ صَيْدِ
الْبَحْرِ، رُويَ ذَلِكَ عَنْ
كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَالْأَكْثَرُونَ
عَلَى أَنَّهَا لَا تَحِلُّ، فَإِنْ
أَصَابَهَا فَعَلِيهِ صَدَقَةٌ، قَالَ
عُمَرُ: فِي الْجَرَادِ تَمْرَةٌ،
وَرُويَ عَنْهُ وَعَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ: قَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ.
﴿٩٦﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿أَحْلَلْنَا لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ
وَطَعَامَهُ مِمَّا لَكُمْ مِنَ السَّيَّارَةِ﴾،
وَالْمُرَادُ بِالْبَحْرِ جَمِيعُ الْمَيَاهِ،
قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«صَيْدُهُ مَا اصْطِيدَ وَطَعَامُهُ مَا رَمِيَ بِهِ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ:
طَعَامُهُ مَا قَذَفَ الْمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ مَيْتًا.

وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْمَالِحُ مِنْهُ، وَهُوَ
قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعُكْرَمَةَ
وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَتَادَةَ وَالنَّخَعِيِّ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: صَيْدُهُ: طَرَبُهُ،
﴿وَطَعَامُهُ﴾: مَالِحُهُ، ﴿مِمَّا لَكُمْ﴾،
أَيُّ: مَنْفَعَةُ لَكُمْ، وَلِلسَّيَّارَةِ: يَعْنِي
الْمَاةَ.

وَجُمْلَةُ حَيَوَانَاتِ الْمَاءِ عَلَى
قَسَمَيْنِ: سَمَكٌ وَغَيْرُهُ، أَمَّا السَّمَكُ
فَمَيْتَتُهُ حَلَالٌ مَعَ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا.
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْلَلْتُ لَنَا مَيْتَتَانِ
وَدَمَانِ: الْمَيْتَتَانِ: الْحَوْتَ وَالْجَرَادَ،
وَالدَّمَانِ: الْكَبِدَ وَالطَّحَالَ».

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَمُوتَ بِسَبَبٍ أَوْ
بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ لَا يَحِلُّ
إِلَّا أَنْ يَمُوتَ بِسَبَبٍ مِنْ وَقُوعٍ عَلَى
حَجَرٍ أَوْ انْحِسَارِ الْمَاءِ مِنْهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

لأنه ظن أنه صيد من أجله.

والدليل على جوازِهِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو
الْحَسَنِ السَّرْحَسِيُّ أَنَا زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ
أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَاشِمِيُّ أَنَا أَبُو
مُصْعَبٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ
مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ عَنْ
نَافِعِ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ
رَبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ
كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى [إِذَا]
كَانَ بَعْضُ طَرِيقِ مَكَّةَ، تَخَلَّفَ مَعَ
أَصْحَابِهِ مُحْرَمِينَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْرَمٍ
فَرَأَى حِمَارًا وَحَشِيًّا فَاسْتَوَى عَلَى
فَرْسِهِ وَسَالَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنَاقِلُوهُ
سَوْطَهُ فَأَبَوْا فَسَالَهُمْ رَمَحَهُ فَأَبَوْا
فَأَخَذَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْحِمَارِ فَقَتَلَهُ،
فَأَكَلَ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَى بَعْضُهُمْ فَلَمَّا
أَدْرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَالُوهُ عَنْ
ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هِيَ طَعْمَةٌ
أَطْعَمَكُمُوهَا اللَّهُ تَعَالَى».

أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْوَهَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْخَطِيبُ أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ
الْخَلَّالُ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُ أَخْبَرَنَا
الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
مُحَمَّدٍ عَنْ عُمَرَوِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ
الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَلٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«لَحْمُ الصَّيْدِ لَكُمْ فِي الْإِحْرَامِ حَلَالٌ،
مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَادَ لَكُمْ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: الْمُطَّلِبُ لَا نَعْرِفُ
لَهُ سَمَاعًا مِنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا أَتَلَفَ الْمُحْرَمُ شَيْئًا مِنَ الصَّيْدِ
لَا مِثْلَ لَهُ مِنَ النِّعَمِ مِثْلَ بَيْضٍ أَوْ
طَائِرٍ دُونَ الْحِمَامِ فَفِيهِ قِيَمَتُهُ يَصْرِفُهَا
إِلَى الطَّعَامِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ أَوْ يَصُومُ

أَمَّا غَيْرُ السَّمَكِ فَقَسَمَانِ: قَسَمٌ
يَعِيشُ فِي الْبَرِّ كَالضَّفْدَعِ وَالسَّرَّطَانِ،
فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ، وَقَسَمٌ يَعِيشُ فِي الْمَاءِ
وَلَا يَعِيشُ فِي الْبَرِّ إِلَّا عِيشُ
الْمَذْبُوحِ، فَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِيهِ،
فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ شَيْءٌ مِنْهَا
إِلَّا السَّمَكُ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ
مَيْتَ الْمَاءِ كُلُّهَا حَلَالٌ، لِأَنَّ كُلَّهَا
سَمَكٌ، وَإِنْ اخْتَلَفَ صَوْرُهَا،
كَالْجَرِيثِ يُقَالُ لَهُ حَيَّةُ الْمَاءِ، وَهُوَ
عَلَى شَكْلِ الْحَيَّةِ وَأَكْلُهُ مَبَاحٌ
بِالِاتِّفَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ
وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ
وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَبِهِ قَالَ شَرِيحُ وَالْحَسَنِ
وَعَطَاءٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَظَاهِرُ
مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ مَا لَهُ نَظِيرٌ فِي
الْبَرِّ يُؤْكَلُ، فَمَيْتَتُهُ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ

حلال، مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره في البر لا يحل ميتته من حيوانات البحر، مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها.

وقال الأوزاعي: كل شيء عيشه في الماء فهو حلال، قيل: فالتمساح؟ قال: نعم.

وقال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأساً.

وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر، وكذلك الحديث. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن سلمان عن سعيد بن سلمة عن آل بني الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول:

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه، الجبل ميتة».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرني عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول:

غزوت جيش الخبيط وأمر أبو عبيدة، فجعلنا جوعاً شديداً فالتقى البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله، يقال له

العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه، فمزّ الراكب تحته. وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كلوا رزقاً أخرج الله إليكم، أطعمونا إن كان معكم»، فأتاه بعضهم بشيء منه فأكله.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا عَلَيْكُمْ حَاكِمٌ الْإِنْسَانُ مَا دُمَّتْ حُرُمٌ وَالْفَقْرُ الَّذِي تَأْتِيهِمْ مِّنْهُ حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنْهُ أُمْنً﴾، صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم، والصيد: هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم أخذه وقتله، ولا جزاء على من قتله إلا المتولد بين ما لا يؤكل لحمه وما يؤكل، كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم، لأن فيه جزاء من الصيد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور».

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقتل المحرم السبع العادي».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

قال: «خمس قتلهن حلال في الحرم: الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور».

وقال سفيان بن عيينة: الكلب العقور كل سبع يعقر، ومثله عن مالك، وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل ما لا يؤكل لحمه، من الفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الأعيان المذكورة في الخبر، وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة، وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع ما لا يؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من جملة الهوام، وإنما هي حيوان مستخبت اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورثب الحكم عليه.

﴿٩٧﴾ قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيمَ الْحَرَامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل: سميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمي الكعب كعباً لتوّه، وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها: تكعبت، وسمي البيت الحرام: لأن الله تعالى حرّمه وعظّم حرّمته. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض». ﴿يَتِمُّوا لِنَاسٍ﴾، قرأ ابن عامر «يَتِمُّوا» بلا ألف والآخر «يَتِمُّوا» بالألف، أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم،

أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبي إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ لَتَأْتِيَ مِنْهُمُ الْغُلَامُ؟﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿وَأَشْهُرُ الْحَرَامِ﴾، أراد به الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياماً للناس يأمنون فيها القتال، ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدى، فذلك القوام فيه.

﴿إِنَّكَ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكِلِي أَمْرَهُ عِلْمُهُ﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله، قيل: أراد أن الله عز وجل جعل الكعبة قياماً للناس لأنه الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سَتَجِدُونَ لِلْكَذِبِ سَكَنًا لِّقَوْمٍ هَادِينَ﴾ [المائدة: ٤١]، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقلوه ﴿إِنَّكَ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ راجع إليه.

﴿وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾﴾.

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، التبليغ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ

وَالْأَلْبَنُ﴾، أي: الحلال والحرام، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ سَمْرَكَ﴾، كثرة الغيث، ﴿الْغَيْثُ﴾، نزلت في شريح بن ضبيعة البكري، وحجاج بن بكر بن وائل، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين، وقد مضت القصة في أول السورة، ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَنُ لَكُمْ تَقِيحُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حفص بن عمر أنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: سألوا رسول الله ﷺ حتى أخفوه بالمسألة، فغضب فصعد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا يبينه لكم»، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبيكي، فإذا رجل كان إذا لآخى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كالיום قط، أني صُورْتُ لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط»، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾.

وقال يونس عن ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال: قالت أم عبد الله بن حذافة

لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك، ألمت أن تكون أمك قد قارت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله بن حذافة: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته. وزوي عن عمر قال: يا رسول الله إنا حديثو عهد بجاهلية فاعفُ عنا، يعفُ الله سبحانه وتعالى عنك، فسكن غضبه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الفضل بن سهل أخبرنا أبو النضر أنا أبو خيشمة أنا أبو جويرية عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي ويقول الرجل: تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، حتى فرغ من الآية كلها. وزوي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فأتركوني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا

عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ شَيْئًا. أَي: إن تظهر لكم تسوكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فیسوءه، ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح.

وقال مجاهد: نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، لا تراه ذكرها بعد ذلك؟ ﴿وَإِنْ تَسْتَلُوا عَنْهَا مِنْ يَوْمٍ بَعْدَ الْفَرَسِ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ﴾، معناه: صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتهم عنها حينئذ تبدل لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾، فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

﴿قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ﴾، أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع: البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها وركبوها، ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكراً نحروه وأكله الرجال

والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوها، وحُزِمَ على النساء لبنها ومنافعها، وكانت منافعها خاصة للرجال، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء.

وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة إنثاءً سئبت فلم يُركب ظهرها ولم يُجزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذننها ثم خلى سبيلها مع أمها في الإبل، فلم تُركب ولم يُجزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة.

وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يُسَيَّب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال: إن شفاني الله تعالى أو شفي مريض أو رد غائب، فناقتي هذه سائبة، ثم يسئبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أخذ فكانت بمنزلة البحيرة.

وقال علقمة: هي العبد يُسَيَّب على أن لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث وقال ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق».

والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة، وهي المسيبة؛ كقوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا﴾ [الطارق: ٦]، أي: مدفوق، ﴿يَسِيرَ رَائِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكراً وأنثى استحيووا الذكر من أجل الأنثى،

وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً.

وأما الحام: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلاً ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح ذرها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسئبونها لألتهنم لا يحمل عليها شيء.

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُضْبَهُ في النار، وكان أول من سئب السواثب».

روى محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أكثم رأيت عمرو بن لُحَيَّ بن قمعة بن خُذْلَجٍ يجر قُضْبَهُ في النار، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك»، وذلك أنه أول من غيّر دين إسماعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسئب السائبة، ووصل الوصيلة وحمي الحام، فلقد رأيت في النار يؤذي

ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد ضلحوا عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم.

أهل النار يريح قصبه، فقال أكثم: أضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر».

قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، في قولهم الله أمرنا بها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرن ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمتهم الله تعالى بعقابه»، وفي رواية: «لنأمرن بالمعروف ولننهون عن المنكر أو ليستعملن الله سبحانه وتعالى عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يستجاب لكم».

قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوه إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها

سورة المائدة

المائدة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرِيتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْلَبْكُمْ ثَلَاثَةً الْوَيَّاسُ يَحْسِبُكُمْ مَيِّتًا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاةِ فَيَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ أَرَيْتُمْ لَا تَشْهَدُونَ فَيَسْتَأْذِنُ الْوَكِيلَ وَلَا تَكُنْمْ شَهِدَةً عَلَيْهِمْ إِذَا يَمُوتُونَ فَيَكْفُرُوا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ إِثْنَانِ فَارْحَمَانِ يَقُولُ مَقَامُهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَیْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا نَحْنُ الْحَقُّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا أَوْ يَغَافُوا أَنْ تَرَدُّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَاسِعُونَ ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١١٥

وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ما قيل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل منه آي: قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آي: قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه آي: وقع تأويلهن بعد رسول الله ﷺ بيسير، ومنه آي: يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آي: يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً، لم يُدَقْ بعضكم بأس بعض، فأمرنا وانهاؤا، وإذا اختلفت القلوب والأهواء والبيستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا أبو جعفر

أحمد بن محمد العنزي أخبرنا عيسى بن نصر أنا عبد الله بن المبارك أنا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي أنا أبو أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإن ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل

عمله»، قال ابن المبارك: وزادني غيره: قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».

وقيل: نزلت في أهل الأهواء، قال أبو جعفر الرازي: دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان: ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أوليائه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَمْتَدَيْتُمْ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُكُمْ جَمِيعًا﴾، الضال والمهتدي، ﴿فَيُنْفِقُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾، سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن بذاء قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام، وهما نصرانيان ومعهما بُدَيْل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بدیل ففتشا متاعه وأخذوا منه إناء من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه، ثم قضيا حاجتهما فانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت، ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميمًا وعدياً فقال له: هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه؟ قال: لا، قالوا: فهل اتجر تجارة؟ قال: لا، قالوا: هل طال مرضه فأنفق على نفسه؟ قال: لا، فقالوا: إننا وجدنا في متاعه صحيفة فيها

تسمية ما كان معه وإننا قد فقدنا منها إناء من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة، قالوا: ما ندري إنما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء، فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصراً على الإنكار، وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾. أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر.

وقيل: معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنین، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان، لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَدْوٍ فَالْغَلَاةُ يَقْبِضُهُمَا﴾، ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور؛ كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَنِكُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، يريد الحضور، ﴿وَدَا عَدْلٍ﴾، أي: أمانة وعقل، ﴿بِمَحْرَمَتِكُمْ﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿أَوْ ءَخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين، قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبیر ومجاهد وعبيدة. ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية

فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت.

وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين.

قال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر.

وعن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدمَا الكوفة بتركنه وأتيا الأشعري، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد النبي ﷺ فأحلفهما، وأمضى شهادتهما. وقال آخرون: قوله: ﴿وَدَا عَدْلٍ بَيْنَكُمْ﴾، أي: من حي الموصي ﴿أَوْ ءَخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾، من غير حيكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿إِنْ أَتَتْ ضَرِبَتُكُمْ﴾، أي سرتكم وسافرتكم، ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَثُوبِيَّةَ الْمَوْتِ﴾، فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة، فالحكم فيه أن ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، أي: تستوفقونهما، ﴿مِنْ بَدْوٍ فَالْغَلَاةُ﴾، أي: بعد الصلاة، ﴿وَمِنْ﴾ صلة يريد بها بعد صلاة العصر، هذا قول الشعبي والنخعي

وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين، لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال الحسن: أراد من بعد صلاة العصر، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتئما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾، فيحلفان، ﴿يَا اللَّهَ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول الذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لَا تَشْتَرِي بِهِ قَتْلًا﴾، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال يذهب به أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ قَاتِلًا﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب «شهادة»، بالتثنية، «اللله» ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر «شَهْدَةُ» بتثنية، «اللله» بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾، أي: إن كتمانها كنا من الآثمين.

فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميماً وعدياً فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئاً مما دُفع إليهما فحلفا على ذلك، وخلق رسول الله ﷺ سييلهما.

ثم ظهر الإناء واختلوا في كيفية ظهوره، فروى سعيد بن جبير عن

ابن عباس رضي الله عنهم أنه وجد بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي. وقال آخرون: لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا لهما: ألم تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه؟ قالوا: لم يكن عندنا بيعة وكهرنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل:

﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾، أي: اطلع على خيانتهم، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾، يعني: الوصيين ﴿أَسْتَحَقَّ﴾، استوجبا، ﴿إِنَّمَا﴾، بخيانتهم وبأيما نهما الكاذبة، ﴿فَفَآخِرَانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يَقُولَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿مِنَ الَّذِينَ أَسْتَحَقَّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذا قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عَلَيْهِمَا﴾، أي: فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم و ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى في؛ كما قال الله: ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]،

أي: في ملك سليمان، وقرأ حفص ﴿أَسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾، نعت للآخران، أي: فآخران الأوليان، وإنما جاز ذلك، و ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ معرفة والآخران نكرة

لأنه لما وصف الـ «آخران» فقال ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ صار كالـ «معرفة» و ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ تشية الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب «الأولين» بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضاً أولياء الميت.

ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنا عشر آخران من أقارب الميت، ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِن شَهِدَيْهِمَا﴾، يعني: يميننا أحق من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: ﴿فَشَهَدَةُ آلِهَةٍ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٦]، والمراد بها الإيمان، فهي كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿وَمَا أَتَّخَذْنَا﴾، في أيما ننا، وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْفَظْلَيْنِ﴾.

فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله بعد العصر فدفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول: صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله وأستغفره، وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا أنهم ابتاعاه.

والوصي إذا أخذ شيئاً من حال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن تميم الداري قال: كنا بعنا الإناء بألف درهم فقسمتها أنا

تزول فيها القلوب عن مواضعها، فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب، ثم بعدما ثابَّت إليهم عقولهم يشهدون على أمهم.

﴿قوله تعالى:﴾ **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْخُرْ يٰعَنِّي عَلَيْكَ﴾**، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله: ﴿يٰعَنِّي﴾، أي: نعمني قال الحسن: لفظه واحد ومعناه جمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا يٰعَنِّي اللَّهُ لَا تُخْشَوْنَ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ﴾، مريم ثم ذكر النعم فقال: ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾، قزيتك، ﴿يٰرُوحَ الْقُدُسِ﴾، يعني: جبريل عليه السلام، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿فِي الْهَيْدِ﴾، صبيًا، ﴿وَكَهْلًا﴾، نبيًا قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهرًا ثم رفعه الله إليه، ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَاكَ مِنْ طِينٍ كَهَيِّتَةِ الطَّيْرِ﴾، كصورة الطير، ﴿يَاذَنِي فَتَنْخُجُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، حيًا يطير، ﴿يَاذَنِي وَتَبْرِئُهَا الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ يَاذَنِي وَإِذْ نَخَّجُ الْمَوْتِ﴾، من قبورهم أحياء، ﴿يَاذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، منعت وصرفت، ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، يعني: اليهود، ﴿عَنكَ﴾، حين هموا بقتلك، ﴿إِذْ خَتَمَهُ بِالنِّسْبَةِ﴾، يعني: بالدلالات والمعجزات، وهي التي ذكرنا.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا

الأمانة، ﴿وَأَسْمَوُا﴾، الموعظة، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل:﴾ **﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾**، وهو يوم القيامة، ﴿يَقُولُ﴾، لهم، ﴿مَادَا أُجِئْتُمْ﴾، أي: ما الذي أجابْتُم أمْتُكُمْ؟ ما الذي رُدَّ عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدني وطاعتي؟ ﴿تَالْوَأَلَى﴾، أي: فيقولون، ﴿لَا عَلَمَ لَنَا﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل:

لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُتَيْبِ﴾، أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي: إن للقيامة أهوالاً وزلازل

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ يَقُولُ مَاذَا أُجِئْتُمْ﴾ قَالَُوا لَا أَعْلَمُ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُتَيْبِ ﴿١٠٨﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْخُرْ يٰعَنِّي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ إِذْ آتَيْنَاكَ الْفُتُورَ تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَاكَ مِنْ طِينٍ كَهَيِّتَةِ الطَّيْرِ يٰذَنِي فَتَنْخُجُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يٰذَنِي وَتَبْرِئُهَا الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ يٰذَنِي وَإِذْ نَخَّجُ الْمَوْتِ يٰذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ خَتَمَهُ بِالنِّسْبَةِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْمَاءٌ مِثْلُ آبَائِهِمْ وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنَّ آمِنُوا أَوْ يَرْسُولُوا قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ وَأَنَّا كُنَّا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١١﴾

وعدي، فلما أسلمت تائمت فأنيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله ﷺ وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي، ورددت أنا الخمسمائة.

فذلك قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾، [أي]: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي: أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ إِلَيْهِمْ يَدَهُمْ﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾، أن تحلفوا أيماناً كاذبة وتخونوا

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١١﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْتِ الْمَائِدَةِ
مِنْكُمْ فَإِنْ أَعَذِبُكُمْ مُبْدًى لَا أُعَذِّبُهُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا
وَأُمِّيَ الْآلِهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا قَدْ سَبَّحْتَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ بِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ فَتَنَةً فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٣﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا بِمَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْغَافِقَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدٌ ﴿١١٤﴾ إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادَةٌ
وَإِنْ تَعْلَمُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادَةٌ أَنْتَ الْغَافِقُ لَهُمْ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٦﴾
لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِيهِ يُوَفَّى كُلُّ شَيْءٍ وَبِهِ

استعظاماً لقولهم ﴿وَأَقْلُوا﴾
الله إن كنتم مؤمنين، أي:
لا تشكوا في قدرته.

﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ
مِنَ السَّمَاءِ﴾، المائدة
الخوان الذي عليه الطعام،
وهي فاعلة من: مائة
يميده إذا أعطاه وأطعمه،
كقوله: ماره يميّره،
وامتاد: افتعل منه،
والمائدة هي المطعمة
للالكلين الطعام، وسمي
الطعام أيضاً مائدة على
الجواز، لأنه يؤكل على
المائدة، وقال أهل
الكوفة: سُميت مائدة

سِحْرٌ ثَبِيثٌ، يعني: ما جاءهم به
من البينات، قرأ حمزة والكسائي
﴿سِحْرٌ ثَبِيثٌ﴾ ها هنا وفي سورة
هود والصف، فيكون راجعاً إلى
عيسى عليه السلام، وفي هود يكون
راجعاً إلى محمد ﷺ.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾،
أي: ألهمتهم وقذفت في قلوبهم،
وقال أبو عبيدة: يعني أمرت
و ﴿إِلَى﴾ صلة، والحواريون خواص
أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أَنْ﴾
أي: أَوْحَيْتُ إِلَى وَرَسُولِي، عيسى،
﴿قَالُوا﴾ حين وفقتهم ﴿ءَأَمَّا وَأَشْهَدُ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قرأ
الكسائي ﴿هل يستطيع ربك﴾، بالتاء
﴿رَبُّكَ﴾ بنصب الباء هي قراءة علي
وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي:
هل يستطيع أن تدعو وتسال ربك،
وقرأ الآخرون ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء،
و ﴿وَرَبُّكَ﴾ برفع الباء، ولم يقولوه
شاكين بقدرة الله عز وجل، ولكن
معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما
يقول الرجل لصاحبه: هل يستطيع
أن تنهض معي وهو يعلم أنه
يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك
أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع،
يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد،
كقوله: أجاب واستجاب، معناه:
هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟
وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله،
وأجرى بعضهم على الظاهر،
فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل
استحكام المعرفة وكانوا بشرأ، فقال
لهم عيسى عليه السلام: عند الغلط

ففعّلوا وسألوا المائدة، وقالوا:
﴿وَتَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في قولك،
إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسال الله
تعالى شيئاً إلا أعطانا، ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا
مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، لله بالوحدانية
والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة،
وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند
بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، عند
ذلك، ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
السَّمَاءِ﴾، وقيل: إنه اغتسل ولبس
المسح وصلى ركعتين وطأ رأسه
وغض بصره ويكى، ثم قال: اللهم
ربنا أنزل علينا مائدة من السماء،
﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾،
أي: عائدة من الله علينا حجة
وبرهاناً، والعيد: يوم السرور،
وسمي به للعود من الترح إلى
الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود
إليك وسمي يوم الفطر والأضحى

لأنها تميد بالأكلين، أي: تميل،
وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى
المفعول، أي: تميد بالأكلين إليها؛
كقوله تعالى: ﴿يَسْتَوِ رَأْيَايَايَا﴾
[الحاقة: ٢١]، أي: مرضية،
﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام مجيباً
لهم: ﴿وَأَقْلُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾،
فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا
الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم
قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات
بعد الإيمان.

﴿قَالُوا زَيْدٌ﴾، أي: إنما سألنا
لأننا نريد، ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنَّا﴾، أكل
تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته،
﴿وَنَقْلَمِينَ﴾، تسكن، ﴿فَلَوْ كُنَّا وَنَقْلَمُ﴾
أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا، بأنك رسول الله،
أي: نزداد إيماناً و يقيناً، وقيل إن
عيسى ابن مريم عليه السلام أمرهم
أن يصوموا ثلاثين يوماً، فإذا فطروا
لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم،

عيداً لأنهما يعودان في كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله: ﴿لَاؤَلَنَا﴾، أي: لأهل زماننا ﴿وَوَآخِرَنَا﴾، أي: لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، ﴿وَمَا يَهُ يَنْكَ﴾، دلالة وحجة، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام، ﴿إِنِّي مَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني: المائدة وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم ﴿مَزَّلُهَا﴾ بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى وقرأ الآخرون بالتحفيف لقوله ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَدَّ يَنْكَ﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾، أي: جنس عذاب، ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾، يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فَمُسِخُوا قردة وخنازير، قال عبدالله بن عمرو: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون.

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن: لم تنزل لأن الله عز وجل لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نزيدها، فلم تنزل، وقوله: ﴿إِنِّي مَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني: إن سألتهم والصحيح الذي عليه الأكثرون

أنها نزلت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ولا خلف في خبره ولتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

واختلفوا في صفتها، فروى خلاص بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحماً، وقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبؤوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤوا فمسخوا قردة وخنازير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى عليه السلام قال لهم: صُومُوا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه، فصاموا فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنا لو عملنا لأحدهما فقضينا عمله لأطعمنا، وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

قال كعب الأحبار: نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم.

وقال سعيد بن جببر عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم.

قال قتادة: كان عليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال عطية العوفي: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال الكلبي: كان عليها خبز ورز ويقل.

وقال وهب بن منبه: أنزل الله

أقرصة من شعير وحيثاناً وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكل جميعهم وفضل.

وعن الكلبي ومقاتل: أنزل الله خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله تعالى، والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، وقالوا: ويحكم إنما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرته، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره، فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل مسوخ.

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسوى لبني إسرائيل.

وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي: لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفاً وبكى، وقال: ﴿اللَّهُمَّ رِنَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين: أنت أولى بذلك

منا، فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله، قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين، فقال: كلوا من رزق الله ولكم منها ولغيركم البلاء، فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شعبان، وإذا السمكة كهيتها حين نزلت، ثم طارت سفرة المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت، فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى إلا غوفي ولا فقير إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، فإذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء

والصغار والكبار والرجال والنساء، ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الغي طارت صعداً وهم ينظرون إليها في ظلها حتى توارت عنهم، وكانت تنزل غباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناقاة ثمود، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، وقالوا: أترون المائدة حقاً تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَتَعَفَّرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ الْكَرِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على فراشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشربون برءوسهم ويبكون ولا يقدرّون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ أَحَدُوهُ وَأَنْتَ الْهَيَّيْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين

رفعه إلى السماء لأن حرف ﴿إِذْ﴾ يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة، بدليل قوله من قبل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال من بعدها: ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء ﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ [سبا: ٥١]، أي: إذا فزعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة.

قوله: ﴿مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ أَحَدُوهُ وَأَنْتَ الْهَيَّيْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟

قيل: هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلماً واستعظماً لا استخباراً واستنهماً.

وأيضاً أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيباً لله عز وجل: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً لك وتعظيماً ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَقُولُ مَا فِي نَفْسِي﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم سري ولا



﴿وَإِنْ تَقَرَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل: أما الأول معناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان، وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

وقيل: هذا في الفريقين منهم معناه: إن تعذب من كفر منهم، وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده، وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وإن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا

عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثني عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿وَبِإِيمَانِهِ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قَدْ يَبْعِي فَإِنَّهُ مَنِ﴾ [إبراهيم: ٢٦] الآية، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تَقْذِرْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَقَرَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فرفع يديه وقال: «اللهم امتي وبكى»، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، ورؤك أعلم فسله ما يبكيك؟ فاتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله تعالى: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده، وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وإن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا

أعلم سرك، وقال أبو روق: تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَدُ الْغُيُوبِ﴾، ما كان وما يكون.

﴿هَٰذَا قَوْلُكَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَنْ أُعْبِدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وحُذوه ولا تشركوا به شيئاً، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ﴾، أقمت، ﴿فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَلَّيْتَنِي﴾، قبضتني ورفعني إليك، ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾، الحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَقْذِرْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فإن قيل: كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال:

إيليس، وهو قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية، فصدق عدو الله يومئذ، وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام كان صادقاً في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه.

وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿لَكُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم عظم نفسه.

﴿١٢٠﴾ فقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

سورة الأنعام

وهي مائة وخمسة وستون آية مكية، نزلت بمكة جملة ليلاً معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد، فقال النبي ﷺ: «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخز ساجداً».

وروي مرفوعاً: «من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليلة ونهاره».

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة الأنعام بمكة، إلا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١ - ٩٣]، إلى آخر ثلاث آيات، وهو قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنْتَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]، فهذه الست آيات مدنيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة، قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ [الإسراء: ١١١] الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وختمه بالحمد فقال: ﴿وَوُضِعَ يَتِيمٌ بِالْحَقِّ﴾، أي: بين الخلائق، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله: الحمد لله، حمد الله نفسه تعليماً لعباده، أي: احمداوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار.

وقال الحسن: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، يعني: الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار.

وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض.

قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور، والجنة قبل النار.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل».

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته به، قال النضر بن شميل: الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدول، قال الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَتَّبِعُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، أي: منها.

وقيل: تحت قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: معنى لطيف: وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.

﴿٢﴾ قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من ولده، قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني، فرجع جبريل ولم يأخذ شيئاً وقال: يا رب إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعاذت فرجع، فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلف ألوان بني

آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فلذلك اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار، ثم نفخ فيه روحه.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَفَّيْ أَهْلًا وَآجِلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ قَفَّيْ أَهْلًا﴾، يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند السقطة، ﴿وَآجِلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، يعني: أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: ثم قضى أجلاً يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، ﴿وَآجِلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، ﴿ثُمَّ أَفْرَأْتُمْ تَمْرُونًا﴾، تشكون في البعث.

قوله عز وجل: ﴿وَقَوَّ اللَّهُ فِي

السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، يعني: وهو إله السموات والأرض؛ كقوله: ﴿وَقَوَّ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقيل: هو المعبود في السموات والأرض، وقال محمد بن جرير: معناه وهو الله في السموات يعلم سرهم وجهرهم في الأرض، وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير وتقدير: وهو الله، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، في السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، تعملون من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿مِّنْ مَّيْمَةٍ وَنِ مَّيْمَةٍ رَّيْبِهِمْ﴾، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿إِلَّا كَاوًا عَنَّا مَعْزِينَ﴾، لها تاركين وبها مكذبين.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: أخبار استهزأوا بها وجزأوه، أي: سيعلمون عاقبة استهزأهم إذا عذبوا.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَرُوءَاكُمْ أَهْلُكُمْ مِّن قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾، يعني: من الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ بْنِ بُسْرِ الْمَازَنِيِّ: «إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنًا، فَعَاشِ مِائَةَ سَنَةٍ.

فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿تَكْسِبُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا

لَمْ تُكُنْ لَكُمْ﴾، أي: أعطيناكم ما لم نعطيكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكنته ومكنت له، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾، يعني: المطر، ومفعال، من الدَّر، قال ابن عباس: مدراراً أي: مُتتابعاً في أوقات الحاجات، وقوله: ﴿مَا لَمْ تُكُنْ لَكُمْ﴾ من خطاب التلويح، رجع من الخبر من قوله: ﴿إِنَّمَا يَرُوءَاكُمْ إِلَى الْخِطَابِ﴾ كقوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَائِكِ وَخَرَّ بَنِيكُمْ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَرُوءَاكُمْ﴾ وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت لعبد الله: ما أكرمك، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُؤَاهِهِمْ وَأَنْفُسَانَا﴾، خلقتنا وابتدأنا، ﴿وَمِن بَقِيَّتِهِمْ قَرْنًا مَّخْرُوجًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّن قُرْطَانٍ﴾ الآية، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنتك رسوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّن قُرْطَانٍ﴾ مكتوباً من عندي، ﴿فَلَسَوْا بِأَبْدِهِمْ﴾، أي: عاينوه ومسوه بأيديهم، وذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لأن اللبس أبلغ في إيقاع العلم من الرؤية، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا

هَذَا إِلَّا سِرٌّ مُبِينٌ، معناه: أنه لا ينفع معهم شيء لِمَا سبق فيهم من علمي.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا﴾، على محمد ﷺ، ﴿مَلَكًا﴾، ﴿لَقَوِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: لوجب العذاب، وفُرج من الأمر، وهذا سنّة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استُوصِلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة: لو أنزلنا ملكاً ثم لم يؤمنوا لعُجِّلَ لهم العذاب ولم يُؤَخَّرُوا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لأماتوا.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾، يعني: لو أرسلنا إليهم ملكاً، ﴿جَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، يعني: في صورة رجل آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين. قوله عز وجل: ﴿وَلَبِسْنَا عَلَيْهِمَ تَآلِيفًا﴾، أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أو آدمي، وقيل: معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري ﴿لَبِسْنَا﴾ بالتشديد على التكرير والتأكيد.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن

قَبْلَهُ، كما استهزىء بك
يا محمد، يعزّي نبيّه ﷺ،
﴿مُحَاكًا﴾، قال الربيع بن
أنس: فزل، وقال عطاء:
حلّ، وقال الضحّاك:
أحاط، ﴿يَا أَيُّهَا سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: جزاء
استهزاءهم من العذاب
والنقمة.

﴿قُلْ﴾، يا محمد
لهؤلاء المكذّبين
المستهزئين، ﴿سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ﴾، معتبرين،
يُحْتَمِلُ هذا السير بالعقول
والفكر، ويحتمل السير

بالأقدام، ﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: آخر أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

(٧) قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتِكَ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَنْهَارِ﴾، فإن أجابوك ولا فذلك ﴿ثُمَّ﴾، أنت، ﴿يَلُو﴾، أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وأكد في الحجة، ﴿كُنْ﴾، أي: قضى، ﴿عَلَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخباره بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقلل الإنابة والتوبة.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد
المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين
القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي
أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

الحج والعمرة

[illegible]

359

منبه قال: ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

وروى أبو الزناد عن الأعرج عن
أبي هريرة: «إن رحمتي سبقت
غضبي».

أخبرنا الشيخ أبو القاسم
عبد الله بن علي الكركاني أنا أبو
طاهر الزيادي أنا حاجب بن أحمد
الطوسي أنا أبو عبد الرحمن المروزي
أخبرنا عبد الله بن المبارك أنا
عبد الملك بن أبي سليمان عن
عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة
قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
مَائَةٌ رَحْمَةً وَاحِدَةٌ بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ،
وَبِهَا يَتَرَاكُمُونَ، وَبِهَا يَتَعَاطَفُ
الْوَحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ

الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين، فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكَرْبِ الْفَرَجُ، وأن مع الْعُسْرِ يُسْرًا.

﴿وَهُوَ الْغَافِرُ الْكَافِرُ﴾، القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير الذي يُجْبِرُ الخلق على مُرادِهِ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ هو صفة الاستعلاء الذي تفرّد به الله عز وجل. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في أمره، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بأعمال عباده.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَيْءٍ﴾؟ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحداً يصدّقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَيْءٍ﴾ أعظم ﴿شَيْءٍ﴾؟ فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ هو ﴿شَيْءٌ﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَشَدَّكَ بِهِ﴾، لا خوفكم به يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ يَلِكْ﴾، يعني: ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا محمد بن بشر بن محمد

المزني أنا أبو بكر محمد بن الحسن بن بشير النقاش أنا أبو شعيب الحراني أنا يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلي أنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بَلِّغُوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار﴾.

أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأذاها، فُرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

قال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكانما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أَيْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَىٰ؟﴾ ولم يقل آخر لأن الجمع يلحقه التانيث؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]. ﴿قُلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أنتم،

﴿لَا أَشْهَدُ﴾، أنا أن معه إلها، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿يَسْمُونَهُمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾، من بين الصبيان، ﴿الَّذِينَ خَرَّبُوا﴾، غبنوا، ﴿أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَكْفَرُ﴾﴾، وَمَنْ أَكْفَرُ، اختلق، ﴿عَلَىٰ اللَّهِ كَيْدًا﴾، فأشرك به غيره، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِي الْفَالِقُونَ﴾، الكافرون.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا﴾﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ههنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون. ﴿فَمَنْ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، أنها تشفع لكم عند ربكم.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَدْرُكُنَّ فَتَنَهُمْ﴾﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «يكن» بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالياء لتانيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر حفص عن عاصم ﴿فَتَنَهُمْ﴾ بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم

قوله: ﴿أَنْ قَالُوا﴾، فتنتهم الخبر، ومعنى قوله: فتنتهم، أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة، قال الزجاج: في قوله: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ معنى لطيف، وذلك مثل الرجل يفتن لمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام، ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾، في محبتهم للأصنام، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزة عن أهل التوحيد، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكثم الشرك لعلنا ننجا مع أهل التوحيد، فيقولون: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

﴿١١﴾ فقال عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، باعتذارهم الباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وَوَسَّلَ عَنْهُمْ﴾، أي: زال وذهب عنهم ﴿ثُمَّ كَانُوا يَنْتَفِرُونَ﴾ من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فيبطل كله في ذلك اليوم.

﴿١٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَعِجِ إِلَيْكَ﴾ الآية، قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة

والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي إيسا خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن، فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا أنني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية: لَلْمُوتُ أَوْحَىٰ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَعِجِ إِلَيْكَ﴾ وإلى كلامك، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أعطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أن يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وَرَفَعْنَا قُلُوبَهُمْ وَوَقَّارًا﴾، صمماً وثقلاً، وهذا دليل على أن الله تعالى يقرب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وَكُنْ يَرَوْا كَدُّ آبَائِهِمْ﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لَا يَقُولُوا يَا حَتَّىٰ إِنْ جَاءَكَ بِكَ يَمْجُرُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني: أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة، وقيل: هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كتبت.

﴿١٣﴾ ﴿وَمِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنْتَهُ﴾، أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ، ﴿وَيَتَّبِعُونَ عَنْتَهُ﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله

محمد بن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد، حتى روي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا: خذ شاباً من أصحابنا وجهاً، وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتُموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم؟ ورُوي أنَّ النبي ﷺ دعاه إلى الإيمان، فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك، ولكن أذب عنك ما حييت، وقال فيه أبياتاً:

والله لئن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدغ بأمرك ما عليك غصاصة
وابشُرْ بذلك وقَرِّ بِذَاكَ مِنْكَ عِيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم أمانة
وعرضت ديناً قد علمت بأنه
من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذارٍ سُبَّةٌ
لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً
﴿إِنْ يَهْلِكُونَ﴾، أي: ما يهلكون،
﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾، أي: لا يرجع وبال
فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين
يصدونهم عليهم، ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ﴾.

﴿١٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا لِإِذٍ يُوقُوا عَلَى النَّارِ﴾، يعني: في النار؛ كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: في ملك سليمان، وقيل: غرضوا على النار، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف معناه: لو

فيه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيِّنَاتٌ﴾، فافعل، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتَهُمْ عَلَى الْآهْدَىٰ﴾، فأمثوا كلهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ﴾، أي: بهذا الحرف، وهو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتَهُمْ عَلَى الْآهْدَىٰ﴾، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه ويستفعلون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿وَاللَّوۡقَىٰ﴾، يعني: الكفار، ﴿يَعْتَمِدُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، فيجازيهم بأعمالهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا﴾، يعني: رؤساء قريش، ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿نَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ رَبِّهِ﴾، قل إن الله قادر على أن ينزل مائدة ولكنكم أنكرتم ولا تعلمون﴾، ما عليهم في إنزالها:

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، قيد الطيران بالجنح تأكيداً كما يقال: نظرت بعيني وأخذت بيدي، ﴿إِلَّا أُمٌّ أَتَيْنَاكُمْ﴾، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والدواب أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم، يقال: الأسس والناس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغفل:

عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم».

وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء: أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، قال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك.

﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ﴾، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿مِن مَّوۡثِقَةٍ إِلَٰهِيَّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير، وكل شيء فيأخذ للجاء من القرآن، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: ﴿يَلْبِسُنِي كُتَّ رُبَابٍ﴾ [النبا: ٤٠].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقني أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُوءٌ وَبِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ﴾، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، في ضلالات الكفر، ﴿مَنْ يَسْكُنُ اللَّهُ يَبْغِلُهُ وَمَنْ يَبْغِلْهُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ سِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء: العرب تقول

أرايتك، وهم يريدون أخبرنا، كما تقول: أرايتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل المدينة «أرايتكم»، وأرايتم، وأرايت، بتلحين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرايتكم، ﴿إِن أَتَيْنَاكَ عَذَابُ اللَّهِ﴾، قبل الموت، ﴿أَوْ أَتَيْنَاكَ السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة، ﴿أَغْوَىٰ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾، في صرف العذاب عنكم، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر عنهم: ﴿وَلَا غَيْبٌ مِّنْ كَآلِفَاتٍ دَعَا اللَّهُ عَالِمِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿ثم قال: ﴿بَلْ إِنَّمَا تَدْعُونَ﴾، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾، قيد الإجابة بالمشيئة والأمور كلها بمشيئته، ﴿وَتَتَّسَبَّحُونَ﴾، وتركون، ﴿مَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرْ لَهُمْ رِجَالًا مِّنْ أَلْسِنَتِهِم بِالْشِدَّةِ وَالْجُوعِ﴾، ﴿وَالْفَرَقَةِ﴾، المرض والزمانة، ﴿لَهُمْ بَقَرَةٌ مِّنْ دُونِهَا يَتَّبِعُونَ﴾، والتضرع السؤال بالتذلل.

﴿﴿لَوْلَا﴾، فهلا، ﴿إِذْ جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾، عذابنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾، فأمثوا فكشف عنهم، أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿فَهُمْ يَصِدُّونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

﴿١٧﴾ ﴿هَلْ أَرَبُّكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَئْتُمْ﴾، فجاءة، ﴿أَوْ جَهَنَّمَ﴾،

معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، المشركون.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا حزوا.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِكُهُمْ﴾، يصيبهم، ﴿وَالْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يكفرون.

﴿٢٠﴾ ﴿هَلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْى مَلَكٌ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه آدمي ويشاهد ما لا يشاهده آدمي، يريد: لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجددون أمري، ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوعَى إِلَيْكُمْ﴾، أي: ما أتيتكم به فمن وحيي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ؟﴾ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال

يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا سَوَا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ الآية.

﴿٢١﴾ ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي: آخرهم الذين بدبرهم، يقال: دبّر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم، ومعناه: أنهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على الرسل، فذكر

الحمد لله تعليماً لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربه إذا أهلك المكذبين.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَرَبُّكُمْ إِلَّا الْمَشْرِكُونَ﴾، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً، ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً، ﴿وَوَحَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا، ﴿فَمَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ولا يندرج غيره تحته؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، فالهاء راجعة إلى الله، ورضى الرسول يندرج في رضا الله تعالى، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾،

يَعْمَلُونَ، من الكفر والمعاصي.

﴿٢٣﴾ ﴿فَلَمَّا سَوَا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾، تركوا ما وعظوا وأمروا به، ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ قراءة أخرى بالتشديد، في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيب جمعا، والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بذلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿حَقِّقْ إِذَا فَزَعُوا بِمَا أَوْفُوا﴾، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿لَمَّا نَهَمُ بَعَثَ﴾، فجاءة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة: الملبس النادم الحزين، وأصل الإبلاس الإطراق من الحزن والندم، وروى عتبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيته الله

والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: أنهما لا يستويان.

﴿٥١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ، خَوْفَ بِهِ، أي: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إِلَّا تَرَاهُمْ﴾، وقيل: يخافون أي يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿لَيْسَ لَهُمْ بَيْنَ دُورَيْهِ﴾، من دون الله، ﴿وَلِيَّ قَرِيبٍ يَنْفَعُهُمْ﴾، ﴿وَلَا شَيْعٍ﴾، يشفع لهم، ﴿لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فينتهون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره - مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون - لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ﴾، قرأ ابن عامر ﴿بِالْعُذُوءَةِ﴾ بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها، ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال وألف بعدها.

قال سلمان وخباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذوهم من المؤلفات قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها - لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ﷺ لهم: «ما أنا بطاريد

المؤمنين»، قالوا: فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، إلى قوله: ﴿بِالشَّكَاكِينِ﴾، فالتقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَمِيرَ فَمَلَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال لنا: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات».

وقال الكلبي: قالوا له: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، قال: «لا أفعل»، وقالوا: فاجعل المجلس واحداً فأقبل علينا وول ظهره عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ﴾.

قال مجاهد: قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لباعنا محمداً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ﴾، قال ابن عباس: يعني: يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر، ويروى عنه: أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن ناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه السلام، فقال تاس من الأشراف: إذا صلينا فأخّر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت هذه الآية، وقال مجاهد: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب: فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاصي، فقال سعيد: ما أسرع الناس إلى هذا المجلس! قال مجاهد: فقلت يتأولون قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْمِثْنِ﴾، قال: أفي هذا! هو إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله، فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَعْوٍ وَمَا مِنْ حِسَابِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ شَعْوٍ﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم، ﴿فَتَقْرُدُهُمْ﴾ ولا رزقك عليهم، قوله: ﴿فَتَقْرُدُهُمْ﴾، جواب لقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَعْوٍ﴾، وقوليه: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْفَالِطِينَ﴾، جواب لقوله: ﴿وَلَا تَقْرَأُ﴾، أحدهما جواب النفي

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحزمة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهلته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهلته من حيث أنه أثر المعصية على الطاعة، والعاجل القليل على الأجل الكثير، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَيِّبِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيذٌ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ... فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيذٌ﴾ بفتح الالف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى؛ كقوله تعالى: ﴿يَبْدُرُ الْأَكْثَرُ إِذَا يَتَمَّمُ وَكَثُرَ تَرَاكِبًا وَعَظَمًا أَكْثَرُ تَخْرُجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَنْبِيَاءَ﴾، أي: وهكذا، وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلالتنا وإعلامنا على المشركين كذلك نقصّل الأنبياء، أي: نَمِيزُ وَنَبِينُ لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿وَلَنْسَتَيْنِ سَبِيلَ

الحسن أحمد بن سيار القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزني عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلم رسول الله ﷺ وقال: «ما

كنتم تصنعون؟ قلنا: يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم»، قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا وبرزت وجوههم له، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري، فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالتور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة».

٥١ قول عزل وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ٥٢ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَيِّبِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيذٌ ٥٣ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَنْبِيَاءَ وَلَنْسَتَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ٥٤ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اللَّهُ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ٥٥ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمَوْنِي مَا عَنِيدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ ٥٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلَاحِظُ إِلَهُكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ٥٧ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ٥٨ وَعِنْدَهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرْ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَظُنُّهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩

١٢٤

والآخر جواب النهي.

٥٢ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾، أي: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، أراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له، فذلك قوله: ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فهو جواب لقولهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو

الْمُجْرِمِينَ، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالثاء، ﴿سَبِيلُ﴾ نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالياء، ﴿سَبِيلُ﴾ بالرفع، وقرأ الآخرون ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالثاء ﴿سَبِيلُ﴾ رفع، أي: ليظهر وليتضح والسبيل، يُذكر ويؤنث، فدلّل التذكير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوا سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ودليل التانيث قوله تعالى: ﴿لَمْ تَصْدُورْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ تَتَوَكَّلُا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].

﴿٥٦﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّتُ أَنْ أَقْبِدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُمْ أَهْوَاءُكُمْ﴾، في عبادة الأوثان وطرد الفقراء، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، أي: على بيان وبصيرة وبرهان، ﴿وَلَنْ رَدِّي وَكَذَّبْتُمْ بِدُعَاءِ﴾، أي: ما جئت به، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾، قيل: أراد به استعجالهم العذاب، كانوا يقولون: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَتْنَا مِنْ عَذَابِكَ فَانْظُرْ عَلَيْنَا جَكَارًا﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وقيل: أراد به القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿إِنَّ أَلْعَمَّ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ﴾ قرأ أهل الحجاز وعاصم

﴿يَقْضُ﴾ بضم القاف والصاد مشدداً، أي: يقول الحق لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال الحق ولم يقل بالحق، وقرأ الآخرون ﴿يقضي﴾ بسكون القاف والصاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق بدليل أنه قال: ﴿وَقَوْ حَيَّرَ الْقَائِلِينَ﴾، والفصل يكون في القضاء وإنما حذفوا الياء لاستثقال الألف واللام؛ كقوله تعالى: ﴿سَالَى أَلْعَمَّ﴾ [الصافات: ١٦٣]، ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾، ويدي، ﴿مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾، من العذاب، ﴿لَفُتِنَى الْأُمَمُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أي: فرغ من العذاب وأهلككم، أي: لعجلته حتى أتخلص منكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، مفاتيح الغيب خزائنه، جمع مفتاح.

واختلفوا في مفاتيح الغيب، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما في الغد إلا الله

عز وجل، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله، وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الضحاك ومقاتل: مفاتيح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب.

وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

وقيل: انقضاء الآجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: «أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب».

﴿وَعِنْدَهُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾، قال مجاهد: البر: المفاوز والقفار، والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت ظهراً لبطن إلى أن سقطت على الأرض، ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾، قيل: هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة التي في أسفل الأرضين، ﴿وَلَا زَكْوَةٌ وَلَا يَكِينٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله

والمولى ههنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عز وجل مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد ههنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿أَلَا لَهُ الْفُتُكُمُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ لِلْقَاسِينَ﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ﴾﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْأَيَّامِ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَدْعُوهُمْ نَفَرًا وَحَقِيقَةً﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَحَقِيقَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، بكسر الخاء ههنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿أَنْجَيْنَا﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: ﴿لئن أنجانا الله﴾، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ﴾﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿يُجِيرُكُمْ﴾ بالتشديد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٣]، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾،

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ كراماً كثيرين، [الانفطار: ١٠ - ١١]، ﴿حَافِظٌ إِذَا جَاءَ أَعْدَاكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾، قرأ حمزة «توفيه» و«استهويه» بالياء وأمالهما، ﴿رُسُلًا﴾، يعني: أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه؛ كما قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]،

وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت، فكان ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسول ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، وجاء في الأخبار: إن الله تعالى جعل الدنيا بين ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له، ﴿وَهُمْ لَا يُقِرُّونَ﴾، أي: لا يقصرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يردون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً، وقد قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَاهُمْ﴾ [محمد: ١١]، فكيف وجه الجمع؟ قيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار،

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَعْدَاكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْفُتُكُمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ أَن تَدْعُوا نَفَرًا وَحَقِيقَةً لِّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُجِيرُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُلْهِفَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ نَظَرْتُكُمْ نَفْرًا كَيْفَ نُصْرَفُ عَنْ أَجَلٍ لَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَوْمًا وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِكَافٍ بِكُمْ كُلٌّ شِرْكٌ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِذَا رَأَتْ الَّذِينَ يُنَادُونَ فِي الْأَيْنَاءِ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يُخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ ثُمَّ عَادُوا إِلَىٰ قَيْدِكَ أَلَسْتَ بِظَالِمٍ فَعْلًا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٦﴾

عنهما: الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حَيٍّ ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبينٍ﴾، يعني: أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا بِاللَّيْلِ﴾﴾، أي: يقبض أرواحكم إذا نتم بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي: يوقظكم في النهار، ﴿لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعني: أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على التمام، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمُ﴾، يخبركم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

يريد أنهم يقرّون أنّ الذي يدعونهم عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

﴿٦٥﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾، قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان، وقال قوم: نزلت في المشركين.

قوله: ﴿عَذَابًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾، يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ﴿أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون.

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿عَذَابًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾، السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ لِسَانًا﴾، أي: يخلطكم فرقاً ويبت فيكم الأهواء المختلفة، ﴿وَيُزِيلُ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾، يعني: السيوف المختلفة، يقتل بعضكم بعضاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النعمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذُ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾، قال: «أعوذُ بوجهك»،

قال: ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ لِسَانًا وَيُزِيلُ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مرنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلّى ركعتين وصلينا معه فناجى ربّه طويلاً ثم قال: «سألتُ ربّي ثلاثاً: سألتُهُ أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمَنّنيها».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن إسماعيل البخاري ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال: «إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، سأله أن لا يُسلط على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يهلكهم بالسنين

فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يجعل بأساً بعضهم على بعض، فمَنّعه ذلك».

قوله تعالى: ﴿أَنظَرُ كَيْفَ تُصْرَفُ الْأَيَّاتُ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، أي: القرآن، وقيل: بالعذاب، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِبَكِيلٍ﴾، بريق، وقيل: بمسلط ألزكم الإسلام شيئاً أو آيتهم، إنما أنا رسول.

﴿٦٧﴾ ﴿لِكُلِّ نَكْرٍ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿تُسْتَفَرُّ﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: لكل قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ما كان في الدنيا فستعرفونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

﴿٦٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَايَتْ إِلَيْهِمُ يُحِزُّونَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، فاتركهم ولا تجالسهم، ﴿حَقَّ يَوْمَهُمُ الَّذِي كُفِّرُوا وَكُنُتُمْ فِي حُجْدٍ عَمِيٍّ﴾، قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين، وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، نهيئنا ﴿فَلَا تَقْعُدُوا عَلَى الْإِسْكَرَةِ مَعَ الْكُوفِرِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: إذا جالست معهم ناسياً فقم من عندهم بعدما تذكرت.

﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْقَهُونَ مِن

يستحيون.

﴿٧٠﴾ قوله عز وجل:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾، يعني:

الكفار الذين إذا سمعوا

آيات الله استهزؤوا بها

وتلاعبوا عند ذكرها،

وقيل: إن الله تعالى جعل

لكل قوم عيداً فاتخذ كل

قوم دينهم - أي: عيدهم -

لعباً ولهواً، وعبد

المسلمين الصلاة والتكبير

وفعل الخير مثل الجمعة

والفطر والنحر، ﴿وَعَرَّيْنَهُمُ

الْحَيْرَةَ الذِّنْيَا وَذَكَّرَ

بِوَعْدِ﴾، أي: وعظ

بالقرآن، ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾، أي: لا

تبسل، أي: لا تسلم، ﴿تَقْسَلُ﴾،

للهلاك، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قاله

مجاهد وعكرمة والسدي، وقال ابن

عباس: تهلك، وقال قتادة: أن

تحبس، وقال الضحاك: تحرق،

وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه:

ذكرهم ليؤمنوا، كيلا تهلك نفس بما

كسبت، وقال الأخفش: تبسل

تُجَازَى، وقيل: تفضح، وقال

الفراء: ترتعن، وأصل الإيسال

التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل

نعتاً لكل شدة تنقئ وتترك، ﴿لَيْسَ

لَهَا﴾، أي: لتلك النفس، ﴿مِنْ

دُوبِ اللَّهِ وَلَئِنْ﴾، قريب،

﴿وَلَا شَفِيعَ﴾، يشفع لها في الآخرة،

﴿وَأَنْ تَقْدِلَ كُلَّ عَدْلٍ﴾، أي: تُفدِ

كل فداء، ﴿لَا يُؤْخَذُ بِهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ

أُتْبِلُوا﴾، أنسلموا للهلاك، ﴿بِمَا

كَسَبُوا لَهُمْ شَرَّابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَهُمْ قَبْلَ مَا يُنْفِقُونَ ﴿٧١﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْرَضَتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَكَثُرَ بَوْدُهُمْ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوبِ اللَّهِ وَلَئِنْ وَلَا شَفِيعَ وَإِنْ تَقْدِلَ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ بِهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُتْبِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَّابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُذِرْ عَلَى أَصْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُمْ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَاهُ قُلْ إِنَّكَ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِيرَنَا لِلْإِسْلَامِ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ ﴿٧٣﴾ وَأَنْ أُتْبِعُوا الْمَكَلَّةَ وَاتَّقَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُعْشَرُونَ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ ﴿٧٥﴾

جسابهم من شئ، روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْ تَقْدِلَ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ بِهَا﴾، قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً؟ وفي رواية: قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننههم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، الخوض من جسابهم، أي: من آثام الخائضين، من شئ، ولكن ذكرهم وعظهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكرهم ذكرى، فتكون في محل نصب، ﴿لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾، الخوض إذا وعظتمهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعله يمنهم ذلك من الخوض، وقيل: لعلهم

أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُوبِ اللَّهِ مَا لَا

يَنْفَعُنَا﴾، إن عبدناه، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾،

إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها

نفع ولا ضرر، ﴿وَنُذِرْ عَلَى أَصْقَابِنَا﴾،

إلى الشرك مرتدين، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ

كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾،

أي: يكون مثلاً كمثل الذين استهوت

الشياطين، أي: أضلته، ﴿حَيْرَانٌ﴾،

قال ابن عباس: كالذي استهوت

الغيلان في المهامه فأضلوه فهو حائر

بائر، والحيران: المتردد في الأمر لا

يهتدي إلى مخرج منه، ﴿لَهُمْ أَصْحَابٌ

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَاهُ﴾، هذا مثل

ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة

ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل

في رفقة ضل به الغول عن الطريق

ويدعوه أصحابه من أهل الرفقة لهم

إلى الطريق، ويدعوه الغول لهم،

فيبقى حيران لا يدرى أين يذهب،

فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه

إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعو إلى

الطريق اهتدى.

﴿قُلْ إِنْكَ هُدَى اللَّهُ هُوَ

الْهُدَى﴾، يزرع عن عبادة الأصنام،

كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى

هدى الله، لا هدى غيره، ﴿وَأَمِيرَنَا

لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: أن تسلم، ﴿رَبُّ

الْمَلَائِكَةِ﴾، والعرب تقول: أمرتك

لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

﴿وَأَنْ أُتْبِعُوا الْمَكَلَّةَ

وَاتَّقَوْهُ﴾، أي: وأمرنا بإقامة الصلاة

والتقوى، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُعْشَرُونَ﴾، أي: تجمعون في

الموقف للحساب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكُوتَ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قيل: هو راجع إلى خلق السموات والأرض والخلق، بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاؤه وَقَدَرَهُ قال له: كن، فيكون.

وقيل: يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا فيقومون، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، يعني: مُلْكُ الملوك يومئذ زائل؛ كقوله: ﴿مُلْكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وكما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، والأمر لله في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصُّور: قرنٌ يُنفخ فيه، قال مجاهد: كهنية البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصُّور وهو جمع الصُّورة، وهو قول الحسن، والأول أصح.

والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر المحازبي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟

قال: ﴿قَرْنٌ يُنفَخُ فِيهِ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «كيف أتعم وصاحب الصور قد التفتته، وأضغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر؟» فقالوا: يا

رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقال أبو العلاء عن عطية: «متى يؤمر بالنفخ فينفخ».

﴿عَلَيْهِمُ الْقَتَبُ وَالشُّكْرُ﴾، يعني: يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْمُبْدِي﴾.

﴿٧٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِذْ﴾، قرأ يعقوب «أَرِزْ» بالرفع، يعني: «أَرَزْ»، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فيتصب في موضع الخفض.

قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: أَرَز اسم أبي إبراهيم وهو تاريخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب وكان من كوثي قرية من سواد الكوفة، وقال مقاتل بن حيان وغيره: أَرَز لقب لأبي إبراهيم، واسمه تاريخ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِذْ أَتَأْتِجِدُ أُسْتَمَاءَ إِلَهَ إِلَّا إِلَٰهِي أَرَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٧٥﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَٰهِي بِيَوْمِي رَبِّي لَأَكُونُ مِنَ الْغَوَّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا أَخُذْ عَلَاقِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا خَافَ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾

وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: أَرَز اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتخذ أَرَز إلهاً، قوله: ﴿أُتَمَاءَ إِلَهَ﴾، دون الله، ﴿إِلَٰهِي أَرَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿٧٥﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ، أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نرینه، ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والملوكات الملك زيدت فيه التاء للمبالغة، كالجبروت والرحموت والرهوت، قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن ملكوت السموات والأرض حتى العرش

وأَسْفَلَ الْأَرْضَيْنِ ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ أَجْرُهُ فِي الْأَيُّنِ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، يعني: أريناه مكانه في الجنة.

وروي عن سلمان رضي الله عنه، ورفعهم بعضهم عن علي رضي الله عنه لما أري إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه فهلكت، ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلكت، ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب عز وجل: «يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة، فلا تدعوه على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال: إما أن يتوب فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني، وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت عنه، وإن شئت عاقبته»، وفي رواية: «وإما أن يتولى فإن جهنم من ورائه».

وقال قتادة: ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار. ﴿وَلَا يَكُونُ مِنَ الْتَوَكُّينَ﴾، عطف على المعنى، ومعناه: ثريه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

﴿فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ أَيْتُهُ﴾ الآية، قال أهل التفسير: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان، وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومُنَجِّمون، فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغيّر دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك

على يديه، ويقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة، فيكون هلاكك وهلاك مَلِكِكَ وأهل بيتك على يديه، قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجال رجلاً فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض، فإذا طهرت حال بينهما، فرجع أزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال محمد بن إسحاق: بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقرية، فحسبها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام، فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن، لم يعرف الحبل في بطنها.

وقال السدي: خرج نمرود بالرجال إلى معسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود أن يكون، فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة، فلم يأتني عليها أحداً من قومه إلا آزر، فبعث إليه ودعاه وقال له: إن لي حاجة أحببت أن أوصيك بها ولا أبعتك إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال آزر: أنا

أشع على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته، فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلمّا نظر إلى أم إبراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما حملت أم إبراهيم قال الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة، فأمر نمرود بقتل الغلمان، فلمّا دنت ولادة أم إبراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعت في حلفاء، فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرباً عند نهر، فواراه فيه وسدّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.

وقال محمد بن إسحاق: لما وُجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدّت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حياً يمصّ إبهامه.

وقال أبو روق: قالت أم إبراهيم ذات يوم: لأنظرن إلى أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع عسلاً، ومن

أصبح تمرأ، ومن أصبح سمناً.

وقال محمد بن إسحاق: كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: قد ولدت غلاماً فمات، فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة، فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي ما لي إله غيره، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً قال: هذا ربي، ثم أتبعه بصره لينظر إليه حتى غاب، فلما أفل، قال: لا أحب الأفلين. ثم رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب، ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره، ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه ويرى من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسرَّ آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً.

وقيل: إنه كان في السرب سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة، قالوا: فلما شبَّ إبراهيم عليه السلام، وهو في السرب قال لأمه: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربي؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمروء، قال: فمن ربه؟ قالت له: اسكت فسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرايت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض فإنه

ابنك، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر، فقال له إبراهيم عليه السلام: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك، قال: فمن رب أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربي؟ قال: نمروء، قال: فمن رب نمروء؟ فلطمه لطمه وقال له: اسكت فلما جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً قال: هذا ربي.

ويقال: إنه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فسأل أباه ما هذه؟ فقال: إبل وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكان تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها، فرأى الكوكب قبل القمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿كَلَّمَآ جَنَّ عَلَيَّ آيَلٌ﴾، أي: دخل، يقال: جنَّ الليل وأجنَّ الليل، وجته الليل، وأجنَّ عليه الليل يجنَّ جنوناً وجناناً إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده، ﴿رَآ كَوْكَبًا﴾ قرأ أبو عمرو ﴿رَآ﴾ بفتح الراء وكسر الألف، ويكسرهما ابن عامر وحزمة والكسائي وأبو بكر، وفتحهما الآخرون. ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

واختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضُرْه ذلك في حال الاستدلال، وأيضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجّة عليه، فلم يكن كفراً.

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله موخِّدٌ وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبره عنه؟ وقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبِكَ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ تَرَى إِبراهيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾، أفستره أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً قال: هذا ربي معتقداً؟ فهذا ما لا يكون أبداً.

ثم قالوا: فيه أربعة أوجه من التأويل:

أحدها: أن إبراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها فاراهم أنه معظم ما عظموه ومُلتَمَس الهدى من حيث ما التمسوه، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون، ومثل هذا مثل الحوارية الذي ورد على قوم يعبدون الصنم، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دهمهم علو فشاوروه في أمره، فقال الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظننا، فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم إلى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون، فأسلموا.

والوجه الثاني من التأويل أنه قاله

فيذهب بها إبراهيم عليه السلام
وينادي من يشتري ما يضره ولا
ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت
عليه ذهب بها إلى نهر فغضب فيه
رؤوسها، وقال: اشربي استهزاءً
بقومه، وبما هم فيه من الضلالة،
حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل
قريته، ﴿وَعَاجِزٌ﴾، أي: خاصمه
وجادله قومه في دينه، ﴿قَالَ أَتَحْتَسِبُ
فِي اللَّهِ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر
بتخفيف النون، وقرأ الآخرون
بتشديدها إدغاماً لإحدى النونين في
الأخرى، ومن خفف حذف إحدى
النونين تخفيفاً يقول: أتجادلوني في
توحيد الله، وقد هداني للتوحيد
والحق؟ ﴿وَلَا أَتَى مَا تُشْرِكُونَ

﴿يُؤْخَذُ﴾، وذلك أنهم قالوا له: أحذر الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعليك إيّاها، فقال لهم: ولا أخاف ما تُشركون به، ﴿إِلَّا أَنْ يَسَّهَ رَبِّي شَيْئًا﴾، وليس هذا باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه: لكن إن يسهل ربي شيئاً سوءاً، فيكون ما شاء، ﴿وَرِيعَ رَبِّي كُنْتُ شَقِيحًا عَلِيمًا﴾، أي: أحاط علمه بكل شيء، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾، يعني: الأصنام، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُؤْزِلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلْطَانُنَا﴾، حجة وبرهاننا، وهو القاهر القادر على كل شيء، ﴿ثُمَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَى﴾، أولى، ﴿وَالْآخَرِينَ﴾، أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فقال الله تعالى قاضياً بينهما:

تَقْبِلُ مِنَّا. ﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ
لَا أُجِبُ الْآذِلِينَ﴾، رَبِّ
لَا يَدُّومُ.

(W) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِعًا﴾، طالعاً، ﴿قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَيْنَ لَمْ
يَهْدِنِي رَبِّي﴾، قيل: لكن لم
يثبتني الهدى، ليس أنه لم
يكن مهتدياً، والأنبياء لم
يزالوا يسألون الله تعالى
الثبات على الإيمان،
وكان إبراهيم يقول:
﴿وَاجْعَلْنِي رِزْقًا وَأَنْثَرْتَنِي أَنْ تَقْبَلَ
الْأَسْتِمَاءَ﴾ [إبراهيم:
٣٥]، ﴿لَا تُكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: عن

الهدى.

﴿ثُمَّ رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً﴾،
طلاعة، ﴿قَالَ هَذَا رَوْيَ هَذَا أَكْبَرُ﴾،
أي: أكبر من الكواكب والقمر، ولم
يقُلْ هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه
أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى،
وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضواً
من النجوم والقمر، ﴿ثُمَّ أَقْلَتَ﴾،
غربت، ﴿قَالَ يَنْتَوِي إِلَى بَرٍّ مِمَّا
شَرَكُونُ﴾.

﴿۷۷﴾ إِنْ رَأَيْتَ جَهَنَّمَ وَجِهَتْ لِدَارِي
فَقَطَّرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ حَيْثُ مَا أَتَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

﴿وَمَا جَاءَكَ قَوْمُهُ﴾ قَالَ أَتَأْتِكُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴿﴾، ولما رجع إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذُّبَّاحِينَ، وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطها إبراهيم ليسعها،

[illegible]

على وجه الاستفهام تقديره: أهدأ
ربي؟ كقوله تعالى: ﴿أَيُّنَ يَتَّخِذُهُمْ
لُفُؤًا﴾؟ [الأنبياء: ٣٤]، أي:
أفهم الخالدون؟ وذكره على وجه
التوبيخ منكرًا لفعلهم، يعني: مثل
هذا يكون ربًّا، أي: ليس هذا ربي.
والوجه الثالث: أنه على وجه
الاحتجاج عليهم، يقول: هذا ربي
بزعمكم؟ فلما غاب قال: لو كان إلهاً
لما غاب، كما قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]،
أي: عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر
عن موسى أنه قال: ﴿وَأَنْشُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحُوتٍ﴾ [طه: ٩٧]، يريد إلهم بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار
وتقديره يقولون هذا ربي؛ كقوله
تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ بِرُؤُوسِهِ أَلَا إِنَّ
الْبَيْتَ وَالْأَسْمِعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾
[البقرة: ١٢٧]، أي: يقولون ربنا

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُتَعَدُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الأعمش أنا إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله فإينا لا يظلم نفسه؟ فقال: «ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِئْ لَكَ تَرَكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْفَرَكُ لَظَلُمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان: ١٣].

﴿قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة، قال مجاهد: هي قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ وقيل: أراد به الحجاج الذي حاج به نمرود على ما سبق في سورة البقرة. ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾، بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ [يوسف: ٧٦]، بالتثنية ههنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد، ﴿لَإِنَّ رَبَّكَ هُكَدٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾، ووقفنا وأرشدنا، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾، أي: من

قبل إبراهيم، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾، أي: ومن ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم، ﴿ذَاوُدَ﴾، هو داود بن أيشا، ﴿وَسُلَيْمَنَ﴾، يعني ابنه، ﴿وَأَيُّوبَ﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿يُوسُفَ﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿مُوسَى﴾، هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب، ﴿وَهَارُونَ﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿وَكُلًّا﴾، أي: وكما جزينا إبراهيم على توحده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء كذلك، ﴿فَنُوحًا وَكَانَ أُنْمُوتًا﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

﴿وَزَكَرِيَّا﴾، هو زكريا بن اذن، ﴿وَيَحْيَى﴾، وهو ابنه، ﴿وَعِيسَى﴾، وهو ابن مريم بنت عمران، ﴿وَالْإِسَّا﴾، واختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره، لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، ﴿كُلٌّ مِّنَ الْكَاثِلِينَ﴾.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿وَالْكَاسَّ﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز، وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَالْيَسَعَ﴾ بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص،

﴿يُوسُفَ﴾، وهو يونس بن متى، ﴿وَلُوطًا﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وَكُلًّا فَفَصَّلْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي: عالمي زمانهم.

﴿وَمِنَ آتَابِهِمْ﴾، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾، أي: ومن ذرياتهم وأراد به ذرية بعضهم، لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً، ﴿وَأَخْرَجْنَاهُمُ وَأَخْبَسْنَاهُمْ﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾، أرشدناهم، ﴿إِنَّا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾، يرشد به، ﴿مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾، أي: هؤلاء الذين سميناهم، ﴿لَعَبَّ وَهُوَ لَبِطٌ﴾، لبطل وذهب، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿وَاللَّكَّ﴾، يعني: العلم والفقه، ﴿وَالنَّبِيَّةُ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكَافِرِينَ﴾، يعني: الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء، وهم الملائكة ليسوا بها بكافرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداهم الله، ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾،

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طَائِفًا تُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنزَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذُ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ كُنتُمْ طَغَوْتُمْ تَجْرَوْنَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَّدْنَاهُ كَالْغَيْثِ ثُمَّ كُنْتُمْ قَوْمًا تُحِيزُونَ وَأُولَئِكَ يَكُونُ لَكُمْ رَذَاهُ ظُهُورُكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ قَطَعْنَا بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

وقال السدي: نزلت في فنحاص بن عازوراء، وهو قاتل هذه المقالة. وفي القصة: أن مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبرا عليه، وقالوا: اليس أن الله أنزل التوراة على موسى، فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء؟ فقال مالك بن الصيف: أغضبني محمد فقلت ذلك، فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فزعوه من الحبرة، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾، يعني: التوراة، ﴿يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طَائِفًا تُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، أي تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة تبدونها، أي: تبدلون ما تحبون وتخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «يجعلونه» و«يبدونها» و«يخفونها» بالياء جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقرأ الآخرون بالشاء؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى﴾.

وقوله: ﴿وَعِلْمُهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، الأكثرون على أنها خطاب لليهود، يقول: علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا، ﴿أَنزَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم يتشفوا به.

وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ.

﴿قُلْ﴾، هذا راجع إلى قوله: ﴿قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى﴾، فإن أجابوك وإلا فقل أنت: الله، أي: قل أنزله الله، ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ﴾، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم «ولينذر» بالياء، أي: ولينذر الكتاب، ﴿لِأُمَّ الْقُرَى﴾، يعني: مكة سخطت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾، أي: أهل الأرض كلها شرقاً وغرباً، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، بالكتاب، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يُحَافِظُونَ﴾، يداومون، يعني: المؤمنون.

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: اختلق ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي، فكان يسجع ويتكهن، فادعى النبوة وزعم أن الله

فبستهم وسيرتهم، ﴿أَفْتَدِيهِ﴾، الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل، والباقون بإثباتها وصلًا ووقفًا، وقرأ ابن عامر: ﴿أَفْتَدِيهِ﴾ بإشباع الهاء كسرًا، ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا ذَكَّرْتِي﴾، أي: تذكرة وعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿٩٤﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: ما عظموه حق عظمتهم، وقيل: ما وصفوه حق وصفته، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، قال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ بمكة، فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين»، وكان حبراً سمياً فغضب، فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء.

أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: «أتشهدان أن مسيلة نبي؟» قالا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب، فكبيرا علي وأقماني فأوحى إلي أن انفخهما فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعا، وصاحب اليمامة، أراد بصاحب صنعا الأسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلة الكذاب».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُولٌ مِثْلُ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾، قيل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً، كتب عليمياً حكيمياً، وإذا قال: عليمياً حكيمياً كتب غفوراً رحيمياً، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: «اكتبها فهكذا نزلت»، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم رجع عبد الله إلى

الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمصر الظهران.

وقال ابن عباس: قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُولٌ مِثْلُ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾، يريد المستهزئين، وهو جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَنُفِثَنَّ مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَفَعْنَا عَنْكَ إِذْ تُتْلَىٰ هَذِهِ الْقُرْآنُ فِي غُرَفٍ مِثْلِ سَكْرَاتِهِ وَهِيَ جَمْعُ غَمْرَةٍ وَغَمْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وضعت في موضع

الشدائد والمكاره، «وَاللَّيْلُ كَمَا بَاسِطُوا أَيْدِيَهُ» ، بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأديارهم، وقيل: بقبض الأرواح، «أَخْرِجُوا»، أي: يقولون أخرجوا، «أَنْتُمْ»، أي: أرواحكم كرهاً لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجباً، «الْيَوْمَ تَجُوزُونَ عَذَابَ الْهُونِ»، أي: الهوان، «يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ»، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحداناً، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان، مثل سكران وسكاري، وكسلان وكسالي، وقرأ الأعرج فزدي بغير ألف مثل سكري، «كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْفِ﴾ يخرج الحمى من النبت ويخرج النبت من الحمى ذلكم الله فالف يكون ﴿فَالِقُ الْغَيْثِ﴾ وجعل الليل سكناً والنفس والعمر حسناً ذلك تقدير العزيز العليم ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِلْهَدَىٰ فِي بَاطِنِ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرَ قَدْ فَعَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْسِقُونَ ﴿٣٨﴾ قَدْ فَعَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتَانَ مُشْبِهًا وَغَيْرَ مُشْبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوَعُ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ شُرَكَاءَ الْإِنْسَانَ لِتَقْنَطُوا مِنْهُ خَوِفُوا وَالَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ لَا يُعْطُونَ مَتَاعًا يُصَفُّونَ ﴿٤٢﴾ بَيْنَ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ لَهَلُوكُمْ وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾

مَرَّةً، عراة حفاة غرلاً، «وَرَكَّتُمْ»، وخلفتم «مِمَّا خَوْلَتْكُمْ»، أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، «وَرَاةَ ظُهُورِكُمْ» خلف ظهوركم في الدنيا، «وَمَا نَرَاكُمْ شُعَةً كُمُ الَّذِينَ دَعَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ»، وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، «لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ»، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون، أي: لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم، وقرأ الآخرون بينكم بالرفع برفع النون، أي: لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله: «وَنَقَطَتْ بِهَمِّ الْأَسْبَابِ» [البقرة: ١٦٦]، أي: الوصلات والبين من الأضداد يكون وصلاً ويكون هجراً، «وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْفِ﴾، الفلق الشق، قال

الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبل والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البروز والحبوب من البر والشعير والذرة، وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما أوراقاً خضراً.

وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق الثوى عن النخل ويخرجها منه. والثوى جمع نواة، وهي كل ما لم يكن له حباً، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها.

وقال الضحاك: فالتق الحب والثوى يعني: خالق الحب والثوى، ﴿يُخْرِجُ لَهُم مِّنَ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ اللَّيْلِ مِنَ اللَّيْلِ﴾، تصرفون عن الحق.

﴿فَالْقُرْءَانُ الْوَحْيُ﴾، شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وهو أول ما يبدو من النهار، يريد مبدي الصبح وموضحه.

وقال الضحاك: خالق النهار والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، يسكن فيه خلقه وقرأ أهل الكوفة: ﴿وَجَعَلَ﴾ على الماضي، «الليل»، نصب اتباعاً للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي «فلق الإصباح»، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهم، والحسبان مصدر كالحساب، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾، أي: خلقها لكم، ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْجَبْرِ﴾.

والله تعالى خلق النجوم لفوائد أحدها هذا: وهو أن راكب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده.

والثاني: أنها زينة للسماء كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، ومنها رمي الشياطين، كما قال: ﴿وَيَجْعَلُهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فَنَسَفَهُمْ وَنَسَفَهُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «فمنسقر» بكسر القاف، يعني: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلکم مستقر ومستودع.

واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبد الله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث.

وقال سعيد بن جبيرة وعطاء: فمستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبيرة: قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت: لا، قال: إنه ما كان من مستودع في ظهرك فيخرج الله عز وجل.

وروي عن أبي أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات.

وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَيُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَأُ﴾ [الحج: ٥].

وقال مجاهد: مستقر على وجه ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنِعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت وديعة في أهلِكَ ويوشك أن تلحق بصاحبك.

وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار؛ لقوله عز وجل في صفة الجنة: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، وفي صفة النار: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾، من الماء، وقيل: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾، يعني: أخضر، مثل القور والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾، أي: متراكباً بعضه على بعض، مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ ثَمَرِهِ﴾، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿فَتَوَّانَ﴾ جمع فتو وهو العذق، مثل صنو وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام، «دائبة»، أي: قريبة المتناول ينالها القائم

بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا زَكَرَهُ الْجَمْعَانِ قَالَ آمَحِذْ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١]، وقال: ﴿لَا تَخَفْ دُرُكًا وَلَا غَتًى﴾ [طه: ٧٧]، فنفس الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، فنفس الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، أي: لا يخفى على الله شيء ولا يفوته، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الأزهرى: معنى ﴿اللَّطِيفُ﴾ الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف الموصل الشيء بالبين والرفق، وقيل: اللطيف الذي ينسى العباد ذنوبهم لثلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

﴿قوله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَاحِبٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾﴾، يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ أَبْصَرُ فَلْيَنصِرْ﴾، أي: فمن عرفها وأمن بها فلينصير عَمَلًا، ونفعه له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَلْيَهَيِّءْ﴾، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعلها، أي: فبنفسه ضرًا، ووبال العمى

عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، بربق أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

﴿وَكَذَلِكَ نَعُصِرُكَ الْآيَاتِ﴾، نفضلها ونبينها في كل وجه، ﴿وَلْيَقُولُوا﴾، قيل: معناه لثلا يقولوا، ﴿دَرَسْتَ﴾، وقيل: هذه اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا: ﴿دَرَسْتَ﴾، أي: قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب؛ كقوله تعالى: ﴿فَالْفَقْطَةُ مَالٌ رَّحُوتٌ لِّكُونٍ لَّهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدوًا لهم.

قال ابن عباس: وليقولوا يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست، أي: تعلمت من يسار وخبر كانا عبيد من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم: درست الكتاب ادرس درسًا ودراسة.

وقال الفراء: يقولون: تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دارست﴾، بالالف أي: قارات أهل الكتاب من المدارس بين اثنين، تقول: قرأت عليك وقرأوا عليهم، وقرأ ابن عامر ويعقوب: دَرَسْتَ بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم: درس الأثر يدرس دروسًا. ﴿وَلْيُذَكِّرْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه الذين هداهم إلى سبيل

الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقي به قوم ويسعد به آخرون، فمن قال درست فهو شقي، ومن تبين له الحق فهو سعيد.

﴿الْبَيْعَ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فلا تجادلهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، رقيبًا، قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظًا تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغًا. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية﴾، قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم.

وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لثلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمّية وأبي ابن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن

العاص، والأسود بن أبي البخري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وألھتنا، فنحب أن تدعوه فتنهه عن ذكر آلھتنا، ولندعئه وإلھه، فدعاه فقال: هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وألھتنا وتدعك وإلھك، وقد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ: «أرايتم إن أعطيكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، قال: فما هي؟ قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فأبوا وتفرقوا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فقال: «يا عجم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي»، فقالوا: لنكفن عن شتمك آلھتنا أو لنشتمك ولنشتمن من يأمرك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

يعني: الأوثان، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾، أي: اعتداء وظلماً، ﴿وَيَغْتِرَ عَلَيْهِ﴾.

وقرأ يعقوب ﴿عُدْوًا﴾ بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تسبوا ربيكم»، فأمسك المسلمون عن سب آلھتهم.

وظاهر الآية وإن كان نهياً عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى، لأنه سبب لذلك.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان

والخدلان، كذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثُمَّ إِنَّا رَجَعْنَاهُمْ فَيَشْكُرُوا﴾، ويُجازيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٠٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمُ﴾ الآية. قال محمد بن كعب القرظي والكلبي: قالت قریش: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كان معه عصاً يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأثنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعث لنا بعض أمواتنا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل، أو أرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله ﷺ: «فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني؟» قالوا: نعم، والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعون، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: «بل يتوب تائبهم»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمُ﴾، أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني: أؤكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدّها.

قال الكلبي ومقاتل: إذا حلف

الرجل بالله، فهو جهد يمينه.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبًا﴾، يا محمد، ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، وما يدريكم.

واختلفوا في المخاطبين بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذين أقسموا. وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم ﴿أَنَّهُآ﴾ بكسر الالف على الابتداء، وقالوا: تم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه: وما يُشْعِرُكم أيها المشركون أنها لو جاءت آمنتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يُشْعِرُكم أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله تعالى حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم ابتداء فقال جل ذكره: ﴿أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقرأ الآخرون أنها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقال الكسائي: ﴿لَا﴾ صلة، ومعنى الآية: وما يُشْعِرُكم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون؟ كقوله: ﴿وَكَرَّمْ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلُكُنَّآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]،

رغيف ورُغف، وقضيب وقُضْب،
أي: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو
جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجاً
فوجاً، وقيل: هو بمعنى المقابلة
والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلاً
لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه. ﴿فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾،
ذلك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا﴾، أي: أعداء فيه تعزية
للنبي ﷺ، يعني: كما ابتليناك
بهؤلاء القوم، فكَذلك جعلنا لكل
نبي قبلك أعداء، ثم فسره فقال:
﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، قال عكرمة
والضحاك والسدي والكلبي: معناه
شياطين الإنس التي مع الإنس،
وشياطين الجن التي مع الجن،
وليس للإنس شياطين، وذلك أن
إبليس قسم جنه فريقين فبعث فريقاً
منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى
الجن، وكلا الفريقين أعداء
للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم الذين
يلتقون في كل حين، فيقول شيطان
الإنس لشيطان الجن: أضللت
صاحبك بكذا فأضل صاحبك بمثله،
ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس
كَذلك، فذلك وحي بعضهم إلى
بعض.

قال قتادة ومجاهد والحسن: إن
من الإنس شياطين كما أن من الجن
شياطين، والشيطان: العاتي المتمرد
من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا
أغياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب
إلى متمرد من الإنس وهو شيطان
الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه، يدل

الإيمان، فلو جشناهم
بالآيات التي سألوا ما آمنوا
بها كما لم يؤمنوا به أول
مرة، أي: كما لم يؤمنوا
بما قبلها من الآيات من
انشقاق القمر وغيره،
وقيل: كما لم يؤمنوا به
أول مرة، يعني: معجزات
موسى وغيره من الأنبياء
عليهم السلام؛ كقوله
تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا
بِمَا أُوتُوا مِنْ قَبْلُ﴾
[القصص: ٤٨]، وفي
الآية محذوف تقديره: ولا

يؤمنون كما لم يؤمنوا به
أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس: المرة الأولى دار
الدنيا، يعني: لو رُذِّقوا من الآخرة
إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم
عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا
قبل مماتهم، كما قال: ﴿وَلَوْ رُذِّقُوا
لَمَّا نَبُؤُوا عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٨]،
﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، قال
عطاء: نخذلهم ونُدعهم في ضلالهم
يتمادون.

﴿وَلَوْ أَنَّا رَزَلْنَا إِلَيْهِمُ
الْمَلَكِيَّةَ﴾، فأروهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ
الْمَلَكُ﴾، بإحيائنا إياهم فشهدوا لك
بالنبوة كما سألوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾،
وجمعنا، ﴿عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قِيلًا﴾، قرأ
أهل المدينة وابن عامر ﴿قِيلًا﴾ بكسر
القاف وفتح الباء، أي: معاينة، وقرأ
الآخرون بضم القاف والباء، قيل:
هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل

﴿وَلَوْ أَنَّا رَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ﴾ وَكَلَّمَهُمُ الْمَلَكُ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِيلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْكُرُونَ
﴿وَلِيَصْنَعَنَّ اللَّهُ أَفْئِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَصْصُوهُ وَلِيَقْرَأُوا مَا هُمْ مُقْرَأُونَ ﴿أَفَتَعْتَبِرُوا اللَّهَ
أَتَتَّبِعِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُكْتَبُ عَنْهُمْ مِنْ رَبِّكَ مَا لَمْ يَكُنْ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
وَعَدَلْنَا لَمْ يَبْدَلْ لِكَلِمَةٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿وَلَنْ
تُطْلَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِضُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذِبِينَ ﴿فَكُلُوا
مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى
لعل، وكذلك هو في قراءة أبي،
تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك
تشتري شيئاً، أي: لعلك، وقال
عدي بن زيد:

أعاذل ما يدريك أن منيتي

إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
أي: لعل منيتي، وقيل: فيه
حذف، وتقديره: وما يُشعركم أنها
إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟
وقرأ ابن عامر وحمة: ﴿لَا
تُؤْمِنُونَ﴾ بالتاء على الخطاب للكفار
واعتبروا بقراءة أبي: ﴿إِذَا جَاءَتْكُمْ لَا
تُؤْمِنُونَ﴾، وقرأ الآخرون بالياء على
الخبر، دليلها قراءة ابن مسعود:
﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَنَقُلُوكَ أَفَتَدَّبَّرْتُمْ وَابْصُرْتُمْ
كَمَا لَا يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، قال
ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين

عليه ما روي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس؟» قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم، هم شر من شياطين الجن».

وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئي فيجزيني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْآخَرِ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرَفَ﴾، وهو قول ممنوع مزين مزخرف بالباطل لا معنى تحته، ﴿غُرُورًا﴾، يعني: هؤلاء الشياطين يُزَيِّنُونَ الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: ما ألقاه الشيطان من الوسوسة في القلوب، ﴿فَذَرَهُمْ﴾، ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾.

﴿وَلْيَصْنَعِ الْإِنْسُ آفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يُصغي، صغاً، وصغى يُصغى، ويصغو صغواً، والهاء في إليه راجعة إلى زخرف القول، ﴿وَلْيَضْحَكُوا وَلْيَتَفَرَّقُوا﴾، ليكتسبوا، ﴿مَا هُمْ مُتَّفِقُونَ﴾، يقال: اختلف فلان ما لا أي اختلفه، وقال تعالى: ﴿وَنَنْتَفِرْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال الزجاج: أي ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ فِيهِ إِضْمَارٌ، أي: قل لهم يا محمد أغير الله، ﴿أَتَتَنَّى﴾، أطلب ﴿حَكَمًا﴾، قاضياً بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾، مبيناً فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً أي خمساً خمساً وعشراً وعشراً؛ كما قال: ﴿لِئَلَّا يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنوا أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد بالكتاب هو القرآن، ﴿يَتْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: القرآن ﴿مَنْزَلٌ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: ﴿مَنْزَلٌ﴾، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوماً متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَئِنْ تَكَوَّنَ مِنَ الْمُتَكْفِرِينَ﴾، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَوَعَدْتُ كَيْتُ رَبِّكَ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كَيْتُ﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿كلمات﴾ بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعدته ووعيدته، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي: صدقاً في الوعد والوعيد، وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم. ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال ابن

عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

﴿قوله﴾: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُواكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتناكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: وإن تطعمهم في أكل الميتة يُضْلُواكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظنٌ وهو لم يأخذه عن بصيرة، ﴿وَلَنْ هُمْ إِلَّا بِحُجُومٍ﴾، يكذبون.

﴿قوله﴾: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَبْهَى عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: موضع ﴿مَنْ﴾ نصب ينزع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ﴾، أخبر أنه أعلم بالفرقيين الضالين والمهتدين فيجازي كل بما يستحقه.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿كُلُوا وَمِمَّا ذُكِّرَ﴾، أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِحُكْمٍ﴾، وذلك أنهم كانوا يُحَرِّمُونَ أصنافاً من اللحم ويحلون الأموات، فقبل لهم: أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله.

ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا، وروى حبان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهراً عراً، وباطنه طواف النساء بالليل عراً، **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ سَجِرُونَ﴾**، في الآخرة، **﴿يَمَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ﴾**، يكتسبون في الدنيا.

﴿١٢١﴾ قوله عز وجل: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها.

وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام.

اختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها، فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً، وهو قول ابن سيرين والشعبي، واحتجوا بظاهر هذه الآية.

وذهب قوم إلى تحليلها، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

وذهب قوم إلى أنه ترك التسمية عامداً لا يحل، وإن تركها ناسياً يحل، حكى الخرقى من أصحاب أحمد: أن هذا مذهبه، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

ومن أباحها قال: المراد من الآية الميتات أو ما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه قال: **﴿وَالَّذِينَ لَفِئَتْ﴾**، والفسق في ذكر اسم غير الله؛ كما قال في آخر السورة: **﴿قُلْ لَا أُعْبُدُ فِي﴾**

﴿لَيْلُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله: **﴿لَيْسُوا﴾** [يونس: ٨٨] في سورة يونس؛ لقوله تعالى: **﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسواب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: **﴿مَنْ يَضِلُّ﴾**، **﴿يَاهُوَيْه﴾** يتبر عليه، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة، **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَصِينَ﴾**، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٢٢﴾ **﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾**، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، قال مجاهد: ظاهر الإثم ما يعمله الإنسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له.

وقال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالعة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الرايات، وباطنه الاستسار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسره به، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عز وجل، وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا، وقال ابن زيد:

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُضِلُّونَ يَاهُوَيْه بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَصِينَ **﴿١٢١﴾** وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ سَجِرُونَ يَمَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ **﴿١٢٢﴾** وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُوْخِوْنَ إِلَى أُولِيَ الْبَيْتِ لِيُضِلُّوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ **﴿١٢٣﴾** أَوْ مِمَّا كَانَتْ مِثْلًا فَأَحْبَبْتُهُ وَجَعَلْنَا لَهُ تَوْرًا يُشِي بِرُوحِ النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ **﴿١٢٤﴾** وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِيَتَكْفُرُوا فِيهَا وَمَا يَتَكْفُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ **﴿١٢٥﴾** وَإِذَا جَاءَهُمْ مَائِدَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا قَوْلِ رَسُولٍ كَذِبٍ أَهْلُكُمْ حَتَّى يُعْمَلَ رِسَالَتُهُمْ سُبْحِيهِ الَّذِينَ أُجْرِمُوا صَغَارًا عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَتَكْفُرُونَ **﴿١٢٦﴾**

﴿١٢١﴾ ثم قال: **﴿وَمَا لَكُمْ﴾**، يعني: أي شيء لكم، **﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾**، وما يمنعكم من أن تأكلوا، **﴿يَمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾**، من الذبائح، **﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾**، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص **﴿فَصَّلَ﴾** و**﴿حَرَّمَ﴾** بالفتح فيها، أي: فصل الله ما حرمه عليكم؛ لقوله: **﴿اسْمُ اللَّهِ﴾**، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل؛ لقوله: **﴿ذُكِرَ﴾** وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر **﴿فَصَّلَ﴾** بالفتح و**﴿حَرَّمَ﴾** بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانُهُ وَاللَّيْثُ وَالْأَنَّمُ﴾** [المائدة: ٣]. **﴿إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ إِلَيْهِ﴾**، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا**

مَا أَوْحَى إِلَيَّ عَزْرًا عَلَى طَاعِيهِ إِلَّا سَمِعْتُ قَوْلَهُ: ﴿أَوْ يَسْقًا أَهْلًا يَغْيِرُ اللَّهُ يَدَهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. واحتج من أباحها بما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال: سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن قوماً قالوا: يا رسول الله إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا». ولو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبح.

قوله: ﴿وَلَا الشَّيْطَانُ يُوْحِي إِلَيْكُمْ أَبْوَابَهُمْ يُجْعَلُ لَكُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ لِيُؤْسِسُوا إِلَى أُولِيائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيُجَادِلُوكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا عَنْ الشَّاةِ إِذَا مَاتَتْ مَنْ قَتَلَهَا؟ فَقَالَ: «اللَّهُ قَتَلَهَا»، قَالُوا: فَتَزْعِمُ أَنَّ مَا قَتَلْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ حَلَالٌ، وَمَا قَتَلَهُ الْكَلْبُ وَالصُّقْرُ حَلَالٌ، وَمَا قَتَلَهُ اللَّهُ حَرَامٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، ﴿وَلَا يَأْكُلْ مِمَّا مَاتَ﴾، فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ، ﴿لَا لَكُمْ لِمُشْرِكِينَ﴾، قَالَ الزَّجَاجُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَحْلَى شَيْئاً مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ حَرَّمَ مَا أَحْلَى اللَّهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، قَرَأَ نَافِعٌ «مَيْتًا» وَ«لَحْمًا» أَخْبَرَهُ مَيْتًا [الحجرات: ١٢]

﴿وَالْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣]، بالتشديد فيها، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، «فَأَحْيَيْنَاهُ»، أَي: كَانَ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ، كَانَ مَيْتًا بِالْكَفْرِ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْإِيمَانِ، «وَجَعَلْنَا لَكُمْ نُورًا»، يَسْتَضِيءُ بِهِ، «يَتَّبِعُوا يَدَهُ فِي آثَانِ»، عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ، قِيلَ: النُّورُ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ كِتَابُ اللَّهِ بَيِّنَةٌ مِنَ اللَّهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، بِهَا يَعْمَلُ وَبِهَا يَأْخُذُ وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي، «كَانَ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ»، الْمِثْلُ صَلَوةٌ، أَي: كَمَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ، «لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»، يَعْنِي: مِنْ ظِلْمَةِ الْكُفْرِ.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: «وَجَعَلْنَا لَكُمْ نُورًا»، يريد حمزة بن عبد المطلب، «كَانَ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ»، يريد أبا جهل بن هشام، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَهْلَ رَمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُرْثٍ، فَأَخْبَرَ حَمْزَةً بِمَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ وَهُوَ رَاجِعٌ مِنْ قَنْصِهِ وَبِيَدِهِ قَوْسٌ، وَحَمْزَةُ لَمْ يُؤْمِنْ بَعْدَ، فَأَقْبَلَ غَضَبَانِ حَتَّى عَلَا أَبَا جَهْلٍ بِالْقَوْسِ وَهُوَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَيَقَالُ: يَا أَبَا عِمَارَةَ أَمَا تَرَى مَا جَاءَ بِهِ؟ سَفَهُ عَقُولُنَا وَسَبَّ أَلْهَتُنَا وَخَالَفَ آبَاءَنَا، وَقَالَ حَمْزَةُ: وَمَنْ أَسْفَهَ مِنْكُمْ؟ تَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال الضحّاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل.

وقال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل. ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَمْكُونُ﴾، مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ زَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِينَ﴾، أَي: كَمَا أَنَّ فُسَاقَ مَكَّةَ أَكْبَرُهَا، كَذَلِكَ جَعَلْنَا فُسَاقَ كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرُهَا، أَي: هَظْمَاءَهَا، جَمْعُ أَكْبَرٍ، مِثْلُ أَفْضَلٍ وَأَفْاضِلٍ، وَأَسْوَدَ وَأَسَاوِدَ، وَذَلِكَ سِنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَتْبَاعَ الرِّسْلِ ضَعْفَاءَهُمْ، كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الَّذِينَ لَكَ وَاتَّبَعَتْكَ إِلَّازْدُكُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وَجَعَلَ فِيسَاقَهُمْ أَكْبَرَهُمْ، ﴿يَتَّبِعُونَكَ عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ مِنْ طَرِيقٍ مَكَّةَ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ لِيُصْرَفُوا عَنْ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ يَقْدُمُ: إِنَّا نَكُ وَهَذَا الرَّجُلُ فَإِنَّهُ كَاهِنٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. وَمَا يَتَّبِعُونَكَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ، لَأَنْ رِيبًا مَكْرَهُمْ يَعُودُ عَلَيْهِ. وَمَا يَتَّبِعُونَكَ، أَنَّهُ كَذَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ مِنَ النَّبَوَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ قَالَ: لَوْ كَانَتْ النَّبَوَّةُ حَقًّا لَكُنْتُ أَوَّلَى بِهَا مِنْكَ، لِأَنِّي أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًا وَأَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: زَا حَسَنًا بَنُو

وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، قرأ ابن كثير: ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتحفيف، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿يَصَاعِدُ﴾ بالالف، أي: يتصاعد، وقرأ الآخرون ﴿يَصْعَدُ﴾ بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء. وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَرْفُقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، أي: عتبة شاقة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه. وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجز، وقيل: هو النجس. روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجْسِ». وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي: هذا الذي بينا. وقيل: هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّكَنَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: الجنة، قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة. وقيل: السلام هو السلامة، أي: لهم دار

الله أن يهديهم يَسِّرَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام. ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر، قال: «نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح»، قيل: وهل لذلك أماره؟ قال: «نعم»، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصْلِحَ يَجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا﴾، قرأ ابن كثير ﴿ضَيْقًا﴾ بالتحفيف لههنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْنَ وَهَيْنَ وَلِينَ وَلِينَ، ﴿حَرَجًا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضاً مثل: الدنف والدنف، وقال سيويه: الحرج بالفتح، المصدر كالطلب، ومعناه ذا حرج، وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق، يعني: يجعل قلبه ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشماز قلبه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية، فسأل أعرابياً من كنانة: ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا

فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسِّرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصْلِحَ يَجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّكَنَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا كُلَّهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا نَمَشِّرُ الْيَمِينَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَتَيْنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَوْتُكُمْ خَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ نَمَشِّرُ الْيَمِينَ وَالْإِنْسِ الْوَلِيَّاكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْبَغِي وَرُسُلٌ مِّنْكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لَحِيظَةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرنسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحياً كما يأتينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ مَّائَةٌ، حِجَّةٌ عَلَى صَدَقِ مُحَمَّدٍ ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَ وَشَلَّ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﷺ. ثم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ﴿رِسَالَتَهُ﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿رسالاته﴾ بالجمع، يعني: الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ، ذُلٌّ وَهَوَانٌ، عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يُرِدْ

السلامة من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا.

وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، فقال في الاستدعاء: ﴿أَسْأَلُكُمْ بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: ٤٦]، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَخْلُوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]، وقال: ﴿وَنَحْنُ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ [يس: ٥٨]، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ ﴿يَا كَاوُوا يَمْلِكُونَ﴾، قال الحسين بن الفضل: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

﴿قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُحْمَرُّهُمْ﴾﴾ قرأ حفص: ﴿يُحْمَرُّهُمْ﴾ بالياء، ﴿جَمْعًا﴾، يعني: الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يَوْمَ يُحْمَرُّ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ الشَّيَاطِينُ، وَقَدْ أَشْكَرْتُمْ مِنْ آيَاتِي﴾، أي: استكثرت من الإنس بالإضلال والإغواء، أي: أضللتهم كثيراً، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿وَرَبَّنَا أَسْتَغْفِرُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

قال الكلبي: استمتع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض ففرّخ خوف على نفسه من الجن، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبيت في جوارهم. وأما استمتع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سيدنا الإنس مع الجن،

حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا تُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَا كَاوُوا يَمْلِكُونَ﴾ [الجن: ٦].

وقيل: استمتع الإنس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيها يزيتون لهم من الضلالة والمعاصي. قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم لبعض.

﴿وَلَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْآيَةِ أَجَلَتْ لَنَا﴾، يعني: القيامة والبعث، ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾﴾، مقامكم، ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ أَسْتَوَتْ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: هم خالدون في النار إلا هذا المقدار، وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله: ﴿أَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: خالدون في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب.

وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، ﴿وَمَا﴾ بمعنى «من» على هذا التأويل، ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: عليم بالذي استثناء بما في قلوبهم من البر والتقوى.

﴿وَلَقَدْ كُنَّا نَوْءٍ بَعْضُ الْفَالِغِينَ﴾ ﴿بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعضهم الظالمين بعضاً، أي: نسلط بعضهم على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، سوى ما شاء الله من أنواع العذاب. كما جاء: ﴿مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالؤمن ولّي المؤمن أين كان، والكافر ولّي الكافر حيث كان. وروي معمر عن قتادة: يتبع بعضهم بعضاً في النار، من الموالات. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض؛ كقوله تعالى: ﴿قَوْلِهِ مَا قَوْلِي﴾ [النساء: ١١٥]، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو: أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولّى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولّى أمرهم شرارهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُحْمَرُّ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ أَلَوْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾﴾، واختلفوا في الجن هل أرسل إليهم منهم رسول، فسئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول ﴿أَلَوْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾، يعني: بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن. قال الكلبي: كانت الرسل قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون إلى الجن وإلى الإنس جميعاً.

قال مجاهد: الرسل من الإنس والثّر من الجن، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمَهُ مُذْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]،

﴿رَسَخْتُمْ﴾، ويخلق وينشئ، ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ بَدَلَكُمْ تَأْيِئَةً، خلقاً غيركم أمثل وأطوع، ﴿كَلَّا أَنتَ أَكْثَرُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمَ عَادٍ﴾، أي: آبائهم الماضين قرناً بعد قرن.

﴿إِنَّمَا تَتَوَدَّعونَ مِنَ مَجْيِئِ السَّاعَةِ وَالْحَشَرِ، ﴿لَآتٍ﴾، كائن، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾، أي: بفائتين، يعني: يدرؤكم الموت حيث ما كنتم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَقُولُونَ﴾ أَفَعَمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ، قرأ أبو بكر عن عاصم، ﴿مَكَاتِبِكُمْ﴾ بالجمع حيث كان، أي: على تمكنكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجاج: عملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، ما أمرني به ربي عز وجل، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنِ تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَكُونُ﴾ بالياء هاهنا وفي القصص، وقرأ الآخرون بالناء لتأنيث العاقبة، ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِي أَظْلُمُونَ﴾، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

﴿قُلْ﴾ قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم

﴿وَلَكِنَّكَ أَنتَ الْغَافِلُ﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لم يكن مهلكهم بظلم، أي: بشرك من أشرك، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، لم يندروا حتى نبعث إليهم رسلاً يندرونهم.

وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل.

وقيل: معناه ما لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم ياتمر أو نهي فلم ينته، وذلك يكون بعد إنذار الرسل.

﴿وَلَكِنَّكَ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، يعني: في الشواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن عامر ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالناء والباقون بالياء.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾، عمن خلقه، ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾، قال ابن عباس: ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة،

﴿وَلَكِنَّكَ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرِّحْمَةِ﴾، أي: يهلككم ويذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذُرِّيَّتِهِ قَوْمَ عَادٍ ﴿إِنَّمَا تَتَوَدَّعونَ مِنَ مَجْيِئِ السَّاعَةِ وَالْحَشَرِ، ﴿لَآتٍ﴾، كائن، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾، أي: بفائتين، يعني: يدرؤكم الموت حيث ما كنتم.

وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الرُّسُلُ وَالرِّمَاحُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج من الملح دون العذب، وقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُجُومًا﴾ [نوح: ١٦]، وإنما هو في سماء واحدة.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقرؤون عليكم، ﴿وَأَنبِئُكَ﴾، كتبني ﴿وَسَيُذَكِّرُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، وهو يوم القيامة، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عز وجل: ﴿وَعَرَّفَهُمُ الْحَيْرَةَ الدُّنْيَا﴾، حتى لم يؤمنوا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

كانوا لا يركبونها، ﴿وَأَمَّا لَا يَتُكَّرُونَ﴾^(١٣٩) أي: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراء عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَكَلَّوْا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةً لِلْكَوْنِ وَحَرَّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمْ﴾، أي: نساينا. قال ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حياً فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء جميعاً. وأدخل الهاء في الخالصة للتأكيد كالخاصة والعامة، كقولهم: نسبة وعلاصة، وقال الفراء رحمه الله: أدخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنت بتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظ وموعظة.

﴿وَلَا يَكُن مِّمَّنْ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر: ﴿تَكُن﴾ بالتاء ﴿مِثْنَةً﴾ رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿تَكُن﴾ بالتاء ﴿مِثْنَةً﴾ نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ ابن كثير: ﴿وَلَا يَكُنْ﴾ بالياء ﴿مِثْنَةً﴾ رفع، لأن المراد بالميتة الميت، أي: وإن يقع ما في البطون ميتاً، وقرأ الآخرون: ﴿وَلَا يَكُنْ﴾ بالياء ﴿مِثْنَةً﴾ نصب، رده إلى

﴿مَا﴾، أي: وإن يكن ما في البطون ميتة، يدل عليه أنه قال: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، ولم يقل فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله تعالى، ﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ حَبَرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿قَتَلُوا﴾ بتشديد التاء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿سَفَهَا﴾، جهلاً، ﴿يَبْدِي عِلْمٌ﴾، نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ اللَّهِ﴾، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾، ابتدع. ﴿جَعَلْتَ﴾، بساتين، ﴿مَعْرُوشَتَيْ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتَيْ﴾، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق وبسق، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار.

وقال الضحاك: كلاهما من الكرم خاصة، منها ما عرش، ومنها ما لم يعرش. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿وَتَحْتَلِفَا﴾

﴿كَلِمَةً﴾، ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والريء، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَنَاتُ مَشْكِيهَا﴾، في المنظر، ﴿وَقَدَرُ مَشْكِيهَا﴾، في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿كَلَّوْا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذا أمر بإباحة.

﴿وَمَا أَثَرُ حَقِّ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم: ﴿حَصَادِهِ﴾ بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها معناهما واحد، كالضرام والضرام والجراز.

واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر.

وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماة والحكم: هو حق في المال سوى الزكاة، أمر بلاتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة.

قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل.

وقال مجاهد: كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر. وقال يزيد بن الأصم: كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه.

وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقاً يؤمر بلاتيانه في ابتداء الإسلام منسوخاً بإيجاب العشر.

قال مفسم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِكُمْ﴾ لا يحج

الْكَافِرِينَ»، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال السدي: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾، أي: لا تعطوا أموالكم فتقعوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف. لأنه جاء في الخبر: «أبدأ بمن تعول». وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل الآية على هذا: لا تجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

وقال مقاتل: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام.

وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ماجاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال: الخطاب للسلاطين، يقول إلا تأخذوا فوق حقكم.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾، أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَاشِلَةً﴾، وهي كل ما يحمل عليها من الإبل، ﴿وَمَرْشَاً﴾، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. ﴿كَفُلًا﴾

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم بين الحمولة والفرش فقال: ﴿ثُمَّ بَيَّنَّهٗ أَزْوَاجَ﴾، نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، ﴿مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾، أي: الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج، والعرب تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا

ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم، والواحد ضائن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، ﴿وَمِنَ الْغَنَمِ اثْنَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة ﴿وَمِنَ الْغَنَمِ﴾ بفتح العين والباقون يسكنونها، والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز مَعِيزٌ، وجمع الماعزة ماعِزٌ، ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ﴾، يا محمد ﴿الَّذِينَ﴾، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾، يعني: أثنى الضأن والمعز، ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأُنثَيْنِ﴾، منهما فإنها لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، أخبروني، ﴿يَمِيلُونَ﴾، قال الزجاج: فسروا ما حرّمهم بعلم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن الله تعالى حرّم ذلك.

ثُمَّ بَيَّنَّهٗ أَزْوَاجَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْغَنَمِ اثْنَيْنِ قُلْ مَا لَكُمْ مِنَ الْأُنثَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأُنثَيْنِ يَتَّبِعُونَ يَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ مَا لَكُمْ مِنَ الْأُنثَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِمَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَّى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُصِلَ إِلَى النَّاسِ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ عَصْرًا عَلَ طَاعَةٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ بَاغَ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِرَبِّكَ فَغُورٌ رَّجِمَ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايِ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُهُرٍ ذَلِكَ جَزَاءُ عَصِيَّتِهِمْ وَلِلَّهِ الصَّدِيقُونَ

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ قُلْ مَا لَكُمْ مِنَ الْأُنثَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْعَامُ الْأُنثَيْنِ. وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث جحر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا مُحَرَّمٌ على أزواجنا، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال، فلمّا قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ، وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه، فقال له رسول الله ﷺ: «إنكم قد حرّمتم أصنافاً من الغنم على غير أصل، وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قبل

الذكر أم من قبل الأنثى؟ فسكت مالك بن عوف وتحيّر فلم يتكلّم. فلو قال جاء التحريم بسبب الذكور وجب أن يحرم جميع الذكور، وإن كان بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، وإن كان باشتغال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل، لأنّ الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض فمن أين؟

ويروى أنّ النبي ﷺ قال لمالك: يا مالك: مالك لا تتكلم؟ قال له مالك: بل تكلم وأسمع منك.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ حُضُورِ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَتَى آتَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُعَصِّلُ النَّاسَ يَغَيِّرُ عِلْمًا﴾، قيل: أراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقتيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتزيل، فقال:

﴿قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وروى أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: شيئاً محرماً، ﴿عَلَّ طَائِعٍ يَطْعَمُهُ﴾، أكل يأكله، ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿تكون﴾ بالشاء، ﴿مَيْتَةً﴾ رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحزمة ﴿تكون﴾ بالشاء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو: الجثة ميتة، وقرأ الباقون ﴿يَكُونُ﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾

نصب، يعني: إلا أن يكون المطعم ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، أي: مفزقاً سائلاً، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان، ومن أحياء وما خرج من الأوراح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان. وقد جاء الشرع بإباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل.

قال عمران بن حذير: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم، وعن القدر يرى فيها حمرة الدم. فقال: لا بأس به، إنما نهى عن الدم المسفوح.

وقال إبراهيم: لا بأس بالدم في عرق أو مخ، إلا المسفوح الذي تعمد ذلك. وقال عكرمة: لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود.

﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام، ﴿أَوْ نِسَاءً أُولَئِغَيْرِ اللَّهِ بَوَاحٍ﴾، وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس، قالوا: ويدخل في الميتة المنخقة والموقودة، وما ذكر في أول سورة المائدة.

وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وقد حرّمت السنة أشياء يجب القول بها. منها ما:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا

عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير». أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام».

والأصل عند الشافعي: أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل، فإن كان مما أمر الشرع بقتله - كما قال: «خمس فواسق يقتلن في الجبل والحرم»، أو نهى عن قتله. كما روي أنه نهى عن قتل النحلة والنملة - فهو حرام، وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْبَاطِنُ﴾ [المائدة: ٤]، فثبت أن ما استطابوه فهو حلال.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ بَاغَ وَلَا عَادِلَ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود،

﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْمٍ﴾، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل: البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمي الحافر ظفراً على الاستعارة.

﴿وَبَرَكِ الْبَقَرُ وَالنَّعِيرُ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾، يعني: شحوم الجوف، وهي الشروب، وشحم الكلبيين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوِ الْكُوَاكِبِ﴾، وهي المباعر وأحدثها: حاوية وحوية أي: ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿أَوْ مَا اتَّخَذَتْ غَظًى﴾، يعني: شحم الألية هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثرب وشحم الكلية. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «أن الله ورسوله حرّما بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، ف قيل: يا رسول الله أ رأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويُدهن بها الجلود ويستصبغ بها الناس؟ فقال: «لا هو حرام». ثم قال رسول الله عند ذلك: «فقاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها جمّلوه ثم

باعوه فأكلوا ثمنه».

﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾، أي:

ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدّهم عن سبيل الله وأخذهم الرّبا واستحلال أموال الناس بالباطل، ﴿وَرَأَى الْكَافِرُونَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيمهم.

﴿قَالُوا كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُهُمْ﴾، عذابهم ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، إذا جاء وقتهم.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، لنما لزمتهم الحجّة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا: ﴿تَوَسَّاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، نحن، ﴿وَلَا مَا آبَاؤُنَا﴾، من قبل، ﴿وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾، من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله: ﴿تَوَسَّاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، حجّة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا: إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراد منا وأمرنا به لَحَالَ بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم الخالصة، ﴿حَتَّى دَاوُوا بِأَسْنَاءٍ﴾، عذابنا.

ويستدل أهل القدر بهذه الآية،

﴿قَالُوا كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُهُمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدّهم عن سبيل الله وأخذهم الرّبا واستحلال أموال الناس بالباطل، ﴿وَرَأَى الْكَافِرُونَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيمهم.

يقولون: إنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله وردّ عليهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قلنا: التكذيب ليس في قولهم ﴿تَوَسَّاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقُولُوا فَنُحِشَ قَالُوا وَهَذَا عَلَيْنَا مِثْلُ آبَائِنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فالردّ عليهم في هذا كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: ﴿تَوَسَّاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، قوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، بالتشديد ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل

عن كذبهم في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا﴾، لقال كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب. وقال الحسن بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عز وجل، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وقال: ﴿مَا كَانُوا يَلْوِيونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكديباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]، قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب وحجة من الله، ﴿فَتُخْرِجُوهُنَّ﴾، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرّمتم، ﴿إِنْ تَكْفُرُونَ﴾، ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾، من غير علم ويقين، ﴿وَأَنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْخَلْقُ الْأَوَّلُ﴾، الثابتة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان، ﴿قُلْ شَاءَ لَهْدَكُمْ أَجْمِينَ﴾، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه.

﴿قُلْ هَلُمْ﴾، يقال للواحد والاثنتين والجمع، ﴿شَهَدَاةُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، أي: اثبتوا بشهاداتكم الذين يشهدون، ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿فَإِنْ يَشْهَدُوا﴾، وهم كاذبون، ﴿وَلَا تَنْفَعُ تَشْهَدُ﴾، أنت، ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَنْفَعُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِدَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَكِيدُونَ﴾، أي: يشركون.

﴿قُلْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا﴾﴾، أي: اتكأوا، ﴿أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُنتُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾، وذلك أن المشركين سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرّم الله تعالى؟ فقال عز وجل: ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا أَنْتُمْ﴾، أقرأ ما حرّم ربكم عليكم حقاً يقيناً لا ظناً ولا كذباً كما تزعمون.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي كُنتُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾، والمعزوم هو الشرك لا ترك الشرك؟ قيل: موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرّم عليكم أن تشركوا، ولا صلة؛ كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَهُ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٢]، أي: ما منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي كُنتُمْ﴾، ثم

قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً، على وجه الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتدل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا، ﴿وَالَّذِينَ يَشْكُرُونَ لَا يَقُولُوا أَوْلَدْنَا مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فقراً ﴿وَنَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّا كَاهِنٌ﴾، أي: لا تشدوا بناتكم خشية العيلة، فإني رازقكم وإناهم، ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾، ما ظهر يعني: العلانية وما بطن يعني: السر.

وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر، فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر.

وقال الضحاك: ما ظهر الخمر: وما بطن الزنا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، حرّم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو وزنا يوجب الرجم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بإحدى ثلاث: الشيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، ﴿ذَلِكُمْ﴾

الذي ذكرت، ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾، أمركم به، ﴿لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يعني: بما فيه صلاحه وتشميره. وقال مجاهد: هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. قال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة.

والأشد جمع شد، مثل قد وأقْد، وهو استحكام قوة شبابه وسنّه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه، وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشد بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿لَا تَكِلِفْ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، لم يكلف المعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾، فاصدقوا

في الحكم والشهادة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، أي: ولو كان المحكوم والمشهد عليه ذا قرابة، ﴿وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرين بتشديدها.

قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم

كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾، أي: هذا الذي وصيتم به في هاتين الآيتين، ﴿صِرَاطِي﴾، طريقي وديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، مستويًا قويمًا، ﴿فَأَتَّبِعُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «وان» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون: بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً، وقرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون النون. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فَتَفَرَّقَ﴾، فتميل، ﴿بِكُمْ﴾، وتشتت، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلِفْ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَصَّيْهُمُ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفصيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحمةً لِّعِبَادِهِمُ الْيَقِينِ﴾
﴿زَيِّنَا لَهُمْ أَمْرَهُمْ هَيْسَلًا وَآسَافًا فَتَضِلَّ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَانِ إِذْ وَقَعُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِمْ عَلَى مَا بَنَوْا فَانْحَرَبُوا عَلَى سَبِيلِهِ فُتِنَ مِنْهُمْ آلِفُ الْيَمَانِ وَالْأَسْفَادُ فَضَلَّ عَنْهُمُ اللَّهُ ذَلِيلًا﴾
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكُمُ النَّارَ أَن تَقُولُوا إِنَّهُ آتِزِيلُ الْكِتَابِ عَلَى صُلْبِ النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلُنَا إِنَّ كُفَّارَهُمْ لَمُتَغَلِّبُونَ﴾
﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا الْكِتَابُ فَقَدْ جَاءَ كُفٌّ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحمةٌ مِنْ رَبِّكَ﴾
﴿أَلَمْ نَزِّلْ مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
﴿كَذَّبَ بِآيَاتِهِ اللَّهُ وَصَدَقَ عَنْهَا سَخِرَ الَّذِينَ يَصِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَادِبِ بِمَا كَانُوا يَصِفُونَ﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابي بكر بن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ وحرف «ثم» للتعقيب وإتياء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أنا

(١٥٧) ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أننا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكننا خيراً منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وَهَذِي﴾ بيان ورحمة ونعمة لمن أتبعه، ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَّقَ﴾، أعرض، ﴿عَنْهَا سَخِرَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ﴾، أي: شدة العذاب، ﴿بِمَا كَانُوا يَصُدُّونَ﴾، يعرضون.

(١٥٨) قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لتقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ بآلاء هنا وفي النحل، والباقون بالناء، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ رَبُّكَ﴾، بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ بَعْثُ أَهْلِ رَبِّكَ﴾، يعني: طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْثُ أَهْلِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسِبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق، ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُنْظَرُونَ﴾، يا أهل مكة، ﴿إِنَّا مُنْظَرُونَ﴾، بكم العذاب.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن

على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة، أي آتيته الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل: معناه تماماً مني على إحساني إلى موسى. ﴿وَتَقْصِيحًا﴾، بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وَهَذِي﴾، وهذا في صفة التوراة، ﴿فَلَهُمْ بِقُلُوبِهِمْ يَقُولُونَ﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالشواب والعقاب.

(١٥٩) ﴿وَهَذِي﴾، يعني: القرآن، ﴿كُنْتُ أَنْزِلُهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوا﴾، واعملوا بما فيه، ﴿وَاتَّقُوا﴾، وأطيعوا، ﴿فَلَكُمْ تَرْحُمُونَ﴾.

(١٦٠) ﴿أَن تَقُولُوا﴾، يعني: لثلاثا تقولوا؛ كقوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: لثلاثا تضلوا، وقيل: معناه أنزلناه كراهة أن تضلوا ﴿أَن تَقُولُوا﴾، قال الكسائي: معناه: واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَرِئَانًا كُنَّا﴾، وقد كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم، ﴿فَلْيُفْلِلِكُمْ﴾، لا نعلم ما هي، معناه: أنزلنا عليكم القرآن لثلاثا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذراً لأنفسكم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ بَعْثُ أَهْلِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْثُ أَهْلِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسِبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا هَلْ أَنْتُمْ مُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا مِنْهُمْ وَكَانُوا إِيمَانًا كَانَتْ مِنْهُمْ فِي عَقْوٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا وَثْقَاهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيَارِ قِيَامَةٍ لِّرَبِّهِمْ حِينَمَا كَانُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّا صَلَافِي وَشُكِّي وَحَيَايَ وَمَا فِي فَلْيُفْلِلِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَجْعَبْ كُلُّ نَفْسٍ لَّا عَلَيْهَا وَلَا يُزَادُ وَزَادَهُ وَذَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ رُجُوعٌ ﴿١٦٤﴾ فَيَنْشُكُرُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْقًا مِّنَ الْأَرْضِ وَرَعَاعَكُمْ بَعْضُ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَبْلُغُوا فِي مَا أَنْتُمْ فِي رَبِّكَ سَرِيعَ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٦﴾

آتينا موسى الكتاب، فدخل ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول.

﴿تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ﴾، اختلّفوا فيه، قيل: تماماً على المحسنين من قومه، فيكون ﴿الَّذِي﴾ بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: ﴿عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ﴾، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ هو موسى، و﴿الَّذِي﴾ بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره: آتيته الكتاب يعني التوراة إتماماً للنعمة عليه لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر.

وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه تماماً

محمد بن محمض الزياتي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «يبدأ الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرئاني أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرئاني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبد الله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زر بن

حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ: «أن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله»، وذلك قول الله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَعْيَانِكُمْ بِرَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

وروي أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها».

﴿١٥٩﴾ قوله عز وجل: «لَإِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ»، قرأ حمزة والكسائي: «فارقوا»، بالالف هنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الآخرون: «فَرَّقُوا» مشدداً، أي: جعلوا دين الله وهو واحد - دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية - أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: «وَكَاذِبًا شَيْكًا»، أي: صاؤوا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي.

وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع، والشبهات من هذه الأمة».

حدثنا أبو الفضل زياد بن

محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو عبد الله محمد بن عقيل بن الأزهر بن عقيل الفقيه البلخي أنا الرمادي أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مخلد أنا ثور بن يزيد نا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يبعث منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

وروي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

قال عبد الله بن مسعود: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها». ورواه جابر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

قوله عز وجل: «لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» قیل: لست من قتالهم في شيء، نسختها آية القتال، وهذا على

قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله: «أَنْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»، أي: أنت منهم بريء وهم منك براء، وتقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك، أي: كل واحد منا بريء من صاحبه، «لَمَّا أَنْزَلْنَاهُمْ إِلَى اللَّهِ»، يعني: في الجزاء والمكافات، «فَمَنْ يَنْتَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، إذا وردوا للقيامة.

﴿١٦٠﴾ قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَثَرَالِهَا»، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب عشر منون، «أَمْثَالُهَا» بالرفع. «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن يوسف القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكلُّ سيئة يعملها تُكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني ثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو

بكر بن أبي شعبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفَرَ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي بِمِثْمِ أَتَيْتُهُ هِرْولَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِغُرَابٍ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

﴿١٦١﴾ قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا»، قرأ أهل الكوفة والشام قِيماً بكسر القاف وفتح الباء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الباء مشدداً ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قِيماً، «وَدِينًا قِيَمًا حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

﴿١٦٢﴾ «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي»، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، «وَنَحْيَايَ وَمَوَاتِي»، أي: حياتي ووفاتي، «وَاللَّهُ رَبِّي الْأَعْلَى»، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: «وَمَحْيَايَ» بسكون الباء و«مَمَاتِي»

بفتحها، وقراءة العامة «وَمَحْيَايَ» بفتح الباء لثلاث يجتمع ساكنان. ﴿١٦٣﴾ قوله تعالى: «لَا شَرِيكَ لَكَ وَلَئِكَ أَمْرُنَا وَأَنَا أَوَّلُ الْخَلْقِ»، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿١٦٤﴾ «قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيداً وإلهاً «وَمَوْ رَبِّي كُلُّ شَيْءٍ»، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا»، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمها على الجاني، «وَلَا يُزِدُ وَازِدَةً وَزِدَةً أُخْرَى»، أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، «فَمَنْ إِلَى رَبِّكَ تَوَكَّلْ تَوَكَّلْ فَإِنَّكَ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

﴿١٦٥﴾ «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ»، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد مَنْ مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه. «وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، «لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ»، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يتلي الغني والفقير والشريف والوضيع



١٥١

حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾، عن الإبلاغ.

﴿فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾، أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا كَيْتَا يُنَاطِقُ عَلَيْكُمُ الْحَقُّ﴾ [الجاثية: ٢٩]. ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله

فإن قيل: ما معنى أهلكتناها فجاءها بأسنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى أهلكتنا حَكَمْنَا بإهلاكها فجاءها بأسنا. وقيل: فجاءها بأسنا وهو بيان قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، مثل قول القاتل: أعطيني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الازدعاء وبمعنى الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب: اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين، أي في دعائهم، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، معناه: لم يقدروا على رد العذاب، وكان

والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿إِنْ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿وَلَأَنذَرْتَهُمْ قَدْ رَجِمَ﴾، قال عطاء سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم.

سورة الاعراف

مكية كلها إلا خمس آيات أولها: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ﴾ [١٦٣ - ١٦٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿الْقَصَصُ كُنْزُ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهو القرآن، ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي ضيق، معناه: لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أرسلت به، ﴿لِنُنْذِرَ بِهِ﴾، أي: كتاب أنزلناه إليك لِنُنْذِرَ بِهِ، ﴿وَذِكْرُنَا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عظة لهم، وهو رفع، مردود على الكتاب.

﴿أَتَّبِعُوا﴾، أي: وقل لهم اتبعوا ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى، ﴿فَلَا تَأْتُوا تَدْكَرُونَ﴾، تتعطلون، وقرأ ابن عامر: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، بالياء والتاء.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، بالعذاب، و ﴿كَمْ﴾ للتكثير و ﴿وَبِأَنَّ﴾ للتقليل ﴿فَبِمَا بَأْسُنَا﴾، عذابنا،

قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْبِيحُكَ قَالَ أَنَا عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَقَابُ مَنْ تَارَ
وَسَلَفَتْهُ مِنْ طِينٍ ١٠ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١١ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمُوتُونَ
١٢ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ١٣ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٤ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٥ قَالَ
أَخْرَجْ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا تَذْكُورُ لَمَنْ يَحْكَمْ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
أَجْمَعِينَ ١٦ وَيَتَذَكَّرُ لَكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ فَكَلِمَةً قَلِيلًا مِنْ حَيْثُ
يَشَاءُوا وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٧ فَوَسَّوْا
لَهُمَا الشَّيْطَانُ الْبَشِيرَ لَمَّا مَرَى عَنْهُمَا مِنْ شَوْءٍ نَهَاوَهُمَا وَقَالَ
مَا هَذَا كَمَا رَأَيْتُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَوَاقِدًا ١٨
مِنْهَا فَطَلَبُوا إِلَيْهَا فَوَسَّوْهُمَا إِلَى الْكَلْبِ لِلَّيْلِ ١٩ فَوَسَّوْهُمَا
فَلَمَّا بَدَرَا فَلَسَا بِأَذَى فَتَأَمَّلُوا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَائِرُهُمَا وَطُفُفَا
يَتَخَفَتَانِ عَلَى سَائِرٍ وَرَقٍ الْخَبِيرِ وَتَذَكَّرُ لَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ يَنْهَ كُلُّمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلُ لَكُمَا الْإِنَّمَانِ لَكُمَا عَذَابٌ مُبِينٌ ٢٠

الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في المعقبى، **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾**، قال مجاهد: حسناته، **﴿فَأَوَّلَتْكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.

١٠ **﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَظُنُّونَ﴾**، يجحدون، وقال أبو بكر رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم حق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

فإن قيل: فقد قيل: **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾** ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد، قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد؛ كقوله: **﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ﴾** [المؤمنون: ٥١]، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل: جمعة؛ لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما.

فإن قيل: فقد قيل: **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾** ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد، قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد؛ كقوله: **﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ﴾** [المؤمنون: ٥١]، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل: جمعة؛ لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما.

١١ قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾**

في الآرض، أي: المراد من التمكين التملك والقدره، **﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾**، أي: أسباباً تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشارب والمعاش جمع المعيشة، **﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾**، فيما صنعت إليكم.

١٢ قوله عز وجل: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾**، قال ابن عباس: **﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾**، أي: أضولكم وآباءكم ثم **﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾** في أرحام أمهاتكم، وقال قتادة والضحاك والسدي: أما خلقناكم فآدم، وأما **﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾** فذريته. وقال مجاهد في **﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾** آدم، **﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾** في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: **﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾** في ظهر آدم ثم **﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾** يوم الميثاق حين أخرجكم كالنذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال وصوّرناكم في أرحام النساء. وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوره و**﴿ثُمَّ﴾** بمعنى الواو.

١٣ **﴿ثُمَّ فَلَنَا لِلْمَلَائِكَةِ آسَجُوا لِآدَمَ﴾**، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله: **﴿ثُمَّ فَلَنَا﴾**، وثم للترتيب والتراخي؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم الكلام إما على قول من يصرفه إلى الذرية فنه أجوبة.

أحدها أن **﴿ثُمَّ﴾** بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون

تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب.

واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال: وروينا: «أن رجلاً يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر، فيُخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة».

وقيل: توزن الأشخاص. وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزُن عند الله جناح بعوضة».

وقيل: توزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في

للترتيب والتعقيب. وقيل: أراد ثم أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا.

وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ثم صورناكم.

قوله تعالى: ﴿مَسْجُودًا﴾، يعني: الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾، لآدم.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: يا إيليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أي: وما منعك أن تسجد ولا؟ زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَرِهَ عَلَىٰ قَرِينِهِ أَهْلَكَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. ﴿قَالَ﴾ إيليس مجيباً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنك ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَطَعَنْتَنِي مِنْ طِينٍ﴾، والنار خير وأتور من الطين.

قال ابن عباس: أول من قاس إيليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إيليس.

قال ابن سيرين: ما عُبِدَتْ الشمس إلا بالقياس.

قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار. وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه، منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والجرأة والارتفاع وهو الداعي لإيليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين

سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

﴿قوله تعالى:﴾ ﴿قَالَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض وأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروح فيها حتى يخرج منها.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾، بمخالفة الأمر، ﴿فِيهَا﴾، أي: في الجنة، ولا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبراً مخالف لأمر الله تعالى، ﴿فَأَخْرَجَ إِيَّكَ مِنْ الصَّنِينِ﴾، من الأدلاء، والصغار: الذل والمهانة.

﴿قَالَ﴾ إيليس عند ذلك، ﴿أَنْظِرْنِي﴾، أخرني وأمهلني فلا تمتني، ﴿إِلَّا يَوْمَ يَمُوتُونَ﴾، من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يدوق الموت.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، المؤخرين، وبين مدة النظرة والمهلة في موضع آخر، فنقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ الَّذِي لَكُمْ﴾ [الحجر: ٣٨]، وهي النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾، اختلفوا في «ما»، قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتداً فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾، وقيل: هو «ما» الجزء، أي: لأجل أنك أغويتني

لأقعدن لهم، وقيل: هو «ما» المصدورية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم؛ كقوله: ﴿يَا عَقْرُ لِي رَقِي﴾ [يسس: ٢٧]، يعني: لغفران ربي، والمعنى بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك فيّ. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء أغويتني، أي: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكني. وقيل: خيبتني، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الذَّلِيلِ﴾، أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

﴿قَالَ﴾ ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وَبَيْنَ أَيْتَانِهِم﴾، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿وَبَيْنَ شِمَائِلِهِمْ﴾، أشهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿بَيْنَ يَدَيْ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ﴾، من قبل الآخرة فأقول: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا ناز، ﴿وَبَيْنَ أَيْتَانِهِم﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَبَيْنَ شِمَائِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم.

وقال الحكم: ﴿بَيْنَ يَدَيْ أَيْدِيهِمْ﴾: من قبل الدنيا يزينها لهم، ﴿وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ﴾: من قبل الآخرة يشبطهم عنها، ﴿وَبَيْنَ أَيْتَانِهِم﴾: من قبل الحق يصدهم عنه، ﴿وَبَيْنَ شِمَائِلِهِمْ﴾: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: اتاهم ﴿بَيْنَ يَدَيْ أَيْدِيهِمْ﴾ فأخبرهم أنه لا

بعث ولا جنة ولا نار، ﴿وَيَزِينُ خَلْفَهُمْ﴾: من أمور الدنيا زينتها لهم ودعاهم إليها، ﴿وَعَنْ أَيْمُنِهِمْ﴾: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أنك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمنهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون، أي: لا يخطئون، وحيث لا يبصرون، أي: لا يعلمون أنهم يخطئون.

﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظناً فأصاب. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ﴾ [سبا: ٢٠].

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس: ﴿خُذْ مِنْهَا مَذْؤُماً مَدْحُوراً﴾، أي: معيباً، والذيم والذام أشد العيب، يقال: ذامه يذامه ذاماً فهو مذؤوم وذامه يذيمه ذاماً فهو مذيم، مثل سار يسير سيراً. المدحور: المبعد المطرود، يقال: دحره يدرحه دحراً إذا أبعدته وطرده. قال ابن عباس: مذؤوماً أي ممقوتاً، وقال قتادة: مذؤوماً مدحوراً، أي: لعيناً منفيماً. وقال الكلبي: مذؤوماً ملوماً مدحوراً مقصياً من الجنة ومن كل خير. ﴿لَنْ يَمَلَكَ مِنْهُمْ﴾، من بني آدم، ﴿لَا تَلَاةَ لَهُمْ﴾، اللام لام القسم، ﴿فَبِمَنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي: منك ومن ذريتك

ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

﴿وَبَيْنَكُمْ أَشْجَاتُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةُ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَتَسَوَّسَ لِمَا اشْتَدَّ﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يُلقيه الشيطان في قلب الإنسان، ﴿وَالْبُيُوتَ لِمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ﴾، أي: ليظهر لهما ما عطي وستر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس بهذا، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهم؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْطَعْ مَأَلَّ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس لأدم وحواء، ﴿هَاتَا تَهَكَا رَهَكَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾، يعني: لثلاث تكونا، كراهية أن تكونا مَلَكَتَيْنِ من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿وَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، من الباقين الذين لا يموتون؛ كما قال في موضع آخر: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَّادِ﴾ [طه: ١٢٠].

﴿وَنَاسَتَهُمَا إِيَّيْ لَكُمَا لَوْنُ الثَّيْبِ﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وإبليس أزل من حلف بالله كاذباً فلما حلف ظنَّ آدم أن أحداً لا يحلف بالله فاعتز به.

﴿وَلَدَّهُمَا يَهْرَبُونَ﴾، أي:

خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بالغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل.

وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل والتدلية: إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، وقال الأزهري: وأصله تدلية العطشان في البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء، فيكون مُدلى بالغرور والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش.

﴿هَلَا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَكُمَا سَوَاءُهُمَا﴾، قال الكلبي: فلما أكلا منها. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة، والعقوبة أن ﴿بَدَتْ﴾ ظهرت لهما «سواءتهما» عوراتهما، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك. قال وهب: كان لباسهما من النور. وقال قتادة: كان ظفراً ألبسهما الله من الظفر لباساً فلما وقعا في الذنب بدت لهما سوءاتهما فاستحيا، ﴿وَلَوْ قَا﴾، أقبلا وجعلا ﴿يَقْصِيَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿وَلَهُمَا مِنْ دَرَقٍ لَجَنَّةٍ﴾، وهو ورق التين حتى صار كهيشة الثوب.

قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوءاتهما. وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ: «كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحق كثير شعر الرأس، فلما وقع في الخطيئة بدت له سوءاته، وكان لا

يراها فانطلق هارباً في الجنة، فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه يا آدم أمني نفراً؟ قال: لا يارب ولكن استحييتك.

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾، يعني: عن الأكل منها، ﴿وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، أي: بين العداوة، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتي؟ قالت: أمرتني الحية، قال: للحية لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: أما أنت يا حواء فكما آدميت الشجرة فتدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فاقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَنَّمَا أَنْفُسَا، ضَرَرْنَا بِالْمَعْصِيَةِ﴾، وإن لم تقف لنا وتحمنا لتكون من الخسرين، الهالكين.

﴿قَالَ أَهْبُوا بِبَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَى حِينٍ﴾.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، يعني: في الأرض تعيشون، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بفتح التاء ههنا وفي الزخرف، وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي:

﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾ في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَرْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾، أي: خلقنا لكم لباساً، وقيل: إنما قال: ﴿أَرْزَلْنَا﴾ لأن اللباس يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿أَرْزَلْنَا﴾ أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وإنما يستخرج الحديد من الأرض.

وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة. قال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول:

اليوم يبذو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أجله

فأمر الله سبحانه بالستر، فقال: ﴿قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْزِرُ سَوَاءً وَكُفٍّ﴾، يستر عوراتكم، واحدها سواة سُميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها، فلا تطوفوا عراة، ﴿وَرِيثًا﴾، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما تتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، قرأ

سورة الأعراف

سورة الأعراف

قَالَ رَبَّنَا ظَنَّمَا أَنْفُسَا، وَإِنْ لَمْ تَقِفْنَا وَتَحْمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبُوا بِبَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَرْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْزِرُ سَوَاءً وَكُفٍّ وَرِيثًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ مَّا آتَيْنَا اللَّهُ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ اَلشَّيْطَانُ كَمَا اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا اِنَّهُ يَرِيَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ اَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَاِذَا عَمَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّوَالِدُكُمْ نَارًا قَالُوا بَلْ يَكْفُرُ الْاِنْسَانُ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ اَسْرَبِيْ بِالْقُسْطِ وَاقْسُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ رَیْقًا هَٰذَا وَرَیْقًا حَاقَ عَلَيْهِمْ فَضْلُ اللَّهِ اِنَّهُمْ اخَذُوا الشَّيَاطِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ مُّشْعَدُونَ ﴿٣٠﴾

١٥٢

أهل المدينة وابن عامر والكسائي: ﴿وَلِبَاسٌ﴾ ينصب السين عطفاً على قوله: ﴿لِبَاسًا﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خَيْرٌ﴾، وجعلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ صلة في الكلام، وكذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب: ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

واختلفوا في ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾، قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى.

وقال عطاء عن ابن عباس: هو العمل الصالح. وعن عثمان بن عفان أنه قال: السمت الحسن.

وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله. وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل.

وقال ابن الأنباري: لباس التقوى

وقال أبو العالية: عادوا على عمله فيهم، قال سعيد بن جبير: كما كتب عليكم تكونون.

قال محمد بن كعب: من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل يعمل أهل السعادة، كما أن إبليس كان يعمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل يعمل أهل الشقاوة، كما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ يَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ يَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ».

وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ [الأنبياء: ١٠٤]». قال قتادة: بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، ونظيره قوله تعالى: «وَمِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» [طه: ٥٥].

قوله عز وجل: «وَرِيقًا هَدًى»، أي: هداهم الله، «وَرِيقًا حَقًّا»، وجب «عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ»، أي: الإرادة السابقة، «إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُحْسِنُونَ إِلَهُمْ مُهُتَدُونَ»، فيه دليل على أن

أباؤكم؟ قالوا: «وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ، قال ابن عباس: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وقال الضحاك: التوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. «وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»، قال مجاهد والسدي: يعني وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً. «وَأَذِّنْ لَهُمْ سُبُوحًا وَإِشْرَافًا لِمَا يَدْعُونَ»، قال ابن عباس: إن الله بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً؛ كما قال: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَذَلِكُمْ أَكْبَرُ مِنْكُمْ تَوَكُّؤُنَ»، قال ابن عباس: إن الله بدأ يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً. قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره».

هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف.

قال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين. وقيل: لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل السور. «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ».

﴿٢٩﴾ يَبْقَى آدَمَ لَا يَفْنَى الشَّيْطَانُ، أي: لا يضلنكم الشيطان، «كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ»، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، «وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا»، أي: ليرى كل واحد سواة الآخر. «إِنَّهُ يَرْنِكُمْ»، يعني الشيطان يراكم يا بني آدم، «هُوَ وَبَيْتُهُ» جنوده، قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة الجن والشياطين، «مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ»، قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ قُرْنَاءَ وَأَعْوَانًا»، للذين لا يؤمنون، قال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: «إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَزْمِيهِمْ آثًا» [مریم: ٨٣].

﴿٣٠﴾ وَإِذَا قَالُوا فَتَحْنَا، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة، وقال عطاء: الشرك. والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. «قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا»، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آبائنا. قيل: ومن أين أخذ

الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

﴿قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾﴾، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، يعني: الثياب. قال مجاهد: ما يُوارى عورتك ولو عباءة. قال الكلبي: الزينة ما يُوارى العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا﴾، يعني: اللحم والدسم [الذي امتنعوا منه أهل الجاهلية] ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ اللبن، ﴿وَلَا تُشْرَبُوا﴾، بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمُتَّبِعِينَ﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كُلُّ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة. قال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطيب كله في نصف آية فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُشْرَبُوا﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾﴾، يعني: لبس الثياب في الطواف، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يعني: اللحم والدسم في أيام الحج. وعن ابن عباس وقتادة: والطيبات من الرزق ما حرم

أهل الجاهلية من البحائر والسواث.

﴿قُلْ مَنْ لِلزَّيْنِ مَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها.

وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم.

قرأ نافع ﴿خَالِصَةً﴾ رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا، وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة للمؤمنين. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿مَا ظَهَرَ﴾ طواف الرجال بالنهار، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ طواف النساء بالليل. وقيل: هو الزنا سراً وعلاية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبد الله قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبد الله؟ قال: نعم، فرفعه،

﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَبُولُ بِهِ سُلْطَانٌ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ ﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَى مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ أَتَقْنِ وَأَصْلَحَ فَلَا تَخُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ النَّفْسُ مِنْ أَنْ تُبَيِّنَ لَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا فَالَخَذَهُمُ رُسُلُنَا فَيَقُولُ لَهُمْ قَالُوا إِنَّا مِمَّنْ كَفَرْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا أَصْلَحُوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا فَنَقِمْ إِلَيْهِمْ مَا كَانُوا كَافِرِينَ﴾

قال: قال ﴿قُلْ﴾: «لا أحد أعز من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه».

قوله عز وجل: ﴿وَالْإِثْمَ﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر، قال الشاعر:

شربُ الإثم حتى ضلَّ عقلي
كذلك الإثم يذهب بالعقول
﴿وَالْبَغْيَ﴾، الظلم والكبر، ﴿يَتَّبِعِ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَبُولُ بِهِ سُلْطَانٌ﴾، حجة وبرهاناً، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُونَ﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، يعني: مدة وأكل وشرب، وقال ابن عباس

﴿قَالُوا﴾، يعني: يقول الرسل للكفار، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾، تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، سؤال تبكيت وتقريع، ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿وَشْهَدُوا عَلَيْنَا﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿أَنْتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ أَتَدْعُونِي فِي أَمْرٍ﴾، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ فِي النَّارِ﴾، يعني: كفار الأمم الخالية، ﴿كُلَّمَا دَخَلْتَ أُتَتْ أُخْتًا﴾، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عني الأمة والجماعة، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَاكُمْ فِيهَا﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جَمِيعًا فَكَانَتْ أُخْرُهُمْ﴾، قال مقاتل: يعني أخراهم دخولاً النار وهم الأتباع، ﴿لَا وَلَهُمْ﴾، أي: لأولاهم دخولاً وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولاً. قال ابن عباس:

يعني آخر كل أمة لأولاهم. وقال السدي: أهل [آخر] الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصْلَلْنَا﴾ عن الهدى، يعني: القادة ﴿فَقَاتِمٌ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾، أي: ضعف عليهم العذاب، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني: القادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْلُوبُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

قرأ الجمهور: «ولكن لا

بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، جعل له شريكاً، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، بالقرآن، ﴿أُولَئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَتِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾، نصيبهم: أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح

المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة. وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجزي عليها.

وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه،

﴿قَالَ أَتَدْعُونِي فِي أَمْرٍ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ فِي النَّارِ كَلِمَاتُ اللَّهِ أَتَدْعُونِي فِي أَمْرٍ إِذَا أَتَاكُمْ فِيهَا جَمِيعًا فَكَانَتْ أُخْرُهُمْ﴾، ولهم ربنا هؤلَاءِ أَصْلَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَقْلُوبُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ أُولَهُمْ لِأُخْرِهِمْ فَمَا كَانَتْ لِكُلِّ عَيْنَيْنِ فَضْلٍ فَدَعَوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أُنُوفٌ السَّعَةِ وَلَا يُنْظَرُونَ أَلَجَنَّةٌ حَتَّى يُلَاقِيَ الْأُنْجَلُ فِي سَمِّ الْخِيَارِ وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْكُفَّيرِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجَزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَكُونُ فَنَاءً إِلَّا أُوْصَفُوا فِي إِلَهِمْ أَعْتَبُ أَلَيْسَتْ لَهُمْ فِيهَا أَهْلِيَّةٌ ﴿٤٢﴾ وَرَبَّنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِن غِلٍّ فَخَمَرٍ مِنْ نَّحْيِهِمُ الْآخِرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوْا أَنْ يُلْغَىٰ لَكُمْ الْحَسَنَةُ أَوْ رُسُلُهُمْ أَلَمْ تَكُنْ تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾

وعطاء والحسن: يعني وقتاً لنزول العذاب بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾، أي: ولا يتقدمون وذلك حين سألوا العذاب فانزل الله هذه الآية.

﴿٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ عَادَمٌ إِنَّمَا يَأْتِيَنكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، أي: إن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل. وقال مقاتل: أراد بقوله: ﴿يَبْقَىٰ عَادَمٌ﴾ مشركي العرب وبالرسل محمداً ﷺ وحده، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكَ عَائِدًا﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿فَلَا حَورٌ عَلَيْهِمْ﴾، إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي: إذا حزنوا.

﴿٤٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾، تكبروا عن الإيمان

تعلمون»، وقرأ أبو بكر ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾
بالياء، أي: لا يعلم الاتباع ما للقادة
ولا القادة ما للاتباع.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ﴾، يعني:
القادة، ﴿لَا تُخْرِجُهُنَّ﴾، للاتباع، ﴿فَمَا
كَانَ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، لأنكم
كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في
الكفر سواء وفي العذاب سواء،
﴿فَلَوْوُوا الْمَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تُكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ﴾، بالهاء،
خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف
حمزة والكسائي، والباقون بالهاء
والتشديد، ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾، لأدعيتهم
ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس:
لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل
يهورى بها إلى سجين، إنما تفتح
أبواب السماء لأرواح المؤمنين
وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَوْءِ الْحَاسِلِ﴾،
أي: حتى يدخل البعير في ثقب
الإبرة، والخياط والمخيط واحد،
وهو الإبرة والمراد منه: أنهم
لا يدخلون الجنة أبداً لأن الشيء إذا
عُلِقَ بما يستحيل كونه يدل لك على
تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك
حتى يشيب الغراب أو يبيض القار،
يريد: لا أفعله أبداً. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، أي:
فرش، ﴿وَمِنْ قُرُوقِهِمْ غَوَاشٍ﴾،
أي: لحف. وهي جمع غاشية،
يعني: ما غشاهم وغطاهم، يريد
إحاطة النار بهم من كل جانب؛ كما
قال الله: ﴿لَهُمْ فِي قُرُوقِهِمْ ثُلَلٌ مِثْلَ
النَّارِ وَمِنْ ثَمَرِهِمْ ثُلَلٌ﴾ [الزمر:

١٦]، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾،
أي: طاقتها وما لا يجرح فيه ولا
تضيق عليه، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿هَما في
صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾، من غش وعداوة
كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم
إخواناً على شرر متقابلين لا يحسد
بعضهم بعضاً على شيء خَصَّ الله به
بعضهم. ﴿نَجْزِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَثَرِ﴾،
روى الحسن عن علي رضي الله عنه
قال: فينا والله أهل بدر نزلت:
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا
عَلَى شُرُورٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال علي رضي الله عنه أيضاً:
إنني لأرجو أن أكون أنا وعثمان
وطلحة والزبير من الذين قال لهم الله
عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا
الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن
زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي
المتوكل الناجي عن أبي سعيد
الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْسُونَ
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْتَضُ
لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ
فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أَذُنُ
لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْدَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي
الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

وقال السدي في هذه الآية: إن
أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا
عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان
فشربوا من إحداها فبرز ما في
صدورهم من غلٍّ، فهو الشراب
الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت
عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم
يسحنوا بعدها أبداً. [وقالوا للحسد وَوَالَّذِي
الَّذِي هَدَيْنَا لَهُذَا]، أي: إلى هذا،
يعني طريق الجنة. وقال سفيان
الثوري: معناه هذان لعمل هذا ثوابه،
﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرأ ابن عامر: (ما كنا)
بلا واو، ﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾، هذا قول أهل
الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل
عياناً، ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ أَوْسَتْهُمَا
يَمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ﴾، قيل: هذا النداء
إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تكلّم
الجنة، وقيل: هذا النداء يكون في
الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبد الله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا
أبو طاهر محمد بن الحارث أنبأنا
محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا
عبد الله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن
عبد الله الخلال حدثنا عبد الله بن
المبارك عن سفيان عن أبي إسحاق
عن الأغر عن أبي سعيد وعن أبي
هريرة قال: ينادي مناد: إِنَّ لَكُمْ أَنْ
تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ
أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ
أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ
أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْسُؤُوا أَبَداً، فذلك
قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ
أَوْسَتْهُمَا يَمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ﴾.

هذا حديث صحيح أخرجه

استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أبا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أبا محمد بن يعقوب الكسائي أبا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جبير يحدث:

عن ابن مسعود قال: يُحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْنُوكَ الْغُرُوبَ فَهُمْ لَا يُمْنُونَ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩]، ثم قال: إن الميزان يخف بمقال حبة أو يرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلاماً عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، أما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطي كل عبد يومئذ نوراً فإذا أتوا على الصراط سَلَبَ اللَّهُ نَوْرَ كُلِّ مَنْفِقٍ وَمَنْفِقَةٍ،

وعاصم: (أن) خفيف، ﴿لَنْتَهُ﴾ رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، ﴿لَنْتَهُ﴾ بالانصب، ﴿عَلِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: الكافرين. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾، أي: يصرفون الناس، ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، ﴿وَيَتَّبِعُونَ عِوَاذَ﴾، أي: يطلبونها زيفاً وميلاً، أي: يبتلون سبيل الله جائرين عن القصد، قال ابن عباس: يصلون لغير الله، يعظمون ما لم يعظمه الله. والعوج بكسر العين: في البدن والأمر والأرض

وكل ما لم يكن قائماً، وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَذِبُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله في قوله: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ آلِهَةٍ﴾ [الحديد: ١٣]، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْآعْرَافِ يَكَاةٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده. وقال السدي: سُمِّيَ ذلك السور أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس.

واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف، فقال حذيفة وابن عباس: هم قوم

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا لَا أَهْمُ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ أَنْ لَنْتَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَاذَ اللَّهِ وَالْآخِرُونَ كَثِيرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْآعْرَافِ يَكَاةٌ يُرَاوُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَكَادُوا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَمَ عَلَيْهِمْ لَمَّا دَخَلُوا هُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَيْهَا سَدَّتْ لَهَا الْبَابُ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَلَا يَجْعَلُنَا اللَّهُ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَكَادَ أَصْحَابُ الْآعْرَافِ يَكَاةٌ يُرَاوُونَهُمْ يَسْمَعُونَ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاحِقُونَ عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَاحِقَةُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِيَارَهُمْ دِينًا وَلَهُمْ عِوَاذٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ يَفْشَوْا عَلَيْهَا مِنْ دُونِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِيَارَهُمْ دِينًا وَلَهُمْ عِوَاذٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٢﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ يَفْشَوْا عَلَيْهَا مِنْ دُونِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾

مسلم بن الحجاج عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الإسناد مرفوعاً.

وزوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلَةٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَةً مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مَنْزِلَةً مِنَ الْجَنَّةِ».

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾، من الشواب، ﴿حَقًّا﴾، أي: صدقاً، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾، من العذاب، ﴿حَقًّا قَالُوا لَا أَهْمُ﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقيون بفتحها وهما لغتان، ﴿فَنَادَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: نادى منادٍ أسمع الفريقين، ﴿أَنْ لَنْتَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة

فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربنا أتيناك لنا نورنا.

وأما أصحاب الأعراف فإن النور لم ينزع من بين أيديهم، ومنعتهم سيئاتهم أن يمضوا وبقي في قلوبهم الطمع إذ لم ينزع النور من بين أيديهم، فهناك يقول الله: ﴿لَوْ يَدْعُوكُمْ رَبُّكُمْ لَيَمْسُوكُمْ وَأَن تَدْعُوا لَنَنَزِّلَنَّ السَّحَابَ فَتَكُونُونَ أَهْلَ النَّارِ﴾، وكان الطمع للنور الذي بين أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولا.

وقال شرحبيل بن سعد: أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم.

ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعا: «هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لأبائهم فقتلوا، فأعيقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وخسبوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة».

وزوي عن مجاهد: أنهم أقوام رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر، يُحبسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق، ثم يدخلون الجنة. قال عبد العزيز بن الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم. وقيل: هم أطفال المشركين. قال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعا، ويطالعون أحوال الفريقين.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلَّا﴾ يعنيهم، أي: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم. ﴿وَنَادَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا سَمًّا﴾

عَلَيْكُمْ، أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لَوْ يَدْعُوكُمْ رَبُّكُمْ لَيَمْسُوكُمْ وَأَن تَدْعُوا لَنَنَزِّلَنَّ السَّحَابَ فَتَكُونُونَ أَهْلَ النَّارِ﴾، يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، ﴿وَمَنْ يَطْمَعُ﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريد بها بهم. قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يُوصلهم إلى ما يطمعون.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا مَرَّتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، تعوذوا بالله، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: الكافرين في النار.

﴿٤٨﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ بِعِلَالِهِمْ﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَفَعَىٰ عَنْكُمْ جَهَنَّمُ﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا فلان، وهم ينظرونهم في النار، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم، فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

﴿٤٩﴾ ﴿أَهْلُؤَلَاءُ﴾، يعني: هؤلاء الضعفاء، ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، حلفتهم، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، أي: حلفتهم أنهم لا يدخلون الجنة، ثم يقال لأهل الأعراف، ﴿أَدْعَاؤُا الْجَنَّةِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفي قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها، فيعبرونهم بذلك ويُسمون

أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار: ﴿أَهْلُؤَلَاءُ﴾، يعني أصحاب الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ يا أهل النار أنه ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ﴿أَدْعَاؤُا الْجَنَّةِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيدخلون الجنة.

﴿٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة.

قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في القرج، وقالوا: يا رب إن لنا قربات من أهل الجنة، فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فينظرون إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرابتهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، ﴿قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني: الماء والطعام.

﴿٥١﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْلًا﴾، وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها والمكاه والتصيدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، ﴿وَعَرَّفَتْهُمْ أَلْحَبِيْرَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَالِيْمٌ نَسْتَهْمُ﴾، نتركهم في النار، ﴿كَمَا سَأَلُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ هَذَا﴾،

والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر به فأخرج. وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمروها كما جاءت بلا كيف.

والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظل، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش المُلْك. ﴿يَغْشَى آلِيلَ النَّهَارِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «يغشي» بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: ﴿يَكُونُ آلِيلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى آلِيلٍ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ كَانَ﴾، أي: سريعاً، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، فكانه يطلبه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾، قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب، وكذلك في سورة النحل عطفاً على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: خلق هذه الأشياء مسخرات، أي: مُذَلَّلَاتٌ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ لَا لَهَا لُفْظٌ وَلَا أَمْرٌ، له الخلق لأنه خلقهم والأمر يأمر في خلقه بما يشاء، قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: تعالى الله وتعظم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك

الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ، أهلكوها بالعذاب، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء، وقيل: ستة أيام كأيام الآخرة وكل يوم كالف سنة. وقيل: كأيام الدنيا.

قال سعيد بن جبير: كان الله عز وجل قادراً على خلق السموات والأرض في لمحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليمًا ولخلقهن الثبوت والتأني في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان».

﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْعَرْشِ أُسْرُوا﴾، [طه: ٥] كيف أسروا؟ فاطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب،

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَبَلَغْنَا مِنْ شُعْمَةٍ فَنِشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّدْهُمْ فَأَمْثَلُ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى آلِيلَ النَّهَارِ وَيَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ وَالْأُمُورُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا نَّفَخْنَا فِيهِ مِن لَّدُنَّا مَاءً فَازْجُرْنَا بِهِ فَأخرجنا به من كل الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ تُجْزَىٰ الْقَوْمَ لَمَعْلُومٌ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾

أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿يَوْمًا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِجَعْدَتِهِ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾، يعني: القرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾، بيناه، ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، منا لما يصلحهم، ﴿هَدًى وَرَحْمَةً﴾، أي جعلنا القرآن هادياً وذا رحمة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾، أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿فَبَلَغْنَا لَنَا﴾، اليوم، ﴿مِنْ شُعْمَةٍ فَنِشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّدْهُمْ﴾، إلى الدنيا، ﴿فَنَمُكِّلْهُمُ﴾

تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركة تُكتسب وتُنال بذكره. وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. قال الحسن: تجيء البركة من قبله.

قيل: تبارك تقدّس، والقدس الطهارة. وقيل: تبارك الله أي باسمه يُتبرّك في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال. وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، تذللًا واستكانة، ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: سرًا. قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَذَلَّةً خُفْيَةً﴾ [مريم: ٣]. ﴿إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا محمد بن عبد العزيز الفاشاني أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود السجستاني حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة أنبأنا سعيد الجريري عن أبي نعمة:

أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتَهَا.

فقال: يا بني سل الله الجنة وتعوّذ به من النار، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الظُّهُورِ وَالْذُّعَاءِ».

وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر والصياح، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح.

روينا عن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «أَزْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا».

وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل، فيقولون: اللَّهُمَّ اخْزَمْهُمْ اللَّهُمَّ العنهم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج:

خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبیر: الرحمة ههنا الثواب، فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ، كقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع. وقال أبو عمرو بن العلاء: القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه المرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلَ الرِّيحَ بَشْرًا﴾، قرأ عاصم ﴿بَشْرًا﴾ بالباء وضمها وسكون الشين ها هنا وفي الفرقان [٤٨] وسورة النمل [٦٧]، يعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: ﴿الرِّيحُ مَبْشُرٌ﴾ [الروم: ٤٦]، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾ بالنون وفتحها، وهي الرياح الطيبة اللينة، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّشِيرَاتُ تَشِيرُهُنَّ﴾ [المرسلات: ٣]، وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية. ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنُ الْعَالَمِينَ﴾، أي:

قدام المطر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد

وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ أَذَى خَبْتٍ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأِينَ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُنِيعْكُمْ رَسُولِي فَإِنْ أَنْصَحْتُ لَكُمْ وَأَعْلَمْتُكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَيِشْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى دَجَلٍ يَتَكَلَّمُ بِشَازِئِكُمْ وَلَنْفَعُوا لَكُمْ تَرْجُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَعْيَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْفُلْكِ وَأَعْرِفْنَا الْذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّا نَهْمُ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ عَادُوا لَعَلَّاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَلَمْ لَا الْذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا لَكُمْ لَنْتُمْ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَاهِرُكَ مِنَ الْكَذِبِ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

١٥٨

الخطيب أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنبأنا أبو العباس الأصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال:

أَخَذْتُ النَّاسَ رِيحَ بَطْرِيقِ مَكَّةَ وَعَمِرُ حَاجٍ فَاسْتَدَثْتُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَا بَلَغَكُمْ فِي الرِّيحِ؟ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا، فَبَلَغَنِي الَّذِي سَأَلَ عُمَرَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الرِّيحِ فَاسْتَحْثَثْتُ رَاخِلَتِي حَتَّى أَدْرَكْتُ عُمَرَ وَكُنْتُ فِي مَوْخَرِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْتَ أَنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الرِّيحِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَبِالْعَذَابِ فَلَا تَسْبُوهَا وَسَلُّوْهُا اللَّهُ مِنْ خَيْرِهَا وَتَعَوَّذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا». وَرَوَاهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ بِإِسْنَادِهِ.

﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾، حَمَلَتْ

الرياح، ﴿سَكَابًا يَفْثَالًا﴾، بالمطر، ﴿سُقْنَةً﴾، رذ الكناية إلى السحاب، ﴿لِكُلِّ مَتْنٍ﴾، أي: إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميت لا نبات فيه، ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت ﴿الْمَاءَ﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّغَرَاتِ كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتِ﴾، استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال أبو هريرة وابن عباس: إذا

مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطراً كمنى الرجال من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يُلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم، ثم يُحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: ﴿يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢].

﴿٥٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿وَالَّذِي خَبْتُ﴾، يريد الأرض السبخة التي، ﴿لَا يَخْرُجُ نَبَاتُهَا﴾، ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً

بعناء ومشقة. فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاء وعقله وانتفع به، والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن ولا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين فيه أثر المطر، ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نَبِيْنَهَا﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَاحٌ لَا تُمَسِّكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ وَمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس، وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقيل: بُعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة. وقال مقاتل: ابن مائة سنة. وقال ابن

عباس: سُمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه. واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربّه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم، فقال: احسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه أعبتي أم عبت الكلب؟ فقال: لقومه: **يَقُولُ أَتَيْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**، قرأ أبو جعفر والكسائي **مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**، بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: **هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ** [فاطر: ٣]، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: ما لكم غيره من إله، **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ**، إن لم تؤمنوا، **عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ**.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، خطأ وزوال عن الحق، **ثُبِينٍ**، بين.

قَالَ نُوحٌ: يَقُولُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة الضلال، أو على تقديم الفعل، **وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**.

أَتَيْتُكُمْ، قرأ أبو عمرو: **أَتَيْتُكُمْ**، بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ، لقوله: **لَقَدْ أَلَيْتُكُمْ** [الأعراف: ٩٣]، **وَسَلَّيْتُ رَبِّي**، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ؛ لقوله تعالى: **يَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** [المائدة: ٦٧]، رسالات ربي، **وَأَنْصَحُ لَكُمْ**، يقال: نصحته ونصحت له، والنصح أن يريد لغيره

من الخير ما يريد لنفسه، **وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**، أن عقابه لا يُردّ عن القوم المجرمين.

أَوْ عَجِبْتُمْ، ألف استفهام دخلت على واو العطف، **أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان. وقيل: رسالة. **عَلَى نَجْوَى يُصْهِرُ يَصْهِرُكُمْ**، عذاب الله إن لم تؤمنوا، **وَلَنْتَقُوا**، أي: لكي تتقوا الله، **وَلَقَدْ كُذِّبْتُمْ**، لكي ترحموا.

فَكَذَّبُوهُ، يعني: كذبوا نوحاً، **فَأَعْيَبْنَاهُ**، من الطرفان، **وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ**، في السفينة، **وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا عَمِينَ**، أي: كفاراً. قال ابن عباس: عابت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمى والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق.

قوله تعالى: وَلَا عَادَ لَنَاخُمْ هُودًا، أي: وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد الأولى **لَنَاخُمْ**، في النسب لا في الدين، **هُودًا**، وهو هود بن عبد الله بن رياح بن الجلود بن عاد بن عوص، وقال ابن إسحاق: هود بن شالخ بن

أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ **أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذَكُرُكُمْ أَذْجَعَكُمُ خَلْفَاءَ مِنْ بَدْوٍ قَوْمٍ نُوحٍ وَآدَكُمُ فِي الْخَلْقِ بِسْمَلَةٍ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّدُمْ وَنَذَرُ مَا كَانَ بِأَبَائِنَا إِنَّا كَانُوا قَوْمًا شَاكِرِينَ** **قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَيْبٌ أَنْجِدُونِي فِي أَسْمَلِهِمْ سَفِينَتُهُمَا اثْنَوْنِهَا وَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ** **فَأَجِئْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَفَلَّحْنَا دَابِلَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ** **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا آلَهُمْ قَالُوا يَتَّبِعُوكُمُ اللَّهُ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي تَنْزِلُ فِي الْوَحْيِ قَدْ جَاءَكُمْ فَكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ آيَةُ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تَدْرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهُا بِأَسْوَءِ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ عَذَابُ آيَةٍ**

أرفخشذ بن سام بن نوح، **قَالَ يَتَّبِعُوكُمُ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ**، أفلا تخافون نعمته.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، يا هود، **فِي سَفَاهَةٍ**، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو إلى دين لا تعرفه، **وَأِنَّا نَتْلُوكِ مِنْ أَلْفَاظٍ**، أنك رسول الله إلينا.

قَالَ هُودٌ: يَتَّبِعُوكُمُ اللَّهُ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ، ناصح أَدْعُوكُمُ إِلَى التَّوْبَةِ آمِينَ عَلَى الرِّسَالَةِ. قال الكلبي: كنت فيكم قبل اليوم آميناً.

أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ

مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، يعني: نفسه، ﴿يُنْذِرُكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾، يعني: في الأرض، ﴿مِنْ بَدَدِ قَوْمٍ تُوحِشُ﴾، أي: من بعد إهلاكهم، ﴿وَرَدَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾، أي: طولاً وقوة. قال الكلبي والسدي: كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير منهم ستون ذراعاً. وقال أبو حمزة الشمالي: سبعون ذراعاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمانون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً. وقال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها الضباغ وكذلك مناخرهم. ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾، نعم الله، واحدها إلى، وآلاء مثل معي وأمعاء وقفا وأقفاء، ونظيرها: ﴿آيَةُ اللَّهِ إِلَيْكَ﴾ [الزمر: ٩]، واحدها أنى وأناء، ﴿فَلَا تُكْفِرُوا بِنُفُسِكُمْ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُسَبِّحَ اللَّهَ وَنَحْمَدَهُ وَنَذَرَهُ مَا كَانَ بِنُفُسِكُمْ أَتَابَاؤُكُمْ﴾، من الأصنام، ﴿فَأَيْنَأَيَّمَا نَعْبُدُكُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ هُودُ﴾، قد وقع، وجب ونزل، ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾، أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، ﴿وَعَصَبٌ﴾، أي: سخط، ﴿أَتَجِدُونِي فِي تَأْسَافٍ سَمِينَةٍ﴾، وضعتموها، ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾، قال أهل التفسير: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان،

﴿فَأَنْظِرُوا﴾، نزول العذاب، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿فَأَجِئْتَهُ﴾، يعني: هوداً عند نزول العذاب، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ يَرْجِعُونَ مَنَا وَطَعْنَا ذَايَرِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

قصة عاد

وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا قوماً ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، صنم يقال له صدى وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فأمرهم أن يؤخدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك، فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فبنوا المصانع ويطشوا بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى، مختلفة أديانهم وكلهم معظّم لمكة، وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق، لأن أباهم عمليق بن لاذا بن سام بن نوح، وكان سيد

العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلدة بنت الخبيري رجل من عاد، فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا: جهّزوا وفدأ منكم إلى مكة فليستسقوا لكم، فبعثوا قيل بن عتر ونعيم بن هزال من هزيل وعقيل بن صندي بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجهلمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن صندي بن عاد الأكبر، فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر، وكان سيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه، وقال: هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيبي، والله ما أدري كيف أصنع بهم، استحي أن أمرهم بالخروج إلى ما بُعثوا إليه، فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً، فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فالتتا: قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يُحرّكهم، فقال معاوية بن بكر:

أَلَا يَا قَبِيلَ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيِّمِ
لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِينَا غَمَامًا
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَادًا
قَدْ أَمْسُوا لَا يَبْقِيُونَ الْكَلَامَا
مَنْ الْعَطْشُ الشَّدِيدُ فَلَيْسَ نَرْجُو
بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغُلَامَا
وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ
فَقَدْ أَمْسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَّامِي
وَأَنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارًا
فَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا
وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اسْتَهَيْتُمْ
نَهَارُكُمْ وَلَيْلُكُمْ تَمَامَا
فَقُبِّحَ وَفُذِّكُم مِّنْ وَفْدِ قَوْمٍ
وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
فَلَمَّا غَشَّتْهُمُ الْجَرَادَاتَانِ هَذَا قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ إِنَّمَا بَعَثَكُمْ
قَوْمُكُمْ يَتَغَوَّثُونَ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي نَزَلَ
بِهِمْ وَقَدْ أَبْطَأْتُمْ عَلَيْهِمْ فَادْخُلُوا هَذَا
الْحَرَمَ فَاسْتَسْقُوا لِقَوْمِكُمْ، فَقَالَ
مُرْتَدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَفِيرٍ وَكَانَ قَدْ آمَنَ
بِهِودٍ سِرًّا: إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تُسْقُونَ
بِدَعَائِكُمْ وَلَكِنْ إِنْ أَطَعْتُمْ نَبِيَكُمْ
وَأَنْبَيْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ سُقِيتُمْ، فَظَاهَرَ
إِسْلَامَهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ شِعْرًا:

عَصَتْ عَادٌ رَسُولَهُمْ فَأَمْسُوا
عَطَاشًا مَا تَبْلَهُمُ السَّمَاءُ
لَهُمْ صَنْمٌ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ
يُقَابِلُهُ صِدَاءٌ وَالْهَبَاءُ
فَبَصَرْنَا الرُّسُولَ سَبِيلَ رَشَدٍ
فَأَبَصَرْنَا الْهُدَى وَجَلَى الْعَمَاءُ
وَأَنَّ إِلَهَ هُودٍ هُوَ إِلَهِي
عَلَى اللَّهِ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ
فَقَالُوا لِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ: احْبِسْ
عَنَّا مُرْتَدُ بْنُ سَعْدٍ فَلَا يَقْدَمَنَّ مَعَنَا
مَكَّةَ فَإِنَّهُ قَدْ اتَّبَعَ دِينَ هُودٍ وَتَرَكَ دِينَنَا
ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ لِعَادٍ،
فَلَمَّا وَلَّوْا إِلَى مَكَّةَ خَرَجَ مُرْتَدُ بْنُ

سَعْدٍ مِنْ مَنْزِلِ مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ
قَبْلَ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ مِّمَّا خَرَجُوا
لَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَامَ يَدْعُو اللَّهَ،
وَبِهَا وَفْدُ عَادٍ يَدْعُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ
أَعْطِنِي سُوْلِي وَحْدِي وَلَا تَدْخُلْنِي فِي
شَيْءٍ مِّمَّا يَدْعُوكَ بِهِ وَفْدُ عَادٍ، وَكَانَ
قَبِيلُ بَنِي عَنَزٍ رَأْسُ وَفْدِ عَادٍ، فَقَالَ
وَفْدُ عَادٍ: اللَّهُمَّ أَعْطِ قَبِيلًا مَا سَأَلَكَ
وَاجْعَلْ سُوْلَنَا مَعَ سُوْلِهِ، وَكَانَ قَدْ
تَخَلَّفَ عَنْ وَفْدِ عَادٍ - حِينَ دَعَوْا -
لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ، وَكَانَ سَيِّدَ عَادٍ،
حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا مِنْ دَعْوَتِهِمْ قَامَ
فَقَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّتْكَ وَحْدِي فِي
حَاجَتِي فَأَعْطِنِي سُوْلِي، وَسَلَّ اللَّهُ
طُولَ الْعُمُرِ فَعُمِرَ عُمُرُ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ،
وَقَالَ قَبِيلُ بَنِي عَنَزٍ حِينَ دَعَا: يَا إِلَهَنَا
إِنْ كَانَ هُوَذَا صَادِقًا فَاسْقِنَا فَإِنَّا قَدْ
هَلَكْنَا، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَ ثَلَاثًا بَيَاضَ
وَحُمْرًا وَسُودَاءَ، ثُمَّ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ
السَّحَابِ: يَا قَبِيلُ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ
وَقَوْمِكَ مِنْ هَذِهِ السَّحَابِ مَا شِئْتَ،
فَقَالَ قَبِيلُ: اخْتَرْتُ السَّحَابَةَ السُّودَاءَ
فَإِنَّهَا أَكْثَرُ السَّحَابِ مَاءً فَنَادَاهُ مُنَادٍ
اخْتَرْتُ رَمَادًا رَمْدًا لَا يَبْقَى مِنْ آلِ
عَادٍ أَحَدًا، وَسَاقَ اللَّهُ السَّحَابَةَ
السُّودَاءَ الَّتِي اخْتَارَهَا قَبِيلُ بِمَا فِيهَا مِنْ
النَّقْمَةِ إِلَى عَادٍ حَتَّى خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ وَادٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمَغِيثُ، فَلَمَّا
رَأَوْهَا اسْتَبْشَرُوا وَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ
مَمْطُرٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَبَلِّغُكُمْ
أَنْتُمْ جَلَّتُمْ يَدِي رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الْأَحْقَافُ:
٢٤ - ٢٥]، أَي: كُلُّ شَيْءٍ مَرَّتَ
بِهِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَبْصَرَ مَا فِيهَا
وَعَرَفَ أَنَّهَا رِيحٌ مَهْلِكَةٌ أَمْرَأَةً مِنْ عَادٍ
يُقَالُ لَهَا مَهْدَدٌ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ مَا فِيهَا

صَاحَتْ [بِأَعْلَى صَوْتِهَا] ثُمَّ صُعِقَتْ،
فَلَمَّا أَفَاقَتْ قَالُوا لَهَا: مَاذَا رَأَيْتِ؟
قَالَتْ: رَأَيْتُ الرِّيحَ فِيهَا كَشَبَّ النَّارِ
أَمَامَهَا رِجَالٌ يَقْوَدُونَهَا، فَسَخَّرَهَا اللَّهُ
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا،
فَلَمْ تَدَعْ مِنْ آلِ عَادٍ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ،
وَاعْتَزَلَ هُودٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي حَظِيرَةِ مَا يَصِيْبُهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الرِّيحِ إِلَّا مَا تَلَيْنَ عَلَيْهِ الْجُلُودَ وَتَلَذَّ
الْأَنْفُسَ، وَإِنَّهَا لَتَمُرُّ مِنْ عَادٍ بِالْظُّلَمِ
فَتَحْمِلُهُمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَتَدْمِغُهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَخَرَجَ وَفْدُ عَادٍ
مِنْ مَكَّةَ حَتَّى مَرُّوا بِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ
فَنَزَلُوا عَلَيْهِ فَبَيْنَمَا هُمْ عِنْدَهُ إِذَا أَقْبَلَ
رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةٍ مَسَاءً
ثَالِثَةً مِنْ مَصَابِ عَادٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ،
فَقَالُوا لَهُ: فَايْنُ فَارَقْتُمْ هُودًا
وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: فَارَقْتُهُمْ بِسَاحِلِ
الْبَحْرِ فَكَانَهُمْ شَكُّوا فِيمَا حَدَّثْتُهُمْ بِهِ،
فَقَالَتْ هَزِيلَةُ بِنْتُ بَكْرٍ: صَدَقَ وَرَبُّ
مَكَّةَ.

وَذَكَرُوا أَنَّ مُرْتَدَّ بْنَ سَعْدٍ
وَلُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَقَبِيلُ بَنِي عَنَزٍ حِينَ
دَعَوْا بِمَكَّةَ قِيلَ لَهُمْ: قَدْ أُعْطِيْتُمْكُمْ
مُنَاكُمْ فَاخْتَارُوا لَأَنْفُسِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ لَا
سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ، وَلَا بَدْءَ مِنَ
الْمَوْتِ، فَقَالَ مُرْتَدُّ بْنُ عَادٍ: اللَّهُمَّ
صَدِّقًا وَبِرًّا فَأَعْطِنِي ذَلِكَ، وَقَالَ
لُقْمَانُ: أَعْطِنِي يَا رَبُّ عَمْرًا قَبِيلَ لَهُ
اخْتَرْتُ فَاخْتَارَ عُمُرُ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ، فَكَانَ
يَأْخُذُ الْفَرْخَ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضَتِهِ
فَيَأْخُذُ الذَّكَرَ مِنْهَا لِقَوْتِهِ، حَتَّى إِذَا
مَاتَ أَخَذَ غَيْرَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
حَتَّى أَتَى عَلَى السَّابِعِ، وَكَانَ كُلُّ نَسَرٍ
يَعِيشُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكَانَ آخِرُهَا لِبَدًا
فَلَمَّا مَاتَ لِبَدُ مَاتَ لُقْمَانُ مَعَهُ. وَأَمَّا

﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ آلِ اللَّهِ﴾، أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال بيت الله، ﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾، نصب على الحال، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾، العشب، ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾، لا تصيبوها بعقر، ﴿يَاْأَخَذَكُمْ عَذَابُ آلِ اللَّهِ﴾.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾، أسكنكم وأنزلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يُوْتًا﴾، كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبل، وقيل: كانوا ينحتون في الجبل البيوت لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفِيدِينَ﴾، والعيث: أشد الفساد.

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾، قرأ ابن عامر: وقال الملا بالواو، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، يعني: الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصلاح، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوهُ﴾، يعني الأنبياء، ﴿لِئِنْ ءَمِنَ مِنْهُمْ﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين، ﴿أَتَمَلُّوْنَ أَنَّ صِلَامًا مَّرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ﴾، إليكم، ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَمَّسْنَاهُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، جاحدون.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾، قال الأزهرى: العقر هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً لأن

في البحر ولم تخرج ربح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها. وفي الحديث:

«إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم». وروى عن علي رضي الله عنه: أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كتيب أحمر. وقال عبد الرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً،

وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة.

ويروى: أن النبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾. وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد ههنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود لقلة ماثها، والشمذ: الماء القليل، فكانت مساكنهم الجحر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب لا في الدين، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود، ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة من ربكم على صدقي،

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يُوْتًا فَادْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفِيدِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِمَنْ ءَمِنَ مِنْهُمْ أَتَمَلُّوْنَ أَنَّ صِلَامًا مَّرْسَلًا مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَمَّسْنَاهُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٥﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَقْبَانًا تَدْعَانِ أَنْ كُتِبَ مِنَ الْمَرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٧٧﴾ فَمَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَيْتُمْكُمْ بِرِسَالَةٍ رَبِّي وَصَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ التَّجْتَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَمَلٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَسَةِ بَلْ أَتَتْكُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾

قيل فإنه قال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي، فقيل له: إنه الهلاك، فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم، فأصابه الذي أصاب عاداً من البلاء والعذاب فهلك.

قال السدي: بعث الله على عاد الرياح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الرياح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الرياح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فآلتهم فيه.

وروي أن الله عز وجل أمر الرياح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الرياح فكشفت عنهم الرمال فاحتلمتهم فرمت بهم

ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿وَعَتَوَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، والعتو الغلو بالباطل، يقال: عتا يعتو عتواً إذا استكبروا. والمعنى: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وَقَالُوا يَصْلِحُ أَمْرُنَا بِمَا نُوَدِّعُ﴾، أي: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾، قيل: أراد الديار، وقيل: أراد في أرضهم وبلداتهم، فلذلك وخذ الدار، ﴿خَاشِعِينَ﴾، خامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

﴿٧٩﴾ ﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض صالح، ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا بَنِي قَوْمٍ لَقَدْ أَفْلَحْتُمْ مَسَآلَةَ رَبِّي وَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُجِبُونَ التَّائِبِينَ﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة؟

قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أتكم أطيعم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون».

وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم، وقيل: في الآية تقديم

وتأخير تقديرها: فتولّى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة.

وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن إسحاق ووهب وغيرهما: أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها وعمرها وكثروا حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً، وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله، فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً وموضعاً، فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً فدعاهم إلى الله حتى شمت وكبر لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون، فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يُريهم آية تكون مصداقاً لما يقول، فقال لهم: آية تريدون؟ قالوا: أنخرج معنا غداً إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إليهم وتدعو آلهمتنا، فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا، فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم، وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يُستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال جندع بن عمرو بن حوَّاس وهو يومئذ سيد ثمود: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة - وهي صخرة

منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة - ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء - والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل - فإن فعلت صدقناك وأما بك، فأخذ عليهم صالح موافقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي، قالوا: نعم، فصلّى صالح ركعتين ودها ربه فتمخضت الصخرة تمخض التوتج بولدها، ثم تحركت الهضبة فانصدت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصّفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظماً، وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم، فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورياب بن صمغر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود، فلما خرجت الناقة قال لهم صالح: هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء، وكانت ترد الماء غباً فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بشر الناقة فماتت وترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتفتشخ حتى تفجع لهم فيحلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدّخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر أن تصدر من حيث ترد يضيق عنها، حتى إذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاءوا من الماء ويدّخرون ما شاءوا ليوم

الناقة، فهم من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر يظهر الوادي فتهرب منها المواشي أغنامهم وبقرهم وإبلهم فتتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجده، وتشتو ببطن الوادي إذ كان الشتاء فتهرب مواشيهـم إلى ظهر الوادي في البرد والجذب فأضـرّ ذلك بمواشيهـم للبلاء والاختبار، فكبر ذلك عليهم وعـتوا عن أمر ربهـم وحملهم ذلك على عقر الناقة، فأجمعوا على عقرها، وكانت امرأتان من ثمود إحداهما يقال لها: عنيزة بنت غنم بن مجلز تكتى بأـم غنم، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقـر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة، وكانتا من أشدّ الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضـرت بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فـدعث صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة، وعرضت عليه نفسها إن هو فعل فأبى عليها، فـدعث ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وأكثرهم مالاً، فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلاً أحمر أزرق العينين قصيراً، يزعمون أنه كان لزانة ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراش سالف، فقالت: أعطيك

أني بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زعمة. أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ أُبَيِّنْتُ أَشَقْنَهَا﴾ [الشـمس: ١٢]، اتبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زعمة.

رجعنا إلى القصة، قالوا: فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط، فانطلق قدار وصـدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في طريق آخر فمزّت على مصدع، فرماها بسهم فانتظم به في عضلة ساقها، وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم ذمرت، فشـد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرّت ورغت رغاء واحدة تحذر سـقبها، ثم طعن في لبتها فنحرها، وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى سـقبها ذلك انطلق [هارباً] حتى أتى جبلاً منيعاً يقال له صنو، وقيل: اسمه قارة وأتى صالح فقيل له: أدرك الناقة فقد عقرت، فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه يا نبي الله إنما عقرها

فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فمسي أن يرفع الله عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في السماء حتى ما يناله الطير، وجاء صالح فلما رآه الفصل بكى حتى سالت دموعه، ثم رغا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها، فقال لهم صالح: لكل رغبة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب. وقال ابن إسحاق: اتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة، وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذؤاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جرّه برجله فأنزله، وألقى لحمه مع لحم أمه، فقال لهم صالح: انتهكتـم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته، فقالوا وهم يهزؤون به: ومتى ذلك؟ وما آية ذلك يا صالح؟ وكانوا يستـمن الأيام فهم الأحد أول والاثنين أهون والثلاثاء ديار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروية والسبت شبار، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تُصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة، ثم تُصبحون يوم العروية ووجوهكم محمرة، ثم تُصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب يوم أول، فلما قال لهم صالح قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحاً فإن كان

صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً قد كنا ألحقناه بناقته فأتوه ليلاً لبيئته في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح [لينظروا أصحابهم] فوجدوهم قد رُضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلوننا أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ريبكم عليكم إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم ممن وره ما تريدون فأنصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم، فعند ذلك أيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح هارباً منهم حتى جاء إلى بطن من ثمود يقال لهم بني غنم، فنزل على سيدهم رجل يقال له: نفيل ويكنى بأبي هذب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدروا عليه فغعدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم: يا نبي الله إنهم ليعذبوننا لنهديهم عليك أفندلهم؟ قال: نعم، فدلهم عليه وأتوا أبا هذب فكلّموه في ذلك، فقال: نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل، فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من العذاب، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم،

فلما أمسوا صاحوا جميعاً ألا قد مضى يومان من الأجل، وعرفوا أنه العذاب فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وبكوا، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم ألا قد حضركم العذاب، فلما أن كانت ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام، فنزل رملة فلسطين، فلما أصبح القوم تكفّنوا وتحنّطوا وألقوا أنفسهم إلى الأرض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرّة وإلى الأرض مرّة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتدّ الضحى من يوم الأحد أتتهم صبيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَثٍ﴾، إلا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة الكفر والعداوة لصالح فأطلق الله رجلها بعدما عاينت العذاب فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قزح وهو واد القرى، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود، ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت. وذكر السدي في عقر الناقة: فأوحى الله إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد لنا ولد في هذا الشهر إلا قتلناه، قال: فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك وكان ابنه أزرق [العينين] أحمر فنبت نباتاً سريعاً فكان إذا مرّ بالتسعة ورأوه قالوا: لو كان أبناءنا أحياء لكانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم، فتقاسموا بالله لنبيته وأهله، قالوا: نخرج ليرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر فأتى الغار فنكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناها فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فبتنا فيه ثم انصرفنا إلى رحلنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقونا ويظنون أننا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام معهم في القرية، وكان يبيت في مسجد يقال له: مسجد صالح، فإذا أصبح أتاها فوعظهم وذكرهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه، فانطلقوا فدخلوا الغار، فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد أطلع على ذلك منهم فإذا هم رضى فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله ما رضي صالح أن أمرهم يقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية [عليهم فراوهم قتلاً فأجمعوا] على عقر الناقة. وقال ابن إسحاق: كان تقاسم التسعة على

تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا، قال السدي وغيره: فلما ولد ابن العاشر يعني قذاد، شب في اليوم شباب غيره في الجمعة وشب في شهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب، فأرادوا ماءً يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم وقالوا: ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرورنا كان خيراً لنا، فقال ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فقررها.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بثرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء.

وقال نافع عن ابن عمر: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبائها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البشر التي كانت تردها الناقة.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخل

أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ثم قال: «أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها، وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه [دفن] ودفن معه غصن من ذهب»، وأراهم قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتنروه بأسيا فهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن.

وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف فخرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة، يقال لها حاصوراء، قال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، [وأقام في قومه عشرين سنة].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، أي: وأرسلنا لوطاً، وقيل: معناه واذكر لوطاً. وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوِيهِ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطاً شخص من أرض بابل سافر مع

عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطاً الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فيقال لهم، ﴿اتَّأْتُونَ النَّحْشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، ﴿هَآ سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ أَلَعَلَّيْنَ﴾، قال عمرو بن دينار: ما يرى ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط.

﴿إِنَّكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وحفص (إنكم) بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستثناف، ﴿اتَّأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، في أدبارهم، ﴿فَتَهَوَّؤُنَّ فِي دُورِ الرِّجَالِ﴾، فسرت تلك الفاحشة: يعني أدبار الرجال أشهى إليكم من فروج النساء، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ﴾، مجاوزون الحلال إلى الحرام. قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فأذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتهم، فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صباحاً فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا بهم، فاستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا يتكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح في دبره ثم نشأ فيهم، فأمر الله تعالى السماء أن

تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم .

﴿٨٢﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، قال بعضهم لبعض، ﴿الْأَخْرَجُوهُمْ﴾، يعني: لوطاً وأهل دينه، ﴿فَمِنْ قَرْنَيْكُمْ إِنَّهُمْ فَأَنْشُ يَنْظُرُونَ﴾، ينتزهون عن أديار الرجال.

﴿٨٣﴾ ﴿فَأَجَبْنَاهُ﴾، يعني: لوطاً، ﴿وَأَهْلَهُ﴾، المؤمنين، وقيل: أهله ابنه، ﴿إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْقَتِيلِينَ﴾، يعني: الباقيين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقيين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: ﴿مِنْ الْقَتِيلِينَ﴾، لأنه أراد ممن بقي من الرجال فلما ضَمَّ ذكرها إلى ذكر الرجال قال: ﴿مِنْ الْقَتِيلِينَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾، يعني: حجارة من سجيل، قال وهب: الكبريت والنار، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب أَمَطَر، وفي الرحمة: مطر.

﴿٨٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وهم أصحاب الأيكة ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ في النسب لا في الدين. قال عطاء: وهو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم.

وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن

ميكائيل بن يسخر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين بن يسخر، وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان، ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَغْبُدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ولم يكن لهم آية؟ قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، فأنتموا الكيل، ﴿وَالْيِزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: ببعث الرسل والأمر بالعدل، وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، ﴿خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بما أقول.

﴿٨٦﴾ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا يَكْلِيَّ صِرَاطٍ﴾، أي: على كل طريق، ﴿وَتَعْدُونَ﴾، تهذون، ﴿وَتَصْذُرُونَ﴾، عن سبيل الله، ديسن الله، ﴿فَمِنْ

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرَجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْشُ يَنْظُرُونَ﴾، فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْقَتِيلِينَ ﴿فَمِنْ قَرْنَيْكُمْ إِنَّهُمْ فَأَنْشُ يَنْظُرُونَ﴾، يَنْتَزِهُونَ عَنْ أَدْيَارِ الرِّجَالِ. ﴿٨٣﴾ ﴿فَأَجَبْنَاهُ﴾، يَعْنِي: لُوطًا، ﴿وَأَهْلَهُ﴾، الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: أَهْلُهُ ابْنُهُ، ﴿إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْقَتِيلِينَ﴾، يَعْنِي: الْبَاقِيِينَ فِي الْعَذَابِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْبَاقِيِينَ الْمَعْمُرِينَ قَدْ أَتَى عَلَيْهَا دَهْرٌ طَوِيلٌ فَهَلَكَتْ مَعَ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنْ الْقَتِيلِينَ﴾، لِأَنَّهُ أَرَادَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ الرِّجَالِ فَلَمَّا ضَمَّ ذِكْرَهَا إِلَى ذِكْرِ الرِّجَالِ قَالَ: ﴿مِنْ الْقَتِيلِينَ﴾. ﴿٨٤﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾، يَعْنِي: حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ، قَالَ وَهَبُ: الْكَبْرِيتُ وَالنَّارُ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ فِي الْعَذَابِ أَمَطَرُ، وَفِي الرَّحْمَةِ: مَطَرُ. ﴿٨٥﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أَي: وَأَرْسَلْنَا إِلَى وَلَدِ مَدْيَنَ وَهُوَ مَدْيَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْاَيْكَةِ ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فِي النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ. قَالَ عَطَاءُ: وَهُوَ شُعَيْبُ بْنُ تُوبَةَ بْنِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ شُعَيْبُ بْنُ

مَدْيَنَ بْنِ يَسَخَرَ بْنِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَقِيلَ: تَطْلُبُونَ الْاِعْوَجَاجَ فِي الدِّينِ وَالْعُدُولَ عَنِ الْقَصْدِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى [قَوَارِعَ] الطَّرِيقِ فَيَقُولُونَ لِمَنْ يَرِيدُ الْإِيمَانَ بِشُعَيْبٍ: إِنَّ شُعَيْبَ كَذَابٌ فَلَا يَفْتَنُكَ عَنْ دِينِكَ وَيَتَوَعَّدُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَتْلِ وَيَخَوِّفُونَهُمْ. وَقَالَ السَّيِّدِي: كَانُوا عَشَارِينَ. ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا تَكْذِبُكُمْ﴾، فَكُشِرَ عَدَدُهُمْ، ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، أَي: آخِرُ أَمْرِ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَلَوْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ مَأْمُورًا بِالَّذِي أَوْهَيْبُكُمْ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمَرُوا﴾، أَي: إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِي رِسَالَتِي فَصَرْتُمْ فِرْقَتَيْنِ مَكْذِبِينَ وَمَصْذِقِينَ، ﴿فَأَصْبَحُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾، بِتَعْذِيبِ الْمَكْذِبِينَ وَإِنْجَاءِ الْمَصْذِقِينَ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

الظلة فوجدوا لها برذاً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحت السحابة، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي، وصاروا رماداً.

وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر. قال يزيد الجريري: سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فإذا تحته أنهار وعيون فنادى أصحابه إليه ليستظلوا، فاجتمعوا تحته كلهم فوق ذلك الجبل عليهم، فذلك قوله: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، قال قتادة: بعث الله شعبياً إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين، أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة، وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا جميعاً. قال أبو عبد الله البجلي: كان أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين، وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة كلمن، فلما هلك قامت ابنته تبكيه:

كَلَّمُنْ قَدْ هَذَا رَكْنِي
هَلَكَهُ وَسَطُ الْمَحَلَّةِ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَنَاهِ
الْحَتَفُ نَاراً تَحْتَ ظِلِّهِ
جَعَلْتَ نَاراً عَلَيْهِمْ
دَارَهُمْ كَالْمُضْمَجَّةِ
﴿١٧٧﴾ وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيهَا﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم:

قولهم ترجع إلى ملتنا؟ قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها، وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم. ومعنى عاد: صار، وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فأمنوا فأجاب شعيب عنهم، قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، أحاط علمه بكل شيء، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فيما توعدونا به، ثم دعا شعيب بعد ما أيس من فلاحهم، فقال: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾، أي: اقض بيننا، ﴿يَالْمَلِكُ﴾، والفتاح: القاضي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، أي: الحاكمين.

﴿١٧٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعْبًا، دِينَكُمْ،﴾ [الأنعام: ١٧٨] ﴿لَا تَخْشَوْنَ﴾، مغبونون، قال عطاء: جاهلون. قال الضحاك: عجزة.

﴿١٧٩﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، قال الكلبي: الزلزلة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثثِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حراً من الظاهر، فخرجوا هرباً إلى البرية، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت وهي

﴿١٨٠﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِيهَا إِن تَوَلَّوْا كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿فَدَاخِرُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْجَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا إِنَّا نَقْتَضِعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعْبًا لَنُكَرِّدَنَّكُمْ﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثثِينَ﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَوَّاهُمُ الْخَضِيرُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿فَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَقْصُودًا﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالْأَضْرَكِ لَمَلَهُمْ ضَرَعُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئِ الْحَسَنَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آهَابُكَ الْأَضْرَكُ وَالْأَضْرَكُ فَأَخَذَتْهُمُ بَقَّةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾

﴿١٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، يعني: الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به، ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِيهَا﴾، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه، ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، يعني: ولو كنا، أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبرونا عليه؟

﴿١٩٠﴾ ﴿فَدَاخِرُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْجَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، بعد إذ أنقذنا الله منها، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾، يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيتته أنا نعود فيها، فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَوْ نَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح

غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني المنازل واحدها مغنى، وقيل: كأن لم يتمتعوا فيها. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْكَافِرِينَ﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، أعرض عنهم شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وَقَالَ يَقُورُ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِسُلْطَانٍ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأْسَى﴾، أحزن، ﴿عَلَى قُورٍ كَافِرِينَ﴾، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾، عاقبنا ﴿أَهْلَهَا﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَكِ﴾، قال ابن مسعود: البأساء الفقر والضرء المرض، وهذا معنى قول من قال البأساء في المال والضرء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضرء الضر وسوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضرء في الجذب، ﴿لَقَلَّهِنَّ يَنْتَرِعُونَ﴾، لكي ينضروا فيتوبوا.

﴿ثُمَّ يَدَلُّنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْمَسْتَنَةِ﴾، يعني مكان البأساء والضرء الحسنة، يعني: النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حَتَّى عَقَرُوا﴾، أي: كثرُوا وازدادوا، أو كشرت أموالهم، يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: كشرت أموالهم وأولادهم، ﴿وَقَالُوا﴾، من غزتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا أَلَمْ نَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً

لنا ولآبائنا ولم يكن ما مننا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى عز وجل: ﴿فَلَعَلَّخْتُمْ يَنْتَهَى﴾، فجأة آمن ما كانوا، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بتزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض. وأصل البركة:

المواظبة على الشيء، أي: تابعا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب، ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الأعمال الخبيثة.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾، الذين كفروا وكذبوا بآياتنا، يعني: مكة وما حولها، ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿بَيِّنَةً﴾، ليلاً، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿أَوْ آمِنَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام: ﴿أو آمن﴾ بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أَقْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾، أي: نهاراً، والضحى: صدر النهار، وقت انبساط الشمس، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، ساهون لاهون.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، ومكر الله استدراجهم إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم.

سورة الأعراف

سورة الأعراف

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَةً وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءَ أَصْبَتْنَاهُمْ يَدُوبُهُمْ وَنَطَعِمْ عَلَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿فَلَا يَكْفُرُ الْفَرِيقُ نَفْصَ عَلَيْكَ مِن أَتْيَاهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَكُمُ الْيَمِينَ وَآلَافًا مِّنْ مَّائَةٍ وَتِسْعًا مِّنْ مَّائَةٍ مِّنْ تِلْكَ آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا أَفْئِدَتَهُمَا قَالُوا لَنَنصُقَيْنِ أَفْئِدَتَنَا لَهُمَا فَنَنصُقَهُمَا لَكَ يَا أَدْنَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُخَبِّرُونَكَ فِي رَسُولٍ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

١١٢

وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، قرأ قتادة ويعقوب: ﴿نهدي﴾ بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التثريد، يعني: أو لم يتبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ﴾، هلاك ﴿أَهْلِهَا﴾، الذين كانوا فيها، ﴿أَن لَّوْنَشَاءَ أَصْبَتْنَاهُمْ﴾، أخذناهم وعاقبناهم، ﴿يَدُوبُهُمْ﴾، كما عاقبنا من قبلهم، ﴿وَنَطَعِمْ﴾، نختم، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، الإيمان ولا يقبلون الموعدة، قال الزجاج: قوله ﴿وَنَطَعِمْ﴾ منقطع عما قبله لأن قوله: ﴿أَصْبَتْنَاهُمْ﴾ ماض و﴿وَنَطَعِمْ﴾ مستقبل.

﴿فَلَا يَكْفُرُ الْفَرِيقُ﴾، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها، يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، ﴿نَفْصَ عَلَيْكَ مِن أَتْيَاهَا﴾، أخبارها لما فيها من

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ بَعِيَّ إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٢﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
حَسِبْتَ بِإِثْمِي فَإِنِّي إِن كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٤﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَمِينِهِ
لِلنَّظَرِ ﴿١٠٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قُوَّةٍ فَرَعُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَيُذِيقُ مَجْزِعَكُمْ مِنَ أَنْصَابِكُمْ فَمَا ذَاتُ مُوسَىٰ
قَالُوا أَأَرْجُوَ وَأَحَاةَ وَأَرْسِلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٠٧﴾ فَأَتَاكَ
يَكُلُ سَحَرٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَرَعَوْا قَالُوا إِنَّا
لَنَآلِفُ إِنَّا كُنَّا نَمْنَعُ الْفُلُيَيْنِ ﴿١٠٩﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي أَتُكِّمُ
لِمَنِ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ إِمَّا أَنْ تُخْلِيَهُ وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ قَالَ أَتَقُولُوا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ سَكِرُوا
أَعْيَتْ النَّاسَ وَأَسْهَبُوا هُومَهُمْ وَجَاءَهُ وَيَسْعَرُ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْكُرُونَ ﴿١١٣﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ فغلبوا
هَذَا لَمْ يَأْتُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٥﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿١١٦﴾

بالعذاب فكذبوه، يقول:
ما كانوا يؤمنوا بما كذب به
أوائلهم من الأمم الخالية،
بل كذبوا بما كذب
أوائلهم، نظيره قوله عز
وجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا
سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [الذاريات:
٥٢]. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، أي:
كما طبع الله على قلوب
الأمم الخالية التي أهلكتها
كذلك يطبع الله على قلوب
الكفار الذين كتب عليهم أن
لا يؤمنوا من قومك.

﴿وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾، أي: وفاء
بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق،
حين أخرجهم من صلب آدم،
﴿وَلَنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفْسِقِينَ﴾، ما
وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين
للعهد.

﴿قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَنِيهِمْ﴾، أي: من بعد نوح وهود
وصالح وشعيب، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَنِيهِمْ﴾، ﴿إِنِّي فَرَعُونَ وَمَلَائِكَةُ فَعَلُوا
بِهِمْ﴾، فجحدوا بها. والظلم: وضع
الشيء في غير موضعه، فظلمهم
وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فَأَنظَرُ
كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ﴾،
وكيف فعلنا بهم.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لما دخل
على فرعون، ﴿يَتَفَرَّغُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِنْ
رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾ إليك، فقال فرعون:
كذبت،

﴿١٠٢﴾ فقال موسى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ
لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أنا
خليق بأن لا أقول على الله إلا
الحق، فتكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى الباء
كما تقول: رميت بالقوس ورميت
على القوس، وجئت على حال
حسنة وبحال حسنة، ويدل عليه
قراءة أبيي والأعمش «حَقِيقٌ بِأَنْ لَا
أقول»، قال أبو عبيدة: معناه حريص
على أن لا أقول على الله إلا الحق،
وقرأ نافع ﴿عَلَيَّ﴾ بتشديد الياء، أي
حق واجب علي أن لا أقول على الله
إلا الحق. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ
رَبِّكُمْ﴾، يعني العصا، ﴿فَأَرْسِلْ بَعِيَّ
إِسْرَءِيلَ﴾، أي: أطلق عنهم
وخلهم يرجعون إلى الأرض
المقدسة، وكان فرعون قد
استخدمهم في الأعمال الشاقة من
ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما،
فقال فرعون مجيباً لموسى.

﴿١٠٣﴾ ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ حَسِبْتَ بِإِثْمِي
فَأِنِّي إِن كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
﴿١٠٤﴾ ﴿فَأَلْقَى﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾
من يده ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾،
والثعبان: الذكر العظيم من الحيات،
فإن قيل: أليس قد قال في موضع
آخر ﴿كَانَهَا جَاءَةً﴾ [النمل: ١٠]،
والجان الحية الصغيرة؟ قيل: إنها
كانت كالجان في الحركة والخفة،
وهي في جثتها حية عظيمة. قال ابن
عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا
صارت حية عظيمة صفراء شعراء
فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعاً
ارتفعت من الأرض بقدر ميل،
وقامت له على ذنبها واضعة لحيها

الاعتبار، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والمعجزات
والمعجائب، ﴿فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: فما كانوا
ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات
والمعجائب، بما كذبوا من قبل رؤيتهم
تلك المعجائب، نظيره قوله عز وجل:
﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا
بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢]. قال
ابن عباس والسدي: يعني فما كان
هؤلاء الكفار الذين أهلكتهم ليؤمنوا
عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل
يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من
ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمرُوا
التكذيب. وقال مجاهد: معناه فما
كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل هلاكهم؛ لقوله
عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾
[الأنعام: ٢٨]. قال يمان بن رباب:
هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه

الأسفل في الأرض ولحيها الأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه. وزوي أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هارباً وأخذت، وقيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمئة مرة، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً وقتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت، ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

﴿وَرَجَّحَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَةٌ لِلنَّظِيرِ﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها منه، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم اللون، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْرِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسَجْرٌ عَلِيمٌ﴾، يعنون أنه لياخذ بأعين الناس حتى يخيّل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويُرَى أن الشيء بخلاف ما هو عليه.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْحَكَكَ﴾، يا معشر القبط، ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي: تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: من قول الملا لفرعون وخاصته.

﴿قَالُوا﴾، يعني السلا، ﴿أَنبِيَّةٌ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همزة، ثم نافع برواية

ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحزمة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، قال عطاء: معناه آخره. وقيل: أحبسه. ﴿وَأَنفَأَ﴾، معناه أشلوا عليه بتأخير أمره وترك التعرض إليه بالقتل، ﴿وَأَرْبِيلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾، يعني: الشرط في المدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذه المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَكِرَةٍ عَلَيْهِ﴾﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿سحار﴾، ههنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار، قيل: الساحر الذي يعلم السحر ولا يُعَلِّمُ، والسحار الذي يعلم ويعمل. وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر. قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرياء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحراً كثيراً وواعد موسى فرعون موعداً فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعتُم؟ قال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى

به. واختلفوا في عددهم، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهم رؤساء القوم وسبعون من بني إسرائيل. وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً. وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: كان رئيس السحرة يوحنا.

﴿رَبَّاتِ السَّحَرَةِ وَفُتُوهُ﴾، واجتمعوا، ﴿قَالُوا﴾ لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، أي: جُفلاً ومالاً ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ الْقُلُوبِ﴾، قرأ أهل الحجاز وحقق: ﴿إِنْ لَنَا﴾ على الخير، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ وَلَكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

﴿قَالُوا﴾ يعني السحرة، ﴿يَكُونُ لَنَا أَنْ تُلْقَى﴾، عصاك، ﴿وَلَمَّا أَنْ كُنَّا عَنْ الْقُلُوبِ﴾، لعصينا وجبالنا.

﴿قَالَ﴾ لهم [موسى] بل ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه التخجيل، وهذا هو السحر، ﴿وَأَسْرَبَوْهُمْ﴾، أي: أربسوهم

أَنْ مَادَّنَ لَكَ، أَصَدَقْتُمْ مُوسَى مِنْ غَيْرِ أَمْرِي إِيَّاكُمْ، ﴿١١٧﴾ هَذَا لَكَ مَكْرُهُمْ، أي: صنع صنعتموه أنتم وموسى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿إِنخِرُوا بِهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ما أفعل بكم.

﴿لَأَطِيعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفِي﴾، وهو أن يقطع من كل شق طرفاً. قال الكلبي: لأطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ثُمَّ لَأَصِلَنَّهُمْ أَمْجُوعٌ﴾، على شاطئ نهر مصر.

﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة لفرعون: ﴿إِنَّا إِنَّا رَبَّنَا مُقْبِلُونَ﴾، راجعون في الآخرة.

﴿وَمَا نَقِمْ مَتَا﴾، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿إِنَّا أَنَا رَبَّنَا يَأْتِي رَبَّنَا لَنَا جَهَنَّمَ﴾، ثم فزعوا إلى الله عز وجل فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَرَفِ عَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّاهُ مُسْلِمِينَ﴾، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا يَأْتِيَانِي أَنْتَا وَمِنَ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِقُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْرِ فِرْعَوْنَ﴾ له: ﴿أَنْتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وأرادوا بالإنفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿وَيَذَرُكَ﴾، أي: وليذرك، ﴿وَالْإِهْلَكَ﴾، فلا يعبدك

حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

﴿وَقَعَ الْحَقُّ﴾، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿وَيَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

﴿فَقُلُوا هَذَاكَ وَأَقْبَلُوا صَغِيرِينَ﴾، ذليلين مهجورين.

﴿وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾، قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم القوا.

﴿قَالُوا إِنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: إياي تعنون؟

﴿فَقَالُوا﴾، ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة: تؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لأتبعن بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأؤمنن بك، وفرعون ينظر.

﴿قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ حين آمنوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ بِرِيءٌ﴾، قرأ حفص ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ﴾ على الخبر فهنا وفي طه [٧١] والشعراء [٤٩]، وقرأ الآخرون بالاستفهام آمتم به، ﴿قَبِلَ

وأفرعهم، ﴿وَجَاءَهُ بِسَحْرِ عَظِيمٍ﴾، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشياً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

﴿وَأَرْجَا إِلَيَّ مُوسَى أَنْ آتِي عَصَاكَ﴾، فآلقها فصارت حية عظيمة حتى سدَّت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية. ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ثم فتحت فاهما ثمانين ذراعاً، ﴿فَإِذَا مِنْ تَلْقَفَتْ﴾، قرأ حفص ﴿تَلْقَفَتْ﴾ ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تبتلع، ﴿يَا يَكُونُ﴾، يكذبون من التخاييل، وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً

لِلْمُؤْمِنِينَ، بالنصر
والظفر. وقيل: السعادة
والشهادة. وقيل: الجنة.

﴿قَالُوا أَوْزِينَا﴾،

قال ابن عباس: لما آمنت
السحرة أتبع موسى ستمائة
ألف من بني إسرائيل،
فقالوا يعني قوم موسى:

إنا أوزينا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَأْتِيَنَا﴾، بالرسالة بقتل

الأسياء، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا
جِئْنَاكَ﴾، بإعادة القتل

علينا. وقيل: المراد منه

أن فرعون كان يستسخرهم

قبل مجيء موسى إلى
نصف النهار، فلما جاء

موسى استسخرهم جميع النهار بلا

أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا

يضربون اللبن بتين فرعون، فلما جاء

موسى أجبرهم أن يضربوه بتين من

عندهم. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَسَى
رَبُّكُمْ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْكُمْ

فَرْعُونَ، ﴿وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾،

أي: ويسكنكم أرض مصر من

بعدهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَقْعَلُونَ﴾،

فحقق الله ذلك فأغرق فرعون

واستخلفهم في ديارهم وأموالهم

فعبدوا العجل.

﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، أي: بالجذب

والقحط. تقول العرب: مستهم
السنة، أي: جذب السنة وشدة

السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط
سنة بعد سنة، ﴿وَنَقَّصَ مِنَ السِّنِينَ﴾
بإتلاف الغلات بالآفات والعاهات.
قال قتادة: أما السنين فلاهل البوادي،

ولا يعبدها. قال ابن عباس: كان
لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى
بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها،

فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً.

قال الحسن: كان قد علق على عنقه

صليباً يعبده. وقال السدي: كان

فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً

وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه

ألهتكم وأنا ربها وريكم، فذلك

قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَ﴾ [النازعات:

٢٤]، وقرأ ابن مسعود وابن عباس

والشعبي والضحاك: ﴿وَيَذَرُكَ
وَالْهَيْكَلُ﴾ بكسر الألف، أي: عبادتك

فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعْبَدُ ولا

يُعْبَدُ. وقيل: أراد بالآلهة الشمس،

وكانوا يعبدونها. قال الشاعر:

تروحنا من اللُعباء قصرأ
فأعجلنا الإلاهية أن تؤوبا

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَتَقِيلُ آيَاتَهُمْ﴾،

قرأ أهل الحجاز: ﴿سنقتل﴾

بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون

بالتشديد من التقتيل على التكثير،

﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، نتركهن أحياء،

﴿وَأَنَا قَوِّمُهُمْ قَبِيرُونَ﴾، غالبون.

قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء

بني إسرائيل في العام الذي قيل له أنه

يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل

يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة،

وكان من أمره ما كان فقال فرعون:

أعيدوا عليهم القتل فأعادوا عليهم

القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل إلى

موسى.

﴿قَالَ﴾ موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ، يعني:

أرض مصر، ﴿يُؤْتِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

بَنِي إِسْرَءِيلَ وَالْمَوْثِقَةُ

سورة الأعراف

سورة الأعراف

فَإِذَا جَاءَهُمْ مُسْتَسْقِمَةٌ قَالُوا إِنَّا هَدِينَا وَإِنْ تُبْصِرْ سَبِيلَهُ
يُطِيعُوا وَيُؤْمِنُوا وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا أَلَمًا أَظَرُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا هُمَا تَائِبُونَ فَأَيُّ تَائِبٍ
لَسْتُمْ بِمَا كُنَّا عَنْكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا سَلْنَا عَلَىٰ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَأَسْتَغِيثُكَ وَكَأَنَّا مُخْرَجُونَ ﴿١٣٠﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
الْجَزَاءُ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِدُ بِمَا نَصَدَّكَ عَنْهَا لَإِنَّ
كُنْهَ عَنَّا الْجِدَارَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَمُوتُونَ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَلَقَدْ سَلْنَا عَلَىٰ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْجَزَاءَ لَازِلًا لَأَجَلٍ
هُمْ يَبْغُونُ إِذْ أَهَمُّ يَكُونُونَ ﴿١٣١﴾ فَلَنَنْصَرِفَنَّهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ
فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٢﴾
وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مِثْقَلًا
الْأَرْضِ وَمَكْرَئِهِ أَلَيْسَ لَنَا بِمَكْرُومٍ وَكَانَتْ
الْحَقُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَدَّوْا وَمَنْزَلْنَا مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٣﴾

١٢٦

وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار،

﴿لَمَلَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾، أي: يتعظون،

وذلك لأن الحسنة ترفق القلوب

وترغبها فيما عند الله عز وجل.

﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ مُسْتَسْقِمَةٌ﴾،

يعني: الخصب والسعة والعافية،

﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾، أي: نحن أهلها

ومستحقوها على العادة التي جرت

لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً

من الله عز وجل فيشكروا عليها،

﴿وَإِنْ تُبْصِرْ سَبِيلَهُ﴾، جذب وبلاء

ورأوا ما يكرهون، ﴿يُطِيعُونَ﴾،

يتشاءموا، ﴿يُؤْمِنُوا وَمِنْ مَعَهُ﴾،

وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناها،
فهذا من شؤم موسى وقومه. وقال
سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر:

وكان مُلْكُ فرعون أربعمئة سنة
وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى
مكروهاً، ولو كان له في تلك المدة
جوع يوم أو حُمى ليلة أو وجع ساعة

لَمَّا ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ قَط. قال الله تعالى: ﴿آلَا إِنَّمَا طَلَيْتُمُ عَذَابَ اللَّهِ﴾، نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس: طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم، وفي رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قبل الله، أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن السذي أصابهم من الله.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: القبط لموسى، ﴿مَهْمَا مَتَى﴾، «ما» كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿تَأْتِنَا يَوْمَ يَنْزِلُ السَّحَابُ﴾، علامة، ﴿لَنَسْرَحَنَّ بِهَا﴾، لتنتقلنا عما نحن عليه من الدين، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

﴿فَارْتَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق دخل كلام بعضهم في بعض: لَمَّا آمَنَتِ السَّحَرَةُ رَجَعَ فِرْعَوْنُ مَغْلُوباً أَبَى هُوَ وَقَوْمُهُ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَادِي فِي الشَّرِّ، فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عالج بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَطَغَى وَعَتَا وَإِنْ قَوْمُهُ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَكَ، رَبِّ فَخْذِهِمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلْهَا لَهُمْ نَقْمَةً وَلِقَوْمِي عَذَابًا وَلَمْ يَنْصُرْهُمْ مِنْكَ قَوْمُهُمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ، وهو الماء أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت

القبط مشتبكة مختلطة، فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة من الماء، وركد الماء على أرضهم لا يقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عذب به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم. وروي عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الطوفان أمر من الله طاف بهم، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا عَلَيْنَا لَآئِلًا مِنْ رَبِّكَ وَفُتِّرْنَا بِهِ الْأَقْلَامَ﴾ [القلم: ١٩]، قال نحة الكوفة: الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان. وقال أهل البصرة: هو جمع واحد طوفانة.

فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك وترسل معك بني إسرائيل، فدعا ربهم فرفع عنهم الطوفان، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت لهم قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً، فلم يؤمنوا فأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلى الجراد بالجوع،

فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعمجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمننَّ لك وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.

وفي الخبر: «مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم». ويقال: إن موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت، وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفوا بما عاهدوا، وعادوا لأعمالهم السوء فأقاموا شهراً في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل. واختلفوا في القمل، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة. وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدبى الصغار التي لا أجنحة لها. وقال عكرمة: هي بنات الجراد. وقال أبو عبيدة: وهو الحمنان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ الحسن «القمل» بفتح القاف وسكون الميم، قالوا: أمر الله موسى أن يمشي إلى كتيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس، فمشى موسى إلى ذلك الكتيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم

القمل، فتنبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله، ولحسن الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً. قال سعيد بن المسيّب: القمل السوس الذي يخرج من الحبوب، وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أفجرة، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من القمل، وأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى: أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، وقالوا: ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب، وقالوا: وعزة فرعون لا نتبعه أبداً ولا نصدقه، فأقاموا شهراً في عافية فدعا موسى عليه السلام بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلات منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآتيتهم، فلا يكشف أحد إناء ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيشب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ويفتح فاه

لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينة إلا تشدخت فيه ولا يفتح قدراً إلا امتلات ضفادع، فلقوا منها أذى شديداً.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التناير وهي تغور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى، وقالوا هذه المرة: نتوب إلى الله تعالى ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً وصارت مياههم دماً فما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقال القوم: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً، فكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش

فتقول: اسقني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت تقول: اجعلني في فيك ثم مجيء في في، فتأخذ في فيها ماء فإذا مجته في فيها صار دماً، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليقطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه حليحاً أجاجاً فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. قال زيد بن أسلم: الدم الذي سخط عليهم كان الرعاف، فأثروا موسى وقالوا: يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْجَاءَ مَائِي مُمْسِكِينَ﴾، يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً، ﴿فَأَسْتَغِيثُوا وَقَالُوا قَوْمًا مَّجْرُمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ﴾، أي: نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيره. وقال سعيد بن جبير: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم أحد فأمسوا وهم لا يتدافعون، ﴿قَالُوا﴾ لموسى: ﴿يَتَوَسَّوْا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾، أي: بما أوصاك. قال عطاء: بما نبتاك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّيحَ﴾، وهو الطاعون، ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا

خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما كان للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ إنكم تكونون سنن من قبلكم».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقًا﴾﴾، قرأ ابن عامر ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقًا﴾، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، ﴿مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يَسْمُومُكُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ آبَاءَكُمْ، قرأ نافع «يقتلون» خفيفة التاء من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من القتل، ﴿وَيَسْتَجِيبُنَّ إِسْأَلَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بِالْحَقِّ﴾

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، ذا القعدة، ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِثْرِ﴾، من ذي الحجة، ﴿فَتَمَّ مِثْقَ رَبِّهِ أَزْبِيزَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿يَاخِيهِ هَؤُلَاءِ طَائِفَتِي﴾، كن خيلتي، ﴿فِي قَوْمٍ وَأَصْلِحْ﴾، أي: أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله، وقال ابن عباس: يريد الفرق بهم والإحسان إليهم، ﴿وَلَا تَلْجُ سَبِيلَ الْمُنْكَرِ﴾، أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر: أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون! فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم

ثلاثين يوماً، فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوّك بعود خروب، وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وكانت فتنتهم في العشر التي زادها.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾﴾، أي: للوقت الذي ضربنا له أن نكلّمه فيه. قال أهل التفسير: إن موسى تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه لما أتى طور سيناء. وفي القصة: إن الله عز وجل أنزل ظلمة على سبعة فراسخ وطرده عنه الشيطان وطرده عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء، ورأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكلمه الله وناجاه حتى أسمعه، وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه به ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الزجاج: فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك. قال ابن عباس: أعطني النظر إليك. فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل سأل الرؤية ظناً منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾، وليس لبشر أن يطبق النظر إليّ في الدنيا من نظر إليّ

في الدنيا مات، فقال: إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك. ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك، فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾ ولكن أنظر إليّ الجبل، وهو أعظم جبل بمدين يقال له زبير.

قال السدي: لما كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى، فوسوس إليه وقال: إن من كلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية، فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾، ولن تكون للتأيد، ولا حجة لهم فيها، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، فإنه كان يسأل الرؤية في الحال ولن لا تكون للتأيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْمُوكَ آبَاءًا﴾ [البقرة: ٩٥]، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة؛ يقولون: ﴿يَكُنَّا لِقَائِكَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ﴿يَكُنَّا كَانِي الْقَائِمَةِ﴾ [الحاقة: ٢٧]، والدليل عليه أنه لم ينسب إلى الجبل بسؤال الرؤية وأنه لم يقل إني لا أرى حتى تكون لهم حجة بل علّق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلّق بما لا يستحيل لا يكون محالاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِيَنِي﴾، قال وهب وابن إسحاق: لما سأل موسى ربه

السابعة فلما بدأ نورُ العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جلَّ جلاله، ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون: سبحان الملك القدوس ربَّ العزة أبداً لا يموت بشدة أصواتهم، فارتجَّ الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخزَّ العبد الضعيف موسى صعباً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح فيغشاها، وقلب عليه الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل اللامة، فقام موسى يستجيب الله ويقول: آمَنْتُ بِكَ رَبِّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت ربَّ الأرباب وإله الآلهة ومملك الملوك، لا يَغْدُلُكَ شيء ولا يقوم لك شيء، ربَّ تبسَّ إليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك ما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿لَلْجَبَلِ جَمَلٌ دَكَّاءُ﴾، قال ابن عباس: ظهر نورُ ربِّه للجبل جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلَّى من عظمة الله للجبل إلا مثل سمِّ الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلَّى إلا قدر الخنصر، يدلُّ عليه ما روى ثابت عن أنس أنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال «هكذا» ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل.

عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرَّوا به من قبلهم، فاصطكت ركبته وارتعد قلبه واشتدَّ بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليلٌ من كثير ما رأيت، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، فلم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلاً جوفه خوفاً واشتدَّ حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب ليراني فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم عمود مثل النخلة الطويلة، نار أشدَّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح، ربَّ العزة أبداً لا يموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يستجيب معهم حين سبَّحوا وهو يبكي ويقول: ربَّ اذكرني ولا تنسَ عبدك لا أدري أأنفلك ممَّا أنا فيه أم لا؟ إن خرجتُ احترقت وإن مكثتُ مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتدَّ خوفُك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت، ثم أمر الله أن يحمل عرشه في ملائكة السماء

الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأخاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه واعترضوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس، ففرغ العبد الضعيف ابن عمران ممَّا رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ذرعت على مسألتي فهل ينجينني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليلٌ من كثير ما رأيت. ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال النور لهم قصف ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار، ففرغ موسى واشتدَّ فزعُه وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران، فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الملائكة الذين مرَّوا به قبلهم ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم

قَالَ يَمْوُصَّىٰ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي
فَعَزَّزْنَا مَا بِيَدَيْكَ وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَنْوَاعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ وَفَعَّذْهَا بِقُرْآنٍ وَأَمْرٍ قَوْمَكَ بِأَخَذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُولَهُ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
يَهَائُلُوا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا مِّنَ الرُّشْدِ لَا يَتَذَكَّرُونَ سَيْلًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ
سَكِينًا مِّنْ أَلْفِ نَجْدٍ سَاقِطًا فَذَلِكُم بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَدْ
آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ حَبِطَتْ أَعْيُنُهُمْ هَلْ يُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِيثَاقَهُمْ
عِندَ جَدِّهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤَدُّونَ الْوَدْعَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُوهُمْ
سَبِيلًا فَأَخَذَهُمْ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَكَانُوا يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّجْرِمُونَ وَرَأَوْا النَّهْمَ فَذُكِّلُوا فَآلُوا لِيَن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَحْمَةً وَنُفِخَ فِي السُّنُوفِ مِنَ الْخُسُوفِ ﴿١٤٩﴾

١١٨

الكتب: أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة؟ ﴿١٤٤﴾ فلما أفاف، موسى من صعقته وثاب إليه عقله وعرف أنه قد سال أمراً لا ينبغي له، ﴿١٤٥﴾ قال سبحانه: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، عن سؤال الرؤية ﴿١٤٦﴾ وأنا أول المؤمنين، ﴿١٤٧﴾ بآنك لا ترى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل.

﴿١٤٨﴾ قال يَمْوُصَّىٰ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ، أي: اخترتك، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِلَىٰ﴾ بفتح الياء وكذلك ﴿أَمْرٍ﴾ أَتَدْنُو [طه: ٣٠-٣١]، ﴿بِرِسَالَتِي﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتني على التوحيد، والآخرين بالجمع، ﴿وَبِكَلَامِي﴾ فَعَزَّزْنَا مَا بِيَدَيْكَ، أعطيتك، ﴿وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لله على نعمه، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾، وقد أعطي غيره الرسالة؟ قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة [استقام قوله] اصطفتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول الرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً. وفي القصة: أن موسى عليه السلام

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم، فجعل الجبل دكاً.

أي: مستوياً بالأرض. قرأ حمزة والكسائي ﴿دكاً﴾ ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، [وافق عاصم في الكهف]، وقرأ الآخرون ﴿دك﴾ مقصوراً منوناً، فمن قصر فمعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دك الله دكاً ففته كما قال: ﴿إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّ دَكٍّ﴾ [الفجر: ٢١]، ومن قرأ بالمد أي جعله مستوياً أرضاً دكاً. وقيل: معناه جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها، قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبالاً صفراً.

ووقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوي، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء.

قوله عز وجل: ﴿وَحَزَّ مَوْصًى صَوْقًا﴾، قال ابن عباس والحسن: مغشياً عليه. وقال قتادة: ميتاً. وقال الكلبي: حَزَّ موسى صعباً يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر.

قال الواقدي: لما حَزَّ موسى صعباً ثالث ملائكة السموات: ما لآيين عمران وسؤال الرؤية؟ وفي بعض

كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له امرأته: أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها [عن] وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخزت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجك في الجنة، قال: ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المزكي أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن إسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا راشد بن سعد عن عبد الرحمن المغافري عن أبيه:

عن كعب الأحبار أن موسى نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون

بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال، ربّ اجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد يا موسى، فقال: ربي إني أجد أمة هم الحمادون لله على كل حال رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: ربّ إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم المستجييون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله فإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، يتطهرون من الجنابة بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرّ محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها وإن عملها كتبت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت له سيئة مثلها، فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات فلا أجد أحداً منهم إلاّ مرحوماً فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، قال: يا ربّ إني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يُصَفُّون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً إلاّ من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر يرى من الحسنات مثل ما يرى الحجر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمهته قال: يا ليتني من أصحاب محمد، أو أمته فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرصيه بهن: ﴿يَتُومَنِّي إِنْ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلِمِي﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ مُؤْتَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، قال: فرضي موسى كل الرضا.

﴿١٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا لَكُمْ﴾، يعني لموسى، ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة. وفي الحديث: «كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً». وجاء في أحاديث: خلق الله آدم بيده: «وكتب التوراة بيده وعرس شجرة طوبى بيده».

وقال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر. وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. وقال ابن جريج: كانت

من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمدّ من نهر النور، قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لتبنيها الله له فقطعها بيده ثم شققها بإصبعه، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقال مقاتل وهب: ﴿وَكُتِبْنَا لَكُمْ﴾ في الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون قر يعبر يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى. وقال الحسن: هذه الآية في التوراة ألف آية، يعني ﴿وَكُتِبْنَا لَكُمْ﴾ في الألواح، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما أمروا به ونهوا عنه، ﴿تَوْعِظَةً﴾ نهياً عن الجهل، وحقيقة الموعظة: التذكيرة والتحذير مما يخاف عاقبته، ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: تبيناً لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام. ﴿فَعَزَّهَا بِقُوَّةٍ﴾، أي: بسجد واجتهاد. وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه يضعف النية آذاه إلى الفتور، ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهها. وكان موسى عليه السلام أشدّ عبادة من قومه، فأمر بما لم

يُؤْمَرُوا بِهِ. قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والتوافل، وهي ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها، بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص والصبر أحسن من الانتصار. **﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْآخِرِينَ﴾**، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة، وقال الحسن وعطاء: يعني جهنم يحذرکم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سادخلكم الشام فأوریکم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله ليعتبروا بها. وقال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: «سأورثکم دار الفاسقين». وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

﴿قُلْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوله تعالى: **﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْآخِرِينَ﴾**، قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي، يعني ساصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق؛ كقوله: **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** [الصف: ٥]. قال سفيان بن عيينة: سامنهم فهم القرآن. قال ابن جريج: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيهما،

أي ساصرفهم أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها. وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام. والأكثرون على أن الآية عامة، **﴿وَلَنْ يَرَوْا كَلَّ مَآبٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَنْ يَرَوْا﴾**، يعني: هؤلاء المتكبرين، **﴿سَيَلَّ الرَّشْدُ﴾**، قرأ حمزة والكسائي **﴿الرَّشْدُ﴾** بفتح الراء والشين، والآخرين بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسقم والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن. وكان أبو عمرو يفرق بينهما، فيقول: الرشد بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين. ومعنى الآية: وإن يروا طريق الهدى والسداد، **﴿لَنْ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلَ آتِي﴾**، أي: طريق الضلال **﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾**، عن التفكير فيها والاعتماظ بها غافلين ساهين.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، **﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾**، بطلت وصارت كأن لم تكن، **﴿هَلْ يُحْزِنُكَ فِي الْعَقَبَى﴾** **﴿إِلَّا مَا كَانُوا﴾**، أي: إلا جزاء ما كانوا **﴿يَسْتَلُونَ﴾** في الدنيا.

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ هَارُونَ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل **﴿مِنْ حُجَّتِهِم﴾** التي استعارها من قوم فرعون. قرأ

حمزة والكسائي **﴿مِنْ حُجَّتِهِم﴾** بكسر الحاء [وقرأ يعقوب بفتح الحاء] وسكون اللام، اتخذ السامري منها **﴿عِبَلًا﴾**، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فتحوّل عجلًا، **﴿جَسَدًا﴾**، حياً لحماً ودمًا **﴿لَمْ يَخُورْ﴾**، وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقاتدة وجماعة أهل التفسير. وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت. وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج. والأول أصح. وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: إنه كان يخور كثيراً فكلما خار سجدوا له فإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، **﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾**، يعني: الذين عبدوا العجل **﴿أَنَّهُمْ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾**. قال الله عز وجل: **﴿اتَّخَذُوا وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾**، أي: اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين.

﴿وَلَا سُقِيَ فِي آيَاتِهِمْ﴾، أي: ندموا على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، **﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا فَلَوْا لَنْ لَمْ يَرَوْا رُسُلَنَا﴾**، يتب علينا ربنا، **﴿وَوَسَّخْنَا لَنَا﴾**، يتجاوز عنا، **﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**، قرأ حمزة والكسائي: **﴿ترحمنا وتغفر لنا﴾** بالثاء فيهما، **﴿رُسُلًا﴾** بنصب الباء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَيْقَافًا بِسَمَّاخَ لَقِيتُوهُ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْلَجْتَ أَمْرَ رَبِّكَمْ وَالْقَى الْآلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
 أَخِيهِ يُجْرِيهِ إِلَيْهِ قَالِ إِنَّ أُمَّ الْقَوْمِ اسْتَفْضَعُونِي وَكَادُوا
 يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِزْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
 رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
 الْآلِهَةَ سِينًا لَمْ يَغْنَبْ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْئَاتِ ثُمَّ
 تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْآلُوحَ فِي
 شُجْخَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَخَذَ
 مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
 قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَاسْتَأْذِنْتَ لَكَ مَا أَفْعَلُ
 أَسْفَهَاءَ يَتَّانِ هُوَ الْإِفْتِنَاكَ تُضِلُّ بَعْدَ مَا نَسَّاهُ وَتَهْدِي
 مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾

وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

﴿١٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَيْقَافًا﴾، قال أبو الدرداء: الأسف: الشديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفا أي حزينا. والأسف أشد الحزن. ﴿قَالَ بِسَمَّاخَ لَقِيتُوهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْلَجْتَ أَمْرَ رَبِّكَمْ﴾، أي: بشس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا، ﴿أَعْلَجْتَ﴾، أسبقتم ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة.

وقال الكلبي: أعلجتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. ﴿وَالْقَى الْآلُوحَ﴾، التي فيها التوراة وكان حاملا لها، فالفها على الأرض من شدة الغضب.

قالت الرواة: كانت التوراة سبعة

أسباع فلمالقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، رفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾، بذوائبه ولحيته ﴿يُجْرِيهِ إِلَيْهِ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان لين الغضب. ﴿قَالَ﴾ هارون عند ذلك، ﴿إِنَّ أُمَّ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام ها هنا وفي

طه [٩٤] بكسر الميم، يريد: يا ابن أمي فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة؛ كقوله: ﴿بِعِيَادٍ﴾ [الزمر: ١٠، ١٦]، وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أماه. وقيل: جعله اسما واحداً وبناه على الفتح، كقولهم: حضرموت وخمسة عشر ونحوهما، وإنما قال ابن أم وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه ويستعطفه. وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَفْضَعُونِي﴾، يعني: عبدة العجل، ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾، هموا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿فَلَا تُشْمِزْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، في مؤاخذتك علي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: عبدة العجل.

﴿قَالَ﴾ موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، ما صنعت إلى أخي، ﴿وَلِأَخِي﴾، إن

كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿وَأَدْخِلْنَا﴾ جميعاً ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿١٥١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ﴾، أي: اتخذهز إليها ﴿سِينًا لَمْ يَغْنَبْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، في الآخرة ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ﴾، أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيرهم بصنيع آبائهم فنسبه إليهم، ﴿سِينًا لَمْ يَغْنَبْ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجللاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، الكاذبين، قال أبو قلابة: هو - والله - جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة.

﴿١٥٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿١٥٣﴾ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْآلُوحَ﴾، التي كان الفها وقد ذهبت ستة أسباعها، ﴿وَفِي شُجْخَا﴾، اختلفوا فيه، قيل: أراد بها الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ، وقيل: إن موسى لمالقى الألواح تكسرت فنسخ نسخة أخرى فهو المراد من قوله: ﴿وَفِي شُجْخَا﴾. وقيل: أراد فيما نسخ منها. وقال عطاء: فيما بقي

منها. قال ابن عباس وعمر بن دينار: لما ألقى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوماً فردت عليه في لوحين فكان فيه، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، أي: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَدُونَ﴾، أي: للخائفين من ربهم، واللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ زيادة تأكيد؛ كقوله: ﴿رَبُّكُمْ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]، وقال الكسائي: لما تقدمت قبل الفعل حسنت، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَهْتَدُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقال قطرب: أراد من ربهم يرهبنون. وقيل أراد راهبون لربهم.

﴿١٥٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنذَارُ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أي: من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة، ﴿سَيِّئِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾، وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل.

قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتزرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً، ﴿فَلَمَّا﴾ أنوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾، لأنهم لم يؤايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر.

وقال ابن عباس: إن السبعين

الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥]، كانوا قبل السبعين [الذين أخذتهم الرجفة وإنما أمر الله موسى أن يختار من قومه سبعين] رجلاً فاختارهم ويرز بهم ليدعوا ربهم، فكانوا فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. وقال وهب: لم تكن [تلك] الرجفة موتاً ولكن القوم لما رأوا تلك

الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم، فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت، واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا ويكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَ﴾، يعني: موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَفْلَکُتَهُمْ بَيْنَ قَبْلٍ﴾، يعني: عند عبادة العجل، ﴿وَأَرْسَلْتُ﴾، بقتل القبطي، ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّرَكَاءُ بِتَاءٍ﴾، يعني: عبدة العجل، وظن موسى أنهم غُوبُوا باتخاذهم العجل، وقال: هذا على طريق السؤال، يسأل أنهلكنا بفعل السفهاء. وقال المبرد: قوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّرَكَاءُ بِتَاءٍ﴾، استفهام استعطاف، أي: لا تهلكننا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله

﴿١٥٦﴾ ﴿وَأَنذَارُ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أي: من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة، ﴿سَيِّئِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾، وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتزرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً، ﴿فَلَمَّا﴾ أنوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾، لأنهم لم يؤايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر.

تعالى أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره. قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، أي: التي وقع السفهاء فيها لم يكن إلا اختبارك وابتلاك أضللت بها قوماً فافتتنوا وهديت قوماً فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك، فذلك هو معنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهَا مَن فَتَنَّا وَتَبَيَّنَ مَن فَتَنَّا﴾، أي: تبيَّن ناصرنا وحافظنا، ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿١٥٧﴾ ﴿وَأَنذَارُ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أي: من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة، ﴿سَيِّئِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾، وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتزرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً، ﴿فَلَمَّا﴾ أنوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾، لأنهم لم يؤايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر.

خاصة. قال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون، وذلك أن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، قال إيليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية. قال نوف البكالي الحميري: لما اختار موسى سبعين رجلاً قال الله تعالى لموسى: اجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدرتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فقال ذلك موسى لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً، فقال الله تعالى: ﴿سَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إلى قوله:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، فجعلها الله لهذه الأمة. فقال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني نبيهم، فقال نبيهم منهم قال: رب اجعلني منهم فقال: إني لك لن تدرهم، فقال موسى عليه السلام: يا رب أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَقْدِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فرضي موسى. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ الزَّكَاةَ﴾، وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكم كان آمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب.

قال النبي ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أَمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ». وهو منسوب إلى الأم أي هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أُمِّي، فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿الَّذِينَ يَهْدُونَ﴾ أي: يهتدون صفته ونعته ونبوته، «مُكْتَوِبًا عَنْدَهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال:

لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحُرّاً لِلْأَمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيْئَةِ السَّيْئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُجُوءَ، بَأَن يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عَمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا.

تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة [عن هلال]، وقال سعيد: عن هلال عن عطاء عن ابن سلام.

أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن عبد الله بن ضمرة: عن كعب رضي الله عنه قال: إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيسة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون على أنصافهم ويؤضؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديبهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة ومملكه بالشام.

داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم لشأناً لعل الخمر غلبتهم فغلوا على الجدار واسترقوا عليهم فإذا هم كلهم صاروا قردة وخنازير فعرفت القردة أنسابها من الإنسان ولم تعرف الإنسان أنسابها من القردة، فجعلت القردة يأتيها نسيبها من الإنسان فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم تنهكم فتقول برأسها نعم، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا، قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء، قبل أن ينزل بكم العذاب فإننا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، ﴿أَنْزَ﴾ علمتم أنه ﴿مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قَالُوا، أي: قال الناهون ﴿مُعَذِّبُهُمْ﴾، أي: موعظتنا معذرة ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾، وقرأ حفص: ﴿مُعَذِّبُهُمْ﴾ بالنصب، أي: نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساكنة، قالوا: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، قالوا: معذرة إلى ربكم، ومعناه: أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلياً موعظة هؤلاء عذراً إلى الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: يتقون الله ويتركون المعصية ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون.

﴿قَالَ تَزُكُّوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: تركوا ما وعظوا به، ﴿أَفَتُحِبُّونَ﴾

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا إِلَيْكَ مَلَكًا، يعني: الفرقة العاصية، ﴿يَعَذِّبُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة. واختلف القراء، فيه، قرأ أهل المدينة وابن عامر «بئس» بكسر الباء على وزن فعل، إلا أن ابن عامر يهزئه، وأبو جعفر ونافع لا يهزئان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير، ﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول: ﴿أَفَتُحِبُّونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا إِلَيْكَ مَلَكًا يَعْذِّبُ بَيْنَهُمْ﴾، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكنة. قال عكرمة: قلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا فكروها ما هم عليه، وقالوا: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكهم فأعجبه قلبي فرضي وأمر لي ببردين فكسانيهما، وقال يمان بن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا وَالَّذِينَ قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان، وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت النامية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر.

﴿قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾﴾، قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿فَلَمَّا كَانُوا قُرُوءَ خَبِيثَاتٍ﴾، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر الناس [إليهم]، ثم هلكوا.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِثْكًا﴾، أي:

أذن وأعلم رثك، يقال: تأذن وأذن مثل تواعد وأوعد. وقال ابن عباس: تأذن رثك قال رثك. وقال مجاهد: أمر رثك. وقال عطاء: حكم رثك. ﴿يَتِمَعْنَ مَلَكُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، أي: على اليهود، ﴿مَنْ يَبْشُرُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾، بعث الله عليهم محمداً ﷺ وأمهت يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ﴿إِنَّ رِثْكَ لَسَرِيعٌ وَالْقَابُ لِلَّهِ لَغَوُورٌ رَّجِيمٌ﴾.

﴿قَالَ تَزُكُّوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، فرقانهم ﴿فَ﴾ الَّذِينَ أَسْمَاءُ، فرقاً فرقهم الله فتشت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة، ﴿مِنْهُمْ السَّالِفُونَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وأمنوا به، ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني الذين بقوا على الكفر.

وقال الكلبي: منهم الصالحون هم الذين وراء نهر أوداف من وراء الصين، ومنهم دُونَ ذلك، يعني: من ههنا من اليهود، ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ الْخُسُوفُ﴾، بالخصب والعافية، ﴿وَالْكَسْفَاتِ﴾، الجذب والشدة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا.

﴿قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ﴾﴾، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿خَلْفٌ﴾، والخلف: القرن الذي يليه. بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلف يسكون اللام الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلف بفتح اللام: البدل سواء كان ولداً أو غريباً. وقال ابن الأعرابي: الخلف بفتح اللام:

المغفرة مع الإصرار، ﴿وَدَّرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودرس الكتاب قراءه وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «يمسكون» بالتخفيف وقراءة العامة بالشديد لأنه يقال مسكت بالشيء، ولا يقال أمسكت بالشيء، إنما يقال أمسكته، وقرأ أبي بن كعب: «والذين تمسكوا بالكتاب»، على الماضي وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، إذ قل ما يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَلَا نَنْقُصُ الْجِبِلَّ قَوْمَهُمْ﴾، قلنا الجبل. وقيل: رفعنا كائنه ظلّه، قال عطاء: سقفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿وَطَوَّاءُ﴾، وعلموا ﴿أَنَّهُ لَقِيَ بِهِمْ خُذُوا﴾، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿مَا ءَاتَيْنَاكُمْ يَقُوتُ﴾، بجِد واجتهاد، ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، واعلموا به، ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾، وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرغ الله على رؤوسهم جبلاً. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خز كل رجل منهم ساجداً

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال:

قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه

هواها وتمنى على الله الأمانى». ﴿وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول: إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم، فيقال له: ما لك ترتشي فيقول: سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضاً، يقول: وإن يأت الآخرون عرض مثله يأخذوه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمنى المغفرة مع الإصرار وليس في التوراة ميعاد

﴿وَلَا نَنْقُصُ الْجِبِلَّ قَوْمَهُمْ كَأَنَّهُمْ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُ سَبِّمُ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ يَقُوتُوا ذِكْرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ﴿وَلَا أَعْدِيكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾. ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ﴿وَأَقُلْ عَلَيْهِمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْآيَاتِ ءَاتَيْنَاهَا فَاسْلَخُ مِنْهَا فَأَتَيْتُمُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْمُلَابِسِ﴾. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَذُلُّهُ كَذِبُ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَهْتِ أَوْ تَعِ كُهُ يَهْتِ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾. ﴿سَبْعَ مِثَالِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

الصالح، ويسكون اللام: الطالح. وقال النضر بن شميل: الخلف: بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد، وأما في القرن الصالح فبتحريك اللام لا غير. وقال محمد بن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح. ﴿وَرَبُّوا بِالْكِتَابِ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، العرض متاع الدنيا، والعرض يسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير. وأراد بالآدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا، فهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل.

على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجد يهودياً إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، الآية.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن [محمد] السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية، قال عمر بن الخطاب:

سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: فقيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار».

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع

من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً.

قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألسن بريكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَدَّكَ لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾. وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقرؤا طوعاً وقالوا بلى، وأهل الشقاوة قالوا تقيّة وكرهاً، وذلك معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَشْكَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، واختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس رضي الله عنهما ببطن نعمان وإد إلى جنب عرفة. وروي عنه أيضاً أنه بدنهاء من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه. وقال الكلبي: بين مكة والطائف. وقال السدي: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته. وروي:

أن الله أخرجهم جميعاً وصوّرهم وجعل لهم عقولاً يعملون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلّمهم قبلاً يعني عياناً، وقال: ألسن بريكم، قال الزجاج: وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهماً تعقل به؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ ثَمَلَةٌ بِهَا كُنْتُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فأني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقى ومنزل عليكم كتاباً.

فتكلموا جميعاً، وقالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، أخذ بذلك موافقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لولا سؤيت بينهم؟ قال: إني أحب أن أشكر، فلما قرّره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: «ذرياتهم» بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون «ذريتهم» على التوحيد، ونصب التاء، فإن قيل: فما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؟ قيل: وإنما أخرجهم من ظهر آدم بعضهم من

ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض. قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا﴾، قرأ أبو عمرو: (أن يقولوا) ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء فيهما، واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾، قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا: بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، قوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾، يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أحاطبكم ألسن بربكم لئلا تقولوا، ﴿يَوْمَ أَلَيُّكُمْ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف يلزم الحجة واحد لا يذكر الميثاق، قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يُسْقِطُ الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

بَيْنِهِمْ﴾، يقول إنما أخذت الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آبائنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم، أي: كنا أتباعاً لهم فافتدينا بهم فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا، ﴿أَفَنُكَلِّمُكُمَا بِمَا فَعَلَ الْبَاطِلُونَ﴾، افتعذبنا بحناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

﴿وَكَذَلِكَ تَفْضِلُ الْأَيْتِ﴾، أي: تُبَيِّنُ الْآيَاتِ لِيَتَذَكَّرَ الْعِبَادُ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، من الكفر إلى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: نَبَأَ آلِ إِبْرَاهِيمَ، قال ابن عباس: الآية، اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعورا. وقال مجاهد: بلعام بن باعر. وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل. وزوي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا.

وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم: أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم، وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وأنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال لهم: ويلكم نبي الله ومعهم الملائكة

والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوا والخوا عيه فقال: حتى أوامر ربي، وكان لا يدعوا حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فأمر في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد أمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية قبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أوامر ربي فأمر، فلم يوح إليه شيء، فقال: قد أمرت فلم يوح إلي شيء، قالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتتوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يُطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حُشبان، فلما سار عليه غير كثير رُبِضَتْ به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أدلقها، [قامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى رُبِضَتْ، ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم تسر به كثيراً حتى رُبِضَتْ، وضربها حتى إذا أدلقها] أذن الله لها بالكلام فكلَّمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع ولم يصغ إلى قوله لحكمة أرادها الله به فخلَّى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُشبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم

أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا؟! فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمر لكم وأحتال جعلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنهن فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيات اسمها كستي بنت صور، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى، فقال: يا موسى إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ فقال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قُبته فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد

بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته وكان يكرّ العيزار، وجعل يقول: اللَّهُمَّ هكذا نفعل بمن يعصيك ورفّع الطاعون، فحُسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذة إتيها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار، وفي بلعم أنزل الله تعالى: ﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ الْآيَةِ﴾ الآية.

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادع الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت له: لِمَ تضربني إني مأمورة هذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع فأخبر الملك، [بما قالته الأتان، فقال له: لندعون عليه، أو لأصلبك فدعى على موسى بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم

والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً فَرَجَا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرّ على قتلى بدر، فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمد، فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباه، فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله ﷺ، فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت، فنزلا فقعده أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: وعى؟ قال: وعى قال: وعى قال: أزكى؟ قال: أبى، قالت: فسألته عن ذلك، فقال: خير أريد بي، فصرف عني فغشي عليه، فلما أفاق قال شعراً:

كل عيش وإن تطاول دهرأ
صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي
في قلال الجبال أرى الوُعولاً
إن يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوماً ثقيلاً
ثم قال لها رسول الله ﷺ:
«أنشدني من شعر أخيك»، فأنشدته

بعض قصائده، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَمِنْ شِعْرُهُ وَكَفَر قَلْبُهُ»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ٱلْآيَةَ.

وفي رواية عن ابن عباس: أنها نزلت في البسوس، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات، وكان له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال: لك منها واحدة فما تريدني؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحه، فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبة نباحه والناس يعيروننا بها، ادعُ الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها. والقولان الأولان أظهر.

قال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن غرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ٱلْآيَةَ﴾. قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسلخ، أي:

خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ»، أي: لحقه وأدركه، «فَكَانَ مِنَ ٱلْفَٰرُوقِ».

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعناه عنه الكفر وعصمناه بالآيات. «وَلَكِنَّهُ أَغْلَلَ إِلَى ٱلْأَرْضِ»، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد. وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض ههنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض. «وَأَتَّبَعَهُ ٱلْهُوَىٰ»، انقاد لهما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آية من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا وأتباع الهوى تغيير النعمة عليه بالانسلخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن

زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَا ذُنْبَانِ جَاءَعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى ٱلْمَالِ وَٱلشَّرَفِ لِدِينِهِ».

قوله تعالى: ﴿فَتَنَزَّلُ ٱلْكَلْبُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَفَرَّقَ يَلْهَثُ يَلْهَثُ﴾، يقال: لهث الكلب يلهث لهثاً إذا أدلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً وإن ترك وريض كان لاهثاً. قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْمَدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ ٱدْعَوْهُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰٓئِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله، فقال: ﴿ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوَٰىمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا فَنَقَضْنَا ٱلْعَهْدَ لَهُمْ يَتَنَفَّسُونَ﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله،

فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا وتركوا أو دعوا.

﴿سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ أي: يشن مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع، ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ﴾.

﴿مَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْهَنِيُّ وَمَنْ يَضِلْ فَآوَلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشفاعة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي حدثنا حفص بن غياث عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك؟» إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم.

وقيل: اللام في قولهم ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لام العاقبة، أي: ذرائعهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى:

﴿قَالَتِلْكَ مَالٌ يَّزِيدُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرًا﴾

[القصص: ٨]، ثم وصفهم فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، أي: لا يعلمون بها الخير والهدى، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿وَلَهُمْ آفَافٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، مراعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب، فقال: ﴿أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ بَلَغُوا مَضًى﴾

أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك، ﴿أَوَلَيْكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْثَالُ لِمَنْ شَاءَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله عز وجل في صلاته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يدعون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْثَالُ لِمَنْ شَاءَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، والحسن تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن

سورة الأعراف

سورة الأعراف

ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آفاف لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الكافرون ﴿١٧٧﴾ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيخرجون ما كانوا يعملون ﴿١٧٨﴾ ومن خلقنا آتةً يعبدون بالحق وريبهم لولم يستبدلهم من حيث لا يعلمون ﴿١٧٩﴾ وأمل لهم إزك كيدى متين ﴿١٨٠﴾ أولم ينفكروا أما يصاحبهم من جنت إن هو إلا نذير مبين ﴿١٨١﴾ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وإن عسى أن يكون قريبا أجهمهم بأي حديث يعدون ﴿١٨٢﴾ من ضل الله فلا هادي له وبذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿١٨٣﴾ سئلوا عن الساعة أأن مرسها قل إنما علمها عند ربى لا يعلمها إلا هو قللت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا غنة يستولونك كآفة حتى عذابهم قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿١٨٤﴾

١٧٦

محمد بن عبد الله بن بشران أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وثر يحب الوتر».

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ﴾، قرأ حمزة «يلحدون» بفتح الياء وكسر الحاء حيث كان، ووافقه الكسائي في النحل، والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد هو الميل عن المقصد، يقال: ألحد ألحداً، ولحد يلحد لحوداً إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه، يقال: ألحد في الدين ولحد به قرأ حمزة.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْتَبِيدُ: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أو ثأنهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من «العزير» ومناة من «المثان»، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو تسميتهم الأصنام ألهة.

روي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، وجملته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يسمى جواداً ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولا يسمى رقيقاً، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً. وقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ولا يقال في الدعاء يا مخادع يا مكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله يا رحمن يا رحيم يا عزيز يا كريم ونحو ذلك. ﴿سَيَجْزِيكَ مَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا نُتُهُ﴾، أي: عصابة، يهدون يَلْمِزُ وَيُهْدِي وَيَهْدُونَ، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان.

وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني عمير بن هاني أنه سمع معاوية رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». وقال الكلبي: هم من جميع الخلق.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدِينُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من مأمهم؛ كما قال: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، قال الكلبي: يزير لهم أعمالهم ويهلكهم بها، وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفيان الثوري: نسخ عليهم النعمة ونسبهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً، فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء.

﴿وَأَمْلَأْ لَهُمْ﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿لَا تَكِيدُ مِثْلَهُ﴾، أي: إن أخذي قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل:

نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يُصَاحِبُهُمْ مِنْ جُنْدٍ﴾. قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذأ فخذأ: يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يَصُوتُ إلى الصباح، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يُصَاحِبُهُمْ﴾، محمد ﷺ: ﴿مِنْ جُنْدٍ﴾ جنون، ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿لَا يَذَرُ شَيْئاً﴾، ثم حثهم على النظر المؤذي إلى العلم فقال:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكْرُومِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، فيهما، ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: وينظروا إلى ما خلق الله فيهما من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته. ﴿وَأَن عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصبروا إلى العذاب، ﴿فَإِنِّي حَادِثُهُمْ بَعْدُ يَوْمُهُمْ﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون، يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علة إعراسهم عن الإيمان فقال:

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ وَلٍ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مر قبله، وجزم الراء مردود على ﴿يُضْلِلُ﴾، وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه

وهو أن أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفاً عليها، ﴿فَمَرَّتْ بِرَبِّهِ﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به ولم يشقلها، ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها، ﴿دَعَاكَ اللَّهُ رَبَّهُمَا﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لَئِنْ أَتَيْتَا يَا رَبَّنَا صَالِحًا﴾، أي: بشراً سوياً مثلنا، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، قال المفسرون: فلما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أو خنزيراً، وما يدريك من أين يخرج؟ من دبرك فيقتلك أو من قُبْلِكَ ويشق بطنك، فخافت حواء من ذلك، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزلَا في همٍّ من ذلك، ثم عاد إليها فقال: إني من الله بمنزلة فإن دعوتُ الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث؟ وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فذكرت ذلك لآدم، فقال: لعله صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما، فلما ولدت سُمِّيَا عبد الحارث.

قال الكلبي: قال إبليس لها إن دعوت الله فولدت إنساناً اتَّسَمِيَنِي بي؟ قالت: نعم، فلما ولدت قال سَمِيَنِي بي، قالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، ولو سَمِيَ لها نفسه لعرفته فسَمَتَهُ عبد الحارث.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت حواء تلد لآدم

فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت، فاتاهما إبليس وقال: إن سرَّكما أن يعيش لكما ولد فسَمِيَا عبد الحارث، فولدت فسَمِيَا عبد الحارث فعاش. وجاء في الحديث: «خَدَعَهُمَا إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض». وقال ابن زيد: ولد لآدم ولد فسَمَاهُ عبد الله فاتاهما إبليس فقال: ما سَمَيْتُمَا ابنكما؟ قالَا: عبد الله، وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسَمِيَاهُ عبد الله فمات، فقال إبليس: أتظنَّ أن الله تارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر، ولكن أدلكم على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسَمِيَاهُ عبد شمس. والاول أصح، فذلك قوله:

﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمَا مَلَكًا﴾، بشراً سوياً، ﴿جَعَلَ لَكُمُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْتُهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر «شركاً» بكسر الشين والتثوين، أي: شركة، قال أبو عبيدة: أي حظاً ونصيباً، وقرأ الآخرون «شركاء» بضم الشين ممدوداً على جمع شريك يعني إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، أي: جعل له شريكاً إذ سَمِيَاهُ عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولا أن الحارث ربُّهما فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف،

على وجه الخضوع لا على وجه أن الضيف ربُّه، ويقول للغير: أنا عبدك، قال يوسف لعزير مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده وكذلك هذا. وقوله: ﴿فَعَصَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعلا ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وفي الآية قول آخر: وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء، فقال: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْيَتَامَىٰ ذُرِّيَّةً﴾، ﴿فَلَمَّا تَقَسَّ﴾، خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوذوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبدالعزى وعبداللات وعبدمناة ونحوه وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ من نفس واحدة، أي: خلق كل واحد من أبيه، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمُ زَوَاجَهُمْ﴾، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن، لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين إنه في آدم وحواء.

﴿قوله تعالى: ﴿إِشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وَمُ يَخْلُقُونَ﴾، أي: هم مخلوقين.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾، الأصنام لا تنصر من أطاعها، ﴿وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾، قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم بكسر أو نحوه، ثم خاطب المؤمنين فقال:

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾، قرأ نافع بالتخفيف، وكذلك: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، في الشعراء وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان، يقال: تبعه تبعاً واتبعه اتباعاً. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْتَهُمْ﴾، إلى الدين، ﴿أَمْ أَنْتَ صَائِتٌ﴾، عن دعائهم لا يؤمنون؛ كما قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وقيل: معناه وإن تدعوه إلى الهدى، يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾، يريد أنها مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مسخرون مذلولون لما أريد منهم. قال مقاتل: قوله عبادة أمثالكم أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة. والأول أصح. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْمَعْ بِلَاكُمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم، هل يشيبونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة؟ ثم بين عجزهم فقال:

﴿أَلَهُمْ أَنْجِلْ يَسْتَوْفُوا بِمَا أَرْزَأَهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر

بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء، ﴿أَمْ لَهُمْ أَفْئِدٌ يَبْصُرُونَ﴾، أي: لهم آذان يسمعون بها، ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾، أراد أن قلادة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، يا معشر

المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾، أنتم وهم، ﴿فَلَا تُظْهِرُونِ﴾، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

﴿قوله﴾: ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِينَ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾، يعني القرآن، أي: إنه يتولاني ويتصرني كما أيدني بإنزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً، فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عدواة من عاداهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾، ولا أنفسهم ينصرون.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾، يعني الأصنام، ﴿وَتَرْهَبُهُمْ﴾، يا محمد ﴿يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ﴾، يعني: الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه المقابلة، تقول العرب:

سورة الأعراف

﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِينَ نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُمْ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾، ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾، ﴿وَتَرْهَبُهُمْ يَظْهَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، ﴿وَإِنَّمَا زَعَمْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِنَّمَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ﴾، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا تَحْبِسْهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَ مِنَ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَجِبُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ فِي نَفْسِكُمْ نَصْرًا خَفِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسُجُودُهُمْ لَكَ سَجْدًا﴾

١٧٦

داري تنظر إلى دارك، أي: تقابلها، وقيل: ﴿وَتَرْهَبُهُمْ يَظْهَرُونَ إِلَيْكَ﴾، أي: كأنهم ينظرون إليك؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ [الحج: ٢]، أي: كأنهم سُكَارَى هذا قول المفسرين. وقال الحسن: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، يعني: المشركين لا يسمعون ولا يعقلوا ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾، قال عبد الله بن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار. والعفو: المساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما هذا؟

قال: لا أدري حتى أسأله، ثم رجع فقال: إِنَّ رِيكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ وَتُعْطِيَ مِنْ حَرَمِكَ وَتَعْفُو عَنْ ظُلْمِكَ». وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعني خُذْ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: ﴿وَتَقُولُكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْكَفُورُ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضة. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا وَالْأَعْرَافُ﴾، أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمر بالعرف يعني بلا إله إلا الله. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْكُفَّالِيك﴾، أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف. وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: ﴿وَلَا خَاطِبَهُمُ الْجَهَنَّمُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وذلك سلام المتاركة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن عبد الصمد الجرجاني ثنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح». ثنا أبو الفضل زياد بن محمد

الحنفي ثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ ثنا عمار بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن سعيد الحافظ ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن إبراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّعْهَ بَعِثْنِي لِتَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ».

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾، أي: يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة.

وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية: ﴿خُذِ الْقِتْمُونَ﴾، قال النبي ﷺ: «كيف يا رب والغضب»، فنزل: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ﴾، أي: استعجز بالله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّكَ الْغَايِبُ أَتَقْوَى﴾، يعني المؤمنين، ﴿إِذَا مَنَّاهُمْ فَكَلَفُوا مِنْ الشَّيْطَانِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: «طيف»، وقرأ الآخرون «طائف» بالمد والهمز وهما لغتان كالميت والمائت، ومعناها: الشيء يلتم بك. وفرق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللقمة والوسوسة. وقيل: الطائف ما يطوف بك من وسوسة الشيطان، والطيف: اللطم والتمس. ﴿تَذَكَّرُوا﴾، عرفوا، قال سعيد بن

جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ. وقال مجاهد: الرجل يهمل بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿وَإِنَّمَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾، أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير. قال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فتزغ عن مخالفة الله.

قوله: ﴿وَالْإِخْوَانُ يَمْدُونَهُمْ﴾، يعني: إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدّم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿فِي الْقُبُورِ﴾، أي: يطلبون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزيدهم في الضلالة. وقرأ أهل المدينة: ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم من الإمداد، والآخرون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد. ﴿ثُمَّ لَا يُفْقَرُونَ﴾، أي: لا يكفون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُفْقَرُونَ﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها، بخلاف ما قال المؤمنين: تذكروا فإذا هم مبصرون.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِكَآيَةٍ﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَتْ آيَاتُنَا﴾، هلا افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون

النبي ﷺ الآيات تعثتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَتْهَا؟﴾ أي: هلاً أحدثتها وأنشأتها من عندك؟ ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ﴾ لِمَا أَتَى مَا يُوحَىٰ لَكَ مِنْ رَبِّي، ﴿ثُمَّ قَالَ:﴾ ﴿هَذَا﴾، يعني: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾، حجج وبيان وبرهان؟ ﴿فَبَيْنَ رَبِّكَ﴾، وأصلها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهندي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق: ﴿وَهَذِهِ دَرَجَةُ لِقَوتِ يَوْمُونِ﴾.

﴿قوله عز وجل:﴾ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة.

زوي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمرُوا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن.

وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. روى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يستمعون ذكر الجنة والنار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القرآن في الصلاة. وقال سعيد بن جبيرة وعطاء

ومجاهد: إن الآية في الخطبة، أمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة. وقال سعيد بن جبيرة: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام. وقال عمر بن عبد العزيز: الإنصات لقول كل واعظ. والأول أو لاها، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة. واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأضمر ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت».

واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر. روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي. وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة ولا يقرأ إذا جهر. يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد، وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر، يروى ذلك عن جابر، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، وتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية، ومن أوجبها قال

الآية في غير الفتحة وإذا قرأ الفتحة يتبع سككات الإمام ولا ينازع الإمام في القراءة، والدليل عليه ما: أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا هناد، ثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق عن مكحول، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

صلى النبي ﷺ الصبح فشقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال: «إِنِّي أَرَأَيْكُمْ تَقْرَوْنَ وَرَاءَ إِمَامِكُمْ؟» قال: قلنا: يا رسول الله إني والله، قال: «لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِأَمْرِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا».

﴿قوله تعالى:﴾ ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، قال ابن عباس: يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سراً في نفسه، ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إلي وتخاف مني هذا في صلاة السر. وقوله: ﴿وَرُكُوعَ الْجَمْعِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهرًا شديداً بل في خفض وسكون، تُسْمَعُ مَنْ خَلْفَكَ. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت والصياح بالدعاء، ﴿وَالْقُدُّوْا وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، أي: والبكر والعشيات، واحد أصال: أصيل، مثل يمين وإيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾،



الرَّيَّانِي ثَنَا حميد بن زنجويه ثَنَا محمد بن يوسف ثَنَا الأوزاعي عن الوليد بن هشام عن معدان قال: سألت ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قلت: حدثني حديثاً ينفعني الله به، قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ».

[والله سبحانه أعلم بالصواب].

سورة الأنفال

مدنية وهي خمس وسبعون آية. قيل: «لَا سَبْعَ آيَاتٍ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُنْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٣٠ - ٣٧]، إِلَى آخِرِ سَبْعِ آيَاتٍ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ. وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَإِنْ كَانَتْ الْوَاقِعَةُ بِمَكَّةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْآنْفَالِ الآية.

قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذَا وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا»، فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال الأشياخ: كُنَّا ذِرَاءَ لَكُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ

لَا نَحْزَمَ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْغَنَائِمِ دُونَنَا، وَقَامَ أَبُو الْيَسْرِ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ وَعَدْتَ أَنَّ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَإِنَّا قَدْ قَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرَأْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَنَعْنَا أَنْ نَطْلُبَ مَا يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ زُهَادَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَلَا جِنِّ عَنِ الْعَدُوِّ، وَلَكِنْ كَرِهْنَا أَنْ تَعْرِى مَصَافِكَ فَيَعْطِفَ عَلَيْهِ خَيْلٌ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فَيَصْبِيوكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ سَعِيدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ النَّاسَ كَثِيرٌ وَالْغَنِيمَةُ دُونَ ذَلِكَ، فَإِنْ تَعَطَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ كَبِيرُ شَيْءٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْآنْفَالِ﴾.

وقال ابن إسحاق: أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا قد كان رسول الله ﷺ نفيل كل امرئ ما أصاب، [وقال الذين يقاتلون العدو: لولا نحن ما أصبتموه]، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ: لقد رأينا أن نقتل العدو وأن نأخذ المتاع ولكنا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو، فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا.

وروى مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا

يعني الملائكة المقرَّبين بالفضل والكرامة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يتكبرون، ﴿عَنْ عِبَادِيهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحانه الله، ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنبأنا أحمد بن الحسن الخيري أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا يعلى بن عبيد عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، فَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أَمَرْتُ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأَمَرْتُ بِالْجُودِ فَعَصَيْتَ فَلِيَ النَّارُ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار

فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسّمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء - يقول على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجت به إلى النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض»، فطرحته ورجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذت سلاحه، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يبيل ببلائي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول ﷺ وقد أنزل الله عز وجل: ﴿يَتَوَلَّكَ عَنِ الْآنْفَالِ﴾ الآية. فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال: «يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذهُ فهو لك».

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المغنم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء، وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول.

قوله: ﴿يَتَوَلَّكَ عَنِ الْآنْفَالِ﴾، أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب.

وقيل: هو سؤال طلب، قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عَنِ الْآنْفَالِ﴾، أي: من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة، أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها نفل، وأصله الزيادة، يقال نفلتكَ وأنفلتكَ أي زدتك، سميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر.

وقال عطاء: هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْآنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، يقسمانها كما شاءا واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُمُ وَالرَّسُولَ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله عز وجل بالخمس. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُمُ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة

والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، خافت وقرت قلوبهم. وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه. ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِاتِّمَامٍ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، تصديقاً و يقيناً. وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة:

إن للإيمان زيادةً ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدوداً وسُنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ﴿وَعَلَى رِيحِهِ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي: يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يعني يقيناً. قال ابن عباس: برؤوا من الكفر. وقال مقاتل: حقاً لا شك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه.

وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل

الحسن فقال: مؤمن أنت؟ فقال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والبعث والحساب، فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، فلا أدري أمنهم أنا أم لا؟

وقال علقمة: كنا في سفر فلقينا قوماً فقلنا: من القوم؟ قالوا: نحن المؤمنون حقاً، فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا، قال: فما ردتم عليهم؟ قلنا: لم نرد عليهم شيئاً، قال: أفلا قلتم آمن أهل الجنة أنتم؟ إن المؤمنين أهل الجنة.

وقال سفيان الثوري: من زعم أنه مؤمن حقاً عند الله، ثم لم يشهد أنه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف.

﴿لَمْ دَرَجَتْكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل درجتين خَصْرُ الفرس المَضْرَّ سبعين خريفاً. ﴿وَمَقْفَرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرَزْدٌ كَثِيرٌ﴾، حسن يعني ما أعد الله لهم في الجنة.

⑤ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، قال المبرد: تقديره الأنفال لله والرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره: امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا

كما أمضيت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون. وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم. وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه. وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿لَمْ دَرَجَتْكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، تقديره: وغد الله الدرجات لهم حق ينجزه الله عز وجل كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امض على الذي أخرجك ربك. قال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازاً والذي أخرجك، لأن ما في موضع الذي، وجوابه ﴿يَجِدُوكَ﴾، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك. وقيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة. والأكثرون على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج من بيتك إلى المدينة بالحق، قيل: بالوحي لطلب المشركين، ﴿وَلَا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، منهم، ﴿لَكَرِهُونَ﴾.

⑥ ﴿يَجِدُوكَ فِي الْحَقِّ﴾، أي: في القتال، ﴿بِمَدَامَيْنِ﴾، وذلك أن المؤمنين لما أبقوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نغلبنا أنا لنلقى

العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعر، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك ما تصنع إلا ما أمرك الله، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كَأَنَّا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لشدة كراهيتهم القتال، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

⑦ قوله تعالى: ﴿وَرَادَّ يَدَيْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا أَكْثَرًا مِنِّي أَنْتُمْ لَكُمْ﴾.

قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحاق والسدي: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش في أربعين راكباً من كفار قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري، وفيها تجارة كثيرة، وهي اللطيمة، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه إليه وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فحفت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

وقد رأت عاتكة بنست عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤياً أفزعته فبعث إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤياً أفزعتهني وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فآتكم علي ما أحدثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت وتطايرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فُلُقَّة، فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا رأيت! فآتكميها ولا تذكريها لأحد، ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، قال: فلما فرغت من

طوافي أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبئة فيكم؟ قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأيت [أخذك] عاتكة؟ قلت: وما رأيت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نسأؤكم؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث فسنترى بكم هذه الثلاث، فإن يك ما قالت حقاً فسيكون، وإن تمضي الثلاث ولم يكن من ذلك شيئاً نكتب عليكم كتاباً إنكم أكذب أهل بيت في العرب، فقال العباس: والله ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، ثم تفرقنا فلما أمسيت لم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أفررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء [بالوقعة] وأنت تسمع، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت والله قد فعلت ما كان مني إليه من كبير، وإيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيئكه، قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيت فواله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله؟ أكل هذا فرقاً مني أن أشاتم، قال: فإذا هو قد سمع ما لم

أسمع: صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الرادي واقفاً على بعيره [وقد]، جدد أنف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمداً في أصحابه، ولا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، قال فشغلني عنه وشغلني عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً فلم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أن أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث، فقالوا: نخشى أن يأتوننا من خلفنا فكاد ذلك أن يثنيهم. فتبذى لهم إبليس في صورة سراققة بن مالك بن جعشم وكان من أشراف بني بكر، وقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه في ليال مضت من شهر رمضان حتى إذا بلغ وادياً يقال له ذُفيران، فأتاه الخبر عن مسيرة قريش ليمنعوا غيرهم فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى عبد الله بن أريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً، وكانت العير أحب إليهم.

فاستشار النبي ﷺ أصحابه في

رسول الله ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَنَّهُ لَكُمْ﴾، أي: الفريقتين إحداهما أبو سفيان مع العير والأخرى أبو جهل مع النضير، ﴿وَوَدَّوْنَ﴾، أي: تريدون ﴿أَنَّ عَذَابَ الْكُفْرَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال: السلاح. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾، أي: يُظْهِرَهُ وَيُعْلِيهِ، ﴿يَكُونُ﴾، بأمرة إياكم بالقتال. وقيل: بعداته التي سبقت من إظهاره الدين وإعرازه، ﴿وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكُفْرِينَ﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني: كفار العرب.

﴿لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾، ليشبث الإسلام، ﴿وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكُفْرَةِ﴾، يعني الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

﴿إِذْ تَسْتَيْقِنُونَ رَبَّكُمْ﴾، تستجيبون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر.

وُزِي عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فدخل العريش هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستقبل القبلة ومذ يده فجعل يهتف بربّه عز وجل: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنيك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما

ذماننا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فإنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق

وأعطيناك على ذلك عهداً وميثاقاً على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر عند الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله تعالى يرزقنا ما تقر به عينك، فيسر بنا على بركة الله، فسُر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

قال ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا، قال: فما ماط أحد عن موضع يد

إِذْ تَسْتَيْقِنُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْجَابَ لَكُمْ فِي مُدْعَاكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ ۝ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَنَّشْرِ وَلَطْمِ يَدَيْهِمْ قُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ غَشِيَكَ الْغَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ وَبُرْزَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلِكِ أَنِي مَعَكُمْ فَنِيَا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوَقَّ الْأَعْتَابُ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَ فَذُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَقْبَسُوا الْيَوْمَ كَفَرُوا أَصْفَا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُولُوهُمْ يُوسِزْ دُبُرَهُمْ لَا مُحَرِّقًا لِقَالِ أَوْ مُتَحَرِّقًا إِنْ فُتُوْهُ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِ مَنْ أَلَّهْ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

طلب العير وحرب النضير، فقام أبو بكر فقال فاحسن، ثم قام عمر فقال فاحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض يا أراك الله فنحن معك، فوالله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَكِّحَا إِنَّا هَهُنَا قَوْلُكَ»، ولكن نقول: اذهب أنت وريك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين يابعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في

زال يهتف برثه عز وجل ماذا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فالتقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَاَنْتَجَبَ لَكُمْ اَنْتِي مُيَمِّدُكُمْ﴾، مرسل إليكم مدداً وردءاً لكم، ﴿وَالَّذِي مِنَ الْمَلَكُوتِ مُرَوِّفُكُمْ﴾.

قرأ أهل المدينة ويعقوب: ﴿مُرَوِّفُكُمْ﴾ بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً. وقرأ الآخرون بكسر الدال أي متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته وردفته بمعنى تبعته.

يُروى أنه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمام بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم.

وروي أن النبي ﷺ لما ناشد ربه عز وجل وقال أبو بكر: إن الله منجز لك ما وعدك فحقق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العرش ثم انتبه، فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس:

أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا

جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب».

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمام بيض ويوم حنين عمام خضر، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً.

وروي عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرأ أنه قال بعدما ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم بيدر ومعني بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة.

﴿١٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾، أي: بشارة، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ النَّعَّاسُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يغشاكم» بفتح الياء، «النَّعَّاسُ» رفع على أن الفعل له؛ كقوله تعالى: ﴿أَمَنَّا نَاسًا يَفْعَلُونَ طَاعَةً﴾، قال عمران: ١٥٤. قرأ أهل المدينة: ﴿يَقُولُ النَّعَّاسُ﴾ بضم الياء وكسر الشين خفيف، «النَّعَّاسُ» نصب؛ كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أَفْعَيْتَ يُوحْيُهُ﴾ [يونس: ٢٧]، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشدداً، «النَّعَّاسُ» نصب على أن الفعل

له عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿فَقَسَّهَا مَا عَثِيَ﴾ [النجم: ٥٤]، والنعاس: النوم الخفيف. ﴿أَمَنَّا﴾ أمنأ ﴿وَمَنَّا﴾ مصدر أمنت أمنأ وأمنة وأماناً. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال

أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان. ﴿وَيُرِيدُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾، وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم مُخْذِلِينَ وبعضهم مُجَنَّبِينَ، وأصابهم الظما ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله، وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبيين، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عز وجل عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية وأطفا الغبار ولبد الأرض، حتى ثبتت عليهم الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة.

﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رِيزَ الْقَيْظِ﴾، ووسوسته، باليقين والصبر، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، حتى لا تسوخ في الرمل بتلييد الأرض. وقيل: ثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب.

﴿١٢﴾ ﴿إِذْ يُرْمَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلِكُوتِ﴾، الذين أمد بهم المؤمنون، ﴿أَنْتِي مُيَمِّدُكُمْ﴾، بالعون والنصر، ﴿فَتَنَزَّلُ الْأَزْنَانُ﴾، أي: قُوتوا قلوبهم، قيل: ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي: ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل: أي:

بشروهم بالنصر، وكان المَلَكُ يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم. ﴿سَأَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي، ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو متصل بقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ أَمْشَوْا﴾، وقوله: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قال عكرمة: يعني الرووس لأنها فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق، وفوق صلة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَرَبَ آخِرَابٍ﴾ [محمد: ٤]، وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق. فوق بمعنى: على. ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين. قال ابن الأنباري: ما كانت الملائكة تعلم كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله عز وجل.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل هو سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس قال:

بينما رجل من المسلمين يومئذ يشد في أثر رجل من المشركين

أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم خيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فحزّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشقّ وجهه كضربة السوط فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة». فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وروي عن أبي داود المازني وكان شهد بدرأ قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وروي أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال عكرمة: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتنم لإسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبتته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة إذ أقبل الفاسق أبو

لهب يجزّ رجله حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فيينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، قال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمتحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وإني والله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فتاورته فاحتلني فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجرة منكرة، وقالت: تستضعفه إن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

وروي مقسم عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرت العباس؟ قال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل

ذلك ولا بعده، هيئتُه كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أهانك عليه ملك كريم».

﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا اللَّهَ، خالفوا الله، «وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُتَافِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنَّا اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

﴿١٤﴾ ذَلِكَكُمْ، أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار ببدر، «فَقُدُّوهُ»، عاجلاً، «وَأَنْتَ الْكَافِرِينَ»، أي: واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلاً في المعاد، «عَذَابُ النَّارِ».

روى عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالعرير ليس دونها شيء، فتاده العباس وهو أسير في وثاقه: لا يصلح لك، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْتَهُ؟» قال: لأن الله تعالى وعدهك إحدى الطائفتين وقد أعطاك وما وعده.

﴿١٥﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحَقًا»، أي: مجتمعين متزاحفين بعضهم إلى بعض، والتزاحف: التداني في القتال: والزحف مصدر ولذلك لم يجمع؛ كقولهم: قوم عدل ورضاً. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة، فهم [الزحف و] الجمع الزحوف. «فَلَا تُولَوْهُمْ الْاَدْبَارَ»، يقول: فلا تولوهم ظهوركم، أي: لا تنهزموا فإن المنهزم يولى ذبيرة.

﴿١٦﴾ «وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ»، ظهره، «إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ»، أي: منعطفاً يري من نفسه الانهزام، وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة، «أَوْ مَتَحَرِّفًا إِلَيْكَ فَتَوَلَّى»، أي: منضمماً صائراً إلى جماعة من المؤمنين يريد

العود إلى القتال. ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون إلى القتال، فمن ولي ظهره لا على هذه النية لحقه الرعيد؛ كما قال تعالى: «فَقَدَّ بَكَةً يَتَضَيَّبُ مِنْ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْكَبِيرُ»، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم

يكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبي ﷺ، ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأبى بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض، فيكون الفار متحيزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك. وقال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله النار لمن فرّ يوم بدر، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: «إِنَّمَا آمَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ» [آل عمران: ١٥٥]، ثم كان يوم حنين بعده فقال: «ثُمَّ رَكِبْتُمْ مَذَرِيكَ» [التوبة: ٢٥]، «ثُمَّ يَتَوَلَّى اللَّهُ مِنْ بَدَنِكَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» [التوبة: ٢٧].

وقال عبد الله بن عمر: كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا، فقلنا: يا رسول الله نحن الفزارون، قال: «بل أنتم الكزارون، أنا فئة المسلمين».

وقال محمد بن سيرين: لما قُتل

سورة الأنفال

سورة الأنفال

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَئِنْ لَمْ تَدْرِكُوا لُحُومَهُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ذَلِكَكُمْ وَأَنْتَ مَوْحِدٌ كَذِبُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ إِنْ تَسْتَوِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَمَا وَحَدَّ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدُ وَلَنْ نَقِيَّ عَنْكُمْ وَفَتْحَكُمْ فَيَنَالُوا كَثْرَتٌ وَأَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنَاهُ وَاتَّبِعُوا تَسْمِعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمِعُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ إِلَيْكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خِيراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ خَشِيعُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْفِرُوا فِيهِ لَتُؤْمِنَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾

١٧٩

أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إلي كنت له فئة فانا فئة كل مسلم. وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولي منهزماً. جاء في الحديث: «من الكبائر الفِرَارُ من الزحف».

وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: «الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» [الأنفال: ٦٦]، فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت تلك إلا في هذه العدة، وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا ويولوا ظهورهم إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولوا ظهورهم وينحازوا عنهم. قال ابن عباس: من فرّ من ثلاثة فلم يفر، ومن فرّ من اثنين فقد فرّ.

﴿١٧﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ»

وَلِكَيْ يَكُونَ اللَّهُ قَتْلَهُمْ، قال مجاهد: سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلُ فلاناً ويقول الآخر مثله، فنزلت هذه الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرتهم إياكم وتقويته لكم. وقيل: ولكن الله قتلهم بإمداد الملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

قال أهل التفسير والمغازي: ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال لهما: «أين قريش؟» قالا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكتيب: العقنقل، فقال رسول الله ﷺ: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدّتهم؟» قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسع مائة إلى الألف»، ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشرف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخثري ابن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر، وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف، ونبيه ومُنْبَه ابنا الحجاج وسُهَيْل بن عمرو، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»، فلما أقبلت

قريش ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكتيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي قال لهم: «هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاذك وتكذب رسولك، اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني»، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفاً من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم، وقال: «شاهت الوجوه»، فلم يبق منهم مشرك إلا ودخل في عينيه وفمه ومنخره منها شيء، فانهزموا ورَدَقَهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

وقال قتادة وابن زيد: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاً من الحصا إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء. وقيل: معنى [الآية] وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ. وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا، ﴿وَيَسْتَلِ الْفَوْزِيَّتِ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَكًا﴾، أي: ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت من

القتل والرمي والبلاء الحسن، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، قيل: فيه إضمار، أي: واعلموا أن الله ﴿مُوهِنٌ﴾، مضعف، ﴿كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: «موهن» بالتشديد والتنوين، ﴿كَيْدٌ﴾ نصب، وقرأ الآخرون [موهن] بالتخفيف والتنوين إلا حفصاً، فإنه يضيفه ولا ينون ويخفف ﴿كَيْدٌ﴾.

﴿قوله تعالى:﴾ ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدُ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أتنا أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأجئنا الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم [ثنا إبراهيم] بن سعد عن أبيه عن جده قال:

قال عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكانني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ فقال: عاهدتُ الله عز وجل إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله، فما سرّني أني بين رجلين بمكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفرأ.

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرْ لَنَا مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟»، قال: فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابننا عفراء حتى برد، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قتلتموه.

[قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة أمر بأبي جهل بن هشام أن يلتبس في القتلى، فقال: «اللَّهُمَّ لَا يَعْجِزُكَ»، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة أظنت قدمه بنصف ساقه، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجِلْدَةٍ من جنبي وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عاتمة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما أذنتي جعلت عليها قلمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق، فمر عبد الله بن مسعود، قال عبد الله بن مسعود: وجدته بأخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت: هل أخذك الله يا عدو الله؟ قال: وماذا أخزاني أعمد من رجل قتلتموه، فأخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

وُروِي عن ابن مسعود أنه قال: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِي الغنم مرتقاً صعباً، ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا رأس [عدو الله] أبي جهل، فقال: «الله الذي لا إله غيره؟» قلت: نعم والذي لا إله غيره، ثم ألقيته بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله عز وجل. وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين أفضل الدينين، ففيه نزلت: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر.

وقال عكرمة: قال المشركون: والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فانزل الله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم القضاء.

وقال أبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى للمسلمين: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن [أحمد] ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا الفضل بن موسى ثنا إسماعيل بن [أبي] خالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال:

شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، [وقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تدعو الله [لنا، ألا تستنصر الله لنا]، فجلس محمراً لونه أو وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم يؤخذ بالرجل فيحفر له في الأرض ثم لي جاء بالمشار فيجعل فوق رأسه، ثم يجعل بفرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ولكنكم تعجلون».

قوله: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾، يقول الله للكفار: إن تنتهوا عن الكفر بالله وقاتل نبيه ﷺ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾، لحربه وقتاله، ﴿فَقَدْ﴾ بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر. وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ، ﴿وَلَنْ تَقَىَّ عَنَّا وَفَتْحَكُمْ﴾، جماعتكم، ﴿فَتَيْنَا وَكُنَّا كَثُرْتُ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك ﴿وَلَنْ تَقَىَّ عَنَّا وَفَتْحَكُمْ فَتَيْنَا﴾، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿وَلَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾، وقرأ الآخرون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الالف على الابتداء.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾، أي: لا تعرضوا عنه،

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾، القرآن ومواعظه. ﴿٢١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، أي: يقولون بالسنتهم سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون، أي: لا يتعظون ولا يتفكرون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا.

﴿٢٢﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾، أي: شر من دب على وجه الأرض من خلق الله، ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَلَمُّ الْبُكْمِ﴾، عن الحق فلا يسمعون ولا يقولونه، ﴿الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله عز وجل سماعهم ﴿الدَّوَابِّ﴾ لقلة انتفاعهم بعقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن ضمُّ بُكْمٍ عُمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللّواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، بعد أن علم في غيبه أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال [لهم] الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ كلام قصي بعد إحيائه لهم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، يقول:

أجيبوهما بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾، الرسول ﷺ، ﴿لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾، أي: إلى ما يحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق. وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل. وقال القتيبي: بل الشهادة، قال الله تعالى في الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَا عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وروي أن النبي ﷺ مر على أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي فدعاه فجعجأ أبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟» قال: كنت في الصلاة، قال: «أليس يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾؟» [فقال: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبت وإن كنت مصلياً].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان. وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية. وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه. وقيل: هو أن

القوم لما دُعُوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقبل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الله الخوف أمناً والجبن جُزأة وشجاعة. ﴿وَأَلَّهِ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ﴾، فيجزيك بأعمالكم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قالوا: يا رسول الله آمناً بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً﴾، اختباراً وبلاء. ﴿لَا تُفْسِدْنَ﴾، قوله: ﴿لَا تُفْسِدْنَ﴾ ليس بجزء محض، ولو كان جزاء لم تدخل فيه النون، لكنه نفي، وفيه طرف من الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النمل: ١٨]، وتقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك، فهو جواب الأمر بلفظ النفي، معناه: إن تنزل لا تطرحك. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم قال الحسن: نزلت في علي وعمر وطلحة والزبير رضي الله

سورة الأنفال

سورة الأنفال

وَأَذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَعْفِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَحَاوَرْتُمْ
 أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُسْرِعُونَ فَرَّغْتُمْ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لِمَلَائِكَتِكُمْ تَسْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا يُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّنُوا آمَنَنتُمْ بِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْلِمُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَشَنَاءُ اللَّهِ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ نَفَقُوا
 اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا الْيَهُودُ أَوْ تَعْلِكُوا لَوْ كَفَرْتُمْ لَوْ كَفَرْتُمْ لَوْ كَفَرْتُمْ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْتُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
 قَالُوا اقْبَلُوا مِصْقَاتِ الْوَنُشَاءِ لَقَدْ سَاءَ لِلَّذِينَ هَذَا مَا
 أُسْطِرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا بِإِيمَانٍ الْيَوْمِ ﴿٣٢﴾ وَمَا كُنْتَ إِلَّا مُعَذِّبُهُمْ
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنْتَ إِلَّا مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٨

والماشي فيها خير من
 الساعي، من تشرف لها
 تستشرفه، فمن وجد ملجأ
 أو معاذاً فليعُد به.

قوله: ﴿لَا تَحْزِينَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاسِرَةٌ﴾،
 يعني: العذاب، ﴿وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله تعالى:
 ﴿وَأَذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ
 مُسْتَعْفِفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾،
 يقول: اذكروا يا معشر
 المهاجرين إذ أنتم قليل في
 العدد مستضعفون في
 أرض مكة في ابتداء
 الإسلام، ﴿تَحَاوَرْتُمْ أَنْ

عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه
 الآية زماناً وما أَرَانَا مِنْ أَهْلِهَا فإِذَا
 نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم
 الجمل. وقال السدي ومقاتل
 والضحاك وقتادة: هذا في قوم
 مخصوصين من أصحاب
 رسول الله ﷺ أصابتهُم الفتنة يوم
 الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله
 عز وجل المؤمنين أن لا يُقَرُّوا
 المنكر بين أظهرهم فيعتهم الله
 بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي
 توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا
 محمد بن يعقوب الكسائي أنا
 عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن
 عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن
 المبارك عن سيف بن أبي سليمان
 قال: سمعت عدي بن عدي الكندي
 يقول: حدثني مولى لنا أنه سمع
 جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ
 يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ
 الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ
 ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ
 يُنْكِرُوا فَلَا يَنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ
 عَذَبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ».

وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق
 الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
 المليحي أنا أحمد بن عبد الله
 النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا
 محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا
 شعيب عن الزهري أخبرني أبو
 سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
 قال: قال رسول الله ﷺ: «مُسْتَكُونٌ
 فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ،
 وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي،

يَخْطَفُكُمُ النَّاسُ»؛ يذهب بكم
 الناس، يعني: كفار العرب. وقال
 عكرمة: كفار مكة. وقال وهب:
 فارس والروم، ﴿فَتَأْوِنَكُمْ﴾، إلى
 المدينة، ﴿وَأَيْدِيكُمْ يُسْرِعُونَ﴾، أي:
 قواكم يوم بدر بالأنصار. [وقال
 الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة]،
 ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني:
 الغنائم التي أحلها لكم ولم يحلها
 لأحد قبلكم، ﴿لِمَلَائِكَتِكُمْ تَسْكُرُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُخَوِّنُوا
 اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، قال السدي: كانوا
 يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ
 فيفشونه، حتى يبلغ المشركين.

وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية
 في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر
 الأنصاري من بني عوف بن مالك،
 وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود
 قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا
 رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح

عليه إخوانهم من بني النضير على أن
 يسبزو إلى إخوانهم إلى أذرعات
 وأريحاء من أرض الشام، فأبى
 رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك إلا أن
 ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا
 وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن
 عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم لأن
 ماله وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه
 رسول الله ﷺ فاتاهم، فقالوا له:
 يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم
 سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى
 حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو
 لبابة: والله ما زالت قلمي عن
 مكانها حتى عرفت أنني قد خنت الله
 ورسوله، ثم انطلق على وجهه، ولم
 يأت رسول الله ﷺ وشذ نفسه على
 سارية من سواري المسجد، وقال:
 والله لا أبرح ولا أذوق طعاماً ولا
 شرباً، حتى أموت أو يتوب الله علي،
 فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال:

«أما لو جاءني لاستغفرتُ له فأما إذا فعل ما فعل فإنني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه»، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خثر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، ف قيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله، فقال النبي ﷺ: «يجزيك الثلث أن تصدّق به»، فنزلت فيه ﴿لَا تَحْنُوا لِلْأَلْفِ لَافٍ﴾، ﴿وَتَحْنُوا أَمْوَالَكُمْ﴾، أي: ولا تخونوا أماناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة.

قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم. وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنّته وتخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله العباد عليها. قال قتادة: اعلموا أنّ دين الله أمانة فأدّوا إلى الله عزّ وجلّ ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

﴿٢٨﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ بكمُ وَأَوْفَدَكُمْ إِلَيْنَا﴾، قيل: هذا أيضاً في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفاً عليهم. وقيل: هذا في جميع الناس.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي إملاءً وأبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي قالوا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني أنا محمد بن محمد بن رزمويه حدثنا يحيى بن محمد بن غالب حدثنا [يحيى] بن يحيى حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة.

أن النبي ﷺ أتى بصبي فقبله، وقال: «أما إنهم مَبْخَلَةٌ مَجْنُونَةٌ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، لمن نصح الله ورسوله وأدى أمانته.

﴿٢٩﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿تَكَايَبًا أَلِيًّا ۖ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾، بطاعته وترك معصيته، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، قال مجاهد: مخرجاً في الدنيا والآخرة. وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً في الدين من الشبهات. وقال عكرمة: نجاة أي يفرّق بينكم وبين ما تخافون. وقال الضحاك: بياناً. وقال ابن إسحاق: فصلاً بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم، ويطفئ باطل من خالفكم. والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يمحّ عنكم ما سلف من ذنوبكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمَكُرُ بِكُ الْزَيْنُ كُفْرًا﴾، هذه الآية معطوفة على قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِلِيلٌ﴾، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا وإذا قالوا اللهم، لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة،

ولكن الله ذكرهم بالمدينة؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَضَرُّوهُ فَقَدْ ضَرُّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير: أنّ قريشاً قرئوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو النضر بن وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وأبو البختری بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وأمیه بن خلف، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، قالوا: ادخل فدخل، فقال أبو البختری: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة، تلقون إليه طعامه وشرابه وترتصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه، كما هلك من كان قبله من الشعراء؛ قال: فصرخ عدو الله الشيخ التجدي وقال: بشس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فيوشك أن يشبوا عليكم، ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم، قالوا: صدق الشيخ التجدي.

فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحم منه، فقال إبليس لعنه الله: ما هذا لكم برأي، تعتمدون عليه، تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليزهبن وليستميل قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ النجدي. فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيماً وسيطاً فتياً ثم تعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وبأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش دينته، فقال إبليس: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، القول ما قال لا أرى رأياً غيره فتفترقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له.

فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، فأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينাম في مضجعه وقال له: «تسبح ببردي هذه، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه».

ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلَاقًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف علياً بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون علياً في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقترضوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابهِ نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿لِيُثْبِتْكَ﴾، ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُنْزِلُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾. قال الضحاك: يصنعون ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق، وقيل: يجازيهم جزاء المكر، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ إِذْ يَنْتَظِرُونَ﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿فَقَدْ سَمِعْنَا أَوْ شَاءَ لِقَلْنَا يَنْتَظِرُونَ﴾، وذلك أنه كان يختلف تاجراً إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى، فيراهم يركعون ويسجدون ويقرؤون التوراة

والإنجيل، ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن، فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماؤهم وما سطر الأولون في كتبهم. والأساطير: جمع أسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم: سطرت أي كتبت.

﴿قُلْ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار، قال ابن عباس: لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين، فقال له عثمان بن مظعون رضي الله عنه: اتق الله فإن محمداً يقول الحق، قال: فأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله، قال: وأنا أقول لا إله إلا الله، ولكن هذه بنات الله، يعني الأصنام، ثم قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك، ﴿الْحَقُّ﴾ نصب بخبر كان، وهو عماد صلبة، ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ السَّحَابِ﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أَوْ أَثْنَيْنَا بِمَذَابِ آلِ إِبْرَهِيمَ﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: ﴿سَأَلْنَا سَلَّاتٍ وَمَذَابٍ وَاقِفٍ﴾ [المعارج: ١]، وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية، فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر.

قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة [صبراً]

رضي الله تعالى عنهما: لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر. فقال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لَعْنَتِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مَعَذِبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾، فعذبهم الله يوم بدر.

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كان فيكم أمانان: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع إلى المشركين، وذلك أنهم كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك غفرانك.

وقال يزيد بن رومان: قالت قريش: [اللهم] إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مَعَذِبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وقال قتادة والسدي: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون، ولو أنهم أقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين، وقيل: هذا يدعوهم إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة، كالرجل يقول لغيره: لا أعاقبك وأنت تطيعني، دعاء حتى لا أعاقبك. وقال مجاهد وعكرمة: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي: يسلمون.

معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمة ونبيها فيها، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ يذكر جهالتهم وغررتهم واستفاحتهم على أنفسهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، وقالوا: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لَعْنَتِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مَعَذِبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال ردًا عليهم: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. هَذَا كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لَعْنَتِهِمْ﴾.

واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاك وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم. قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، خرج من بين أظهرهم وبقيت فيها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مَعَذِبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن الله لهم في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم الله. قال ابن عباس

وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْكُبَّةِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٥﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٦﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَدُورُوا فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ الْأُولَٰئِكَ ﴿٣٧﴾ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ فَالِاتَّهَمُوا قُلْ اللَّهُ يَمَازِيكُمْ بِبَصِيرَةٍ ﴿٣٨﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ يَقُمْ الْمَوْتَىٰ وَهُمْ النَّصِيرُ ﴿٣٩﴾

من قريش: طعيمة بن عدي وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث.

وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي ثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزبدي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لَعْنَتِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ مَعَذِبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ لَعْنَتِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، اختلفوا في

يقول: لو أسلموا لما عذبوا. وروى الوالبي عن ابن عباس: وفيهم من سبق له من الله أنه يسلم ويؤمن ويستغفر، وذلك مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم. وروى عبد الوهاب عن مجاهد **﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**، أي: وفي أصلاهم من يستغفر.

﴿٣٤﴾ قوله تعالى: **﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾**، أي: وما يمنهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾**، أي: يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت. وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله: **﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾**، أي: بالسيف. وقيل: أراد بالاول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة. وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾** منسوخة بقوله تعالى: **﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾** **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾**، قال الحسن: كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾**، أي: أولياء البيت، **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾**، أي: أولياء البيت، **﴿إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾**، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، **﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾**، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز

له صفير، كأنه قال: الأصوات مكاء، والتصدية: التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون. وقال مجاهد: كان نفر من بني عبد الدار يُعارضون النبي ﷺ في الطواف ويستهزؤون به، ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون. فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق. والتصدية: الصفير، ومنه الصدا الذي يسمعه المصوت في الجبل. قال جعفر بن ربيعة: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله عز وجل: **﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾**، فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيراً. وقال مقاتل: كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران، ورجلان عن يساره فيصفقان ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته، وهم من بني عبد الدار.

قال سعيد بن جبير: التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد [الحرام] وعن الدين والصلاة، وهي على هذا التأويل التصددة بدالين، فقلت إحدى الدالين ياء كما يقال: تظنيت من الظن، وتقضى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم أمروا بالصلاة في المسجد الحرام، ففعلوا ذلك صلاتهم، **﴿فَذَرَوْا الذَّادَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، أي: ليصرفوا عن دين الله. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر

رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختری ابن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

وقال الحكم بن عتيبة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية. قال الله تعالى: **﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾**، يريد ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، **﴿ثُمَّ يَكْفُرُونَ﴾**، ولا يظنّفرون، **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، منهم، **﴿إِنْ جَهَنَّمَ بَحُورٌ﴾**، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

﴿٣٧﴾ **﴿يَلْبِزُ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾**، [فسي سبيل الشيطان]، **﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾**، يعني: الكافر من المؤمن فيثزل المؤمن الجنان والكافر النيران. وقال الكلبي: العمل الخبيث، من العمل الصالح الطيب، فيثبت على الأعمال الصالحة الجثة، وعلى الأعمال الخبيثة النار. وقيل: يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله. **﴿وَيَحْبِلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾**، أي: فسوق بعضهم، **﴿فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا﴾**، أي: يجمعه.

ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنم **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾**، رده إلى قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... أُولَئِكَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾** الذين خسرت

وَأَقْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ
كُنْتُمْ مَعْتَمِدِينَ وَاللَّهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَبْدًا يَدْعُوهُ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ النِّقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٨ إِذْ
أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِفْتُمْ فِي الْيَمِينِ
وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٩ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا
وَأُوَارِسُكُمْ كَثِيرًا لَقِصَّتْهُمُ اللَّذَنَ عَتَفَ الْأَمْرُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَسَمٌ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يُدَانِ الْقُصُورِ ٤٠ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ أَتَيْتُمُوهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَبِيلًا كَرِهَ
فِي أَعْيُنِهِمْ يَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ٤١ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَأَنْبَتُوا وَأَذَكُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا أَلَعَلَّكُمْ أَفْلَاحُونَ ٤٢

﴿وَلَنْ تَوَلَّوْا﴾، عن
الإيمان وعادوا إلى قتال
أهله، ﴿فَأَقْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَانَكُمْ﴾، ناصركم
ومعينكم، ﴿وَفِي السَّيْرِ
وَفِي السَّيْرِ﴾، أي:
الناصر.

﴿قوله تعالى:
﴿وَأَقْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾
الآية، الغنيمة والفية
اسمان لمال يصيبه
المسلمون من أموال
الكفار، فذهب جماعة إلى
أنهما واحد. وذهب قوم

أنهما يختلفان، فالغنيمة ما أصابه
المسلمون منهم غنوة بقتال،
والفية: ما كان عن صلح بغير
قتال، فذكر الله عز وجل في هذه
الآية حكم الغنيمة، فقال: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ
خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، فذهب أكثر
المفسرين والفقهاء إلى أن قوله:
﴿أَنَّ﴾ افتتاح كلام على سبيل التبرك
وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه،
وليس المراد منه أنَّ سهماً من
الغنيمة لله منفرداً، فإن الدنيا والآخرة
كلها لله عز وجل، وهو قول الحسن
وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي،
قالوا: سهم الله وسهم الرسول
واحد. والغنيمة تقسم خمسة
أخماس، أربعة أخماس لمن قاتل
عليها، وخمس لخمس أصناف؛ كما
ذكر الله عز وجل: ﴿وَالرَّسُولُ وَلِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ

تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم
عذاب الآخرة.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
يَكْتُمُوا﴾، عن الشرك ﴿يَقْتُلُوا لَهُمْ مَا
قَدْ سَلَفَ﴾، أي: ما مضى من ذنوبهم
قبل الإسلام، ﴿وَلَنْ يَتُودُوا فَقَدْ مَضَتْ
سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، في نصر الله أنبياءه
وأوليائه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن
معاذ الرازي: توحيد يعجز عن هدم ما
قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم
ما بعده من ذنب.

﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
فِتْنَةً﴾، أي: شرك، [و] قال
الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه،
﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي:
ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه،
﴿فَلَنْ أَتَوْا﴾، عن الكفر، ﴿فَلَنْ
اللَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ بَعْثًا﴾، قرأ
يعقوب «تعملون» بالتاء، وقرأ
الأخرون بالياء.

السَّبِيلِ﴾، وقال بعضهم: يقسم
الخمس على ستة أسهم، وهو قول
أبي العالية، سهم الله فيصرف إلى
الكعبة. والأول أصح أن خمس
الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم
كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم
هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة
الإسلام، وهو قول الشافعي
رحمه الله، وروى الأعمش عن
إبراهيم قال: كان أبو بكر وعمر
رضي الله عنهما يجعلان سهم
النبي ﷺ في الكراع والسلاح. وقال
قتادة: هو للخليفة بعده. وقال
بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود
في الخمس والخمس لأربعة
أصناف. قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾،
أراد أن سهماً من الخمس لذوي
القربى وهم أقارب النبي ﷺ.
واختلفوا فيهم فقال قوم: جميع
قريش. وقال قوم: هم الذين لا
تحل لهم الصدقة. وقال مجاهد
وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم.
وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو
المطلب وليس لبني عبد شمس ولا
لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا
إخوة، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد
الخطيب أننا عبد العزيز أحمد
الخلال، ثنا أبو العباس الأصم أنبأنا
الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن
ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن
جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم
رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين
بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط

منه أحداً من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أنا مطرف بن مازن عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:

لما قسم رسول الله ﷺ ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا أو منعنا، وإنما قربتنا وقربتهم واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين أصابعه».

واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي. وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس، وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف يتأمن والمساكين وابن السبيل. وقال بعضهم: يُعطى للفقراء منهم دون الأغنياء. والكتاب والسنة يدلان على ثبوته. والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفضل فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله، فالحق

الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطى القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهماً واحداً.

قوله: «وَالْيَتَامَى» وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس وهو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيراً، و«وَالْمَسْكِينِ» هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، و«وَأَبْنَى السَّبِيلِ» هو المسافر البعيد عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، للفراس منهم ثلاثة أسهم وللزَّاجِل سهم واحد، لِمَا:

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله بن يوسف أنا أبو سعيد بن الأعرابي ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم، سهماً له وسهمين لفرسه.

وهذا قول أكثر أهل العلم، وإليه ذهب الثوري، والأوزاعي، ومالك، وابن المبارك، والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفراس سهمان وللرجل سهم واحد، ويُرضخ للبعيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم، وبين أن يجعله وقفاً على

المصالح. وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول. ومن قتل مشركاً في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة. لِمَا رُوِيَ عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه». والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راحته، ويجوز للإمام أن ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء ويلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ويجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش.

ورُوِيَ عن حبيب بن مسلمة الفهري قال: شهدت النبي ﷺ نفل الربيع في البداة والثلاث في الرجعة.

واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟ فقال قوم: من خمس الخمس، سهم النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي. وهذا معنى قول النبي ﷺ: «مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم».

وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهم

الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق. وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقتال. وأما الفبي وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إسجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤذونه ومال الجزية، وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله في.

ومال الفبي كان خالصاً لرسول الله ﷺ في حياته. قال عمر رضي الله عنه: إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفبي بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَرِّهُ﴾ [الحشر: ٦]، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة ستنهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل.

واختلف أهل العلم في مصرف الفبي بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو لائمة بعده. وللشافعي فيه قولان، أحدهما: للمقاتلة الذين أثبت أساميهم في ديوان الجهاد، لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منهم كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلف أهل العلم في تخميس الفبي، فذهب الشافعي إلى أنه يخمس خمسة لأهل الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح. وذهب

الأكثر إلى أن الفبي لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز أنا محمد بن زكريا العذاري أنا إسحاق الديري، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفبي حق، إلا ما ملكت أيماكم.

وأخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز أنا محمد بن زكريا العذاري أنا أنبأنا أبو إسحاق الديري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿إِنَّمَا الْأَمْوَالُ الَّتِي كُفِّرَتْ وَالْفَقْرَاءُ وَالْمَسْكِينُ﴾ حتى بلغ: ﴿عَلَيْكُمْ حَيْكُمُ﴾ [التوبة: ٦٠]، فقال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَأَمْوَالُكُمْ إِنَّمَا عَنْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ حتى بلغ: ﴿وَأَنزِلْ﴾ [التكوير: ١٧]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٧]، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، فليمن عشت، فليأتين الراعي وهو يسزو جنيير نصيبه منها، لم يعرق فيها جيته.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ

بِاللَّهِ﴾، قيل: أراد ﴿وَأَمْوَالُكُمْ إِنَّمَا عَنْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ [التكوير: ١٧]، يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم آمنتم بالله، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾، أي: إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله: ﴿كُنْتُمْ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ [الأنفال: ١٠]، ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، يعني: يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل وهو ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، حارب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، على نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

﴿إِذْ أَنتُمْ﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿وَالْفُقَرَاءُ الَّذِينَ﴾، أي: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والدنيا: تأنيث الأدنى، ﴿وَهُمْ﴾، يعني: عدوكم من المشركين، ﴿وَالْفُقَرَاءُ الْقُصُورِ﴾، بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصور تأنيث الأقصى. قرأ ابن كثير وأهل البصرة «بالعدوة» بكسر العين فيهما والباقيون بضمها، وهما لغتان كالكسوة والكسوة والرثوة والرثوة. «وَالرَّكْبُ» يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، «سَقَلْ مِنْكُمْ» أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْلَفْتُمْ فِي الْيَمِينِ﴾، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْلَفْتُمْ فِي الْيَمِينِ﴾، لقلتكم وكثرة عدوكم،

«نُصِرْتُ بِالصِّبَا وَاهْلَكَتْ عَاذُ
بِالدُّبُورِ». وعن النعمان بن مُقَرَّن
قال: شهدت مع رسول الله ﷺ
فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر
حتى تزول الشمس وتهب الرياح
ويتزل النصر.

قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا أحمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن
محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو
إسحاق عن موسى بن عقبة عن
سالم أبي النضر مولى عمر بن
عبيد الله وكان كاتباً له قال: كتب
إليه عبد الله بن أبي أوفى فقرأته. أن
رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي
لقي فيها العدو انتظر حتى مالت
الشمس، ثم قام في الناس فقال: «يا
أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم
فاصبروا واعلموا أنَّ الجنة تحت
ظلال السيوف»، ثم قال: «اللَّهُمَّ
مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ
وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْنَاهُمْ وَاَنْصُرْنَا
عَلَيْهِمْ».

﴿٤٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا،
فَخَرُوا وَأَشْرًا، وَرِيقَةَ النَّاسِ﴾، قال
الزجاج: البطر الطغيان في النعمة
وترك شكرها، والرياء: إظهار
الجميل ليري وإبطان القبيح،
﴿وَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا
يَمْلِكُونَ حُجَيْطًا﴾. نزلت في المشركين
حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغى

وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ
هذه قريش قد أقبلت بخيلائها
وفخرها تُجَادِلُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ،
اللَّهُمَّ فَانصُرْكَ الذي وعدتني»، قالوا:
لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيَّره
أرسل إلى قريش أنكم إنمَّا خرجتم
لتمنعوا غيركم فقد نجاها الله،
فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا
نرجع حتى نردَّ بدرًا، وكان بدرٌ
موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم
بها سوق كل عام، فنقيم بها ثلاثاً
فننحر الجزور ونطعم الطعام ونُسقي
الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع
بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً،
فوافوها فسُقوا كؤوس المنيا مكان
الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان
القيان، فنهى الله عباده المؤمنين أن
يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية
والحسبة في نصر دينه ومؤازرة
نبيه ﷺ.

﴿٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَّهُمُ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، وكان تزيينه أن
قريشاً لما اجتمعت للسير ذكرت
الذي بينها وبين بني بكر من
الحرب، فكاد ذلك أن يشنيهم فجاء
إبليس في جند من الشياطين معه
رايته فتبذى لهم في صورة سراقه بن
مالك بن جعشم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ:
لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ آلِ النَّاسِ
وَإِنْ جَاءَ لَكُمْ﴾، أي: مجير
لكم من كنانة، ﴿فَلَنَّا تَرَاثِيمَ
الْفِتَنِ﴾، أي: التقى الجمعان رأى
إبليس أثر الملائكة نزلوا من السماء
وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿تَكْمَلُ
عَلَى عَقَبَيْهِ﴾، قال الضحاك: ولَّى
مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع

القهقري على قفاه هارباً.

قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس
في صف المشركين على صورة
سراقه أخذاً بيد الحارث بن هشام،
فنكص على عقبه، فقال له
الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل
يمسكه فدفع في صدره وانطلق هارباً
وانهزم الناس، فلما قدموا مكة
قالوا: هزم الناس سرقةً فبلغ ذلك
سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون
إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم،
فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف
لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك
كان الشيطان.

وقال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾،
قال: رأى إبليس جبريل معتجراً بيرد
يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده
اللمج يقود الفرس، ما ركب بعد.

وقال قتادة: كان إبليس يقول:
إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال:
﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب الله ما
به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة
به ولا منعة فأوردتهم وأسلمهم،
وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا
التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ
منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله
أن يهلكني فيمن يهلك.

وقال الكلبي: خاف أن يأخذه
جبريل عليه السلام ويُعرِّف حاله فلا
يطيعوه. وقيل: معناه إني أخاف
الله، أي: أعلم صدق وعده لأوليائه
لأنه كان على ثقة من أمره.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، قيل:
معناه إني أخاف الله عليكم والله

ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَعَرًا نَمَّةً أَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْهُمْ وَمَا أَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ كَذَّابٌ مَّالٍ فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فَرَعُونَ وَكُلٌّ كَاذِبُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّمَا تَنفِقُ فِي الْحَرْبِ فَنُفِذْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَمْ تَعْلَمْ بِذِكْرِهِمْ ﴿٦١﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِشَاءَةٍ فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْلِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يُحَسِّنُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَبَّوْا أَنَّهُمْ لَا يَعْمُرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَرِيبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَشْفِقُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ إِلَٰكِكُمْ وَأَنَّكُمْ لَا تُنظَّمُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِن جُنُودُكَ لَاسْلِمٌ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

يفعل بأعدائه ما يشاء، ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوي بين وليه وعدوه.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد، ﴿إِذْ يَتَوَكَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ تَكُنْ بِضُرَّيْتُمْ﴾، أي: يقبضون أرواحهم. اختلفوا فيه، قيل: هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار [وأدبارهم] بسياط النار. وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين بسدر كانت الملائكة يضربون، ﴿وَجُوهَهُمْ وَأَذِينَرَهُمْ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد

شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله، ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن إبراهيم بن أبي عليّة، عن طلحة بن عبد الله بن كُرَيْز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رُؤِيَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحر ولا أحقر ولا أغبط منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما كان من يوم بدر»، فقيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يزج الملائكة»، هذا حديث مرسل.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَكُونُ الْأَمْنُ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿غَرَّ هَؤُلَاءَ دِينُهُمْ﴾، يعني: غرّ المؤمنين دينهم، هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة قد أسلموا، وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة، فلما خرجت قريش إلى بدر، أخرجوهم كرهاً، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا، وقالوا: غرّ هؤلاء دينهم، قتلوا جميعاً منهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف الجمحي، والعاص بن منبه بن الحجاج. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويشق به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾، قوي

الذي وقع بكم، ﴿وَمَا فَدَّتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أي: بما كسبت أيديكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿كَذَّابٌ مَّالٍ فَرَعُونَ﴾، كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَعَرًا نَمَّةً أَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْهُمْ وَمَا أَنفُسِهِمْ﴾، أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم

استاهم ولكن الله حيي يكتفي. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي القتل. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، أي: وتقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

﴿٥٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: ذلك الضرب

النعمة. وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الأنصار، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٤﴾ كَذَّابٍ مَّالٍ فَرَعَوْتُ، كصنيع آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا قَالِهِمْ﴾، من كفار الأمم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أهلكنا بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالمسخ، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالغرق، فكَذَلِكَ أَهْلَكْنَا كَفَّارًا بَدْرًا بِالسَّيْفِ، لَمَّا كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، ﴿وَأَعْرَفْنَا مَا يَكُونُ فَرَعَوْنُ وَقُلْ كَانُوا أَظِلَالًا﴾، يعني: الأولين والآخرين.

﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ يَمِينُهُمْ، يعني: عاهدتهم، وقيل: عاهدت بعضهم. وقيل: أدخل ﴿مِنْ﴾ لَأَنَّ مَعْنَاهُ أَخَذَتْ مِنْهُمْ الْعَهْدَ، ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وهم بنو قريظة، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد ومالؤوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة،

فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا تَتَفَقَّهُنَّ، تَجِدْنَهُمْ، ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم بالحرب وأسرتهم، ﴿فَتَرَةً يَبِيحُ مَن خَلَفَهُمْ﴾، قال ابن عباس: فنكح بهم من ورائهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه: فزق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدهم وجاؤوا لحربك فعلاً من القتل والتنكيل، يَفَرِّقُ مِنْكَ وَيَخَافُكَ مَن خَلَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، ﴿لَمَّا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾، يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَعَطَّلُونَ وَيَعْتَبِرُونَ فَلَا يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ.

﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُكَ، أي: تعلمن يا محمد، ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾، معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾، نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والتضير، ﴿فَالْيَدُ إِلَيْنَاهُ﴾، فاطرح لهم عهدهم، ﴿عَلَّ سَوْءَهُمْ﴾، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة التمار، ثنا أبو

داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا حفص بن عمر النمري ثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم بن عامر رجل من جُمَيْرٍ قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاة لا غدراً، فنظر فإذا هو عمرو بن عبسة، فأرسل إليها معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عَقْدَهُ وَلَا يَحْلُلُهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْلَهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ»، فرجع معاوية رضي الله عنه.

﴿٥٩﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمة وحفص ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿سَبَقُوا﴾، أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، فمن قرأ بالياء يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنفُسَهُمْ سَابِقِينَ فَائِثِينَ مِنْ عَذَابِنَا، وَمَنْ قَرَأَ بِالنَّاءِ فَعَلَى الْخُطَابِ. قرأ ابن عامر: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾، بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتونني. وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

﴿٦٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ﴾، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر

أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهم».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا عبد الرحمن بن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: «إذا أكتبوكم فعليكم بالنبل».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح السلمي قال: حاصرنا مع النبي ﷺ الطائف فسمعت النبي ﷺ يقول: «من بلغ بسهم في سبيل الله

فهو له درجة في الجنة»، قال: فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرم».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني. عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بالسهم الواحد الجنة ثلاثة صانعه، والمميد به، والرامي به في سبيل الله».

وروى عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومُنْبِلُهُ فازموا وازكبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه وتأديته فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق. ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنه نعمة تركها، أو قال كفرها».

قوله: «وَمَنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ»، يعني: ربطها واقتناؤها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون من رباط الخيل الإناث. وروى عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث، لقلة صهيلها. وعن أبي مخيرز قال: كان الصحابة رضي الله

عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم ثنا زكريا عن عامر، ثنا عروة البارقي. أن النبي ﷺ قال: «الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن حفص ثنا ابن المبارك ثنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَسَبَ فرساً في سبيل اللّهِ إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فَإِنَّ شَبْعَهُ وَرَيْهَ، وَرَوْثَهُ، وبوله في ميزانه يوم القيامة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيْلُ ثلاثة لرجل أجْرٌ، ولرجل سِتْرٌ وهي لرجل وَرَرٌ، فأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرح أو الروضة كانت له حسنة، ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها

العين]، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ رِجَالٌ صَابِرُونَ يَقُولُوا يَا نَبِيَّاهُ، مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَقُولُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فردّ من العشرة إلى الاثنين، فإن كان المسلمون على الشطر من عدوّهم لا يجوز لهم أن يفرّوا. وقال سفيان: قال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا. قرأ أهل الكوفة: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ رِجَالٌ صَابِرُونَ﴾، بالياء فيهما، وافق أهل البصرة في الأول والباقيون بالتاء فيهما، ثم قرأ عاصم وحمزة: «ضعفاً» بفتح الضاد ههنا وفي سورة الروم، والباقيون بضمّها.

﴿٦٧﴾ و قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا لِنَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَشْرَى﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: «تكون» بالتاء والباقيون بالياء، وقرأ أبو جعفر: «أسارى»، والآخرون: «أشري».

وروى الأعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدّمهم نضرب أعناقهم، مكنّ علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكنّي من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال عبد الله بن

رواحه: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال له العباس: قطعت رحمك، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه، ثم دخل: فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشدّ قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم». [ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى حيث قال: ﴿إِنْ تَهَيَّئْتُمْ لِقَائِهِمْ عِبَادَهُ فَإِنَّهُمْ لَكَ الْمَرْبُوتُ﴾] [المائدة: ١١٨]، ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي الْآرِثِينَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ذَرْنِي وَأَنْصُرْنِي﴾ [سورة: ٢٦]، ومثلك يا عبد الله بن رواحة مثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا أَطِيسُ عَلَى أَمْرِيهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية [يونس: ٨٨]، ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق»، قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيته في يوم أخوف من أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن بيضاء».

قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ﷺ ما

قال أبو بكر ولم يهر ما قلت، فلما كان من البغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابيهم أدنى من هذه الشجرة» - لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ -، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كُنَّا لِنَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَشْرَى حَقٌّ يُنْجِي فِي الْآرِثِينَ﴾ إلى قوله: ﴿تَكُونُوا مِمَّا عَفَا عَنْكُمْ خَلْقًا حَسَنًا﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]. فأحل الله الغنيمة لهم بقوله: ﴿أَشْرَى﴾ جمع أسير مثل قتلى وقتيل.

قوله: ﴿حَقٌّ يُنْجِي فِي الْآرِثِينَ﴾، أي: يبالغ في المشركين وأسره، ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصرهم دين الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ غَفِيرٌ حَكِيمٌ﴾، وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: ﴿وَمَا مَثَلُ بَدَأَ وَلَمَّا يَفْلُكُ﴾، فجعل الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاءوا أعتقوهم وإن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا

الغنائم لأحد من قبلنا، وذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا.

﴿٧١﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «من الأسارى» بالالف والباقون: بلا ألف.

نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان أسير يوم بدر، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر وكان يوم بدر نوبته، وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى، وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا، أفلا أتركه لك»، وكلف فداء بني أخيه عقيب بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أنكف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «أين الذهب الذي دفعته أم الفضل وقت خروجك من مكة فقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني بنيه، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربي عز وجل»، قال العباس: أشهد أنك صادق! وأن لا إله إلا الله وإنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ

وَأَصَابَكُمْ، ﴿وَمَا أَخَذْتُمْ﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن إسحاق: لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو

نزل عذاب من السماء عذاب ما نجا منهم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ».

﴿٧٢﴾ فقال الله تعالى: ﴿فَلَا يَمَنَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَلَا حَرَامًا وَأَنفَرُوا إِلَى اللَّهِ عِزًّا﴾، روي أنه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء، فنزل: ﴿فَلَا يَمَنَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية.

وروي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أحلّ لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن همام ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تحل

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ وَإِذَا مَوَّلَهُمْ وَأَنفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ وَأَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا أَمَّا الَّذِينَ مِن بَيْنِهِمْ فَوَقَّعُوا حَتَّى يَهِجِرُوا وَإِنِ اسْتَفْصَمُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ فَالتَّصَدَّقُوا بِالْأَعْلَى قِيمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ وَاللَّهُ يُعَاقِبُهُمْ بِبَصِيرَةٍ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْثُومِ أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضٌ لَا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّكُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ وَأَمْعَهُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

استبعدوهم، وإن شأوا فادّوهم وإن شأوا اعتقوهم.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُتِبَ مِنَّا اللَّهُ سَبَقٌ﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئاً من الغنائم جعلوه للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كُتِبَ مِنَّا اللَّهُ سَبَقٌ﴾، يعني: لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحلّ لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يواخذ قوماً ففعلوا أشياء بجهالة ﴿لَسَّكُمْ﴾، لئالكم

لَنْ فِي أَيُّدِكُمْ مِنَ الْأَنْسَرِ، الذين أخذتم منهم الفداء ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، أي: إيماناً، ﴿يُوَفِّقْكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُنْزِلَ مِنْكُمْ﴾، من الفداء، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله عنها عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير، وأدانهم بضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل.

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يُرِيدُوا بِيَأْتَنَكَ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ حَاوُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ببدر، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل، فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

﴿٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين من مكة، ﴿وَنَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم، ﴿وَنَصَرُوا﴾، أي: نصرهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، ﴿أُولَئِكَ بِمَعْزُومٍ أَوَلِيَّةٌ مِنْهُنَّ﴾، دون أقرانهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس:

في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخاً بقوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ وَلَدِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، يعني: في الميراث، ﴿وَلَا يَتِيمٌ يَهِجِرُوا﴾، قرا حمزة: ﴿وَلَا يَتِيمٌ﴾ بكسر الواو والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة: ﴿وَلَنْ اسْتَصْرِفَكُمْ فِي الَّذِينَ﴾، أي: استصرمكم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿فَمَلِكُكُمْ الْكَفَرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ يَبِيِّنُكُمْ وَيَنْتَهُمُ يَبِيِّنُ﴾، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْزُومٍ أَوَلِيَّةٌ﴾، في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض، ﴿إِلَّا تَقَعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: ألا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. وقال ابن جريج: ألا تعاونوا وتناصروا. وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعضهم، ثم قال: ﴿إِلَّا تَقَعَلُوهُ﴾، وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن، ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ

فِي الْأَرْضِ وَمَسَادٌ كَثِيرٌ﴾، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام.

﴿٧٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، لا مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل: حقوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، الجنة. فلان قيل: فاي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات، فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة الثانية.

﴿٧٥﴾ قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾، أي: معكم، يريد أنتم منهم وهم منكم، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام. قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله عز وجل. وقيل: أراد بكتاب الله القرآن، يعني: القسمة التي بينها في سورة النساء، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.



سورة التوبة

قال مقاتل: هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة. قال سعيد بن جبيرة: قلت لابن عباس: ما تقول في سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل «ومنهم»، وفيهم» حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: قل سورة بني النضير.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد [بن] إبراهيم الثعلبي، أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين الجرجاني أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنبأنا أحمد بن علي بن المشنى ثنا عبيد الله القواريري ثنا يزيد بن زريع

ثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، حدثني يزيد الفارسي حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور

ذوات العدد، فإذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال مما نزلت بالمدينة»، وكانت براءة من آخر ما نزل، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن ثم قرئت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال.

① قوله تعالى: «بَرَآءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشأة والدناءة.

قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المتأفقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله

عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله عز وجل: «وَأَمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ» [الأنفال: ٥٨] الآية. قال الزجاج: براءة أي: قد برى الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، «إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ، وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاهدهم، لأنه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك، فكانهم عاهدوا وعاهدوا.

② «فَيَسْجُودُوا فِي الْأَرْضِ»، رجع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم يسجدوا أي سجدوا في الأرض مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين، «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ»، أي: غير فائتين ولا سابقين، «وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ»، أي: مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ. فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حذبه بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك. الله ورسوله، فيقتل حيث يدرى ويؤسر، إلا أن يتوب، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم،

وذلك خمسون يوماً. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون. وقال الكلبي: إنما كانت الأربعة أشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر فأنتم له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده، بقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا بِأَيْمَانِهِمْ عَهْدَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا﴾ [التوبة: ٤]. وقال الحسن: أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين، والبراءة منهم، وأجلهم أربعة أشهر، فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر، لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد، فكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر. وأحل دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الأجل. وقيل: نزلت هذه قبل تبوك.

قال محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما: نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخل بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها، وأغانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن

مسالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال:

لا هم إني ناشدُ محمداً
حلف أبينا وأبيه الأثلدا
فانصُرْ هداك الله نصراً أبداً
وادعُ عبادَ الله يأتوك مدداً
أبيض مثل الشمس يسمو صعداً
إن سيم خسفاً وجهه تريندا
هم يبتوننا بالهجير هجداً
وقتلونا ركعاً وسجداً
كنت لنا أباً وكثاً ولداً
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدأ
فيهم رسول الله قد تجزدا
في قلبي كالبحر يجري مُزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجي أحداً
وهم أذل وأقل عدداً

فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرت إن لم أنصركم»، وتجهز إلى مكة سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج ثم قال: إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة فيبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج، ويبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً كرم الله وجهه، على ناقته العضياء ليقرا على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنني شيء؟ قال: «لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر

أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحج، وعليه رضي الله عنه ليؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس وحذتهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم سورة براءة.

وقال زيد بن يثيع: سألتنا علياً: بأي شيء بعثت في تلك الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مذهبه، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا. ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع.

فلما قال قائل: كيف بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ثم عزله وبعث علياً رضي الله عنه؟ قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ لم يعزل أبا بكر رضي الله عنه، وكان هو الأمير وإنما بعث علياً رضي الله عنه لينادي بهذه الآيات، وكان السبب فيه أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل من رهنه، فبعث علياً رضي الله عنه إزاحة للعلة لئلا يقولوا: هذا خلاف

ما نعرفه فَيُثَاقِي نقض العهد، والدليل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الأمير ما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسحاق، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نوذّن بمعنى: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وقال حميد بن عبد الرحمن: ثم أرفد رسول الله ﷺ علياً فأمره أن يؤذّن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذّن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

﴿وَأَذِّنْ﴾ عطف على قوله: ﴿بِرَأْيِهِ﴾، أي: إعلام. ومنه: الأذان بالصلاة، يقال: أذنته فأذّن أي: أعلمته فعلم، وأضله من الأذان أي أوقعته في أذنه، ﴿فَرَأَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى الْيَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، واختلفوا في يوم الحج الأكبر، روى عكرمة عن ابن عباس: أنه يوم عرفة. وزوي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب. وقال جماعة: هو يوم الحج. زوي عن يحيى بن الجزار قال: خرج علي رضي الله عنه يوم النحر على بغلة بيضاء، يريد الجبانة، فجاءه رجل فأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر،

فقال: يومك هذا، خلّ سبيلها. ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي. وروى ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها. وكان سفيان الثوري يقول: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل يوم صفيين ويوم الجمل ويوم بُعث، يُراد به الحين والزمان، لأن هذه الحروب دامت أياماً كثيرة. وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر الذي حجّ فيه رسول الله ﷺ، وهو قول ابن سيرين؛ لأنه اجتمع فيه حجّ المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشرّكين، ولم يجتمع قبله ولا بعده، واختلفوا في الحج الأكبر، فقال مجاهد: الحج الأكبر القران، والحج الأصغر أفراد الحج. وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر: الحج، والحج الأصغر: العمرة. قيل لها الأصغر لتقصان أعمالها. قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، أي: ورسوله أيضاً بريء من المشرّكين. وقرأ يعقوب [ورسوله] بنصب اللام، أي: إنّ الله ورسوله بريء، ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ رجعت من كفركم وأخلصتم التوحيد، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَلَنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن الإيمان، ﴿فَاعْمَلُوا لَكُمْ عَمَلٌ مُّعْجِزٌ اللَّهُ وَيَخِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكُذَّابٍ أَلِيَّةٍ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذا استثناء من قوله: ﴿بِرَأْيِهِ﴾، فإن الله ورسوله إلى الذين عاهدتم

مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إلا من عهد الذين عاهدتم من المشرّكين، وهم بنو ضمرة، حيّ من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدّتهم، وكان قد بقي من مدّتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ﴾، من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿وَلَمْ يَظْهَرُوا﴾، لم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من عدوّكم. وقرأ عطاء بن يسار: «لم ينقضوكم»، بالضاد المعجمة من نقض العهد، ﴿فَأَتَوْا لِإِيَّتِهِمْ عَهْدَهُمْ﴾، فأوفوا لهم بعهدهم، ﴿إِلَّا مَنِ عَاهَدْتُمْ﴾، إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿لَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْلَخَ﴾، انقضى ومضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾، قيل: هي الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد فمن كان له عهد فعنده أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوماً. وقيل لها «حُرُمٌ» لأن الله تعالى حرّم فيها على المؤمنين دماء المشرّكين والتعرض لهم. فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم، والله تعالى يقول: ﴿إِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾؟ قيل: لما كان هذا القدر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها اسلاخ [مدة] الأشهر الحرم.

قوله: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجِدْتُمْهُمْ فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ، فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ، وَتَدْرُوكُمْ، وَأَسْرُوهُمْ، وَأَحْصَوْهُمْ، أَي: أحبسوهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إن تحصنوا فاحصروهم، أي: امنعواهم من الخروج. وقيل: امنعواهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام.

﴿وَأَقْبِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصِدٍ﴾، أي: على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رسداً لتأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل: اقبعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها، ﴿وَإِنْ تَابُوا﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾،

يقول: دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾، لمن تاب، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم وقتلهم، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾، أي: استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله، ﴿فَلْيَرْزُقْهُ﴾، فأعذه وأمنه، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ﴿ثُمَّ أُلْقِهِ مَأْمُتٌ﴾، أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك ذلك ففُهِزْتَ عليه فاقتله، ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَمْلِكُونَ﴾، أي: لا

يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾﴾، هذا على وجه التعجب، ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله، وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال جل وعلا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

أَحْرَارٌ﴾، قال ابن عباس: هم قريش. وقال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْبَلُوا لَكُمْ﴾، أي: على العهد، ﴿فَأَسْتَقْبَلُوا لَكُمْ﴾، فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن يلحقوا بأي بلاد الله شأوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر. قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم [من] قبائل بكر: بنو خزيمة بنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الديل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة. وهذا القول

الحكمة العظمى

الحكمة العظمى

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْبَلُوا لَكُمْ فَأَسْتَقْبَلُوا لَكُمْ ﴿٦﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأَنَّى قُلُوبُهُمْ وَأَكْفَرُهُمْ فَتَسْفُتُونَ ﴿٧﴾ أَشَرُّ وَأَفْيَسُ اللَّهُ فَتَنَافِكُ وَلَا فَصْدُوا عَنْ سَبِيلِهِمْ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَا تَرْقُبُوا فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ نَفِضْنَا لَكُمْ قُلُوبَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ تَكُونُوا أَيْمَنُهُمْ مِنْ بَيْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي رِيحِكُمْ فَتَقِيلُوا أَهْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١١﴾ أَلَا تَقِيلُونَ قَوْمًا تَكُونُوا أَيْمَنُهُمْ وَهُمْ يَخْرَاجُ الرُّسُولَ وَهُمْ بِكُدِّكُمْ أَوْلَى سَرُّوْا أَعْتَبُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَعْتَبُوهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾

١٨٨

أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: ﴿فَمَا اسْتَقْبَلُوا لَكُمْ فَأَسْتَقْبَلُوا لَكُمْ﴾، وإنما حم للذين قال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾، كما نقصكم قريش، ولم يظاهروا عليكم أحداً كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة خلفاء رسول الله ﷺ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّائِقِينَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾﴾، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظاهروا عليكم، ﴿لَا يَرْقُبُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، قال الأخفش: كيف لا تقتلونهم وهم إن يظاهروا عليكم، أي: يظفروا بكم، لا يرقبوا: لا يحفظوا؟ وقال الضحاك: لا يتظروا. وقال قطرب:

لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة. وقال يمان: رحماً. وقال قتادة: الإل: الجلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة، إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإل هو الله عز وجل. وكان عبيد بن عمير يقرأ: «جبر إل» بالتشديد، يعني: «عبد الله» وفي الخبر أن ناساً قديموا على أبي بكر من قوم مسيلمة الكذاب، فاستقرهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرأوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من الله عز وجل. والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة: «لا يرقبون في المؤمن إيلاً» بالياء، يعني: الله عز وجل. مثل جبرائيل وميكائيل. «وَلَا ذِمَّةٌ» أي: عهداً. «يُرْمَوْنَكُمْ بِأَقْوَمِهِمْ» أي: يطيعونكم بألستهم خلاف ما في قلوبهم، «وَأَن تَأْتِيَنَّهُمُ الْغِيْثُ» الإيـمان، «وَأَكْفَرُكُمْ فَتِيقُوا» فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون، فكيف قال: «وَأَكْفَرُكُمْ فَتِيقُوا»؟ قيل: أراد بالفسق نقض العهد، وكان في المشركين من وفى بعده وأكثـرهم نقضوا، فلـهـذا قال: «وَأَكْفَرُكُمْ فَتِيقُوا».

﴿١١﴾ «أَشْرَرًا بِمَا كَذَبَ اللَّهُ تَحْتَا يَدَيْكَ»، وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكله أطعمهم إياها أبو سفيان. وقال مجاهد: أطعم أبو سفيان حلفاءه، «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ»، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله. وقال ابن

عباس رضي الله عنه: وذلك أن أهل الطائف أمذوهم بالأموال ليقوهم على حرب رسول الله ﷺ، «إِنَّمَا سَكَّةٌ» بش: «مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». ﴿١٢﴾ «لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً»، يقول: لا يُثَبِّتُوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يُثَبِّتُونَ عليكم لو ظهروا، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ»، بنقض العهد.

﴿١٣﴾ «إِن تَأْتُوا مِنَ الشَّرْكِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَاوُا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِمَا وَعَدَكُمْ، فِي الْآيَاتِ»، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، «وَتَقَعِلَ الْآيَاتِ» نبين الآيات «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»، قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. قال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:

لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه بعده، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني

ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني غنائاً كانوا يؤذونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن عباس، ثنا ابن المهدي ثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سياه عن أس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبِحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ».

﴿١٤﴾ قوله تعالى: «وَأَن تَأْتِيَنَّهُمُ الْغِيْثُ» نقضوا عهودهم، «وَأَكْفَرُكُمْ فَتِيقُوا» عقدتهم يعني مشركي قريش، «وَلَقَدْ تَوَدَّوْا» قدحوا «فِي دِينِكُمْ»، وعابوه. فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد، «فَقَتِلُوا أَهْلَهُ الْكَفَرُ»، قرأ أهل الكوفة والشام: «أَهْلَهُ» بهمزيين حيث كان، وقرأ الباقون: بتليين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة. قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ

الذين نقضوا العهد، وهم الذين هتموا بإخراج الرسول. وقال مجاهد: هم أهل فارس والروم. وقال حذيفة بن اليمان: ما قوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد، **﴿إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَهُمْ﴾**، أي: لا عهد لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: **﴿لَا يُؤْمِنُونَ لَهُمْ﴾**، بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، **﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾**، أي: لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل: عن الكفر، ثم حض المسلمين على القتال.

﴿فَقَالُوا جَبَلٌ ذِكْرُهُ﴾، **﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾**، نقضوا عهدهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على قتال خزاعة. **﴿وَمَكَرُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾**، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، **﴿وَقُمَ بَدْوُهُمْ﴾**، بالقتال، **﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَ يَدْرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ سَلِمَ الْعِيرُ: لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ﴾**، وقال جماعة من المفسرين: أراد أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، **﴿أَتَحْسَبُونَ﴾**، أتخافونهم فتتركون قتالهم، **﴿فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ تَحْسَبُونَ﴾**، في ترك قتالهم، **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**.

﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، يقتلهم الله بأيديكم،

﴿وَنُحْزِنُهُمْ﴾، وبذلهم بالأسر والقهر، **﴿وَنُصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَنُفِثْ شُدُودَ قُوَرِهِمْ﴾**، ويرى داء قلوب قوم **﴿تُؤْمِنُونَ﴾**، مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد ضلور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم، فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين.

﴿وَيُذَوِّبْ عَقَبَ قُلُوبِهِمْ﴾، كزبها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم، ثم قال مستأنفا: **﴿وَيُزَيِّبُ اللَّهُ عَلَنَ مِنْ نِقَائِهِ﴾**، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**.

رُوي أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «ارفعوا السيف، إلا خزاعة من بني بكر إلى العصر».

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَتْرَكُوا﴾﴾، قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل: للمؤمنين الذين شق عليهم القتال، فقال: أم حسبتم أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تُمنحوا ليظهر الصادق من الكاذب، **﴿وَلَمَّا يَلْعَلِ اللَّهُ﴾**، ولم ير الله **﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ يُؤْتُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رُسُلَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾**، بطانة وأولياء

﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُحْزِنُهُمْ وَنُحْزِنُهُمْ﴾، عليه ويشق صدور قوم مؤمنين **﴿وَيُذَوِّبْ عَقَبَ قُلُوبِهِمْ وَيُزَيِّبُ اللَّهُ عَلَنَ مِنْ نِقَائِهِ﴾**، والله عليم حكيم **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ يُؤْتُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رُسُلَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**، ما كان للمشركين أن يعمرُوا مسجد الله شهيدين على أنفسهم بالكفر **﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْآخِرَةِ خَالِدُونَ﴾**، إنما يعمرُ مسجد الله من آمن بالله واليوم الآخر **﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّوْهُ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّهِنِينَ﴾**، أجمعل عقابته **﴿الْحَاجَّ وَحِمَارَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَرِهَ اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَجَهْدِي سَبِيلَ اللَّهِ لَا تَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**، الذين آمنوا وجاهدوا في سبيل الله **﴿وَأَمْلَأَهُمْ وَأَسْفَاهُمْ أَنْظَمَ دِرْعَهُ عَدُوَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**

يؤالونهم ويُفسدون إليهم أسرهم. وقال قتادة: وليجة خيالة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء. ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم [وليجة]، فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهم وليجتي للواحد والجمع، **﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ لِلشُّرَكِيِّ أَنْ يُعْمَرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾﴾، الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسر العباس يوم بدر غيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون مجاسينا؟ فقال له علي رضي الله

عنه: أنكم محاسن؟ فقال: نعم، إنا لَنَعْمُرُ المسجدَ الحرامَ ونحجُّبُ الكعبةَ ونُسقي الحاج، فانزل الله عزَّ وجلَّ رداً على العباس: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله، أوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمّر لعبادة الله وحده، فمن كان كافراً بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى أنَّ المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومزمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل. وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والعمود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة: ﴿مسجد الله﴾ على التوحيد، وأراد به المسجد الحرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَعِبَادَةُ الْمَسْجِدِ لِلْكَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقرأ الآخرون: ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالجمع، والمراد منه أيضاً المسجد الحرام. قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها. قال الفراء: ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول: أخذت في ركوب البراذين، ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدينانير؟

قوله تعالى: ﴿شَهِيدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾، أراد وهم

شاهدون، فلما طرحت ﴿وهم﴾ نصبت، قال الحسن: لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطاً سجدوا لأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بُغْداً. وقال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يُسأل من أنت؟ فيقول: أنا نصراني، واليهود يقول: أنا يهودي، ويقال للمشرك: ما دينك؟ فيقول: مشرك. قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، لأنها لغير الله عزَّ وجلَّ، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه: شاهدین على رسولهم بالكفر لأنه ما من بطن ولا ولدته.

ثم قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَى اللَّهِ﴾، ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية غيره، ﴿فَقَسَوْا أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، «وعسى» من الله واجب، أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عزَّ وجلَّ التي تؤدي إلى الجنة.

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي، ثنا أحمد بن الحسين الحيري، ثنا محمد بن

يعقوب، ثنا أحمد بن الفرج الحجازي، ثنا بقية، ثنا أبو الحجاج المهدي، عن عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَاَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ نَزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأجروا أن يدعه، فقال عثمان: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً كَهَيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ».

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان ثنا

علي بن الحسين الداريجري ثنا أبو عاصم بهذا الإسناد، وقال: «بني الله له بيتاً في الجنة».

قوله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي ثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان ثنا أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المعافري ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، ثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام عن أبي سلام ثنا النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قتلنا، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعل فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّامِ﴾، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، [و] لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، فأنزل الله

هذه الآية، وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما هم عليه.

وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي: نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبه، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾، و﴿سِقَايَةَ﴾ مصدر كالرعاية والحماية. قوله: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّامِ كُنَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فيه اختصار تقديره: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كإيمان من آمن بالله وجاهد من جاهد في سبيل الله؟ وقيل: السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر، وتقديره: أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَالْمَقَرَّةُ لِلْقَوْمِ﴾ [طه: ١٣٢]، أي: للمتقين، يدل عليه قراءة عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَمِ﴾، على جمع الساقى والعامر، ﴿كُنَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبو أسامة، حدثنا يحيى بن مهلب، عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: اسقني، فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: اسقني، فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح»، ثم قال: «لولا [أن تغلبوا] لزلت حتى أضع [الحبل على هذه]، وأشار إلى عاتقه».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن منهل الضرير، ثنا يزيد بن زريع، ثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال: ما لي أرى بني عمنكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ؟ أم إن حاجة بكم؟ أم من بخل؟ فقال ابن عباس: الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل، قدم رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة بن زيد فاستسقى فأتياه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة، وقال: «أحسنتم وأجملتم

يُنِيرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَبَتْ لَهُمْ فِيهَا قِيَمَةٌ ثَقِيَّةٌ ﴿١٩﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِيبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَيَتَوَلَّكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءِيبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّهُ أُولَئِكَ يَلْهَى أَلْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٢﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ صِيَابُكُمْ وَأَسَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

ابن عباس قال: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون ننشدك بالله أن لا تضعينا. فبرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن دين الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِيبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بطانة

وأصدقاء فتفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾، اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَيَتَوَلَّكُمْ﴾، فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله: ﴿فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿٢١﴾ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة، ﴿إِنْ كَانَ ءِيبَاؤُكُمْ﴾، وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءِيبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّهُ أُولَئِكَ يَلْهَى أَلْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ﴾، قرأ أبو

بكر عن عاصم: ﴿وعشيرتكم﴾ بالالف على الجمع، والآخرون بلا ألف على التوحيد؛ لأن [جمع] العشيرة [عشائر] واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن أبا الحسن الأخفش قال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما نجعلها على العشائر. ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾، أي: تستطيعونها يعني القصور والمنازل، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد ومقاتل: بفتح مكة وهذا أمر تهديد، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، الخازجين عن الطاعة.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، أي: مشاهد، بين مكة والطائف. وقال عروة: إلى جنب ذي المجاز. وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة: أن رسول الله ﷺ فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان، ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من المهاجرين وألفان من الطلقاء. قال عطاء: كانوا ستة عشر ألفاً. وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف النصري، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي، فلما التقى

كذا فاصنعوا، فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَلَبُوا وَبَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ﴾، فضيلة، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الذين افتحوا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، الناجون من النار،

﴿٢١﴾ ﴿يُنِيرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَبَتْ لَهُمْ فِيهَا قِيَمَةٌ ثَقِيَّةٌ﴾ ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِيبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية]، قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها، نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن

الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش: لن تُغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووكّلوا إلى كلمة الرجل. وفي رواية: فلم يرض الله قوله، ووكّلهم إلى أنفسهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وخلصوا عن الذراري، ثم نادوا: يا حماة السواد اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون. قال قتادة: وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد العزيز أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحاق قال: قال رجل للبراء بن عازب: يا أبا عمارة فررت يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولّى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم خُسْرٌ ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر وقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، ثم صفّهم. ورواه محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن

أبي إسحاق، وزاد قال: فما رُوي من الناس يومئذ أشد منه.

ورواه زكريا عن أبي إسحاق، وزاد قال البراء: كنا إذا حمز البأس نتقي به، وإن الشجاع مثلاً للذي يحاذي به، يعني: النبي ﷺ.

وروي شعبة عن أبي إسحاق قال: قال البراء: إن هوازن كانوا قوماً رماة، وإنّا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس. وقال آخرون: لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ غير العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن، فقتل يومئذ بين يدي رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج.

قال: وحدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي،

فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُركض بغلته قبل الكفار، وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكتفها إزادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركابه، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس ناد أصحاب السُّمرة»، فقال عباس، وكان رجلاً صيتاً: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السُّمرة؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال: «هذا حين حَمِيَ الوطيس»، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»، فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بخصياتهم فما زلت أرى حدهم قليلاً، وأمرهم مدبراً.

وقال سلمة بن الأكوع: غزونا مع رسول الله ﷺ حُنيئاً قال: فلما عَشَا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»، فما خلّى الله منهم إنساناً إلا ملاً عينه تراباً بتلك القبضة، فوَلُوا

مُذْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

قال سعيد بن جبير: أمدَّ الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّين.

وفي الخبر: أن رجلاً من بني نضر يقال له شجرة، قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم ثياب بيض، ما كنا نراكم فيهم إلا كهينة الشامة وما كنا قتلنا إلا بأيديهم؟ فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: «تلك الملائكة».

قال الزهري: وبلغني أن شبية بن عثمان بن طلحة قال: استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة، وكانا قد قتلوا يوم أحد، فأطلع الله رسوله ﷺ على ما في قلبي فالتفت إليّ وضرب في صدري وقال: «أعيذك بالله يا شبية»، فأرعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وإن الله قد أطلعك على ما في نفسي، فلما هزم الله المشركين وولّوا مدبرين، انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمره على جيش المسلمين إلى أوطاس، فسار إليهم فاقتتلوا، وقتل دريد بن الصمة، وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري، فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن

أخذ. وقتل أمير المسلمين أبو عامر. قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي، ثم إن رسول الله ﷺ أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر، فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم، فأتى الجعزانة فأحرم منها بعمرة وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس، وتآلف أناساً منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس فأعطاهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، ثنا الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه:

أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هِزَازٍ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدْعُنَا وَسِوَفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ؟ قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ وَلَمْ يَدْخُفْ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا كَانَ حَدِيثُ بُلْغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فَقَهَاؤُهُمْ: أَمَا ذُووُ رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَا أَنَاسٌ مِمَّنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرَكُ الْأَنْصَارَ وَسِوَفُنَا تَقْطُرُ مِنْ

دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض». وقال يونس عن ابن شهاب: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم»، وقال: «فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»، قالوا: سنصبر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل [ثنا موسى بن إسماعيل]، ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:

لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَانَهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يَصْبَهُمْ مَا أَصَابَهُ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مَتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ عَائِلَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» كَلِمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَلِمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ؟ قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قَلْتُمْ [جِئْتُمْ] كَذَا وَكَذَا»، قَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ

والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالفكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلك وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شِعَارُ والناسِ دِثَارُ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاضربوا حتى تلقوني على الحوض».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن أبي عمر المكي ثنا سفيان عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاع عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأفرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع أتجعل نهبي ونهب العبد سيد بين عيينة والأفرع وما كنت دون امرئيهما ومن تخفض اليوم لا يرفع قال: فأنتم له رسول الله ﷺ مائة. وفي الحديث: أن ناساً من هوازن أقبلوا مسلمين بعد ذلك، فقالوا: يا رسول الله أنت خيرُ الناس وأبرُّ الناس، وقد أخذت أبناؤنا ونساؤنا وأموالنا.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبد الله السنعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن عفير حدثني الليث، خذني عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير: أن مروان والمصور بن مخزومة أخبراه: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسالوه أن يرز إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن معي من تزون وأحب الحديث إليّ أضدقه،

فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال»، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ [في المسلمين] فأنشئ على الله عز وجل بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وإني قد رأيت أن أرز إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظ حتى نعطي إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل»، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيّبوا وأذنوا.

فأنزل الله تعالى في قصة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ

ثُمَّ يَوِّبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَنْ نِسَاءِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الشِّرْكُوتُ جَمَسٌ فَلَا يَقْرَأُ لِلشَّجَدِ الْحَرَامِ بَعْدَ مَا بِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ جَفَنَتْ عَلَيْهِمْ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَتْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَأُ إِلَّا يُعْبَدُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣١﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْكِمُ حُكْمَهُ غَمًّا تُبْشِرُكُونَ ﴿٣٢﴾

(١١١)

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَتْكُمْ، حتى قلتم: لن تغلب اليوم من قلة، ﴿فَلَمْ تَفْنَوْا عَنْكُمْ﴾، كثر شرّكم، ﴿ثُمَّ﴾، يعني: إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّتْ﴾، أي: بريحها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾، منهزمين. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بعد الهزيمة، ﴿سَيِّئَتَكُمْ﴾، يعني: الأئمة والطمانينة، وهي فعيلة من السكون، ﴿عَنْ رَسُولِهِ وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾، يعني: الملائكة. قيل: لا للقتال ولكن لتجيين الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالقتل والأمر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿ثُمَّ يَوِّبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَنْ نِسَاءِ﴾، فيهديه إلى

الإسلام، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿٢٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفُجُورُ نَجَسٌ﴾ الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قدر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم، فلا يقال على الانفراد، وإنما يقال: رَجَسَ نَجَسًا، فإذا أفرد قيل: نَجَسَ بفتح النون وكسر الجيم، وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سُمُوا نجسًا على الذم. وقال قتادة: سَمَاهُمْ نجسًا لأنهم يُجَنَّبُونَ فلا يغتسلون ويُحَدَّثُونَ فلا يتوضؤون. قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، أراد منهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال تعالى: ﴿مَنْ حَفِظَ الْأَيْمَنَ أَمْرِي يَحْتَفِظْهُ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ. قال الشيخ الإمام الأجل رضي الله عنه: وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام، أحدها: الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأمناً لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم. والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم فيها أكثر من

مقام السفر وهو ثلاثة أيام. لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً». فمضى رسول الله ﷺ وأوصى فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه، وأجلهم عمر رضي الله عنه في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثاً.

وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما والآها من ساحل البحر إلى أطراف الشام. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بدمية أو أمان، ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم.

قوله: ﴿بِمَدِّ عَيْنِهِمْ هَكَذَا﴾، يعني: العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما مُنِعُوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيق العيش، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرأ وفاقه. يُقال: عال يعيل عيلة إذا افتقر، ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَأَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾،

قال عكرمة: فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مدراراً فكثر خيرهم. وقال مقاتل: أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقاتدة: عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها.

﴿٢٩﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل: لا يؤمنون كليمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله. ﴿وَلَا يَحْمِلُونَ حَرَمَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا يُرِيتُوهَ الْحَقَّ﴾، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله، ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾، وهي: الخراج المضروب على رقابهم، ﴿مَنْ يَرِ﴾، عن قهر وذل. قال أبو عبيدة: يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير

طيب نفس أعطاه عن يد. وقال ابن عباس: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم. وقيل: عن يد أي نقد لا نسيئة. وقيل: عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم، ﴿وَقَدْ صَدَّقُوا﴾، أذلاء مقهورون. قال عكرمة: يعطون الجزية عن قيام والقباض جالس. وعن ابن عباس قال: تؤخذ منه ويؤطأ عنقه. وقال الكلبي: إذا أعطى صفع في قفاه. وقيل: يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته، وقيل: يُلَبَّب ويُجر إلى موضع الإعطاء بعنف، وقيل: إعطاؤه إيَّاه هو الصغار. وقال الشافعي رحمه الله: الصغار هو جريان أحكام الإسلام عليهم، واتفقت الأمة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتابين، وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عرباً. واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم، فذهب الشافعي: إلى أنَّ الجزية على الأديان لا على الأنساب، فتؤخذ من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماً، ولا تؤخذ من أهل الأوثان بحال، واحتج بأن النبي ﷺ أخذها من أكيدر دومة، وهو رجل من العرب يقال إنه من غسان، وأخذ من أهل ذمة اليمن، وعامتهم عرب. وذهب مالك والأوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب. وقال أبو يوسف: لا تؤخذ من العربي كتابياً كان أو مشركاً وتؤخذ من العجمي كتابياً كان أو

مشركاً، وأما المجوس فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بَجَّالة بن عبدة يقول: لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه. أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سُئِلُوا بِهِمْ سُنَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ».

وفي امتناع عمر رضي الله عنه عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر، دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تؤخذ من كل مشرك، وإنما تؤخذ من أهل الكتاب. واختلفوا في أن المجوس: هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ فزوي عن علي رضي الله عنه [أنه] قال: كان لهم كتاب يدرسون فيه فأصبحوا يوماً، وقد أسري على كتابهم، فترفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائح

المجوس ومناكرتهم بخلاف أهل الكتابين، أما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر، إن دخلوا فيه قيل النسخ والتبديل يُقَرَّونَ بالجزية وتحل مناكرتهم وذبائحهم، وإن دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد ﷺ لا يقرون بالجزية لا تحل مناكرتهم ولا ذبائحهم، ومن شككتنا في أمرهم بأنهم دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم، ولا تحل مناكرتهم وذبائحهم تغليبا للتحريم، فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبني تغلب أفرهم عمر رضي الله عنه على الجزية، وقال: لا تحل لنا ذبائحهم. وأما قدر الجزية فأقله دينار، لا يجوز أن ينقص منه، ويقل الدينار من الفقير والغني والوسط لما:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المجوسي، ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الرزاق أنا معمر أنا سفيان عن الأعمش عن أبي واثل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمرني أن أخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معاف.

فالنبي ﷺ أمره أن يأخذ من كل حالم، أي بالغ ديناراً ولم يفصل بين الغني والفقير والوسط، وفيه دليل على أنها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النساء، إنما

تُؤخذ من الأحرار العاقلين البالغين من الرجال. وذهب قوم إلى أنه على كل موصل أربعة دنائير، وعلى كل متوسط ديناران، وعلى كل فقير دينار، وهو قول أصحاب الرأي.

﴿قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [الآية].﴾

روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نبتغك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾.

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين والآخرين بغير تنوين، فمن لم ينون قال: لأنه اسم أعجمي وشبهه اسماً مصغراً، ومن نون قال لأنه اسم خفيف، فوجهه أن يصرف، وإن كان أعجمياً مثل نوح وهود ولوط. واختار أبو عبيدة التنوين وقال: لأن هذا ليس بمنسوب إلى أبيه، إنما هو كقولك زيد ابن الأمير وزيد ابن أختنا، فعزير مبتدأ وما بعده خبر له. وقال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيكَ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما قالت اليهود عزير ابن الله من أجل أن عزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عندهم

والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله تعالى إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذن في قومه، وقال: يا قوم إن الله تعالى قد آتاني التوراة وردّها إليّ فعلق به الناس يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجوده مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله.

وقال الكلبي: إن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيراً فاستصغره فلم يقتله، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيراً ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعد مائة سنة، يقال: وأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره، فلما أتاها قال: أنا عزير فكذبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة، فكتبها لهم. ثم إن رجلاً قال: إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفاً، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا أنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله.

وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله، وكان السبب فيه أنهم كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعدما رُفِعَ عيسى عليه السلام يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، فإني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار، وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فرقب فرسه وأظهر الندامة، ووضع على رأسه الشراب، فقال له النصارى: من أنت؟ قال: بولص عدوكم، فنوديت من السماء ليست لك توبة إلا أن تنتصر وقد تبت ورجعت عن دين اليهودية، فأدخلوه الكنيسة، ودخل بيتاً سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج وقال: نوديت أن الله قبل توبتك، فصلى وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم نسطوراً وأعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: لم يكن عيسى بإنس ولا بجسم، ولكنه ابن الله، وعلم ذلك رجلاً يقال له يعقوب، ثم دعا رجلاً يقال له ملكاً فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً، وقال لكل واحد منهم: أنت خالستي، وقد رأيت

وهو: الإسلام، ﴿يُظْهِرُ﴾، ليعليه وينصره، ﴿عَلَّ الَّذِينَ كُفِرُوا﴾، على سائر الأديان كلها، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، واختلفوا في معنى هذه الآية، فقال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ، أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يُدَانَ الله تعالى إلا به. وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «ويهلك في زمانه الملل كلها إلا [ملة] الإسلام».

وروي المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مدر ولا وير إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعزٍّ عزيز أو ذُلٍّ ذليل»، إما يعزّهم الله فيجعلهم من أهله فيعزّ به، أو يذلّهم فيدينون له.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، ثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور، ثنا أبو مسلم بن إبراهيم بن عبد الله الكجعي ثنا أبو عاصم النبيل ثنا عبد الحميد هو ابن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدَ اللَّاتُ والعزَّى»،

قالت: قلت: يا رسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعدما أنزل الله تعالى عليك: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، ثم قال: «يكون ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله تعالى ريحاً طيبة، فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير، ثم يبقى من لا خير فيه، فيرجع الناس إلى دين آبائهم».

قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة. وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبهم. قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال: بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حين دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على الدين كله، والله أعلم.

❶ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ كَذِبًا مِنَ الْأَخْيَارِ وَالرَّهْبَانِ﴾، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿يَأْتِيَاكُمْ أَتَوَلَّيْتُمُ الْكَاذِبِينَ﴾، يريد ليأخذون الرشاً في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتباً يقولون: هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم، وهي المأكَل التي

يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوهم لذهبت عنهم تلك المأكَل، ﴿رَسُولَاتٍ﴾، ويصرفون الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله عز وجل، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ ثَمَرُ مَا كُنُزُوا﴾، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كل ما تؤذى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز، وإن لم يكن مدفوناً، ومثله عن ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد بن سعيد ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبته وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وزيدها، إلا إذا كان يوم القيامة بَطِّحَ لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما

مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُطَبَّحُ لَهَا بِقَاعٍ تَرَقَّرُ لَا يَفْقَدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جُلْحَاءٌ وَلَا عُضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوِّدْ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهْ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَخْصِي الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ يَمَأْ وَاتَّهُمْ اللَّهُ﴾ الآية.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أُوْبِتَ مِنْهُ الزَّكَاةُ أَوْ لَمْ تُؤَدَّ، وَمَا دُونَهَا نَفَقَةٌ. وَقِيلَ: مَا فَضَّلَ عَنِ الْحَاجَةِ فَهُوَ كَنْزٌ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنه عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن

المعمر بن سويد عن أبي ذر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال: «هَمُّ الْأَخْشَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»، قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قَمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ أَبِي وَأَمْسَى مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هَمُّ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا [وَهَكَذَا] مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ».

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول: مَنْ تَرَكَ بَيْضَاءً أَوْ حُمْرَاءَ، كُويَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وروي عن أبي أمامة قال: مات رجل من أهل الضَّفَّةِ فوجد في منزله دينار، فقال النبي ﷺ: «كَيْفَ؟» ثُمَّ تَوَفَّى آخَرَ فوجد في منزله ديناران، فقال النبي ﷺ: «كَيْتَانِ».

والقول الأول أصح لأن الآية نزلت في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال.

قال النبي ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَثًا يَدْعُ لَوْلَدِهِ شَيْئًا، فَذَكَرَ عَمْرٌ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَفْرُضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِيُطَيَّبَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ».

وسئل ابن عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الزَّكَاةُ فَلَمَّا أَنْزَلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طَهْرًا لِلْأَمْوَالِ.

وقال ابن عمر: مَا أَبَالِي لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا أَعْلَمَ عَدَدَهُ فَزَكَاةً وَأَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُفْقَوْنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قِيلَ: لِمَ قَالَ: ﴿وَلَا يُفْقَوْنَهَا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: وَلَا يَنْفَقُونَهَا، وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ جَمِيعًا؟ قِيلَ: أَرَادَ الْكَنُوزَ وَأَعْيَانَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَقِيلَ: رَدَّ الْكُنَايَةَ إِلَى الْفِضَّةِ لِأَنَّهَا أَعَمُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَوِينَا بِالْقَبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّا لَكِيدٌ﴾ [البقرة: ٤٥]، رَدَّ الْكُنَايَةَ إِلَى الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا أَعَمُّ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا زَاوَا يَخْرُجُوا أَوْ لَمَّا انْقَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، رَدَّ الْكُنَايَةَ إِلَى التَّجَارَةِ لِأَنَّهَا أَعَمُّ، ﴿فَيَبْتَزُّهُمْ بِكُتَابِ الْيَمْرِ﴾، أَي: أَنْدَرَهُمْ.

﴿يَوْمَ يَخْمَى عَلَيْهَا فِي تَارٍ جَهَنَّمَ﴾، أَي: تَدْخُلُ النَّارُ فَيَقْوَدُ عَلَيْهَا، يَعْنِي الْكَنُوزَ، ﴿فَتَكْوَفُ بِهَا﴾، فَتَحْرَقُ بِهَا، ﴿جَاهَهُمْ﴾، أَي: جِيبَهُ كَنَازِيصَهَا، ﴿وَجَوْنَهُمْ وَظُهُورَهُمْ﴾، رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَوْضَعُ دِينَارٌ عَلَى دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٌ عَلَى دِرْهَمٍ وَلَكِنْ يَوْسَعُ جِلْدُهُ حَتَّى يَوْضَعَ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ فِي مَوْضِعٍ عَلَى حِدَةٍ. وَسُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: لِمَ خَصَّ الْجِبَاهُ وَالْجُنُوبَ وَالظُّهُورَ بِالْكَفِّ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْغَنِيَّ صَاحِبَ الْكَنْزِ إِذَا رَأَى الْفَقِيرَ قَبِضَ جَبْهَتَهُ، وَزَوَى مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَوَلَاهُ جَنْبِيهِ فَإِذَا رَأَاهُ أَتَى إِلَيْهِ مِنْ جَنْبِهِ وَوَلَاهُ ظَهْرَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِكَشْحَةٍ، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَكْوَفُ بِهَا جَاهَهُمْ﴾ الآية. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَكَذَا مَا

إِنَّمَا الَّذِي زِيَادَةً فِي الْكَفْرِ يَصِلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُجْلُونَ عَمَّا وَتَحَرُّمُونَ عَمَّا لَوْ طِئُوا أَعْدَاءَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فِي جُلُودِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ نَزَلَ لَهُمْ مَوْتُهُ أَعْمَاهُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ
مَأْتُوا مَا لَوْ إِذْ أُقِيلَ لَوْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَاتَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيهِمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٧﴾
إِلَّا أَنْفَرُوا أَعْدَابَكُمْ عَذَابًا إِلَى مَا وَسَّيْلُ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْفَرُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَفَّاكُ اثْنَيْنِ إِذْ هُكَافِي الْفَكَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَافٍ فَاتَزَلَّ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يُجْشِدُونَ تَرَوْهَا
وَيَجْعَلُ كَلِمَةً الَّذِينَ كَفَرُوا وَالتَّغْلُفُ
وَكَلِمَةً اللَّهُ هُوَ الْعُلَمَاءُ وَاللَّهُ غَيْرُ حَكِيمٍ ﴿٣٩﴾

١٩١٢

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،
والمراد منه الشهور الهلالية
وهي الشهور التي يعتد بها
المسلمون في صيامهم
وحجهم وأعيادهم وسائر
أمرهم، وبالشهور
الشمسية تكون السنة
ثلاثمائة وخمسة وستين
يوماً وربع يوم، والهلالية
تنقص عن ثلاث مائة
وستين يوماً بنقصان
الأهلة. والغالب أنها تكون
ثلاثمائة يوماً وأربعة
وخمسين يوماً، «مِنْهَا
أَرْبَعَةُ حُرُمٍ»، [أي: من
الشهور] [الثاني عشر] أربعة

حرم وهي: رجب وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة
سرد، «ذَلِكَ الَّذِينَ لَقِيتُمْ»، أي:
الحساب المستقيم، «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ
أَنفُسَكُمْ»، قيل: قوله: «فِيهِمْ»
ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي:
فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل
المعصية وترك الطاعة. وقيل:
«فِيهِمْ»، أي: في الأشهر الحرم.
قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجراً
في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم
من الظلم فيما سواهن، وإن كان
الظلم على كل حال عظيماً. وقال ابن
عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد
استحلال الحرام والغارة فيهن. قال
محمد بن إسحاق بن يسار: لا
تجعلوا حلالها حراماً ولا حرامها
حلالاً كفعل أهل الشرك وهو
النسيء.

«وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً»، جميعاً

عامة، «كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً»
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»، واختلف
العلماء في تحريم القتال في الأشهر
الحرم. فقال قوم: كان كبيراً ثم نسخ
بقوله: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً»،
كانه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو
قول قتادة وعطاء الخراساني،
والزهري وسفيان الثوري، وقالوا: إن
النبي ﷺ غَزَا هَوَازِنَ بَحْنِينَ، وثقيفاً
بالبطائف، وحاصرهم في شوال
وبعض ذي القعدة. وقال الآخرون:
إنه غير منسوخ. قال ابن جريج:
حلف بالله عطاء بن أبي رباح: ما يحل
للناس أن يغزوا في الحرم، ولا في
الأشهر الحرم إلا أن يُقاتلوا فيها، وما
نسخت.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: «إِنَّمَا الَّذِي
زِيَادَةً فِي الْكَفْرِ»، قيل: هو
مضدر كالسعي والحريق، وقيل: هو
مفعول كالجريح والقتيل، وهو من
التأخير. ومنه النسيئة في البيع،
يقال: أنسا الله في أجله أي أخر،
وهو ممدود مهموز عند أكثر القراء،
وقرأ ورش عن نافع من طريق
البخاري بتشديد الباء من غير همز،
فقد قيل: أصله الهمزة فخفف.
وقيل: هو من النسيان على معنى
النسي أي المتروك. ومعنى النسيء
هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر،
وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم
الأشهر الحرم، وكان ذلك مما
تمسكت به من ملة إبراهيم عليه
السلام، وكانت عامة معاشهم من
الصيد والغارة فكان يشق عليهم
الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على

كَرَّثْتُمْ، أي: يقال لهم هذا ما
كنزتم، «لَأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُتِّمْتُمْ
تَكْذُوبُونَ»، أي: تمنعون حقوق الله
تعالى في أموالكم. وقال بعض
الصحابية: هذه الآية في أهل
الكتاب. وقال الأكثرون: هي عامة
في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال
أبو ذر رضي الله عنه.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ
الشُّهُورِ»، أي: عدد الشهور، «عِنْدَ
اللَّهِ إِنَّمَا عَشْرٌ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ»،
وهي المحرم وصفر وربيع الأول
وربيع الثاني وجُمادى الأول،
وجُمادى الآخرة ورجب وشعبان،
ورمضان وشوال وذو القعدة وذو
الحجة. وقوله: «فِي كِتَابِ اللَّهِ»،
أي: في حكم الله. وقيل: في اللوح
المحفوظ. قرأ أبو جعفر اثنا عشر
وتسعة عشر، وإحدى عشر، بسكون
الشين، وقرأ العامة بفتحها، «يَوْمَ

التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكروهون تأخير حربهم فنسؤوا، أي: آخروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر آخروه إلى ربيع وهكذا شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه وذلك بعد دهر طويل، فخطب النبي ﷺ في حجته، وبين ذلك كما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف الفريزي، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا محمد بن سلام حدثنا عبد الواحد ثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن ابن أبي بكرة. عن أبي بكر: عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان». وقال: «أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم»، قال محمد: وأحسبه قال: «وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت ألا هل بلغت؟»

قالوا: وكان قد استمر النسيء بهم، فكانوا ربما يحتجون في بعض السنين في شهر، ويحتجون من قابل في شهر آخر. قال مجاهد: كانوا يحتجون في كل شهر عامين، فحجوا في شهر ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور الباقية، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثامنة من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع، فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة يوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمضى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت بامتدادة الزمان، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق الله السموات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستأنف الأيام.

واختلفوا في أول من نسا النسيء.

فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد: أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة، وكان يقوم أميراً على الناس بالموسم فإذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فقال: لا مرة لما قضيت، أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، فيقول له المشركون: لبيك، ثم يسألونه أن ينسأهم شهراً يغيرون فيه، فيقول فإن صفرأ العام حرام، فإذا قال ذلك حلقوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة، وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا. وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف، وهو الذي أدركه النبي ﷺ. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس. قال شاعرهم:

«وفينا ناسي الشهر القلمس»

وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم. وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أول من سن النسيء عمرو بن لُحي بن قمعة بن حذاف.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قل:

قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أبا بني كعب، وهو يجر قصبة في النار».

فهذا الذي ذكرنا هو النسيء الذي ذكره الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، يريد زيادة كفر على كفرهم، ﴿يُضِلُّ فِي الْبَلَاءِ وَفُتِحَ الضَّادُ﴾ كقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُبُوهُ أَفْمَلِكُمُ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد، وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى ﴿يُضِلُّ﴾ به الذين كفروا الناس، وقرأ الآخرون: بفتح الياء وكسر الضاد لأنهم هم الضالون؛ لقوله: ﴿يُضِلُّوهُمْ﴾، يعني: النسيء، ﴿عَامَا وَخَمَرُونَهُ عَامَا لِيُؤْاطِقُوا﴾، أي: ليوافقوا، والمواطاة الموافقة، ﴿عِدَّةٌ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، يريد أنهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام، لثلا يكون الحرام أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة في العدد، ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُبُوهُ أَفْمَلِكُمُ﴾، قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهِمَا الْذِّيْنُ مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْزِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْآخِزِينَ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة

من الناس، وشدة من الحر، حين طابت الشمار والظلال، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز هائلة وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ولم يورها بغيرها ليتأهبوا أمة عدوهم، فشق عليهم الخروج وتناقلوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمَا الْذِّيْنُ مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ قال لكم رسول الله ﷺ: ﴿أَنْزِلُوا﴾ أخرجوا في سبيل الله ﴿أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْآخِزِينَ﴾ أي: تناقلتم وتباطأتم إلى الأرض، أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، ﴿أَرْضِيَّتُمْ بِالْحِكْمَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، ﴿فَمَا مَنَعَ الْحِكْمَةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، ثم أوعدهم على ترك الجهاد.

فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْزِيلُوا يَعْذِبَنَّكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فسي الآخرة، وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا.

وسأل نجدة بن نفع ابن عباس عن هذه الآية، فقال: إن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فتناقلوا عليه فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم.

﴿وَسَتَبَدِّلُ قَوْمًا فَخَرَكُمُ﴾ خيراً منكم وأطوع، قال سعيد بن جبيرة: هم أبناء فارس. وقيل: هم أهل اليمن، ﴿وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا﴾، بترككم النفير، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العَدَدِ والعُدَدِ، ﴿إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مكة حين مكروا به وأرادوا تبيينه وهموا بقتله، ﴿تَأْتِيكَ أَتَيْنَ﴾، أي: هو أحد الاثنين، والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذَا هُمَا فِي الْكَارِ﴾، وهو نقب في جبل نور بمكة، ﴿إِذَا يَقُولُ لِمَكْرِهِمْ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَنَّانٌ﴾، قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان أنبأنا خيشمة بن سليمان ثنا عبد الله بن أحمد بن الدورقي ثنا سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن كثير النواء عن جميع بن عُمير قال: أتيت ابن عمر رضي الله عنه فسمعتة يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض».

قال الحسين بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن. وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً لا يكون كافراً. وقوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ

مَفْعًا»، لم يكن حزن أبي بكر جُبْنًا منه، وإنما كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ. وقال: إن أقتل فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة.

وروي أنه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار، جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فلما انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار، فدخل فاستبرأه ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من عمر، ومن آل عمر.

أخبرنا أبو المظفر التميمي، أنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النصر، أنا خيثمة بن سليمان ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا حيان بن هلال ثنا همام بن يحيى ثنا ثابت البناني ثنا أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم، قال:

نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب: فأخبرني غروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشياً، فلما ابتلي المسلمون.

فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان»، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رَسْلِكَ فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو بذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السم، وهو الخط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلكت بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين،

قال رسول الله ﷺ: «بالتنم»، قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فيها فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيربحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لين منحتهما ورضيفهما حتى ينق بيهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عدي هادياً خريئاً، - والخريث: الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال يراحتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم أن أباه بكر أخبره أنه سمع سراقه بن

مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج [إذا] أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقا إني قد رأيت آتفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقا: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبث في المجلس ساعة ثم قمْتُ فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزُجّه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمْتُ، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستسقمت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستسقمت بالأزام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع

في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبي ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يُريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزائي ولم يسألاني شيئاً إلا أن قالوا: «أخف عنا»، فسألته أن يكتب لي كتاب أمني فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أوّوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ،

فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسّس المسجد الذي أسّس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمن في حجر أسعد بن زرار، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمريد ليأخذنه مسجداً فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خبير
هذا أبر رتنا وأطهر
ويقول:

«اللهم إن الأجر أجر الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة»
فتمثل بيت رجل من المسلمين لم يسم لي، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الآيات.

قال الزهري: لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجاً من حمام حتى باضتا في أسفل النقب والعنكبوت حتى نسجت بيتاً، وفي القصة أُنبت يمامة على قم الغار، وقال

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ ﴿١١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَآتَيْنَهُوكم وَلَكِنْ بَعَثْنَا عَلَيْهِمُ الثَّقَلَ وَسَيَحْمِلُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَفْتَيْنَاكُمْ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكِ الْيَتِيمُ صَدَقُوا وَمَنْ عَدَاكُمُ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ لَا يَسْتَفْذِكُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِلْمًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ فُتِنَتْ فِي رَبِّهِمْ يَزِيدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ خَرَجُوا لَكُمْ مَاءً أَدْرَأَكُمْ إِلَّا يَلْبَسُوا لَآؤُكُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ الْفِتْنَةُ وَفَكَرَسْتُمْ عَنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْظَالِمِينَ ﴿١٨﴾

الاستئناف، كأنه تم الكلام عند قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، ثم ابتداء فقال: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، على الابتداء والخبر، فكلية الله مبتداء والعليا خبره، ﴿وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شُبَّانًا وشيوخًا. وعن ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط. وقال عطية

النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ عَنَّا، فجعل الطلب يضربون يميناً وشمالاً حول الغار يقولون: لو دخلا هذا الغار لتكثر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت.

قوله عز وجل: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىكَ﴾، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل، ﴿وَأَيُّكُمْ يُجَاهِدُ لَمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته [١١]، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانة بالملائكة يوم بدر أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، وكلمتهم الشرك وهي السفلى إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، إلى يوم القيامة. ثم قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله. وثيل: كلمة الذين كفروا ما قَدَّرُوا بينهم من الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله وَعَدَ اللهُ أَنَّهُ نَاصِرُهُ. وقرأ يعقوب: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾، ينصب التاء على العطف أنها معطوفة على المفعول الأول لجعل، وهو ﴿كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والتقدير: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا، فكلية الله معطوفة على المفعول الأول والعليا معطوفة على المفعول الثاني. وقرأ الباقر: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾، بالرفع على

سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾، قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحلب كثرت السواد وحفظت المتاع. وقال عطية الخراساني عن ابن عباس: نُسِخت هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس ففسخها الله تعالى وأنزل: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعِيفِ وَلَا عَلَى الْمَرُومِ﴾ [التوبة: ٩١] الآية، ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، واسم كان مضمر، أي: لو كان ما تدعوهم إليه عرضاً قريباً، أي: غنيمة قريبة

العوفي: ركبناً ومشاة. وقال أبو صالح: خفافاً من المال، أي: فقراء، وثقالاً أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة من المال وثقالاً أهل العسرة. وقيل: خفافاً من السلاح، أي: مقلين منه، وثقالاً أي: مستكثرين منه. وقال الحكم بن عتيبة: مشاغل وغير مشاغل. وقال مرة الهمذاني: أصحاب ومرضى. وقال يمان بن رباب عزاباً ومتاهلين. وقيل: خفافاً من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالاً مستكثرين بهم. وقيل: خفافاً مسرعين خارجين ساعة سماع النفير، وثقالاً بعد التروى فيه والاستعداد له.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

والزُّمْنَى. وقيل: مع النسوان والصبيان. قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ﴾، أي: قال بعضهم لبعض: اقعّدوا. وقيل: أوحى إلى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان.

﴿٧﴾ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِكَرًا﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي ذي جدّة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الزُّب، فأنزل الله تعالى يعزّي نبيّه ﷺ بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا﴾، يعني المنافقين ﴿يَكُم﴾، أي: معكم، ﴿مَا زَادَكُم إِلَّا خَبَالًا﴾، أي: فساداً وشرّاً. ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الأمر، ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾، أسرعوا، ﴿خِلَالَكُمْ﴾، في وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض. وقيل: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾، أي: أسرعوا فيما يخلّ بكم. ﴿يَقُولُكُمْ الْفِتْنَةُ﴾، أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جُمع لكم كذا وكذا وإنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك. وقال الكلبي: يبغونكم الفتنة يعني: العيب والشر. وقال الضحاك: الفتنة الشرك، ويقال: بغيته الشر والخير أبغيه بغاء إذا التمسته له، يعني: بغيت له. ﴿وَيُفَكِّرُ سَعَتُونَ لَكُمْ﴾، قال مجاهد:

بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو. ﴿لِمَ أَوتِيتَ لَهُمْ﴾، أي: فسي التخلف عنك ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في أعدائهم، ﴿وَمَعَلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ فيها، أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

﴿٨﴾ ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا يستأذّنك في التخلف، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُنِيبِينَ﴾.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرَادَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: شكّت [قلوبهم] ونافقت، ﴿فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ بَرْدِ دُرٍّ﴾، يتحيزون.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾، إلى الغزو، ﴿لَأَعَدُّوا لَكُمْ﴾، أي: ليهيؤوا له عُدّة، أهبة وقوّة من السلاح والكراع، ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ﴾، خروجهم، ﴿فَتَبَلَّغَهُمْ﴾، منعهم وحبسهم عن الخروج، ﴿وَقِيلَ أَقْبُدُوا﴾ في بيوتكم، ﴿مَعَ الْفَاقِينَ﴾، يعني: مع المرضى

لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةُ مِن قَبْلِ وَقَالُوا إِنَّهُ الْأُمُورُ حَقٌّ جَعَلَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٨﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا تَنْقِضُ الْآفِي الْفِتْنَةُ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَعَسَىٰ أَمْرُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا أَقْدَأْ أَحَدُنَا أَمْرًا زَيْنَ قَبْلُ وَيَسْتَوُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا أَلَا أَحَدَى الْخُسَيْنَيْنِ وَمَعْنَى تَرْضَوْنَ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيِّدِي نَافِقٍ رَضُوا إِلَاءَ مَعَكُمْ مَرْضُوعُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ أَنِفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَن يَقْبَلَنَّ مِنْكُمْ لُكُمُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُؤْتُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿١٤﴾

المتناول، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، أي قريباً حيناً، ﴿لَا يَتَوَكَّلُ﴾، لخرجوا معك، ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾، أي: المسافة، والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونها، ﴿وَسَيَّطَلُونُ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني: باليمين الكاذبة، ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فسي إيمانهم لأنهم كانوا مستطيعين.

﴿١٥﴾ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون. قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يُعَيِّرَهُ بالذنب. وقيل: إن الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام

معناه وفيكم مخبرون لهم يؤذون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون لهم، أي: يستمعون كلامهم ويطيعونهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْوَيْسَ بْنَ قَبْلَ﴾، أي: طلبوا صدأ أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه. ﴿وَقَالُوا لَكَ الْأُمُودُ﴾، وأجالوا فيك وفي إبطال دينك الرأي بالتخذيل عنك، وتشيت أمرك، ﴿حَقَّ جَكَهَ الْحَقُّ﴾، النصر والظفر، ﴿وَوَهَبَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿وَقَدْ كَرِهُوا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكُولُ أَتَذُنَ لِي وَلَا أَتَذُنَ﴾، نزلت في جد بن قيس المنافق. وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال [له]: يا أبا وهب هل لك في جلاء بني الأصفر؟ - يعني الروم - تتخذ منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يا رسول الله لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإنني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي - قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق - فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: «أذنت لك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين ﴿مَّنْ يَكُولُ أَتَذُنَ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَقِيَّتِي﴾ بينات

بني الأصفر. قال قتادة: ولا تؤمنني. ﴿أَلَا فِي الْوَيْسِ سَقَطُوا﴾، أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله، ﴿وَلَا جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، مطبقة بهم وجامعة لهم فيها.

﴿إِنْ قُصِبَتْ حَسَنَةٌ﴾، نصرة وغنيمة، ﴿تَسُوْهُمْ﴾، تُحْزِنُهُمْ، يعني: المنافقين، ﴿وَلَنْ قُصِبَكَ مُصِيبَةٌ﴾، قتل وهزيمة، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾، حَذَرْنَا، أي: أخذنا في القعود عن الغزو، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: من قبل هذه المصيبة، ﴿وَسَكَنُوا﴾، ويديروا، ﴿وَقَدْ قَرِحُوا﴾، مسرورون بما نالك من المصيبة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، أي: علينا في اللوح المحفوظ، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾، ناصرنا وحافظنا. وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنَاءَ﴾، تنتظرون بناء أيها المنافقون، ﴿إِلَّا إِعْدَى الْحُسَيْنِ﴾، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة.

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلمته أن يدخله الجنة. أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة». قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَرَوْنَ يَكُفُّ﴾، إحدى

السواتين إما ﴿أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾، فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية، ﴿أَوْ يُؤَيِّتَكُمْ﴾، أو بأيدي المؤمنين إن أظهروا ما في قلوبكم، ﴿فَتَرَوْا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرِصُونَ﴾، قال الحسن: فترصوا مواعيد الشيطان إنا مترصون مواعيد الله من إظهار دينه واستتصال من خالفه.

﴿قُلْ أَنِفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أمر بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً، نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود، قال: أعينكم بمالي، يقول: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ لَكُمْ﴾، أي: لأنكم، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يقبل﴾ بالياء لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالثاء لأن الفعل مسند إلى جمع مؤنث وهو النفقات، فأتت الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث، ﴿تَفَقَّهْتُمْ﴾، صدقاتهم، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ﴾، متناقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً، فإن قيل: كيف ذكر الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الدم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل والإيمان منشط، ﴿وَلَا يُؤْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهُونَ﴾، لأنهم يعدونها مغرمًا ومنعها مغنماً.

ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «وَيْلَكَ فَمَنْ يَعدُلُ إِذَا

لم أعدل، فقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال له: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم آيتهم، رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: أشهد إنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت

والحسرة على تخليفه عن من لا يُخيمه، ثم يُقدم على مَلِكٍ لا يُغذره. ﴿وَنَزَقْنَا أَنفُسَهُمْ﴾، أي: تخرج، ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، أي: يموتون على الكفر. ﴿وَيَخْلِفُونَ﴾، أي: على دينكم وشريعتكم وطريقتكم، ﴿وَمَا هُمْ بِمُتَّكِرِينَ﴾، أي: يَخَافُوا أَنْ يَظْهَرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ.

﴿لَوْ يَخْتَرُونَ﴾، أي: حُرّاً أو حَصَنّاً أو مَعْقُلاً. وقال عطاء:

مهرباً، وقيل: قوماً يأمنون فيهم. ﴿أَوْ مَعْرَكَةٍ﴾، غير أننا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه، أي: يستتر. وقال عطاء: سراديب. ﴿أَوْ مَدَّخَلًا﴾، موضع دخول يدخلون فيه، وهو من أدخل يدخل، وأصله: مدتخل مفتعل، من أدخل يدخل. قال مجاهد: معرزا. وقال قتادة: سرباً. وقال الكلبي: نفقاً في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ، وقرئ: ﴿مَدَّخَلًا﴾، بفتح الميم وتخفيف الدال، وكذلك قرأ يعقوب، ﴿لَوْ لَوْا إِلَيْهِ﴾، إليه هرباً منكم، ﴿وَهُمْ يَخْشَوْنَ﴾، يسرعون في إباء ونفور ولا يرذ وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصاً منكم ومهرباً لفارقوكم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ نَنْزِلُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، الآية نزلت في

فَلَا تَتَجَبَّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْهَا آلِ الْخَبِيثَاتِ الذَّيَّاتِ وَنَهَقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِأَلْفِهِمْ لَيْسَ لَكُمْ مِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمُتَّكِرِينَ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَخْتَرُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعْرَكَةً أَوْ مَدَّخَلًا لَوْ لَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَخْشَوْنَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مَتَاعُهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٨﴾ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَلِّينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُوفَةُ لَهُمْ فِيهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِ مِنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنَّ قُلْ أَذْنُ خَيْرٌ لَكُمْ تَوْتِنُ بِاللَّهِ وَتَوْتِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿فَلَا تَتَجَبَّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾، والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله وولده، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْهَا آلِ الْخَبِيثَاتِ﴾، فإن قيل أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقاتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها، والتنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه والكراهة في إنفاقه،

رسول الله ﷺ الذي نعت.

وقال الكلبي: قال رجل من المتنافقين يقال له أبو الجواز لرسول الله ﷺ: لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلُوكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يعيك في أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها. يقال: لمزه وهمزه، أي: عابه، يعني: أن المتنافقين كانوا يقولون إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب: ﴿يَلُوكَ﴾ حيث كان، وقال مجاهد: يلزمك أي يروذك يعني يختبرك. ﴿فَإِنْ أَطَعُوا مِنِّي رَشَوْا وَإِنْ لَّمْ يَطُوعُوا مِنِّي إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾، قيل: إن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي: قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، كافينا الله، ﴿سَيَرْزُقُنَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، ما نحتاج إليه ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، في أن يوسع علينا من فضله، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، أي: لكان خيراً لهم وأغود عليهم.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية أهل سهران الصدقات وجعلها لثمانية أصناف.

وزوي عن زياد بن النخاح للصدائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فاتاه رجل وقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حُكِمَ فِيهَا

هو فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك».

قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾، فأخذ أصناف الصدقة، الفقراء، والثاني: المساكين، واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهرري: الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل. وقال ابن عمر: ليس الفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير. وقال قتادة: الفقير المحتاج الزم، والمسكين الصحيح المحتاج. وروي عن عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب. وقال الشافعي: الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمتا كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلا كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير لأن الله تعالى قال: ﴿أَمَّا السَّائِغَةُ فَكَانَتْ لِلْمَسْكِينِ﴾

[الكهف: ٧٩]، أثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين. وقال القتيبي: الفقير الذي له البلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير من له المسكن والخادم، والمسكين من لا ملك له. وقالوا: كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنياً عن غيره، قال الله تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، والمسكين

المحتاج إلى كل شيء ألا ترى كيف حض على إطعامه، وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة أشد من الحاجة إلى سد الجوعة. وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين. وفي الجملة: الفقير والمسكن عبارة عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم ثنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عبيد الله بن عدي بن الخيار: أن رجلين أخبراه أنهما أتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن الصدقة، فصعد فبهما وصوب، فقال: «إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيَتْكُمَا وَلَا حَظَّ فِيهَا لَغْنِي وَلَا لَذِي قُوَّةٍ مَكْتَسَبٍ».

واختلفوا في حد الغنى الذي يمنع أخذ الصدقة، فقال الأكثرون: حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي. وقال أصحاب الرأي: حده أن يملك مائتي درهم. وقال قوم: من ملك خمسين درهماً لا تحل له الصدقة.

لما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ أَوْ خَدُوشٌ أَوْ كَدُوحٌ»، قيل: يا

رسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب».

وهو قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا يجوز أن يعطى الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً. وقيل: أربعون درهماً.

لما روي أن النبي ﷺ قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً».

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفِينَ عَلَيْهِ﴾،

وهم السعاة الذين يتولون قبض [الأموال من] الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطون مثل أجر عملهم. وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة. ﴿وَالْمُؤَلَّفُونَ قُلُوبَهُمْ﴾،

فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: قسم مسلمون وقسم كفار، فأما المسلمون: فقسمان قسم دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفاً كما أعطى عيينة بن بدر والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي، وأسلموا ونيتهم قوية في الإسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر، فكان يعطيهم تألفاً لقومهم وترغيباً لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات. والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من

المسلمين بإزاء قوم كفار في موضع مُتناطٍ لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الإمام فيعطيهما الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات.

وقيل: من سهم سبيل الله. روي أن عدي بن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيراً. وأما الكفار من المؤلفة فهو من يخشى شره منهم أو يرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يعطي هذا حذراً من شره أو يعطي ذلك ترغيباً له في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام، وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فله الحمد وأغناه عن أن يتألف عليه رجال، فلا يعطي مشركاً تألفاً بحال، وقد قال بهذا كثير من أهل العلم أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط. روي ذلك عن عكرمة، وهو قول الشعبي، وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي، وإسحاق بن راهويه، وقال قوم: سهمهم ثابت، يروى ذلك عن الحسن، وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور، وقال أحمد: يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك. قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، والصنف الخامس:

وهو الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيداً فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَرَغِينَ﴾، والصنف السادس: هم الغارمون وهم قسمان: قسم أدانوا لأنفسهم في غير معصيته فإنهم يُعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، فإن كان عندهم وفاة فلا يُعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنهم يُعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنبأنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لَغْنِي إِلَّا لَخَمْسَةِ: لَغَارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ لَغَارِمٍ، أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ لِرَجُلٍ لَهُ جَارٌ مَسْكِينٌ فَتَصَدَّقَ عَلَى الْمَسَاكِينِ فَأَهْدَى الْمَسْكِينِ لِلغْنِي، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا».

ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ متصلاً بمعناه.

أما من كان دينه في معصية الله وفساد فلا يُدفع شيء إليه. وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد

بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة، يُعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة، وإن كانوا أغنياء، ولا يُعطى شيء منه في الحج عند أكثر أهل العلم. وقال قوم: يجوز أن يصرف سهم في سبيل الله إلى الحج. ويُروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وأحمد وإسحاق. قوله تعالى: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، والصنف الثامن: هم أبناء السبيل، فكل من يريد سفراً مباحاً ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المنتقل إليه مال أو لم يكن. وقال قتادة: ابن السبيل هو الضيف. وقال فقهاء العراق: ابن السبيل الحاج المنقطع. قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً﴾، أي: واجبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وهو نصب على القطع، وقيل: على المصدر، أي: فرض الله هذه الأشياء فريضة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. واختلف أهل العلم والفقهاء في كيفية قسم الصدقات، وفي جواز صرفها إلى بعض الأصناف، فذهب جماعة إلى أنه لا يجوز صرف كلها إلى بعضهم مع وجود سائر الأصناف، وهو قول عكرمة وبه قال الشافعي، قال: يجب أن تقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سهمانهم ثابتة قسمة على السواء، لأن سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل إذا قسمه بنفسه [ساقط أيضاً]، ثم حصة كل صنف منهم لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة

منهم إن وجد منهم ثلاثة أو أكثر، فلو فaut بين أولئك الثلاث يجوز، فإن لم يوجد من بعض الأصناف إلا واحداً صرف حصة ذلك الصنف إليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق، فإن انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقي.

وذهب جماعة إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف أو إلى شخص واحد منهم يجوز، وإنما سمي الله تعالى هذه الأصناف الثمانية إعلالاً منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الأصناف، لا إيجاباً لقسمها بينهم جميعاً، وهو قول عمر وابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر وعطاء، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وبه قال أحمد، قال: يجوز أن يضعها في صنف واحد وتفريقها أولى. وقال إبراهيم: إن كان المال كثيراً يحتمل الأجزاء قسمة على الأصناف، وإن كان المال قليلاً جاز وضعه في صنف واحد. وقال مالك: يتحرى موضع الحاجة منهم ويُقدّم الأولى فالأولى من أهل الخلّة والحاجة، فإن رأى الخلّة في الفقراء في عام أكثر قديمهم، وإن رآها في عام في صنف آخر حوّلها إليهم، وكل من دفع إليه شيء من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غناه، فإذا حصل أدنى اسم الغنى لا يُعطى بعده، فإن كان محترفاً لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته ولا يزداد على العامل على أجر عمله، والمكاتب على قدر ما

يُعتق به، وللغريم على قدر دينه، والغازي على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام في مغزاه وما يحتاج إليه من الفرس والسلاح، ولابن السبيل على قدر إتيانه مقصده ماله.

واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال إلى موضع آخر مع وجود المستحقين فيه، فكرهه أكثر أهل العلم.

لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو كريب ثنا وكيع ثنا زكريا [بن] إسحاق المكي ثنا يحيى بن عبد الله بن الصفي عن أبي معبد عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «إناك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

فهذا يدل على أن صدقة أغنياء كل قوم تُرد على فقراء ذلك القوم: واتفقوا على أنه إذا نقل من بلد إلى بلد آخر وأدى مع الكراهية وسقط الفرض عن ذمته، إلا ما حُكي عن

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَيُؤْتِيَنَا اللَّهُ رِزْقَهُمْ﴾

قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فحرقوه وقالوا هذه المقالة، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بما قاله المنافقون، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامراً كذاب. وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتزلون إليه ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَيُؤْتِيَنَا اللَّهُ رِزْقَهُمْ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِلَّا يَسْلَمُونَ أَنتُمْ مَن يُكَادُونَ﴾ قاله ﷺ، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من الله ورسوله، ﴿فَأَن تَأْكُلَ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿خِلَافًا فِيهَا﴾ ذلك الجزئ العظيم، أي: الفضيحة العظيمة.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾، أي: يخشى المنافقون، ﴿إِن تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: تنزل على المؤمنين،

يقال له نبتل بن الحارث، وكان رجلاً أذلماً نائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة، وقد قال النبي ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليتنظر إلى نبتل بن الحارث»، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأثيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، قرأ العامة بالإضافة، أي: مستمع خير وصلاح لكم، لا مستمع شر وفساد. وقرأ الأعمش والبرجمي عن أبي بكر: ﴿أذن خير لَّكم﴾ مرفوعين متونين، يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، أي: لا، بل يؤمن بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين، يقال: أمنت وأمنت له بمعنى صدقته. ﴿وَرَحْمَةً﴾، قرأ حمزة: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخفض على معنى [أي هو] أذن خير لكم وأذن رحمة، وقرأ الآخرون: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع، أي: هو أذن خير وهو رحمة ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَسْكُنُوا﴾، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَيُؤْتِيَنَا اللَّهُ رِزْقَهُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ أَنْ يُرْزُقَهُمْ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ أَلَمْ يَسْلَمُوا أَنَّهُمْ مَن يُكَادُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَن تَأْكُلَ أَمْوَالُكُمْ خِلَافًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ وَلَدَ اللَّهِ وَإِبراهيمَ وَيساَءَ وَآلَهُمْ مِمَّن قَدَّمْنَا عَلَيْهِمْ صُلُوحَنا أَن يَكُونَ لَهُمْ كِتَابٌ وَسْطَ بَيْنِنَا وَمَا يَكُونُ لَنَا عِلْمٌ إِلَّا الَّذِي فَهَّمْنَا وَإِنَّمَا اتَّخَذُوا مِمَّن قَدَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُرَكَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ يُسَبِّحُونَ أَصْنَانًا مِّمَّنْ خَلَقْنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يَبْغُونَ الْبَرْزَخَ بَيْنَ الْيُسْرِ وَالْيُسْرَى وَأَن تَأْخُذَ بِهِمْ نُفُوسٌ بِلَا أَرْوَاحٍ أَلَيْسَ إِنَّهُم بِغَافِلِينَ ﴿٦٤﴾

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه رد صدقة حملت من خراسان إلى الشام إلى مكانها من خراسان، [وقال: إن فقراء خراسان أولى بها].

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيُؤْذُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ، ويقولون له ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا ثم نأثيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن، أي: أذن سامعة، يقال: فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة، إذا كان يسمع ما قيل له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذناً إذا استمع. وقيل: هو أذن أي: ذو أذن سامعة.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين

﴿سُورَةُ تَبَّتْهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم. قال قتادة: هذه السورة تُسمى الفاضحة والمبشرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلاً من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة للمؤمنين لئلا يجير بعضهم بعضاً، لأن أولادهم كانوا مؤمنين، ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُ بِكُمُ اللَّهُ تَعَالَى﴾، مظهر ﴿مَا تَعَذَّلُونَ﴾.

قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكموا به إذا علاها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتنكروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قدروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ راحلته، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: «اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاسها، فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة: «من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «فإنهم فلان وفلان» حتى عدّهم كلهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: «أكره أن تقول العرب لما ظفر محمد بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالدليلة».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر ابن محمد أنبأنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد قال: قلنا لعمار: أرايتكم قتالكم أرباباً رأيتموه؟ فإن الرأي يُخطيء ويصيب أو عهداً عهداً إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، وقال:

إن رسول الله ﷺ قال: «إن قتي أمتي - قال شعبة: وأحسبه قال: حدثني حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: إن في أمتي - اثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم، حتى ينجم من صدورهم».

﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ﴾ الآية. وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقاتلة: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين، اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعد من ذلك.

وقيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله

وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك؛ فقال: اجسوا علي الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب.

قال ابن عمر: فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشهد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول له: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون» ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه. قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، أي: قل يا محمد للمنافقين، ﴿أَلَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، كتابة ﴿وَرَسُولُهُ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فإن قيل كيف قال: أكرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان، ﴿إِنْ مَثُفَ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: تب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحداً، ﴿فَسَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ﴾، بالاستهزاء، وقرأ عاصم: ﴿ثُمَّ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿فَسَدَّتْ﴾ بالنون وكسر الدال، ﴿طَائِفَةٌ﴾ نصب. وقرأ الآخرون: ﴿يُعَفُّ﴾ بالياء وضمها وفتح الفاء، ﴿تَعْدِبُ﴾ بالياء وفتح الدال، ﴿طَائِفٌ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل.

وقال محمد بن إسحاق: الذي عُفا عنه رجل واحد، وهو مخشي بن حمير الأشجعي، يقال

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا إِلَهَ بَرٍّ أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَانُوا ثَوَابًا﴾، ثم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَسُورَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «التبتعن سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَيْراً بشراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا حُجْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وفي رواية أبي هريرة: «فهل الناس إِلَّا هُمْ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سُمْتاً وهذياً تتبعون عملهم جِدْوُ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَذْرِي أَتَعْبُدُونَ الْعِجْلَ أَمْ لَا.

﴿٧٠﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ الْبَيْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿بَيْتاً﴾، خبر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، حين عصوا رُسُلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبتهم وأهلكناهم ثم ذكرهم، فقال: ﴿قَوْمٌ ثَوَجٌ﴾، أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٌ﴾، أهلكوا بالريح، ﴿وَقَوْمٌ﴾، بالرجفة، ﴿وَقَوْمٌ لِبَرِّهِمْ﴾، بسلب النعمة وهلاك نمرود، ﴿وَأَصْحَابُ مَذْنُوكَ﴾،

سبيل الله ولا يبسطونها بخير، ﴿سُوءَا اللَّهُ فَعَسَى﴾، تركوا طاعة الله، فتركهم من توفيقه وهديته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه، ﴿إِنَّ السَّافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ السَّافِقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْكَافَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، كافيتهم جزاء على كفرهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، أبعدهم الله من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

ثَوِيمٌ﴾، دائم.

﴿٧٢﴾ ﴿كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالمدول عن أمر الله، فَلَعَنْتُمْ كَمَا لَعِنُوا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، بطشاً ومنعة، ﴿وَأَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾، فتمتعوا أو انتفعوا بخلقهم، بنصيبيهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضاً عن الآخرة، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾، أيها الكفار والمنافقون، ﴿كَأَنَّمَا اسْتَمْتَعْتُمُ الْبَرِّ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾، وسلكتهم سبيلهم، ﴿وَضَعْتُمْ فِي الْبَاطِلِ وَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَبِالْإِسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، كَالَّذِي خَاسَوْا﴾، أي: كما خاسوا. وقيل: كالذي بمعنى كالذين خاسوا، وذلك أن الذي اسم ناقص، مثل «مَا وَمَنْ» يُعْتَبَرُ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ؛ نظيره

هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانباً لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزل أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر الجلود منها، وتجب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره.

﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾، بالشرك والمعصية، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، أي: عن الإيمان والطاعة، ﴿وَيَرْحَمُونَ الْيَتِيمَ﴾، أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في

كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعْتُمُ الْبَرِّ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَضَعْتُمْ فِي الْبَاطِلِ وَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَالَّذِي خَاسَوْا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ الْبَيْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ ثَوَجٌ وَعَادٌ وَقَوْمٌ لِبَرِّهِمْ وَأَصْحَابُ مَذْنُوكَ وَالْمُؤَفَّفَاتُ أَنْهَهُمْ رُسُلَهُمْ يَلْعَنُونَ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَيَكُنْ لَهُمْ فِيهَا جَنَّاتٌ عِدْنٌ يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٧٣﴾

[illegible]

(٧١) قوله تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»، في الذين واجتمع الكلمة والعون والنصرة. «يَا مُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ»، بالإيمان والطاعة والخير، «وَتَتَّقُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ»، عن الشرك والمعصية وما لا يعرف في الشرع، «وَيُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ»، المفروضة، «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن في الجنة قصراً يقال له عَذْنٌ حوله البروج والمروج، له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد. وقال الحسن: قصرٌ من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حَكَم عدل. وقال عطاء بن السائب: «عذن» نهر في الجنة جنباته على حافتيه.

وقال مقاتل والكلبي: عدن أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسليم،

والجنان حولها، مَحْدَقَةٌ بها، وهي مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ومن شاء الله، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كُتُبُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ الْأَبْيَضِ، ﴿وَرُيُوسُونَ﴾ رُبُوعٌ أَوْ أَكْبَرُ، أي: رُضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذي هم فيه، ﴿وَلَاكُ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾.

روينا عن أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم؟» فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعطه أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده بدءاً».

٧٦ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والقتل، **وَالْمُنَافِقِينَ**، واختلَفوا في صفة جهاد المنافقين، فقال ابن مسعود: بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه، وقال: لا تَلَقَ للمنافقين إلا بوجه مكفهر. وقال ابن عباس: باللسان وترك الرفق. وقال للضحاك: بتغليظ الكلام. وقال لحسن وقتادة: بإقامة الحدود

يَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدًا وَالْمُشْفِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ
وَمَا وَهَنَهُمْ جَهْدُهُمْ نَبَسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كُفِّرُوا بَعْدَ أَنْبَأِهِمْ
وَهُمْ يُؤْمِنُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ نَبْرِئَهُمُ اللَّهُ رَسُولَهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يُتُوبُوا لَكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعْبُدْهُمْ
اللَّهُ عَذَابُ الْيَسَافِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
يُكْفِيَهمُ اللَّهُ حَقَّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا أَكُنُوا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يَخْلَعُوهَ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقِبْهُمْ بِمَا قَالُوا إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ إِنَّهُمْ لَخَافُوا
اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَذَبُوا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
أَنزَلَ الْفُتُوحَ ﴿٧٨﴾ الْفُتُوحَ الْبَرِّ وَالْبَرِّ الْمَطُوعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالْبَرِّ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جَهْدَهُمْ يُنْصَرُونَ وَهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

عليهم. **﴿وَإِظْلَمَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ فِي**
الْآخِرَةِ﴾ **﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّاتُ السَّيِّدُ﴾**،
وقال عطاء: نسخت هذه الآية كل
شيء من العفو والصفح.

(٧٦) قوله تعالى: ﴿يَجْلِسُونَ إِلَى اللَّهِ﴾
 مَا قَالُوا ﴿[الآيَة]﴾ قال ابن عباس:
 كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل
 حجرة فقال: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ
 فَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بَعِينِي شَيْطَانٌ، فَإِذَا جَاءَ
 فَلَا تَكَلِّمُوهُ»، فلم يلبثوا أَنْ طلع
 رجل أَرُوقٌ، فدعاه رسول الله ﷺ
 فقال: «عَلَامَ تَشْتَمُنِي أَنْتَ
 وَأَصْحَابُكَ؟» فانطلق الرجل وجاء
 بِأَصْحَابِهِ فَجَلَسُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال الكلبي: نزلت في
الجلال بن سويد، وذلك أن
رسول الله ﷺ خطب ذات يوم
ببوك، فذكر المنافقين وسماهم
رجساً وعابهم، فقال جلاس: لئن

كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير، فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إن محمداً لصادق وأنتم شر من الحمير، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلّاس، فقال الجلّاس: كذب عليّ يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر، فقام الجلّاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذب عليّ عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: «آمين»، فنزل جبريل عليه السلام [على النبي] من السماء قبل أن يتفرقا بهذه الآية، حتى بلغ: «فَإِنْ يَتُوبَا بِكَ خَيْرٌ لَّهُمَا»، فقام الجلّاس فقال: يا رسول الله اسمع الله عز وجل قد عرض عليّ التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فقيل رسول الله ﷺ ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ»، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام، وقيل: هي سب النبي ﷺ. وقيل: كلمة الكفر قول الجلّاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير. وقيل: كلمة الكفر قولهم: «لَنْ رَجَعَنَا إِلَى

الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنِّي الْأَذَلَّ» [المنافقون: ٨]، وستأتي [تلك] القصة في موضعها في سورة المنافقين إن شاء الله، «وَهُمُومًا لَمْ يَتَأَلَّوْا»، قال مجاهد: هم المنافقون يقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه. وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكو برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رؤسهم، فأرسل حذيفة لذلك. وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقداً على رأس عبد الله بن أبي تاجاً، فلم يصلوا إليه.

«وَمَا تَقْوُومُوا»، وما كرهوا وما أنكروا منهم، «إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ»، وذلك أن مولى الجلّاس قيل فأمر له رسول الله ﷺ بدية اثني عشر ألف درهم فاستغنى. وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم.

«فَإِنْ يَتُوبَا بِكَ خَيْرٌ لَّهُمَا وَإِنْ يَتُوبَا»، يعرضوا عن الإيمان، «يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا»، بالخزي، «وَالْآخِرَةِ»، أي: وفي الآخرة بالنار، «وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ».

﴿٧٥﴾ قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ يَتُوبُوا بِكُمْ فَغَفَلُوا»، الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي ثنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله بن

حامد الأصفهاني، ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، ثنا محمد بن نصر، حدثني أبو الأزهر أحمد بن الأزهر، ثنا مروان بن محمد بن شعيب ثنا مغان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيق»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فأتخذ غنماً فتمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كالودود، فكان يصلي مع النبي ﷺ الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت فتمت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة.

فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره ﷺ ذات يوم فقال: «ما فعل ثعلبة؟» قالوا: يا رسول الله أتخذ

ثعلبة غنماً [ما] يسعها وإد، فقال رسول الله ﷺ: «يا وَنِخْ ثعلبة، يا وَنِخْ ثعلبة، يا وَنِخْ ثعلبة»، فأنزل الله آية الصدقات، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجل من جُهينة وكتب لهما أسنان الصدقة، كيف يأخذان، وقال لهما: «مُرَّا بثعلبة بن حاطب، ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما»، فخرجا إلى ثعلبة حتى أتياه فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذه إلا جزية ما هذا إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ فانطلقا وسمع بهما السلمي [فنظر إلى] خيار أسنان إبسه فعرّزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالوا: ما هذه عليك؟ قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة، فمرّا على الناس فأخذوا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما فقرأه، ثم قال: ما هذا إلا أخت الجزية، اذهبوا حتى أرى رأيي، قال: فأقبلا فلما رأهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه قال: «يا وَنِخْ ثعلبة يا وَنِخْ ثعلبة، ثم دعا للسلمي بخير». فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧]، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه الصدقة، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ منعني فلم أقبل منك صدقتك»،

فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني»، فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع إلى منزله. وقبض رسول الله ﷺ، ثم أتى أبا بكر فقال: أقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ثم أنا أقبليها؟ فقَبِضَ أبو بكر ولم يقبلها. فلما وَلِيَ عمرُ أناه: فقال: أقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أنا أقبليها منك؟ فلم يقبلها. فلما وَلِيَ عثمان أناه فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقناة: أتى ثعلبة مجلساً من الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله أتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه، وصلت الرحم، وأحسنيت إلى القرابة، فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما قال، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الحسن ومجاهد: نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود وقالوا: والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن، فلما رزقهما الله عز وجل بخلأ به، فقوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعني: المنافقين، ﴿مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ولنؤدين حق الله منه، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه، من صلة الرحم والتفقه في الخير.

﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾

يَحْمِلُوا يَدَهُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ.

﴿فَاعْقِبْهُمْ﴾، فأخلفهم، ﴿وَنَفَاكَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلاناً ندماً إذا صير عاقبة أمره ذلك. وقيل: عاقبهم بتفاق قلوبهم. يقال: عاقبته وأعقبته بمعنى واحد. ﴿إِنَّ يَوْمَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يوم القيامة، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخوقي، ثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسقوني، ثنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حنجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا أبو سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتهم خان».

﴿إِنَّ يَوْمَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: ما أضمرنا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.

قال أهل التفسير: حق رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتكم بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعمالي، فقال

النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أن سُفُنًا أُجريت فيها لَجَرَتْ». **٨٣** قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾، أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: من المخلفين، وإنما قال «طائفة» منهم لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقاً، ﴿فَاسْتَزَكُوا لِلْخُرُوجِ﴾، معك في غزوة أخرى، ﴿فَقُلْ لَهُمْ: ﴿إِنْ تَخَرَّجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ فِي سَفَرٍ، ﴿وَلَنْ نَقْبِلَهُمْ مَعَ عَدُوٍّ إِلاَّ كَرِهْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، في غزوة تبوك، ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، أي: مع النساء والصبيان، وقيل: مع الزمنى والمرضى. وقال ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر. وقيل: مع الخالفين. قال الفراء: يقال صاحب خالف إذا كان مخالفاً.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ الآية [التوبة: ٨٤]. قال أهل التفسير: بعث عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ وهو مريض، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال له: «أهلكك حب اليهود؟» فقال: يا رسول الله إنني لم أبعث إليك لتؤنّبني، إنما بعثت إليك لتستغفر لي وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، حدثني الليث، عن عقيل،

عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله [عن] ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبّت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «أخز عني يا عمر»، فلما أكثرت عليه قال: «إني خيّر فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها»، قال: فصلّى عليها رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، إلى قوله: ﴿وَهُمْ قَسِیْرُونَ﴾. قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعدما أدخل في حفرة فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث في فيه من ريقه وألبسه قميصه، فإله أعلم وكان كَسَا عَبَّاساً قَمِيصاً. قال سفيان: وقال هارون: وكان على رسول الله ﷺ قميصان، فقال [له] ابن عبد الله: يا رسول الله ألبس أبي

قميصك الذي يلي جلدك.

وروي عن جابر قال: لما كان يوم بدر أتى بالأسارى وأُتِيَ بالعباس ولم يكن عليه ثوب [فغَطَّرَ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ قَمِيصاً] فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ [إياه]، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه عبد الله - وقال ابن عيينة - كانت له عند النبي ﷺ يَدٌ فَأَحْبَبَ أَنْ يُكَافَهُ.

وروي أن النبي ﷺ كَلَّمَ فيما فعل بعبد الله بن أبي، فقال ﷺ: «وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً، والله إنني كنت أرجو أن يُسَلِّمَ به ألف من قومه».

وروي أنه أسلم به ألف من قومه لما أراه يترك بقميص النبي ﷺ. **٨٤** قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، ولا تقف عليه، ولا تتول دفنه، من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره. ﴿وَهُمْ قَسِیْرُونَ﴾، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض.

٨٥ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ إِنْ كَانُوا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَمْلِكَهُمْ بِمَا فِي الْأَنْفُسِ وَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

٨٦ ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ﴾، ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا كُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فسي رحالهم.

﴿٨٧﴾ فقال جل ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الرُفَثَى والمشايع والعجزة. وقيل: هم الصبيان، وقيل: النسوان، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ مَا يَنْفَعُونَ﴾، يعني: الفقراء ﴿حَرْجٌ﴾، مأثم. وقيل: ضيق في القعود عن الغزو، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، في مغيهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله وبايعوا الرسول. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال قتادة: نزلت في عائذ بن عمرو وأصحابه.

وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريب البصر.

﴿٨٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، معناه: أنه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سُمُوا البكتائين: معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُلبَة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل المزني، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا. واختلفوا في قوله: ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾، قال ابن عباس: سألوه أن يحملهم على الدواب. وقيل: سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، ليفزوا معه فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَحْمِلُ مَا لِيَحْمِلَكُمْ

مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية، قرأ يعقوب ومجاهد: ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل: لقد أعذر من أنذر، أي: بالغ في العذر من قدم النذارة، وقرأ الآخرون: ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد، أي: المقصرون، يقال: عذر أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون أدغمت التاء في الذال وثقلت حركة التاء إلى العين.

وقال الضحاك: المعتذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا إلى رسول الله ﷺ دفاعاً عن أنفسهم، فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلاتنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم.

وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بلاذن رسول الله ﷺ. ﴿وَقَدْ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني: المنافقين. قال أبو عمرو بن العلاء: كلا الفريقين كان مسيئاً قوم تكلفوا عذراً بالباطل وهم الذين عناهم تعالى بقوله: ﴿وَكَلَّ اللَّهُ الْمُعْذِرُونَ﴾، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر فقعدوا جراً على الله تعالى، وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله: ﴿سَيُجِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ذكر أهل العذر.

رَضُوا يَأْنِ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٨﴾ لَيْسَ عَلَى الرُّسُلِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهْدٌ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتُكَ لَكُمْ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ وَبَعَثَ اللَّهُ الْمَعْذِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَكُمْ وَقَدْ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُجِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ مَا يَنْفَعُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْمِلُ مَا لِيَحْمِلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّا السَّيِّئِينَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَنذِرُونَكُمْ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضُوا يَأْنِ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٤﴾

﴿٨٧﴾ رَضُوا يَأْنِ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ، يعني: النساء. وقيل: مع أدنياء الناس وسفلتهم. يقال: فلان خالفه قومه إذا كان دونهم، ﴿وَطَمَحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿٨٨﴾ لَيْسَ عَلَى الرُّسُلِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهْدٌ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتُكَ لَكُمْ الْخَيْرَاتُ، يعني: الحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة، قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ حَيْرَتٌ حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧]، جمع خيرة، وحكي عن ابن عباس: أن الخير لا يعلم معناه إلا الله؛ كما قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَقْلَمُ قَسَمًا أَتَقْبَى لَمْ يَنْ فَرَّ أَتَيْنَ﴾ [السجدة: ١٧]. ﴿وَأَوْلِيَّتُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

﴿٩٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَبَعَثَ اللَّهُ الْمَعْذِرِينَ

عَلَيْهِ قَوْلًا، وهم يبكون، فذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوا وَأَعِثُّهُمْ نَقِصًا مِنَ الذَّمِّ حَزْرًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُؤْتُونَ﴾.

﴿٩٣﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ، بالعقوبة، عَلَى الَّذِينَ يَسْتَلِدُّونَكَ، فسي الخلف ﴿وَمَنْ أَغْنَىٰ رِشْوًا يَأْتِيكَوْنَ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، مع النساء والصبيان، ﴿وَطَلَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٩٤﴾ يَتَذَكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ، يروى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفراً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤا يعتذرون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْتَدُّوا لَكُمْ تُؤْمِنُ لَكُمْ﴾، لن نصدقكم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَعْيَابَكُمْ﴾، فيما سلف، ﴿وَيَسِّرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، في المستأنف اتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُونَ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالشَّهِيدَةِ فَيَتَّقِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٩٥﴾ سَيَلْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ، إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿لَتَنْصِفُوا عَنْهُمْ﴾، فدعوه، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ﴿إِنَّهُمْ يَخِفُّونَ نَجَسًا﴾، أي: إن عملهم قبيح، ﴿وَمَا أَرْهَبُهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في جذ بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما،

وكانوا ثمانين رجلاً من المنافقين، فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة: «لا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تَكَلَّمُوهُمْ».

وقال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي خلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلف عنه بعدها، وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه، فانزل الله عز وجل هذه الآية:

﴿٩٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرِشْوَةٍ عَنْهُمْ فَرَسُوا نَدَىٰ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

﴿٩٧﴾ الْأَعْرَابُ، أي: أهل البدو، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَفَقَارًا﴾، من أهل الحضر، ﴿وَأَجْدَرُ﴾، أي: أخلق وأحرى، ﴿أَلَّا يَمْلَأُوا حُدُودَ مَا أَرْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوب خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما فرض من فرائضه.

﴿٩٨﴾ رِيشُونَ الْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُؤْتُونَ مَغْرَمًا، قال عطاء: لا يرجون على إعطائه ثواباً ولا يخافون على إمساكه عقاباً وإنما يتفقون خوفاً ورياء. والمغرم: التزام ما لا يلزم. ﴿وَيَرْشِقُونَ﴾، ويستنظرون، ﴿بِكُلِّ دَوَابٍّ﴾، يعني: صروف الزمان، التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر. وقال يمان بن رباب: يعني يتقلب

يَتَذَكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدُّوا لَكُمْ تُؤْمِنُ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَعْيَابَكُمْ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالشَّهِيدَةِ فَيَتَّقِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَلْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَنْصِفُوا عَنْهُمْ فَاَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ يَخِفُّونَ نَجَسًا يَأْتِيكَوْنَ مَعَ الْخَوَالِفِ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرِشْوَةٍ عَنْهُمْ فَرَسُوا نَدَىٰ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَفَقَارًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلَأُوا حُدُودَ مَا أَرْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾ رِيشُونَ الْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُؤْتُونَ مَغْرَمًا وَيَرْشِقُونَ بِكُلِّ دَوَابٍّ عَلَيْهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَسُوءُ مَا يُكْسِبُونَ الْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يُؤْتُونَ مَغْرَمًا ذِكْرًا وَمَنْ يَفْضَلْ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ لِيُحْشَرَ ضًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ مِنْ فَيْدِهِ شَيْئًا لِّئَلَّا يُصِيبَهُ الْمَكْرُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٩﴾

الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون، ﴿عَلَيْهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَسُوءُ مَا يُكْسِبُونَ﴾، عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوءهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿ذِكْرُ اللَّهِ وَسُوءُ مَا يُكْسِبُونَ﴾، فهنا وفي سورة الفتح بضم السين: معناه: الضر والبلاء والمكروه. وقرأ الآخرون: بفتح السين على المصدر. وقيل: بالفتح الردة والفساد، وبالضم الضر والمكروه. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، نزلت في أعراب أسد وقطفان وتميم. ثم استثنى فقال:

﴿٩٩﴾ رِيشُونَ الْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وقال مجاهد: هم بنو مقرن من مؤمنة. وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة. أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنبأنا جدي

وَالسَّيْفُوكَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَوَقِّفُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّو أَعْلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ مَنْ تَعْلَمُهُمْ سَعِدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ شَقَاقًا اللَّهُ أَنْ تَوْبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ حَذِينَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ بَلَغُوا أَهْلَ اللَّهِ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ اللَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَفَتُفَكِّرُونَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُوعُونَ لَدُنْ اللَّهِ يُنَاقَشُهُمْ وَإِنِ اتَّوْبَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

﴿وَالسَّيْفُوكَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الآية]، قرأ يعقوب ﴿وَالْأَنْصَارُ﴾، بالرفع، عطفاً على قوله: ﴿وَالسَّيْفُوكَ﴾، واختلفوا في السابقين الأولين، قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلوا إلى القبلتين. وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر. وقال الشعبي: هم الذين شهدوابيعة الرضوان، وكانتبيعة الرضوان بالحدبية. واختلفوا في أول من آمن

برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ. فقال بعضهم: أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قول جابر، وبه قال مجاهد وابن إسحاق، أسلم وهو ابن عشر سنين. وقال بعضهم: أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي والشعبي. وقال بعضهم: أول من أسلم زيد بن حارثة، وهو قول الزهري وعروة بن الزبير، وكان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأقوال فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن العبيد بلال، ومن الموالي زيد بن حارثة.

عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العدافري، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الدبيري، أنبأنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار وشيء من جبهة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهو أزن وغطفان». «وَيَسْجُدُ مَا يُنْفِقُ يُرَكِّبُ عِنْدَ اللَّهِ»، القربات جمع القرية، أي: يطلب القرية إلى الله تعالى، «وَصَلَّوْا الرَّسُولَ»، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ، «إِنَّا قُرْبَةٌ لَهُمْ». قرأ نافع برواية ورش قرية بضم الراء، والباقرن بسكونها. «سَيُطَهِّرُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ»، فسي جنته، «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان رجلاً محبباً سهلاً وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان فيها، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، فأسلم على يديه فيما بلغني عثمان بن عفان، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الدخول إلى الإسلام. وأما السابقون من الأنصار فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكانوا ستة [نفر] في العقبة الأولى وسبعين في [العقبة] الثانية، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مضعب بن عُمير يعلمهم القرآن، فأسلم معهم خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان.

قوله عز وجل: ﴿وَالسَّيْفُوكَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم. ﴿وَالْأَنْصَارُ﴾، أي: ومن الأنصار، وهم الذين نصرروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، قيل: هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين. وقيل: هم الذين سلكوا

سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصر إلى يوم القيامة. وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء. وقال أبو صخر حميد بن زياد: أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم، فقلت: من أين تقول هذا؟ فقال: أقرأ قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة. قال أبو صخر: فكانني لم أقرأ هذه الآية قط.

وروي أن النبي قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدأ أحدهم ولا نصيفه». ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قرأ ابن كثير: «من تحتها الأنهار»، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوَّلَ مُشْرِكُ الْأَعْرَابِ مُشْفِقُونَ﴾، وهم من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، أي: ومن أهل

المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿مُرَدُّوا عَلَى الْفِتَاقِ﴾، أي: مرنوا على الفتاق، يقال: تمرّد فلان على ربه، أي: عتا ومرد على معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ومنه التمرّد والمارد، وقال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره. وقال ابن زيد: أقاموا عليه [واعتادوه] ولم يتوبوا، ﴿لَا تَقْلَمُ لَهُمْ سَعَتًا﴾، أنت يا محمد، ﴿تَقْلَمُ لَهُمْ سَعَتَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.

اختلفوا في هذين العذابين.

قال الكلبي والسدي: قام النبي ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال: «أخرج يا فلان فإني منافق، أخرج يا فلان»، أخرج ناساً من المسجد وفضحهم، فهذا هو العذاب الأول. والثاني: عذاب القبر.

وقال مجاهد: الأول القتل والسبي، والثاني: عذاب القبر. عنه رواية أخرى: غلبوا بالجوع مرّتين. وقال قتادة: الديلة في الدنيا وعذاب القبر. وقال ابن زيد: الأولى المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا، والأخرى عذاب الآخرة. وعن ابن عباس: الأولى إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر. وقال ابن إسحاق: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخلهم فيه من غير حسيبة ثم عذاب القبر. وقيل: إحداها ضرب الملائكة وجوههم وأديارهم عند قبض أرواحهم، والأخرى عذاب القبر. وقيل: الأولى إحراق مسجد الضرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنم. ﴿هُمْ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابِ

عَظِيمٍ﴾، أي: [إلى] عذاب جهنم يخلدون فيه.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَجُونَ﴾، أي: ومن أهل المدينة أو من الأعراب آخرون، ولا يرجع هذا إلى المنافقين، ﴿أَخْرَجُوا﴾، أخرجوا، ﴿يَذْنُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، وهو إقرارهم بذنوبهم وتوبيتهم، ﴿وَالْأَخْرَجَ سَخِيًا﴾، أي: بعمل آخر سيء، وضع الواو موضع الباء، كما يقال: خلطت الماء واللبن، أي: باللبن. والعمل السيء هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ، والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواري. وقيل: غزواتهم مع النبي ﷺ.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد والألواء، فلما قرب رسول الله ﷺ من المدينة قالوا: والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فراءهم، فقال: «من هؤلاء؟» فقالوا: هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، لأنهم رغبوا عني وتخلفوا

عن الغزو مع المسلمين»، فأنزل الله هذه الآية، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً»، فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية.

واختلفوا في أعداد هؤلاء التائبين. فروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانوا عشرة منهم أبو لبابة. وروى عطية عنه: أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة. وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال الضحاك وقتادة: كانوا سبعة. وقالوا جميعاً: أحدهم أبو لبابة. وقال قوم: نزلت في أبي لبابة خاصة. واختلفوا في ذنبه، قال مجاهد: نزلت في أبي لبابة حين قال لقريظة: إن نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه.

وقال الزهري: نزلت في تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية، وقال: والله لا أجل نفسي ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خر مغشياً عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقيل له: قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء النبي ﷺ فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من توبتي

أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يُجزيك يا أبا لبابة الثلث. قالوا جميعاً: فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم، وترك الثلثين. لأن الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ولم يقل: خذ أموالهم. قال الحسن وقتادة: هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا.

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، بها من ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين. وقيل: تنمي أموالهم، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ادع لهم واستغفر لهم. وقيل: هو قول الساعي للمصدق إذا أخذ الصدقة منه: أَتَجَرَّكَ اللَّهُ فِيمَا أُعْطِيتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ. والصلاة في اللغة: الدعاء. ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: ﴿صلاتك﴾ على التوحيد ونصب التاء ههنا، وفي سورة هود: ﴿أصلاتك﴾ [هود: ٨٧]، وفي سورة المؤمنين: «على صلاتهم» [٢٢]، كلهن على التوحيد، وأفقهما حفص ههنا وفي سورة هود [٨٧]، وقرأ الآخرون بالجمع فيهن وكسر التاء ها هنا ﴿سَكَنَ لَّهُمْ﴾، أي: إن دعاءك رحمة لهم، قاله ابن عباس. وقيل: طمأنينة لهم وسكون لهم أن الله عز وجل قد قَبِلَ منهم. وقال أبو عبيدة: تثبت لقلوبهم. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة، فقال بعضهم: يجب. وقال بعضهم:

يُستحب. وقال بعضهم: يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع. وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى

وكان من أصحاب الشجرة قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ»، فاتاه أبي بصدقته فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آل أبي أوفى».

وقال ابن كيسان: ليس هذا في صدقة الفرض إنما هو لصدقة كفارة اليمين. وقال عكرمة: هي صدقة الفرض، فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا معنا بالأس لا يَكَلُمُونَ ولا يُجَالَسُونَ، فما لهم؟ وذلك أن النبي ﷺ لما رجع إلى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم؟ فقال الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَكَلِّمْهُمُ اللَّهُ فَأَعْلَوْنَ أَنَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يقبلها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَكِيلُ الرَّحِيمُ﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنبأنا الربيع بن سليمان، أنبأنا الشافعي، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان، عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً ولا يصعد إلى السماء إلا طيب، إلا كأنما يضعها في يد الرحمن فيريها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها لمثل الجبل العظيم»، ثم قرأ: «أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ».

١٠٥ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ لِلَّذِينَ أُظْهِرُوا أَعْيُنَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ قَوْلَ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ خَيْرًا لِمَنْ قِيلَ لَهُمْ أَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَيَحْكُمُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ لَقَدْ قَرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْإِيمَانُ فَكَذَّبُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ وَلَا يُرِيدُونَ إِلَّاءَ عَلَيْهِ الْكَلْبَ وَالشَّهَادَةُ فِيهِمْ كَرِهُوا مَا قَالُوا وَلَمْ يُخَذِّعْ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْهُدَى وَمَا يُبْدِي لَهُمْ سَبِيلًا﴾.

١٠٦ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالْأَيْمَانِ سَوَاءٌ مَنَافِقُ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ﴾.

أناس يقولون: هلكوا، وآخرون يسقونون: عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مرجئين لأمر الله، لا يدرون أي عذابهم أم يرحمهم؟ حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة.

١٠٧ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالْأَيْمَانِ سَوَاءٌ مَنَافِقُ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ﴾.

نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنو مسجد يضاؤون به مسجد قباء، وكانوا اثني عشر رجلاً من أهل النفاق، وديعة بن ثابت، وجذام بن خالد، ومن داره أخرج هذا المسجد، وثعلبة بن حاطب، وجارية بن عمرو، وابناه مجمع وزيد، ومعتب بن قشير، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، وأبو حبيبة بن الأزعر، ونبستل بن الحارث، وبيجاد بن عثمان، ورجل يقال له بحرج، بنوا هذا المسجد ضراراً، يعني مضارة للمؤمنين، «وكفراً» بالله ورسوله، «وتقرباً بين المؤمنين»، لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤذي ذلك إلى الاختلاف واقتراق الكلمة، وكان يصلي بهم مجمع بن جارية، فلما فرغوا من بنيانه أتوا

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالْأَيْمَانِ سَوَاءٌ مَنَافِقُ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً للذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة والليلة الشاتية، إنا نحب أن تأتينا وتصلّي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه».

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالْأَيْمَانِ سَوَاءٌ مَنَافِقُ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَهُ الْفَتْحُ وَلَهُ الْغَوْنُمُ وَالْغَوْنُمُ سِوَاهُمْ».

النبي ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا»، قال: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «مَا فَعَلْتُ وَلَكِنِّي جِئْتُ بِهَا بِيضَاءَ نَفْيَةٍ»، فقال أبو عامر: أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مَثَا طَرِيداً وَحِيداً غَرِيباً، فقال النبي ﷺ: «أَمِينَ»، وَسَمَّاهُ أَبَا عَامِرِ الْفَاسِقِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ قَالَ أَبُو عَامِرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَا أَجِدُ قَوْمًا يَقَاتِلُونَكَ إِلَّا قَاتَلْتُكَ مَعَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ يِقَاتِلُهُ إِلَى يَوْمِ خُنَيْنٍ، فَلَمَّا انْهَزَمَتْ هَوَازِنُ يَثْرَاجٍ وَخَرَجَ هَارِباً إِلَى الشَّامِ فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ أَنْ اسْتَعِذُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، وَابْتُئُوا لِي مَسْجِداً فَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَأَتَى بَجَنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأَخْرَجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَبَنَوْا مَسْجِدَ الضَّرَارِ إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِ قَبَاءَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَارْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، وَهُوَ أَبُو عَامِرِ الْفَاسِقِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ إِذَا رَجَعَ مِنَ الشَّامِ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، يَرْجِعُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ يَعْنِي حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَبْلُ، أَي: مِنْ قَبْلِ بِنَاءِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ.

﴿وَالْيَسْلُوفُ إِنْ أَرَدْنَا﴾، مَا أَرَدْنَا بِنَائِهِ، ﴿إِلَّا الْخَسْفُ﴾، إِلَّا الْفَعْلَةُ الْحَسَنَى وَهُوَ الرِّفْقُ بِالْمُسْلِمِينَ وَالتَّوَسُّعُ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعِجْزِ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فِي قِيلِهِمْ وَحُفْلِهِمْ.

وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَنَزَلَ بِذِي أَوَانَ مَوْضِعَ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ أَتَوْهُ

فَسَأَلُوهُ إِيَّانَ مَسْجِدِهِمْ فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبِسَهُ وَيَأْتِيَهُمْ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَأَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرَ مَسْجِدِ الضَّرَارِ وَمَا هُمَا بِهِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ، وَمَعْنَ بْنَ عَدِي، وَعَامِرَ بْنَ السَّكَنِ وَوَحْشِيًّا قَاتِلَ حَمْزَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: «انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلَهُ، فَاهْدُمُوهُ وَاحْرِقُوهُ»، فَخَرَجُوا سَرِيعاً حَتَّى أَتَوْا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدَّخْشَمِ، فَقَالَ مَالِكُ: أَنْظِرُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ بِنَارَ مِنْ أَهْلِي فَدَخَلَ أَهْلُهُ فَأَخَذَ سَعْفًا مِنَ النَّخْلِ وَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجُوا يَشْتَدُونَ، حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَقُوهُ وَهَدَمُوهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَهْلُهُ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ كُنَاسَةً تَلْقَى فِيهِ الْجِيْفَ وَالتَّنْتَنَ وَالْقِمَامَةَ. وَمَاتَ أَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ بِالشَّامِ وَحِيداً طَرِيداً غَرِيباً.

وَرُوي أَنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ قَبَاءَ، أَتَوْا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي خِلَافَتِهِ لِيَأْذَنَ لِمَجْمَعِ بْنِ حَارِثَةَ فَيُؤْمِّمَهُمْ فِي مَسْجِدِهِمْ، فَقَالَ: لَا وَلَا نَعَمْتُ عَيْنَ أَلَيْسَ بِإِمَامٍ مَسْجِدَ الضَّرَارِ؟ فَقَالَ لَهُ مَجْمَعُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ فِيهِ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا أَضْمَرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ عَلِمْتُ مَا صَلَّيْتُ مَعَهُمْ فِيهِ، كُنْتُ غُلَامًا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ، وَكَانُوا شَيْوخًا لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَصَلَّيْتُ وَلَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ أَعْلَمْ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَغَدَرَهُ عُمَرُ وَصَدَّقَهُ وَأَمَرَهُ بِالضَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ. وَقَالَ عَطَاءُ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى عُمَرَ الْأَمْصَارَ أَمَرَ

الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَبْنُوا فِي مَدِينَتِهِمْ مَسْجِدِينَ يَضَارُّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى:﴾ لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا﴿، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَا تُصَلِّ فِيهِ»، مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ الضَّرَارِ. ﴿لَمَسْجِدُ أُيُسُ عَلَى التَّقْوَى﴾، السَّلَامُ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ، وَقِيلَ: لَامُ الْقِسْمِ، تَقْدِيرُهُ: وَاللَّهُ لِمَسْجِدِ أُسُسٍ، أَي: بُنِيَ أَصْلُهُ عَلَى التَّقْوَى، ﴿مِنْ لَوْلَا يَوْمُ﴾، أَي: مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ بَنِيَ وَوَضَعَ أُسَاسَهُ، ﴿أَمْحُو أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، مُصَلِّياً وَاسْتَخْلَفُوا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ مَسْجِدُ الرُّسُولِ ﷺ، وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ مَا:

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ، أَنبَأَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى الْجُلُودِيُّ، ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَفْيَانَ، ثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ حَمِيدِ الْخُرَاطِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى؟ فَقَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتٍ بَعْضُ نِسَائِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حِصْبَاءٍ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ»، قَالَ: فَقُلْتُ أَشْهَدُ

أني سمعت أباك هكذا يذكره.

وأخبرنا أبو الحسن الشيرازي أنبأنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة.

أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي».

وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبد الله بن عمر يفعله، وزاد نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ، فيصلّي فيه ركعتين.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يَجَالُ وَيُؤْتُونَ﴾ أن يظلموا، من الأحداث والجنابات والنجاسات وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أنبأنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث

السجستاني، أنا محمد بن العلاء، حدثنا معاوية بن هشام، عن يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي صالح عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء»: ﴿فِيهِ يَجَالُ وَيُؤْتُونَ﴾ أن يظلموا، قال: «كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية»، «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ»، أي: المتطهرين.

﴿أَفَمَنْ أَشَرُّ بِكُمْ﴾، قرأ نافع وابن عامر «أشس» بضم الهمزة وكسر السين، «بُكُمْ» برفع النون فيهما جميعاً على غير تسمية الفاعل. وقرأ الآخرون: «أشس» بفتح الهمزة والسين بنيانه بنضب النون على تسمية الفاعل. ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مَكَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾، أي: على طلب التقوى ورضا الله تعالى خيراً، «أَمْ مَنْ أَشَرُّ بِكُمْ عَلَىٰ شَقَا»، أي: على شفير، «جُرْمِي»، قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر «جُزْف» ساكنة الراء، وقرأ الباقر بضم الراء وهما لغتان، وهي البئر التي لم تطو، قال أبو عبيدة: هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية فيتجرف بالماء فيبقى واهياً، هار، أي: هائر وهو الساقط يقال هار يهور فهو هائر، ثم يقلب فيقال: هار مثل شاك وشائك وعاق وعائق. وقيل: هو من يهار إذا انهزم، ومعناه الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر بعض، كما ينهار الرمل والشيء الرخو. «فَأَنهَارُ يَوْمٍ»، أي: سقط بالبانى «فِي نَارٍ جَهَنَّمَ»، يريد بناء

هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور بأهلها فيها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد صيرهم النفاق إلى النار. «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، قال قتادة: والله ما تنهى أن وقع في النار، وذكر لنا أنه حفرت بقعة فيه، فرؤي الدخان يخرج منها. وقال جابر بن عبد الله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار.

﴿لَا يَزَالُ يُتْلَىٰ لَكَ بِرَأْيِ رَبِّكَ﴾، أي: شكاً ونفاقاً، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾، يحسبون أنهم كانوا في بنيانه مُحْسِنِينَ كما حُبب العجل إلى قوم موسى، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الكلبي: حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه. وقال السدي: لا يزال هدم بنائهم ريبة أي حزاوة وغبطة في قلوبهم. «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ»، أي: تشدّع قلوبهم فيموتوا. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص وحزمة «تَقَطَّعَ» بفتح التاء، أي: تنقطع، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ الآخرون: «تَقَطَّعَ»، وقرأ يعقوب وحده «إلى أن» بتخفيف اللام على الغاية، ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة: لا يزالون في شك منه وندامة إلى أن يموتوا فحينئذ يستيقنوا، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

﴿قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ أَشَدُّ بِكُمْ الْكَافِرِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَنفُسُكُمْ»﴾.

قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً، قال

الجنة أيضاً، وهذا أحسن فكانه وعد الجنة لجميع المؤمنين؛ كما قال: ﴿وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء: ٩٥]، فمن جعله تابعاً للأول كان الوعد بالجنة خاصاً، للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات. قوله: ﴿الشَّكُورِينَ﴾، أي: الذين تابوا من الشرك ويسروا من النفاق، ﴿الْمُكِيدِينَ﴾، المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل ﴿الْمُكِيدِينَ﴾، الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذي يحمدون الله في السراء والضراء».

﴿الشَّكُورِينَ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: هم الصائمون. وقال سفيان بن عيينة: إنما سُمِّيَ الصائم سائحاً لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح. وقال عطاء: السائحون الغزاة المجاهدون في سبيل الله.

رُوي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة، فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله».

وقال عكرمة: السائحون هم طلبة العلم. ﴿الرَّكَعُونَ الشَّكُورِينَ﴾، يعني المصلين، ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان، ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عن الشرك. وقيل: المعروف السنة والمنكر البدعة. ﴿وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾، القائمون بأوامر الله. وقال الحسن: أهل الوفاء ببيعة الله. ﴿وَرِثَ الْأَنْبِيَاءَ﴾.

﴿وَقَتْلُوا﴾ بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على ما فعل المفعول. والوجه أنهم يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون، هذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَتَّى﴾، أي: ثواب الجنة لهم وعد وحق ﴿فِي الْقُرُونِ﴾ والآنجيل والقرآن، يعني: أن الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب، وقيل فيه دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب

الجنة، ثم هناهم فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا﴾، فافرحوا ﴿بِإِيعَاكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ﴾، قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعكم وجعل الصفقتين لك، وقال قتادة: فآمنهم الله عز وجل فأغلى لهم، وقال الحسن: اسعوا إلى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشترِ الجنة ببعضها، ثم وصفهم فقال:

﴿الشَّكُورِينَ﴾، قال الضراء: استوفيت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام. وقال الزجاج: التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة المعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً، أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، لأن بعض المسلمين يُجزى عن بعض في الجهاد، فمن كانت هذه صفته فله

الشَّكُورُونَ الْمُكِيدُونَ الْإِيمَانُونَ الْمُكِيدُونَ الشَّكُورُونَ الرَّاكِعُونَ الشَّكُورُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَرِثَ الْأَنْبِيَاءَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ لِمَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ إِذْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَلَا يَزِيدُ فِي غِلْمِهِ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُغْفِلُ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَحْيِي وَيُتِّمِمْ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْهَرِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيحُ قُلُوبَ قُرَيْشٍ يَتَذَكَّرُ فِي قَلْبِهِمْ نَصِيحَةُ رَجُلٍ ﴿١١٧﴾

عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «الجنة»، قالوا: ربح البيع لا نقيض ولا نستقبل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾.

وقرأ الأعمش «بالجنة»، ﴿يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتْلُوا﴾ و﴿قَتْلُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي: «فيقتلون» بضم الياء وفتح التاء تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل، يعني: يُقتل بعضهم بعضاً ويقتل الباقيون، وقرأ الباقيون «يقتلون» بفتح الياء وضم التاء

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية.

فقال قوم: سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شبيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أني عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة: «أترغب عن ملة عبد المطلب»، فلم يزل رسول الله ﷺ يغرصها عليه ويعيدان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: «على ملة عبد المطلب»، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنة عنك»، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَبُ لِلْجَحِيمِ﴾، وأنزل [الله] في أبي طالب [فقال لرسول الله ﷺ]: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني محمد بن حاتم بن

ميمون، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعنه أبي طالب: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أن تعبتني قریش فيقولون إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن يوسف، حدثني الليث حدثني يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه».

وقال أبو هريرة وبريدة: لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه أمنة فوقف عليه حتى حمت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا محمد بن عبيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن

أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فيكي وأبكي من حوله فقال: «استأذنت ربي عز وجل فني أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت».

قال قتادة: قال النبي ﷺ: «لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه»، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَبُ لِلْجَحِيمِ﴾.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل خبراً عن إبراهيم عليه السلام قوله لأبيه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فأنيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ﴾ [المنحنة: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾، قال بعضهم: الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم عليه السلام. والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه كان وعده أن يسلم، فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي، يعني إذا أسلمت. وقال بعضهم: الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه. وهو قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤].

[٤٧]، يدل عليه قراءة الحسن: «وعدها أباه»، بالباء الموحدة، والدليل على أن الوعد [كان] من إبراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الأب، قوله تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ» [الممتحنة: ٤]، إلى أن قال: «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقْ عَلَيَّ» [الممتحنة: ٤]، فصرح أن إبراهيم ليس بقدره في هذا الاستغفار، وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم. «فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ»، لموته على الكفر، «تَبَرَّأَ مِنْهُ»، وقيل: فلما تبين له في الآخرة أنه عدو الله تبرأ منه، أي: تبتراً منه، وذلك لما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم عليه السلام: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون، فأني خزي أخزى من أبي [الأبعد] فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطيخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»، وفي رواية: فيتبرأ منه يومئذ.

قوله تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»، واختلفوا في معنى الأواه.

جاء في الحديث: «إن الأواه الخاشع المتضرع».

وقال عبد الله بن مسعود: الأواه الذعاء. وعن ابن عباس قال: هو المؤمن التواب. وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله. وقال مجاهد: الأواه الموقن. وقال عكرمة: هو المستيقن بلغة الحبشة. وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: آو من النار، قبل أن لا ينفع آو. وقيل: هو الذي يتأوه من الذنوب. وقال عقبة بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله تعالى. وعن سعيد بن جبيرة قال: الأواه المسبح. وروي عنه: الأواه: المعلم للخير. وقال النخعي: هو الفقيه. وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله. وقال أيضاً: هو الخائف من النار. وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً. يريد أن يكون تضرعه على يقيناً ولزوم للطاعة. قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأواه. وأصله من التأوه وهو أن يسمع للمصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه آوه وتأوه، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكرهه، كما قال لأبيه عند وعيده، وقوله: «لَئِنْ لَرْتُ نَجْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَيْتًا» قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي [مريم: ٤٦ - ٤٧]، وعن ابن عباس

رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَهُ يُخِصِّلُ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمُ﴾ الآية، معناه: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر وباستغفاركم للمشركين، «وَمَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ»، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي، فإذا تبين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال. وقال مجاهد: بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة، فافعلوا أو ذروا. وقال الضحاك: ما كان الله ليعذب قوماً حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون.

وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ وذلك أن قوماً قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ولم تكن الخمر حراماً ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حُرِّمَتْ والقبلة قد صُرفَتْ، فقالوا: يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال؟ فانزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهُ يُخِصِّلُ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمُ﴾.

يعني: ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ. «إِنَّ أَلَهُ يَكُلُّ شَيْءَهُ عِلْمُهُ»، ثم عظم الله نفسه، فقال:

﴿إِنَّ أَلَهُ لَمُ ثَلَاثُ أَلَسَاتٍ وَالْأَرْضِينَ﴾، يحكم بما يشاء، «يُحْيِي

وَيُثِثُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
دَوْلٍ وَلَا نَصِيرٍ.

﴿١١٧﴾ قوله عز وجل: «لَقَدْ تَابَ
اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ» الآية، «تَابَ اللَّهُ»،
أي: تجاوز وصفه. ومعنى توبته
على النبي ﷺ بإذنه للمنافقين
بالتخلف عنه. وقيل: افتتح الكلام
به لأنه كان سبب توبتهم، فذكره
معهم؛ كقوله تعالى: «فَأَنذَرْتُ
هُمْ يَوْمَ أُخْرِجُ الَّذِينَ كَفَرُوا» [الأنفال: ٤١]،
ونحوه. «وَالْمُتَكِبِينَ وَالْأَنصَارَ الَّذِينَ
أَكْبَرُوا فِي سَاعَةِ الْفَتْرَةِ»، أي: في
وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها،
وكانت غزوة تبوك تُسمى غزوة
العسرة، والجيش يسمى جيش
العسرة، والعسرة الشدة، وكانت
عليهم عسرة في الظاهر والزاد
والماء.

قال الحسن: كان العسرة منهم
يخرجون على بعير واحد يعتقبونه
يركب الرجل ساعاً ثم ينزل فيركب
صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر
المسوس والشعير المتغير، وكان
النفر منهم يخرجون ما معهم إلا
التمرات بينهم فإذا بلغ الجوع من
أحدهم مبلغه أخذ الثمرة فلاكها [في
فمه] حتى يجد طعمها ثم يعطيها
لصاحبه فيمصها، ثم يشرب عليها
جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على
آخرهم، ولا يبقى من الثمرة إلا
الثواة، فمضوا مع رسول الله ﷺ
إلى تبوك على صدقهم ويقينهم
فجازوا بالجنة ونعيمها.

وقال عمر بن الخطاب: خرجنا
مع النبي ﷺ إلى تبوك في قبط شديد
فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى

ظلتنا أن رقابنا ستقطع،
حتى إن كان الرجل
ليذهب فيلتمس الماء فلا
يرجع حتى يظن أن رقبته
ستقطع، وحتى إن الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل ما بقي
على كبده، فقال أبو بكر
الصديق: يا رسول الله
إن الله قد عودك في
الدعاء خيراً فاذغ الله،
قال: «أنتب ذلك؟» قال:
نعم، فرفع يديه فلم
يرجعهما حتى قالت
السما فاطلت ثم سكبت،
فملؤوا ما معهم من

القرب، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها
جاوزت العسكر.

«وَمِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ»، قرأ
حمزة وحفص: «يَزِيغُ» بالياء؛
لقوله: «كَادَ»، ولم يقل:
كادث. وقرأ الآخرون بالياء.
والزيع: الميل، أي: من بعد كادت
تميل، «قُلُوبُ فُتِيَتْ وَتَهْتَمُّ»، أي:
قلوب بعضهم، ولم يرد الميل عن
الدين، بل أراد الميل إلى التخلف
والانصراف للشدة التي عليهم. قال
الكلبي: هَمَّ نَاسٌ [هموا] بالتخلف
ثم لحقوه. «لَقَدْ تَابَ عَلَيْهِمْ»،
فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد
قال في أول الآية: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ
عَلَى النَّبِيِّ»؟ قيل: ذكر التوبة في أول
الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض
الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر
الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراء منه
قبولها. «إِنَّمَا يَهْتَمُّ زَهْوَ وَفَّ رَجِيئُ»

وَلَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ خَلْفُوا حَتَّى إِذَا سَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَارِحَتِمْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا تَقْوَى اللَّهِ وَكُوْنُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ
مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا عِصْيَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُوتُ مَوْطَأُ يَفِطُ
السُّكَّرَ وَلَا يَنَالُؤُنَّ مِنَ عَذَابٍ لِّئَلَّا تُكَيِّبَ لَهُمْ
بِمَعْمَلٍ صَلِحٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي أُمَّةً فَاسِقَةً ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَأِدْبَارُ الْأَكْثَرِ لَمْ يَكُنْ لِحَيْرِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ يُسْتَفْرَضُونَ أَكْفَرًا
فَلَوْلَا نَفْعُ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم
يعذبه أبداً.

﴿١١٨﴾ قوله عز وجل: «وَلَقَدْ تَابَ
اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ خَلْفُوا عَنْ
غَزْوَةِ تَبُوكَ. وقيل: خَلْفُوا أَي:
أرجى أمرهم، عن توبة أبي لبابة
وأصحابه، وهؤلاء الثلاثة هم
كعب بن مالك الشاعر، ومُرارة بن
الربيع وهلال بن أمية، كلهم من
الأنصار.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن
يُكْبَر، ثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن
شهاب، عن عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك أن
عبد الله بن كعب بن مالك، وكان
قائد كعب من بني حنينة عمي قال:
سمعت كعب بن مالك يحدث حين

تخلف عن غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أنني كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة. ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وزي بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوراً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي أنا قادر عليه إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي الأمر حتى اشتد

بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً. فقلت أتجهز بعده يوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل [ذلك يتمادى] بي حتى أسرعوا أو تغارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأذركهم وليتني فعلت، فلم يُقذر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزني أني لا أرى لني أسوة إلا رجلاً مغموماً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه براده ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بش ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً من تبوك حضرنى همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستغنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أطل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون

فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله، فجثته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجثت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ثقلًا، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى قط ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمث وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ [لك]، فوالله ما زالون يؤنبوني حتى أردت أن أرجع وأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي

رجلين صالحين قد شهدا بدماء فيهما أسوة فمضيئ حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برء السلام علي أم لا، ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفث نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له نحوي حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا

ثوابك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيّمت به التنوير فسجرت.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتييني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا بل اعتزلها ولا تقر بها، وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحق بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك، قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول لي رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبث بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله فينا قد ضاقت علي نفسي وضائق علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوقى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، [قال]:

فخررت لله ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبيل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرساً وسعى ساع من أسلم فأوقى على الجبل فكان الصوت أسرع من القرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزع له ثوبي فكسوته إياهما بשרاه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى النبي ﷺ، فثلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة ويقولون لي: ليهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني [بتوبة الله علي]. والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير»

لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير، قال: فقلت: يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي إلا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرته ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ووالله ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وروي إسحاق بن راشد عن الزهري بهذا الإسناد عن كعب، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر، وما من شيء أهم إلي من أن أموت ولا يصلي علي رسول الله ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة [التي أنا بها]، فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي [أحد]، وأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معينة في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تيب علي كعب»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة»، حتى إذا صلى ﷺ صلاة الفجر أذن بتوبة الله علينا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَتْلَفَنَّا الْكَافِرِينَ﴾

خَلَفُوا حَتَّى إِذَا سَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، اتسعت، ﴿وَسَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾، غمّاً و همّاً، ﴿وَقَلْبُوا﴾، أي: تيقنوا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾، لا مفرج من الله، ﴿إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي: ليستقيموا على التوبة فإن توبتهم قد سبقت، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَافِرِينَ الرَّحِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال نافع: مع محمد وأصحابه. وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج: مع المهاجرين؛ لقوله تعالى: ﴿لِلْفَقَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية. وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة. وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجز له، اقرؤوا إن شتمت هذه الآية.

﴿قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، ظاهره خبر ومعناه نهى؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ﴿وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْجَاءِ﴾، سكان البوادي مزيّنة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾، إذا غزأ، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾، أي:

ولا أن يرغبوا، ﴿وَأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ﴾، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه. وقال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقة السفر ومقاساة التعب. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾، في سفرهم، ﴿عَطَشٌ﴾، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، تعب، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾، مجاعة، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُوتُ مَوَاطِنَهُمْ﴾، أرضاً، ﴿يَفِضُّ الْكَفَّارَ﴾، وطوهم إياه، ﴿وَلَا يَأْلُوتُ مِنْ عُدُوِّ تَيْلَافٍ﴾، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة، ﴿إِلَّا كَيْفَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي مريم، حدثنا عباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبيس وأنا ذاهب إلى الجمعة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ اغْبَرَتْ قدماءه في سبيل اللّٰهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، فأمّا غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة. وقال

الوليد بن مسلم: سمعتُ الأوزاعي وابنَ المبارك وابنَ جابر وسعيدَ بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية: إنها لأول هذه الأمة وآخرها. وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلاً، فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء من المسلمين أن يتخلف عنه، فقال: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْتَفِزُوا كَافَّةً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّقُونَ﴾، أي: في سبيل الله، «سيرة» ولا «كيرة»، ولو علاقة سوط، «وَلَا يَتَّقُونَ وَادِيًا»، لا يجاوزون وادياً في مسيرهم مقبلين أو مدبرين، «إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ»، يعني: آثارهم وخطاهم، «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

روى عن خزيمة بن فاثك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقةً في سبيل الله كُتِبَ له سبعمائة ضعف».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا جرير عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقاة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف،

حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة، حدثني بسر بن سعيد، حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْتَفِزُوا كَافَّةً﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وهذا نفي بمعنى النهي.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة، «لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ»، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنة والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل [الله] بعدهم [على نبيه من القرآن] فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا آخر، فذلك قوله: ﴿وَلِيُؤْمِنُوا بِقَوْلِهِمْ﴾، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، «إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»، أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه.

وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلاً نفر فرقة ليتفقوا، أي: ليتبصروا

بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يُعادُوا النبي ﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

وقال الكلبي: لها وجه آخر وهو أن أحياء من بني أسد وخزيمة أصابهم سنة شديدة فأقبلوا بالذراري حتى نزلوا المدينة فأنفسدوا طرقها بالعدرات وأغلوا أسعارها، فنزل قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْتَفِزُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقوا في الدين.

وقال مجاهد: نزلت في ناس خرجوا في البوادي ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفاً ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم: ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجاً، وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

أي: هلاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين وليستمعوا ما أنزل [الله] بعدهم ولينذروا قومهم، يعني: الناس كلهم إذا رجعوا إليهم ويدعوهم إلى الله، لعلهم يحذرون بأس الله ونقمته، وقعدت طائفة يتغون الخير.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، حدثنا عبد الله بن عمر



الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته. قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه. وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعاً وإذا قام من كل بلد واحد

بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث.

روى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أذاكم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

﴿١٢٣﴾ قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ» الآية، أمروا بقتال الأقرب

فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها.

وقيل: أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق، «وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ

الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشمي، حدثنا علي بن خنجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فُخْيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقِّهُوا».

والفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، ففرض العين مثل علم

عَلَمُهُ، شدة وحمة. قال الحسن: صبراً على جهادهم، «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»، بالعون والصرة.

﴿١٢٤﴾ قوله تعالى: «وَلَوْ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَيَنْهَرُ مَنْ يَقُولُ أَتَيْكُمْ وَادَّةٌ هَذِهِ إِيَّاكُمْ»، يقيناً. كان المنافقون يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى: «فَلَمَّا أُنزِلَتْ مَا سَمَوْا قُرْآنَهُمْ إِيَّاكُمْ» يقيناً وتصديقاً، «وَقَدْ يَسْتَبْشِرُونَ»، يفرحون بنزول القرآن.

﴿١٢٥﴾ «وَلَمَّا أُنزِلَتْ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»، شك ونفاق، «فَرَادَتْهُمْ يُجَسَّاءُ إِنْ يَجِيهَهُمْ»، أي: لا كسراً إلى كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص، وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً.

وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو المظلة بيضاء في القلب، فكلمة ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظلة سوداء في القلب فكلمة ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله، وأيم الله لو شققت من قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققت من قلب منافق لوجدتموه أسود. «وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفْرُونَ».

﴿١٢٦﴾ قوله: «أَوَّلًا يَرُونَ»، قرأ حمزة ويعقوب: «ترون» بالناء على خطاب النبي والمؤمنين، وقرأ الآخرون بالباء خبر عن المنافقين المذكورين. «أَنَّهُمْ يَنْفَتُونَ» يستلون «فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ الَّذِي أَنشَأَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ۚ أَن أَوْحِيَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ أَن لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا يَنصُرُ إِلَّا مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ مَن يُدِيرْ شُؤنَكَ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ ۚ فَاعْبُدُوهُ أَقْلًا ۚ تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُعْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ عَاقِلًا لِّيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَالْحَسَابُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي آخُوفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

﴿١٢٨﴾ ﴿إِنْ قَوْلُكُمْ﴾، إن أعرضوا عن الإيمان وناصبوك الحرب، ﴿فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

روى عن أبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، إلى آخر السورة، وقال: هما أحدث الآيات بالله عهداً.

سورة يونس

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَإِنَّكَ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [٩٤ - ٩٦]، إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و﴿الْأَنزِلْ﴾ [الرعد:

[١]، قرأ أهل الحجاز والشام وحفص

عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ، وله فيهم نسب. وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبد الله بن حامد، حدثنا حامد بن محمد، أنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن أبي نعيم، حدثنا هشيم، حدثني المحدثي يعني أبا

معشر، عن أبي الحويرث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنتاج الإسلام».

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن «من أنفسكم» بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، شديد عليه، ﴿مَا عَسَيْتُمْ﴾، قيل: ﴿مَا﴾ صلة، أي: عنثكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم.

وقال القتيبي: ما أعنتكم وضرركم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتكم. وقال الضحاك والكلبي: ما أتممتكم. ﴿حَرِيشٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على إيمانكم وصلاجكم. وقال

قتادة: حريص عليكم أي على ضالكتكم أن يهديه الله، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين.

مَرْيُوتٍ، بالأمراض والشدائد. وقال مجاهد: بالقحط والشدّة. وقال قتادة: بالغزو والجهاد. وقال مقاتل بن حيان: يفضحون بإظهار نفاقهم. وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون. وقال يمان [ابن رباب]: ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين. ﴿ثُمَّ لَا يَأْتُواكُم﴾، من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾، أي: ولا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿فَنُكِرَ بِكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يريدون الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة، ﴿مَكَلَّ بِرَبِّكُمْ يَتْلُو آيَاتِهِ﴾، أي: أحد من المؤمنين، إن قمتم فإن لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ثُمَّ أَصْرَفُوكُمْ﴾، عن الإيمان بها. وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، عن الإيمان. قال أبو إسحاق الزجاج: أضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك، ﴿يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا إذا صليتم: انصرفنا فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا قد قضينا الصلاة.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾﴾، تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب من بني إسماعيل. قال ابن

بفتح الراء فيهما وقرأ الآخرون بالإمالة، قال ابن عباس والضحاك: ﴿الرَّ﴾ أنسا الله أرى، و﴿المر﴾ أنا الله أعلم وأرى. وقال سعيد بن جبير ﴿الرَّ﴾ و﴿حم﴾ و﴿ت﴾ حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حرف التهجي. ﴿تِلْكَ﴾ ما يَكُنَّ الْكِتَابَ الْكَبِيرِ، أي: هذا وأراد بالكتاب الحكيم القرآن. وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: ﴿تِلْكَ﴾ وتلك إشارة إلى غائب مؤنث والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعول بذليل قوله: ﴿يَكُنَّ أَتُكِّنَ﴾ [هود: ١]، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل، دليله قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقيل: هو بمعنى المحكوم، فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه.

١ قوله تعالى: ﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وسبب نزول الآية أن الله عز وجل لما بعث محمداً ﷺ رسولا، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. فقال تعالى: ﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنَّهُ يَرْسُلَ رَسُولًا﴾، يعني: أهل مكة، والأيُّف فيه للتوبيخ ﴿عَجَبًا أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، يعني:

محمداً ﷺ، ﴿أَن أُنذِرَ النَّاسَ﴾، أي: أعلمهم مع التخويف، ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ صَدَّقُوا وَعْدَهُمُ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن عباس: أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم. قال الضحاك: ثواب صدق. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول. وقال زيد بن أسلم: هو شفاعة الرسول ﷺ. وقال عطاء: مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه. وقيل: منزلة رفيعة. وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعت، كقولهم: مسجد الجامع، وحب الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدم سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم صالحة. ﴿قَالَ الْكَاذِبُونَ إِنَّا هَذَا لَسِحْرٌ ثُوِينُ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة والشام: «السحر» بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: «الساحر» بالألف، يعنون محمداً ﷺ.

٢ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَيْبَكُمْ﴾ الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر، يقضيه وحده، ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَخْدَعُ﴾، معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه، وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَيْبُكُمْ﴾، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ريكم لا رب لكم سواه،

﴿فَأَعِزُّوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، تشعظون. ﴿إِنِّي مَرْجِعُكُمْ جِيمًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، صدقاً لا خلف فيه. نصب على المصدر، أي: وعدكم وعداً حقاً ﴿إِنَّمَا يَبْدُوُا لِلنَّاسِ ثُو يُبِيدُكُمْ﴾، أي: يُحييهم ابتداء ثم يُميتهم ثم يُحييهم، قراءة العامة: ﴿إِنَّمَا﴾ بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ أبو جعفر «أنه» بالفتح على معنى بأنه ﴿يُنزِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الْقُسْطِ﴾، بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيرٍ﴾، ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

٣ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، بالنهار، ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ﴿وَقَدَرُوا مَنَازِلَ﴾، أي: قدر له يعني هيا له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل: قدرهما. قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسِلَ﴾ [التوبة: ٦٢]. وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن بالقمر يُعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً وأسمائها: الشرطين، والبطين، والشرياء، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنسر، والطوف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسمك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعايم،

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٠﴾

لَا يَتُوبُ لِقَائِهِمْ يَنْتَقِبُونَ ﴿٧﴾،
يؤمنون.

﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا، أي: لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا، والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، ﴿وَرَوْضًا بِالْجَنَّةِ﴾، فاختاروها وعملوا لها، ﴿وَأَمْشَاؤًا﴾، وسكنوا إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَا بَيْنَنَا غَفِلُونَ﴾، أي: عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون. وقال ابن عباس رضي الله

وبالبلدة، وسعد الذابح وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر، وبطن الحوت، وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل والشور والجوزاء، والسرطان والأسد والسنبلة، والميزان والعقرب والقوس، والجدي والدلو والحوت، فلكل برج منزلان وثلاث منزل، فينزل القمر كل ليلة منزلاً منها، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان الشهر تسعاً وعشرين فليلة واحدة، فيكون انقضاء الشهر بنزول تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً وثلاث يوم، فيكون انقضاء السنة من انقضائها.

قوله تعالى: ﴿لَتَمْلَأُنَّهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾، أي: قدر المنازل. ﴿لَتَمْلَأُنَّهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾، دخولها وانقضائها، ﴿وَالْحَسَابُ﴾، يعني: حساب الشهور والأيام والساعات. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾، رده إلى الخلق والتقدير ولولا رده إلى الأعيان المذكورة لقال تلك، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي: لم يخلقه باطلاً بل إظهاراً لصنعه ودلاله على قدرته. ﴿يَقِيلُ﴾، الأيت يقيرون، قرأ ابن كثير وأبو عمرو [أبو جعفر] وحفص ويعقوب: ﴿يَقِيلُ﴾، بالياء، لقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ﴾، وقرأ الباقون: «نفسل» بالنون على التعظيم.

﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَكَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٠﴾

محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون.

﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، من الكفر والتكذيب.

﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ﴾، فيه إضمار، أي: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى جنات، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، وقال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به. وقيل: يهديهم معناه يبيهم ويجزيهم. وقيل: معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي: بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الأنهار، أي: بين أيديهم؛ كقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، لم يرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها. وقيل: تجري من تحتهم أي:

بأمرهم، ﴿فِي جَنَّاتٍ الْيُسْرَى﴾. ﴿١٠﴾ ﴿دَعْوَاهُمْ﴾، أي: قولهم وكلامهم. وقيل: دعاؤهم. ﴿فَمَا سَبَّحَكَ اللَّهُمَّ﴾، وهي كلمة تنزيه، تنزه الله من كل سوء.

وروي: «أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون النفس».

قال أهل التفسير: هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ فَأَتَوْهُمْ فِي الْوَقْتِ بِمَا يَشْتَهُونَ عَلَى الْمَوَائِدِ، كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحيفة، وفي كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله، فذلك قوله تعالى: ﴿وَبِأَخْرَجَتْهُمْ مِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ لِرَبِّ السَّالِكِينَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَبِأَخْرَجَتْهُمْ مِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ لِرَبِّ السَّالِكِينَ﴾، أي:

يحيي بعضهم بعضاً بالسلام. وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام. وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام. ﴿وَأَيُّ دَعْوَتُهُمْ أَى الْمَسَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالحمد.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهم بِالْخَيْرِ﴾﴾ قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله ولده: لعنكم الله ولا بارك الله فيكم. قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب. معناه: لو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير، ﴿لَقَضَى إِلَيْهم أَجَلَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿لَقَضَى﴾ بفتح القاف والضاد، ﴿أَجَلَهُمْ﴾ نصب، أي: لأهلك من دعى عليه وأماته. وقال الآخرون: ﴿لَقَضَى﴾ بضم القاف وكسر الضاد ﴿أَجَلَهُمْ﴾ رفع، أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً. وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿فَنَذَرُ اللَّيْنَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، لا يخافون البعث والحساب، ﴿فِي طُلُوعِهم بِمَهْوِيهم﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، حدثنا

أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنبأنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفني، فإنما أنا بشر فيصدر مني ما يصدر من البشر، فأني المؤمنين أذيت أو شتمت أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة».

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ الْإِبْسْنَ الْفُتْرَ﴾﴾، الجهد والشدة، ﴿دَعَا لِحَبِيهِ﴾، أي: على جنبه مضطجعا، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾، يريد في جميع حالاته، لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات. ﴿فَلَمَّا كَفَتْنَا﴾، رفعنا ﴿عَنْهُ ضَرْبُ مَرٍّ كَان لَوْ يَدْعَا إِلَيْنَا ضَرْبُ مَسْئَرٍ﴾، أي: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد البلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضربه، أي: ولم يطلب منا كشف ضربه، ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُتَرِينَ﴾، المجاوزين الحد في الكفر والمعصية، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من العصيان. قال ابن جريج: كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء. وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾﴾، أشركوا،

﴿وَجَاءَهُمُ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾، أي: كما أهلكناهم بكفرهم، ﴿بِجَزَى﴾، نعاقب ونهلك، ﴿الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ، يُخَوِّفُ كفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة.

﴿ثم جعلناكم فئدة﴾، أي: خلفاء، ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد القرون التي أهلكناهم، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ﴾، وهو أعلم بهم.

وروينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِن هَذِهِ الدُّنْيَا حُلُوهُ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ تَخَلَّلَ عَلَيْهِمُ آبَاؤُنَا بَيْنَتِي﴾﴾، قال قتادة: يعني مشركي مكة. وقال مقاتل: هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر بن هشام. قال الزبير لا يرجون لقاءنا، [هم السابق ذكرهم] قالوا للنبي ﷺ: إن كنت تريد أن نؤمن بك ﴿أَتَيْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة، وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿أَوْ بَيِّنَةٍ﴾، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالاً أو مكان حلال حراماً، ﴿ثُلٌّ﴾ لهم يا

محمد: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ
مِنْ تِلْكَآيَ تَقِيًّا﴾، من قَبْلِ نَفْسِي
﴿إِنْ أُنَبِّئُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾،
[أي: مَا أُنَبِّعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ]
فِيمَا أَمَرَكُم بِهِ وَأَنهَآكُم عَنْهُ، ﴿إِنِّي
لَأَنذَرْتُكُمْ إِنْ عَصَيْتُمْ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن عليّ، ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِذِهِ﴾، أي: ولا أعلمكم الله. وقرأ البيهقي عن ابن كثير: «ولأدراكم به»، بالقصر به على الإيجاب، يريد ولا علمكم به من غير قراءتي عليكم. وقرأ ابن عباس: «ولا أنذرركم به»، من الإنذار. «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا»، حيناً وهو أربعون سنة، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء، ﴿أَنَّا لَا تَمُوتُونَ﴾، أنه ليس من قبلي، وليث النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وروى أنس: أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ستين سنة، والأول أشهر وأظهر.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا،
فَزَعَمَ أَن لَّهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا
كَذِبًا بَعِيدًا﴾، بمحمد ﷺ
وبالقرآن، ﴿إِنَّمَا لَا يُلْمُ

الْمُجْرِمُونَ، لَا يَنْجُوا
المشركون.

(٨) ﴿وَيَقُولُونَ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾
 وَإِنْ عَصَوْهُ وَتَرَكُوا عِبَادَتَهُ،
 ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إِنْ
 عَبْدُوهُمْ، يَعْنِي:
 الْأَصْنَامَ، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
 شَفَعُوا عَلَيْنَا﴾ عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
 أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ، اللَّهُ
 صَحَّتْهُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ:
 أَنْبِئُونَ اللَّهَ أَنْ لَهُ شَرِيكاً
 وَعِنْدَهُ شَفِيعاً بغيرِ إِذْنِهِ وَلَا
 يَعْلَمُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ شَرِيكاً،

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مُبَيَّنَّةً
وَمَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قرأ حمزة
والكسائي: «تشركون» بالتاء ها هنا
وفي سورة النحل (١ - ٣)
موضعين، وفي سورة الروم (٣٣)،
وقرأ الآخرون كلها بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَاذِبُ الْكَافِرِ إِلَّا أَنَّهُ وَاحِدٌ﴾، أي: على الإسلام فاختلفوا. وقد ذكرنا الاختلاف في سورة البقرة. ﴿وَإِخْلَافُوا﴾، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، بأن جعل لكل أمة أجلاً. وقال الكلبي: هي إمهال هذه الأمة. وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿فَتَقِي بُيُوتَهُمْ﴾، بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلاً بينهم، ﴿فِيكَافُوا مَقِيلُونَ﴾، وقال الحسن: ولولا

وَأَنذَرْتُ عَلَيْهِمْ مَا بَالُ آبَائِكُمْ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
الْإِيمَةَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إِنِّي أَخَذْتُ الذُّبُرَ فَكُلْ مَا يَكُونُ لَكَ
إِنِ الْبَشَرُ مِنْ دَلِيلِي إِنَّكُمْ أَنتُمْ الْآمَائِيُّونَ إِلَهِ إِيَّايَ
لَعَنَّا إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا تَلَاوَعْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذْرَبُكُمْ بِهِمْ فَكَيْدُ الْبَشَرِ
فِيكُمْ جُحُومٌ مِنْ قَبْلِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾ مَن أَظْلَمُ
وَمَن أَفْضَرُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ
لَأَنتُمْ لِأَشْيَعُ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَيَسْتَدْرِكُ مِنْ ذُرُوبِ اللَّهِ
مَا لَا يَحْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنُفِثُوهُ اللَّهُ يَهْدِي بِمَا يَشَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ
الْعَاقِبُ إِلَّا لِلَّهِ وَاحِدَهُ تَاخَتُ لِقَاؤُهُ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ يَحْتَفِلُونَ
﴿٥٩﴾ يَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ لَوْ
أَنُفِثَ اللَّهُ فَأَنْظَرْتُ إِلَى إِيَّائِكُمْ وَمَنْ أَسْتَظِيرُ ﴿٦٠﴾

كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ مَضَتْ فِي حَكْمِهِ، أَنَّهُ: لَا يَقْضَى بَيْنَهُمْ يَوْمَ اخْتَلَفُوا فِيهِ بِالشَّوَابِ وَالْعِقَابِ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِقَضَى بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَادْخَلَ الْمُؤْمِنَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرَ النَّارَ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ الْأَجَلَ فَعَجَّلَ مَوْعِدَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿يَسْأَلُونَ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿لَوْلَا أَنْزَلْهُنَا مَكَّةَ﴾، أي: على محمد ﷺ، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ زُرُودٍ﴾، على ما نقتصره، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْكِتَابُ لِلَّهِ﴾، يعني: قل إنما سألتهموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحدٌ لم لم يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو. وقيل: الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾، نزولها، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، وقيل: فانظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار المحق على المبطّل.

الْذِيَّ)، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خبر ابتداء مضمر؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْنُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي: هذا بلاغ. وقيل: هو كلام متصل، والبغي ابتداء ومتاع خبره، ومعناه: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زاداً لمعاد لأنكم تستوجبون به غضب الله. وقرأ حفص ﴿تَنَحَّ﴾ بالنصب، أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِنَّا سَرَّحْنَكُم مِّنْهَا كُنْتُمْ عَمَلُونَ﴾.

(٢٤) قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزْلَقْنَاهُ مِن تَحْتِ السَّمَاءِ فَاتَخَالَطَ بِهِ﴾، أي: بالمطر، ﴿ثَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: ثبت بالماء من كل لون، ﴿وَمَا يَأْكُلُ الْإِنْسَانُ﴾، من الحبوب والثمار، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾، من الحشيش، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، حسنها وبهجتها وظهر الزهر أخضر [وأحمر وأصفر وأبيض]، ﴿وَارْتَبَتْ﴾، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: تزينت. ﴿وَوَلَّىٰ أَهْلُهَا أَنْتُمْ فَيَذَرُوكَ عَلَيْهِ﴾، على جذائها، وقطافها وحصادها، رذ الكناية إلى الأرض. وقيل: رذها إلى الغلة. وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتُنَبِّئُكُمْ بِأَمْثِلِكُمْ﴾، قضاونا بإهلاكها، ﴿إِنَّمَا أَوْفَرْنَا فَجَمَعْنَاهَا مِصْبَاغًا﴾، أي: محصورة مقطوعة، ﴿كَأَنَّ لَّمْ تَنْفُ بِالْأَمْثِلِ﴾، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. وقال قتادة: معناه إن المتشبه بالدنيا يأتيه أمر الله

أبو جعفر وابن عامر:
 «ينشركم» بالنون والشين
 من النشر وهو البسط
 والبث، «في الْبَرِّ»، على
 ظهور الدواب، «و» في
 «وَالْبَرِّ»، على الفلك،
 «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ»،
 أي: في السفن، تكون
 واحداً وجمعاً «وَجَرَيْنِ
 يَم»، يعني: جرت السفن
 بالناس، رجع من الخطاب
 إلى الخبر، «يَرِيحُ مَلَبَّةً»
 «وَكَيْحُوا بِهَا»، أي:
 بالريح، «جَلَّتْهَا رِيحٌ»،
 أي: جاءت الفلك ريح،
 «عَاصِفٌ»، شديدة

الهبوب، ولم يقل ريح عاصفة،
لاختصاص الريح بالعصفور. وقيل:
الريح يذكرو ويؤث. ﴿وَمَا لَهُمْ﴾،
يعني: ركبان السفينة، ﴿الْمَوْجُ﴾،
وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿وَمِنْ كُلِّ
مَكَارٍ وَطَلَّوْا﴾، أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ
بِهِمْ﴾، دنوا من الهلكة، أي: أحاط
بهم الهلاك، ﴿دَعَاَ اللَّهُ مُتَخَلِّصِينَ لَهُ
الَّذِينَ﴾، أي: أخلصوا في الدعاء الله
ولم يدعوا أحداً سوى الله، وقالوا:
﴿لَيْنَ أَجِئْنَا﴾، يا ربنا، ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾،
الريح العاصف، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُذَكَّرِينَ﴾، لك بالإيمان والطاعة.

﴿قَلَّمَٰ أَبْصَهُمْ إِذَا هُمْ يَتَوَقَّن فِي الْأَرْضِ﴾، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، ﴿يَبْغِي الْحَيَّ﴾، أي: [بالفساد] أي: بالقتال. ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ إِنَّمَا بَيْنَكُمْ وَحَلَالُكُمْ﴾، لأن ريبه راجع عليها، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَنْعَ الْحَيَّةِ﴾

وَأَذَانًا لِلْإِنسَانِ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَرَةٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا هُمْ مَكْرُوفٌ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ أَشَرَّ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَكْرَهُونَ
 ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ
 وَجَزِينَ بِهِمْ بِرِجْعِ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَبْعٌ عَصَافٌ
 وَجَاءَتْهُمْ السَّمَاحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلَمُوا أَنْهُمْ لَمْ يُحِطْ بِهِمْ دَعَا
 اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ آمَنُوا مِنْ هَذِهِ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَجْتَهُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَثْنَاكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَغْزَا الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَلَمَ أَهْلُهَا أَنْهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ
 أَنْهِيَ أَمْرًا بَالِيلاً أَوْ غَرَابًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَمْ
 بِالْأَشْيِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ
 يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَهُدًى مِنَ رَبِّكَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَاحَةً﴾، يعني: الكفار، ﴿رَاحَةً يُزْ بَعْدَ ضَرْبَةٍ﴾، أي: راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء. وقيل: القطر بعد القحط، ﴿سَتَنَّهُمْ﴾، أي: أصابهم، ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي مَائَانَا﴾، قال مجاهد: تكذيب واستهزاء، وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقيتنا بئزء كذا، وهو قوله: ﴿وَيَقُولُونَ رِزْقُكُمْ أَتُكْمَرُ تَكْمَرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، [أي:]: أعجل عقوبة وأشد أخذاً وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق، ﴿إِنَّا رُسُلُنَا﴾، حفظتنا، ﴿يَكْفُرُونَ مَا تَنكُرُونَ﴾، وقرأ يعقوب: ﴿يَمَكُرُونَ﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾، يجرىكم ويحملكم، وقرأ

وَالْأَبْصَرُ، أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿وَمَنْ يُخْرِجِ الْعَرَى مِنَ الْعَمَى وَيُخْرِجِ الْمَوْتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿وَمَنْ يُدِيرِ الْأَمْرَ﴾، أي: [من] يقضي الأمر، ﴿سَيَقُولُوا اللَّهُ﴾، هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿فَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ رَبِّكُمْ﴾، أفلأ تخافون عقابه في شرككم. وقيل: أفلأ تتقون الشرك مع هذا الإقرار.

﴿قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رُكُومًا﴾، الذي يفعل هذه الأشياء هوريكم، ﴿لَقَدْ قَدَّأَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَلْهَمَ فِجْوَؤُهُمْ﴾، أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به.

﴿كَذَلِكَ﴾، قال الكلبي: هكذا، ﴿حَتَّى﴾، وجبت، ﴿كَيْتُ﴾، ﴿رَيْكُ﴾، حكمه السابق، ﴿عَلِ الْآيَاتِ﴾، ﴿سُوءًا﴾، كفروا، ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قُرْأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ﴾، ﴿كَيْتُ رَيْكُ﴾ بالجمع فهنا موضعين وفي المؤمن، والآخرون على التوحيد.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، أو أنكم ﴿تَنْبُدُوا﴾، ينشئ الخلق من غير أصل ولا مثال، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، ثم يحييه من [بعد] الموت كهيشته، ﴿إِنَّا أَجَابُكَ وَإِلَّا فَ﴾ ﴿قُلْ﴾ أنت، ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّ﴾ ﴿تَزْكُونَ﴾، أي: تصرفون عن قصد لسبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ﴾ (٣٥)
 تَهْوَىٰ﴾، [أي]: يرشد، ﴿إِلَىٰ﴾
 الْحَقِّ﴾، فإذا قالوا لا، ولا بد لهم
 من ذلك، ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾،

وقطعنا ما كان بينهم من
التواصل في الدنيا وذلك
حين يتبرأ كل معبود من
دون الله ممن عبده،
﴿وَقَالَ مُرْكُوهُم﴾، يعني:
الأصنام، ﴿مَّا كُنتُمْ لَهَا
تَعْبُدُونَ﴾، بطلبنا
فيقولون: بلى كنا
نعبدكم، فقول الأصنام:

﴿فَكَفَىٰ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٩﴾
يَسْمَعُ مِنَّا وَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ عَنْ
عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٠﴾، أي:
ما كنا عن عبادتكم إيانا
ولا غافلين، ما كنا نسمع
ولا نبصر ولا نعقل.

﴿ ۳۰ ﴾ قال الله تعالى:

﴿هُنَالِكَ بَيُّوْا﴾، أي تُخْتَبِر. وقيل:
ومعناه تعلم وتقف عليه. وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب: ﴿اتْلُوْا بَيِّنَاتٍ
أَي تَقْرَأُ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، صحيفتها.
وقيل: معناه تتبع كل نفس، ﴿مَّا
أَسْأَلْتُمْ﴾، ما قدَّمْت من خير أو شر.
وقيل: معناه تعابن، ﴿رُزِدُوا إِلَى
اللَّهِ﴾، إلى حكمه فيتفرَّد فيهم
بالحكم، ﴿مَوْلَاهُمْ الْعَاقِبُ﴾، الذي
يتولَّى ويملك أمرهم، فإن قيل:
اليس قد قال: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى
لَهُمْ﴾؟ [محمد: ١١] قيل: المولى
هناك هو الناصر، ولهنا بمعنى
الملك، ﴿وَسَدَّ عَنْهُمْ﴾، زال عنهم
وبسط، ﴿مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، في
الدين من التكذيب.

﴿قُلْ مَنْ يُدْرِكُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، أي: من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمَاءَ

قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَائِكُمْ مَن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِلَى اللَّهِ يَسُبُّوهُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَن تَوْفُكُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَائِكُمْ مَن يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِحَقِّهِ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُنَبِّئَ أَفَمَن لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَ قُلْ لَّكَ كَيْفَ تُعْزِمُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ أَطْعَامًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْعَلَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَكِن قَصْدِي قُلُوبَ الَّذِينَ يَن يُدَوِّوهُ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَأَرْبَ
فِيهِمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٌ قُلٌ فَأَنَّا نُسْوَوُ
فِيهِمْ وَأَدْعُوا أَمْ إِنَّا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ هُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾
بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِمَّا نَحْبِطُوا بِعِلْمِ اللَّهِ قَالُوا لَهُ كَذَٰلِكَ كَذَّ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾
وَهُمْ مِمَّنْ يَرْثُونَ يُدْخِلُونَهُمْ فَنَّا يُؤْمِنُونَ بِدُورِكَ أَهْلِهِ
وَالْمُتَفِئِينَ ﴿٢١﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنْتُمْ بَارِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَارِئٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَهُمْ مِمَّنْ
يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ أَفَأَن تَشْعِمَ الضَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْعِلُونَ ﴿٢٣﴾

وَيَنْ ﴿صَلِّ﴾، أي: ما لهم من الله عاصم، ﴿كَلَّمَا أَفْشَيْتَ﴾، ألبست، ﴿وَبُورَهُمْ قِطْعًا﴾، جمع قطعة، ﴿يَنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا﴾، ننصبه على الحال دون النعت، ولذلك لم يقل: مظلمة، تقديره: قطعاً من الليل في حال ظلمته أو قطعاً من الليل المظلم. وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب: ﴿قِطْعًا﴾ ساكنة الطاء، أي بعضاً؛ كقوله: ﴿يَقْطَعُ يَنْ أَيْلٍ﴾ [هود: ٨١]. ﴿أَوَلَيْكَ أَمْعَدُ النَّارَ ثُمَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾،
أي: الزموا مكانكم، ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾، يعني: الأوثان، معناها:
ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم
وشركاءكم مكانكم ولا تبرحوا.
﴿فَوَلَّانَا﴾ ميزنا وفرقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾،
أي: بين المشركين وشركائهم

أي: إلى الحق، ﴿أَفَن يَهْدَىٰ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَجَّيَ أَتَنْ لَا يُهْدَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون بتشديد الدال ثم قرأ أبو جعفر وقالون بسكون الهاء، وأبو عمرو بروم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء، وأبو بكر بكسرها، والباقون بفتحهما، ومعناه: يهتدي في جميعها، فمن خفف الدال قال: يقال هديته فهدي، أي: اهتدي، ومن شدد الدال أدهم التاء في الدال، ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إظهار التخفيف، ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في (تعدوا) و (يخصمون)، ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلا لتقاء الساكنين، وقال: الجزم يُحرَكُ إلى الكسر، ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الكسرة الكسرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يهدي. فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾، والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يهدي؟ قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحمل وتُثقل، بين به عجز الأصنام. وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يُعبر عن من يعلم ويعقل، ووَصِفَتْ بصفة

من يعقل، ﴿قَالَ لَوْ كُنْتُ عَلِيمًا لَأَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغُ أَذْكَرُهُ إِلَّا ظَنًّا﴾، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة وإنها تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ يَنْ كَلَفِيَ شَيْئًا﴾، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً وقيل: لا يقوم مقام العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْكُلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال الفراء: معناه وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يُفْتَرَىٰ من دون الله، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِإِيْمَانٍ أَنْ يَتْلَىٰ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، وقيل: ﴿أَنْ﴾ بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليُفْتَرَىٰ من دون الله. قوله: ﴿وَلَكِنْ تَقْدِيرُ الَّذِي يَنْ يَدِي﴾، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل. وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿وَتَقْدِيرُ الْكِتَابِ﴾، تبیین ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿لَا رَبَّ يَدِي يَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، وقال أبو عبيدة: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾، اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، ﴿قُلْ قَالُوا يَسُوءُ وَيَفْئِدُ﴾، شبه القرآن ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، ممن تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ليعيشوكم على ذلك،

﴿إِنْ كُنْتُمْ حَالِقِينَ﴾، أن محمداً افتراه، ثم قال:

﴿يَنْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِطَوِيلِهِ﴾، يعني: القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ﴿وَلَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كسما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، آخر أمر المشركين بالهلاك.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾، لعلم الله السابق فيهم، ﴿وَرَبُّكَ أَفْظَرُ بِالْمُنِفِرِينَ﴾، الذين لا يؤمنون.

﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ﴾، يا محمد، ﴿نَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾، وجزاؤه، ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾، وجزاؤه، ﴿أَنْتُمْ رِبُّونَهُ وَمِمَّا أَعْمَلُوا لَنَا بَرٌّ﴾، ﴿مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، هذا كقوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد، ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا بغيره.

﴿فَقَالَ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، بأسماعهم الظاهرة فلا ينفهم، ﴿أَلَمْ تَسْمَعْ الْقُرْآنَ﴾، يريد سمع القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾.

المشركون، ﴿هَٰذَا أَلَمُكَ﴾، الذي تعدنا يا محمد من العذاب. وقيل: قيام الساعة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنت يا محمد وأتباعك.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، لا أقدر لها على شيء، ﴿صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي: دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، ﴿لِكُلِّ أَتَّوَّابٍ﴾، مدة مضروية، ﴿إِذَا جَاءَ أَلَمُهُمْ﴾، وقت فناء أعمارهم، ﴿فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾، أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنْتَا﴾، ليلًا، ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون.

وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه. وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، فيقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَحَازَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ آتِيٍّ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فيقول الله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾، يعني: [أي شيء] يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحاً ماذا جنيت على نفسك.

﴿أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ﴾، قيل: معناه أنه نالكم، وحينئذ، وليس بحرف عطف، ﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾ نزل العذاب، ﴿مَا أَنْتُمْ بِوَعْدِهِ﴾، أي بالله في وقت اليأس. وقيل: آمنتم به أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله، ﴿مَا أَنْتُمْ بِوَعْدِهِ﴾، فيه إضمار، أي: يقال:

﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾، يعرف بعضهم بعضاً حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبه وخشية. ﴿قَدْ خَبَّرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، وما كانوا مهتدين، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، وإما ترك بعض الذي يؤمنون أو نوقته فإلينا سرهم ثم الله شهيد على ما يفعلون، ﴿وَلِكُلِّ أَتَّوَّابٍ رِسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا لِمَنْ أَتَاكُمْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾، قل أرى بشر أنكم عذاب بيننا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون، ﴿أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ مَا أَنْتُمْ بِوَعْدِهِ﴾، وقد كنتم به تستعجلون، ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلَّةِ هَلْ لَكُمْ شَيْءٌ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، ويستغيثونك أحق هو قل إني ورفي إني الحق وما أشعر بمغيرتيك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنْتَا﴾، يا محمد في حياتك من العذاب، ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون.

قبل تعذيبهم، ﴿إِنَّا نَرَىٰ جَهَنَّمَ﴾، في الآخرة، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾، فيجزئهم به، ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد. وقال مجاهد: فكان البعض الذي أراه [له] قتلهم بيد، وسائر أنواع العذاب بعد موته.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنْتَا﴾، خلعت، ﴿رُسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رُسُولُهُمْ﴾، وكذبوه، ﴿فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي: عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني: قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾، أي: ويقول:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾، إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ﴿وَيَوْمَ يُخْرَجُهُمْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَبَّرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، وما كانوا مهتدين، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، وإما ترك بعض الذي يؤمنون أو نوقته فإلينا سرهم ثم الله شهيد على ما يفعلون، ﴿وَلِكُلِّ أَتَّوَّابٍ رِسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا لِمَنْ أَتَاكُمْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾، قل أرى بشر أنكم عذاب بيننا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون، ﴿أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ مَا أَنْتُمْ بِوَعْدِهِ﴾، وقد كنتم به تستعجلون، ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلَّةِ هَلْ لَكُمْ شَيْءٌ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، ويستغيثونك أحق هو قل إني ورفي إني الحق وما أشعر بمغيرتيك.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، بأبصارهم الظاهرة، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾، يريد عمي القلوب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾، وهذا تسليية من الله عز وجل لنبيه ﷺ، يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، لأنه في جميع أفعاله مفضل وعادل، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنْتَا﴾، قرأ حفص بالياء والآخرين بالنون، ﴿كَانَ لَوْ يَبْقَا إِلَىٰ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كان لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كان لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾

لكم الآن تؤمنون حين وقع العذاب؟
﴿وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، تكذيباً واستهزاء.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْكَفْلِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، في الدنيا.

﴿يَسْتَعْجِلُوكَ﴾، أي: يستخبرونك يا محمد، ﴿أَلَمْ يَكُنْ هُوَ﴾، أي: ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة، ﴿قُلْ إِي وَرَقٍ﴾، أي: نعم ورثي، ﴿إِنَّهُ لَسَوْفَ لَا شَكَّ فِيهِ﴾، وما أشد متعجيزي، أي: بفائتين من العذاب، لأن من عجز عن شيء فقد فاته.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾، أي: أشركت، ﴿فَمَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ بِهِ﴾، يوم القيامة، والافتداء ههنا بدل ما ينجو به من العذاب. ﴿وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ﴾، قال أبو عبيدة: معناه أظهروا الندامة، لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصفح. وقيل: معناه أخفوا أي أخفي الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفاً من ملامتهم وتعييرهم، ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتُوا بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، فرغ من عذابهم، ﴿وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةً وَكَذَلِكَ اللَّهُ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَرْيَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ﴾، ثم جعوت.

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾، تذكرة، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: دواء لما في الصدور من داء الجهل،

وقيل: ﴿لَمَّا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: شفاء لعمى القلوب، والصدر موضع القلب، وهو أعز موضع في الإنسان لجوار القلب، ﴿وهذه﴾، من الضلالة، ﴿ورحمة للمؤمنين﴾، والرحمة هي النعمة على المحتاج، فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئاً [فإنه] لا يقال قد رحمه، وإن كان ذلك نعمة فإنه لم يضعها في محتاج.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ﴾، قال

مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن. وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله. وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، رحمته: تزيينه في القلب. وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام، ورحمته: الشئن. وقيل: فضل الله: الإيمان، ورحمته: الجنة. ﴿يَذَرُوكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي: [خير] مما يجمعه الكفار من الأموال. وقيل: كلاهما خير عن الكفار. وقرأ أبو جعفر وابن عامر: ﴿يَلْفَرَحُوا﴾، بالياء و (تجمعون) بالياء، وقرأ يعقوب كلاهما بالياء، مختلف عنه خطاباً للمؤمنين.

﴿٥٩﴾ قوله: ﴿يَا مُحَمَّدُ لَكَفَار مَكَّةَ﴾، ﴿أَرَأَيْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾، عبر عن الخلق بالإنزال،

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتُوا بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾. ﴿٥٩﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةً وَكَذَلِكَ اللَّهُ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿مَرْيَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ ذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. ﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ آذَنَ لَكُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَفْهُوتَ﴾. ﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا عَلَّمُوا الْيَتِيمَ يَقْرَأُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾. ﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنْتُمْ تُعْرَضُونَ بِهِ إِذْ تُفْعَلُونَ فَيَذَرُوكَ غَافِينَ﴾. ﴿٥٤﴾ ﴿وَمَا تَعْبُذُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شِقَاقِ ذُرِّيٍّ أَنْزَلَ الْأَرْضَ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِسْفٍ مُبِينٍ﴾. ﴿٥٣﴾

لأن ما في الأرض من خير، فما أنزل الله من رزق، من زرع وضرع، ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي. قال الضعفاك: هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَزْزِ الْأَكْبَرِ قَسِيْبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ آذَنَ لَكُمْ﴾، في هذا التحريم والتحليل، ﴿أَزْ﴾، بل ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ تَقَوَّلَ﴾، وهو قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَشْرَأُ يَوْمًا﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا عَلَّمُوا الْيَتِيمَ يَقْرَأُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾، يا محمد، ﴿فِي شَأْنٍ﴾، عمل من

أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا
يتبادلون بها، يتحابون بروح الله،
يجعل الله وجوههم نوراً، ويجعل
لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن،
يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف
الناس ولا يخافون».

ورواه عبد الله بن المبارك عن
عبد الحميد بن بهرام قال: حدثنا
شهر بن حوشب، حدثني
عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك
الأشعري عن النبي ﷺ سئل: من
أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ
الله».

وَيُرَوَّى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنْ أُولِيَائِي مِنْ عِبَادِي الَّذِينَ يُذَكِّرُونَ بِذِكْرِي وَأَذَكِّرْهُمْ».

﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾
وَفِي الْآخِرَةِ، اختلَفوا في هذه
البشرى. روي عن عبادة بن
الصامت قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ
عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي
الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، قال: «هي الزُّوْجَا
الصَّالِحَةُ يراها المسلم أو تُرى له».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف،
حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا
أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن
الزهري، حدثني سعيد بن المسيب،
أن أبا هريرة قال: سمعتُ
رسولَ الله ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنْ
النَّبِوةِ إِلَّا الْمَبَشَرَاتُ»، قالوا: وما
المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».

وقيل: البشرى في الدنيا هي الشئ الحسن وفي الآخرة [الجنة].
أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

والكسائي] ويعقوب برفع
الراء فيهما، عطفاً على
موضع المثقال قبل دخول
﴿مِنْ﴾، وقرأ الآخرون
بنصبهما، إرادة للكسرة
عطفاً على الذرة في
الكسر، ﴿إِلَّا فِي كِتَابِ
الْمُتَيْنِ﴾، وهو اللوح
المحفوظ.

﴿٦٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْأَوَّلِيَّاءَ اللَّهُ لَا حُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾،
واختلفوا فيمن يستحق هذا
الاسم. قال بعضهم: هم
الذين ذكرهم الله، فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾
وَقَالَ قَوْمٌ هُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن [ابن] أبي حسين عن شهر بن حوشب، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: **إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْضَبُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ لِقُرْبِهِمْ وَمَقْعَدُهُمُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، قال: وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى يديه ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم من هم؟ قال: **فَرَأَيْتُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَشَرُ، فَقَالَ: «هُمْ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ بِلْدَانِ شَتَّى وَقِبَائِلَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ**

سورة التوبة

المَرْجَلُ الْخَالِصُ

الْآيَاتِ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠﴾
 الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ لَهُمُ الشُّرُكُ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَّبِعُهُمْ الْبُغْضُ وَالْبُغْضُ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ إِنَّ
 الْوَعْدَ لِلَّهِ جَبِينًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ الْآيَاتِ لِلَّهِ
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا شِئَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءُ إِنْ يَسْمُوكَ إِلَّا
 الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 آيَاتِ لِسَتَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبِيسٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
 مُشَبَّهًا هُوَ الْعَلِيُّ لَكُمُ الْفَافُ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِشَاءَ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلِ إِنْ الَّذِينَ يُضْعِفُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذُوبَ
 لَا يُلْهِمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ فَعَلِ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فِي سَمْعِهِمْ ثُمَّ
 يُلْهِمُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾

الأعمال، وجمعه شؤون، ﴿وَمَا تَلَوْا﴾، من الله، ﴿بَيْنَ قُرْآنٍ﴾، نازل، وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأمنه فقال: ﴿وَلَا تَقْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْعَلُونَ فَبِعِذِّي﴾، أي: تدخلون وتخوضون فيه، والهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل. وقال ابن الأنباري: تندفعون فيه. وقيل: تكثرون [فيه]، والإفاضة: الدفع بكثرة، ﴿وَمَا يَصْرُفُ عَنْ رَبِّكَ﴾، يغيب عن ربك، وقرأ الكسائي ﴿يَصْرُفُ﴾ بكسر الزاي، وكذلك في سورة سبأ [٣]، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان. ﴿بَيْنَ يَثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أي: مثقال ذرة، ﴿بَيْنَ صَلَةِ وَالذَّرَةِ هِيَ النَّمْلَةُ الْحُمْراءُ الصَّغِيرَةُ﴾. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي: من الذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾، قرأ حمزة

المليحي، أنا عبد الرزاق بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعت عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحببه الناس؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد بن زيد عن أبي عمران، وقال: ويحمده الناس عليه.

وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من عند الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: «تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» [فصلت: ٣٠]، وقال عطاء [ابن السائب] عن ابن عباس: البشرى في الدنيا يريد عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن، يعرج بها إلى الله، ويُبَشِّرُ برضوان الله. وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين [به] في كتابه من جنته وكريم ثوابه؛ كقوله: «وَيُنَبِّئُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» [البقرة: ٢٥]، «وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» [الأحزاب: ٤٧]، «وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ» [فصلت: ٣٠]. وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله، ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة. «لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِهِ قَوْلًا»، لا تغيير؛ لقوله: «وَلَا خَلْفَ لِعُودِهِ». «ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْقَاطِعُ».

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾،

يعني: قول المشركين، ثم الكلام فهنا ثم ابتداء، فقال: «إِنَّ الصِّرَاطَ لِلَّهِ»، يعني: الغلبة والقدرة لله «جَمِيعًا» هو ناصرك، وناصر دينك، والمنتقم منهم، قال سعيد بن المسيب: إن العزة لله جميعاً، يعني: أن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ» [المنافقون: ٨]، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله، «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

﴿إِنَّكَ لَن تَجِدَ مِنَ الْشَّكُوكِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْتَبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، هو إما استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وما يتبعون حقيقة لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون، «إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ» يظنون أنها تقرهم إلى الله تعالى، «وَأَنْ هُمْ لَا يَحْزَنُونَ»، يكدبون.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾، مضياً يُبصر فيه، كقولهم: ليل نائم وعيشة راضية. قال قطرب: تقول العرب: أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ظلمة وضياء وبصر، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ»، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

﴿وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِمَا تُفْعَلُ إِنْ تَوَلَّيْتَهُمْ إِنْ كَانَ كَذِبًا عَلَيْكَ يَقَامُ وَتَذَكَّرِي بِمَا كَذَّبَ اللَّهُ فَعَلِ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَأَصْبَحُوا شُرَكَاءَ كُفَّاتٍ﴾، أي: لا تظن أن الله لا يفتكر ما يشاء، فإنه وإن شئت فما سألتك من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المشركين «فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفَالِقِ وَالْمُتَكَبِّرِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ كَذَّبُوا» ثم بعثنا من بعد موسى إلى قومهم ثاماً وهم بالبيت فماتوا يومئذ ما كذبوا من قبل ذلك فطع على قلب المؤمنين «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا غَائِبِينَ» فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرْسَلُ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَنَأْتِيَنَّكُمْ أَمْ حَبَسْتُكُمْ أَتَمْنَوْنَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ السَّحَابُ مِنَ الْغَمَامِ فَتَنْزِلُ عَلَيْكُمْ حِجَابٌ خضرةً تَلَوْنَ فِيهَا كُتُوبًا يُقَرَأُ عَلَيْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ

٢١٧

﴿قَالُوا﴾، يعني: المشركين، «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»، وهو قولهم الملائكة بنات الله، «سُبْحَنَكَ هُوَ الْأَعْلَى»، عن خلقه، «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»، عبيداً وملكاً، «إِنْ عِنْدَكُمْ» [أي: هنا] عنديكم، «مِنْ سُلْطَانٍ»، حجة وبرهان، «وَمِنْ صُلْبٍ»، هبة أقولون على الله ما لا تعلمون.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾، لا ينجون، وقيل: لا يكونون في الدنيا، ولكن:

﴿مَنْعَ﴾، قليل يتمتعون به، وبلاغ يستفحون به إلى انقضاء أجالهم، «وَمَنْعَ» رفع بلاضمار، أي: هو متاع، «فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِخُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ» بما كانوا يكفرون.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِمَا تُفْعَلُ﴾﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لَهُمْ مَوْسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُثْقَرُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَيَحْيَى اللَّهُ الْحَيَّ بِكُلِّ نَفْسٍ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
 خِطِّ بْنِ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّالٌ
 فِي الْأَرْضِ وَلَئِنْ كُنَّا لِلشَّيْطَانِ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُولُونَ كُنْ
 آمِنًا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ إِنْ كُنْ مِنْ شَاقِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَالِ اللَّهُ
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ
 أَنْ تَوَسَّلَا إِلَى الْقَوْمِ بِبَعْضِ رُؤُوسِنَا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَفِرْعَوْنُ وَمَلَائِكَةُ وَفِرْعَوْنُ وَأُولَاؤُا فِي الْخَيْرِ
 الَّذِينَ تَرْتَابُوا إِلَيْنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَخْرِصْ عَلَى أَمْرِهِمْ
 وَأَشْدِّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨١﴾

عليهم وخفي، ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا﴾
 إل، أي: أمضوا ما في
 أنفسكم وافرغوا منه،
 يقال: قضى فلان إذا مات
 وقضى دينه إذا فرغ منه.
 وقيل: معناه توجهوا إلي
 بالقتل والمكره. وقيل:
 فاقضوا ما أنتم قاضون،
 وهذا مثل قول السحرة
 لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ
 قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، أي:
 اعمل ما أنت عامل، ﴿وَلَا
 تُظْهِرُونِ﴾، ولا تؤخرون
 وهذا على طريق التعجيز،
 أخبر الله عن نوح
 [صلاة الله وسلامه عليه]

أنه كان واثقاً بنصر الله تعالى غير
 خائف من كيد قومه، علماً منه بأنهم
 وألتهم ليس إليهم نفع ولا ضرر،
 إلا أن يشاء الله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، عرضتم عن
 قولي وقبول نصحي، ﴿فَمَا
 سَأَلْتُكُمْ﴾، على تبليغ الرسالة
 والدعوة، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، من جعل
 وعرض، ﴿إِنْ أَجَرْتُمْ﴾، ما أجري
 وثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من المؤمنين.
 وقيل: من المستسلمين لأمر الله.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني نوحاً
 ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ
 خَلْقًا﴾، أي: جعلنا الذين معه في
 الفلك سكان الأرض خلفاء عن
 الهالكين. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: آخر أمر الذين
 أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا.

نوح، أي: اقرأ يا محمد على أهل
 مكة خبر نوح، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾،
 وهم ولد قابيل، ﴿يَقُولُوا لَهُ كَانَ كَبِيرٌ
 عَلَيْكُمْ﴾، عظم وثقل عليكم،
 ﴿مُعَايٍ﴾ طول عمري ومكثي فيكم
 ﴿وَتَذَكِيرٍ﴾، ووعظي لياكم ﴿بِآيَاتِي
 اللَّهِ﴾، بحججه وبيئاته، فعزمت على
 قتلي وطردتي ﴿فَقَالَ اللَّهُ تَوَكَّلْ
 فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾، أي: أحكموا أمركم
 واغزموا عليه، ﴿وَشُرَّكَاءَكُمْ﴾، أي:
 وادعوا شركاءكم أي ألتهكم فاستعينوا
 بها لتجتمع معكم، على ما أردتموه
 مني. قال الزجاج: معناه فأجمعوا
 أمركم مع شركائكم، فلما ترك «مع»
 انتصب. وقرأ يعقوب: ﴿شركاؤكم﴾
 رفع، أي: فأجمعوا أمركم أنتم
 وشركاؤكم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عِثَّةً﴾،
 أي: خفياً مبهماً، من قولهم: غم
 الهلال على الناس، أي: أشكل

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى﴾
 أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿إِنْ
 قَوْمُهُمْ لَجَّاءُكُمْ بِالْبَيْنَاتِ﴾، بالدلالات
 الواضحات، ﴿فَمَا كَانُوا يَتُوبُونَ بِمَا
 كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: بما كذب
 به قوم نوح من قبل، ﴿كَذَلِكَ
 نَطْلَعُ﴾، أي: نختم، ﴿عَلَى قُلُوبِ
 الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى﴾
 وفُتُونًا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، يعني:
 أشراف قومه، ﴿بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
 قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، يعني: جاء
 فرعون وقومه، ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
 إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَكُمْ أَيْحَرُّ هَذَا﴾، تقدير
 الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم
 سحر، أسحر هذا، فحذف السحر
 الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه.

﴿وَلَا يَخْلَعُ السَّاحِرُونَ﴾.
 ﴿قَالُوا﴾، يعني: فرعون
 وقومه لموسى، ﴿أَجْتَنَّا لِنُلْقِنَا﴾،
 لتصرفنا. وقال قتادة: لتلونا، ﴿عَمَّا
 وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَكُنَّا لَكُمْ
 الْكَافِرِينَ﴾، الملك والسلطان، ﴿فِي
 الْأَرْضِ﴾، أرض مصر، وقرأ أبو بكر:
 ﴿ويكون بالبياء، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ
 بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ
 سِحْرِ عَلِيمٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُثْقَرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا
 جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾، قرأ أبو عمرو
 وأبو جعفر: «السحر»، بالمد على

الاستفهام، وقرأ الآخرون بلا مد، يدل عليه قراءة ابن مسعود «ما جثتم به سحر»، بغير الألف واللام. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿يُحْيِي اللَّهُ الْوَيْحَ يَكُونُ﴾، بآياته، ﴿وَكُلَّ سَكْرَةٍ الْمُنْتَوِينَ﴾.

﴿نَسَا مَنَ لِيُؤْمِنَ﴾، لهم يُصَدِّقُ موسى مع ما أتاهم به من الآيات، ﴿إِلَّا دُورِيَّةً قَوْمِيَّةً﴾، اختلفوا في الهاء التي في ﴿قَوْمِيَّةً﴾، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه. قال مجاهد: كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون. وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطة ابنته. وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله. وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً [عليه] من القتل، فنشؤوا عند القبط، وأسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة [فيه]. قال الفراء: سُمُّوا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل،

كما يقال لأولاد أهل فارس الذين سقطوا إلى اليمن الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم.

﴿عَلَى حَرْوَيْنِ رُفُوعَيْنِ وَمَلَكَيْنِ﴾، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم؛ كما قال: ﴿وَوَسَّلَ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية. وقيل: إنما قال: ﴿وَمَلَكَيْنِ﴾، وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال قدم الخليفة يُراد هو ومن معه. وقيل: أَرَادَ مَلَأَ الذرية، فإن ملأهم كانوا من قوم فرعون. ﴿أَن يَفْتَنَهُمْ﴾، أي: يصرفهم عن دينهم ولم يقل يفتنهم لأنه أخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون، ﴿وَرُفُوعَتِ لَمَالٍ﴾، لمتكبر، ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ لَبِثَ الْأَشْرَفِينَ﴾، المجاوزين الحد لأنه كان عبداً فاذعى الربوبية.

﴿قَالَ مُوسَى لِمُؤْمِنِي قَوْمِهِ﴾، ﴿يَقُولُوا إِن كُنتُمْ تَهْتَكُونَ فَعَلَيْكُمْ وَكَلَامُ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ وَكَلَامُ﴾، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا: ﴿هَيْتَا لَا تَهْتَكُنَا وَشَنَّةٌ لِلْقَاسِطِينَ﴾، أي: لا نظهرهم علينا ولا نهلكنا بأيديهم، فيظنون أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كنّاوا على الحق لما عذبوا ويظنون أنهم خير منا فيقتنوا.

﴿فَرِحْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أُولِيَ الْقُلُوبِ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَلْيَمُوسَ﴾ هَارُونَ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا لَنَعْلَمَنَّ﴾

﴿يُحْيِي اللَّهُ الْوَيْحَ﴾، يقال: تَوَلَّى فلان لنفسه بيتاً ومضجعاً إذا اتخذ، وتَوَلَّى أنا إذا اتخذته له، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾، قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعتهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة [فيها] فأمرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا مساجدهم في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون، وهذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس. وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمرُوا [أَنْ يَجْعَلُوا] في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة، يصلون فيها سراً [﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾]، معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾، يا محمد.

﴿قوله تعالى: ﴿هَرَكَاكَ مُوسَىٰ رَجَا إِلَيْكَ﴾، من متاع الدنيا، ﴿وَأَنزَلَا فِي الْكِبَرَةِ الْأَيَّامَ رَجَا يُحْسِنُوا مِنَ سَبِيلِهِ﴾، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك، كقوله: ﴿لَأَسْفَيْنَهُمْ ثُمَّ عَاثَا لَنُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [الجن: ١٦ - ١٧]، وقيل: هي لام العاقبة يعني: فيضلوا ويكون عاقبة أمرهم الضلال، كقوله: ﴿فَالنَّاسُ كَالْزُرُوعِ يُسْكُونُ لَهُمْ عَذَابُهُمْ وَزَعْرًا﴾ [القصص: ٨]، قوله: ﴿رَجَا﴾ الحوش على أنزلهم، قال مجاهد:

قَالَ قَدْ أُجِيبَ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَمَنَّا سَيْلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَزَوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْبَحْرِ
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَفَلَنْتَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلَيْكَ تَنْبِيهُكَ يَدُوكَ لَكُمُوتَ لِمَنْ
خَلَقَكَ يَا أَيْمُونُ الْكَافِرِينَ ﴿٩٢﴾ أَيْنَمَا لَتَنِ اتَّبَعُوا
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْأَدَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَوَرَزْنَاهُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ أَنْ يَنْصَبُوا يَتَّبِعُونَ الْيَوْمَ
يَسْمَا كَأَنَّهُمْ يَخْلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
قَسَبَ الْيَوْمِ الَّذِي يَوْمُونَ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ الْيَوْمَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾، قيل: هو نصب بجواب الدعاء بالفناء. وقيل: هو عطف على قوله: ﴿يُضِلُّوْا﴾، أي: ليضلوا فلا يؤمنوا. وقال الفراء: هو دعاء محله جزم، فكأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، وهو الغرق. قال السدي: معناه أمتهم على الكفر.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لموسى وهارون: ﴿هَذَا أُجِيبَ دَعْوَتُكُمَا﴾، إنما

نسب إليهما، والدعاء كان من موسى لأنه روي أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والثأمين دعاء. وفي بعض القصص: كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾، على الرسالة والدعوة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب، ﴿وَلَا تَتَمَنَّا﴾، نهى بالنون الثقيلة، ومحله جزم، يقال في الواحد: لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين وبكسر النون في الثنية لهذه العلة. وقرأ ابن غامر بتخفيف النون. لأن نون التأكيد تشقل وتخفف. ﴿سَيْلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وغدي، فإن وعدي لا خلف فيه، ووعيدي نازل بفرعون وقومه.

﴿وَجَزَوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْبَحْرِ﴾، عبرنا بهم ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ لحقهم وأدركهم، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾،

أهلكها، والطمس: المحق، [وقال أكثر المفسرين: امسخها وغيرها عن هيئتها]. وقال قتادة: صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة. وقال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارا حجرا، [وكان الرجل كذلك]. قال ابن عباس رضي الله عنه: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً. ودعا عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وإنها لحجر. قال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والشمار والدقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التسع. ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أي: أقسها واطبع عليها

يقال: أتبعه وتبعه إذا أدركه ولحقه، وأتبعه بالشديد إذا سار خلفه واقتدى به. وقيل: هما واحد. ﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾، أي: ظلماً واعتداء. وقيل: بغياً في القول وعدواً في الفعل. وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق وخاض البحر، فاقترحت الخيول خلفه، فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج من البحر انطبق عليهم الماء. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ﴾، أي: غمره الماء وقرب هلاكه، ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، فدانس جبريل في فيه من حماة البحر.

﴿قَالَ﴾ وقال: ﴿أَفَلَنْتَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل [وأنا من المسلمين]، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد فلو رأيته وأنا أخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة». فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه، قالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون فأمر الله البحر فالتقى فرعون على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا

يقبل الماء ميتاً أبداً [بل طرحه خارجاً]، فذلك قوله:

﴿ثُمَّ نُنَجِّيكَ﴾، أي: نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع. وقرأ يعقوب: ﴿نُنَجِّيك﴾ بالتخفيف، ﴿يُنَجِّيك﴾، بجسديك لا روح فيه. وقيل: ببديك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر، فأواه في درعه فصعدوا موسى، ﴿لَنَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾، عبرة وعظة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ﴿مِصْرًا صَدُوقًا﴾، منزل صدق، يعني: مصر. وقيل: الأردن وفلسطين وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثاً لإبراهيم وذريته. قال الضحاك: هي مصر والشام، ﴿وَوَرِّقْنَاهُمْ بَيْنَ الطَّيْنَتَيْنِ﴾، الحلالات، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وأنه نبي، ﴿حَتَّى جَاءَهُمْ أَوَّلُ الْيَوْمِ﴾، يعني: القرآن والبيان بأنه رسول الله صادق وديته حق. وقيل: حتى جاءهم معلومهم وهو محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خلق، قال الله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]، [أي: مخلوقه]، ويقال: هذا الدرهم ضرب الأمير، أي: مضروبه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، من الدين.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن ﴿فَتَسَلِّ

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة. قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٤١]، خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، ولم يقل بما تعمل، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا

كَلَّمْتَهُ أَلْفَسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك، مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه، فسيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك ببشورته. قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شك، لكنه ذكره على عادة العرب، يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك. ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين.

﴿فَلَوْلَا كُنْتَ قَرْيَةً مَانِعَتْنَا فَتَنَهُمَا لِمِيشْنَاهُمَا لَأَفْرَمَ يُوسُفُ لَمَّا مَاتُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَافَابَ الْغَرْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [٩٥] ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُشْكِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [٩٦] وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [٩٧] قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآلِهَةُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ [٩٨] فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَاءِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَأَنْظِرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ السَّاعَةِ [٩٩] تَنْزِيلُ رُسُلِنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سَبْحَ الْمُؤْمِنِينَ [١٠٠] قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا أَغْنِي عَنْكُمْ قَدْرُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ آمِنُوا بِاللَّهِ الَّذِي يَتَوَكَّلُكُمْ وَارْزُقُوا أَن أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [١٠١] وَأَنْ أَعِدَّ وَجْهَكُمْ لِلدِّينِ حَيْثُ مَا لَا تَكُونُونَ مِنَ الشَّاكِكِينَ [١٠٢] وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ إِنْ أَمِنَ الظَّالِمِينَ [١٠٣]

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾، وجبت عليهم، ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، قيل: لعنته. وقال قتادة: سخط الله. وقيل: الكلمة هي قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي!» ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، دلالة، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الأخفش: آت فعل «كل» لأنه مضاف إلى المؤنث وهي قوله: آية، ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كُنْتَ﴾، [أي]: فهلاً كانت، ﴿قَرْيَةً﴾، ومعناه: فلم تكن قرية لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، أي: أهل قرية، ﴿هَاسِتَةً﴾، عند معاينة

العذاب، ﴿فَتَنَّمَا إِنَّمَا﴾، في حالة البأس، ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ﴾، فإنه نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، ﴿قَوْمٌ﴾ نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿لَكِنَّا مَأْمُونًا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وهو وقت انقضاء آجالهم، واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب والأكثر على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قُرب.

وقصة الآية على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم: أن قوم يونس كانوا بنينوى، من أرض الموصل، فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى الإيمان فدعاهم فأبوا، ف قيل له: أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم [لا محالة]، فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قدر ميل.

وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى تغشاهم في مدينتهم واسودت سطوحهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه، وقذف الله في قلوبهم

التوبة، فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة، وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدلة وولدها من الناس والأنعام فحن بعضها إلى بعض، وعلت الأصوات واختلطت أصواتها بأصواتهم، وعجروا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أضلهم، وذلك يوم عاشوراء، وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه، فلم ير شيئاً، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل، فقال يونس: كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتهم؟ فانطلق عاتباً على ربه مغاضباً لقومه، فأتى البحر فإذا قوم يركبون سفينة، فعرفوه فحملوه بغير أجر، فلما دخلها وتوسطت بهم ولججت، وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم، قال أهل السفينة: إن لسفينتنا لشأناً، قال يونس: قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا اقدفوني في البحر، قالوا: ما كنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك، فاستهيموا فاقترعوا ثلاث مرات فأدحض سهمه، والحوث عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه فيه، فقال يونس: إنكم والله لتهلكن جميعاً أو لتطرحني فيه، فقدفوه فيه وانطلقوا وأخذوا الحوث.

وأي: أن الله تعالى أوحى إلى حوث عظيم حتى قصد السفينة، فلما رآه أهل السفينة مثل الجبل العظيم

وقد فغر فاه ينظر إلى من في السفينة كأنه يطلب شيئاً خافوا منه، ولما رآه يونس زج نفسه في الماء.

وعن ابن عباس: أنه خرج مغاضباً لقومه فأتى بحر الروم فإذا سفينة مشحونة، فركبها فلما لججت السفينة، تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا، فقال الملاحون: ههنا رجل عاصٍ أو عبد آبق [من سيده] وهذا رسم السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري، ومن رسمنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر، ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها، فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس. فقال يونس: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق، فالتقى نفسه في الماء فابتلعه حوت، ثم جاء حوت آخر أكبر منه وابتلع هذا الحوت، وأوحى الله إلى الحوت [أن] لا تؤذي منه شعرة، فإني جعلت بطنك سجته ولم أجعله طعماً لك.

وأي: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نودي [الحوث] إنا لم نجعل يونس لك قوتاً، وإنما جعلنا بطنك له حرزاً ومسجداً.

وأي: أنه قام قبل القرعة فقال: أنا العبد العاصي والآبق، قالوا: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى، فعرفوه فقالوا: لا نلقيك يا رسول الله ولكن نسايم فلعل السهم يخرج على غيره فاقترعوا، فخرجت القرعة عليه فالتقى نفسه في الماء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ابتلعه الحوت فأهوى به إلى قرار

الأرض السابعة، وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى، فنادى في الظلمات: **أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**، فأجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر، وهو كالفرخ الممعة، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدباء، فجعل يستظل تحتها واكل به وعله يشرب من لبنها فيبست الشجرة، فبكى عليها فأوحى الله إليه: **تَبْكِي عَلَى شَجَرَةٍ يَبْسُت وَلَا تَبْكِي عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** أردت أن أهلكهم، فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى، فقال: **مَنْ أَنْتَ يَا غَلَامُ؟** قال: **مِنْ قَوْمِ يُونُسَ**، فقال [له]: **إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي لَقِيتُ يُونُسَ**، فقال الغلام: **قَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي بَيْنَهُ كَذْبُونِي وَقُتِلْتُ**، قال يونس عليه السلام: **تَشْهَدُ لَكَ هَذِهِ الْبَقْعَةُ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ**، فقال له الغلام: **فَمَزَّهُمَا**، فقال يونس: **إِذَا جَاءَ كَمَا هَذَا الْغَلَامُ فَاشْهَدَا لَهُ**، قالتا: **نَعَمْ**، فرجع الغلام، فقال للملك: **إِنِّي لَقِيتُ يُونُسَ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ**، فقال: **إِنَّ لِي بَيْنَهُ فَارَسَلُوا مَعِيَ فَاتَى الْبَقْعَةَ وَالشَّجَرَةَ**، فقال: **أَشْهَدُ كَمَا هَلْ أَشْهَدُكُمْ يُونُسَ؟** قالتا: **نَعَمْ**، فرجع القوم مذعورين، وقالوا للملك: **شَهِدْ لَهُ الشَّجَرَةُ وَالْأَرْضُ**، فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه، وقال: **أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَكَانِ مِنِّي**، فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ﴾، يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، هذه تسلية للنبي ﷺ، وذلك أنه كان خريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: **أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللَّهِ السَّعَادَةُ**، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ﴾، وما ينبغي لنفس. وقيل: وما كانت نفس، **﴿أَنْ تُوْبِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**، قال ابن عباس: **بِأَمْرِ اللَّهِ**. وقال عطاء: **بِمَشِئَةِ اللَّهِ**. وقيل: **بِعِلْمِ اللَّهِ**. ﴿وَيَعْمَلُ الْإِنْسَ﴾، قرأ أبو بكر: ﴿وَنَجْعَلُ﴾ بالنون، والباقون بالياء، أي: **وَيَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ**، أي: العذاب وهو الرجز، ﴿عَلَّ الْأَرْبَابَ لَا يُعْمَلُونَ﴾، عن الله أمره ونهيه.

﴿قُلْ أَنْظُرُوا﴾، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا، **﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿وَمَا تَفْنَى الْآيَاتُ وَالذُّرُّ﴾، الرسل، ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، ﴿إِلَّا بِمِثْلِ آيَاتِ الْأَرْبَابِ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح

وعاد وثمود. والعرب تسمي العذاب أياماً والنعيم أياماً؛ كقوله: ﴿وَنَحْنُ نَحْمِلُهُمْ بِأَيْتِمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿قُلْ فَأَنْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنظِّينَ﴾.

﴿ثُمَّ تَنْجِي رُسُلَنَا﴾، قرأ يعقوب ﴿تَنْجِي﴾ خفيف مختلف عنه، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، معهم عند نزول العذاب معناه: نجينا، مستقبل بمعنى الماضي، ﴿كَذَلِكَ﴾، كما نجيناهم، ﴿حَقًّا﴾، واجباً، ﴿عَلَيْنَا تُنَجِّ الْأَوْفِينَ﴾، قرأ الكسائي وحفص ويعقوب ﴿ننجي﴾ بالتخفيف والآخرين بالتشديد، ونجاً وأنجى بمعنى واحد.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، إن كنتم في شك من ديني، السدي أدعوكم إليه، فإن قيل: كيف قال إن كنتم في شك وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟ قيل: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ، قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَشْهَدُ الَّذِينَ تَبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، من الأوثان، ﴿وَلَكِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ الَّذِي يَبْقِيكُمْ﴾، يُمَيِّتُكُمْ ويقبض أرواحكم، ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله: ﴿وَأَنْ أَوَدَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقيم على الدين حنيفاً. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾، ولا تعبد، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾، إن

إِلَّا اللَّهَ، ويكون محل (أن) رفعاً.
وقيل: محله خفض تقديره: بأن لا
تعبدوا إِلَّا اللَّهَ، ﴿إِنِّي لَكُرَيْتُهُ﴾،
أي: من الله ﴿نَذِيرٌ﴾، للعاصيين،
﴿وَنَذِيرٌ﴾، للمطيعين.

﴿٢﴾ ﴿وَلَنْ﴾، عطف على الأول،
﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، أي:
ارجعوا إليه بالطاعة. قال الفراء:
﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا
إليه، لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة
هي الاستغفار. وقيل: وأن استغفروا
[ربكم من المعاصي ثم توبوا] إليه
في المستأنف ﴿يَتَّبِعْكُمْ مَثْعًا حَسَنًا﴾،
يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة

وأمن وسعة. قال بعضهم: العيش
الحسن هو الرضى بالميسور والصبر
على المقدور. ﴿إِنَّ أَكْبَلَ شَيْءٍ﴾،
إلى حين الموت، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي: ويؤت كل ذي
عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في
الآخرة. وقال أبو العالية: من كثرت
طاعاته في الدنيا زادت درجاته في
الآخرة في الجنة، لأن الدرجات
تكون بالأعمال.

وقال ابن عباس: من زادت
حسناته على سيئاته دخل الجنة،
ومن زادت سيئاته على حسناته دخل
النار، ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من أصحاب الأعراف، ثم
يدخل الجنة بعد. وقيل: ويؤت كل
ذو فضل فضله، يعني: من عمل لله
عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على
طاعته. ﴿وَلَنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا،
﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾،
وهو يوم القيامة.

أَنَا عَلَيْكُمْ بِكَفِيلٍ،
بكفيل أحفظ أعمالكم.
قال ابن عباس: نسختها
آية القتال.

﴿١٧﴾ ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ﴾،
بنصرك وقهر عدوك وإظهار
دينه، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ
لِّلْمُكَيِّمِينَ﴾، فحكم بقتال
المشركين وبالجزية على
أهل الكتاب يعطونها عن يديهم
وهم صاغرون.



سورة هود

مكية إلا قوله: ﴿وَأَقْرِضْ الْقَسْوَةَ
مَكْرِيًّا النَّبَارِ﴾ [١١٤]، وهي مائة
وثلاث وعشرون آية.

﴿١﴾ ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُكْمِلِينَ الرَّحِيمِ﴾
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾، أي: هذا
كتاب، ﴿أَتَمَّكَتْ مَا بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن
عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت
الكتب والشرائع به، ﴿ثُمَّ قُضِلَتْ﴾،
بُيِّنَتْ بالأحكام والحلال والحرام.
وقال الحسن: أحكمت بالأمر
والنهي، ثم قُضِلَتْ بالوعد والوعيد.
قال قتادة: أحكمت أحكامها الله
فليس فيها اختلاف ولا تناقض.
وقال مجاهد: قُضِلَتْ أي: قُضِرَتْ.
وقيل: قُضِلَتْ أي: أنزلت شيئاً
فشيئاً، ﴿مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿٢﴾ ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، أي:
وفي ذلك الكتاب أن لا تعبدوا

وَأِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِوَيْسَاءٍ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْ يَتَّابِعُ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ لِمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِكَفِيلٍ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْمُكَيِّمِينَ ﴿١٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْعَةُ أُمُودٌ. أَيْتُهُ ثُمَّ قُضِلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرَيْتُهُ نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُبْعَثْكُمْ مَتْنًا حَسَنًا إِلَىٰ أَهْلِ مَسْجِدٍ وَتُوتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَوَكَّلُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَفْخِرُونَهُ الْأَعْيُنُ يَسْتَغْفِرُونَ لِذُنُوبِهِمْ
بَعْلَمَ مَا يَفْعَلُونَ وَمَا يَلْتَمِزُونَ أَنَّمْ عَلَيْهِمْ ذُنُوبُهُمْ الصُّدُورُ ﴿٥﴾

أطعته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾، إن عصيته،
﴿فَإِنْ قُلْتَ﴾، فعبدت غير الله،
﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾، الضارين
لأنفسهم الواضعين العبادة في غير
موضعها.

﴿١٧﴾ ﴿وَأِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾،
أي: يصيبك بشدة وبلاء، ﴿فَلَا
كَاشِفَ لَهُ﴾، فلا دافع له، ﴿إِلَّا
هُوَ وَلَآتِ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، رضاء ونعمة
وسعة، ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، فلا مانع
لرزقه، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾، بكل واحد
من الضر والخير، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿قُلْ يَتَّابِعُ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: القرآن
والإسلام، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ لِمَا يَهْدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾،
أي: على نفسه ووباله عليه، ﴿وَمَا

يخفى علينا حالهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحسن بن محمد بن صباح، ثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: «الْأَئِثْمُ يَشْنُونُ صُدُورُهُمْ»، فقال: سألتها عنها فقال: كان أناس يستحيون أن يتخللوا

﴿إِلَى اللَّهِ مَرِجُهُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: «الْأَئِثْمُ يَشْنُونُ صُدُورُهُمْ»، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلوا الكلام حلوا المنظر، يلقي رسول الله ﷺ على ما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره.

وقوله: «يَشْنُونُ صُدُورُهُمْ»، أي: يخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة.

وقال عبد الله بن شداد: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مرّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطاقأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ.

وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعو كتاب الله تعالى ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه. ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي. وقال السدي: يشنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: ثنيت عنالي. وقيل: يعطفون، ومنه ثنى الثوب. وقرأ ابن عباس: «يَشْنُونِي» على وزن «يَحْلُولِي» جعل الفعل للصدر ومعناه المبالغة في الثني. «لَيْسَتْ خَفَاؤُهُمْ» أي: من رسول الله ﷺ.

وقال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، «أَلَا جِنَّةً يَنْتَفِشُونَ يَابَهُمْ»، يغطون رؤوسهم بثيابهم، «يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَلْتَوُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الشُّكُورِ»، قال الأزهرى: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا

﴿وَمَنْ تَابَتْ فِي الْأَرْضِ لَاعِلَ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَلْبَسُكُمْ مِنْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مُعْتَدُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْخَرْتُمِينَ ﴿٦﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أَتَمِّ مَعْدَدٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْعَلُهُ الْأَيَّامُ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِدِشْنِهِمْ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِزَاجَ حَمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهُ مِنْهُ أَيْدِيَهُ لَيَقُولَنَّ كَفَرْتُ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَةً بَعْدَ ضَرْحَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَمِنْ قَحُورٍ ﴿٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا تَرَاكَ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافِيكَ بِهِ صَدَرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُتُبًا رَازِجَةً مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١﴾﴾

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه، وقال عطاء]: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الأبناء. ورواه سعيد بن جبير وعلي بن [أبي] طلحة وعكرمة عن ابن عباس. وقيل: المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر؛ لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» [الفرقان: ٧٦]. «كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»، أي: كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها.

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، قبل أن خلق السموات والأرض وكان ذلك الماء على متن الريح.

قال كعب: خلق الله عز وجل

فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

قوله تعالى: «وَمَنْ تَابَتْ فِي الْأَرْضِ»، أي: ليس دابة في الأرض، «وَمَنْ» صلة، والدابة: كل حيوان يدب على وجه الأرض. وقوله: «إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»، [أي: هو المتكفل برزقها]، أي: هو المتكفل بذلك فضلاً وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق. وقيل: على بمعنى من، أي: من الله رزقها. قال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً. «وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا»، قال ابن مقسم: ويُروى ذلك عن ابن عباس، مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورَةَ يَسْجُودٍ مُّتَعَرِّجَةٍ
وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ أَلَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَآ إِلَهَ
إِلَّا هُوَ قَهْلَ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَرْيِدِ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَغْلَظَهَا فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْشُونَ
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَعُرُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَى يَمِينِ رَبِّيهِ يَقُولُ شَاهِدْ بِنْتِي وَمِنْ قَبْلِهِ كُنتُ بِ
مُؤْمِنٍ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ قَالُوا نَارُ مَوْعِدَةٍ فَلَا تَكُ فِي يَمِينِهِ إِنَّمَا الْحَقُّ
مِنَ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَن
أَطَاعَ مَعِيَ أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَمْ أَهْدِهِمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصْذَقُونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَدُوا عِمَادَهُمْ بِالْآخِرَةِ مِمَّ كَفَرُوا ﴿١٩﴾

الأمة الجماعة، فكانه قال:
إلى انقراض أمة ومجيء أمة
أخرى، ﴿لَيَقُولَنَّ مَا
يَحْسِبُهُ﴾، أي: أي شيء
يحبسه؟ يقولونه استعجالاً
للعذاب واستهزاء، يعنون
أنه ليس بشيء.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا
يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾، يعني
العذاب، ﴿لَيْسَ مَعْرُوفًا
عِنْتُمْ﴾، لا يكون مصروفاً
عنهم، ﴿وَمَكَفَّ بِهِم﴾،
نزل بهم، ﴿فَمَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: وبال
استهزائهم.

قوله تعالى: ﴿١٣﴾

﴿وَلَكِن أَدَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾،
نعمة وسعة، ﴿ثُمَّ نَرْفَعُهَا مِنْهُ﴾،
أي: سلبناها منه، ﴿إِنَّمَا لِيُثَبِّتَ
قَنُوطَ فِي الشَّدَةِ﴾، ﴿كَفُورٌ﴾ في
النعمة.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَكِن أَدَقْنَاهُ نَعْمَةً بَعْدَ
مَصْرَآةٍ مِّنْهُ﴾، بعد بلاء أصابه،
﴿يَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، زالت
الشدائد عني، ﴿إِنَّمَا لَنَجِّ قَهْرُ﴾،
أشربط، والفرح لذة في القلب بنيل
المشتهى والفخر هو التطاول على
الناس بتعدد المناقب، وذلك منهى
عنه.

﴿١٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، قال
الفراء: هذا استثناء منقطع معناه:
لكن الذين صبروا ﴿وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم وإن نالهم شدة
صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا،
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم،
﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وهو الجنة.

ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهبة
فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح،
فجعل الماء على منها، ثم وضع
العرش على الماء. قال ضمرة:
إن الله تعالى كان عرشه على الماء
ثم خلق السموات والأرض، وخلق
القلم فكتب به ما هو خالق وما هو
كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب
سبح الله ومجده ألف عام قبل أن
يخلق شيئاً من خلقه. ﴿يَبْلُوكُمْ﴾،
ليختبركم وهو أعلم، ﴿إِنَّمَا أَحْسَنُ
عَمَلًا﴾، أعمل بطاعة الله وأورع عن
محارم الله تعالى. ﴿وَلَكِن قُلْتُ﴾،
يا محمد، ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ مِن بَعْدِ
الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُّيْنٌ﴾، يعنون: القرآن.
وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ساحر﴾،
يعنون محمداً ﷺ.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَكِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أَتَمُّ
مَعْدُودَةٍ﴾، إلى أجل محدود، وأصل

﴿١٣﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، يا محمد، ﴿تَارِكُ
بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، فلا تبخله
إياهم. وذلك أن كفار مكة لما
قالوا: ﴿أَنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾
[يونس: ١٥]، ليس فيه سب آلهتنا
هم النبي ﷺ أن يدع إلهتهم ظاهراً،
فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، يعني: سب
الآلهة، ﴿وَصَاحِقٌ فِيهِ صَدْرُكَ﴾، أي:
فلعلك يضيق صدرك ﴿أَن يَقُولُوا﴾،
أي: لأن يقولوا، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ
كُتُبًا﴾، ينفقه ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾،
يصدق، قاله عبد الله بن أبي أمية
المخزومي. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا آتَتْ
نَذِيرٌ﴾، ليس عليك إلا البلاغ، ﴿وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، حافظ.

﴿١٤﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، بل
يقولون اختلقه، ﴿قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورَةَ
يَسْجُودٍ مُّتَعَرِّجَةٍ﴾، فإن قيل: قد قال
في سورة يونس: ﴿فَأَنذَرْتُ بِسُورَةٍ
يَسْجُودٍ﴾ [يونس: ٣٨]، وقد عجزوا
عنه فكيف قال: ﴿فَأَنذَرْتُ بِسُورَةٍ
يَسْجُودٍ﴾، فهو كرجل يقول لآخر:
أعطني درهماً فيعجز، فيقول:
أعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد
قيل نزلت سورة هود أولاً. وأنكر
المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة
يونس أولاً، وقال معنى قوله في
سورة يونس: ﴿فَأَنذَرْتُ بِسُورَةٍ يَسْجُودٍ﴾
[يونس: ٣٨]، أي: مثله في الخبر
عن الغيب والأحكام والوعد
والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة
هود: إن عجزتم على الإتيان بسورة
مثله في الأخبار والأحكام والوعد
والوعيد فأنذروا بعشر سور مثله من غير
خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي

مجرد البلاغة، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَمْتُمْ﴾، واستعينوا بمن استطعتم، ﴿وَمَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْمُوا﴾، يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده. ﴿فَأَعْمُوا﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: مع المشركين، ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه، ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: من كان يريد بعلمه الحياة الدنيا، ﴿وَزِينَتَهَا﴾، نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل، ﴿تَوَفَّ إِلَيْهُمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا﴾، أي: توف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكافأة وما أشبهها. ﴿وَعَمْرُ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾، أي: في الدنيا لا ينقص حظهم.

﴿١٦﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾، أي: في الدنيا، ﴿وَنُطِلَّ﴾، ومأجنت، ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال مجاهد: هم أهل الرياء.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ». وقيل: هذا في الكفار، وأما المؤمن

فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبية، فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة.

وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا».

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ﴾، بيان، ﴿وَمِنْ رَيْبٍ﴾، قيل: في الآية حذف ومعناه: أفمن كان على يتيمة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها أو من كان على يتيمة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على يتيمة من ربه النبي ﷺ، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مُنْتَهُ﴾، أي: يتبعه من يشهد به بصدقه.

واختلفوا في هذا الشاهد، فقال ابن عباس، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام. وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده. وقال الحسين بن الفضل: هو القرآن ونظمه وإعجازه.

وقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال علي: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القرآن، فقال له رجل: وأنت أي شيء نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مُنْتَهُ﴾. وقيل: شاهد منه: هو الإنجيل. ﴿وَمِنْ قِيلِهِ﴾، أي: ومن قبل مجيء محمد ﷺ. وقيل: من

قبل نزول القرآن. ﴿كُنْتُ مُؤْمِنٌ﴾، أي: كان كتاب موسى، ﴿إِنَّمَا وَرَّثْتُمُ﴾، لمن أتبعها، يعني التوراة وهي مصدقة للقرآن شاهدة للنبي ﷺ، ﴿أُولَئِكَ يَقُولُونَ يَوْمَ﴾، يعني أصحاب محمد ﷺ. وقيل: أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ يَوْمَ﴾، أي: بمحمد ﷺ. وقيل: بالقرآن، ﴿مِنْ الْأَحْزَابِ﴾، من الكفار من أهل الملل كلها، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيايدي، أنا محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾، أي: في شك منه، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له ولداً أو شريكاً، أي: لا أحد أظلم منه أو كذب بآياته يعني القرآن، ﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: الكاذبين والمكذبين، ﴿يَقْرَأُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾، فيسألهم عن أعمالهم، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد. وعن ابن

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٧﴾ لَأَجْرُكُمْ أَتَمَّ فِي الْأَخْرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٣٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنَا إِلَّا بَشَرًا شَقِينًا وَمَا تَرْنَا إِلَّا الْآلِ الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَدْعُوا إِلَىٰ أَرَأَيْتُمُ الْأَرْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آيَةَ يَتَّبِعُونَ عَلَىٰ يَتَّبِعُونَ رَّبِّي وَاللَّهِ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنفَرْنَا كُفُّوا وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ ﴿٣٤﴾

الله، يمنعون عن دين الله، ﴿يَسْبُغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾، قال ابن عباس: سابقين. [وقال قتادة: هاربيين. وقال مقاتل: فائتين. في الأرض وما كان لهم من دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ]، يعني: أنصاراً وأعاوناً يحفظونهم من عذابنا، ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾، أي: يزداد، لهم، في عذابهم. قيل يضاعف العذاب عليهم لإضلالهم الغير والاتباع بهم.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، الهذلي. قال قتادة: صُمٌّ عن سماع الحق فلا يسمعون، وما كانوا يبصرون الهذلي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال: ما كانوا يستطيعون السمع، وهو طاعته، وفي الآخرة قال: فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، غَبَوْا أنفسهم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام. ﴿لَا جَرَمَ﴾، أي: حَقّاً. وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة، ﴿هُمْ فِي الْأَخْرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، يعني: من غيرهم، وإن كان الكل في الخسار.

عباس رضي الله عنهما: إنهم الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك. وقال قتادة: الخلائق كلها.

ورويانا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ [يوم القيامة] فيضع عليه كَفَفَهُ ويستره فيقول: [أي عبدي] أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنته».

وأما الكفار والمنافقون [فينادي بهم على رؤوس الخلائق] ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾، قال ابن عباس: خافوا. قال قتادة: أنابوا. قال مجاهد: أطمأنوا. وقيل: خشعوا. ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾، أي: لربهم، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾، المؤمن والكافر، ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا﴾، قال الفراء: لم يقل يستويان، لأن الأعمى والأصم في حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف المؤمن، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون.

﴿قوله تعالى:﴾ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: (أني) بفتح الهمزة، أي: باني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى القول: إني لكم نذير مبين.

﴿إِنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾، أي: مؤلم. قال ابن عباس: بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة. وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة. وقال مقاتل: بعث وهو ابن مائة سنة. وقيل: بعث وهو ابن خمسين سنة. وقيل: بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة، قال الله

تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَفَ سَنَةٍ إِلَّا حُمُوتٌ عَمَّا﴾ [العنكبوت: ١٤]، أي: فليت فيهم داعياً.

﴿٧﴾ وَقَالَ الْكَلَّا الَّذِينَ كَذَرُوا مِن قَوْمِي، والملاهم الأشراف والرؤساء، ﴿وَمَا زِلْنَاكَ﴾، يا نوح، ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾، آدمياً، ﴿وَنَلْنَا وَمَا زِلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَوْنَا﴾، سفلتنا، والردل: الدون من كل شيء، والجمع: أرذل، ثم يجمع على أرذل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: ﴿وَأَكْبَهَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاقة والأساكفة، ﴿بَاوَى الرَّأْيِ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿بادى﴾ بالهمز أي: أول الرأي يريدون أنهم أتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه أتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويفتكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿وَمَا زِلْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنظَرُكُمْ كَذِبَاتٍ﴾.

﴿٨﴾ قَالَ نُوحٌ: ﴿يَقُولُوا أَرْهَبُكُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ بَيَانٍ﴾، بيان، ﴿وَمِن رَّوَيْ وَآلَتْنِي رَحْمَةً﴾، أي: هدى ومعرفة، ﴿وَمِن عِنْدِهِ فَطَمِيتٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: خفيت والتبت عليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿فَطِيتٌ﴾ بضم العين وتشديد الميم، أي: شبيته وليست عليكم، ﴿أَلَمْ تَكُونُوا﴾، أي: أنلزمكم البينة والرحمة، ﴿وَأَنزَلْنَا كُرْهُوْنَ﴾، لا تريدونها. قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أن يلزموا قومهم الإيمان لألزمهم، ولكن لم يقدروا.

﴿٩﴾ قوله: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾، أي: على الوحي وتبليغ الرسالة، كناية عن غير مذكور، ﴿إِنْ أُخْرِيَ﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُبْغُونَ رَحْمَتَهُ﴾، أي: صائرهم إلى ربهم في المعاد فيجزى من طردهم، ﴿وَلَكِنْ أَشْتَكُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾.

﴿١٠﴾ وَيَقُولُوا مَن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ. من ينعني من عذاب الله، ﴿إِنْ كَرِهْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، تنعتلون.

﴿١١﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ، فأتني منها ما تطلبون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، فأخبركم بما تريدون. وقيل: إنهم لما قالوا لِنُوحٍ إن الذين آمنوا بك إنما أتبعوك في ظاهر ما ترى منهم، قال نوح [عليه الصلاة والسلام] مجيباً لهم: لا أقول لكم عندي خزائن غيوب الله، التي يعلم منها ما يضر الناس، ولا أعلم الغيب، فأعلم ما يسرونه في نفوسهم، فسبلي قبول ما ظهر من إيمانهم، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، هذا جواب قولهم: ﴿مَا زِلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَوَّجْتُمْ أَخْنِيتُمْ﴾، أي: تحتقره وتستصغره في أعينكم، يعني:

وَيَقُولُوا لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أُخْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَهُهُمْ مُلْغُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنْ أَشْتَكُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٩﴾ وَيَقُولُوا مَن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ كَرِهْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَوَّجْتُمْ أَخْنِيتُمْ لَكُمْ إِلَهُ خَيْرٌ إِلَهُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بَيِّنَاتٌ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُفْعِلٍ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٌ قَدْ جَاءَ بِرَبِّهِ فَكَذَّبَ وَإِنَّا بَنِيكُمْ أَتَمَنَّا بِمَا عَمِلُوا فَيَكُونُوا ﴿١٤﴾ وَأَوَّحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّمَا نُؤْمِنُ بِقَوْلِكَ الْإِنَّمَا فَذَلِكُمُ اللَّهُ فَلَا تَتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَافِ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَهُهُمْ فَيَكُونُوا مَقْتُولِينَ ﴿١٦﴾

٢٢٥

المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: هم أرادلنا، ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾، أي: توفيقاً وإيماناً وأجرًا، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، من الخير والشر مني، ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، لو قلت هذا.

﴿١٢﴾ قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْنَاكَ، خاصمتنا، ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بَيِّنَاتٌ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ، يعني: بالعذاب، ﴿وَمَا أَنَا بِمُفْعِلٍ﴾، ضافين.

﴿١٤﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي، أي: نصيحتي، ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، يضلحكم، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، له الحكم والأمر ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيجزىكم بأعمالكم.

﴿١٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحٌ قَدْ جَاءَ بِرَبِّهِ، قال

بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك وإعلة فإنهما هالكان مع القوم. وفي القصة: أن جبريل أتى نوحاً عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يأمر أن تصنع الفلك، فقال: كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال: إن ربك يقول اصنع فإنك بعيني، فأخذ القدم وجعل يصنع ولا يخطيء. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو الطائر.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَصْنَعُ الْفُلْكِ﴾، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القاذ وغيره، وجعل قومه يمزون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة؟ وأعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم ولد. وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه من أوزر وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً، والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا ويجعل فيه كوزى، ففعله نوح كما أمره الله عز وجل.

وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في ستين وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها

العصى من أبيه، فضرب نوحاً حتى شجّه شجرة منكرة، فأوحى الله عز وجل إليه: ﴿أَنْتَ كَنْزُكَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾، ﴿فَلَا تَيْتَسَّمْ﴾، فلا تحزن، ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فإني مهلكهم [ومنقذك منهم]، فحينئذ دعا نوح عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه: أنهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى

يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِكَلِمَةٍ أَتَكَلَّمُ بِهَا بِلَا حَسَبٍ لِي وَبِلَا حَسَبٍ لَكَ اللَّهُ أَتَقْبَلُ الْحُكْمَ مِنْ قَوْمِي﴾ [نوح: ٥]، إلهي أن قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فأوحى الله تعالى إليه:

﴿٣٧﴾ ﴿وَصْنَعُ الْفُلْكِ بِأَعْيُنِنَا﴾، قال ابن عباس: برأى منا. وقال مقاتل: بعلمنا. وقيل: بحفظنا. ﴿وَوَحَيْنَا﴾، أي: بأمرنا، ﴿وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الْيَمِينِ ظَلَمُوا لِأَنَّهُمْ تُفَرِّقُونَ﴾، بالطوفان، قيل: معناه ولا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت [في غيبي]

وَصْنَعُ الْفُلْكِ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَيْنِ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغْرِبُهُ وَيَعْلَمُ اللَّهُ عَذَابُ الْمُقْسِمِ ﴿٣٩﴾ حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ فَذَلَّلْنَاهَا أَجْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنَّا فَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَكْبَرُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُزْنُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَقْعَرِئَتِ النَّوْثِ أَزْكَى مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جِبَلٍ بَعْضُهُ مِنْ أَمَّا الْقَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّجَعَهُ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَنَسْمَاةَ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَغِيصَ الْأَمْرِ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدٌ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

ابن عباس رضي الله عنهما: يعني نوحاً عليه السلام. وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ. ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَقُلْ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: إسمي ووبال جزمي. والإجرام: كسب الذنب. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَحْكُمُونَ﴾، لا أواخذ بذنوبكم.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنْتَ كَنْزُكَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

روى الضحاك عن ابن عباس: أن قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط فيلقونه في لبد، ويلقونه في قعر بيت، يظنون أنه قد مات فيخرج [عليهم] في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل.

وروي أن شيخاً منهم جاء يتوكلًا على عصي ومعه ابنة فقال: يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون، فقال له: يا أبت أمكني من العصي، فأخذ

ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، [وجعل] في البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد. قال قتادة: كان بابها في عرضها.

وروي عن الحسن: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ست مائة ذراع. والمعروف هو الأول أن طولها ثلاثمائة ذراع. وعن زيد بن أسلم قال: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة سنة يعمل الفلك. وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة. وعن كعب الأحبار أن نوحاً عمل السفينة في ثلاثين سنة، وروي أنها كانت ثلاث طبقات، الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى فيها الإنس، والطبقة العليا فيها الطير، فلما كثرت أرواث الدواب شكا ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب القيل فغمزه فوق منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث فأكلاه، فلما وقع الفار بجوف السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها، أوحى الله تعالى أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفار فأكلاه.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً. وروي أنهم كانوا يقولون له: يا نوح ماذا تصنع؟ فيقول: أصنع بيتاً يمشي على

الماء، فيضحكون منه، ﴿قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ﴾، إذا عاينتم عذاب الله، ﴿كَمَا تَسَخَرُونَ﴾، فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني: إن تستجهلونني فإنني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا مني فسترون عاقبة سخرتكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يهينه، ﴿وَيُجْلَّ عَلَيْهِ﴾، يجب عليه، ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، دائم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْلَهَا﴾، عذابنا، ﴿وَقَارَ الثَّنُورُ﴾، اختلفوا في الثنور، قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء، فاز على وجه الأرض فاركب السفينة. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار الثنور أي: طلع الفجر ونور الصبح. وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه الثنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين.

ورواية عطية عن ابن عباس قال الحسن: كان تنوراً من حجارة، كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح عليه السلام، فقيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من الثنور فاركب السفينة أنت وأصحابك. واختلفوا في موضعه، قال مجاهد والشعبي: كان في ناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف: ما فار الثنور إلا من ناحية الكوفة. وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة. وكان الثنور على يمين الداخل مما يلي باب بني كندة، وكان فوراً الماء منه علماً

لنوح عليه السلام. وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة.

وروي عن ابن عباس: أنه كان بالهند. والفران: الغليان.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ائْتِلْ فِيهَا﴾، أي: في السفينة، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آتَيْنِ﴾، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر. يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين ههنا: الذكر والأنثى. قرأ حفص ههنا وفي سورة المؤمنين [٢٧]: ﴿مِنْ كُلِّ﴾، بالتونين، أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً. وفي القصة: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام قال: يا رب كيف أحمل من زوجين اثنين، فحشر الله إليه الوحوش والسباع والهوام والطير، فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى، فيحملها في السفينة، ﴿وَأَهْلَكَ﴾، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، بالهلاك يعني امرأته وأهله وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، يعني: واحمل من آمن بك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، واختلفوا في عددهم، قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية، نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام يافث، ونساؤهم. وقال الأعمش: كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنانين. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نساءهم،

نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعاً. وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفرًا، نوحاً وامراته وبنيه الثلاثة ونسائهم، فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان [في] سفينة نوح ثمانون رجلاً أحدهم جرهم. قال مقاتل: حمل نوح معه جسد آدم فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوحاً جميع الدواب والطيور ليحملها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس بذنبه، فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلم يستطع، حتى قال نوح: ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله، فقال: ما لك يد من أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك.

وروي عن بعضهم: أن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا، فقال: إنكما سبب الضر والبلاء، فلا أحملكما، فقالتا له: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرتهما.

قال الحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض، فأما ما يتولد من الطين من حشرات الأرض كالق و البعوض والذباب فلم يحمل منها شيئاً.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾، أي: قال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة، ﴿يَسِّرَ اللَّهُ مَجْرَبَهَا وَمُرسَهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿مَجْرَبَهَا﴾ بفتح الميم ﴿وَمُرسَهَا﴾ بضمها، وقرأ محمد بن محيصن «مجرها ومرساها» بفتح الميمين من جرت ورس، أي: بسم الله جريها ورسوها، وهما مصدران. وقرأ الآخرون: ﴿مُجْرَاهَا وَمُرسَهَا﴾ بضم الميمين من أجريت وأرست، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها وهما أيضاً مصدران؛ كقوله: ﴿أَنزَلْنِي مُزْكلاً مُبَارَكاً﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ﴿أَنزِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، والمراد منه الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿إِنَّ رَبِّي لَفَعُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال الضحاك: كان نوح إذا أراد أن تجري السفينة قال: بسم الله، فجرت وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله، فرست.

﴿وَيَقِي مَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام وكان كافراً، ﴿وَوَكَاتَ فِي مَعْرِلٍ﴾، عنه لم يركب السفينة، ﴿يَبْنِي أَرَكَبَ مَعَنَّا﴾، قرأ نافع وابن عامر وحمزة

عن عاصم ويعقوب: ﴿أَرَكَبَ﴾، بإظهار الباء والآخرين يدغمونها في الميم، ﴿وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فتهلك.

﴿قَالَ﴾ له ابنه: ﴿مَتَاوَى﴾، ساصير والتجىء، ﴿إِلَّا جَبَلٍ يَخَوِّضُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، يمعني من الغرق، ﴿قَالَ﴾ له نوح: ﴿لَا عَاوِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، قيل: ﴿يَرْ﴾ في محل الرفع، أي: لا مانع من عذاب الله إلا الله الرحيم. وقيل: ﴿يَرْ﴾ في محل النصب، معناه: لا معصوم إلا من رحمه الله؛ كقوله: ﴿فِي عَيْتِهِ رَأَيْنَا﴾ [الحاقة: ٢١]، أي: مرضية، ﴿وَسَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ﴾، فصار، ﴿وَمِنَ الْفَاقِينَ﴾.

ويروى: أن الماء علا على رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً. ويروى: أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء ذهب حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتهما رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي.

﴿وَقِيلَ﴾، بعدما تناهى أمر الطوفان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَعْلَىٰ أَشْرَبِي﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَعْلَىٰ أَشْرَبِي﴾، أمسكي، ﴿وَقِيلَ الْمَاءُ﴾، نقص ونضب، يقال: غاض الماء يغيض

غيبضاً إذا نقص، وغاضه الله أي أنقصه، ﴿وَفُتِنَ الْأَمْرُ﴾، فرغ من الأمر وهو هلاك القوم ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾، يعني: السفينة استقرت، ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿وَوَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِلْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾.

وروي أن نوحاً عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوق على جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح أن الماء قد نضب، فقل: إنه دعا على الغراب بالخوف فذلك لا يؤلف البيوت، وطوق الحمامة الخصرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان، فمن ثم تأمن وتألف البيوت.

وروي: أن نوحاً ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة [للعشر مضت من محرم] ستة أشهر، ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه، وهبطوا يوم عاشوراء، فصام نوح، ذلك العام وأمر جميع من معه بالصوم شكراً لله عز وجل.

وقيل: ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته. وكان سبب نجاته أن نوحاً احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج إليه من الشام، فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، وقسّد وعدتني أن تنجينني وأهلي؟ ﴿وَنَازِلٌ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾، لا خلف فيه، ﴿وَأَنْتَ

أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَنْتُحِ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قرأ الكسائي ويعقوب:

﴿عَمِلَ﴾ بكسر الميم وفتح اللام، ﴿غَيْرَ﴾ بنصب الراء على الفعل، أي: عمل الشرك والتكذيب. وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام وتنوينه، ﴿غَيْرَ﴾ برفع الراء معناه: أن سؤالك إيتي أن أنجيه عمل غير صالح، ﴿فَلَا تَنْتَنِي﴾، يا

نوح، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام ﴿فَلَا تَسْأَلُنَّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها. وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، وثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش ويعقوب الياء في الوصل ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، واختلفوا في هذا الابن، قال مجاهد والحسن: كان ولد جثث من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقرأ الحسن: ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ [التحريم: ١٠]، وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال: ﴿مِنْ أَهْلِي﴾، ولم يقل مني. وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك والأكثرون: إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط. وقوله:

قَالَ يَنْتُحِ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَنْتَنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتُكَلِّمَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ قِيلَ يَنْتُحِ إِبْرَاهِيمُ يَسْأَلُ نِسَاءَ وَرُكْبَتِكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمُورِهِمْ قَوْلُكَ وَأَمَّا سُنَنُهُمْ فَمِنْ نِسَائِهِمْ وَمَا عَذَابُ الْبَعِثِ ﴿١٨﴾ تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْقَبْرِ تُرِجِبُ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿١٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودٌ قَالَ يَقَوْمِ أَغْنَيْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَتُكَلِّمُ الْعِيِّينَ وَهُمْ يُفْتَرُونَ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنُوا لِي مِمَّا يَشْتَكُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَا وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، أي: من أهل الدين لأنه كان مخالفاً له في الدين. وقوله: ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ [التحريم: ١٠]، أي: في الدين والعمل لا في القراش. وقوله: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يعني: تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتُكَلِّمَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿قِيلَ يَنْتُحِ إِبْرَاهِيمُ﴾ انزل من السفينة، ﴿يَسْأَلُ نِسَاءَ﴾، أي: بأمن وسلامة منها، ﴿وَرُكْبَتِكَ عَلَيْكَ﴾، البركة هي ثبوت الخير ومنه برك البعير. وقيل: البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته، هم الباقين إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلَّ أُمُورَهُمْ مَعَكَ﴾، أي: على ذرية أمم ممن

يَسْتَفِرُّ، أي: ببرهان وحجة واضحة على ما تقول، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾، أي: بقولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا﴾ أي أصابك ﴿بِشَيْءٍ﴾، يعني: لست تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب آلِهتنا إلا أن بعض آلِهتنا اعتراك، أي: أصابك بسوء بخيل وجنون، وذلك أنك سببت آلِهتنا فانتقموا منك بالتخيل لا نحمل أمرك إلا على هذا، ﴿قَالَ لَهُمُ هُودٌ﴾: ﴿إِنِّي أَنشُدُ اللَّهَ﴾، على نفسي، ﴿وَأَنبَشِدُوا﴾ يا قوم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَكَيِّدُونِي جَمِيعًا﴾، فاحتالوا في مكري وضري أنتم وأوثانكم، ﴿فَنُرَا نُظَرُونَ﴾، [لا تؤخرون ولا تمهلون].

﴿إِنِّي قَوْلُكْتُ﴾، أي: اعتمدت، ﴿عَلَّ اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكَ مَا مِنْ دَآئِبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِي﴾، قال الضحاك: يحييها ويميتها. قال الفراء: مالكةا والقادر عليها. وقال القتيبي: يقهرها، لأن من أخذت ناصيته فقد قهرته. وقيل: إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنساناً بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا إذا أسروا إنساناً وأرادوا إطلاقه والمَنْ عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخراً عليه، فخطبهم الله بما يعرفون.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني: إن ربي وإن كان قادراً عليهم

أي: وأرسلنا إلى عاد، ﴿أَخَافُهُمْ هُودًا﴾، فسي النسب لا في الدين، ﴿قَالَ يَقُولُوا اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وخدوا الله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَقُونَ﴾، ما أنتم في إشراككم إلا كاذبون.

﴿يَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِ أَجْرٌ﴾، أي: على تبليغ الرسالة، ﴿أَجْرًا﴾، جعلاً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾، خلقتني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: آمنوا به، والاستغفار ههنا بمعنى الإيمان، ﴿ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ﴾، من عبادة غيره من سالف ذنوبكم، ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، أي: يرسل المطر متتابعاً مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة، ﴿وَيَرْزُقْكُمْ قُوَّةً لَكُمْ قُوَّتِكُمْ﴾، أي: شدة مع شدتكم. وذلك أن الله عز وجل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نسايتهم فلم يلدن، فقال لهم هود عليه السلام: إن آتتم [بالله] وحده وصدقتموني [أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالاً ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت، فيلدن فتزدادون قوة بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مَحْمِيَّتَ﴾، أي: لا تدبروا مشركين.

﴿قَالُوا يَكْفُؤُ مَا جِئْتَنَا

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِشَيْءٍ قَالَ إِنِّي أَنشُدُ اللَّهَ وَأَنبَشِدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٤٩﴾ مِنْ دُونِهِ. فَكَيِّدُونِي جَمِيعًا فَنُرَا نُظَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنِّي قَوْلُكْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكَ مَا مِنْ دَآئِبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِي إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَبَسْ خَلَفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٢﴾ وَلِلَّاهِلَةِ أَمْرٌ نَاجِيَتْ هَاهُودُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ رَحِمَهُ رَبِّي وَأُنْفِيتُهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ عَادٌ جَعَلُوا بَيْنَ رَبِّهِمْ وَغَصَصُوا نَسْلَهُمُ أَتَمْنَوْنَ أَنْ تَكُونَ جِبَارٌ عَلَيْهِمْ ﴿٥٤﴾ وَأَتَمْنَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ الْآلَاءِ عَادًا كَذَرَارٍ لَهُمْ لَا بَعْدَ لِلْعَادِ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٥٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَخْلَعَنَّ عَنْهُمْ صِلَحًا فَالْ يَقُولُوا اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَ مَنَ الْآدَمِيِّينَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ فَمَا اسْتَغْفِرُوا ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا إِلَهٌ غَيْرُهُ فَذَكَّرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِمَا عَمِلُوا قُلْ هَؤُلَاءِ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ مَا تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا مُّشْرِكًا ﴿٥٧﴾

كان معك في السفينة، يعني: وعلى قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة، يعني: من ولدك وهم المؤمنون، قال محمد بن كعب القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة، ﴿وَأَمُّمٌ سَتُمِعْتُهُمْ﴾، هذا ابتداء، أي: أمم سمعتهم في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ رَبُّنَا عَنْ عَذَابِ آلِهِمْ﴾، وهم الكافرون وأهل الشقاوة.

﴿وَنَالَتْ مِنَ آلِهَةِ الْقَبْرِ﴾، من أخبار الغيب، ﴿ثَوْبِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، من قبل نزول القرآن، ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح، ﴿إِنَّ الْآلِقَبْرِ﴾ آخر الأمر بالسعادة والنصرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، [لأهل التقوى].

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾﴾

فإنه لا يظلمهم ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانته. وقيل: معناه إن دين ربي إلى صراط مستقيم. وقيل: فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم ويحكمكم على صراط مستقيم.

﴿٥٧﴾ **إِنْ تَوَلَّوْا**، أي: تتولوا، يعني: تعرضوا عما دعوتكم عليه، **فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ** **إِنْ كُنتُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ**، أي: إن أعرضتم يهلككم الله عز وجل ويستبدل بكم قوماً غيركم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه، **وَلَا تَصْرُفْهُمْ شَيْئًا**، بتوليكم وإعراضكم إنما تضرّون أنفسكم. وقيل: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء، **إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَظِيزٌ**، أي: لكل شيء حافظ، يحفظني من أن تتالوني بسوء.

﴿٥٨﴾ **قوله تعالى: ﴿وَلَكُنَّا جَاهُ أُمَمٍ﴾**، عذابنا، **﴿نَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾**، وكانوا أربعة آلاف. **﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾**، وهو الريح التي أهلك بها عاداً، وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة، أي: كما نجّيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجّيناهم في الآخرة.

﴿٥٩﴾ **﴿وَلَكُلِّ عَادٌ﴾**، رذه إلى القبيلة، **﴿جَعَدُوا بِبَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ﴾**، يعني: هوداً وخذه، وذكره بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً واحداً كان كمن كذب جميع الرسل، **﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾**، أي: واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد. والجبار: المتكبر، والعنيد:

الذي لا يقبل الحق، يقال: عنّد الرجل يعنّد عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه. وقال أبو عبيدة: العنيد والعائد والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف.

﴿٦٠﴾ **﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لِقَعَّةٍ﴾**، أي: أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعة: هي الإبعاد والطرود عن الرحمة، **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**، أي: وفي يوم القيامة أيضاً لعنا كما لعنا في الدنيا والآخرة، **﴿آلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾**، أي: برّتهم، ويقال: كفرته

وكفرت به، كما يقال: شكرته وشكرت له ونصحته ونصح له. **﴿آلَ بَعْدًا لِمَا كُفِرَ هُوَ﴾**، قيل: بعداً من رحمة الله. وقيل: هلاكاً. والبعد له معنيان، أحدهما ضد القرب، يقال منه: بعدٌ يبعدُ بعداً، والآخر: بمعنى الهلاك، يقال: منه بعدٌ يبعدُ بعداً وبعداً.

﴿٦١﴾ **قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَدَّ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾**، أي: وأرسلنا إلى هود أخاهم صالحاً في النسب لا في الدين، **﴿قَالَ يَقُولُ اتَّبِعُوا اللَّهَ وَخُذُوا اللَّهَ عِزًّا وَجَلَّ﴾**، **﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾**، ابتدا خلقكم، **﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾**، وذلك أنهم من آدم عليه السلام وآدم خلق من الأرض، **﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾**، أي: جعلكم عماراً وسكانها. قال الضحّاك: أطال عمرهم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك قوم عاد. قال

سورة هود

سورة هود

قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْ رَبِّي وَأَنَّنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَصْرِفُ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَذَرُونَ غَيْرَ خَبِيرٍ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُ هَٰذِهِ نَافَةٌ لَّكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ لَا تَسْخُوهَا بِسُوءٍ فَاغْدُ كُ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٥٨﴾ فَمَقَرُّوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَذَابُكُمْ كَذُوبٌ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٠﴾ وَأَنذَرْتُكَ الْيَوْمَ ظُلُومَ النَّفْثَةِ فَاصْبِرْ مَا فِي دِينِكُمْ حَنِينٌ ﴿٦١﴾ كَانَ لَمْ يَنْقُزْ فِيهَا إِلَّا نَحْمُودُ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدُ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴿٦٢﴾ رَهَ الْيَوْمَ لَكُمْ أَنْصَلُ إِلَيْهِ نَكِرْتُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَظُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَآتَيْنَاهُمْ قَائِمَةً فَفَضَحَكُوا فَفُتِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقٍ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقُ يَعْقُوبُ ﴿٦٣﴾

مجاهد: أعمركم من العمري، أي: جعلها لكم ما عشت. وقال قتادة: أسكنكم فيها. **﴿فَأَسْتَفْرِهُ ثُمَّ تَبَوَّأَ إِلَيْهِ﴾** **﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾**، من المؤمنين، **﴿غَيْبٍ﴾** لدعائهم.

﴿٦٤﴾ **﴿قَالَ﴾**، يعني هود: **﴿يَصْلُحُ قَدْ كُنْتُ فِيهَا مَرْمُومًا قَبْلَ هَٰذَا﴾**، القول، أي: كنا نرجوا أن تكون سيداً فينا. وقيل: كنا نرجوا أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا: **﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾**، من قبل من الآلهة، **﴿وَلَكِنَّا لَنَبْذُرُكَ نَارًا تَلْقَوْنَ إِلَيْهَا مَرْمُومًا﴾**، موقع للريبة والتهمة، يقال: أربته إرباة إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة.

﴿٦٥﴾ **﴿قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْ رَبِّي وَأَنَّنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾**، نبوة وحكمة، **﴿فَمَنْ يَصْرِفُ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَذَرُونَ﴾**

الله، أي: من يمنعني من عذاب الله، ﴿إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال ابن عباس: ما تزيدوني غير بصارة في خسارتكم. قال الحسين بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال فما تزيدوني غير تخسير، وإنما المعنى ما تزيدوني بما تقولون من الفحش إلا نسبتي إليكم إلى الخسارة، والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

﴿وَيَقْوِرْ هَنَازِهِ نَاقَةً لَكُمْ ءَايَةً﴾، نصب على الحال والقطع، وذلك أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقةً عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولداً مثلها، وقد بيناه في سورة الأعراف، فهذا معنى قوله: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَهْلِ اللَّهِ﴾، من العشب والنبات فليست عليكم مؤونتها، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾، ولا تصيبوها بعقر، ﴿فَيُلْذِكْهُ﴾، إن قتلتموها، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَمَقَرَّوْهَا فَقَالَ لَهُمَ صَالِحٌ: ﴿تَسْتَعْتَبُونَ﴾، عيشوا، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾، أي: في دياركم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ثم تهلكون، ﴿ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، أي: غير كذب. روي أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم

الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، فاتاهم العذاب اليوم الرابع.

﴿قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَنُورًا بَيِّنًا مِّنْ أَعْيُنِهِمْ فَاصْبُحُوا بِرُحْمَةٍ مِّنْكُمْ﴾، بنعمة منّا، ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمِلُ﴾، أي: من عذابه وهوانه، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: ﴿خِزْيٍ يُؤْمِلُ﴾ و﴿عَذَابٍ يُؤْمِلُ﴾ [المعارج: ١١]، بفتح الميم. وقرأ الباقر بالكسر. ﴿إِنَّ رُبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ﴾.

﴿وَأَعَادَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿الضُّلُوعَ﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وإنما قال: ﴿فَيُلْذِكْهُ﴾ والصيحة مؤنثة، لأن الصيحة بمعنى الصياح. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينٍ﴾، صرعى هلكي.

﴿كَانَ لَمْ يَتَنَزَّ فِيهَا﴾، يقيموا ويكونوا فيها، ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (ثمود) غير منون، وكذلك في سورة الفرقان [٣٨] والعنكبوت [٣٨] والنجم [٥١]، ووافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقر بالتنوين، وقرأ الكسائي: ﴿لِثَمُودَ﴾ بخفض الدال والتنوين، والباقر بنصب الدال، فمن جزه فلانه اسم مذكر، ومن لم يجزه جعله اسماً للقبيلة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلُنَا لِيُزَيِّمَ بِالْبُشْرَى﴾، أراد بالرسل الملائكة عليهم السلام. واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس وعطاء: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقال الضحاك: كانوا تسعة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه سبعة. وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء وجوههم، ﴿بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة بإسحاق ويعقوب. وقيل: بإهلاك قوم لوط. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، أي: سلموا سلاماً، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿سَلَامٌ﴾ أي: عليكم سلام وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حَقَّ﴾ [البقرة: ٨٥، الأعراف: ١٦١] وقرأ حمزة الكسائي: «سلم» ههنا وفي سورة الذاريات [٢٥] بكسر السين بلا ألف. قيل: هو بمعنى السلام. كما يقال: جل وحلال، وجرم وخرام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب.

﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِثَلٍ حَنِيزٍ﴾، والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سميناً يسيل دسماً، كما قال في موضع آخر: ﴿فَمَا لَيْتَ بِعِثَلٍ سَيِّئٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾، أي: إلى العجل، ﴿تَكْرَهُمُ﴾، أنكرهم، ﴿وَأَوَّحَسَ﴾، أضمر، ﴿وَهُتَمُّ خِفَّةٍ﴾، خوفاً. قال مقاتل: وقع في

قلبه، وأصل الوجس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه. قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، يا إبراهيم، ﴿إِنَّا كَافِرُونَ﴾ ملائكة الله ﴿أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾، سارة بنت هاران بن أحمور وهي ابنة عم إبراهيم، ﴿فَأَيَّمْنَا﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم. ﴿فَضَحِكْتَ﴾، قال مجاهد وعكرمة: ضحكك، أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكك الأرنب، أي: حاضت. والأكثر أن على أن المراد منه الضحك [المعلوم] المعروف. واختلفوا في سبب ضحكها، فقيل: ضحكك لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

قال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم [منهم] وظنهم لصوصاً فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال إبراهيم: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام، وقال: حق لهذا أن يتخذ ربه خليلاً، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكك سارة، وقالت: يا عجبا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمهم لهم وهم لا يأكلون [من] طعامنا.

وقال قتادة: ضحكك من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم.

وقال مقاتل والكلبي: ضحكك من خوف إبراهيم من ثلاثة في بيته، وهو فيما بين خدمه وحشمه. وقيل: ضحكك سروراً بالشارة.

وقال ابن عباس وهب: ضحكك تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنّها ومن زوجها. وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وامرأته

قائمة فيشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكك، وقالت: يا ويلتي ألد وأنا عجوز؟ قوله تعالى: ﴿فَيَنْتَهِبَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾، أي: من بعد إسحاق، ﴿يَعْقُوبَ﴾، أراد به ولد الولد، فيشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمار فعل، أي: وهبنا له يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع [على حذف حرف الصفة]. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكك فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها ثجباً.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْ﴾، نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجبا، والأصل يا ويلتاه. ﴿أَلَدُّ وَأَنَا

قَالَتْ يَوَئَلَيْ أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخَانٌ هَذَا لَشَيْءٍ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتْ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ ابْنُ خَدَتَيْ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ أَنْزَلْنَاهُمْ نَعْلَمُ آوَةَ مُبْدِئٍ ﴿٧٥﴾ بِمَا زَكَّيْنَاهُمْ أَغْرَضْنَا عَنْ هَذَا إِلَهُ قَدَجَةً أَمْرًا رِيكًا وَإِنَّهُمْ لَأَنْتِهِمْ عَذَابٌ غَرِيظٌ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ دَرَأَوْا وَقَالَ هَذَا يَوْمُ عَصِيبٍ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَمْرُؤُونَ لِلْيَوْنِ قَتَلُوا نَفْسًا كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَرُوا هَؤُلَاءِ بِمَا هُنَّ الْمَرْكُوكَاتُ فَأَتَوْهُنَّ اللَّهُ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِنِ الْبَيْتِ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَرَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَتَقْدِرُ عَلَيْنَا مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّكَ لَفَتْنَاءٌ مُارِدٌ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رَجُلٌ شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُ رَبِّكَ إِن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَأُ بِهَذَا يَفْطَحُ مِنَ الْقَلْبِ وَلَا يَلْفُوتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ لَمَوْعَةٌ هُمْ السَّيِّئُونَ الْبَيْتِ السَّيِّئُ بَقَرٍ ﴿٨١﴾

عجوزاً، وكانت ابنة تسعين سنة، في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: تسعاً وتسعين سنة. ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾، أي: زوجي، سني بذلك لأنه قديم أمرها، ﴿شَيْخَانٌ﴾، نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: الملائكة [السارة]، ﴿أَنْتَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، معناه: لا تعجيبي من أمر الله، فإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً كان. ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أي: بيت إبراهيم عليه السلام. قيل: هذا معنى الدعاء من الملائكة، وقيل: على معنى الخير والرحمة والنعمة. والبركات جمع بركة، وهي ثبوت الخير. وفيه دليل على أن الأزواج من

أهل البيت. ﴿إِنَّهُمْ حَيَّدَ بِجِدَّةٍ﴾،
فالحميد: المحمود في أفعاله،
والمجيد: الكريم، وأصل المجد
الرفعة.

﴿٧٥﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾،
الخوف، ﴿وَمَلَأَتْهُ الْبَشَرُ﴾، يباسحاق
ويعقوب، ﴿يَجِدُونَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾،
فيه إضمار، أي: أخذ وظل بجادلنا.
قيل: معناه يكلّمنا لأن إبراهيم عليه
السلام لا يجادل ربّه عزّ وجلّ إنما
يسأله ويطلب إليه. وقال عامة أهل
التفسير: معناه يجادل رسلنا، وكانت
مجادلته أنه قال للملائكة أرايتم لو
كان في مدائن لوط خمسون من
المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا،
قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو
ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة،
قالوا: لا، قال: أرايتم إن كان فيها
رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قال:
لا، قال لهم إبراهيم عند ذلك: إن
فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن
فيها، لننجيه وأهله إلا امرأته كانت
من الغابرين.

﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِمٍ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾،
قال ابن جريج: وكان في قري قوم
لوط أربعة آلاف ألف، فقالت الرسل
عند ذلك لإبراهيم.

﴿٧٦﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْصَرْنِي مِنْ هَٰذَا﴾ أي
أعرض عن هذا المقال ودع عنك
الجدال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ وَكَانَ﴾،
عذاب ربك وحكم ربك، ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾
﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: غير مصروف عنهم.

﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾
رُسُلُنَا، يعني: هؤلاء الملائكة،

﴿لُوطًا﴾، على صورة غلمان مرد
حسان الوجوه، ﴿بِسَيِّئَةِ بَيْتِهِمْ﴾، أي:
حزن لوط بمجيبهم [يقال] سوءته
فسية، كما يقال: سررته فسر.
﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، أي: قلباً.
يقال: صاق ذرع فلان بكذا إذا وقع
في مكروه لا يطيق الخروج منه،
وذلك أن لوطاً عليه السلام لما نظر
إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم
أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم
بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى
المدافعة عنهم.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، أي:
شديد لأنه عصب به الشرّ والبلاء،
أي: شدّ.

قال قتادة والسدي: خرجت
الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام
نحو قرية قوم لوط فأتوا لوطاً نصف
النهار وهو في أرض له يعمل فيها.
وقيل: إنه كان يحتطب. وقد
قال الله تعالى للملائكة: لا تهلّكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أربع
شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم إلى
منزله، فلما مشى ساعة قال لهم: ما
بلغكم أمر أهل هذه القرية؟ قالوا:
وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرّ
قرية في الأرض عملاً، يقول ذلك
أربع مرات، فدخلوا معه منزله.

وروي: أنه حمل الحطب وتبعته
الملائكة فمرّ على جماعة من قومه
فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن
قومي أشرّ خلق الله، ثم مرّ على قوم
آخرين، فغمزوا، فقال مثله، ثم مرّ
بقوم آخرين فقال مثله، فكان كلما
قال لوط هذا القول قال جبريل
للملائكة: اشهدوا، حتى أتى منزله.

وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى
بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم
بذلك أحد إلا أهل بيت لوط،
فخرجت امرأته فأخبرت قومها،
وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما
رأيت مثل وجوههم قط.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾،
قال ابن عباس وقتادة: يسرعون إليه.
وقال مجاهد: يهرولون، وقال
الحسن: مشي بين مشيتين. قال
شمر بن عطية: بين الهرولة
والجزم. ﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾، أي: من قبل
مجيبهم إلى لوط، ﴿كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي﴾
﴿أَدْبَارِهِمْ﴾. ﴿فَقَالَ﴾ لهم لوط حين
قصدا أضيافه وظنوا أنهم غلمان:
﴿يَقُولُ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾،
يعني: بالتزويج، وفي أضيافه بناته
وكان في ذلك الوقت، تزويج
المسلمة من الكافر جائزاً كما زوج
النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب
وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي،
وكانا كافرين. وقال الحسين بن
الفضل: عرض بناته عليهم بشرط
الإسلام. وقال مجاهد وسعيد بن
جبير: قوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، أراد
[به] نساءهم وأضاف إلى نفسه لأن
كلّ نبي أبو أمته. وفي قراءة أبي بن
كعب: «النبي أوّلَى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وهو أب
لهم». وقيل: ذكر ذلك على سبيل
الدفع لا على [سبيل] التحقيق، أي:
لا تُسوؤوني ولا تفضّخوني في
أضيافي. ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾،
صالح سديد. قال عكرمة: رجل
يقول لا إله إلا الله. وقال ابن

إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، يا لوط، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: لسن أزواجاً لنا فنستحقهنّ بالنكاح. وقيل: معناه ما لنا فيهنّ من حاجة وشهوة. ﴿وَلَيْكَ لَتَعْلَمُنَّ مَا نُرِيدُ﴾، من إتيان الرجال.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط عند ذلك: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أراد قوة البدن أو القوة بالاتباع، ﴿أَوْ آوَى إِلَيَّ زُكْرِي شَدِيدٌ﴾، أي: أنضمّ إلى عشيرة مانعة. وجواب ﴿لَوْ﴾ مضمّر، أي: لقاتلناكم وحلنا بينكم وبينهم، قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبياً إلا في منعة من عشيرته.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو اليمان، أنبا شعيب بن أبي حمزة، أنبأنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى زكّن شديد».

قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسوّر الجدار، فلما رأَت الملائكة ما يلقي لوط بسبيهم.

﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾، إن زكّنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عزّ وجلّ في عقوبتهم، فأذن له،

فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من دُرّ منظوم، وهو براق الثنايا، أجلى الجبين، ورأسه حبك مثل المرجان، كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضرة، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم، فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرورنا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى منا غداً، يوعدونه. فقال لوط للملائكة: متى موعد إهلاكهم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلبو أهلكتموهم الآن، فقالوا: ﴿الْيَسَّ الْيَسَّ بِقُرَيْبٍ﴾، ثم قالوا: ﴿فَأَسِرْ﴾، يا لوط، ﴿بِأَهْلِكَ﴾، قرأ أهل الحجاز: «فأسر وإن أسر» بوصل الألف حيث وقع في القرآن من سرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري. ومعناها واحد وهو المسير بالليل ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل. وقال الضحاك: ببقية. وقال قتادة: بعد مضيّ أوله. وقيل: إنه السحر الأول. ﴿وَلَا يَلْقَوْنَ مِنكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا تَكُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «امراتك»، برفع التاء على الاستثناء من الالتفات، أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت،

وقالت: يا قوماه فأدركها حجر فقتلها. وقرأ الآخرون بنصب التاء على استثناء من الإساءة، أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها، وخلفها مع قومها، فإن هَوَاها إليهم، وتصديقه قراءة ابن مسعود: ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْقَوْنَ مِنكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ مُّصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿الْيَسَّ الْيَسَّ بِقُرَيْبٍ﴾.

﴿قوله﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن، وفيها أربعمائة ألف. وقيل: أربعة آلاف ألف، فرفع المدائن كلّها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب. فلم يُكفأ لهم إناء ولم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل عليها سافلها. ﴿وَأَنفَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أي على شذاذها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، ﴿جَعَلْنَا مِنْ سِجِّيلٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: (سك) وكل فارسي معرب. وقال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿لَنُرْسِلَنَّ عَلَيْكُمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]. قال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين. وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشددت. وقال الضحاك: يعني الآجر. وقيل: السجيل اسم السماء

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
حِجَابًا مِّن سِجَالٍ مَّتَّصُورٍ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ جَاءَ عَذَابُ رَبِّكَ
وَمَآ يَنصُرُهُمُ الْفَالِغِيُّ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ
شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُوا عِبْدًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَذَابٍ
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ﴿٨٥﴾ وَتَبْقَرُوا
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا
الْأَنفُسَ أَخْبَاءَ هُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا عَلَيْنَاكَ
يَحْيِيظُ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ مَاؤُنَا إِنَّا فَتَقَعْنَا فِي أُمُورِنَا مَا نَشْتَوِي
إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَبْقَرُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْرِفٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِن رَّبِّي حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أَخْلُقَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ كُفَرْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾

هذه الأمة، والله ما
أجار الله منها ظالماً بعد.
وفي بعض الآثار: ما من
ظالم إلا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة
إلى ساعة. زوي: أن
الحجر اتبع شذاهم
ومسافريهم، أين كانوا في
البلاد، ودخل رجل منهم
الحرم فكان الحجر معلقاً
في السماء أربعين يوماً
حتى خرج فأصابه
فأهلكه.

قوله عز وجل:
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾، أي: وأرسلنا
إلى ولد مديين، «أَخَاهُ
شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُوا عِبْدًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ
مِّنَ اللَّهِ عَذَابٍ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ»، أي: لا تبخسوا، وهم
كانوا يطففون مع شركهم، «إِنِّي
أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُ»، قال ابن عباس:
موسرين في نعمة. وقال مجاهد: في
خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة،
وغلاء السعر وحلول النعمة، إن لم
يتوبوا. «وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ تُحِيطُونَ»، يحيط بكم فيهلككم.

﴿وَتَبْقَرُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ﴾، أنتموهما، «وَالْقِسْطُ»،
بالعدل. وقيل: بتقويم لسان الميزان،
﴿وَلَا تَبْخُسُوا﴾، لا تنقصوا،
﴿الْأَنفُسَ أَخْبَاءَ هُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ﴾.

﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: يعني ما أبقي الله
لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل

الدنيا. وقيل: هو جبال في السماء،
قال الله تعالى: ﴿وَيُزَلِّزُ مِنَ السَّمَاءِ مِ
نَ الْجِبَالِ فِيهَا مِن بَرَرٍ﴾ [النور: ٤٣]. قوله
تعالى: «مَتَّصُورٍ»، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: متتابع يتبع بعضه
بعضاً مفعل من التضد، وهو وضع
الشيء بعضه فوق بعض.

﴿ثُمَّ جَاءَ عَذَابُ رَبِّكَ﴾، من نعت
الحجارة وهي نصب على الحال،
ومعناها معلمة. قال ابن جريج:
عليها سيما لا تشاكل حجارة
الأرض. وقال قتادة وعكرمة: عليها
خطوط حمراء على هيئة الجزع. وقال
الحسن والسدي: كانت مختومة
عليها أمثال الخواتيم. وقيل:
مكتوب على كل حجر اسم من رمى
به. «عَذَابُ رَبِّكَ وَمَآ يَنصُرُهُمُ
الْفَالِغِيُّ»، يعني: تلك الحجارة، «مِنَ الْفَالِغِيِّ»،
أي: من مشركي مكة، «يَبْعِدُ»،
وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي

والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف.
وقال مجاهد: «يَقِيَّتُ اللَّهُ»، أي:
طاعة الله «خَيْرَ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ»، بأن ما عندكم من رزق الله
وعطائه. «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ»،
بوكيل. وقيل: إنما قال ذلك لأنه لم
يؤمر بقتالهم.

﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُكَ
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ مَاؤُنَا﴾،
من الأوثان. قال ابن عباس
رضي الله عنهما: كان شعيب عليه
السلام كثير الصلاة، لذلك قالوا
هذا. وقال الأعمش: يعني
أقراءك.

﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِي﴾،
أو أن تترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء
من الزيادة والنقصان. وقيل: كان
شعيب عليه السلام قد نهاهم عن قطع
الدنانير والدراهم، زعم أنه محرم
عليهم فقالوا: أو أن نفعل في أموالنا ما
نشاء من قطعها.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾،
قال ابن عباس رضي الله عنهما:
أرادوا السفية الغاوي، والعرب
تصف الشيء بضده فتقول: للدينغ
سليم وللغلاة مفازة. وقيل: قالوه
على وجه الاستهزاء. وقيل: معناه
الحليم الرشيد بزعمك. وقيل: هو
على الصحة أي إنك يا شعيب فينا
حليم رشيد، لا يجعل بك شق عصا
قومك ومخالفة دينهم، وهذا كما قال
قوم صالح عليه السلام: «قَدْ كُنْتَ
فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا» [هود: ٦٢].

﴿قَالَ يَبْقَرُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ

عَلَى يَتَنَفَّسُ، بصيرة وبيان، ﴿مِنْ رَبِّي
وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، حلالاً.
وقيل: كثيراً. كان شعيب عليه
السلام كثير المال. وقيل: الرزق
الحسن: العلم والمعرفة. ﴿وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أَخْلُقَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾،
أي: ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم
أرتكبه. ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾، ما أريد فيما
أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِلَّا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ
مَا اسْتَلَقْتُمْ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾،
والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد
وتسهيل سبيل الخير والطاعة، ﴿عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾،
أرجع فيما ينزل بي من النوائب.
وقيل: في المعاد.

﴿وَيَقُولُ لَا يَحْمِلْنَاهُمْ﴾، لا
يَحْمِلْتُمْ، ﴿شِقَاقٍ﴾، خلافي ﴿أَنْ
يُضِيبَكُمْ﴾، أي: على فعل ما
أنهاكم عنه [يفصيبكم]، ﴿يَنْتَلِ مَا
أَصَابَ قَوْمَ ثُوجٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ
قَوْمَ هُودٍ﴾، من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ
صَالِحٍ﴾، من الضيحة، ﴿وَمَا قَوْمٌ
لُوطٍ يُنْصِرُكُمْ يُبْعِدُ﴾، وذلك أنهم
كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط.
وقيل: معناه وما دار قوم لوط منكم
ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم
لوط.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا﴾
إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ، والودود
له معنيان، أحدهما: أنه محب
للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى المودود
أي المحبوب للمؤمنين. وجاء في
الخبر: إن شعبياً عليه السلام كان
خطيب الأنبياء عليهم السلام.

﴿قَالُوا يَسْعَىٰ مَا نَفَقَهُ﴾

[أي:] ما نفهم، ﴿كَيْفَا
 مَتَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنًا
 ضَعِيفًا﴾، وذلك أنه كان
 ضريب البصر، فأرادوا
 ضعف البصر، ﴿وَلَوْلَا
 رَحْمَتُكَ﴾، عسيرتك وكان
 في منعة من قومه،
 ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾، لَقَتَلَنَّكَ.
 والرجم: أقبح القتل.
 ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا﴾، عندنا،
 ﴿بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَنْفَرُوا اِرْطَیْ
اَعَزُّ عَلَیْكُمْ مِنْ اللّٰهِ﴾،
ای: امکان رهطی اهیب
عندکم من الله، إن ترکتم

(٤٧) ﴿وَتَقْوُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَائِكُمْ﴾، أي: على تودتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على مكانه إذا عمل على تودة وتمكن. ﴿إِنِّي عَيْلٌ﴾، على تمكني، ﴿سَوْفَ تَقْلَبُونَ﴾، أي: الجاني على نفسه والمخطيء في فعله، فذلك قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يَدُلُّهُ، وَنَسِئْتُ هُوَ كَذِبٌ﴾، قيل: ﴿مَنْ﴾ في محل نصب، أي: فسوف تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويدوق وبال أمره. ﴿وَارْتَبِعُوا﴾، وانتظروا العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾

وَيَقُولُ لَا يَحِرمُكُمْ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
بِشَيْءٍ ﴿٣١﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَبِّتُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٣٢﴾ قَالُوا أَيْ شَيْءٍ مَانِعُهُ كَثِيرٌ إِنَّمَا نَقُولُ
وَأِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
عَلَيْهَا بِعَزِيزٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَقُولُوا أُعْطِيَ عَنْكَ كَيْفَ مِنْ
أَلَّهِ وَاتَّخَذُوا شُرَكَاءَ رَبِّهِمْ يَتَّبِعُونَ ﴿٣٤﴾ رَبِّ يَمَّا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٣٥﴾ يَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَسْلَمُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُغْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ وَأَنْ يَقُولُوا إِنِّي نَعَمَكُمُ زَيْتٌ ﴿٣٦﴾ وَلَسَاجِدَةٌ
أَمْرًا كَيْفَ تَشَاءُ وَالَّذِينَ دَامُوا مَعَهُ مِنْهُمْ وَمَا أَخَذُوا
الَّذِينَ طَلَعُوا الْأَصْنَمَ فَأَصْبَحُوا بِدِينِهِمْ حَبِيبٌ ﴿٣٧﴾
كَانَ لِرَبِّهِمْ أَلَا أَعْلَمُ الَّذِينَ كَانُوا بِدِينِهِمْ نَصْرًا وَكَذَلِكَ
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَأْنَا بَدَنَهُ الْمَاءَ فَمَدَّهُ عَلَيْهِمْ وَجِئُوا بِفِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٣٩﴾

رَقِيبٌ ﴿۱﴾، منتظر.

﴿وَلَكَا جَلَّةَ أَمْرًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ شَعْبِنَا﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يَرْجِعُوا إِلَيْنَا وَالْحَدِيثُ
الَّذِينَ ظَنَّمُوا الْقِيَمَةَ، قيل: إن
جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
فخرجت أرواحهم. وقيل: أنتهم
صيحة من السماء فأهلكتهم.
﴿فَأَصْبَحُوا فِي زُجُجِهِمْ﴾
ميتين.

﴿٤٥﴾ كَانَ لَمْ يَنْتَوَا ، [اي: كَانَ
لَمْ يَقِيمُوا] وَلَمْ يَكُونُوا ، ﴿وَيْلٌ أَلَا
بُذَا ، هَلَاكَ ، لَمَنْ كَمَا بَعْدَتْ ،
هَلَكْتُ نَبُذَ﴾ .

﴿٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ﴾، حجة سنة.

﴿١٧﴾ إِنَّكَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأَيْهِ قَابِئُوْا
أَمْرُ فِرْعَوْنٍ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ

بالباء، ﴿لَا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ﴾، [أي: معلوم عند الله تعالى].

﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾، قرىء بإثبات الباء وحذفها، ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أي: لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ فَنَبَّهَهُمْ﴾ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، أي: فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري، أنبأنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أنبأنا عبد الرزاق، أنا [معمّر عن منصور،

عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا مَخْضَرَةً علينا رسول الله ﷺ وبه مَخْضَرَةٌ فجاء فجلس ثم نكث بها الأرض ساعة، ثم قال: «ما من نفس متفوسية إلا وقد كُتِبَ مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كُتِبَتْ شقية أو سعيدة». قال: فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا يا رسول الله ونذع العمل؟ قال: «لا، ولكن اغملوا فكل ميسر لما خُلِقَ له، أما أهل الشقاوة فيسيرون لعمل أهل الشقاوة، وأما أهل السعادة فيسيرون لعمل أهل السعادة»، قال: ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَطَاعَ وَأَتَىٰ ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَقَرَّ ﴿١٠٤﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِيَسِّرَ ﴿١٠٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴿١٠٢﴾ وَاسْتَقَرَّ ﴿١٠١﴾ وَكَذَّبَ ﴿١٠٠﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِيَسِّرَ ﴿٩٩﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

والهلاك، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالَهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَنَا جَاءَ أَثَرُ رَبِّكَ﴾، عذاب ربك، ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَبْسِيرٍ﴾، أي: غير تخسير، وقيل: تدمير.

﴿وَكَذَلِكَ﴾، وهكذا، ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة بن الفضل، أنبأنا أبو معاوية، أنبأنا يزيد بن أبي بردة، [عن أبي بردة] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ الآية.

﴿١٠٢﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعبارة، ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿وَكَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾، أي: يشهده أهل السماء والأرض.

﴿وَمَا يُؤَخِّرُهُ﴾، أي: وما يؤخره تؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة. وقرأ يعقوب: وما يؤخره

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُشْسُ الْوُرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٠٥﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشْسُ الْوُرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٠٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالَهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَثَرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَبْسِيرٍ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴿١٠٠﴾ وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿٩٩﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَأَن تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ فَنَبَّهَهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٩٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي أَنْفُسِهِمْ فَهَارِيقٌ وَهَاشِقٌ ﴿٩٧﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ أَسْمُونُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبِّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٩٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْآخِرَةِ فَهِيَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ أَسْمُونُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبِّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوفٍ ﴿٩٥﴾

﴿٩٨﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ، يتقدمهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾، فادخلهم، ﴿النَّارَ وَيُشْسُ الْوُرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي: بس المدخل المدخول فيه.

﴿٩٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ، [أي: في هذه الدنيا] لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشْسُ الْوُرْدُ الْمَوْرُودُ، أي: العون المعان. وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة.

﴿١٠٠﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ، عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب. وقيل: منها قائم بقيت الشيطان وسقطت السقوف. وحصيد، أي: انمحي أثره. وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد بمعنى محصود.

﴿١٠١﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ، بالعذاب

﴿قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره إذا رذده في جوفه. وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.

﴿١٠٧﴾ ﴿خَلِيلَيْكِ فِيهَا﴾، لابشين مقيمين فيها، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الضحاك: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك فأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض. وقال أهل المعاني: هذا عبارة عن التأييد على عادة العرب، يقولون: لا آتيك ما دامت السموات والأرض، ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار، يعنون أبداً. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من الموحدين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس، لأن الذين أخرجوا من النار سعداء ثم استثناهم الله من جملة الأشقياء، وهذا كما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد [المليحي، أنبأنا أحمد] بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن

عمر، ثنا هشام، عن قتادة، عن أنس: عن النبي ﷺ قال: «لَيُصِيبَنَّ أقواماً سفعٌ من النار بذنوب أصابوها، عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، فيقال لهم الجهنميون».

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، قال: أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مُسَدَّد، أخبرنا يحيى، عن الحسن بن ذكوان، أنبأنا أبو رجاء، حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ قومٌ من النار بشفاعَةِ محمدٍ فيدخلون الجنة ويسمون الجهنمين».

وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة. وقيل: إلى ما شاء ربك من الفريقين من تعميمهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار، يعني: هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار. وقيل: معنى إلا ما شاء ربك [أي] سوى ما شاء ربك، معناه: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، وكما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا. وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء

في النار هؤلاء في الجنة؛ كقوله: ﴿وَلَا يَكُنْ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]، أي: ولا الذين ظلموا. وقيل: معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود. وقال الفراء: هذا استثناء الله ولا يفعله؛ كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿سُودُوا﴾، بضم السين وكسر العين، أي: رُزِقُوا السعادة، وسعد وأسعد بمعنى واحد. وقرأ الآخرون بفتح السين قياساً على ﴿شَقُّوا﴾ [هود: ١٠٦]. ﴿فَقِي لَكِنَّهُ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال الضحاك: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة. قال قتادة: الله أعلم بشيئه. ﴿عَطَاةٌ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ﴾، أي: غير مقطوع. قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَاةٌ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله. ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل

أمرت، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، أي: ومن آمن معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أنا والذي إملأ، ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن العلاء ابن كريب، ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنْتُ بالله ثم استقم».

﴿وَلَا تَقْفُوا﴾، لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني. وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت. ﴿إِنَّكُمْ يَمَّا تَقْمَلُونَ بَعِيدٌ﴾، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيتني هود وأخواتها».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد السلام بن مطهر، ثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري،

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يَشَادَ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ،

ونافع وأبو بكر: ﴿وَرَأَى كَلًّا﴾، ساكنة النون على تخفيف إن الشقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿لَمَّا﴾ شدها هنا وفي يس والطارق، ابن عامر وعاصم وحزمة. ووافق أبو جعفر ههنا، وفي الطارق وفي الزخرف، بالتشديد عاصم وحزمة، والباقون بالتخفيف، فمن شدد [قال: الأصل فيه ﴿وَرَأَى كَلًّا﴾] لمن ما، فوصلت من الجارة بما، فانقلبت النون ميماً للإدغام، فاجتمعت ثلاث

ميمات فحذفت إحداهن، بقيت لما بالتشديد، و﴿ما﴾ ههنا بمعنى من، هو اسم لجماعة من الناس، كما قال تعالى: ﴿فَأَكْبَهُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣]، أي: من طاب لكم، والمعنى: وإن كلاً لمن جماعة ليوفيتهم. ومن قرأ بالتخفيف قال: ﴿ما﴾ صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما، والمعنى: وإن كلاً ليوفيتهم. وقيل ﴿ما﴾ بمعنى من، تقديره: لمن ليوفيتهم، واللام في ﴿لما﴾ لام التأكيد، [التي تدخل على خبر إن]، وفي ليوفيتهم لام القسم، [والقسم مضمرة] تقديره: والله، ﴿يُوفِّيْتُمْ رَبِّكَ أَعْمَلْتُمْ﴾، أي: جزاء أعمالهم، ﴿إِنَّكُمْ يَمَّا يَمْلِكُونَ خَيْرٌ﴾.

﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾، أي: استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما

فَلَا تَكُ فِي مَرْيُومَ مَتَاعٍ هَؤُلَاءِ مَا يَبْذُونَ إِلَّا كَمَا يَبْذُو آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا لِكَلِمَةٍ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُوصٍ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كَلَامَنَا لَوْ يَفْقَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلْتُمْ إِنَّا بِمَا يَمْلِكُونَ خَيْرٌ ﴿١١١﴾ فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَقْفُوا إِنَّا بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَوَلَا تَمْنِ الْيَلِيلَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ ذُرِّيَّتُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلَّذِينَ أُوتُوا الصِّدْقَ مِنْ رَبِّكَ لِيُضْطَبِعَ لِمِ الْأَمْوَالِ الْمُنْحَرِفِينَ ﴿١١٤﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَبْذُونَ عَنْ الْقَسَدِ فِي الْأَرْضِ لَا يَسْتَوُونَ مَعَ آبَائِهِمْ وَهُمْ وَالْأَنْصَابِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِمْ وَكَانُوا تَجَرِمِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحِرُونَ ﴿١١٦﴾

الإيمان. وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً.

﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيُومَ﴾، فسي شك، ﴿وَمَا يَبْذُو هَؤُلَاءِ﴾، أنهم ضلال، ﴿مَا يَبْذُونَ إِلَّا كَمَا يَبْذُو﴾ فيه إضمار، أي: كما كان يعبد، ﴿وَأَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، حظهم من الجزاء. ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾، فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن، يُعْزِي نبيّه ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿لَقُوصٍ بَيْنَهُمْ﴾، أي: لغذبوا في الحال وفرغ من عذابهم وإهلاكهم، ﴿وَأَنَّكُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾، موقع في الريبة والتهمة.

﴿وَرَأَى كَلًّا﴾، قرأ ابن كثير

فَسَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَأَبْشِرُوْا وَاسْتَغْنُوا
بِالْغَدُوَّةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلَاجَةِ». **١١٣**
قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا
إِلَّآ الْكَلْبَينَ ظُلُمًا﴾، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: ولا تميلوا.
والركوب: هو المحبة والميل
بالقلب. وقال أبو العالية: لا ترضوا
بأعمالهم. قال السدي: لا تدهنوا
الظلمة. وعن عكرمة: لا تطيعوهم،
وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا.
﴿فَتَسْكَبُوا﴾، فتصيبكم، ﴿فَتَأْتِيكُمْ
لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْيَةٍ﴾،
أي: أعوان يمنعونكم من عذابه،
﴿فَتَرَى لَآ تَصْرُوتُ﴾.

١١٤ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ
الْمَصَلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾، أي: الغداة
والعشي. يعني: صلاة الصبح
والمغرب قال مجاهد: طرفا النهار
صلاة الصبح والظهر والعصر.
﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، صلاة المغرب
والعشاء. وقال مقاتل: صلاة الفجر
والظهر طرف، وصلاة العصر
والمغرب طرف، وزلفا من الليل
يعني صلاة العشاء. وقال الحسن:
طرفا النهار الصبح والعصر، وزلفا
من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن
عباس رضي الله عنهما: طرفي النهار
الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح
والمغرب. قوله: ﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾،
أي: ساعاته واحدها زلفة وقرأ أبو
جعفر: ﴿زُلْفَا﴾ بضم اللام. ﴿إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني: إن
الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات.

وروي أنها نزلت في أبي اليسر،
قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلتُ
لها: إن في البيت تمرًا أطيب منه،

فدخلت معي في البيت، فأهرِيتُ
إليها فقبلتها، فأتيتُ أبا بكر
رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال:
استر على نفسك وثب، فأتيتُ عمر
رضي الله عنه فذكرت ذلك له،
فقال: استر على نفسك وثب، فلم
أصبر فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فذكرتُ
ذلك له، فقال: أخلفتُ غازيًا في
سبيل الله في أهله بمثل هذا، حتى
ظنُّ أنه من أهل النار؟ فأطرق
رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه:
﴿وَأَنذِرْ الْمَصَلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ
الَّيْلِ﴾ الآية، فقال أصحاب
رسول الله ﷺ: ألهذا خاصة أم
للناس عامة؟ قال: «بل للناس
عامة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، أنبأنا قتيبة بن
سعيد، ثنا يزيد بن زريع، عن
سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي
عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن
رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى
النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى:
﴿وَأَنذِرْ الْمَصَلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ
الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾،
فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟
قال: «لجميع أمتي كلهم».

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر،
أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنا
محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا
إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا
مسلم بن الحجاج، حدثني أبو
الطاهر، وهارون بن سعيد الأيلي
قالا: حدثنا ابن وهب، عن أبي

صخر، أن عمر بن إسحاق مولى
زائدة حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة:
أن رسول الله ﷺ كان يقول:
«الصلوات الخمس والجمعة إلى
الجمعة ورمضان إلى رمضان
مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت
الكبائر».

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
[أبو] محمد الحسن بن أحمد
المخلدي أنبأنا أبو العباس محمد بن
إسحاق [السراج] أنبأنا قتيبة، أنبأنا
الليث ويكر بن مضر عن ابن الهادي
عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن
أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي
هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:
«أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم

يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل
يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى
من درنه شيء، قال: «فكذلك مثلُ
الصلوات الخمس، يمحو الله بهنُ
الخطايا».

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ﴾، أي:
ذلك الذي ذكرنا. وقيل: هو إشارة
إلى القرآن، ﴿وَذَكَّرَى﴾ عظة
﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾، أي: لمن ذكره.

١١٥ ﴿وَأَمَّا﴾ يا محمد على ما
تلقى من الأذى. وقيل: على
الصلاة، نظيره: ﴿وَأَمَّا أَهْلَكَ بِالْمَسَلَةِ
وَأَمَّا عَنَّا﴾ [طه: ١٣٢]. ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرٌ الْمُتَعِينِينَ﴾، فهي
أعمالهم. وقال ابن عباس رضي الله
عنهما: يعني المصلين.

١١٦ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا﴾،
فهلا، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾، السني
أهلكناهم، ﴿مِّن قَبْلِكُمْ﴾، الآية
للتوبيخ، ﴿وَلَوْلَا بَقِيَّتِي﴾، أي: أولو

للاختلاف. وحاصل الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون، فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف.

﴿وَمَتَّ كَلِمَةً إِلَيْكَ﴾، وتم حكم ربك، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيَّ مِنْ آيَاتِهِ الرَّسُولَ﴾، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من آباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أمهم نقصها عليك، ﴿مَا تَثْبُتُ بِهِ فُؤَادُكَ﴾، لثبت به فؤادك، لتزيد يقيناً ونقوي قلبك، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه. ﴿رَبِّكَ لَا فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾، قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا. وقال غيرهما: في هذه السورة. وهذا قول الأكثرين، خص هذه السورة تشريفاً، وإن كان قد جاء الحق في جميع السور. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾، أي: وجاءتك موعظة، ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، أمر تهديد ووعيد، ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾.

﴿وَأَنْظِرُوا﴾، ما يحل بنا من رحمة الله، ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾، ما يحل بكم من نعمة الله.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: [علم] ما غاب عن العبادة فيهما، ﴿وَلِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾، فسي المعاد. قرأ نافع وحفص: ﴿يَرْجِعُ﴾.

بضم الياء وفتح الجيم، أي: يرد. قرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي:

ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة. ﴿وَكَاؤُوا تَجْرِيَةً﴾، كافرين.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أي: لا يهلكهم بشركهم، ﴿وَأَهْلُهَا مُطِيعُونَ﴾، فيما بينهم يتعاطون الأنصاف ولا يظلم بعضهم بعضاً، وإنما يهلكهم إذا تظالموا.

وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على دين واحد، ﴿وَلَا يَزَالُونَ خَتَلَفِينَ﴾، على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرک.

﴿وَلَا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، معناه:

لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِلَّهِ خَلْقُهُمْ﴾، قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير. وقال أبو عبيدة: الذي اختاره قول من قال: خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم. وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ خَتَلَفِينَ ﴿١١٨﴾ أَلَا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِلَّهِ خَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَلَا تَقْصُصْ عَلَيَّ مِنْ آيَاتِهِ الرَّسُولَ مَا تَثْبُتُ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ الْاِنْشِاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّبِّكَ ؕ اِنَّكَ اِلَيْهِ تَكْتَبُ ﴿١﴾ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ قُوَّةً نَّاعْرِبُنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ مَن نَّقْصُصْ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ يَمَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ اِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ اِذْ قَالَ يُوْسُفُ لَا يَبْرَأَتِي اِي رَبِّ اَنْتَ اَحَدُ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اٰتَيْنَهُمَا لِيٰ سَجْدَةٍ ﴿٤﴾

١٢٤

تمييز. وقيل: أولو طاعة. وقيل: أولو خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير. معناه: فهلاً كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهي عن الفساد في الأرض؟ وقيل: معناه أولو بقية من خير. يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة.

﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحد، أي: لم يكن فيهم أولو بقية. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن قليلاً، ﴿يَتَّبِعُونَ أَجْيَاكُمَا يَتَّبِعُهُمْ﴾، وهم أتباع الأنبياء كانوا ينهون عن الفساد في الأرض. ﴿وَأَتَّبِعِ الْاَوَّلَ تَطْلُؤًا مَا أَتْرَفُوا﴾، نعيموا، ﴿فِيهِ﴾، والمترف: المتعم. وقال مقاتل بن حيان: خولوا. وقال الفراء: عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا، أي: واتبع الذين ظلموا

يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون
للخلق أمر.

﴿فَاعْبُدْهُ وَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وثق
به، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾،
قرأ أهل المدينة وأهل الشام وحفص
ويعقوب: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء ههنا
وفي آخر سورة النمل. وقرأ
الآخرون بالياء فيهما. قال كعب:
خاتمة التوراة خاتمة سورة هود.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو كريب محمد بن العلاء، ثنا معاوية بن هشام، عن شيبان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شئت، فقال ﷺ: «شيتني هوذ، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت».

ويروى: «شيتني هوذ وأخواتها».

❖ ❖ ❖

سورة يوسف

سورة يوسف عليه السلام مكية
وهي مائة وإحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَكُنِ الْيَتِيمَ الَّذِي يَتَرَبَّصُ بِأَعْيُنِنَا ذِكْرَكَ ۚ وَاللَّهُ ابْنُكَ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَحُدُودُهُ وَأَحْكَامُهُ. قَالَ قَتَادَةُ: مَبِينٌ وَاللَّهُ بَرَكَتَهُ وَهَدَاهُ وَرَشَدَهُ، فَهَذَا مِنْ بَانَ أَيُّ: ظَهَرَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَبِينٌ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْحَلَالُ مِنَ

الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَسْوَءُ بَالٍ لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني الكتاب،
﴿وَرَوَاهُ عَنِّي لَكُمْ مَقُولٌ﴾، أي:
انزلناه بلغتكم، لكي تعلموا معانيه،
وتفهموها ما فيه.

﴿تَمَّ نَفْسُ عَلَيْكَ﴾، أي: فقرأ، ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه، معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان. وقيل: المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سمّاها أحسن القصص لِمَا فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للذّين والدنيا، من سير الملوك والممالك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء. وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد. قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم عليهما السلام يتفكّه بهما أهل الجَنّة في الجَنّة. وقال ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا

[illegible]

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ زَلَّ حَسَنَ الْكَلِمِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فقالوا: يا

رسول الله لو قصصت علينا،
فأنزل الله عز وجل: ﴿تَحْسَبُ أَنَّ نَفْثَ
عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فقالوا: يا
رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله عز
وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِرِجْزِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

❶ قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، أي: اذكر إذ قال يوسف لأبيه، ويوسف اسم أعجمي، ولذلك لا يجري عليه الإعراب. وقيل: هو عربي، سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف، فقال: الأسف في اللغة الحزن، والأسيف العبد، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
 التلمحي أنبأنا أحمد بن عبد الله
 النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، قال: قال
 عبد الله بن محمد، ثنا عبد الصمد،
 عن عبد الرحمن بن عبد الله بن
 دينار عن أبيه عن ابن عمر رضي الله
 عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْكَرِيمَ
ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ
يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ».

﴿يَا أَيُّهَا﴾، قرأ أبو جعفر وابن
عامر ﴿يَا أَبْتُ﴾ بفتح التاء في جميع
القرآن على تقدير: يا أبتاه، وقرأ
الآخرون: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ بكسر التاء لأن
أصله: يا أبتُ والجزم يحرك إلى
الكسر. ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَعْدَ عَشَرَ
كُوْكِبًا﴾، أي: نجماً من نجوم السماء
ونصب الكواكب على التفسير،
﴿وَالنَّيَّسَ وَالْمَقَمَ وَأَنْتُمْ لِي سَعِدَتٌ﴾،

يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس
عن أبي رزين العقيلي قال:

قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا جزء من أربعين أو ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر فإذا حدث بها وقعت»، وأحسبه قال: «لا تحدث بها إلا حياً أو ليلاً».

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِرُؤُفَاكَ رُؤُفًا، يَصْطَفِيكَ رُؤُفًا،
بقوله: يعقوب ليعوسف عليهما
السلام، أي: كما رفع منزلتك بهذه
الرؤيا، فكذلك يصفيك رؤك،
﴿وَمَعْلَمٌ مِّن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يريد
تعبير الرؤيا سمي تأويلاً لأنه يؤول
أمره إلى ما بدأ به منامه، والتأويل

ما يؤول إليه عاقبة الأمر، ﴿وَرَبِّهِ
يَسْمَعُ خَلْقَكَ﴾، يعني: النبوة،
﴿وَعَلَى آيَاتِهِ يَقُوبُ﴾، أي: على
أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء،
﴿كَمَا أَنتَهَى عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
وَلَوْحَقَّ﴾، فجعلهما نبيين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وقيل: المراد من
إتمام النعمة على إبراهيم الخلة.
وقيل: إنجاؤه من النار، وعلى
إسحاق إنجاؤه من الذبح. وقيل:
بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان
بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها
بمصر أبويه وإخوته إليه أربعون سنة،
وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال
الحسن البصري: كان بينهما ثمانون
سنة. فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة
يوسف [عليه السلام] حسدوه،
وقالوا: ما رضي أن تسجد له إخوته
حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه.
يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ

إذا سمعوا حسدوه فأمروا
بأن يكذبوا، ﴿فَيَكْذِبُوا﴾، فيحتالوا في
إهلاكك لأنهم يعلمون
تأويلها فيحسدونك، واللام
في قوله: ﴿لَكَ﴾ صلة؛
كقوله تعالى: ﴿لِرَبِّهِمْ
الْأَعْرَافُ﴾ [١٥٤]. وقيل: هو مثل
قولهم نصحتك ونصحت
لك وشكرتك وشكرت
لك. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، أي: يزين
لهم الشيطان ويحملهم على
الكيد لعداوته القديمة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنبأنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا تهمني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله تعالى، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان وليقتل ثلاثاً ولا يحدث به أحداً فإنها لن تضره».

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي
سريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا
علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن

قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُرْ رُءُوكَ عَلَى الْخَوَافِكِ فَيَكِيدُواكَ كَيْدًا
إِذَا الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرْسِلْ نَفْثَةً مِنْ غُلَابِكَ
وَعَلَى الْمَالِ يَقْفُوبٌ كَمَا أَنتَهَا عَلَى أَوْلِيكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْهَمَ وَلَا تَسْخَبْ
إِنَّ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَالْخَوَافِكِ
آيَاتٌ لِلْمُتَلَذِّثِينَ ﴿٨﴾ إِذْ قَالَ الْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ
أَيُّهَا نَارُ تُحْنُ عَصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَلْفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ اقْتُلُوا
يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْلُغُ لَكُمْ وَجْهَ آيِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ
بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ
وَالْقَوَاهِي عَفِيبَتِ الْحَبِّ يَلْقَوُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿١١﴾ قَالَ أُولَئِكَ ثَمَارُ مَا كَانَ لَا فَايَافَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَنصَحُونَ ﴿١٢﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْبَسْ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَئِنْ
أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَكُنِيزُونَ ﴿١٥﴾

ولم يقل رأيتهما ساجدات، والهاه
والميم والباء والنون من كتابات من
يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من
[يعقل] عبّر عنها بكناية من يعقل؛
كقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ
مَسَكِينًا﴾ [النمل: ١٨]، وكان
النجوم في التأويل أخواته، وكانوا
أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما
يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه
والقمر أمه. قال قتادة وقال السدي:
القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد
ماتت. وقال ابن جريج: القمر أبوه
والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة
والقمر مذكر، وكان يوسف عليه
السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى
هذه الرؤيا. وقيل: رآها ليلة الجمعة
ليلة القدر فلما قصها على أبيه.

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ
لِخَوَلِّكَ﴾، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم
السلام وحي فعلم يعقوب أن الأخوة

فِي يُوسُفَ وَلِقَوَيْهِ، أي: في خبره وخبر إخوته، وأسماؤهم روبييل، وقيل روبيين بالنون وهو أكبرهم، وشمعون ولاوى ويهوذا وزيلون. وقيل: زيلون وأشر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام، ولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفة والأخرى يلهمه أربعة أولاد، دان ونفتالي، وقيل: نفتولي وجاد وأشير، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وقيل: وابن يامين فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلاً. ﴿هَآئِثْ﴾، قرأ ابن كثير ﴿آية﴾ على التوحيد أي عظة وعبرة. وقيل: عجب، وقرأ الآخرون: ﴿هَآئِثْ﴾ على الجمع. ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام. وقيل: سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر. فذكر لهم قصة يوسف جميعها، فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه، فهذا معنى قوله: ﴿هَآئِثْ لِلسَّائِلِينَ﴾. [أي: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ]. وقيل: آيات للسائلين [ولمن لم يسأل؛ كقوله: ﴿سُورَةُ السَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، وقيل: معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن، وما آل أمره من الملك، وتشتمل

على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما آل أمره من الوصول إلى المراد، وغير ذلك من الآيات.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾، السلام فيه جواب القسم تقديره: والله ليوسف، ﴿وَأَخُوهُ﴾، بنيامين، ﴿أَمْسَبْ إِلَيْكَ أَيُّنَا مَتَا﴾، كان يوسف [عليه السلام] وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، أي: جماعة وكانوا عشرة. قال الفراء: العصبة هي العشرة فما زاد. وقيل: العصبة ما بين الواحد إلى العشرة. وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال مجاهد: ما بين العشرة إلى الخمسة عشرة. وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط. ﴿إِنَّا أَبْنَا لَأَيُّ مَكَلِّ ثَمِينٍ﴾، أي خطأ بين [في] إيشاره يوسف وأخاه علينا، وليس المراد منه الضلال عن الدين، ولو أرادوه لكفروا به، بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع له في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف، فنحن أولى بالمحبة منه، فهو مخطئ في صرف محبته إليه.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، اختلفوا في قائل هذا القول، فقال وهب: قاله شمعون. وقال كعب: قاله دان. ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، أي: إلى أرض تبعد عن أبيه. وقيل: في أرض تأكله

السباع، ﴿يَعْلَلْ لَكُمْ﴾، يخلص لكم ويصف لكم، ﴿وَبِمَهْ أَيْكُمْ﴾، عن شغله بيوسف، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾، من بعد قتل يوسف، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، تائبين، أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم [جرمكم]. وقال مقاتل: صالحين: يصلح أمركم فيما بينكم وبين أيكم. ﴿فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، هو يهوذا، وقال قتادة: روبييل، وكان ابن خالة يوسف، وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً. والاول أصح، نهاهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿وَالْقَوُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾، قرأ أبو علي جعفر ونافع (غيايات الجب) [على] الجمع في الحرفين، وقرأ الباقر (غياية الجب) على الواحد، أي: في أسفل الجب وظلمته والغياية كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه والجب البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطرؤ ﴿بِلِقَافَةِ﴾، يأخذه، والالتقاط أخذ الشيء من حيث لا يحتسبه الإنسان، ﴿بِمَعْشَرِ النَّبَاةِ﴾، أي: بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى [من نواحي الأرض] فتستريحوا منه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ نَفِيسِينَ﴾، أي: إن عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء بعد. وقيل: لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، ﴿قَالُوا يَكُونَا اسْتَغْفَرَ لَنَا ذَوْنًا إِنَّا﴾ [يوسف: ٩٧]، والصغير لا ذنب له.

وقال محمد بن إسحاق: اشتمل

بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً. وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخباراً عن يوسف، أي: يرى الماشية كما نرى نحن. ﴿وَلَا لَكُمْ لَحَفِظُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب: ﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾، يحزنني ذهابكم، والحزن ههنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْكَرْبِ وَأَشَدُّ عَنْهُ غَوِلُونَ﴾، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام كأن ذنباً شد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال هذه المقالة:

﴿١٤﴾ ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، عشرة، ﴿إِنَّا إِذَا لَخِفِرُونَ﴾، عجزه ضعفاء.

﴿١٥﴾ ﴿قَلَّمَ ذَهَبًا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾، أي: عزموا، ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ يَلْقَاهُ فِي عَيْنَيْ الْمَرْيَمِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾، هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا وَقَلَّمَهُ بِهِ ثَلَاثًا لَا تُبَدِّلُهَا﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٤]، أي: ناديناه، ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذِ ابْنُ زَفَرَةٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغُلَامُ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ﴾، أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوانك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بروحي الله وإعلامه إياه ذلك، قاله مجاهد. وقيل: معناه: وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم [له] منكرون، وذكر وهب وغيره أنهم أخذوا يوسف عليه السلام بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه، فلما برزوا إلى البرية ألقوه [وطرحوه] وجعلوا يضربونه، فإذا

الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة من غير إمحاض ليعلم أن أصله لا تأمناً بنونين على فعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ ﴿وَلَا لَكُمْ لَتَصْحُونُ﴾، قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾، فقال أبوهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: ﴿يَتَأَنَّى مَا لَكَ لَا

تَأَنَّى عَلَى يَوْشَعَ وَإِنَّا لَكُمُ لَنَصْحُونُ﴾، النصح ههنا القيام بالمصلحة. وقيل: البر والعطف، معناه: وأنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك.

﴿١٦﴾ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾، إلى الصحراء، ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين من «يرتّع»، وقرأ يعقوب: «يرتّع» بالنون، «ويَلْعَبُ» بالياء، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في «يرتّع» يعني يوسف، وقرأ الآخرون «يرتّع» السنون «ويلعب» بالياء، والرتع هو الاتساع في الملاذ. يقال: رتّع فلان في ماله إذا أنفق في شهواته. [يريد ينعم ويأكل ويلهو وبسطاً]. وقرأ أهل الحجاز: ﴿يَرْتَعْ﴾ بكسر العين وهو يفعله من الرعي، ثم ابن كثير قرأ

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عَيْنَيْ الْمَرْيَمِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّيَنَّهُمْ وَأَمْرُهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَهُمْ بِأَهْلِهِمْ عَشَاءَ يُخَيَّرُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ بِهَذَا تَأْتِنَا تَقَدِّسُ فِي كُنَّا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتِّعِينَ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْنَؤُنِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَنُفِثَ بِهِمْ يَنْحَبِ بِحِينَ دَرَّاهُمْ مَعْدُونَةٌ فَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ إِلَى ابْنَةِ أَبِي رَبِيعٍ لَمْ يَكُنْ لِي كَرِيمٌ فَتَوْبَتُهَا عَنْ يَوْمَئِذٍ وَكَانَتْ شَأْنٌ لِي كَبِيرًا ﴿٢١﴾ وَأَنْتَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَتْ وَهِيَ حَمْلًا وَعَلَّمَا أَنَّ ذَلِكَ نَجْوَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾

فعلهم على جرائم من قطعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا لهلكتوا أجمعون، وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله تعالى.

وستل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا «نلعب» وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الخيل.

﴿١٧﴾ ﴿قَالُوا﴾ ليعقوب، ﴿يَتَأَنَّى مَا لَكَ لَا تَأَنَّى عَلَى يَوْشَعَ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿تَأَنَّى﴾ بلا إشمام، [وهو رواية عن نافع، وقرأ الباقون: ﴿تَأَنَّى﴾ بإشمام الضمة في النون

ضربه واحد منهم استغاث بالآخر فضربه الآخر، فجعل لا يرى منهم رحيماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتهموني موثقاً أن لا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الحب ليطرحوه فيه، وكان ابن اثنتي عشرة سنة. وقيل: ثماني عشرة سنة، فجاءوا به إلى بئر على غير الطريق واسعة الأسفل ضيقة الرأس. قال مقاتل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام. قال كعب: بين مدين ومصر. وقال وهب: بأرض الأردن. وقال قتادة: هي بئر بيت المقدس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه زدوا علي القميص أتواري به في الحب، فقالوا: ادع الشمس والقمر والكواكب تواريك، قال: إني لم أر شيئاً، فآلقوه فيها. وقيل: جعلوه في دلو وأرسلوه فيها حتى إذا بلغ نصفها آلقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها. وقيل: إنهم لما آلقوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن أن رحمة أدركتهم، فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام، وبقي فيها ثلاث ليال، **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾**. والأكثرون على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشّره بالخروج، ويخبره أنه ينبتهم

بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا سخله وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام.

﴿وَجَاءَهُمْ عِشَاءٌ يَكُونُ﴾

قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب. وروى أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج، وقال: مالكم يا بني هل أصابكم في غمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم وأين يوسف؟

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا﴾

﴿لَسْتَيْقُ﴾، أي: نترامى ونتنضل، وقال السدي: نشدت على أقدامنا. **﴿وَنَزَعْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْنَعَا﴾**، أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. **﴿فَأَكَلَهُ الْإِثْمُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾**، بمصدق لنا، **﴿وَلَوْ كُنَّا﴾**، وإن كنا، **﴿صَادِقِينَ﴾**، فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل: معناه إنك تتهمتنا في هذا الأمر لأنك خفتنا عليه في الابتداء واتهمتنا في حقه. وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل [لنا] على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

﴿وَجَاءَهُمْ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، أي: بدم [هو] كذب لأنه

لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم. وفي القصة: إنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم،

﴿قَالَ بَلْ سَوَّكْتُمْ﴾، زينت، **﴿لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾**، معناه: فأمرني صبر جميل أو فعلي صبر جميل. وقيل: فصبر جميل اختاره. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع. **﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾**، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون. وفي القصة: أنهم جاؤوا بذئب وقالوا هذا الذي أكله، فقال له يعقوب: يا ذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي، فانطقه الله عز وجل فقال: تالله ما رأيت وجه ابنك قط. قال: كيف وقعت بأرض كنعان؟ قال: جئت لصلة قرابة فصادني هؤلاء، فمكث يوسف في البئر ثلاثة أيام.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهم القوم المسافرون سُموا سيارة لأنهم يسبرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً من الحب، وكان الحب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان ماؤه مالحاً فعذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء فذلك قوله عز وجل: **﴿فَارْتَدُّوا وَأَوْدَتْهُمْ﴾**، والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء، **﴿فَأَذَلُّوا﴾**، أي: أرسلها في البئر، يقال: أذليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوها إذا أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون.

قال النبي ﷺ: **﴿أَعْطَى يَوْسُفَ شَطْرَ الْجَنَّةِ﴾**.

ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أعطيت شدس الحسن. قال ابن إسحاق: ذهب يوسف وأمه بثلاثي الحسن فلما رآه مالك بن ذعر، **﴿قَالَ يَبْئُرُنِي﴾**، قرأ الأكثرون هكذا بالالف وفتح الياء، بشر المستقي أصحابه يقول: أبشروا، وقرأ أهل الكوفة: **﴿قَالَ يَبْئُرُنِي﴾** بغير إضافة يريد نادى المتقي رجلاً من أصحابه اسمه بشرى. **﴿هَذَا غُلَمٌ﴾**، وروى ابن مجاهد عن أبيه: أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرج منها. **﴿وَأَسْرُوهُ﴾**، أخفوه، **﴿وَيَضَعُهُ﴾**، قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هو بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة. وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هو عبد لنا أبى قال الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَكْمُلُونَ﴾**، فأتى يهوذا يوسف بالطعام [على عادته] فلم يجده في البئر، فأخبر بذلك إخوته، فطلبوه فإذا هم بمالك [بن ذعر] وأصحابه نزولاً فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد أبى منا. ويقال: إنهم هذؤا يوسف حتى لم يعرف حاله. وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله عز وجل:

﴿وَشَرَّوْهُ﴾، أي: باعوه، **﴿يَسْتَحِبُّ يَحْسِبُ﴾**، قال الضحاك ومقاتل والسدي: حرام لأن ثمن الحر حرام، وسُمي الحرام بخساً لأنه مبخوس البركة. وعن ابن عباس

وابن مسعود: بخس أي زيوف. وقال عكرمة والشعبي: بثمان قليل. **﴿دَرَّهْمٌ﴾**، بدل من الثمن، **﴿مَعْدُودَةٌ﴾**، ذكر العدد عبارة عن قلته. وقيل: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً، إنما كانوا يعدونها عدداً فإذا بلغت أوقية وزنها. واختلفوا في عدد تلك الدراهم، فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة: عشرون درهماً فاقسموها درهمين درهمين. وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً. وقال عكرمة: أربعون درهماً. **﴿وَكَاثِرًا﴾**، يعني: إخوة يوسف، **﴿فِيهِ﴾**، أي: في يوسف **﴿فِيهِ﴾**، لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله. وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تباعد يوسف عن أبيه، ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف، فتبعهم إخوته يقولون: استوثقوا منه لا يأتى، قال: فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير، قاله ابن عباس. وقيل: إطفير صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز، وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالة. وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات ويوسف حي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين ديناراً

وزوج نعل وثوبين أبيضين. وقال وهب بن منبه: قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع، فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً، وكان وزنه أربعمائة رطل، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن، فذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾، واسمها راعيل. وقيل: زليخا، **﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾**، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة. وقيل: أكرمه في المطعم والملبس والمقام. وقال قتادة وابن جريج: منزلته. **﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَا﴾**، أي: نبيعه بالربح إن أردنا البيع أو يكفينا إذا بلغ بعض أمورنا، **﴿أَوْ نَخْدُمُ وَدَّاءُ﴾**، أي: نبتاه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حيث قال لامراته: أكرمي مَثْوَاهُ عسى أن ينفعنا، وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لأبيها في موسى عليه السلام: يا أبت استأجره، وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه. **﴿وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾**، أي: في أرض مصر، أي: كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب، كذلك مكنا له في الأرض فجعلناه على خزائنها. **﴿وَلْيُكَلِّمُنِي يَا أُورِيلُ الْكَاذِبِينَ﴾**، أي: مكنا له في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الهاء في أمره كناية عن الله تعالى، يقول: إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرذ عليه حكمه راذ. وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكبله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما الله به صانع.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، منتهى شبابه وشذته وقوته ومعرفته. قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة. وقال السدي: ثلاثين سنة. وقال الضحاك: عشرين سنة. وقال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وسئل مالك رحمه الله عن الأشد قال: هو الحلم. ﴿وَأَنبَتَتْ حُمْكًا وَهَلُمًّا﴾، فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين. وقيل: حكماً يعني إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا. وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم هو الذي يعلم الأشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجه العلم، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْهَمُ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمنين، وعنه أيضاً: المهتدين. وقال الضحاك: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْؤَاتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني: امرأة العزيز. والمرادة: طلب الفعل، والمراد ههنا أنها دعت إلى نفسها ليواقعها، ﴿وَعَلَّقَتْ الْأُتْرُوبَ﴾، أي: أطبقته وكانت سبعة، ﴿وَوَلَّتْ حَيْثُ لَكَ﴾،

أي: هلم وأقبل، قرأ أهل الكوفة والبصرة: ﴿حَيْثُ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء جميعاً، وقرأ أهل المدينة والشام: ﴿حَيْثُ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير: ﴿حَيْثُ﴾ بفتح الهاء وضَم التاء، وقرأ السلمي وقتادة: ﴿هَيْثُ لَكَ﴾ بكسر الهاء وضَم التاء مهموزاً على مثال جثث، يعني: تهايت لك، وأنكره أبو عمرو [و] الكسائي، وقالوا: لم يحك هذا عن العرب. والأول هو المعروف عند العرب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أقراني النبي ﷺ: ﴿حَيْثُ لَكَ﴾: قال أبو عبيدة: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها: تعال. وقال عكرمة: هي أيضاً بالهورانية هلم. وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء. قال أبو عبيدة: إن العرب لا تشي ﴿حَيْثُ﴾ ولا تجمع ولا تؤنث وإنها بصورة واحدة في كل حال. ﴿قَالَ﴾ يوسف لها عند ذلك: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني إليه، ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾، يريد أن زوجك قطفير سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾، أي: أكرم منزلي هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد أن الله تعالى ربي أحسن مثواي، أي أواني ومن بلاء العجب عافاني. ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْؤَاتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني: إن فعلت هذا فحنته في أهله بعد ما أكرم مثواي فأننا ظالم ولا يفلح الظالمون. وقيل: لا يفلح الظالمون أي لا يسعد الزناة.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهْمٍ بِهَا﴾، ولهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه، فهتأها: عزمها على المعصية والزنا، وأما هم: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن. وعن مجاهد قال: حلّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن. وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليدي الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: قد أنكر قوم هذا

القول، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم. وقال السدي وابن إسحاق: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: ما أحسن عينيك، قال: هي أول ما تسيل على وجهي في قبري، قالت: ما أحسن وجهك، قال: هو للتراب يأكله، وقيل: إنها قالت إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي، قال: إذا يذهب نصيبي من الجنة، فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل، وهي امرأة حسناء جميلة حتى لا نراها مما يرى من كلفها به، وهم بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيّه بالبرهان الذي ذكره وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وقال: تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْفَى﴾، ثم ابتداء الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، [على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه] لهم بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم، وأنكره النحلة، وقالوا: إن العرب لا تؤخر لولا عن الفعل، فلا تقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد لَقُمْتُ. وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهم بها يوسف أي: تمت أن تكون له زوجة. وهذا التأويل وأمثاله غير

مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم. وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام. وروي أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة، قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لَعَلَّ آيَ لَمْ أَخَذْ بِالْقَيْسِ﴾ [يوسف: ٥٢]، قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣]. وقال الحسن البصري: إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء عليهم السلام في القرآن ليعتبرهم، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم، ولئلا ييأس أحد من رحمته. وقيل: إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزّة، ويلقاء جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية. وقيل: ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الإيأس من المغفرة والعفو. وقال بعض أهل الحقائق: الهمّ همّان، همّ ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهمّ عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيايدي، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا

عبد الرزاق، ثنا معمر عن همام بن منبه قال: حدّثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا تحدّث عبدي بأنّ يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدّث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها».

قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، اختلفوا في ذلك البرهان، قال قتادة وأكثر المفسرين: إنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضاً على أصبعه. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال السدي: تُودي يا يوسف تواقعها وإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك إن واقعته مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك إن واقعته مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه.

عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، قال: حلّ سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فإذا بكف قد

بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها: ﴿وَلَا عَلَيْكُمْ لِحُوطَيْنِ﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿يَتْلُونَ مَا تَقُولُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوباً عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فظهر فرأى تلك الكف مكتوباً عليها: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عليه السلام عاضاً على أصبعه، يقول: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في [ديوان] الأنبياء. وروى أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله.

وقال محمد بن كعب القرظي: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم بها فرأى مكتوباً في حائط البيت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك.

وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة ومسترته بشوب، فقال لها يوسف: لِمَ فعلتِ

هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية، فقال يوسف: أنستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فانا أحق أن أستحي من ربي الذي هو يسمع ويبصر ويفقه ثم تولى عنها هارياً. قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، جواب لولا محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية. ﴿كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْمَ وَالْفَحِشَةَ﴾، فالسوء الإثم. وقيل: السوء القبيح والفحشاء: الزنا. ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْغَافِلِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والكوفة: ﴿الْمُتْلِينَ﴾ بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون ﴿مُخَلَّصًا﴾ في سورة مريم [٥١] عليها السلام ففتحوا. ومعنى ﴿الْمُتْلِينَ﴾ المختارين للنبوة. دليله: ﴿إِنَّا أَنْتَلَيْنَاهُمْ بِالْمَقَالِ ذِكْرَىٰ الْآدَارِ﴾ [ص: ٤٦]، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله بالطاعة والعبادة.

﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ﴾، وذلك أن يوسف [عليه الصلاة والسلام] لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارياً وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه [من] خلفه فحذبت إليها حتى لا يخرج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾، أي: فسقته ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز، وهو قوله: ﴿وَأَقْبَا سَيْدَهُمَا لَدَا أَبَائِهِمَا﴾، وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالساً مع ابن عم راعيل فلما رآته هابته و﴿وَقَالَتْ﴾ سابقة بالقول لزوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، يعني: الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله [ولم تبلغ منه مارياً]، فقالت: ﴿إِلَّا أَنْ يَسْجَنَ﴾، أي: يحبس، ﴿أَوْ عَذَابُ آيَةٍ﴾، أي: ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها. قيل: ما كان يريد يوسف أن يذكره، فلما قالت المرأة «ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً» ذكره، فقال: هي راودتني عن نفسي. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، وحكم حاكم، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبيّاً في المهد أنطقه الله عز وجل.

وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: فتكلم في المهد أربعة وهم صغار، ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام.

وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة. وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبيّاً ولكنه كان رجلاً حكيماً ذا رأي. قال السدي: هو ابن عم راعيل فحكم فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من قدام، ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ فكذبت وهو من الكذابين.

﴿فَلَمَّا رَمَا﴾، قطفير، ﴿قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام،

فَلَمَّا حَبِمَت بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُنَّ عَلَى تَقِيٍّ عَلَيْهِ فَأَسْتَغْفَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُ لَيَسْجَنَ لَكُمْ لِكُونِ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْعَذَلِينَ ﴿٣١﴾ فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَ خَشَنُ حَتَّى جِئَ ﴿٣٣﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِ جَبَلٍ فَأَنْزِلُنِي فَخَبَّرَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْهُ نَبْتًا يَتَأَوَّى إِلَيْهِ وَفَارَ بَيْنَكَ مِنَ الْخَمْسِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْكَاهُمَا إِلَّا نَبَاتُكُمَا يَتَأَوَّى إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾

عليه، وإنما قال من الخاطشين ولم يقل من الخاطئات، لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عن من يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطشين؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التحریم: ١٢]، بيانه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنْتُ مِنْ قَوْمٍ كَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ يَتَوَلَّى الْيَلْدَى﴾ الآية، يقول: شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة

مدينة مصر. وقيل: مدينة عين شمس، وتحدث النساء بذلك وقلن وهن خمس نسوة، امرأة حاجب الملك، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة صاحب السجن، قاله مقاتل. وقيل: هن نسوة من أشراف مصر، ﴿أَمَرْتُ الْعَمِيرَ تَرْوِدُنِي فَتَنَّا﴾، أي: عبدها الكنعاني، ﴿هَن تَقِيٍّ﴾، أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿ثُمَّ شَفَعَهَا حُبًّا﴾، أي: علقها حباً. قال الكلبي: حجب حبّه قلبها حتى لا تعقل سواه. وقيل: أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب، يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب. وقرأ الشعبي والأعرج: ﴿شَفَعَهَا﴾ بالعين غير المعجمة، معناه: ذهب الحب بها كل مذهب، ومنه شغف الجبال

قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّهُ﴾، أي: هذا الصنيع، ﴿بَيْنَ كَيْدِكُنَّ إِذْ كَبِدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقيل: إن هذا من قول الشاهد، ثم أقبل قطفير على يوسف.

فقال: ﴿يُؤْسَفُ﴾، أي: يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، أي: عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع. وقيل: معناه لا تكثر به فقد بان عذرك وبراءتك، ثم قال لامراته: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَلِكَ﴾، أي: توبي إلى الله، ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾، من المذنبين. وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعييل، أراد بقوله: واستغفري لذنبك، أي: سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك، ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾، من المذنبين حتى راودت شاباً عن نفسه وخنت زوجك، فلما استعصم كذبت

وهو رؤوسها. ﴿إِنَّمَا لَرَنَهَا فِي سَكَلٍ ثَيْنٍ﴾، أي: خطأ ظاهراً. وقيل: [معناه] إنها تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر.

﴿فَلَمَّا حَبِمَت﴾، راعيل، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾، بقولهن وحديثهن، قاله قتادة والسدي. وقال ابن إسحاق: إنما قلن ذلك مكرراً بها لترهين يوسف الذي سلبها العقل، وكان يوصف لهن حسنه وجماله. وقيل: إنها أفشت لهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك، فلذلك سمّاه مكرراً. ﴿وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾، قال وهب: اتخذت [راعييل] مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرنّها. ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾، أي: أعدت، ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾، أي: ما يتكأ عليه. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: متكأ أي: طعاماً سمّاه متكأ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكؤون على الوسائد، فسمي الطعام متكأ على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا. ويقال: المتكأ ما اتكأت عليه للشراب أو الحديث أو الطعام، ويقرأ في الشواذ «متكأ» بسكون التاء. واختلفوا في معناه، فقال ابن عباس: هو الأترج. وقد روي عن مجاهد مثله. وقيل: هو الأترج بالحبشة. وقال الضحّاك: هو الراورد الزماورد. وقال عكرمة: هو كل شيء يقطع بالسكين. وقال أبو زيد الأنصاري: كل ما يجزّ بالسكين فهو عند العرب متك، والتمتكت والبتك بالميم والباء: القطع، فزينت المأدبة بالوان الفواكهة والأطعمة،

ووضعت الوسائد ودعت النسوة. ﴿وَوَاتَتْ﴾، أعطت، ﴿كُلَّ وَجَدَةٍ يَتَنُّنَ﴾، فكن يأكلن اللحم حزناً بالسكين. ﴿وَوَاتَتْ﴾، يوسف: ﴿أَخْرَجَ عَلَيْنَ﴾، وذلك أنها كانت أجلسه في مجلس آخر، فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم.

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ [فَإِذَا] يَوْسُفَ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

قال إسحاق بن أبي فروة: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالاً وجهه على الجدران. ﴿هَلَاكَ رَأْيُهُ أَكْبَرُهُ﴾، أعظمه، قال أبو العالية: هَالَهُنَّ أَمْرُهُ وَهَتَنَّ. وقيل: أكبرته أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح. ﴿وَقَطَّنَ﴾، أي: حزنن بالسكاكين التي معهن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأثرج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسن إلا بالدم. وقال قتادة: إِنْهَنَ أَبْنُ أَيْدِيَهُنَّ حَتَّى أَلْقَيْنَهَا. والأصح [أنه] كان قطعاً بلا إبانة، وقال وهب: ماتت جماعة منهن. ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾، أي: معاذاً الله أن يكون هذا بشراً، قرأ أبو عمر: [حاشى الله بإنبات الياء] في الوصل على الأصل، وقرأ الآخرون بحذف الياء لكثرة دورها في الألسن واتباعاً للكتاب. وقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾، نصب بنزع حرف الصفة، أي: ليس هذا ببشر، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، أي: ما

هذا، ﴿إِلَّا مَلَكٌ﴾، من الملائكة، ﴿كَرِيمٌ﴾، على الله تعالى.

﴿وَوَاتَتْ﴾، يعني: راعيل، ﴿فَقَالَتْ لِكُنْ الَّذِي لَمْتُنِي فِيهِ﴾، أي: في حبه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَّيْتُهُ عَنْ نَفْسِي فَاسْتَعْتَمَ﴾، أي: فامتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطع مولاتك. فقالت راعيل: ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا نَأْمُرُهُ﴾، ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ﴿لَيَسْجُنَّ﴾، أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿وَلَيَكُونَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، من الأذلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف. فالوقف على قوله: ﴿لَيَسْجُنَّ﴾، بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله: ﴿وَلَيَكُونَا﴾ بالألف لأنها مخففة، وهي شبيهة بنون الإعراب في الأسماء؛ كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت [قلت]: رأيت رجلاً بالألف، ومثله: ﴿لَنَنْتَقِمَا بِالْأَلْوِيِّ﴾ [العلق: ١٥]، فاختر يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

﴿قَالَ رَبِّي﴾، أي: يا رب، ﴿الْيَتِيمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجاً من التصريح إلى التعريض. وقيل: إنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن، قرأ يعقوب وحده: بفتح السين. وقرأ العامة بكسرها واتفقوا على كسر السين في قوله: ﴿وَدَعَلْ مَعَ الْيَتِيمَ﴾ [يوسف: ٣٦]. وقيل: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يتل بالسجن،

والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ﴾، أمل إليهن وأتابعهن، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبروا صبوراً وصبوراً وصبوة إذا مال واشتاق إليه. ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْكَاشِحِينَ﴾، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لدعائه العليم بمكرهن.

﴿فَدَّ بَدَا لَهُمْ﴾، يعني: للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض. ثم بدا لهم أن يحبسوه. ﴿فَبَدَا مَا رَأَوْا الْآيَاتِي﴾، الدالة على براءة يوسف من قذ القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن. ﴿لَيَسْجُنَنَّهُمْ حَتَّى جِيءَ﴾، إلى مدة يرون فيه رأيهم. وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. قال عكرمة: سبع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي أن أخرج فاعتذر إلى الناس، وأما أن تحبسه، فحبسه وذكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف عليه السلام من همته بالمرأة. قال ابن عباس: عثر يوسف [عليه الصلاة والسلام] ثلاث عثرات حين هم بها فسجن، وحين قال أذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال للإخوة إنكم لسارقون، فقالوا:

إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَه مِنْ قَبْلٍ.

﴿قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ الْيَتِيمَ فَتَيَّانًا﴾، وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليقي ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك وأغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم إن الساقى نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام، فلما أحضروا الطعام والشراب، قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز: لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقى: اشرب [منه] فلم يضره، وقال للخباز: كل من الطعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلته فهلك، فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه [على من في السجن]، ويقول: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا العبراني، فترأيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا، [قال ابن مسعود: ما رأيا شيئا] وإنما تحالما ليحربا يوسف [فيما يقول]، وقال قوم: بل كانا رأيا حقيقة، فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما، فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد غتمتهما، فقال يوسف: قضا علي ما رأيتهما، فقضا عليه ف ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾، وهو

صاحب الشراب، ﴿إِنِّي أَرْنَيْكَ أَصْغَرُ حَمْرًا﴾، أي: عنباً سمي العنب خمراً باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الآجر، أي: يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال إني رأيت كأنني في بستان، فإذا أنا بأصل حبة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتهما وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾، وهو الخباز: ﴿إِنِّي أَرْنَيْكَ أَجْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الْطَّيْرُ مِنْهُ﴾، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهين منه. ﴿يَتَأَوَّلِيهِ﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم. ورؤي أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه [بالتعهد]، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له وإذا احتاج إلى شيء جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجائهم وجعل حزنهم، فجعل يسليهم وجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، فيقولون: بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وخديتك، لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا

فتى؟ قال: أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: يا فتى والله لو استطعت لخلّيت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك [تسكن في أي البيوت من السجن شئت]. ورؤي أن الفتيين لما رأيا يوسف قالوا له: لقد أحببناك حين رأييناك، فقال لهما يوسف: أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء، لقد أحببني عمتي فدخل علي بلاء، ثم أحبني أبي فألقيت في الحب، وأحببني امرأة العزيز فحبست، فلما قضا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لئلا يعلم في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتیکما طعام ترزقانه في نومكما، ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾، في اليقظة، وقيل: أراد به في اليقظة يقول: لا يأتیکما طعام من منازلكما ترزقانه تطعمانه وتأكلانه إلا نبأكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، قبل أن يصل إليكما، وإني طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فقالا: هذا فعل العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن

وإنما ﴿ذَلِكُمْ﴾، العلم، ﴿وَمَا عَلَّمِي رَيْبِي إِلَيَّ فَرَغْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُمُونُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرار ﴿هُمْ﴾ على التأكيد.

﴿وَأَنْتَ مِلَّةَ مَا بَاءَ عِزِّيهِمْ وَاسْتَحَقَّ وَعْثُكَ﴾، أظهر أنه من أولاد الأنبياء، ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾، ما ينبغي لنا، ﴿أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد والعلم، ﴿وَمَنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْنَا وَلَى النَّاسِ﴾، بما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما قال لسكان الجنة: أصحاب الجنة، ولسكان النار: أصحاب النار، ﴿ءَأَرْيَاكَ تُشْفَرُونَ﴾، أي: ألهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد، وهذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للثنتين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على [مثل حالهما من أهل الشرك]، ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُوهُمَا﴾، ألهة وأرباباً خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء، ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، ﴿إِنْ أَعْمَكُمُ﴾، ما القضاء والأمر والنهي،

﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم فسر رؤياهما، فقال:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾، ﴿أَمَّا أَهْلُكُمْ﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿فَيَسْقِي رَيْبَهُ﴾، يعني الملك، ﴿خَمْرًا﴾، والعنقيد الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويرذه إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾، يعني: صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد

ثلاثة أيام، والسهل الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يخرج به، ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْيِهِ﴾، قال ابن مسعود: لما سمعنا قول يوسف [عليه الصلاة والسلام ذلك لهم] قالوا: ما رأينا شيئاً وإنما كنا نلعب، قال يوسف: ﴿فَقَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، أي: فُرج من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به، رأيكما أو لم تريا.

﴿وَقَالَ﴾، يعني: يوسف عند ذلك ﴿لِلَّذِي ظَنُّهُ﴾، [أي]: علم ﴿أَنْتُمْ تَأْكُلُ مِنْهُمَا﴾، وهو الساقى، ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، وقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلاماً طال حبسه، ﴿فَأَنْسَنِي السِّبْطَ وَكَفَّرَ رَيْبَهُ﴾، قيل: أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه

وَأَنْتَ مِلَّةَ مَا بَاءَ عِزِّيهِمْ وَاسْتَحَقَّ وَعْثُكَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَذَلِكَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عِلْمًا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْيَاكَ تُشْفَرُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُوهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِنَّ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَعْمَكُمُ إِلَّا اللَّهُ أَمَّا أَهْلُكُمْ أَتَى اللَّهُ الْفِرْعَوْنَ وَآلَهُ أَتَاهُ فَبَقِيَ فِي السِّجْنِ أَمَّا أَهْلُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَهْلُكُمْ فَيَسْقِي رَيْبَهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْيِهِ قَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنْتُمْ تَأْكُلُ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنِي السِّبْطَ وَكَفَّرَ رَيْبَهُ فَلَمَّ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبُكَاتٍ خُضِرَ وَأَحْمَرُ بَاسِطَاتٍ يَتَوَلَّوْنَ بَيْنَهُنَّ أَرْبَعُ رِجَالٍ وَتَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٣﴾

الشيطان ذكره لربه. وقال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج، من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان. ﴿فَلَمَّ﴾، فمكث، ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع. وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة. وقال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وترك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختنصر فحول في السبع سبع سنين. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك، قيل له: يا يوسف

اللام في الماضي وضمها في الغابر
حلماً وحلماً، مثقلاً ومخففاً. ﴿وَمَا
نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِمِلِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا: من القتل،
﴿يُنْهَمَا﴾، من الفتيين وهو الساقى،
﴿وَأَذْكُرُ﴾، أي: تذكر قول يوسف
اذكرني عند ربك، ﴿بَعْدَ أَفْوَى﴾، أي:
بعد حين وهو سبع سنين، ﴿أَنَا
أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، وذلك أن الغلام
[الساقى] جثا بين يدي الملك،
وقال: [أيها الملك] إن في السجن
رجلاً يعبر الرؤيا، ﴿فَأَرْسِلُونِي﴾، وفيه
اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك
إليه، فأرسله فاتى السجن. قال ابن
عباس: ولم يكن السجن في المدينة.

﴿٤٤﴾ فقال: ﴿يُوسُفُ﴾، يعني: يا
يوسف، ﴿إِنِّي الْصَّادِقُ﴾، والصديق
الكثير الصدق، ﴿أَقِصْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
يَكْنَانُ بِأَكْثَلَهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ
شُبُلُكٍ خَضِرٍ وَأُخْرَى يَابَسَتِ﴾، فإن
الملك رأى هذه الرؤيا، ﴿لَمَّا ارْتَجِعَ
إِلَى الْكَائِنِ﴾، أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾، تأويل الرؤيا. وقيل: لعلمهم
يعلمون منزلتك في العلم، فقال لهم
يوسف معبراً ومعلماً: أما البقرات
السمان والسنبلات الخضر فسبع
سنين مخاصيب، والبقرات العجاف
والسنبلات [اليابسات]، فالسنون
المجدبة، فذلك قوله تعالى إخباراً
عن يوسف.

﴿٤٥﴾ وَقَالَ تَزْعُورُنَ سَبْعَ سِنِينَ ذَاكَ،
هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا
سبع سنين على عادتكم في الزراعة،
والدأب: العادة. وقيل: بجذ
واجتهاد. وقرأ عاصم برواية حفص:
﴿ذَاكَ﴾، بفتح الهمزة، وهما لغتان،

تأويل الرؤيا؟ قال: الله،
قال: فمن صرف عنك
السوء والفحشاء؟ قال:
الله، قال: فكيف
استشفعت بأدمي مثلك؟
فلما انقضت سبع سنين.
قال الكلبي: فهذه السبع
سوى الخمس التي كانت
قبل ذلك، ودنا فرج
يوسف فرأى ملك مصر
الأكبر رؤيا عجيبة حالته
وذلك أنه رأى سبع بقرات
سمان خرجت من البحر
ثم خرج عقبهن سبع
بقرات عجاف في غاية
الهزال، فابتلعت العجاف

السمان فدخلن في بطونهن، فلم ير
منهن شيء ولم يتبين على العجاف
منها شيء، ثم رأى سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخرى
يابسات قد استحصدت، فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها ولم يبق من خضرتها شيء،
فجمع السحرة والكهنة والحازة
والمعبرين وقص عليهم رؤياه.

﴿٤٦﴾ فَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ
الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ يَسْكَنُ
بِأَكْثَلَهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ شُبُلُكٍ
خَضِرٍ وَأُخْرَى يَابَسَتِ﴾، ثم قال
لهم: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْئُونِي فِي رُؤْيَايَ لَئِنْ
كُنْتُ لِلزَّيْنَةِ مُعْبِرًا﴾.

﴿٤٧﴾ قَالَ أَصْنَعْتُ أَحْلَامٍ مُخْتَلِفَةً أَخْلَاطُ
أحلام مشتبهة [أهاويل] واحدها
ضغث، وأصله الحزمة من أنواع
الحشيش، والأحلام جمع الحلم،
وهو الرؤيا، والفعل منه [أحلم] بفتح

قَالَ أَصْنَعْتُ أَحْلَامًا وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِمِلِينَ
وَقَالَ الَّذِي نَجَا وَذَكَرَ بَعْدَ أَفْوَى أَنَا أَنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسِلُونِي يُوسُفُ إِنِّي الْصَّادِقُ أَقِصْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
يَكْنَانُ بِأَكْثَلَهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ شُبُلُكٍ خَضِرٍ
وَأُخْرَى يَابَسَتِ لَمَّا ارْتَجِعَ إِلَى الْكَائِنِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ
تَزْعُورُنَ سَبْعَ سِنِينَ ذَاكَ مَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونِي فِي سَبِيلِكُمْ لَا
فِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ثُمَّ بَاقَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ كُنْ
مَاقِدَ مَتَمِّ لَمْ يَلَا فِيلًا مِمَّا حَصَرُوا ثُمَّ بَاقَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَبَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَصْعُرُونَ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُورِي
بِيَوْمَئِذٍ جَاءَهُ الرُّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَنَلْ مَا بَالُ
السَّوَةِ الَّتِي قَطَعْتَ لِي بِهِمْ إِنَّ رَبِّي يَكِيدُ فِي عِلْمِهِ قَالَ
مَاطْطَبُكُنْ إِذْ رَوَدُّنَ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِي
مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ سَوْفَ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ صَحْصَحَ
الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنِّي مِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَافِلِينَ

اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن
حبسك، فبكى يوسف، وقال:
يا رب أنسي قلبي كثرة البلوى فقلن
كلمة ولن أعود. وقال الحسن:
دخل جبريل على يوسف في
السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال
له: أخا المنذرين ما لي أراك بين
الخطائين؟ فقال له جبريل: يا طاهر
[يا بن] الطاهرين يقرأ عليك السلام
رب العالمين، ويقول لك: أما
استحييت مني أن استشفعت
بالأدميين، فوعزتي وجلالي لأبشرك
في السجن بضع سنين، فقال
يوسف: وهو في ذلك عني راضٍ؟
قال: نعم، قال: إذا لا أبالي.

وقال كعب: قال جبريل ليوسف:
إن الله تعالى يقول من خلقك؟ قال:
الله، قال: فمن حببك إلى أبيك؟
قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب
البشر؟ قال: الله، قال: فمن علمك

يقال: دأبت في الأمر أداباً دأباً ودأباً إذا اجتهدت فيه. ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ﴾، أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون أبقى على [طول] الزمان ولا تفسد، ﴿إِلَّا لِيَلَا يَمَنَا تَكُونُ﴾، أي: تدرسون قليلاً للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر والأكل بقدر الحاجة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شَعَدَاتٍ﴾، سعى السنين المجدية شداداً لشذيتها على الناس، ﴿يَأْكُلُنَّ﴾، أي: يفتنين ويهلكن، ﴿فَمَا تَدْنُمُوهُنَّ﴾، أي: يؤكل فيهن ما أعددت لهن من الطعام أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسيع، ﴿إِلَّا لِيَلَا يَمَنَا تَكُونُ﴾، تخرزون وتذخرون للبذر.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾، أي: يمسطرون من الغيث، وهو المطر. وقيل: ينقذون من قول العرب اشتغث فلاناً فأغاثني، ﴿وَفِيهِ يَصِيرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿تَصِيرُونَ﴾، بالتاء لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمرأ والزيتون زيتاً والسمسم دهنأ وأراد به كثرة النعم والخير. وقال أبو عبيدة: ﴿يَصِيرُونَ﴾، أي: ينجون من الكرب والجذب [الذي كانوا فيه]، والعصر: النجاة والملجأ.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا﴾، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما افتاه به يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال: اتنوني به، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرُّسُولُ﴾، وقال له: أجب الملك أبي أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته

ثم، ﴿قَالَ﴾ للرسول: ﴿اتَّبِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، ﴿فَسَخَّلَ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً.

قال النبي ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

﴿إِنَّ رَبِّي يَبْعِثُ عَلَيْنِي﴾، أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن يعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين الشبهة والخيانة،

ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز.

﴿قَالَ﴾ لهن: ﴿فَمَا خَطْبُكُنَّ﴾، ما شأنكن وأمركن، ﴿إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾، خاطبهن والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعاً، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾، معاذ الله، ﴿فَمَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، خيانة، ﴿فَالَّتِي آمَرَتْ الْغَمَزِيزَ أَفَنَ حَاشَ الْحَقِّ﴾، ظهر وتبين.

وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنها فأقرت، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت وقالت: ﴿أَنَا رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُنَادِقِينَ﴾، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال:

﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّسْءَ لِأَمَارَةٍ بِالنَّسْوَةِ إِلَّا مَا رَجِعُ رَبِّي بِإِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال الملك اتنوني به واستخلصه لتقضي فلما كلمته قال لك اليوم لدينا مكيك أمين ﴿قَالَ﴾ أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليها ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ﴾ ولا أجر الآخر غير الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿وَحَاشَ إِخْوَتِهِ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُهُ وَهُمْ لَمْ يُعْرَفُوا وَلَمَّا جَهَرُوا بِهِمْ قَالَ اتنوني بأج لكم من أيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير الميزين ﴿فَإِنْ لَهُ تَأْوِيلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ كَيْلَ لَكُمْ عَذَابٌ وَلَا تَصْرُوفٌ ﴿قَالُوا اسْرِئْهُ عَنْتَابَةً وَأَتِ الْكُفَّاءَ ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتِي فِي رِجَالِي لَعَلَّهُمْ يَصْرِفُونَهَا إِنْ انْفَضَّ إِلَى عَالِيهِمْ لَعَالَهُمْ بِرَجَعُونَ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْسِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَلِمَّا يُدْعَى بِالْإِلهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿٢٤﴾

فعلت من ردي رسول الملك إليه، ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز، ﴿إِنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾، في زوجته، ﴿وَالْكَذِيبُ﴾، أي: في حال غيبته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ﴾، قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ من غير تمييز لمعرفة السامعين. وقيل: فيه تقديم وتأخير، معناه: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب، قيل: لما قال يوسف هذه المقالة، قال له جبريل عليه السلام: ولا حين هممت بها؟ فقال يوسف عند ذلك: وما أبرئ نفسي. وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف؟ فقال يوسف [عند ذلك]:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، من

الخطأ والزلل فازكيها، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ﴾، بالمعصية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، أي: إلا من رحم ربي فعصمه، و﴿مَا﴾ بمعنى من؛ كقوله تعالى: ﴿فَاتَّكِبُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣]، أي: من طاب لكم، وهم الملائكة، عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة. وقيل: إلا ما رحم ربي إشارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. ﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ يَدَهُ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي﴾، أي: أجعله خالصاً لنفسي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾، فيه اختصار تقديره: فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب الملك الآن.

زوي أنه قام ودعا لأهل السجن فقال: اللَّهُمَّ عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعن عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في كل بلد، فلما خرج من السجن كتب على يابه هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً حسناً وقصد الملك. قال وهب: فلما وقف بباب الملك قال: حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره، فلما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له: ما هذا اللسان؟ قال: هذا لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين

اللسانين. قال وهب: وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية، فأعجب الملك ما رأى منه مع حداثة سنه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأجلسه و﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ﴾، المكانة في الجاه، ﴿أَمِينٌ﴾، أي: صادق.

وزوي أن الملك قال له: إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً، فقال له يوسف: نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان، كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً فبينما أنت تنظر إليهن ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه، فخرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات البطون، ليس لهن ضروع ولا أخلاف، ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فافترسن السماء افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن، وحطمن عظامهن وتمششن مخهن، فبينما أنت تنظر وتتعجب إذا سبع سنابل خضر وسبع أخر [يابسات] سود في منبت واحد عروقهن في الثرى [والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء؟ خضر مشمرات وهؤلاء سود يابسات]، والمنبت واحد وأصولهن في الماء، أذهب ريح فذرت الأوراق من اليابسات السود على الخضر المشمرات فاشتعلت فيهن النار، فأحرقتهن فصرن سوداً فهذا ما

رأيت؟ ثم انتبهت من نومك مذعوراً، فقال الملك: والله ما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجيبة بأعجب مما سمعت منك، فما ترى في رؤياي أيها الصديق؟ فقال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجعل الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علقاً للدواب والحب طعاماً للناس، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من [سائر] النواحي للميرة فتبيع منهم الطعام وتأخذ ثمنه فيجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد [قبلك]، فقال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني الشغل فيه؟

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، الخزائن: جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والأموال، والأرض أرض مصر، أي: خزائن أرضك. [وقال الربيع بن أنس: أي] على خراج مصر ودخله، ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾، أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ عليم، أي: كاتب حاسب. وقيل: حفيظ لما استودعني عليم بما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم بالأسن أعلم لغة من يأتيني. وقال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين الخصبة في الأرض الجدية عليم بوقت الجوع حين يقع [في الأرض الجذب]، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك وقال له: إِنَّكَ

اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الفنجوي، ثنا مخلد بن جعفر الباقرجي، ثنا الحسن بن علوية، ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه أخره لذلك سنة فأقام في بيته سنة مع الملك».

[قال]: وبإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرفت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكلل بالدر والياقوت، وضرب عليه حلة من استبرق، وطول السرير ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشاً وستون مقرمة، ثم أمره أن يخرج متوجاً ولونه كالثلج ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير، ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير هلك كان عليه وجعل يوسف مكانه. قال ابن إسحاق، وقال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه وجعل أمره وقضاه نافذاً، قالوا: ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوّج الملك

يوسف راعيل امرأة قطفير، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدني مني؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتني نفسي وقويت علي شهوتي ولم أتمالك عقلي في محبتي فيك، ففقر منها يوسف فوجدها عذراء فأصابها فولدت له ولدين أفرائيم وميشا ابني يوسف. واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل وأحبّه الرجال والنساء، فذلك قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: أرض مصر ملكناه، ﴿يَتَّبِعُوا﴾، أي: ينزل أيّ منها حيث يشاء، ويصنع فيها ما يشاء. قرأ ابن كثير وحده: «نشأ» بالنون رداً على قوله: «مكَّنَّا»، وقرأ الآخرون بالياء رداً على قوله: ﴿يَتَّبِعُوا﴾. ﴿فُضِّبَ رَحْمَتَنَا﴾، أي: بنعمتنا، ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطّف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، فهذا في أمر الدنيا.

﴿وَلَا تَجْرُ الْأَخْرَ﴾، ثواب الآخرة، ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، وبنى الحصون والبيوت

الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنين المخصة ودخلت السنين المجدة بهول لم يعد الناس بمثله. ورؤي أنه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنأدى يا يوسف الجوع [الجوع]، فقال يوسف: هذا أوان القحط، ففي السنة الأولى من سني الجذب هلك كل شيء أعدّه في السنين المخصة، فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام، فباعهم في أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه، وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق [بمصر] في يد أحد عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضياء والعقار والبذور حتى احتوى عليها [أجمع]، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقّهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى استرقّهم، ولم يبق بمصر حرّ ولا حرة إلا صار عبداً له، فقال الناس: ما رأينا يوماً كالיום ملكاً أجلاً ولا أعظم من هذا، ثم قال يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي فيما خلوني فما ترى في ذلك؟ قال الملك: الرأي رأيك والأمر إليك ونحن لك تبع، قال:

فإنني أشهد الله وأشهدك أنني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددث عليهم أملاكهم. وروى أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام، فقيل له: تجوع ويبدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف إن شبت أن أنسى الجائع، وأمر يوسف عليه السلام طبأخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين، فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار. قال: وقصد الناس مصر من كل أوطى يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم، وإن كان عظيماً أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس، وتزاحم الناس عليه فأصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل يعقوب ما نزل بالناس [من الضيق والجهد في المعيشة]، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه.

﴿٥٨﴾ فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾، وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا واذهبوا [إليه] ليشترؤا منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، على يوسف، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾، يوسف عليه السلام. قال ابن عباس ومجاهد: عرفهم بأول ما نظر إليهم، وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا

إليه، ﴿وَهُمْ لَمْ تُكَبِّرُوا﴾، أي: لم يعرفوه. قال ابن عباس: وكان بين أن قذفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، فلذلك أنكروه. وقال عطاء: إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك. وقيل: لأنه كان بزى ملوك مصر عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب، فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق يقال له: يعقوب نبي من أنبياء الله، فقال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبنائنا، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبنائنا لأنه أخو الذي هلك من أمه، فأبونا يتسلى به، فقال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى أتوني بأخيكم الذي من أبيكم، فافترعوا [حينها] [على من يدعوه عنده] بينهم فأصابته القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف،

فخلفوه عنده. فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾، أي: حمل لكل واحد بعيراً بعدتهم، ﴿قَالَ أَتَوْنِي بِأَخٍ لَّكَ مِنْ أَبِيكَ؟﴾، يعني: بنيامين، ﴿أَلَا تَرَوْكَ أَبَى الْكَفِيلِ؟﴾، أي: أنته ولا أبخس الناس شيئاً فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، ﴿وَأَنَا خَيْرَ الْفَاتِرِينَ﴾، قال مجاهد: أي خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم.

﴿٥٩﴾ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، أي: ليس لكم عندي طعام أكله، ﴿وَلَا تَقْرُبُونِي﴾، أي: لا تقربوا داري وبلادي بعد ذلك، وهو جزم على النهي.

﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا سَتَرُونَ عَنْهُ آبَاءَهُ﴾، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿وَرَأَى لَقِطُونَ﴾، ما أمرتا به.

﴿٦١﴾ ﴿وَقَالَ يٰٓإِثْنَيْيَةِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿يٰٓإِثْنَيْيَةِ﴾، بالالف والنون، وقرأ الباقر: «لثنيته» بالتاء من غير ألف، يريد غلمانته، وهما لغتان مثل الصبيان والصبية، ﴿اجْمَلُوا بِضَعَّتِهِمْ﴾، [أي]: ثمن طعامهم وكانت دراهم. وقال الضحاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم. وقيل: كانت ثمانية جرب من سوق المقل. والأول أصح [في كلامهم]، [أي]: أوعيتهم، وهي جمع رحل، ﴿لَمَلَّهْمُ بِعَرُوثَهُمَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾، انصرفوا، ﴿إِلَّا أَهْلَهُمْ لَمَلَّهْمُ بِعَرُوثِهِمْ﴾، واختلصوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البز

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِمْ
قَبْلَ ۖ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٣﴾
مَتَّعَهُمْ وَجَدُوا بِصَنَعَتِهِ رُذًى ۖ إِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا بَنَاءُ
مَا بَيْنَ يَدَيْهِ هَٰؤُلَاءِ بِصَنَعَتِنَا رُذًى ۖ إِنَّا وَنِيعُ أَهْلَانَا وَنَحْفَظُ
أَخَانًا وَنَزَادًا كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَٰلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٤﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لِيَأْتِيَنِي بِهِ ۖ وَلَا
أَنْ يَحْمِلَ يَكْفِيَكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٥﴾ وَقَالَ يَبْنَئِ لَدُنْكُمْ أَوْامِنَ بَابٍ وَدُخُلُوا مِنْ أَوْبٍ
مُتَرَفِقَةٍ وَمَا غَنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَإِنْ لَأُنْكَرَنَّكُمْ
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أُوهُمَ مَا كَانَتْ يَفْعِلُ عَنْهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
لُدُّوهُ لَمَّا عَلِمَهُ ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوْرَثَ الْيَاسِقَ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

والإحسان ليكون أدعى لهم إلى
العود لعلهم يعرفونها أي كرامتهم
علينا. وقيل: رأى لوماً [فني] أخذ
[ثمن] الطعام من أبيه وإخوته مع
حاجتهم إليه فردّه عليهم من حيث لا
يعلمون تكزماً. وقال الكلبي:
تخوف أن لا يكون عند أبيه من
الورق ما يرجعون به مرة أخرى.
وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم
تحملهم على ردّ البضاعة نفياً للغلط
ولا يستحلّون إمساكها.

﴿٦٣﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا
يَا أَبَانَا﴾، إنا قدما على خير رجل
أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من
أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال
لهم يعقوب: إذا أنيتم ملك مصر
فاقرووه مني السلام، قولوا له: إن
أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما
أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا:
ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة،
فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه
أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث
كلمناه بلسان العبرانية، وقضوا عليه
القصة، وقالوا: يا أبانا ﴿مُتَّعَ وَنَا
الْكَيْلَ﴾، قال الحسن: معناه يمنع
منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا.
وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد
منا حملاً ويمنع منا الكيل لبنيامين،
والمراد بالكيل الطعام لأنه كان
يُكَالُ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَاهُ﴾
بنيامين، ﴿نَكْتَلُ﴾، قرأ حمزة
والكسائي: ﴿يَكْتَلُ﴾ بالياء، يعني:
يكيل لنفسه كما نحن نكتال، وقرأ
الآخر: ﴿نَكْتَلُ﴾ بالسنون،
يعني: نكتل وهو الطعام. وقيل:
نكتل له، ﴿وَرَأَىٰ لَمْ لَحَظُونَهُ﴾.

﴿وَنَزَادًا﴾، على أحمالنا، ﴿كَيْلَ
بَعِيرٍ﴾، أي: حمل بعير يكال لنا من
أجله، لأنه كان يعطي باسم كل
رجل حمل بعير، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلُ
يَسِيرٍ﴾، أي: ما حملنا قليل لا
يكفينا وأهلنا. وقيل: معناه ونزاد
كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه
ولا مشقة. وقال مجاهد: البعير
ها هنا الحمار كيل بعير، أي: حمل
حمار، وهي لغة، يقال للحمار:
بعير. وهم كانوا أصحاب حمر.
والأول أصح [أنه البعير المعروف].

﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ﴾: ﴿لَنْ
أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي
مَوْثِقًا﴾، أي: ميثاقاً وعهداً، ﴿مِنَ
اللَّهِ﴾، والعهد الموثق: المؤكّد
بالقسم. وقيل: المؤكّد بإشهاد الله
على نفسه، ﴿فَأَتَيْنِي بِهِ﴾، وأدخل
اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين،
﴿إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ يَكْفِيَكُمْ﴾، قال مجاهد:

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مَتَّعَهُمْ﴾،
الذي حملوه من مصر، ﴿وَجَدُوا
بِصَنَعَتِهِ﴾، [أي]: ثمن الطعام،
﴿رُذًى ۖ إِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا بَنَاءُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾،
أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟
وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه
السلام إحسان الملك إليهم وحثّوه
على إرسال بنيامين معهم، فلما
فتحوا المتاع وجدوا البضاعة، قالوا:
يا أبانا ما نبغي، ﴿هَٰؤُلَاءِ بِصَنَعَتِنَا
رُذًى ۖ إِنَّا﴾، أي: شيء نطلب
بالكلام فهذا هو العيان من الإحسان
والإكرام، أوفى لنا الكيل ورّد علينا
الثمن، أرادوا تطيب نفس أبيهم،
﴿وَنِيعُ أَهْلَانَا﴾، أي: نشترى لهم
الطعام فنحمله إليهم. يقال: مار
أهله يميز ميراً إذا حمل إليهم الطعام
من بلد إلى بلد آخر. ومثله أمتار
يمتار امتياراً. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾
بنيامين، أي: مما تخاف عليه.

إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا. وقال قتادة: إِلَّا أَنْ تَغْلِبُوا حَتَّى لَا تَطِيقُوا ذَلِكَ. وفي القصة: أَنَّ الْأَخُوَّةَ ضَاقَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ وَجَهَدُوا شَدَّ الْجَهْدِ، فَلَمْ يَجِدْ يَعْقُوبُ بَدْءًا مِنْ إِرْسَالِ بَنِيَامِينَ مَعَهُمْ. ﴿ثُمَّ لَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ﴾، أعطاه عهودهم، ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، شاهد. وقيل: حافظ. قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الله عز وجل: وعزتي [وجلالتي] لأردنَّ عليك كليهما بعدما توكلت عليّ.

﴿وَقَالَ﴾ له يعقوب: لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ، ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَدْوَابٍ مُتَفَرِّقِينَ﴾، وذلك أَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمْ [مِنْ] الْعَيْنِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْطَوْا جَمَالًا وَقُوَّةً وَامْتِدَادَ قَامَةٍ، وَكَانُوا وَلَدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي دُخُولِهِمْ لثَلَا يَصَابُوا بِالْعَيْنِ، فَبُنِ الْعَيْنِ حَقٌّ.

وجاء في الأثر: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبِيرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ».

وعن إبراهيم النخعي أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَرَوْا يُوسُفَ فِي التَّفَرُّقِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: إِنْ كَانَ اللَّهُ قَضَى فِيكُمْ قِضَاءً فَيُصِيبُكُمْ مَجْتَمِعِينَ كُنْتُمْ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ، فَإِنَّ الْمَقْدُورَ كَائِنْ وَالْحَذَرَ لَا يَنْفَعُ عَنْ الْقَدْرِ، ﴿إِنَّ أَلْعَمَّكُمْ﴾، مَا الْحَكَمَ، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، هَذَا تَفْرِيطُ يَعْقُوبَ أَمُورَهُ إِلَى اللَّهِ، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعْتَمَدْتُ، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾، أَي: مِنَ الْأَبْوَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ. وقيل: كَانَتِ الْمَدِينَةُ مَدِينَةَ الْفُرَّاءِ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، فَدَخَلُوهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، ﴿ثُمَّ كَانَتْ يُفْنَى﴾، يَدْفَعُ ﴿عَنْهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى يَعْقُوبَ فِيمَا قَالَ، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾، مُرَادًا، ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ إِشْفَاقَ الْآبَاءِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ، ﴿فَرَأَاهُ﴾، يَعْنِي: يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَدُوِّ عَلَيْهِ﴾، يَعْنِي: كَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ عَنْ عِلْمٍ لَا عَنْ جَهْلٍ، ﴿لَمَّا عَلَفْنَاهُ﴾، أَي: لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ. وقيل: إِنَّهُ لِعَامِلٍ بِمَا عِلْمٌ. قَالَ سَفِيَانُ: مَنْ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ لَا يَكُونُ عَالِمًا. وقيل: إِنَّهُ لَذُو حِفْظٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، مَا يَعْلَمُ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ إِبْصَابَةِ الْعِلْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَعْلَمُ الْمُشْرِكُونَ مَا أَلْهِمَ اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾، قالوا: هَذَا أَخُونَا الَّذِي أَمَرْتَنَا أَنْ نَأْتِيكَ بِهِ قَدْ جِئْنَاكَ بِهِ، فَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ وَأَصْبَحْتُمْ، وَتَسْجُدُونَ جِزَاءَ ذَلِكَ عِنْدِي، ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ فَأَكْرَمَ مَنْزِلَتَهُمْ، ثُمَّ أَضَافَهُمْ وَأَجْلَسَ كُلَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى مَائِدَةٍ فَبَقِيَ بَنِيَامِينَ وَحِيدًا فَبَكَى وَقَالَ: لَوْ كَانَ أَخِي يُوسُفَ حَيًّا لِأَجْلَسْنِي مَعَهُ، فَقَالَ يُوسُفُ: لَقَدْ بَقِيَ أَخُوكُم هَذَا وَحِيدًا فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ فَجَعَلَ يُؤَاكِلُهُ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَمَرَ لَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ﴾، وقال [لهم]: لِيَنْسَمِ كُلُّ أَخَوَيْنِ مِنْكُمْ عَلَى مِثَالِ، فَبَقِيَ بَنِيَامِينَ

وَاحِدَهُ، فَقَالَ يُوسُفُ: هَذَا يَنَامُ مَعِيَ عَلَى فِرَاشِي، فَتَنَامُ مَعَهُ فَجَعَلَ يُوسُفُ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ وَيَشُمُّ رِيحَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، وَجَعَلَ رُوبِينَ يَقُولُ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ لَهُمْ: إِنِّي أَرَى هَذَا الرَّجُلَ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ فَسَافَضْتُهُ إِلَيَّ فَيَكُونُ مَنْزِلُهُ مَعِيَ، ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ مَنْزِلًا وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ، وَأَنْزَلَ أَخَاهُ لَأَمَهُ [مَعَهُ]، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوَدَّ إِلَى أَخَاهُ﴾، أَي: ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ فَلَمَّا خَلَا بِهِ قَالَ [له]: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: بَنِيَامِينَ، قَالَ: وَمَا بَنِيَامِينَ؟ قَالَ: ابْنُ الْمَثْكَلِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَلَدَ هَلَكْتَ أُمُّهُ قَالَ: وَمَا اسْمُ أُمِّكَ؟ قَالَ: رَاحِيلُ، قَالَ: رَاحِيلُ بِنْتُ لَآوِي، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ عَشْرَةُ بَنِينَ، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ أَخٍ لِأُمِّكَ، قَالَ: كَانَ لِي أَخٌ فَهَلْكَ، قَالَ يُوسُفُ: أَتَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ بَدَلَ أَخِيكَ الْهَالِكِ، فَقَالَ بَنِيَامِينَ: وَمَنْ يَجِدُ أَخًا مِثْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ يَعْقُوبُ وَلَا رَاحِيلُ، فَبَكَى يُوسُفُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ، وَقَالَ [له]: ﴿قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، أَي: لَا تَحْزَنْ، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، بِشَيْءِ فَعْلُوهُ بِنَا فِيمَا مَضَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَلَا تَعْلَمُهُمْ شَيْئًا مِمَّا أَعْلَمْتَكِ، ثُمَّ أَوْفَى يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ الْكَيْلَ وَحَمَلَ لَهُمْ بَعِيرًا بَعِيرًا وَلِبْنِيَامِينَ بَعِيرًا بِاسْمِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَقَايَةِ الْمَلِكِ فَجَعَلَتْ فِي رَحْلِ بَنِيَامِينَ.

قال السدي: جعل السقاية في رحل أخيه، والأخ لا يشعر، وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا

أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال [له] يوسف: قد علمت اغتنام والدي بي وإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع وأنسبك إلى ما لا يحمد، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك فلاني لا أفارقك، قال: فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليهيئ لي ردك بعد تسريحك، قال: فافعل كما تريد.

﴿٧١﴾ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها. قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، وجعلها يوسف مكيالاً لثلاث يكال بغيرها، وكان يشرب منها. والسقاية والصواع واحد، فجعلت في وعاء طعام [أخيه] بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً. وقيل: حتى خرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوفهم وجبسهم. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، نادى مناد، ﴿إِنَّهَا الْغَيْرُ﴾، وهي القافلة التي فيها الأحمال. قال مجاهد: كانت العير حميراً. قال الفراء: كانوا أصحاب إبل. ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾، قفوا. قيل قالوه من غير أمر يوسف. وقيل: قالوه بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قالوه على تأويل أنهم سرقوا يوسف من أبيه، فلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفكم

كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، قالوا: وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم.

﴿٧٢﴾ فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَقُلُوا عَلَيْهِمْ، عطفوا على المؤذن وأصحابه، ﴿فَمَاذَا تَقُولُونَ﴾، ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجد.

﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا تَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ جِدْ بِعِيرٍ﴾، من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، كفيل، يقوله المؤذن.

﴿٧٤﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿تَاللَّهِ﴾، أي: والله، خضت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، لئسرق في أرض مصر، فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ قيل: قالوا قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحدًا شيئاً فأسألوا عتاً من مرربنا به، هل ضررنا أحدًا. وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها. وقيل: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كتموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس، ﴿وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ لَكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَقْدُصُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿قَالُوا تَقْدُصُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ جِدْ بِعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ رُحِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْفَالِقِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَغْرَحَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفُ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتَكَ مِنْ ثَنَاءٍ وَقَوَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخَ لَئِمٍ قَبْلَ فَاسْرُهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَعَاذٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنادي وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، يعني: ما جزاء السارق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾، في قولكم: ما كنا سارقين.

﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ رُحِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ﴾، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه فيسرقه سنة، وكان ذلك ستة آل يعقوب في حكم السارق، وكان [أي] حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعف قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْفَالِقِينَ﴾، الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير، فقال الرسول عند ذلك: لا بد

من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها. ورؤي أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه [واحداً واحداً].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِ﴾، لإزالة التهمة، ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، فكان يفتش أوعيتهم واحداً واحداً. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثماً مما قد فهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين، قال: ما أظن هذا أخذه، فقال إخوته: والله لا نترك حتى تنظر في رحله فإنه أطيّب لنفسك ولأنفسنا، فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، وإنما أتت الكناية في قوله: ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾، والصُّوْعُ مذكر، بدليل قوله: ﴿وَلَمَنْ جَاءَهُ بِهِ حِجْلٌ يُبِيرُ﴾ [يوسف: ٧٢]، لأنه رد الكناية ههنا إلى السقاية. وقيل: الصواع يذكر ويؤنث، فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع، فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية والله قد وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكُم، فأخذوا بنيامين رقيقاً. وقيل: إن ذلك الرجل أخذه برقبة ورده إلى يوسف كما يرد السارق، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ إِيُوسُفُ﴾، والكيد

لهنا جزء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، فكيدنا ليوسف في أمرهم. والكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقيل: كدنا ألهمنا. وقيل: دبرنا. وقيل: أردنا. ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته [وذلك قوله]: ﴿مَا كَانَ لِأَخِي أَنْ يَأْخُذَ أَخَاهُ﴾، فيضمه إلى نفسه، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي: في حكمه. قال قتادة وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على السنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى. ﴿تَرْفَعُ دَرَجَتَيْنِ ثَلَاثَةَ﴾، بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب «يرفع» و«يشاء» بالياء فيهما، [وإضافة «دَرَجَتَيْنِ» إلى «ثَلَاثَةَ» في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى. وقد تقدم ذكره في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قرؤوا: ﴿دَرَجَتَيْنِ﴾ بالتثنية، ومن سواهم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، الواقع أيضاً هو الله تعالى. ﴿وَوَقَّكَ كُلِّي ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾. قال ابن عباس: فوق

كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ﴾، يريدون أخاً له من أمه يعنون به يوسف، واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف [عليه السلام]، فقال سعيد بن جببر وقاتدة: كان لجده، أبي أمه، صنم يعبد فأخذه سراً، كسره وألقاه في الطريق لثلا يعبد. وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلاً. وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء.

وذكر محمد بن إسحاق: أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحاق بعد موت أمه راحيل، فحضنته عمته وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه، فاتاها وقال: يا أختاه سلمى إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قالت: لا والله، فقال: والله ما أنا بتاركة، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك فعمدت [عمته] إلى منطقة لإسحاق كانوا يتوارثونها بالكبر، فكانت عندها لأنها كانت أكبر ولد إسحاق، فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لسلم لي، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك

فهو سلم لك، فأمسكته حتى ماتت،
فذلك الذي قال إخوة يوسف: ﴿إِنْ
يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾،
﴿فَأَسْرَهَا﴾، أضمرها ﴿يُوسُفُ فِي
نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّهَا لَهُمْ﴾، وإنما أنت
الكناية لأنه عَنَّا بها الكلمة وهي
قوله: ﴿قَالَ أَتَشْرُ مَعَنَا﴾،
ذكرها سراً في نفسه ولم يصرح بها،
يريد أنتم شر مكاناً أي منزلاً عند الله
ممن رميتوه بالسرقه في صنيعكم
بيوسف، لأنه لم يكن من يوسف
سرقه حقيقية وخيانكم حقيقة،
﴿وَاللَّهُ أَتَعْلَمُ بِمَا نَصِفُونَ﴾، يقولون.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا
شَيْخًا كِبِيرًا﴾، وفي القصة أنهم
غضبوا غضباً شديداً لهذه الحالة،
وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم
يطاقوا، وكان روبيل إذا غضب لم
يقم لغضبه شيء، وإذا صاح ألق
كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها،
وكان مع هذا إذا مشه أحد من ولد
يعقوب سكن غضبه. وقيل: كان هذا
صفة شمعون من ولد يعقوب. وروي
أنه قال لإخوته: كم عدد الأسواق
بمصر؟ فقالوا: عشرة، فقال: اكفوني
أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك، أو
اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم
الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال
روبي: لتردن علينا أخانا أو لأصيحن
صبيحة لا تبقي بمصر امرأة حامل إلا
ألق ولدها وقامت كل شعرة في
جسد روبيل فخرجت من ثيابه، فقال
يوسف لابن له صغير: قم إلى جنب
روبي فمسه. وروي: خذ بيده فأتني
به، فذهب الغلام فمسه فسكن
غضبه. فقال روبيل: إن ها هنا لبذراً

من بلر يعقوب، فقال
يوسف: مَنْ يعقوب؟
وروي أنه غضب ثانياً فقام
إليه يوسف فركضه برجله
وأخذ بتلابيبه فوقع على
الأرض وقال: أنتم يا
معشر العبرانيين تظنون أن
لا أحد أشد منكم؟ فلما
صار أمرهم إلى هذا ورأوا
أن لا سبيل لهم إلى
تخليصه خضعوا وذلوا
وقالوا: يا أيها العزيز إن له
أباً شيخاً كبيراً يحبّه،
﴿فَخُذْ أَعْدَاكَ مَعَكَ﴾،
بدلاً منه، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾، في أفعالك.

وقيل: من المحسنين إلينا في توفية
الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة.
وقيل: يعنون: إن فعلت ذلك كنت
من المحسنين.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿مَعَاذَ
أَقُو﴾، أعوذ بالله، ﴿أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ
وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عَنْدَهُ﴾، ولم يقل إلا
من سرق تحرزاً من الكذب، ﴿إِنَّا
إِذَا لَطَلِمُونَ﴾، إن أخذنا بريئاً
بمجرم.

﴿قَلْبًا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾، أي:
أيسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما
سألوه. وقال أبو عبيدة: استياسوا
استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم.
﴿خَلَصُوا يَحْيَى﴾، أي: خلا بعضهم
ببعض يتناجون ويتشاورون لا
يخالطهم غيرهم. والتجني يصلح
للجماعة كما قال ههنا يصلح للواحد
كقوله: ﴿وَقَرَّتْهُ يَحْيَى﴾ [مريم: ٥٢]،
وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ
وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عَنْدَهُ﴾ وَإِنَّا
إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿قَلْبًا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا يَحْيَى﴾
﴿قَالَ كَيْفَ هُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا بَنَاتُكُمْ أَبْنَاءُكُمْ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا لَأَبِياعِلْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ
﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا
وَرَنَا لِنَدْفِئَهُ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّكُم لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ أَمْ
فَصَبِّرْ يَحْيَى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى
يُوسُفَ وَابْنَتَيْ عِيَاذٌ مِنَ الْعَرْزِ لَهُمْ كَيْدٌ ﴿وَقَالُوا
قَالُوا تَأَلَّوْا اللَّهُ تَفَقَّؤًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَاتِي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُوا مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٥﴾

جعل نعتاً كالعدن والزور، ومثله
النجوى يكون اسماً ومصدراً،
قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّ جَنَّةً﴾
[الإسراء: ٤٧]، أي: متناجون.
وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾
[المجادلة: ٧]، وقال في المصدر:
﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة:
١٠]. ﴿قَالَ كَيْفَ هُمْ﴾، يعني: في
العقل والعلم لا في السن. قال ابن
عباس والكلبي: هو يهوذا وهو
أعقلهم. وقال مجاهد: هو شمعون،
وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال
قتادة والسدي والضحاك: هو روبيل،
وكان أكبرهم في السن، وهو الذي
نهى الإخوة عن قتل يوسف. ﴿أَلَمْ
تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا﴾، عهداً، ﴿وَمِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا
فَرَّطْتُمْ﴾، قصرتم ﴿فِي يُوسُفَ﴾،
واختلفوا في محل ﴿مَا﴾، قيل: هو
نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: ألم

تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وقيل: وهو في محل رفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله: ﴿وَبَرَكَ اللَّهُ﴾، ثم قال: ﴿وَمِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ تفريطكم في يوسف. وقيل: ﴿مَا﴾ صلة، أي: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف، ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ﴾، التي أنا بها وهي [أرض] مصر، ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾، بالخروج منها يدعوني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾، برّد أخي إلي أو بخروجي وترك أخي. وقيل: أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، أعدل من فصل بين الناس.

﴿٨١﴾ ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾، يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا إلى أبيكم، ﴿فَقُولُوا يَبْنَائَا إِبْرَاهِيمَ أَبْنَاكَ﴾، بنيامين، ﴿سَرَقَ﴾، وقرا ابن عباس والضحاك [سُرِقَ] بضم السين وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب إلى السرقة، كما يقال خَوَّنَتْه أي نسبته إلى الخيانة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾، يعني: ما قلنا هذا إلا بما علمنا فإننا رأينا إخراج الصاع من متاعه. وقيل: معناه وما شهدنا إلا بما علمنا أي ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وليست هذه شهادة منا إنما هو خبر عن صنع ابنك بزعمهم. وقيل: قال لهم يعقوب عليهم السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم، فقالوا: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسرق إلا بما علمنا، وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: ما

كنا نعلم إن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه عنه سبيل. وعن ابن عباس: ما كنا لليلة ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين. وقال عكرمة: وما كنا للغيب حافظين فلعلها دُت بالليل في رحله.

﴿٨٢﴾ ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، أي: أهل القرية وهي مصر. قال ابن عباس: هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر. ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا﴾، أي: القافلة التي كنا فيها. وكان أصحابهم قوم من كنعان من جيران يعقوب. قال ابن إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم، ﴿وَلِنَا لَصَدِيقُونَ﴾، فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبر بمكانه وحس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه؟ وقيل: معنى العقوق: قطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ قيل: قد أكثر الناس فيه [من الأقوال]. والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، وأمره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه، والاول أصح.

﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، فيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: ﴿بَلْ

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، أي: حمل أخيك إلى مصر لطلب نفع عاجل، ﴿فَصَبَّرَ جَمِيلٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، يعني: يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾، بحزني ووجدني على قدمهم، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين فقام حزنه وبلغ جهده، وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، ﴿وَقَالَ يَبْنَائَا﴾، يا حزناء، ﴿عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾، والأسف أشد الحزن، ﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾، يعني: غمي بصره. قال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يشه. قال قتادة: تردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيراً. وقال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله من يعقوب [عليه الصلاة والسلام].

﴿٨٥﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد يعقوب، ﴿تَاللَّهِ تَقْتُلُونَا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ﴾، أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتري من حبه، يقال: ما فتىء يفعل كذا، أي: ما زال يفعل، و﴿لَا﴾ محذوفة من قوله: ﴿تَقْتُلُونَا﴾، يقال: ما فتىء يفعل كذا، أي: ما زال؛ كقول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قائماً
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي: لا أبرح. ﴿حَتَّى تَكُونَتْ حَرَمًا﴾، قال ابن عباس: دفناً. قال مجاهد: الحرص ما دون الموت، يعني: قريباً من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسداً لا عقل لك، والحرص: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائباً من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون ذِنْفَ الجسم مخبول العقل. وأصل الحرص: الفساد في الجسم، والعقل من الحزن أو الهم، أو العشق أو الهم، يقال: رجل حرص وامرأة حرص، ورجلان وامرأتان حرص، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وُضع موضع [الحال] والاسم. ﴿أَنْزَلَكَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْهَلْجَيْنِ﴾، أي: من الميتين.

﴿٨٦﴾ قَالَ ﴿يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَى غِلْظَتَهُمْ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَشَرَفِي إِلَى اللَّهِ﴾، والبث أشد الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي يظهره، وقال الحسن: بشي أي: حاجتي. يروى أنه دخل على يعقوب جاز له فقال [له]: يا يعقوب ما الذي غير حالك ما لي أراك قد تهشمت وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمتي وأفنيتني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها فاعفُها لي، فقال: قد غفرتها لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بشي وحزني إلى الله، وروى أنه قيل له: يا يعقوب ما الذي أذهب

بصرك وقوس ظهرك؟ فقال: أذهب بصري بكائي على يوسف، وقوس ظهري حزني على أخيه؟ فأوحى الله إليه: أتشكوني فوعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني، فعند ذلك قال: إنما أشكو بشي وحزني إلى الله، فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لأخرجتهما لك، وإثما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيء، وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء، ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع إليه المساكين، فصنع طعاماً ثم قال: من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب. وروى أنه كان بعد ذلك إذا تغذى أمر من ينادي: من أراد الغداء فليأت يعقوب، وإذا أنظر أمر من ينادي: من أراد أن يفطر فليأت يعقوب: فكان يتغذى ويتعشى مع المساكين وعن وهب بن منبه قال: لما أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لِمَ عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا [يا إلهي قال]: لأنك قد شويت عناقاً وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه.

وُروى: أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهي تخور. وقال وهب والسدي وغيرهما: أتى جبريل إلى يوسف في السجن فقال [له]: هل تعرفني أيها الصديق؟ قال: أرى صورة طاهرة وريحاً طيبة، قال: إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين، قال: فما أدخلك

مدخل المذنبين وأنت أطيّب الطيبين ورأس المقرّبين وأمين رب العالمين؟ قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله تعالى يطهر البيوت بطهر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطيهر الأراضين، وأن الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله يا طاهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين، قال: كيف لي باسم الصديقين وتعذني من المخلصين الطاهرين، وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين؟ قال جبريل: لأنه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك لذلك سمّاك الله في الصديقين، وعدك من المخلصين، وألحقك بأبائك الصالحين، قال يوسف: هل لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم، قال: فكيف قدر حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: أجر مائة شهيد، قال: أفتراني لاقية؟ قال: نعم، فطابت نفسه، وقال: ما أبالي بما لقيت إن رأيته. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

روى أن ملك الموت زار يعقوب [عليه الصلاة والسلام] فقال له: أيها الملك الطيب ريحه، الحسن صورته، هل قبضت روح ولدي في الأرواح؟ قال: لا، فسكن يعقوب وطمع في رؤيته، وقيل: وأعلم أن رؤيا [ولدي] يوسف صادقة وإني وأنتم سنسجد له.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا
مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾
فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُ
وَحَنَا يَضَعُ مَرْجَعَهُ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا
إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ
بِیُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَوْلَا
لَاكَ يَؤُسُفَ قَالَ أَنَا يَؤُسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدِمَ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ بَنِي إِصْحَارَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَأَنْ كُنَّا لَخَطِئُونَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَأْتِرِبَ عَلَيْكُمْ
الْيَوْمَ بُعْثُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾
أَذْهَبُوا بِمِصْرٍ هَذَا فَاقْوُوا عَلَى وَجْهِ أَبِي بَاتٍ بَصِيرًا
وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَ
الْوَيْلُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رَيْحَ يَؤُسُفَ لَوْلَا أَنْ
تُعَذِّبُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا نَالَهُ لَكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَبِيرِ ﴿٩٥﴾

الذئب، فذهبت عينا لي من البكاء عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أنسلى به وإنك حسبه وزعمت أنه سرق، وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته إلي [أقر الله عينيك ولا أحزن قلبك] وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابح من ولدك، فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره، فظهر نفسه على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

﴿٨٧﴾ [قوله]: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾،

الخبر، ﴿مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس بالحاء والجيم [لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا أن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة]. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾، ولا تقنطوا، ﴿مِنْ رَجْعِ اللَّهِ﴾، أي: من الرحمة. وقيل: من فرج الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا على [يوسف، فلما دخلوا عليه]، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُوحَنَا يَضَعُ مَرْجَعَهُ﴾، أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها، وأصل الإرجاء [فيها]

السوق والدفع. وقيل: للبضاعة مزجاة لأنها غير نافقة، وإنما تجوز على دفع من أخذها. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس: كانت دراهم رديئة زيوفاً. وقيل: كانت خلق الغرائر والحبال. وقيل: كانت من متاع الأعراب من الصوف والأقط. وقال الكلبي ومقاتل: كانت الحبة الخضراء. وقيل: كانت سويق المقل. وقيل: كانت الأدم والنعال. ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾، أي: أعط لنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد السوافي، ﴿وَصَدِّقْ عَلَيْنَا﴾، أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا. هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برء أخينا إلينا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، يريد أن الصدقة كانت حلالاً لهم. وروي أن الحسن سمع رجلاً يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من يبغي الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي.

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِیُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته

﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا على [يوسف، فلما دخلوا عليه]، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُوحَنَا يَضَعُ مَرْجَعَهُ﴾، أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها، وأصل الإرجاء [فيها]

وقال السدي: لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفس يعقوب فطمع وقال لعله يوسف، فقال: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه.

وروي عن عبد الله بن يزيد بن أبي فروة: أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد، فإننا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فشذت يده ورجلاه وألقي في النار، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فشذت يده ورجلاه ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، فقالوا: قد أكله

الرقعة فارفض دمه فباح بالذي كان يكتمه منهم. وقال الكلبي: إنما قال ذلك حين حكى لإخوته أن مالك بن ذعر قال: إني وجدت غلاماً في بشر من حاله كيت وكيت، فابتعته بكذا [وكذا] درهماً، فقالوا: أيها الملك، نحن بعنا ذلك الغلام [منه]، فغاض يوسف ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوه، فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يحزن ويكي لفقد واحد منا حتى كف بصره، فكيف إذا أتاه قتل بنيه كلهم؟ ثم قالوا له: إن فعلت ذلك فابعت بامتعتنا إلى أبينا فإنه بمكان كذا وكذا، فذلك حين رحمهم ويكي، وقال ذلك القول. وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذنبون عاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب. فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم [ضرر] إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حسبه؟ قيل: قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيراً. وقيل: لما كانا من أم واحدة وكانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يَوْسُفَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: ﴿إِنَّكَ﴾ على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام. قال ابن إسحاق: كان يوسف يتكلم من وراء ستر، فلما قال يوسف: هل علمتم ما فعلتم، كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب، فعرفوه.

وقال الضحاك عن ابن عباس: لما قال هذا القول تبسم يوسف فأروا ثنياه كاللؤلؤ المنظوم فشبتهوه بيوسف، فقالوا استفهاماً أنك لأنت يوسف؟

وقال عطاء عن ابن عباس: إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها وإسحاق مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة، فعرفوه فقالوا: أنك لأنت يوسف، وقيل: قالوه على التوهم حتى، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، بنيامين، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، نعم الله علينا بأن جمع بيننا، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿وَنَصِرْ﴾، عسا حرم الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر على العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾، معتردين، ﴿تَأَلَّوْا لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿وَأَن كُنَّا لَخَاطِلِينَ﴾، أي: [وما كنا في صنعنا بك إلا] مخطئين مذنبين. يقال: خطى خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

﴿قَالَ﴾ يوسف وكان حليماً: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، لا تعيير عليكم اليوم ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلما عرفهم يوسف

نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه، وقال:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، أي: يعد بصيراً. وقيل: [يأتيني] بصيراً لأنه كان قد دعا له.

قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل. قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة.

وعن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم عليه السلام، وذلك أنه جرد من ثيابه وألقي في النار عرياناً فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم عليه السلام، فلما ملت [إبراهيم] ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصة وسد رأسها وعلقها في عنقه [فجعل مخزناً] لما كان يخاف عليه من العين، وكان لا يفارقه فلما ألقى في البئر عرياناً جاءه جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه، ففي ذلك الوقت جاء جبريل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وقال له: أرسل إلى أبيك ذلك القميص، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي [لوقته]، فدفع يوسف ذلك القميص إلى أخوته وقال: ألقوه على وجه

بعد الحزن. **قَالَ**، يعني: يعقوب عليه السلام، **وَأَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**، من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا. وزوي أنه قال للبشير: كيف تركت يوسف؟ قال: إنه ملك مصر، فقال يعقوب: ما أصنع بالملك على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تَمَّتْ النعمة.

﴿٩٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٨﴾ ، مَذْنِبِينَ .

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، قال أكثر المفسرين: آخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى: هل [من] داع فاستجيب له. فلما انتهى يعقوب إلى الموعد قام إلى الصلاة بالسحر، فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلّة صبري عنه واغفر لأولادي ما أتوا إلى أخيهم يوسف، فأوحى الله تعالى إليه إنني قد غفرت لك ولهم أجمعين.

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: سوف أستغفر لكم ربي يعني ليلة الجمعة.

قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في ثيف وعشرين سنة.

وقال طاوس: أخر الدعاء إلى
السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة
عاشوراء.

وعن الشعبي قال: سوف أستغفرُ
لكم ربي، قال: أسأل يوسف إن عفا
عنكم استغفرُ لكم ربي، ﴿إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وروي أن يوسف كان قد بعث مع

تسفهوني، وعن ابن عباس: تجهلوني. وقال الضحاك: تهرمون فتقولون: شيخ كبير قد خرف وذهب عقله. وقيل: تضعفوني. وقال أبو عبيدة: تضللوني. وأصل الفند: الفساد.

﴿قَالُوا﴾، يعني:
أولاد أولاده، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ
لَفِي ضَلَالِكَ عَظِيمٍ﴾،
ذكر يوسف لا تنسها،
والضلال هو الذهاب عن
الطريق الصواب، فإن
عندهم أن يوسف قد مات

ویرون یعقوب قد لهج بذکره.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾، وهو
المبشر عن يوسف، قال ابن
ميسعود: جاء البشير [من] بين يدي
الغير. قال ابن عباس: هو يهوذا.
وقال السدي: قال يهوذا، قال: أنا
ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى
يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله
الذئب فانا أذهب إليه اليوم بالقميص
فأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته.

قال ابن عباس: حمله يهودا وخرج حافياً حاسراً يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوفِ أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً.

وقيل: البشير مالك بن ذعر. ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾، يعني: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، ﴿فَأَنزَلَتْ بَصِيرًا﴾، فعاد بصيراً بعدما كان أعمى وعادت إليه قوّته بعد الضعف، وشابه بعد الهرم وسروره

[illegible]

أَبِي يَاتِ بَصِيرًا، ﴿وَأَنذَرْنِي يَا اللَّهُ﴾
 أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْيُوسُفُ﴾، أي: خرجت من عرش مصر متوجهة إلى كنعان، ﴿فَقَالَ أَبُوفِمْ﴾، [أي: قال يعقوب] لولد ولده، ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، روي أن ريح الصبا استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير. قال مجاهد: أصاب يعقوب ريح القميص من مسيرة ثلاثة أيام. وحكي عن ابن عباس: من مسيرة ثمان ليال. وقال الحسن: كان بينهما ثمانون فرسخاً. وقيل: هبَّت ريح الصبا فصفقت القميص فاحتملت ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أن ليس في الأرض من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فلذلك قال: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ. ﴿لَوْلَا أَن نَّقْدُورَ﴾،

البشير إلى يعقوب مائتي راحلة [و] جهازاً كثيراً ليأتوا بيعقوب وأهله وأولاده، فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة. وقال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين، فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه، فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر، قال: لا هذا ابنك، [قال]: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبداه بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان. ورؤي أنهما نزلا وتعانقا. وقال الثوري: لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال يوسف: يا أبت بكيت [علي] حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى يا بني ولكن [فارقتك وأنت صغيراً، فخشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك].

﴿٩٩﴾ فلذلك قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَيْنَاهُ إِلَيْهِ﴾، أي: ضم إليه، ﴿أَبُوهُ﴾، قال أكثر المفسرين: هو أبوه وخالته ليا، وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين. قال الحسن: هو أبوه وأمّه وكانت حيّة. وفي بعض التفاسير: أن الله عز وجل أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر. ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾

﴿أَبَيْنَ﴾، فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، فكيف قال ادخلوا مصر بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر، وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله، كما قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقيل: ﴿إِنْ﴾ ههنا بمعنى إذ، يريد إذ شاء الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي: إذ كنتم مؤمنين.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْمَرْثَى﴾، أي: على السرير، أجلسهما [عليه]. والرفع: هو النقل إلى العلو. ﴿وَحَرَّوْا لَهُمْ سَبَدًا﴾، يعني: يعقوب وخالته وإخوته وكانت تحية الناس يومئذ [لملوكهم] السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع. وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزاً في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة.

ورؤي عن ابن عباس أنه قال:

معناه خروا لله عز وجل سجداً بين يدي يوسف. والاول أصح. ﴿وَقَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿يَتَابِعُ هَذَا تَأْوِيلَ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا﴾، وهو قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَمَدَ عَشْرِ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ زَائِلَتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾، [ربي]، أي: أنعم علي، ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل من الحب مع كونه أشد [بلاء] من السجن استعمالاً للكرم لكيلا يخجل إخوته بعدما قال لهم: ﴿لَا تَزِرْ وَزَيْرَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، ولأن نعمة الله عليه في إخراجهم من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الحب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأن وقوعه في البشر كان لحسد إخوته [له]، وفي السجن كان مكافاة من الله تعالى لزلّة كانت منه. ﴿وَوَكَّلَ بِكُمْ مِنْ بَدُونِهِ﴾، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيئهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال: بدأ يبدؤ [بدوا] إذا صار إلى البادية. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾، أفسد، ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، بالحسد والبغض، ﴿إِنَّ رُبِّي لَطِيفٌ﴾، أي: ذو لطف، ﴿لَمَّا يَتَذَكَّرُ﴾، وقيل: معناه بمن يشاء. وحقيقة اللطيف الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق، ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، قال أهل التاريخ: أقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعاً وعشرين سنة في أغبط حال وأهنأ عيش، ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه

يدفونه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إلى جميعهم. وقال عكرمة: دفن في الجانب الأيمن من النيل، فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر، فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر، فدفنوه في وسطه. وقدرُوا ذلك بسلسلة فأخصب الجانبان جميعاً إلى أن أخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرته، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْقَبْرِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ بِمُحَمَّدٍ عِنْدَ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ، إِذْ أَجْمَعُوا أَرْثَهُمُ﴾، أي: عَزَمُوا عَلَى الْقِيَامَةِ فِي الْجَبِّ، ﴿وَهُمْ يَكُونُونَ﴾، يوسف.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾، يا محمد، ﴿وَرَلَوْ حَرَضَتْ يَهُودِيَّةٌ﴾، على إيمانهم. رُوي أن اليهود وقرشاً سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي ﷺ، فقيل له: إنهم لا يؤمنون ولو حَرَضَتْ على إيمانهم.

﴿وَمَا تَشَاءُ لَهُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿مِنْ أَعْرَابٍ﴾، [أي]: جَعَلِي وَجْزَاءً، ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، عِظَةٌ وتذكير، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ﴾، وكَمْ، ﴿مِنْ عِبَرَةٍ وَدَلَالَةٍ﴾، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُوتُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا﴾

ومتولي أمري، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفَى مُسْلِمًا﴾، يقول: اقْبَضْنِي إِلَيْكَ مُسْلِمًا، ﴿وَالْحَقْفَى﴾، يريد بأبائي النبيين. قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف [عليه السلام]. وفي القصة: لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربّه عز وجل فقال هذه المقالة. قال الحسن: عاش بعد هذا سنين كثيرة. وقال غيره: لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي. واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه، فقال الكلبي: اثنتان وعشرون سنة. وقيل: أربعون سنة. وقال الحسن: ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة. وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد: أفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب [المبتلى] عليه السلام. وقيل: عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة. وقيل: أكثر. واختلفت الأقاويل فيه. وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، فدفنوه في النيل في صندوق من رخام، وذلك أنه لما مات تشاح الناس فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلّتهم رجاء بركته، حتى هموا بالقتال، فرأوا أن

وَمَا تَشَاءُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ ءَايَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُوتُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ ٱللَّهِ ٱدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَ ٱللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَا يَسِيرُونَ ﴿١٠٦﴾ ٱلْأَرْضُ فَنَظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَكَ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْحُكْمُ فَٱنصَرْنَا بِمَنْ نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ ٱلسَّاعَتِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٨﴾ لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عَذَابٌ ٱلْأُولَىٰ ٱلْأَيْتِ ٱلْمَاكَانَ حَتَّىٰ يُفَرَّغَ وَلَكِنَّ تَصَدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

[١٤٨]

يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك، ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف إلى مصر. وقال سعيد بن جبيرة: نُقِلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْعِصَى قَدْ قُتِلَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، وَكَانَ وَلِذَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ عُمُرُهُمَا مِائَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُيَسِّفَ شَمْلَهُ عَلَّمَ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا يَدُومُ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى حُسْنَ الْعَاقِبَةِ، فَقَالَ:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، يعني: ملك مصر، والملك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِمَّنْ تَأْوِيلُ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، يعني: تعبیر الرؤيا. ﴿فَإِطَّرَ﴾، أي: يا فاطر، ﴿ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما، ﴿أَنْتَ وَلَوْ﴾، أي: مُعِينِي

مُعْرِضُونَ، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ يُشْرِكُونَ﴾، فكان من إيمانهم إذا سئَلُوا: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون.

وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلييتهم: لتيك اللهم لتيك، لتيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتَمَّنَّاكُمْ لِهَيْبَتِ يَهُوذَا دَعَاَ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [يونس: ٢٢] الآية، ﴿وَإِذَا رَجَعُوا فِي أَعْيُنِنَا دَعَاَ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَخَّسْهُمْ إِلَى آلِي آلِي إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وغير ذلك من الآيات.

﴿أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ آتُوا﴾، أي: عقوبة مجللة، قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْسِفُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ قُوَّتِهِمُ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٥]. قال قتادة: وقية. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَقَمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بقيامها. قال ابن عباس: تهيج [الصيحة] بالناس وهم في أسواقهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَلْؤُودُ﴾

الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، ﴿سَبِيلِي﴾، سُنَّتِي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: إلى دينه. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، على يقين. والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتِي﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضاً يدعو إلى الله، هذا قول الكلبي وابن زيد. قالوا: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، ثم استأنف: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتِي﴾، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني. قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكثر الإيمان وجند الرحمن. قال عبد الله بن مسعود: من كان مُسْتَنَافاً فليست بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، [قوم] اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفُوا لهم فضلهم، [واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم]، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَى أُولَئِكَ﴾، أي: وقل سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾، [لا] ملائكة،

﴿ثَوْبِي إِلَيْهِمْ﴾، قرأ حنفس: ﴿ثَوْبِي﴾ بالنون وكسر الحاء، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء. ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، يعني: من أهل الأمصار دون أهل البوادي لأن أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم وأحلم. [قال الحسن لم يبعث الله نبياً من بدو ولا من الجن ولا من النساء، وقيل: إنما لم يبعث من أهل البوادي لغلظتهم وجفائهم]. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: هؤلاء المشركين المكذبين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ﴾، آخر أمر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: الأمم المكذبة فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، يستقول جل ذكره هذا فعلنا بأهل [ولایتنا] طاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب، وما في الدار الآخرة خير لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه. قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، قيل: معناه ولد الدار الآخرة [خير]. وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُمْ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [البقرة: ٩٥]، وكقولهم: يوم الخميس وربيع الآخر. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، فتؤمنون.

﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾، ﴿وَقَالُوا أَتَمَّنَّا قَدْ كُذِّبُوا بِجَنَّةٍ مُمْسَكَةٍ﴾، [أمرنا].

اختلف القول في قوله: ﴿كُذِّبُوا﴾، فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتخفيف، وكانت عائشة تنكر هذه القراءة. وقرأ الآخرون بالتشديد، فمن شدده قال: معناه حتى إذا استيأس،

الحلال والحرام والأمر والنهي،
﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، بياناً ونعمة،
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [والله تعالى أعلم].



سورة الرعد

مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ [الرعد: ٣١]، إلى قوله:
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾
[الرعد: ٤٣]، وهي ثلاث وأربعون
آية.

﴿الرَّ﴾ قال ابن عباس:
معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ
الْكِتَابِ﴾، يعني: تلك الأخبار التي
قصصها عليك آيات التوراة
والإنجيل والكتب المتقدمة، ﴿وَالَّذِي
أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: وهذا القرآن
الذي أنزل إليك، ﴿مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾،
أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون
محل الذي رفعاً على الابتداء
و«الحق» خبره، وقيل: محله خفض
يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي
أنزل إليك، ثم ابتداء الحق يعني ذلك
الحق.

وقال ابن عباس: أراد بالكتاب
القرآن، ومعناه هذه آيات الكتاب
يعني القرآن، ثم قال: وهذا القرآن
الذي أنزل إليك من ربك هو الحق،
﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال
مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين
قالوا: إن محمداً يقوله من تلقاء
نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل
ربوبيته، فقال عز من قائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
عَمَلٍ تَرَوْنَهَا﴾، يعني: السوراري

قومهم أن الرسل قد
كذبهم في وعيد
العذاب.

وروي عن ابن عباس:
أن معناه ضعف قلوب
الرسل، يعني: وظنت
الرسل أنهم قد كذبوا فيما
وعدوا من النصر، وكانوا
بشراً فضعفوا ويثسوا
وظنوا أنهم أخلفوا، ثم
تلا: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَوَى تَمَرٍ
أَقْوَمُ﴾ [البقرة: ٢١٤]،
أي: جاء الرسل نصرنا.
﴿فَتُجَنَّبِي مِنَ نَشَأٍ﴾، قرأ
العامة بنونين، أي: نحن

ننجي من نشاء. وقرأ ابن عامر
وحزمة وعاصم ويعقوب بنون واحدة
مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء
على ما لم يسم فاعله، لأنها مكتوبة
في المصحف بنون واحدة مضمومة،
فيكون محل ﴿مِنْ﴾ رفعاً على هذه
القراءة، وعلى القراءة الأولى يكون
نصباً، فتُجَنَّبِي مِنَ نَشَأٍ عند نزول
العذاب، وهم المؤمنون المطيعون.
﴿وَلَا يَرْدُ بَاسُكُمْ﴾، عذائنا، ﴿عَنِ
الْقَوْمِ الْمَجْرُومِينَ﴾، أي: المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾،
أي: في خبر يوسف وإخوته،
﴿غَيْرَةٌ﴾ عِظَةٌ، ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا
كَانَ﴾، يعني: القرآن، ﴿حَدِيثًا
يُفَرِّقُ﴾، أي: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي﴾، أي: ولكن كان
تصديق الذي، ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من
التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ﴾، مما يحتاج العباد إليه من



الرسل من إيمان قومهم روي عن
مجاهد أنه قرأ: وقد كذبوا بفتح
الكاف والذال مخففة ولها تاويلان:
أحدهما معناه أن القوم المشركين
ظنوا أن الرسل قد كذبوا والثاني
معناه أن الرسل ظنوا - أي علموا -
أن قومهم قد افترخوا على الله
بكفرهم من إيمان قومهم وظنوا:
أي أيقنوا - يعني الرسل - أن الأمم
قد كذبوهم تكذيباً لا يرجى بعده
إيمانهم، والظن بمعنى اليقين، وهذا
معنى قول قتادة. وقال بعضهم:
معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن
كذبهم من قومهم أن يُصدّقوهم،
وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد
كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة
المحنة والبلاء عليهم واستبطاء
النظر. ومن قرأ بالتخفيف قال:
معناه حتى إذا استيأس الرسل من
إيمان قومهم وظنوا، أي: ظن

واحدها عمود مثل آدم وأدم، وعمد أيضاً جمعه مثل رسول ورسل، ومعناه نفى العمد أصلاً وهو الأصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها. قال إياس بن معاوية: السماء مقببة على الأرض مثل القبة. وقيل: ترونها راجعة إلى العمد، معناه: لها عمد ولكن لا ترونها، وزعم: أن عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، علا عليه، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ذللهما لمتافع خلقه فهما مقهوران، ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾، أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يتهيان إليها ولا يجاوزانها، ﴿يَذَرُّهُمُ الشَّرْءُ﴾، يقضيه وحده، ﴿يُقَيِّلُ اللَّيْلَ﴾، يبين السبلالات، ﴿لَقَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبِّكُمْ تَوَفُّوهُنَّ﴾، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾، بسطها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالات، واحدة: راسية.

قال ابن عباس: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض، ﴿وَأَنْهَرَهُ﴾، أي: وجعل فيها أنهاراً. ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوَاجِينَ﴾، أي: صنفين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً، ﴿يَتَنَبَّهْنَ أَيْلَ النَّهَارِ﴾، أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

فيستدلون. والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ﴾، متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع، ﴿وَجَعَلْتُ أُنْثَى بَسَاتِينَ﴾، ﴿مِنْ أَشْجَارٍ وَزَيْتٍ وَنَخِيلٍ صِوَّانٍ﴾، رفعها كلها ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب عطفاً على الجنات، وجراها الآخرون نسقاً على الأعتاب، والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿وَعِزُّ صِوَّانٍ﴾، هي النخلة المنفردة بأصلها.

وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو.

ومنه قول النبي ﷺ في العباس: ﴿إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صَنُو أَبِيهِ﴾، ولا فرق في الصنوان والقنوان بين التثنية والجمع إلا في الإعراب وذلك أن النون في التثنية مكسورة غير منونة وفي الجمع منونة، ﴿يَسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «يسقى» بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد، وقرأ الآخرون بالياء لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ أُنْثَى بَسَاتِينَ﴾، ولم يقل بعضه، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، [لا لون له فيلون بلون إنائه] ﴿وَنَقُصِّلُ بَقَعًا عَلَى بَقَعٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾، في الثمر والطعم، قرأ حمزة والكسائي «ويفضل» بالياء، لقوله تعالى: ﴿يَذَرُّهُمُ الشَّرْءُ يَذَرُّهُمُ الشَّرْءُ يَذَرُّهُمُ الشَّرْءُ﴾. وقرأ

الآخرون بالنون على معنى ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل.

وجاء في الحديث [عن النبي ﷺ]: ﴿وَنَقُصِّلُ بَقَعًا عَلَى بَقَعٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾، قال «الفارسي والدقل والحلو والحامض» قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد.

قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طيبة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعاً متجاوزة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فتروق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو، قال الحسن: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوِّمِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنْ تَجَهَّبَ فَجَعَبَ قَوْمُهُ﴾، العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ، ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق [فعجب أمرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق] من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهنا موضع العجب.

الهادي هو الله تعالى.

⑧ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَكَلِّمُ مَا يَشَاءُ﴾، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر ﴿وَمَا تَقْصِرُ الْأَرْحَامُ﴾، أي ما تنقص ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾.

وقال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم.

وقيل: إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر ظاهراً فإن رأت خمسة أيام دمًا وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة. وقال الحسن: غيضاها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر.

وقيل: النقصان السقط والزيادة تمام الخلق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد يُولد المولود لهذه المدة ويعيش.

واختلفوا في أكثرها فقال قوم: أكثرها ستان وهو قول عائشة رضي الله عنها، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن أكثرها أربع سنين وإليه ذهب الشافعي رحمه الله. قال حماد بن سلمة: إنما سمي هرم بن حيان هرمًا لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدُ

الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ﴾ في أعناقهم، يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

① قوله: ﴿يَسْتَعِظُونَكَ﴾ بالاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته والسيئة ههنا هي العقوبة، والحسنة: العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر

علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات، والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم الشاء مثل صدقة وصدقات. ﴿وَلَئِنْ رَبُّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَئِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

⑦ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾، مَخَوِّفٌ، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة. وقال عكرمة: الهادي محمد ﷺ يقول: إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبيرة:

وَيَسْتَعِظُونَكَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَلَئِنْ رَبُّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَئِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَكَلِّمُ مَا يَشَاءُ كُلُّ أَثْنٍ وَمَا تَقْصِرُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْقِسْفُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الشَّعَالُ ﴿٩﴾ سِوَاهُ فَتَكْرُمُ مِنْ أَمْرِ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ يَوْمُهُمْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالْأَيْلِ وَسَارِيهِ بِاللَّيْلِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعْقِبْ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلَاءٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ حَتَّى تَوَكَّلُوا عَلَيْهِمْ وَيُبَشِّرُ السَّعَابَ الْإِنْقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُخَوِّفُ الزَّلْزَلَةَ يَحْدُوهُ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُخَيَّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ ﴿١٣﴾

وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضاً من قولهم، ﴿وَلَا كُنَّا تَزْكَا﴾، بعد الموت ﴿وَلَا لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي: نعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت.

قرأ نافع والكسائي ويعقوب ﴿وَلَا كُنَّا﴾ مستفهماً «إنا» بتركه، على الخبر، ضله: أبو جعفر وابن عامر، وكذلك في سبحان [٤٩ - ٩٨] في موضعين والمؤمنون [٨٢] وآلم السجدة [١٠]، وقرأ الباقر بالاستفهام فيهما وفي الصفات في موضعين هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعاً في أول الصفات فيقدم الاستفهام ويعقوب لا يستفهم الثانية ﴿وَلَا يَنْتَازِكُنَا وَنَحْنُ لَوْنَا لَكَيْدُونَ﴾، قال

يُوقَدَارُ، أي: بتقدير واحد لا يجاوز ولا يقصر عنه.

﴿عَلِمُ الْقَتَبِ وَالْشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ﴾، الذي كل شيء دونه، ﴿الْمَتَالِي﴾، المستعالي على كل شيء بقدرته.

﴿قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ يَنْكَرُ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، أي: يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَتِيلٍ﴾، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾، أي: ذاهب في سريه ظاهراً، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه.

قال ابن عباس في هذه الآية: هو صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيت إذا كتمته، وسارب بالنهار أي متوار داخل في سرب.

﴿لَمْ تُعْقِبَتْ﴾، أي: الله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب: العود بعد البده وإنما ذكر بلفظ التانيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقبة، ثم جمع الجمع معقبات كما قيل: ابنائوات سعد ورجالات بكر.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب، عن مالك

عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرِثَ خَلْفِهِ﴾، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه: من وراء ظهره، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: يأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله ما لم يجيء القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي: مما أمر الله به من الحفظ عنه.

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال وراءك! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيه.

قال كعب الأحبار: لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذنبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن. وقال عكرمة: الآية في الأمراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم. وقيل: الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتْلَى التَّوْرَةُ عَلَى آلِيِينَ وَهِيَ الشَّالِوُودُ﴾ [ق: ١٧]، وقال ابن جريج: معنى يحفظونه أي يحفظون

عليه من أمر الله يعني الحسنات والسيئات. وقيل: الهاء في (له) راجعة إلى رسول الله ﷺ.

روى جوير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: له معقبات يعني لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار.

وقال عبدالرحمن بن زيد: نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل، وأريد بن ربيعة.

وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه، فدخلوا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور وكان من أجمل الناس، فقال رجل: يا رسول الله: هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: «دعه فإن يرد الله به خيراً يهده» فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين»، قال: تجعل لي الأمر بعدك، قال: «ليس ذلك إليّ إنما ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء»، قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: «أجعل لك أعة الخيل تغزو عليها»، قال: أوليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أوصى إلى أريد بن ربيعة

من الصاعقة، طمعاً في نفع المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى والمشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة. وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وإيائه، والطمع إذا كان في مكانه وإيائه، ومن البلدان إذا مطروا قحطوا وإذا لم يمتطروا أخصبوا. ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت، والسحاب جمع واحدتها سحابة، قال علي رضي الله عنه: السحاب غريال الماء.

﴿وَيَسْجِجُ الرُّعْدُ يَمِيزُ﴾، أكثر المفسرين على أن الرعد اسم لملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه، قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي دية. وعن عبدالله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى: «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد». وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وأن بحور الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سبح لا يبقى ملك في

الموت، ويقول الشعر، ويقول واللات والعزى لئن أبصرت محمداً وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذهما برمي، فأرسل الله ملكاً فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله ﷺ، فقتل

عامر بالطنن وأريد بالصاعقة، وأنزل الله عز وجل في هذه القصة قوله: ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَمَرٍ أَلْقَوْهُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالْغَارِ﴾ ﴿لَمْ تَقْبَلْ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يعني لرسول الله ﷺ معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، يعني تلك المعقبات من أمر الله، وفيه تقديم تأخير، وقال لهذين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْمًا﴾، أي: عذاباً وهلاكاً ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ أي: لا راد له، ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ دُونِهِ مِنْ أَلٍ﴾، أي: ملجأ يلجئون إليه، وقيل: وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

﴿قَوْلُهُ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاسَكُمْ﴾، قيل: خوفاً

﴿لَهُمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ ظَنِّئًا إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَهُمُ الْمَوْتُ مَوَاطِئُهُمُ وَمَا هُوَ بِدَعْوَةِ الْكُفَرِينَ إِلَّا فِي سَمْعٍ﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضُ طُوعًا وَكَرْهًا وَظُلُمَانًا﴾ ﴿وَالْقُدُّوْا وَالْأَصَالُ﴾ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَعْبُدُ مِن دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ لَعْنَتُهُمْ﴾ ﴿وَنَقَّالُوا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي﴾ ﴿أَلْظَلُمْتُ وَالنُّورَ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُوا الْإِنسَانَ﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الرَّزَّاقُ الْغَنِيُّ﴾ ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ وَبُذِلَتْ لَهُمُ الذَّلِيلُ﴾ ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ بَدَهَبٌ وَهَبْ لَهَا مَا تَصَبَّغَتْ﴾ ﴿فَلْيَكُنْ لِلنَّاسِ قِسْطٌ فِي الْآرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُم لَوَاسُؤُهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقِدُوا﴾ ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ يَوْمَ يَنْفُخُ لِلْهَادِ﴾ ﴿١٥١﴾

إذا رأيته أكله فذُر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أريد من خلف النبي ﷺ ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله تعالى عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يرمي إليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أريد وما يصنع بسيفه (في علاجه)، فقال: «اللهم أكفنيهما بما شئت»، فأرسل الله على أريد صاعقة في يوم صحو قافظ فأحرقته وولى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أريد والله لأملائها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مردأ، فقال النبي ﷺ: «يمنعك الله تعالى من ذلك، وابنا قبيلة يريد الأوس والخزرج»، فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء، ويقول: ابرز يا ملك

السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته. وقيل: أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعواناً فهم خائفون خاضعون [متذللون] طائعون.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾، جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾، كما أصاب أريد بن ربيعة. وقال محمد بن علي الباقر: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكِر، ﴿وَهُمْ يُجْذَلُونَ﴾، يخاصمون، ﴿فِي اللَّهِ﴾، نزلت في شأن أريد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ: مِمَّ رِبِكَ أَمِنْ دُرِّ أَمِنْ يَاقُوتٍ أَمِنْ ذَهَبٍ؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقت.

وسئل الحسن عن قوله عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الآية، قال: كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي ﷺ نفرأ يدعوهم إلى الله ورسوله. فقال لهم: أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني إليه مِمَّ هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس، فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكثر قلباً ولا أعتى على الله منه، فقال: «ارجعوا إليه» فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى، وقال: أجيب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه؟ فانصرفوا وقالوا: يا رسول الله ما زادنا على [مثل] الأولى

وأخبت فقال: «ارجعوا إليه» فرجعوا إليه فبينما هم جلوس عنده ينازعونه ويدعونوه وهو يقول هذه المقالة إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس [عنده]، فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله ﷺ فاستقبلهم قوم من أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم احترق صاحبكم، فقالوا: فقالوا: من أين علمتم فقالوا أوحى الله إلى النبي ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجْذَلُونَ فِي اللَّهِ﴾.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول. وقال الحسن: شديد الحقد^(١). وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

﴿لَهُ دَعْوَةُ لَقْدٍ﴾، أي: لله دعوة الصديق. قال علي رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ دَعْوَهُ﴾، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر، ﴿إِلَّا كَنُيْتُ كَنِيَّةً إِلَى اللَّهِ يَلْتَمِعُ فَأَهُوَ بِرَبِّهِمْ﴾، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقباض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء،

كذلك الذي يدعو الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الذي يريد الماء من بعيد فهو يشير بكفه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً فهذا معنى قول مجاهد. ومثله عن علي وعطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء.

وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطاً كفيه، مثل ضربه الله لخبيبة الكفار. ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾، أصنامهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه كما قال: ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالٍ يَضِلْ﴾ [الأنعام: ٢٤] وقال الضحاك عن ابن عباس وما دعاء الكافرين رهيم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَسْتَجِدُّونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً﴾، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وَكَرْهاً﴾، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿وَيَطْلُبُ لَهُمْ﴾، يعني: ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً تسجد لله عز وجل طوعاً، قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره. ﴿وَالْقُلُوبُ وَالْأَسْبَالُ﴾، يعني: إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه

ظله، والأصال: جمع «الأصل»
و«الأصل» جمع «الأصيل» وهو ما
بين العصر إلى غروب الشمس.
وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم
بالغدو والأصال بالبكر والعشايا.
وقيل: سجود الظل تذليله لما أريد
له.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَن رَّبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾، أي: خالقهما
ومديرهما فسيقولون الله، لأنهم
يقرون بأن الله خالقهم وخالق
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فإذا أجابوك فقل
أنت أيضاً يا محمد (الله).

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ هَذَا لِلْمُشْرِكِينَ
عَظِفُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: أَجِبْ أَنْتَ،
فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ [لَهُ] فَذُلَّ
اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُمُ الزَّمَا لِلْحُجَّةِ:
﴿قُلْ أَتَأْتِدْعُونَ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، معناه:
إنكم مع إقراركم بأن الله خالق
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اتخذتم من دونه
أولياء فعبدتموها من دون الله،
يعني: الأصنام، وهم ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ
لِأَنفُسِهِمْ نَفْسًا وَلَا سَرًّا﴾، فكيف يملكون
لكم؟ ثم ضرب لهم مثلاً فقال: ﴿قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، [كذلك
لا يستوي الكافر والمؤمن].

﴿أَمْ هَلْ سَوَّيْنَا﴾، قرأ حمزة
والكسائي وأبو بكر ﴿سَوَّيْنَا﴾ بآلاء،
وقرأ الآخرون بالتاء لأنه لا حائل بين
الفعل والاسم المؤنث. ﴿أَفَلَمْ تَلَوْا
وَالنُّورُ﴾، أي: كما لا يستوي
الظلمات والنور لا يستوي الكفر
والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾، أي: جعلوا،
﴿يَلَهُ شَرًّا﴾، خَلَقُوا كَمَا خَلَقُوا فَسَبَّحَهُ الْمَلَائِكَةُ
عَلَيْهِمْ، أي: اشتبه ما خلقوه بما
خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق

الله وما خلق آلهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَهُوَ أَلَدُّ الْفَهْرِ﴾، ثم ضرب
الله تعالى مثلين للحق والباطل.

﴿٧٧﴾ فقال عز وجل: ﴿أَنزَلْنَا
يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿يَنُزِّلُ الْمَاءَ﴾، يعني المطر، ﴿فَسَالَتْ﴾، من
ذلك الماء، ﴿أَوْدِيَةً يَقْدِرُهَا﴾، أي:
في الصغر والكبر، ﴿فَاحْتَلَّتْ
الْأَكْسَافُ﴾، الذي حدث من ذلك
الماء، ﴿زَيْدًا رَّابِيًا﴾، الزيد الخبيث
الذي يظهر على وجه الماء، وكذلك
على وجه القدر، رابياً أي عالياً
مرتفعاً فوق الماء فالماء الصافي
الباقي هو الحق، والذاهب والزائل
الذي يتعلق بالأشجار وجوانب
الأودية هو الباطل.

وقيل: قوله ﴿أَنزَلْنَا يَنُزِّلُ الْمَاءَ﴾
هذا مثل للقرآن، والأودية مثل
للقلوب يريد ينزل القرآن، فتحتل
منه القلوب على قدر اليقين والعقل
والشك والجهل.

فهذا أحد المثلين والمثل الآخر
قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤَدُّونَ عَلَيْهِ فِي
الْأَنْهَارِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص
﴿يُؤَدُّونَ﴾ بآلاء لقوله تعالى: ﴿مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، ولا مخاطبة ههنا، وقرأ
الآخرون بالتاء «وما توقدون»، أي:
ومن الذي توقدون عليه في النار،
والإيقاد جعل النار تحت الشيء
ليذوب، ﴿أَنفَاقَهُ جَلِيَّةً﴾، أي لطلب
زينة، وأراد الذهب والفضة؛ لأن
الحلية تطلب منهما، ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾، أي:
طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك
مثل الحديد والنحاس، والرصاص،
والصفر، تذاب فيتخذ منها الأواني
وغيرها مما ينتفع بها، ﴿زَيْدًا يَنْفَعُ

كَذَلِكَ يَنْفَعُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، أي:
إذا أذيب فله أيضاً زيد مثل زيد
الماء، فالباطي الصافي من هذه
الجواهر مثل الحق، والزيد الذي لا
ينتفع به مثل الباطل، ﴿فَأَمَّا الزُّبَيُّ
الَّذِي عَلَا السَّيْلَ وَالْفُلُزَ﴾، ﴿يَذْهَبُ
جُفَاءً﴾، أي: ضائعاً باطلاً، والجفاء
ما رمى به الوادي من الزيد والقدر
إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفاً
إذا ألقى غشاه، وأجفأت القدر
وجفأت إذا غلت وألقت زبدتها، فإذا
سكنت لم يبق فيها شيء، معناه: إن
الباطل وإن علا في وقت فإنه
يضمحل. وقيل: جُفَاءً أي: متفرقاً.
يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته
وذهبت به، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾،
يعني: الماء والفلز من الذهب
والفضة والصفر والنحاس، ﴿يَتَكَلَّمُ
فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يبقى ولا يذهب،
﴿كَذَلِكَ يَنْفَعُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، جعل الله
هذا مثلاً للحق والباطل، يعني: أن
الباطل كالزيد يذهب ويضيع، والحق
كالماء والفلز يبقى في القلوب.
وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني:
أن أمر المشركين كالزيد يرى في
الصورة شيئاً وليس له حقيقة، وأمر
المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له
البقاء والثبات.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ
اسْتَجَابُوا﴾، أجابوا، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾،
فأطاعوه، ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ الجنة،
﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ لَوْ أَنَّهُمْ
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَفَلَهُ مَعَهُ لَاقِدُوا
يَوْمَ﴾، أي: لبدلوا ذلك يوم القيامة
افتداء من النار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ سَوَاءُ
لِلْحِسَابِ﴾. قال إبراهيم النخعي: سوء

يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الزيادي، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، ثنا أحمد بن إسحاق الصيدلاني، أنا أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا عمرو بن عثمان قال: سمعت موسى بن طلحة يذكر عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ في مسير له فقال: أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال ﷺ: «تعبداً ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يعلى وأبو نعيم قالوا: ثنا قطر، عن مجاهد، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ»، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها».

رواه محمد بن إسماعيل عن محمد بن كثير عن سفيان عن قطر

وقال: «إذا قطعت رحمه وصلها».

قوله تعالى: ﴿وَتَحْتَوَتْ رَحْمَتُ رَبِّهِمْ وَنَأْوَتْ صُلُوبَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله عز وجل. وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي. ﴿أَيُّهَا وَيَوْمَ رَبِّهِمْ﴾، طلب تعظيمه أن يخالفوه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ رِزْقًا وَعَلَانِيَةً﴾، يعني يؤدون الزكاة، ﴿وَوَدَّعَوْتُكَ الْحَسَنَةَ الْكُبْرَى﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل، وهو معنى قوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُؤْتِيَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنتها حسنة تمحها، السر بالسر والعلانية بالعلانية».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، حدثنا أبو الخير، أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت عنه حلقة، ثم عمل أخرى فانفكت أخرى، حتى يخرج إلى الأرض».

وقال ابن كيسان: معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير. وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنة. وقال قتادة: ردوا عليهم معروفاً ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال الحسن: إذا حُرِّمُوا أعطوا وإذا ظَلِمُوا عَفُوا وإذا قُطِعُوا وصلوا. قال عبدالله بن المبارك: هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية أبواب الجنة ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغَيَّرْ اللَّهُ أَرْبَابَهُمْ﴾، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بين فقال:

﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾، بسايتين إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا مِن مَّوَجِّهَا مِن مَّوَجٍّ وَفُتُورَةٍ﴾، ﴿وَالْمَلِكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من أبواب القصور.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقولون سلام عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافون منها قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات، معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل، يقولون سلام عليكم، ﴿وَمَا صَبْرٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن

جنة عدن أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسيل. قال مقاتل: كل ورقة منها تُظِلُّ أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: «طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت بالحلي والحلل وإن أغصانها لثرى من وراء سور الجنة».

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَيُظِلُّ مَذْذِرًا﴾ [الواقعة: ٣٠] فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام [والإنجيل على عيسى] والقرآن على محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب حقة أو

جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هراً، إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله عز وجل لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتقي له عن فرس بصرجه ولجامه وهيته كما شاء وتفتقي له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيتها كما شاء وعن الثياب.

﴿قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿وَقَدْ خَلَقْتَ﴾ مضت، ﴿مِنْ قَبْلُهَا أُمَمٌ لَتَتْلَوُنَّ﴾، لتقرأ، ﴿عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ أَتَوْحِينَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم، فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها.

أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الجحر يدعو «يا الله يا رحمن»

فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ كُلُّنَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وروي الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: «اسجدوا للرحمن»، قالوا: وما الرحمن؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته، ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت ﴿وَلِلَّهِ مَتَابٌ﴾، أي: تويتي ومرجعي.

﴿قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِدَتْ بِكَ الْجِبَالُ﴾﴾، الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية؛ جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي ﷺ فاتأهم فقال له عبد الله بن أبي أمية: إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً لنغرس فيها الأشجار ونزرع، ونتخذ البساتين فلتست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبيح معه، أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا، فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت، ولست بأهون على ربك من سليمان، وأحيي لنا جدك قصياً أو من شئت من آبائنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول

أم باطل؟، فإن عيسى كان يحيي الموتى، ولست بأهون على الله منه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، فَاذْهَبَتْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾، أي: شقت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾. .

واختلفوا في جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مزاده وتقديره لكان هذا القرآن كقول الشاعر:

فأقسم لو شيء أنا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً
أراد لرددناه، وهذا معنى قول قتادة قال: لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم. وقال آخرون: جواب لو مقدم وتقدير الكلام: وهم يكفرون بالرحمن ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾، كأنه قال: لو سيرت به الجبال ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا، لما سبق من علمنا فيهم، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ زُلْفَا إِلَيْهِمُ الْكَفْكُفَةُ وَكُلُّهُمْ لَنُفُوقٌ وَحَرَّتَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلُوفُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ثم قال: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾، أي: في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قال أكثر المفسرين: معناه أفلم يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿أفلم يتبين الذين آمنوا﴾، وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم أنه لم يسمع أحداً

من العرب يقول يشست، بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمر.

وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوا فيؤمنوا فنزل: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء، أي ألم يياسوا علماً، وكل من علم شيئاً يش من خلافه، يقول: ألم يشهم العلم، ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾، من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةً﴾ أي: نازلة وبداية تفرعهم من أنواع البلاء، أحياناً بالجذب، وأحياناً بالسلب، وأحياناً بالقتل والأسر.

وقال ابن عباس: لراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله ﷺ يبعثهم اليهم، ﴿أَوْ تَحُلْ﴾، يعني: السرية أو القارعة، ﴿قَرِيباً مِّنْ دَارِهِمْ﴾.

وقيل: أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريباً من ديارهم، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾، قيل: يوم القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ ءَلْوِيْعَادَ﴾، وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلياً لنيه ﷺ.

﴿وَلَقَدْ أَشْهَرْتُمُ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ﴾، كما استهزؤوا بك، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أمهلتهم وأطلت لهم المدة، ومنه «المملؤان»: وهما الليل والنهار، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ عَاقِبَتَهُمُ فِي

الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي﴾، أي: عقابي لهم.

﴿أَفَنَنْتُمْ لَهُ فَأَمْرًا عَلَى كُلِّ قَبِيحٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، أي: حافظها ورازيها، وعالم بها، ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف، تقديره: كمن ليس بقاتم بل عاجز عن نفسه، ﴿وَيَجْعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبُهُمْ﴾، ينشأ أسماءهم. وقيل: صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تبعيد؟ ﴿أَمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: تخيرون الله تعالى: ﴿وَمَا لَا يَلْمُ فِي الْآرْضِ﴾، فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا في الأرض إلهاً غيره، ﴿أَمْ يَظُنُّوْنَ﴾ [يعني: أم تتعلقون بظاهرها، ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾، مستمعون وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزايل من القول قال الشاعر:

وعبرني الواشون أنني أحبها
وتلك شكاة ظاهري عنك عارها
أي: زائل، ﴿بَلْ نَرِيَنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مُكْرَمَهُمْ﴾، كيدهم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿وَصَدُّوا عَنِ النَّبِيلِ﴾، أي: صرفوا عن الدين.

قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿وَصَدُّوا﴾ وفي حم المؤمن ﴿وَصَدُّوا﴾ بضم الصاد فيهما وقرأ الآخرون بالفتح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النحل: ٨٨]. ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، بخذلانه إياه، ﴿فَمَا لَهُ مِن حَافٍ﴾.

﴿لَكُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بالقتل والأسر، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

إليك الحكم والدين عربياً، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب.

وقيل: نظم الآية كما أنزلت الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا عليك الكتاب حكماً عربياً. ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الملة. وقيل: في القبله، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْوَامٍ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، يعني: من ناصر ولا حافظ.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، روي أن اليهود. وقيل: إن المشركين قالوا إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فإنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسكرون، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، هذا جواب عبدالله بن أبي أمية.

ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه [ووقت يقع فيه وقيل لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه]. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه.

﴿يَسْمَعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنِيبُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر، وعاصم ويعقوب ﴿وَيُنِيبُ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبيرة وقتادة: يسمع الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما

الكتب. يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ﴾ يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، هذا قول مجاهد وقتادة.

وقال الآخرون: كان

ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في

التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسلمية الكذاب، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْكِرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦] ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] وإنما قال ﴿بَعْضَهُ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّمَا أُرْسِلْتُ أَنْ أَقْبِدَ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَّا بِهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾، أي: مرجعي.

﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، يقول كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا لَيْلٌ أَتَقُوا وَعُغَيٌّ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُرْسِلْتُ أَنْ أَقْبِدَ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَّا بِهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٠] ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْوَامٍ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿يَسْمَعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنِيبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿وَإِنْ مَأْنَيْكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَأْتِي الْأَرْضَ نَقْصًا مِنْ أَرْضِهَا وَأَلَّهُ بِحُكْمِهِمْ لَافِقٌ لِحُكْمِهِمْ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النحل: ٦٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُونَ مَا كُتِبَ كُلُّ شَيْءٍ وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ وَنَسِيتُ الْكَافِرِينَ عَنْ يَوْمِ الدَّارِ﴾ [النحل: ٦٠]

أشقى، أشد، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [أي] مانع يمنعهم من العذاب.

﴿قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي: الصفة العليا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها.

وقيل: مثل «صلة» مجازها الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿وَظُلُمَاتُهَا﴾ أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿تِلْكَ عُقْيُ﴾ أي: عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: الجنة، ﴿وَعُقْيُ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُفْرَحُونَ﴾

يشاء منها فلا ينسخه .

وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة .

وروي عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ : «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أم أنسى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص» . وعن عمر وابن مسعود أنهما قالوا: يمحو السعادة والشقاوة أيضاً، ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء .

رُوي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الشقاوة فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . ومثله عن ابن مسعود .

وفي بعض الآثار: إن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام، والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمداً إلى ثلاثين سنة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن

أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهم في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت» .

وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب . مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول الضحاك والكلبي . وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله، فيموت وهو في طاعة الله عز وجل فهو الذي يثبت .

وقال الحسن: «يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ» أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله إلى يوم أجله .

وعن سعيد بن جبير قال: «يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها .

وقال عكرمة: «يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله

تعالى: «فَأُولَٰئِكَ يَدَّلُ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ حَسَنَاتٍ» [الفرقان: ٧٠] . وقال السدي: «يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ» يعني القمر «وَيُثَبِّتُ» يعني الشمس بيانه قوله تعالى: «فَمَحَوْنَا آيَةَ الْكَلْبِ وَحَمَلْنَا آيَةَ الْتَّارِ مُبِينَةً» [الإسراء: ١٢] وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد بقاءه أثبتته ورده فأمسكه، ومن أراد بقاءه أثبتته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» [الزمر: ٤٢] الآية . «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير .

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء . وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله تعالى لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت، لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة «يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» .

وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب؟ فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون .

﴿١﴾ «وَلَا تَأْتِيكَ بِعَظْمٍ أَلْوِي»، من العذاب قبل وفاتك، «وَأَوْ تَرَوَيْتَكَ»، قبل ذلك، «فَأَنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ»، ليس عليك إلا ذلك، «وَعَلَيْنَا الْحَسَابُ»، الجزاء يوم القيامة .

﴿وَاللَّهُ يَكْفُرُ لَكُمْ لَا مُقَبِّلَ لَكُمْ يَكْفُرُ﴾، لا راد لقضائه ولا ناقض لحكمه، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، ﴿فَبَلَّغْنَا الْمَكْرَ جَمِيعًا﴾، أي: عند الله جزاء مكرهم.

وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعاً بيده الخير والشر وإليه النفع والضّر، فلا يضر مكر أحد أحداً إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْكَثِيرَ﴾.

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «الكافر» على التوحيد وقرأ الآخرون «الكفار» على الجمع. ﴿لَمَنْ عَفَى الدَّارِ﴾ أي: عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة.

﴿٢٢﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [أي لست رسولاً إلينا] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، إني رسوله إليكم ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يريد مؤمني أهل الكتاب يشهدون أيضاً على ذلك.

قال قتادة: هو عبدالله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة.

وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل

وقال عطاء وجماعة: نقصانها موت العلماء. وذهب الفقهاء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً

ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وقال الحسن: قال عبدالله بن مسعود: موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله.

وقال علي رضي الله عنه: إنما مثل الفقهاء كمثل الأكف إذا قطعت كف لم تغد. وقال سليمان: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس.

وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم.

سورة الرعد
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ
سورة الرعد
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكَعَاتِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ
اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ السَّمَكُونَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَرَيْدٌ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحْسِبُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَ أَوْلِيَائِهِمْ فِي حَبْلٍ مُنَبِّهٍ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لِيُتَبَيَّنَ لَهُمْ قُبُورُ اللَّهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجِزٌ
فَقَوْمًا مِنَ الظَّالِمِينَ إِلَى الشُّرَى وَذَكَرْتَهُمْ بِآيَاتِهِ
الَّتِي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

﴿٢٣﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات، ﴿أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ تَنْصَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقص من ديار الشرك، يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْيُ الْأَرْضِ﴾ نقصدها «نَنْصَبُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» فنفتحتها لمحمد أرضاً بعد أرض حوالى أرضهم [وبلادهم]، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وقاتدة وجماعة.

وقال قوم: هو خراب الأرض معناه أولم يروا أنا نأني الأرض فتخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك؟

وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها.

وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله.

يستوتونهم بذلك. وقيل: إن الأيدي بمعنى النعم معناه ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعماً في أفواههم أي: بأفواههم يعني بالاستتيم. ﴿وَقَالُوا﴾ يعني الأمم للرسول، ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، موجب للريبة موقع للثمة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾، هذا استفهام بمعنى نفى ما اعتقدوه، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالقهما، ﴿يَدْعُوكُمْ لِمُقَيَّرَ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ﴾، أي: ذنوبكم و﴿مِنْ﴾ صلة، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا﴾، للرسول، ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، في الصورة والجسم ولستم ملائكة وإنما، ﴿ثُرِيدُونَ﴾، يقولكم، ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّوْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة على صحة دعوكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَنْشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، بالنبوة والحكمة و﴿وَمَا كُنَّا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد عرفنا أن لا ينالنا شيء إلا بقضائه وقدره، ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾، بين لنا الرشد وبصّرنا طريق النجاة. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾، اللام لام القسم مجازة، والله لنصبرن، ﴿وَعَلَى مَا عَادِيتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ﴾، خبر الذين، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني: من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود.

روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه [قرأ هذه الآية ثم قال] كذب النسابون.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم إلا الله تعالى.

وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم، وكذلك في حق النبي ﷺ لأنه لا يعلم أولئك الأبناء أحد إلا الله عز وجل. ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظاً كما قال: ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآخِلِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ١١٩]. قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبتة. وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم، أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن استكثروا. وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَنْشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَشَأْنُكُمْ أَلَيْسَ لَنَا بِمَدِينَةٍ الْفَالِغِينَ﴾ ﴿وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ جَهَنَّمُ وَسُفَى مِنْ مَا يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ لِيُضِيقَهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ مِنْ دُونِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَلِيمُ﴾

تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم، ﴿وَيَسْتَعْيِرُونَ سَاءَ كَيْفًا﴾، يتركوهن أحياء ﴿وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَرَأَى نَأْذِرَكَ رِيحًا﴾، أي: أعلم، يقال: أذن وتأذن بمعنى واحد، مثل أوعد وتوعد، ﴿لَكِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي فآمنتكم وأطعتم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ في النعمة.

وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود.

وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب. ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾، نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَكِيمٌ﴾، أي: غني عن خلقه، حديد محمود في أفعاله، لأنه فيها متفضل وعادل.

لَتُخْرِجَنَّهُمْ مِنْ أَرْضٍ أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
وَلَيَأْتِيَنَّ، يعنون، إلا أن ترجعوا، أو
حتى ترجعوا إلى ديننا، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ لَلْهُدَىٰ لَكُمْ الْفَلِيلِينَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَسَيُجَنَّبُكُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَيْدِهِمْ﴾
أي: [من] بعد هلاكهم، ﴿وَلَا يَمَنُّ
خَافَ مَقَابِي﴾ أي: خاف قيامه بين
يدي كما قال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّانًا﴾ [الرحمن: ٤٦]، فأضاف
قيام العبد إلى نفسه.

كما تقول: ندمت على ضربك
أي على ضربي إياك، ﴿وَحَافٍ وَعِيدٍ﴾
أي عقابي.
﴿١٨﴾ قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾ أي:
استنصروا.

قال ابن عباس ومقاتل: يعني
الأمم وذلك أنهم قالوا: اللهم إن
كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا،
نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ
إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾
[الأنفال: ٣٢].

وقال مجاهد وقتادة: واستفتحوا
يعني الرسل وذلك أنهم لما يسوا من
إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على
قومهم بالعذاب، كما قال نوح عليه
السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال
موسى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
فَلَوْ يَهْمُ﴾ [يونس: ٨٨]، الآية.

﴿وَعَابٍ﴾، وخسر. وقيل: هلك،
﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ والجبار:
الذي لا يرى فوقه أحداً. والجبرية:
طلب العلو بما لا غاية وراءه. وهذا
الوصف لا يكون إلا لله عز وجل.
وقيل: الجبار: الذي يجبر الخلق

على مراده، والعنيد: المعاند للحق
ومجانبه. قاله مجاهد، وعن ابن
عباس: هو المعرض عن الحق.
وقال مقاتل: هو المتكبر.

وقال قتادة: العنيد الذي أبى أن
يقول لا إله إلا الله.

﴿١٩﴾ ﴿مِنْ دَرَكَيْهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: أمامه
كقوله تعالى: ﴿وَكُنْ دَرَكًا مِمَّا مَلَكَ﴾
[الكهف: ٧٩] أي أمامهم. قال أبو
عبيدة: هو من الأضداد.

وقال الأخفش: هو كما يقال هذا
الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك،
وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه.

وقال مقاتل: ﴿مِنْ دَرَكَيْهِ جَهَنَّمَ﴾
أي بعده، ﴿وَسَقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾
أي: من ماء هو صديد وهو ما يسيل
من أبدان الكفار من القيح والدم.
وقال محمد بن كعب: ما يسيل من
فروج الزناة يسقاه الكافر.

﴿٢٠﴾ ﴿يَجْرَعُهُمْ﴾ أي: يشحساه
ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة
جرعة لمرارته وحرارته، ﴿وَلَا
يَكَاذُ يُسِفُّهُ﴾، ويكاد صلة أي
لا يسيغه، كقوله تعالى: ﴿لَوْ يَكْدُ
رَبُّهَا﴾ [النور: ٤٠] أي: لم يرها،
قال ابن عباس: لا يجيزه. وقيل:
معناه يكاد لا يسيغه ويسيفه فيغلي
في جوفه.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي
توبة: أنا محمد بن أحمد بن
الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب
الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا
إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا
عبدالله بن المبارك، عن صفوان بن
عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن
أبي أمامة رضي الله عنه عن

النبي ﷺ في قوله: ﴿مِنْ دَرَكَيْهِ جَهَنَّمَ﴾
وَسَقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿يَجْرَعُهُمْ﴾،
قال: «يقرب إلى فيه فيتركه فإذا
أدنى منه شوي وجهه ووقعت فروة
رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى
يخرج من دبره»، يقول الله عز
وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ويقول:
﴿وَلَنْ يَسْتَنْشِئُوا بُقَاؤًا يَمَّاوُ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهُ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ﴾، يعني: يجذبه الموت
والله من كل مكان من أعضائه.
قال إبراهيم التيمي: حتى من
تحت كل شعرة من جسده.

وقيل: يأتيه الموت من قدمه
ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن
يمينه وعن شماله، ﴿وَمَا هُوَ
بِمَيِّتٍ﴾، فيستريح قال ابن جريج:
تعلق نفسه عند حنجرته ولا تخرج
من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها
من جوفه فتفتحه الحياة. نظيرها ﴿لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]،
﴿وَمِنْ دَرَكَيْهِ﴾، أمامه، ﴿عَذَابٌ
غَلِيظٌ﴾، شديد.

وقيل: العذاب الغليظ الخلود في
النار.

﴿٢١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
أَعْمَاهُمْ﴾ يعني: مثل أعمال الذين
كفروا بربهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وُصُوفُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]،
أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله
مسودة، ﴿كَرُمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي
يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، وصف النسيم

سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمَ

سورة إبراهيم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَسْأَلْكُمْ يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالِ الصُّمَمُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا قَحَلْنَا أَنْتُمْ مُقْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُمُ سُبُلًا بَدَّلْنَا بَعْزَ النَّاسِ مَكَانَهُمْ وَمَا كُنَّا مِنْكُمْ بِمُحِبِّينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ أَدْعُوَكُمْ فَاسْتَجِيبُوا لِي فَلَا تُلْهُوْا بِي وَلَوْ أَنِّي أَنفُسُكُمْ إِنَّا كُنَّا بِمُصَرِّحِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصَرِّحِينَ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَنتُمْ كَاثِبُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُلْقِيَ إِلَيْكُمُ اللَّهُ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ ﴿٢٢﴾ وَأَنْخَلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَذُنُ رَيْبُهَا عَنْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَوْمَةً ظَالِمَةً فَنَجَّوْهُمْ أَصْلَافًا فَاثِمَةً وَفَرَعَهَا فِي الْأَشْجَلِ ﴿٢٤﴾

٢٥٨

بالعصوف، والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيها، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَذُرُّهُ﴾، يعني: الكفار ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾، في الدنيا، ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾، في الآخرة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَيْدُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قسراً حمزة والكسائي «خالق السموات والأرض» وفي سورة النور «خالق كل دابة» مضافاً، وقرأ الآخرون «خلق» على الماضي «والأرض» وكل بالنصب،

﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: لستم يخلقهما باطلاً وإنما خلقهما لأمر عظيم، ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، سواكم أطوع لله منكم.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة ولا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم.

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعاً، ﴿فَقَالَ الصُّمَمُونَ﴾، يعني الاتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُقْتُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا﴾، يعني القادة للمتبعين، ﴿لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُمُ سُبُلًا بَدَّلْنَا بَعْزَ النَّاسِ مَكَانَهُمْ وَمَا كُنَّا مِنْكُمْ بِمُحِبِّينَ﴾، أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيزٍ﴾، مهرب ولا منجاة.

قال مقاتل: يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم الجزع، ثم يقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، فحينئذ يقولون ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيزٍ﴾.

قال محمد بن كعب القرظي:

بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فردت الخزنة عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فردت الخزنة عليهم [قالوا]: ﴿فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠] فلما يمشوا مما عند الخزنة نادوا ﴿يَبْدُلْكَ لَيْقُسَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] سألو الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين ﴿إِنَّكَ تَكِيدُونَ﴾، فلما أيسوا مما قبله قال بعضهم لبعض إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهللوا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم، فأجمعوا على الصبر، فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيزٍ﴾ أي: من منجاة. قال فقام إبليس عند ذلك فخطبهم.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ الآية، فلما سمعوا مقاتله مقتوا أنفسهم فنودوا ﴿لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ نَفْسِكُمْ أَنفُسُكُمْ إِنْ نَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، قال فنادوا الثانية ﴿فَاتَّبَعْنَا قَمَلًا صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ فرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] الآيات، فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا مِنْ أَجْلِ قُرْبٍ حُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَشْجِ الْأَرْسُلِ﴾، فرد

تشبه الإنسان في أنها لا تحمل إلا بالتلقيح ولأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام.

ولذلك قال النبي ﷺ: «أكرموا عمتكم» قيل: ومن عمتنا؟ [يا رسول الله] قال: «النخلة» و«يُضْرِبُ اللَّهُ الْأَشْجَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

﴿وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثُ﴾. وهي الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ حَيْثُ﴾، وهي الحنظل. وقيل: هي الثوم. وقيل: [هي] الكشوث وهي العشقة، ﴿أَجْتَنَّتْ﴾، يعني اقلعت، ﴿وَمِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

﴿قوله تعالى: ﴿يُنِثُّ اللَّهُ الذَّرِيَّةَ أَمْنَاً بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل: في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر، وفي الآخرة عند البعث. والأول أصح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الوليد، ثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، فذلك قوله

بل تصل إليه في كل وقت. والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون بثلاثة أشياء: عرق واسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان... لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنبأنا عبدالله بن عمر

الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حُجْر، ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟» قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» قال عبدالله فذكرت ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب إلي من كذا وكذا.

وقيل الحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الأشجار أن النخلة [من دون سائر الأشجار] أشبه الأشجار بالإنسان من حيث أنها إذا قطع رأسها يبست وسائر الأشجار تشعب من جوانبها بعد قطع رؤوسها ولأنها

تُؤَقُّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَشْجَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثُ كَشَجَرَةٍ حَيْثُ أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُنِثُّ اللَّهُ الذَّرِيَّةَ أَمْنَاً بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَعْمَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قُلُوبَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلَّوْهُ سَبِيلَهُ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِمَا دُعِيَ الْإِنْسَانُ أَمْنَاً لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَذَلِكُمْ سِرَّ وَصَلَاةٍ مِنْ قَبْلِي أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لاَ بَعْجَ فِيهِ وَلاَ خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ أَمْرًا وَيُسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارُ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿تُؤَقُّ أَكْلَهَا﴾، تعطى ثمرها، ﴿كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا﴾، والحين في اللغة هو الوقت، وقد اختلفوا في معناه هنا فقال مجاهد وعكرمة: الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر كل سنة.

وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن: ستة أشهر من وقت إطلاعها إلى صرامها. وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: أربعة أشهر من حين ظهورها إلى إدراكها.

وقال سعيد بن المسيب: شهران من حين تؤكل إلى الصرام.

وقال الزبيد بن أنس: كل حين أي كل غدوة وعشية، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاءً، إما تمراً أو رطباً أو بسراً، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً،

تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك فيقول ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ﴾ الآية.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عياش بن الوليد، ثنا عبد الأعلى، ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع تعاليمهم، أنه ملكان فيقعدانه، فيقولان [له] ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره - ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس،

فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، ثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، ثنا عبد الله بن سعيد، ثنا أسد بن موسى، ثنا عنبسة بن سعيد بن كثير، حدثني جدي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يسمع جسّ النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين، ثم يجلس ويوضع كفته في عنقه ثم يسأل».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قبر الميت أنه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان [له] ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً أو كافراً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتثم عليه، فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك». وروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن وقال: «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله عز وجل، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي، ثنا إبراهيم بن موسى الفراء أبو إسحاق، ثنا هشام بن يوسف ثنا عبد الله بن يحيى عن هانيء مولى عثمان عن عثمان قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل».

وقال عمرو بن العاص في سياق الموت وهو يبكي: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتوني فسنوا علي التراب سناً ثم أقيموا

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا بِمَنَ اللَّهِ﴾، أي: نعم الله، ﴿لَا تَحْشَوْهُمْ﴾، أي: لا تطيقوا عدوها ولا القيام بشكرها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، أي: ظالم لنفسه بالمعصية، كافر بربه عز وجل. في نعمته وقيل: الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه، والكافر: من يجحد منعمه.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَيْتَ﴾، يعني: الحرم، ﴿مِنَّا﴾، ذا أمن يؤمن فيه، ﴿وَأَجْنِبْنِي﴾، أبعدني، ﴿وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، يقال: جنبته الشيء وأجنبته جنباً وجنبته تجنبياً، واجتنبته اجتناباً بمعنى واحد. فإن قيل: قد كان إبراهيم معصوماً من عبادة الأصنام، فكيف يستقيم السؤال؟ وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟ قيل: الدعاء في حق إبراهيم لزيادة العصمة والثبوت، وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمناً من بنيه.

﴿٣٦﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَفْتُكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني: ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَائِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخوفكم بأوليائه. وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأنهن سبب فيه، كما يقول القائل فتنتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة. ﴿فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ بَنِيَّ﴾، أي: من أهل ديني وملتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال السدي:

معناه ومن عصاني ثم تاب، وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك. وقيل: قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَشْكَتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، أدخل «من» للتبعيض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولداً، ﴿يُؤَادِي عَصِيَ ذِي ذَرْعٍ﴾، وهو مكة؛ لأن مكة وإد بين جبلين، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، سماء محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن محمد، ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن أيوب السختياني وكثير ابن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعقني أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفل إبراهيم منطقاً، فبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك

بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه، فقال: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَشْكَتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، حتى بلغ ﴿تَشْكُرُونَ﴾، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلبط أو قال يتلوى، وانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها -، ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا، أو جعلت تغرف من الماء في سقاها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء في

مُطَهَّرِينَ مُقْبِلِينَ ثُمَّ وَصَّيْنَاهُم بِأَنْ يَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوَدُّينَ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْنَا النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا مِنْ هَٰذَا أَهْلًا قَرِيبًا نَحْنُ نَدْعُوكَ وَتَسْتَجِيبُ الْأَرْسَالَ أَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴿٣٩﴾ وَسَكَتُمْ فِي سَكَتٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٠﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤١﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَائِفًا فِئْوَدِهِ وَرُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِلَّةً الْأَرْضِ وَالسَّمَاءُ وَرَبُّهُمَا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارُ ﴿٤٣﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٤﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فِطْرَانٍ وَتَنْفُسُهُمْ وَجُوهُهُمْ لِنَّارٍ ﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٦﴾ هَٰذَا بَلَاغُ الْبَاقِينَ وَلِيَشْهَدُوا بِمَا وَعَدُوا أَنَّهَآ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَآ هُمُ الْغَالِبُونَ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَآ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٨﴾

وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وكان أنفُسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته. ذكرنا تلك القصة في سورة البقرة. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾، الأفئدة جمع النفود ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾،

تشتاق وتحن إليهم. قال السدي: معناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضع، قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند. وقال سعيد بن جبيرة: لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: «أفئدة من الناس» فهم المسلمون. ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الْأَمْثَرِ﴾، ما رزقت سكان القرب ذوات الماء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُثْنِي﴾، من أمورنا. وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بوادٍ غير ذي زرع. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، قيل: هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله. وقال الأكثرون: يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾، أعطاني على كبر السن، ﴿لِيَسْتَوِيْلَ وَيُسَاقِطَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدَّلِيلُ﴾، قال ابن عباس: وُلد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وُولد إسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة. وقال سعيد بن جبيرة: بُشِّرَ إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة.

﴿رَبِّ اجْعَلْهُ مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، يعني: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَهُ﴾، أي عملي وعبادتي، سَمَى العبادة دعاءً، وجاء في الحديث: «الدعاء مخ العبادة» وقيل: معناه استجب دعائي.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل قد قيل إن أمه أسلمت، وقيل: أراد إن أسلما وتابا، وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة [١١٤]. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: واغفر للمؤمنين كلهم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، أي: يبدو ويظهر. وقيل: أراد يوم يقوم الناس للحساب، فاكتمى بذكر الحساب لكونه مفهوماً.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَفْعَلُ الْظَّالِمُونَ﴾. الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور [وفي] الآية تسلياً للمظلوم وتهديداً للظالم، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، أي لا تغمض من هول ما ترى في ذلك

سقاها لكانت زمرم عيناً معيناً». قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عاثفاً، فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء، ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل

اليوم، وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها.

﴿٤٣﴾ ﴿مُهْلِكِينَ﴾، قال قتادة: مسرعين. قال سعيد بن جبيرة: الإهطاع التسلان كعدو الذئب، قال مجاهد: مديمي النظر.

ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم، ﴿مُتَّبِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾، أي: رافعي رؤوسهم.

قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل بصره على ما بين يديه.

وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿وَأَنفَرَّتْهُمْ حِوَاءٌ﴾، أي: خالية.

قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم، لا تخرج عن أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فالأنفلة هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من الخوف.

وقال الأخفش: جوفاء لا عقول لها. والعرب تسمي كل أجوف خاوٍ هواء. وقال سعيد بن جبيرة: وأفندتهم هواء أي: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، وحقيقته المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾، خوفهم، ﴿يَوْمَ﴾، أي: بيوم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، أملنا، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾،

هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا، أي: ارجعنا إليها، ﴿فَنُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾، حلفتم في دار الدنيا، ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ﴾، عنها أي: لا تبعثون. وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

﴿٤٥﴾ ﴿وَسَكَّنتُمْ﴾، في الدنيا، ﴿فِي مَسَكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بالكفر والعصيان، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. ﴿وَوَيْتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، ﴿وَوَضَعْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾، أي: بينا مثلكم كمثلهم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، أي: جزاء مكرهم، ﴿وَلِإِن كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾، قرأ علي وابن مسعود: ﴿وَلِإِن كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ بالдал، وقرأ العامة بالنون.

﴿لَيَرْزُقَنَّهُ الْجِبَالُ﴾، قرأ العامة «لتزول» بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، معناه: وما كان مكرهم قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال.

وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كشيت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي: «لتزول» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلاً يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد ﷺ.

قال قتادة: معناه وإن كان شرهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الْبُيُوتِ هَذَا﴾ ﴿أَن دَعَا لِلزَّمَانِ﴾ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾ [مريم: ٩٠ - ٩١].

ويحكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية: أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه، وذلك أنه قال: إن كان ما يقول إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أصعد السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراس من النصور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتاً وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل، وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت، وجعل على رؤوسها اللحم وربط التابوت بأرجل النصور، وخلأها فطرن وصعدن طمعاً في اللحم حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء، فقال نمرود لصاحبه: افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربناها، ففتح الباب ونظر فقال: إن السماء كهيتها ثم قال افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها؟ ففعل، فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النصور يوماً آخر، وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الأعلى فإذا السماء كهيتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريد؟ قال عكرمة: كان معي في التابوت غلام قد حمل معي القوس والنشاب فرمى به سهم فعاد إليه السهم ملطخاً بدم سمكة فذقت نفسها من بحر في الهواء. وقيل: طائر أصابه السهم، فقال: كفيت شغل إله السماء، قال: ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشب وينكس اللحم، ففعل، فهبطت النصور بالتابوت، فسمعت الجبال خفيق التابوت والنصور، ففزعت وظنت أنه

قد حَدَّثَ حَدَّثَ من السماء، وأن الساعة قد قامت، فكادت تزول عن أماكنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَى مَكْرُومًا يُزْوَلُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. ﴿٤٧﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعْدِهِهُ رُسُلَهُ﴾، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾. ﴿٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَرْضَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني أبو حازم [سلمة] بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرَصَةِ النِّقْيِ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ».

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن خالد بن أبي يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّى أَحَدُكُمْ خَبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزْلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ».

وعن ابن مسعود في هذه الآية قال: تبدل الأرض بأرض كفضة

بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب.

وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه.

وقيل: معنى التبديل جعل السموات جناناً وجعل الأرض نيراناً.

وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة أخرى، وهي تسير جبالها، وطم أنهارها وتسوية أوديتها، وقلع أشجارها، وجعلها قاعاً صفصفاً، وتبديل السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار نجومها، وكونها مرة كالدهان، ومرة كالمهل.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر، عن داود وهو ابن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَرْضَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط».

وروي عن ثوبان أن حبراً من أخبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر».

وقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُوا﴾، خرجوا

من قبورهم، ﴿لِلَّهِ الْوَزِيدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

﴿٤٩﴾ ﴿وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ﴾، مشدودين بعضهم ببعض، ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾، في القيود والأغلال واحداً صفاً، وكل من شدته شداً وثيقاً فقد صفته.

قال أبو عبيدة: صفدت الرجل فهو مصفود وصفته بالتشديد فهو مصفد.

وقيل: يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: ﴿أَخْشَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَاهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]، يعني: قرناءهم من الشياطين وقيل: معناه مقربة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد والقيود، ومنه قيل للجنل قرن.

﴿٥٠﴾ ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾، أي: قمصهم، واحداً سربال. ﴿مَنْ قَطَرَانِ﴾ هو ما تهنأ به الإبل، وقرأ عكرمة ويعقوب ﴿مَنْ قَطَرَانِ﴾ على كلمتين منونتين، والقطر النحاس والصفير المذاب، والآن الذي انتهى حبره، قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ آكِنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. ﴿وَقَفَّيْنِ وَجُوهَهُمْ آتَنَانِ﴾، أي: تعلق.

﴿٥١﴾ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾، من خير وشر، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿هَذَا﴾، أي: هذا القرآن، ﴿بَلَّغْ﴾، أي: تبليغ وعظة، ﴿لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا﴾، وليخوفوا، ﴿بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾، أي: ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله، ﴿وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾، أي: ليتعظوا أولو العقول.

سورة الحجر

مكية وهي تسعة وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر﴾ قيل معناه أنا الله أرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب، ﴿وَقُرْآنَ﴾، أي: وآيات قرآن، ﴿ثِيْنٍ﴾، أي: بين الحلال من الحرام والحق من الباطل، فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال ﴿وَقُرْآنَ ثِيْنٍ﴾ وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض.

وقيل: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب.

﴿رَبِّكَ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها، وهما لغتان، ورُبُّ للتقليل وكَم للتكثير، ورُبُّ تدخل على الاسم، وربما على الفعل، يقال: رب رجل جاعني، وربما جاعني رجل، وأدخل ما ههنا للفعل بعدها. ﴿يُودُّ﴾، يتمنى، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، واختلفوا في الحال التي يتمنى الكافر فيها الإسلام، قال الضحاك: حالة المعايينة. وقيل: يوم القيامة. والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

وروي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألسنتم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم

إسلامكم وأنتم معنا في النار، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيغفر الله لهم بفضل رحمته، فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها، فحيث يود الذين كفروا لَوْ كَانُوا مسلمين».

فإن قيل: كيف قال «ربما» وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟ قلنا: قد تذكر «ربما» للتكثير أو أراد أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم أحيانا.

﴿ذَرَهُمْ﴾، يا محمد يعني الذين كفروا، ﴿يَأْكُلُوا﴾ في الدنيا، ﴿وَيَسْتَعْمِلُوا﴾، من لذاتها ﴿وَيَلْبَسُوا﴾، يشغلهم، ﴿الْأَمْلَ﴾، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، ﴿فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ﴾، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تهديد ووعد.

وقال بعض أهل العلم: ذرهم تهديد وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ﴾، تهديد آخر، فمتى يهنا العيش بين تهديدين. والآية نسختها آية القتال.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي: من أهل قرية، ﴿إِلَّا وَهِيَ كَأَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ﴾، أي: أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخروا عنه. ﴿مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنُ ثِيْنٍ ﴿١﴾ ذُرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمِلُوا فِي الْأُمَلِّ فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ ﴿٢﴾ وَهِيَ كَأَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٤﴾ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَكِ كَذِبٌ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كُنَّا إِذَا نُنْظِرُ ﴿٦﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الَّذِي ذُكِّرْنَا بِهَذَا الْفِتْنَةِ وَلَوْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْءٍ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾ كَذَلِكَ نَسْأَلُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَسَوْفَ عَلِمْتُمْ أَتَوَلَّوْنَ ﴿١١﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٢﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْفُسُنَا أَلْ هُمْ قَوْمٌ مُشْعِرُونَ ﴿١٣﴾

من صلة أي: ما تسبق أمة أجلها، ﴿وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ﴾، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب. وقيل: الأجل المضروب.

﴿وَقَالُوا﴾ يعني: مشركي مكة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، أي: القرآن، وأرادوا به محمداً ﷺ، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وذكرنا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء.

﴿لَوْ مَا﴾، هـ لا ﴿يَأْتِيْنَا بِالْمَلَكِ﴾، شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إنك نبي.

﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين «الملائكة» ونصب، وقرأ أبو بكر بالتاء وضما وفتح الزاي ويرفع «الملائكة»، وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي ورفع

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴿٩﴾ وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٠﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ قَائِمَةٌ فِيهَا ثَمِينٌ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْبَسْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ مَرُورِينَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا الْكَوْكَبَ فِيهَا مَعِينًا وَمَنْ لَشَيْءٍ مُرَوِّدِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ أَعْيُنُنَا عَنْ بَرٍّ أَلِيمٍ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا الْقِدْرُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّيقِهِمْ فَازْلَمْنَا فِي السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ غَنِيٌّ وَتَوَلَّيْتُمْ وَتَحَنَّنَ الْوَرْدُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَسْرَتِهِمْ إِنَّهُمْ لَحُكِيمٌ عَالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَمُتَّيْنِ مِنْ جَمَلِ سُنْتِنَا ﴿١٩﴾ وَلَكِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْتَوْسِنٍ ﴿٢١﴾ إِذْ أَسْمَوْتُ لَوْ تَخَفَتُنَّ فَيُومِنُ زُوحًى فَفَعَلْنَ لَسَعِيدِينَ ﴿٢٢﴾ فَجَعَلَ الْمَلَائِكَةُ كُفُوهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُكَ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٤﴾

أَتَأْتِينَ ﴿المائدة: ٦٧﴾.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾،

أي: رسلاً، ﴿فِي شَيْعِ

الْأَوَّلِينَ﴾، أي: في الأمم

والقرون الماضية والشيع

هم القوم المجتمعة المتفقة

كلمتهم على رأي واحد.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما فعلوا

بك ذكره تسلياً للنبي ﷺ.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾

أي: كما سلكن الكفر

والتكذيب والاستهزاء

بالرسل في قلوب شيع

الأولين كذلك نسلكه: ندخله، ﴿فِي

قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾، يعني مشركي مكة

قومك، وفيه رد على القدرية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: لا

يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَدْ

خَلَقْتَ﴾، مضت، ﴿سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾،

أي: وقائع الله تعالى بالإهلاك فيمن

كذب الرسل من الأمم الخالية،

يخوف أهل مكة.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، يعني:

على الذين يقولون لو ما تأتينا

بالملائكة، ﴿بِأَيِّ مِّنَ السَّمَاءِ نَقَلُوا فِيهِ

يَعْرُجُونَ﴾ أي فظلت الملائكة

يعرجون فيها، وهم يرونها عياناً،

هذا قول الأكثرين. وقال الحسن:

معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه

أي: يصعدون. والاول أصح.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ﴾، سُدت،

﴿أَبْصَارُنَا﴾، قاله ابن عباس. وقال

الحسن: سُحرت وقال قتادة أخذت،

وقال الكلبي: عميت.

وقرأ ابن كثير «سُكَّرَتْ»

بالتخفيف، أي: خُبست ومُنعت

النظر كما يسكر النهر لحبس الماء،

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّشْهُورُونَ﴾، أي: عمل

فينا السحر فسحرنا محمد ﷺ..

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، والبروج هي

النجوم الكبار، مأخوذة من الظهور،

يقال: تبرجت المرأة إذا ظهرت،

وأراد بها: المنازل التي تنزلها

الشمس، والقمر، والكواكب

السيارة، وهي اثنا عشر برجاً:

الحمل، والثور، والجوزاء،

والسرطان، والأسد، والسنبلة،

والميزان، والعقرب، والقوس،

والجدي، والدلو، والحوت. وقال

عطية: هي قصور في السماء عليها

الحرس، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾، أي: السماء

بالشمس والقمر والنجوم.

﴿لِلنَّظِيرِ﴾.

﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

رَجِيمٍ﴾، مرجوم. وقيل: ملعون،

قال ابن عباس: كانت الشياطين لا

يحجبون عن السموات وكانوا

يدخلونها، ويأتون بأخبارها فيلقون

على الكهنة ما سمعوا فلما ولد

عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث

سموات، فلما ولد محمد ﷺ

منعوا من السموات أجمع، فما

منهم من أحد يريد استراق السمع

إلا رُمي بشهاب، فلما منعوا من

تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس،

فقال: لقد حدث في الأرض

حدث، قال: فبعثهم [ينظرون ما

الخبر] فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو

«الملائكة». ﴿إِلَّا يَأْتِيهِمْ﴾ أي:

بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة

لعجلوا بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا

مُظْهِرِينَ﴾ أي: مؤخرين وقد كان

الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً

فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم

لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار

الإمهال وعذبوا في الحال.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، يعني

القرآن، ﴿وَلَا لَكُمْ حُفُوظُونَ﴾، أي:

نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا

فيه، أو ينقصوا منه، أو يبدلوا،

قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]

والباطل: هو إبليس، لا يقدر أن يزيد

فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما

هو منه. وقيل: الهاء في ﴿لَمْ﴾

راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لمحمد

لحافظون ممن أَرادَه بسوء كما قال

جل ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

القرآن، فقالوا: هذا والله ما حدث.

﴿١٨﴾ «لَا مَنَ اسْتَرْقَى السَّمْعُ»، لكن من استرق السمع، «فَأَنبَغَ شَهَابٌ مُّثِينٌ»، والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً، فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تخيله فيصير غولاً يضل الناس في البوادي.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا - بعضهم فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فخرقها وبدد بين أصابعه - فيسمع أحدهم الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألغاه قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد حدثنا ابن أبي مريم، ثنا الليث، ثنا ابن جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحي إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي ﷺ ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ، وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساساً لنبوته عليه السلام.

وقال يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق: إن أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف، وإنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، وكان أهدى العرب، فقالوا له: ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهي - والله - طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها، وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الأمر أراد الله تعالى بهذا الخلق.

قال معمر قلت للزهري: أكان

يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرايت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنهَا مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] الآية؟ قال: غلظت وشدت أمرها حين بعث النبي ﷺ.

وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعثه - ﷺ - ولكن لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه. وقيل: إن النجم ينقض فيرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه، والله أعلم.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطناها على وجه الماء، يقال: إنها مسيرة خمسمائة عام في مثلها دحيت من تحت الكعبة. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جباًلاً ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال، ﴿وَأَلْبَسْنَا فِيهَا﴾، أي: فسي الأرض، ﴿وَمِن كُلِّ شَعْبٍ مَّوَدَّةً﴾، مقدر معلوم.

وقيل: يعني في الجبال، وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها، حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزناً. وقال ابن زيد: هي الأشياء التي توزن وزناً.

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعِيشَ﴾، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس. وقيل: ما يعيش به آدمي في الدنيا، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَّمْ يَرْزُقْهُنَّ﴾، أي: جعلنا فيها معاش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام، أي: جعلناها لكم وكفيناكم رزقها ﴿وَمَن﴾ في الآية بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿فَيُنْثَنُ مِّن يَّتَنَّى عَلَى بَطْنِهِ وَيُنْثَنُ مِّن يَّتَنَّى عَلَى بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥]، وقيل: «من»

في موضعها؛ لأنه أراد الممالك مع الدواب. وقيل: «من» في محل خفض عطفًا على الكاف والميم في «لكم».

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: وما من شيء، ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، أي: مفاتيح خزائنه. وقيل: أراد به المطر، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، لكل أرض حد مقدر، ويقال: ما تنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها [إلى] حيث يريد الله عز وجل ويشاء، وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾، أي: حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لافحة، يقال: ناقة لافحة إذا حملت الولد. قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمطر به السحاب فيدرك كما تدر اللقحة ثم تمطر. وقال أبو عبيدة: أراد باللواقح الملاقيح واحدها ملقحة، لأنها تلقيح الأشجار، قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قماً ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاماً، ثم يبعث اللواقح فتلقيح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه والشمال تجمععه، والجنوب تذره، والذبور تفرقه، وفي الخبر: أن اللقيح رياح الجنوب. وفي بعض الآثار: ما

هبّت رياح الجنوب إلا وانبعثت عيناً غدقة. وأما الريح العقيم: فإنها تأتي بالعذاب ولا تلقح.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا من لا أنهم، ثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما هبت رياح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه، وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً».

قال ابن عباس: في كتاب الله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]. وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال: ﴿رِيسِلَ الرِّيحُ بِشْرَتَيْنِ﴾ [الروم: ٤٦]. ﴿فَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَالْتَمِسْتُمْكُمْ﴾، أي: جعلنا المطر لكم سقياً، يقال: أسقى فلان فلاناً إذا جعل له سقياً: وسقاه: إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان لسقيه، فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ودوابه تقول: أسقيته. ﴿وَمَا أَنتُمْ لَمْ يَخْزَيْنِ﴾، يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم، وقال سفيان: بمانعين.

﴿وَلَوْ أَنَّ لَنَا شَيْءٌ مِّنْ غَيْرِ﴾، بأن نمت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا، والوارث من صفات الله عز وجل، قيل الباقي بعد فناء الخلق. وقيل: معناه أن مصير الخلق إليه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنكُمْ﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾، قال ابن عباس: أراد بالمستقيمين الأموات وبالمستأخرين الأحياء.

قال الشعبي: الأولين والآخرين، وقال عكرمة: المستقدمون من خلق الله، والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ. وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطلون عنها. وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها.

وذلك أن النساء كن يخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال، فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال ليقرب من النساء، ومن النساء من كانت في قلبها ريبة فتتقدم إلى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال. فنزلت هذه الآية.

وقال النبي ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها». وقال الأوزاعي: أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره. وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال، وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عِيمٌ﴾، على ما علم منهم. وقيل: يميت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين.

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، أنا أبو سعيد الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا

أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه».

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ»، يعني: آدم عليه السلام سمي إنساناً لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿٢٧﴾ «مِنْ صَلَافٍ»، وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتاً. قال ابن عباس: هو الطين الحر الطيب، الذي إذا نضب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تققق. وقال مجاهد: هو الطين المتنن. واختاره الكسائي، وقال: هو مِنْ صَلِّ اللحم وأصل، إذا أنتن، ﴿٢٨﴾ «مِنْ حَمَرٍ»، والحمأ: الطين الأسود، ﴿٢٩﴾ «تَسْوِيٍّ»، أي: متغير. قال مجاهد وقتادة: هو المتنن المتغير. وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سنتت الماء إي صببته.

قال ابن عباس: هو التراب المبتل المتنن، جعل صلصلاً كالفضار. وفي بعض الآثار: إن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود، ثم خلق منه آدم عليه السلام.

﴿٣٠﴾ «وَلَمَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ»، قال ابن عباس: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس خلق قبل آدم.

ويقال: الجن: أبو الجن وإبليس أبو الشياطين، وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون، ويموتون إذا مات إبليس.

وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة

الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. ﴿٣١﴾ «مِنْ تَارِ السُّمُومِ»، والسموم ریح حارة تدخل مسام الإنسان فتقتله. يقال: السموم بالنهار والحرور بالليل. وعن الكلبي عن أبي صالح: السموم نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب، فإذا أراد الله أن يحدث أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به، فالهدة التي تسمعون في

خرق ذلك الحجاب. وقيل: نار السموم لهب النار. وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم.

وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم، وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنهم خلقوا من النور.

﴿٣٢﴾ قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا»، أي: سأخلق بشراً، ﴿٣٣﴾ «مِنْ صَلَافٍ يَنْ حَمَرٍ تَسْوِيٍّ».

﴿٣٤﴾ «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ»، عدلت صورته، وأنممت خلقه، «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»، فصار بشراً حياً، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان، أضاف الروح إلى نفسه تشريفاً، ﴿٣٥﴾ «فَقَعَا لَمْ يَسْجُدَا»، سجدوا تحية لا سجود عبادة.

﴿٣٦﴾ «فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ»، الذين

﴿٣٧﴾ «قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ مَعَ السَّاجِدِينَ» قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ يَنْ حَمَرٍ تَسْوِيٍّ» قَالَ فَأَخْرِجْنِي مِنْهَا إِنَّكَ رَجِيمٌ» ﴿٣٨﴾ «وَأَنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ﴿٣٩﴾ «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» ﴿٤٠﴾ «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» ﴿٤١﴾ «لَأُصَادِدَنَّ لَهُمْ الشَّيَاطِينَ» قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» ﴿٤٢﴾ «إِنْ عَادَى لِرَاسِ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّكَمَ مِنْ الْقَاوِينَ» ﴿٤٣﴾ «وَلَنْ جَهَنَّمَ لَمُؤْمِنُهُمْ أَجْمَعِينَ» ﴿٤٤﴾ «لَمَّا سَمِعَ أَبُورَاحَ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ» ﴿٤٥﴾ «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَثِيqُونَ» ﴿٤٦﴾ «أَسْأَلُوهَا سَلَامَةً وَآمِينَ» ﴿٤٧﴾ «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى شُرُوفٍ مُقْبِلِينَ» ﴿٤٨﴾ «لَا يَشْعُرُ فِيهَا مَقَابِرُ» ﴿٤٩﴾ «وَمَا هُمْ بِبَاسِعِينَ» ﴿٥٠﴾ «فَتَوَعَّادٌ يَأْتِيهَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ» ﴿٥١﴾ «وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» ﴿٥٢﴾ «وَيَذَرُهُمْ فِي ضَلَالٍ ابْتِهَادٍ» ﴿٥٣﴾

أمروا بالسجود، ﴿٥٤﴾ «كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ»، فإن قيل: لم قال ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً، وذكر المبرد أن قوله: ﴿سَجَدَ الْمَلَكَةُ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ».

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: إن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة: اسجدوا لآدم، فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم، ثم قال لجماعة أخرى: اسجدوا لآدم، فسجدوا.

﴿٥٥﴾ «إِلَّا إِبْلِيسَ أَفَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ».

﴿٥٦﴾ «قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِبَشَرٍ»

﴿٥٧﴾ «قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ»

خَلَقْتُمْ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْتَوِينَ، أراد
إني أفضل منه لأنه طينني وأنا ناري
والنار تاكل الطين.

﴿٢٤﴾ قَالَ فَاعْرِضْ يَنْبَأَ أَي: من
الجنة ﴿إِنَّكَ رَحِيمٌ﴾، طريد.

﴿٢٥﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ أَلْفَنَةً لَكَ يَوْمَ
الَّذِينَ، قيل: إن أهل السموات
يلعنون إبليس كما يلعن أهل الأرض
فهو ملعون في السماء والأرض.

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ، أراد الخبيث أن لا
يموت.

﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.

﴿٢٨﴾ إِنَّكَ يَوْمَ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ،
أي: الوقت الذي يموت فيه الخلاق،
وهو النفخة الأولى. ويقال: إن مدة
موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين
النفختين، ويقال: إنه لم تكن
إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراماً
له، بل كانت زيادة في بلائه وشقائه.

﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُو تَارُوتَ،
أضللتني. وقيل: خيبتني من
رحمتك، ﴿لَأَرْسِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ،
حب الدنيا ومعاصيك، ﴿وَأَعْرِضَنَّهُمْ،
أي: لأضلنهم، ﴿أَجْمُوعِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُتَّقِينَ، المؤمنين الذين اخلصوا
لك الطاعة والتوحيد، ومن فتح اللام
أي: من اخلصته بتوحيده فهديته
واصفته.

﴿٣١﴾ قَالَ، الله تعالى، ﴿هَذَا
مِرْكُطٌ عَلَى مَسْتَوِيرٍ﴾، قال الحسن:
معناه صراط [إلى] مستقيم وقال
مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى،
وعليه طريقه، لا يعوج عليه شيء.
وقال الأخفش: يعني عليّ الدلالة

على الصراط المستقيم. قال
الكسائي: هذا على التهديد والوعيد
كما يقول الرجل لمن يخاصمه:
طريقك عليّ، أي: لا تغلت مني،
كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ
لَبَاسٌ رَصَادٌ﴾ [الفجر: ١٤]. وقيل:
معناه على استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية، وقرأ ابن سيرين،
وقتادة، ويعقوب: «عليّ» من العلو
أي: رفيع، وعبر بعضهم عنه: رفيع
أن ينال مستقيم أن يمال.

﴿٣٢﴾ إِنَّ عِبَادِي لَشَرٌّ لَكَ عَلَيْهِمْ
شَاطِرُونَ، أي: قوة. قال أهل
المعاني: يعني على قلوبهم. وسئل
سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال:
معناه ليس لك عليهم سلطان تلقى
في ذنب يضيق عنه عفوي ومغفرتي.
وهؤلاء ثنية الله الذين هدامهم
واجتباهم. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿٣٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ،
يعني موعد إبليس ومن تبعه.

﴿٣٤﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، أطباق.
قال علي كرم الله وجهه: تدرجون
كيف أبواب النار هكذا ووضع إحدى
يديه على الأخرى، أي: سبعة أطباق
بعضها فوق بعض، وإن الله وضع
الجنان على العرض ووضع النيران
أطباق بعضها فوق بعض. قال ابن
جريج: النار سبع دركات أولها
جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم
السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم
الهاوية. ﴿لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَهَمُ جُزْءٌ
مَقْشُورٌ﴾، أي: لكل دركة قوم
يسكنونها. وقال الضحاك: في

الدركة الأولى أهل التوحيد الذين
أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم
يخرجون، وفي الثانية النصارى،
وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة
الصابئون، وفي الخامسة المجوس،
وفي السادسة أهل الشرك، وفي
السابعة المنافقون، فذلك قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وروي عن ابن عمر عن النبي
ﷺ: «ولجهنم سبعة أبواب باب منها
لمن سل السيف على أمتي أو قال
على أمة محمد».

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾، أي: في بساتين
وأنهار.

﴿٣٦﴾ أَدْخُلُوهَا، أي: يقال لهم
ادخلوا الجنة، ﴿مَكِيلٌ﴾، أي:
بسلامة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ﴾، من الموت
والخروج والآفات.

﴿٣٧﴾ وَنَزَعْنَا، أخرجنا، ﴿مَا فِي
شُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾، هو الشحنة
والعداوة والحقد والحسد،
﴿إِخْرَاجًا﴾، نصب على الحال، ﴿عَلَى
سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾،
يقابل بعضهم بعضاً لا ينتظر أحد
منهم إلى قفا صاحبه. وفي بعض
الأخبار: إن المؤمن في الجنة إذا ودَّ
أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل
واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان
ويتحدثان.

﴿٣٨﴾ لَا يَمَسُّهُمْ، لا يصيبهم،
﴿فِيهَا نَضَبٌ﴾، أي: تعب [ومشقة]
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَحَرِّينَ﴾، هذه أنص
آية في القرآن على الخلود.

﴿٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿نَجَّيْ عِبَادِي﴾
إِنَّا أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ، قال ابن
عباس: يعني لمن تاب منهم.

وروي أن النبي ﷺ خرج يوماً
على نفر من أصحابه وهم
يضحكون، فقال: «أنضحكون وبين
أيديكم النار»، فنزل جبريل بهذه
الآية وقال: «يقول لك ربك يا محمد
لم تقط عبادي من رحمتي».

﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَكَادِبُ
الْأَلِيمُ.

قال قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ
قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما
تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه
ليخع نفسه».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن
سعيد، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن،
عن عمرو بن أبي عمرو، عن
سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال:
سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله
خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة،
فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة
وأرسل في خلقه كلهم رحمة
واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي
عند الله من الرحمة لم ييأس من
الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي
عند الله من العذاب لم يأمّن من
النار».

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ
صَافِي إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: عن أضيافه
وهم الملائكة والضياف اسم يقع على
الواحد والاثنتين والجمع والمذكر

والمؤنث، وهم الملائكة
الذين أرسلهم الله تعالى
ليبشروا إبراهيم بالولد
ويهلكوا قوم لوط.

﴿٥٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ
سَلَامًا قَالَ، إبراهيم، «إنا
منكم وجلون»، خائفون
لأنهم لم يأكلوا طعامه.

﴿٥٣﴾ قَالُوا لَا تَنْزِلْ لَا نَعْلَمُ
تَخَفَ، «إِنَّا نَبِّشُرُكَ»،
«نبشركم عليه»، أي: غلام
في صغره عليم في كبره
يعني إسحاق، فتعجب
إبراهيم عليه السلام من
كبره وكبر امرأته.

﴿٥٤﴾ قَالَ ابْتَزُّوا
أي: بالولد «عَلَّ أَنْ مَسَّيَ الْكَبِيرَ»،
أي: على حال الكبر، قاله على
طريق التعجب، «فِيمَ تَبْشُرُونَ»،
فبأي شيء تبشرون؟ قرأ نافع بكسر
النون وتخفيفها أي: تبشرون، وقرأ
ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أي
تبشرونني، ادغمت نون الجمع في
نون الإضافة، وقرأ الآخرون بفتح
النون وتخفيفها.

﴿٥٥﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ
بالصدق، «فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰتِنِينَ».

﴿٥٦﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ
عمرو والكسائي ويعقوب بكسر النون
والآخرون بفتحها وهما لغتان قِنْط
يَقْنَطُ وَقَنْطُ يَقْنَطُ أي: ييأس، «مَنْ
رَعِمَ رَيْوَهُ إِلَّا أَفْطَارُكَ»، أي:
الخاسرون، والقنوط من رحمة الله
كبيرة كالآمن من مكروه.

﴿٥٧﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ، قَتَا

﴿٥٨﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا لَا تَنْزِلْ لَا نَعْلَمُ تَخَفَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ ﴿٦١﴾ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰتِنِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا أَفْطَارُكَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا أَفْطَارُكَ قَوْمٌ مَجْرُومُونَ ﴿٦٤﴾ إِلَّا إِلَهُ لُوطِ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَنَجْزِيكَ أَجْرَ يَوْمِ جُرَيْدٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٧﴾ إِذْ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمِرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴿٦٩﴾ فَأَنشَرْنَا بِأَهْلِكَ يَفْقَهُ مِنْ أَيْدِي وَأَتَيْنَ آبَاءَهُمْ وَلَا يَلْفِتُونَ وَكُنَّا مُنْصَرِفِينَ ﴿٧٠﴾ وَأَمْشُوا حَيْثُ تَوَمَّلُونَ ﴿٧١﴾ وَنَصَبْنَا إِلَيْهِ ذِكْرَ الْأُمَمِ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٢﴾ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مَتَّعِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ سَبِيٌّ فَلَا تَفْخَرُوا بِهِمْ ﴿٧٥﴾ وَأَعْلَا أَلَّهُ وَلَا تَحْزَنُوا ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَسْهَكَ عَلَى الْغَالِيَةِ ﴿٧٧﴾

خَطْبَكُمْ، ما شأنكم، «إِنَّا
الْمُرْسَلُونَ».

﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ
جُرَيْدٍ، مشركين.

﴿٥٩﴾ إِلَّا إِلَهُ لُوطِ، أتباعه
وأهل دينه، «إِنَّا لَنَجْزِيكَ
أَجْرَ يَوْمِ جُرَيْدٍ»، خفف الجيم حمزة
والكسائي وشده الباقون.

﴿٦٠﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ، أي: امرأة
لوط، «فَدَّرْنَا»، قضينا، «إِنَّا لَمِنْ
الْفٰتِنِينَ»، الباقين في العذاب،
والاستثناء من النفي إثبات، ومن
الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من
الناجين فكانت ملحقة بالهالكين، قرأ
أبو بكر «قدرونا» ههنا وفي سورة
النمل بتخفيف الدال. والباقون
بتشديدها.

﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ
الْمُرْسَلُونَ.

محمد ﷺ، وما أقسم الله تعالى
بحياة أحد إلا بحياته.

﴿٧٣﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُثْرِقِينَ﴾،
أي: حين أضاءت الشمس، فكان
ابتداء العذاب حين أصبحوا وتماهم
حين أشرقوا.

﴿٧٤﴾ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ حِمَارًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّينَ﴾، قال ابن عباس:
للمناظرين. وقال مجاهد:
للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين.
وقال مقاتل: للمفكرين.

﴿٧٦﴾ ﴿وَأَنبَأْنَا﴾ يعني قرى قوم
لوط، ﴿لَيْسِيلَ ثَقِيبٍ﴾، أي: بطريق
واضح، وقال مجاهد: بطريق معلم،
ليس بخفي ولا زائل.

﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿وَلَإِنْ كَانَ﴾، وقد كان
﴿أَحْسَبُ الْآيَاتِ﴾، الغيضة،
﴿لِّظُلُمِينَ﴾، لكافرين، واللام
للتأكيد، وهم قوم شعيب عليه
السلام كانوا أصحاب غياض وشجر
ملتحف، وكانت عامة شجرهم الدوم،
وهو المقل.

﴿٧٩﴾ ﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ﴾، بالعذاب،
وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة
أيام ثم بعث سحابة فالتجؤوا إليها
يلتمسون الروح، فبعث عليهم منها
ناراً فأحرقتهم، فذلك قوله تعالى:
﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ [الشعراء:
١٨٩] ﴿وَأَنبَأْنَا﴾ يعني مديتي قوم لوط
وأصحاب الأيكة ﴿لِيَأْمُرَ ثِيْبِينَ﴾،
لبطريق واضح مستبين.

هَؤُلَاءِ، يدل عليه قراءة
عبدالله: «وقلنا له إن ذاب
هؤلاء، يعني أصلهم،
﴿مَقْطُوعٌ﴾، مستأصل،
﴿ثَمَرِيْنٌ﴾، إذا دخلوا في
الصبح.

﴿٧٩﴾ ﴿وَجَاءَ أَقْلُ
الْمَدِينَةِ﴾، يعني مدينة
سدوم، ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾،
بأضياف لوط أي: يبشر
بعضهم بعضاً طمعاً في
ركوب الفاحشة منهم.

﴿٨٠﴾ ﴿قَالَ﴾، لوط
لقومه، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ
شَيْبٌ﴾، وحق على الرجل
إكرام ضيفه، ﴿فَلَا

تَنْفَرُونَ﴾، فيهم.
﴿٨١﴾ ﴿وَأَنفَرُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُونَ﴾، ولا
تُخْجِلُونَ.

﴿٨٢﴾ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ
الْكَلْبِيَّةِ﴾، أي: ألم تنهك عن أن
تضيف أحداً من العالمين. وقيل:
ألم تنهك أن تدخل الغرباء بالمدينة،
فإننا نركب منهم الفاحشة.

﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أزوجهن
إياكم إن أسلمتم فاتوا الحلال ودعوا
الحرام، ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَبِيلِينَ﴾، ما
أمركم به. وقيل: أراد بالبنات نساء
قومه لأن النبي كالوالد لأمة.

﴿٨٤﴾ قال الله تعالى: ﴿لَمَعْرَكٍ﴾، يا
محمد أي وحياتك، ﴿إِنَّمَا لِي
سَكْرَتِهِمْ﴾، حيرتهم وضلالتهم،
﴿يَمْمُورُونَ﴾، يترددون، وقال قتادة:
يلعبون. روي عن أبي الجوزاء عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:
ما خلق الله نفساً أكرم عليه من

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ قَبِيلِينَ ﴿٨٣﴾ لَمَعْرَكٍ إِنَّمَا لِي سَكْرَتِهِمْ
يَمْمُورُونَ ﴿٨٤﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُثْرِقِينَ ﴿٨٥﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا
سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِمَارًا مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٨٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّينَ ﴿٨٧﴾ وَأَنبَأْنَا لَيْسِيلَ ثَقِيبٍ ﴿٨٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِنْ كَانَ أَحْسَبُ الْآيَاتِ لَظُلُمِينَ ﴿٩٠﴾
فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ وَلَهُمَا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحْسَبُ
الْحِمَارِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٩٢﴾ وَأَوَّاهْتَهُمْ مَا يَنْتَفِكُونَ أَصْحَابًا مُّعْرِضِينَ
﴿٩٣﴾ وَكَأَنَّهُمْ يَنْجُونَ مِنَ الْإِلَهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٩٤﴾ فَأَخَذْتَهُمُ
الصَّيْحَةَ مُضْجِرِينَ ﴿٩٥﴾ مَا أَفْقَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآيَةً فَاصْفَحِ الصَّمْعَ الْجَمِيلَ ﴿٩٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْمُنْتَلِقُ لَآيَةً فَاصْفَحِ الصَّمْعَ الْجَمِيلَ ﴿٩٨﴾ لَقَدْ أَنبَأْتَكَ سَبْعَانَ الثَّمَانِي وَالْأَشْرُونَ
الْعَظِيمَ ﴿٩٩﴾ لَأَتَذَكَّرَ عَلَيْكَ إِكْرَامًا مَعْتَابَةً أَرْوَحًا يَنْتَهَرُ
وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَاذَكَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَقُلْ إِنِّي
أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿١٠١﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿٩٧﴾ ﴿قَالَ﴾، لوط لهم، ﴿إِنَّمَا
قَوْمٌ شُكِرُونَ﴾، أي: أنا لا أعرفكم.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا
فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، أي: يشكون في أنه
نازل بهم، وهو العذاب لأنه كان
يوعدهم بالعذاب فلا يصدقونه.

﴿٩٩﴾ ﴿وَأَنبَأْتَكَ بِالْحَقِّ﴾، باليقين.
وقيل: بالعذاب، ﴿وَلَنَا لَمَدِينُونَ﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿فَأَنشِرْ بِأَمْرِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْإِلِ
وَأَنصَحْ أَذْنَهُمْ﴾، أي سر خلفهم، ﴿وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ﴾، حتى لا يرتاعوا
من العذاب إذا نزل بقومهم. وقيل:
جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من
آل لوط، ﴿وَأَمْعُشُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾،

قال ابن عباس: يعني الشام. وقال
مقاتل: يعني زَعَرَ. وقيل: الأردن.

﴿١٠١﴾ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾،
أي: فرغنا إلى آل لوط من ذلك
الأمر، أي: أحكمنا الأمر الذي أمرنا
في قوم لوط، وأخبرناه ﴿أَنْتَ دَايِرٌ

لأن الله تعالى استأثراها وأدخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم.

وقال أبو زيد البلخي: سميت مثاني لأنها تثني أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني. وقيل: لأن أولها ثناء.

وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: إن السبع المثاني هي السبع الطوال، أولها سورة البقرة، وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد وعبدالله بن محمد بن مسلم قالا: أنبأنا هلال بن العلاء، ثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بن [أبي] كثير، عن شداد بن عبدالله، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني السبع المثاني مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفضل».

وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي النبي ﷺ السبع الطوال، وأعطني موسى متاً فلما ألقى الألواح رفع ثنتان وبقي أربع. قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخير والشر والعبر والخبر ثنيت فيها. وقال طائوس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: «اللَّهُ تَزَكَّى أَحْسَنَ

وَرَأَى السَّاعَةَ»، يعني: القيامة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، «فَأَصْفَحْ أَلْصَفَحَ الْجَبِيلَ»، فأعرض عنهم واعف عفواً حسناً نسختها آية القتال. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ لَمَلَأُ الْقُلُوبَ الْعَلِيمَ﴾ بخلقه.

﴿وَلَقَدْ مَاءَنَتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾، قال عمر وعلي: هي فاتحة الكتاب. وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبيرة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب، ثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، وعن ابن مسعود قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم: هو سائر القرآن، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها ثنيت في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء. كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين».

وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة، ومرة بالمدينة، كل مرة معها سبعون ألف ملك.

وقال مجاهد: سميت مثاني

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْجَبْرِ﴾، وهي مدينة ثمود قوم صالح، وهي بين المدينة والشام، «الْمُرْسَلِينَ»، أراد صالحاً وحده.

﴿وَوَإِنتَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾، يعني: الناقاة وولدها والبشر، فالآيات في الناقاة، خروجها من الصخرة، وكبرها، وقرب ولادها، وغزارة لبنها، «فَكَانُوا عَنْهَا مُرْمِضِينَ».

﴿وَكَاذِبُوا يَتَّبِعُونَ مِنْ لَدُنْهُمْ يُوَسِّئُونَ أَمْرَهُمْ﴾، من الخراب ووقوع الجبل عليهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، يعني: صيحة العذاب، «ثُمَّ صَيِّبَهُمْ»، أي: داخلين في وقت الصبح.

﴿فَمَا أَفْقَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الشرك والأعمال الخبيثة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، ثنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر عن الزهري، أنا سالم بن عبدالله، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه لما مر بالجحر قال «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، قال: وتفتح بردائه وهو على الرحل.

وقال عبدالرزاق عن معمر: «ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي».

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ



لِلْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ [الزمر: ٢٣]. وسمي القرآن مثاني لأن الأنبياء والقصاص ثنيت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم. وقيل: الواو مقحمة، مجازة: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم.

٨٨ قوله تعالى: ﴿لَا تَدْعُ عَيْنُكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الكفار متمنياً لها، نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن العنزي ثنا عيسى بن

نصر، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنا جهم بن أوس، قال سمعت عبدالله بن أبي مريم - ومز به عبدالله بن رستم في موكله، فقال لابن أبي

مريم: إنني لأشتهي مجالستك وحديثك، فلما

مضى قال ابن مريم: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «لا

تغبطن فاجراً بنعمته فإنك لا تدري ما هو لاق بعد

موته، إن له عند الله قاتلاً لا يموت» فبلغ ذلك

وهب بن منه فأرسل إليه وهب أبا داود الأعور، قال: يا أبا

فلان ما قاتلاً لا يموت؟ قال ابن أبي مريم: النار.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل

الفقيه، ثنا أبو الحسن بن إسحاق، ثنا إبراهيم بن عبدالله العيسي، أنا

وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا

نعمة الله عليكم».

وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه لما من الله تعالى عليه

بالقرآن نهى عن الرغبة في الدنيا. روي أن سفيان بن عيينة - رحمه الله

- تأول قول النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي: من لم يستغن

بالقرآن. فتأول هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي لين جناحك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وارفق بهم، والجناحان من ابن آدم جانباه.

٨٩ ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْبَشِيرُ﴾.

٩٠ ﴿كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْسِمِينَ﴾ قال الفراء: مجازة أنذرهم عذاباً

كعذاب المقتسمين، حكى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال:

هم اليهود والنصارى. ٩١ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، جزؤوه: فجعلوه أعضاء

فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا

كتابهم ففرقوه وبذلوه. وقيل: «المقتسمون»: قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم:

شعر، وقال بعضهم: كذب. وقال بعضهم: أساطير الأولين.

وقيل: الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا:

ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم

الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاققسموا أعقاب مكة وأطرافها

وقعدوا على أنقابها، يقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا

الرجل الخارج الذي يدعي النبوة مثاً، وتقول طائفة منهم: إنه مجنون

وطائفة: إنه كاهن وطائفة: إنه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد

نصبوه حكماً فإذا سئل عنه قال: صدق أولئك يعني المقتسمين.

قوله: ﴿عِضِينَ﴾ قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت

الشيء تعضية، إذا فرقته، ومعناه: أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل بزة وبيرين وعزة وعزين، وأصلها: عضة ذئبت هاؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها: شفة، بدليل أنك تقول في التصغير شفيهة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان. وقيل: المراد بالعضين العضة، وهو السحر، يريد أنهم سمو القرآن سحراً.

﴿وَرَبِّكَ لَتَنَلَنَّهُنَّ آبِجِينَ﴾، يوم القيامة.

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا قال محمد بن إسماعيل: قال عدة من أهل العلم: عن لا إله إلا الله. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُشْغَلُ عَنْ دُئُوبِهِ إِشٌّ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ اعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُشْغَلُ عَنْ دُئُوبِهِ إِشٌّ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، يعني: استعلاماً. وقوله: ﴿لَتَنَلَنَّهُنَّ آبِجِينَ﴾ يعني: توبيخاً وتقريعاً. وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها، نظير ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْلُمُونَ﴾

[المرسلات: ٣٥]، وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

﴿قوله تعالى: ﴿فَأَسْبَغَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، قال ابن عباس: أظهره. ويروى عنه: امضه. وقال الضحاك: أعلم. وقال الأخفش: افرق، أي: افرق بالقرآن بين الحق والباطل. وقال سيبويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصدع الفصل، والفرق: أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. وروي عن عبدالله بن عبيدة [أن النبي ﷺ] كان مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، نسختها آية القتال.

﴿إِنَّا كُنَّاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، يقول الله تعالى لتبئيه ﷺ: فاصدع بأمر الله ولا تخف أحداً غير الله عز وجل، فإن الله كافيك من عاداك كما كافاك المستهزئين.

وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبدالمطلب بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى بن زمة، وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال: «اللهم أعم بصره واثكله بولده» والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحرث بن قيس بن الطلالة فأتى جبريل النبي ﷺ، والمستهزون يطوفون بالبيت، فقام جبريل وقام النبي ﷺ إلى جنبه، فمزم به الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد كيف تجد هذا فقال: بثس

عبدالله، فقال: قد كفيته، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر برجل من خزاعة نبال يريش نبلاً له وعليه برد يمانى وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من النبل بإزاره فمنعه الكبر أن يطأطأ رأسه ففزعها، وجعلت تضرب ساقه، فخدشته، فمرض منها فمات. ومزم به العاص بن وائل فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «بثس عبدالله»، فأشار جبريل إلى أخصم رجله، وقال: قد كفيته فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعباً من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخصم رجله فقال: لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئاً وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه. ومزم به الأسود بن المطلب فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء» فأشار بيده إلى عينيه، وقال: قد كفيته، فعمي. وقال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك.

وفي رواية الكلبي: أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال غلامه: لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك، حتى مات، وهو يقول قتلني رب محمد، ومزم به الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «بثس عبدالله على أنه ابن خالي»، فقال: قد كفيته، وأشار إلى

بطنه فاستسقى بطنه فمات حيناً.

وفي رواية للكلبي أنه خرج من أهله فأصابه السُّموم فاسود [جلده] حتى عاد حبشياً فأتى أهله فلم يعرفوه، وأغلَقُوا دونه الباب حتى مات، وهو يقول: قتلني رب محمد، ومَرَّ به الحارث بن قيس فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «عبد سوء» فأومأ إلى رأسه وقال: قد كفيته فامتخط قبحاً فقتله. وقال ابن عباس: إنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى أنقذ بطنه فمات، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْكَ النَّسْتَهِينَ﴾، بك وبالقُرآن.

﴿٩٦﴾ ﴿الَّذِينَ يَمْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ﴾ وقيل استهزأهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزأ هذا في سورة البقرة، وهذا في سورة النحل، وهذا في سورة العنكبوت.

﴿٩٧﴾ - ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ تَمَرَأَ أَنَّكَ يَعْثُبُكَ صَدْرُكَ يَمًا يَقُولُونَ﴾ فَسَيَحْجِمُكَ رَبُّكَ﴾، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، من المصلين المتواضعين، وقال الضحاك: «فسبح بحمد ربك» قل سبحان الله وبحمده «وكن من الساجدين»، يعني: من الصلّين. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

﴿٩٨﴾ ﴿وَأَعِذْ بِرَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أي الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم:

﴿وَأَوْصِنِي بِالْغُلَاظِ وَالزَّكَوَاتِ مَا دُمْتُ حَيَّةً﴾.

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالح، أنا عبد الله [بن] محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، ثنا أمية بن محمد الصواف البصري، ثنا محمد بن يحيى الأزدي، ثنا أبي والهيثم بن خارجة قالا: ثنا إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أوحى الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».

وروي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى هذا الذي نَوَّرَ الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراها، أو شريت له، بمائتي درهم، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترونه». والله أعلم.

سورة النحل

مكية مئة وثمان وعشرون آية إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْبَثُوا فَعَابِثُوا بِمِثْلِ مَا غَوَّيْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة.

يُسَمِّهِ اللَّهُ الْكَرِيمَ النَّصِيحَ ﴿١﴾ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: جاء ودنا

وقرب، ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب أنك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعداً ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقوعاً، ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾ قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. وقال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً [مما تخوفنا به] فنزل قوله ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، فاشفقوا، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم [إلى السماء] وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا. والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه.

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار بأصبعيه - وإن كادت لتسبقني».

قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشرار الساعة ولما مر جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة.

وقال قوم: المراد بالأمر ههنا: عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْبِذَ بِكُمْ وَيَنْتَرُوا سُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَتَاكُمُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ وَإِنْ
أَقْنَمْتَ لَتَلَذَّ طَعْمُ لَا يَمَلُّهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
مَعَدُّ وَإِصْمَةُ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَنُورٌ جَبِيحٌ ﴿١٢﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُشْرُونَ وَمَا تُنْفِقُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ لَهُمْ
أَحْسَاءُ وَمَا يُشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذِهِ إِلَهُاتُ الْفَرِيقِ
فَأَلْبَسْتَهُمْ فِي أَلْأَخِرَةِ قُلُوبَهُمْ مُنْكَرًا وَهُمْ شُرَكَائِيكُمْ
لَا جَرَمَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُشْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ
لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْرِيمَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ فِيكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا
سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿١٨﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَأَقْبَهُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ الْقَوَاعِدَ فَخَّرَ عَلَيْهِمُ السَّقْفَ
مِنْ قَوَائِمِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل».

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، ثنا الحسن بن الفرج، ثنا عمرو بن خالد، ثنا عبدالله بن عبدالكريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر، أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ، ونهى عن لحوم البغال والحمير.

روي عن المقدم بن معدي كرب عن خالد بن الوليد «أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير» وإسناده ضعيف.

﴿يَنْفُلُ مَا لَا تَحْتَسِبُونَ﴾، قيل: يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها،

وفي النار لأهلها، مما لم تراه عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر. وقال قتادة يعني: السوس في النباتات والدود في الفواكه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ﴾﴾ يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل دين

الإسلام، والجائر منها دين اليهودية، والنصرانية، وسائل ملل الكفر. قال جابر بن عبدالله: «قصد السبيل» بيان الشرائع والفرائض. وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله: قصد السبيل السنة. ومنها جائر الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ شَهْوَاهِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَفَدَدْنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى﴾ [السجدة: ١٣].

﴿قوله عز وجل: ﴿مَنْ أَلْهَى الْوَيْلَ مِنَ الشَّامَةِ مَا لِلَّهِ لَكُمْ مِنْهُ شُرَكَاءُ﴾﴾، تشربونه، ﴿شُرَكَاءُ﴾، أي: من ذلك الماء شراب أشجاركم، وحياة نباتكم، ﴿يَبُوءُ﴾ يعني: في الشجر، ﴿لِيُشْمِرْنَ﴾، ترعون مواشيكم.

﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ يَوْمَ﴾ أي:

ينبئ الله لكم به، يعني بالماء الذي أنزل، إليكم وقرأ أبو بكر عن عاصم «نُتِبَ» بالنون. ﴿الزَّيْبُ وَالزَّنْبُورُ وَالنَّجِيلُ وَالْأَغْنَبُ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾، ذللكم لكم ﴿الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجُومَ سَخَّرْتُمْ﴾، مذللات، ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بإذنه وقرأ حفص عن عاصم ﴿وَالْجُومَ سَخَّرْتُمْ﴾ بالرفع على الابتداء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا ذَرَأَ﴾، خلق، ﴿لَكُمْ﴾، لأجلكم، أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، من الدواب والأشجار والشمار وغيرها، ﴿مُتَوَلِّيًا﴾، نصب على الحال، ﴿الزَّيْبُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، يعتبرون.

﴿وَقَرَأَ الْوَيْلَ سَخَّرَ الْبَحْرَ لِقَائِكُمْ وَمِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَأَسْتَفْرَجُوا وَمِنْهُ جِلْدٌ تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿وَكُنْزٌ كَثِيرٌ مَوَاجِرٌ يَبُوءُ﴾، جوارى فيه. قال قتادة: مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين إحداها تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة. قال الحسن: ﴿مَوَاجِرٌ﴾ أي: مملوءة. وقال الفراء والأخفش: شواق تشق الماء بجناحيها. قال مجاهد: تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق.

وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح» أي: لينظر من أين مجراها وهبوبها، فليستدبرها حتى لا يرد عليه البول. وقال أبو

عبيدة: صواغخ، والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها، ﴿وَلَتَسْتَفْتُوا مِنْ قُضُلِهِمْ﴾ يعني: التجارة، ﴿وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ فَتَرَفُ وَتَكْثُرُ﴾، إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَءُوسٌ أَنْ يَنبِيَهُمْ﴾ أي: لئلا تُميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: مَيَدٌ، قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: أن هذه غير مقررة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال، ﴿وَأَنزَلْنَا وَسِيلًا﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، إلى ما تريدون فلا تضلّون عنه.

﴿وَعَلَّكُنَّ﴾، يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: ههنا تم الكلام ثم ابتدأ، ﴿وَاللَّجِيمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات النجوم والجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به. قال السدي: أراد بالنجوم الشربا، وبنات نعش، والفرقدن، والجدي، يُهْتَدَى بها إلى الطرق والقبلة. وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء، لتكون زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين. فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به.

﴿أَفَنَسْخَلُ﴾، يعني: الله تعالى، ﴿كَمْ لَا يَخْلُقُ﴾، يعني:

الأنصام، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا نَحْنُ اللَّهُ لَا شَعْنُؤُنَا إِنَّ اللَّهَ لَنَفُورٌ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه، ﴿رَجِيمٌ﴾ بكم حيث وسع عليكم النعم، ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا نَشَاءُ وَمَا نَشَاءُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأنصام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي الأنصام ﴿يَعْبُدُونَ﴾ أي الأنصام ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، يعني: والقرآن يدل على أن الأنصام تبعث وتجعل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها. وقيل: وما يدري الكفار عبدة الأنصام متى يبعثون.

﴿قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾، جاحدة ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، مستعظمون.

﴿لَا جَزَاءَ﴾، حقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا نَشَاءُ وَمَا نَشَاءُ﴾ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، أنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن سخته، أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري، ثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن

قيس، عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرٍ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ يَنْظُرُ الْحَقَّ وَغَمَطُ النَّاسِ».

﴿وَلَا يَقِيلُ لَهُمْ﴾، يعني: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها، إذا سأل الحاج: ﴿مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكَ قَالُوا اسْتَطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم.

﴿لِيَحِيلُوا أَوَّلَهُمْ﴾، ذنوب أنفسهم، ﴿كَامِلَةٌ﴾، وإنما ذكر الكمال لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئاً، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوَّلِي الْأَوَّلِينَ يُحِيلُونَهُمْ بِغَيْرِ حِجَّةٍ فَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ﴾، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾، ما يحملون.

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة

الطرق عنه فيقولون: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون، ولو لم تلقه خير لك، فيقول السائل: إنا شر وقد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فآلقاه، فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث.

﴿٢٦﴾ فذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ﴾ يعني: أنزل خيراً، ثم ابتدأ فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، كرامة من الله.

قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر. وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، أي وَلِدَارُ الحال الآخرة، ﴿خَبَرٌ وَلَنِمَّ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾، قال الحسن: هي الدنيا؛ لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها.

﴿٢٧﴾ فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم. وقيل: معناه إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، وقيل: معناه يلفونهم سلام الله، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم،

وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، من مأمهم.

﴿٣٠﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْزِيهِمْ، يهينهم بالعذاب، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَتَشَكَّلُونَ فِيهِمْ﴾، تخالفون المؤمنون فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع السنون من ﴿تَتَشَكَّلُونَ﴾ على الإضافة، والآخرون بفتحها. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْآيَةَ﴾، وهم المؤمنون، ﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ﴾، الهوان، ﴿الْيَوْمَ وَالْشُّوْبَةَ﴾، أي:

العذاب، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. ﴿٣١﴾ ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعداؤه.

قرأ حمزة «يتوفاهم» بالياء وكذا ما بعده، ﴿طَالِيْنَ أَنفُسِهِمْ﴾، بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿فَالْقَوْلُ السَّوْعُ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، شرك فقال لهم الملائكة، ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار بيد.

﴿٣٢﴾ ﴿فَادْخُلُوا﴾ أي: يقال لهم ادخلوا ﴿أَنْتَوْبَ حَتْمَ خَلِيلَيْكَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتَى الْمَتَكَيْنِ﴾، عمن الإيمان، ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء سأل الذين قعدوا على

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِلُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ إِنَّ الْآخِرَىٰ الْيَوْمَ وَالْشُّوْبَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِيْنَ أَنفُسِهِمْ فَالْقَوْلُ السَّوْعُ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ فَادْخُلُوا أَنْتَوْبَ حَتْمَ خَلِيلَيْكَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتَى الْمَتَكَيْنِ ﴿٣٢﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِمَّ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّكَ كَذَلِكَ يَحُلُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٠﴾

كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً.

﴿٣١﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وهو نمروذ بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع.

وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت رأسه في البحر، وخر عليهم الباقي وهم تحته، ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل.

وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى اللَّهُ بُيِّنَهُمْ مِنَ الْأَوَايِدِ﴾ أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ يعني: أعلى البيوت ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَّبِّكَ﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿كَذَلِكَ قَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كما كفر الذين من قبلهم، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبه إياهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. (٣٤) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿وَخَاقٍ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿فَمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(٣٥) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، يعني في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فلولوا أن الله رضىها لنا لغير ذلك وهدانا إلى غيرها، ﴿كَذَلِكَ قَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَعَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ السَّمِينَ﴾، أي: ليس إليهم الهداية وإنما إليهم التبليغ.

(٣٦) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾، أي: كما بعثنا فيكم، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وهو معبود من دون الله، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداه الله إلى دينه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، أي: وجبت [عليه الضلالة] بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: مآل أمرهم، وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

(٣٧) ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾، يا محمد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، قرأ أهل الكوفة «يهدي» بفتح الباء وكسر الدال أي: لا

يهدي الله من أضله. وقيل: معناه لا يهدي من أضله الله، وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: ﴿مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، أي: مانعين من العذاب.

(٣٨) قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿بَلَى وَعَذَابٌ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٣٩) ﴿يَسْتَعِزُّونَ بِاللَّهِ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾.

(٤٠) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى لا تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء مما يحدث إنما نقول له: كن فيكون.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كذبني عبيدي، ولم يكن له ذلك، وشتمني

سورة النحل

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ قَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَعَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ السَّمِينَ﴾ (٣٤) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٥) ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَذَابٌ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧) ﴿يَسْتَعِزُّونَ بِاللَّهِ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ (٣٨) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٩) ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا آخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤١)

عبيدي ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيتاي أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إيتاي أن يقول اتخذ الله ولدًا، وأنا الصمد، لم الذ، ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

(٤١) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، عذبوا وأودوا في الله.

نزلت في بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وعابس، وجبر، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم. وقال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحيشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين. ﴿لَنَنْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة.

وحشمه، ويقال: هذه لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيرهم مثل ما أصابهم. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، حين لم يعجل بالعقوبة.

﴿٤٢﴾ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قرأ حمزة والكلبائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت ١٩ و ٦٧، والآخرون بالياء خبراً عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل، ﴿يَنْفَعُونَ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتاء، والآخرون بالياء. ﴿ظِلِّلَّهُمْ﴾، أي: تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله، فميلانها ودورانها: سجودها لله عز وجل. ويقال للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء، أي: رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت. قوله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله.

وقال الكلبي: الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك، وكذلك إذا غابت، فإذا طلعت كان من قدامك، وإذا ارتفعت كان عن يمينك، ثم بعده كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك، فهذا

يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَالْيَسِّنَّتِ وَالزَّبُرُ﴾، واختلوا في الجالب للباء في قوله ﴿وَالْيَسِّنَّتِ﴾ قيل: هي راجعة إلى قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾، والا بمعنى غير مجازة: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى إليهم ولم نبعث ملائكة.

وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِشْرَافًا لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مبیناً للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾، عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره من الكفار، ﴿أَن يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ لِيَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾، بالعذاب ﴿فِي تَغْلِيهِمْ﴾، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بسابقين الله.

﴿٤٦﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾، والتخوف: التنقيص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئاً بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه: إذا نقصه وأخذ ماله

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَالْيَسِّنَّتِ وَالزَّبُرُ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِشْرَافًا لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ لِيَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَغْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ يَنْفَعُونَ ﴿٤٨﴾ ظِلِّلَهُمْ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْجَدُونَ ﴿٥٠﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرْبٍ وَهُمْ يُفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّمَا هُمْ إِتْمَاعُ لِلَّهِ وَيَعِدُ قَائِلٌ فَلَهُمْ ﴿٥٣﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ الْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا نَادَى اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى ﴿٥٤﴾ وَمَا يَكُ مِنْ يَسْمَعُونَ ﴿٥٥﴾ إِذَا نَادَى اللَّهُ تَعَالَى إِذَا مَرَّ عَلَيْكُمْ فَزَيِّنُوا لَهُمْ شَيْئًا ﴿٥٦﴾

روي أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية.

وقيل: معناه لنحسن إليهم في الدنيا. وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿وَلَا تُخْزِ الْأَخْرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

﴿٤٩﴾ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في الله على ما نابهم، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً، ﴿فَتَشْكُرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،

تفويؤه وتقلبه وهو سجوده. وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله.

وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإن قيل لم وحد اليمين وجمع الشمال؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَقَدْ سَمِعُوا﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ ولفظ «ما» واحد والشمال: جمع يرجع إلى المعنى. ﴿وَهُوَ دَٰخِرٌ﴾، صاغرون.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، إنما أخبر بما لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿مِنْ دَابَّهِ﴾، أراد من كل حيوان يدب.

ويقال: السجود: الطاعة، والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى: ﴿فَالنَّارُ أَشَدُّ حَرًّا مِنْ دَابَّهِ﴾ [فصلت: ١١]، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أرادت له وسخرت له. وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: ﴿سُبُّهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشريفاً ورفعاً لشأنهم.

وقيل: لخروجهم من الموصوفين

بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها. وقيل: أراد: والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿يَمَٰلُؤُونَ رُكُومًا مِّنْ ذُرِّيَّتِهِمُ الْمَسْكِينُ﴾، كقوله: ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ الْوَكَارُؤُفُ الْمُبَادِرُ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا محمد بن [محمد بن]

سمعان، ثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ثنا عبيد الله بن موسى العبسي، ثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء حق لها أن تسقط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك يُسجد الله، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولصدتم إلى الصعدات تجارون»، قال أبو ذر: «يا ليتني كنت شجرة تعضد». رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن أبي أحمد الزبيري، عن إسرائيل وقال: «إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا

سُورَةُ النِّحْلِ

يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَأْذِنُوا فَمَقَّمْنَا قُلُوبَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ؕ تَاللَّهِ لَأَسْتَفَنَّ عَنْكَ كَثْرَةُ قَتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلْنَاهُ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سِحْنَةً وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٦١﴾ يَتَوَزَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٢﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ وَلَوْ رَأَوْا أَنَّ اللَّهَ تَأْخُذُ بِهِمْ نَازِلًا عَلَيْنَا مِنْ دَابَّهِمْ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٤﴾ وَجَعَلْنَاهُ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفَ السُّيُفَةِ الْكَذِبِ أَنَّ لَهُمُ الْمُشْفَىٰ لِأَجْرِهِمْ أَنَّنَا لَمَّا تَأْرَأْتُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٥﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ قَبْلِكَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ اسْتَلْظَنُوا أَهْلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا نَذِيرًا لِّمَن لَّهُمُ الْآلِئِ أَخْلَفُوا فِيهِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾

٧٢

تَنذِرًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَرَبُّكَ فَاعْبُدْهُ

﴿٥٩﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا فِي الْبَيْنِ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾، دائماً ثابتاً، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل، فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَعْبُدُ﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُنْ مِنْ يَمِينٍ قَوْمٍ﴾﴾، أي: وما يكن بكم من نعمة فمن الله، ﴿ثُمَّ إِذَا مَنَّكُمْ الْأَمْرُ﴾، القحط والمرض، ﴿فَلْيَكُونُوا يَتَّبِعُونَ﴾، تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَفَّ الْأَمْرَ عَنْكُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْكُمْ يَرْجِعُ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَكْفُرُوا﴾، ليحجدوا، ﴿بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾، وهذه اللام تُسمى

لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿فَتَتَّقُوا﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم. ﴿وَيَجْعَلُونَ لَنَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، له حقا أي: الأصنام، ﴿تَمِيمًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، من الأموال، وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿ثَالِثًا لَّنَشْتَأَنَّ﴾، يوم القيامة، ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، في الدنيا.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى. ﴿سَبِّحْتَهُمْ وَلَكُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فتكون «ما» في محل نصب، ويجوز أن يكون على الابتداء فتكون «ما» في محل الرفع.

﴿وَإِذَا بُرِّرَ أَمْدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾، متغيراً من الغم والكراهية، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلىء حزناً وغيظاً، فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

﴿يَتَوَرَّى﴾، أي: يختفي، ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُرِّرَ بِهِ﴾، من الحزن والعار، ثم يتفكر ﴿أَيُّسِيكُمُ﴾، ذكر الكناية رداً على «ما» ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾، أي: هوان، ﴿أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾، أي: يخفيه منه فيثده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميم كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفاً من الفقر

عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها، تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئر في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: «انظري إلى هذه البئر» فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَيُّسِيكُمُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾ وكان صعصعة عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجهه إلى والد البنت إبلاً يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به:

وعمي الذي منع الوائدات
فأحيا الوئيد فلم تؤاد
﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بشس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ نَدَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ وَلَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿النجم: ٢١﴾، وقيل: بشس حكمهم وأد البنات.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون الله البنات ولأنفسهم البنين ﴿مَثَلُ الْكُفَرَاءِ﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الإناث وقتلهن خوف الفقر، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾، الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن

عباس: «مثل السوء» النار، و«المثل الأعلى» شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَلَوْ يَوَازِيذُ اللَّهِ النَّاسَ يَظْلِمُهُمْ﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿مِمَّا تَرَكُوا عَلَيْهَا﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك في زمن نوح، فأهلك من على الأرض، إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام. روي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بشس ما قلت: إن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم. وقال ابن مسعود: إن الجعل لتعذب في جحرها بذنب ابن آدم. وقيل: إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق في الأرض أحد. ﴿وَلَكِنْ يُوَخَّرُهُمُ اللَّهُ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿مُسْتَعًى﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿وَصِفَ﴾، أي: تقول، ﴿أَلَسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْقُسَىٰ﴾، يعني البنين محل «إن» نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسنى: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقاً بالوعد في البعث. ﴿لَا جَزَمَ﴾، حقا. قال ابن عباس: بلى، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾، في الآخرة، ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، قرأ نافع بكسر الراء أي:

مسرفون، وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: مبعدون وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلى النار. قال الفراء: مقدّمون إلى النار.

ومنه قوله ﷺ: «أنا قرطكم على الحوض» أي: متقدمكم.

﴿٦٦﴾ «ثُمَّ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا» كما أرسلنا إلى هذه الأمة، «فَرَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ»، الخبيثة، «فَهُوَ وَلِيُّهُمْ»، ناصرهم، «الْيَوْمَ»، وقرينهم، سماه ولياً لهم، لطاعتهم إياه، «وَلَمَّا عَذَابَ الْآلَمِ»، في الآخرة.

﴿٦٧﴾ «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ»، من الدين والأحكام، «وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله: «لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

﴿٦٨﴾ «وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»، يعني: المطر، «فَأَنبَاً بِهَ الْأَرْضَ»، بالنبات، «بَعْدَ مَوْتِهَا»، ببوستها، «وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ»، سمع القلوب لا سمع الأذان.

﴿٦٩﴾ «وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْفَةِ لَعِبَةً»، لعظة، «تُشِيرُكَ»، بفتح النون ههنا وفي المؤمنين [٢١]، قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان. «يَتَنَا فِي بَطُونِهِ»، قال الفراء: رد الكناية إلى

النعم، والنعم والأنعام واحد، ولفظ النعم مذكر، قال أبو عبيدة والأخفش: النعم يذكر ويؤنث، فمن أنث فلمعنى الجمع، ومن ذكر فلحكم اللفظ. قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج. الكناية مردودة إلى البعض والجزء، كأنه قال: نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس لكلها لبن، واللبن فيه مضمر، «وَبَيْنَ بَيْنِ قَرْنٍ»، وهو ما في الكرش من الثقل، فإذا خرج منه لا يسمى قرناً،

«وَدَرٍ لِّنَا خَالِصًا»، من الدم والفرت ليس عليه لون دم ولا رائحة فرت، «مَائًا لِلشَّارِبِينَ»، هنيئاً يجري على السهولة في الحلق. وقيل: إنه لم يغص أحد باللبن قط. قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحته كان أسلفه قرناً، وأوسطه اللبن، وأعلاه الدم، والكبد مسلطة عليها تقسمها، بتقدير الله تعالى، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع ويبقى الفرت كما هو.

﴿٧٠﴾ «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ»، يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، «تَنَجِدُونَهُ»، والكناية في «منه» عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، «سَكَّارًا وَرِزْقًا حَسَنًا»، قال قوم: «السكر» الخمر، والرزق «الحسن» الخل، والزبيب

سورة النحل

النحل

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَاً بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْفَةِ لَعِبَةً تُشِيرُكَ بِهَا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَرٍ لِّنَا خَالِصًا بَيْنَ الشَّارِبِينَ ﴿٦٩﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَجِدُونَهُ مِنْهُ سَكَّارًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى النَّخْلِ أَنْ أَنِجِي لِي مِنْ لِبَالِ يُونَا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَمِي مِنْ كُلِّ الثَّوَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُؤَفِّقُكُمْ وَيُعَذِّبُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ أَلْمَزُوا لِيَاسَةَ عُلُوِّ شَيْءٍ إِذَا اللَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الْآيَةُ فِيهِ إِلَّا أَنْ يُرِزِقَ فَهْوَ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهَؤُلَاءِ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْتِنَهُمُ اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ مِنَ الْفَسَادِ أَزْوَاجًا وَيَجْعَلُ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ وَرِزْقَكُمْ مِنْ أَلْيَسِ الْأَيْسَرِ لِلْغُلَّامِ يَوْمُونَ وَيَنْصِتُ اللَّهُ لَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٤﴾

٢٧٤

والتمر والرُّب، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود، وابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي، ومن يبيع شرب النبيذ ومن حرمه يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: «تَنَجِدُونَهُ مِنْهُ سَكَّارًا» منسوخ، وروي عن ابن عباس قال: السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل. وقال أبو عبيدة: السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي: طعم، «وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

﴿وَأَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْقَوْمِ﴾، أي: ألهمها وقذف في أنفسها، ففهمته، والنحل: زنابير العسل واحدها نحلة. ﴿لَنْ تَنَالِيَهُ مِنْ إِلْبَابٍ يُؤْتِيهِمْ الشَّجَرُ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، يبنون، وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تآوي إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

﴿فَمِنْ ثَمَرِهِ يَأْكُلُونَ﴾، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. ﴿عَسَلِكُمْ مِنْ لَدُنْكُمْ﴾، قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذلة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة متقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، يعني: العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنٌ﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: في العسل. وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن مثنى، أنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً»، فسقاه ثم جاء فقال: إني

سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: «اسقه عسلاً»، قال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً»، فسقاه فبرأ.

وقال عبد الله بن مسعود: العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور. وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيعتبرون.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾، صبياناً أو شباناً أو كهولاً، ﴿وَيَرْزُقُكُمْ مِنْ يَدِهِ﴾، أردته، قال مقاتل: يعني الهرم. وقال قتادة: أرذل العمر تسعون سنة. روي عن علي قال: أرذل العمر خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة. ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، بسط على واحد وضيق

على آخر وقفل وكثر. ﴿فَمَا آتَيْتُمْ فَضِلْوا يَرْزُقْهُمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من العبيد، ﴿فَهُمْ فِي سَوَاءٍ﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك، يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعبدون بالله خلقه وعبياده ﴿فَإِن يَعْمَلِ اللَّهُ يَحْسُدُونَ﴾، بالإشراك به، وقرأ أبو بكر بالبثاء لقوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، والآخرون بالباء لقوله: ﴿فَهُمْ فِي سَوَاءٍ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يعني: النساء، خلق من آدم زوجته حواء، وقيل: «من أنفسكم» أي: من جنسكم أزواجاً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتِينَ وَحَفَظَةً﴾، قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضاً أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات، تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة، والحسن، والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أمانك فقد حفظك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل، الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مَهْنَةٌ يمتنونهم ويخدمونكم من أولادكم. وقال الكلبي ومقاتل: «البنين»

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَقْرَبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِن رَّزْقَتِهِ مِثْرًا رَّزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَثْنَىٰ هَلْ يَسْتَوِي الْهَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَنُكْهُمَ لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ كُفِبَتْ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ الْمَرْسَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ وَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ
أَعْرَضَكُمْ مِّنْ بَطُونِ أَمْنِهِمْ لَكُمْ لَّا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
اللَّهُ يَرْزُقُ إِلَى الطَّيْرِ مَشْحَرَةً فِي حَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَتَّبِعُكُمْ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

المؤمن أعطاه الله مالا،
فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه
في رضاء الله سرًّا وجهرًا،
فأنابه الله عليه الجنة.

﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾، ولم
يقبل هل يستويان لمكان
«من» وهو اسم يصلح
للواحد والاثنتين والجمع،
وكذلك قوله: ﴿وَلَا
يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالجمع لأجل
«ما». معناه هل يستوي
هذا الفقير البخيل والغني
السخي كذلك لا يستوي
الكافر العاصي والمؤمن
المطيع. وروى ابن جريج
عن عطاء في قوله تعالى:

﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾، أي: أبو جهل بن
هشام.

﴿وَمِن رَّزْقَتِهِ مِثْرًا رَّزْقًا حَسَنًا﴾ أبو
بكر الصديق رضي الله عنه. ثم
قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾، يقول ليس الأمر كما
يقولون، ما للأوثان عندهم من يد
ولا معروف فتحمد عليه، إنما
الحمد الكامل لله عز وجل، لأنه
المنعم [المتفضل] والخالق والرازق،
(ولكن أكثر [الناس]): الكفار (لا
يعلمون) ثم ضرب [الله] مثلاً
للأصنام فقال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَنُكْهُمَ لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾، كل ثقل
ووبال ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ابن عمه وأهل
ولايته، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾، يرسله،
﴿لَّا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، لأنه لا يفهم ما
يقال له، ولا يفهم عنه، هذا مثل

الصغار و«الحفدة». كبار الأولاد
الذين يعينونه على عمله. وروى
مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن
عباس: أنهم ولد الولد. وروى
العوفي عنه: أنهم بنو امرأة الرجل
ليسوا منه ﴿وَرَزَقَهُمُ مِنَ الطَّيْرِ﴾،
من النعم والحلال، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾،
يعني الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَتَّبِعُ اللَّهُ
هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، يعني التوحيد
والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان،
أمرهم بتحريم البحيرة، والسائبة،
و«بنعمة الله» أي: بما أحل الله لهم
يكفرون يجحدون تحليله.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾، يعني
المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعني النبات،
﴿شَيْئًا﴾، قال الأخفش: هو بدل من
الرزق، معناه أنهم لا يملكون من
أمر الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً. وقال
الفراء نصب «شيئاً» بوقوع الرزق
عليه، أي لا يرزق شيئاً، ﴿وَلَا
يَسْتَطِيعُونَ﴾، ولا يقدرُونَ على شيء،
يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو
دفع ضرر.

﴿فَلَا تَقْرَبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ﴾،
يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه
وتجعلون له شركاء فإنه واحد لا مثل
له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،
خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم
ضرب [الله] مثلاً للمؤمن الكافر،
فقال جل ذكره.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا
لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، هذا مثل الكافر
رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيراً،
﴿وَمِن رَّزْقَتِهِ مِثْرًا رَّزْقًا حَسَنًا فَهُوَ
يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، هذا مثل

الأصنام، لا تسمع، ولا تنطق، ولا
تعقل، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾
عابده، يحتاج إلى أن يحمله ويضعه
ويخدمه، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ﴾، يعني: الله فإنه قادر،
متكلم، يأمر بالتوحيد، ﴿وَهُوَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال الكلبي: يعني
يدلكم على صراط مستقيم. وقيل:
هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو
على صراط مستقيم.

وقيل: كلا المثلين للمؤمن
والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس.
وقال عطاء: الأبيكم: أبي بن
خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة
وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل:
نزلت في هاشم بن عمرو بن
الحارث بن ربيعة القرشي، وكان
قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ.

وقيل: نزلت في عثمان بن عفان
ومولاه، كان عثمان ينفق عليه،

الإبل والغنم والعبيد والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، **«وَمَتَاعًا»**، بلاغاً ينتفعون بها، **«إِلَّا حِينَ»** يعني الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

﴿٧٧﴾ **«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا»** تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الأبنية والأشجار، **«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»**، يعني: الأسراب، والغيران، واحداً كنَّ **«وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَايِلَ»** قصصاً من الكتان والقز والقطن والصوف، **«تَقِيَكُمْ»**، تمنعكم، **«الْحَرَّ»**، قال أهل المعاني: أراد الحر والبرد واكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه.

«وَسَرَايِلَ تَقِيَكُمْ بِأَسْكُمُ»، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم، **«كَذَلِكَ يُبَيِّنُ مَنَافِعَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ»**، تخلصون له الطاعة، قال عطاء الخراساني: إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال: وجعل لكم من الجبال أكناناً وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال: **«وَمِنَ أَمْوَالِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا»** لأنهم كانوا أصحاب وبر وشعر، وكما قال: **«وَيَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرِّ»** [النور: ٤٣] وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج. وقال: **«تَقِيَكُمْ الْحَرَّ»** وما بقي من البرد أكثر، ولكنهم كانوا أصحاب حر.

﴿٧٨﴾ **«فَإِنْ تَوَلَّوْا»**، فإن أعرضوا

﴿٧٦﴾ **«أَلَمْ يَرَوْا»**، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب البتاء والباقون بالياء لقوله: **«وَيَعْبُدُونَ»** [النحل: ٧٣]. **«إِلَّا الظَّيْرَ مُسَخَّرَاتٍ»**، مذللات، **«فِي جَوِّ السَّمَاءِ»** وهو الهواء بين السماء والأرض، عن كعب الأحبار أن الطير ترتفع اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق هذا، وفوق الجو السكاك، وفوق السكاك السماء **«مَا يُسْكِنُ»** في الهواء **«إِلَّا اللَّهُ»** إن في ذلك لآياتٍ لقَوِّير يُؤْمِنُونَ.

﴿٧٩﴾ **«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ يُونُثِكُمْ»** التي هي من الحجر والمدر، **«سَكَا»** أي: مسكناً تسكنونه، **«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ جُلُودِ الْأَنْعَامِ يُرَتَّاءً»**، يعني الخيام، والقباب، والأخبية، والفساطيط من الأنطاع والادام، **«تَنْتَحِفُونَهَا»** أي: يخف عليكم حملها، **«يَوْمَ طَعَيْنَكُمْ»**، رحلتكم في سفركم، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين، والآخرين بفتحتها، وهو أجزل اللغتين، **«يَوْمَ إِقَاتِكُمْ»**، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، **«وَمِنَ أَمْوَالِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا»**، يعني أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، والكنيات راجعة إلى الأنعام، قال ابن عباس: مالا. قال مجاهد: متاعاً. قال القتيبي: الأثاث المال جميعه من

﴿٧٧﴾ **«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يُونُثِكُمْ سَكَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ يُرَتَّاءً تَنْتَحِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَاتِكُمْ وَمِنْ أَمْوَالِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَثَمَانًا وَنِصْفًا لِلْجِبِينِ»**
﴿٧٨﴾ **«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَايِلَ تَقِيَكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَايِلَ تَقِيَكُمْ بِالْأَسْكَمِ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ مَنَافِعَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ»** **﴿٧٩﴾** **«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَمَّا عَلَيْنَاكَ أَلْبَحُ الْمَوْتِ»** **﴿٨٠﴾** **«تَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ كُفِّرَتْهَا وَأَكْثَرُهَا لِكُفْرُوتِ»** **﴿٨١﴾** **«وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُذْنِبُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا لَهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»** **﴿٨٢﴾** **«وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ»** **﴿٨٣﴾** **«وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَ هُنَّ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ»** **﴿٨٤﴾** **«وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يُؤْمَدُ السَّلَامُ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ»** **﴿٨٥﴾**

وكان مولاه يكره الإسلام.

﴿٧٧﴾ **«وَاللَّهُ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَشْرُ السَّاعَةِ»**، في قرب كونها، **«إِلَّا كَلِمَتِ الْبَصَرِ»**، إذا قال له: «كن» فيكون، **«أَوْ هُوَ أَقْرَبُ»**، بل هو أقرب، **«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

﴿٧٨﴾ **«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»**، قرأ الكسائي (بطون أمهاتكم) بكسر الهمزة.

وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم، **«لَا تَقْلُوبُوا شَيْئًا»**، تم الكلام، ثم ابتدأ فقال جل وعلا، **«وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ»**، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، **«لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»**، نعمة الله.

فلا يلحق في ذلك عتب ولا سمة تقصير، **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْكَلْبِيُّ﴾**.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ قال السدي يعني: محمداً ﷺ، **﴿ثُمَّ يُكْفَرُونَ﴾**، يكذبون به. وقال قوم: هي الإسلام.

وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عذ لهم من النعم في هذه السورة، يقرن أنها من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدقوا وامتشلوا أمر الله فيها، ينكرونها فيقولون: ورثناها من آبائنا. وقال الكلبي: هو أنه لما ذكر لهم هذه النعم قالوا: نعم، هذه كلها من الله ولكنها بشفاعه ألهتنا. وقال عوف بن عبد الله: هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا، **﴿وَأَكْفَرُكُمْ الْكَافِرُونَ﴾**، الجاحدون.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولا **﴿ثُمَّ لَا يَذُوقُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي، في الاعتذار.

وقيل: في الكلام أصلاً، **﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾**، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة المعنى في الاستعتاب أنه التعرض لطلب الرضا، وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، **﴿الْعَذَابُ﴾**، يعني جهنم، **﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾**.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾،

يوم القيامة، **﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾**، أوثانهم، **﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾**، أرباباً ونعبدهم، **﴿قَالُوا﴾**، يعني الأوثان، **﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾**، أي: قالوا لهم، **﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**، في تسميتنا ألهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

﴿وَالْقَوْلُ﴾، يعني المشركين **﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الشَّارِعُ﴾**، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم ألهتهم

شيئاً، **﴿وَضَلَّ﴾**، وزال، **﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**، من أنها تشفع لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، منعوا الناس عن طريق الحق **﴿وَذَرَتْهُمْ عَذَابًا قَوِّفَ الْعَذَابُ﴾**، قال عبد الله: عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال. وقال سعيد بن جبیر: حیات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداها من اللسعة يجد صاحبها حرها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. وقيل: يضاعف لهم العذاب. **﴿يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾**، في الدنيا بالكفر وصد

سورة النحل

سورة النحل

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ذَرَتْهُمْ عَذَابًا قَوِّفَ الْعَذَابُ يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَرِجْسًا يَكُ شَهِيدًا عَلَيْ هَؤُلَاءِ وَرِجْسًا عَلَيْكَ الْكِتَابُ يُتْلَىٰ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ وَبَشَرٌ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ أَلَدَلٍ وَالْإِحْسَنَ وَإِنَّا بِذِي الشُّرُوفِ وَبَيْنَ عَنِ الْقَحْشَةِ وَالْمُسْكِرِ وَالْبَغْيِ يُعْطَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ كَالْتِي تَقْصُصْتَ غَزَايَا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ أَنْكَبَتَا نَسْخَرُونَ مِنْكُمْ وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَيْدًا إِنَّكُمْ بِبَيْنِكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلَوِّكُمُ اللَّهُ بِسُوءِ لَيْسَانِكُمْ لِكَرْهَمُ الْيَمِينِ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُبَيِّنُ مِنْ بَيْنِ شَاءِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُتَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾

١٧٧

الناس عن الإيمان.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني نبيا من أنفسهم، لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها. **﴿وَرِجْسًا يَكُ شَهِيدًا عَلَيْ﴾**، يا محمد، **﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾**، الذين بعثت إليهم **﴿وَرِجْسًا عَلَيْكَ الْكِتَابُ يُتْلَىٰ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**، يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، **﴿وَهَذِي﴾**، من الضلالة، **﴿وَرَحْمَةٌ وَبَشَرٌ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾**.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ أَلَدَلٍ﴾﴾، بالإنصاف، **﴿وَالْإِحْسَنَ﴾**، إلى الناس وعن ابن عباس: «العدل»: التوحيد «والإحسان»: أداء الفرائض. وعنه أيضا: «الإحسان»: الإخلاص في التوحيد.

وذلك معنى قول النبي ﷺ:

ابن أخي أعد فأعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾، والعهد ههنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة اليمين، ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، تشديدها فتحشوا فيها، ﴿وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾،

شهاداً بالوفاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ تَعْلَمُونَ﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاماً، قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد.

فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالْفِي تَقَعَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُرُوءِهَا﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه. قال الكلبي ومقاتل: هي امرأة خرقاء حقاء من قريش يقال لها: «ربيعة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم»، وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة، وكانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتامر جواربها بذلك، فكن

وَلَا تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلَتِمْكُمْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ يَمِينِكُمْ وَيَذَرُوا أَشْيَاءَ بِمَا صَدَّقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا تَشْفَعُوا لِمَنْ عَاهَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فَمَا يَعْتَدِلُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ فَتَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾ مَا عِدْتُمْ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَلَنْ جَزَيْتَ الَّذِينَ صَدَّقُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا دُكِرَ الْأَنْبِيَاءُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلْيُجَنِّبْهُ حِوَةَ الْمَيْمَنَةِ وَلْيُجَنِّبْهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٥﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٩٧﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا بِآيَةٍ مَكَاةً أَوْ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا نُرِيدُ قَالَوْا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٩﴾

يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقص جميع ما غزلن فهذا كان دأبها، ومعناه أنها لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذاك أنتم إذا نقضتم العهد لا كففتن عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتن به، ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ﴾، يعني أنقضاً واحداً نكث وهو ما نقض بعد القتل غزلاً كان أو حبلاً. ﴿تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ﴾، أي: دخلاً وخيانة وخديعة، و«الدخل» ما يدخل في الشيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقص. ﴿أَنْ تَكُونُوا﴾، أي: لأن تكون، ﴿أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه طلبتم العز بنقض العهد، بأن كانت أمة أكثر من أمة، فنهاهم الله عن ذلك. ﴿إِنَّمَا يَبْذُلُهُ اللَّهُ بِيَمِينِهِ﴾، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وَلَيَبْذِلَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، في الدنيا.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَلَأَكُمْ مِنْهُ بَرَكَةً﴾، على ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُبْذِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾، بخذلانه إياهم عدلاً منه، ﴿وَيَبْذِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾، بتوفيقه إياهم فضلاً منه، ﴿وَلَتَشْلَنَّ عَنْكُمْ كَثْرَةُ مَعْلُومَاتٍ﴾، يوم القيامة.

﴿وَلَا تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾، خديعة وفساداً، ﴿بَيْنَكُمْ﴾، فتفرون بها الناس، فيسكنون إلى أيمانكم،

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. وقال مقاتل: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: العفو عن الناس، و«إِيْتَانِي ذِي الشَّرَفِ»، صلة الرحم، ﴿وَيَتَّبِعْ عَنِ الْقَسَمَاتِ﴾، ما قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، ﴿وَالْبَغْيِ﴾، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة: «العدل» استواء السريرة والعلانية، و«الإحسان» أن تكون سريرته أحسن من علانيته، و«الفحشاء» و«المنكر» أن تكون علانيته أحسن من سريرته، ﴿يُعْطِيكُمْ لِمَلَأَكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾، لعلكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية.

وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ إلى آخر الآية فقال له: يا

ويأمنون، ثم تنقضونها، ﴿فَزِيلَ قَدَمٍ
بَعْدَ يَتْرُوبٍ﴾، فتهلكوا بعدما كنتم
آمنين، والعرب تقول لكل مبتلى بعد
عافية، أو ساقط في ورطة بعد
سلامة: زلت قدمه، ﴿وَيَذُوقُوا أَشْوَةً
بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل:
معناه سهلتم طريق نقض العهد على
الناس بنقضكم العهد، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَتَذَكَّرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فَنُنَا
قَلِيلًا﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم،
تطلبون بنقضها عَرَضًا قليلًا من
الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿إِنَّمَا عِنْدَ
اللَّهِ هُوَ﴾، من الشواب لكم على
الوفاء بالعهد، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾، فضل ما بين العوضين،
ثم بين ذلك.

﴿فَقَالَ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾، أي
الدنيا وما فيها يفنى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
بَاقٍ وَلَنْ يُزَيَّفَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن
كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء،
﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الوفاء في
السراء والضراء، ﴿أَجْرُهُمْ يَتَخَنَّصُ مَا
كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن
الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن
الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر
الجوهري، ثنا أحمد بن علي
الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا
إسماعيل بن جعفر، ثنا عمرو بن
أبي عمرو مولى المطلب، عن أبي
موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ
قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته،
ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا
ما يبقى على ما يفنى».

﴿قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَسَنًا طَيِّبَةً﴾، قال
سعيد بن جبير وعطاء: هي الرزق
الحلال. وقال الحسن: هي القناعة.
وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش
في الطاعة. قال أبو بكر الوراق: هي
حلاوة الطاعة. وقال مجاهد وقتادة:
هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن.
وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في
الجنة. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا
قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، أي: إذا أردت قراءة
الفرآن ﴿فَأَسْتَمِعْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَتْ
إِلَى الصَّلَاةِ فَاقْضُوا﴾ [المائدة: ٦]،
والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن،
وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل
القراءة. وقال أبو هريرة: بعدها،
ولفظه أن يقول: «أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أبو محمد
عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو
القاسم البغوي، ثنا علي بن
الجعدي، أنا شعبة عن عمرو بن
مرة، سمعت عاصمًا عن ابن
جبير بن مطعم، عن أبيه أنه رأى
النبي ﷺ يصلي، قال: فكبر،
فقال: «الله أكبر كبيراً، ثلاث
مرات، والحمد لله كثيراً، ثلاث
مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلًا،
ثلاث مرات، اللهم إني أعوذ بك
من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه

ونفخه ونفثه». قال عمرو: ونفخه:
الكبر، ونفثه: الشعر، وهمزه:
الموتة، والموتة الجنون،
والاستعاذة بالله هي الاعتصام به.

﴿﴿إِنَّمَا لَيْسَ لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾، حجة
وولاية، ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، قال سفيان: ليس
له سلطان على أن يحملهم على ذنب
لا يغفر.

﴿﴿إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ
يَتَوَكَّلُونَ﴾، يطيعونه ويدخلون في
ولايته، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾،
أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية
راجعة إلى الشيطان، ومجازه الذين
هم من أجله مشركون بالله.

﴿﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً فَكَانَ
مُؤَيَّدًا﴾، يعني وإذا نسخنا حكم آية
فأبدلنا مكانه حكماً آخر، ﴿وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يَتَرَفَّدُ﴾، أعلم بما هو
أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من
أحكامه، ﴿فَالْوَلَا إِنَّمَا أَنْتَ﴾، يا
محمد، ﴿مُفْتَرٍ﴾، مختلق، وذلك
أن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر
بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم
عنه غداً، ما هو إلا مفتر يتقوله من
تلقاه نفسه، قال الله: ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ﴾، حقيقة القرآن، وبيان
الناسخ من المنسوخ.

﴿﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، يعني القرآن،
﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾، جبريل عليه
السلام، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾،
بالصدق، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
آمَنُوا﴾، أي: يثبت قلوب المؤمنين
ليزدادوا إيماناً و يقيناً، ﴿وَهُدًى
وَيُشْرِكَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ فقال: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، لا محمد ﷺ، فإن قيل: قد قال: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فما معنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، قيل: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ﴾ إخبار عن فعلهم، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهري أنا جدي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص، ثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، [ثنا أبو زياد يزيد بن عبد الملك] ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت: يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك، قال قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قلت: المؤمن يكذب؟ قال: لا، قال الله ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية، وصهيياً، وبلالاً، وخباباً، وسالمأ، فعذبوهم، فاما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتل في

يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني، عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب.

وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار، ويكنى «أبا فكيهة»، ويقال للآخر «جبر»، وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، فربما مر بهما النبي ﷺ، وهما يقرآن التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك:

وكان النبي ﷺ إذا أذاه الكفار يقعد إليهما ويستروح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية، قال الله تعالى تكذيباً لهم. ﴿لَسَاثُ أَلْوِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أَعْجَمِي﴾، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً، ﴿وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ ثَبِيثٍ﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه.

﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون.

سورة النحل
وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَاتُ أَلْوِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِينَ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ ثَبِيثٍ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ لَبَنَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَاحِرَةً أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُضِيَ الْأَمْرُ جَنَّتْهُمْ دُونَهُمْ وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٦﴾ ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، آدمي وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه «بلعام» وكان نصرانياً أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه «بلعام».

وقال عكرمة: كان النبي ﷺ يُقرى غلاماً لبنياً المغيرة يقال له «يعيش» وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه يسار، ويعيش.

وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمي اللسان.

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما

بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل. واختلف أهل العلم في طلاق المكره، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع.

﴿١٠٧﴾ **وَأَنَّهُمْ** **أَسْتَحَبُّوا** **أَتَرُوا**، **الْحَيَوَةَ** **الْأُخْرَىٰ عَلَىٰ الْآخِرَةِ** **وَأَنَّ** **اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**، لا يرشدهم.

﴿١٠٨﴾ **أَوَلَيْكَ** **الَّذِينَ** **طَمَعَ** **اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** **وَسَمِعِهِمْ** **وَأَبْصَرَهُمْ** **وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**، عما يراد بهم.

﴿١٠٩﴾ **لَا جَرَمَ**، [أي حقاً] **أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ**، أي المغبونون.

﴿١١٠﴾ **ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا** **لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا**، عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنتهم المشركون، **ثُمَّ جَعَلْنَا وَمَكْرَئَهُمُ** **عَلَىٰ الْإِيمَانِ** **وَالْهَجْرَةِ** **وَالْجِهَادِ**، **إِنَّكَ رَبَّنَا** **مِن بَعْدِهَا**، من بعد تلك الفتنة والغفلة **لَنُفَوِّرَ رَجِيئَهُمْ**، نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبدالله بن أبي أسيد الثقفي، فتنتهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا.

الإسلام [رضي الله عنهما]، وأما عمار: فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً.

قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك، وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال: «كلا، إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلف الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: «شرب يا رسول الله، [أي] نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف وجدت قلبك؟ قال: «مطمئناً بالإيمان»، فجعل النبي ﷺ، يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعذ لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستتره الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله، فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه من الرضاة، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه فانزل الله هذه الآية.

وقال ابن عامر «فتنوا» بفتح الفاء والتاء، ورده إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين.

﴿١١١﴾ **يَوْمَ تَأْتِي نَفْسٌ** **تَحْدِثُ** **عَنْ نَّفْسِهَا** **وَنُفُوءٌ** **كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** **وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ**، **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَانَتْ** **أَمِينَةً** **مُّطْمَئِنَّةً** **يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا** **مِّن كُلِّ مَكَانٍ** **فَكَفَرَتْ** **يَأْتُمِرُ** **اللَّهُ** **فَإِذَا قَالُوا** **لِللَّهِ لِيَأْسَ** **الْجُوعِ** **وَالْخَوْفِ** **بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**، **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ** **رَسُولٌ** **مِّنْهُمْ** **فَكَذَّبُوهُ** **فَأَخَذَهُمُ** **الْعَذَابُ** **وَهُمْ ظَالِمُونَ**، **فَكَلُوا** **مِمَّا رَزَقَكُمُ** **اللَّهُ** **مُحَلَّلَاتٍ** **لَّيْسَ** **بِإِسْمِكُمْ** **وَأَنفَكُوا** **وَأَنفَكَ** **اللَّهُ** **لَهُنَّ كَثِيرٌ** **مِّنْهُنَّ** **نَعِيمُونَ**، **إِنَّمَا حَرَّمَ** **عَلَيْكُمْ** **الْمَيْسَةَ** **وَالدَّمَ** **وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ** **وَمَا** **أَهْلَ لَعْنَةِ اللَّهِ فِيهِ** **فَمَن** **أَضْطَرَّ** **عَرَبِيًّا** **وَلَا عَرَبِيًّا** **وَلَا** **أَهْلَ عَقْدٍ** **رَّجِمَهُ**، **وَلَا تَقُولُوا** **لِلْمُؤْمِنِينَ** **الْيَهُودُ** **أَكْذَرُ** **هَذَا** **حَلَالٌ** **وَهَذَا** **حَرَامٌ** **لَّنَعْنَا** **عَلَى** **اللَّهِ** **الْكُذِبَ** **إِنَّ** **الَّذِينَ** **يَقْعُرُونَ** **عَلَى** **اللَّهِ** **الْكُذِبَ** **لَا يَفْلِحُونَ**، **مَنْعَ قَلِيلٍ** **وَهُمْ** **عَذَابُ** **الْأَلِيمِ**، **وَعَلَى** **الَّذِينَ** **هَادُوا** **أَحْرَمْنَا** **مَا قَصَصْنَا** **عَلَيْكَ** **مِن قَبْلُ** **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا** **أَنفُسَهُمْ** **يَظْلِمُونَ**، ﴿٢٨٠﴾

وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستتره الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله، فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه من الرضاة، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه فانزل الله هذه الآية.

وقرأ ابن عامر «فتنوا» بفتح الفاء والتاء، ورده إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين.

﴿١١١﴾ **يَوْمَ تَأْتِي نَفْسٌ** **تَحْدِثُ** **عَنْ نَّفْسِهَا** **وَنُفُوءٌ** **كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** **وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ**، بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا تنفرغ إلى غيرها، **وَنُفُوءٌ** **كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** **وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ**، روي أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: خوفنا، قال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل

قال مجاهد: نزلت في ناس من أهل مكة، آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أن هاجروا، فلما لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين.

وقال مقاتل: نزلت في جبر، مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرهاً، **وَلَكَلِمَةٍ** **مُّطْمَئِنَّةٍ** **يَأْتِيهَا** **رِزْقُهَا** **رَغَدًا** **وَمَا** **أَهْلَ لَعْنَةِ اللَّهِ فِيهِ** **فَمَن** **أَضْطَرَّ** **عَرَبِيًّا** **وَلَا** **أَهْلَ عَقْدٍ** **رَّجِمَهُ**، ثم أسلم مولى جبر وحسن إسلامه، وهاجر جبر مع سيده، **وَلَكِن مِّن شَرِّ مَا كَفَرُوا** **سَدْرًا**، أي: فتح صدره للكفر بالقبول واختاره، **فَعَلَيْهِمْ** **عُذْبٌ** **مِّنَ** **اللَّهِ** **وَلَهُمْ** **عَذَابٌ** **عَظِيمٌ**، وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول

أصابعهم من الهزال والشحوب وتغير
ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل
كاللباس لهم، ﴿وَالْخَوْفُ﴾، يعني:
بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت
تطيف بهم. ﴿وَمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾،
محمد ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ
وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ إِذَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
حُلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَكْفُرُوا بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
إِنْ كُنْتُمْ إِتَائِهِ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالْدَّمَ وَكَلَّمَ الْخَنَازِيرَ وَمَا أَوَّلَ لَيْفٍ إِلَّا
بِئْسَ مَا تَصْطَرِّفُونَ﴾، ﴿وَلَا عَاوِ
لَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا
يَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبُ﴾، أي: لا
تقولوا لوصف السترهم أو لأجل
وصفهم الكذب أنكم تَحْلُونَ
وتَحْرَمُونَ لأجل الكذب لا لغيره،
﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، يعني
البحيرة والسائبة، ﴿لَقَدْ تَرَأَوْا عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبُ﴾، فتقولون إن الله أمرنا
بهذا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبُ لَا يَفْلَحُونَ﴾، لا ينجون من
عذاب الله.

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾، يعني: الذي
هم فيه متاع قليل، أو لهم متاع قليل
في الدنيا. ﴿وَلَقَدْ عَذَّبْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
فِي الْآخِرَةِ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا
فَصَحَّحْنَا لَكَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني في سورة
الأنعام. وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
ظُلْفٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿وَمَا

لهما مثلاً [فقال وإنما
مثلكما مثل] أعمى ومقعد
دخل حائطاً فيه ثمار
فالأعمى لا يبصر الثمر،
والمقعد يرى ولا يناله،
فحمل الأعمى المقعد
فأصابا من الثمر فعليهما
العذاب.

﴿قوله تعالى:
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ آمِنَةً﴾، يعني:
مكة كانت آمنة لا يهاج
أهلها ولا يغار عليها،
﴿مُطْمَئِنَّةٌ﴾، قازة بأهلها،
لا يحتاجون إلى الانتقال

للاحتجاج كما يحتاج إليه
سائر العرب، ﴿بِأَيِّهَا يَرْزُقُهَا رِزْقًا مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ﴾، يُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ نظيره: ﴿يَبْجِجُ إِلَيْهِ نَمْرُتٌ كُلُّ
شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧]. ﴿فَكَفَّرَتْ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾، جمع النعمة، وقيل:
جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس،
﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ﴾،
ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين،
وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر
رسول الله ﷺ حتى جهدوا فأكلوا
العظام المحرقة، والجيف والكلاب
الميتة، والعهن وهو الوبر يعالج
بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى
السما ف يرى شبه الدخان من الجوع،
ثم إن رؤساء مكة كلّموا
رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هَبَكَ
عَادِيَتِ الرِّجَالِ فَمَا بِالِالنِّسَاءِ
وَالصَّبِيَّانِ؟ فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِلنَّاسِ بِحَمْلِ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بَعْدَ
مَشْرُكُونَ، وذكر اللباس لأن ما

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
﴿إِنْ إِنْزِيلَهُ كَانَتْ أَتَمَّةً فَأَنزَلَهُ خِيفًا وَلَوْ لَزِمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
وَمَا أَنزَلْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا تَعْلَمُ فِي الْآخِرَةِ لَوَيْنَ الْقَائِلِينَ
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْزِلْهُ مِلَّةَ إِنْزِيلِهِ خِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّنِيتَ عَلَى الَّذِينَ
اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَرَدِّ لِهَمِّ النَّاسِ مِنْ أَحْسَنِ دِينٍ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُمْ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ وَرِئَاسَةٌ لِمَنْ أَتَى اللَّهُ بِهِ الْإِلَافَةَ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

[١١٨]

سبعين نبياً لأنت عليك ساعات وأنت
لا تهملك إلا نفسك، وإن لجهم زفرة
لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل
منتخب إلا وقع جاثياً على ركبته،
حتى إبراهيم خليل الرحمن، يقول:
يا رب لا أسألك إلا نفسي، وإن
تصديق ذلك الذي أنزله الله عليكم
﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ
نَفْسِهَا﴾، وروى عكرمة عن ابن عباس
في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة
بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم
الروح الجسد فتقول الروح: يا رب
لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل
أمشي بها ولا أعين أبصر بها، فنجني
وعذبه، ويقول الجسد يا رب [حيث
كنت معدوم الروح] لم تبطش يدي
ولم تمش رجلي ولم تبصر عيني،
فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق
لساني وأبصرت عيني وبطشت يدي
ومشت رجلي، قال: فيضرب الله

طَلَّعْتَهُمْ» بتحريم ذلك عليهم،
﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
فحرمنا عليهم ببيغهم.

﴿ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا
الشَّوْءَ يَهْدِلُهُمْ كَمَا يُبَايِعُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا﴾ يعني بالإصلاح:
الاستقامة على التوبة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: من بعد الجهالة،
﴿لَتَفْقَرَنَّ رَجِيْعٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّيَ
كَانَ أَهْلًا﴾ قال ابن مسعود، الأمة
معلم الخير، أي: كان معلماً للخير
يأتهم به أهل [الخير في] الدنيا، وقد
اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما
يجتمع في أمة، قال مجاهد: كان
مؤمناً وحده والناس كلهم كفار.
وقال قتادة: ليس من أهل دين إلا
يتولونه ويرضونه. ﴿قَاتِلُوا لِلَّهِ﴾،
مطيعاً لله. وقيل: قائماً بأوامر الله
تعالى، ﴿حَيِّفًا﴾ مسلماً مستقيماً على
دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿وَلَوْ
يَكُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ إِذَا كُنَّا لِلْآخِرَةِ حَنَدًا﴾،
اختاره، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،
أي: إلى دين الحق.

﴿وَدَانِيَتْهُ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾،
يعني الرسالة والخلة. وقيل: لسان
الصدق والثناء الحسن وقال
مقاتل بن حيان: يعني الصلاة عليه
في قول هذه الأمة اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل:
أولاداً أبراراً على الكبر. وقيل:
القبول العام في جميع الأمم. ﴿وَلَوْ
فِي الْآخِرَةِ لَئِنْ فَطَّرْتُمُوهُمْ﴾، مع آبائه
الصالحين في الجنة. وفي الآية

تقديم وتأخير مجازة: وآتيناه في
الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن
الصالحين.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَاكُمُ آلَكَ﴾، يا
محمد، ﴿أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَقِيقًا﴾،
حاجاً مسلماً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ
الشَّاكِرِينَ﴾، وقال أهل الأصول كان
النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما
نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار
شريعاً [له].

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ
السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾
أي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما
جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا
فيه. وقيل: معناه ما فرض الله
تعظيم السبت وتحريمه إلا على
الذين اختلفوا فيه، يعني: اليهود،
فقال قوم: هو أعظم الأيام لأن الله
تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم
الجمعة، ثم سبت يوم السبت. وقال
قوم: بل أعظم الأيام يوم الأحد،
لأن الله تعالى ابتداء فيه خلق الأشياء
فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله
عليهم، وقد فرض الله عليهم تعظيم
يوم الجمعة.

قال الكلبي: أمرهم موسى عليه
السلام بالجمعة، فقال: تفرغوا لله
في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه يوم
الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم،
وستة أيام لصناعتكم، فأبوا وقالوا:
لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه،
من الخلق يوم السبت، فجعل ذلك
اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم
جاءهم عيسى عليه السلام بيوم
الجمعة، فقالوا: لا نريد أن يكون
عيدهم بعد عيدنا - يعنون اليهود -،

فاتخذوا الأحد، فأعطى الله الجمعة
لهذه الأمة لقبولها وبورك لهم فيه.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد
المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن
محمد بن محمض الزيادي، ثنا أبو
بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا
أحمد بن يوسف السلمي، أنبأنا
عبد الرزاق، أنا معمر عن همام بن
منبه قال: ثنا أبو هريرة عن محمد
رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا
الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم،
فهذا يومهم الذي فرض عليهم
فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا
فيه تبع، فاليهود غداً والنصارى بعد
غداً».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ
السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.
[قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم
اليهود استحل به بعضهم وحرمه
بعضهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْأَوَّلَةِ﴾ كما كانوا فيه يخالفون».

﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا سَبِيلَ رَبِّكَ﴾
بالحكمة، بالقرآن، ﴿وَالْمُرُوءَةَ﴾
للمسئدة، يعني مواعظ القرآن.

وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء
إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل:
هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا
تعنيف، ﴿وَعَدْلُهُمْ يَأْتِي مِنْ أَحْسَنٍ﴾،
وخاصهم وناظرهم بالخصومة التي
هي أحسن، أي: أعرض عن أذاهم،
ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى
الحق، نسختها آية القتال. ﴿إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَهْلُهُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُنْتَهِينَ﴾.



﴿وَأَن عَاقِبَتُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد، وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقيير البطون، والمثلة السيئة، حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مُثل به غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم، ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبدالمطلب، وقد جدعوا أنفه وأذنيه، وقطعوا مذاكيره، وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى

رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً، إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده النار»، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال النبي ﷺ: «رحمة الله عليك، فإنك ما علمتك إلا فعلاً للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من

أفواج شتى، أما والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَن عَاقِبَتُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الآية.

﴿وَلَكِن صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: «بل نصبر» وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه.

قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتدء بالقتال، فلما أعز [الله] الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية، وقال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية محكمة نزلت في من ظلم بظلامه، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبيه ﷺ:

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا

بِاللَّهِ﴾، أي: بمعونة الله وتوقيفه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، أي: فيما فعلوا من الأفاعيل، قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل [٧٠] «ضيق» بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة: هما لغتان مثل رطل ورطل، وقال أبو عمرو: الضيق بالفتح الغم، وبالكسر الشدة.

وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح. وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة كأنه قال:

ولا تك في أمر ضيق من مكرمهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، المناهي، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ بالعون والنصرة [والله تعالى أعلم].

سورة الإسراء

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، سبحان الله تنزيهه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، وتكون سبحان بمعنى التعجب «أسرى بعبد»، أي: سيّره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد ﷺ، ﴿وَبَرَكْتَ أَلَسْجِدِ الْكَافِرِ﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة.

روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»، فذكر حديث المعراج.

وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب، ومعنى قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: من الحرم.

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في شهر رمضان. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني: بيت المقدس، وسُمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿إِنَّمَا هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ذكر «السميع» لينبه على أنه [هو] المجيب لدعائه، وذكر «البصير» لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه. والأكثرون على أنه أسرى بجسده [وروحه] في اليقظة، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد بن المليحي، أنا أبو حامد

أحمد بن عبدالله النعمي، أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريزي، ثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا هدية بن خالد، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة (ح) قال البخاري: وقال لي خليفة العصفري: ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد وهشام. قال: ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن نبي الله ﷺ، حدثهم عن ليلة أسري به، (ح) قال البخاري: ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: وكان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (ح)، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا أبو الحسن عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: - دخل حديث بعضهم في بعض -.

قال أبو ذر: إن رسول الله ﷺ قال: «فُرج عني سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه».

وقال مالك بن صعصعة: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان»، وذكر بين رجلين «فأتيت بطست من

ذهب مملوء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مرق البطن، واستخرج قلبي فغسل ثم ملئ، وقيل حشي، ثم أعيد».

وقال سعيد وهشام: «ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيماناً وحكمة، ثم أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، [يقع] حافره عند منتهى طرفه، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فتنعم المجيء جاء، ففتح له الباب، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال لي: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح».

وفي حديث أبي ذر: «علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، إذا نظر قيل يمينه ضحك، وإذا نظر قيل شماله بكى، فقال مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله تسمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله

أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن قبل شماله بكى، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت إذا بيحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت فردا عليّ السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت، فإذا يوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فردّ علي، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا بإدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟

قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، [ففتح] فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح له، فلما خلصت فإذا بموسى، قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فلما جاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال:

نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فردّ السلام ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

وقال ثابت عن أنس: «فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت

المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدة المنتهى فإذا نبقتها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان القيلة، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات. وأوحى إلي ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال الله تعالى: يا محمد إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لديّ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فقلت:

سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرْتُ لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، قال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة».

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ: «أتني بالبراق ليلة أسري به ملجماً مسرجاً، فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقاً».

وقال ابن بريدة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه فخرق بها الحجر وشدَّ بها البراق».

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمود، أنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيتُ موسى، قال: فنتعت، فإذا هو رجل - حسبته قال مضطرب -، رَجُلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنتعت النبي ﷺ فقال:

«ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس، يعني: الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بنائين: أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة وأصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك».

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلَكَآ أَلَىٰ أَرْثِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ﴾، قال: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَكُونَةُ فِي الْقَرْيَةِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم.

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالعزیز بن عبدالله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبدالله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم.

فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء

تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده.

وساق حديث المعراج بقصته. فقال: فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، قال: هذا النيل والفرات، [يطردان] عنصرهما واحد، ثم مضى به إلى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك. وساق الحديث، وقال: «ثم عُرج بي إلى السماء السابعة».

وقال: قال موسى: ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة، وقال: فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس.

فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه، فأمتك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، وكل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: «يا رب إن أمتي ضعفاء

أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبداً لهم فخفف عنهم»، فقال الجبار [جل جلاله]: يا محمد، قال: لييك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فقال موسى: ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً.

فقال رسول الله ﷺ: «قد والله استحيت من ربي مما اختلفت إليه»، قال: فاهبط بسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام. وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي، عن ابن وهب، عن سليمان بن بلال.

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل، ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا، وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبدالله، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشر سنة قبل الهجرة بسنة، وفيه أيضاً: أن الجبار دنا فتدلى. وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام.

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عز وجل قبل الوحي، بدليل آخر الحديث، قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، ثم عرج به في القنطرة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً

لرؤياه من قبل، كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧].

وروي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذي طوى قال: «يا جبريل إن قومي لا يصدقوني»، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق.

قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ: «لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبي»، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزناً فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل استفدت من شيء؟ قال: «نعم إنني أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قال: «ثم أصبحت بين ظهرائنا»، قال: «نعم»، فلم ير أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدث قومك بما حدثتني به؟ قال: «نعم»، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، قال: فانقضت إليه المجالس فجأؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك بما حدثتني، قال: «نعم إنه أسري بي الليلة»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم»، قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقوه،

وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوقد قال ذلك؟ قال: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدق أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنني لأصدق به ما هو أبعد من ذلك، أصدق به خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق، قال: وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: «نعم»، قال: «فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت»، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد، وأنا أنظر إليه»، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهي أعم إلينا، فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: «نعم مررت على عير بني فلان، وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قرح من ماء فغطشت فأخذته فشرته ثم وضعته كما كان فأسألوهم هل وجدوا الماء في القرح حين رجعوا إليه»، قالوا: هذه آية، قال: «ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى، فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان، فانكسرت يده، فسألوهما عن ذلك»، فقالوا: وهذه آية، قالوا: فأخبرنا عن غيرنا نحن متى تجيء؟ قال: «مررت بها بالنعيم»، قالوا: فما عدتها وأحمالها

وهيتها ومن فيها، فقال: «نعم هيتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورك عليه غاراتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس»، قالوا: وهذه آية، ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون: والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كُدَيْ، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورك فيها فلان وفلان كما قال لهم، فلم يؤمنوا، ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفات: ١٥].

أنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا حُجْر بن المثنى أنبأنا عبدالعزيز - وهو ابن أبي سلمة - عن عبدالله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيته في الحجر، وقرش تسألني عن مسرائي، فسألته عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، قال: فكربت كرياً ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيته في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود

الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فجاءت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأنى بالسلام.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾﴾، بأن لا، ﴿تَتَذَكَّرُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾، رباً وكفياً قرأ أبو عمرو «لا يتخذوا» بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالياء، يعني قلنا لهم لا تتخذوا.

﴿ذَرِيَّةَ مَنْ كَمَلْنَا﴾، قال مجاهد: هذا نداء يعني يا ذرية من حملنا، ﴿مَعَ نُوحٍ﴾، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا شَكُورًا﴾، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شرباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسمي عبداً شكوراً، أي: كثير الشكر.

قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْنَا بَيْتَ إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ الآيات.

روى سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربي بن خراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر، وكان الله ملكه سبعمائة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصروها وفتحها، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها وأولاد الأنبياء، وسلب حلّي بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف

عجلة من حلّي»، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال: «أجل بناء سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهباً، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين، يأتونه بهذه الأشياء في طرفه عين، فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمناً، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار «كورش» لبني إسرائيل وأخذ حلّي بيت المقدس حتى رده إليه، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكاً يقال له «أنطيانوس» فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي، فعادوا، فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له «فاقس بن أستيانيوس»، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلّي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ: هذا من صفة حلّي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، هو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين».

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم

محسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام، أن ملكاً منهم كان يدعى صُدَيْقَة وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدده ويرشده [وكان] لا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها، فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أصفيا، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام، فقال: أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً طويلاً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعيا معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل، معه ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض وفي ساقه قرحة، فجاء النبي شعيا وقال له: يا ملك بني إسرائيل إن «سنجاريب» ملك بابل قد نزل بك، هو وجنوده بستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده، فقال: لم يأتيني وحي، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي أن اتك ملك بني إسرائيل فمره أن يوحي وصيته ويستخلف - على ملكه من يشاء من أهل بيته، فأتى شعيا ملك بني

إسرائيل «صُدَيْقَة» فقال له: إن ربك قد أوحى إليّ أن أمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت، فلما قال [ذلك] شعيا لصُدَيْقَة أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص:

«اللهم ربّ الأرباب، وإله الآلهة، يا قدوس المتقدس، يا رحمن، يا رحيم، يا رؤوف، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملتي وفعلتي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني، سرّي وعلانيتي لك وأنت الرحمن».

فاستجاب له وكان عبداً صالحاً فأوحى الله تعالى إلى شعيا أن تخبر صُدَيْقَة أن ربه قد استجاب له ورحمه، وآخر له أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنجاريب، فاتاه شعيا فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن، وخزّ ساجداً لله، وقال: «يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي»، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صُدَيْقَة فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله في قرحته

فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل وشفي، وقال الملك لشعيا: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا. قال الله لشعيا قل له: إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصيحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر، فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة، يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفك عدوك، فأخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنجاريب في القتلى فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خزّ ساجداً لله من حين طلعت الشمس إلى [وقت] العصر، ثم قال: يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنجاريب له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ولم يلقيني في الشقوة إلا ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال صُدَيْقَة، الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك على ربك، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلكم، ولدمك

ولدم من معك أهون على الله من دم قراد، لو قتلت. ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى السجن والقتل فأوحى الله إلى شعياه عليه السلام أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ شعياه الملك ذلك ففعل الملك صدقة ما أمر به، فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا، [ولم تسمع قولنا] وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله، تذكراً وعبرة، ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات واستخلف بختنصر، ابن ابنه، على ما كان عليه جده يعمل عمله، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صدقة، فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً، ونبيهم شعياه معهم ولا يقبلون منه [أمراً ونهياً]، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياه قم في قومك حتى أوحى على لسانك، فلما قام النبي شعياه انطق الله على

لسانه بالوحي، فقال: يا سماء اسمعي وبا أرض انصتي، فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رثاهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فأوى شاردتها، وجمع ضالتها، وجبر كسرهما، وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أني جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار لما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجعه وأن الثور مما يذكر المرح الذي سمن فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الأبواب العقول، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه وقل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواء زماناً خراباً أمواتاً لا عمران فيها، وكان لها رب حكيم قوي، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي، أو أن يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصوراً وأنبط نهراً وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً، فلما اطلعت جاء طلوعها خروباً. قالوا بثست الأرض هذه فترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويدفن نهراً ويقبض قيمها

ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها، قال الله قل لهم فإن الجدار ديني وإن القصر شريعتي وإن النهر كتابي وإن القيم نببي، وإن الغراس هم وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وإنه مثل ضربته لهم يتقربون إلي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا أكله ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها، ويشيدون لي البيوت مساجداً، ويظهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون إلى المساجد، ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأني حجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأصبح فيها، يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلينا فلم يرفع تنور صلاتنا وتصدقنا، فلم تترك صدقاتنا، ودعونا بمثل خنين الحمام ويكينا بمثل عواء الذئاب، في كل ذلك لا يستجيب لنا، قال الله: فاسألهم ما الذي يعني أن أستجيب لهم؟ أأستأصم السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقوله الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحاذني وينتهك محارمي؟ أم كيف

تزكى عندي صدقاتهم [وهم] يتصدقون بأموال غيرهم إنما أجر عليها أهلها المغصوبين؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولهم بالسنتهم، والفعل من ذلك بعيد، إنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين، يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي: أنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب مما يوحي إليهم الشياطين اطلعوا، وأني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبتته وحثمته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً موجلاً لا بد أنه واقع، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه، أو في أي زمان يكون؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدير أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكمة في الأميين فسلمهم متى هذا ومن القائم به، ومن

أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، وإني باعث لذلك نبياً أمياً أميناً ليس أعمى من عيمان ولا ضالاً من ضالين ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لياسته، والبر شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقولة، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشته وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي وإيماناً [لي] وإخلاصاً لي يصلون [لي] قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، ويقاثلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم، يكبرون يهللون ويقصدون على رؤوس الأشراف، ويطهرون لي الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب على الأنصاف، قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، وذلك فضلي أوتيته من أشاء

وأنا ذو الفضل العظيم، فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إيّاها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستحلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له «ناشئة بن أموص»، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً، وكان من سبط هارون بن عمران.

وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء، سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتر خضراء، فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم، فقال أرمياء: يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، قال الله تعالى: أولم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها [أقول] عن الله تعالى: وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنه يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جباراً

قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء: إني مهلك بني - إسرائيل بياض، ويافث من أهل بابل - على ما ذكرنا في سورة البقرة، فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطيء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا ذلك حتى ملأوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَنْ في بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، فقسمهم بين الملوك الذي كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وفُزّق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلاثاً أقر بالشام، وثلاثاً سبي وثلاثاً قُتل وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَشَأًا عَلَيْهِمْ عَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥] يعني: بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجيبته وكان إذ رأى

شيئاً أصابه، فأنساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها فقالوا: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها ويتأويلها لأنزعن رؤوسكم عن أكتفاكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه، فأعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه، فجأؤوه وقالوا: رأيت تمثالاً قدماء وساقاه من فخر، وركبته وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة وصدره من ذهب، ورأسه وعنته من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها، قال: صدقتم، قال: فما تأويلها؟ قالوا: تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً، الفُخَّار أضعفه، ثم فرقته النحاس أشد منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته [هو] نبي يبعثه الله من السماء فيدق الملوك أجمع ويصير الأمر إليه. ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر: رأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفن عنا وجوههن إليهم، فأخرجهم من بين أظهرنا أو

اقتلهم، قال: شأنكم بهم، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ذلك، فلما قرّبوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا: يا رب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني إسرائيل: رأيت هذا البيت الذي خربت والناس الذين [قتلت مَنْ هم؟] وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله، وهؤلاء أهله، كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم، وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم، يكرمهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم، فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل، قال: فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي، فإني قد فرغت من [ملوك] الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق، قال: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم، فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه، ليُري الله العباد قدرته، وينجي الله من بقي من بقي من بني إسرائيل في يديه، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا

حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه. ويزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فالحقوا بهم، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت، وكان عزيز من السبایا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس [واعترلهم فينبما] هو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال: يا عزيز ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا، الذي لا يصلح أمر دنيانا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ قال: أرجع فصم وتطهر، وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً، فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه، فأناء ذلك الرجل بإناء فيه ماء، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى [عليهم السلام]، وكانوا من بيت آل داود، فمات زكريا وقيل قتل زكريا، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما

ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل، فقال: إني كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أني لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يُقربون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه، فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، قالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، ولقد قربناه منذ ثمانمائة سنة والقربان يتقبل منا إلا هذا، فقال: ما صدقتموني، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم، فلم يهدأ [غليانه] فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني، واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار أنثى ولا ذكر إلا قتلته، فلما رأوا الجهد منه وشدة القتل صدقوا الخبر، فقالوا: إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أننا أطعناه فيها لكان

أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدق، فقتلناه فهذا دمه، فقال لهم بيورزاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال الآن صدقتموني، لمثل هذا انتقم ربكم منكم، فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجداً وقال لمن حوله: اغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش، وخلا في بني إسرائيل [ثم] قال: يا يحيى بن زكريا قد علم ربّي ورُبُّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم، فاهدأ بإذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحداً فهدأ الدم بإذن الله، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره، وقال لبني إسرائيل: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري، وإني لست أستطيع أن أعصيه، فقالوا له: افعل ما أمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق [وجميعه] من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكري أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل، ثم انصرف إلى بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد أن يفنيهم، وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿لَنُقِيدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، فكانت الواقعة الأولى

بختنصر وجنوده، والأخرى خردوش وجنوده، وكانت أعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن سبتيانوس الرومي، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعتمره المسلمون بأمره. وقال قتادة: بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرب **﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾** [الإسراء: ٦] يعني في زمان داود، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرب، ثم قال: **﴿فَسَبَى زَكَرِيَّا أَنْ يَرْجِعَ﴾** [الإسراء: ٨] فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرًا ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نعمته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال: **﴿وَرَأَى ثَائِدَاتُ رَبِّكَ إِلَهُنَّ عَلَيْهِمْ إِلَٰهَهُ الْوَكْرَةَ مِنْ يَسْمُوتُهُمْ سَوَاءَ الْمَذَابِ﴾** [الأعراف: ١٦٧]، فهم في العذاب إلى يوم القيامة. وذكر السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل ليسأل عنه

حتى نزل على أمه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر بهذا طعاماً وشراباً، فاشتري بدرهم لحماً، وبدرهم خبزاً، وبدرهم خمرأ، فأكلوا وشربوا، وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك، ثم قال: إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً في الدهر [وصرت من ملوك الأرض]، فقال [له] أنسخر مني؟ فقال: إني لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكتب له أماناً وقال: أرايت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قسبة فأعرفك، فكتب له وأعطاه، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وأنه هوي بنت امرأته. وقال ابن عباس: ابنة أخته، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحققت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرايه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه الخمر، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سأله، فإذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت ذلك، فلما أرادها قال: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، قال: فما تسأليني؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في هذا الطست، فقال: ويحك سأليني [شيئاً] غير هذا، فقالت: ما أريد إلا

هذا فلما أبت عليه [هاجت شهوته وهو في خمرته] فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم، ويقول: ويل لك لا تحل لك ويكرر ذلك، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم يعني سعد الدم يغلي، ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صحابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه في مدائنهم، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: تريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم، قد طال مقامي وجاع أصحابي، قالت: أرايت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا [اللهم] إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فإنها سوف تتساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كف يديك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، فلما سكن قالت: كف الآن يدك فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله، فأناء صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن

أهل بيته، فحرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه، فحسداهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا له: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك، فسألهم فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبد، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر الملك بخد فخذ لهم فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم يسع ضار ليأكلهم، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخذش منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فقال: ما [كان] هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في صورة الوحش ومسحه الله سبع سنين.

وذكر وهب: أن الله مسح بختنصر نساً في الطيور ثم مسحه ثوراً في الدواب، ثم مسحه أسداً في الوحوش، فكان مسحه سبع سنين، وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم رد الله إليه ملكه فأمن. فستل وهب أكان مؤمناً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرقت بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته. وقال السدي: إن بختنصر لما رجع

إلى صورته بعد المسخ ورد الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسداهم المجوس، وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشرباً فأكلوا وشربوا، وقال للباب انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطيرين فإن قال [لك] أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني بذلك، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه الباب شد عليه، فقال: ويحك أنا بختنصر، فقال: كذبت بختنصر أمرني فضربه فقتله، هذا ما ذكره في «المبتدأ»، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزى بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير، بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزى بني إسرائيل عن قتلهم شعياء في عهد أرمياء، ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمئة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصيهيد بابل من قبل بهمن بن إسفنديار سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وستون سنة. والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق.

❶ قوله عز وجل: ﴿وَقَعَيْنَا إِلَيْنَا بَقِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي:

أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه يكون أمراً كقوله: ﴿وَقَعَيْنَا إِلَيْنَا بَقِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: يكون حكماً كقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٩٣] ويكون خلقاً كقوله: ﴿فَقَضَّاهُمْ سَيْحَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال ابن عباس وقتادة: يعني وقضينا عليهم، و«إلى» [ههنا] بمعنى «على»، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿لَقَدْ بَدَّلْنَا لَاحِظَ الْقَوْمِ الْقَاسِطِ﴾ [الأنعام: ١١٣]، والله لتفلسد، ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَدِّينَ﴾، بالمعاصي، والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْبَنِيَّانَ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولتستكبرن ولتظلمن الناس، ﴿عَلَّوْا كِبَارًا﴾ [أي استكباراً وظلماً كبيراً].

❷ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾، يعني أولى مرتين، قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركوب المحارم. وقال محمد بن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصي. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾، قال قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود [وذكرنا قصته في البقرة]. وقال سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينوى. وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر. ﴿أُولَىٰ بَاقِيَةٍ﴾، ذوي بطش ﴿شَدِيدٍ﴾، في الحرب، ﴿فَبَاسُوا﴾، أي: فطافروا وداروا، ﴿خَلَلْنَا أَلْبَابَهُمْ﴾، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم، والجوس طلب الشيء

ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس، وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور. وسأل ابن الكواء علياً [رضي الله عنه] عن السواد الذي في القمر؟ قال: هو أثر المحو. ﴿وَجَعَلْنَا مَائِدَةَ الْفَآرِ بُصِيرَةً﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر به، ﴿لَتَبْتَغُوا فَعْدًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَكْدَ آلِئِنَّ﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل النهار ولم يدر الصائم متى يفطر، ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ نَفْصِيًّا﴾.

﴿١٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلَّيْنَاهُ لَكَلْبٍ فِي عُنُقِهِ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمينه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد.

وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وسمي طائر على عادة العرب فيما كانت تنفاهل وتنشاهم به من سوانح الطير وبوارحها.

وقال أبو عبيدة والقتبي: أراد بالطائر حظه من الخير والشر، من قولهم: طار سهم فلان بكذا،

وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجري على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، ﴿وَيُخْرِجُ لَكَ﴾، يقول الله تعالى ونحن نخرج له، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب «ويُخْرِجُ له» بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً. وقرأ أبو جعفر «يُخْرِجُ» بالياء وضمها وفتح الراء، ﴿يَلْقَاهُ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «يُلْقَاهُ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقي الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤثاه. وقرأ الباقون بفتح الياء وخفيفة [القاف] أي يراه ﴿مَنْشُورًا﴾، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة.

﴿١٥﴾ ﴿أَقْرَأْ كِتَابًا﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾، محاسباً. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

﴿١٦﴾ ﴿مَنْ آمَنَ فَإِنَّمَا يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾، لها ثوابه، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّمَا يُجِزُّهُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾، لأن عليها عقابه، ﴿وَلَا يَرْزُقُهَا رِزْقًا﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إقامه للحمية وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَا أَرَدْنَا أَنْ يُثَبِّتَ لَكُمُ الْبَيْتَ بِمِثْلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، قرأ مجاهد: «أمرنا» بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقاتة ويعقوب «أمرنا» بالمد، أي: أكثرنا. وقرأ الباقون [مقصوراً مخففاً]، أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثروهم الله.

وفي الحديث: «خير المال مهرة مأمورة» أي كثيرة النسل. ويقال: منه أمر القوم يأمرهم أمراً إذا كثروا، وليس من الأمر بمعنى الفعل، فإن الله لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمرة والكثرة. ﴿مُتَرَبِّينَ﴾ منعمية وأغنياءها ﴿فَفَسَّخُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكر، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثت عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب فقلت: يا

رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبث».

﴿١٧﴾ قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ﴾ أي: المكذبة، ﴿فَإِنْ يَدْرِغْ يُدْرِغْ﴾، يخوف كفار مكة، ﴿كَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَيِّرًا﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القرن مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة.

وروي عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً» قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

﴿١٨﴾ ﴿إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، ﴿عَجَلْنَا لَهُمُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾، من البسط والتقتير، ﴿وَلَنْ يُرِيدُ﴾، أن يفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿فَرَجَعْنَا لَهُمُ فِي الْآخِرَةِ﴾، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾، يدخل نارها، ﴿مَذْمُومًا مَذْمُورًا﴾، مطروداً مبعداً.

﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾، عمل عملها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، مقبولا.

﴿٢٠﴾ ﴿كَلَّا يُبْدِي هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿فَإِنْ عَطَا رَبُّكَ﴾، أي: يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المال، ﴿فَمَا كَانَ عَطَا رَبِّكَ﴾، رزق ربك، ﴿مَحْظُورًا﴾،

ممنوعاً عن عباده فالمراد من العطاء: العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة.

﴿٢١﴾ ﴿انظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فسي الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب الآخرة، ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا مَعَهُ﴾. الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها

الإنسان مع الله إلهاً آخر فنعمد مَذْمُومًا مَعْدُومًا من غير حمد مخدولاً من غير نصر.

﴿٢٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، وأمر ربك، قاله ابن عباس وقتادة والحسن. قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. قال مجاهد: وأوصى ربك.

وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها: «ووصى ربك». وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً، ﴿لَا تَقْبِضُوا أَلْأَيْدِيَكُمْ﴾، وأمر بالوالدين إحساناً برأ بهما وعظفاً عليهما.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّا يَلْفَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالالف على الشنية فعلى هذا قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: ﴿هَمْ عَمُوا وَمَعَا كَيْدٌ يَتِيمٌ﴾ [المائدة: ٧١] وقوله:

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ وَإِلَهُكُمْ فَقَدْ نَسُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، ﴿كَلَّا يُبْدِي هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ عَمَلَهُمْ﴾، ﴿وَمَا كَانَ عَطَا رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَا رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا مَعَهُ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَآلَ الَّذِينَ إِحْسَنَّا إِنَّمَا يَلْفَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْلُ لِمَا أَنَا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لِمَا قَوْلُ الْكَبِيرِ﴾، ﴿وَأَنْخَفِصْ لِمَا جِئَاحَ الَّذِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَارِيَائِي صَغِيرًا﴾، ﴿وَتُكْرَهُ أَعْلَىٰ بِمَا فِي نَفْسِكَ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾، ﴿وَمَا ذَا الْقَرْيَةِ حَقَّهُمُ وَالْيَسِيرِينَ وَآلَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرُوا نَبِيَّكُمْ﴾، ﴿إِنَّ السَّبِيلِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] وقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] ابتداء وقرأ الباقون «يلغن» على التوحيد، ﴿فَلَا تَقْلُ لِمَا أَنَا﴾، فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر، ونافع، وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية، قال أبو عبيدة: أصل التف والاف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: «الاف» ما يكون في المغابن من الوسخ، «التف» ما يكون في الأصابع. وقيل: «الاف» وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار. وقيل: «الاف» وسخ الظفر «التف» ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾، ولا تزجرهما،

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾، حسنًا جميلًا لينا.

قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد اللفظ. وقال مجاهد: لا تسميهما، ولا تكنهما، وقل: يا أبتاه يا أمه.

وقال مجاهد: في هذه الآية أيضاً إذا بلغا عندك من الكبر ما يولان فلا تتقذرهما، ولا تقل لهما أف حين تميظ عنهما الخلاء والبول كما كانا يميظانه عنك صغيراً.

﴿٢٤﴾ ﴿وَأَنْفِقْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلْدِ﴾، أي: ألق جانبك لهما واخضع لهما. وقال عروة بن الزبير: ألق لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه ﴿مِنْ أَرْحَمِهِ﴾، من الشفقة، ﴿وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، أراد إذا كانا مسلمين. وقال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالْأَنْبِيَاءِ أَمْوَالٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن - يعني - السلمي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيع».

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي الزراد، أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني، أنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني،

أنا حسن بن سفيان، ثنا يحيى بن حبيب بن عدي، ثنا خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تتمام الضبي، ثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مثان، ولا عاق، ولا مُدْمِنٌ خمر».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن بامويه الأصفهاني، أنا أبو سعيد أحمد [بن محمد] بن زياد البصري، أنا الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح، ثنا رنعي بن عُلية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يَصَلْ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَتَى عَلَيْهِ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبُوهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ».

﴿٢٥﴾ ﴿رَبُّكُمْ أَظَلُّ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ﴾، من برِّ الوالدين وعقوقهما، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾،

أبراراً مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿إِنَّمَا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ﴾، بعد المعصية ﴿عَفْوًا﴾. قال سعيد بن جبیر في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه، لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به. وقال سعيد بن المسيب: «الأواب» الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبیر [هو] الرجاء إلى الخير.

وعن ابن عباس قال: هو الرجاء إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: هُمُ الْمَسْبُوحُونَ، ذليله قوله: ﴿يَنْجِيَالُ أَوْي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]. قال قتادة: هم المصلون، قال عوف العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الرُّوْقِي الطوسي، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو بكر بن أبي شيبه، ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستواثي، عن قتادة، عن القاسم بن عوف، عن زيد بن أرقم قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى، فقال: «صلاة الأوابين. إذا رمضت الفصل من الضحى».

وقال محمد بن المنكدر: الأواب [الذي] يصلي بين المغرب والعشاء. وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الآكثرون. [و] عن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿وَالْمُسْكِينِ وَالَّذِينَ اسْتَغِيلُوا﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو انفق الإنسان ماله كله [في الحق ما كان] تبذيراً ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه. قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر، فقال: هذا التبذير، وفي قول عبدالله: إنفاق المال في غير حقه.

﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾، جحوداً لنعمه.

﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، نزلت في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول، فنزل ﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرك أن تؤتيهم، ﴿إِنَّمَا تَرْجُوهُم مِّن رَّبِّكَ رَجُوعًا﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيتك، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسْرًا﴾، ليناً، وهي العدة، أي: عذهم وعداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول: يرزقنا الله وإناك.

﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم.

قال جابر: أتى صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعاً، ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه، فقال للصبى: «من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فعُدْ إلينا وقتاً آخر»، فعاد إلى أمه فقالت: قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره فنزع قميصه وأعطاه إياه وقعد عرياناً فأذن بلال بالصلاة، فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب أصحابه، فدخل عليه بعضهم فراه

عرياناً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فتعطي جميع ما عندك، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾، يلومك سائلوك بالإمساك إذا لم تعطهم، والمعلوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره، ﴿تَحْشُرًا﴾، منقطعاً لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرتة بالمسألة إذا ألحفت عليه، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة. وقال قتادة ﴿تَحْشُرًا﴾ نادماً على ما فرط منك.

﴿وَلَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر، أي: يقتر ويضيّق، ﴿إِنَّمَا كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الآكثرون. [و] عن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿وَالْمُسْكِينِ وَالَّذِينَ اسْتَغِيلُوا﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو انفق الإنسان ماله كله [في الحق ما كان] تبذيراً ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه. قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر، فقال: هذا التبذير، وفي قول عبدالله: إنفاق المال في غير حقه.

﴿وَلَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾، جحوداً لنعمه.

﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، نزلت في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول، فنزل ﴿وَمَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرك أن تؤتيهم، ﴿إِنَّمَا تَرْجُوهُم مِّن رَّبِّكَ رَجُوعًا﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيتك، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسْرًا﴾، ليناً، وهي العدة، أي: عذهم وعداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول: يرزقنا الله وإناك.

﴿وَلَا تَكُنْ إِذًا مِّنَ الْمُفْرِقِينَ﴾، يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر، أي: يقتر ويضيّق، ﴿إِنَّمَا كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَقْتُولًا فَدَدَ جَمَلًا لِرَبِّهِ﴾
سُطِّلَ، أي: قوة وولاية على
القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال
الضحاك: سلطان هو أنه يتخير، فإن
شاء استقاد منه، وإن شاء أخذ الدية،
وإن شاء عفا عنه. ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «فلا
تسرف» بالتاء يخاطب ولي القتل،
وقرأ الآخرون بالياء على الغائب
أي: لا يسرف الولي في القتل.

واختلفوا في هذا الإسراف الذي
منع منه ولي القتل، فقال ابن عباس
وأكثر المفسرين: معناه [و] لا يقتل
غير القاتل، وذلك أنهم كانوا في
الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا
يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف
منه.

وقال سعيد بن جبير: إذا كان
القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل
واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان
المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل
وحده حتى يقتلوا معه جماعة من
أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل
بالقاتل.

﴿إِنَّكُمْ كَانُمْسُورًا﴾، فالهاء راجعة
إلى المقتول في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ
مَقْتُولًا﴾ يعني: أن المقتول منصور
في الدنيا بإيجاب القود على قاتله،
وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب
النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال
قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول
معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء
القصاص منه أو الدية.

وقيل في قوله: ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ﴾ أنه أراد به القاتل المعتدي،
يقول: لا يتعدى بالقتل بغير الحق،

فإنه إن فعل ذلك فولي المقتول
منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ﴾، بالإتيان بما أمر الله به
والإنتهاء عما نهى الله عنه.

وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه
الإنسان على نفسه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ
كَانَ مَشْكُوكًا﴾، وقال السدي: كان
مطلوباً.

وقيل: العهد يسأل عن صاحب
العهد، فيقال: فيم نقضت،
كالموودة تسأل فيم قُتلت.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا
بِالْقَيْطَاسِ﴾، قرأ حمزة والكسائي
وحفص «بالقسطاس» بكسر القاف
والباقون بالضم، وهما لغتان وهو
الميزان صَغُراً أو كَبُيراً أي: بميزان
العدل. وقال الحسن: هو القبان.
قال مجاهد: هو رومي.

وقال غيره: هو عربي مأخوذ من
القسط وهو العدل، أي: زنوا
بالعدل. ﴿الْأَسْفِيزِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا﴾، أي: عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ﴾، قال قتادة: لا تقل رأيت ولم
تره، وسمعت ولم تسمعه وعلمت
ولم تعلم. وقال مجاهد: لا ترم
أحداً بما ليس لك به علم. قال
القتبي: لا تتبعه بالحدس والظن.
وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال:
قفوت فلاناً أفقوه وقفيته وأقفيته إذا
اتبعت أثره، وبه سميت القافة
للتبعم الأثار. قال القتبي: هو
مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور،
أي: يكون في إقفائها يتبعها

ويتعرفها. وحقيقة المعنى لا تتكلم
أيها الإنسان بالحدس والظن. ﴿وَإِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْكُوكًا﴾، قيل: معناه يسأل المرء
عن سمعه وبصره وفؤاده.

وقيل: يسأل السمع والبصر
والفؤاد عما فعله المرء. وقوله:
﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أي كل هذه الجوارح
والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع
أولئك إلى أربابها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أبو طاهر أحمد بن
محمد بن الحسين، أنا أبو علي
حامد بن محمد الرقاء، ثنا أبو
الحسن علي بن عبد العزيز، أنا
الفضل بن دكين، ثنا ابن أوس
العبيسي، حدثني بلال بن يحيى
العبيسي، أن شُتير بن شُكل أخبره
عن أبيه شكل بن حميد قال: أتيت
النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله
علمني تعويداً أتعوذ به، قال: فأخذ
بيدي ثم قال: «قل اللهم إني أعوذ
بك من شرِّ سمعي، وشرِّ بصري،
وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ مَنِّي»
قال: فحفظتها قال سعد: والمني
ماؤه.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا﴾،
أي بطراً وكبراً وخيلاء، وهو تفسير
المشي، فلذلك أخرجه على
المصدر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَقْرُقَ الْأَرْضَ﴾
أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ
آخرها، ﴿وَكُنْ تَبْلَغُ لَيْلًا طَوَّلًا﴾
أي: لا تقدر أن تطاول الجبال
وتساويها بكبرك، معناه: أن الإنسان
لا ينال بكبره ويطره شيئاً، كمن يريد
خرق الأرض ومطاوله الجبال لا

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٦﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ
 بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلِكِ كُنُوزًا إِنَّكَ لَنَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلذِّكْرِ وَأَمَّا زَيْدُهُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أُتِغَوَّاتُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٢٩﴾ سَبِّحْهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٣٠﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيلًا عَقُورًا ﴿٣١﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسْتُورًا ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَوْا وَلَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْا أَذْنُورًا ﴿٣٣﴾
 تَخُنْ أَتَمَرُ مَا يَسْمَعُونَ وَيَأْمُرُ بِالسَّمْعِ وَتَرَكُوا وَابْنَ مَرْجَمٍ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْلَمُونَ لِأَرْجُلًا نَسْجُرًا ﴿٣٤﴾ أَنْظُرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَقَالُوا لَوْ كُنَّا عِظَامًا وَرَفْنَا لَوْ إِنَّا لَسَمْعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٦﴾

(٢٦)

فِي هَذَا الْقُرْآنِ، يعنني العبر
 والحكم، والأمثال، والأحكام،
 والحجج، والإعلام، والتشديد
 للتكثير والتكرير، ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي:
 ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ حمزة
 والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف
 وكذلك في الفرقان: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾،
 تصرفنا وتذكيرنا وتكريرنا، ﴿لَا
 نُفَوِّرُهُمْ﴾، ذهلياً وتباعداً عن الحق.

﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء
 المشركين، ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا
 يَقُولُونَ﴾، قرأ حفص وابن كثير
 يقولون بالياء وقرأ الآخرون بالياء،
 ﴿إِذَا لُتِغَوَّاتُ﴾، لطلبوا يعني الآلهة
 ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، للمغالبة
 والقهر ليزيلوا ملكه [ويضادوا ما
 يفعله من الإيجاد والإعدام]، كفعل
 ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل:
 معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً
 [طريقاً] بالتقرب إليه. قال قتادة:

كقوله: ﴿وَمَا تَذَكَّرُ﴾ [الإسراء: ٢٦]
 ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾
 [الإسراء: ٢٤] وغير
 ذلك، وقرأ الآخرون
 «سبحة» منصوبة منونة
 يعني: كل الذي ذكرنا من
 قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا إِنْ
 إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ سَبْحَةٌ لَا
 حَسَنَةً فِيهِ، إِذِ الْكَلْبُ يَرْجِعُ
 إِلَى الْمَنْهِي عَنْهُ دُونَ
 غَيْرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ مَكْرُوهَةً
 لِأَنَّهُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ
 تَقْدِيرُهُ: وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ
 مَكْرُوهًا سَبْحَةً. وقوله:
 ﴿مَكْرُوهًا﴾ على التكرير لا

على الصفة، مجازه كل ذلك كان
 سيئة وكان مكروهاً، أو رجع إلى
 المعنى دون اللفظ، لأن السيئة
 الذنب وهو مذكور.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكر، ﴿مِمَّا
 أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، وكل ما
 أمر الله به أو نهى الله عنه فهو
 حكمة. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه
 الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فَتُلْقَى فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾، مطروداً مبعداً
 من كل خير.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَأَصْفَكَ
 رَبُّكَ﴾، أي: اختاركم فجعل لكم
 الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني
 اختاركم، ﴿بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلِكِ
 كُنُوزًا﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة
 بنات الله، ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُ قَوْلًا
 عَظِيمًا﴾، يخاطب مشركي مكة.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا

يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك
 لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على
 عقبيه ومرة على صدور قدميه، فقيل
 له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت
 على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طويلاً
 إن مشيت على صدور قدميك.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن
 عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو
 القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا
 أبو الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى
 الترمذي، ثنا سفيان بن وكيع، ثنا
 أبي، عن المسعودي، عن عثمان بن
 مسلم بن هرمز، عن نافع بن
 جبير بن مطعم، عن علي قال: كان
 رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ
 تكفؤاً، كأنما ينحط من صلب.

أخبرنا أبو محمد [عبدالله بن
 عبدالصمد] الجرجاني، أنا أبو
 القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن
 كليب، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا
 قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن
 أبي يونس، عن أبي هريرة رضي الله
 عنه قال [ما] رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي
 فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي
 مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا
 الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ، إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا
 وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مَكْتَرٍ.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة
 برفع الهمزة وضم الهاء على
 الإضافة، ومعناه كل الذي ذكرنا من
 قوله: ﴿وَقَفَىٰ رَبُّكَ إِلَّا مَقِيدُوا إِلَّا
 إِلَهًُا﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿كَانَ سَيِّئُهُمْ﴾
 أي: سيء ما عددنا عليك عند ربك
 مكروهاً لأنه قد عد أموراً حسنة

لعرفوا الله بفضلهم وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح، ثم نزه نفسه.

﴿سُبْحَتَ وَقَتْلَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «تقولون» بالتاء [وقرأ] الآخرون بالياء، ﴿عَلَّوْا كَبِيرًا﴾، ﴿تَسْبِحُ لَهُ الْكُتُبُ النَّسِيجُ وَالْأَرْضُ وَكُنُفُونَ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب «تسبح» بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتانيث، ﴿وَلَا يَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات، وقال عكرمة: الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح. وعن المقدم بن معد يكرب قال: إن التراب يسبح ما لم يتبل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركذ ترك التسبيح، وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح. وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف.

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله، حياً كان أو ميتاً أو جماداً وتسبحها سبحانه الله ويحمده.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثنى، أنا أبو أحمد الزبير، أنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسبح تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن الله تعالى [أودع] علما في الجمادات لا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه. ﴿لَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَمَلًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَبَابًا شَدِيدًا﴾﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدًا مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١] مفعول بمعنى الفاعل. وقيل: مستورا عن أعين الناس فلا

يرونه. وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة.

كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر، والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر، ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله، قال: «لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني».

﴿وَحَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَقَهُوهُ وَفَقُوا مَا كَانُوا أَفْقَهُوهُ﴾، ثقلأ لئلا يسمعهوه. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَقَهُوهُ وَفَقُوا مَا كَانُوا أَفْقَهُوهُ﴾، جمع «نافر» مثل قاعد، وقعود، وجالس، وجلوس، أي نافرين.

﴿يَسْمَعُونَ يَسْمَعُونَ يَسْمَعُونَ﴾، قيل: «به» صلة أي: يطلبون سماعه، ﴿وَإِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَلَا تُمْ تَحْزَنُ﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذرو نجوى، فبعضهم يقول: هذا مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِن تَلْقَوْهُمْ إِلَّا رُجُلًا مَّسْحُورًا﴾، مطبوعاً. وقال مجاهد: مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلاً له سحر، والسحر: الرثة، أي إنه بشر مثلكم معلل بالطعام والشراب يأكل ويشرب. قال الشاعر:

أرانا موضعين لحتم غيب
ونسحر بالطعام وبالشرب

أي: يغذى ويعلل.

﴿٤٨﴾ «نَظَرُوا» يا محمد، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، الأشباه، فقالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿فَقَضَلُوا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: وصولاً إلى طريق الحق.

﴿٤٩﴾ «وَقَالُوا لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا» بعد الموت ﴿وَرَفَاتًا﴾ قال مجاهد: تراباً. وقيل: حطاماً. والرفات: كل ما يكسر ويبلى من كل شيء كالفتات والحطام.

﴿٥٠﴾ «أَوَلَا لَتَبْعُنَّوْنَ خَلْقًا جَدِيدًا».

﴿٥١﴾ «قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

﴿٥٢﴾ «أَوْ خَلَقْنَا مَتَا يَكْفُرُونَ وَضُرُوكُمْ﴾، قيل: السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾، من يبعثنا بعد الموت، ﴿قُلِ الْإِلَهِ فَطَرَكُمُ﴾، خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿فَسَيَقُولُونَ إِلَيْكَ

رُدُّوهُمْ﴾، أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ﴾، أي: البعث والقيامة، ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾، أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿٥٣﴾ «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ» من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿فَتَسْتَجِيبُنَّ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن عباس: بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدون حين لا ينفعهم الحمد. وقيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين [له] ﴿وَنُظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْقُبُورِ﴾، إلا قليلاً، لأن الإنسان لو مكث ألفاً من السنين في الدنيا أو في القبور، عد ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

﴿٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال الكلبي: كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكافرين ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولا يكافؤوهم بسفهمهم. قال الحسن: يقول له يهديك الله.

﴿٥٥﴾ «قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾، أو خلقاً ممتاً ككفركم ﴿صُدُّوكُمْ فَسَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الْإِلَهِ فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ إِلَيْكَ رُدُّوهُمْ وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ يوم يدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿وَتَكُونُ أَعْيُنُهُمْ كَالْحِجَابِ وَإِنَّ عَذَابَ الْإِنْسَانِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿يَعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ نُبُورًا﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَهُ رَبِّهِمْ أَوَلَمْ يُرْسِلْنَا إِلَهُمُ قُرْبَ وَبُرْهَانَ رَحْمَتِهِمْ وَمَقَالُونَ عَلَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ عَدَاوَةُ رَبِّكَ كَانَتْ مَعْدُونًا وَلَئِنْ مَن قَرِيبٌ إِلَّا عَنَّا مَلَائِكَةُ مَوْعِدٍ وَمَا تَدْرِي أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْكُتُبِ مَسْطُورًا﴾

وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعتف.

وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخصلة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يفسد ويلقي للعداوة بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ظاهر العداوة.

﴿٥٦﴾ «وَتَكُونُ أَعْيُنُهُمْ كَالْحِجَابِ وَإِنَّ عَذَابَ الْإِنْسَانِ لَشَدِيدٌ﴾، يوفقكم فتؤمنوا [فيشبهكم على الإيمان]، ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، يميتهكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج.

وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم، ﴿وَمَا

عَلَّاهُمْ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذُورًا ، أي يطلب منه الحذر. وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيتون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود «الذين تدعون» بالتاء .

قَرِيَّةٌ، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ قَرِيَّتِهِ﴾ وَمَا مِنْ قَرِيَّةٍ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ أَيْ: مَخْرَبُوهَا وَمَهْلِكُو أَهْلِهَا، ﴿أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِذَا كَفَرُوا وَعَصَوْا. وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَغَيْرُهُ: مَهْلِكُوهَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِمَامَةِ، وَمُعَذِّبُهَا فِي حَقِّ الْكَافِرِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والريافى قرية أذن الله فى إهلاكها. «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ»، فى اللوح المحفوظ، «مُسْتَوْرًا»، مكتوبًا. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال [له] اكتب، قال: ما أكتب؟ قال القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد».

٥٩ ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ مَا مَنَعَنَا﴾
 أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا
 الْآلُونَ﴾.

قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ إن شئت أن أستأنى بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم من

تتكروا تفضيل النبيين
فكيف تتكرون فضل النبي
ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا
خطاب مع من يقر بتفضيل
الأنبياء عليهم السلام من
أهل الكتاب وغيرهم.

﴿٥٦﴾ قوله عز وجل:
﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن
دُونِهِ﴾، وذلك أن
المشركين أصابهم قحط
شديد حتى أكلوا الكلاب
والجيف فاستغاثوا بالنبي
ﷺ ليدعو لهم، قال الله
تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن
دُونِهِ﴾ أنها آلهة ﴿فَلَا

يَتَلَكُّونَ كَفَّ الشَّرِّ، القحط والجوع، «عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا»، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ (٥٧) لَكَ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون أهله [و] يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: هم عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، يبتغون أي يطلبون إلى ربهم «الوسيلة»، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ أَقْرَبَ﴾، معناه، ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿وَيَخَافُونَ رَحْمَتَهُ﴾، جنته، ﴿وَيَخَافُونَ

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَالْبَاقِيَ تَعْدُوا ثَمَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا نَبِيًّا
إِلَّا تَخَوَّفُكُمْ ۝١٥ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرِّيحَ إِلَّا آيَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْءَانِ وَخَوَّفُكُمْ فَمَا زِيدَهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝١٦
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ مَا أَجْبَدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝١٧ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ قَالَ أَهَبْ فَمَنْ يَمُنَّكَ مِنْهُمْ فَأَن
جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ جَزَأً مَوْفُورًا ۝١٩ وَاسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَلَّتْ
مِنْهُمْ بَصُورَتِي وَأُخْبِلْتُ عَلَيْهِمْ عِلْمِي وَرَجَلْتُ وَشَارَكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ۝٢٠ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٢١ رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ
فِي الْبَحْرِ لِيَنْتَعِمُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ رَحِيمًا ۝٢٢

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ حَفِظُوا
وَكَفِيلًا. قيل: نسختها آية القتال.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض. قال قتادة في هذه الآية: اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زُبوراً كما قال: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبوراً﴾، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل، ليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، ومعناه: إنكم لم

الأمم، فقال النبي ﷺ: «لا بل تستاني بهم»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْبِيعَ بِالْأَيْتِ﴾. التي سألها كفار قومك ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم، لأن من ستنا في الأمم إذا سألوا الآيات، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها، أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: ﴿بِئْسَ الْأَخْلَاقُ مَوْعِدُهُمْ وَالنَّاسُ أَهْلُكُمْ﴾ [القمر: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَأَنَّا نُمَوِّدُ الْفَالِقَ ثَمِيرًا﴾، مضيئة بينة، ﴿فَقَلَّمُوا بِهَا﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَفَئِفُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة. ﴿وَمَا تَرْبِيعَ بِالْأَيْتِ﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخَوِّفَ﴾، للعباد ليؤمنوا قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَا قَنَا لَكَ إِنْ رَزَقْنَاكَ لَأَنذَرَنَّ﴾﴾ أي: هم في قبضته، لا يقدرون على الخروج عن مشيئته، فهو حافظك وامنعك منهم، فلا تهيم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْبَابًا إِلَهًا وَتَعْتَهُ النَّاسُ﴾، فلا كثرون على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس:

هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، والأكثرين. والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان: رؤية بالعين، ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون، فرجع إلى المدينة، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي آفَرَةٍ﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازة والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كربه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين.

أحدهما أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجر.

والثاني: أن عبداً بن الزبيري قال: إن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر.

وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات [٦٢]. وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلوي على الشجر فتجففه، يعني الكشوث، ﴿وَتَخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، التخويف، ﴿إِلَّا طَلْفِينًا كَبِيرًا﴾ أي: تمرداً وعتوا عظيماً:

﴿وَلَا قَنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَتَسْتَبْدُوا إِيَّاهُمْ فَأَسْجُدُوا لِلْإِنسَانِ قَالَ إِبْلِيسُ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: خلقته من طين أنا جئت به، وذلك ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبتها ومالحها، فخلق منه آدم، فمن خلقه من العذب فهو سعيد وإن كان ابن كافر، ومن خلقه من المالح فهو شقي وإن كان ابن مؤمنين.

﴿قَالَ﴾، يعني إبليس، ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ أَمْرًا عَلَيَّ﴾ أي أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فضلت علي: ﴿لَنْ أَعْرَضَ عَنْكَ﴾ أمهلني ﴿إِنْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ لَأَحْبَبَ إِلَيَّ﴾ أي: لأستأصلنهم بالإضلال، يقال احتك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها: إذا شذ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها [به]، أي لا أقودنهم كيف شئت. وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني المعصومين الذين

استثناهم الله عز وجل في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ قَاتَ جَهَنَّمَ جَزَاءً لِّذُنَّ﴾ أي: جزاؤك وجزاء أتباعك، ﴿جَزَاءً مَّقْضُورًا﴾، وافرأ مكملًا، فتقول: وفتره أوفره وقرأ.

﴿قَوْلُهُ﴾: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ [أي] استخفف [واستزل] واستجهد ﴿مَنْ أَسْتَفْزَرَ مِنْهُمْ﴾، أي: من ذرية آدم، ﴿بِصَوْنِكَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله، وكل داغ إلى معصية الله فهو من جند إبليس. قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك، أي: تستخففهم. وقال مجاهد: بالغناء والمزامير، ﴿وَلَتَلْبَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيتُكَ وَوَجِلَّتْ﴾، قيل: اجمع عليهم مكايذك وخيلك، يقال: «أجلبوا» و«أجلبوا» إذا صاحوا، يقول: صخ بخيلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء، [و] قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم، والخيل: الركبان، والرجل: المشاة. قال أهل التفسير: كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس.

وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلًا ورجلاً من الجن والإنس وهو كل من يقاتل في المعصية، والرجل والرجالة والراجلة واحد، يقال: راجل ورجل، مثل تاجر وتجر، وراكب وركب.

وقرأ حفص «ورجلك» بكسر

الجيم وهما لغتان، ﴿وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فالمشاركة في الأموال: كل ما أصيب من حرام، أو أنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لألهتهم. وأما المشاركة في الأولاد روي عن ابن عباس: أنها الموروثة. وقال مجاهد: والضحاك: هم أولاد الزنا. وقال الحسن وقتادة: هو أنهم هودوا أولادهم، ونصروهم ومجسوهم. وعن ابن عباس [في] رواية أخرى: هو تسميتهم الأولاد عبدالحارث، وعبد شمس، وعبدالعزى، وعبدالدار، ونحوها. وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل «بسم الله» أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل.

وروي في بعض الأخبار «إن فيكم مغربين» قيل: وما المغربون؟ قال: «الذين يشارك فيهم الجن». وروي أن رجلاً قال لابن عباس إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار، قال: ذلك من وطء الجن.

وفي الآثار: أن إبليس لما أخرج إلى الأرض، قال: يا رب أخرجني من الجنة لأجل آدم فسُلْطَنِي عليه وعلى ذريته، قال: أنت مسلط، فقال: لا أستطيعه إلا بك فزديني، قال: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَلَمَتْ مِنْهُمْ بِصَوْنِكَ﴾ الآية، فقال آدم: يا رب

سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه، فقال: زدني، قال: الحسنه بعشر أمثالها والسيئة بمثلها، قال: زدني، قال: التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد، فقال: زدني، قال: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية.

وفي الخبر: أن إبليس قال: يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: [قرآنك] الشعر، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: ومن رسلتي؟ قال: الكهنة، قال: وأين مسكني؟ قال: الحمامات، قال: وأين مجلسي؟ قال: الأسواق، قال: أي شيء مطعمي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي، قال: ما شرابي؟ قال: كل مسكر، قال: وما جبالتي؟ قال: النساء، قال: وما أذاني؟ قال: المزامير. قوله عز وجل: ﴿وَيَعِدُهُمْ﴾، [أي: منهم] الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق، فإن قيل: كيف يذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]؟ قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: ﴿أَتَمَلُّوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقول القائل: افعل ما شئت فسترى.

﴿قَوْلُهُ﴾: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَرُوا بِرَبِّكَ وَكَيَلَّا﴾، أي حافظاً بمن يوكل الأمر إليه.

﴿٦٦﴾ قوله عز وجل: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي نُزِيَّ لَكُمْ الْفَلَكَ﴾ أي: يسوق ويجري لكم الفلك، ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ قُصْبِهِمْ﴾، لتطلبوا من رزقه، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، الشدة وخوف الغرق، ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾، أي: بطل وسقط، ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾، من الآلهة، ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾، إلا الله فلم تجدوا مفياً سواه، ﴿فَلَا تَحْزَنْكُمْ﴾، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [أغمضتم] عن الإيمان والإخلاص والطاعة، كفرأ منكم لنعمه، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

﴿٦٨﴾ ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾، بعد ذلك، ﴿أَنْ يَحْيِفَ بِكُمْ﴾، يغور بكم، ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾، ناحية البر وهي الأرض، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، أي: يطر علىكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصا الصغار، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾، قال قتادة: مانعاً [يمنع عنكم ما فعلنا بكم].

﴿٦٩﴾ ﴿أَمْ أَمْسَتْ أَنْ يُبَيِّدَكُمْ فِيهِ﴾، يعني في البحر، ﴿نَارًا﴾ مرة، ﴿أُخْرِئَ قُرَيْشَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾، قال ابن عباس: أي: عاصفاً وهي الريح الشديدة. وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدقه وتحطمه. وقال القتبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، ﴿فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ بُعِيًا﴾، ناصراً

ولا ثائراً، وتبيع بمعنى تابع أي [تابعاً مطالباً بالثأر]. وقيل: من يتبعنا بالإنكار قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم»، بالنون فيهن، لقوله ﴿عَلَيْنَا﴾ وقرأ الآخرون بالياء لقوله: ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وقرأ أبو جعفر ويعقوب «فتغرقكم» بالثاء يعني الريح.

﴿٧٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون

بالأيدي، وغير آدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال باللحي، والنساء بالذوائب.

وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ مِنْ الْبَلَدِ عَلَى الْيَمِينِ﴾، يعني: لذيق الطعام والشراب.

قال مقاتل: الممن، والزبد، والتمر، والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى [عليكم من التبن والعظام وغيرها] ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَلْقًا تَفْصِيلاً﴾، وظاهر

﴿٧١﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا يَنْصُرُكُمْ إِلَّا الْبَرُّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿أَفَأَنْتُمْ يَكْمُ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿أَمْ أَمْسَتْ أَنْ يُبَيِّدَكُمْ فِيهِ نَارًا أُخْرِئَ قُرَيْشَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ بُعِيًا﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِنْ الْبَلَدِ عَلَى الْيَمِينِ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَلْقًا تَفْصِيلاً﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أَوْفَى بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَدْ وَفَّى﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فِي هَذِهِ بَعْدَ مَا بَيَّنَّنَا دَلَالًا لِلنَّاسِ لِيَقْتَرِبُوا إِلَى هَٰذِهِ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِنْ الْبَلَدِ عَلَى الْيَمِينِ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَلْقًا تَفْصِيلاً﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِنْ الْبَلَدِ عَلَى الْيَمِينِ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَلْقًا تَفْصِيلاً﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِنْ الْبَلَدِ عَلَى الْيَمِينِ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَلْقًا تَفْصِيلاً﴾ ﴿٨٠﴾

الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل. وقال قوم: فُضِّلُوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فُضِّلُوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملوك الموت، وأشباههم.

وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف، فقال قوم: فُضِّلُوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣] أي: كلهم.

وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا

ولنا الآخرة، فقال تعالى: «لا أجعل من خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كن فكان». والأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ [البينة: ٧]، وروي عن أبي هريرة [رضي الله عنه] أنه قال: المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

﴿٧١﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم. وقال: أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضاً: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية، ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسِيرُهُ﴾، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَمْصَحَّتْهُ فِي إِمَارَةٍ نَّبِيٍّ﴾ [يس: ١٢]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْتُمُونَ إِلَّا الْآثَارَ﴾ [القصص: ٤١]، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن كعب: ﴿يُسْمَوْنَ﴾، قيل: يعني بأسمائهم، [قيل] فيه ثلاثة أوجه من الحكمة

أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني لشرف الحسن والحسين، والثالث لثلاثا يفتضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسِيرُهُ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل. ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ﴾،

اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّنُ لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَقْضِيكَ﴾ [الإسراء: ٢١ و ٧٠] يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين [وشاهد] أعمى، ﴿فَهُوَ فِي﴾، أمر، ﴿الْآخِرَةِ﴾، التي لم يعاين ولم ير، ﴿أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾، يروي هذا عن ابن عباس، وقال آخرون: هي راجعة إلى الدنيا، يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي أشد عمى ﴿وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ أي أخطأ طريقاً.

وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

وقال الحسن: ومن كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهما، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني [يعني] فهو في الآخرة أشد عمى لقوله: ﴿وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾.

﴿٧٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنِ اللَّهِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾

الآية، اختلفوا في سبب نزولها.

قال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فمئنته قریش، وقالوا: لا ندعك حتى تلم بالكهتنا وتمسها، فحدث نفسه [وقال]: ما علي أن أفعل ذلك، والله تعالى يعلم أنني لها كاره، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود.

وقيل: طلبوا منه أن يمس أكتفهم حتى يسلموا ويتبعوه فحث نفسه بذلك، فأنزل الله هذه الآية.

قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال، قال: «وما هن؟» قالوا: أن لا ننحني في الصلاة، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات [والعزى] سنة من غير أن نعبدها، فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية يعني اللات - والعزى - فإني غير متمتع بها»، فقالوا: يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؟ فسكت رسول الله ﷺ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ لِيَصْرِفُونَكَ عَنِ اللَّهِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُنْفَخَنَّ﴾، لتختلق، ﴿عَلَيْنَا غَمٌّ وَآذٌ﴾، لو فعلت ما دعوك إليه ﴿لَأَخَذَنَّكَ خَلِيلًا﴾ أي: والوك وصافوك.

﴿٧٣﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَكَ﴾، على

الحق بعصمتنا، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ أي: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أي: قريباً من الفعل، فإن قيل: كان النبي ﷺ معصوماً فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟ قيل: كان ذلك خاطر قلب، ولم يكن عزماً وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين». والجواب الصحيح وهو: أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ وقد ثبته الله فلم يركن [إليهم] وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. [وقد تفضل فلم يتبعوا].

﴿وَإِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذنتك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: «الضعف» هو العذاب، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْهِمْ نَصِيرًا﴾، أي: ناصرًا يمنعك من عذابنا.

﴿وَلَنْ كَادُوا لِيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾، اختلّفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية.

قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فاتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما

هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم فات الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الخليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَالْأَرْضُ﴾ وهنا هي المدينة.

وقال مجاهد وقتادة: الأرض أرض مكة. والآية مكية، هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه [ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه]. وهذا اليتق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية. وقيل: هم الكفار كلهم، أرادوا أن يستفزه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا عليه، فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ﴾ أي: بعدك، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب «خلافك» اعتباراً بقوله تعالى: ﴿فَرَجَّ الْمَغْلُوقُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، ومعناها واحد. ﴿لَا قَلِيلًا﴾ أي: لا يلبثون

وَلَنْ كَادُوا لِيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٥﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قُلُوبًا مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا نَدْعُوكَ شُرَكَائِي إِلَى شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْنَا الْقُرْآنُ فَرَأَى الْقُرْآنَ فَخَسِبَ يَوْمَ تَأْتِيكَ الْغُلُوبُ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ إِلَيْنَا أَلْوَنَ السُّبْحِ وَنَزَّلْنَا مِنْ الْقُرْآنِ مَاهُوً شَفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا بُدَّ لِلظَّالِمِينَ الْأَخْسَارِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى الْأَرْضِ وَنَحْنُ بَارِقُونَ إِنَّا مَسَّ الشُّرَكَاءُ نَفْسًا ﴿٧٩﴾ قُلْ كُلٌّ رَجِعَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَزَكِّهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّئًا ﴿٨٠﴾ وَتَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ قُلْ الْأَرْضُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨١﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لِكُنُودِهِمْ عَلَيْنَا وَاكِيلًا ﴿٨٢﴾

بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول: الأول مدة حياتهم، وعلى الثاني: ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا بيد. ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قُلُوبًا مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا، فانتصب بحذف الكاف، وسنة الله في الرسل إذا كذبهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، أي: تبديلاً.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا نَدْعُوكَ شُرَكَائِي إِلَى شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْنَا الْقُرْآنُ﴾ أي: اختلّفوا في الدلوک: روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الدلوک هو الغروب، وهو قول إبراهيم النخعي، ومقاتل بن حيان، والضحاك، والسدي، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر: هو زوال الشمس، وهو قول عطاء، وقتادة،

ومجاهد، والحسن، وأكثر التابعين، ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل، إذا زالت أو غربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، ﴿إِنَّ عَشِيَ آتِيلٌ﴾ يتناول المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هو صلاة الصبح.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ عَشِيَ آتِيلٌ﴾ أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بذو الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، يعني صلاة الفجر، سمي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب «قرآن» من وجهين؟ أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي عليك قرآن الفجر، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، أي: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفضل صلاة الجميع صلاة أحداكم وحده بخمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، ثم

يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آتِيلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعدما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلِبُوا عَلَى الْأَعْقَابِ﴾ [المزمل: ١-٢]، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: ﴿فَأَقْرِبُوا مَا يَسِّرَ يَتَى﴾ [المزمل: ٢٠]، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هن علي فريضة، وهن سنة لكم: الوتر والسواك وقيام الليل».

قوله عز وجل: ﴿تَأْتِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: زيادة لك، يريد فريضة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك. وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: ﴿تَأْتِلَ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل عليك، فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ؟ قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب

فتبقى له زيادة في رفع الدرجات. أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قال: ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال: قام النبي ﷺ؟ حتى انتفتحت قدماء، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر [الله] لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عبد الله بن قيس بن مخزومة، أنه أخبره عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأرْمَقْنَ صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فوسدت عتبه أو فسطاطه، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف

كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قال: فقالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، أنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمرو بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، فإذا سكث المؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتية المؤذن للإقامة فيخرج»، وبعضهم يزيد على بعض.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبد الرحمن بن منيب، أنا يزيد بن هارون، أنا حميد

الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ من الليل مصلياً إلا رأيناه، وما نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وقال: وكان يصوم [من] الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿صَلَّى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ عسى من الله تعالى واجب، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأتمته لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، أنا عبد الله بن يزيد المقرئ، أنا حياة عن كعب بن علقمة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عباس، ثنا سعيد بن أبي حمزة، عن محمد بن

المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة».

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً».

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل قال: وقال الحجاج بن منهال، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال، فيقول: لست هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب وأكله من الشجرة، وقد نهي عنها - ولكن اتنوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون

نوح فيقول: لست هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب، سؤاله ربه بغير علم - ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هناكم - ويذكر ثلاث كذبات كذبهن - ولكن اتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا. قال: فيأتون موسى، فيقول: إني لست هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس - ولكن اتوا عيسى عبداً الله ورسوله، وروح الله وكلمته. قال: فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: فيأتوني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً قَبِدْعَنِي ما شاء الله أن يدعني، فيقول ارفع رأسك يا محمد وقلْ تسمع واشفع تشفع، وسلْ تعطه. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه. قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج، أدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعت أيضاً يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار فأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت رأسك يا ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقلْ تسمع واشفع تشفع، وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته

وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد وقلْ تسمع واشفع تشفع وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن»، أي وجب عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ».

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، ثنا معبد بن هلال قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة، بمعناه، وقال: «فاستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامداً أحمد به لا تحضرني الآن، فأحمد بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسلْ تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فانطلق فأفعل، ثم أعود فأحمد بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً وذكر مثله، وقال: فيقال لي: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من الإيمان، قال: فانطلق فأفعل، ثم أعود فأحمد بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، وذكر مثله، ثم يقال: انطلق فأخرج من

كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فانطلق فأفعل» فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا لم يزدنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم، ثم قال: «أعود الرابعة فأحمد بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسلْ تعطه واشفع تشفع، فأقول يا ربي أتأذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

وروي عن عبدالله بن عمر قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمد أهل الجمع كلهم.

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن باصويه، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا محمد بن حيوية، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا منصور بن أبي الأسود، ثنا الليث، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا

شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ مثور».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني الحكم بن موسى، ثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني عبد الله بن فروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

وُروى عن يزيد بن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأيي من رأي الخوارج، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصابة نريد أن نحج، فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ، وذكر حديث الجهنبيين، فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كَلَّمَآ أَرَادُوْآ أَنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا أُعِيدُوْا فِيْهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فقال لي: يا فتى أنقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم قال: فإنه مقام محمد

المحمود الذي يخرج الله به من النار من يخرج، ثم نعت وضَعَ الصراط ومَرَّ الناس عليه، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها، قال: فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟

وُروى عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلًا، وإن صاحبكم حبيب الله وأكرم الخلق على الله»، ثم قرأ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال: يجلسه على العرش. وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي.

﴿٨٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِيْ مَدْخَلَ صِدْقِيْ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقِيْ﴾ المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه.

فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق» المدينة، «وأخرجني مخرج صدق» من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق» من مكة آمنًا من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق» مكة ظاهراً عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق [الجنة]، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها، مخرج صدق.

وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة، وأخرجني

مخرج صدق من مكة. وقيل: أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي. وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإن ذا الوجهين لا يكون آمنًا ووجهًا عند الله.

ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿أَنْ لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢٦]. ﴿وَأَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾، قال مجاهد: حجة بيّنة. وقال الحسن: ملكاً قوياً تنصرني به على من ناوأني وعزاً ظاهراً أقيم به دينك، فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له. قال قتادة: علم نبي الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان نصير، فسأل سلطاناً نصيراً: كتاب الله، وحدوده، وإقامة دينه.

﴿٨١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَلَّةَ الْاَلْحٰقِ﴾، يعني القرآن، ﴿وَرَهَقَ الْاَبْطٰلُ﴾، أي [ذهب] الشيطان، قاله قتادة، وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿إِنَّ الْاَبْطٰلَ كَانْ زُهُوْةً﴾ ذاهباً، يقال: زهقت نفسه أي خرجت.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة بن الفضل، ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد».

﴿٨٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: ﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض، ومعناه: ونزل من القرآن ما كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف، ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، هو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

﴿٨٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَقَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَقْرَبَهُ﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿وَنَنَا بِحَيْرِيَّةٍ﴾، أي تباعد منا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «وناء» مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿وَإِذَا

سَأَلَ الشُّرُكُ، الشدة والضرر، ﴿كَانَ يُؤَسِّرُ﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يشس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة، وإن تأخرت فبدع الدعاء.

﴿٨٤﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدْ كُفِّلَ بِعَبْدٍ عَلَى شَاكِلِيهِ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته. قال الحسن وقتادة: على نيته. وقال مقاتل: على خليقته. قال الفراء على طريقته التي جبل عليها. وقال القتيبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل: كل امرئ يشبهه فعله. ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾، أوضح طريقاً.

﴿٨٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَسَيُؤْتِيكَمُ الْوَيْسُ﴾، الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قيس بن حفص، ثنا عبدالواحد يعني ابن زياد، ثنا الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله [بن مسعود] قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة، وهو يشوكاً على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا

يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسأله، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، ففقت، فلما انجلى عنه الوحي وقال: ﴿وَسَيُؤْتِيكَمُ الْوَيْسُ﴾، وفي رواية «وما أوتوا من العلم إلا قليلاً». قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه [وأخبروهم بخبره وما ادعاه وانظروا ما يقولون في أمره] فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول، ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها وما خبره؟ وعن الروح؟، فسألوه، فقال النبي ﷺ: «أخبركم بما سألتهم غداً» ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي، قال مجاهد: اثني عشرة ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً. وقال عكرمة: أربعين يوماً - وأهل مكة - يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نخبرنا بشيء، حتى حزن النبي ﷺ من مكث

الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، ونزل في الفتية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَالِنَا عَجَبًا﴾، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ ذِي الْقَرْعَيْنِ﴾، ونزل في الروح ﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فزوي عن ابن عباس: أنه جبريل عليه السلام، وهو قول الحسن وقتادة، وزوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صور بني آدم، لهم أيد وأرجل ورؤوس، وليسوا بملائكة، ولا ناس، يأكلون الطعام، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السموات من نوره. وقيل: الروح هو القرآن. وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته،

ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى، وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الإنسان، وهو الأصح. وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم، ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم؟ وقال قوم: هو نفس الحيوان، بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف. وقال بعضهم: الروح معنى

اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فإذا خرج ذهب الكل، وأولى الأفاويل: أن يوكل علمه إلى الله عز وجل، وهو قول أهل السنة. قال عبدالله بن بريدة: إن الله لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا. وقوله عز وجل: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قيل: من علم ربي، ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ ءَلَمٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: في جنب علم الله قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ. وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير. وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح، ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان علماً لتبوته. والأول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه.

الْأَرْحَمَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَكَ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٦﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ قُوَّةٌ لَبَدَّلُوا بِهِ لَاحِدَةً تُبْهِمُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَ النَّاسَ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا أَعْلَمُ ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنزِلَ الْآيَاتِ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا أَوْ تَكُونَ لَكَ جُنَّةٌ مِنْ عِطْرٍ مِنْ عِطْرِ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا مَّا تَأْتِي مِنَ الْبُحْرِ أَوْ تُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنَظَّرَ الْجَنِّ عَلَيْهِ أَتَأْتِي بِالسَّمَاءِ كَمَا تَأْتِي بِالسَّاعِدِ وَالْمُتَكَبِّرِ قَبِيلًا ﴿٨٩﴾ أَوْ يُكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَفِي فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُيُوتِكَ حَتَّى تَنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُكُمْ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ كُلِّ لَيْلَةٍ أَلَا بِشِرَارِ النَّاسِ بُدِّلَ مَا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ وَأَلَا بِكِبَرِ الْعِلْمِ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ فَإِنَّمَا يَدَايَ مَبْسُوتَتَانِ وَمَا أَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ إِنَّمَا هِيَ إِلَهٌ أَحَدٌ أَلَا قَالُوا أَهِيَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ بَشَرٌ أَرْسَلَهُ ﴿٩٠﴾ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ مَا تُشْرِكُونَ لَكُنْتُ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٩١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٣﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٤﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٦﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٧﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٨﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿٩٩﴾ قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّكَ إِلَهًا ﴿١٠٠﴾

﴿٨٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنَزِّلَ الْآيَاتِ مِنَ السَّمَاءِ﴾، يعني القرآن، معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهب بالذي أوحينا إليك يعني التفسير، ﴿فَمَنْ لَا يَحْدُكَ لَكَ بِهِ عِلْمًا﴾، أي: من يتوكل برد القرآن إليك.

﴿٨٧﴾ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك. ﴿إِنَّ فَضْلَكَ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قيل: المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. وقال عبدالله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يسرى عليه ليلاً

فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون [منه] شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب مَالِكٌ وهو أعلم؟ فيقول: يا رب أَتُلَى ولا يعمل بي.

﴿قوله جلّ وعلا: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، لا يقدرون على ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِيَعْنِ ظُهُورُهُ﴾، عوناً ومظاهراً، نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فَالْيَاقُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا﴾، جحوداً.

﴿﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾، لن نصدقك، ﴿حَتَّى تَقْبُرَ نَا مِنْ الْأَرْضِ يَنبُوءُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب «تفجر» بفتح التاء وضم الجيم مخففاً، لأن النبوع واحد، وقرأ الباقر بالتشديد من التفجير، واتفقوا على تشديد قوله: ﴿فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾، لأن الأنهار جمع، والتشديد يدل على التكثير، ولقوله: «تفجيراً من بعد».

وروي عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبهياً ومنبهياً ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصّموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جثته فيما بينك وبيننا، فإن كنت جثت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف سؤدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك رقي تراه حتى قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، وكانوا يسمون التابع من الجن: الرثي، فقال

رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جثتكم بما جثتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فيبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن قبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» فقالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا ببلاداً ولا أشد منا عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عتاً تقول أحق هو أم باطل، فإن صدقك صدقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت، فقد بلغتكم ما أرسلت به، فإن قبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه [عليّ] أصبر لأمر الله»، قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك، واسأله أن يجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتسمه، فقال: «ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً»، قالوا: فأسقط السماء كما زعمت، إن ربك لو شاء فعل، فقال: «ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم

[٩١] «كسفا» بالفتح،

حفص، وفي الروم [٤٨]

ساكنة أبو جعفر، وابن

عامر. ﴿أَوْ تَأْتِي يَأْتِي﴾

وَالْمَلَكَةُ قَيْلًا، قال ابن

عباس: كفيلاً، أي

يكفلون بما تقول. وقال

الضحاك: ضامناً. وقال

مجاهد: هو جمع القبيلة

أي: بأصناف الملائكة

قبيلة قبيلة. وقال قتادة:

عياناً، أي: تراهم القابلة

أي معانية. وقال الفراء:

هو من قول العرب لقيت

فلاناً قبلاً، وقبيلاً أي:

معانية.

﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتِّ مِنْ

تُحَرِّي﴾ أي: من ذهب، وأصله

الزينة، ﴿أَوْ تَرَقَّى﴾، تصعد، ﴿فِي

السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبدالله بن أبي

أمية، ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ رُبِّيكَ﴾،

لصعودك، ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا

نَقْرُؤُكَ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ

سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن

عامر «قال» يعني محمداً، وقرأ

الآخرون على الأمر، أي: قل يا

محمد، ﴿مَنْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾،

أمره بتزييه وتمجيده، على معنى أنه

لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل،

ولكن الله لا ينزل الآيات على ما

يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس

ما سألتهم في طوق البشر.

واعلم أن الله تعالى قد أعطى

النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما

يغني عن هذا كله، مثل القرآن

وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين

فعله، وقال قائل منهم: لن نؤمن

لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلاً،

فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ

وقام معه عبدالله بن أبي أمية، وهو

ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب،

فقال: يا محمد عرض عليك قومك

ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم، ثم

سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها

منزلتك من الله تعالى فلم تفعل، ثم

سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من

العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أؤمن

لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً

ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي

بنسخة منشورة معك ونفر من

الملائكة يشهدون لك بما تقول،

وأيمن الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا

أصدقك، فانصرف رسول الله ﷺ

إلى أهله حزناً لما رأى من

مباعدتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا

لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ

الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة ﴿يَنْبُوءًا﴾

أي: عيوناً.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، بستان

﴿مِنْ جَنَّةِ يَصْغُرُ فَتَجْرُ الْأَنْهَارُ

خِلَالَهَا تَجْرِي﴾، تشقيفاً.

﴿أَوْ تُسَوِّطَ السَّمَاءَ كَمَا

رَبَعْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾، قرأ نافع وابن

عامر وعاصم بفتح السين، أي:

قطعاً وهي جمع «كسفة»، وهي

القطعة والجانب، مثل كسرة وكسر،

وقرأ الآخرون بسكون السين على

التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف،

أي: تسقطها طبقاً واحداً. وقيل:

أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً

القطع، وهي جمع التكسير مثل

سدره وسدر في الشعراء [٨٧] وسبأ

سورة الإسراء

سورة الإسراء

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩١﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُهم بَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرُفَاتًا أَوَلَا الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمِينَ إِذَا كُفِّرُوا
 قُلُوبُهُمْ لَا يَسْمَعُونَ خَيْرًا لِيَنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَشِيَةً
 لِلْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَفُورًا ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ مَالَ لَنَا مِثْلُ نَسِجٍ
 مَا يَكُنْ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ إِلَّا نَذَاهُمْ فَمَا نَعْلَمُ لِمَ كُفِّرُوا
 بَعْدَ مَا نَزَّلَ الْإِنْفَاقَ يَسْأَلُونَكَ عَنْهُمْ قُلْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ مَا نَزَّلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصِيرٌ وَإِنِّي لِأَظُنُّكُمْ
 بِبَعْضِ عَوْنِ مَنْشُورٍ ﴿٩٤﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَعْرَضَهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ جَمَاعٌ ﴿٩٥﴾ وَقُلْنَا مَنْ يَعْبُدُ رَبِّي بِإِذْنِ رَبِّكَ
 أَتَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِنَّا لَهُ عَدَا الْأَخِرِ وَجَنَّا بَكْرًا لِفَيْفَا ﴿٩٦﴾

[٩٦]

الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم
 كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب
 الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم
 سؤالهم.

﴿٩١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ الْقَاسِ
 أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾،
 جهلاً منهم، ﴿بِمَتَّ اللَّهُ بِشَرِّ رَسُولًا﴾،
 أراد: أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن
 لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا
 ملكاً فأجابهم الله تعالى:

﴿٩٢﴾ ﴿قُلْ أَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
 مَلَكٌ يَشْهَدُ يَشْهَدُ مُطْمَئِنَّةً﴾،
 مستوطنين مقيمين، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ
 السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾، من جنسهم،
 لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى
 غير الجنس.

﴿٩٣﴾ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ﴾، أي رسول الله إليكم،
 ﴿إِنَّهُ كَانَ بِمَا دُونَ خَيْرًا بَصِيرًا﴾.
 ﴿٩٤﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ

﴿٩٥﴾ ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ

وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَّةَ يَنْ دُونَهُ، يَهْدُونَهُمْ، وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا الحسين بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي، أنبأنا أبو بكر بن الهيثم، ثنا جعفر بن محمد الصائغ، ثنا حسين بن محمد، ثنا سفيان عن قتادة عن أنس [بن مالك] أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على وجهه».

وجاء في الحديث: «إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»، «عَمِيَا وَنَكَمًا وَسُنَامًا»، فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: «رَزَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ» [الكهف: ٥٣]، وقال: «دَعَا مُنَالِكُ ثُبُورًا» [الفرقان: ١٣] وقال: «يَعْمَوْنَ مَا تَقَطَّطَ وَفِيهَا» [الفرقان: ١٢]، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر، قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم. وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يساقون إلى الموقف يقال لهم: «أَنْشُرُوا فِيهَا وَلَا تَكَلُمُوا» [المؤمنون: ١٠٨] فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً

وصماً، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. «وَأُولَئِكَ جَهَنَّمُ كُنَّا خَبَتُ»، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن ليهيها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدوء من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: «لَا يَغْنَرُ عَنْهُمْ» [الزخرف: ٧٥]، وقيل: [كلما خبت] أي أرادت أن تخبو، «رَزَنَهُمْ سَعِيرًا»، أي: وقوداً، وقيل: المراد من قوله «كُنَّا خَبَتُ» أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه، وزيد في تسعير النار لتحرقهم [وتؤلمهم].

﴿٩٨﴾ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى «ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَعْنَا أَوَانًا لِّمَبْعُوثٍ خَلْقًا جَدِيدًا» فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿٩٩﴾ فقال: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»، في عظمتها وشدها، «قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ يَغْلِبَهُمْ»، في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله تعالى: «لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» [غافر: ٧٥]. «وَجَعَلَ لَهُمْ أَلْبَابًا»، وقتاً لعذابهم، «لَا رَيْبَ فِيهِ»، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، «فَأَنَّى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا»، أي: جحوداً وعناداً.

﴿١٠٠﴾ «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، «إِذَا لَأْسَكُمْ»، لبعثتم وحبستم، «خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ»، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاق، يقال: أنفق الرجل أي

أملق وزهد ماله ونفق الشيء، إذا ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، «وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَفُورًا»، بخيلاً: مسكاً عن الإنفاق.

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَسِيعَ مَائِدَتِهِ يَبْيَتُ»، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع.

قال ابن عباس والضحاك: هي العصا، واليد البيضاء، والعقدة التي كانت بلسانه فحلها، وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وقال عكرمة وقاتدة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي: الطمس، والبحر بدل السنين، ونقص من الثمرات، وقال: فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجريين، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً.

وقال بعضهم: هن آيات الكتاب. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد الشافعي، أنا هارون بن محمد بن هارون العطار، أنبأنا يوسف بن عبدالله بن ماهان، ثنا [أبو] الوليد الطيالسي، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن مسلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل نبي فإنه لو سمع

﴿وَرَزَّلْنَا نَزِيلًا﴾ [أي رتلناه ترتيلاً].

﴿قُلْ مَا يَشَاءُ يَوْمَ أَوْ لَا تَأْتِيَنَّ﴾،

هذا على طريق الوعيد والتهديد،

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوذُوا أَلَمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قيل:

هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين

كانوا يطلبون الدين قبل مبعث

رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه،

مثل زيد بن عمر بن نفيل، وسلمان

الفارسي، وأبي ذر وغيرهم. ﴿إِنَّا

يُسَبِّحُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني القرآن ﴿يُحْزَنُونَ

لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان،

قال ابن عباس: أراد بها الوجوه،

﴿سُجَّدًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا

وَاقِعًا﴾.

﴿وَيُحْزَنُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ﴾،

أي: يقعون على الوجوه فيكون،

والبكاء مستحب عند قراءة القرآن،

﴿وَيُزِيدُهُمْ﴾، نزول القرآن،

﴿خُشُوعًا﴾، خضوعاً لربهم، نظيره

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُنْزِلُ الْكِتَابَ عَلَيْكَ آيَاتٍ الَّتِي تَرَى

خَرُوجًا مُجَازٍ وَكِتَابًا﴾ [مريم: ٥٨].

أخبرنا أحمد بن عبد الله

الصالح، أنا أبو عمرو بن بكر بن

محمد المزني، ثنا أبو بكر

محمد بن عبد الله الجنيدي، ثنا

الحسن بن الفضل البجلي، أنا

عاصم بن علي بن عاصم، ثنا

المسعودي، هو عبد الرحمن بن

عبد الله، عن محمد بن عبد الرحمن

مولي آل طلحة، عن عيسى بن

طلحة عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله ﷺ: «لا يلج النار من

بكى من خشية الله حتى يعود اللبن

في الضرع، ولا يجتمع غبار في

سبيل الله ودخان جهنم في منخري

مسلم أبداً.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن

هوازن القشيري، أنا أبو القاسم

عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق

المؤذن، أنا [أبو] أحمد بكر بن

محمد بن حمدان، ثنا محمد بن

يونس الكديمي، أنبأنا عبد الله بن

محمد الباهلي، ثنا أبو حبيب القنوي

ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«حرمت النار على ثلاث أعين: عين

بكت من خشية الله، وعين سهرت

في سبيل الله، وعين غضت عن

محارم الله».

﴿قوله جلّ وعلا﴾: ﴿قُلْ أَدْعُوا

الله أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾.

قال ابن عباس: سجد

رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل

يبكي ويقول في سجوده: «يا الله يا

رحمن» فقال أبو جهل: إن محمداً

ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين،

فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعناه أنهما اسمان لواحد، ﴿أَيُّ

مَا تَدْعُونَ﴾، «ما» صلة معناه أي تدعو

من هذين الاسمين ومن جميع

أسمائه، ﴿فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا وَلَا

يُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ مِنْهَا﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي، أنا أحمد بن عبد الله

النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، أنا يعقوب بن

إبراهيم، حدثنا هشيم، ثنا أبو بشر،

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تُخَافُ مِنْهَا﴾ قال: نزلت

ورسول الله ﷺ مخفف بمكة، كان

إذا صلى بأصحابه رفع صوته

بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا

القرآن ومن أنزله ومن جاء به،

فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُجْهَرُ

بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءة تك فيسمع

المشركون فيسبوا القرآن، ولا

تخافت بها عن أصحابك فلا

تسمعهم ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

وبهذا الإسناد عن محمد بن

إسماعيل قال: ثنا مسدد عن هشيم،

عن أبي بشر بإسناده مثله وزاد

﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أسمعهم،

ولا تجهروا حتى يأخذوا عنك القرآن.

وقال قوم: نزلت الآية في

الدعاء، وهو قول عائشة رضي الله

عنها، والنخعي، ومجاهد

ومكحول.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا

أحمد بن عبد الله النعمي، أنا

محمد بن يوسف، ثنا محمد بن

إسماعيل، ثنا طلق بن غنم، ثنا

زائدة عن هشام عن أبيه، عن عائشة

رضي الله عنها [في قوله تعالى]

﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ مِنْهَا﴾،

قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

وقال عبد الله بن شداد: كان

أعراب من بني تميم إذا سلم النبي

ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا ما لا وولداً

فيجهرون بذلك، فأنزل الله هذه

الآية: ﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾.

أي: لا ترفع صوتك بقراءة تك أو

بدعائك ولا تخافت بها، والمخافتة

خفض الصوت والسكوت، ﴿وَأَبْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: بين الجهر

والخفاء.

لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضرك بأيهن بدأت.

سورة الكهف

مكية وهي مائة عشر آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَابَ﴾، أتى الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخص رسوله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿وَلَوْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

﴿٢﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً ﴿تَبَارَكَ﴾ أي مستقيماً. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء: قيماً على الكتب كلها أي: مصداقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً. ولم يكن مختلفاً، على ما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَوَّاهُ عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] أي: غير مخلوق. ﴿يَسْتَوْدِعُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾، أي [لينذر] ببأس شديد، ﴿فَمَنْ لَدُنْهُ﴾، أي من عنده، ﴿وَيُؤَيِّدُ الْتَوَكِّلِينَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ الْقَلِيلِينَ أَنَّ لَهُمْ أَعْمَارًا حَسَنًا﴾، أي الجنة.

سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة أن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده».

أخبرنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفسي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد الأنصاري، أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزاعي الأنصاري، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «إن أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا زهير، ثنا منصور عن هلال بن بشار عن الربيع بن عميلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الخزاعي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمود بن غيلان، ثنا يحيى بن إسحاق، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن أبي رباح الأنصاري، عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك، فقال: إني أسمع من ناجيت، فقال: ارفع قليلاً، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك، فقال: إني أوقظ الؤسنان وأطرد الشيطان، فقال: اخفض قليلاً».

﴿٣﴾ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيًّا مِنَ الدَّلِيلِ﴾، قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به، ﴿وَكَبِيرَةً تَنْكَبِرًا﴾، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصّغاني، ثنا نصر بن حماد أبوالحارث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت

على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة.

وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي، وهو جانبه.

وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

﴿١٢﴾ فقال: ﴿إِذْ أَرَى الْفِتْنَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له «دقيانوس» عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام، وذبح للطواغيت أو قتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي «أفسوس»، فلما نزلها كبر على أهل الإيمان، فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه، وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها، يتبعون أهل الإيمان في أمكانهم فيخرجونهم إلى «دقيانوس»،

والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى.

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة، وهم زينة الأرض. وقيل: أراد به العلماء والصلحاء.

وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: ﴿حَرِّ إِذَا أَفْكَتِ الْأَرْضُ يُخْرِجُهَا وَزَيَّنَّتْ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿يَسْلُومُهُ﴾، لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي أصحح عملاً. وقيل: أيهم

أترك للدنيا.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، ﴿جُرُزًا﴾ يابساً أملس لا ينبت شيئاً يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم. «والكهف»: هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه

مَا لَمْ يَدْرِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا يَلْبَإِهُمْ كَثُرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٨﴾ فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسُكَ عَلَى أَنْ تُخْرِجَهُمْ مِنْهُ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ إِنْآ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِمَنْ يَسْلُومُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٩﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿١٠﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١١﴾ إِذَا أَرَى الْفِتْنَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٢﴾ فَفَتَرْنَا عَنْهُمْ آذَانَهُمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنُ لِمَا لَمْ يَتْرَأْ أَمَدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَقَضَ عَلَيْهِمْ ثِيَابَهُمْ بِأَلْحَىٰ إِنَّهُمْ فِيهِمْ ءَاسْتَوِي رَبَّهُمْ وَوَضَعُوهُمُ هَدًى ﴿١٥﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا ﴿١٦﴾ هَذُلًا قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٧﴾

﴿٢﴾ ﴿مَتَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا﴾، أي: مقيمين فيه.

﴿١﴾ ﴿وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

﴿٥﴾ ﴿مَا لَمْ يَدْرِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا يَلْبَإِهُمْ﴾، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كَثُرَتْ﴾، أي: عظمت، ﴿كَلِمَةً﴾، نصب على التمييز، يقال تقديره: كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف من فانتصب، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: تظهر من أفواههم، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾، ما يقولون، ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسُكَ قَاتِلْ نَفْسَكَ﴾، أي: قاتل نفسك، ﴿عَلَىٰ أَنْ تُخْرِجَهُمْ﴾، من بعدهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾، أي: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾، أي حزناً وقيل غضباً.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِمَنْ﴾، فإن قيل: أي زينة في الحيات

فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة فيعبدهم ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسادهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء.

وكانوا من أشرف الروم، وكانوا ثمانية نفر، بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً إن عبدنا غيره، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك، فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم أدرتهم الشرط فوجدوهم، وهم سجدوا على وجوههم، يكون ويتضرعون إلى الله، فقالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى «دقيانوس»، فقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك، فلما سمع بذلك بعث إليهم، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب. فقال لهم: «ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات أهل مدينتكم؟

فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا، وإما أن أقتلكم، فقال «مكسلمينا» وهو أكبرهم سنناً، إن لنا إلهاً ملا السموات والأرض عظمة، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسال النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك».

وقال أصحاب «مكسلمينا» «لدقيانوس» مثل ما قال «مكسلمينا»، فلما قالوا ذلك أمر فترع عنهم لبوساً كانت عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: «سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنني أراكم شباناً حديثي أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فترعت عنهم».

ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق «دقيانوس» إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم وأن يعذبهم فأتهمروا بينهم أن يأخذ كل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له «بخلوس»، فيمكثون فيه ويعبدون الله، حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذه نفقة فتصدق

منها، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف، فلبثوا فيه. قال كعب الأحبار: مروا بكل فتيعهم فطردهوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب: يا قوم ما تريدون مني؟ لا تخشوا جاني، أنا أحب أحب الله، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس: هربوا ليلاً من دقيانوس، وكانوا سبعة فمروا براح معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعه كلبه، فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد.

قال ابن إسحاق: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والضيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له «تمليخا» فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً وكان من أحملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا.

ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت، ففرغ من ذلك أهل الإيمان، وكان «تمليخا» بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعهم طعام قليل، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة

ففرزوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة.

ثم إن «تمليخا» قال لهم: يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا، وذلك [مع] غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم.

فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعضهم: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي.

فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مرده عصاة قد كنت أجلت لهم أجلاً، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا.

فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم، فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني وتوعدهم بالقتل فقالوا له: أما نحن فلم نعصك، فلم تقتلنا بقوم مرده قد ذهبوا بأموالنا، فأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى «بخلوس».

فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم،

وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا رب فيها. وأن الله يبعث من في القبور، فأمر «دقيانوس» بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم.

وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر «روناس»، اتفهما أن يكتبيا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس، ويجعلتا التابوت في البنيان، وقالوا: «لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ونبأ عليه فبقي «دقيانوس» ما بقي.

ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتية ثمانية مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب، وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها، وقد

قذف الله [في] قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه، فقالوا في أنفسهم: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرأه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك، ثم خرج الآخر فاجتمعوا إلى مكان، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وكل واحد يكتنم صاحبه إيمانه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتى فيخلو بصاحبه ثم يفشي واحد منكم سره إلى صاحبه، ففعلوا فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض: **هَاجُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وفقدهم قومهم فطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم.

فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكتنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان ابن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك.

وقالوا: ليكون لهذا شأن، ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن. وقال وهب بن منبه: جاء حوارى عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها ففيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له ففكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة

فكان يؤاجر نفسه من الحمامي، ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه، وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد.

وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فغيره الحواري، وقال: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه؟ فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى.

فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إلى مقالته حتى دخلا معاً فماتا في الحمام، وأتى الملك فقبل له قتل صاحب الحمام ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه وهرب.

فقال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه، وقالوا: نبئت هنا الليلة ثم تصبح إن شاء الله تعالى، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فأراد رجل منهم الدخول [عليهم] فأرعب فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل منهم: أليس لو قدرته عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعاً [وعطشاً]، ففعل.

قال وهب: فغير زمان بعد زمان، بعدما سدوا عليهم باب الكهف، ثم

إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر لكان حسناً، فلم يزل يعالجه حتى فتحه ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا.

وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له «بيدروس»، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وستين سنة، فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فجعل «بيدروس» يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وأنهم أئمة في الخلق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحوارين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه، وليس مسحاً وجعل تحته زماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرع إلى الله تعالى ويبكي.

ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه. ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويقم نعمته عليه، وأن

يجمع من كان تبدد من المؤمنين.

فالتقى الله في نفس رجل من [أهل] ذلك البلد الذي فيه الكهف، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر غلامين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة وبينان تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحوا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب، فلما فتحوا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف. فجلسوا فرحين، مسفرة وجوههم، طيبة أنفسهم، فسلم بعضهم على بعض، كأنما استيقظوا من ساعته التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم.

ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهنتهم حين رقدوا، وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم، فلما قضوا صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقاتهم: أنبأنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد تخيل لهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك في أنفسكم يسير.

فقال لهم تلميذا: التمستم في المدينة فلم توجدوا، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم، فتذهبون للطواغيت

أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسملينا: يا إخوانه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لتمليخا: انطلق إلى المدينة فتسّمع ما يقال لنا بها، وما الذي يذكر عند دقيانوس، وتلطّف ولا تشعّر بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فالتنا به وزدنا على الطعام الذي جئنا به، فقد أصبحنا جيعاً.

ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتكرّ فيها وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضربت بطابع دقيانوس، فكانت كخفاف الربيع، والربيع أول ما ينتج من ولد الضأن في الربيع، فانطلق تمليخا خارجاً فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً يصد عن الطريق مخافة أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة.

فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان [أمر] الإيمان ظاهراً فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناساً كثيراً مُحدّثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران.

ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري ما هذا؟ أما عيشة أمس، كان المسلمون يخشون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلي نائم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك فرقاً ورأى أنه حيران.

فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عيشة أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الخدّة فاسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، والله ما أعلم مدينة أقرب [من] مدينتنا، فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال اسمها «أفسوس»، فقال في نفسه: لعل بي مسأ أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرٌّ فأهلك ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أيسر بي.

فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلاً منهم، فقال بعني بهذه الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل آخر من أصحابه

فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل. ويتعجبون منها. ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كثرأ خبيثاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم «دقيانوس»، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: افضلوا عليّ قد أخذتم ورقى فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به.

فقالوا له: من أنت يا فتى؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه عتاء فانطلق معنا وأرنا وشاركتنا فيه. نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم قال في نفسه: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، فقالوا: يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت.

فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما وجد ما يخبر إليهم شيئاً، فلما رآوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة صغيرهم وكبيرهم حتى سمع به من فيها، فسألوه ما الخبر؟ فقليل: هذا رجل عنده كنز، وقيل: فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: والله

ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه قط، فجعل تملیخا لا يدري ما يقول لهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم. وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيوان ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديرها اللذين يديران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما «أريوس» واسم الآخر «طنطیوس».

فلما انطلق به إليهما ظن تملیخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار، فجعل يلتفت يمينا وشمالاً وجعل الناس يسخرون منه كما يسخر من المجنون، وجعل تملیخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علي صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وإخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت يا ليتهم ولو أنهم يعلمون يأتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا تواقفاً لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً، وكنا تواقفاً أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يحدث به نفسه تملیخا، فما يخبر أصحابه حين يرجع إليهم، حتى انتهى إلى الزجلين الصالحين أريوس وطنطیوس، فلما

رأى تملیخا أنه لا يذهب به إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء، فأخذ أريوس وطنطیوس الورق فنظروا إليها وعجباً منها ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال تملیخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم.

فقال أحدهما: فمن أنت؟ فقال: تملیخا أما أنا فكنت أرى أنني من أهل هذه المدينة، فقالوا: ومن أبوك ومن يعرفك فيها؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تثبتنا بالحق، فلم يدر تملیخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي يتلفت منكم.

فقال له أحدهما و [قد] نظر إليه نظراً شديداً: أنظن [يا هذا] أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة، وإنما أنت غلام شاب أنظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة وولاء أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإني لأظنني سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته.

فلما قال ذلك قال لهم تملیخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فإني

فعلتم صدقتكم عما عندي، قالوا: سل لا نكتملك شيئاً، قال لهم: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة.

فقال تملیخا: إني إذا لحيان وما يصدقني أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية على دين واحد وهو الإسلام وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فتمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري له طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي بجبل «بخلوس» أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول تملیخا، قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأسليوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تملیخا قد احتسب عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس، فبيتهما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تملیخا فإنه الآن بين يدي

عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام، فقالوا له: إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه.

فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبههم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: إن تملixa لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد، وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة، فدعا باللوح وقد نظر في أسمائهم فإذا هو من أولئك القوم، وذكر أسماء الآخرين فقال تملixa هم أصحابي.

فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تملixa: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم، فإنهم إن راوكم معي أرعيتموهم، فدخل فبشروهم، فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا إليهم مرة ثانية، وذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: صاروا إلى الكهف، يقال: أوى فلان إلى

وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس من إكراههم على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت وإخفاء إيمانهم منه وهروبهم إلى الكهف، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدأ إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لملكك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك، وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله وذهب عنه غمه، فقال: أحمدك الله رب السموات والأرض، وأعبدك، وأصبح لك، تطولت علي ورحمتني فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لأبائي وللعبد الصالح اسطنطينوس الملك.

فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخزوا سجداً على وجوههم، وقام بيدروس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ثم قال الفتية لبيدروس: نستودعك الله إيمانك وخواتيم أعمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شرّ الإنس والجن، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم.

وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم

الجبار ينتظر متى تأتيه، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم تملixa فدخل عليهم وهو يبكي فلما رآوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم، وقصّ عليهم القصة والنبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تملixa أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما: أن مكسلينا، ومخشلينا، وطمليخا، ومرطونس، وكشطونس، وبيرونس، وديموس، ويطيوس، والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من مهلكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتتهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلما قرأوه عجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبحة ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخر أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً

وَأِذْ أَنْعَلْتُمُوهُمْ وَمَا عُبِدُوا إِلَّا اللَّهُ فَأَوَى إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا
﴿١٥﴾ وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوْنَهُمْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يَضِلَّ فَلَنْ يُجَدَّ لَهُ وَلَا تَشْرِيدًا ﴿١٦﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَنْفَاطًا
وَهُمْ رُفُودٌ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُلُّهُمْ
بِنَسِيطِ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٧﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِئَسَاءَ أَوْلِيَائِهِمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَاصْبِرُوا
أَعَدَّكُمْ وَيُوقِظُكُمْ هَذَا يَوْمَ الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِنَا وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَا ﴿١٩﴾

بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وفروا بدینهم إلى الكهف، ﴿١٥﴾ قاصوا، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام، ﴿١٦﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّهُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَنْ تَدْعُونَا مِنْ دُونِهِ إِلَهُهَا، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿١٧﴾ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططًا، قال ابن عباس:

موضع كذا أي: اتخذه منزلاً إلى الكهف، وهو غار في جبل «بخلوس» واسم الكهف «حيرم». ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً. ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وَهَيَّجْنَا لَنَا﴾، يسر لنا، ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: ما نلتصم من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشد أي: مخرجاً من الغار في سلامة.

﴿١٩﴾ فَفَصَّرْنَا عَنْكَ مَا ذَرِينَهُمْ، أي: أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة.

﴿٢٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ، يعني من نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: علم المشاهدة، ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾، أي: الطائفتين، ﴿أَحْسَنُ لِمَا يَسْتَوْا أَمَدًا﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله: ﴿أَحْسَنُ لِمَا يَسْتَوْا﴾ [أي] أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً [أمداً] أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً. نصبه على التفسير.

﴿٢١﴾ فَخَنَ نَفْسُ عَلِيٍّ، نقرأ عليك ﴿تَبَاهُمْ﴾، خبر أصحاب الكهف ﴿وَالْحَيَّ﴾، بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾، شبان، ﴿وَأَسْتَوُا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، إيماناً وبصيرة.

﴿٢٢﴾ وَوَبَّطْنَا، وشددنا، ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، بالصبر والتثيت وقوتناهم

وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعزلوا عبادته، ﴿فَأَوَى إِلَى الْكَهْفِ﴾، فالحجوا إليه، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ﴾، يسر لكم، ﴿وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِزْقًا﴾، أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «مرفقا» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

﴿٢٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوْنَهُمْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ ويعقوب «تَرَوُّهُمْ» بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تَحْمَرُ، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعبد، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: جانب اليمين، ﴿وَإِذَا

جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمَ الْمَدِينَةِ، يعني أهل بلدهم، ﴿أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي﴾، أي: من دون الله، ﴿ءَالِهَةً﴾، يعني الأصنام يعبدونها، ﴿لَوْلَا﴾، أي: هلا، ﴿يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: على عبادتهم، ﴿يَسْلُطُنَ بَيْنَ﴾، بحجة واضحة [تبين وتوضح أن الأصنام تستحق العبادة من دون الله] ﴿فَقَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَّقَ عَلَى اللَّهِ كُذْبًا﴾، وزعم أن له شريكاً أو ولداً.

﴿٢٥﴾ ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذْ أَنْعَلْتُمُوهُمْ﴾، يعني قومهم، ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، قرأ ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله»، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان، يقولون: وإذ اعتزلتموهم

عَرَبَتْ نَفْسَهُمْ، أي: تركهم وتعذر عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، وأصل القرض القطع، ﴿وَهُمْ فِي فُجُورٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرهما وتغير ألوانهم، وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه. وقل بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ﴾، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سُلُوكًا﴾، معينا، ﴿مُرِيدًا﴾.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ بِهِمْ أَيْقَاطُ﴾ أي: منتبهين جمع يقظ، ﴿وَهُمْ رُؤُودُ﴾، نيام، جمع راقد مثل قاعد وقعود، وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحي الأعين ينتفسون ولا يتكلمون، ﴿وَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جنب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل كان يوم عاشوراء يوم قلبهم. وقال أبو هريرة كان لهم في كل سنة

تقلبان، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب. وروي عن ابن جريج: أنه كان أسداً وسمي الأسد كلباً.

فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، فافترسه أسد، والأول أصح، قال ابن عباس: كان كلباً أغر. ويروى عنه أنه: فوق القلطي ودون الكردي، والقلطي كلب صيني. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: كانت شدة صفوته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر. قال ابن عباس: كان اسمه قطمير. وعن علي: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: بنور. وقال السدي: تور. وقال كعب: صهيلة وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام. قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال مجاهد والضحاك: «الوصيد» فناء الكهف.

وقال عطاء: عتبة الباب. وقال السدي: «الوصيد» الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة، كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم، وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ووقد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى ووقد عليها. ﴿لَوْ أَطْلَقَتْ

عَلَيْهِمْ، يا محمد، ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾، خوفاً، قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها. واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام، وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم، وتقلبهم من غير حس ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد، وزوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال ابن عباس رضي الله عنهم: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال ﴿لَوْ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم رعباً فأخرجتهم.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾، أي: كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان، فكَذَلِكَ بعثناهم من النوم التي تشبه الموت، ﴿لَيْسَ لَهَا بَيْنَهُمْ﴾، ليسأل بعضهم بعضاً، واللام فيه لام العاقبة، لأنهم لم يبعثوا للسؤال، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾، وهو رئيسهم مكسملينا، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، في نومكم؟ وذلك

وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُظْهَرُوا عَيْنُهُمْ ۚ أَي: يعلموا ﴿١٥﴾ بِمَكَانِكُمْ، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عاداتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل يضربوكم، ﴿أَوْ يُبَدِّلُوكُمْ فِي مَلْئِكِهِمْ﴾ أي: إلى الكفر، ﴿وَلَنْ تَقْلِبَوهَا إِذَا أَبْكَاهُمْ﴾، إن عدتم إليه. ﴿١٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا﴾ أي: أطلعنا، ﴿عليهم﴾، يقال: عثرت على الشيء: إذا اطلعت عليه، وأعثرت غيري، أي: أطلعته، ﴿لِيُظْهَرُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنِّيهِمْ أَمْرُهُمْ﴾، قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال: المسلمون: بنى عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: بنى عليهم بنياناً لأنهم من أهل نسبنا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح معاً، وقال قوم: للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: تنازعوا في مدة لبشهم. وقيل: في عددهم. ﴿فَقَالُوا أَتُؤْتُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَأَيْتُمْ أُفْتَرُ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ، بيدروس الملك وأصحابه، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

﴿١٧﴾ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد: وكان يعقوبياً -: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، أي: ظناً وحداً من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿وَقُولُوا﴾ يعني: المسلمين، ﴿مَسْجِدًا وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، واختلفوا في الواء في قوله ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾ قيل: تركها وذكرها سواء.

أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، ﴿قَالُوا لَيْفَآ يَوْمًا﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فانتبهوا عشية فقالوا لبثنا يوماً، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ لَكُمْ﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلبنا لما سمع الاختلاف، بينهم قال: دعوا الاختلاف، ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿كَاتَبَتْهُمَا أَهْلُكُم بِرُوحِكُمْ هَذِهِ﴾، يعني تملیخا، قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر «بورقكم» ساكنة الراء والباقون بكسرهما ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس، ﴿فَلْيَنْظُرِ آيَاتُكَ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أحل طعاماً حتى لا يكون من غضب أو سبب حرام، وقيل: أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاماً. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاماً. وقال عكرمة أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاماً. ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾، أي: قوت وطعام تاكلونه، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، ﴿وَلَا يَسْخَرُونَ﴾، ولا يعلمن، ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾، من الناس.

وقيل: هي واو الحكم والتحقيق، كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُ سَبْعَةٌ﴾ ثم حقق هذا القول بقوله: ﴿وَقَامُكُمْ كَتَبَهُمْ﴾ والشام لا يكون إلا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعدّ فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى: ﴿الْمُتَّقِينَ الْكُنُوزَ لِلْمُنَادِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى قوله: ﴿وَالْكَاثِرُونَ عَنِ الشُّكْرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في أزواج النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا لَّكَ مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَيُنْزِلَ عَلَيْكَ غِثًّا وَضَرِبًا تَقْبَلْنَ مِنْهُ وَتَرْجُوْنَ مِنْهُ لَا قَلِيلَ مِنَ النَّاسِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ كَانُوا سَبْعَةً.

وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية. وقرأ: ﴿وَقَامُكُمْ كَتَبَهُمْ﴾ أي: حافظهم، والصحيح هو الأول. وروي عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا، وتلميخا، ومرطونس، وبيونس، وساريتونس، وذو نوانس، وكشفيطنونس، وهو الراعي، والكلب قطمير. ﴿فَلَا تَمَارَ فِيهِمْ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿إِلَّا مَرَّةً ظَهَرَ﴾، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول حبك ما قصصنا عليك فلا ترد عليه وقف عنده، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿أَحَدًا﴾

أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِيَّيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ * ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غدا شيئا فلا تقل أفعل غدا، حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية. ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنى، وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدي، ثنا أبو العباس السراج، ثنا قتيبة، ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها».

﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾، أي: يشبثني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئا، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من

ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل، حيث آتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحججة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله: «إن شاء الله» إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان إن شاء الله فتوته من ذلك أن يقول: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً.

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلْيُؤْأَفِي كَهْفِهِمْ﴾، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خيرا من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُؤْأَفِي﴾ وجه، وهذا قول قتادة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم» ثم رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُؤْأَفِي﴾ وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح، وأما قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُؤْأَفِي﴾ فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبهم، وقل: الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله عليهم وقال: ﴿قُلِ

وَأَصْبَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعُدْوَانِ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَهْدِ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٦﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُضِلَّ مَنْ
شَاءَ فَلْيَهْدِ إِنَّا أَغْنَيْنَاكَ لِلْعَالَمِينَ فَإِنَّا نَحْنُ مُرَادُهَا
وَلَنُيَسِّرَنَّهَا وَيُعَسِّرَنَّهَا وَمَنَّا مَصْرُوعًا ﴿٢٧﴾ وَأَنذِرْ
الشُّرَابَ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٨﴾ إِنَّا لَنَنصِفُ أَسْفَهًا ﴿٢٩﴾ وَأَوَّلِيكَ
الضَّلِيلَةَ إِنَّا لَا نَضْمِعُ لَكُم مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أَوَّلِيكَ
لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لَّيَحْمِيَنَّ مِنْ نَّحْمِهِمُ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ
مِّنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُتُورٍ وَلَاسِتُورٍ مُّذَكِّرِينَ
فِيهَا عَالٍ أَلَّا يَأْكُلَ فِيهَا الشُّرَابَ وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَمَّا رَبُّ
لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا وَكَانَ جَنَّاتٍ لِّأَحِبِّهَا جَنَّاتٍ مِنْ أَسْنَبٍ وَحُفَّتْهَا
بِخَلِّ وَحُلَّةٍ لِّبَنَاتٍ رَّزَاةٍ ﴿٣٢﴾ كُنَّا لَهَا ثَمَرًا مَّا أَكَلَهَا لَوْ
تَطَّلَعْتُمْ عَلَيْهَا فَنَرِي فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّارٍ وَكَانَ لَهَا مَرْمَرٌ
لِّصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ مَا لَا وَعَزُّنَا تَقَرُّوا ﴿٣٣﴾

(٢٧)

وَالْعُدْوَانِ، طرفي النهار، يُرِيدُونَ
وَجْهَهُم، أي: يريدون الله، لا
يريدون به عرضاً من الدنيا.

قال قتادة: نزلت في أصحاب
الصفة، وكانوا سبعمئة رجل فقراء
في مسجد رسول الله ﷺ، لا
يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا
ضرع، ويصلون صلاة وينتظرون
أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال
النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في
أمتي من أمرت أن أصبر نفسي
معهم».

﴿وَلَا تَقْدُ﴾ أي: لا تصرف ولا
تتجاوز، ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، إلى
غيرهم، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾،
أي: تطلب مجالسة الأغنياء
والأشراف وصحبة أهل الدنيا، ﴿وَلَا
تَطْعَمْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، أي
جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني:
عبيدة بن حصن. وقيل: أمية بن

يشرك الله في حكمه
أحداً. وقيل: «الحكم»
هنا علم الغيب، أي لا
يشرك في علم غيبه أحداً.

﴿٢٧﴾ قوله عز وجل:
﴿وَأَنذِرْ﴾ أي: واقرا يا
محمد، ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ
كِتَابٍ رَبِّكَ﴾، يعني
القرآن، واتبع ما فيه، ﴿لَا
مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال
الكلبي: لا مغير للقرآن.
وقيل: لا مغير لما أوعد
بكلماته أهل معاصيه،
﴿وَلَنْ يَّعْدَّ﴾، أنت، ﴿وَمِنْ
دُونِهِ﴾، إن لم تتبع
القرآن، ﴿مُلْكًا﴾، قال

ابن عباس رضي الله عنهما: حرزاً.
وقال الحسن: مدخلا. وقال
مجاهد: ملجأ. وقيل: مغديلاً.
وقيل: مهرباً. وأصله من الميل.
﴿٢٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ﴾ الآية.

نزلت في عبيدة بن حصن
الفزاري، أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم
وعنده جماعة من الفقراء، فيهم
سلمان وعليه شملة قد عرق فيها،
وبيده خوصة يشققها ثم ينسجها،
فقال عبيدة للنبي ﷺ: أما يؤذيك
ريح هؤلاء ونحن سادات مضر
وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس،
وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء
فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل
لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله
عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

أي: واحبس يا محمد نفسك،
﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ

اللَّهُ أَفْلَمْ يَكُنْ لَكُمْ﴾ يعني بعد قبض
أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه
إلا الله. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ
سِنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي
«ثلاثمائة» بلا تنوين، وقرأ الآخرون
بالتنوين، فإن قيل: لم قال ثلاثمائة
سنين ولم يقل سنة؟ قيل: نزل قوله:
﴿وَلْيُشَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾،
فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟
فنزلت ﴿سِنِينَ﴾، قال الفراء: ومن
العرب من يضع سنين في موضع
سنة. وقيل: معناه وليشوا في كهفهم
سنين ثلاثمائة. ﴿وَأَزَادُوا تِسْعًا﴾، قال
الكلبي: قالت نصارى نجران أما
ثلاثمائة فقد عرفنا، وأما التسع فلا
علم لنا بها فنزلت.

﴿٣٣﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ أَفْلَمْ يَكُنْ لَكُمْ﴾
وروي عن علي أنه قال: عند أهل
الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية،
والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية
والتفاوت بين الشمسية والقمرية في
كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في
الثلاثمائة تسع سنين، فلذلك قال:
﴿وَأَزَادُوا تِسْعًا﴾. ﴿لَمْ يَغِبْ عَنْ سَمَوَاتِكُمْ
وَالْأَرْضِ﴾، فالغيب ما يغيب عن
إدراكك، والله عز وجل لا يغيب عن
إدراكه شيء. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَاتَّبِعْ
أَي: ما أبصر الله بكل موجود
واسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب
عن سمعه ويصره شيء، ﴿مَّا لَمْ
أَي: ما لأهل السموات والأرض،
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي من دون الله، ﴿وَمِنْ
وَلِيِّ نَاصِرٍ﴾، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب:
«ولا تشرك» بالتاء على المخاطبة
والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي: لا

خلف، ﴿وَأَنْتَعِ هَوَاهُ﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وَكَاثَ أَمْرُهُ قُرْطَا﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع عمره وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد. وقيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس، وهذا إفراط عظيم.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أي ما ذكرناه من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، ليس إلي من ذلك شيء. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقيل معنى الآية. وقيل الحق من ربكم، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، أعدنا وهيئنا، من الإعداد، وهو العدة، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، «السرادق»

الحجرة التي تطيف بالفساطيط.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة».

قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخطيرة. وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَجَرٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]. ﴿وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا﴾، من شدة العطش، ﴿يَعَاثُوا يَمَاءً كَأَمْهَلٍ﴾.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد، ثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «﴿يَمَاءً كَأَمْهَلٍ﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه».

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ

مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو القيق والد.

وسئل ابن مسعود عن المهمل فعدا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهمل، ﴿يَشْوِي الْوُجُوهُ﴾، ينضج الوجوه من حره، ﴿يَسْكَ الشَّرَابَ وَسَاءَتْ﴾ النار، ﴿مَرْفَقًا﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء: مقراً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل «المرفق» المتكأ.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ جَزَاءً﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

﴿قَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ جَزَاءً﴾﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به، سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها، ﴿يَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلِّفُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، قال سعيد بن جبيرة: يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور، واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ وياقوت، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ﴾، وهو مازق من الديباج، ﴿وَيَسْتَبْرَقُونَ﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج

بالذهب، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾، في الجنان، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر في الحجال، واحدها أريكة، ﴿يَقْمُ الْقَوَائِبُ﴾، أي يَغْمُ الجزاء، ﴿وَحَسَنَتْ﴾، الجنان ﴿مُتَرَفِّقًا﴾ أي: مجلساً ومقرأً.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ الآية، قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عبد ياليل، وكان زوج أم سلمة قبل النسبي ﷺ والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل. وقيل: هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وأصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: تمليخا، والآخر كافر واسمه قطروس، وقال وهب: قطفير، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات [٥٠ - ٥١].

وكانت قصتهما على ما حكى عبدالله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكين، لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسمهما، فعمد أحدهما فاشتري أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشتري أرضاً بألف دينار، فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال

هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بذلك. ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار. فتصدق بألف دينار، ثم اشتري صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ فقال: أصابني حاجة بعدك فأتيتك لتصينني بخير، فقال: ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقص عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده فقصي لهما أن توفيا، فنزل فيهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمَ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالَ قَائِلٌ لِّیْهِمَا إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعله يطوف به ويريه أموال نفسه، فنزل فيهما: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا جَنَّتِينَ﴾، بستانين، ﴿مِنْ أَغْنَىٰ وَحَفَّتَا بَيْنَ﴾، أي: أطفئهما من جوانبهما بنخل، والحفاف: الجنب، وجمعه أحفة، يقال: حف به القوم، أي طافوا بجوانبه، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رِجَالًا﴾، أي: جعلنا حول

الأغصان النخيل ووسط الأغصان الزرع. وقيل: «بينهما» أي بين الجنتين زرعاً، يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب. ﴿كُنَّا لِمَنْتَيْنِ مَائَتٍ﴾، أي: أعطت كل واحدة من الجنتين، ﴿أَكْلَهُمَا﴾، ثمزها تاماً، ﴿وَلَوْ تَطَّلَرُ﴾، لم تنقص، ﴿وَنُتِ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾، قرأ الحامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خَلَّاهُمَا نَهْرًا﴾ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

﴿وَكَانَ لَهُ﴾، لصاحب البستان، ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب: ثَمَرٌ بفتح التاء والميم، وكذلك «بشمره»، وقرأ أبو عمرو: بضم التاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمن قرأ بالفتح فهو جمع ثمرة، وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهري: الثمرة تجمع على ثمر، ويجمع الثمر على ثمار، ثم تجمع الثمار على ثمر. ﴿فَقَالَ﴾، يعني صاحب البستان، ﴿لِصَّاحِبِهِ﴾، المؤمن، ﴿وَوُفَّوْا بِمَا وَدَّعْتُمْ﴾، يخاطبه وينجابه، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعني

وَوَلَدًا. و«أنا» عماد، ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني أقل منك مالا وولداً فتكبرت وتعاطمت علي.

﴿٢٦﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي، فلعل ربي، «أَنْ يُؤَيِّنِي»، يعطيني في الآخرة، «خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَرَسُولٍ عَلَيْهَا»، أي على جنتك، «حَسْبَانَا»، قال قتادة: عذاباً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ناراً. وقال القتيبي: مراقي. «مِنْ السَّمَاءِ»، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدها «حسيانة»، «فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا»، أي أرضاً جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملاً هائلاً.

﴿٢٧﴾ «أَوْ يُصِصَ مَآثِرًا غَوْرًا»، أي: غائراً منقطعاً ذاهباً لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، و«الغور» مصدرٌ وُضع مروض الاسم، مثل زور وعدل، «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبْنَا»، يعني: إن طلبته لم تجده.

﴿٢٨﴾ «وَأُحِيطَ بِشَرِيهِ»، أي: أحاط العذاب بشمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها، «فَأَصْبَحَ»، صاحبها الكافر، «يَقْبَلُ كَفْيًا»، أي يصفق بيديه الواحدة على الأخرى، ويقلب كفيه ظهراً لبطن، تأسفاً وتلهفاً، «عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ»، أي ساقطة، «عَلَىٰ عُرُوشِهَا»، سقوفها، «وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي لَعْنًا».

﴿٢٩﴾ قال الله تعالى: «وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً»، جماعة، «بِعَصْرُوتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، يمنعونه من عذاب الله، «وَمَا كَانَ مُنْصِرًا»، ممتنعاً منتقماً أي لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا

خيراً منها، فإنه لم يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

﴿٣٠﴾ «قَالَ لَمْ صَاحِبُهُ»، المسلم، «وَهُوَ بِحَاوِيَةٍ» أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوك سوك ربك، أي خلق أصلك من تراب، «مِنْ تَرَابٍ»، ثم، «مِنْ تَرَابٍ»، أي خلقك، «مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَبُّكَ»، أي: عدلك بشراً سوياً ذكراً.

﴿٣١﴾ «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي»، قرأ ابن عامر ويعقوب لكنا بالالف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله: «لكن أنا»، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف، لكثرة استعمالها ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى.

﴿٣٢﴾ قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: لكن الله هو ربي، «وَلَا أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا».

﴿٣٣﴾ «وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ»، أي: هلا إذ دخلت جنتك، «قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ»، أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمّر، أي ما شاء الله كان، وقوله: «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله.

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم قال: «إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا

وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَلَمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدِّلَهُ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. قَالَ لَمْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا. فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤَيِّنَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصِصَ مَآثِرًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبْنَا. وَأُحِيطَ بِشَرِيهِ فَأَصْبَحَ يَقْبَلُ كَفْيًا عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يُصْرَفُ عَنْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا. هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ لَِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلًا لِّلْمُتَوَدِّينَ الَّذِينَ كَانُوا أَزْوَاجًا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا. ﴿٣٦﴾

الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أنمارها «وَهُوَ ظَلَمٌ لِنَفْسِهِ»، بكفره، «قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدِّلَهُ هَذِهِ أَبَدًا»، قال أهل المعاني: رافهٌ حُسنها وغرته زهرتها، فتوهم أنها لا تفتنى أبداً، وأنكر البعث.

﴿٣٧﴾ نَقَالَ: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً»، كائنه، «وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا»، وقرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون «منها» أي: من الجنة التي دخلها، «مُنْقَلَبًا» أي: مرجعاً، فإن قيل: كيف قال: «وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي»، وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي - على ما تزعم أنت - يعطيني هنالك

يقدر على رد ما ذهب منه.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي «الولاية» بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالة والنصرة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال القتيبي: يريد أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

وقيل: بالفتح: الربوبية وبالكسر: الإمارة، ﴿الْحَقِّ﴾ برفع القاف: أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي: «هنالك الولاية الحق لله»، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿هُوَ خَيْرُ تَوَابٍ﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يشيب، ﴿وَعَقِبًا﴾، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم «عقبًا» ساكنة القاف، وقرأ الباقون بضمها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُمُ﴾﴾، يا محمد لقومك: ﴿مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَلَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، عن قريب، ﴿هَشِيمًا﴾، يابساً. قاله ابن عباس وقال الضحاك: كسيراً. والهشيم: ما ييس وتفتت من النباتات فأصبح هشيمًا، ﴿تَذَرُوهُ أَكْثَبَ﴾، قال ابن عباس: تشيره الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي تنسفه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾، قادراً.

﴿الْمَالِ وَالنَّوْنِ﴾، التي يفتخر بها عبته وأصحابه الأغنياء، ﴿زِينَةً الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿وَالْبَقِيَّةُ الْآخِرَةُ﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقد روينا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنبأنا أبو جعفر محمد بن

سورة الكهف

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرًا مِمَّا لَا تُدْرِكُهُ بَارِدَةٌ وَحَرَّتُهُمْ فَمَ تَغَاوَرَتْهُمْ أَهْلًا عَلَى رَيْكَ صَمًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُعْمَرِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَاوِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّرُوكَ أَهْلًا ﴿١٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٢٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَكِزَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَشْيِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُظْلِمِينَ عَصَايَا وَوَجَدُوكَ نَادُوا مَرَكَايَا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا ﴿٢١﴾ وَوَرَاةَ الْغَمْرِ مَوْنِ النَّارِ فَطَنُوا أَهْلَهُمْ مَوَاقِعُهَا وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٢٢﴾

[٢٢]

أحمد بن عبد الجبار، أنبأنا حميد بن زنجويه، ثنا عثمان عن أبي صالح، ثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وقال سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم: «الباقيات الصالحات» هي الصلوات الخمس. ويرى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا﴾، أي جزاء، المراد «وَعَبْرًا مَلَا»، أي ما يأمله الإنسان.

قال: والنساء قالت: قلت يا رسول الله نستحي، قال: «يا عائشة الأمر أشد من ذلك أن يهملهم أن ينظر بعضهم إلى بعض».

﴿٤٨﴾ قوله تعالى: «وَوَضَعَ الْكِتَابَ» يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس، في إيمانهم وشمالهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله تعالى. «فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ»، خائفين، «وَمِمَّا فِيهِ» من الأعمال السيئة، «وَيَقُولُونَ»، إذا رأوها، «يَبُولُنَا»، يا هلاكنا، و«الويل» و«الويل» الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، «مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً»، من ذنوبنا. قال ابن عباس: «الصغيرة» التيسم و«الكبيرة» القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة اللطم واللمس والقبلة، والكبيرة الزنا [ونحوه]. «وَلَا أَصْنَعُهَا»، عدها، قال السدي: كتبها وأثبتها. وقال مقاتل بن حيان: حفظها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي، ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن أبي حازم قال: لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا كُفَّ

وَأَنَّا عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارَ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان، حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ مُحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاءٍ غَرَلًا»، ثم قرأ، «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» [الأنبياء: ١٠٤]، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ» إلى قوله: «الْمَرْيُومَ الْكَافِرَةَ» [المائدة: ١١٧ - ١١٨].

أخبرنا أبو الحسن [محمد بن محمد] السرخسي، أنا [أبو علي] زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس ببغداد، ثنا هارون بن إسحاق الهمذاني، أنبأنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغيره، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عَرَاءَ حِفَاةٍ»، قالت: قلت والنساء؟

﴿٤٧﴾ «يَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «نُسِرُّ» بالتاء وفتح الياء الجبال رفع دليله قوله تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» [التكوير: ٣]، وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، «الجبال» نصب، وتسير الجبال: نقلها من مكان إلى مكان، «وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً»، أي ظاهرة، ليس عليها شجر، ولا جبل، ولا نبات، كما قال: «فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا» لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: ١٠٦ - ١٠٧]، قال عطاء: هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهرة، «وَحَشَرْنَاهُمْ»، جميعاً إلى الموقف والحساب، «فَلَمْ تَقَاوِرْ يَنَّتِهِمْ»، أي فلم نترك منهم، «أَحَدًا».

﴿٤٨﴾ «وَعَرَّضْنَاهُ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا»، أي صفّاً صفّاً، فوجاً فوجاً، لا أتهم صف واحد. وقيل: قياماً، ثم يقال لهم يعني الكفار: «لَقَدْ جَنَحْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ»، يعني أحياء، وقيل: فرادى كما ذكر في سورة الأنعام [٩٢]. وقيل: عراة وقيل: غرلاً. «بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ جَعَلَ لَكَ مَوْعِدًا»، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا معلى بن أسد، ثنا وهيب عن ابن طاوس، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين،

ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود، وجاء هذا بعود، فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاشِرًا﴾، مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿وَلَا يَخْلِكُ زَيْلُكَ أَمَلًا﴾، أي: لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً. وقال الضحاك: لا يؤخذ أحداً بجرم لم يعمله.

وقال عبدالله بن قيس: تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجداً ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذَ بيمينه، وأخذَ بشماله. ورفع بعضهم عن أبي موسى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، يقول واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خُلقوا من نار السموم. وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. ﴿فَفَسَقَ﴾، أي خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، عن طاعة ربه، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾، يعني يا بني آدم ﴿وَوَدَّعَيْنَاهُ أَزْوَاجَ﴾، أي أعداء.

وروي مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك لعرس ما شهدته، ثم ذكرت

قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَزْوَاجًا﴾، فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. وقال قتادة: يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض، فتتعلق البيضة عن جماعة من الشياطين. وقال مجاهد: من ذرية إبليس «لايس» و«ولهان»، وهما صاحب الطهارة والصلاة، و«الهفاف» و«مزة» وبه يكنى، و«زلنبور» وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع، و«ثبر» وهو صاحب المصائب يزين للناس خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، و«الأعور» وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، و«مطوس» وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقبها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً، و«داسم» وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يحتسب موضعه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم، فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان. فاتقوا وسواس الماء».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا

محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن خلف الباهلي، أنبأنا عبدالأعلى عن سعيد الجري، عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً»، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني.

وأخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو كريب محمد بن علاء، أنبأنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش أراه قال: «فيلتزمه».

قوله تعالى: ﴿يَتْلُو لِلظَّالِمِينَ بُدْلًا﴾، قال قتادة: بشئ ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

﴿وَمَا أَشْهَدُكُمْ﴾، مـ أحضرتهم، وقرأ أبو جعفر مـ

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله
النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف،
أنبأنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو
اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أنبأنا
علي بن الحسين، أن الحسين بن
علي أخبره، أن علياً أخبره، أن
رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت
رسول الله ﷺ ليلة فقال: «الآن
تصليان؟» قلت: يا رسول الله إن
أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا
بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين
قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئاً،
ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه
وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ
شُكْرًا﴾ .

﴿٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿وَيَسْتَفْتِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني ستننا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل لإلا طلب أن تأتيتهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنِّي عَذَابٌ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَكَ مِنَ السَّكْوَةِ أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ آخِرٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فِيلًا﴾، قال ابن عباس: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة «قبلاً» بضم القاف والياء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

﴿وَمَا تُرْسِدُ الْمُرْسِلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ ، ومجادلتهم قولهم : **أَبْهَتْ**

مهلكاً، قاله عطاء
والضحاك. وقال ابن
عباس: هو واد في النار.
وقال مجاهد: واد في
جهنم. وقال عكرمة: هو
نهر في النار يسيل ناراً
على حافتيه حيات مثل
البغال الدهم، قال ابن
الأعرابي: كل حاجز بين
شيئين فهو موبق، وأصله
الهلاك يقال: أوبقه أي
أهلكه، قال الفراء:
وجعلنا تواصلهم في الدنيا
مهلكاً لهم في الآخرة،
والبين على هذا القول
التواصل كقوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَقَّطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]
على قراءة من قرأ بالرفع.

﴿وَرَمَا الْمُجِيمُونَ النَّارَ﴾، أي المشركون، ﴿فَقَنَظُوا﴾، أي قننوا، ﴿أَنَّهُمْ مُّوَافِقُوهَا﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، معدلا، لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

٥٦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾
بيننا، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي ليتذكروا ويتعظوا،
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدَلًا﴾،
خصومة في الباطل. قال ابن عباس:
أراد النصر بن الحارث وجداله في
القرآن. قال الكلبي: أراد به أبي بن
خلف الجمحي. وقيل: المراد من
الآية الكفار، لقوله تعالى: ﴿وَيَحْدِثُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الكهف:
٥٦]، وقيل: هي على العموم،
وهذا أصح.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفٍ مِّنْ جَدَلٍ ﴿٥٥﴾ وَمَانَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ۚ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
أَلَّا يُولُوا أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٦﴾ وَمَا نَزَّلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيَهْدِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْخِلُوا بِهِ الْفِتْنَةَ ۚ وَاتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
أَطْعَمَهُمْ دُونَ مَا كَانُوا عَلَىٰهَا يَفْتَرُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَنْ
إِنَّمَا جَعَلُوا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَلَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذَا أَلَمُوا ﴿٥٨﴾ وَذَٰلِكَ
الْعَقُوبُ ۖ ذُو الرِّحْمَةِ لَوْ رَزَأَهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَطَلَهُمْ
الْعَذَابُ ۖ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾
وِذَٰلِكَ الْفُرْقَةُ ۖ أَهْلَكْتُمُ لَنَا ظُلْمًا وَجَعَلْنَا لِهَٰلِكِهِمْ
مَوْعِدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقِسْمِهِ لَا أَتَّبِعُ حُوتَ
أَتَّبِعْ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِ حُقُبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُرَّتَّهُمَا فَاتَّخَذَا سَبِيلَهُمَا فِي الْبَحْرِ مَرًا ﴿٦٢﴾

أشهدناهم» بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنفُسَهُمْ﴾، يقول: ما أشهدتهم خلقاً فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿وَمَا كُنْتُ مُخَذَّ الْمُنَافِقِينَ عَصَا﴾، أي الشياطين الذين يضلون الناس عصداً، أي: أنصاراً وأعواناً.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾
 قَرَأَ حِمْلَةٌ بِالْأَنفَنِ وَالْآخِرُونَ بِالْيَدِ،
 أَيْ: يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
 ﴿تَأْمُرُوا شُرَكَائِيَ﴾، يَعْنِي الْأَوْثَانُ
 ﴿الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾، أَنَّهُمْ شُرَكَائِي،
 ﴿فَقُلْهُمْ﴾، فَاسْتَغْنَوْا بِهِمْ، ﴿فَلَمْ
 يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، أَيْ: لَمْ يَجِيبُوهُمْ
 وَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾،
 يَعْنِي بَيْنَ الْأَوْثَانِ وَعِبَدَتِهَا، وَقِيلَ بَيْنَ
 أَهْلِ الْهُدَى وَأَهْلِ الضَّلَالَةِ، ﴿مَوْبِقًا﴾

اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].
وَلَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
الْقَرَرِيِّ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وما
أشبهه. ﴿يَذْجَبُوا﴾، ليبطلوا، ﴿يَدِ
لَقِيٍّ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد
ليزيلوا به الحق، ﴿وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا
أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، فيه إضمار يعني وما
أنذروا به وهو القرآن، هُزُوًا أي
استهزاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ،
وَعِظَ، ﴿يَايَدَيْ رَبِّي فَأَعْرِضْ عَنْهَا﴾،
تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها،
﴿وَيَسَّى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي ما عمل
من المعاصي من قبل، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَن
يَفْقَهُوهُ﴾، أي: يفهموه يريد لثلا
يفهموه، ﴿وَفِي آفَاتِهِمْ وَقْرًا﴾، أي
صمماً وثقلًا، ﴿وَأَن تَدْعُهُمْ﴾، يا
محمد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾، إلى الدين
[الحق]، ﴿فَلَن يَسْتَدُوا إِذَا أَبَدَا﴾،
وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا
يؤمنون.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾،
ذو النعمة ﴿لَوْ يَرَايَهُمْ﴾، يعاقب
الكفار، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، من الذنوب
﴿لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾، في الدنيا، ﴿بَلْ
لَهُمْ مَّرْءٌ﴾، يعني البعث والحساب،
﴿لَن يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوِيلًا﴾، ملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾،
يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
وغيرهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، كفروا،
﴿وَجَعَلْنَا لِمَلِكِهِمْ مَّرْءًا﴾، أي
أجلاً، قرأ أبو بكر «لمهلكهم» بفتح
الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم
وكسر اللام، وكذلك في النمل [٤٩]

«مهلك» أي وقت هلاكهم، وقرأ
الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي:
لإهلاكهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَنبِئُكَ حَقَّ أَنبِئُكَ
مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ﴾، عامة أهل العلم
قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال
بعضهم: هو موسى بن ميثا من
أولاد يوسف. والاول أصح.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله
النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي،
ثنا سفيان، ثنا عمرو بن دينار،
أخبرني سعيد بن جبيرة، قال: قلت
لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن
موسى صاحب الخضر ليس هو
موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس:
كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن
موسى قام خطيباً في بني إسرائيل،
فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا،
فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه،
فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع
البحرين، هو أعلم منك، قال
موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال:
تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكث
فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم،
فأخذ حوتاً فجعله في مكث ثم انطلق
وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى
إذا أنيا الصخرة وضعا رؤوسهما
فناما، واضطرب الحوت في المكث
فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ
سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله
تعالى عن الحوت جرية الماء فصار

عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي
صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا
بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من
الغد، فلما جاوزا قال موسى لفتاه أتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً،
قال: ولم يجد موسى النصب حتى
جاوز المكان الذي أمره الله به، وقال
له فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى
الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِّئُكَ أَكُوتُ وَمَا أَشْنِيهُ إِلَّا
الْشَّيْطَانُ أَن أَذْكَرُ وَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
عَجَبًا﴾، قال: فكان للحوت سرباً
ولموسى وفتاه عجباً، وقال موسى:
﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ﴾ نطلبه ﴿فَارْتَدَّا عَلَى
ءَانَارِهِمَا فَصَمَّاءَ﴾، قال: رجعا
يقضان آثارهما حتى انتهيا إلى
الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم
عليه موسى، فقال الخضر عليه
السلام وأتى بأرضك السلام، فقال
له: أنا موسى، قال: موسى بني
إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك
لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك
لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني
على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه
أنت، وأنت على علم من علم الله
علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى:
ستجدني إن شاء الله صابراً ولا
أعصي لك أمراً، فقال له الخضر:
فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى
أحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان
على ساحل البحر، فمرت سفينة
فكلموهم أن يخملوهم، فعرفوا
الخضر فحملوهم بغير نول، حتى إذا
ركبا في السفينة لم يضح إلا والخضر
قد قلع لوحاً من ألواح السفينة
بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد
حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم

ففي رواية قيل له: تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكنى.

رجعنا إلى التفسير قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾، يوشع بن نون، ﴿لَا أَنبِئُكُمْ﴾، أي لا أزال أسير ﴿حَقَّقْ أَتْلُغْ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، قال قتادة: بحر فارس وبحر الروم، مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أبي بن كعب: أفريقية. ﴿أَوْ أَمْنِي حَقْبًا﴾، أي دهرًا طويلاً وزماناً، وجمعه أحقاب، والحقب: جمع الحقب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملاً خبزاً وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حي، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكنى وعاشت ودخلت البحر.

فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعني موسى وفاته، ﴿بِمَجْمَعِ بَيْنَهُمَا﴾، أي: بين البحرين ﴿بَيْنَا﴾، تركا، ﴿حُوتَهُمَا﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع [بن نون]، وهو الذي نسيه، وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا، وإنما حملة واحد منهم، ﴿فَأَخَذَ﴾، أي الحوت، ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، أي مسلماً.

وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «انجاب

صُنِجِي قَدْ بَلَّتْ مِنْ لُبِّي عَذْرًا» فأنطلقاً حتى إذا أتيا أهل قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا قَابِرًا أَنْ يُعْرِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَكَامَمُ قَالَ: كان مانلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَخَدَدَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وَدَدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبِرَ

حتى يقص علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين».

وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قام موسى رسول الله فذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إلى الله قيل: بلى عبدنا الخضر، قال: يا رب وأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: رب اجعل لي علماً أعلم بك منه، قال: خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح،

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنِّي نَذَرْتُ لَكُمْ لَيْتَامَيْنِ سَفَرَنَا هَذَا نَضْبًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَبِئْتُ الْحُوتَ وَمَا أَسْمَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَكُمْ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا فَاتَّخَذَتَا مِنْ أَفْجَاءِ الْبَحْرِ مَنَاصِبًا ﴿٦٣﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آمِنًا بَيْنَهُ رَحْمَةٌ مِنْ عِبَادِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مَنْ لَدُنَّا عَلَمًا ﴿٦٤﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُقَالِمَنِي وَمِنَافِيَّتِي رُشْدًا ﴿٦٥﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٦﴾ وَكَيْفَ صَبْرُكَ عَلَى مَا تُحِطُّ بِشَيْءٍ ﴿٦٧﴾ قَالَ سَجْدَةٌ لِلَّهِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعْنِي عَنْ هَوًى حَتَّى أُخْبِرَ لَكَ مِنْهُ وَذَكَرَ ﴿٦٩﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنَارِ قَرْيَةٍ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ لَا تُؤْخَذْنِي بِمَا نَبِئْتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِ عَصَا ﴿٧٢﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا عِلْبًا فُتِنَتْهُمَا قَالَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَفَلَا تَنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٥﴾

فخرقتها لتغرق أهلها؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال لا تؤاخذني بما نبئت ولا ترهقني من أمر عصا، فكانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نفرة فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم [الله] إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده وقتله، فقال له موسى: ﴿أَفَلَا تَنصَرُ رَكْبَةً يَغْثَرُ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا

الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر، قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرة، وقال الكلبي: توضع يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه، فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس. وقد روي أنهما لما انتبيا إلى الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرياً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ [موسى] نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد.

﴿قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَارَا﴾﴾ يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لَقَدْ أَنَا بِذَلِكَ مُرْسِلًا﴾، أي طامناً، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أي تعباً وشدة وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

﴿قَالَ﴾ له فتاه وتذكر ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود، قال معقل بن زياد: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوتَ﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت

قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد. قيل في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرْ﴾، أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقرأ حفص: «أنسانيه»، وفي الفتح [١٠] «فَاتَى اللَّهَ» بضم الهاء. وقيل معناه أنسانيه لثلا أذكره، ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قيل هذا من قول يوشع، يقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكاً فعجبت من ذلك عجباً. وروينا في الخبر: كان للحوت سرياً ولموسى وفته عجباً. وقيل: هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر سرياً، قال له موسى: عجباً، كأنه قال: أعجب عجباً. قال ابن زيد: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه جهراً ثم صار حياً بعدما أكل بعضه.

﴿قَالَ﴾. موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾، أي: نطلب، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْنَا أَهْلَهَا فَمَقَّصُوا﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه يبتغيانه، فوجدوا عبداً من عبادنا، قيل: كان ملكاً من الملائكة، والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ أنه الخضر، واسمه بلياً بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا في الدنيا، والخضر لقب له سمي بذلك لما.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن

محمد بن محمّش الزياتي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتت تحت خضراء».

قال مجاهد: سمي خضراً لأنه إذا صلى اخضر ما حوله.

وروي: أن موسى رأى الخضر مسجى بشوب فسلم عليه فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً.

وفي رواية أخرى لقيه مسجى بشوب مستلقياً على فقه بعض الثوب تحت رأسه ويعضه تحت رجله.

وفي رواية لقيه وهو يصلي. ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر.

﴿قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾﴾، أي نعمة، ﴿مِنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، أي علم الباطن الإلهاماً ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ﴾ يقول جئت لأتبعك وأصحبك، ﴿عَلَّيْ أَنْ تَوَلَّيْنَا مِنْكَ عَلِيمًا وَرُشْدًا﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «رشداً» بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صواباً. وقيل: علماً ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وببني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى:

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِهَذَا فَيَحْتِثُ.

﴿٦٧﴾ **قَالَ**، له الخضر، **إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكراً، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر.

﴿٦٨﴾ فقال له: **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا نَرَى كَثُفًا يَدُهُ خَبْرًا**، أي علماً.

﴿٦٩﴾ **قَالَ** [له] موسى، **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا**، [و] إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر **وَلَا أَصْبِي لَكَ أَمْرًا**، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

﴿٧٠﴾ **قَالَ**، الخضر، **إِنْ أَتَبَعْتَنِي**، فإن صحبتني، ولم يقل: اتبعني، ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطاً فقال، **فَلَا تَتَنَلَّيْنِي**، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون وقرأ الآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، **عَنْ مَنِّي**، أعمله فيما تكره ولا تعترض عليه، **حَقَّقَ أَخُوْتُ لَكَ يَنَّهُ وَذَكَرَ**، حتى ابتدئ لك بذكره فأبين لك شأنه.

﴿٧١﴾ **فَانْطَلَقَا**، يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانهما، فوجدا سفينة فركباها، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكنني أرى وجوه الأنبياء.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «مرت بهم سفينة فكلّمهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما

لججوا البحر أخذ الخضر فأسماً فخرق لوحاً من السفينة» فذلك قوله تعالى: **حَقَّقَ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ**، له موسى، **أَخْرَقَهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا**، قرأ حمزة والكسائي: **لِتُفَرِّقَ** بالياء وفتحها وفتح الراء، **أَهْلَهَا** بالرفع على اللزوم، وقرأ الآخرون **لِتُفَرِّقَ** بالياء ورفعها وكسر الراء **أَهْلَهَا** بالنصب على أن الفعل للخضر، **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** أي منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: أَمِرَ القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي **إِمْرًا** أي عجباً. وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وروي أن موسى لما رأى ذلك [من الخضر] أخذ ثوبه فحشى به الخرق. وروي أن الخضر أخذ قدحاً من زجاج ورفق به خرق السفينة.

﴿٧٢﴾ **قَالَ**، العالم وهو الخضر، **أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**.

﴿٧٣﴾ **قَالَ**، موسى، **لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**، قال ابن عباس: إنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، فكأنه نسي شيئاً آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك، والنسيان: الترك. وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً». **وَلَا تُرَفِّقْنِي**، ولا تفشني، **مِنْ أَمْرِي غَمْرًا**، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقته عسراً، أي كلفته ذلك،

يقول: لا تضيق على أمري، وعاملني باليسر، ولا تعاملني بالعسر.

﴿٧٤﴾ **فَانْطَلَقَا حَقَّقَ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ** وفي القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان، فمرا بغلمان يلعبون، فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضىء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال السدي: كان أحسنهم وجهاً وكان وجهه يتوقد حسناً. وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده. وروي عبد الرزاق هذا الخبر: وأشار بأصابعه الثلاثة الإبهام والسبابة والوسطى، وقلع برأسه. وروي أنه رضخ رأسه بالحجارة. وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله. قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث، وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زكية إلا وهو صبي لم يبلغ، وقال الحسن: كان رجلاً. وقال شعيب الجبائي: كان اسمه حيسور. وقال الكلبي: كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبيه. وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد [الفارسي] أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب ثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقية بن مصقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرھق أبويه طغياناً وكفراً».

﴿قَالَ﴾. موسى، ﴿أَنْتَ تَقْتُلُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: «زاكية» بالالف، وقرأ الآخرون «زكية»، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الزاكية» التي لم تذنّب قط، و«الزكية» التي اذنبت ثم تابت، ﴿يَغِيْرُ نَفْسٍ﴾، أي لم تقتل نفساً بشيء وجب به عليها القتل، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، أي: منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الإمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا «نكراً» وفي سورة الطلاق [٨] بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

﴿قَالَ﴾، يعني الخضر:
﴿أَنْزَلْ أَقْلَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قيل: زاد لك لأنه نقض
العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع
كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر
العهد الذي أنت عليه .

(٧٦) **﴿قَالَ﴾**، موسى، **﴿إِنْ سَأَلْتَهُ**
عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ **﴾** [أي] بعد هذه
المرة، **﴿فَلَا تَصْحَبْنِي﴾**، وفارقني،
وقرأ يعقوب: **﴿فَلَا تَصْحَبْنِي﴾** بغير
ألف من الصحبة. **﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي**

عَدْرًا، قرأ أبو جعفر
ونافع وأبو بكر ﴿مِنْ لَّئِي﴾
خفيفة النون، وقرأ
الآخرون، بتشديدها، قال
ابن عباس: أي قد
أعذرت فيما بيني وبينك.
وقيل: قد حذرتني أنني لا
أستطيع معك صبراً.
وقيل: واتضح لك العذر
في مفارقتي.

أخبرنا إسماعيل بن
عبدالقاهر، أنبأنا
عبدالغافر بن محمد
[الفارسي]، أنبأنا
محمد بن عيسى

الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن
سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا
محمد بن عبد الأعلى القيسي، ثنا
المعتمر بن سليمان، عن أبيه عن
رقية، عن أبي إسحاق، عن
سعيد بن جببر، عن ابن عباس،
عن أبي بن كعب قال: قال
رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا
وعلى موسى»، وكان إذا ذكر أحداً
من الأنبياء بدأ بنفسه، «لولا أنه
عجل لراى العجب، ولكنه أخذته
من صاحبه ذمامة، قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ
عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَيِّرْنيَ قَدْ بَلَّغْتَ
مِنَ لَقْنِي مَثَلًا﴾ فلو صبر لراى
العجب».

قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَفَا حَتَّىٰ إِذَا
أَبَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال ابن عباس:
يعني «أنطاكية». وقال ابن سيرين:
هي «الأيلة» وهي أبعد الأرض من

﴿٦٧﴾ قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ إِثْنَانُ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ إِن
 سَأَلْتُكَ عَنْ نَوْمٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصْبِحْ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا
 ﴿٦٩﴾ فَأَتَاهُمَا فَتَاخًا إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
 أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَعْلَمَهُمَا
 قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِمَا أَجْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ هَذَا لِفِرْعَوْنَ يُتَبَرَّى
 وَيَبْكُ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧١﴾ أَمَّا
 النَّفِثَةُ كَذَبَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ يُبَيِّسَهَا
 وَكَانَ وَرَثَتُهَا مِنْهَا يَأْخُذُ كُلُّ مَفِيئَةٍ عَصَبًا ﴿٧٢﴾ وَأَمَّا الْفُلَّةُ
 فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَفَحِشْنَا عَنْهُمَا فَطَمَعْنَاهُمَا أَنْ يُفَرَّ
 فَأَرَادَا أَنْ يَبِيدُوا لَهُمَا فُجُورًا يَنْتَهِ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا
 ﴿٧٣﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
 أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ
 عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ تَأْوِيلُ مَا تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِمَا صَبْرًا ﴿٧٤﴾ وَتَسْأَلُونَكَ
 عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُوهُمَا عَلَيْهِمُ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٥﴾

السَّمَاءِ. وَقِيلَ: «بَرَقَ». وَعَنْ أَبِي
هَرِيرَةَ: بَلَدٌ بِالْأَنْدَلُسِ. ﴿أَسْتَطَعْنَا
أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾.

قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «حتى إذا أتيا أهل قرية لثامًا فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما». وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف. وروي عن أبي هريرة قال: أطعمتها امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما. فدعا لثانهم ولعنا رجالهم. قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّهَا إِذَا رُيِّدُ أَنْ يُنْفَقَ﴾، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من السقوط، كما تقول

الغرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. «فَأَقَامَهُ»، أي سواه.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ «فقال الخضر بيده فأقامه».

وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار بيده فاستقام. وروي عن ابن عباس: هدمه ثم قعد بينيه. وقال السدي: بل طينا وجعل بيني الحائط. «قَالَ» موسى «لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا»، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «لَنَخَذْتُ» بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون «لَنَخَذْتُ» بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، «أَجْرًا» يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت أننا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا، فلو أخذت على عملك أجرًا.

﴿٧٨﴾ «قَالَ» الخضر، «هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر «بين» تأكيداً. «سَأَيْتُكَ»، أي سوف أخبرك «بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا».

وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني.

﴿٧٩﴾ فقال: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ»، قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر.

وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذ لم يحم ما يملكه بكفايته، «يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» أي يؤاجرون ويكتسبون بها، «فَأَرَدْتُ أَنْ أَمْلِكَهَا»، أجعلها ذات عيب، «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ» أي أمامهم، «مَلِكٌ»، كقوله: «مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ» [إبراهيم: ١٦]، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح، يدل عليه قراءة ابن مسعود «وكان أمامهم ملك» «يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا»، أي كل سفينة صالحة غصباً وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، فخرقها وعيها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب، وكان اسمه الجلندي وكان كافراً. وقال محمد بن إسحاق اسمه «متوله بن جلندي الأزدي». وقال شعيب الجبائي اسمه «هُذُدُ بْنُ بُذُدُ».

وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن «الملك» الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبيها، فإذا جاوزوه أصلحوها فانتفعوا بها. وقيل: سدوها بقارورة. وقيل: بالقار.

﴿٨٠﴾ قوله تعالى: «وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آبَاءُ مُؤْمِنِينَ فَخَبِئْنَا،» أي فعلمنا، وفي قراءة ابن عباس «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا» أي فعلمنا، «وَأَن يَرَوْهُمَا» يغشيهما، وقال الكلبي: يكلفهما، «طَافَيْنَا رَكُورًا»، قال

سعيد بن جبير: خشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعه على دينه.

﴿٨١﴾ «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا» قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد ههنا وفي سورة «التحریم» [٥] والقلم [٣٢]، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، وفرق بعضهم فقال: «التبديل» تغيير الشيء، أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، و«الإبدال» رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، «رَبُّهُمَا خَبِيرًا يَتَذَكَّرُ»، أي صلاحاً وتقوى، «وَأَقْرَبَ رَحْمًا»، قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بضم الحاء والباقون بجزمها، أي: عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقربة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه. وقال الكلبي: أبدلها الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً، فهدى الله على يديه أمة من الأمم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلها الله جارية ولدت سبعين نبياً. وقال ابن جريج: أبدلها بغلام مسلم. قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

﴿٨٢﴾ قوله تعالى: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ»، وكان اسمها أصرم وصريم، «وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا»، اختلفوا في ذلك الكنز.

روي عن أبي الدرداء عن
النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهباً
وفضة».

وقال عكرمة: كان مالاً. وعن
سعيد بن جبير: كان الكنز صحفاً
فيها علم.

وعن ابن عباس: أنه قال: كان
لوحاً من ذهب مكتوباً فيه: «عجباً
لمن أيقن بالموت كيف يفرح! عجباً
لمن أيقن بالحساب كيف يغفل!
عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب!
عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب!
عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها
بأهلها كيف يطمئن إليها! لا إله
إلا الله محمد رسول الله». وفي
الجانب الآخر مكتوب: «أنا الله لا
إله إلا أنا وحدي لا شريك لي
خلقت الخير والشر، فطوبى لمن
خلقته للخير وأجرته على يديه
[وويل لمن خلقته للشر وأجرته على
يديه]».

وهذا قول أكثر المفسرين . وروي ذلك أيضاً مرفوعاً . قال الزجاج : الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال ، ويجوز عند التقيد أن يقال عنده كنز علم ، وهذا اللوح كان جامعاً لهما . ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ، قيل : كان اسمه كاسح وكان من الأتقياء . قال ابن عباس حُفظا بصلاح أبيهما ، وقيل : كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء ، قال محمد بن المنكدر : إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده ، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله ، فما يزالون في حفظ الله ما

دام فيهم . قال سعيد بن المسيب :
 إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في
 صلاتي . قوله عز وجل : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ
 أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ ، أي يبلغا
 ويوعقلا . وقيل : أن يدركا شدتهما
 . وقيل : ثمان عشرة سنة .
 ﴿ وَنَسَخْنَاهَا ﴾ حينئذٍ ﴿ كَتَرْنَاهَا
 رَحْمَةً ﴾ ، نعمة ، ﴿ مِنْ رَبِّكَ وَمَا قُلْتُمْ
 عَنْ أَمْرِئِ ﴾ ، أي باختياري ورأيي ، بل
 فعلته بأمر الله والهامه ، ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ
 مَا لَمْ تَقْطَعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ، أي لم تقطع
 عليه صبرا ، و«استطاع» و«اسطاع»
 بمعنى واحد ، وروي أن موسى لما
 أراد أن يفارقه قال له : أوصني ، قال
 لا تطلب العلم لتحديث به واطلبه
 لتعمل به . واختلفوا في أن الخضر
 حي أم ميت ؟ قيل : إن الخضر
 والياس حيان يلتقيان في كل سنة
 بالموسم .

وقيل: وكان سبب حياته فيما
يحكى أنه شرب من عين الحياة،
وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات
لطلب عين الحياة. وكان الخضر
على مقدمة عسكر ذي القرنين فوق
الخضر على العين فنزل واغتسل
وتوضأ وشرب وصلى شكراً لله عزَّ
وجلَّ، وأخطأ ذو القرنين الطريق
فعاد. وذهب آخرون إلى أنه ميت
لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ رَيْنَ
قِيَّالِ الْخَلْدِ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال النبي ﷺ بعدما صلى
العشاء ليلة: «أرايتكم ليلتكم هذه؟
فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى
ممن هو اليوم حي على ظهر الأرض
أحد».

ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده.

(٨٧) قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، خبراً، واختلفوا في نبوته فقال بعضهم: كان نبياً. وقال أبو الطفيل سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً أم ملكاً؟ فقال: لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله، ناصح الله فناصره الله. وروي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال تسميتم بأسماء الأنبياء فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة. والأكثرون على أنه كان ملكاً عادلاً صالحاً. واختلفوا في سبب تسميته بذِي القرنين، قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقيل: لأنه كان ملك الروم وفارس. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة. وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس. وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان. وقيل: لأنه كان له قرنان توأماه العمامة. وروي أبو الطفيل عن علي أنه قال: سمي ذا القرنين لأنه أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات، فأحياه الله، واختلفوا في اسمه قيل: اسمه «مرزيان بن مرزية اليوناني» عن ولد يونان بن يافث بن نوح. وقيل: اسمه «الإسكندر بن فيلفوس بن ياملوس الرومي».

﴿٨٧﴾ **﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾** أي كفر، **﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾**، أي: نقتله، **﴿ثُمَّ يَرْدُّهُ إِلَى رَبِّهِ﴾**، في الآخرة **﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّكَرًا﴾** أي: منكرأ يعني: بالنار، والنار أنكرو من القتل.

﴿٨٨﴾ **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنِيِّ﴾**، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: «جزاء» منصوباً ممنوناً أي: فله الحسنى «جزاء» نصب على المصدر، وهو مصدر وقع موقع الحال، أي فله الحسنى مجزياً بها وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، فالحسنى الجنة وإضاف الجزاء إليها كما قال: **﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾** [يوسف: ١٠٩]، والدار هي الآخرة.

وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. أي له جزاء الأعمال الصالحة. **﴿وَسَقُولُكُمْ مِنْ أَمْرًا يَسْرًا﴾**، أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسراً أي معروفاً.

﴿٨٩﴾ **﴿ثُمَّ أُنْزِلَتْ سَبَّحًا﴾**، أي سلك طرقاً ومنازل.

﴿٩٠﴾ **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾**، أي موضع طلوعها، **﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبَّحًا﴾**، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يتراءون كالبهائم. وقال الكلبي: هم قوم عراة يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى.

﴿٩١﴾ **﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:**

التاء: قيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الألف فمعناه: أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سبأ أي طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً.

﴿٩١﴾ **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾**، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر «حامية» بالألف غير مهموزة، أي حارة،

وقرأ الآخرون «حمشة» مهموزاً بغير الألف أي ذات حمأة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعباً كيف تجد في التوراة أين تغرب الشمس؟ قال: أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين. وقال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: **﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾** أي عندها عين حمئة أو في رأي العين. **﴿وَوَجَدَهَا قَوْمًا﴾**، أي عند العين أمة، قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب. **﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِيقَيْنِ﴾**، استدل بها من زعم أنه كان نبياً فإن الله تعالى خاطبه، والأصح أنه لم يكن نبياً والمراد منه الإلهام، **﴿إِنَّمَا أَنْ تَعَذَّبَ﴾**، يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، **﴿وَلَمَّا أَنْ تَنَجَّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾**، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيره الله بين الأمرين.

﴿إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَوَهَبْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ **﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾** **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَهَا قَوْمًا فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِيقَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَنَجَّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾** **﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّكَرًا﴾** **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنِيِّ وَسَقُولُكُمْ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾** **﴿ثُمَّ أُنْزِلَتْ سَبَّحًا﴾** **﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾** **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبَّحًا﴾** **﴿كَذَلِكَ وَقَدْ اسَّطْنَا بِمَا لَدَيْكُمْ خَيْرًا﴾** **﴿ثُمَّ أُنْزِلَتْ سَبَّحًا﴾** **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾** **﴿قَالُوا يَدُّ الْفَرِيقَيْنِ إِنَّا أَخْجَجٌ وَمَأْجُجٌ مُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَيْرًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَبَّحًا﴾** **﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقَوْلٍ أَجْمَلَ يُسْرَرًا وَيُبَيِّنُ رَدْمًا﴾** **﴿أَتَاوْنِي زَيْرًا لِيُخْبِرُنِي إِذَا سَأَلْتَهُنَّ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفَخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُوا نَارًا قَالَ مَا أَتَاوْنِي أَفْرَجٌ عَلَيْهِ وَفَطْرًا﴾** **﴿فَمَا اسَّطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسَّطَعُوا لَكُمْ نَقَبًا﴾**

﴿٩١﴾ **﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:** **﴿إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾**، أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخر له السحاب فحملة عليها، ومذله في الأسباب ويسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها. **﴿وَوَهَبْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾** أي: أعطيناها من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، **﴿سَبَبًا﴾**، أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير له في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

﴿٩٠﴾ **﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾**، أي: سلك وسار طريقاً، قرأ أهل الحجاز والبصرة «فاتبع» ثم اتبع» موصولاً مشدداً، وقرأ الآخرون بقطع الألف وجزم

﴿وَكَذَلِكَ﴾، قيل: معناه ما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند مطلع الشمس، ﴿وَقَدْ أَحْطَا بِمَا لَهُمْ حَيْرًا﴾، يعني: بما عنده ومعه من الجند، والعدة، والآلات «خبراً» أي علماً.

﴿١٢٢﴾ - ﴿١٢٣﴾ ﴿مَنْ أَنْعَمَ سَيِّئًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص «السدين» و«سداً» ههنا بفتح السين ووافق حمزة والكسائي في «سداً» وقرأ الباقر بن بضم السين وفي [سورة] يس ﴿سَكَّاءً﴾ بالفتح: حمزة والكسائي وحفص، وقرأ الباقر بالضم، منهم من قال هما لغتان معناهما واحد. وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح، وما كان من صنع الله فهو سُد بالضم. وقاله أبو عمرو. وقيل: «السُد» بالفتح مصدر وبالضم اسم، وهما هنا جيلان، سُد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وَبَدَأَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ يعني: أمام السدين. ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قرأ حمزة والكسائي «يفقهون» بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

﴿١٢٤﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَإِنْ قِيلَ: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون؟ قيل: تكلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: «لا يكادون يفقهون قولاً» قال الذين من دونهم يا ذا

القرنين، ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، قرأهما عاصم مهموزين وذلك في الأنبياء «فتحت يأجوج ومأجوج»، و[قرأ] الآخرون بغير همز في السورتين، وهما لغتان أصلهما من أجيح النار، وهو ضوؤها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وقيل: بالهمز من أجيح النار وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل هارون وماروت، وهم من أولاد يافث بن نوح. قال الضحاک: هم جيل من الترك. قال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت فضرب ذو القرنين السد، فبقيت خارجه، فجميع الترك منهم. وعن قتادة: أنهم اثنان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك، سمو الترك لأنهم تركوا خارجين. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة، ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس في رواية عطاء: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء.

وروي عن حذيفة مرفوعاً: إن يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمئة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم، يسيرون إلى خراب الدنيا. قلت: «هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، شجر بالشام، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء

عشرون ومائة ذراع في السماء، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى، لا يمشون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»، وعن علي أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول. وقال كعب: هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم.

وذكر وهب بن منبه: أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجوز، فلما بلغ كان عبداً صالحاً.

قال الله له: إني باعتك إلى أمم مختلفة السنتم، منهم أمتان بينهما طول الأرض: إحداهما عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والأخرى عند مطلعها، يقال لها منسك، وأمتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هاوليل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فقال ذو القرنين: يا رب بأي قوة أكابرههم؟ وبأي جمع أكابرههم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ قال الله عز وجل: إني سأقولك وأبسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولتك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك الثور والظلمة وأجعلهما من جنودك،

يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك، فانطلق، حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله.

فكأبرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله وعبادته، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فوجد من أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك، ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها ووجد منها جنوداً كفعله في الأمتين، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله [فيما قبلها]، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض.

فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش، لهم أنياب وأضراس كالسباع، يأكلون الحيات والعقارب، وكل ذي روح، خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم، ولا شك أنهم سيملؤون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها، فهل نجعل لك خراجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

ثم قال: أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم

على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع، ولهم هذب من الشعر في أجسادهم ما يواريههم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فحفر له الأساس حتى بلغ الماء، وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس، يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض.

قوله تعالى: ﴿تَقْدِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض الذين شكوهم إلى ذي القرنين فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً.

وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس. وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿فَهَلْ نجعل لك خراجاً﴾، قرأ حمزة والكسائي «خراجاً» بالالف، وقرأ الآخرون «خرجاً» بغير ألف وهما لفتان بمعنى واحد، أي جعلاً وأجراً من أموالنا. قال أبو عمرو: و«الخرج» ما تبرعت به، و«الخراج» ما لزمك أداءه. وقيل: «الخراج» على الأرض و«الخرج» على الرقاب. يقال: أذ خَرَجَ رأسك وخراج مدينتك. ﴿عَلَى

أَنْ نجعل بيننا وبينهم سداً﴾، أي حاجزاً فلا يصلون إلينا.

﴿قَالَ﴾، لهم ذو القرنين، ﴿مَا مَكْنِيَ فِيهِ﴾، قرأ ابن كثير «مكنني» بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قوانني عليه، ﴿رَبِّي خَيْرٌ﴾، من جعلكم، ﴿فَأَعِثُّونِي قُوَّةً﴾، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿انجعل بينكم وبينهم رسماً﴾، أي سداً، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا: وما تلك الآلة؟ قال:

﴿أَتَوْنِي﴾، أعطوني وقرأ أبو بكر «اتنوني» أي جيتوني، ﴿زُبُرٌ لِّالحديد﴾، أي: قطع الحديد، واحدها زُبْرَةٌ، فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والذال، وجزم أبو بكر الذال، وقرأ الآخرون بفتحهما، وهما الجبلان، «ساوى» أي: سوى بين طرفي الجبلين. ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾.

وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال: انفخوا يعني في النار، ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾، أي صار الحديد ناراً، ﴿قَالَ أَتَوْنِي﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلاً، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، أي أتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب،

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٥﴾ وَرَكَعًا بَعْضُهُمْ يَوْمِيذٍ يَوْمِيذٍ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ لِمَنْ فِيهِمْ ﴿١٦﴾ وَعَرْضًا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٧﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٨﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنْجُوْا بِعِبَادِي مِن ذُنُوبِهِمْ أُولَئِكَ إِذَا أَغْنَيْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا ﴿١٩﴾ قُلْ هَلْ يَنْصُرُكُمُ الْآخَرُونَ أَعْمَلًا ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ سُبُلِهِمْ يُخْفَوْنَ ﴿٢١﴾ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِشَتْ أَعْيُنُهُمْ فَلَاحِقَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ نَزْلًا ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ هُزُومًا ﴿٢٣﴾ إِذِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿٢٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿٢٥﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَرِّ مَدَادًا لَكُنَّ بِرَبِّي لَنُفِدَ الْبَرِّ قُلْ إِنَّا نَنْفَعُكُمْ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبَشِيرٍ مِّنْ دُونِ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهًا وَبَدَّلَ قُلُوبَهُمْ فِي الْفِتْنَةِ فَعَمِلَ فَعَلًا مِّثْلًا وَلَا يَشْرِكُ بِهِ أَحَدٌ وَلَا يَمْلِكُ ﴿٢٧﴾

كهية الدم فيقولون: قهرا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أفتانهم فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن مهران الرازي، ثنا

فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس.

قال قتادة: هو كالبرد المحبّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَبَأٌ﴾، من أسفله لشدته وصلابته. وقرأ حمزة «فما استطاعوا» بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء.

﴿قَالَ﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هَذَا﴾، أي السد، ﴿رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾، قيل: [يوم] القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، قرأ أهل الكوفة «دكاء» بالمد والهمز، أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مد أي: جعله مذكوكاً مستوياً مع وجه الأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

وروي قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه «أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى فيعودون إليه وهو كهيشته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها

الشام والعراق، فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فائتوا قلنا: يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسراره في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، قال: فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك

الولد بن مسلم، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النّوّاس بن سميّان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، قال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم؟ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه اليمنى طافية كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين

فيتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فيبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فيبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقतालهم فحرّز عبادي إلى الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصِرُ نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الشور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرس كموث نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم

يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزُلفَة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرُّسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فيبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آبأطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون [فيها] تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

وبهذا الإسناد حدثنا مسلم بن الحجاج، ثنا علي بن حجر السعدي، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء» ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون لقد قلنا لمن في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوبة دماً.

وقال وهب: إنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الخشب والشجر، ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أحمد، أنبأنا أبي أنبأنا إبراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبدالله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

وفي القصة: أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور. وذكر بعضهم: أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج، أي: يدخل بعضهم في بعض، كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم، وقيل: هذا عند قيام الساعة، يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيهم خيارى، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا﴾، في صعيد واحد.

﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِأَبْرَزْنَاهُمْ﴾، أبرزنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾، حتى يشاهدوها عياناً.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾، أي غشاء، والغطاء ما يغطي به الشيء ويستتره، ﴿عَن ذِكْرِي﴾، عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. ﴿وَكَاذِبًا لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي سمع القبول والإيمان، لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل:

كانوا لا يستطيعون [سمعاً] أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً لعداوته.

﴿١٠٦﴾ «أَحْسِبْ»، أفطن، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَتِهِمْ﴾، أرباباً، يريد بالعباد عيسى والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سماها عباداً، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَثَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وجواب هذا الاستفهام محذوف. وقال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول: أفطن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم. وقيل: أفطنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. ﴿إِنَّمَا أَفْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: المنزل ما يهبأ للضيف، يريد: هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

﴿١٠٧﴾ قال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً، فنالوا هلاكاً وبواراً، كمن يشتري سلعة يرجو بها عليها ربحاً فخرس وخاب سعيه. واختلفوا فيهم، وقال ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

﴿١٠٨﴾ «الَّذِينَ» حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. ﴿صَلَّ سَعِيمٌ﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿فِي لَيْلِيَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيَوْنَ سُفُنًا﴾، أي: عملاً.

﴿١٠٩﴾ «أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِلَتْ»، بطلت، ﴿أَعْلَمَهُمْ فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَفَنَّا﴾، أي لا نجعل لهم خطراً وقدراً، تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن أي قدر لخصته.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا أحمد عن محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن عبد الله، ثنا سعيد بن [أبي] مريم، أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: [اقرؤوا] ﴿فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَفَنَّا﴾.

قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَفَنَّا﴾.

﴿١١٠﴾ «ذَلِكَ» الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾، يعني القرآن، ﴿وَرُشْدِي هُزُلًا﴾، أي: سخرية ومهزوءاً بهم.

﴿١١١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْآزْدِيِّينَ﴾.

روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

[و] قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

وقال قتادة: «الفردوس» ربة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها. قال كعب: «الفردوس» هو البستان الذي فيه الأعتاب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل: هي التي تنبت ضرباً من النبات، وجمعه فرايس، ﴿نُزُلًا﴾، أي منزلاً. وقيل: ما يهبأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنت الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى «كانت لهم» أي في علم الله قبل أن يخلقوا.

﴿١١٢﴾ «خَلَّيْنِ فِيهَا لَا يَبْغُونَ»، لا يطلبون، ﴿عَنَّا حَوْلًا﴾، أي تحولاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى.

﴿١١٣﴾ «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِي نَفِي».

النبي ﷺ: «من سَمِعَ سَمِعَ الله به، ومن يُراني يُراني الله به».

وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا

أبي وشعيب قال: ثنا الليث، عن ابن الهاد، عن عمرو، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء، عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء وهو للذي عمله».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا حفص بن عمر، ثنا همام، عن قتادة حدثنا سالم بن [أبي] الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنه الدجال».

وأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر [محمد بن أحمد بن عبد الجبار] الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو الأسود،

يكتبون، والبحر يمددهم لنفد [ماء] البحر ولم تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثله، [أي] البحر في كثرته مداداً وزيادة، نظيره قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ بَمُدٍّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ» [لقمان: ٢٧].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَبَدَّ﴾، قال ابن عباس: علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه، فأمره أن يقر فيقول: «إني آدمي مثلكم، إلا إني خُصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنما إلهمك إله واحد لا شريك له»، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً، قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كائنٌ
ولا كل ما ترجو من الشر واقعٌ
فجمع بين المعنيين، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ أي: لا يُراني بعمله.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو نعيم، أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال: سمعت جندباً يقول: قال



قال ابن عباس: قالت اليهود: يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: لما نزلت: ﴿وَمَا أُوتِشِرَ مِنْ آيَاتِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِمِدَادِ الْكَاتِبِ، وَأَصْلَهُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَمَجِيءِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ».

قال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم والقلم يكتب، ﴿لَنفِدَ الْبَحْرُ﴾، أي ماؤه، ﴿قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «ينفد» بالياء لتقدم الفعل، والباقون بالتاء، (كلمات ربي)، أي علمه وحكمه، ﴿وَلَوْ جُنَّتْ بِرَبِّهِ مَدَدًا﴾، معناه لو كان الخلاق

ثنا ابن لهيعة، عن زياد، عن سهل - هو ابن معاذ - عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء» [والله أعلم].

سورة مريم

مكية وهي ثمان وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ قوله عز وجل: ﴿كَهَيِّصَ﴾، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الباء، ضده ابن عامر، وحزمة، وبكسرهما الكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، ويظهر الدال عند الذال من صاد، «ذكر» ابن كثير، ونافع، وعاصم ويعقوب، والباقون بالإدغام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿كَهَيِّصَ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هادي، والباء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. قال الكلبي: معناه كافٍ لخلقها، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببيئته، صادق في وعده.

﴿٢﴾ وذكر، رفع بالمضمر أي

هذا الذي تتلوه عليك ذكر ﴿رَبِّكَ﴾، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر ربك، ﴿عَبْدُ زَكْرِيَّا﴾، برحمته.

﴿٣﴾ إِذْ نَادَى، دعا، ﴿رَبِّمَّ﴾، في محرابه، ﴿يَدَاكَ خَوْفَا﴾، دعا سراً من قومه في جوف الليل.

﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ، ضعف ورق، ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾، من الكبير. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿وَأَشْتَمَلَ الرَّأْسُ﴾، أي ابيض شعر الرأس، ﴿مَنْبَتًا﴾، شمطاً، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، يقول عوذتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبنني. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت. ولم أشق بترك الإيمان.

﴿٥﴾ رَبِّ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ، والموالي: بنو العم. [و] قال مجاهد: العصبه. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة. ﴿مِنْ وَرَثَتِي﴾ من بعد موتي، قرأ ابن كثير: «من وراثتي» بفتح الباء، والآخرين بإسكانها. ﴿وَكَاَنِّي آمَرًا بِعَاقِرَةٍ﴾، لا تلد، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾، أعطني من عندك، ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

﴿٦﴾ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنْ مَالِ يَعْقُوبَ، قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم التاء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الباقر بالرفع على الحال والصفة، يعني ولياً وارثاً، واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث ما لي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبوة. وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم. وقيل: أراد إرث

الحبوة، لأن زكريا كان رأس الأبحار. وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرث بنو عمه ماله، والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان يشاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿وَأَجَعَلَهُ رَبِّي رَحِيمًا﴾، أي بَرًّا نقياً مرضياً.

﴿٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَرْزُقْنَا﴾، ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ﴾، وفيه اختصار، معناه فاستجاب الله دعاءه، فقال: يا زكريا إنا نبشرك، ﴿بِقُلُوبٍ﴾، بولد ذكر، ﴿أَسْمُهُ يَصِيحُ كَمْ يَجْعَلُ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَوِيًّا﴾، قال قتادة والكلبي: لم يسْم أحد قبله يحيى.

وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شياً ومثلاً، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَقُولُ لَمْ سَوِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي مثلاً، والمعنى: أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط. وقيل: لم يكن له ميل في أمر النساء، لأنه كان سيذاً وحسوراً.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولداً. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها، لأن الخليل والكلیم كانا قبله وهما أفضل منه.

﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى، من أين،

﴿١٦﴾ ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾، رحمة من

عندنا.

قال الحطيثة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تَحَنَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِكُ فَبَانَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أي: ترخَّم. ﴿وَرَزَكُوهُ﴾، قال ابن

عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص. وقال قتادة

رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك، ومعنى الآية

وَأَتَيْنَاهُ: رحمة من عندنا وتحنُّناً على

العباد، ليدعُوهم إلى طاعة ربهم

ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص.

قال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله

بها على أبيه، ﴿وَوَكَاتَ قَتِيًّا﴾،

مسلياً ومخلصاً مطيعاً، وكان من

تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم

بها.

﴿١٧﴾ ﴿وَبَرًّا بِرَبِّهِ﴾، أي باراً

لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿وَلَمْ يَكُنْ

جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، «الجبار» المتكبر،

وقيل: الجبار الذي يضرب، ويقتل

على الغضب، و«العصي» العاصي.

﴿١٨﴾ ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾، أي: سلامة

له، ﴿يَوْمَ وَلَدَ يَوْمًا وَمُتَ يَوْمًا وَيُعْثُ

حَيًّا﴾، قال سفيان بن عيينة: أوحش

ما يكون الإنسان في هذه الأحوال

يوم يولد فيخرج مما كان فيه، ويوم

يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم،

ويوم يبعث حياً فيرى نفسه في

محشر لم ير مثله، فخص يحيى

بالسلامة في هذه المواطن.

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي

الْكِتَابِ﴾، في القرآن، ﴿مَرَمَ إِذْ

بأس ولا خرس.

قال مجاهد: أي لا

يمنعك من الكلام مرض.

وقيل: ثلاث ليال سويّاً

أي متتابعاً، والأول

أصح.

وفي القصة: أنه لم

يقدر فيها أن يتكلم مع

الناس فإذا أراد ذكر الله

تعالى انطلق لسانه.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ

عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾،

وكان الناس من وراء

المحراب ينتظرونه أن يفتح

لهم الباب فيدخلون

ويصلون، إذ خرج عليهم

زكريا متغيراً لونه فأنكروه، فقالوا:

مالك يا زكريا قاوماً إليهم، ﴿فَأَرْجَى

إِلَيْهِمْ﴾ قال مجاهد: كتب لهم في

الأرض، ﴿أَنْ سَيُخْرَجُ﴾، أي صلوا

له، ﴿بِكُرَّةٍ﴾، غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾ معناه

أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيّاً

فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت

حمل امرأته ومنع الكلام حتى خرج

إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿يَبْيِغِي﴾،

قيل: فيه حذف ومعناه: ووهبنا له

يحيى وقلنا له يا يحيى، ﴿خُذِ

الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿يَقُورُ﴾،

بجد، ﴿وَأَتَيْنَاهُ لَفْظَكُمُ﴾، قال ابن

عباس رضي الله عنهما: النبوة،

﴿مَيِّتًا﴾، وهو ابن ثلاث سنين.

وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب،

فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض

السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن

يلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيّاً.

يَبْيِغِي خُذِ الْكِتَابَ يَقُورُ وَأَتَيْنَاهُ لَفْظَكُمُ صَبِيّاً
وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَرَزَكُوهُ وَكَاتَ قَتِيًّا وَبَرًّا بِرَبِّهِ وَلَمْ
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا فَأَتَتْهُنَّ مِنْ دُونِهِمْ حَمَانًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي
أَعْرِضُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا قَالَتْ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَتْ كَذَلِكُنَا
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلْنَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَاتَ أَمْرًا مُّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
بِهِمَا مَكَانًا قَاصِيًّا فَاعْلَمَاهَا الْمَخَاضُ لِإِجْرَاعِ الْقَتْلَةِ
قَالَتْ إِنَّنِي مِنَ الْغَافِلِينَ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْهُمْ
فَنَادَاهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْرَفُونَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا

﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَاتَ أَمْرًا قِيًّا﴾

عَاقِرًا، أي وامرأتي عاقرة ﴿وَقَدْ بَلَغَتْ

مِنَ الْكِبَرِ عَيْنِي﴾، أي ييساً، وقال

قتادة: يريد نحول العظم، يقال: عتا

الشيخ يعتو عتياً وعسياً، إذا انتهى

سنه وكبر، وشيخ عات وعاس إذا

صار إلى حالة اليبس والجفاف. قرأ

حمزة والكسائي: «عتياً وبكياً وصلياً

وجشياً بكسر أوائلهن، والباقون

برفعهما، وهما لغتان.

﴿١﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ

عَلَيَّ هَيِّئْ﴾، يسير، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ﴾،

قرأ حمزة والكسائي «خلقناك» بالنون

والألف على التعظيم، ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾،

أي من قبل يحيى، ﴿وَلَمْ تَكُ

شَيْئًا﴾.

﴿٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً﴾،

دلالة على حمل امرأتي، ﴿قَالَ

مَائِيكَ أَلَا نَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

سَوِيًّا﴾، أي صحيحاً سليماً من غير ما

أَنْبَذَتْ، تنحت واعتزلت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، من قومها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، أي مكاناً في الدار مما يلي المشرق، وكان يوماً شاتياً شديد البرد فجلست في مشرقه تفلي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذ النصارى المشرق قبلة.

﴿١٧﴾ فَأَخَذَتْ، فضربت، ﴿مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترأ. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل.

قال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت، إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سوي الخلق، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ يعني جبريل عليه السلام، وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. والأول أصح، فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

﴿١٨﴾ ف— ﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا﴾، مؤمناً مطيعاً، فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت نفيًّا؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، وكذلك ههنا

معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعاً لك من الفجور.

﴿١٩﴾ قَالَ، لها جبريل، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: «أهب لك» أي ليهب لك ربك، وقرأ الآخرون: «أأهب لك» أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به، ﴿فَعَلَّمَا زَكَيًّا﴾، ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب.

﴿٢٠﴾ قَالَتْ، مريم، ﴿أَنَّى﴾، من أين، ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾، لم يقربني زوج، ﴿وَلَمْ أَكُ نَفِيًّا﴾، فاجرة، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

﴿٢١﴾ قَالَ، جبريل، ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، وقيل هكذا قال ربك، ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾، أي: خلق ولد بلا أب، ﴿وَلَنَجْكَفَهُ آيَةً﴾، علامة، ﴿لِلنَّاسِ﴾، ودلالة على قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، ونعمة لمن تبعه على دينه، ﴿وَكَاثَ﴾، ذلك، ﴿أَمْرًا مُّقْضِيًّا﴾، محكوماً مفروغاً منه لا يرد ولا يبدل.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿فَعَمَلَتْهُ﴾، قيل: إن جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبسته. وقيل: مذ جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب. وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها. وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال، ﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ﴾، أي: [فلما حملته انبذت به] تنحت

بالحمل، وانفردت، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾، أي بعيداً من أهلها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج، واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء. وقيل: كان مدة [حملها] ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولدت لسته أشهر. وقال مقاتل بن سليمان:

حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى.

﴿٢٣﴾ فَأَلَامَهَا، أي ألجأها وجاء بها، ﴿الْمَخَاضَ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿إِنْ جِئْتَ الْخَلَّةَ﴾، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف.

وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتتمسك بها على وجع الولادة، ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾، تمنيت الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾، قرأ حمزة وحفص «نسيا» بفتح النون، والباقون بكسرها، وهما لفتان، وهو الوتر والوتر والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما ألقى ونُسي ولم يذكر لحقارته،

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٤﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلًا قَالُوا يَا عَرِيسُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٥﴾ تَأَخَّتِ هُنَّ مَا كَانَ ابْنُكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْأَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٩﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٠﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْكَافِي
الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴿٣٢﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَلَ مَنْ خَلَقَ وَلَهُ سُبْحَانَهُ
إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمُ
الْعَذَابَ لَفَعَدُوهُ هَذَا إِصْرٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٤﴾ فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ أَتَنْتَبِهُونَ
وَأَبْصُرُ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٦﴾

٢٧

﴿مَرْيَسًا﴾، أي: متروكاً قال قتادة:

شيء لا يعرف ولا يذكر. قال
عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة
ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾، قرأ أبو

جعفر ونافع وحمزة والكسائي
وحفص «من تحتها» بكسر الميم
والتاء يعني جبريل عليه السلام،
وكانت مريم على أكمة، وجبريل
وراء الأكمة تحتها فنادها، وقرأ
الآخرون بفتح الميم والتاء، وأراد
جبريل عليه السلام أيضاً، ناداها من
سفع الجبل.

وقيل: هو عيسى لما خرج من
بطن أمه ناداها، ﴿أَلَا نَحْنُ﴾، وهو
قول مجاهد والحسن، والأول قول
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما،
والسدي، وقاتدة، والضحاك،
وجماعة: أن المنادي كان جبريل لما
سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا

تَحْزَنِي، ﴿فَدَجَلْ رُبِّي﴾
نَحْنُكَ سَرِيًّا، والسري:
النهر الصغير.

وقيل: تحتك أي
جعله الله تحت أمرك، إن
أمرته أن يجري جرى،
وإن أمرته بالإمساك
أمسك. قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما:
ضرب جبريل عليه
السلام. ويقال [ضرب]
عيسى عليه الصلاة
والسلام برجله الأرض،
فظهرت عين ماء عذب
وجرى. وقيل: كان هناك
نهر يابس أجرى الله

سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت
النخلة اليابسة، فأوردت وأثمرت
وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سرياً
يعني عيسى وكان والله عبداً سرياً،
يعني رقيقاً.

﴿وَقَرَّرَ إِلَيْكَ﴾، يعني قيل
لمريم حزكي ﴿يَجْعَلُ الْخَلْقَ﴾، تقول
العرب: هزه وهز به، كما تقول:
حز رأسه وحز برأسه، وأمدد الجبل
وأمدد به، ﴿سَقَطَ عَلَيْكَ﴾، القراءة
المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد
السين، يعني تتساقط، فأدغمث
إحدى التاءين في السين يعني تسقط
عليك النخلة رطباً، وخفف حمزة
السين وحذف التاء التي أدغمها
غيره.

وقرأ حفص بضم التاء وكسر
القاف خفيف على وزن تُفَاعِلُ،
وتساقط بمعنى أسقط، والتانيث
لأجل النخلة، وقرأ يعقوب «يساقط»

بالباء مشددة رذه إلى الجذع، ﴿رُطِبَا﴾
جِيًّا، مجتنباً. وقيل: الجني هو
الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه.

قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء
عندي خير من الرطب، ولا للمريض
خير من العسل.

﴿قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلِي﴾
وَاشْرَبِي﴾، أي: فكلي يا مريم من
الرطب، واشربي من ماء النهر،
﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾، أي: طيبي نفساً
وقيل: قري عينك بولبدك عيسى.
يقال: أقر الله عينك يعني صادف
فؤادك ما يرضيك، ففقر عينك من
النظر إلى غيره. وقيل: أقر الله عينه
يعني أنامها، يقال: قر يقر إذا
سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من
السرور فالدمع بارد، وإذا بكت من
الحزن فالدمع يكون حاراً، فمن هذا
قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه.
﴿فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾، أي
تري، فدخل عليه نون التأكيد
فكسرت الياء لالتقاء الساكنين،
معناه: فإما ترين من البشر أحداً
فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، يعني: صمتاً،
وكذلك كان يقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه، والصوم في اللغة
الإمساك عن الطعام والشراب
والكلام.

قال السدي: كان في بني إسرائيل
من إذا أراد أن يجتهد صام عن
الكلام، كما يصوم عن الطعام فلا
يتكلم حتى يمسي. وقيل: إن الله
تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة.
وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر
نطقاً، ثم تمسك عن الكلام بعده،

﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ لِإِسِيءَ﴾، يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

﴿قَاتَتْ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِلُهَا﴾، وقيل: إنها ولدته ثم حملته إلى قومها في الحال. وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى عليهما السلام إلى غار، ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلما عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أمه أبشري فإني عبدالله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيئًا﴾، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري.

قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»، يعني عمله.

﴿يَتَأَخَّذُ هَرُونَ﴾، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل.

وروي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبهوها [به] على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، أي أشباههم.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا

محمد بن عيسى، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن عبدالله بن نمير، ثنا بن إدريس، عن أبيه، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَّذُ هَرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألت عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنيانهم والصالحين قبلهم».

وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثلي رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى، لأنها كانت من نسله كما يقال للتيمي يا أخا تميم.

وقيل: كان هارون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبها به.

﴿مَا كَانَ آيُوبُ﴾، عمران، ﴿أَتَرَأَى سَوْرًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمِّي﴾، حنة، ﴿يَبِيَّةَ﴾، أي: زانية فمن أين لك هذا الولد؟

﴿فَأَشَارَتْ﴾، مريم، ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما لم تكن لها حجة أشارت إليه، ليكون كلامه حجة لها.

وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا؟ ثم، ﴿قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو في المهد، وهو [في] حجرها.

وقيل: هو المهد بعينه، ﴿كَانَ﴾ بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: «كان» صلة أي كيف تكلم صبياً في المهد، وقد يجيء «كان» خشواً في الكلام لا معنى له كقوله: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلُكُمْ﴾ [الإسراء: ٩٣] أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وقال وهب: أناها زكريا عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهاً، ﴿عَاتَنِى الْكِنَانُ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً. وقيل: هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ.

كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد».

وقال الأكرتون أوتي الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن: أنه قال ألهم التوراة وهو في بطن أمه.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي نفاعاً حيث منا توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً

وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْفَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ بِهِمْ فِي عَقْلِهِمْ وَلَمْ يَتَوَسَّوْا
 (٣٢) وَأَتَيْنَا ثَرَاتِ الْأَرْضِ وَمِنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَوْنَ (٣٣) وَأَذْكُرُ
 فِي الْكِتَابِ إِيَّاهُمْ إِنَّهُمْ كَانَ صِدْقًا نَبَأًا (٣٤) إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا ابْنَتُ
 لِمَ تَعْبُدِينَ مَا لَأَسْمَعُ وَلَا يُصِيرُ وَلَا يُفْقِي عَنْكَ شَيْئًا (٣٥) يَا ابْنَتُ
 إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعِي أَهْلَكَ صِرْطًا
 سَوِيًّا (٣٦) يَا ابْنَتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا (٣٧) يَا ابْنَتُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونِ لِلشَّيْطَانِ رِبَا (٣٨) قَالَ أَرَأَيْتِ أَنْتِ عَنْ إِبْلِيسَ
 يَكْبُرُ بِهِمْ لَبِئْسَ نَمِطًا لَّهٗ تَتَّبِعُونَ لَا رَحْمَتَكَ وَأَهْجُرِي مِيلًا (٣٩) قَالَ
 سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّ إِنَّكَ كَانَتْ فِي حِفْظِي (٤٠)
 وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَشْوَ
 آلَا أَكُونُ بِدَعَاؤِ رَبِّي شَفِيرًا (٤١) فَلَمَّا أَغْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُاسْحِقًا وَصِفُورًا وَكُلَّ جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٢)
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٤٣)
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَوْسَى إِنَّهُ كَانَ خَلَّاصًا كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٤٤)

التي يتكلم فيها الصبيان.

(٣٢) ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، قال الزجاج: أي ذلك الذي قال إني عبدالله عيسى ابن مريم، ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: «قول الحق» بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي: قال: قول الحق، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون، فقاتل يقول هو ابن الله، وقاتل يقول هو الله، وقاتل يقول هو ساحر كذاب. وقرأ الآخرون برفع اللام يعني

هو قول الحق، أي هذا الكلام هو قول الحق، أضاف القول إلى الحق، كما قال: حق اليقين، ووعد الصدق، وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الحق [والحق] هو الله ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، ويختلفون ويقولون غير الحق، ثم نفى عن نفسه الولد، ثم عظم نفسه فقال:

(٣٥) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان لله أن يتخذ من ولد، ﴿سُبْحَنَهُ إِذَا فَعَّازًا﴾، إذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ مُبْهَمًا﴾.

(٣٦) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «أن الله» بفتح الألف يرجع إلى قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ ويأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام

على من تبعني: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، أي أمرني بهما، فإن قيل: لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال. وقيل: أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة. وقيل: بالاستكثار من الخير. ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

(٣٧) ﴿وَبَرًّا بِرَبِّكَ﴾ أي: جعلني براً بوالدتي، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَفِيًّا﴾، أي عاصياً لربه. وقيل: الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

(٣٨) ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾، أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿يَوْمَ أُمِرْتُ﴾، أي عند الموت من الشرك، ﴿وَيَوْمَ أُهْبِطُ حَيًّا﴾، من الأهوال، فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة

والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستشفاف. ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرْطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

(٣٧) قوله: ﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، يعني النصارى، سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى، النسطورية، والملكانية، واليعقوبية. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

(٣٨) ﴿أَتَعْبُدُهُمْ وَأَعْبُرُ﴾، أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفهم السمع والبصر، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية. ﴿يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكُمُ الْفَلَاحُونَ الْيَوْمَ فِي صَلَاحٍ مُبِينٍ﴾، أي: في خطأ بين.

(٣٩) ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْفَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص بن غياث، أنا أبي، أنا الأعمش، أخبرنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشربون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه [ثم ينادي: يا

أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رأه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يَفُوتِ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن النضر بن إسماعيل، عن الأعمش بهذا الإسناد، وزاد: «قلولاً» أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا معاذ بن أسد، أنا عبد الله، أنا عمر بن محمد بن زيد، عن أبيه أنه حدثه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، أنا أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أماء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة».

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا الحسين بن الحسن، أنا ابن المبارك، أنا يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: فما ندمه يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع».

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ﴾، لا يصدقون.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِئُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، أي نميت سكان الأرض ونهلكهم جميعاً، ويبقى الرب وحده فيسرثهم، ﴿وَالْإِنَّا بِرُحُونِهِمْ لَفَنَازِحُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَادِقًا نَبِيًّا﴾، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياء ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. والنبي: العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ﴾، إبراهيم، «أزر وهو

يعبد الأصنام، ﴿يَتَابَتِ لِمَ تَتَّبِعُوا مَا لَا تَسْمَعُ﴾، صوتاً، ﴿وَلَا تَبْصُرُ﴾، شيئاً، ﴿وَلَا يُفْقِي عَنْكَ﴾، أي لا يكفيك، ﴿شَيْئاً﴾.

﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ﴾، بالله والمعرفة، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾، على ديني، ﴿أَهْدِكَ سَبِيلًا سَوِيًّا﴾، مستقيماً.

﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، عاصياً، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ﴾، أي أعلم، ﴿أَنْ يَسْكَ﴾، يصيبك، ﴿عَذَابُ بَيْنَ الرَّحْمَيْنِ﴾، إن أقمت على الكفر، ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ مَلَكًا﴾، قريباً في النار.

﴿قَالَ﴾، أبوه مجيباً له، ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْإِلَهِ يَتَّبِعِينَ لِمَنْ لَمْ تَنْتَهُ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك ألهتنا وشتمك إياها، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشتمنك ولأبعدنك عني بالقول القبيح. قال ابن عباس: لأضربنك. وقال عكرمة: لأقتلنك بالحجارة. ﴿وَأَهْمَجْنِي مَلَكًا﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلاً. وقال مجاهد وعكرمة: حيناً، وقال سعيد بن جبير: دهرًا. وأصل «الخبين» المكث، ومنه يقال: مكثت حيناً، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالماً، وقال ابن عباس: اعتزلني سالماً لا تصيبك مني معزة، يقال: فلان ملي بأمركذا إذا كان كافياً.

من مدين ورأى النار نودي ﴿أَنْ
يَكُونُوا مِنْ أَتَائِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[القصص: ٣٠]. ﴿وَقَرْنَهُ نَحْيًا﴾،
أي: مناجياً، النجي المناجي، كما
يقال: جلس ونديم. قال ابن
عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى
التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه
على الحجب حتى سمع صرير
القلم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾
 وذلك حين دعا موسى فقال:
 ﴿وَجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَنَايَ﴾ هَارُونَ أَخِي
 [طه: ٢٩، ٣٠]، فأجاب الله دعاءه
 وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه
 هية له.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكُتُبِ أَنْعِيمٌ﴾، وهو إسماعيل بن إبراهيم جد النبي ﷺ ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفقى به.

وقال مقاتل: وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل.

وقال الكلبي: انتظره حتى حَالَ
عليه الحَوْلُ ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾، إلى
جرهم، ﴿يَبِيًّا﴾، مخبراً عن الله عزَّ
وجلَّ.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه.
 وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بِالْمَلَكُوتِ﴾،
 وَالرَّكُوتِ﴾، قال ابن عباس: يريد التي
 افترضها الله تعالى عليهم، وهي
 الحنيفية التي افترضت علينا، ﴿وَكَانَ
 عِنْدَ رَبِّهِ مَرْحُومًا﴾، قائماً لله بطاعته
 وقيل: رضي الله عز وجل لنبوته
 ورسالته.

منها إلى الأرض المقدسة،
 «وَادْعُوا رَبِّي»، أي اعبُدْ
 ربِّي، «عَمَىٰ أَلَّا أَكُونَ
 بِدَعَاؤِ رَبِّي شَاقِيًا»، أي
 عسى أن لا أشقى بدعائه
 وعبادته، كما تشقون أنتم
 بعبادة الأصنام. وقيل:
 عسى أن يجيئني إذا دعوته
 ولا يخيبني.

﴿فَلَمَّا أَعْتَرَفْتُمْ وَمَا يُعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، ذهب مهاجراً ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ بَعْدَ الْهَجَرَةِ﴾ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ، أنسنا وحشته من فراقهم ، وأقرنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل ﴿وَكُلًّا

جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ يَعْنِي إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .
﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ أَي :
نَعْمَتَنَا . قَالَ الْكَلْبِيُّ : الْمَالُ وَالْوَلَدُ ،
وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْرِينَ ، قَالُوا مَعْنَاهُ : مَا
بَسِطَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ .
وَقِيلَ : الْكِتَابُ وَالنَّبِيُّ ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُم
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ، يَعْنِي ثَنَاءَ حَسَنًا
رَفِيعًا فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، كُلِّهِمْ
يَتَوَلَّوْنَهُمْ ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِمْ .

٥١ قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مِثْقَالَ إِثْمٍ كَانَ خُلَاصًا﴾، غير مرءاء، أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل. قرأ أهل الكوفة «مخلصا» بفتح اللام أي: مختاراً اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله من الدنس. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ (٥٧) ، يعني يمين موسى ، والطور: جبل بين مصر ومدين . ويقال اسمه الزبير ، وذلك حين أقبل

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الشُّوْرَى الْأَيْمَنِ وَفَرَسْتُهُ نَجِيًّا ۝ وَوَعَيْتُ الْهَرَمَ
رَحْمَةً لِأَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا ۝ وَادَّكُرْتُ الْكِتَابَ لِتُسْمِعَ الْبَنِيَّ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ بِأَمْرِ هَامَانَ بِالصَّلَوةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَادَّكُرْتُ الْكِتَابَ لِأُرِيَنَّ
إِنَّكَ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْتُهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أَتُؤْتِيكَ الْزَّيْنَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلَتِ نَامُوسَ
وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْ هَدْيِنَا وَاعْبُدْنَا إِنَّنَا نَعْلَمُ
مَا نَفْسُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا بُكِيًّا ۝ خَلْفَ مِنْ هَلِيمٍ
خَلْفَ أَصَاغِرِ الصَّلَاةِ وَالْقَبُولِ الْقَبُولِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا
۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يَطْلُوعُونَ شَيْئًا ۝ حَبَّتْ عَذْيُ الْوَالِي وَعَدَا الرَّحْمَنُ عَانِمُ
بِالْقَبْرِ إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا تَسْمَعُونَ دِيهَا لِقَوْلِ الْأَسْلَمَاءِ
وَلَقَدْ رَفَعْنَاهُنَّ فِي الْكُرَّةِ وَعَشِيًّا ۝ ذَاكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَنْتَرِلُ إِلَّا أَمْرًا رِيكًا لَمْ مَابِ
أَيْدِيَنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَكَرَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رِيكًا شَيْئًا ۝

(٧) ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾، أي سلمت مني لا أصيبك بمكرهه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برّ ولطف، وهو جواب الحليم للشفيع. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا خَابَتْهُمْ أَجَلُهُنَّ قَالَُوا سَلِّمْ﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾، قيل: إنه لما أعياه أمره ووعدته أن يرجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه: سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة. ﴿إِنَّهُ كَانَ يَ حَيًّا﴾، برّاً لطيفاً. قال الكلبي: عالماً يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

﴿وَأَعِزِّلْكُمْ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي اعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من «كوثي»، فهاجر

﴿قوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾، وهو جَدُّ أَبِي نُوحٍ، واسمه أَخْنُوخ، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب.

وكان خياطاً وهو أول من خطَّ بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الثياب المخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب ﴿إِنَّهُ كَانَ سَيِّفًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قيل: هي الجنة، وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: هو إله رفع إلى السماء الرابعة.

روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج.

وكان سبب رفع إدريس على ما قاله كعب وغيره، أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب أنا مشيت يوماً واحداً، فأصابني المشقة الشديدة من وهج الشمس وأضرني حرُّها ضرراً بليغاً، فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها وحرِّها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرِّها ما لم يعرف. فقال: يا رب ما الذي قضيت فيه؟ حتى خففت عني ما أنا فيه؟ قال: إن عبيدي إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرِّها فأجبته، فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس، فكان يسأله إدريس، فقال له

[يوماً] إني أخبرتك أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر، أجلي، فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: لي حاجة إليك، فقال: وما هي؟ قال: صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذلك إليّ ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت، فيقدم لنفسه، فقال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فلني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً.

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى.

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه عزَّ وجلَّ في زيارته، فأذن له فاتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه،

ففعل ذلك ثلاث ليالٍ فأنكره إدريس، فقال له [إدريس] في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما وهي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وودها إليه بعد ساعة [بإذن الله تعالى]. قال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعداداً له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله [له] في رفعه، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا أن يفتح لي أبوابها فأردها ففعل، ثم قال: فكما أريتني النار فأراني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد ذُقته، وقال: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَرْدَهَا﴾ [مريم: ٧٨]، وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِنَبَاتٍ يَتَشَفَّعِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فلست أخرج، [حين دخلتها] فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة

وبأمري لا يخرج، فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبِهِمْ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾، أي إدريس ونوحاً، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه [من] ولد سام بن نوح، ﴿وَمِمَّنْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ﴾، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿وَأِسْرَءِيلَ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا سَبِيلًا﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿إِذَا نُنَادِيهِمْ ءَاتَيْنَاكَ الْوَحْيَ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ جَمْعًا﴾، سجدوا جمع ساجد وبكياً جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِ خَلْفِهِ﴾، أي من بعد النبيين المذكورين خلف، وهم قوم سوء والخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿أَخْلَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخروها عن وقتها. وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس، ﴿وَأَتَّبَعُوا أَشْهُدَئِهِ﴾، أي المعاصي وشرب الخمر [والزنا]، أي أثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون

في آخر الزمان ينزرو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، قال وهب: الغي نهر في جهنم، بعيد قعره، خبيث طعمه.

وقال ابن عباس: الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيد من حره، أعد للزاني المصير عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولأكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولداً، وقال عطاء: الغي واد في جهنم يسيل قيحاً ودماً. وقال كعب: هو واد في جهنم أبعداها قعرأ، وأشدّها حرأ، فيه بثر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البثر فتستعر بها جهنم.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك عن هشيم بن بشير، أنا زكريا بن أبي مريم الخزازي قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي، أو قال صخرة تهوي عظمها كعشر عشراوات عظام سمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد: هل تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم غي وآثام.

وقال الضحاك: غياً خسراًناً. وقيل: هلاكاً. وقيل: عذاباً. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس

معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملاسة مع الرؤية.

﴿٦٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

﴿٦١﴾ ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ أَلَّتْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ عَذَابَهُ بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُدْعَمُونَ مَا لَا يَأْتِيهِمْ﴾، يعني آتياً مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل آتياً لأن كل من أتاك فقد آتته، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت علي خمسون سنة وبين قوله: آتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إلي الخير ووصلت إلى الخير [و] قال ابن جرير: وعده أي مواعده، وهو الجنة «ماتياً» يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

﴿٦٢﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿لَقَرًا﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاماً أي قولاً يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿وَلَمْ يَرْفُتْهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَفُتُورٌ﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل، بإرخاء

الحجب، وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عز وجل جنته بذلك.

﴿٦٣﴾ ﴿تِلْكَ لِمَنْ أَتَىٰ قُرْبًا مِنِّي﴾ أي نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿مَنْ كَانَ يَتَّقِي﴾، أي المتقين من عباده.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا خلاد بن يحيى، أنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ آيِدِيًا وَمَا خَلَقْنَا الْآيَةَ﴾.

قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ.

وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: «إني كنت أشوق [إليك منك]، ولكن عبد مأمور إذا بُعث

نزلت وإذا حُبست احتبست، فأنزل الله ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وأنزل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وأبيل إذا سجن ما ودعه ربك وما قل.

﴿لَمْ يَكُنْ آيِدِيًا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي له علم ما بين أيدينا، وما خلفنا واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل: ﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَا﴾ من أمر الآخرة والشواب والعقاب، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما يكون من

هذا الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَا﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَا﴾ ما بقي من الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ ما مضى منها، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ مدة حياتنا. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَا﴾ بعد أن نموت ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ قبل أن نخلق ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ مدة الحياة. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَا﴾ من الأرض إذا أردنا النزول إليها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله عز وجل فلا تقدر على شيء إلا بأمره. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نِيًّا﴾، أي ناسياً، يقول: ما نسيتك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

﴿٦٥﴾ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ﴾ أي اصبر على

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَمْ سَيِّئًا ۖ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَأَنَّا إِلَهٌ مُّشَبِّهُ ۚ فَوَرَبُّكَ لَشَدِيدٌ ۚ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا ۚ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّهُم مِّنْ كُلِّ شَيْعَةٍ ۖ ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا صَارَ ۚ وَلَٰكِن يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۚ ثُمَّ تَتَجَمَّعُ إِلَيْهِمْ أَمْشَرًا ۚ أَتَشْعُرُونَ أَنَّهُم مَّا كَانُوا إِلَّا رِجَالًا مَّوَدَّعِينَ ۚ وَإِذَا نَزَّلْنَاهُم مِّنَ السَّمَاءِ بَنِينَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدَبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ أَهْلَكَحُمَا قَبْلَهُم مِّن قَبْلِهِمْ أَتَشْعُرُونَ أَنَّهُم أَتَمَّ نَسَبًا ۚ وَلَٰكِن قَدْ كَانُوا فِي السُّبُلِ فَسَتْ دَلِيلًا ۚ وَمَا تُحِيزُهُمْ إِلَّا رَأْيَ أُمَمٍ وَّعُدْوَنَ ۚ إِنَّمَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ أَرْسِلْ سَاعَةً فَسَيَعْلَمُونَ ۚ مَن هُوَ أَشَرُّ مَقَامًا ۚ وَأَضْعَفُ جُندًا ۚ وَزَيْدٌ لِلَّهِ أَكْبَرُ ۚ أَمْ هَدَىٰ ۚ وَالْأَنبِيَاءُ أَصْلَحُوا ۚ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۚ

نبيه وأمره. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَمْ سَيِّئًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما [هل تعلم له مثلاً]. وقال سعيد بن جبير: عدلاً. وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمى الله «غيره».

﴿٦٦﴾ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث، قال: ﴿أَوَدَا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾، من القبر، قاله استهزاء وتكذيباً للبعث.

﴿٦٧﴾ قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾، أي يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم ويعقوب (يذكُر) خفيف، ﴿الْإِنْسَانُ﴾، يعني أبي بن خلف ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَكَانَ يَكُ شَيْئًا﴾، أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

﴿٦٨﴾ ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين

المتكرين للبعث، ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُخْرِجَنَّ عَنْ حَوْلِ جَهَنَّمَ جِثَّتًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾، لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، عتوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جراً. وقال مجاهد: فجوراً يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قاندهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرماً وأشد كفراً. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكر فالأكفر، ورفع «أيهم» على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً. وقيل: على الاستثناف، ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شعبة.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَكْثَرَهُمُ إِلَىٰ أُولَىٰ صِلَاً﴾، أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صلياً مثل لقي يلقى لقيّاً، وصلى يصلي صلياً مثل مضى يمضي مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرّها.

﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾، أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة

المكان، واختلفوا في معنى الورود هنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿وَارِدَهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول الأكثرين؛ معنى الورود ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ﴾ [هود: ٩٨]، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ماري ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، تلا

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله، أنا وأنت سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل يخرجك منها بتكذيبك.

وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢]، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أراد به الحضور،

وقال عكرمة. الآية [في الكفار] فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها. وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾ يعني القيامة والكناية راجعة إليها. والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَنبِيئُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي اتسقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت، وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرين بالتشديد، والدليل على هذا ما. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبد الرحيم بن منيب، أنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»، وأراد بالقسم قوله: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد [بن عبد الله] النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا هشام، أنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير».

وقال أبان عن قتادة: «من إيمان»

مكان «خير».

أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعى، أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني، أنا أبو عثمان عمرو بن عبدالله البصري، أنا محمد بن عبدالوهاب، أنا محمد بن الفضل أبو النعمان، أنا سلام بن مسكين، أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبدى هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يكون، قال: فرجع [جبريل] فأخبر ربه عز وجل، قال: اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال: فجاء به، قال [الله]: يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شر مكان وشر مقيل، قال: ردوا عبدى، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذ أخرجتني منها، قال الله تعالى لملائكته: دعوا عبدى».

وأما قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] فقيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيستها يجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيستها ويجوز أن لا يسمعوا حسيستها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها عليهم برداً وسلاماً.

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار [قبل أن ندخل الجنة]، فيقال: بلى

ولكنكم مررتم بها، وهي خاملة.

وفي الحديث «تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي» وروي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ يَنْكُرُ إِلَا وَارِدَهَا﴾ قال: من حُم من المسلمين فقد وردها.

وفي الخبر «الحمى كير من جهنم، وهي حظ المؤمن من النار» أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن المثنى، أنا يحيى، عن هشام، أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

﴿كَانَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَا مَقْصِيَةً﴾، أي كان وزودكم جهنم حتماً لازماً مقضياً قضاء الله عليكم.

﴿ثُمَّ نَتَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي اتقوا الشرك، قرأ الكسائي «ننجي» بالتخفيف، والباقون بالتشديد، ﴿وَنُكِّرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّةً﴾، جميعاً.

وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين. وهم المشركون.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في القمر

ليلة البدر ليس دونه سحب»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب»، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعة، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا [فيدعوهم] ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوق بعمله، ومنهم من يخرول ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل لنا، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، [فيخرجون من النار] فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينتنون كما تثبت الحبة في حميل السيل [ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد]، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل الأرض دخولاً إلى

الجنة مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبنني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار، فلماذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها، سكنت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تعالى: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه [فلماذا ضحك أذن له في دخول الجنة] فيقول: تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أمينته، قال الله تعالى: تمن كذا وكذا أقبل يُذكره ربه: حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد لأبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: «قال [الله تعالى لك] ذلك وعشرة

أمثاله» قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك: «ومثله معه»، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول «ذلك لك وعشرة أمثاله».

ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان، أنا عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة بمعناه، قال: «فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فلماذا آتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمماً ثم تدرهم الرحمة، قال: فيُخرجون فيُطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبون كما تبت القثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا هناد بن السري، أنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن

عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار [خروجاً من النار] رجل يخرج منها زحفاً فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: تمن، فيتمنى، فيقال له: إن لك الذي تمنته وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بداراً والحديبية» قال: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا وَلَآ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿فَمَنْ تَتَجَيَّأ إِلَيْهِمْ أَتَقْوُوا وَتَذَرُ الْفَالِاحِينَ فِيهَا جِثَا﴾ [مريم: ٧٢].

﴿وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا﴾، واضحات، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش،

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثالة، وكان المشركون يُرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾، منزلًا ومسكنًا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: «مقامًا» بضم الميم أي [موضع الإقامة]، «وَأَحْسَنُ نَزِيلًا»، أي مجلسًا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿وَلَوْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾، أي متاعًا وأموالًا. قال مقاتل: لباسًا وثيابًا، «وَرِيًّا»، قرأ أكثر القراء بالهمز، أي منظرًا من الرؤية، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع غير ورش «ريًا» مشددًا بغير همز، وله تفسيران أحدهما هو الأول، بطرح الهمزة والثاني من البري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعّم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا الْعَذَابُ»، وهو الأسر والقتل في الدنيا، «زَيَّا السَّاعَةِ»، يعني القيامة فيدخلون النار، «تَسْمَلُونَ»، عن ذلك «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا»، منزلًا، «وَأَضَعُفُ جُنْدًا»، أقل ناصراً أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا ردّ عليهم في قوله: «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَزِيلًا».

﴿وَيَرْزُقُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

هَذَا، أي إيمانًا وإيقانًا على يقينهم، «وَالَّذِينَ تَتَذَكَّرُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ» التي تبقى لصاحبها، «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا» عاقبة ومرجعًا.

﴿٧٧﴾ قوله: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَا أُزِيدَنَّكَ»

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، أنا أبي،

أنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، حدثنا خباب قال: كنت قينًا، فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث فلا، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: [و] إنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك، فأنزل الله عز وجل: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَا أُزِيدَنَّكَ».

﴿٧٨﴾ «أَطْلَعَ الْغَيْبَ»، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم [علم الغيب] حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟ «أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا»، يعني قال لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني عمل عملاً صالحاً قدمه. وقال الكلبي:

أعهد إليه أن يدخل الجنة؟

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَا أُزِيدَنَّكَ﴾
﴿٧٧﴾ «أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» كَلَّا سَكَتُ مَا يَقُولُ وَتَنَادُّ لَمَنْ الْعَذَابُ مَدًّا وَرَزَقُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٧٨﴾ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٧٩﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٠﴾ أَلَمْ نَرَأِ الْشَّيْطَانِ عَلَى الْكُفْرَيْنِ ثَوْبًا مُنَمَّقًا ﴿٨١﴾ فَلَا تَحْجُلْ عَلَيْهِمْ تَرَاغُيبُهُمْ عِذَا هُمْ فِي غَيْبَتِ الرَّحْمَنِ إِلَى الرَّحْمَنِ فَعَلَّا ﴿٨٢﴾ وَتَسْأَلُ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٨٣﴾ لَا يَسْتَلْجُونَ الشَّجْعَةَ لِأَمْنٍ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٤﴾ وَقَالُوا لَأَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٥﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٦﴾ تَكَادَ السَّنُونُوتُ يَقْطِرْنَ مِنَ السَّخَرِ وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ النَّجْمَ لِلْجَبَالِ مَدًّا ﴿٨٧﴾ أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ وَيَأْتِيهِ الرَّحْمَنُ أَنْ يَنْجِدَ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّنُونُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عِمْدًا ﴿٩٠﴾ لَقَدْ أَحْضَيْنَاهُمُ بَعْدَهُمْ عَذَابًا ﴿٩١﴾ وَكُلُّهُمْ مَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٢﴾

﴿٢١١﴾

﴿٧٦﴾ «كَلَّا»، ردّ عليه يعني لم يفعل ذلك، «سَكَتُ»، سَنَحَفُظُ عليه، «مَا يَقُولُ»، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول، «وَتَنَادُّ لَمَنْ الْعَذَابُ مَدًّا»، أي نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

﴿٧٨﴾ «وَرَزَقُهُ مَا يَقُولُ»، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالا وولداً في الآخرة، أي لا نعطيهِ ونعطي غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: «وَرَزَقُهُ مَا يَقُولُ» أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، «وَيَأْتِينَا فَرْدًا»، يوم القيامة بلا مال ولا ولد.

﴿٨١﴾ «وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

إِلَهِةٌ، يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿يَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

﴿٨٢﴾ ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾، أي يمجّد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم، كما أخبر الله تعالى [عنهم] ﴿تَرَانَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجَسٌ مُتَسَمِتًا﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

﴿٨٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي سلطانهم عليهم وذلك حين قال لإبليس: ﴿وَأَسْتَفِزْ مَنِ اسْتَلَمْتَ مِنْهُمْ يَصْوَكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، الآية، ﴿تَوَّزَّهُمْ أَكًّا﴾، ترعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، و﴿الْأَزَّ وَالْهَزَّ﴾ التحريك، أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي.

﴿٨٤﴾ ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا تعجل بطلب عقوبتهم، ﴿إِنَّمَا نَقْدُ لَهُمْ عَنَّا﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم.

﴿٨٥﴾ قوله: ﴿يَوْمَ نَخْتَرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَدًّا﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن، أي إلى جنته وفدأ، أي جماعات، جمع وافد، مثل راكب وركب، وصاحب وصحب. وقال ابن عباس: ركبنا.

وقال أبو هريرة: على الإبل.

وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق، رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت.

﴿٨٦﴾ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين الكاذبين، ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ وَدًّا﴾، أي: مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والودّ جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد العطش.

﴿٨٧﴾ ﴿لَا يَتْلُونَ الشُّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني: لا إله إلا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، يعني المؤمنين، كقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَدًّا﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكلبي «وُلْدًا» بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف [٨١] وسورة نوح [٢٧]، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، [والباقون بفتح الواو اللام]، وهما لغتان مثل العَرَبِ والعُرَبِ والعَجَمِ والعُجَمِ.

﴿٨٩﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾، قال ابن عباس منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل: لقد قلتم قولاً عظيماً. والإد في كلام العرب أعظم الدواهي.

﴿٩٠﴾ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾، قرأ

نافع والكلبي «يكاد» بالياء ههنا وفي ﴿حَدَّ عَسَى﴾ [الشورى: ١ - ٢] لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يَنْفَطِرْنَ يَدًّا﴾، هاهنا وفي «حم عسق» بالنون من الانفطار قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وفاق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] و﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾ [المزمل: ١٨]، وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناها واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق. ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾، أي: تنكسر كسراً. وقيل: تنشق الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي تنطبق عليهم.

﴿٩١﴾ ﴿إِنْ دَعَا﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَدًّا﴾، قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

﴿٩٣﴾ ﴿إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا بَرَأَ الرَّحْمَنُ﴾، أي إلا آتيه يوم القيامة، ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً يعني [أن] الخلق كلهم عبيده.

﴿٩٤﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي



مجاهد: «الألد» الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة: «الألد» الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخْشَى﴾، هل ترى، وقيل: هل تجد، ﴿يَنْتَهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾، أي صوتاً، والركز الصوت الخفي، قال الحسن: أي بادوا جميعاً فلم يبق منهم عين ولا أثر.



عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء. ﴿وَكَمْ لَهُمْ مِثْلُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْنًا﴾ [أي] وحيداً ليس معه من الدنيا شيء.

﴿قوله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسَعَةً﴾، أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين.

أنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحبيت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك».

قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم.

﴿فَإِنَّمَا يَنْتَرُهُ بِلِسَانِكَ﴾، أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني المؤمنين، ﴿وَنُنَزِّلُ بِهِ قَوْلًا لَدُنْكَ شَدَاداً فِي الْخُصُومَةِ﴾، جمع الألد. وقال الحسن: صماً عن الحق. قال

سورة طه

مكية وهي مائة وأربعة، وقيل: خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا ابن أبي أويس، حدثني أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى [عليه السلام]، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها، والبقرة من كثر تحت العرش»، وأعطيت المفصل نافلة».

﴿طه﴾، قرأ أبو عمرو بفتح

الطاء وكسر الهاء، ويكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل بن حيان: معناه طاً الأرض بقديمك يريد في التهجد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله عز وجل بظوله وهديته. قال سعيد بن جبيرة: الطاء افتتاح اسمه الظاهر، والهاء افتتاح اسمه هادٍ.

قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف عن نفسه فقال:

﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة فقالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت: ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ أي لتتعنى وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء.

﴿إِلَّا تَذَكُّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾، أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

﴿تَزِيلَا﴾، بديل من قوله تذكرة، ﴿مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿وَالْتَوَاتَى الْغُلَى﴾، يعني العالبة الرفيعة، وهي جمع العليا كقولهم كبرى وكبر، وصغرى وصغر.

﴿الْحَزَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، يعني الهواء، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾، والثرى هو التراب الندي [و] قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء.

وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون، والنون على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان فتكن في صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عز وجل، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحراً واحداً سالت في جوف

ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يست.

﴿وَإِنْ نَجَّهْتَ بِالْقَوْلِ﴾، أي تعلن به، ﴿فَلَنْتُمْ يَعْلَمَ الْبَرَّ وَأَخْفَى﴾، قال الحسن: «السر» ما أسر الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما أسر في نفسك «أخفى» من السر: ما يلقى الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما شره اليوم ولا تعلم ما أسر به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر به غداً. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «السر» ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمل. وقال مجاهد: «السر» العمل الذي تسرون من الناس، وأخفى الوسوسة. وقيل: السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره عن عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحد نفسه، فقال:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، أي وقد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾، وذلك أن موسى استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء، فأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام، وامراته في

سقمها، لا تدري ألبلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطريقها، فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق ففدح زنده فلم يور.

وقيل: إن موسى كان رجلاً غيوراً وكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار، لثلا ترى امرأته، فأخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية، لما أراد الله عز وجل من كرامته [وإظهار رسالته]، فجعل يقدح الزند فلا يورى، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، ﴿فَقَالَ لِأَقْلَمِهِ﴾ [لزوجته] ﴿أَتَكُونُ﴾، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص [٢٩]، ﴿إِنِّي أَنَا أَنْتُ﴾، أي أبصرت، ﴿نَارًا لَعَلَّيْكُمْ يَكُونُ قَبْضِينَ﴾، [أي شعلة] من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود من معظم النار، ﴿أَوْ أَحَدُ عَلَى الْنَّارِ هُدًى﴾، أي أجد عند النار من يديني على الطريق.

﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾، رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تنقد كأضوا ما يكون، فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار. قال ابن مسعود: كانت الشجرة سمرة خضراء. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت من العوسج. وقال وهب: كانت من العليق. وقيل: كانت شجرة العناب، وزوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه

وَأَنَا أَخْفِيكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا بَوَّحْتُ ﴿١٢﴾ إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٣﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا رَيْبَ لَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٥﴾ وَمَا تَلَكَ بِسَمِيرِكَ يَمْوَسَّى ﴿١٦﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمْوَسَّى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَيْهَا فَاذْهَبْ هِيَ حَبَّةُ تَسْمِينٍ ﴿١٩﴾ قَالَ خُذَهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢٠﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ مَخْرُجٌ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ أَيْ أُخْرَى ﴿٢١﴾ لَأُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْأُخْرَى ﴿٢٢﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ أَتَمَطَّنُ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ أَسْرِ لِي صَدْرِي ﴿٢٤﴾ وَخَرَّ لِأُمْرِي ﴿٢٥﴾ وَاسْلُكْ عُقْدَتَيْنِ لَسَانِي ﴿٢٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٧﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٨﴾ خُذُونِ أَخِي ﴿٢٩﴾ أَشَدُّ بِهِ أَرْمِي ﴿٣٠﴾ وَأَشْرِكُوا لِي أُمْرِي ﴿٣١﴾ كُنْ شَهِيدَ كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَتَذَكَّرْ كَبِيرًا ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٤﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَّى ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ مَتَّعْنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٦﴾

ومجاهد: أمر بخلع النعلين لياشر بقدمه تراب الأرض المقدسة، فتتاله بركتها لأنها قدست مرتين، فخلعهما موسى والقاهما من وراء الوادي ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أي المطهر، ﴿طَوًى﴾، وطوى اسم الوادي، قرأ أهل الكوفة والشام: «طوى» بالتثنية ههنا وفي سورة الشازعات [١٦]، وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول به عن طاور فلما كان معدولاً عن

موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عز وجل، وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما. وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما:

روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي القصة أن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا ثأث منه النار، وإذا نأى دنت، فوقف متحيراً فسمع تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة، ﴿تُودِي يَمْوَسَّى﴾.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، و«أني» بفتح الالف على معنى نودي بأنني، وقرأ الآخرون بكسر الالف أي نودي، ف قيل: إني، أنا ربك، قال وهب: نودي من الشجرة، ف قيل: يا موسى، فأجاب سريعاً لا يدري من دعاه، فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك ومعك، وأمامك وخلفك، وأقرب إليك من نفسك، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله فأيقن به، قوله عز وجل: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾، وكان السبب فيه:

ما روي عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾، قال: «كانتا من جلد حمار ميت». ويروى «غير مدبوغ». وقال عكرمة

أنا قتادة عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»، ثم قال: سمعته يقول بعد ذلك: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾، قيل: معناه إن الساعة آتية أخفيها، «أكاد» صلة، وأكثر المفسرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي، وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق»، وفي بعض القراءات «فكيف أظهرها لكم» وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سر من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء، والله تعالى لا يخفى عليه شيء، وقال [الأخفش] أكاد: أي أريد ومعنى

وجهه كان مصروفاً عن إعرابه، مثل عَمَرُ وَزَقَرُ، وقال الضحاك: «طوى» واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

﴿وَأَنَا أَخْفِيكَ﴾، اصطفتك برسالاتي، قرأ حمزة «وأنا» مشددة النون، اخترناك على التعظيم. ﴿فَاسْتَعِمْ لِمَا بَوَّحْتُ﴾، إليك.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، ولا تعبد غيري، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وقال مجاهد: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فاقمها.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله الحفيد، أنا الحسين بن الفضل البجلي، أنا عفان، أنا همام،

الآية: إن الساعة آتية أريد أخفيها، والمعنى في إخفائها التحويل والتخويف، لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن [أخفيها] بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، قوله تعالى: ﴿يُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، أي بما تعمل من خير وشر.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾، فلا يصرفك عن الإيمان بالساعة، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿فَتَزِدُّهُ﴾، أي فتهلك.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَتْمُوتُونَ﴾، سؤال تقرير، والحكمة في هذا السؤال: تنبيهه وتوقيفه على أنها عضا حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾، قيل: وكان لها شعبتان وفي أسفلها سنان، ولها محجن، قال مقاتل: اسمها نبعة، ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾، اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة، ﴿وَأَمْشَى بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة «وأهس» بالسین غير المعجمة، أي أزجر بها الغنم، والهس زجر الغنم،

﴿وَلَوْ فِيهَا مَتَارِثٌ أُخْرَى﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع ماربة بفتح الراء [ووضمها]، ولم يقل آخر لرؤوس الآي، وأراد بالمأرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك.

وروي عن ابن عباس: أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه، فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصناً كالشجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج، وإذا ظهر له العدو كانت تحارب وتناضل عنه.

﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿الَّتِي يَتْمُوتُونَ﴾، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

﴿فَأَلْقَاهَا﴾، على وجه الرفض ثم خانت منه نظرة، ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿شَعْنَى﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ [القصاص: ٣١] وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: ﴿فَإِذَا هِيَ ثَقْبَانٌ مُيِّتٌ﴾

[الأعراف: ١٠٧]، وهي أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحية فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها، فإنها كانت حية على قدر العصا، ثم كانت تتورم وتتفخ حتى صارت ثعباناً، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وخفة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتها شديدين لها، والمحجن عتقاً لها وعرفاً تهتز كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الإبل، فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها صريف عظيم، فلما عاين ذلك موسى ولّى مدبراً وهرب، ثم نودي ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

﴿قَالَ خُذْهَا﴾، بيمينك، ﴿وَلَا تَقَفَّ سَتُؤِيدُكَ سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، هيئتها الأولى أي نردها عصاً كما كانت، وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيidan فلما قال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَقَفَّ﴾ لَفَّ طرف المدرعة على يده، فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها، وذكر بعضهم: أنه لما لَفَّ كم المدرعة على يده قال له ملك: رأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا ولكنني ضعيف ومن ضعف خلقت،

فكشف عن يده ثم وضعها [في فم الحية] فإذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ. قال المفسرون: أراد الله عز وجل أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون. وقوله: ﴿سِيرَتَهَا﴾ نصب بحذف «إلى»، يريد إلى سيرتها الأولى.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾، يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿فَخَرَجَ بِصَلْتِهِ﴾، نيرة مشرقة، ﴿وَبَيْنَ غَيْرِ سَوْءٍ﴾، من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

﴿٢٣﴾ ﴿لَنُرِيَنَّكَ الْكِبَرَى﴾، ولم يقل الكبير لرؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار معناه لنريك من آياتنا [الآية] الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿رَبِّ أَتَجَرَّ إِلَى صَدْرِي﴾، وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون

خوفاً شديداً لشدة شوسته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدره بما كُلف من مقاومة فرعون وخده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون مع شدة شوسته وكثرة جنوده.

﴿٢٦﴾ ﴿وَيَتَرَى أَنرَى﴾، يعني سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَعْلَلْ عُنْدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمته وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميز. وفي رواية أن أم موسى لما فطمته رده، فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يرببانه، واتخذاه ولداً، فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله، فقالت [له] آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجريه إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى فأراد [موسى] أن يأخذ الجواهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعتها على النار فأخذ جمرة فوضعتها فيه فأحرقت لسانه وصارت عليه عقلة.

﴿٢٨﴾ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، يقول أحلل العقدة كي يفقهوا كلامي.

﴿٢٩﴾ ﴿وَأَجْمَلْ لِي وَزِيرًا﴾، معيناً وظهيراً، ﴿فَرَأَى أَنرَى﴾، والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بين من هو فقال:

﴿٣٠﴾ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، وكان أفصح منه لساناً وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أفنى أجعد.

﴿٣١﴾ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَرَبِي﴾، قو به ظهري.

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَشْرِكُ لِي أَنرَى﴾، يعني في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر «أشدد» بفتح الألف «وأشركه» بضمها على الجواب، حكاية عن موسى، يعني أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَتَجَرَّ إِلَى صَدْرِي﴾ و﴿يَتَرَى أَنرَى﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿فَرَأَى أَنرَى﴾، قال الكلبي: نصلي لك كثيراً.

﴿٣٤﴾ ﴿وَنَذَرُكَ كَيْبَرًا﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾، خبيراً عليمًا.

﴿٣٦﴾ ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾، أعطيت، ﴿سُؤْلَكَ﴾، جميع ما سألت، ﴿بِشُؤْمٍ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾، أئتمنا عليك، ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾، يعني قبل هذه المرة وهي:

سعيد بن جبير: أنَّ الفتن وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم القاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمره بدل الدرة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفاً. فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى «فتناك» خلصناك من تلك المحن، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه، والفتن مصدر، «فَلَيْتَ»، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبت، «سَيْنَ فِي أَهْلِ مَدِينٍ»، يعني ترعى الأغنام [لشعيب] عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى.

وقال وهب: لبث عند شعيب عليه السلام ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر [ابنته «صفيرا»] شعيب، وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له، «ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ»، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء إلي فيه. وقال عبدالرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على

وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك [لبه في محبته]، فذلك قوله تعالى: «وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبْرَةً»، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحه كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه. «وَلْيَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي»، أي لثرتني بمرآي ومنظر مني، قرأ أبو جعفر «ولتصنع» بالجزم.

«إِذْ تَتَّقِي لَهْجَتَكَ»، واسمها مريم متعرفة خبره، «فَقُولْ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ»، أي على امرأة ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا: نعم، فجاءت بالأم [فضمته وألقمته ثديها] فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: «فَرَجَعْتَهُ إِلَى أَبِيكَ كَمَا تَقَرَّ عَيْنُهَا»، بلقائك، «وَلَا تَحْزَنَ»، أي ليذهب عنها الحزن.

«وَقُلْتَ نَسَا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذ ذاك ابن اثنتي عشر سنة، «فَتَجَنَّكَ مِنَ الْغَمِّ»، أي من غم القتل وكرهه، «وَوَفَّكَ قُورًا»، قال ابن عباس رضي الله عنه اختبرناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً.

وعن ابن عباس في رواية

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْبَلَدِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ السَّاحِلِ لَعَلَّهُ يُغْوَىٰ وَعُودُهُ لِقَيْتٍ عَلَيْكَ حَبْرَةً نَقِيًّا وَلْيَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَتَّقِي لَهْجَتَكَ فَقُولْ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْتَهُ إِلَى أَبِيكَ كَمَا تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْتَ نَسَا فَنَسَا فَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْقَوْمِ فَتُونًا فَلَيْتَ سَيْنٍ فِي أَهْلِ مَدْيَنٍ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ (٤٠) وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقْبِي (٤١) أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِتَانِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا نَّيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ أَن يَضُرَّ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَأَنبَأَنَّكَ مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَارْأَوْ (٤٦) فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْلُظْ بِهِمْ فَكُفِّنَّاكَ بِتَانِيًا مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِ الْمَلَكِ (٤٧) إِنَّا قَدْ أَرْجَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَذَابَ عَلَيْنَا مِنْ كَذِّكَ وَتَوَكَّلْ (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَزَقْنَاهُ يَوْمَئِذٍ (٤٩) قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١)

«إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ»، وحي إلهام، «مَا يُوحَىٰ»، ما يليهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال:

«أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ»، يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت، «فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ»، يعني نهر النيل، «فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ السَّاحِلَ»، يعني شاطئ النهر، لفظه أمر ومعناه خبر، مجازة حتى يلقيه اليم بالساحل، «يَاخُذُهُ عُدُوِّي وَعُدُوْلَهُ»، يعني فرعون، فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلولجاً ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقتة في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ التابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه

الموعود الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

﴿٤١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ إِنَّا كُنَّا عَلَيْكَ وَاسْطِفَيْنَاكَ﴾ أي اخترتك واصطفيتك لرحمي ورسالتي، يعني لتصرف على إرادتي ومحبي، وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبيه، قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كإني الذي أقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم.

﴿٤٢﴾ ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَلَوْ كَرِهَ إِنِّي﴾ بدلالاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿وَلَا يَتَّبِعُنِي﴾، ولا تضعفاً، وقال السدي: لا تفترأ. وقال محمد بن كعب: لا تقصراً، ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز: «النفسي اذهب»، «وذكرني اذهباً»، وإن قومي اتخذوا، «ومن بعدي اسمه» بفتح الياء فيهن وافقهم أبو بكر: «من بعدي اسمه»، وقرأ الباقر بإسكانها.

﴿٤٤﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، يقول: دارياه وارفقا به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعنفا في قولكما [له]، وقال السدي وعكرمة: كنياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد، وقال مقاتل: يعني بالقول اللين: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكِّيَ﴾ وأهديك إلَّكَ رَبِّكَ فَفَحْشَى [النزاعات: ١٨ - ١٩]، وقيل: أمرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية. وقال

السدي: القول اللين أن موسى أتاه ووعدته على قبول الإيمان شيئاً لا يهرم معه، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً، أنت رب، تريد أن تكون مربوباً؟ وأنت تُعبد تريد أن تُعبد، فقلبه عن رأيه، وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقا إلى مرحلة، وأخبره بما أوحى إليه، ﴿لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، أي يتعظ ويخاف فيسلم، فإن قيل: كيف قال ﴿لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ﴾ وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهباً على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو يتصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش إذا رأى بري والطفاني بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية. وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: لعل من الله واجب، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين ألجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين، وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: فقال له قولاً ليئناً، فبكى يحيى، وقال: إلهي

هذا رفئك بمن يقول، أنا الإله، فكيف رفئك بمن يقول أنت الإله؟!

﴿٤٥﴾ ﴿قَالَ﴾، يعني موسى وهارون، ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْثَرْنَا نَارًا فَفَرَطْنَا أَن يَنْفُذَ عَلَيْنَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يجعل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكرهه، وفرط منه أمر أي يدرّ وسبق، ﴿أَوْ أَن يَبْهَتَ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه. وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما.

﴿٤٧﴾ ﴿فَأَنبَأَهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، أرسلنا إليك، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي خلّ عنهم وأطلقهم عن أعمالك، ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ لا تتعذبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿فَدَّحِشْنَاهُ بِآبَائِهِ مِن رَّبِّكَ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده، لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَاللَّسْلُمَ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾، ليس المراد منه التحية؟ إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَتُوبُ﴾، من إلهكما الذي أرسلكما.

﴿٥٠﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، قال الحسن وقادة: أعطى كل شيء صلاحه ثم

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَعْضِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَآزَلْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَبَاتٍ شَقًى ﴿٥٢﴾ كُلُوا
وَارْعَوْا أَنفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٣﴾ مِنهَا
خَلَقْنَاهُ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَفِيهَا نَنصِفُ أَعْرَاجَهُمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ
أَرْتُمُوهُنَّ مَائِدَاتٍ كَأَلْفِي نَاقٍ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنَا لِنَحْمِلَ فِيهِمَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسْمِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ بِسَمِيرٍ مِّنْهُ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ ﴿٥٦﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْشِرَ الْنَّاسُ شَيْئًا
فَقَوْلُ فِرْعَوْنَ فَجَعَلَ كَعِدُمْ ثُمَّ أَنَّى ﴿٥٧﴾ قَالَ لَهُمْ
مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابِهِ
وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى ﴿٥٨﴾ فَتَنَزَّلُوا أَنفُسَهُمْ يَنْفَعُهُمْ وَأَنفَرُوا
النَّجْوَى ﴿٥٩﴾ قَالُوا إِن هَٰذَا لَسِحْرٌ مِّنْ بَرِيدٍ أَن يُخْرِجَاكُمْ
مِنَ أَرْضِكُمْ بِسَمِيرَةٍ يَزِيدُ هَبًا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ ﴿٦٠﴾ فَاجْعَلُوا
كَعِدْكُمْ ثُمَّ أَتَوْهُم بِأَفْئِدَةٍ مِّنَ الْيَوْمِ مَن أَسْتَعْلَى ﴿٦١﴾

٢١٥

هده لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته، لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان، ثم هده إلى منافعهم من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع. وقال سعيد بن جبیر: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» يعني زوج، للإنسان المرأة، وللبيوع الناقة وللفرس الرمكة، وللحمار الأتان، ثم هدى أي ألهمه كيف يأتي الذكر الأنثى.

﴿٥١﴾ قَالَ فَرَعَوْنَ، «فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى»، ومعنى البال الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليها، فإنها كانت تعبد الأوثان وتتكبر البعث.

﴿٥١﴾ قَالَ، موسى، «عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي»، أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها. وقيل: إنما رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه. «فِي كِتَابٍ»، يعني في اللوح المحفوظ، «لَا يَعْضِلُ رَبِّي»، أي لا يخطئ. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، «وَلَا يَنْسَى»، ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام، فينتقم من الكافر ويجازي المؤمن.

﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا، «قرأ أهل الكوفة: «مَهْدًا»، ههنا وفي الزخرف [١٠] فيكون مصدراً أي فرشاً، وقرأ الآخرون: «مهاده»، كقوله تعالى: «أَلَّا يَجْعَلَ الْأَرْضَ مَهْدًا» [النبا: ٦] أي فرشاً وهو اسم لما يفرش كالسباط اسم لما يبسط، «وَسَلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا» السلك إدخال الشيء في الشيء، والمعنى ادخل في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها.

قال ابن عباس: سهل لكم فيها طرقاً تسلكونها، «وَأَزَلْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً»، يعني المطر. ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ»، بذلك الماء «أَزْوَاجًا»، أصنافاً، «مِّن تَبَاتٍ شَقًى»، مختلف الألوان والطعوم

والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

﴿٥٣﴾ «كُلُوا وَارْعَوْا»، أي وارتعوا، «أَنفُسَكُمْ»، تقول العرب: رعبت الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترعى، «إِنَّ فِي ذَلِكَ»، الذي ذكرتم، «لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ»، لذوي العقول، واحداثها نهيمة سميت نهيمة لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم، قال قتادة: لذوي الورع.

﴿٥٤﴾ «مِنهَا»، أي من الأرض، «خَلَقْنَاهُ»، يعني أباكم آدم. وقال عطاء الخراساني: إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه] فيذره على النطفة فيخلق الله من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى: «مِنهَا خَلَقْنَاهُ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ»، أي عند الموت والدفن، «وَمِنهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، يوم البعث.

﴿٥٥﴾ قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ»، يعني فرعون، «مَائِدَاتٍ كَأَلْفِ نَاقٍ»، يعني الآيات التسع التي أعطاهما الله موسى، «فَكَذَّبَ»، بها وزعم أنها سحر، «وَأَنَّى»، أن يسلم.

﴿٥٦﴾ «قَالَ»، يعني فرعون «أَجْعَلْنَا لِنَحْمِلَ فِيهِمَا مِنْ أَرْضِنَا»، يعنى أرض مصر، «بِسَمِيرَةٍ يَزِيدُ هَبًا»، أي أتريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها.

﴿٥٧﴾ «فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ بِسَمِيرٍ مِّنْهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا»، أي فاضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً، «لَا نُخْلِفُهُ»، قرأ أبو جعفر «لا نخلفه» جزماً، لا

نجاوزه. ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: «سوى» بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عُدى وَعُدَى وَطَوًى وَطَوًى، قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك. وعن ابن عباس: ونصفا، ومعناه تستوي [فيه] مسافة الفريقيين إليه. قال أبو عبيدة والقتبي: وسطاً بين الفريقين. قال مجاهد: منصفاً. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ شَيْئًا﴾، أي وقت الضحوة نهراً وجهاً ليكون [أبعد] من الريبة.

﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ، مكره وحيلته وسحرته، ﴿ثُمَّ أَتَى﴾، إلى الميعاد.

﴿٦١﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى، يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون، وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحد حبل وعصا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب [الأخبار]: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿وَلَكُمْ لَا تَفْعَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «فيسحيتكم» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال

قتادة: فيستأصلكم، ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَى﴾.

﴿٦٢﴾ فَتَنَزَّلُوا أَمْرَهُمْ يَنْتَهَةٌ، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سرّاً من فرعون. قال الكلبي: قال سرّاً إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى [ويلكم] لا تفتروا على الله كذباً، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، أي المناجاة، يكون مصدراً أو اسماً.

﴿٦٣﴾ ثُمَّ: ﴿قَالُوا﴾، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ نَسِجَ﴾، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: «إن» بتخفيف النون، «هذان» أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: ﴿إِنْ تَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، وشدد ابن كثير النون من «هذان»، وقرأ أبو عمرو «إن» بتشديد النون «هذين» بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: «إن» بتشديد النون، «هذان» بالالف، واختلفوا فيه، فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين: أنه خطأ من الكتاب. وقال قوم: هولغة الحارث بن كعب، وخضع، وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالالف، يقولون: أناني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألف، [كما في التثنية]، يقولون: كسرت يدها وركبت علاه،

يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم: تزود مني بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم يريد بين أذنيه. وقال آخر: إن أباهما وأبا أباهما قد بلغا في المجد غايتها قيل: تقدير الآية أن هذان، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف «أن» ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان. روي أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرمه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إن وصاحبها، أي: نعم. وقال الشاعر:

بكرث علي عواذلي
يلسحينني فألومهنه
ويقلن شيب قد علا
ك. وقد كبرت فقلت إنه
أي: نعم. ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾، مصر، ﴿يُخْرِجَاهَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّارَ﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم، ﴿الَّتِي﴾ تأنيت الأمل وهو الأفضل، حدث الشعبي عن علي، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. وقال قتادة: طريقتهما المثلى، كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال عدو الله: يريد أن يذهب بهم لأنفسهم. وقيل: ﴿بَطَرِيقَتِكُمْ﴾ يستنصرونكم ودينكم الذي أنتم عليه، و﴿الَّتِي﴾ نعت الطريقة، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على الهدى المستقيم. ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح

﴿مَا صَنَعُوا﴾، قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿إِنَّا صَنَعُوا﴾، أي الذي صنعوا، ﴿كَيْدٌ سِحْرٍ﴾، أي حيلة سحر، هكذا قرأ حمزة والكسائي: بكسر السين بلا ألف، وقرأ الآخرون «ساحر» لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

(٧٠) - (٧١) ﴿فَأَتَى السَّحْرَةَ مُجَدًّا قَالُوا﴾، ﴿أَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى﴾، قَالَ ءَامَنَّا لَكَ قُلْ أَتَى ءَاذَنَكَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ، لرئيسكم ومعلمكم، ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾، أي على جذوع النخل، ﴿وَلَنَقْلَعَنَّ مِنْكُمْ عِذَابًا﴾، يعني على إيمانكم به، أو رب موسى على ترك الإيمان به، ﴿وَأَبْقَى﴾، أي أدوم.

(٧٢) ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿كُنْ نُؤْفِرُكَ﴾، لن نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا. وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا. وقيل: من البينات يعني من اليقين والعلم. حكى عن القاسم بن أبي بزة أنه قال: إنهم لما القوا سجداً ما رفعوا رؤوسهم [من السجود] حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها، ورأوا منازلهم في الجنة، فعند ذلك قالوا: ﴿كُنْ نُؤْفِرُكَ﴾

(٦٦) ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿بَلِ الْقَوْمَ﴾، أنتم أولاً، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، وفيه إضممار، أي فالقوا فإذا حبالهم، ﴿وَرِعِيَهُمْ﴾، جمع العصا، ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالياء رد إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿وَمِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾، حتى تظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطخوا حبالهم وعصيتهم بالزئبق، فلما أصابه حر الشمس

انهمست واهتزت فظن موسى أنها تقصده وفي القصة أنهم لما القوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلات حيات، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى وهو قوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

(٦٧) ﴿فَأَنجَسَ فِي ثَقْيِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه، قيل: طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه.

(٦٨) ﴿ثُمَّ﴾، لموسى، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

(٦٩) ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾، يعني العصا، ﴿ثَلَاثَةً﴾، ثلثم، وتبتلع،

قَالُوا يَمْشِي إِمَّا أَنْ تَلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلِ الْقَوْمَ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوَجَسَ فِي ثَقْيِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَقِيَ الْآيَةَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ ثَلَاثَةً مَاصِعُوا الْإِنْسَانُ صَاعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَتَى السَّحْرَةَ مُجَدًّا قَالُوا أَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَكَ قُلْ أَتَى ءَاذَنَكَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَقْلَعَنَّ مِنْكُمْ عِذَابًا إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا أَنْ نُؤْفِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا آمَنَ بِنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّا كُنْهْنَا عَلَى بَنِي السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ بَنِي رَبِّهِمْ يَحْزَنُونَ فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُعْمَرُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ حِجَّتْ عَلَيْهِمْ سَبِيلُ مَنَاسِكَ الْأَنْهَارِ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

الميم، من الجمع، أي لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به، بدليل قوله: فجمع كيده وقرأ الآخرون بقطع الألف وكسر الميم فقد قيل: معناه الجمع أيضاً، تقول العرب: أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد، والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم، ﴿ثُمَّ أَثَرًا صَفًّا﴾ أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم أي مصطفىين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف المجمع، ويسمى المصلى صفّاً، معناه ثم اتوا المكان الموعود صفّاً، ﴿وَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَقْلَى﴾، أي فاز من غلب.

(٧٠) ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿يَمْشِي إِمَّا أَنْ تَلْقَى﴾، عصاك، ﴿وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾، عصاء.

عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ»، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، أي لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿فَأَقِصْ مَا آتَا قَاتِنَ﴾، فاصنع ما أنت صانع، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْكَيْدَ الْأَدْنَى﴾، أي: أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

﴿٧٣﴾ إِنَّا مَأْتَا بِرَبِّنَا لِنُفَرِّقَ لَنَا خَلْقِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ، فإن قيل: كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعهدة فرعون أن لهم الغلبة؟ قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين اثنين من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ﴾، وقال عبدالعزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا [وأكرههم على السحر]، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عذاباً، وقال محمد بن كعب عذاباً إن أغصى، وهذا جواب لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

﴿٧٤﴾ إِنَّمَا مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا، قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى،

وقيل: من تمام قبول السحرة مجرمًا أي مشركاً يعني من مات على الشرك، ﴿فَإِنَّ لَّكَ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾، فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾، حياة ينتفع بها.

﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع، ﴿مُؤْتَمًا﴾، أي: من مات على الإيمان، ﴿فَدَعَلَ النَّارَ﴾، فالتحق بها، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، أي: من مات على الإيمان، ﴿فَدَعَلَ النَّارَ﴾، فالتحق بها، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

الرفيعة، والعلی جمع العليا والعليا تأنيث الأعلى.

﴿٧٦﴾ جَعَلْتُ عَذَابَ قَوْمِي مِنْ قَبْلِهَا أَثَبَرٌ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَيَّ، يعني تطهر من الذنوب. وقال الكلبي: أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحی، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله السمسار، أنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس الدهقان، أنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أنا أبو معاوية عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم».

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِ بِعِيَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا غَشًى ﴿٧٦﴾ فَأَتَاهُمُ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴿٧٧﴾ وَأَضَلُّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٨﴾ يَذِيحُ الْبَصَرُ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَوَعَدْنَا كَلِمَ الْفُورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّالَوْنَ ﴿٧٩﴾ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨٠﴾ وَإِلَى لَعْنَاهُ لَمَن تَابَ وَمَأْمُرٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ أَهْتَدَى ﴿٨١﴾ وَمَا أَصْبَحْتَ عَنْ فَرِيكٍ يَمْوَسِي قَالَ هُمْ أَوْلَىٰ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَإِنَّا خَلَقْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّكَ السَّامِرِيُّ ﴿٨٣﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفُتَالِ عَلَيْهِمْ أَلْفَهْدٌ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ قَوْمَ عَادٍ ﴿٨٤﴾ قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَعِدَكَ يَمْكُرُكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ أَوْ أَرَادَ مِنْ رَبِّهِ أَن يَبْلُغْتَهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيَّ ﴿٨٥﴾

﴿٧٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِ بِعِيَادِي﴾، يعني: سر بهم ليلاً من أرض مصر، ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾، يعني اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، ﴿يَبَسًا﴾، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس لهم الطريق في البحر، ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾، قرأ حمزة «لا تخف» بالجزم على النهي، والباقون بالالف والرفع على النفي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفرقك البحر من أمامك.

﴿٧٧﴾ فَأَتَاهُمُ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فلحقهم، ﴿وَأَضَلُّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم، ﴿غَشِيَهُمْ﴾، أصابهم، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ﴾، وقيل: وهو الغرق. وقيل:

غشيهم علامهم وسترهم بعض ماء اليم لا كله. وقيل: غشيهم من اليم ما يغشى قوم موسى فغرقوا هم ونجا موسى وقومه.

﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَؤُلَاءِ﴾، يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿قَوْلُهُ: ﴿يَبْنَئُ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْبَيْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾، فرعون، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسُّلُوفَ﴾.

﴿كُلُّوا مِن مِّثْيَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنجيتكم» و«واعدتكم» و«رزقتكم»، بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ونزلنا لأنه مكتوب بالألف، ﴿وَلَا تَقْلُوبُوا﴾ فيه، قال ابن عباس: لا تظلموا، وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين. وقيل: لا تنفقوا في معصيتي. وقيل: لا تدخروا، فادخروا فتدود، ﴿فِيحِلِّ﴾، قرأ الأعمش والكسائي «فيحل» بضم الحاء، «ومن يحلل» بضم اللام، يعني ينزل، وقرأ الآخرون بكسرهما يعني يجب، ﴿عَلَيْكُمْ عَصِيٌّ وَمَنْ يَمْلِكْ عَلَيْهِ عَصِيٌّ فَقَدْ هَوِيَ﴾، هلك وتردى في النار.

﴿وَلِيَّ لَفْقَارٍ لِّمَنْ تَابَ﴾، قال ابن عباس تاب من الشرك، ﴿وَيَأْمَنُ﴾، وحذ الله وصدقه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أدى الفرائض، ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله تعالى. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم

الإسلام حتى مات عليه، وقال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن لذلك ثواباً. وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل. وقال الضحاك: استقام [له]. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة.

﴿وَمَا أَغْجَلَكْ﴾، أي ما حملك على العجلة، ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الطور، ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه عز وجل، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾، مجيباً لربه تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَثَرِي﴾، يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدي، ﴿وَعَمِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِإَرْضَى﴾، لستزداد رضا.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً، ﴿وَمِنْ بَعْدِكَ﴾ أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل، ﴿وَأَسْلَمْتُ السَّامِرِيُّ﴾، أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، حزينا. ﴿قَالَ يَقُولُوا لِمَ تَعْبُدُونَ رَبَّكُمْ وَفَعَلْنَا حَسَنًا﴾، صدقاً أنه يعطيكم التوراة، ﴿أَفَطَّلَ عَلَى كُفْرِكُمُ الْعَهْدُ﴾، مدة مفارقتي

إياكم، ﴿إِنَّمَا أَرْدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾، أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يوجب عليكم الغضب من ربكم، ﴿فَأَغْلَقْتُ مُوسَى﴾.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مُوسَى﴾، قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: «بملكنا» بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمهما، وقرأ الآخرون بكسرهما أي ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن قرأ بالضم فمعناه، بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه، ﴿وَلَكِنَّا جَمَلْنَا﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب «خملنا» بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا حملها، ﴿أَوَزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾، من حلي قوم فرعون، سماها أوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردوها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حلياً من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون [وقومه] نبذ البحر حليهم فأخذوها، فكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان، فسماهم أوزاراً لذلك، ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون إن تلك غنيمة لا تحل، فاحفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى فيها رايه، ففعلوا. قوله: ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي

طرحناها في الحفرة، ﴿فَكَذَّبَكَ آلَافٌ
النَّارِ﴾، ما معه من الحلى فيها،
وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
رضي الله عنهما: أوقد هارون ناراً
وقال: اقذفوا ما معكم فيها، [فألقوه
فيها] ثم ألقى السامري ما كان معه
من تربة حافر فرس جبريل. قال
قتادة: كان [قد] صر قبضة من ذلك
التراب في عمامته.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِيسَىٰ جَسَدًا لَهُمْ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتَلُوهُ﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

﴿٨٩﴾ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوا، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْ وَلَا فَقْمًا﴾، وقيل: إن هارون مَرَّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه، فآلقى [السامري] التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنه ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل رجوع موسى،
﴿يَقُولُوا إِنَّمَا فَتَنَّاهُ بِذِهِ﴾، ابتليتم
بالعجل، ﴿وَلَئِنْ رَأَيْتُمُ الرَّحْمَنَ﴾
فَاتَّبِعُونِي، على ديني في عبادة الله،
﴿وَأَلْسِنُوا أَلْسِنِي﴾، في ترك عبادة
العجل.

﴿۱۱﴾ ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾، اے انسان
نزال، ﴿عَلَيْهِ﴾، علی عبادتہ،

﴿عَوَّكَيْنِ﴾، مقيمين،
﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنٌ﴾،
فاعتزلهم هارون في اثني
عشر ألفاً ومن الذين لم
يعبدوا العجل، فلما رجع
موسى وسمع الصباح
والجلبة وكانوا يرقصون
حول العجل فقال للسبعين
الذين معه: هذا صوت
الفتنة، فلما رأى هارون
أخذ شعر رأسه بيمينه
ولحيته بشماله.

﴿يَنْهَوْنَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
مُتَلَوِّينَ﴾، أشركوا.

﴿أَلَا تَتَعَبُ﴾

أي: أن تبغني و﴿لَا﴾ صلة أي [أن] تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: أن لا تتبعني أي ما منعك من اللحق بي وإخباري بضاللتهم، فتكون مفارقتك إياهم تقريراً وزجراً لهم عما أتوه، ﴿فَصَبَّحْتُ أَمْرِي﴾، أي خالفت أمري.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَافِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، أي بشعر رأسي وكفائي. قد أخذ ذوائبه، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾، لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم بعضاً، ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزاباً يتقاتلون، فتقول: أنت فرقت بين بني إسرائيل، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِبَادَ حَسَدٍ أَلْمُؤَرِّقَاتِ قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَلِلَّهِ مَوْتُنَ قَتَلْتَنِي ﴿٥٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ إِلَهُهُمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِيبَ حَتَّى يُرْجَ الْيَمَافُؤُنِ
﴿٦١﴾ قَالَ يَهْدُونَ قُلُوبَكُمْ إِنِّي أَرَاهُمْ مَنُحَلًّا ﴿٦٢﴾ أَفَتَتَّبِعُونَ
أَفْعَصِيَّتَ أَمْرِي ﴿٦٣﴾ قَالَ يَبْتَغُونَ لَكَ تِلْكَ لِيُجْعِلَ لِي وَارِثًا
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ
قَوْلِي ﴿٦٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ﴿٦٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَصُرُوا بِهِ فَقَضَيْتُ قِضَاءً مِنْ أَشْرَارِ الرُّسُولِ
فَنَجَّيْتُهَا وَكَذَلِكَ مَوْلَاكَ لِي قَتَلْتَنِي ﴿٦٦﴾ قَالَ
فَإِذْ هَبْ فَرَأَيْتَ لَكَ فِي الْعَبِيدِ أَنْ يَقُولَ لِمَ سَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تُغْلَبَهُ وَاتَّقِ اللَّهَ إِلَهُكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ نُنَفِسُ فِيهِ أَلِيبَةً نَفْثًا ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُعْزِزُ كُلَّ قَوْمٍ عِلْمًا ﴿٦٨﴾

اخلفني في قومي، وأصلح أي أرفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

﴿قَالَ فَمَا خَبَّكَ﴾ أي ما
أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على
ما صنعت؟ ﴿يَسْمُرُ﴾.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾، رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَوْا وَعَرَفْتُ مَا لَمْ يَعْرِفُوا، قَرَأْتُ حِمَزةَ وَالْكَسَائِي «مَا لَمْ تَبْصُرُوا» بِالنَّاءِ عَلَى الْخُطَابِ، وَقَرَأْتُ الْبَاقُونَ بِالنَّاءِ عَلَى الْخَبَرِ، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، أَيِ مَسْنِ تَرَابِ أَثَرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ، ﴿فَبَدَّيْتُهَا﴾، أَيِ الْقَيْتِهَا فِي فَمِ الْعَجَلِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا خَارَ لِهَذَا [السَّبَبِ] لِأَنَّ التَّرَابَ كَانَ مَأْخُودًا مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ عَرَفَ رَأَى جَبْرِيلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ أُمَّهُ لَهَا وَلَدَتْهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانُوا فَرَعُونَ يُقَتِّلُ فِيهَا الْبَنِينَ

إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَيَسَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَّمَا،
وسع علمه كل شيء.

﴿٩٧﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴿٩٨﴾ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، من الأمور، ﴿٩٩﴾ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا، يعني القرآن.

﴿١٠٠﴾ مَتَى أَعْرَضَ عَنْهُ، أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿١٠١﴾ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا، حملاً ثقيلاً من الإثم.

﴿١٠٢﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهَا، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿١٠٣﴾ وَسَلَّمَ لَمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَلًّا، أي بشس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كقرا بالقرآن.

﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، قرأ أبو عمرو «نفتح» بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء علي غير تسمية الفاعل، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿يَوْمَ يُزْفَرُ﴾، والزرقة هي الخضرة، في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: زرقاً أي عمياً. وقيل: عطاشاً.

﴿١٠٥﴾ يَخْتَفَتُونَ بَيْنَهُمْ، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا عَتَرًا﴾، أي عشر ليال. وقيل: في القبور. وقيل: بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا.

﴿١٠٦﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، أي يتشاورون بينهم،

وإذا من [أحد من غيرهم أحداً منهم] حما جميعاً في الوقت، ﴿وَلَنْ لَكَ﴾، يا سامري، ﴿مَوْعِدًا﴾، لعذابك، ﴿لَنْ تَخْلَفَهُ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «لن تخلفه» بكسر اللام. أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك فلا تقوته، ﴿وَأَنْظَرُ

إِلَى إِلَهِكَ﴾، بزعمك، ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾، أي ظلمت ودمت عليه مقبلاً تعبده، والعرب تقول: ظلمت أفعلاً كذا بمعنى ظلمت، ومسئ بمعنى مسست ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿ثُمَّ لَنَسْفَعُكَ﴾، لنذرنيه، ﴿فِي آتٍ﴾، في البحر، ﴿سَفًا﴾.

روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسأل منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن: «لنحرقته» بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم.

﴿١٠٧﴾ إِنْ كُنَّا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الْوَلَّى لَا

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٧﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٩٨﴾ خَلِيلَيْنِ بِهِمْ بِوَسْءٍ لَمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَلًّا ﴿٩٩﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ يُزْفَرُ ﴿١٠٠﴾ يَخْتَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَتَرًا ﴿١٠١﴾ مَتَى أَعْرَضَ عَنْهُ ﴿١٠٢﴾ مَتَى أَعْرَضَ عَنْهُ إِذْ يَقُولُ أَشْلَتُمْ مِرْقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا بَشَرًا لَوْ كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿١٠٣﴾ وَنَسْتَوِيكَ عَنِ الْبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٤﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٥﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٦﴾ يَوْمَ يُبْعَثُونَ الدُّعَاءُ لَا يَرَى لَكُمْ وَشَمَتٍ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَ يُبْعَثُ لَأَسْمَعَ السَّمْعَةَ لِأَنَّ أَذْنَ لَهُ الرِّجْمَانِ وَرَضَى لَمْ قَوْلًا ﴿١٠٨﴾ تَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. ﴿١٠٩﴾ عَلِمَّا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذَرُونَ ﴿١١٣﴾

وضعته في كهف حذراً عليه من فرعون فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة. ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾، أي زينت، ﴿لِي نَقُصُّ﴾.

﴿٩٧﴾ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ، أي ما دمت حياً، ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، أي لا تخالط أحداً ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه.

قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، والمساس من المماسه معناه لا يمس بعضها بعضاً، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد، فعاقيه الله بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول: «لا مساس»، أي لا تقرني ولا تمسني، وقيل: كان إذا مس أحداً أو مسه أحد حملاً جميعاً حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك،

﴿إِذْ يَقُولُ أَتَأْتُهُمْ طَیِّفَةً﴾، أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿إِنْ لَيْتَ إِلَّا يَوْمًا﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

﴿١٠٥﴾ قوله: ﴿وَسَتُورِكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله هذه الآية. والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباءً منثوراً.

﴿١٠٦﴾ ﴿يَذَرُهَا﴾، أي فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿فَاعَا صَفْصَفًا﴾، يعني أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الأملس.

﴿١٠٧﴾ ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، قال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً. قال الحسن: والعوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من الروابي، أي لا ترى وادياً ولا رابية. قال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسماعيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿لَا عِوَجَ لَكُمْ﴾، يعني

لدعائه، وهو من المقلوب، يعني لا عوج لهم عن دعاء الداعي، لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعاً، ﴿وَحَشَعَتِ الْأَمْشَاقُ لِلرَّحْمَنِ﴾، يعني سكنت وذلت وخضعت، ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَسًا﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، والهمس الصوت الخفي كصوت اخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير نطق.

﴿١٠٩﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾، يعني لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، يعني إلا من أذن له الله أن يشفع، ﴿وَرَجَىٰ لَهُ قَوْلًا﴾، يعني ورضي قوله. قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله، فهذا يدل على أنه لا يُشفع لغير المؤمن.

﴿١١٠﴾ ﴿يَقُولُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ما بين أيديهم وما خلفهم، ما خلفوا من أمر الدنيا. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من [أمر] الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الأعمال، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا بِمَا نَحْنُ بِرُجُوعٍ﴾، قيل: الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة

إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

﴿١١١﴾ ﴿وَعَتَّىٰ الْوُجُوهَ لِلَّيِّ الْقَيُّومِ﴾، أي ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان. وقال طلق بن حبيب: هو [ما قدم من] السجود على الجبهة للحي القيوم، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك.

﴿١١٢﴾ ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ الْكَلْبَةِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾، قرأ ابن كثير «فلا يخف» مجزوماً على النهي جواباً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ﴾، وقرأ الآخرون «فلا يخاف» مرفوعاً على الخبر، ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد [عليه في] سيئاته ولا أن ينقص من حسناته. قال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء. وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها، وأصل الهضم النقص والكسر، ومنه هضم الطعام.

﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما بينا في هذه السورة، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، يعني بلسان العرب، ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾، أي صرّفنا القول فيه بذكر السوعيد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿أَوْ يُخَوِّثَ لَهُمْ زُكْرًا﴾، أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للآدم الخالية.

﴿فَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ﴾
﴿وَزَرْجِكُ﴾، حواء، ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبيز. وعن سعيد بن جبير: قال: أبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقى رجوعاً به إلى آدم لأن تعبه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رؤوس الآي.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾، أي في الجنة ﴿وَلَا تَمْرُقَ﴾.

﴿وَأَنَّكَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر
بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ
الآخرون بالفتح نسقاً على قوله:
﴿أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا﴾ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾،
لا تعطش، ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، يعني
لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال
عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها،
لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها
في ظل ممدود.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَتَذَكَّرُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْقُلْدِ﴾،
يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت
مخلداً، ﴿وَمَلِكٌ لَا يَلِي﴾، لا يبيد
ولا يفنى.

﴿فَأَكَلَا﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿مِنْهَا قَبَذَ﴾ مأْ سَوَّهُنَّهُمَا وَطَفَحًا يَحْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمَ رَبَّهُ، [بأكمله من] الشجرة، ﴿فَنَوَىٰ﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد

ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيماناً و يقيناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ﴾، يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [طه: ١١٣]، ﴿فَنَسِيَ﴾، فترك الأمر، والمعنى أنهم [أن] نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسى،

﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾، قال الحسن لم يجد له صبراً عما نهي عنه، وقال عطية العوفي: حفظاً لما أمر به. وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطئ النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم وحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾، فإن قيل: اتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عنا، وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيهاً.

﴿وَلَوْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، أن يسجد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، أن يسجد.

﴿مَنْ تَلَىٰ اللَّهَ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (أي: جل الله عن إلحاد الملحدين وعما يقوله المشركون، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾، أراد النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانقلاط والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾، أي لا تعجل بقراءته، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ لَكَ وَحْيُهُ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: ﴿لَا تُخَوِّذْ بِهِ إِلَافَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وقرأ يعقوب: «نقضي» بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الباء «وحيه» بالنصب، وقال مجاهد وقتادة: معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى نبين لك معانيه، ﴿وَكُلَّ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقبل: «علماً إلى ما علمت. وكان

وَأَصْطَفَاهُ، ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾، بالعفو، ﴿وَهْدَى﴾، هذه إلى التوبة حين قالاً ربنا ظلمنا أنفسنا.

﴿قَالَ أَهَاطَ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَنَّا يَا لَيْتَكُمْ مَتَى هَذَا فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا﴾، يعني الكتاب والرسول، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن وأتبع ما فيه هذه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾. وقال الشعبي عن ابن عباس: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، ضيقاً، روي عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا: هو عذاب القبر. قال أبو سعيد: يضغط حتى تختلف أضلاعه.

وفي بعض المسانيد مرفوعاً: «يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث». وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار. قال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخيث. وعن ابن عباس قال: الشقاء.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نَأْتِيكَ بِجَهَنَّمَ مِنْ أَسْفَلٍ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَقْبَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْيِ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ زِينَةً وَأَرْسَلْنَا فِيهِمُ زُهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَبَاطِنٌ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهَا نَفْسٌ وَرِزْقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِيَانَا بِلَايَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوَّلَمَ بَيْنَهُمُ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّا لَوَاقِلٌ لَّوَلَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا فَفَعَلْنَا لَكُمْ آيَاتٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ الْكِتَابَ وَنَخْزِيَكُمْ فَاسْكُتْ لِمَنْ يَصْرِفُ قَرْصًا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الضُّرْطِ السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْلُ الْهُدَى ﴿١٣٤﴾

وروي عنه أنه قال: كل مال أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقواماً أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون [أن] الله ليس بمخلف عليهم فاشتدت عليهم معاشيتهم من سوء ظنهم بالله عز وجل، قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يتشبع، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد: أعمى عن الحجة.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾، بالعين أو بصيراً بالحجة.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾، أي كما ﴿أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِينَا﴾، فتركها وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أنا أبو معاذ الشاه [بن] عبد الرحمن المزني، [حدثنا] أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد، أنا يونس بن عبد الأعلى الصديقي، أنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن طاوس، سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا [خبيثنا] وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أفتلومني على أمر قدرة الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى».

ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة وزاد: «قال آدم يا موسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى».

﴿ثُمَّ أَجْنَبْهُ رَبُّهُ﴾، اختاره

تُسْقَى، تترك في النار. قال قتادة: نسوا من الخير ولم يُنسوا من العذاب.

﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك، ﴿يَجْرِي مِنْ أَتْرَفِي﴾، أشرك، ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّي وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿وَأَنَّى﴾، وأدوم.

﴿أَنَّهُمْ هَدَّ هُمْ﴾، يبين لهم القرآن يعني كفار مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾، ديارهم ومنازلهم [إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين] من أصحاب الجحجر وثمود وقريات قوم لوط، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْيٰ﴾، لذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَيْفُهُ سَبَّحَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لازماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو [يوم] القيامة لكان لازماً، أي لكان العذاب لازماً لهم [في الدنيا] كما لزم القرون الماضية الكافرة.

﴿فَأَصْحِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، نسختها آية القتال، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صل بأمر ربك. وقيل: صل لله بالحمد له والثناء عليه، ﴿فَبَلِّغْ أَطْلُجَ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَبَلِّغْ غُرُوبَهَا﴾، صلاة العصر، ﴿وَمِنْ مَّائَاتِي أَلِيلٍ﴾،

ساعاتها واحدها إنى، ﴿فَسَبِّحْ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾، يعني صلاة الظهر، وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو [طرف] النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء، وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، أي ترضى ثوابه في المعاد، قرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ترضى أي يرضاك الله تعالى، كما قال: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّي مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء، أنا إبراهيم بن عبدالله السعدي، أنا يزيد بن هارون، أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ترون ربكم

كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾﴾.

قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: «قل له إن رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لعن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، لا تنظر، ﴿إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾، أعطينا، ﴿زُجُجًا﴾، أصنافاً، ﴿يَتَمَتَّعُونَ زَهْرَةَ الْغُبُورِ﴾، أي زينتها وبهجتها، قرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أي لنجعل ذلك فتنه لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطفياناً، ﴿وَوَرِّدْ رَبِّكَ﴾، في المعاد يعني في الجنة، ﴿خَيْرٌ وَأَنَّى﴾، قال أبي بن كعب: من لم يعتز بعز الله تقطت نفسه حشرات، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه.

﴿وَأَمَّا أَهْلَكَ بِالْمَسْكُونَةِ﴾، أي



هـ ————— أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ
رُسُلًا، يدعوننا، إلى لقاء
يوم القيامة، ﴿فَتَنَبَّأْ بِكَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ الْغُرُثَ﴾،
بالعذاب والذل: الهوان
والخزي والافتضاح.

﴿قُلْ كُلُّ
مُتَرَبِّصٍ﴾، منتظر دوائر
الزمان، وذلك أن
المشركين قالوا نترصد
بمحمد حوادث الدهر،
فإن مات تخلصنا،
قال الله تعالى:
﴿مَرَّضَرُّا﴾، فانتظروا،
﴿فَسَتَلْمِزُونُ﴾، إذا جاء

أمر الله وقامت القيامة،
﴿مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾،
المستقيم، ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾، من
الضلالة نحن أم أنتم؟

سورة الانبياء

مكية وهي مائة واثنان عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ﴾، قيل: اللام
بمعنى من، يعني اقرب من الناس
حسابهم، أي وقت محاسبة الله
إياهم على أعمالهم، يعني يوم
القيامة، نزلت في منكري البعث،
﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ﴾، عن
التأهب له.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ
رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾، يعني ما يحدث الله
من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم
ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله

قومك. وقيل: من كان على دينك.
كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥]، ﴿وَأَصْلَحَ
عَلَيْهَا﴾، أي اصبر على الصلاة، فإنها
نتهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾، لا نكلفك أن
ترزق أحدا من خلقنا، ولا أن ترزق
نفسك وإنما نكلفك عملا، ﴿تَحْنُ
رِزْقُكَ وَالْمَقِيَّةُ﴾، الخاتمة الجميلة
المحمودة، ﴿لِلتَّقْوَى﴾، أي لأهل
التقوى. قال ابن عباس: يعني الذين
صدقوك واتبعوك واتفقوا.

وفي بعض المسانيد أن
النبي ﷺ: «كان إذا أصاب أهله ضرر
أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية».

﴿قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾، يعني
المشركين، ﴿لَوْلَا بَأْتِنَا بِتَايِقٍ مِنْ
رَبِّهِ﴾، أي الآية المقترحة فإنه كان
قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿أَوَلَمْ نَأْتِهِمْ
بِآيَةٍ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة
وحفص عن عاصم: «تأتهم» [بالتاء]
لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء
لتقديم الفعل، ولأن البينة هي البيان
فزد إلى المعنى، ﴿بِآيَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ
الْأُولَى﴾، أي بيان ما فيها، وهو
القرآن أقوى دلالة وأوضح آية:
وقيل: أولم يأتهم بيان ما في
الصحف الأولى: التوراة،
والإنجيل، وغيرهما من أنباء الأمم
أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم
يؤمنوا بها، كيف عجلنا لهم العذاب
والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية
أن يكون حالهم كحال أولئك.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ
قَبْلِهِ﴾، يعني من قبل إرسال الرسول
وإنزال القرآن، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾،

الامر بعد الامر. وقيل: الذكر
المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من
السنن والمواظع سوى [ما في]
القرآن، وأضافه إلى الرب عز وجل
لأنه قال بأمر الرب، ﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ
وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾، يعني استمعوه لآعين
لا يعتبرون ولا يتعظون.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ساهية غافلة،
﴿قُلُوبُهُمْ﴾، معرضة عن ذكر الله،
وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، نعث تقدم الاسم،
ومن حق النعت أن يتبع الاسم في
الإعراب، وإذا تقدم النعت الاسم
فله حالتان: فصل ووصل، فحالته
في الفصل النصب كقوله تعالى:
﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمُ﴾ [القمر: ٧]،
﴿وَكَاذِبَةً عَلِيمَةً يَلْتَلِيهَا﴾ [الإنسان: ١٤]،
و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وفي الوصل
حالة ما قبله من الإعراب كقوله،
﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ
أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ إِيَّاهُمْ بِمَنْزِلَةٍ كُفِرُوا
 لَكُمْ فَتَوَلَّوْا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا تُفْتَمُونَ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِنَّا كَاشِفُوكَ عَنْكُمْ
 دَعْوَتَهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَسِيدًا خَائِدِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْبَعِيدَ ﴿١٤﴾ لَوْلَا أَنْ تَخْذَلَهُمَا
 لَأَخَذْتَهُنَّ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّ أَقْلَامِينَ ﴿١٥﴾ بَلْ تَقْدِيفُ الْوَلِيِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ قِدْمُهُمْ فَإِذَا هُوَ آخِزٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا تَصِفُونَ
 ﴿١٦﴾ وَلَكِنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٧﴾ يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارِ
 لَا يَغْفُونَ ﴿١٨﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ
 ﴿١٩﴾ لَوْ كَانُوا فِيهَا يَتَأَلَّمُونَ إِلَّا أَنْ يَسْتَقْسِمُوا بِحَنِّ الْوَسْطَى الْعَرْشِ
 عَنَّا يَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَلْزِمُهُمُ الْقِبْلَةُ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ
 أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ
 يَوْمَدُومٍ قِيلَ لَهُ أَكْذِبُ لَا تَعْلَمُونَ لَمَّا قُلْتُ لَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾

قرأ حمزة والكسائي وحفص: «قال ربي»، على الخبر عن محمد ﷺ، «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أي لا يخفى عليه شيء، «وهو السميع»، لأقوالهم، «العليم»، بأفعالهم.

﴿١١﴾ «بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِيْمُ، أباطيلها وأهاويلها رأها في النوم، بَلْ أَقْدَرْتَهُ، [أي] اختلقه، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله: فقال بعضهم: أضغات أحلام. وقال بعضهم: بل هو قرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿قَلِيلًا مِّنَّا﴾ محمد، ﴿يَتَأَيَّبُ﴾، إن كان صادقاً ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾، من الرسل بالآيات.

﴿١٢﴾ قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ﴾، أي قبل مشركي مكة، ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي من أهل قرية أنتهم الآيات، «أهلكناها»، أهلكناهم بالكذب، «أنهم يؤفكون»، إن جاءتهم آية، معناه: [إن] أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أنتهم أفيؤمن هؤلاء.

﴿١٣﴾ «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ»، هذا جواب لقولهم: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» [الأنبياء: ٣] يعني إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالاً نوحى إليهم، «فَتَتَلَوْا هَلْ

﴿١٤﴾ «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ»، هذا جواب لقولهم: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» [الأنبياء: ٣] يعني إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالاً نوحى إليهم، «فَتَتَلَوْا هَلْ

النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا»، يعني أشركوا، قوله: «وَأَرْسَلْنَا» فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: والذين ظلموا أسروا النجوى. وقيل: محل الذين رفع على الابتداء، معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: وهم الذين ظلموا. وقيل: رفع على البديل من الضمير في أسروا. قال المبرد: هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله، على البديل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ»، انكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، «فَتَأْتُونَ السِّحْرَ»، يعني أتحضرون السحر وتقبلونه، «وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ»، تعلمون أنه سحر.

﴿١٥﴾ «قَالَ»، لهم [يا] محمد، «رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»،

الَّذِي، يعني أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسالمتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن أراد: فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، «إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

﴿١٦﴾ «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ»، أي الرسل، «جِنْدًا»، ولم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس، «لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ»، هذا رد لقولهم «مَا لَ هَذَا أَرْسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ» [الفرقان: ٧]، يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام، «وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ»، في الدنيا.

﴿١٧﴾ «ثُمَّ صَدَقْنَاهُ الْوَعْدَ»، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، «فَأَقْبَصَ يَهُودُ مِنَ نَّسَائِهِمْ»، يعني أنجبنا المؤمنين الذين صدقوهم، «وَأَهْلَكْنَا السُّفَرِيَّينَ»، يعني المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

﴿١٨﴾ «لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا، يا معشر قريش، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾»، يعني شرفكم، كما قال: «وَأَنْتُمْ لَذِكْرُ اللَّهِ وَلِقَوْلِيكَ» [الزخرف: ٤٤]، وهو شرف لمن آمن به، وقال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، «أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

﴿١٩﴾ «وَكَمْ قَصَمْنَا»، أهلكنا، والقسم الكسر، «مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً»، أي كافرة، يعني أهلها،

﴿وَأَشْنَأْنَا بَعْدَهَا﴾، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿فَوَمًا آخَرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَاءِ﴾، يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ يَنْتَبِهُونَ﴾، يعني يُسرعون هاربين.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، يعني قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا لا تذهبوا، ﴿وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، يعني نعمتم به، ﴿وَسَيَكُونُ لَكُمْ تَسْلُونَ﴾، قال ابن عباس: عن قتل نبيكم. وقال قتادة: من دياكم شيئاً، نزلت هذه الآية في أهل حضوراء، وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب، فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم استهزاء، لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون، قال قتادة: لعلكم تسألون شيئاً من دياكم فتعطون من شتم وتمنعون من شتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، يقولون ذلك استهزاء بهم، فاتبعهم [عسكر] بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم.

﴿قَالُوا يَبُولَانَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويرددونها، ﴿حَقَّ جَلَنَتُهُمْ حَوِيدًا﴾، بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿خَوِيدِينَ﴾، ميتين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ﴾، أي عبثاً وباطلاً.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ لَهَوًا﴾، واختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطاء يسمى لهواً في اللغة، والمرأة محل الوطاء. ﴿لَا تَخْذَنَّهُ مِنَ الدُّنَا﴾، يعني من عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا ردَّ الله عليهم بهذا وقال: ﴿لَا تَخْذَنَّهُ مِنَ الدُّنَا﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره، ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: «إن» للنفي، معناه: ما كنا فاعلين. وقيل: «إن» كُنَّا فَاعِلِينَ للشرط أي [إن] كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

﴿بَلْ﴾، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿تَقْذِفُ﴾، نرمي ونسلط، ﴿بِالْإِيمَانِ﴾، على الكفر، وقيل: الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿فَيَذْمُوهُ﴾، يعني يهلكه، وأصل الذم شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَلَمَّا هُوَ زَاهِقٌ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق

حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿وَلَكُمْ آيَاتُ﴾، يا معشر الكفار. ﴿وَمَا يَصِفُونَ﴾، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.

﴿وَلَكُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿وَمِنْ عِنْدِ﴾، يعني الملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾، ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها، ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾، لا يعيرون، يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعبا. وقال السدي: لا يقطعون عن العبادة.

﴿يُسَبِّحُونَ أَكْثَرَ النَّجْمِ لَا يَفْقَهُونَ﴾، لا يضعفون ولا يسمون، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنفس لبني آدم.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا﴾، استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، ﴿فَهُمْ يُشِيرُونَ﴾، يحبون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾، يعني في السماء والأرض، ﴿إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني غير الله، ﴿لَفَسَدَتَا﴾، لخربتا وهلكا من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجز على النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهُ رَبَّنَا رَبَّنَا عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ﴾، ويحكم في خلقه لأنه الرب ﴿وَهُمْ يَسْتَكْبِرُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْجُدُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَنْجِبْهُ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِيسًا أَنْ تُبَيِّدَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَكُمْ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا تُخَفِّضُونَ فِيهَا الْغُبَارَ وَجَعَلْنَا فِيهَا كُوفًا لِقُلُوبِ الْغَافِلِينَ ﴿٣١﴾ وَأَوَّلَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ فَالِقَةٍ ﴿٣٢﴾ وَأَوَّلَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عِطْفٍ فَإِنِ انْشَقَّتْ رَأْسَهُ فَوَجَدُوهَا عِطْفًا فَإِنِ انْشَقَّتْ رَأْسَهُ فَوَجَدُوهَا عِطْفًا فَإِنِ انْشَقَّتْ رَأْسَهُ فَوَجَدُوهَا عِطْفًا

نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله، ﴿فَذَلِكَ يَجْزِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير «الْم يَز» بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم، معناه: أولم يعلم الذين كفروا، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزمتين، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب [الأحبار]: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحتها بها. قال مجاهد والسدي: كانت السموات مرتفعة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرض كانت مرتفعة طبقة واحدة ففتقتها وجعلها سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. وإنما قال: ﴿رَتْقًا﴾ على التوحيد وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما، ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وخلقنا، ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي أحيينا حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء. والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «نوحى» بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٥٤]، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وخذون.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَنَهُ﴾، نزه نفسه عما قالوا، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿تُكْرَمُونَ﴾.

﴿لَا يَسْجُدُونَ بِالْقَوْلِ﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، [أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ﴾، قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: إلا لمن رضي [الله] عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، [أي] خائفون لا يأمنون مكروه.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾، قال قتادة: عني به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة

أي الخلق يسألون، عن أفعالهم وأعمالهم لأنهم عبيد.

﴿أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عِطْفٍ فَإِنِ انْشَقَّتْ رَأْسُهُ فَوَجَدُوهَا عِطْفًا﴾، يعني حجتكم على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن. ﴿ذِكْرٌ مِنْ مَعْنَى﴾، فيه خبر من معني على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَذِكْرٌ﴾، خبر، ﴿مَنْ قِيلَ﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معني: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لَقَدْ فَهِمُ مَعْرُضُونَ﴾.

السياط، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾،
يمنعون من العذاب، وجواب لو في
قوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ﴾ محذوف
معناه: لو علموا لما أقاموا على
كفرهم، ولما استعجلوا [العذاب]،
ولا قالوا متى هذا الوعد.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾، يعني
الساعة ﴿بَغْتَةً﴾، فجأة،
﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾، أي تحيرهم، يقال
فلان مبهور أي متحير، ﴿فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾،
يمهلون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ
قَبْلِكَ فَفَاجَأَهُمْ﴾، نزل، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ
سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي
جزأ استهزأهم.

﴿قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ﴾،
يحفظكم، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾،
إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس:
من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿بَلْ
هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾، عن القرآن
ومواعظ الله، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، أي: صلة فيه،
وفي أمثاله ﴿أَلَيْسَ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ
دُونِنَا﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره:
أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم
وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى:
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، منع
أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم،
﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يَصْحَبُونَ﴾، قال ابن
عباس: يمنعون. وقال عطية: عنه
يجارون، تقول العرب: أنا لك جار
وصاحب من فلان، أي مجير منه.
وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون.

يعني آدم من تعجيل في
خلق الله إياه، لأن خلقه
كان بعد خلق كل شيء
في آخر النهار يوم
الجمعة، فأسرع في خلقه
قبل مغيب الشمس. وقال
مجاهد: فلما أحيا الروح
رأسه قال: يا رب
استعجل بخلقني قبل
غروب الشمس. وقيل:
بسرعة وتعجيل على غير
ترتيب خلق سائر الآدميين
من النطفة ثم العلقة ثم
المضغة وغيرها. وقال
قوم: من عجل أي من

طين قال الشاعر:

والنوع في الصخرة الصماء متنبية
والنخل ينبت بين الماء والعجل
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾،
[هذا خطاب للمشركين]، نزل هذا
في المشركين كانوا يستعجلون
العذاب، ويقولون أمطر علينا حجارة
من السماء، وقيل: نزلت في
النضر بن الحارث، فقال تعالى:
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي مواعيد عذابي
فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا
العذاب من [قبل] وقته، فأراهم يوم
بدر، وقيل: كانوا يستعجلون
القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،

﴿فَقَالَ تَعَالَى﴾ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾، لا
يدفعون ﴿عَنْ وُجْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ
ظُهُورِهِمْ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ﴾ ﴿وَلَكِنْ سَمِعْتُهُمْ تَفَحَّحًا مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَنْتَوِيئُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿وَضَعُوهَا
الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاسٍ حِشْبِينَ
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿وَمَعَا ذِكْرُكُمْ أَنَّهُ أَفْأَنَّهُمْ
مُنْكَرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِ عَلِيمِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَصَائِدُ لَئِنْ
أُتِيتُهَا عَمَلِكُونَ﴾ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى مِثْلِ هَذَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ
قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿قَالُوا
أُحْسِنَّا إِلَى الْخَلْقِ أَمْ آتَيْنَا مِنَ الْبُغْيِ﴾ ﴿قَالَ بَلْ زَكَّرْتُمُوهَا
وَأَلَّيْتُمْ بِالَّذِي فَطَرْتُمْ وَأَنَا عَلَى ذِكْرِ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿وَاللَّهُ
لَا يَكِيدُ أَصْنَعُكُمْ بَعْدَ تَوَلَّوْا مَدِينِينَ﴾

اختلفوا فيه، فقال قوم: معناه أن
بنيت وخلقته من العجلة وعليها طبع،
كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ
عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] قال سعيد بن
جبير والسدي: لما دخلت الروح في
رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة،
فلما دخلت في جوفه اشتهى الطعام،
فوثب قائماً قبل أن تبلغ الروح إلى
رجليه عجلأ إلى ثمار الجنة، فوقع،
فقيل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾،
والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده
العجلة، والعرب تقول للذي يكثر
من الشيء: خلقت منه، كما تقول
العرب: خلقت من لعب وخلقته من
غضب، تريد المبالغة في وصفه
بذلك، يدل على هذا قوله تعالى:
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]،
وقال قوم: معناه خلق الإنسان

وقال قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

﴿٤٤﴾ **بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ،** الكفار، **وَوَابَهُمْ،** في الدنيا أي أمهلتهم. وقيل: أعطيتهم النعمة، **حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْقَسْرُ،** أي امتد بهم الزمان فاغتروا، **أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا،** أي ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً، **أَفَهُمْ أَغْلَبُونَ،** أم نحن.

﴿٤٥﴾ **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْحَقِّ،** أي أخوفكم بالقرآن، **وَلَا يَسْمَعُ الْاَصْرُ الْأَعْمَىٰ،** قرأ ابن عامر [تسمع] بالتاء وضمها وكسر الميم، **الْاَصْرُ** نصب، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، **الْاَصْرُ** رفع، **إِذَا مَا يُنذَرُونَ،** يخوفون.

﴿٤٦﴾ **وَلَكِنْ سَتَرْنَا،** أصابتهم **نَجْحَةً،** قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصب، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظاً ونصيباً منه. وقيل: ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها، **مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْظُرْنَا كُنَّا عَلَىٰ بَاطِلٍ مُّشْرِكِينَ،** أي بإهلاكنا إنا كنا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

﴿٤٧﴾ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ،** أي ذوات القسط والقسط العدل، **لِيُوزَنَ،** أي: لا ينقص من ثواب حسناتها ولا يزداد

على سيئاتها، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان وكفتان. روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة [قدراً] ما بين المشرق والمغرب، فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ قال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأته بتمرة، **وَلَكِنْ كَانَتْ،** الشيء، **يُنْقَالُ حِكْمُهُ،** أي زنة مثقال حبة، **مِنْ خَرْدَلٍ،** قرأ أهل المدينة «منقال» برفع اللام ههنا وفي سورة لقمان [١٦]، يعني وإن وقع مثقال حبة من خردل، ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة [أي زنة حبة] من خردل، **أَنِينًا يَهَامُ،** أحضرناها لنجاذي بها.

﴿٤٨﴾ **وَكُنْزَنَا حَسِيرِينَ،** قال السدي: مُحْصِينَ، والحسب معناه: العدل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه.

﴿٤٩﴾ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ،** يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** [الأنفال: ٤١]، يعني الواف فيه أي آتينا موسى النصر والضيء، وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواف في قوله: **﴿وَضِيكُ﴾**، زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياءً، وقيل: هو

صفة أخرى للتوراة، **﴿وَذَكَرْنَا،** تذكيراً، **﴿الَّذِينَ يَخْفَوْنَ رَبَّهُمْ**

﴿بِالْغَيْبِ، أي يخافونه ولم يروه، **﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ،** خائفون.

﴿٥٠﴾ **وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ،** يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير، **﴿أَفَأَنْتُمْ،** يا أهل مكة، **﴿لَهُ مُبْكِرُونَ،** جاحدون، وهذا استفهام توبيخ وتعير.

﴿٥١﴾ **قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ،** قال القرطبي: أي صلاحه، **﴿مَنْ قَبْلِي،** يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: **﴿وَرَأَيْنَاكَ تَكَلَّمَ صَبِيحًا﴾** [مريم: ١٢]، **﴿وَكُنَّا بِرُءُوسِهِمْ عَلِيمِينَ،** أنه أهل للهداية والنبوة.

﴿٥٢﴾ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الصُّوَرُ،** أي الصور، يعني الأصنام **﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ،** يعني على عبادتها مقيمون.

﴿٥٣﴾ **﴿قَالُوا وَهَذَا آيَاتُنَا مَا هِيَ إِلَّا حِينُوتٌ،** فافتدنا بهم.

﴿٥٤﴾ **﴿قَالَ،** إبراهيم، **﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ،** خطأ بين عبادتكم إياها.

﴿٥٥﴾ **﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّائِيينَ،** يعنون أصادق أنت فيما تقول أم لاعب؟

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدَ إِبْرَاهِيمَ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَمِنْ قَوْمٍ هَذَا إِلَهَاتُهُمْ إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَ فَتَىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٨﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَاتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَيْدُهُمْ هَذَا فَفَتَنُوهُمْ بِإِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٦١﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ تَوَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظُرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٤﴾ أَفَبِلَا إِلَهٍ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا خَرُّوا حَرْقُهُ وَاصْرُؤْ إِلَهُتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ رُفْقًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٧﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٨﴾ وَبَقِيتُهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ وَوَعَدْنَا لَهُمُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَلَا جَعَلْنَا لَصَالِحِينَ ﴿٧٠﴾

عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال إني سقيم، يقول: أشكي رجلي فلما مضوا نادى إبراهيم في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس، «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَفَكُمْ» فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه، والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه

إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلنا [منه]، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم على طريق الاستهزاء: ألا تأكلون، فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج، فذلك قوله عز وجل.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾، قرأ الكسائي «جذاذا» بكسر الجيم أي كسراً وقطعاً جمع جديذ، وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمها، مثل الحطام والرفات، «إِلَّا كَيْدَ إِبْرَاهِيمَ»، فإنه لم يكسره ووضع الفأس على عنقه، وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين

﴿قَالَ بَلْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أي لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿قَالُوا خَرُّوا حَرْقُهُ وَاصْرُؤْ إِلَهُتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ قلنا يأتيناك رفقاً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴿وَبَقِيتُهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ووعدنا له إسحاق ويعقوب نافلة ولا جعلنا لصلحين

﴿قَالَ بَلْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، خلقهن، «وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّنَ الشَّاهِدِينَ»، يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَفَكُمْ﴾، لا مكرن بها، «بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ»، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيديم. قال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم هذا سراً من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأنشاه عليه، وقال إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾، قاله نمرود يقول جيثوا به ظاهراً بمرأى من الناس، «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ»، عليه أنه الذي فعله، وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة، قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد بن إسحاق «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾، له «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَاتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ».

﴿قَالَ﴾، إبراهيم، «بَلْ فَعَلَهُمُ كَيْدُهُمْ هَذَا»، غضب من

كالخطيرة. وقيل: بنوا أتوناً بقرية يقال لها كوئي ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً [في دينها]. قال ابن إسحاق: كانوا يجمعون الحطب شهراً فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار [فيه] واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها [فتخطفه] فيحترق من شدة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام.

روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلمهم عمل المنجنيق [ليتوصلوا إلى إلقائه فيها] فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة [وضجت ضجة عظيمة]، أي ربنا إبراهيم خليلك يلقي في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته، فقال الله عز وجل: إنه خليلي ليس لي غيره خليل، وأنا إلهه وليس له إله غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما

عقولهم، ﴿فَقَالُوا﴾، ما نراه إلا كما قال، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾، يعني بعبادتكم من لا يتكلم [ولم تشعر بمن آذاه]. وقيل: أنتم الظالمون لهذا الرجل [في] سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها.

﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام.

﴿قَالَ﴾، لهم، ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً، إِن عِبَدْتُمُوهُ، وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، إن تركتم عبادته.

﴿أَيُّ لَكُمْ﴾، يعني تباً وقذراً لكم، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يعني اليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، يعني إن كنتم ناصرين لها، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي قال هذا رجل من الأكراد. وقيل: إن اسمه هيزن فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، قيل: قاله نمرود، فلما أجمع نمرود وقومه على إحراق إبراهيم عليه السلام، حبسوه في بيت، وبنوا له بنياناً

أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منهم فكسروهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَتَنَّاوَهُمْ إِن كَانُوا يَنْطُقُونَ﴾، حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطاً للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره، أنا فعلت، وروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ﴾ ويقول معناه فعله من فعله، والأول أصح.

لما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتان منهن في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدَهُمْ﴾، وقوله على سارة «هذه أختي».

وقيل في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] أي سأسقم، وقيل: سقيم القلب أي مغتم بضلاتكم، وقوله على سارة: «هذه أختي أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأولى هو الأول للحديث فيه، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصدصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حتى أمر مناديه [أن ينادي] فقال لإخوته: ﴿إِنِّي أَنَا إِلَهُ أَبِيكُمْ لَسِرُّونَ﴾ [يوسف: ١٧]. ولم يكونوا سرقوا.

﴿فَرَجَعُوا إِلَيْهِ أَنُفَسِهِمْ﴾، أي: فتفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى

أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال [الله] إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل.

وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: [إبراهيم] أنا إليك فلا، فقال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي.

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبيد الله بن موسى أو ابن سلام عنه، أنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: «كان ينفخ النار على إبراهيم».

﴿٦٩﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْكُرُ كُونِي بَرًّا وَسَلْماً عَلَى إِزْمِيلَ﴾، قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفتت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم

يقل وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس.

قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام. قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

قال ابن يسار: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعذ فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قال وبعث الله جبريل إليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحباتي، ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته، أن حال بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذاك ملك الظل أرسله إلي ربّي ليؤنسني فيها، فقال نمرود: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً

لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملتي وملكي. ولكن سوف أذبحها فذبّحها له نمرود ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه.

قال شعيب الجبائي: ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة. ﴿٧٠﴾ قوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله عز وجل أرسل على نمرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَبَيَّنَّاهُ وَلُوطًا﴾، من نمرود وقومه من أرض العراق، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. وقال أبي بن كعب: سماها [الله] مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي بيت المقدس.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، أن عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها

مهاجر رسول الله ﷺ وقبره، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين إن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الديري، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فخير الناس إلي مهاجر إبراهيم».

وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرد وملته وآمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له تاخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عم إبراهيم فخرج من كوثي من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: «فَقَامَ لَمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» [العنكبوت: ٢٦]، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع

على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب، فبعثه الله نبياً فذلك قوله تعالى: «وَيَجِيئُكَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ».

﴿٧٦﴾ «وَوَقَّيْنَا لَكَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً»، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء. وقال الحسن والضحاك: فضلاً. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقاتدة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب

لأن الله عز وجل أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: «قَبِّ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» [الصافات: ١٠٠]، وزاد يعقوب وهو ولد الولد، والنافلة الزيادة، «وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ»، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

﴿٧٧﴾ «وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»، يقتدى بهم في الخير «يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» يدعون الناس إلى ديننا، «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، يعني العمل بالشرائع، «وَلِقَاءَ الصَّالَةِ»، يعني المحافظة عليها، «وَلِإِسَاءَةِ الزَّكَاةِ»، إعطاءها، «وَكَانُوا لَنَا عبيدين»، موحدين.

﴿٧٨﴾ «وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ»، يعني وآتيناه لوطاً، وقيل: واذكر لوطاً آتيناه، «حُكْمًا»، يعني الفصل بين الخصوم بالحق، «وَعَلَّمَا»، «وَجِيئَتْهُ مِنْ

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيسَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عبيدين ﴿٧٧﴾ وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمَا وَجِيئَتْهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِوَةٍ فَتَقِيْنَ ﴿٧٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَعَجَّلْنَاهُ وَأَهْلًا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٠﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِوَةٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَصَمُ الْقَوْمِ وَكَانَ أَلْفُكِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا بَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمَا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ وَالْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا أَقْبَلِينَ ﴿٨٣﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْسُنَ كُمْ مِنْ بَاسِكُمْ فَمَلَأْنَا شَكْرَهُمْ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْئُرُ بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ فِتْنَةٍ عَابِدِينَ ﴿٨٤﴾

٢٢٨

الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَاءَ»، يعني سدوماً وهي القرية التي كان أهلها يأتون الذكران في أديارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء آخر، كانوا يعملونه من المنكرات، «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِوَةٍ فَتَقِيْنَ».

﴿٧٨﴾ «وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ».

﴿٧٩﴾ «وَنُوحًا إِذْ نَادَى»، دعاء، «مِنْ قَبْلِ»، يعني من قبل إبراهيم ولوط، «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَعَجَّلْنَاهُ وَأَهْلًا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ»، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء، والكرب، أشد الغم.

﴿٨٠﴾ «وَنَصَرْنَاهُ»، منعناه، «مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا»، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: يعني على القوم، «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِوَةٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ».

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: كان الحرث كرمًا قد تدلت عناقيدُه. وقال قتادة: كان زرعًا، ﴿إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَتَمُ الْقَوْمِ﴾، يعني رعته ليلًا فأفسدته، والنفث الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، يعني كان ذلك بعلمنا وبمراى منا لا يخفى علينا علمه. قال الفراء: [هو] جمع اثنين، فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَيِّهِمْ أَلَشُّشٌ﴾ [النساء: ١١]، وهو يريد آخرين.

قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن هذا أنفلتت غنمه ليلًا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت [بينكما] بغير هذا.

وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي؟ ويروى أنه قال [له]: بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتي بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدها ونسلها وصوفها ومنافعها ويذر صاحب الغنم لصاحب الحرث

مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيبته يوم أكل دفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك. وقيل: إن سليمان يوم حكم بذلك كان ابن إحدى عشرة سنة، وأما حكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها، وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فقضى رسول الله ﷺ «أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضمانه على أهلها».

وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أنفلت ماشيته ليلًا كان أو نهارًا.

﴿٧٩﴾ قوله تعالى: ﴿فَهَمَّ نَهَايَ سُلَيْمَانَ﴾، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿وَكَلَّا﴾، يعني داود وسليمان، ﴿هَآئِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص،

وكذلك حكم سليمان، فقال بعضهم: فعلاً بالاجتهاد. وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين، إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا: يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه، فأما العلماء فلمهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة، فإذا أخطأوا فلا إثم عليهم، فإنه موضوع عنهم، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي، أنا عبدالعزيز بن محمد، عن يزيد بن عبدالله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بشر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر».

وقال قوم: إن داود وسليمان حكما بالوحي، فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود، وهذا القائل يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، وقالوا لا يجوز الخطأ على الأنبياء، واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الشواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة

كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى.

وقوله عليه السلام: «وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذ لم يأل جهد.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري أنا أبو الزناد، عن عبدالرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجنا على سليمان وأخبرناه فقال: اتنوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنتها فقضى به للصغرى».

قوله تعالى: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ»، أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان [داود] يفهم تسبيح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوب بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال

والطير لينشط في التسبيح ويشناق إليه. «وَكُنَّا قَتِيلِينَ» [يعني] ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، المراد باللبوس ههنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملابس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت [الدروع] من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة، «لِنُحْصِنَكُمْ»، لتحرككم وتمنعكم، «وَيُنْزِلُ بَأْسَكُمْ»، أي من حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: «لتحصنكم» بالطاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: «وعلمناه» وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل لللبوس، وقيل: ليحصنكم الله عز وجل، «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ»، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

﴿وَسَلِّتَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسن بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رُخاء والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، «تَجْرِي بِأَمْرِ

إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا»، يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، «وَكُنَّا يَكِلِي شَيْءٍ»، علمناه، «عَلِيِّينَ»، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه عز وجل.

قال وهب بن منبه: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريه، وكان امرأ غزاة قل ما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك [إلا] أنه حتى يذله، فكان فيما يزعمون أنه إذا أراد الغزو وأمر بمعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد، وكانت تمر بمعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزلناه وما بنيناه مبنياً وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راثحون منه إن شاء الله فبائتوني بالشام.

قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ

ألا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحدها عن الفئدة وجيش الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد ﴿٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾، يعني وسخرنا له من الشياطين، ﴿مَنْ يَقُوصُوكَ لَكُمْ﴾، يعني يدخلون تحت الماء يخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني دون الغوص، وهو ما ذكر الله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَعْذِيبٍ﴾ [سبا: ١٣] الآية. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، حتى لا يخرجوا عن أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا.

وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملاً، قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه. ﴿٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، يعني دعا ربه. قال وهب بن منبه: كان أيوب [عليه السلام] رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البشيرة من أرض الشام كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله، من البقر والإبل والغنم والخيول والحرما ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة، وكان له خمس مائة

كيف يشاء، فكان يغدو من إبلياء فيقبل باصطخر، ثم يروح ومنها فيكون رواحها بيايل.

وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش.

وروي أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقال بمدينة مرو، وصلى العصر بمدينة بلخ، تحمله وجنوده الريح، وتظلمهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاز بهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم [عطف] يمتنع عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار، وخرج منها إلى أرض مكران وكerman، ثم جاوزها [حتى أتى] أرض فارس فتزلها أياماً وغدا منها، فقال بكسكرك ثم راح [إلى الشام] وكان مستقره بمدينة تدمر، وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفي ذلك يقول النابتة:

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَقُوصُوكَ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَمْ نَسْخِ الصُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمُ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ عِبَادِنا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَلِسَعِيدٍ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٍّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضًى فَلَقْنَاهُ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَرَجْنَاهُ مِنْ غِيَابِهِ وَكَذَلِكَ شَفَعْنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَكَرِيمًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيَمِينَ وَأَسْلَمْنَا لَهُ لَوْمِكَةً إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَعِدِينَ ﴿٩٠﴾ فِي الْخَبَرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعَاتٍ ﴿٩١﴾

ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب فضة، ويقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح.

وعن سعيد بن جبيرة قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس الإنس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح.

وقال الحسن: لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله عز وجل فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرع الريح تجري بأمره

فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة. وفوق ذلك وكان الله عز وجل أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برأ تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويكفل الأرملة والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له: اليقن ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما يلدو والآخر صافر وكانوا كهولاً وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات، فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، فلو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج من طاعتك، قال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن

ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة؟ ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار وأحرقت كل شيء أتى عليه، قال له إبليس: فأنت الإبل ورعاتها، فأنتي الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فأحرقتها ورعاتها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلتك فأحرقتها ومن فيها غيري، فقال أيوب: الحمد لله الذي هو [أعطاني إياها] وهو أخذها، وقديماً ما وطئت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: فإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فأحترقت فتركت الناس مبهورين يتعجبون منها، منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود في التراب، وعرياناً أحشر إلى الله، ليس لك أن تفرح حين أمارك ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك، الله

أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأخرك، قال عفريت: عندي من القوة ما [إذا] شئت صحت صبيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، فقال إبليس فأت الغنم ورعاتها، فانطلق حتى توسطها ثم صاح صبيحة فتجشمت أمواتاً عن آخرها ومات رعاؤها، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول فردّ عليه مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه [خاسئاً] فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء أتى عليه، قال فأت الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف، فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأول فردّ عليه أيوب، مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء والقدر، ووطن نفسه بالصبر على البلاء، حتى لم يبق له مال. فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله صعد إلى السماء فقال إلهي إن أيوب يرى منك أنك ما متعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده، فإنها المعصية [العظمى التي لا تقوم لها] قلوب الرجال.

قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقض عدو الله إبليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل ينطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين، ثم انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة [وهو جريح مخدوش الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره]، وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك [عليهم]، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعا على رأسه وقال:

يا ليت أمني لم تلدني، فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، صعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده، فقال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله

عبرة للصابرين [من بعده] وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب، فانقض عدو الله إبليس سريعاً فوجد أيوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه تآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحكها بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشن حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشن، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة من كناساتهم وجعلوا له فيها عريشاً فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة ابنة أفرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه ويقويه ويلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه [الذين آمنوا به] وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكته ولاموه وقالوا له: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به.

وكان من حضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول

حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتهم ومن الرجل الذي عتبم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه [الله] بها، ولأن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحليم أن يعتزل أخاه عند البلاء، ولا أن يعيره بالمصيبة ولا أن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه، ويدل على مرأشده أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن الله عباداً أسكتهم خشية من غير عي ولا بك، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقتشعرت جلودهم، وانكسرت

قلوبهم، وطاشت عقولهم، إعظاماً وإجلالاً لله عز وجل، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وأنهم لأبرار نزهاء براء، ومع المقصرين المفرطين وأنهم لأكياس أقوياء.

فقال أيوب: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا، لم تسقط منزلته عند الحكماء، وهم يرون من الله عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه، فقال رب أي شيء خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرقت به وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فالحقتني بأبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي، ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً، إلهي، أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فيبدك عقوبتي، جعلتني للبلاء عرضاً، وللفتنة نصيباً، وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟ وإن قضائك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيئة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن

يحتاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلا نظر إلي فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي، فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب اليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها، أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فادل بعذرك، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرك، وقم مقام جبار يخاصم جبار إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا شبه لي، لقد منتك نفسك يا أيوب أمراً ما تبلغه بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل كنت معي تمد بأطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم على شيء وضعت أكتافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً [محفوظاً] في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تستير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبعت الأنهار وسكرت البحار، أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ

الجبال؟ هل تدري على أي شيء أوسيتها أو بأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشئ السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج، أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل، وأين خزائن الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال، ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شائي وكلّ لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض عليّ يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، أو ليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرنني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعود بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرنني، وأستغيث بك من عقابك فأغثنني، وأستعين بك

على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك، وقرب عن أصحابك قرباناً فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتسمه في مضجعه [على العادة] فلم تجده ووجدت مكانه رجل أحسن ما كان من الرجال فقامت كالوالهة متلدة ثم قالت: يا عبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه، ثم تبسم وقال، أنا هو: فعرفته بضحكه فاعتنقه. قال ابن عباس فوالذي نفس عبدالله بيده ما فارقت من عنقه حتى مرّ بهما كل مال لهما وولد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ۖ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقبل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين [ماء] فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرّب منها فلم يبق في جوفه داء إلا

وقال كعب: كان أيوب في بلاءه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزيلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرات تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة، صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما حزنك؟ قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة [من مزابل بني إسرائيل] لا يقربه إلا امرأته، [فلم يكن عنده جزع]. فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكك به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليّ قالوا: نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك في أيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصياها وليس أحد يقربه غيرها، قال أصبتم: فانطلق حتى أتى امرأته وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمع مقالتها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه [الآن] من

الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً، قال الحسن: فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأثاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك الصحيح، اذبح هذه السخلة [على اسم عبد من عباد الله أنانيها وأنت تبرأ مما فيك من البلاء] واسترح، فقال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك ويملك أرايت ما تبكي عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمئذ كم ابتلانا، قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال: ويملك ما أنصفت إلا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام وحرام عليّ أن أذوق [منه] شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فأعربي عني، فلا أراك فطردها فذهبت، فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً لله وقال رب: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين [ماء] فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرّب منها فلم يبق في جوفه داء إلا

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه «أن أيوب لبث في بلاءه ثمانين عشرة سنة». وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوماً.

خرج فقام صحيحاً وكسي حُلَّةً، قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد ضاعفه الله [له] حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جرأداً من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنتك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: أرايتك إن كان أيوب طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السباع، لأرجعن إليه. فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريدان يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل [به] فقال أيوب: ما كان [هو] منك فبكت، وقالت: بعلي، قال: فهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد [بعله إذا] رآه، ثم جعلت تنظر إليه وهي تهايه ثم قالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه فرد علي ما ترين.

وقال وهب بن منبه: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض

امراته في هيئة ليست كههيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى، قالت: نعم، قال: فهل تعرفيني قالت: لا قال: أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد الله إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إياهم بطن الوادي الذي لقيها فيه، قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم.

وفي بعض الكتب: إن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة، وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إياها وإيتاي إلى الكفر، ثم إن الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عليها وأراد أن يبرز يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿وَعُذِّ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَانْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: ٤٤].

وروي أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية وقعد على طريق

امراته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت: يا شيخ إن لي مريضاً أفتدأويه؟ قال: نعم والله لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيت أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال هو إبليس قد خدعك، ثم حلف إن شفاء الله أن يضربها مائة جلدة. وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليه البلاء وستمها الناس ولم يستعملها أحد التمسست يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من رأسها، فباعته برغيف فأنته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فحيتنئذ قال: ﴿مَسْنَى الْفَرْ﴾، وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدودة إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر.

وقال حبيب بن أبي ثابت: لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء:

أحدها: قدم عليه صديقان [له] حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه ورأيا امرأة عظيماً فقالا: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا.

والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها وحملت إليه طعاماً.

والثالث: قول إبليس إني أدأويه على أن يقول أنت شفيتني. وقيل: إن إبليس [لعنه الله] وسوس إليه أن امرأتك زنت. ففطعت ذوابتها فحيتنئذ عيل صبره، فدعا [وقال مسني الضر] وحلف ليضربنها مائة جلدة. وقيل: معناه مسني الضر من شمانية الأعداء.

حتى روي أنه قيل له بعدما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء. وقيل: قال كذلك حين وقعت دودة من فخذها فردها إلى موضعها. وقال: كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان. فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿إِنِّي مَسْكِيٌّ أَصْتَرُّ﴾، و﴿إِنِّي مَسْكِيٌّ أَتَيْتُكَ بِبُحْبُوحٍ﴾ [ص: ٤١]، قيل ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك [كل] من أظهر الشكوى إلى الخلق وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً.

كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً».

وقال لعائشة حين قالت وإرأساه: «بل، أنا وإرأساه».

قوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَتَفْنَا مَا يَوْمَ يَنْصُرُهُ﴾، وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاها، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب

منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم. ﴿وَوَاتَيْنَا أَهْلَهُ وَمَثَلُهمْ مِّمَّنْهُمْ﴾، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود، وقتادة، وابن عباس، والحسن، وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياءهم الله [له] وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن. وقال الحسن: أتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله إليه وأهله، يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله عز وجل رد على المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. قال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين. قال ابن يسار: كان له سبعة بنين وسبع بنات.

وروي عن أنس يرفعه: «أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله عز وجل سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض».

وروي «أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال له: إن ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال: هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف

السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عرياناً [إذ] خر عليه جراداً من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناده ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك».

وقال قوم: أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا.

قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا قال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا عِندَنَا﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾، أي عظة وعبرة لهم.

قوله: ﴿وَأَسْمِعْ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿وَأَذِينِ﴾، وهو أخنوخ، ﴿وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل.

فقال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه: أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل

ذلك، فقام شاب: فقال: أتكفل لك بهذا فتكفل، ووقى به فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل.

قال مجاهد: لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر [إليه] كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث استخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فقام رجل تزدره العين، فقال: أنا، فردّه ذلك اليوم، وقال مثلهما اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فردّه ذلك اليوم، فاستخلفه فاتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال الشيخ: إن بني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا وفعلوا، فجعل يطول حتى حضر الروح، وذهبت القائلة، فقال له: إذا رحت فائتني حتى أخذ حقل، فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم ففتح [له] الباب فقال: ألم أقل لك إذا قدمت فائتني؟ قال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقل وإذا قمت جحدوني، قال فانطلق فإذا رحت فائتني، ففاتته

القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله لا تدعن أحداً يقرب من هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء [إليه] فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم أمرك [أن] لا تدخل عليّ أحداً فقال: أما من قبلي فلم تؤت فأنظر من أين أتيت، فقام: إلى الباب فإذا هو مغلق كما هو أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت فقال: أنام والخصوم ببابك، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعييتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني، فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوئى به.

وقيل: إن إبليس جاءه وقال: إن لي غريماً يطمطني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه، فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب. وروى: أنه اعتذر إليه. وقال: إن صاحبي هرب، وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه [هل] كان نبياً، فقال بعضهم: كان نبياً. وقيل: هو إلياس. وقيل: [هو] زكريا. وقال أبو موسى: لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً.

﴿وَأَعْلَنَهُمْ فِي رَحْمَتًا﴾، يعني ما أنعم الله عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿إِنَّهُمْ وَكُنَّ الْمَكِيدِينَ﴾.

﴿وَوَدَّ الْكَافِرُونَ﴾، أي واذكر

صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا﴾، اختلفوا في معناه فقال الضحاك: مغاضباً لقومه، وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس، قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطاً ونصف، فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيل الملك، وقل له حتى يوجه نبياً قوياً فأني ألقى هيبة في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملك فمن ترى، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال يونس: فإنه قوي أمين فدعا الملك بيونس أمره أن يخرج، فقال له يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، فهنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك، ولقومه فأتى بحر الروم فركبه.

وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جببر وجماعة: ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما وعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به [رفع] العذاب [عنهم]، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله تعالى، وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي وعدهم فيه فغضب، والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي

تكون من واحد، كالمسافرة والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أي غضبان.

وقال الحسن: إنما غضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص إلىهم، فقيل له: إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلا أن يأخذ نعلًا يلبسها فلم ينظره. وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضباً. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، فقال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة.

وقال وهب بن منبه: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقفزها بين يديه، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاسْجِرْ كَمَا صَرَ أُولُوا الْعَرَبِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] [وقال]: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْفُتُورِ﴾ [القلم: ٤٨]. قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لن نقضي عليه العقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قدر الله الشيء تقديرًا، وقدر يقدر قدرًا بمعنى واحد، ومنه قوله: ﴿فَخَنَّ فَدَرْنَا يَنْتَكِرُ الْفُتُورُ﴾ [الواقعة: ٦٠] في قراءة من قرأها بالتخفيف دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبدالعزيز

والزهري: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نصيق عليه الحبس، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، أي يضيق.

وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه.

وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف. وعن الحسن قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه واستنزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقفزه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة. وقال عطاء: سبعة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة فتأبى إلى ربه تعالى في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته، والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه وللملك، ﴿فَكَادَ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً: «أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر

سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه، فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة»، وفي رواية: «صوتاً معروفاً من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم ليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقفزه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: ﴿فَنَذَرْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ١٤٥].

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، أي: أجبناه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، من تلك الظلمات، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا، قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر: «نجي» بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، واختلف النحاة في هذه القراءة، فذهب أكثرهم إلى أنها لحن لأنه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع «المؤمنين»، ومنهم من صوبها، وذكر الفراء لها وجهاً آخر وهو إضمار المصدر، أي نجا النجاة المؤمنين [ونصب المؤمنين] كقولك: ضرب الضرب زيداً، ثم يقول ضرب زيداً بالنصب على إضمار المصدر، وسكن الياء في «نجي» كما يسكنون في بقي ونحوها.

قال القتيبي: من قرأ بنون واحدة

والتشديد إنما أراد ننجي من التنجية إلا أنه أذغم وحذف نوناً طلباً للخفة ولم يرضه النحويون لبعد مخرج النون من الجيم، والإدغام يكون عند قرب المخرج، وقرأ العامة «ننجي» بنونين من الإنجاء، وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلا حذفوا النون من إن لخفائها، واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة والصفات، ﴿فَبَدَّلَ بِالْعَمَلِ﴾، ثم ذكر بعده: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ﴾ [الصفات: ١٤٧]، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا يُؤْمِنُ كَيْفَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الصفات: ١٤٠ - ١٣٩].

﴿٨٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَرَكَّبْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، أي دعا ربه، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، وحيداً لا ولد لي وارزقني وارثاً، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْكَارِبِينَ﴾، ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حياً.

﴿٩٠﴾ ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَفَّيْنَاهُ لَمْ يَحْوَ﴾، ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَمْ يَزِجْهُ﴾، أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها الله بأن رزقها حسن الخلق. ﴿لَهُمْ﴾ الأنبياء، يعني

الأنبياء الذين سباهم في هذه السورة، ﴿كَأَنَّا يُسْرِفُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾، طمعاً، ﴿وَرَهْبًا﴾، خوفاً، رغباً من رحمة الله، ورهباً من عذاب الله [عز وجل]، ﴿وَكأَنَّا لَنَا خَشْيُونَ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

﴿٩١﴾ ﴿وَأَلْقَى أَخَصَصَتْ فَرَجَهَا﴾، حفظته من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿فَتَفَتَحْنَا فِيهَا

مِنْ رُوحِنَا﴾، أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية. كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فعل.

﴿٩٢﴾ قوله: ﴿إِنْ هَذِهِ أَمْثَلُكُمْ﴾، أي مثلكم ودينكم. ﴿أُمَّةٌ وَجَدَةٌ﴾، أي ديناً واحداً وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، ونصب أمة على القطع. ﴿وَأَنَّا رِيَّكُمْ فَأَعْبُدُون﴾.

﴿٩٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، ﴿إِنْ هَذِهِ أَمْثَلُكُمْ﴾، ﴿أُمَّةٌ وَجَدَةٌ وَأَنَّا رِيَّكُمْ فَأَعْبُدُون﴾، ﴿وَنَقُطِعْ أَرْهَامَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِثْنَانِ رَجُوعًا﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَكَنَّا كَنُوتُونَ﴾، ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبِيهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ﴿حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، ﴿وَاقْرَبِ الْوَعْدَ الْحَقَّ فَإِذَا هِيَ شُخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ابْنَائَهُمْ فَكَفَرُوا بِهَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾، ﴿لَوْ كُنَّا هُنَا أَوْ بِلَا إِلَهِةٍ مَّا نُرَدُّوهُمَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدِينَ﴾، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿٩٤﴾ ﴿وَنَقُطِعْ أَرْهَامَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً، قال الكلبي: فرقوا دينهم بينهم، يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿كُلَّ إِثْنَانِ رَجُوعًا﴾، فنجزهم بأعمالهم.

﴿٩٥﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾، [أي] لا يُجحد ولا يبطل عمله بل يُشكر ويُشاد عليه، ﴿وَأَنَّا لَكَنَّا كَنُوتُونَ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة، ومعنى الكفران ترك المجازاة.

﴿٩٦﴾ ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبِيهِ﴾ [أي أهل قرية] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «وحرّم» بكسر الحاء بلا ألف، وقرأ الباقون بالألف «حرام» وهما لغتان مثل حلّ وحلال، قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية،

﴿أَفَلَا تَكْتُمُهَا﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكتناهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، إلى الدنيا، وقال الزجاج: معناه وحرام على أهل قرية أهلكتناهم أي حكمنا بهلاكهم أن تقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُذْيَةٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْهُ﴾ أي يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

﴿٩٦﴾ قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: «فتحت» بالتشديد على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، يريد فتح السد عن يأجوج [ومأجوج]، ﴿وَهُمْ يَنْ كَلِّ حَذْبٍ﴾، أي نشز وتل، والحذب المكان المرتفع، ﴿يَسْلُونُ﴾، يسرعون النزول من الآكام والتلال كنسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عني بها يأجوج ومأجوج بدليل ما:

روينا عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يبعث الله يأجوج ومأجوج [وهم] من كل حذب ينسلون».

وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم، يدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدت بالجيم والثاء كما قال: ﴿فَإِذَا

هُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ إِلَّا رَبِّهِمْ لَسْلُونُ﴾ [يونس: ٥١].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو خيثمة زهير بن حرب، أنا سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

﴿٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ أَلْعَدُ الْحَقُّ﴾، يعني [يوم] القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله «واقترب» مقحمة معنا حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا وَقَدْ جَاءَهُمْ نَارُ الْبَرِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أي ناديتاه.

والدليل عليه ما روي عن حذيفة قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة.

وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله يا ويلنا، فيكون مجاز الآية. حتى

إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قول: ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله: «هي» ثلاثة أوجه أحدها أنها كناية عن الإبصار. ثم أظهر الإبصار بياناً معناه فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا. والثاني أن هي تكون عماداً كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج: ٤٦]، والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿هِيَ﴾، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتدا: ﴿شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازة أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون: ﴿يَوْلَيْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾، يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن: الحطب. وقال عكرمة: هو الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء، وأصل الحصب الرمي، قال الله عز وجل: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٤] أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي بن أبي

الزيعري السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبدالله: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزيعري: أنت قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ؟﴾ قال: نعم، قال: ليست اليهود تعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح، وينو مليح تعبد الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: «بل هم يعبدون الشياطين» فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، يعن عزيزاً والمسيح والملائكة، ﴿أُولَئِكَ عَنَّا مُتَعَبِدُونَ﴾، وأنزل فسي ابن الزيعري: ﴿مَا عَصِيؤُهُ لَكَ إِلَّا جِدَلًا بَلْ مَرُّ قَوْمٍ خَصِصُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ولو أراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا﴾، يعني صوتها وحركة تلهمها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسن والحسيس الصوت الخفي، ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، مقيمون كما قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: الفرع

طالب: «حطب جهنم»، ﴿أَشْتَرُ لَهَا وَرَدُونَ﴾، أي فيها داخلون.

﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ﴾، يعني الأصنام، ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة، ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾، أي ما دخل عابدها النار، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يعني العابدين والمعبودين.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في ثوابيت من نار، ثم جعلت تلك الثوابيت في ثوابيت أخرى ثم تلك الثوابيت في ثوابيت أخرى، عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره، ثم استثنى فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، قال بعض أهل العلم: «إن» ههنا بمعنى «إلا» معناه: إلا الذين سبق لهم منا الحسن، يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة، ﴿أُولَئِكَ عَنَّا مُتَعَبِدُونَ﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبق لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبد كاره.

وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، الآيات الثلاثة، ثم قام فأقبل عبدالله بن

الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]. قال الحسن: حتى يؤمر بالعبء إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادى: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجهم. ﴿وَنُنَقِّلُهُمُ الَّتَكِيزَةً﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم، ويقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ﴾، قرأ أبو جعفر: «تطوى السماء» بالتاء وضمتها وفتح الواو، «والسما»، رفع على المجهول، وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو،

الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]. قال الحسن: حتى يؤمر بالعبء إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادى: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجهم. ﴿وَنُنَقِّلُهُمُ الَّتَكِيزَةً﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم، ويقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ولو أراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا﴾، يعني صوتها وحركة تلهمها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسن والحسيس الصوت الخفي، ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، مقيمون كما قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: الفرع

«والسما» نصب، ﴿كَلِمَاتٍ آلَتْ حَبْلَ﴾
لِلْكَتُبِ، قرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم للكتب على
الجمع، وقرأ الآخرون للكتاب على
الواحد، واختلفوا في السجل، فقال
السدي: السجل ملك يكتب أعمال
العباد، واللام زائدة، أي: كطي
السجل الكتب كقوله: ﴿رَبِّكَ لَكُمْ﴾
[النمل: ٧٢]، اللام فيه زائدة،
وقال ابن عباس ومجاهد
والأكثر: السجل الصحيفة للكتب
أي لأجل ما كتب معناه [هو] كطي
الصحيفة على مكتوبها، والسجل
اسم مشتق من المساجلة وهي
المكاتبة، والطى الدرج الذي هو
ضد النشر، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْتِي﴾
تُؤِيدُوهُ، أي كما بدأناهم في بطون
أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك
نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله
تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدًى كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وروي عن ابن عباس عن
النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون
حفاة عراة غرلاً»، ثم قرأ: ﴿كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْتِي تُؤِيدُوهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا
كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، يعني الإعادة
والبعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ
بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال سعيد بن جبير
ومجاهد: الزبور جميع الكتب
المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي
عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره
في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس
والضحاك: الزبور التوراة والذكر
الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال
الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر

التوراة. وقيل: الزبور زبور داود
والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل،
كقوله تعالى: ﴿وَكُنْ وَرَاءَهُمْ مَّيَّك﴾
[الكهف: ٧٩]: أي أمامهم، ﴿وَالْأَرْضُ
بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنًا﴾ [النازعات: ٣٠] أي:
قبله، ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ﴾، يعني أرض
الجنة، ﴿يَرْبُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾،
قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله
قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ [الزمر:
٧٤] وقال ابن عباس: أراد أن أراضي
الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم
من الله بإظهار الدين وإعزاز
المسلمين. وقيل: أراد بالأرض
الأرض المقدسة.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾، أي في
هذا القرآن، ﴿لِلنَّاسِ﴾، وصولاً إلى
الغبية أي من اتبع القرآن وعمل به
وصل إلى ما يرجو من الثواب.
وقيل: بلاغاً أي كفاية. يقال في هذا
الشيء بلاغ وبُلغة أي كفاية، والقرآن
زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿لِقَوْمٍ
عَابِدِينَ﴾، أي مؤمنين الذين
يعبدون الله [عز وجل]. وقال ابن
عباس: عالمين. قال كعب الأحبار:
هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات
الخمسة وصوم شهر رمضان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن زيد: يعني
رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة
لهم. وقال ابن عباس: هو عام في
حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن
فهو رحمة له في الدنيا والآخرة،
ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا
بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ
والخسف والاستئصال عنهم.

وقد قال النبي ﷺ: «إنما أنا
رحمة مهداة».

﴿قُلْ إِنَّمَا يُرِيدُ إِلَهُك أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾، أي أسلموا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾،
أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح
بيننا، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾، يعني إنذار بين
يستوى في علمه لا استيذاناً به دونكم
لتنأهبوا لما يُراد بكم، يعني آذنتكم
على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم
به، وقيل لتستووا في الإيمان به،
﴿وَلَنْ أَذْرِيكُمْ﴾، يعني وما أعلم.
﴿أَقْرَبُ أَمْ يُبْعِدُ مَا تُوعِدُونَ﴾، يعني
القيامة.

﴿وَأَنْتُمْ بِعِلْمِ الْغَيْبِ مِنْ
أَلْقَوْلِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَلَنْ أَذْرِيكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾، يعني
لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن
غير مذكور، ﴿فَتَنَةٌ﴾، اختبار،
«لكم»، ليري كيف صنعكم وهو
أعلم، ﴿وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ﴾، يعني
تتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

﴿قُلْ رَبِّ أَسْكُرْ لِلَّذِينَ﴾ قرأ
حفص عن عاصم: «قل رب
احكم»، وقرأ الآخرون: «قل رب
احكم» يعني أفصل بيني وبين من
كذبني بالحق، فإن قيل كيف قال
احكم بالحق [والله لا يحكم إلا
بالحق]؟ قيل: الحق ههنا بمعنى
العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه
فعدبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى:
﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾
[الأعراف: ٨٩].

قال أهل المعاني: معناه رب

في الشور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض.

وروي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما: أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة [تبوك] وقيل في غزوة بني المصطلق ليلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يخطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً، والناس ما بين باك أو جالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله عز وجل لأدم قم فابعث بعث النار من ولدك، قال: فيقول آدم: من كل كم؟ فيقول الله عز وجل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجوا إذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتهن يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي، وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير والرقمة في الذراع

الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب، فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم، [أو قال: اللهم اجعله منهم]، فقام رجل [من الأنصار] فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، كان كثير الجدل وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً. قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ أَي: ويتبع في جداله في الله بغير علم، كُلِّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾، والمريد المتمرد الغالي العاتي والمستمتر في الشر.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾، أي: قُضِيَ على الشيطان، ﴿أَنْتُمْ مَن تُولَدُوا﴾، اتبعه ﴿فَأَنْتُمْ﴾، يعني الشيطان: ﴿يُضِلُّهُ﴾، أي: يضل من تولاه، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ النَّعِيرِ﴾، ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يَكَادِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّكُمْ﴾، يعني: في شك، ﴿مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ﴾، يعني: أباسم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿وَمِن نُّبُوِّكُمْ﴾، يعني: ذريته والنطفة هي المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾، وهي الدم

الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾، وهي لحمه قليلة قدر ما يمتزج، ﴿مُخَلَّقَةٍ وَعَرِىَّ مُخَلَّقَةٍ﴾، قال ابن عباس وقتادة: مخلقة أي تامة الخلق، وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة، يعني السقط. وقيل: «المخلقة» الولد الذي تأني به المرأة لوقته، وغير «المخلقة» السقط.

وروي عن علقمة عن عبدالله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال: أي رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال غير مخلقة قذفها الرحم دماً ولم تكن نسمة، وإن قال مخلقة، قال الملك: أي رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ ما العمل ما الأجل ما الرزق ويأي أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته. ﴿إِنِّي نَسِيتُ لَكُمْ﴾، كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل: لنبين لكم ما تأتون وما تزدرون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿وَيُقَرَّرُ فِي الْأَنْهَارِ مَا نَشَأُ﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إِنَّ أَجَلَ شَيْءٍ﴾، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثُمَّ نَحْنُ خَيْرُكُمْ﴾، من بطون أمهاتكم ﴿وَلِطَفْلٍ﴾ أي: صغاراً، ولم يقل أطفالاً، لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ثُمَّ لَتَبْلَغُوا أَشْهُكُمْ﴾

دون قلبه. ﴿فَإِنْ أَسَابَكُمْ حَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿أَطْمَأَنَّ يَدَيْهِ﴾، أي: رضي وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَسَابَكُمْ وَفَنَدٌ﴾، بلاء في جسده، وضيق في معيشته، ﴿أَنفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿حَيْرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار. قرأ يعقوب «خاسر» بالالف «والآخرة» جرّ. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْبَاطِنُ﴾ [أي]: الظاهر.

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن أطاعه وعبده، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [يعني البعيد] عن الحق والرشد.

﴿يَدْعُوا لَكِنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾، هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في الآية السابقة ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾ وقال ههنا: ﴿يَدْعُوا لَكِنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فكيف التوفيق بينهما؟ قيل قوله في الآية الأولى ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾ أي: لا يضمره ترك عبادته، وهو قوله: ﴿لَكِنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال: «لَمَنْ ضَرَهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] أي: لا رجع أصلاً، فلما كان نفع

الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً، قيل: ضره أقرب من نفعه، لأنه كائن. السؤال الثالث: قوله: ﴿لَكِنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ما وجه هذه اللام؟ اختلفوا فيه فقال بعضهم: هي صلة، مجازها «يدعو من ضره أقرب»، وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل: «لم ضره أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه». وقيل: يدعو بمعنى يقول، والخبر محذوف أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو إله. وقيل: معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى ولو قلت يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخيرة جاز. وقيل: على التوكيد معناه يدعو والله لَمَنْ ضره أقرب من نفعه. وقيل: ﴿يَدْعُوا مِنْ﴾ صلة قوله ذلك هو الضلال البعيد يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: «لَمَنْ ضره أقرب من نفعه» فيكون «مِنْ» في محل رفع بالابتداء وخبره، ﴿لَيْسَ أَلَمُولُ﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْسَ أَلَعْبِيدُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمي الزوج عشيراً لأجل المخالطة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿مَنْ كَانَتْ يَدَاكَ بَظَنُّ أَنْ لَنْ يَضُرَّهُ اللَّهُ﴾، يعني نبيه محمداً ﷺ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدَدْ بِسَبِّ، أي: بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أراد بالسماة سقف البيت على قول الأكثرين، أي: ليشد حبلاً في سقف بيته

فليختنق به حتى يموت، ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّ الْحَبْلُ بَعْدَ الْاِخْتِنَاقِ﴾. وقيل: «ثم ليقطع» أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُمْ﴾، صنعه وحيلته، ﴿مَا يَغِيظُ﴾ «ما» بمعنى المصدر، أي: هل يذهبن كيده وحيلته غيظه، معناه: فليختنق غيظاً حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق الموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم ترض هذا فاختنق ومث غيظاً. وقال ابن زيد: المراد [من السماء] السماء المعروفة، ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتي من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف، فقالوا: لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميروننا ولا يأووننا فنزلت هذه الآية.

وقال مجاهد: النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة إلى «من» ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، نزلت فيمن أساء الظن بالله عز وجل وخاف ألا يرزقه الله، فليمدد بسبب إلى السماء أي إلى سماء البيت، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغني، وهو خيفة أن لا يرزق، وقد يأتي

قال قيس وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اَتَخَصَّمُوا فِي رَيْبٍ مِّنْهُمَا﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

قال محمد بن إسحاق خرج - يعني يوم بدر - عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، وعبدالله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا حين انتسبوا: أكفاء كرام، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب ويا علي بن أبي طالب، فلما دنوا قالوا من أنتم؟ فذكروا فقالوا: نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة، وعليّ الوليد بن عتبة، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه، ففكر حمزة وعلي بأسيا فهما على عتبة فذفقا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قطعت رجله ومخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألسنتُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً فعلم، أنا أحق بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهب عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله أمنا بنينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتكم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم.

وقال مجاهد: وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا. وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٦٩] الآية فجعل خمسة للنار وواحدًا للجنة.

﴿١٩﴾ فقله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اَتَخَصَّمُوا فِي رَيْبٍ مِّنْهُمَا﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم. وقال عكرمة: هما الجنة والنار اختصمتا كما:

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيايدي، أنا أبو بكر القبطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسُقَطُهُمْ وَغُرَّتُهُمْ؟» قال الله عز وجل للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار

فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، فهناك تمتلئ ويوزي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآتية شيء إذا حمى أشد حرّاً منه وسُمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كالحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من نار، ﴿يَصْبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ والحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

﴿٢٠﴾ ﴿يَصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [من الأمعاء] يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتهما، أصهرها صهرأ، معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: يشوي حرها جلودهم [وما في بطونهم] فتساقط.

أخبرنا أبو بكر [محمد بن عبدالله بن أبي توبة، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السمح، عن ابن حجرية واسمه عبدالرحمن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى

يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يفرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان.

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾، سباط من حديد واحدتها مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجز من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عقيفاً.

وفي الخبر: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أفلوه من الأرض».

﴿٢٢﴾ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيٍّ﴾، يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكره الذي يأخذ بأنفسهم ﴿أَعْيِدُوا فِيهَا﴾، يعني: ردوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقبهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهرون فيها سبعين خريفاً. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، أي: تقول لهم الملائكة دوخوا عذاب الحريق، أي: المحرق مثل الألم والجوع، قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر هم المؤمنون.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخَلِّ الْأَشْكَبَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، جمع سوار، ﴿وَلَوْلُوا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم «ولولوا» ههنا وفي سورة الملائكة [فاطر: ٣٣] بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لولوا، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالالف، وقرأ الآخرون بالخفض

عطفاً على قوله: «من ذهب» وترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها فيها كما أثبتوا في: قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة، لأن الهمزة حرف من الحروف ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

أخبرنا عبد الواحد بن

أحمد المليحي، أنا أبو القاسم البغوي، أبي شريح، أنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن قتادة، عن داود السراج، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو».

﴿٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] هدوا إلى صراط الحميد، إلى دين الله وهو الإسلام، والحميد هو الله المحمود في أفعاله [وأقواله].

سورة الحج

سورة الحج

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّبِيلِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافُ فِيهِ وَالْأَبَادُ وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَكِيمِ يُطْلِقُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَذُنُوبُهُمْ أَنْ لَا تُشْرَفُ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَنِي إِسْرَافِيلَ وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكْعَ الشَّجَرِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَلَكَؤُمُهُمْ وَأَطْعُمُهُمْ أَلْسَانَ الْقَوَافِرِ ﴿٢٨﴾ لِيَعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ وَلِيُوقُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ذَلِكُمْ وَمِنْ عَظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ حَرَمٌ مُذَرَّرٌ وَأُجِّلَتْ لَكُمْ الْأَنْفُسُ الْأَمَانَةُ عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاحِدٍ قَوْلُكَ الرَّزْمِ

٢٢٥

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عطف المستقبل على الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٧]، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدم، ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون ﴿وَالسَّبِيلِ الْحَرَامِ﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ﴾، قبله لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً كما قال: ﴿وَضَعِ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ﴿سَوَاءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: «سواء» نصباً بإيقاع الجعل عليه [لأن الجعل] يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستوياً فيه، ﴿الْعَنَافُ فِيهِ وَالْأَبَادُ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتمام الكلام عند قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ وأراد بالعاكف: المقيم

فيه، وبالبادي الطاريء المنتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم «سواء العاكف فيه والباد» يعني في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية: هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال آخرون المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به، ليس أحدهما بأحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يزجج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جببر وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. قال عبدالرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم.

وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يخلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول - وهو الأقرب إلى الصواب - يجوز، لأن الله تعالى قال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ يَبْتَغِ حَقَّ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

فنسب [الديار إليهم نسبة] ملك، واشترى عمر داراً للمسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها، وهذا قول طاووس وعمر بن دينار، وبه قال الشافعي. قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْرِثْ فِيهِ﴾ أي: فسي المسجد الحرام ﴿يُلْحِكُمْ يُطْلِقْ﴾

وهو الميل إلى الظلم، والباء في قوله: ﴿يُلْحِكُمْ﴾ زائدة كقوله: ﴿تَبَّتْ يُدُّهُنَّ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، قال الأعشى: ضمنت برزق عيالنأ أرمأحنأ، أي: رزق عيالنأ. وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه أن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وعبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم، أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام من قتل صيد، أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: هو احتكار الطعام بمكة. وقال عبدالله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْرِثْ فِيهِ يُلْحِكُمْ يُطْلِقْ نُزُقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب عليه، ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلا أن يتوب. وروي عن عبدالله بن عمر [و] أنه كان له فسطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فستل عن ذلك فقال: كنا نحدث أن من

الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْبَنِي إِسْرَافَ﴾ أي: وطأنا، وقال ابن عباس: جعلنا وقيل: بينا. قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبدءاً لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء في زمن الطوفان، ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكتبت له ما حول البيت على الأساس. وقال الكلبي: بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي قدري فبنى عليه. قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقتلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلْعَابِدِينَ﴾، أي: الذين يطوفون بالبيت [من دنس الذنوب]، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين، ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، أي: المصلين.

﴿٣٧﴾ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: أعلم وناذ في الناس، ﴿بِالْحَجِّ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ قال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم على المقام فارتفع [به] المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: ليك

اللهم ليبيك، قال ابن عباس: فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً.

وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى. وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة، وزعم الحسن أن قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع.

وروي أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيهما الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا».

قوله تعالى: ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ كَبِيرٍ، أَوْ بَشِيرَةٍ عَلَى أَرْجُلِهِمْ جَمْعَ رَاجِلٍ، مِثْلَ قَائِمٍ وَصَائِمٍ وَصِيَامٍ، ﴿وَكُلٌّ كُلٌّ صَائِرٌ﴾، أي: ركبناً على كل ضامر، والضاامر: البعير المهزول. ﴿يَأْتُونَكَ مِنْ كُلِّ مَجْزٍ عَيْنٍ﴾، أي: من كل طريق بعيد، وإنما جمع يأتين لمكان «كل» أراد النوق.

﴿لِيَشْهَدُوا﴾، ليحضرُوا، ﴿فَنَنْفَعَهُمْ﴾، قال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي الباقر: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. قال مجاهد: التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ مَعْلُومَاتٍ﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل: لها معلومات للبحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروي عن علي رضي الله عنه: أنها يوم

النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق. ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق [لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها]، ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما:

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله قال في قصة حجة الوداع: وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة بيده ونحر علي ما بقي، ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر، فأكل من لحمها وحسباً من مرقها.

واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل

منه شيئاً؟ مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالندر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والندر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَمَسُّوا الصَّالَةَ وَالصَّالَاتِ﴾، يعني: الرِّزْمِ الْفَقِيرِ الذي لا شيء له واليائس الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

﴿ثُمَّ لَيَقْعُنَّهَا نَجَسُهُنَّ﴾، التفت: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أنفثك، أي: أوسخك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره، فقضاء التفت: إزالة هذه الأشياء ليقضوا نفثهم، أي: يزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلقة، وقص الشارب، وتنف الإبط، والاستحداد، وقلم الأظفار، ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: «قضاء التفت»: مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج، وأخذ الشارب وتنف الإبط، وحلق العانة، وقلم الأظفار. وقيل: التفت ههنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا نعرف التفت ومعناه إلا

من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليطمئنها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذر ولم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وقى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر «وليؤفوا» بنصب الواو وتشديد الفاء، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم، وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أحمد هو ابن عيسى، أنا ابن وهب، أنا عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبدالرحمن بن نوفل القرشي [أنه] سأل عمرو بن الزبير فقال: قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة، ثم عمر مثل ذلك، ثم حج عثمان فأريته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد

الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ «أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً ثم يصلي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعاً».

والطواف الثاني هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، ثنا أبي، أنا الأعمش، أنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي ﷺ: «عقرى حلقى» أطافت يوم النحر؟ قيل: نعم، قال: فانفري».

فثبت بهذا أن [من] لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر، والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان عن سليمان الأحول، عن طاوس عن ابن

عباس قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض». والرمل مخصص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع.

قوله: ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ اختلفوا في معنى العتيق، قال ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وقتادة: سمي عتيقاً لأن الله أعنته من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. قال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط، وقال الحسن وابن زيد: سمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال: دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيقاً لأن الله أعنته من الغرق، فإنه رفع أيام الطوفان.

﴿وَالَّذِي﴾ أي: الأمر ذلك، يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾، أي معاصي الله وما نهى [الله] عنه، وتعظيمها ترك ملابتها. قال الليث: حرمت الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمات ههنا: المناسك بدليل ما يتصل بها. من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمات ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام. ﴿فَقَوَّ حَيْزَ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، أي: تعظيم الحرمات، خير له عند الله في الآخرة. ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآفَاقُ﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿إِلَّا مَا

يُثَلِّ عَلَىكُمْ»، تحريمه، وهو قوله في سورة المائدة: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانَةُ وَالْدَّمُ» [المائدة: ٣]، الآية، «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» أي: عبادتها، يقول كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب، والرجس: بمعنى الرجز. وقال الزجاج: «من» ههنا للجناس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، «وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور.

وروي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله»، ثم قرأ هذه الآية.

وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

﴿حُنَافَ اللَّهِ﴾، مخلصين له، «عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ»، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يُسمون حنفاء، فنزلت: «حُنَافَ اللَّهِ عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين يعني: مَنْ أَشْرَكَ لَا يَكُونُ حَنِيفاً. «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ» أي: سقط، «مِنَ السَّمَاءِ»، إلى الأرض، «فَتَخَطَّفَهُ الْقَطَرُ»، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقر أهل المدينة «فتخطفه» بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، «أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ»، أي: تميل وتذهب به، «فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ»، أي بعيد، معناه أن بعد من أشرك

بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل [إليه] بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرון على شيء منها.

﴿ذَلِكَ﴾، يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، «وَمَنْ يَعْظَمْ شُكْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ»، قال ابن عباس: «شعائر الله البُذُن والهدي، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: «شعائر الله» أعلام دينه، فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾، أي: في البدن قبل تسميتها للهدي، «مَنْفَعٌ»، في ذرها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، «إِلَّا أَجَلٌ شَمِيٌّ»، وهو أن يسميها ويوجبها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها

﴿حُنَافَ اللَّهِ عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الْقَطَرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾
 ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمْ شُكْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾
 ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَّا أَجَلٌ شَمِيٌّ ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الشَّيْقِ﴾
 ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَى مَا رَفَعَهُمْ مِنْ بَيْتِهِ الْأَعْلَى فَلَهُمْ كَرَامٌ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾
 ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ بَدَعُوا قُلُوبَهُمْ وَاصْنَعِ مِنَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَمِيُّ مِنَ الْغُلُوقِ وَرَأَيْتَهُمْ يَقِفُونَ﴾
 ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مَنَاسِكَ لِلَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِنَّا وَجَّهْتُ جُودِيَّهَا فَكَلِمَاتُهَا وَأَلْعَمُوا الْقَائِمَ وَالْمَعْرُوفَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
 ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لَهَا لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
 ﴿وَلَكِنَّ يَأْتِيهِ الْفَقْرُ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَذْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

هدياً بأن تركوبها وتشربوا ألبانها عند الحاجة «إلى أجل مسمى»، يعني إلى أن تنحروها، وهو قول عطاء بن أبي رباح، واختلف أهل العلم في ركوب الهدى، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، لما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال [له] «اركبها»، فقال [يا رسول الله] إنها بدنة، فقال: اركبها، وملك، في الثانية أو الثالثة وكذلك قال له: «الشرب لبنها بعدما فضل عن زبي ولدها».

وقال أصحاب الرأي: لا يركبها.

وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهدة مكة، ﴿لَكَ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾ بالتجارة والأسواق ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَيٍّ﴾، وهو الخروج من مكة. وقيل: ﴿لَكَ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾ بالأجر والثواب في قضاء المناسك ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَيٍّ﴾، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثُمَّ حِجَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: منحراها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فَلَا يَقْرَءُوا الْمُسَوِّدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله.

وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرث ههنا ويمى كلها منحرف فانحروا في رحالكم».

ومن قال «الشعائر» المناسك قال معنى قوله: ﴿ثُمَّ حِجَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.

﴿٣٤﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جَعَلْنَا مَنَكَا﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع، يعني مذبحاً وهو موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، يعني إراقة الدماء وذبح القربابين، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾

وقيدها بالأنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القربابين. ﴿فَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَجَدَ﴾، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿فَلَهُ أَتَمَلُّوا﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿وَوَيْتَرِ الْمُتَحَيِّتِينَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. قال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿وَالْقِيَمَى الصَّالِحِينَ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، أي: يتصدقون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْبُدْنَ﴾، جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بَدَنَ الرجل بدناً وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال بدن تديناً. قال عطاء والسدي: البدن الإبل والبقر أما الغنم لا تسمى بدنة. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لَكَ فِيهَا خَيْرٌ﴾، النفع في الدنيا والآجر في العقبى، ﴿فَاذْكُرُوا

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: عند نحرها، ﴿صَوَافٍ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن مسلمة، أنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ.

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث [قوائم]، وقرأ ابن مسعود «صوافن» وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف، وقرأ أبي الحسن ومجاهد: «صوافي» بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿فَإِذَا وَجِئْتَ جُدُوبًا﴾، يعني: سقطت بعد النحر ووقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغرب، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، أمر إبادة، ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ﴾، اختلفوا في معناها، فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: «القانع» الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطي ولا يسأل، و«المعتر» الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يتعرض ولا يسأل، والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا أَوْ أَوَّلَ نُصْرَةٍ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَبِيعَ وَصَلَاتُكُمْ وَمَسْجِدُكُمْ فَكَيْفَ أُقَامُ اللَّهُ
كَشِيرًا وَلَيْسَ صَرْفُ اللَّهِ مِنْ بَعْضِهِمْ لَوْلَا اللَّهُ لَقَوِيَ
عَزِيزٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْعِزَّةِ وَهُمْ أَمَّا الْمُنْكَرُ
وَلَقَدْ عَفَا الْأُمُورَ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ﴿٤٠﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَاتَ الْكَاذِبِينَ ثُمَّ
أَحْيَاهُمْ لَكَيْفَ كَانَ ذِكْرُ ﴿٤١﴾ فَكَانَ مِنْ قَرْنِهِ
أَهْلُ كَنْعَانَ وَهُمْ طَالِمَةُ فِيهِ غَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبَنِي مُعَاوِلَةَ قَصَصَ مُوسَىٰ ﴿٤٢﴾ فَأَنزَلَ فِيهِمْ وَأَمَّا الْأَرْضُ
فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَقُولُونَ بِهَا أَوْ أَدَانُ سَمْعُونَ بِهَا أَلَانُهَا
لَا تَعْمَى الْأَرْضُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

والحمد لله على ما أبلانا
وأولانا، «وَيُنْشِرُ
الْمُحْسِنِينَ»، قال ابن
عباس: الموحدين.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى:
«إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنَّا أَلْيَنَ
أَمْتًا»، قرأ ابن كثير
وأهل البصرة «يدفع»،
وقرأ الآخرون «يدافع»
بالالف، يريد يدفع غائلة
المشركين عن المؤمنين
ويمنعهم من المؤمنين.
«إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَاذِبٍ»، يعني: خوان في
أمانة الله كفور لنعمته،
قال ابن عباس: خانوا الله

القناعة، يقال: قنع قناعة إذ رضي
بما قُسم له. وقال سعيد بن جبير
والحسن والكلبي: القانع الذي
يسأل، والمعتز الذي يتعرض ولا
يسأل، فيكون القانع من قنع يقنع
قنوعاً إذا سأل. وقرأ الحسن
«والمعتري» وهو مثل المعتز، يقال:
عره واعتريه وعراه واعتراه إذا أتى
يطلب معروفه، إما سؤالاً وإما
تعرضاً. وقال ابن زيد: «القانع»: **المسكين**، و«المعتز»: الذي ليس
بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء
إلى القوم فيتعرض لهم لأجل
لحمهم. «وَكَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ»
وصفنا من نحرها قياماً، «سَخَرَهَا
لَكُمْ»، نعمة منا لتمكنوا من
نحرها، «لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ»، لكي
تشكروا إنا على ما عليكم.

﴿٣٧﴾ «لَنْ يَبَالُ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا
بِمَاوَاهَا»، وذلك أن [أهل] الجاهلية
كانوا إذا نحرروا البدن لطخوا الكعبة
بدمائها قرية إلى الله، فأنزل الله هذه
الآية: «لَنْ يَبَالُ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا
بِمَاوَاهَا» قرأ يعقوب «تنال وتناله»
بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء، قال
مقاتل: لن يُرفع إلى الله لحومها ولا
دماؤها، «وَلَكِنْ يَبَالُ اللَّهُ لِنَفْسِ
يُنْكَمُ»، ولكن تُرفع إليه منكم
الأعمال الصالحة والتقوى،
والإخلاص وما أريد به وجه الله
تعالى «كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ»، يعني:
السبد، «لِيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَيْتُمْ»، أرشدكم لمعالم دينه
ومناسك حجه، وهو أن يقول
[أحدكم]: الله أكبر على ما هدانا

وجعل هذه الآية، وهي أول آية
أذن الله فيها بالقتال ونزلت هذه الآية
بالمدينة. وقال مجاهد: نزلت هذه
الآية في قوم بأعيانهم خرجوا
مهاجرين من مكة إلى المدينة،
فكانوا يستنصرون [من الهجرة إلى
رسول الله] فإذا لبث لهم في قتال
الكفار الذين يصنعونهم من الهجرة،
«يَأْتُهُمْ ظُلُمًا»، يعني: بسبب ما
ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، «وَلَنْ
يَبَالُ اللَّهُ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ لَقَدِيرٌ».

﴿٣٨﴾ «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ
بِغَيْرِ حَقٍّ»، بدل من الذين الأولى
«إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ»، يعني:
لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم
ربنا الله وحده، «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ»، بالجهد وإقامة
الحدود، «لَفَسَدَتِ» قرأ أهل
المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون
بالتشديد على التكثير والتشديد
يكون للقليل والكثير والتشديد

فجعلوا معه شريكاً وكفروا بنعمه.
قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام
بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو
خوان كفور.

﴿٣٩﴾ «إِذْنٌ»، قرأ أهل المدينة
وبصرة وعاصم: «إِذْنٌ» بضم الألف
والباقون بفتحها، أي: أذن الله،
«لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ»، قرأ أهل المدينة
وابن عامر وحفص «يقاتلون» بفتح
التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم
المشركون، وقرأ الآخرون بكسر
التاء يعني الذين أذن لهم بالجهد
«يَتَّبِعُونَ» المشركين.

قال المفسرون: كان مشركو أهل
مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ
فلا يزالون محزونين من بين
مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك
إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم:
اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى
هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز

وَسْتَجِوْنَكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخَفِّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكُمْ يَوْمًا
عَذْرَتُكُمْ كَأَنَّهُمْ سَبَّوْهُمَا فَقَدْ بَكَتُمْ ﴿٥٧﴾ وَكَأَنَّهُمْ
قَرِيبٌ أَمَلْتُمْ لِمَا وَهَى ظَالِمَةٌ تَأْتِي الْخَنَازِيرَ إِلَى الْحَبِيبِ
﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كَارِهُ مَيْمُونٍ ﴿٥٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا أَنَاذَرُوهُ
أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَحْكُمَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَسَنُةٌ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَلِلْفَكَّالِينَ لَيْسَ بِشِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَسْلَمْ
الَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمُ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيَتَّبِعُوهُ
فَتُخَيِّتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٤﴾ وَلَا تَزَالُ الْوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرْيُومَةَ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ ﴿٦٥﴾

القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿فَإِنَّهَا﴾، الهاء عماد، ﴿لَا تَمَيَّ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَمَيَّ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَسْدَرِ﴾، ذكر التي في الصدور تأكيداً كقوله: ﴿يَطِيرُ بِمَنَاجِيرٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر: بلغة ومتمعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

﴿وَسَتَجْلِبُونَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، فأنجز ذلك يوم بدر. ﴿وَلَوْ أَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةِ وَمَا تَقْدُوتُ﴾، قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: يعدون بالياء هنا لقوله: «يستعجلونك»، وقرأ الباقر بالتاء لأنه أعم، ولأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين وافقوا في تنزيل السجدة [٥] أنه بالتاء، قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقداره خمسمائة سنة».

قال ابن زيد: ﴿وَلَوْ أَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةِ وَمَا تَقْدُوتُ﴾ هذه أيام الآخرة. وقوله: ﴿كَانَ يَقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يوم

القيامة. والمعنى على هذا: أنهم يستعجلون بالعذاب في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة.

وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الشغل والاستطالة والشدة كالف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار.

وقيل: معناه إن يوماً عنده ألف سنة في الإمهال سواء، لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير، فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبٍ أَتَيْتُ لَهَا﴾، يعني أمهاتها، ﴿وَمِنْ ظَلَمَةٍ تَرُدُّهَا إِلَيْنَا﴾.

﴿قُلْ يَكَايْنِ النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قَالَتِ الْمَثُورَاتُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يُغْفَرْ لَهُنَّ رِزْقٌ كَرِيمٌ، الرزق الكريم: الذي لا ينقطع أبداً. وقيل: هو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَكِينِنَا﴾، يعني عملوا في إبطال آياتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «معجزين» بالتشديد وهنا وفي سورة سبأ [٥] يعني مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرون «معاجزين» بآلف أي يعني معاندين مشاقين.

وقال قتادة: معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، معنى

يعجزوننا، أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿أَوَلَيْتَ أَصْحَابَ الْجَبَرِ﴾، وقيل: معاجزين مغالبين يريد كل واحد أن يظهر عجز بصاحبه.

﴿قُلْ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلقى إِلَيْنَا فِي أَثْنَيْتَيْهِ﴾، الآية.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين: لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحثتهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكَّ وَالْمَرْوَةَ وَمَرْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَةِ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه: «تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى»، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحبيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطعا السجود،

وتفرقت قريش وقد سزهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله عز وجل، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً فانزل الله هذه الآية يعزيه، وكان به رحيماً، وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش. وقيل: [قد] أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم، وقالوا: هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً، فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك، وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه، وشدة على من أسلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَهُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ بِالرُّوحِ عَيْنَانِ، وَلَا نَبِيٍّ وَهُوَ الَّذِي تَكُونُ نَبُوتُهُ إِلَهَاماً أَوْ مَنَاماً، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا.﴾ [وَإِنَّا نَمُوتُ]، قال بعضهم: أي: أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه

مما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته يعني مراده. وعن ابن عباس قال: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً، وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه يتمن ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله ﴿نَمُوتُ﴾ يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ يعني في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تمتلى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقدار

واختلفوا في أنه هل كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة؟ فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني إبليس؟ قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول الله ﷺ قرأه. وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءة فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر، والأكثر قولوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فترة ومحنة من الله تعالى والله تعالى

يمتحن عباده بما يشاء. ﴿فَنَسَخَ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾، أي: يُبطله ويذهبه، ﴿ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾، فيبسطها، ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي: محنة وبليّة، شك ونفاق، ﴿وَالْفَاسِقِينَ﴾، يعني: الجافية، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾، عن قبول الحق وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع فازدادوا غتواً، وظنوا أن محمداً يقول من عند نفسه ثم يندم فيبطل، ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركين، ﴿لِيَلْقَى شِقَاقَ﴾ [أي] ضلال، بعيد أي: في خلاف شديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْعَلَّهُمْ﴾، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى، ﴿أَنَّهُمْ﴾، يعني: الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿أَلْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَيَقُولُوا بِهِ﴾، أي: يعتقدوا أنه من الله، ﴿فَتَنَحَّى لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾، يعني: فتسكن [وتطمئن] إليه قلوبهم، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهُدَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: [إلى] طريق قويم هو الإسلام.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي رِيْبٍ مِّنْهُ﴾ يعني في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون: ما باله ذكر آلهتنا بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج: ﴿مِّنْهُ﴾ [أي من القرآن. وقيل: من الدين وهو الصراط المستقيم. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، يعني: [يوم] القيامة. وقيل: الموت، ﴿ثُمَّ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾، قال

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَنَسِيكَ السَّكَاةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لِيَذِيرَ بِئِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ يَوْمَ يَصْعَكُ يَوْمَ الْيَوْمِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَرَبُّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقْهُمْ مِنْ سُلْطَانِنَا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهُمُ الْمَائِدَةَ فَظَاهَرُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَنفُسِهِمْ كَفَرُوا السُّكْرَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَتَلَوْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا فُلَا تُفْهِمُهُمْ بَشَرَيْنِ ذَلِكُمْ أَنَا وَعْدُهُمَا اللَّهُ الَّذِي كَفَرُوا وَفِي الصَّيْرِ ﴿٧٣﴾

موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة. وقيل: مألفاً يالفونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه «مناسك الحج لشردد الناس إلى أماكن أعمال الحج». «فلا ينزعك في الأمر»، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء، وبشر بن سفيان، ويزيد بن خنيس، قالوا لأصحاب النبي ﷺ: مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما

قتله الله؟ قال الزجاج: معنى قوله: «فلا ينزعك» أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز: لا يضرينك فلان وأنت تريد: لا تضربه، وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. «وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ»، إلى الإيمان بربك، «إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى مُسْتَقِيمٌ». ﴿٦٧﴾ «وَلَنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ».

﴿٦٨﴾ «اللَّهُ يَحْكُمُ يَوْمَ يَصْعَكُ يَوْمَ الْيَوْمِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف: ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

﴿٦٩﴾ «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

﴿٦٥﴾ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ» يعني وسخر لكم الفلك، «تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ»، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تركب في البر، والفلك التي تركب في البحر، «وَنَسِيكَ السَّكَاةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ»، لكيلا تسقط على الأرض، «إِلَّا لِيَذِيرَ بِئِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ».

﴿٦٦﴾ «وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ»، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ»، عند انقضاء آجالكم، «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»، يوم البعث للشواب والعقاب، «وَلَنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ»، لنعم الله [عز وجل].

﴿٦٧﴾ «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ»، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. وروي عنه أنه قال: عيداً. قال قتادة ومجاهد:

السَّكَاةَ وَالْأَرْضَ إِنَّ ذَلِكَ»، كله، «فِي كِتَابٍ»، يعني اللوح المحفوظ، «وَلَنْ ذَلِكَ»، يعني: علمه لجميع ذلك، «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

﴿٦٨﴾ «وَرَبُّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقْهُمْ مِنْ سُلْطَانِنَا»، حجة وبرهاناً، «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ»، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، «وَمَا لِلظَّالِمِينَ»، المشركين، «مِنْ نَصِيرٍ»، مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿٦٩﴾ «وَإِذَا نَزَّلْنَا عَلَيْهُمُ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ»، يعني: القرآن، «تَعْرِفُ فِي وَجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّكْرَ»، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، «بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»، يعني: يقعون ويسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبسطون، «بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا»، يعني: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطابه، إذا تناوله بالبسط والعنف، وأصل السطو القهر. «قُلْ، يَا مُحَمَّدُ [لَهُمْ]»، «أَفَأَنْتُمْ كُنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمْ»، يعني بشرٌ لكم وأكره إليكم من [هذا] القرآن الذي تستمعون، «النَّارُ» يعني: هي النار، «وَعْدَهَا اللَّهُ الَّذِي كَفَرُوا وَفِي الصَّيْرِ».

﴿٧٠﴾ «يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَكَلٍّ»، معنى: ضرب، جعل، كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة، أي: جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه، وشبه بي الأوثان،

أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها ومعنى «فَاسْتَعْمُوا لَهَا»، يعني: فاستمعوا حالها وصفتها، ثم بين ذلك فقال: «إِنَّ الْوَيْبَ تَقْعُوتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء «كَانَ يَخْلُقُوا ذُبَابًا»، واحداً في صغره وقلته لأنها لا تقدر عليه، والذباب واحد وجمعه القليل: أذبة والكثير: ذبان، مثل غراب وأغرية وغريسان، «وَلَوْ أَحْتَمَعُوا لَهُ»، يعني خلقه، «وَأَن يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ»، قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه. وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام بالبواقيت واللائى وأنواع الجواهر، ويطيبنها بالوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها، فذلك قوله: «وَأَن يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا» أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئاً مما عليها لا يقدر أن يستفدوه منه، «ضَعُفَ الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ»، قال ابن عباس: «الطالب» الذباب يطلب ما يسلب من الطيب عن الصنم، و«المطلوب» الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: «الطالب» الصنم و«المطلوب» الذباب. وقال الضحاك: «الطالب»: العابد و«المطلوب»: المعبود.

﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ

فَكَدَّرُوهُ﴾، ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه، «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

﴿اللَّهُ يَصْطَلِي﴾،

يعني يختار «مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا»، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، «وَمِنَ النَّاسِ»، يعني: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء [صلوات الله عليهم أجمعين]، نزلت حين قال المشركون: «أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِئُنَّا» فأخبره أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من خلقه، «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»، يعني: سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته.

﴿يَعْلَمُ مَا يَكُنْ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس: ما قدموا، «وَمَا خَلَقَهُمْ»، ما خلفوا. وقال الحسن: «مَا يَكُنْ أَيْدِيهِمْ» ما عملوا «وَمَا خَلَقَهُمْ» ما هم عاملون من بعد. وقيل: ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم وخلفهم أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم «وَأَلَّى اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَوْا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، يعني: صلوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَعْمُوا إِلَٰهَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَخْلُقْوا ذُّبَابًا وَلَوْ أَحْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٥﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكَّرِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾ مَا يَكُنْ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَأَلَّى اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ ﴿٧٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَوْا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاقْعُوا الْخَبِرَ لِقَابِهِمْ فَلَهُمْ أَجَلٌ مُّدَدُوا وَجْهَهُمْ وَأَمَّا الْفُتُورُ فَهُمْ لَا يَخْتَارُ وَإِنَّ الْوَيْبَ تَقْعُوتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَوْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ

والسجود، «وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ»، أي: وحدوه، «وَاقْعُوا الْخَبِرَ»، قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق، «لَمَّا كُنْتُمْ قُلُوبُكُمْ»، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها، وهو قول عمر وعلي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وبه قال ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا قتيبة، أنا ابن لهيعة عن مشرَح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ فقال: نعم، من لم يسجد هما فلا يقرأهما.

وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، [وعدد سجدة القرآن أربع عشرة سجدة عند] أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود. روي ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس، وبه قال مالك.

وقد صح عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في «اقرأ»، وإذا السماء انشقت.

وأبو هريرة من متأخري الإسلام. واختلفوا في سجود ص فذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود، ويروي ذلك عن ابن عباس وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها، يروي ذلك عن عمر، وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، فعند ابن المبارك وإسحاق وأحمد وجماعة سجود القرآن خمسة عشر سجدة فعدوا سجدة الحج وسجدة ص.

روى عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن.

قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته. وقال

مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال أكثر المفسرين: «حق الجهاد» أن يكون بنية صادقة خالصة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى. وقال عبدالله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد.

وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وأراد بالجهاد الأصغر الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس. ﴿هُوَ أَجَبَتْكُمْ﴾ يعني: اختاركم لدينه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ يَنْزِلُ مِنْ حَرْجٍ﴾، ضيق، معناه أن المؤمن لا يتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ذنب لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسع ذلك عليكم، حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر، والتيمم عند فقد الماء، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار بالسفر والمرض، والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحَرْجُ ما كان على بني

إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ أَزْهَقُ﴾، يعني كلمة أيكم، نصب بنزع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا ملة أيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبه إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال النبي ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»، ﴿هُوَ سَمَّكُمْ﴾، يعني أن الله تعالى سماكم ﴿الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿رَبِّي هَذَا﴾ يعني: في الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد هو يرجع إلى إبراهيم [أي إن إبراهيم هو] سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿يَكُونُ أَرْسُولٌ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾، يوم القيامة أن قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا﴾، أنتم، ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾، ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. وروي

عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره. وقيل: معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿يَقَعَمُ السُّلَى وَيَقَعَمُ النَّصِيرُ﴾، الناصر لكم.

سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وثماني عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أخبرنا [أبو حامد] أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا عبد الرزاق، أنا يونس بن سليمان، أملى علي يونس صاحب أيلة، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة. وفي رواية: فنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات.

ورواه أحمد بن حنبل وعلي بن

المديني وجماعة عن عبد الرزاق، وقالوا: وأعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا.

﴿قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، «قد» حرف تأكيد، وقال المحققون (قد) تقرب الماضي من الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال، وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، والفلاح: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مخبتون أذلاء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غرض البصر وخفض الصوت، والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبدن والبصر والصوت، قال الله عز وجل: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وعن علي رضي الله عنه: هو أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً. وقال سعيد بن جبيرة: هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعَصِّمُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ مُعَدِّمُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُقْرَعُونَ ﴿٥﴾ خُفِّظُوا بِهَدْيِهِمْ خُفِّظُوا بِهَدْيِهِمْ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ غُلُوِّ مَعْرَافَتِهِمْ قَانِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مُرْءِئِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ خَاشِعُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ غُلُوِّ مَعْرَافَتِهِمْ قَانِعُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مُرْءِئِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ خَاشِعُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ غُلُوِّ مَعْرَافَتِهِمْ قَانِعُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مُرْءِئِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٨﴾

٢٤٦

محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، أنا أبو الأحوص، أنا أشعث بن سليم، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد، أنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، أنا عبد الغفار بن عبيد الله الكريدي، أنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت أعرض عنه».

وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن

سيرين وغيره: هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك.

قال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ رَمَوْا بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبد الله، أنا يحيى بن سعيد، أنا ابن أبي عروبة، أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «ليتنهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم».

وقال عطاء: هو أن لا تعبت بشيء من جسدك في الصلاة.

وزوي أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبت بلحيته في الصلاة فقال: «لو خضع قلب هذا لخشعت جوارحه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه».

وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سواها، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ مُمِرُّونَ﴾﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل ولهو وما لا يحمد من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتيم والسب: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْوُوا لِلَّهِ مَرْوًا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدّون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل. وقيل: الزكاة هنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفف عن الحرام.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾، أي: من أزواجهم، «على» بمعنى «من». ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، «ما» في محل خفض يعني أو مما ملكت أيماهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ والمرأة لا يجوز [لها] أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿فَأَتَتْهُمْ حِفْظُهُمْ﴾، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأني، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

﴿فَمَنْ أَتَىٰ ذَاكَ﴾،

أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰرِقُونَ﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام، وفيه دليل على أن الاستمنا باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم خبالي فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾، قرأ ابن كثير «لأمانتهم» على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج [٣٢]، لقوله تعالى: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ والباقون بالجمع، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَعَهْدِهِمْ رَضُونَ﴾، حافظون، أي يحفظون ما اتتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من [بين العباد] كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «صلاتهم» على التوحيد، والآخرين صلواتهم على الجمع. ﴿يَحْفَظُونَ﴾، أي: يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

﴿أُولَٰئِكَ﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، يرثون

منازل أهل النار من الجنة.

وزوي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» وذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقال مجاهد: لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي [له] في الجنة ويبني منزله الذي في النار. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لا يموتون ولا يخرجون.

وجاء في الحديث: «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يدخلها مدمن خمر، ولا ديوث».

﴿١٢﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: ولد آدم، والإنسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع، ﴿بَيْنَ سُلَاطِنٍ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو [الماء] يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالة، والولد سليلاً وسلالة لأنهما مسلولان منه قوله: ﴿بَيْنَ طِينٍ﴾،

يعني: طينة آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: من نطفة سُلّت من طين، والطين آدم عليه السلام، وقيل المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿بَيْنَ سُلَاطِنٍ﴾ أي: سل من كل تربة.

﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَافِلَةً﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿فِي قَلْبِهِ مَكِينٌ﴾، حريز، وهو الرحم مكن أي قد هيء لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْلَةَ عَاقَةً وَخَلَقْنَا الْعَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُنْثَةَ عِظْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «عظماً»، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾، يسكون الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلتين أربعون يوماً. ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾، أي البسناه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر.

وروي ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكراً أو أنثى. وروي العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿فَبَارَكْهُ اللَّهُ﴾، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾،

المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع.

﴿١٥﴾ وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق [الطير من الطين] كما قال: ﴿إِنِّي أَنشَأْتُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْيَاءَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، والميت بالتشديد، والمات الذي لم يمض بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هنا.

كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ يَمِينٌ﴾ [الزمر: ٣٠]. ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْيَاءَ﴾ [المؤمنون: ١٥]. ﴿ثُمَّ إِنَّا رَعَيْنَاهُ أَشْيَاءَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطابقها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنْ طَرَائِقِ غَفِيلِينَ﴾، أي [لم نحفظهم] عن حرسهم بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: ﴿وَنَسِيتُكَ الْكَافَّةُ أَنَّ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِأَذْنِ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي. وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْزِرُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نُتَرَا
كُلَّ مَلَأَةٍ أُمَّةٍ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ فَبِعَظْمِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَآخَاهُ
هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٣٩﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ بِرَبِّكَ يَا
مُوسَىٰ وَقَوْمُهُمَا لَنَأَعِطِيَنَّكَ فَكُذِّبُوا فَكَانُوا مِنْ الْمُنْكَرِينَ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا
أَيُّ مَرْجٍ وَأَمْنًا مَعَهُ وَوَدَّعْنَاهُ إِلَىٰ رِبْوٍ مُّذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٢﴾
يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ سَأْتِكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا أَنذِرُكُمْ
فَاتَّقُوا ﴿٤٤﴾ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٤٥﴾ نَذَرْتُ لِيَوْمِئِذٍ خِزْيًا عَظِيمًا ﴿٤٦﴾ يَسْتَحْسِنُونَ إِنَّمَا
يُؤْمِنُ بِرَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ الْغَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَشْدَّ حُبًّا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
آلِهِمْ أَشَدَّ حُبًّا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ أَشَدَّ حُبًّا

﴿٣٦﴾ «إِنْ هِيَ»، يعنون الدنيا، «إِلَّا حِكْمَانَا الدُّنْيَا تَمُوتُ وَنَحْيَا»، قيل فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. «وَمَا تَحْنُ يَسْمَعُونَ»، بمنشرين بعد الموت.

﴿٣٧﴾ «إِنْ هُوَ»، يعنون الرسول، «إِلَّا رُسُلٌ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا وَمَا تَحْنُ لَمْ يُمْؤَيِّنَ»، بمصدقين

بالبعث بعد الموت.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾ «قَالَ رَبِّي أَصْرَقِي بِمَا كَذَّبُوا» قَالَ عَمَّا قَلِيلًا، أي: عن قليل «وما» صلة، «يَتَصَيِّحُونَ»، ليصيرون، «تَوَلَّيْنَا»، على كفرهم وتكذيبهم.

﴿٤١﴾ «وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُمُ الْقَصِيحَةَ»، يعني صيحة العذاب، «وَالْحَقِّي»، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم، «فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَّةً»، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكى فيسوا بيس الغشاء من نبات الأرض، «فَبَعَثْنَا لِقَوْمِهِمُ الظَّالِمِينَ».

﴿٤٢﴾ «ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَكْرُوفًا»، يعني: أقواماً آخرين.

﴿٤٣﴾ «وَمَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا»، يعني: ما تسبق أمة أجلها، «ومن»

ثَرَاكًا وَعَظْمًا أَكْثَرَ مَخْرُجُونَ»، من قبوركم أحياء وأعاد أنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة عبدالله، نظيره في القرآن: «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَنْ يُخَادِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَتْ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا» [التوبة: ٦٣].

﴿٤٤﴾ «هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ»، قال ابن عباس: هي كلمة بُعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ أبو جعفر «هيهات هيهات» بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف، ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء.

صلة أي: وقت هلاكها، «وَمَا يَسْتَفْزِرُونَ»، وما يتأخرون عن وقت هلاكهم.

﴿٣٦﴾ «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نُتَرَا»، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتنون، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والألف] فيها كالألف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تنوين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتمكلا، «كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا»، بالهلاک، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، «وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ»، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداث. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداث، وإنما يقال صار فلان حديثاً، «فَبِعَظْمِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ».

﴿٣٧﴾ «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَآخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ»، يعني بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرها. ﴿٣٨﴾ «إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ»

﴿٣٩﴾ «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَآخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ»، يعني بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرها. ﴿٤٠﴾ «إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ»

فَأَسْتَكْبَرُوا، تعظموا عن الإيمان،
﴿وَكَاذِبًا قَوْمًا تَالِيْنَ﴾، متكبرين قاهرين
[غيرهم] بالظلم.

﴿٧﴾ ﴿فَقَالُوا﴾، يعني فرعون
وقومه، ﴿أَنَّا نُرِيَّ لِبَاسِيَّ يَتْلُو﴾،
يعنون: موسى وهارون، ﴿وَقَوْمَهُمَا
لَنَا عِندُونَ﴾، مطيعون متذللون
والعرب تسمي كل من دان لملك
عابداً له.

﴿٨﴾ ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ
الْمُهْلَكِينَ﴾، بالغرق.

﴿٩﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾،
التوراة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، لكي
يهتدي به قومه.

﴿١٠﴾ ﴿وَحَمَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَاسْمُهُ آيَةُ﴾،
دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين،
قيل: معناه [جعلنا] شأنهما آية.

وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما
آية، كقوله تعالى: ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ
اُكْثَاهَا﴾ [الكهف: ٣٣]. ﴿وَمَا وَدَّعْنَاهُمَا

إِلَّا نَبِيًّا﴾، الرتبة المكان المرتفع
من الأرض، واختلفت الأقوال فيها،
فقال عبدالله بن سلام: هي دمشق،

وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل،
وقال الضحاك: غرطة دمشق. قال
أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء

عن ابن عباس: هي بيت المقدس،
وهو قول قتادة وكعب. قال كعب:
هي أقرب الأرض إلى السماء بشمانية

عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي
مصر. وقال السدي: أرض

فلسطين. ﴿فَأَنزَلْنَا قُرْآنًا﴾ أي: مستوية
منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها.
﴿وَمَوْعِدٍ﴾، المعين الماء الجاري

الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من
عانه يعنيته إذا أدركه البصر.

﴿١١﴾ قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾، قال
الحسن ومجاهد وقتادة والسدي
والكلبي وجماعة: أراد به
محمدًا ﷺ وحده على مذهب
العرب في مخاطبة الواحد بلفظ
الجماعة. وقال بعضهم: أراد به
عيسى وقيل: أراد به جميع الرسل
عليهم السلام، ﴿كُلُّوا مِنْ
أَلْبَانٍ﴾، أي الحلالات، ﴿وَأَصْلُوا
صَلْبًا﴾، الصلاح هو الاستقامة
على ما توجبه الشريعة، ﴿إِنِّي يَمَّا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَيْكَ هَالِكٌ﴾ قرأ أهل الكوفة
و«إن» بكسر الألف على الابتداء،
وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف

ابن عامر النون وجعل «إن» صلة
مجازه وهذه «أَشْكُرُ»، وقرأ الباقون
بتشديد النون على معنى ويأن هذا

تقديره: بأن هذه أمركم، أي ملتكم
وشريعتكم التي أنتم عليها، «أَمْرٌ
وَحِيدٌ»، أي ملة واحدة وهي

الإسلام، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، أي:
اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم
بما أمرت به المرسلين من قبلكم

فأمركم واحد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾
فاحذرون وقيل: هو نصب بإضمار
فعل، أي: واعلموا أن هذه أمركم

أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاتقون.

﴿١٣﴾ ﴿فَتَتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ﴾، دينهم،
﴿يَتَّبِعُهُمْ﴾، أي: تفرقوا فصاروا فرقا
يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿زُرَّارٌ﴾

أي: فرقا وقطعا مختلفة، واحدها
زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله
الزيرة وجمعها زبر، ومنه: ﴿زُبُرُ
الْمَلَكِ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: صاروا
فرقا كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل
الشام «زبراً» بفتح الباء، قال قتادة
ومجاهد «زبراً» أي: كتباً يعني دان
كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي
دان به الآخرون. وقيل: جعلوا
كتبهم قطعاً مختلفة آمنوا بالبعث
وكفروا بالبعث وحرفوا البعض،
﴿كُلُّ جَزِيٍّ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾، أي: بما
عندهم من الدين، ﴿فَرِحُونَ﴾،
معجبون ومسرونون.

﴿١٤﴾ ﴿فَذَرْنِي فِي عَمَزَةٍ﴾، قال
ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم،
وقيل: عمايتهم، وقيل:
غفلتهم ﴿حَتَّىٰ يَمُوتُوا﴾، إلى أن يموتوا.

﴿١٥﴾ ﴿إِنِّي سَمِعْتُ أَنَا يُدْعَىٰ بِهِ مِنْ
تَلَاوِيْنٍ﴾ [أي] ما نعطيههم ونجعله
مدداً لهم من المال والبنين في
الدنيا.

﴿١٦﴾ ﴿سَابِغٌ لِّمَن فِي الْقُرْبَىٰ﴾، أي:
نعجل لهم في الخيرات، ونقدمها
ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿يَكُ
لَا يَشْكُرُ﴾، أن ذلك استدراج لهم.

ثم ذكر المسارعين في الخيرات
فقال:

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ
مُتَّقُونَ﴾، أي: خائفون،

والإشفاق: الخوف، والمعنى أن
المؤمنين بما هم عليه من خشية الله
خائفون من عقابه، قال الحسن

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٥٨﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْقُرْآنِ فَلَسَّ بِهِنَّ فِي الْآخِرَةِ ﴿٥٩﴾ وَلَا تَكُفُّ
 قَسَايَا الْأُثْمَانِ وَاللَّيْلِ بِمَا قُتِلَ وَأُولَٰئِكَ لَا يَصْلَحُونَ ﴿٦٠﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا
 عَامِلُونَ ﴿٦١﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ
 ﴿٦٢﴾ لَا يَخِرُّوهُمُ اللَّيْلُ وَلَا النَّهَارُ أَن يَنْصُرُوهُمْ قَدْ كَانَتْ يَدَايُنِي
 مُنْثَرَجَتَيْنِ ﴿٦٣﴾ وَكَشَفْنَا عَنْ أَغْصَانِهِمْ بُرْجَانِيَّةً مُّتَكَوِّرَةً
 يُدْخِلُ فِيهَا النَّفْسَ الْفَارِغَةَ أَفَلَا يَذْكُرُونَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا تُرَاوْنَ
 ءَايَاتُ هُمُ الْأُولَىٰ ﴿٦٤﴾ أَمْ لَهُمْ حِفْظٌ فَهُمْ لَمْ يَمْسُكُوا
 بِهَا أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ
 فَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَنزَلْنَاهُمْ بِذِكْرِ هِمٍّ فَمَهْمَةٌ
 وَكَرِهٍ مُّعْضُوتٍ ﴿٦٦﴾ أَمْ قُلُوبُهُمْ خُصْبٌ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 أَمْ يَأْكُلُونَ الْبُخَارَ فَلَمْ يَصْغَوْا لِمَا نَدَعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
 وَلِنَازِلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِّرَنَّ ﴿٦٨﴾

٢٤٦

البصري: المؤمن من جمع إحساناً وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأماناً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجِعُونَ﴾، يَصْدُقُونَ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجِعُونَ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾، أي:

يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، روي عن عائشة أنها كانت تقرأ «والذين يأتون ما آتوا» أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أن ذلك لا ينتجهم

من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، لأنهم موقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم.

أخبرنا أبو سعيد [أحمد بن إبراهيم]

الشرجي، أنا أبو إسحاق

الشلبي، أنا عبد الله بن

يوسف، أنا محمد بن

حامد حدثنا محمد بن

الجهم، أنا عبد الله بن

عمرو، أنا وكيع عن

مالك بن مغول، عن

عبد الرحمن بن سعيد بن

وهب، عن عائشة

رضي الله عنها قالت:

قلت يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ

يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

أهو الذي يزني ويشرب

الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت

الصديق، ولكنه الرجل يصوم

ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل

منه.»

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿أُولَٰئِكَ

يُسْرِعُونَ فِي الْقُرْآنِ﴾، يبادرون إلى

الأعمال الصالحات، ﴿وَقَمَّ قَوًّا

سَيُوقُونَ﴾، أي: إليها سابقون، كقوله

تعالى: ﴿لِيَأْتِيَهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]

أي: إلى ما نهوا، ولما قالوا

ونحوها، قال ابن عباس في معنى

هذه الآية: سبقت لهم من الله

السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم

إلى الخيرات.

﴿قوله﴾: ﴿وَلَا تَكُفُّ قَسَايَا إِلَّا

وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها فمن لم

يستطع القيام فليصل قاعداً، ومن لم

يستطع الصوم فليفطر، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ

يَبَيِّنُ بِالْحَقِّ﴾، وهو اللوح المحفوظ

«ينطق بالحق» يبين بالصدق، ومعنى

الآية لا يكلف الله نفساً إلا وسعها،

إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا

عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق

به وببينه. وقيل: هو كتب أعمال

العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿وَهُوَ لَا

يُظْلَمُونَ﴾، لا ينقص من حسناتهم ولا

يزاد على سيئاتهم، ثم ذكر الكفار.

﴿٦٦﴾ فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ﴾،

أي: في غفلة وجهالة، ﴿مِنْ هَذَا﴾،

أي: من القرآن، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ

ذَلِكَ﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من

المعاصي، والخطايا محكومة عليهم

من دون ذلك، يعني من دون أعمال

المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ يَنْ خَشِيَ رَبَّهُمْ

تُشْفِقُونَ﴾، ﴿هُمُ لَهَا عَمِلُونَ﴾، لا بد

لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار

لما سبق لهم من الشقاوة، هذا قول

أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا

ينصرف إلى المسلمين معناه وأن لهم

أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات

هم لها عاملون، والأول أظهر.

﴿٦٦﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾،

أي: أخذنا أغنيائهم ورؤساءهم،

﴿وَالْعَذَابِ﴾، قال ابن عباس: هو

السيف يوم بدر.

وقال الضحاك: يعني الجوع حين

دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال:

«اللهم اشدد وطأتك على مضر،

واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»

فابتلاهم الله عز وجل بالقحط حتى

أكلوا الكلاب والحيث. ﴿إِذَا هُمْ

يَخِرُّونَ﴾ يضجعون ويجزعون

ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع.

﴿لَا تَحْزَنْوا أَلَيْمٌ﴾، أي لا تضحوا، ﴿إِنَّكُمْ بِنَآ لَا تُصْرُونَ﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْذِرُكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿مُكْتَسَرٌ عَلَى أَغْفِيكُمْ تُنْكَصِرُونَ﴾ ترجعون القهقري تناخرون عن الإيمان.

﴿سُتَكْبِرِينَ بِهِ﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام، وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة.

وقيل: مستكبرين به أي بالقرآن فلا يؤمنون به. والأول أظهر، [أن] المراد منه الحرم، ﴿سَمِيراً﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحد سامراً وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وخذ سامراً، ومعناه الجمع، كقوله: ﴿ثُمَّ نَحْيِيكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]، ﴿تَهْجُرُونَ﴾، قرأ نافع «تهجرون» بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخيأ.

وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ

وأصحابه، وقرأ الآخرون «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم: هجر الرجل في منامه إذا هذى.

﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا﴾، يعني يتذكروا، ﴿الْقَوْلُ﴾، يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا كَرَّرَ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، فأنكروا، يؤيد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: لم بمعنى بل يعني جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا.

﴿أَرَأَيْتُمْ لَوِ تَجِزُوا رَسُولَهُمْ﴾، محمداً ﷺ، ﴿فَهُمْ لَمَنِ كُذِّرُوا﴾، قال ابن عباس: ليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهد، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

﴿أَرَأَيْتُمْ لَوِ تَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾، جنون وليس كذلك، ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَتْ لِلْحَقِّ كِرْهُنَ﴾.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي

وجماعة: «الحق» هو الله أي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون: ﴿لَقَدْ كُنْتَ أَسْتَوْتُ وَالْأَرْضُ﴾، وقال الفراء والزجاج: المراد بالحق القرآن أي: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقده ﴿لَقَدْ كُنْتَ أَسْتَوْتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ﴿بَلْ آيَاتُهُمْ يَذْكُرُهُمْ﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخرهم وشرفهم، يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لَكَ الْفَوْزُ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾، يعني عن شرفهم، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَرَأَيْتُمْ لَوِ تَقَالَهُمْ﴾، على ما جنتهم به، ﴿خَرَجاً﴾، أجراً وجعلاً، ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾، يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وَقَوْلاً خَيْرٌ الْأَوَّلِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «خراجاً» «فخراج» كلاهما بالالف، وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف، وقرأ الباقون «خراجاً» بغير ألف «فخراج» بالالف.

﴿وَلَوْ لَتَبَتُهُمْ إِنْ صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿وَلَنْ أَلَيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الْآخِرَةِ﴾، أي عن دين

بِالْصَّبْرِ عَلَى أذى
المشركين والكف عن
المقاتلة، نسختها آية
السيف. ﴿فَمَنْ أَعْلَمَ بِمَا
يَصِفُونَ﴾، يكذبون
ويقولون من الشرك.
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ
بِكَ﴾، أي: أمتنع وأعتصم
بك، ﴿وَمِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيْطَانِ﴾، قال ابن
عباس نزغاتهم. وقال
الحسن: وسأوسهم. وقال
مجاهد: نفخهم ونفثهم.
وقال أهل المعاني دفعهم
بالإغواء إلى المعاصي،
وأصل الهمز شدة الدفع.
﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِي﴾، في شيء من أموري،
وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا
حضره يوسوسه، ثم أخبر أن هؤلاء
الكفار الذين يتكرون البعث يسألون
الرجعة إلى الدنيا عند معاينة
الموت.
﴿فَقَالَ: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، ولم يقل
ارجعني، وهو يسأل الله وحده
الرجعة على عادة العرب فإنهم
يخاطبون الواحد بلفظة الجمع على
وجه التعظيم، كما أخبر الله تعالى
عن نفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الْكَرِيمُ
وَلَا إِلَهُ لَكَ خَلْقُوهُ﴾ [الحجر: ٩]،
ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا
الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون
روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم
استغاثوا أولاً بالله ثم رجعوا إلى
مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

يخيل لكم الحق باطلاً؟

﴿بَلْ أَنْتُمْ بِالْحَقِّ﴾، بالصدق
﴿وَلَنْتُمْ لَكُنُودُونَ﴾، فيما يدعون من
الشريك والولد.

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنَ الْوَلَدِ﴾، أي: من
شريك، ﴿إِنَّا لَذَعَبٌ كُلِّ لَذِمٍّ بِمَا
خَلَقَ﴾، أي: تفرد بما خلقه فلم
يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى
غيره، وَمَنْعَ الْإِلَهِ الْآخَرِ عَنِ
الاستيلاء على ما خلق. ﴿وَلَمَّا
بَصَّهْتُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي: طلب
بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك
الدنيا فيما بينهم، ثم نزه نفسه فقال:
﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، قرأ
أهل المدينة والكوفة غير حفص:
«عالم» برفع الميم على الابتداء،
وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله
في سبحان الله، ﴿فَتَنَزَّلُ عَمَّا
يَشْرَكُونَ﴾، أي: تعظم عما
يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن
يوصف بهذا الوصف.

﴿قوله: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رَنَيتُ﴾،
أي: إن أريتني، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾،
أي: ما أوعدتهم من العذاب.

﴿رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿فَتَنَزَّلُ
فِي الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، أي: لا
تهلكني بهلاكهم.

﴿وَلَنَا عَلَى أَنْ تُرِيدَ مَا نَفَعُهُمْ﴾،
من العذاب لهم، ﴿لَقَدْ رُودُوا﴾.

﴿أَدْفَعْ وَإِلَىٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾،
أي: ادفع بالخصلة التي هي أحسن
وهي الصفح والإعراض والصبر،
﴿السَّيِّئَةُ﴾، يعني أذاهم، أمرهم

﴿قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، أي: ضيعت أن
أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل
بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن
يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع
الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن
تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله،
فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه
الكافر إذا رأى العذاب، ﴿كَلَّا﴾،
كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع
إليها، ﴿إِنَّمَا﴾ يعني: سؤاله
الرجعة، ﴿كَلِمَةً مَوْ قَالَتْهَا﴾، ولا
ينالها، ﴿وَمِنْ رَأْيِهِمْ رَرْخٌ﴾، أي
أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إِلَّا
يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، والبرزخ الحاجز بين
الشيئين، واختلفوا في معناه ههنا،
قال مجاهد: حجاب بينهم وبين
الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة:
بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ
ما بين الموت إلى البعث. وقيل:



وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع، فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث «كل سبب ونسب ينقطع يوم

القيامة إلا نسي وسببي»؟ قيل: معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببه ونسبه، وهو الإيمان والقرآن، فإن قيل: قد قال ههنا «وَلَا يَسْأَلُونَ» وقال في موضع آخر: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصفات: ٢٧]؟ الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطنً ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفقون إفاقة فيتساءلون.

قوله: ﴿فَمَنْ ثَلَّثَ مَوْزِينَهُ فَأَوَّلَكَ هُمُ الْمُتَلِحُّونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِينُهُ فَأَوَّلَكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

﴿تَلَفَعُوا جُوهَهُمُ النَّارَ﴾. أي: تسفح، وقيل: تحرق، ﴿وَعَمَّ فِيهَا

كَلِيلُور﴾، غابسون.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمع، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «وهم فيها كالحن، قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة».

وبهذا الإسناد عن عبدالله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم بن الأعرج قال: قال أبو هريرة: يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، فيصير خرسه مثل أحد، وشفاهم عند سرهم، سود زرق [خسر] مقبوحون.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِّنَ الَّذِينَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني القرآن، تخوفون بها، «فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ».

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي «شقاوتنا» بالالف وفتح الشين وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. «وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ»، عن الهدى.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾، أي: من النار، ﴿فَإِنَّا عِندَنَا مُلْكُونَ﴾، لما تكره ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [مستحقون العذاب].

﴿قَالَ أَخْشَرُوا﴾، أبعدوا، ﴿فِيهَا﴾، كما يقال للكلب إذا طرد أخسأ، ﴿وَلَا تَكْلُمُونَ﴾، في رفع

هو القبر وهم فيه إلى يوم يبعثون.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ يَتَّبِعُهُمْ﴾ واختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُورَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» [الزمر: ٦٨] «فَلَا أَنسَابَ يَتَّبِعُهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ»، ثم نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُجُومٍ يَنْظُرُونَ» [الزمر: ٦٨] «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصفات: ٢٧].

وعن ابن مسعود: أنها النفخة الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناو: هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، فيفرج المراء أن يكون له الحق على والده وولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن

يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم.

﴿فَلَا يَنْفَعُ إِيَّاهُ﴾ أي: ما ليثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يليث في الآخرة لأن لبثه في الدنيا وفي القبر مثناه، ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قدر ليثكم في الدنيا.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [أي: لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُدْرِكَ سَعَةَ الْقِيَامَةِ﴾ [٣٦] وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمِلْحِي، أَنَا أَبُو مَنصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَمْعَانَ، أَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجِبَارِ الرِّبَاطِيِّ، أَنَا حَمِيدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ، أَنَا بَشَرُ بْنُ عَمْرٍ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعة، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَبيرة، عَنْ حَنْشٍ، أَنَّ رَجُلًا مَصَابًا مَرَّ بِهِ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَنَزَعَهُ فِي أُذُنِيهِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ فَبَرَأَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِمَاذَا رَقِيتَ [المصاب] فِي أُذُنِهِ؟» فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي

التسخير والاستعباد بالفعل، واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حَتَّىٰ أَتُوكُمْ﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿وَذَكَرَىٰ وَكُنْشَرٍ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ نظيره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أَلَهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنهم» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

﴿قُلْ كَمْ لَكُمْ لَيْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي «قل» على الأمر. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة، إذ كان معناه مفهوماً، ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل يا أيها الكافرون، وقرأ ابن كثير: «قل كم» على الأمر قال «إن» على الخبر، لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون «قال» فيهما جميعاً أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث: كم ليثتم؟ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أي: في الدنيا وفي القبور «عند سينين».

﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، نسوا مدة ليثهم في الدنيا لعظم ما هم يصدده من العذاب، ﴿فَتَشْكِي الْكَاذِبِينَ﴾ [أي: الملائكة الذين

العذاب فإني لا أرفعه عنكم، [أبدأ] فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون، روي عن عبدالله بن عمرو: أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين عاماً ﴿يَسْأَلُكَ لِقَافِئَتَنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنِّكَ تَكِيدُكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَتْرِجْنَا وَيَتَنَا فَإِنِ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ يدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم: ﴿أَقْبَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾، فلا ينس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق. وقال القرطبي: إذا قيل لهم «اخشعوا فيها» ولا تكلمون» انقطع رجاؤهم، وأقبل بعضهم ينج في وجه بعض وأطبقت عليهم [جهنم].

﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء في «إنه» عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿كَانَ فِرْقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾، وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِنَّا لَنَارِئِينَ﴾.

﴿فَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمُهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «سخرياً» بضم السين ههنا وفي سورة ص [٦٣]، وقرأ الباقون بكسرها واتفقوا على الضم في سورة الزخرف [٣٢]. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحرلجي، ولجني بضم اللام وكسرها، مثل كوكب ذري وديري، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى

بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال».

ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون.

فقال جل ذكره: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْكَلِمَةَ الْكَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيِّ﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، أي: لا حجة ولا بينة له به لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿فَلَنَكَا جُثَامُ﴾، جزأوه، ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾. يجازيه بعمله كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنْ عَلَيْنَا جِسْمَهُ﴾ [الغاشية: ٢٦]، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، لا يسعد من جحد وكذب.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

سورة النور

مدينة [وهي ثنتان أو أربع وستون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سُورَةٌ﴾، أي: هذه سورة، ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَّضْنَاهَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر «وفرضناها» بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام والزمناكم العمل بها. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود والفرض: التقدير، قال الله عز وجل: ﴿فَصَبِّحْ مَا قَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَلْهَى

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥]، وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً، والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، واضحات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَلْيَفْلِتُوا وَلْيَعْرِضْ بَيْنَهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ﴾، أراد إذا كانا حزين عاقلين بالغين بكرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضرب جلده، كما يقال رأسه ويطنه، إذا ضرب رأسه ويطنه، وذكر بلفظ الجلد لثلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه بجلد مائة [جلدة]

ويغرب عاماً وهو قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، أي: رحمة ورقة، قرأ ابن كثير «رأفة» بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد أنها ساكنة لمجاورة قوله ورحمة، والرأفة معنى يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن، قال

الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله [روي أن عبداً بن عمر جلد جارية له زنت، فقال للجلاد: اضرب ظهرها ورجليها، فقال له ابنه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، فقال: يا بني إن الله عز وجل لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿وَلْيَضْحَكُوا﴾، وليضحض، ﴿عَلَيْهِمَا﴾ حدما إذا أقيم عليهما ﴿طَائِفَةٌ﴾، نفر، ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه، وقال عكرمة وعطاء رجلان فصاعداً. وقال الزهري وقاتة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

﴿قوله﴾: ﴿الَّذِينَ لَا يَكُنْ لَهُمْ زَاوِيَةٌ أَوْ شُرَكَاءُ وَالزَّانِيَةُ لَا يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا زَاوِيَةٌ أَوْ شُرَكَاءُ وَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها.

فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقاتة

العفائف ﴿ثُمَّ لَازِلًا يُرْمَىٰ تَبْلَةً﴾ يشهدون على زناهم ﴿فَلْيَدْرُؤُا نَسَبَ جَلْدَةٍ﴾ أي: اضربوهم ثمانين جلدة. ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت توبته قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ وقالوا: الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق، فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق، يروى ذلك عن ابن عباس وعمر، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي. وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي، وقالوا: بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد، قال الشافعي: وهو قبل أن يحد شر منه حين يحد، لأن الحدود كفارات، فكيف يردونها في أحسن حاله ويقبلونها في شر حاله، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل. وعامة العلماء على أنه لا

يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط، كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ﴿أَبَدًا﴾ قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام هو مصرأ على قذفه لأن أبداً كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً: يراد ما دام كافراً.

﴿٦﴾ قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾، يقذفون نساءهم، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ [أي] غير أنفسهم، ﴿فَشَهَادَةُ أَحْسَنَ أَمْرُهُمْ شَهَادَةً بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْفَاسِقِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص «أربع شهادات» برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرا الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

﴿٧﴾ ﴿وَالْفَوَاحِشُ أُنْ لَّعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ إن كان من الكذابين، قرأ نافع ويعقوب «أن» خفيفة وكذلك الثانية «لعنة الله» رفع، ثم يعقوب قرأ «غضب» بالرفع، وقرأ نافع «غضب» بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي «الله» رفع، وقرأ الآخرون «أن» بالتشديد فيهما، «لعنة» نصب، و«غضب» بفتح الضاد على الاسم، «الله» جر، وقرأ حفص عن عاصم «والخامسة» الثانية نصب، أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى. وسبب نزول هذه الآية ما: أخبرنا أبو الحسن السرخسي،

أخبرنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: يا عاصم أرايت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقضه فقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي عن ذلك يا عاصم رسول الله ﷺ، قال: فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم لعويمر، لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألتك عنها، فقال عويمر، والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقضه فقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فات بها»، فقال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغا من تلاعنها قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ.

قال مالك قال ابن شهاب: فكانت تلك سنة المتلاعنين.

وقال محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق، أنا محمد بن يوسف، أنا

الأوزاعي، أنا الزهري بهذا الإسناد بمثل معناه وزاد: ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأكتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها»، فجاءت [به] على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر. فكان بعد ينسب إلى أمه.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا محمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، أنا عكرمة، عن ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبريء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ أَرْوَاهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فأنصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحكما كاذب، فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة، قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم

قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن».

روى عكرمة عن ابن عباس: قال لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ أَرْوَاهُمْ﴾ الآية. قال سعد بن عباد: لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي [أن] أهيجها حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لأتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» قالوا: لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرة، ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها، فقال سعد: يا رسول الله بآبي أنت وأمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك، فقال النبي ﷺ: «فإن الله يأسى إلا ذلك»، فقال صدق الله ورسوله [إنها حق]، قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها، فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع امرأتي، رأيت بعيني وسمعت بأذني، ففكره رسول الله ﷺ ما أتاه به، وثقل

عليه حتى عرف ذلك في وجهه، فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهية في وجهك فما أتيتك به، والله يعلم إني لصادق وما قلت إلا حقاً وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً، فهم رسول الله ﷺ بضربه [الحد] فقال: واجتمعت الأنصار فقالوا: ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته، وإنهم لكذلك، ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه الحد إذ نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه، حتى فرغ رسول الله ﷺ فأمسكوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ أَرْوَاهُمْ﴾، إلى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا هلال فإن الله قد جعل لك فرجاً»، فقال لقد كنت أرجو ذلك من الله، فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها، فجاءت، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها [زوجك يرميك بالزنا] فكذبت، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يعلم أن أحكما كاذب فهل منكما تائب؟ فقال هلال: يا رسول الله بآبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلا حقاً، فقال رسول الله ﷺ: لاعنوا بينهما، فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فقال له عند الخامسة: يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال هلال: والله لا

يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ، فشهد الخامسة: أَنْ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم قال للمرأة: اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقال لها عند الخامسة ووقفها: اتقي الله فإن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أقضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها، ثم قال رسول الله ﷺ: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه، فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورك، على الشبه المكروه، وكان بعد أميراً على مصر، لا يدري من أبوه.

وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل: لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ﴾ الآية، فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك، إن رأى رجل مثاً مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة، وسماه المسلمون فاسقاً، ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومر؟ وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن، فأتى عويمر عاصماً وقال:

لقد رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة، فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى، فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فأخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بنو بني عم عاصم، فدعا رسول الله ﷺ بهم جميعاً، وقال لعويمر: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان» فقال: يا رسول الله أقسم بالله إنني رأيت شريكاً على بطنها وإنني ما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنها جلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويمراً رجلٌ غيور وإنه رأي وشريكاً نطيل السمر وتحدث فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله ﷺ لشريك: «ما تقول؟» فقال: ما تقوله المرأة كذب، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ﴾ الآية، فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي الصلاة جامعة، فصلى العصر ثم قال لعويمر: قم، فقام فقال: أشهد بالله أن خولة لزانة وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية أشهد بالله إنني رأيت شريكاً على بطنها، وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنها جلى من غيري وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة أشهد بالله إنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال

ثم أمره بالقعود وقال لخولة: قومي فقامت، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانة وإن عويمراً لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية: أشهد بالله أنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة: أشهد بالله إنني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة: أشهد بالله إنه ما رأي قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة: غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي، ثم قال: «تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيب أثيب يضرب إلى السواد فهو لعويمر، وإن جاءت به أورك جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو للذي زويت به». قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك.

والكلام في حكم الآية: أن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه إن كانت محصنة، أو التعزير إن لم تكن محصنة، غير أن المخرج منهما مختلف، فإن قذف أجنبياً يقام الحد عليه، إلا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها، أو يقر به المقذوف فيسقط عنه حد القذف، وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لآخر يسقط عنه الحد، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً ربما لا يمكنه إقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان

حجة له على صدقه، فقال تعالى: ﴿فَتَهْدِيهِمْ سَبِيلَ أَبْنَاءِ أَبِيكَ هُودٍ وَكَانَ أَبُوهُمَا كَاذِبًا﴾، وإذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان، إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه. وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما يبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان، فيقول: قل أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا، وإن كان قد رماها برجل بعينه سماه باللعان، وإن رماها بجماعة سماهم، ويقول الزوج كما يلقنه الإمام وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو الحمل لمن الزنا وما هو مني، ويقول في الخامسة: علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة، وإذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة، فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأبید، وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف، ووجب على المرأة حد الزنا، إن كانت محصنة ترجم، وإن كانت غير محصنة تجلد وتغرب، فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج.

٨ قوله: ﴿وَيَذَرُهَا﴾، يدفع، ﴿عَنِ الْمَكَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِأَلْفِهِ إِنْ لَيْنَ الْكَافِرِينَ﴾.

٩ ﴿وَالْفَرْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وأراد بالعذاب الحد، كما قال في أول السورة: ﴿وَلَنَشْهَدَ عَلَيْهَا طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: خدهما، ومعنى الآية: أن الزوج إذا لَاعَنَ وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن، فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم [لها] أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به، ولا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان، وعند أصحاب الرأي: لا حد على من قذف زوجته، بل موجه اللعان، فإن لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن، وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البينة، وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب، وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً، وقضاء القاضي، وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبدة حتى لو كذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ما له، فيلزمه الحد ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأبید التحريم، وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا كذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها، وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم، وعند أبي حنيفة إذا أتى بالكثرة كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به، فكل من صح يمينه صح

لعانه حرًا [كان] أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً، وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن، وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم. وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي: لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما، وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما، لأن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَنَى﴾، ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يَبْطِئُونَ مِنَ الْعُقُودِ﴾ [المجادلة: ٣]، ثم يستوي الحر والعبد هنا في البطء، ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته، ويغلب اللعان بأربعة أشياء: بعدد الألفاظ، والمكان، والزمان، وأن يكون بمحض جماعة من الناس، أما الألفاظ المستحقة فلا يجوز الإخلال بها، وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن إن كان بمكة فببين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعند المنبر، وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر، والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر، وأما الجمع فأقلهم أربعة، والتغليظ بالجمع مستحب، حتى لو لَاعَنَ الحاكم بينهما وحده جاز، وهل التغليظ بالمكان والزمان واجب أو مستحب: فيه قولان.

١٠ قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
 خَيْرٌ لَّكُم لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ وَالَّذِي يُؤْتِكُمْ
 كَرَمًا مِّنْهُم لَّمْ يَعْذَابْ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ أَوَلَا إِذْ يَمِشُّوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ أَوَلَا
 جَاءَهُ عَلَيْهِ بَأْرُيَعَةٍ شَهِدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ
 عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
 إِذْ تَقُولُ يَا أَلَيْسَ لَكُم بِأَفْهَمَ مَا لَقِيَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
 وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
 قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَشَرٌ مِّنْ عَظِيمٍ
 ﴿١٦﴾ يَعْلَمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا إِلَّا أَنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
 وَرَبِّنَا اللَّهُ لَكُمْ الْأَكْبَرُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يُؤْمِنُونَ أَنْ يُشِيعَ الْفُجُورَةُ فِي الدُّنْيَا أَمْثَلُهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
 فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

الجيش فجئت منازلهم وليس بها
 منهم دافع ولا مجيب، فتيمنت منزلي
 الذي كنت فيه وظننت أنهم
 سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا
 جالسة في منزلي غلبتني عيني
 فتمت، وكان صفوان بن المعطل
 السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش
 فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان
 نائم فعرفني حين رأيته وكان رأيي
 قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه
 حين عرفني، فخمرت وجهي
 بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا
 سمعت منه كلمة غير استرجاعه،
 وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على
 يدها فقامت إليها فركبتها فانطلق يقود
 بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين
 في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت:
 فهلك من هلك في شأني وكان الذي
 تولى كبر الإفك عبدالله بن أبي بن
 سلول، قال عروة: أخبرت أنه كان
 يشاع ويتحدث به عنده فيقره
 ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة
 أيضاً: لم يسم من أهل الإفك إلا
 حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة
 وحمزة بنت جحش في ناس آخرين
 لا علم لي بهم غير أنهم عصية، كما
 قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾
 عبدالله بن أبي ابن سلول، قال
 عروة: وكانت عائشة تكره أن يسب
 عندها حسان، وتقول: إنه الذي
 قال:

فإن أبي والدتي وعرضي
 لعرض محمد منكم وقاء
 قالت عائشة: فقدمنا المدينة،
 فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس
 يفيضون في قول أصحاب الإفك لا

من بعض وأثبت له
 اقتصاصاً وقد وعيت عن
 كل رجل منهم الحديث
 الذي حدثني عن عائشة،
 وبعض حديثهم يُصدق
 بعضاً وإن كان بعضهم
 أوعى له من بعض،
 قالوا: قالت عائشة: كان
 رسول الله ﷺ إذا أراد
 سفراً أقرع بين أزواجه
 وأيهن خرج سهمها خرج
 بها النبي ﷺ معه، قالت
 عائشة فأقرع بيننا في غزوة
 غزاها فخرج فيها سهمي،
 فخرجت مع
 رسول الله ﷺ بعدما أنزل
 الحجاب، فكنيت أحمل في هودج
 وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ
 رسول الله ﷺ من غزوته تلك،
 وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن
 ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا
 بالرحيل فمشيت حتى جاوزت
 الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت
 إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد
 لي من جنز خفاف قد انقطع
 فرجعت، فالتمت عقدتي فحبسني
 ابتعاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين
 كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
 فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب
 عليه وهم يحسبون أنني فيه، وكان
 النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم
 يغشهن اللحم إنما يأكلن العلفه من
 الطعام، فلم يستنكر القوم خفة
 الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت
 جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل
 وساروا ووجدت عقدتي بعدما استمر

باللعان، وإن الله تواب يعود على من
 يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم
 فيما فرض من الحدود.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
 عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات، سبب نزول
 هذه الآية ما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
 المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
 محمد بن إسماعيل، أنا
 عبدالعزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن
 سعد عن صالح عن ابن شهاب قال:
 حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن
 المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد
 الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود،
 عن عائشة رضي الله عنها زوج
 النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما
 قالوا، وكلهم حدثني طائفة من
 حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها

أشعر بشيء من ذلك، وهو يرييني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي وجعاً، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف، فذلك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت، أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فاقبلت، أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسيبن رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تستمعي ما قال؟ قالت فقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت له: أتأذن لي أن أتّي أباي؟ قالت: وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبّلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمّاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوّني عليك فوالله لقل ما كانت

امراً قط رضىة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيّق [الله] عليك [في أمر النساء] والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك الخير، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. [قالت] فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي ابن سلول وهو على المنبر، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ووالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي»، قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا

أمرك، قالت: وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذله وهو سعد بن عباد وهو سيد الخزرج، [قالت عائشة]: وكان قيل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد [ابن معاذ] كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد بن عباد: فقال: كذبت لعمر الله لقتلته، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحثيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت وأصبح أبواي عندي، قالت: وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أن البكاء فالتق كيدي فبينما أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، [قالت] فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم علينا ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل قبلها، وقد ليث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه،

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأبي: أجبني رسول الله ﷺ، قالت أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت ولقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني براءة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لتصدقوني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال: «صَبْرٌ حَسْبٌ وَاللَّهُ التَّمَكُّنُ عَلَى مَا صَبَرْتُمْ» [يوسف: ١٨]، ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم والله يعلم إني حينئذ بريئة وإن الله ميرثي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري

يا عائشة أما والله قد برأك الله، قالت: فقلت لي أُمِّي قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه فإنني لا أحمد إلا الله، قالت وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك: قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل فيه ما قيل ليقول سبحانه الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله [عز وجل].

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير، أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله، وقال:

وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبني إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، إلى قوله: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينة، فانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصدقي رسول الله حتى أسقطوا [لها به]، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصانع على تير الذهب الأحمر.

وفيه قالت: وأنزل على رسول الله ﷺ، فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك، فقال لي أبوي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمله ولا أحمد أحداً، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه.

أما تفسير قوله: ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بالكذب، والإفك أسوأ الكذب، سُمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق، من قولهم: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿مُصَبِّحَةٌ﴾ أي جماعة منهم عبدالله بن أبي ابن سلول،

ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، زوجة طلحة بن عبيد الله، وغيرهم، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني: لا تحسبوا الإفك شرًّا لكم، ﴿لَهُ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لأن الله يجركم على ذلك ويظهر براءتكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّيٍّ يَنْتُهُمْ﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنْ الْإِثْمِ﴾، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ﴾، أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب «كبره» بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر، قال الكسائي: هما لغتان وقال الضحاك: قام بلشاعة الحديث، وهو عبدالله بن أبي ابن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ يَنْتُهُمْ﴾ قالت: عبدالله بن أبي ابن سلول، والعذاب العظيم هو النار في الآخرة.

وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت: ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا متبذين من الناس، فقال عبدالله بن أبي رئيسهم: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قالوا: عائشة قال: والله ما نجت منه وما نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها. وشرع في ذلك أيضاً حسان بن ثابت ومسطح وحمنة فهم الذين تولوا كبره.

وقال قوم: هو حسان بن ثابت. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا بشر بن خالد، أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحاك عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشب بآيات له وقال:

حسان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
فقلت له عائشة: لكنك لست كذلك، قال مسروق فقلت لها: لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ يَنْتُهُمْ لَمْ عَذَابٌ أَشَدَّ مِنَ الْعَمَى﴾، قالت: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

ويروى أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا سَمْتُهُمْ﴾، يا خوانهم، ﴿هَتَّارًا﴾ وقال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا سَمْتُهُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، أي: كذب بين.

﴿وَلَا جَاءَهُمْ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾ [أي] على ما زعموا، ﴿وَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَيِّنَاتِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، فإن قيل: كيف يصيرون

عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ﴾، خضتم، ﴿فِيهِ﴾، من الإفك، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس أي: عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ يَنْتُهُمْ لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقد أصابه فإنه قد جُلِدَ وحُدَّ.

وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر: عبدالله بن أبي، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُمْ﴾، تقولونه، ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ﴾، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضكم عن بعض وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقي الرجل فيقول [له] بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، [وكذا قرأه أبي بن كعب] وقال الزجاج: يلقيه بعضهم إلى بعض، قرأت عائشة «تلقونه» بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، في الوزر.

﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ تُلْعَنَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾، هذا

يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّقِيطِينَ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّقِيطِينَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدُ أَنْ يُوَفَّقُوا أُولَى الْفُرْقَيْنِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَمَثَرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْسُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ سُورُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا هُوَ الْحَقُّ أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ اللَّائِيئَاتِ وَالطَّائِفَاتِ وَالطَّاغُوتِ اللَّائِيئَاتِ وَالطَّاغُوتِ اللَّائِيئَاتِ أُولَئِكَ مَمْزُورٌ وَمَتَابِقُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾

وَالْآخِرَةَ، يعني عبدالله بن أبي وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار، وَاللَّهُ يَعْلَمُ، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

﴿٢٠﴾ وَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، جواب محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً، وحسان بن ثابت وحمته.

﴿٢١﴾ قوله: يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّقِيطِينَ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّقِيطِينَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، يعني بالقبايح من الأفعال، وَالْمُنْكَرُ، كل ما يكرهه الله عز وجل، وَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، وَيُنْكَرُ مِنْ أَحَدٍ، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، ﴿أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾، يُطَهِّرُ، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلُ﴾، يعني ولا يحلف، وهو يفتعل من الألية وهي القسم، قرأ أبو جعفر «يتال» بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية وهي القسم. ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدُ﴾، يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿أَنْ يُوَفَّقُوا أُولَى الْفُرْقَيْنِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر.

[حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه حين قال ما قال في عائشة عند نزول براءتها] ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾، يخاطب أبا بكر، ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل [ولا امرأة] تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿٢٣﴾ قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، العفاف، ﴿الْفَاضِلَاتِ﴾، عن الفواحش، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: ﴿لَمَثَرًا﴾، عذبوا، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، بالحد، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بالنار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال مقاتل: هذا خاص في عبدالله بن أبي المنافق.

اللفظ ههنا بمعنى التعجب، ﴿هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، يعني كذب عظيم يبهت ويحير من عظمتة. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية على وفق قوله.

﴿٢٤﴾ ﴿يُعْظَمُ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿أَنْ تَمُودُوا لِيَتَّبِعَهُ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيْتَاتِ﴾، بالأمر والنهي، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿حَكِيمٌ﴾، حكم ببراءتهما.

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾، يعني تظهر، ويذيع الزنا، ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَدْخُلْ أَعْيُنُكُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

وروي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات.

روي عن العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة. ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْفَحْشَاءَ ثُمَّ لَا يَأْتُونَ بِبَيِّنَةٍ فَبُذِّلُوا لَهَا تَوْبَةً﴾ [النور: ٤-٥] فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة. وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْفَحْشَاءَ ثُمَّ لَا يَأْتُونَ بِبَيِّنَةٍ فَبُذِّلُوا لَهَا تَوْبَةً﴾ [النور: ٤-٥] فأنزل [الله] الجلد والتوبة.

﴿وَمَنْ تَشْهَدْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدم الفعل وقرأ الآخرون بالناء، ﴿مَنْهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ﴾ وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْفَحْشَاءَ ثُمَّ لَا يَأْتُونَ بِبَيِّنَةٍ فَبُذِّلُوا لَهَا تَوْبَةً﴾ [تنطق]، يروى أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمُ الْآخِرُ﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿وَيَسْمَعُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْقَائِمُ﴾، يبين لهم حقيقة ما كان

يعدهم في الدنيا. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبدالله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

﴿قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَزْنِيَنَّ الْخَبِيثَاتُ﴾﴾، قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس. ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾، من الناس، ﴿لَا يَزْنِيَنَّ﴾، من القول، ﴿وَالطَّيِّبِينَ﴾، من القول، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الناس، ﴿لَا يَزْنِيَنَّ﴾، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب من الناس، فعائشة لا يليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة رضي الله عنها فيضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للمذين قذفوا عائشة، ومدح للمذين برؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ. ﴿أُولَئِكَ مَرْكَوَةٌ﴾،

يعني: عائشة وصقوان ذكرهما بلفظة الجمع كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] أي إخوان. وقيل: أولئك مبروون يعني الطيبين والطيبات منزهون، ﴿وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. وروى أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها.

أن جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير، وقال: هذه زوجتك.

وروى أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء.

﴿قوله: ﴿وَكَايَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾﴾، قيل: معنى ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: حتى تستأذنوا.

وكان ابن عباس يقرأ حتى «تستأذنوا» ويقول: «تستأنسوا» خطأ من الكاتب.

وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، والقراءة المعروفة «تستأنسوا» وهو

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ جَائِعُونَ فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمُنُّ بِمَا تَعْمَلُونَ عِيسَى (٢٨) أَلَسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ لَكُمْ قُلُوبًا مَعِينِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا أَوْجُوهَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٢٩) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّصِفْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوفِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ لِلْأَعْيُنِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْاطْفَالِ الَّذِينَ لَا يَرْوُونَ عَلَى خُيُوفَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لَعَلَّ يَسْمَعْنَ مَا يَكْفِي مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمُّوعُ السَّمِيعُ (٣٠)

دخلت على النبي ﷺ فلم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم أدخل.

وروي عن ابن عمر أن رجلاً استأذن عليه فقال: أدخل؟ فقال ابن عمر: لا، فأمر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فأذن له.

وقال بعضهم: إن وقع بصره على إنسان قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان، ثم سلم.

وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة: يستأذن على ذوات المحارم،

ومثله عن الحسن، إن كانوا في دار واحدة يتنحج ويتحرك أدنى حركة.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: سلم عبدالله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فأرسل عمر في إثره فقال: لم رجعت؟ فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع». قال عمر: لتأتين علي ما تقول بينة وإلا لأفعلن بك كذا وكذا غير أنه قد أوعده، قال: فجاء أبو موسى ممتقعاً لونه وأنا في حلقة جالس، فقلنا: ما شأنك؟ فقال:

سلمت على عمر، فأخبرنا خبره، فهل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم كلنا قد سمعنا، قال: فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره بذلك.

ورواه بسر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري، وفيه: قال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع».

قال الحسن: الأول إعلام والثاني مؤامرة، والثالث استئذان بالرجوع.

(٢٨) قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، أي إن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، أي أن رجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازماً، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، يعني الرجوع أطهر وأصلح لكم، قال قتادة: إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فإن للناس حاجات، وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز. وكان ابن عباس يأتي باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن، فيخرج الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني، فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم. وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردوداً.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح، أنا أبو الحسين بن محمد بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور، أنا

بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنهم إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَازِكٌ﴾ أي: أبصرت. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان.

واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسَاسُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ والأكثرون على أنه يقدم السلام فيقول: سلام عليكم أدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود.

وروي عن كعدة بن حنبل قال:

عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلاً أطلع على النبي ﷺ من ستر الحجرة في يد النبي ﷺ مدرى، فقال: «لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتية لقطعنت بالمدرى في عينيه، وهل جعل الاستئذان إلا من أجل البصر».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن امرأة أطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح».

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ عَلَيْهِمْ﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، أي: بغير استئذان، ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾، يعني منفعة لكم، واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الحانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا أمعتهم إليها، جاز دخولها بغير استئذان، والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة. قال إبراهيم التخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وكان ابن

سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أدخل؟ ثم يلج.

وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط.

وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَعْيُنِهِمْ﴾، أي: عن النظر إلى ما [لا] يحل النظر إليه. وقيل: «من» صلة يعني يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ﴾، يعني حفظ الفرج، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، يعني عليهم بما يفعلون.

روي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».

وروي عن جرير بن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة

فقال: «أصرف بصرك».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا زيد بن الحباب، عن الضحاك بن عثمان قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يقضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تقضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَعْيُنِهِمْ﴾، عما لا يحل، ﴿وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ﴾، عمن لا يحل. وقيل أيضاً: يحفظون فروجهم يعني يسترنها حتى لا يراها أحد.

وروي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفعميان أنتما ألستما تبصرانه؟»

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنْ زِينَتَكُمْ﴾، يعني لا يظهرن زينتتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها،

ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿لَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، أراد به الزينة الظاهرة، اختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناهما الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿عُدُّوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأراد بها الثياب [وقال الحسن: الوجه والثياب]. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غَضَّ البصر وإنما رُخص في هذا القدر أن يديه المرأة من بدنّها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنّها عورة يلزمها ستره. قوله عز وجل: ﴿وَلْيَخْتَرْنَ يَخْمَرْنَ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني: ليلقين بمقانعهن، «على جيوبهن»، وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَلْيَخْتَرْنَ يَخْمَرْنَ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها. «ولا يُبَيِّنَنَّ زِيْنَتَهُنَّ» يعني: الزينة الخفية التي لم يحسّ لهن كشفها في الصلاة ولا للأجنب وهو ما عدا الوجه والكفين «لَا لِعَوْنِهِنَّ»، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لأزواجهن، «أَوْ مَا بَيْنَهُنَّ أَوْ مَا بَيْنَهُنَّ أَوْ أَثْبَاتَهُنَّ أَوْ أَثْبَاتَهُنَّ أَوْ أَثْبَاتَهُنَّ»

يَعْرِضُونَ أَوْ بَنَىٰ يَحْضِيَهُنَّ أَوْ بَنَىٰ
 الْخُرْقِيْنَ»، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا
 إلى الزينة الباطنة [من المرأة] ولا
 ينظرون إلى ما بين السرة والركبة،
 ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع
 بدنها غير أنه يكره له النظر إلى
 فرجها. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَشَآءِيهِنَّ﴾
 أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى
 بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة
 كالرجل المحرم، هذا إذا كانت
 المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل
 يجوز للمسلمة أن تنكشف لها.
 اختلف أهل العلم فيه، فقال
 بعضهم: يجوز كما يجوز أن
 تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من
 جملة النساء، وقال بعضهم: لا
 يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ
 يَشَآءِيهِنَّ﴾ والكافرة ليست من نساتنا
 ولأنها أجنبية في الدين، كانت أبعد
 من الرجل الأجنبي، وكتب عمر بن
 الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح
 أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن
 الحمام مع المسلمات. قوله تعالى:
 ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، اختلفوا
 فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم
 لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان
 عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما
 بين السرة والركبة، كالمحارم وهو
 ظاهر القرآن. وروي ذلك عن عائشة
 وأم سلمة.

وروي ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قُتعت به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غُطت رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال:

«إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك
وغلامك».

وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد، وعن ابن جريج أنه قال ﴿أَوْ يُكْفِئَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ لأنه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها. قوله: ﴿أَوْ أَلْتَبِيعَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن ﴿أَلْتَبِيعَ﴾ معرفة و﴿غَيْرِ﴾ نكرة. وقيل: [إن «غير» بمعنى «إلا» فهو استثناء معناه: يبدن زينتهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم فإنهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجر على نعت ﴿أَلْتَبِيعَ﴾ والإربة والأرب الحاجة، والمراد ﴿أَوْ أَلْتَبِيعَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ﴾ وهم الذين يتبعون القوم لبيصوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحق العنين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة المجهوب. وقيل هو المخنث. وقال مقاتل: هو الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجهوب ونحوه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي، أنا أحمد بن الحسن
الحيزي، أنا محمد بن أحمد بن

محمد بن معقل بن محمد الميداني، أنا محمد [بن] يحيى، أنا عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث، فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكن هذا» فحجبه.

﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لَهَا عَورَةً﴾ أراد بالطفل الأطفال، يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجمع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد. وقيل: لم يطبقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ﴿وَلَا يَتَرَفَّعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ يُعَلِّمْنَ مَا يَخْفَىٰ مِنْ بَيْنَتَيْنِ﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها [الأرض] ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهت عن ذلك. ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة. ﴿أَنَّهُ التَّوْبَةُ قَلْبُكَ تَقْلِبُوتُ﴾، قرأ ابن عامر «آية المؤمنون» و«يا أيُّه السَّاحِرُ» و«آية الثقلان» بضم الهاء فيهن، ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الآخرون بفتح الهاء الثلاث على الأصل ويقف أبو عمرو والكسائي على الوصل

ويقف الباقر بن غير ألف على الرسم. أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن [محمد بن سمعان]، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا وهب بن جرير، أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بزة أنه سمع الأغر يحدث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب [إلى ربي كل يوم] مائة مرة».

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن [محمد] الداودي، أنا [أبو] محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حريم الشاشي، أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الكشي، حدثني ابن أبي شيبه، أنا عبد الله بن نمير، عن مالك بن مغول، عن محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رب اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم»، مائة مرة.

وجملة الكلام في بيان العورات: أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل، وعورته ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنه، وقال مالك وابن أبي ذئب: الفخذ ليس بعورة لما روي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: أجرى نبي الله ﷺ فرساً في زقاق خبير وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن

فخذه حتى إني لأنظر إلى تياض فخذ نبي الله ﷺ.

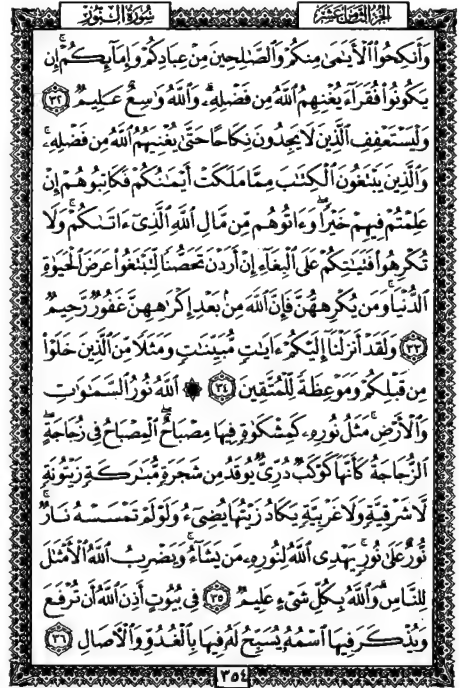
وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة لما:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبي كثير عن محمد بن جحش، قال: مرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذه مكشوفتان، قال: «يا معمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة».

وروي عن ابن عباس وجرهد بن خويلد، كان من أصحاب الصفة أن النبي ﷺ قال: «إن الفخذ عورة».

قال محمد بن إسماعيل: حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط، أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرة فجميع بدننها في حق الأجنبي عورة لا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين، وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل، ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض، والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها. ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمتة التي تحل له، وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فإنه يكره النظر إليه، وإذا زوج الرجل أمتة حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الأجنبية.

وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إذا زوج أحدكم عبده أمتة فلا ينظر



الأعمش، عن عمارة بن
عمير، عن عبدالرحمن بن
يزيد، عن عبدالله بن
مسعود قال: قال
رسول الله ﷺ: «يا معشر
الشباب من استطاع منكم
الباء فليتزوج فإنه أغض
للبصر، وأحصن للفرج،
ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فإنه له وجاء».

وقال رسول الله ﷺ:
«تناكحوا تكشروا فإني
أباهي بكم الأمم حتى
بالسقط [يوم القيامة]».

وقال ﷺ: «من أحب
فطرتي فليستن بسنتي،

ومن ستي النكاح».

أما من لا تتوق نفسه إلى النكاح
وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة له
أفضل من النكاح عند الشافعي
رحمه الله، وعند أصحاب الرأي
النكاح أفضل. قال الشافعي: وقد
ذكر الله تعالى عبداً كثره فقال:
﴿وَسِيدًا وَحَصُورًا وَيَتِيمًا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
[آل عمران: ٣٩]، والحصور الذي
لا يأتي النساء مع القدرة عليه، وذكر
القواعد من النساء ولم يندبهن إلى
النكاح. وفي الآية دليل على أن
تزويج النساء الأيامي إلى الأولياء
لأن الله تعالى خاطبهم به.

كما أن تزويج العبيد والإماء إلى
السادات، لقوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ
مِّنْ عِبَادِكُمْ﴾، وهو قول أكثر
أهل العلم من الصحابة ومن
بعدهم، روي ذلك عن عمر،
وعلي، وعبدالله بن مسعود،

إلى ما دون السرة وفوق الركبة».

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَّامَ
مِنْكُمْ﴾، الأيامي جمع أيم وهو من لا
زوج له من رجل أو امرأة، يقال
رجل أيم وامرأة أيمة، وأيم. ومعنى
الآية: زوجوا أيها المؤمنون [من لا
زوج له] من أحرار رجالكم
ونسائكم، ﴿وَالصَّالِحِينَ مِّنْ عِبَادِكُمْ
وَأَيَّامِكُمْ﴾، وهذا الأمر أمر نذبه
واستحب. فيستحب لمن تاقت
نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح
أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح
يكسر شهوته بالصوم، لما:

أخبرنا أبو بكر محمد بن [محمد
بن] علي بن الحسن الطوسي، أنا
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن
إبراهيم الإسفرايني، أنا أبو بكر
محمد بن يزداد بن مسعود، أنا أبو
عبدالله محمد بن أيوب البجلي، أنا
محمد بن كثير، أنا سفيان، عن

وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة،
وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب
والحسن وشريح وإبراهيم النخعي
وعمر بن عبدالعزيز، وإليه ذهب
الثوري، والأوزاعي، وعبدالله بن
المبارك، والشافعي، وأحمد
وإسحاق، وجوز أصحاب الرأي
للمرأة الحرة تزويج نفسها، وقال
مالك: إن كانت المرأة دنيسة جاز
لها تزويج نفسها، وإن كانت شريفة
فلا، والدليل على أن الولي شرط
من جهة الأخبار ما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنا [أبو] محمد الحسن بن
أحمد المخلدي، أنا أبو العباس
محمد بن إسحاق السراج، أنا
قتيبة بن سعيد، أنا أبو عوانة، عن
أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي
موسى، عن النبي ﷺ قال: «لا
نكاح إلا بولي».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد
الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد
الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا
الربيع، أنا الشافعي، أنا سعيد بن
سالم عن ابن جريج، عن
سليمان بن موسى، عن ابن شهاب،
عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ
أنه قال: «أئما امرأة نكحت نفسها
بغير إذن وليها فنكاحها باطل - ثلاثاً
- فإن أصابها فلها المهر بما استحلت
من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان
ولي من لا ولي له».

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ
اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾،
قيل: الغنى ههنا القناعة. وقيل:

اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة.

وقال عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عز وجل يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وعن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ يَنْفَرُوا يَكُنْ لِلَّهِ كَلًّا مِنْ سَمْعِيَّوٍ﴾ [النساء: ١٣٠].

﴿وَلَسْتَ تَصِفُ أَلْوَانَ لَآ يَجِدُونَ يَكَلَامًا﴾ أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصدقات والنفقة، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ﴾، أي: يطلبون المكاتب، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَابُوهُمْ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكانت حويطب على مائة دينار، وهب له منها عشرين ديناراً فأذاها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبك على كذا من المال ويسمي مالا معلوماً، يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أدبت [ذلك] فأنت حر، يقبل العبد ذلك، فإذا أدى المال عتق، ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال يكون له، ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء

المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه لما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، أنا عبد الله بن عمر كان يقول: المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء.

ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم».

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فَكَابُوهُمْ﴾ أمر إيجاب فيجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار.

ولما روي أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكتبه فتلکأ عنه فشكاه إلى عمر، فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكانت.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر نذب واستحباب، ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي، لأنه عقد جوز إزفاقاً بالعبد، ومن تشمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل، فيحصل المقصود، كالدية في قتل الخطأ وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة، وجوز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة. قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، اختلفوا في معنى الخير، قال ابن عمر: قوة على

الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالا، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالا.

وروي أن عبداً لسلمان الفارسي قال له كاتبني، قال: ألك مال؟ قال: لا، قال: تريد أن تطعمني من أوساخ الناس، ولم يكتبه. قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيراً، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقاً وأمانة. قال طاوس، وعمرو بن دينار: مالا وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو [محمد] الحسن بن علي بن شريك الشافعي، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم، أنا أبو بكر الجوربذي، أنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله».

وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغاً عاقلاً، أما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح، وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق. قوله

سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي مَاتَكُمْ﴾، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحيط عن مكاتبه من مال كتابته شيئاً، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: «يحيط عنه ربع مال الكتابة»، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعاً، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحيط عنه الثلث.

وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحيط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي، قال نافع: كاتب عبدالله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم.

وقال سعيد بن جبيرة: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته، ويضع من آخر كتابته ما أحب، وقال بعضهم: هو أمر استحباب، والوجوب أظهر [وقال] قوم: أراد بقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ﴾ أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضة، بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَرْقَابٍ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهو قول الحسن وزيد بن أسلم، وقال إبراهيم: هو حث لجميع الناس على معونتهم، ولو مات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً، وترفع الكتابة، سواء ترك مالاً أو لم يترك، كما لو تلف المبيع

قبل القبض يرتفع البيع، وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت، وبه قال عمر بن عبدالعزيز، والزهرى، وقتادة، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، وقال قوم: إن ترك وفاة بما بقي عليه من الكتابة كان حراً، وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار، وهو قول عطاء وطاوس والشافعي والحسن، وبه قال مالك، والثوري، وأصحاب الرأي. ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء، وقد وجد وتبعه الأولاد والاكتساب كما في الكتابة الصحيحة، ويفترقان في بعض الأحكام: وهي أن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم، ولا تبطل بموت المولى، ويعتق بالإبراء عن النجوم، والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال، حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى، ولا يعتق بالإبراء عن النجوم، وإذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة، ويثبت في الكتابة الفاسدة، فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته، وهو يرجع على المولى بما دفع إليه إن كان مالاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِمُوا فِتْيَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصَهُ﴾ الآية.

نزلت في عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق، كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة، وكان يكرهما على الزنا بالضرية يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت

معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين، فإن يك خيراً فقد استكثرتنا منه وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله هذه الآية.

وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببزء وجاءت الأخرى بدينار، فقال لهما: أرجعا فازنيا، قالتا والله لا نفعل، قد جاء الإسلام وحرمت الزنا، فأنيا رسول الله ﷺ وشكنا إليه، فأنزل هذه الآية.

﴿وَلَا تُكْرِمُوا فِتْيَتَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ أي [على] الزنا ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصَهُ﴾ أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصناً، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: [إنما] شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن، فإذا لم ترد التحصن بغت طوعاً، والتحصن التعفف، وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء. ﴿لَتَنْتَهَرْنَ عَنِ الْحَيْوَةِ الدُّنْيَا﴾، أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن ويبيع أولادهن، ﴿وَمَنْ يَكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني للمكراهات، والوزر على المكروه. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: لهن والله لهن والله.

﴿قُلْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾، من الحلال والحرام، ﴿وَمَثَلُ الْيَزْنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلَكُمْ، أي: شبيهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذابين، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ الْمَنُورَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، فهم ينوره إلى الحق يهتدون وبهده من الضلالة ينجون. وقال الضحاك: منور السموات والأرض، يقال: نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء. وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات والأرض، زين السماء الشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار. وقيل: معناه الأنوار كلها منه، كما يقال: فلان رحمة أي منه الرحمة، وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل: «شعر»:

إذا سار عبدالله عن مرو ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها
قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به، كما قال ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّيِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل

نور قلب المؤمن، وكان أبي يقرأ: «مثل نور من آمن به» وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبيرة والضحاك هو محمد ﷺ.

وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمي طاعة الله نوراً وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً، ﴿كَشْكُوفٌ﴾، وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حشية. قال مجاهد: هي القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج وأصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿أَلْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ﴾، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاج لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوءه يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاج، فقال: ﴿الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

قرأ أبو عمرو والكسائي «درى» بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز، فمن كسر الدال فهو فعيل من الدراء، وهو الدفع، لأن الكوكب يدفع الشيطان من السماء، وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضواً وأنوراً، وقيل: ذري مكرر أي طالع، يقال درأ النجم إذا طلع وارتفع، ويقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع متقبضاً فيضاعف ضوؤه في ذلك الوقت. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ

حمزة، قال أكثر النحاة: هو لحن، لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين.

قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول من درأت مثل سبوح وقُدوس، وقد استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتيا وهو مفعول من عتوت، وقرأ الآخرون «ذري» بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة، نسب إلى الدر في صفاته وحسنة، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكتفه يفضل الكواكب بضياءه، كما يفضل الدر سائر الحب. وقيل: الكوكب الدرّي واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد. وقيل: شبيهه بالكواكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿تَوَقَّدَ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب «تَوَقَّدَ» بالياء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص «توقد» بالياء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجية أي: نار الزجاجية لأن الزجاج لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفاً يعني المصباح، ﴿مِن شَجَرٍ بُرْكَكَو زَيْتُونَةٍ﴾، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف

المضاف بدليل قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتًا يُوَيِّسُ﴾، وأراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجها إلى إعصار بل كل أحد يستخرجه.

وجاء في الحديث: «أنه مصحة من الباسور».

وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي، أنا أبو أمية الطرسوسي، أنا قبيصة بن عقبة، أنا سفيان الثوري، عن عبدالله بن عيسى، عن عطاء الذي كان بالشام، وليس بابن أبي رباح، عن أسد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّ وَلَا غَرْبِيَّ﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل

واحد منهما، وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة، هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي، والأكثرين. وقال السدي وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل.

وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿يَكَادُ زَيْتًا﴾، دهنها، ﴿يُوَيِّسُ﴾، من صفاته، ﴿وَلَوْ لَر تَمَسَّهُ نَارٌ﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿ثَوْرٌ عَلَى نَارٍ﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجة.

واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ﴾ قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار.

وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال: المشكاة جوف

محمد، والزجاجة قلبه، والمصباح النور الذي جعله الله فيه، لا شرقية ولا غربية، لا يهودي ولا نصراني، توقد من شجرة مباركة إبراهيم، نور على نور، قلب إبراهيم، ونور: قلب محمد ﷺ وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحاً كما سماه سراجاً، فقال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] توقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم، وسماه مباركاً لأن أكثر الأنبياء من صلبه، لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، لأن اليهود تصلي قِبَلَ المغرب والنصارى تصلي قِبَلَ المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار، تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه «نور على نور»، نبي من نسل نبي، نور محمد على نور إبراهيم. وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن.

روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر [فهي] خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك

المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور.

قال أبيّ فهو يتقلب في خمسة أنوار. قوله: «نور»، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة. قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهده في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدئاً على هدئ ونوراً على نور. قال الكلبي قوله: «نُورٌ عَلَى نُورٍ»، يعني إيمان المؤمن وعمله. وقال السدي: نور الإيمان ونور القرآن.

وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل للقرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، «يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ» تكاد حجة القرآن تنضح وإن لم يقرأ، نور على نور: يعني القرآن نور من الله عز وجل لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور.

قوله تعالى: «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ»، قال ابن عباس رضي الله

عنهما: لدين الإسلام، وهو نور البصيرة وقيل القرآن «يَهْدِيهِ اللَّهُ الْآثِلُ لِلنَّاسِ»، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

قوله: «فِي بُيُوتٍ أُورِثُوهَ»، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: تروقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

وروى صالح بن حيّان عن ابن بريدة في قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُورِثُوهَ»، قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ.

قوله: «أَن تَتَّبِعُوا فِي الْقُرْآنِ مَن يَشَاءُ»، قال مجاهد أن تبنى، نظيره قوله تعالى: «وَأَن تَقْرَأُوا فِيهَا الْقُرْآنَ مَن يَشَاءُ» [البقرة: ١٢٧] وقال الحسن: تعظم يعني لا يذكر فيها الحثا من القول. «وَيَذَكَّرُ فِيهَا أَسْمَاءَ» قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، «يَسْمَعُ»، قرأ ابن عامر وأبو بكر «يسبح» بفتح الباء على غير تسمية الفاعل، والوقف على هذه القراءة عند قوله: «وَالْأَصْحَابِ» [النور: ٣٦] وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلاً للرجال،

«يَسْمَعُ لَكَ» أي: يصلي، «لَكَ فِيهَا بِالْقُدْرَةِ وَالْأَصَالِ»، أي بالغداة والعشي. قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضة. فالتى تؤدي بالغداة صلاة الصبح، والتي تؤدي بالأصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، أنا عبدالله بن رجاء، أنا همام عن أبي حمزة، أن أبا بكر بن عبدالله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من صلى البردين دخل الجنة».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التسبيح بالغدو صلاة الضحى.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا عبدالله بن يوسف، أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبدالرحمن [عن] أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة

رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهِ مَعْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا بَصِيرَةٌ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا مِنْ قَبْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمٍ فِي بَهْرٍ لَيْلِي يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ طُلُمْتُ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْتِثْهَا وَمَنْ لَمْ يَعْمَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ الزُّنُورَانِ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِي السُّنُورِ وَالْأَرْضُ وَالْأَطْيَرُ صُنِفَتْ كُلُّ ذَا عِلْمٍ صَلَاتُهُمْ وَتَسْبِيحُهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السُّنُورِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ الْغَيْبُ ﴿٤٢﴾ الزُّنُورَانِ اللَّهُ يُنْزِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ نَارًا تَجْلُو مَا تَكْتُمُ الْقُلُوبُ يَحْجُجُ مَنْ خَلَّلَهُ وَيُزِيلُ مِنَ السَّكَمِ مَنْ جَاءَ فِيهَا مِنْ بَرٍّ يَصِيبُ بِهِمْ مِنْ دُشَانٍ وَيَصْرِفُهُمْ عَنْ مَنَ شَاءَ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

٢٥٥

على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين.

قوله: ﴿رَجَالٌ﴾، قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد، ﴿لَا لَّهُمْ فِيهِ﴾، لا تشغلهم، ﴿مَعْرَةٌ﴾، قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلوات والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء [وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا]، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ [الجمعة: ١١] يعني الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن حضور المساجد لإقامة الصلوات ﴿وَإِقَامِ﴾، أي: إقامة الصلوات، حذف الهاء وأراد

أدائها في وقتها، لأن من آخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقامة الصلاة حفظ المواقيت.

روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهِ مَعْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾. أي: المفروضة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفث الأبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هؤلاء أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الإيمان أم من قبل الشك، وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته.

﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾، ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ثم ضرب [الله] لأعمال الكفار مثلاً.

فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾، «السراب» الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفض فلم يَر شيئاً، والأول ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغداوات شبه الملاء [لأنه] يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلاً، والرقراق يكون بالعشايا، وهو ما تترقق من السراب، أي جاء وذهب. والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾، أي يتوهمه العطشان، ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، على ما قدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ولا نفعه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم

على الله، ﴿لَوْ أَنَّ هَذَا كَانَ﴾، أي جزاء عمله، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَزْ كُظُلْمْتُمْ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم [وضلالهم] فيها كظلمات، ﴿فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر معظمه، ﴿يَقْسُهُ﴾، يعملوه، ﴿مَوْجٌ مِّنْ قَوْسٍ مَّوْجٍ﴾، متراكم، ﴿مِّنْ قَوْسٍ مَّوْجٍ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس «سحاب» بالرفع والتنوين، «ظلمات»، بالجر على البذل من قوله: ﴿أَزْ كُظُلْمْتُمْ﴾.

وروى أبو الحسن البري عنه: ﴿سَحَابٌ ظُلُمْتُ﴾ بالإضافة، وقرأ الآخرون «سحاب ظلمات» كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله ﴿سَحَابٌ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿ظُلُمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة السحاب فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، أراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه.

وقال أبي بن كعب: في هذه الآية الكافر يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار. ﴿إِذَا أُخْرِجَ﴾، يعني الناظر، ﴿يَكْدُرُ لَرَّ يَكْدُرُ رَبَّهَا﴾، يعني لم

يقرب من أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء «يكدر» صلة أي لم يرها، قال المبرد: يعني لم يرها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿وَمَنْ لَّرَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نَوْراً فَمَا لَهُ مِنْ نَّورٍ﴾، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتبس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنه عام في جميع الكفار.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَوَّاتٍ﴾﴾، باسطات أجنتهن بالهواء. قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ﴾ أي: كل مصلى وتسبيح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مصلى وتسبيح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ اللَّهُ الْمُبْدِي﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّنُ﴾، يعني يسوق بأمره، ﴿سَحَابًا﴾، إلى حيث يريد، ﴿ثُمَّ يُزَلِّفُ لِيَتَّخِذَ﴾، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُ رِجَالًا﴾، متراكماً بعضها فوق بعض، ﴿فَتَرَى الْوَدَّكَ﴾، يعني المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ظُلُمَاتٍ﴾، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع التجليل. ﴿وَتَرَى مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ مِنْ بَرَقٍ﴾، يعني: ينزل البرد، و«من» صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، و«من» في قوله ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ صلة أي: ينزل من السماء جبلاً من برد. وقيل: معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبلاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو ذكر الله تعالى «من» ثلاث مرات في هذه الآية فقوله ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ لا ابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ للتبعيض لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَرَقٍ﴾ للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿فَيُؤَيِّدُ بِهِ﴾، يعني بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّنْ يَشَاءُ﴾، فلا يضره، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ﴾، يعني ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهَبُ

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾، إليك، ﴿هَاسِرًا﴾
ثُمَّ نَبِّئُوا اللَّهَ بِهَدْيِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ بِرَبِّكَ
تُسْتَعِيرُ.

﴿وَقَوْلُوكَ﴾ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا. يعني المنافقين، يقولونه،
﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْا﴾، يعرض عن طاعة الله
ورسوله، ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرْجِعُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾،
أي من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى
غير حكم الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

نزلت هذه الآية في بشر المنافق،
كان بينه وبين رجل من اليهود
خصومة في أرض، فقال اليهودي:
نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال
المنافق نتحاكم إلى كعب بن
الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا،
فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَلَا دُعَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
يَخْعَمُ يَنْتَهَمُ﴾، الرسول يحكم
بحكم الله، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
مُتَعَرِّضُونَ﴾، يعني عن الحكم.
وقيل: عن الإجابة.

﴿وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ لَمَقٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ
مُدْعَيْنَ﴾، مطيعين منقادين لحكمه،
يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم
أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما
يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً
بالحق.

﴿إِنِّي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَرِ أَرْوَاجًا﴾،
يعني شكوا، هذا استفهام ذم
وتوبيخ، يعني هم كذلك، ﴿أَمْ
يَحْكُمُونَ أَن يَحْيِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ﴾،
يعني بظلم، ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن
الحق.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا

﴿لَمِيزًا لِأُولَى الْأَنْصَرِ﴾،
يعني دلالة لذوي العقول
والبصائر على قدرة الله
تعالى وتوحيده.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾، قرأ
حمزة والكسائي «خالق»
كل «بالإضافة، وقرأ
الآخرون «خلق كل» على
الفعل، ﴿مِنْ ثَوْرٍ﴾،
يعني: من نطفة، وأراد به
كل حيوان يشاهد في
الدنيا، ولا يدخل فيه
الملائكة ولا الجن، لأننا
لا نشاهدهم. وقيل:

أصل جميع الخلق من
الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء
ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها
الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها
الجن، وبعضها طيناً فخلق منها
آدم، ﴿فِيهِمْ مَنْ يَتَّبِعُ عَلَى بَطْنِهِ﴾،
كالحيات والحيتان والديدان، ﴿وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَّبِعُ عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، مثل بني آدم
والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ عَلَى أَرْبَعٍ﴾،
كالبهائم والسباع، ولم يذكر من
تمشي على أكثر من أربع مثل
حشرات الأرض لأنها في الصورة
كالتني يمشي على الأربع، وإنما
قال: ﴿مَنْ يَتَّبِعُ﴾، و«من» إنما
تستعمل فيمن يعقل دون من لا
يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر
كل دابة، فدخل فيه الناس
وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من يعقل
ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن
يعقل. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُحِبُّ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ وَالظَّاهِرَاتِ فِي ذَلِكَ لَمِيزَةً لِأُولَى الْأَنْصَرِ﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فِيهِمْ مَنْ يَتَّبِعُ عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَتَّبِعُ عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ مُبَشِّرًا
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَيَقُولُونَ
آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَئِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ يَنْتَهَمُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُتَعَرِّضُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ لَمَقٌ
يَأْتُوا إِلَيْكَ مُدْعَيْنَ ﴿٤٨﴾ إِنِّي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَرَادُوا تَوَلَّاءَ يَخَافُونَ
أَنْ يَحْيِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَافِرُونَ ﴿٥١﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ تُعَرِّضُوا شَيْئًا عَنْهُمْ قُلْ
لَا تَقْسِمُ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾

وَالْأَنْصَرِ، من شدة ضوئه وبريقه،
وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الباء
وكسر الهاء.

﴿يُحِبُّ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ وَالظَّاهِرَاتِ﴾،
يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما
يأتي بالليل ويذهب النهار أو يأتي
بالنهار ويذهب بالليل.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا الحميدي،
أنا سفيان، أنا الزهري، عن
سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: قال الله تعالى:
«يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا
الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ».

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾، يعني
في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء،

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾، هذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿٥١﴾ وَنَّ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ على ما عمل من الذنوب. ﴿وَيَتَّقُوهُ﴾، فيما بعده، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر «يتقه» ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر وقالون ويعقوب، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسراً، وقرأ حفص «يتقه» بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتز طعاماً بسكون الراء.

﴿٥٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وجهد اليمين أن يحلف بالله، ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿لَنْ أَمْرَهُمْ لِيُخْرِجُوهُ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، وإن أقمنا أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قُلْ، لَهُمْ، ﴿لَا تَقْسَمُوا﴾، لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر

عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: ل تكن منكم طاعة معروفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا، يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَأَنَّا عَلَيْنَا مَا جِئْنا بِهِ﴾، يعني على الرسول

ما كُلف وأمر به من تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿وَأَن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْبَيِّنَاتِ﴾، أي التبليغ البين.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بعد الوحي بمكة عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يصبرون ويؤمنون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله هذه الآية.

﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّا عَلَيْنَا مَا جِئْنا بِهِ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَأَن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْبَيِّنَاتِ ﴿٥٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ لَا تَحْسَبِ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزَةً فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَا فِي السَّمِيعِ ﴿٥٦﴾ تَنبَأُ بِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ اللَّهُ لِيُؤْتِيَهُم مَّا يُنْزِلُوا الَّذِينَ تَرَبَّعُوا فِي الْمُلْكِ مِنكُمْ وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾

[٢٥٧]

أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله لiestخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ قال قتادة: «كما استخلف» داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث أهلكت العجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾، أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها، ويظهر دينهم على سائر الأديان،

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغير حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿مَنْ بَعْدَ حَوَافِهِمْ أَمَّا يَعْبُودُونَ﴾، آمنين، ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾، في شيء، فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الأرض.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن الحكم، أنا النضر، أنا إسرائيل، أنا سعيد الطاهري، أنا محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال: بينا، أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: «فإن طالت بك حياة فلتريّ الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد؟ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، لئن طالت بك حياة لثريّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحلكم يوم القيامة» وليس بينه وبينه ترجمان يترجم، فليقولن له ألم أبعث إليك

رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»، قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لثرون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج [الرجل] ملء كفه.

وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وإمامة الخلفاء الراشدين. أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أخبرني حماد هو ابن سلمة بن دينار، عن سعيد [بن] جمهان، عن سفينة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً». ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشرًا [وخلافة] عثمان اثنتا عشر، و[خلافة] علي ستة، قال علي: قلت لحماد: سفينة القائل لسعيد أمسك؟ قال: نعم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان

رضي الله عنه، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن [أبي] نصر، أنا أبو الحسن خيشمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي، أنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن حميد بن هلال قال: قال عبدالله بن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينةنتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم، فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً، فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجزم لا يد له، وإن سيف الله لم يزل مغموداً عنكم، والله لئن قتلتموه ليسلته الله ثم لا يغمده عنكم، إما قال: أبداً، وإما قال إلى يوم القيامة، فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً.

﴿٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي افعلوها على رجاء الرحمة.

﴿٥٧﴾ ﴿لَا تَحْزَنْ أَلِئِنْ كَفَرُوا﴾، قرأ [ابن] عامر وحزمة «لا يحسن» بالياء أي لا يحسن الذين كفروا أنفسهم، ﴿مُحْزِنِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقراً الآخرون بالتاء يقول لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَهُمْ إِلَّا آلٌ لِّأَصْحَابِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

﴿قوله تعالى: وَالْقَرَعَةُ مِنَ الْكَلَامِ﴾، يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر، فلا يلدن ولا يحضن، واحدها قاعد بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾، أي لا يردن الرجال لكبرهن.

قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعدة إذا كبرت، لأنها تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هن العجّز اللواتي إذا رآهن الرجال استقذروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، عند الرجال، يعني يضمن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع، الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبى بن كعب «أن يضعن من ثيابهن»، ﴿عَبْرَ مَتْرَحَتٍ رِيَّةٍ﴾، أي من غير أن يردن بوضع الجلباب، والرداء إظهار زينتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره، ﴿وَأَنْ يَسْتَفِفْنَ﴾، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: أَلَا يَعْنِي حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ الآية، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

وَالْبَاطِلُ﴾ [النساء: ٢٩] تحرّج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزَمَنَ والعمي [والعرج]، وقالوا الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل. والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية، وعلى هذا التأويل يكون «على» بمعنى «في» أي ليس في الأعمى، يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض.

وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزّهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم، ويقول الأعمى: ربما أكل أكثر، ويقول الأعرج ربما أخذ مكان الاثنين، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد نزلت الآية ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية، كان أهل الزمانة يتخرجون من ذلك الطعام ويقولون أذهب بنا إلى بيت غيره؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما

في بيوتنا، فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.

قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى أَفْئِسْكُمْ﴾ كلام منقطع عما قبله. وقيل: لما نزل قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ وَالْبَاطِلُ﴾ [النساء: ٢٩]، قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى أَفْئِسْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب بيوت الأولاد إلى الآباء.

كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»، ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَكَامَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاحِكُهُ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر.

وقال الضحاك: يعني من بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾

[الأنعام: ٥٩] ويجوز أن يكون الذي يفتح به، وقال عكرمة: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير.

وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم «ما ملكتم مفاتيحه» ما خزنتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم، ﴿أَوْ صَدِيقَهُمْ﴾، الصديق الذي صدقك في المودة.

قال ابن عباس: نزلت في الحارث بن عمرو رضي الله عنه، خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلف مالك بن زيد على أهله. فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال تخرجت أن أكل طعامك بغير إذنك فأنزل الله هذه الآية.

وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرع بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية، والمعنى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزودوا وتحملوا. قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾.

نزلت في بني ليث بن عمرو، وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً

أكل، هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج.

وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه، فيقول: والله إنني لأجنع أي أخرج أن أكل معك وأنا غني وأنت فقير، فنزلت هذه الآية.

وقال عكرمة وأبو صالح: نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن

يأكلوا كيف شاؤوا «جميعاً» [مجتمعين] «أو أشتاتاً» متفرقين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، أي ليسلم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته، وهو قول جابر وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار، قال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهو أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. حُذِّثْنَا أَنَّ الملائكة ترد عليه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله.

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

سورة النور

سورة النور

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَحْمِلُوا عَسَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كُدَّاعٍ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُكُمْ مِنْكُمْ لَوْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ ذُرِّيُّاتُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَسْتَعِثُّ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يَرْجُمُونَ إِلَيْهِ قِيَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿٦٤﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ لَهُ

٢٥٩

تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ﴿فَبِمَا نَحْنُ بِذِلَّةٍ﴾، نصب على المصدر أي تحيون [أنفسكم] تحية، ﴿فَبِمَا نَحْنُ بِذِلَّةٍ﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾، أي مع رسول الله ﷺ، ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾، يجمعهم من حرب حضرت، أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم ينفروا عنه، لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾.

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٦٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فَنَّا أَفَرَأَيْنَاهُ أَتَأْتِيهِمْ وَهَلَّا لَهُمْ آخِرُ قَوْمٍ مَّأْخُورٍ فَقَدْ جَاءَهُمْ ظُلُمَاتُ الْوُجُوهِ ﴿٦٤﴾ وَقَالُوا اسْطِغْثُوا آلَ الْيَتِيمِ أَكُنْتُمْ بِآيَاتِهِمْ غَافِلِينَ ﴿٦٥﴾ عَلَيْهِمْ كُفْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٦٦﴾ قَالَ أَنْزِلْهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَكِينِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَمْوَالِ لَوْلَا أَنْزِلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦٨﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْنَا كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُمُ حَنَّةٌ يُأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا أَرْجُلًا مَشْهُورًا ﴿٦٩﴾ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٧٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي أَنْشَأَ جَعْلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ فُصُورًا ﴿٧١﴾ كُلَّ كَذَّابٍ أَتَى السَّاعَةَ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٧٢﴾

أي أمرهم، «فَأَذَن لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ»، فسي الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، «وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

﴿٦٧﴾ «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب للنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره. وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضهم بعضاً: يا محمد، يا عبدالله: ولكن فحّموه وشرّفوه، فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْغَيْبَ يَسْأَلُونَ»، أي: يخرجون «يُنْكِرُ لَوْأَدًا»، يستتر بعضهم ببعض ويورغ في خيفة، فيذهب، واللواذ مصدر لاوَّذَ يَلاوِذُ مَلاوِذَةً، ولواذاً، وقيل: كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مخفين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لِوَأَدٍ» أي: يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قوله: «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ» للتهديد بالمجازاة، «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لِوَأَدٍ» أي: يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قوله: «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ» للتهديد بالمجازاة، «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»،

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.

قال مجاهد: وإذا الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإذا حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة، أو يجنب رجل، أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان. «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَفْتُونَكَ أَوْلَىٰ لَكَ بِالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنْ أَسْتَفْتَوْكَ لَبِيعُ شَأْنِهِمْ»،

أي أمره، و«عن» صلة. وقيل: معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أي لثلاث تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، وجيع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظم نفسه، فقال:

﴿٦٨﴾ «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَكِينِ وَالْأَرْضِ»، ملكاً وعبيداً، «قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ»، من الإيمان والنفاق أي يعلم، و«قَدْ» صلة «يَوْمَ يَرْجُوعُونَ إِلَيْهِ»، يعني يوم البعث، «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا»، من الخير والشر، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن [أبي] شيبة حدثنا محمد بن أحمد الكرابيسي حدثنا سليمان بن توبة أبو داود الأنصاري، أنا محمد بن إبراهيم الشامي، ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ الْغُرَفَ، وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ وَعَلَمُوهُنَّ الْغُرْلَ، وَسُورَةَ النُّورِ».

سورة الفرقان

مكية [وهي سبع وسبعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَبَارَكَ الَّذِي تَفَاعَلُ مِنَ الْبَرَكَةِ، وعن ابن عباس: معناه جاء

بكل بركة، دليله قول الحسن: مجيء البركة من قبله، وقال الضحاك: تعظم، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ﴾، أي القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾، محمد ﷺ. ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

﴿الَّذِي لَمْ يَكُن لَّهُ مَلَكٌ شَمُورٌ وَالْأَرْضُ وَلَمْ يَخْزَ وَلَئِنْ يَكُنْ لَّمْ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿فَقَدَرَهُ نَفْيَارًا﴾، فسوّاه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق. قوله عز وجل:

﴿وَأَخَذُوا﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿مِنْ دُونِهِ مَالَهُمْ﴾، يعني: الأصنام، ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ مَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾، أي إماتة وإحياء، ﴿وَلَا شُورًا﴾، أي بعثا بعد الموت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المشركين، يعني النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أِفْكٌ﴾، كذب، ﴿أَفْتَيْنَاهُ﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿وَأَعَانَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَكْرُورُونَ﴾، قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر، ويسار، وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن

محمدًا ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾، يعني قائلني هذه المقالة، ﴿ظُلُمًا زُورًا﴾، أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركاً وكذباً ينسبهم كلام الله تعالى إلى الإفك والافتراء.

﴿وَقَالُوا أَتَطْلُبُ الْأُولَى﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار، اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿فَهِيَ تَكُنَّ عَلَيْهِ﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتتبها، ﴿بُكَرَةً وَأَصِيلًا﴾، غدوة وعشيًا. قال الله عز وجل رداً عليهم:

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، في السموات والأرض إن لم يكن غفورا رحيمًا.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَسُولٌ﴾، يعنيون محمدًا ﷺ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، كما نأكل نحن، ﴿وَيَتَّبِعُ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة، وكانوا يقولون له لست أنت بملك [ولا بملك]، لأنك تأكل والملك لا يأكل، ولست بملك لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتبذل. وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدميًا، ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوة. ﴿وَلَا أَنْزَلَهُ إِلَّا

مَلَكٌ﴾، فيصدق، ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾، داعيًا.

﴿أَوْ يُنَزَّلُ إِلَيْهِ كُتُبٌ﴾، أي: ينزل عليه كنز من السماء ينفعه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش، ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةٌ﴾ [أي] بستان، ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي «نأكل» بالنون أي نأكل نحن منها، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، مخدوعًا. وقيل: مصروفًا عن الحق.

﴿أَنْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ صَرَفُوا لَكَ الْأَمْثَلِ﴾، يعني الأشياء، فقالوا: مسحور محتاج وغيره، ﴿فَصَلُّوا﴾، عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَعِينُونَ سَبِيلًا﴾، إلى الهدى ومخرجًا عن الضلالة.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾، الذي قالوا، أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيرًا من المشي في الأسواق والتماس المعاش، ثم بين ذلك الخير فقال: ﴿جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾، بيوتًا مشيدة، والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرًا، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم برواية أبي بكر، «ويجعل» برفع اللام، وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله: ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشمي، أنا أبو طاهر محمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي،

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا مَا تَنَطَّلُوا بِهِ ۚ وَإِذَا
الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا خَاصًّا مَقَرَّيْنِ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۚ قُلْ
أَذِلَّةٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۚ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُتَقَدِّمًا ۚ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ هَ أَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ نَتَّبِعُهُمْ
وَهَؤُلَاءِ هُمْ حَقُّ سُبُلِ الْذِّكْرِ وَكَانُوا قَوْمًا يَدْرُسُونَ ۚ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۚ فَمَا تَسْتَظْهِرُونَ ۚ صَرَفْنَا وَلَا
نَقْمًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسًا مِنْكُمْ بِذُنُوبٍ عَدَا كَبِيرًا ۚ
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَا كُونُوا
الطَّعَامَ وَيَكْفُرُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ بِرُءُوسِكُمْ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرَةٍ ۚ

رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك، وفي رواية ابن عباس: فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقلت: نبياً عبداً» قالت:

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، بالقيامة، «وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا سِوِيرًا»، ناراً مستعرة. ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، قال الكلبي والسدي: من مسيرة عام. وقيل: من مسيرة مائة سنة. وقيل: خمسمائة سنة.

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً». قالوا: وهل لها من عينين؟ قال: نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

وقيل إذا رأته زبانيته. «يَتَوَعَّضُونَ» غليظاً، غليظاً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. «وَوَفِّرَا» صوتاً، فإن قيل: كيف يسمع

التغيظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر:

ورأيت زوجك في السوغي متقلداً سيفاً ورمحاً
أي وحاملاً رمحاً. وقيل: سمعوا لها تغيظاً أي: صوت التغيظ من التلهب والتوقد. قال عبيد بن عمير: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه.

﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا خَاصًّا﴾، قال ابن عباس: يضيق عليهم الزج في الرمح، «مَقَرَّيْنِ»، مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل، «دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا»، قال ابن عباس: ويلاً. وقال الضحاك: هلاكاً.

﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، في الحديث: «إن أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول: يا ثبوراه، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادون: يا ثبوراه وينادي: يا ثبورهم، فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، فادعوا أدعية كثيرة.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَذِلَّةٌ﴾، يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها، «خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَثَابًا»، مرجعاً.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾

أنا عبد الله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن حدثني عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، - وقال ثلاثاً - أو نحو هذا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبع حمدتك وشكرتك».

حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، أنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابي الشيخ، أنا أبو يعلى، ثنا محمد بن بكار، ثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري، عن عائشة قالت: قال

كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا مَسْئُولاً،
مطلوباً، وذلك أن المؤمنين سألوا
ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما
وعدتنا على رسلك، يقول: كان
أعطى الله المؤمنين جنة خلد وعداً،
وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا
ومسألتهم إياه ذلك. وقال محمد بن
كعب القرظي: الطلب من الملائكة
للمؤمنين وذلك قولهم: ﴿رَبَّنَا
وَأَدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾
[غافر: ٨].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾، قرأ ابن
كثير وأبو جعفر، ويعقوب،
وحفص: «يحشرهم» بالياء، وقرأ
الباقون بالنون، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ﴾، قال مجاهد: من
الملائكة والجن والإنس وعيسى
وعزير. وقال عكرمة والضحاك
والكلبي: يعني الأصنام ثم
يخاطبهم، ﴿فَيَقُولُ﴾، قرأ ابن عامر
بالنون والآخرين بالياء، ﴿هَآأَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا
السَّبِيلَ﴾، أخطأوا الطريق.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، زهوا الله
من أن يكون معه آله، ﴿هَآ كَآنَ يَلْبِثِي
لَنَّا أَنْ تَنْجِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾،
يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي
أعداءك بل أنت ولينا من دونهم.
وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا
ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر «أن
نتخذ» بضم النون وفتح الخاء فتكون
«من» الثاني صلة، ﴿لَكِنْ تَتَّبِعُهُمْ
وَالِهَاءَهُمْ﴾، في الدنيا بطول العمر
والصحة والنعمة، ﴿حَتَّىٰ شَاؤُوا
الْزُكْرَ﴾، تركوا الموعظة والإيمان
بالقرآن. وقيل: تركوا ذكرك وغفلوا

عنه، ﴿وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾، يعني هلكى
غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل
يقال له باثر، وقوم بور، وأصله من
البوار وهو الكساد والفساد، ومنه
بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو
اسم مصدر كالزور، يستوي فيه
الواحد والاثنتان والجمع والمذكر
والمؤنث.

﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ﴾، هذا
خطاب مع المشركين، أي: كذبكم
المعبودون، ﴿يَمَّا تَتْلُونَ﴾، إنهم
ألوه، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾، قرأ حفص
بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون
بالياء يعني: الآلهة. ﴿هَآئِكَ﴾ يعني
صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿وَلَا
تَصْرَفُ﴾ يعني ولا نصر أنفسهم.
وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من
عذاب الله بدفع العذاب عنكم،
وقيل: الصرف الحيلة، ومنه قول
العرب: إنه ليصرف أي يحتال،
﴿وَمَنْ يَظْلِمُ﴾، يشرك، ﴿وَتَبْكُمُ
نُفُوسُ عِبَادِكُمْ كَيْفَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، يا محمد،
﴿إِلَّا إِنْهُمْ لِيَآكُونَ الطَّعَامُ﴾.
روى الضحاك عن ابن عباس قال:
لما عثر المشركون رسول الله ﷺ
وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الأسواق، أنزل الله عز
وجل هذه الآية.

يعني ما، أنا إلا رسول وما كنت
بذعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً
يأكلون الطعام، ﴿وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ﴾. وقيل: معناه وما أرسلنا
قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل
هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في

الأسواق كما قال في موضع آخر:
﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ
قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، ﴿وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، أي بلية،
فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما
لي لم أكن مثله؟ والصحيح فتنة
للمريض، والشريف فتنة للوضيع.
وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم
بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون
منهم، وترون من خلافهم، وتنبعوا
الهدى.

وقيل: نزلت في ابتلاء الشريف
بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا أراد
أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله
أنف، وقال: أسلم بعده فيكون له
عليّ السابقة والفضل؟! فيقيم على
كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك
افتتان بعضهم ببعض، وهذا قول
الكلبي.

وقال مقاتل: نزلت في أبي
جهل، والوليد بن عقبة،
والعاص بن وائل، والنضر بن
الحارث. وذلك أنهم لما رأوا أبا
ذر، وابن مسعود، وعماراً، وبلالاً،
وصهيباً، وعامر بن فهيرة، وذوهم،
قالوا: نسلم فنكون مثل هؤلاء؟

وقال مقاتل: نزلت في ابتلاء
فقراء المؤمنين بالمستهزئين من
قريش، كانوا يقولون انظروا إلى
هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا
وأرأدنا، فقال الله تعالى لهؤلاء
المؤمنين: ﴿أَنْتُمْ سِرٌّ﴾ يعني على
هذه الحال من الفقر والشدة
والأذى، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِعِيَابِكُمْ﴾،
بمن صبر ومن جزع.

«الهباء» قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار، فلا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، و«المنثور» والمتفرق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتدره من التراب وحطام الشجر.

وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: «الهباء المنثور» ما يرى في الكوة و«الهباء المنبت» هو ما تطيره الرياح من سنايك الخيل.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا أَي: من هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، موضع قائلة يعني [أن] أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقرأ «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم» هكذا كان يقرأ.

وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله. وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة.

قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: «وَأَحْسَنُ مَقِيلًا» والجنة لا نوم فيها. ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

﴿٢٣﴾ قال مجاهد: عتوا طغوا قال مقاتل: عتوا غلوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم، وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

﴿٢٤﴾ «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ» عند الموت. وقيل: في القيامة. «لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ»، للكافرين، وذلك أن الملائكة يشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا

بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشرون المؤمنون. «وَيَقُولُونَ جِئْنَا بِجُحْرًا»، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرية. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون، قالوا حجراً محجوراً، فهم يقولونه إذا عاينوا الملائكة، قال مجاهد: يعني عوداً معاذاً يستعيذون به من الملائكة.

﴿٢٥﴾ «وَقَدِمْنَا» وعمدنا، «إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»، أي باطلاً لا ثواب له، لأنهم لم يعملوه لله عز وجل. واختلفوا في

﴿٢٦﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُولَئِكَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْتَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٨﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٩﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٣٠﴾ يَوْمَ تَشْفَقُ السَّمَاءُ بِأَلْعَمِمْ وَيَزْلُلْنَ لِأَلْوَنِهِمْ ﴿٣١﴾ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا إِذْ يَنْزِيلُ الْأَمْرَ لِرَبِّهِمْ وَكَانَ نُوحًا عَلٰى الْكَافِرِينَ عَاسِرًا ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ يَبْصُرُ الْأَطْلَافُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَكْفُورُ ﴿٣٣﴾ يَلَيْسَ لَكَ أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٣٤﴾ يُدَوِّلُ لَيْسَ لَكَ أَتَّخَذْتُ فَلَئِنَّكَ لَكَلِيلًا ﴿٣٥﴾ لَقَدْ أَصَلَّيْنَا عَلَىٰ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكَ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَفْسٍ عَذَابًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٩﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن، الحيرى أنا أبو العباس الأصم، ثنا زكريا بن يحيى المروزي، ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم».

﴿٢٦﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا»، أي لا يخافون البعث، قال الفراء: «الرجاء» بمعنى الخوف، لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: «فَلَا تَكُ لَّا رَجُوعَ إِلَيَّ» وَقَالَ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون الله عظمة. «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً»، فتخبرنا أن محمداً صادق، «أَوْ رَأَىٰ رَبَّنَا»، فيخبرنا بذلك، «لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا»، أي تعظموا. «وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا»، بهذه المقالة، «وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا».

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: «وَيَوْمَ تَنفَقُ أَرْجَاؤُهُمْ يَوْمَ تَنفَقُ أَرْجَاؤُهُمْ»، أي عن الغمام، الباء وعن يتعاقبان، كما يقال رميت عن القوس وبالقوس، وتشقق بمعنى تشقق، أدغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا، وفي سورة «ق» [٤٤] بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿وَيَوْمَ تَنفَقُ أَرْجَاؤُهُمْ﴾، قرأ ابن كثير «وتنزل» بنون خفيف ورفع اللام، «الملائكة» نصب.

قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون سادة الملائكة وهم المقربون ثم حملة العرش.

﴿٢٦﴾ «الْمَلِكُ يَوْمَ يَكْفِي لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» أي الملك الذي هو الملك الحق حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، شديداً فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيراً.

وجاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون

عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوا في الدنيا».

﴿٢٧﴾ «وَيَوْمَ يَصْخَرُ الْأَعْيُنُ عَلَى رِثْقِهِمْ» أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط.

وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشرف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاماً فدعا الناس [على عادته] ودعا رسول الله ﷺ، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأبي بن خلف، فلما أخبر أبي بن خلف قال له: يا عقبة صبا؟ قال: لا والله ما صبا، ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له أنه رسول الله فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً إلا أن تأتني فتبزيق في وجهه، ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوث وأسك بالسيف» فقتل عقبة يوم بدر صبراً، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد بيده.

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت.

وقال الشعبي: كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك

حرام إن بايعت محمداً، فكفر وأرشد فأنزل الله عز وجل: «وَيَوْمَ يَصْخَرُ الْأَعْيُنُ» يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن مناف على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه.

قال عطاء: يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلهما تحسراً على ما فعل ﴿يَكْفُلُ يَكْفُلِي أَفْعَدْتُ﴾، في الدنيا، ﴿مَعَ الْأَرْشُولِ سَيْلًا﴾، لستني اتبعت محمداً ﷺ واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى، قرأ أبو عمرو «يا لستني اتخذت» بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.

﴿٢٨﴾ «وَيَوْمَ يَكْفُلُ يَكْفُلِي لَيْتَى لَرَأَيْتُ فَلَآتًا لَيْتَى لَرَأَيْتُ» يعني أبي بن خلف.

﴿٢٩﴾ «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ» عن الإيمان والقرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ يعني الذكر مع الرسول، ﴿وَكَانَ الْغَيْطُنُ﴾ وهو كل متمرد عات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾، أي تاركاً يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآيات عام في حق كل متحابين اجتماعاً على معصية الله [عز وجل].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن العلاء، أنا أبو أسامة، عن يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبِيرًا ﴿٣٠﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ
 مَكَانًا وَأَصْلٌ سَبِيلًا ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مَوْسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٢﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٣﴾ وَقَوْمَ
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَالًا
 مَّاءِيَةً وَأَخْلَصْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٤﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُنَّا تُرَاثِيَهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَذَابًا شَدِيدًا ﴿٣٧﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْفَرِيقَ
 كَانُوا لَا يَرْجِعُونَ شَرًّا ﴿٣٨﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْفَرِيقَ
 لَا هُمْ وَلَا عِدَاهُمْ يُعْنُونَ رَبًّا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 دَاوُدَ الْبُكْرَةَ وَقَالَتْ لَهَا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ إِنِّي أَخَذْتُ
 مِنَ اللَّهِ عَهْدًا أَنِ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْغَيْبِ تَبَشِيرٌ مِّنْ رَبِّكَ
 فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٠﴾

أخبرنا عبد الواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن كتاب النيسابوري، أنا أبو العباس الأصم، ثنا حميد بن عياش الرملي، أنا مؤمل بن إسماعيل، ثنا زهير بن محمد الخراساني، ثنا موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

﴿٣٠﴾ «وَقَالَ الرَّسُولُ»، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: «يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا»، يعني متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه.

وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان، والقول السيء، فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد. وقيل: قال الرسول يعني محمداً ﷺ يشكو قومه إلى الله يا رب: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى [في الأمم السالفة] فقال:

﴿٣١﴾ «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا»، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، «لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ»، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول لا يكبرن عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم، فاصبر لأمرهم كما صبروا فلإني ناصر لك وهاديك، «وَكُنْ

قال: «مثل المجلس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتنازع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما تجد منه ريحاً خبيثة».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، [أنبأنا] محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن حياة بن شريح، أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري - قال سالم أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا * ﴿٣٢﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى: «وَكَذَلِكَ»، فعلنا، «لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»، يعني أنزلناه مفرقاً ليقوي به قلبك فتعيه وتحفظه، فإن الكتب أنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. «وَرَفَعْنَا فِيهِ الْقُرْآنَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، يعني: قال ابن عباس بيناه بياناً، والترتيل التبيين في ترسل وثبتت. وقال السدي: فصلناه تفصيلاً. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن وقتادة: فرقناه تفرقاً، آية بعد آية.

﴿٣٣﴾ «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبِيرًا»، يعني هؤلاء المشركين، «بِمَثَلٍ»، يضربونه في إبطال أمرهم «إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ»، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله [عليهم]، فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً، وسمى ما يدفع به الشبه حقاً، «وَأَحْسَنَ قَبِيرًا»، يعني بياناً وتفصيلاً، والتفسير تفصيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي. ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

﴿٣٤﴾ «الَّذِينَ»، أي: هم الذين، «يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»، فيساقون ويجرون، «إِلَّا جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ

تَكَاكِبًا، أي مكانة ومنزلة، ويقال منزلًا ومصيرًا، **وَأَنْصَلُ سَبِيلًا**، أخطأ طريقًا.

﴿٤٥﴾ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَحَمَلْنَا مَعَهُ الْكُتُبَ هَارُونَ هَارُونَ وَزَكَرِيَّا** [أي] معينا وظهيراً.

﴿٤٦﴾ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ذِكْرًا بِعَاقِبَتِهِ**، يعني القبط، **وَلَقَدْ مَرْجُومًا**، فيه إضممار، أي: فكذبوهما فدمرناهم، **وَنُوحًا**، [أي] أهلكناهم إهلاكاً.

﴿٤٧﴾ **وَوَقَّمْ نُوْحًا لِّمَا كَذَّبُوا الرُّسُلَ**، أي: الرسول، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. **وَأَفْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ**، أي لمن بعدهم عبرة، **وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**، في الآخرة، **عَذَابًا أَلِيمًا**، سوى ما حل بهم من عاجل العذاب.

﴿٤٨﴾ **وَعَادًا وَثَمُودَ**، أي وأهلكنا عاداً وثمود، **وَأَنْصَبَ الْكُرْسِيَّ**، اختلفوا فيهم.

قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وأصحاب مواشٍ يعبدون الأصنام، فوجه الله إليهم شعبياً يدعوهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم وانكبابهم على عبادة الأوثان وفي أذى شعيب عليه السلام، فبينما هم حوالي البئر في منازلهم فانهارت بهم البئر فخسف الله بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعاً، والرس: البشر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآخر فهو رس.

وقال قتادة والكلبي: «الرس» بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل، وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: **وَنُوحًا مُنْقَلَبًا وَنُوحًا مُنْقَلَبًا** [الحج: ٤٥]. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى.

وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس [اسم] بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس.

وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه، وأوقدوا فيه ناراً وكانوا يلقون فيه من آمن بالله. وقال عكرمة: هم قوم رثسوا نبيهم في بئر فمات فأهلكهم الله. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، **وَوَقَّمْنَا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا**، أي وأهلكنا قرونا كثيراً بين عاد وأصحاب الرس.

﴿٤٩﴾ **وَسَعَاءَ مَرْجَا لَه الْأَمْتَلُ**، أي الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار، **وَسَعَاءَ مَرْجَا تَنْبِيْرًا**، أي أهلكنا إهلاكاً. وقال الأخفش: كسرنا تكسيراً. قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته.

﴿٥٠﴾ **وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْآلِهَ أَتْمَلَرَت مَكْرَ الْكُتُبِ**، يعني الحجارة، وهي قريات قوم لوط، وكانت خمس قرى، فأهلك الله

أربعاً منها، نجت واحدة، وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، **أَنْصَلُ سَبِيلًا**، إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتذكروا إنما فعل بهم لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام، **كَاكِبًا لَا يَتَجَرَّعُونَ**، لا يخافون، **نُوحًا**، بعثاً.

﴿٥١﴾ قوله عز وجل: **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ذِكْرًا بِعَاقِبَتِهِ**، يعني: ما يتخذونك، **وَلَقَدْ مَرْجُومًا**، يعني مهزوءاً به، نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئاً **أَهَذَا الَّذِي يَسُبُّكَ اللَّهُ رَسُولًا**.

﴿٥٢﴾ **إِنْ كَذَّبْنَا**، يعني قد قارب أن يضلنا، **وَمَنْ آتَيْنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا**، يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، **وَسَوَاءٌ يَلْعَنُونَ مِنْكَ أَوْ يَرْضَوْنَ إِلَيْكَ**، من أخطأ طريقاً.

﴿٥٣﴾ **أَفَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبده.

وقال ابن عباس: أرايت من ترك عبادة الله وخالفه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي؟ **أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**، يعني حافظاً، يقول أفأنت عليه كفيل تمنعه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله؟ أي لست كذلك. قال الكلبي: نسختها آية القتال.

بَيْتِكَ يَدَى رَحْمَتِهِ، يعني المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسخر به، والفظور اسم لما يفطر به، والدليل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».

وأراد به المطهر فالماء مطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم﴾ [الأنفال: ١١] فثبت به أن التطهير يختص بالماء، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، كالخل وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها.

وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما يتكرر منه التطهير، كالصبر اسم لمن يتكرر منه الصبر، والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر، وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضع به مرة.

وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته؟ نظر: إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه، كالطين والتراب وأوراق الأشجار، لا يزول، فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره، وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالطه، كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به، لأن تغيره للمجاوزة لا للمخالطة.

[الواقعة: ٣٠] لم يكن معه شمس. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾، أي: دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهب الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس. وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سمي فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا النَّفْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، يعني على الظل ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾، يعني الظل، ﴿إِنَّا قَبَضًا بِسِيرًا﴾، بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء، معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءاً فجزءاً قبضاً يسيراً أي: خفياً.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآلِلَ لِأَسَا﴾، أي سترأ تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابس، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾، راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل السبت القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحرركته. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾، أي يقظة وزماناً، تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتتشرون لأشغالكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُثْرًا

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا النَّفْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِنَّا قَبَضًا بِسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآلِلَ لِأَسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُثْرًا يَكُنْ يَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لَنُخَوِّضَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُفِيقُهُ وَمَنَاقِلَهُ أَغْمًا وَأَنَابِيءَ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ لَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَنَّى يُكَذِّبُ النَّاسُ لَآكُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَظَنَّاتِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَنِّهْهُمْ بِهِ جَهَنَّمَ كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ لَّجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ لَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَيْكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَجَعَدْنَاكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَيْكِ طَهُورًا ﴿٥٥﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾، ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾، ما يعاينون من الحجج والإعلام، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ما لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون [شيئاً من ذلك بل يؤثرون السجود إلى ما ينتحونه من الأحجار على السجود لله الواحد القهار].

﴿قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾، معناه ألم تر إلى مد ريك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً لأنه ظل لا شمس معه، كما قال: «في ظل الجنة»، ﴿وَلَطِي مُدْذِرٍ﴾

وإن كان شيئاً يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما يزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به.

وإن لم يتغير أحد أوصافه نُظر إن كان الواقع فيه شيئاً طاهراً لا تزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع فيه شيئاً نجساً نُظر [فيه] فإن كان الماء قليلاً أقل من القلتين ينجس الماء.

وإن كان قدر قلتين فأكثر [ولا تغير به] فهو طاهر يجوز الوضوء به، والقلتان خمس قُرب ووزنها خمسمائة رطل، والدليل عليه ما:

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبد الرحيم بن المنيب، أنا جرير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة من الأرض وما يرد من الدواب والسياب فقال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث».

وهذا قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وجماعة من أهل الحديث: أن الماء إذا بلغ هذا الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري [وبه قال مالك] واحتجوا بما:

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري، ثنا أبو محمد الحسين بن محمد بن حكيم، ثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه، ثنا صدقة بن الفضل، أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظي عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بثر بضاعة؟ وهي بثر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن، فقال رسول الله ﷺ: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء».

❶ قوله عز وجل: ﴿لِيُخَيَّرَ بِمَاءٍ﴾ أي: بالمطر، ﴿كَلَّةً مَّيْتَةً﴾ ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ﴿وَتُفَيِّمُ مِمَّا خَلَقْنَا أَمْثَلَهُ﴾ [أي] نسقي من ذلك الماء أنعاماً، ﴿وَأَنبِئُكَ كَيْدَ﴾ أي بشراً كثيراً، والأناسي جمع أنسي، وقيل جمع إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل الياء عوضاً عن النون.

❷ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني المطر، مرة بيلد ومرة بيلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعاً «ما من ساعة من ليل أو نهار إلا والسما تاطر فيها يصرفه الله حيث يشاء».

وذكر ابن إسحاق وابن جرير ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها

في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فلماذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياضي والبحار». وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وإبلاً وطلاً ورذاذاً ونحوها. وقيل: التصريف راجع إلى الريح. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى، ﴿فَأَنَّهُ أَكْثَرُ أُنْيَاسٍ إِلَّا كُتُورًا﴾، جحوداً، وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا [معتقدين أن النوء هو الفعال].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

❸ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَغَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾، رسولاً ينذرهم، ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة

ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾،

فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا نتبعه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا مِثْلَ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإففاق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجراً ولكن لا أمتنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

﴿وَوَكَّلْ عَلَى آلِيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي عِبَادَهُ﴾، أي: صل له شكراً على نعمته. وقيل: قل سبحان الله، والحمد لله، ﴿وَكَفَى بِهِ يَذِّبُ عِبَادَهُ خَيْرًا﴾، عالماً بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَقَالَ رَبُّهُ خَيْرًا﴾، أي: الرحمن.

قال الكلبي: يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش. وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصداقاً به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى «عن» أي: فاسأل عنه خبيراً وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام.

يُنَبِّئُكُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: حاجزاً بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿وَجَعَلَ حُجُورَكُمْ﴾ أي: سترأ ممنوعاً فلا يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ الْبَشَرَ﴾، من النطفة، ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ لَكُم مَّوَسِّئًا﴾ أي: جعله ذا نسب وذا صهر.

قيل: النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه، فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبه.

وقيل: - وهو الصحيح - النسب من القرابة، والصهر: الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، وقد ذكرنا أن الله تعالى حرم بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

﴿وَيَسْتَدِينُ مِنَ دِينِ اللَّهِ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن عبده، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن تركوه، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾، أي: معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي. وقال الزجاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان.

وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيراً، أي حيناً ذليلاً كما يقول الرجل: جعلني بظهير أي جعلني حيناً.

جميعها، لتستوجب بصرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

﴿فَلَا تُلْقِ الْكَاذِبِينَ﴾، فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداونتهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ يَوْمَ﴾، أي: بالقرآن، ﴿جَهَنَّمَ كَبِيرًا﴾ [أي] شديداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلطهما كما يرسل الخيل في المرح، وأصل المرح الخلط والإرسال.

يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخلقتها تذهب حيث تشاء، ﴿هَذَا عَذَابٌ مُرْتَبِّئٌ﴾، شديد العذوبة والفرات أذهب المياه، ﴿وَهَذَا يَلْبَغُ الْحَمَاقَ﴾، شديد الملوحة.

وقيل: أجاج أي مر، ﴿وَيَجْعَلُ

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٢﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا مِثْلَ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٣﴾ وَوَكَّلْ عَلَى آلِيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي عِبَادَهُ وَيَذِّبُ عِبَادَهُ خَيْرًا ﴿٥٤﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَقَالَ رَبُّهُ خَيْرًا ﴿٥٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٥٦﴾ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٥٨﴾ وَيَسْأَلُ الَّذِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَؤُلَاءِ إِذَا طَأَسْتَهُمْ لِمَ جَعَلُوا لَكُمْ آيَاتٍ فَتَذَكَّرُونَ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجُودًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٠﴾

جميعها، لتستوجب بصرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

﴿فَلَا تُلْقِ الْكَاذِبِينَ﴾، فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداونتهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ يَوْمَ﴾، أي: بالقرآن، ﴿جَهَنَّمَ كَبِيرًا﴾ [أي] شديداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلطهما كما يرسل الخيل في المرح، وأصل المرح الخلط والإرسال.

يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخلقتها تذهب حيث تشاء، ﴿هَذَا عَذَابٌ مُرْتَبِّئٌ﴾، شديد العذوبة والفرات أذهب المياه، ﴿وَهَذَا يَلْبَغُ الْحَمَاقَ﴾، شديد الملوحة.

وقيل: أجاج أي مر، ﴿وَيَجْعَلُ

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَلَّفُوا لِلدِّينِ﴾ [أي] ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسليمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿أَنْتُمْ لَهَا قَوْمٌ﴾. قرأ حمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، «وزادهم» يعني زادهم قول القائل لهم: ﴿أَنْتُمْ لَهَا قَوْمٌ﴾، عن الدين والإيمان.

﴿قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: البروج هي النجوم الكبار، سميت بروجاً لظهورها. وقال عطية العوفي: «بروجاً» أي قصوراً فيها الحرس، كما قال: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشْكُورَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوث بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة ترابية

والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوث مثلثة مائية. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا يَرَبَّكُمَا﴾ يعني الشمس كما قال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ يَرْبِكُمَا﴾ [نوح: ١٦] وقرأ حمزة والكسائي «سُرجاً» بالجمع يعني النجوم. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: ﴿فِيهَا نُكَلِّفُكُمْ وَقَدْ رَوَّانَ﴾ [الرحمن: ٦٨]، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة [لنوع شرف].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيْلًا وَالنَّهَارَ خَلْفَةً﴾، اختلفوا فيه قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعوضاً، يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاءه في الآخر.

قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله عز وجل: ﴿جَعَلَ أَيْلًا وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ﴾.

قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ﴾، قرأ حمزة بتخفيف الذال والكاف وضمها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديد هـ أي يتذكر ويتعظ ﴿أَرَادَ شُكْرًا﴾، قال مجاهد:

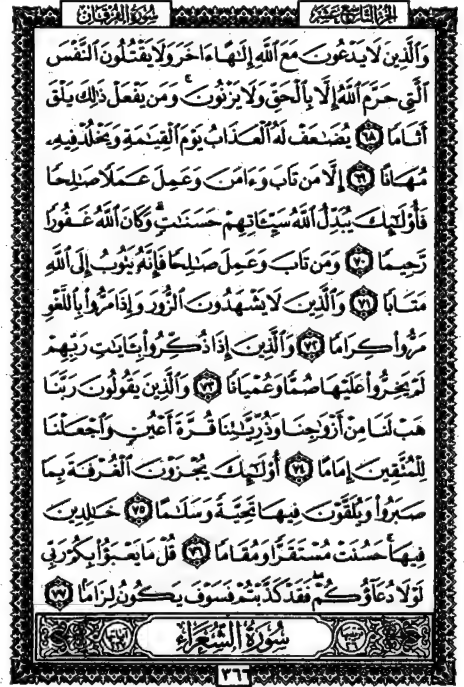
أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَيَسَّادُ الْرَّحْمَنُ﴾، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى الْأَرْضِ مَرَدًا﴾، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرجين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسهون، وإن سَفِهَ عليهم حلموا، والهنون في اللغة الرفق واللين، ﴿وَلَا يَخَالِفُهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، قال مجاهد: سداداً من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروي عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَسْكُفُوا أَلْفًا أَهْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَمْنًا وَلَكُمْ أَمْنًا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمروا بالقتال، ثم نسختها آية القتال.

وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، قال: هذا وصف ليلهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، يقال لمن أدرك الليل: بات، نام أو لم ينم، يقال:



يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ
جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ
غَرَامًا، يعني ملحاً دائماً
لازماً غير مفارق من عذب
به من الكفار، ومنه سمي
الغريم لطلبه حقه وإلحاحه
على صاحبه وملازمته
إياه. قال محمد بن كعب
القرظي: سأل الله الكفار
ثمن نعمه فلم يؤدوا
فأغرمهم فيه، فبقوا في
النار، وقال الحسن: كل
غريم يفارق غريمه إلا
جهنم. والغرم: الشر
اللازم، وقيل: غراماً
هلاكاً.

﴿إِنَّهَا﴾، يعني جهنم،
﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، يعني بش
موضع قرار وإقامه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، قرأ ابن كثير وأهل
البصرة «يقترُوا» بفتح الياء وكسر
التاء، وقرأ أهل المدينة وابن عامر
بضم الياء وكسر التاء، وقرأ الآخرون
بفتح الياء وضم التاء، وكلها لغات
صحيحة. يقال: أقتَر وتقتَر بالتشديد،
وَقَتَر يَقْتَر، واختلفوا في معنى
الإسراف والإقتار، فقال بعضهم:
«الإسراف» النفقة في معصية الله وإن
قلت، و«الإقتار» منع حق الله تعالى.
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
وابن جريج، وقال الحسن في هذه
الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم
يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم:
«الإسراف»: مجاوزة الحد في
الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير

و«الإقتار»: التقصير عما لا بد منه،
وهذا معنى قول إبراهيم [قال] لا
يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة
يقول الناس قد أسرف، ﴿وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، قصداً وسطاً
بين الإسراف والإقتار، حسنة بين
السيئين.

وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه
الآية: أولئك أصحاب محمد ﷺ،
كانوا [لا] يأكلون طعاماً للتنعم
واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال،
ولكن كانوا يريدون من الطعام ما
يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة
ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم
ويكتمهم من الحر والقر. قال عمر بن
الخطاب: كفى سرقاً أن لا يشتهي
الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.

﴿قوله عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَالَّذِينَ لَا
يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن
موسى، أنا هشام بن يوسف [أن] ابن
جريج أخبرهم قال: قال يعلى - وهو
يعلى بن مسلم - أن سعيد بن جبير
أخبره عن ابن عباس، أن ناساً من أهل
الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ووزنوا
فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن
الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا
بأن لما عملناه كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
يَزْنُونَ﴾، ونزل: ﴿قُلْ يَكِيدُ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

بات فلان قلقاً، والمعنى يبيتون
لربهم بالليل في الصلاة،
﴿سَجَدًا﴾، على وجوههم،
﴿وَقِيَمًا﴾ على أقدامهم. قال ابن
عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة
ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً.
وقائماً.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أبو منصور محمد بن
[محمد بن] سمعان، أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد الجبار
الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا
أبو نعيم، عن سفيان، عن عثمان بن
حكيم، عن عبد الرحمن بن أبي
عمرة، عن عثمان بن عفان قال:
قال رسول الله ﷺ: «من صلى
العشاء في جماعة فكانما قام نصف
الليل، ومن صلى الصبح في جماعة
كانما صلى الليل كله».

﴿قوله عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَالَّذِينَ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتبية بن سعيد، ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَّ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي شيئاً من هذه الأفعال، ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾، يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: الآثام العقوبة.

وقال متجاهد: الآثام واد في جهنم، يروى ذلك عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

ويروى في الحديث: «الغني والآثام بئران يسبل فيهما صديد أهل النار».

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا﴾، قرأ ابن عمر وأبو بكر «يضاعف» و«يخلد» برفع الفاء والdal على الابتداء، وشدد بن عامر «يضعف»، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والdal على جواب الشرط.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا﴾، قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه، وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله، ثنا [محمد بن] موسى بن محمد، ثنا موسى بن هارون الحمالي، ثنا إبراهيم بن محمد الشافعي، ثنا عبدالله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَّ﴾ الآية، ثم نزلت: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا﴾، فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط كفرحه بها وفرحه بـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لَيَقْفِرَنَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح: ١ - ٢].

﴿فَأُولَئِكَ يَجْزِي اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ وكان الله غفوراً رحيمًا، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا. قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والسدي، والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً، ويقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً. وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب، ومكحول، يدل عليه ما: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن

عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو عمار الحسين بن خريت، ثنا وكيع، ثنا الأعمش، عن المعمر بن سويد، عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ويخيا عنه كبارها، فيقال [له] عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها، فيقال أخطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: رب إن لي ذنوباً ما أراها ههنا»، قال أبو ذر: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

وقال بعضهم: إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ سَابِقًا﴾، قال بعض أهل العلم: هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحاً أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿فَلَهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي يعود إليه بالموت، ﴿مَتَابًا﴾، حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾

اللَّهُ خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله.

وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ قال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك. وقال علي بن [أبي] طلحة: يعني شهادة الزور. وكان عمر بن الخطاب: يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه ويطوف به في السوق. وقال ابن جريج: يعني الكذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل النوح وقال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون الله والغناء.

وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد. ونظيره قوله: ﴿وَإِذَا سَكَبْنَا لِلْغَوِّ أَغْرُسُوا عَنْتَهُ﴾ [القصص: ٥٥]، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: «اللغو»: المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا﴾

يسقطوا، ﴿عَلَيْهَا صُحُفًا وَمَعِينًا﴾، كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَزَوَّجِنَا﴾، قرأ بغير ألف: أبو عمرو، وحمة والكسائي، وأبو بكر، وقرأ الباقون بالألف على الجمع، «قرة أعين»، يعني أولاداً أبراراً أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين فقرر أعيننا بذلك.

قال القرطبي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن، ووجد القرة لأنها مصدر، وأصلها من البرد، لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد، وتذكر قرة العين عند السرور، وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قرة الأعين: أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿وَجَعَلْنَا لِلشَّقِيقِ إِيمَانًا﴾، يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة. كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ آلَيْنَيْنِ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقيل: أراد أئمة كقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ عِزُّوُنَا﴾ [الشعراء: ٧٧] يعني أعداء، ويقال أميرنا هؤلاء، أي أمراؤنا وقيل: لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال أم إماماً كما يقال قام قياماً، وصام صياماً. قال الحسن: نفتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا

أئمة هداة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ وَأَمْرًا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكُونُونَ إِلَى الْكَافِرِ﴾ [القصص: ٤١]، وقيل: هذا من المقلوب يعني واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

﴿أُولَئِكَ يَجْزِيكَ﴾، يعني ينالون، ﴿الْفَرْقَةَ﴾، يعني الدرجة الرفيعة في الجنة، والغرفة: كل بناء مرتفع عال. وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد [والياقوت] في الجنة، ﴿يَا سَبْرًا﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف، كما قال فسوف يلقون غياً. وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَزَرْنَا مُنْزَرًا﴾، وقوله: ﴿نَجِيَّةً﴾، أي ملكاً وقيل بقاء دائماً، ﴿وَمَلَكًا﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم [بعضاً] بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلاماً أي سلامة من الآفات.

﴿وَالَّذِينَ فِيهَا جَنَّتْ مُنْقَرِفًا وَمَقَامًا﴾، أي: موضع قرار وإقامة.

﴿قُلْ مَا يَعْبُدُ بُكْرَتِي﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي ما يصنع وما يفعل بكم، قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئاً أي لم أعدّه، فوجوده وعدمه سواء، مجازة: أي وزن وأي

مقدار لكم عنده، ﴿لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إياه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناه قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني إنه خلقكم لعبادته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقال قوم: قل ما يعبا [بكم ربي] ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعِدَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وقيل: ما يعبا بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد، كما قال: ﴿إِنَّا رَجَعُوا فِي أَلْقَامِنَا دَعَاؤُ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال: ﴿فَاخَذْنَاهُم بِأَلْسِنَتِهِمُ وَاللَّهُ لَمَّا هُمْ يَفْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]. وقيل: ﴿قُلْ مَا يَدْعُوا بِكَ ربي وَلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿سَوَوْا يَكُونُ لِزَامًا﴾، هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاماً، قال ابن عباس موتاً. وقال أبو عبيدة: هلاكاً. وقال ابن زيد: قتالاً. والمعنى: يكون التكذيب لازماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جريج

عذاباً دائماً وهلاكاً مقيماً يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه، فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وهو قول عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل، يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة، لازماً لهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا

عمر بن حفص بن غياث، أنا أبي، أنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام، ﴿سَوَوْا يَكُونُ لِزَامًا﴾ وقيل: اللزام عذاب القبر.

سورة الشعراء

مكية إلا أربع آيات من آخر السورة.

من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يُلْعَلُوهُمْ أَفْهَاتُونَ﴾ [٢٢٤ - ٢٢٧] وهي مائتان وسبع وعشرون آية.

وروي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أعطيت طه والطواشين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿طس﴾، قراحمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿طس﴾ ١ تَكَادَتْ الْكِتَابَ الثَّيْنِ ٢ لَمَّا بَدَعَ نَفْسَكَ ٣ أَلَا يَكْفُرُوا أَتُؤْمِنِينَ ٤ إِن شَاءَ نَزَّلْنَا عَلَيْنَهُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَطَلَّتْ ٥ أَغْصَانُهُمْ لَمَّا خَصَّصِينَ ٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٧ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَنِيهِمْ أَتَنَزَّلُ مَا كَانُوا ٨ يَدْعُونَ ٩ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَانَتْ مَيْتَةً ١٠ فَحَبَّبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ صَبْغٍ ١١ كَرِيمٍ ١٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنِ الْقَوْمَ ١٥ الظَّالِمِينَ ١٦ قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١٧ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ١٨ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٩ وَيَصْبِرُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُوا لِسَانِي فَأُرْسِلْ ٢٠ إِلَيَّ هَزْؤُهُ ٢١ وَلَيْسَ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٢٢ قَالَ ٢٣ كَلَّا فَادْهَبْ بِإِلَيْنَا إِنَّا مُتَعَمِّدُونَ ٢٤ فَأَيُّ الْفِرْعَوْنَ ٢٥ فَقُولَا أَفَأُرْسِلُ رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢٦ أَدْرَأْسِلُ مَعْنَايَ لِيُزِيلَ ٢٧ قَالَ أَرَأَيْكَ إِنِّي فَتَانٌ مُغْتَابٌ ٢٨ وَلَيْسَ لِي عَلَيْهِ سُلْطَانٌ ٢٩ وَقُلْتُ قُلْتُ لَنِي فَطَلَّتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣٠

والكسائي وأبو بكر ﴿طس﴾ و﴿طس﴾ [النمل: ١] و﴿حم﴾ [غافر: ١] و﴿يس﴾ [يس: ١] بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر، وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم، وأظهر النون من السين عند الميم في طسم أبو جعفر وحمزة، وأخفاها الآخرون.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: طسم عجزت العلماء عن تفسيرها.

وروي علي بن طلحة الوالي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه ومملكه.

﴿طس﴾، أي هذه ﴿تَكَادَتْ الْكِتَابَ الثَّيْنِ﴾.

﴿تَمَنَّكَ بَيْحٌ﴾، قاتل، ﴿تَمَنَّكَ﴾
أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [أي] إن لم
يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة
فشق عليه وكان يحصر على
إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿إِنْ تَشَاءُ نُنْزِلُكَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمَلَةٍ﴾
أَمَةٍ فَلَنْ أَغْنِيَهُمْ لَهَا فَخِصِينَ﴾، قال
قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية
يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه
إلى معصية الله. وقال ابن جريج:
معناه: لو شاء الله لأراهم أمراً من
أمره، لا يعمل أحد منهم بعده
معصية. وقوله عز وجل:
﴿فَخِصِينَ﴾ ولم يقل خاضعة وهي
صفة الأعناق، وفيه أقاويل أحدها:
أراد أصحاب الأعناق، فحذف
الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم،
لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها
خاضعون، جعل الفعل أولاً
للأعناق، ثم جعل خاضعين
للرجال. وقال الأخفش: ردّ
الخضوع على المضمر الذي أضاف
الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة
لمجاورتها المذكر، وهو قولهم على
عادة العرب في تذكير المؤنث إذا
أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر
إذا أضافوه إلى مؤنث. وقيل: أراد
فظلوا خاضعين فعبر بالعنق عن
جميع البدن، كقوله ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ
يَدَكَ﴾ [الحج: ١٠] و﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ
فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]. وقال
مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء
والكبراء، أي: فظلت [رؤسائهم]
كبرائهم [لها] خاضعين. وقيل: أراد
بالأعناق الجماعات، يقال: جاء
القوم عنقاً عنقاً أي جماعات

وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين
على وفاق رؤوس الآي ليكون على
نسق واحد.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾، وعظ
وتذكير، ﴿مِنْ أَلْحَنِ تَحْنُثٍ﴾، أي
محدث إنزاله، فهو محدث في
التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء
من القرآن بعد شيء فهو أحدث من
الأول، ﴿إِلَّا كَاوُأَ عَنْهُ مُؤْمِنِينَ﴾، أي
عن الإيمان به.

﴿فَقَدْ كَذَبُوا فَسَاءْتُهُمْ﴾، أي:
فسوف يأتيهم، ﴿أَلْبَتَّ﴾، أخبار
وعواقب، ﴿مَا كَاوُأَ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهٍ﴾
فِيهَا مِنْ كُلِّ ذِي نَفْسٍ، صنف وضرب،
﴿كَرِيمٍ﴾، حسن من النبات مما يأكل
الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة
إذا طاب حملها، وناقعة كريمة إذا كثر
لبنها. قال الشعبي: الناس من نبات
الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم،
ومن دخل النار فهو لثيم.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾، السذي
ذكرت، ﴿لَا يَكْفُرُ﴾، دلالة على
وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي،
﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين،
أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا
يؤمنون. وقال سيبويه: كان ههنا
صلة، مجازة: وما أكثرهم مؤمنين.
﴿وَلَنْ يَكُنَّ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾،
العزیز بالنقمة من أعدائه، ﴿الْكَرِيمُ﴾،
ذو الرحمة بأوليائه.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَلَا تَأْخُذْ
رَبُّكَ بِمُؤْمِنٍ﴾، واذكر يا محمد إذ نادى
ربك موسى حين رأى الشجرة
والنار، ﴿أَنْ أَنْتَ الْغَفُورُ الْظَلِيلُ﴾،
يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر

والمعصية، وظلموا بني إسرائيل
باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.
﴿قَوْمٌ فَرَعُونَ إِلَّا يَبْقَوْنَ﴾، ألا
يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله
بطاعته.

﴿قَالَ﴾، يعني موسى، ﴿رَبِّ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.
﴿وَيَحْيِي صَدْرِي﴾ بتكذيبهم
إِنِّي، ﴿وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي﴾، قال: هذا
للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ
يعقوب «ويضيق»، «ولا ينطلق»
بنصب القافين على معنى وأن
يضيق، وقرأ العامة برفعها رداً على
قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾، ﴿فَأَرْسِلْ لِي
هَؤُلَاءِ﴾، ليوازي ويظهرني على
تبليغ الرسالة.

﴿وَلَكُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾، أي دعوى
ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿فَأَخَافُ أَنْ
يَقْتُلُونِي﴾، أي يقتلونني به.

﴿قَالَ﴾، الله تعالى،
﴿كَلَّا﴾، أي لن يقتلك، ﴿فَأَذْهَبَا
يَتَذَكَّرُ لَنَا مَعَكُمْ مَسْتَوِينَ﴾، سامعون
ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع،
وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة.
وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل
نسجم ما يجيئك فرعون.

﴿فَأَيُّا فَرَعُونَ قَوْلَا إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل رسولا
رب العالمين، لأنه أراد بالرسالة،
أنا ذو رسالة رب العالمين، كما
قال كثير:

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول
أي بالرسالة، وقال أبو عبيدة:
يجوز أن يكون الرسول بمعنى
الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا

رسولي ووكيللي وهذان وهؤلاء
رسولي ووكيللي، كما قال الله
تعالى: «وهو لكم عدو» [وقيل إنه
أراد الرسل]، وقيل: معناه كل واحد
منا رسول رب العالمين.

﴿١٧﴾ «أَنْ أَرْسِلَ»، أي بأن أرسل،
﴿مَنْ بَيْنَ إِسْرَءِيلَ﴾، أي إلى فلسطين،
ولا تستعبدهم، وقيل استعبدهم
فرعون أربعمئة سنة، وكانوا في
ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين
ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر
هارون بها فأخبره بذلك.

وفي القصة أن موسى رجع إلى
مصر وعليه جبة صوف وفي يده
العصى، والمكئل معلق في رأس
العصا، وفيه زاده، فدخل دار نفسه
وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى
فرعون وأرسلني إليك حتى تدعو
فرعون إلى الله، فخرجت أمهما
وصاحت وقالت: إن فرعون يطلبك
ليقتلك فلو ذهبتا إليه قتلكما فلم
يمتعا بقولها، وذهبا إلى باب فرعون
ليلاً، ودق الباب، ففزع البوابون
وقالوا من بالباب؟ وروي أنه اطلع
البواب عليهما فقال من أنتما؟ فقال
موسى: أنا رسول رب العالمين،
فذهب البواب إلى فرعون وقال: إن
مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب
العالمين، فنزل حتى أصبح ثم
دعاهما.

وروي أنهما انطلقا جميعاً إلى
فرعون فلم يؤذن لهما سنة في
الدخول عليه، فدخل البواب وقال
لفرعون: ههنا إنسان يزعم أنه رسول
رب العالمين، فقال فرعون: ائذن له
لعلنا نضحك عنه، فدخل عليه وأدباً

رسالة الله عز وجل ففرع
فرعون موسى، لأنه نشأ
في بيته.

﴿١٨﴾ «قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا
وَلِيدًا»، صبياً، «وَلَيْسَتْ
فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ»، وهو
ثلاثون سنة.

﴿١٩﴾ «وَقَعَلْتَ فَعَلَكَ
أَلْفَ قَوْلًا»، يعني قتل
القبضي، «وَأَنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ»، قال الحسن
والسدي: يعني وأنت من
الكافرين بالهك، وكنت:
على ديننا هذا الذي تعييه.
وقال أكثر المفسرين:
معنى قوله «وأنت من

الكافرين»، يعني من الجاحدين
لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك
فيما فكافأنا أن قتلنا منا نفساً
وكفرت بنعمتنا. وهذه رواية العوفي
عن ابن عباس [وقال] إن فرعون لم
يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

﴿٢٠﴾ «قَالَ»، موسى، «فَعَلَّمَا
إِنَّا»، أي فعلت ما فعلت حينئذ،
«وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ»، أي من الجاهلين
[أي] لم يأتني من الله شيء. وقيل:
من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى
قتله. وقيل: من الضالين عن طريق
الصواب من غير تعمد. وقيل: من
المخطئين.

﴿٢١﴾ «فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَنَا خِفَتِكُمْ»،
إلى مدين، «فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا»،
يعني النبوة، وقال مقاتل: يعني العلم
والفهم، «وَوَعَدَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

﴿٢٢﴾ «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنَاهَى عَنْ أَنْ عَبَدْتَ
بَيْنَ إِسْرَءِيلَ»، اختلفوا في تأويلها:

قَالَ فَعَلَّمَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَنَا خِفَتِكُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَوَعَدَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنَاهَى
عَنْ أَنْ عَبَدْتَ بَيْنَ إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَأَقْسِمُ عَلَيْكُمْ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ
الْأَكْرَابُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ إِلَيْنَا رَسُولٌ إِلَّا نَجْعَلُكُمْ
قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
لِمَنْ أَتَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْخَرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
أَوْ لَوْ جِئْتَنِي بِشِقْرِ مِثْرٍ ﴿٢٩﴾ قَالَ قَاتِلْ بَيْنَ كَتَمٍ مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٣٠﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣١﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنَّظِيرِ ﴿٣٢﴾ قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وَيَسْحَرَكُمْ بِمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدُّنْيَا حَشِيرَتَهُ
﴿٣٥﴾ يَا أَيُّهَا يَكُلْ سَحَابٌ عَالِمٌ ﴿٣٦﴾ فَجِئِ السَّحَابَ
لِيَقْبَلَ ثَمَرَهُمْ لِيَقْبَلَ ثَمَرَهُمْ لِيَقْبَلَ ثَمَرَهُمْ لِيَقْبَلَ ثَمَرَهُمْ ﴿٣٧﴾

١٦٨

فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم
على الإنكار، فمن قال هو إقرار،
قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث
رياه، ولم يقتله كما قتل سائر غلمان
بني إسرائيل، ولم يستعبده كما
استعبد بني إسرائيل، مجازة: بلى
وتلك نعمة لك علي أن عبدت بني
إسرائيل، وتركتني فلم تستعبدني.
ومن قال: هو إنكار قال قوله:
﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ وهو على طريق
الاستفهام أي: أو تلك نعمة؟ حذف
ألف الاستفهام، كقوله: ﴿فَهُمْ
لَتَكْفُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] قال
الشاعر:

تروح من الحبي لم تتبكر
وماذا يضرك لو تنتظر
أي: تروح من الحبي وقال
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

لم أنس يوم الرحيل وقفها
وطرفها في دموعها غرق

﴿قَالَ﴾، فرعون - حين لزمته
الحجة وانقطع عن الجواب - تكبراً
عن الحق:
﴿لَئِنْ أَقْنَدْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنْ
الْمَسْخُوفِينَ﴾، أي: المحبوسين، قال
الكلبي: كان سجنه أشد من القتل،
لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في
مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر
فيه شيئاً من عمقه، يهوي [به] في
الأرض.

﴿قَالَ﴾ له موسى حين توعده بالسجن ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ أي: وإن جئتُكَ، ﴿يَتَّقُوْنِيْنَ﴾، بآية مبينة، ومعنى الآية أنفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان.

(٣٦) ﴿قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ، فَأَنزِلْ بِرُوحِي، فَإِنَّا لَنَنسُجُكَ حِيْنَئِذٍ﴾، إِنَّ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ.

(٣٧) ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَبَاطِثٌ﴾، فَقَالَ: وَهَلْ [مِنْ آيَةٍ] غَيْرَهَا.

﴿۳۳﴾ وَرَعَّ ، موسى ، ﴿يَدُّ فَإِذَا
هِيَ بَيَضَاءٌ لِلنَّظِيرِ﴾ .

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ **قَالَ** **فِرْعَوْنُ** .
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ **مِنْكُمْ** **وَأَهْلِيكُمْ** **مِمَّا** **يُرِيدُ**
أَنْ **يُخْرِجَكُمْ** **مِنْ** **أَرْضِكُمْ** **يَسْعَوْا** **فَادَا**
تَأْمُرُونَ **قَالُوا** **أَتَمْنَعُكَ** **وَأَهْلَكَ** **وَأَرْسِلَ** **فِي**
الْأَرْضَيْنِ **حَاشِيَيْنِ** **بِأُتُوكَ** **بِكُلِّ**
سَعَارٍ **عَلَيْكَ** .

﴿فَجُعِجَ السَّكْرَةُ لِيَمَقَّتَ يَوْمَهُ﴾ (FA) مَعْلُومٌ، وهو يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة [وكان

الْمَلَكُوتِ ﴿١٠﴾، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ؟ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه بـ «ما» وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه هموسى عليه السلام يذكر أفعاله التي يعجز [الخلق] عن الإتيان بمثلها.

﴿٧٠﴾ قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ، أنه خلقهما . قال أهل المعاني : أي كما تتوقنون هذه الأشياء التي تعابونها فأيقنوا أن إله

الخلق هو الله عز وجل، فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾، مَنْ
 اشرف قومه. قال ابن عباس: كانوا
 خمس مائة رجل عليهم الأسورة،
 فقال لهم فرعون استبعاداً لقول
 موسى، ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وذلك أنهم
 كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم،
 فزادهم موسى في البيان.

﴿قَالَ رَبِّكُمْ رَبُّ الْآلَاقِينَ﴾

(٧) **قَالَ**، يعني فرعون، **إِنْ رَسُولُكُمْ** الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ، يتكلم بكلام لا نعله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان.

﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ .

لَمَّا نَبِغَ السَّحَرَةُ إِنَّ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِرِيعُونِ آمِينَ لَنَا لَأَخْرُجَنَّ كَذَّابُنَّ الْعَلِيلِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ نَعَمْ
وَلَكُمْ إِنَّا لَأَكْمُنُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَهُمْ مُوسَى اقْلُوا مَا أَنْتُمْ خَافُونَ
﴿٥٤﴾ قَالُوا لِمَ جَاءَ لِمِمْسَكِمْ رِيعَتُهُمْ وَقَالَ رِيعُونَ بِأَكْمُنُ إِنَّ الْإِنْسَانَ
الْعَلِيلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ لَقِيَ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُمُونَ
﴿٥٦﴾ قَالَ لَقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا اسْتَغْرِبَ الْغَالِبِينَ ﴿٥٨﴾
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا مَا مَسَّحَقُكُمْ قَبْلَ أَنْ مَادَنَّ لَكُمْ إِرْقًا
لِكَيْبُرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَوْ أَنَّكُمْ لَمْتُمْ أُفْقُطْنَ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجَلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا مَصْلَحَتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا لَأَضِلُّنَّ لَكُمْ
إِنْ رَبَّنَا مُتَقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِذَا طَلَعْنَا نَبَسْنَا وَإِنَّا تَاطَلَيْنَا إِنَّ كَمَا
أَوَّلَ الْمُتَوَسِّينَ ﴿٦٢﴾ وَتَوَسَّيْنَا أَنْ مَوْعِدَ أَنْتُمْ بِمَا دَعَى إِلَكُمْ
تُتْبِعُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَائِكَةِ حَاشِرِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَيَفْسِدُونَ مَقَالِدُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَئِنْ أَجْمَعْتَ حَدَرُونَ
﴿٦٧﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٨﴾ وَكُتُبٍ وَمِقَالٍ كَرِيمٍ ﴿٦٩﴾
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا آبَاءَ يُسْرِفُونَ ﴿٧٠﴾ قَاتِلُوهُمْ مُنْشَرِفِينَ ﴿٧١﴾

وقولها والركاب واقفة
تتركني هكذا وتنطلق
أي: أتركني، يقول تمنّ عليّ أن
ريّتي، وتنسى جنايتك على بني
إسرائيل بالاستعباد والمعاملات
القيّصة؟ أو يريد: كيف تمنّ عليّ
بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن
أهين قومه ذلّ، فتعبدك بني إسرائيل
قد أحبط إحسانك إليّ، وقيل: معناه
تمنّ عليّ بالتربية. وقوله: ﴿أَنْ عَبَدْتُ
بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: باستعبادك بني
إسرائيل وقتلك أولادهم، دُفعت
إليك حتى ريّتي وكفلتي ولو لم
تستعبدهم وقتلتهم كان لي من أهلي
من يريّني ولم يلقوني في اليوم، فاي
نعمة لك عليّ؟ قوله ﴿عَبَدْتُ﴾ أي
اتخذتهم عبيداً، يقال عبدت فلاناً
وأعبدته وتعبدته واستعبدته، أي
اتخذته عبداً.

﴿٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

يوم عيدهم] وهو يوم النوروز.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ هَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾، لتتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة.

﴿لَمَلَأْنَا نَجْعَ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمْ الْقَلِيلِينَ﴾، لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَ الْمُفْرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُفْلِحُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصَصَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٦﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِهَابًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنُتُمْ لَمْ يَقُلْ أَنْ مَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَوْ أَنَّ قُلُوبَكُمْ لَأَنْفَلَقْنَ بِلَيْبِكُمْ وَزُيِّنَ لَكُمْ خَلْقُ السَّحَابِ فَرِحْتُمْ بِأَجْمَلٍ ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ ﴿قَالُوا لَا ضَرَرَ، لَنَا إِلَى رَبِّنَا مَبْلَغُ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لَنَا رَبَّنَا خَلْقَنَا أَنْ كُنَّا آوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، من أهل زماننا.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَوَجَّيْنَا إِلَيْكَ مُوسَى أَنْ أَسِرَّ بِكَ إِذْ كُنَّا مُتَّبِعُونَ﴾، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر. وروي عن ابن جريج قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت، ثم اذهبوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم، فإني سأمر الملائكة فلا يدخلوا بيتاً على بابهم دم، وسأمرها

فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر، فيأتيك أمري ففعل ذلك. فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه، قتلوا أبقارنا من أنفسنا، وأخذوا أموالنا، فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في الكرسي العظيم.

﴿٥٣﴾ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَائِكَةِ خَبِيرِينَ﴾، يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى يجمعوا له الجيش، وذكر بعضهم: أنه كان له ألف مدينة وأثنا عشرة ألف قرية. وقال لهم:

﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ لَئِرْزَمَةٌ﴾، عصابة ﴿قَلِيلُونَ﴾، والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شرادم. وقال أهل التفسير: كانت الشرذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف. وعن ابن مسعود قال: كانوا ستمائة وسبعين ألفاً ولا يحصي عدد أصحاب فرعون [إلا الله].

﴿٥٥﴾ ﴿وَلَيْسَ لَنَا لَمُاطُونَ﴾، يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيظ والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبقارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَمَّا لَبِثَ حَذْرُونَ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة [حذرون] و«فرهين» [الشعراء: ١٤٩] بغير ألف، وقرأ الآخرون «حاذرون»

و«فرهين» بألف فيهما، وهما لغتان. قال أهل التفسير: حاذرون أي مؤدون ومقرون، أي: ذو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومعنى حذرون أي خائفون شرهم. وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر المتيقظ. وقال الفراء: الحاذر الذي يحذر الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلا حذراً. والحذر اجتناب الشيء خوفاً منه.

﴿٥٧﴾ ﴿فَلَاخَرَجْتَهُمْ مِنْ جَنَّتِي﴾، وفي القصة [أن] البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل و«مُؤَيَّنُونَ» أنهار جارية.

﴿٥٨﴾ ﴿كَذَّبُوا﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، قال مجاهد سماها كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط حق الله منها فهو كنز، وإن كان ظاهراً، قيل: كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب، و«وَقَالُوا كِبِيرًا﴾، أي مجلس حسن.

قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: هي المنابر. وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد [فرعون] على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مَخْصُوصَةٌ بالذهب.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ [أي] كما وصفنا، و«وَأَوْرَثْنَاهَا» بهلاكهم «بَنِي إِسْرَءِيلَ»، وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالَتْ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا لَئِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْيَمْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٢﴾ وَأَلْقَيْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَعْيَيْنَا مُوسَى مِنْ نَعْمَةِ أَجْمَعِينَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِدٌ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾ وَاقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا مَا تَتَّبِعُنَا مِنْكُمْ إِلَّا دِينًا وَنَحْنُ نَعْبُدُ آلَهُمْ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنَاتِ نَاكِحَاتٍ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَفَأَتُوبُونَ عَلَيْنَا أُنْثَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ نَحْنُ عَنْهُمْ عَدُوٌّ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾ الَّذِي خَلَقَ فَهْوَ يُحْيِيهِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُ سَيَسْخَرُهُمْ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٧٦﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي أُمِطِعُ أَنْ يَقُولَ خَلِيقِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٧٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّبْرِ لِحَبْلِكَ ﴿٧٩﴾

قطعة من الماء، ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾، كالجبل الضخم، قال ابن جريج وغيره: لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الرياح، والبحر يرمي بموج مثل الجبال، فقال يوشع: يا مكلم الله أين أمرت فقد غشيننا فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى: ههنا، فخاض يوشع الماء وجاز البحر، ما يوارى حافر دابته الماء وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه حتى

طار الزيد من شذقيه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع. فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده.

﴿وَأَلْقَيْنَا﴾، يعني وقربنا ﴿تَمَّ الْآخَرِينَ﴾، يعني قوم فرعون، يقول قدمناهم إلى البحر، وقربناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: «وَأَلْقَيْنَا»: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع. وفي القصة أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون وكان يسوق بني إسرائيل، ويقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان ينزع قوم فرعون، وكانوا يقولون ما رأينا أحسن زعة من هذا.

﴿وَأَعْيَيْنَا مُوسَى مِنْ نَعْمَةٍ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكنًا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي من أهل مصر، قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقييل المؤمن [الذي يكتم إيمانه]، ومريم بنت مأمويا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم [من عدوهم].

﴿قَوْلُهُ﴾: ﴿وَاقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: شيء تعبدون.

﴿قَالُوا مَا تَتَّبِعُنَا مِنْكُمْ إِلَّا دِينًا وَنَحْنُ نَعْبُدُ آلَهُمْ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنَاتِ نَاكِحَاتٍ﴾، يعني نقيم على عبادتها.

قال بعض أهل العلم: إنما قال: ﴿فَعْبُدُوا آلَهُمْ﴾ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾، أي هل يسمعون دعاءكم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾، قال ابن عباس يسمعون لكم.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ﴾، قيل بالرزق، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾، إن تركتم عبادتها.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، معناه إنها لا تسمع قولاً،

إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن.

﴿فَأَتَوْهُمْ تُثْقِيلُ﴾، يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها، أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ﴾، يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، وكسر حمزة الراء من تراءى وفتحها الآخرون. ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم.

﴿قَالَ﴾: موسى ثقة بوعد الله إياه ﴿لَا﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ يدلني على طريق النجاة.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْيَمْرَ فَانْفَلَقَ﴾، يعني فضربه فانفلق فانشق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾،

وَلَجَلَّ لِي لِسَانُ صِدْقِي فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٥﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ رِزْقِهِ
الْمُسْتَجِيرِ ﴿٧٦﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفَّارُ ﴿٧٧﴾ وَلَا تُخَيِّرْ بَيْنَ
يَوْمِي يَوْمًا ﴿٧٨﴾ وَتَمَّعْ مَالًا وَلَا بَنِينَ ﴿٧٩﴾ لِأَمِنْ أَقْبَلَ اللَّهُ قَلْبِي
سَلِيمًا ﴿٨٠﴾ وَأَزَلَّتْ الْحِسَةُ لِلْعَيْنَيْنِ ﴿٨١﴾ وَرَزَيْتُ الْحَجِيمَ وَالْقَاوِينَ ﴿٨٢﴾
﴿٨٣﴾ وَقُلْ لَمْ يَأْنِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ تَعْبُدُونَ
أَوْ تَنْتَعِمُونَ ﴿٨٥﴾ تَكْبِيرًا فَمَا لَهُمْ وَالْقَاوِينَ ﴿٨٦﴾ وَتَعْبُدُ لِلصِّبْنِ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٨٨﴾ تَأْتِلُونَ كَمَا تَأْتِي
صَلَكُ شَيْبٍ ﴿٨٩﴾ إِذْ تُسَبِّحُكُمْ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ ﴿٩٠﴾ وَمَا أَصْلَانَا
إِلَّا الْمُنَجَّرُونَ ﴿٩١﴾ تَمَاتَانِ شَفِيعِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَا حَصِيْفٍ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
قُلْ إِنْ لَكُمْ ذِكْرٌ فَكُنْ مِنْ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَكُونَ الْعَمْرُؤُ الْغَاسِمَ ﴿٩٦﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْفَرَسَيْنِ ﴿٩٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٩٨﴾
إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٩٩﴾ فَاقْنُؤُا لِلَّهِ وَالطَّيْعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَاسْتَغْلِظْ
عَيْنَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يُبْدَلَ بِالسَّيِّئِ ﴿١٠١﴾ فَاقْنُؤُا لِلَّهِ
وَالطَّيْعِينَ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَبِّكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٠٣﴾

والشراب، فهو رازقي
ومن عنده رزقي.

﴿٨٠﴾ وَلَا مَا مَرَضْتُ،
أضاف المرض إلى نفسه
وإن كان المرض والشفاء
كله من الله، استعمالاً
لحسن الأدب كما قال
الخنزير: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَصِيبَ﴾
[الكهف: ٧٩]، وقال:
﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].
﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، أي
يربطني من المرض.

﴿٨١﴾ وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَّ
يُبَيِّنُ، أدخل ﴿ثَمَّ﴾
ههنا للتراخي أي يمينتي
في الدنيا ويحيني في الآخرة.

﴿٨٢﴾ وَالَّذِي أَلَمَعَ، [أي]
أرجو، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ
الْآخِرَةِ﴾، أي خطاياي يوم
الحساب. قال مجاهد: هو قوله
﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ
كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]،
وقوله لسارة: هذه أختي، وزاد
الحسن وقوله للكواكب: ﴿هَذَا رَبِّي﴾
[الأنعام: ٧٧].

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر،
أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا
محمد بن عيسى الجلودي، أنا
إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا
مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن
أبي شيبة، ثنا حفص بن غياث، عن
داود، عن الشعبي، عن مسروق،
عن عائشة قالت: قلت يا رسول
الله: ابن جدعان كان في الجاهلية

ولا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضرراً لكن
اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في
الدين.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ أَأَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ،
الأولون.

﴿٧٧﴾ ﴿فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِي﴾، يعني
أعدائي، ووحده على معنى أن كل
معبود لكم عدو لي، فإن قيل: كيف
وصف الأصنام بالعداوة وهي
جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدو لي
لو عيبتهم يوم القيامة، كما قال
تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِي وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]، وقال
الفراء: هو من المقلوب، أراد
أتولاهم عدو لهم، لأن من عاديته
فقد عاداك. وقيل: ﴿فإنهم عدو لي﴾
على معنى إني لا أتوهم ولا أطلب
من جهتهم نفعاً كما لا يتولى العدو
ولا يطلب من جهته النفع، قوله:
﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، اختلفوا في هذا
الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع،
كانه قال: فإنهم عدو لي لكن رب
العالمين وليي [وناصري]. وقيل:
إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله،
فقال إبراهيم: كل من تعبدون
أعدائي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. وقيل:
إنهم غير معبود لي إِلَّا رَبَّ
العالمين، فإني أعبدُه. وقال
الحسين بن الفضل: معناه إِلَّا من
عبد رب العالمين، ثم وصف معبوده
فقال:

﴿٧٨﴾ ﴿أَلَيْكَ خَلَقَنِي فَهْوَ يَشْفِينِي﴾،
أي يرشدني إلى طريق النجاة.
﴿٧٩﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾،
أي يرزقني ويغذي يني بالطعام

يصل الرحم ويطعم المسكين فهل
ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل
يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم
الدين.

وهذا كله احتجاج من إبراهيم
على قومه، وإخبار أنه لا تصلح
للإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال.
﴿٨٢﴾ ﴿رَبِّي هَبْ لِي حُكْمًا﴾،

قال ابن عباس: معرفة حدود الله
وأحكامه. وقال الكلبي: النبوة،
والعلم. وقال الكلبي: النبوة،
﴿وَأَلْحِقْ بِالْمُتَصَلِّحِينَ﴾، بمن قبلي من
النبيين في المنزلة والدرجة.

﴿٨٣﴾ ﴿وَلَجَلَّ لِي لِسَانُ صِدْقِي فِي
الْآخِرِينَ﴾، أي ثناء حسناً، وذكر
جميلاً، وقبولاً عاماً في الأمم التي
تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك،
فجعل كل أهل الأديان يتولونه
ويشنون عليه خيراً ويؤمنون به. قال
القتبي: وضع اللسان موضع القول

على الاستعارة لأن القول يكون به .

﴿وَلَيْسَ مِنِّي جَنَّةٌ نَّعِيمٌ﴾ (٨٥) ، أي ممن تعطيه جنة النعيم .

﴿وَأَفْرِقْ لَأَيُّكَ كَانَ مِنِّي﴾ (٨٦) ، قال هذا قبل أن يتبين له

أنه عدو الله ، كما سبق ذكره في

سورة التوبة .

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [أي] لا

تفزعني ﴿يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بَنُونَ﴾ (٨٨) - ﴿إِلَّا مَنَ أَقَى اللَّهَ يَنْصَرُ﴾ ،

أي خالص من الشرك والشك ، فأما

الذنوب فليس يسلم منها أحد ، هذا

قول أكثر المفسرين ، وقال سعيد بن

المسيب : القلب السليم هو

الصحيح ، وهو قلب المؤمن لأن

قلب الكافر والمنافق مريض .

قال الله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾

[البقرة : ١٠] قال أبو عثمان

النيسابوري : هو القلب الخالي من

البدعة المظنن على السنة .

﴿وَأَرْزُقْ﴾ (٩١) - ﴿وَأَرْزُقْ﴾ فربت

﴿لَبَنَةً لِلنَّعِيمِ﴾ (٩٢) ، ﴿وَرَزَقَ الْجَنَّةِ

لِقَائِهِمْ﴾ ، أظهرت ، ﴿الْجَنَّةِ

لِقَائِهِمْ﴾ ، للكافرين .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ (٩٣) - ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ ، يوم

القيامة ، ﴿إِنَّ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٤) من

دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ﴾ ، يمنعونكم من

العذاب ، ﴿أَوْ يَتَّبِعُونَ﴾ لأنفسهم .

﴿تَكْبِيرًا فِيهَا﴾ ، قال ابن

عباس : جمعوا . وقال مجاهد :

ذُفُورًا . وقال مقاتل : قذفوا . وقال

الزجاج : طرح بعضهم على بعض .

وقال القتبي : ألغوا على رؤوسهم .

﴿وَالْفَاوَنُ﴾ ، يعني الشياطين ، قال

قتادة ومقاتل والكلبي : كفر الجن .

﴿وَهُنَّ لَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾ ، وهم

أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس .

ويقال : ذريته .

﴿قَالُوا﴾ أي : قال الغاؤون

للشياطين والمعبودين ، ﴿وَهُمْ فِيهَا

يَخْتَصِمُونَ﴾ ، مع المعبودين ويجادل

بعضهم بعضاً .

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَنَرِي ضَلَالِي

ثُبِينَ﴾ .

﴿إِذْ سَأَلْتِكُمْ﴾ ، نعدلكم ،

﴿رَبِّيَ الْغَالِيْنَ﴾ ، فنعيدكم .

﴿وَمَا أَهْلْنَا﴾ أي : ما دعانا

إلى الضلال ، ﴿إِلَّا الْخَجَرُونَ﴾ . قال

مقاتل : يعني الشياطين . وقال

الكلبي : الأولون الذين اقتدنا بهم .

وقال أبو العالية وعكرمة : يعني :

إبليس ، وابن آدم الأول ، وهو

قابيل ، لأنه أول من سنَّ القتل ،

وأنواع المعاصي .

﴿فَمَا لَنَا مِن شَفِيْعٍ﴾ ، أي :

من يشفع لنا من الملائكة والنبيين

والمؤمنين .

﴿وَلَا صَدِيقَ حَمِيمٍ﴾ ، أي قريب

يشفع لنا ، يقوله الكفار حين تشفع

الملائكة والنبيون والمؤمنون ،

والصديق هو الصادق في المودة

بشرط الدين .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي ، أنا أبو

إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن

محمد بن فنجدويه ، ثنا محمد بن

الحسن اليقطيني ، أنا أحمد بن

عبدالله [بن] يزيد العقيلي ، ثنا

صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن

مسلم ، ثنا من سمع أبا الزبير يقول

أشهد لسمعت جابر بن عبدالله

يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل

صديقي فلان ، وصديقه في الجحيم ،

فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه

إلى الجنة ، فيقول من بقي [في

النار] : فما لنا من شافعين ولا صديق

حميم» .

قال الحسن : استكثروا من

الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة

يوم القيامة .

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾ ، أي :

رجعة إلى الدنيا ، ﴿فَتَكُونُ مِن

الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَلَنْ رَّبِّكَ لَمَوْ مَرْيُورٌ﴾

الْمَرْحُومُ ، العزيز الذي لا يغالب ،

فالله عزيز ، وهو في وصف عزته

رحيم .

﴿قوله عز وجل﴾ : ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ

نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، قيل للحسن

البصري : يا أبا سعيد أرايت قوله :

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ و ﴿كَذَبَتْ عَادَ

الْمُرْسَلِينَ﴾ و ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ الْمُرْسَلِينَ﴾

[الشعراء : ١٤١] ، وإنما أرسل إليهم

رسول واحد؟ قال : إن الآخر جاء

بما جاء به الأول ، فإذا كذبوا واحداً

فقد كذبوا الرسل أجمعين .

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ ثُؤَمَرُ﴾ ، في

النسب لا في الدين ، ﴿نُوحُ أَلَا

تَتَّقُونَ﴾ .

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ، على

الوحي .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، بطاعته

وعبادته ، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ ، فيما أمركم

به من الإيمان والتوحيد.

﴿وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنْ آجَرْتُمْ﴾، ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَأَنفَرُوا لِلَّهِ﴾ بطاعته وعبادته ﴿وَأَطِيعُوا﴾.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾، قرأ يعقوب: «وأتباعك الأرذلون» السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاقة والأسافة.

﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَمْشُونَ﴾، أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوه إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم.

﴿إِنْ حَسَابُهُمْ﴾، ما حسابهم، ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾، لو تعلمون ذلك ما عبتهم بصنائعهم. قال الزجاج: الصناعات لا تضر في الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلهم.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إن أنا إلا نافع شئ.

﴿قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَشْخُجْ﴾، عما تقول: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَرُوفِ﴾، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة. وقال الضحاك: من المشتومين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ فَأَتَيْتُ﴾، فاحكم، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قِتْمًا﴾، حكماً، ﴿وَنَجَّيْتُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُلْكِ

الْمَشْحُونِ﴾، المشكور المملوء من الناس والطير والحيوانات كلها.

﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾، أي أفرقنا بعد إنجاء نوح، وأهله من بقي من قومه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَئِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْحَرِيِّ الرَّجِيمِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ السَّاعَةَ لَكُنِّي أَكْثَرُ مُؤْمِنًا﴾، يعني في النسب لا في الدين، ﴿هُوَ الَّذِي لَا تَقْنُونَ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾، على

الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تهمني اليوم.

﴿فَأَنفَرُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنْ آجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾، قال الوالي عن ابن عباس: بكل شرف.

وقال الضحاك ومقاتل والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وعن مجاهد قال: هو الفج بين الجبلين. وعنه أيضاً: أنه المنظر ﴿مَاءَهُ﴾ علامة ﴿تَبْنُونَ﴾، بمن مر بالطريق.

والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعبثوا بهم. وعن سعيد بن جبير ومجاهد: هذا في بروج الحمام أنكر عليهم

سورة الشعراء

﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَمْشُونَ﴾ ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَافِعٌ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَشْخُجْ﴾ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَرُوفِ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ فَأَتَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قِتْمًا وَنَجَّيْتُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَأَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَئِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْحَرِيِّ الرَّجِيمِ﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ هُوَ الْاَفْقَرُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾ ﴿فَأَنفَرُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنْ آجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَاءَهُ تَبْنُونَ﴾ ﴿وَتَشِيدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَدُونَ﴾ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ رَبَطْتُمْ حَبَائِينَ﴾ ﴿فَأَنفَرُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿وَأَنفَرُوا الَّذِينَ أُمِّدُوا بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَمَّا كَذِبًا وَأَمْرًا وَبَيْنَهُمْ وَحَشَبٌ وَعُيُونٌ﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوُوعْتُ أَوُوعْتَكَ لَوْ أَنَّكَ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾

﴿٢٧٢﴾

هود اتخاذها [واللعب بها] يدلل قوله: ﴿تَبْنُونَ﴾، أي تلعبون، وهم كانوا يلعبون بالحمام. وقال أبو عبيدة: الرِّيع المكان المرتفع.

﴿وَتَشِيدُونَ مَصَانِعَ﴾، قال ابن عباس: أبنية. وقال مجاهد: قصوراً مشيدة. وعن الكلبي: أنها الحصون. وقال قتادة: مأخذ الماء يعني الحياض، وإحدى مصنعة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَدُونَ﴾، أي كأنكم تبقون فيها خالدين [لا تموتون]، والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾، أخذتم وسطوتم، ﴿بَطَشْتُمْ حَبَائِينَ﴾، قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب.

﴿فَأَنفَرُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿وَأَنفَرُوا الَّذِينَ أُمِّدُوا بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، أي أعطاكم من الخير ما

إِنَّ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَنْ يَمْدِينِ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ ﴿١٣٩﴾ فَأَهْلَكْنَاهُمْ فِي ذَٰلِكَ لَآئِيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَيْبَ لِهَٰؤُلَاءِ الرَّجِيمِ ﴿١٤١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُرُفِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَنْتَقُونِ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَمَرْتُ إِلَّا بِأَلْهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَنْتَرُكُمْ فِي مَا هُمْ بِمَاءِ مِينَةٍ ﴿١٤٧﴾ فِي حَنْتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُودِمْ وَخَلِّ طَلْمَهَا ﴿١٤٩﴾ وَتَجَحَّوْنَ رِبَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُورُهُنَّ ﴿١٥٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِ ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٣﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٤﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ يَنْبَغُ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوْهَا وَلَكُمْ بَشِيرٌ يَوْمَ يُقْلَبُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَسْهَوْهَا يَوْمَ تَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥٧﴾ فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِيَةً ﴿١٥٨﴾ فَلَعَنَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآئِيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ رَيْبَ لِهَٰؤُلَاءِ الرَّجِيمِ ﴿١٦٠﴾

تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال:

﴿١٣٧﴾ - ﴿١٣٨﴾ ﴿أَمْدُكُمْ بِأَنْتُمْ وَيَنْبَغُ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوْهَا﴾، يعني بساتين وأنهار.

﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ أَخَاكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، [قال ابن عباس: إن عصيتهموني]، ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ مَّثَلْنَا﴾، يعني مستو عندنا، ﴿أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَارِثِينَ﴾، الوعظ كلام يلين القلب يذكر الوعد والوعيد. قال الكلبي: نهيتا أم لم تكن من الناهين لنا.

﴿١٤١﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾، قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والكلبي، ويعقوب «خلق» بفتح الخاء وسكون اللام أي اختلاق الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْئَكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقرأ الآخرون «خلق» بضم

الخاء واللام، أي عادة الأولين من قبلنا، وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَمَنْ يَمْدِينِ﴾، ﴿وَمَا تَعْنَى﴾.

﴿١٣٩﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآئِيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿وَإِنَّ رَيْبَ لِهَٰؤُلَاءِ الرَّجِيمِ﴾، قوله عز وجل:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُرُفِ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾، ﴿أَنْتَقُونِ﴾، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ﴾، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَمَرْتُ إِلَّا بِأَلْهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿أَنْتَرُكُمْ فِي مَا هُمْ بِمَاءِ مِينَةٍ﴾، يعني في الدنيا ﴿ءَامِينَ﴾، من العذاب.

﴿١٤١﴾ - ﴿١٤٢﴾ ﴿فِي حَنْتٍ وَعُيُونٍ﴾، ﴿وَزُودِمْ وَخَلِّ طَلْمَهَا﴾، ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿هَٰذِي﴾، قال ابن عباس: لطيف، ومنه هضم الكشح إذا كان لطيفاً. وروى عطية عنه: يانع نضيج. وقال عكرمة: اللين. وقال الحسن: الرخو. وقال مجاهد: متهشم يتفتت إذا مس، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه [فوق] بعض حتى هضم بعضه بعضاً، أي كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضم بعضه إلى بعض [في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضم هو

الداخل بعضه في بعض] من النضج والنعومة. وقيل: هضم أي هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطفة.

﴿١٤٣﴾ ﴿وَتَجَحَّوْنَ رِبَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُورُهُنَّ﴾، وقرئ: «فرهين»، قيل: معناهما واحد. وقيل: فارهين أي حاذقين بنحتها، من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره، ومن قرأ «فرهين» قال ابن عباس: أشرين بطرين. وقال عكرمة: ناعمين.

وقال مجاهد: شرهين. وقال قتادة: معجبين بصنيعكم. وقال السدي: متجبرين. وقال أبو عبيدة: مرجين.

وقال الأخفش فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدته. وقال الضحاك: كئسين.

﴿١٤٤﴾ - ﴿١٤٥﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِ﴾، قال ابن عباس: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم:

﴿١٤٦﴾ ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، بالمعاصي، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

﴿١٤٧﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، قال مجاهد وقاتة: من المسحورين والمخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

﴿١٤٨﴾ ﴿مِثْلُنَا﴾، ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾، على صحة ما تقول، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَتَجَحَّوْنَ رِبَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُورُهُنَّ﴾، على صحة ما تقول، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿١٥٠﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِ﴾، قال مجاهد وقاتة: من المسحورين والمخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

﴿١٥١﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُونَ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِيفِ﴾، قال مجاهد وقاتة: من المسحورين والمخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

﴿١٥٢﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، قال مجاهد وقاتة: من المسحورين والمخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

﴿١٥٣﴾ ﴿لَا يُصْلِحُونَ﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

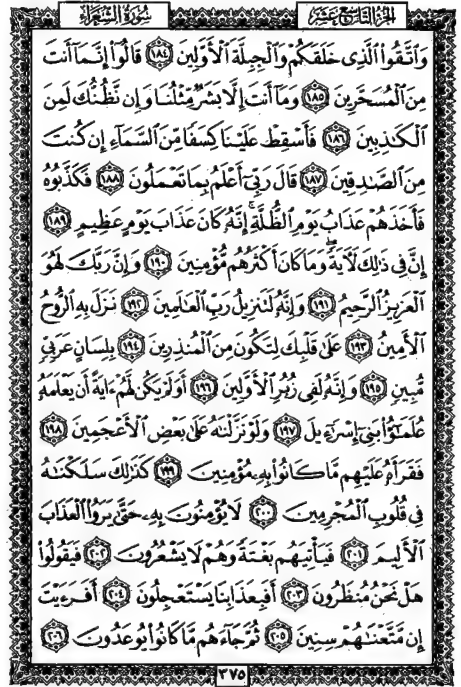
﴿١٥٤﴾ ﴿مِثْلُنَا﴾، ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾، على صحة ما تقول، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿١٥٥﴾ ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ يَنْبَغُ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوْهَا وَلَكُمْ بَشِيرٌ يَوْمَ يُقْلَبُونَ﴾، يعني بساتين وأنهار.

﴿١٥٦﴾ ﴿وَلَا تَسْهَوْهَا يَوْمَ تَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾، يعني بساتين وأنهار.

﴿١٥٧﴾ ﴿فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِيَةً﴾، يعني بساتين وأنهار.

﴿١٥٨﴾ ﴿فَلَعَنَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآئِيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، يعني في الدنيا ﴿ءَامِينَ﴾، من العذاب.



والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، وذلك أنه أخذهم حر شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشد حراً فخرجوا، فأظلمتهم سحابة، وهي الظلة، فاجتمعوا تحتها [ليتقوا الحر] فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا رَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٩٦﴾ - قوله عز وجل:

﴿وَلِلَّهِ﴾، يعني القرآن. ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، وحفص: «نزل» خفيف، «الروح

الأمين» برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزل الله به جبريل، لقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾، يا محمد حتى وعيته، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾، المخوفين.

﴿يَلِسَانِ عَفْوَ ثِينٍ﴾، قال ابن عباس: لسان قريش ليفهموا ما فيه.

﴿وَلَهُ﴾، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿لَنَلِي زُيْرٍ﴾ كتب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَمْ آيَةً﴾، قرأ ابن عامر: «تكن» بالتاء «آية» بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿مَاءَةً﴾ نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل، كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه وإننا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، يعني يعلم

محمد ﷺ، ﴿عَلَّمْتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، قال عطية: كانوا خمسة عبدالله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾، يعني القرآن، ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾، بغير لغة العرب، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِّلَ عَلَيْكَ مَائِدَةٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من أتباعه.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أدخلناه [أي] الشك والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، أي بالقرآن، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، يعني عند الموت.

﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾، يعني العذاب، ﴿فَبَغْتَهُ﴾، فجاءه، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، به في الدنيا.

﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾، أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى

رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبدالمطلب إني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصيتي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فسكتوا عن آخرهم فقلت وأنا أحدثهم سناً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه». قال: فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت «وأنذر عشيرتكم الأقربين ورهطكم منهم المخلصين» خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا فاجتمعوا إليه فقال: «أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام. فنزلت «تبث يدا أبي لهب [وقد] تب» هكذا قرأ الأعمش يومئذ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمر بن حفص بن غياث، ثنا أبي، ثنا الأعمش، حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت «وأنذر عشيرتكم الأقربين»، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، وقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم لهذا جمعتنا؟ فنزلت: «تَبَثَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ * مَا أَفْقَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» [المسد: ١ - ٢].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: «وأنذر عشيرتكم الأقربين»، فقال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله

شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سلمي ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً».

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عياض بن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، وإنه قال: إن كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَّتْهم عرثهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن الله تعالى أمرني أن أخوف قريشاً، فقلت: يا رب إنهم إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وقد أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه في المنام واليقظة، فاغزهم نغزك، وأنفق ننفق عليك، وابعث جيشاً نمددك بخمسة أمثالهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، ثم قال أهل الجنة ثلاثة: إمام مُقْسَط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق، وأهل النار خمسة:

الضعيف الذي لا دين له، الذين هم فيكم تبع لا يتبعون بذلك أهلاً ولا مالاً، ورجل إن أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك، ورجل لا يخفي له طمع وإن دق إلا ذهب به، والشنظير الفاحش. وذكر البخل والكذب.

﴿٢١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَنُخْصِفَ جَنَاحَكَ﴾، يعني ألن جانبك، ﴿لَنِ أَبْكَكَ مِنَ التَّوْبِينَ﴾.

﴿٢١٦﴾ ﴿فَإِنَّ عَصْرَكَ قَالَ لِي بِرَيْتَ مَنَّا تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر وعبادة غير الله.

﴿٢١٧﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «فتوكل» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقر بالواو «وتوكل»، ﴿عَلَى الْمَرْبِ الرَّحِيمِ﴾، ليكيفك كيد الأعداء.

﴿٢١٨﴾ ﴿الَّذِي بَرَّكَ بَيْنَ قَوْمٍ﴾، إلى صلاتك، عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت. وقيل: حين تقوم لدعائهم.

﴿٢١٩﴾ ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّعِيرِينَ﴾، يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة. وقال مجاهد: يرى تقلب بصرك في المصلين، فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

زاهر بن أحمد، أنا إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلي ههنا فوالله ما يخفي عليّ خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري».

وقال الحسن: «وتقلبك في الساجدين» أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين.

وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء [عليهم السلام] من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء.

وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

﴿٢٢٠﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٢٢١﴾ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾، [هل] أخبركم، ﴿عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾، هذا جواب قولهم: «تنزل عليه شيطان». ثم بين فقال:

﴿٢٢٢﴾ ﴿نَزَّلَكَ﴾، أي تنزل، ﴿عَلَىٰ كُلِّ آفَاقٍ﴾، كذاب، ﴿أُتِيرَ﴾، فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عز وجل:

﴿٢٢٣﴾ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾، أي يستمعون من الملائكة مستقرين فيلقونه إلى الكهنة، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾، لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً.

﴿٢٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾. قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ وذكر مقاتل

أسماءهم، فقال: منهم عبدالله بن الزبير السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومشافع بن عبد مناف. وأبو عزة بن عبدالله الجمحي، وأميرة بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل على رسول الله ﷺ، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه، ويروون عنهم ذلك قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾، هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاؤون هم الشياطين.

وقال الضحاك: تهاجى رجلا على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء فزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس.

﴿٢٢٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾، من أودية الكلام، ﴿يَهَيَّئُونَ﴾، جاثرون وعن طريق الحق جاثرون، والهائم: الذاهب على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يندحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام، كما يقال، أنا في وادٍ وأنت في وادٍ. وقيل: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهَيَّئُونَ﴾ أي على كل حرف من

حروف الهجاء يَصُوغُونَ القوافي. ﴿وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، أي: يكذبون في شعرهم، يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً».

ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون الكفار، وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأتما ترمونهم به نَضْحُ الثَّلِّ».

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن

أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا إسحاق بن منصور، أنا عبدالرزاق، أنا جعفر بن سليمان، ثنا ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه و[هو] يقول:

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خُلِّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضج الثَّلِّ».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حجاج بن منهال، ثنا شعبة، أخبرني عدي أنه سمع البراء قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك».

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا إسماعيل بن موسى الفزاري وعلي بن حجر، المعنى واحد، قالوا: ثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو [قالت] ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حساناً

بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبدالملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي، ثنا خالد بن يزيد حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليها من رشق النبل»، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم»، فهجاهم فلم يُرَضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفريتهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي»، فأناه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول الله قد لَخَصَ لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، قال حسان:

هجوته محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذلك الجزاء
هجوته محمداً براً حنيفاً
رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي واللدتي وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
التيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان،
أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو
بكر بن عبدالرحمن أن مروان بن
الحكم أخبره أن عبدالرحمن بن
الأسود بن عبد يغوث أخبره أن
أبي بن كعب أخبره أن
رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر
لحكمة».

قالت عائشة رضي الله تعالى
عنها: الشعر كلام، فمته حسن، ومنه
قبيح، فخذ الحسن ودع القبيح.
وقال الشعبي: كان أبو بكر
رضي الله تعالى عنه يقول الشعر،
وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول
الشعر، وكان علي رضي الله تعالى
عنه أشعر الثلاثة [رضي الله عنهم]
وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه كان ينشد الشعر في
المسجد ويستنشد، فروي أنه دعا
عمر بن أبي ربيعة المخزومي
فاستنشه القصيدة التي قالها وهي:
«أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر»
فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة إلى

آخرها، وهي قريبة من
سبعين بيتاً، ثم إن ابن
عباس أعاد القصيدة
جميعها، وكان حفظها
بمرة واحدة.

﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾،
أي لم يشغلهم الشعر عن
ذكر الله، ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، قال مقاتل
انتصروا من المشركين
لأنهم بدؤوا بالهجاء، ثم
أوجد شعراء المشركين
فقال: ﴿وَسِعَ الْعَرْشَ الْإِنِّي
ظَلَمُوا﴾، أشركوا وهجوا
رسول الله ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾، أي مرجع

يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس
رضي الله عنهما: إلى جهنم
والسعير. والله أعلم.

سورة النمل

مكية وهي ثلاث وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿طس﴾، قال ابن عباس:
هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد
سبق الكلام في حروف الهجاء.
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾، أي هذه آيات
القرآن، ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾، يعني
وآيات كتاب مبين.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني
هو هدى من الضلالة وبشرى
للمؤمنين المصدقين به بالجنة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْصَّلَاةِ﴾، أي
يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴿هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْصَّلَاةِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْيُنَهُمْ فَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ هَوْنٌ الْعَذَابُ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ لَتَلَوَّ الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لَأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا مِّنْ رَبِّي
مِنهَا خَبِيرٌ وَأَوْتِيَكُم بِشَاهِدٍ مِّنْ رَبِّي لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا
جَاءَهُمْ نُورُ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ فِيهَا لَهُمْ أُنُورٌ وَسُجُنٌ وَاللَّهُ رَئِيفٌ
الْعَالِيمِينَ﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَأَنَّى عَصَاكَ
فَلَمَّا رَأَاهَا هَاجَرُوا كَانُوا ثَغِيرًا وَلَوْ أَنَّ كَانُوا فَاعِينَ﴾ ﴿ثَمُومٌ لَّا يَخَافُ لَدُنِّي الرَّسُولُونَ﴾ ﴿لَا مَنَ ظَلَمَ فَرْدًا حَسْبًا بَعْدَ
سُوءِ مَا كَانَ فِي مَعُونَتِهِمْ﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ رِيصَةٍ
مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي شِئْنِ أَلَيْسَ إِنَّ وَعْدُونَ وَفَوْقَهُمْ كَأُفُقَاتٍ فَيُزَيَّنُّ
لَهُمْ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا أَتَيْنَاهُمْ بِهِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مَُّرْسُومٍ﴾ ﴿١٧﴾

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [أي] يعطون ما
وجب عليهم من زكاة أموالهم
لأربابها، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْيُنَهُمْ﴾، القبيحة حتى رأوها
حسنة، ﴿فَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، أي
يترددون فيها متحيرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ هَوْنٌ سُوءُ
الْعَذَابِ﴾، شدة العذاب في الدنيا
بالقتل والأسر بيد، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم
وأهلهم وصاروا إلى النار.

﴿وَاللَّهُ لَتَلَوَّ الْقُرْآنَ﴾، أي
تؤتى القرآن وتلقن، ﴿مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ﴾، أي وحياً من عند الله
الحكيم العليم.

﴿قوله عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى
لَأَهْلِيهِ﴾، أي واذكر يا محمد إذ قال
موسى لأهله في مسيره من مدين إلى
مصر، ﴿إِنِّي آنستُ نَارًا﴾، أي أبصرت

ناراً، ﴿سَنَّاكِزَّتَ بَنَآءُ يَحْيَىٰ﴾، أي امكثوا مكانكم سأتىكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿أَوْ أَكَيْتَكُمْ بِشَهَابٍ قَبِيرٍ﴾، قرأ أهل الكوفة «بشهاب» بالتثنية، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة من النار، ﴿لَمَّا كَرَّتْ تَطَاوُتُ﴾، تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أي يورك على من في النار أو فيمن في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: يورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: يورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هم الملائكة.

وذلك أن النور الذي رآه موسى [عليه السلام] كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسييح، ومن حولها [هو] موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: من في النار ومن حولها جميعاً الملائكة. وقيل: «من في النار» موسى «ومن حولها» الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها، كما يقال: بلغ فلان المنزل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار.

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه أن يوركت النار.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أبيتاً يقرأ: «أَنْ يوركت النار ومن حولها»، و«مَنْ» قد تأتي بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿فَيَنْهَوْنَهُمْ مِّنْ يَّبْنِي عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [النور: ٤٥]، و«ما» قد تكون صلة في الكلام، كقوله ﴿جَعَدْنَاكَ﴾ [ص: ١١]، ومعناه: يورك في النار وفيمن حولها، وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمى النار مباركة كما سمي البقعة مباركة فقال: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْبَارِكَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: ﴿يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾، يعني قدس من في النار، وهو الله، عني به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

كما روي: أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعين، واستعلى من جبال فاران، فمجئته من سيناء: بعثة موسى منها،

ومن ساعين بعثة المسيح منها، ومن جبال فاران بعثة المصطفى منها، وفاران مكة. وقيل: كان ذلك نوره عز وجل. وقال سعيد بن جبيرة: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى.

كما جاء في الحديث: «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جل ذكره. ﴿وَسَيَحْنُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

﴿يَسُوِّجُ إِلَهُهُ أَنَا اللَّهُ الْغَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والهاء في قوله ﴿إِلَهُهُ﴾ عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن، أي: المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

﴿وَأَنِّي عَسَاكَ فُلَمَّا رَأَاكَ تَهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها، ﴿وَلَوْ مُدْبِرٌ﴾، وهرب من الخوف، ﴿وَلَوْ يُعْقَبُ﴾، ولم يرجع، يقال: عقب فلان إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عز وجل: ﴿يَسُوِّجُ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الرَّسُولِ﴾، يريد إذا أمنتهم لا يخافون، أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم.

قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله». وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، اختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: رب

إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له.

قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفكت لقتلك النفس. وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة، وفي الآية متروك استغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بذل حسناً بعد سوء فلإني غفور رحيم.

قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلا من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبذل حسناً بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: إلا ههنا بمعنى لا، يعني: لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، والجيب حيث جيب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله: ﴿تَخْرُجُ يَغِيظُ مِنْ غَيْرِ سَوْفٍ﴾، من غير برص، ﴿فِي تَبَعٍ مَائِينَ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن، ﴿إِلَّا رِزْقَ وَكَوْنَهُمْ إِيَّاهُ كَاوًا قَوْمًا مُبْغِيَةً﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَائِنَةٌ مَبْغِيَةً﴾، بينة واضحة يبصر بها، ﴿فَالْتَمَزُوا﴾، أي أنكروا.

﴿وَمَحْدُوا بِهَا﴾، أي أنكروا الآيات ولم يقرؤا أنها من عند الله، ﴿وَأَسْتَفْتَنَاهُ أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿فَلَمَّا وَطَّلُوا﴾، يعني شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسييح الجبال، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ الَّذِي آتَيْنَاهُ الْطَّيْرَ﴾، بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَى كِبَرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْتَوِينَ﴾.

﴿وَوَرِيتَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ﴾، نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده،

سورة النمل

سورة النمل

وَمَحْدُوا بِهَا وَأَسْتَفْتَنَاهُ أَنْفُسَهُمْ عِلْمًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَوَرِيتَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مِنْطِقُ الطَّيْرِ وَأُوتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوعَذُونَ ﴿١٤﴾ حَتَّى إِذَا اتُّوْعِلُوا وَادَّخَلُوا فَالَتْ نَجْمُهَا أَنَّهَا كَالشَّمْلِ أَتُّوْعِلُوا مَسْكُكُمْ لَا يَحِطُّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُمْ وَلَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا سَاحَا كَامِينَ قَوْلَهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَفْكَرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى الْوَلَدِ وَأَنْ أَتَمَلَّ صَلَاحًا رِزْقَهُ وَأَدْخُلْنِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ وَتَقَفَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَيْدَ هَذَا كَانَ مِنْ أَلْفَايِكِ ﴿١٧﴾ لِأَعْبَدَ عَذَابًا شَكِيدًا أَوَّلًا أَدْعُوهُ أَوْ آتِنِي سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٨﴾ فَكَتَبَ غَيْرُ عِيدٍ فَقَالَ أَحْبَبْتُ بِإِثْمِ خَطِيئَةٍ وَحُشِرْتُ مِنْ سَائِرِ الْمَلِكِينَ ﴿١٩﴾

وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى، ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مِنْطِقُ الطَّيْرِ﴾، سمي صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس. روي عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول لدوا للموت وابئسوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول كما تدين تدان،

وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول من لا يرحم لا يرحم، وصاح صرد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول استغفروا الله يا مذبذبين، قال: وصاحت طيطوى، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، فإنه يقول: كل حي ميت وكل حديد بال، وصاح خطاف، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قدموا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، فإنه تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه، وصاح قمري، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى، قال: والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله، والقطاة تقول: من سكت سلم، والبيغاء تقول: ويل لمن الدنيا [أكبر] همه، والصفدع يقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي ويحمده، والصفدعة تقول: سبحان [ربي] المذكور بكل لسان، وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان، فقال: هل تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى، و[روى] عن فرقد السبخي قال مرّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ فقالوا: الله ونبيه أعلم، قال يقول: أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء فإن أخبرتنا آمناً وصدقنا، قال: سلوا تفقهاً ولا تسألوا تعتاً، قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر في صغيره، والديك في صغيقه، والصفدع في نقيقه، والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله، وماذا يقول الزرزور والدراج؟ قال: نعم، أما القنبر فيقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأما الديك فيقول: اذكروا الله يا غافلين، وأما الصفدع فيقول: سبحان [الله] المعبود في لجج البحار، وأما الحمار فيقول: اللهم العن العشار، وأما الفرس فيقول: إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فيقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق، وأما الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، قال: فأسلم اليهود وحسن إسلامهم.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم، عش ما شئت [فإن] آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي محمد [وآل محمد]، وإذا صاح الخطاف قرأ: الحمد لله رب العالمين، ويمد الضالين كما يمد القاريء. قوله تعالى: ﴿وَأَوْثِقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يُؤْتَى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة.

وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا.

وروي أن سليمان عليه السلام أعطي ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمئة سنة وستة أشهر، ملك جميع أهل الدنيا من الجن والإنس والدواب والطير والسباع، وأعطى على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة.

﴿٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَجُمِعَ لِسُلَيْمَانَ، وَجُودُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مسير له، ﴿فَهُمْ يُرْغَبُونَ﴾، فهم يكفون. قال قتادة: كان على كل صف من جنوده وزعة ترد أولها على آخرها، لثلاثا يتقدموا في السير، والوازع الحابس، وهو النقيب، وقال مقاتل: يوزعون يساقون، وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون. وأصل الوزع الكف والمنع، قال محمد بن كعب القرظي: كان معسكر سليمان مائة فرسخ، وخمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمئة زوجة، وسبعمئة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو بين السماء والأرض، إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلاق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتكم.

﴿قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾، روي عن وهب بن منبه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابر يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كل قدر عشر جزائر، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه، فيطبخ الدواب بين ويخيز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناماً تُعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي، والأصنام تُعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه أن لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يذفون إليك ذيف النور إلى وكرها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان وعبيدة الشياطين، ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وإد من الطائف، فأنى على وادي النمل، هكذا قال كعب: إنه وإد بالطائف.

وقال قتادة ومقاتل: هو أرض بالشام. وقيل: واد كان يسكنه الجن، وأولئك النمل مراكبهم. وقال نوف الحميري: كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب. وقيل: كالبحاتي. والمشهور: أنه النمل الصغير. وقال الشعبي: كانت تلك النملة ذات جناحين. وقيل: كانت نملة عرجاء فنادت، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا الْكَمَلُ أَذْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾، ولم تقل ادخلن لأنه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾، لا يكسرئكم، ﴿مَسْكِنٌ وَخُودٌ﴾، والحطم الكسر، ﴿وَمَنْ لَا يَشْعُرُنَّ﴾، فسمع سليمان قولها، وكان لا يتكلم [أحد من] خلق [الله] إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان، قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، وقال الضحاك: كان اسم تلك النملة طاحية، وقال مقاتل: كان اسمها جرمي، فإن قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كان جنوده ركباً وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم. وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان: قال أهل التفسير: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم. ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم.

ويروى أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿فَبَيَّنَّ ضَاحِكًا بَيْنَ قَوْلِهِمَا﴾، قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسم. وقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ أي متبسماً وقيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، أنا عمرو، وهو ابن الحارث، أنا أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً، لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾، الهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِفَعْلِكَ إِلَهِي﴾، أَنَّمَتَ عَلَىَّ وَطَلَّ وَلَيْفَ وَأَنْ أَهْمَلَ مَكِيلًا رَزَقْنِي وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْكَافِرِينَ، أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشروني في زميرهم.

قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

ومن بعدهم من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك من عبادك الصالحين.

﴿٢٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾، أي: طلبها ويبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير، ﴿فَقَالَ مَالِكُ لَا أَرَى الْهَدْدَ﴾، أي ما للهدد لا أراه، تقول العرب: مالي أراك كثيراً؟ أي مالك؟ والهدد: طائر معزوف، وكان سبب تفقد الهدد وسؤاله عنه، قيل: إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً يظله وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس، من موضع الهدد، فنظر فراه خالياً.

وروي عن ابن عباس: أن الهدد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف مواضع الماء ويرى الماء تحت الأرض، كما يرى في الزجاج، ويعرف قربه وبعده فينقر الأرض، ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء [منه]. قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصال انظر ما تقول في الهدد، إن الصبي مثا يضع الفخ ويحنو عليه التراب فيجيء الهدد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فكيف يبصر ما في الأرض من الماء. فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر. وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر. فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا، فتفقد الهدد ليدل على الماء، فقال: مالي

لا أرى الهدد، على تقرير أنه مع جنوده، وهو لا يراه، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِينَ﴾، يعني أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

﴿٢١﴾ ﴿لَا تُعْذِرُنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، واختلفوا في العذاب الذي أوعده به، فأظهر الأقاويل [أن عذابه] أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً، لا يتمتع من النمل ولا من هوام الأرض. وقال مقاتل بن حيان: لأظليته بالقطران ولأشمسته وقيل: لأودعته القفص. وقيل: لأفرقن بينه وبين إلفه. وقيل: لأحبسته مع ضده. ﴿أَوْ لَاذِجْنَهُ﴾ [أي] لأقطعن حلقة، بحجة بينة في غيبته، وعذر ظاهر، قرأ ابن كثير «ليأتيني» بنونين، الأولى مشددة، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة، وكان سبب غيبة الهدد على ما ذكر العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم المكي، فتجهز للمسير، واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فحملتهم الرياح، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشرف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، يخرج آخر الزمان. يعطى النصر على جميع من ناواه،

وتبلغ هيئته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: يدين بدين الحنيفية البيضاء، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام [سليمان] بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهر خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك فنظر يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبقيس، فمال إلى الخضرة [والرياحين] فوقه فيه فإذا هو بهدد فهبط عليه، وكان اسم هدد سليمان يعفور واسم هدد اليمن «عنفير» فقال «عنفير» اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت وأين تريد، قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، فقال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، فهل أنت

منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء [فإنني دليل مائه]، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وما رجع إلى سليمان إلا في وقت العصر، قال: فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء، فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا [به] فتفقد الطير فققد الهدهد، فدعا عريف الطير وهو أنسر فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، ما أرسلته مكاناً، فغضب عند ذلك سليمان، وقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَبْدًا شَكِيًّا﴾ الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال: علي بالهدهد الساعة، فرقع العقاب نفسه صوب السماء حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدهم، ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب نحوه يريده، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده، فقال: بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، قال فوالى عنه العقاب، وقال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاه أنسر والطير، فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا، ولقد توعدتك نبي الله بالعذاب، وأخبراه بما قال، فقال

الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ قالوا: بلى قال: «أو ليأتيني بسلطان مبين»، قال: [لهم]: نجوت إذا، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ [سليمان] برأسه فمده إليه وقال: أين كنت؟ لأعذبك عذاباً

شديداً، فقال الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه، ثم سأله فقال: ما الذي أبطأ بك عني؟ فقال الهدهد: ما أخبر الله عنه في قوله:

﴿فَمَكَكَ﴾ قرأ عاصم ويعقوب «فمكت» بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿غَرَّ يَبِيرُ﴾، أي غير طويل، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، ويقول: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿وَيَحْتَلِكُ مِنْ سَكٍّ﴾ قرأ أبو عمرو، والبزري عن ابن كثير «من سبأ» و«السبأ» في سورة سبأ [١٥] مفتوحة الهمزة، وقرأ القواص وعن ابن كثير ساكنة بلا همزة، وقر الآخرون بالجهر، فمن لم يجره جعله اسم

إِلَى وَبَدَتْ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ مَقَرٍ وَمَا عَرِشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَجَدْنَاهَا قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُهْلِكُونَ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ قَالَ سَتُنظرُ أَصْدَقَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَارُكَ كَذِبًا فَالْقِيَةِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا رَجَعُونَ ﴿٢٧﴾ فَالْتَمَأْتِهَا أَلْمَأُؤَاتِ إِلَى الْفَيْقِ إِلَى كَيْسِكُمْ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ يَمُنْ شَيْئِينَ وَلَمْ يُسْمِعِ اللَّهُ الْآخِزِينَ الرَّجِيمِ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَقُولُوا لَنْ يَكُونَ لَنَا بَلَاءٌ مِنْهُمْ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ تَشَتُّدُهُمْ ﴿٣٠﴾ قَالُوا لَنْ يَكُونَ لَنَا بَلَاءٌ مِنْهُمْ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ تَشَتُّدُهُمْ ﴿٣١﴾ فَالْتَمَأْتِهَا أَلْمَأُؤَاتِ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَمُوا هَارِجُوا أَهْلَهَا إِذْ لَوْ أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فاطمروا رِجْعَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٣﴾

٢٢٩

للبلدة، ومن أجره جعله اسم رجل. فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين ثيامن منهم ستة وتشام أربعة». ﴿يَبِيرُ﴾، بخبر ﴿يَبِينُ﴾، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

﴿إِلَى وَبَدَتْ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ﴾، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفوآلي، وأبى أن يتزوج فيهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، ولم يكن له ولد غيرها.

وجاء في الحديث: «إن أحد أبوي بلقيس كان جنيًا» فلما مات أبو

بلقيس ولم يكن له عقب يورث الملك غيرها طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها قوم آخرون، فملكوا عليهم رجلاً، وافترقوا فرقتين، كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه فلم يقدرُوا عليه، فلما رأت ذلك بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك، وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك، فقالت: لا أرغب عنك كفو كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا: ألا تراها تفعل هذا، فقال لهم: إنها ابتدأتني وأنا أحب أن تسمعوا قولها فجأؤوها، فذكروا لها ما كان من الملك، فقالت: نعم أحببت الولد. فزوجوها منه، فلما زفت إليه خرجت في أناس كثير من حشمها، فلما جاءته واجتمعت به سقته الخمر حتى سكر، ثم جزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب دارها، فعلموا أن تلك المناكة كانت مكرراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وقالوا: أنت بهذا الملك أحق من غيرك، فملكوها الملك وبايعوها بأجمعهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

محمد بن إسماعيل، أنا عثمان بن الهيثم، أنا عوف عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، ﴿وَلَمَّا عَزَّ عَظِيمٌ﴾، سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً [في ثمانين] وطوله في السماء ثمانين ذراعاً. وقيل: كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

﴿وَبَدَّلَهَا وَفَرَمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَلَا يَسْجُدُونَ﴾، قرأ [أبو جعفر] والكسائي: «أَلَا يَسْجُدُونَ» بالتخفيف، وإذا وقفوا يقفون «أَلَا يا» ثم يبتدون: «اسجدوا»، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة «يا» عليها، وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألا يا ارحمونا، يريدون ألا

يا قوم، وقال الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بنت بكر وإن كان [حاناً عدأ] آخر الدهر يريد: ألا يا هند اسلمي، وعلى هذا يكون قوله «ألا» كلاماً معترضاً من غير القصة، إما من الهدهد وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني: يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ الآخرون: «ألا يسجدوا» بالتشديد بمعنى، وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿اللّٰهُ يَخْتِجُ الْغَيْبَ﴾، أي الخفي المخبأ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي ما خبأت. قال أكثر المفسرين:

خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات. وفي قراءة عبدالله: «يخرج الخبء من السموات والأرض»، و«من» و«في» يتعاقبان، تقول العرب: لاستخرجن العلم فيكم، يريد: منكم. وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم غيب السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، قرأ الكسائي، وحفص، عن عاصم: بالتاء فيهما، لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألا، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل، ثم هنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

﴿قَالَ﴾، سليمان للهدهد ﴿سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتُ﴾، فيما أخبرت،

﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فدلهم الهدهد على الماء، فاحتفروا [ولمؤوا] الركايا، وروى الناس [منه] والدواب، ثم كتب سليمان كتاباً من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فلا تعملوا عليّ وأتوني مسلمين.

قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء كانت تكتب جملاً لا يطيلون ولا يكثر، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه.

﴿٢٨﴾ فقال للهدهد: ﴿ذَقْبْ بِكَتْبِي هَكَذَا فَالِقَهُ إِلَيْهِمْ﴾، قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر، ويعقوب وقالون كسراً [والباقون بالإشباع كسراً]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، تَنَحَّ عنهم فكن قريباً منهم، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾، يردون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، [من الجواب]، ثم تول عنهم، أي انصرف إليّ فأخذ الهدهد الكتاب فأثني به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها: مأرب من صنعاء على ثلاثة [أميال فوافها] في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها، فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على

نحرها، هذا قول قتادة، وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمقارحه حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فزفر ساعة والناس ينظرون إليه، حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها، وقال ابن منبه وابن زيد: كانت لها كوة مستقبلية الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد الكوة فسدّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب، وكانت قارئة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، فجاءت حتى قعدت على سرير مملكتها وجمعت الملاء من قومها، وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل. وعن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف، قيل: كان مع كل مائة ألف [مقاتل]، والقيل الملك دون الملك الأعظم. وقال قتادة ومقاتل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف، قال: فجاؤوا وأخذوا مجالسهم.

﴿٢٩﴾ ﴿فَأَتَتْ بِحَزْنٍ أَلْفٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، لهم بلقيس، ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾، وهم أشرف الناس وكبراهم ﴿إِلَى آلِ فِرْعَوْنَ﴾، قال عطاء والضحاك: سمته كريماً لأنه كان مخزوماً.

وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كرامة الكتاب ختمه».

وقال قتادة ومقاتل: «كتاب كريم» أي حسن، وهو اختيار الزجاج، وقال حسن ما فيه.

وروي عن ابن عباس: «كريم» أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مصدراً بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت ممن الكتاب.

﴿٣٠﴾ فقالت: ﴿إِنَّمَا مِنْ شَيْءَيْنِ﴾، وبينت المكتوب [فيه] فقالت، ﴿وَأَنَّ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَلَوْا عَلَيَّ﴾، قال ابن عباس: أي لا تتكبروا عليّ. وقيل: لا تتعظموا ولا تترفعوا عليّ. وقيل: معناه لا تمتنعوا عليّ من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، مؤمنين طائعين. قيل هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

﴿٣٢﴾ ﴿فَأَتَتْ بِحَزْنٍ أَلْفٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾، قاضية وفاصلة، ﴿أَنْتُمْ حَتَّى تَنْتَهِيَهُ﴾، أي تحضرون.

﴿٣٣﴾ ﴿فَأَلْوَا﴾، مجيبين لها، ﴿وَأَلْوَا بَلِينَ شَيْبَرٍ﴾، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا، ﴿وَأَلْوَا إِلَيْنَا﴾، أيتمها الملكة في القتال وتركه، ﴿فَانْظُرِي﴾ [أيتمها الملكة] من الرأي، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، تجدين لأمرك مطيعين.

﴿قَالَتْ﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿إِنَّ أَلْوَلَّكَ إِذَا تَحَلَّوْا فَرِيْقَةً﴾، عنوة، ﴿أَقْبَدُوْهَا﴾، خربوها، ﴿وَجَعَلُوا أَمْرَهُ أَهْلًا أَدْلَةً﴾، أي أهانوا أشرفها وكبراءها، كي يستقيم لهم الأمر، تحذرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها ههنا، فصَدَّقَ الله قولها فقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، أي كما قالت هي يفعلون.

﴿ثُمَّ قَالَتْ﴾: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾، والهدية هي: العطية على طريق الملاحظة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لببية قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسله إليهم أي إلى سليمان وقومه، بهدية أصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه مثاً إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَظَرُوْهُ يَوْمَ يَخْرُجُ الْمُرْسَلُونَ﴾، فأهدت إليه وصفاء ووصائف، قال ابن عباس: ألبست لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال مجاهد: ألبست الغلمان لباس الجوّاري وألبست الجوّاري لباس الغلمان، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبیر: أرسلت إليه بلينة من ذهب في حرير وديباج. وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح من الذهب في أوعية الديباج. وقيل: كانت أربع لبنات

من ذهب. وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجوّاري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر، [وألبست الجوّاري لباس الغلمان، الأقبية والمناطق]، وحملت الجوّاري على خمسمائة رمكة، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود الألنوج، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثعينة غير مثقوبة وخززة جزعية مثقوبة معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه، رجلاً من قومها أصحاب رأي وعقل، وكتبت معه كتاباً بنسخة الهدية، وقالت فيه إن كنت نبياً فميز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقّة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقباً مستوياً، وأدخل خيطاً في الخززة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جنّ، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلمكم فكلّموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجوّاري أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت

عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولك منظره، فإنّا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتهفهم قوله، ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن أن يضرّبوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا، ثم أمرهم أن يسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة [ففعلوا ذلك]، ثم قال: أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر؟ قالوا: يا نبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقطعة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، فقال: عليّ بها الساعة، فأثّروا بها، فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة، وألقوا لها علوفتها فيها، ثم قال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان [وعن] يساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثله عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على كِبَر الذهب والفضة،

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونِي بِمَا لَكُمْ أَمْثَلُ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا مَاتَكُمْ بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ نَقْرَافُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ يُخَبِّرُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَقَوْمٌ مُنْزَوُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَأَتَّى الشَّعْرَاءُ إِلَيْكُمْ بِأَنْبِيَاءٍ يَعْرِضُونَ قُلْ إِنِّي أَنُؤْتِي سُلَيْمَانَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرَتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا بَايَكَ بِهِ قُلْتُ أَن تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ مَقَرُّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَسْمَاءَ أَكْثَرُ مَنْ شَكَرَ لَمَّا بَلَغَ أَشْكُرَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ لِرَبِّي فَعَنِّي حَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَذَكَّرُوا الْمَاعِرَةَ إِنَّا نَنْظُرُ أَتَيْدُونَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ قُلُوبُ أَهْلِ كَنْدَارَ مَعَهُ قَالَتُمْ كَذِبًا وَأَوْتَيْنَا الْعَالَمِينَ قُلُوبًا وَكَاسِيِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَلَحْنَا مَا كَانَتْ تُشَدِّدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِمَا أَذْنُ الْأَعْرَجِ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لَعْنَةً وَكَفَنَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتُ لَهَا لَمْ يَمُوتْ شَرُّهُ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

٢٨٠

في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف، فجعل لها ذلك، فأخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر، ثم قال: من لهنه الخزوة فيسلكنها في الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله، فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: [سليني] ما حاجتك؟ فقالت: تجعل رزقي في

تقاصرت نفوسهم ورموا بما معهم من الهدايا، وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبينات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللبنيات التي معهم، فلما رأى الرسل موضع اللبنيات خالياً وكانت الأرض مفروشة خافوا أن يهتموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب، ففزعوا، فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يمشون على كردوس كردوس من الجن والإنس والطير والهوام والسباع والوحوش، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجهه طلق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملك فنظر فيه، ثم قال: أين الحق؟ فأتى فحركها وجاء جبريل فأخبره بما في الحق، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مشقوبة، وجزعة مشقوبة معوجة الثقب، فقال الرسول: صدقت، فأتقب الدرة، وأدخل الخيط في الخزوة، فقال سليمان: من لي بثقبها فسأل سليمان الإنس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرض فجاءت الأرض فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان ما حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في الشجرة، فقال لك ذلك.

وروي أنها جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت: أنا أدخل الخيط

أفعل، أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك، ﴿خَبْرٌ﴾ أفضل، ﴿يَتَأَتَّى إِلَيْكُمْ بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ نَقْرَافُونَ﴾، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأمّا أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله تعالى قد مكنتي فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد:

﴿٣٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ، بالهدية، ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ يُخَبِّرُونَ قُلُوبَهُمْ﴾، لا طاقة لهم، ﴿يَا وَيْلَهُمْ وَمِنْهُم مِّنْ أَهْلِ الْأَرْضِ هُمُ يَبْلَدُهُمْ وَهِيَ سَبَاءٌ﴾، ﴿أَذِلَّةً وَقَوْمٌ مُنْزَوُونَ﴾، فليسلون إن لم يأتوني مسلمين، قال وهب وغيره من أهل الكتيب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا

الفواكه، قال: لك ذلك، ثم ميز بين الجوّاري والغلمان، بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام كما يأخذه من الآنية فيضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً وكان الغلام يحذر الماء على يديه حذراً، فميز بينهم بذلك، ثم رد سليمان الهدية.

﴿٣٨﴾ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونِي بِمَا لَكُمْ أَمْثَلُ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا مَاتَكُمْ بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ نَقْرَافُونَ﴾، قسراً حمزة ويعقوب «أتملوني» بنون واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ الآخرون بنونين خفيفتين، وثبت الياء أهل الحجاز والبصرة، والآخرون يحذفونها، ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ﴾

به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعلت في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيك، ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها يؤذنه بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف، قيل: من ملوك اليمن، تحت يد كل قبل ألوف كثيرة.

قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه، فرأى وهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان، وكان على مسيرة فرسخ من سليمان، قال ابن عباس: وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حيثئذ على جنوده.

﴿٣٨﴾ قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَكُ إِنَّكَ بِإِثْنَيْنِ يُرِيفُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ سُلَيْمَانُ، أَيِ مُؤْمِنَيْنِ، وقال ابن عباس: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد [أن] يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليُرِيها قدرة الله وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة لأنه

أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتكثيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

﴿٣٩﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ، وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كوذى، وقيل: ذكوان، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، وقال الفراء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجنى، وكان بمنزلة الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له [في] كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار، ﴿وَإِنِّي عَلَيْكَ﴾، أي على حملي ﴿لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾، على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

﴿٤٠﴾ فَـ قَالَ أَلَيْسَ عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام.

وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

وروى جوير، ومقاتل، عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان حين صلى: مَدَّ عَيْنِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرَفُكَ، فَمَدَّ سُلَيْمَانُ عَيْنِيهِ، فَنَظَرَ نَحْوَ الْيَمِينِ، فَدَعَا آصِفٌ فَبَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلُوا السَّرِيرَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ

يَخْدُونُ بِهِ خُذًا حَتَّى انْخَرَقَتِ الْأَرْضُ بِالسَّرِيرِ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ.

وقال الكلبي: خَرَّ آصِفٌ سَاجِداً وَدَعَا بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ فَغَارَ عَرْشُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى نَبَعَ عِنْدَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين.

واختلفوا في الدعاء الذي دعا [به] آصف، فقال مجاهد ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حي يا قيوم. وروي ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت اتتني بعرشها. وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل أتاه الله علماً وفهماً. ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال: سليمان هات، قال أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مَدَّ بصرِكَ. قال قتادة: قبل أن يأتني الشخص من مَدَّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. قال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك، ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾، يعني رأى سليمان العرش، ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾، محمولاً إليه من مارب إلى

الشام في قدر ارتداد الطرف، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنَ أَشْكُرَ﴾، نعمه، ﴿وَمَا أَكْثَرُ﴾، فلا أشكرها، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفُورٌ كَرِيمٌ﴾، عن شكره، ﴿كَرِيمٌ﴾، بالإفضال على من يكفر نعمه.

﴿قوله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرُؤًا هَـذَا عَرْشَهَا﴾﴾، يقول: غيروا سريها إلى حال تنكره إذا رآته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزداد فيه وينقص منه. وروى أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿تَنْتَظَرُ أَنْتَظِرِي﴾، إلى عرشها فتعرفه، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنْ﴾، الجاهلين، ﴿الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، إليه.

وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فنفسي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساؤوا الشئاء عليها ليزهدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكثير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

﴿قَالَ جَاءَتْ قِيلٌ﴾، لها، ﴿أَمْ كُنَّا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، قال مقاتل: عرفته [و] لكنها شبهت

عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل اشتبه عليها أمر العرش، لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت: ﴿وَأَوْتَيْنَا آلَفِرْعَوْنَ﴾، بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسول، ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾، من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، منقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: ﴿قوله وأوتينا العلم من قبلها﴾ قاله سليمان، يقول: يشاء من قبل هذه المرأة، وكُنَّا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكُنَّا مسلمين طائعين لله [عز وجل].

﴿قوله عز وجل: ﴿وَصَدَّقَهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾﴾، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس، أن تعبد الله، أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل تكون «ما» في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً بل ما كانت تعبد من دون الله.

وقيل: معناه وصددها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي: منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل «ما» نصباً، ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ

كافرين﴾، هذا استئناف أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس.

﴿قوله: ﴿قِيلَ لَهَا أَنْظِرِي الصَّرْحَ﴾﴾ الآية، وذلك أن سليمان [عليه السلام] أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها، لما قالت الشياطين: إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصرأ من زجاج، وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً وقيل: الصرح صحن الدار، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريه في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس وقيل: اتخذ صحناً من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل:

إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصفيات، فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِئَتْ لِحُجَّتِ﴾، وهي معظم الماء، ﴿وَكُنْتُ عَنْ سَاقِهَا﴾، لشخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنه وناداه، ﴿قَالَ إِنَّمَا صَرْحٌ ثَمَرَةٌ﴾، مجلس مستو، ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان: دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح

اليمن، وسلط زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا زوجة أمير الجن باليمن، فقال: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يزل بها ملكاً يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان، فلما أن حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته: يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات، فارفعوا أيديكم عما أنتم فيه من انشغالكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا، وانقضى ملك ذي تبع، وملك بلقيس مع ملك سليمان. وقيل: إن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

(٤٥) قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَنِ اتَّخِذُوا آلَ اللَّهِ حِصْنًا﴾، وحده، ﴿فَإِذَا مَثُومٌ فَيَكُنَ﴾، مؤمن وكافر، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، في الدين، قال مقاتل: واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُفْعِلُوا مِن ءَمَنٍ مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَصْلُحُ أَتَيْنَا بِمَا نَكِيدُكَ إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٧].

(٤٦) فـ ﴿قَالَ﴾، لهم صالح، ﴿يَقْوَمُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، بالبلاء والعقوبة، ﴿قَالَ الْحَسَنُ﴾، العافية والرحمة، ﴿تَوَلَّوْا﴾، هلا ﴿تَسْتَعِجِلُونَ اللَّهَ﴾، بالتوبة من كفركم، ﴿لَمَلَكْكُمْ تَرْجُمُونَ﴾. (٤٧) ﴿قَالُوا أَلَمْ يَرَوْا﴾، أي تشاءمنا، وأصله تطيرنا، ﴿بِكَ وَيَمُنُ مَعَكَ﴾،

شعر ساقبها، فسأل الإنس ما يذهب هذا [الشعر]؟ قالوا: الموصى، فقالت المرأة: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان الموصى، وقال: إنها تقطع ساقبها، قال الحسن: فسأل الجن فقالوا: لا ندرى، ثم سأل الشياطين فقالوا: إنا نحتال لك حتى يكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النور والحمامات من يومئذ، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً، وأقرها على

ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين ويسنون وعمدان، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام، يبتكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وولدت له فيما ذكر.

وروي [عن] وهب قال: زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك أزوجه، قالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان، قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحزمي ما أحل الله لك، فقالت: زوجني إن كان لا بد من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه، ثم ردها إلى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَنِ اتَّخِذُوا آلَ اللَّهِ حِصْنًا فَلَمَّا هَمَّ بِهُم فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَعِجِلُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَبِيَّكُمْ وَيَمُنْ مَعَكُمْ قَالَ طَاعُواكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَسْتَفْتِيكُمْ فَنُتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الدِّينَةِ نَسْعَةٌ رَّعِطُ ثَمُودَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلُحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا نَقَاسُوا بِآلِ اللَّهِ لِنَبِيِّنَا وَأَهْلِهِ لَنَرْنَ لَقَوْلَهُ لَوْلَا مَا شَهِدْنَا مِنْهُ لَكَ أَهْلُهُ وَلَئِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَكَذَّبُوا وَكُفَرُوا فَكَيْفَ وَكَانَ عَقِيبَهُ مَكْرَهُمْ أَنَادَ مَرْجُلُهُمْ وَقَوْمُهُمْ بِمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ قِيلَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ خَاوِبَةٌ بِيمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَوْ لَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ لَقَوْمِهِمْ أَنُفَأُتُوا فَالدِّينَ وَأَنُتَفِعُوا وَكَانَ يُرْحَمُونَ ﴿٥٣﴾ أَلَيْسَ لَكُمُ النَّاسُ أَلْفًا شَهِيدٌ مِّن دُونِ إِلَهِكَ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٤﴾

فأجابت [سليمان] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت: ربِّ إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أخلصت له التوحيد، وقيل: إنها لما بلغت الصرح فظنته لجة، قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل علي أهون من هذا، فقولها «ظلمت نفسي» يعني بذلك الظن، واختلفوا في أمرها بعد إسلامها.

فقال عون بن عبدالله: سأل رجل عبدالله بن عتبة: هل تزوجها سليمان؟ فقال: انتهى أمرها إلى قولها: أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، يعني لا علم لنا وراء ذلك. وقال بعضهم: تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة

قيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم.
وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا، فقالوا: أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك، ﴿قَالَ طَبَّيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره، وهو مكتوب عليكم، سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم، قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم. وقيل طائركم أي عملكم عند الله، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، قال ابن عباس: تختبرن وبالخير والشر، نظيره قوله تعالى: ﴿وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال محمد بن كعب القرظي: تعذبون.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْأَلْيَةِ﴾﴾ يعني مدينة ثمود وهي الحجر، ﴿يَتَعَمَّقُ رَقِيعٌ﴾، من أبناء أشrafهم، ﴿يَبْدُونَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها؛ كانوا يعملون بالمعاصي.

﴿قَتَّاسُوا بِاللَّهِ﴾، تحالفوا، يقول بعضهم لبعض: احلفوا بالله أيها القوم، وموضع تقاسموا جزم على الأمر، وقال قوم: محله نصب على الفعل الماضي، يعني أنهم تحالفوا وتواثقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ﴿لَنَنْبِتَنَّ﴾ أي: لنقتلنه نباتاً أي: لنبلا، ﴿وَأَعْلَنَ﴾ أي قومه الذين أسلموا معه، وقرأ

الأعمش وحزمة والكسائي «لننبتنه» و«لتقولن» بالثاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل، ﴿فَتَرَى لِقَوْلِ لَوْلِيَّةٍ﴾، أي لولي دمه، ﴿مَا شَهِدْنَا﴾، ما حضرنا، ﴿مَهْلِكٌ أَهْلِيهِ﴾، أي إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿وَلَنَا أَصْلَادُونَ﴾، في قولنا: ما شهدنا ذلك.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾، غدروا غدراً حين قصدوا

تبيت صالح والفتك به، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾، جزيئناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿وَمَرَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا﴾، قرا أهل الكوفة «أنا» بفتح الألف رداً على العاقبة، أي [كانت العاقبة]، أنا دمرناهم، وقرأ الآخرون «إننا» بالكسر على الاستئناف، ﴿دَعَرْتَهُمْ﴾ أي أهلكناهم التسعة. واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمته الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهن. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم،

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْرَأُوا مَا تُلُونَا لَوْ طِينٌ مِنْ قَرْنِكُمْ أَفْهَمُ فَمِنْ تَطْمَنُّونَ﴾ (٥٨) ﴿فَأَنبِئْهُمْ وَأَعْلَنَ لَآ أَمْرًا تَقْرَأُونَ مِنْ الْقُرْآنِ﴾ (٥٩) ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَلَيْهِمْ مَطَرُ آفَافٍ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٦٠) ﴿قُلْ لِمَنْ لَبَسَ ثِيَابًا يَسْمَعُهَا﴾ (٦١) ﴿أَسْمَعُ مَا تَقُولُونَ وَأَنَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُونَ﴾ (٦٢) ﴿أَمِنْ ظُلْمٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ لُحُوبًا أَلَمْ تُشِيرُوا أَشْجَرَهَا آلِهَةً مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَافِدًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْخَيْفِ حَافِرًا وَآوَاهُ مَعَ الْوُجُدِ أَكْفَرُكُمْ أَتَمَنُّونَ﴾ (٦٤) ﴿أَمِنْ حَبِيبِ الْمُنْظَرِ لَدَعَاكُمْ وَكَرِهْتُمُ الْمَوْتَ وَجَعَلَكُمْ تَحْتَهُ الْأَرْضَ آوَاهُ مَعَ الْوُجُدِ لَيْلًا مَا تَذَكَّرْتُمْ﴾ (٦٥) ﴿أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْجَمْرِ مِنْ رُجُلِ الرَّاحِ بَشِيرًا يَكُونُ رَحْمَةً لَكُمْ آوَاهُ مَعَ الْوُجُدِ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٦)

﴿وَقَوْمَهُمْ أَتَمَنُّونَ﴾، أهلكهم الله بالصيحة.

﴿فَتِلْكَ بُرُؤُهُمْ خَائِبَةٌ﴾، نصبت على الحال أي خالية، ﴿يَمَّا ظَلَمُوا﴾، أي بظلمهم وكفرهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لمعبرة، ﴿لِقَوْمٍ يَتَلَمَّذُونَ﴾، قذرتا.

﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ الْأَمَانُ﴾، وكانوا يتفوقون، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ طِينٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْقَهْقِرَةَ﴾﴾، وهي الفعل القبيحة، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يسترون عتوا منهم.

﴿أَلَيْسَ لَنَا نَارٌ أَلَيْسَ لَنَا شَوْءٌ مِنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَعْبَثُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَيَرْفَعُ رِزْقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا شَاءَ رَبُّنَا إِنَّ كُتُوبَ صِدْقِهِ ١٥
قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُهُمْ ١٦ قُلْ لَا أَتَذَكَّرُ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ١٧ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَلَيْسَ لِمُتَعَرِّضِينَ ١٨ لَقَدْ وَجَدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٩
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ٢٠
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْشُرُونَ ٢١
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٢ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدْفُكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ٢٣ وَلَنْ يَكُونَ
لِلدُّوفِضَاءِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤ وَلَنْ
يَكُونَ لِعَلْمِ مَا تُكْرِمُونَ صُدُوقُهُمْ وَمَا يَمْشُرُونَ ٢٥ وَمَنْ يَخْلُقْ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٢٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يُنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢٧

٢٨٢

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا مَا لَوْ لَوْ مِنْ
قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونَ ٢٨، من
أدبار الرجال.

٢٩ ﴿فَأَجْبَنَهُ وَأَعْلَاهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ
قَدَرْتَنَاهَا﴾، قضينا عليها وجعلناها
بتقديرنا، ﴿وَمِنَ الْفَتِيْمَاتِ﴾، أي
الباقين في العذاب.

٣٠ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾،
وهو الحجارة، ﴿نَسْفَةً﴾، فبفس،
﴿مَطَرُ السَّنْدِينِ﴾.

٣١ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْدُ لِلَّهِ﴾،
هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن
يحمد الله على هلاك كفار الأمم
الخالية. وقيل: على جميع نعمه.
﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾،
قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون،
دليله قوله عز وجل: ﴿وَسَلَّمَ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الصفافات: ١٨١]، وقال
ابن عباس في رواية أبي مالك هم

أصحاب محمد ﷺ.

وقال الكلبي: هم أمة
محمد ﷺ. وقيل: هم
كل المؤمنين من السابقين
واللاحقين، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَنَا
يُشْرِكُونَ﴾، قرأ أهل
البصرة وعاصم:
«يشركون» بالياء، وقرأ
الآخرون بالتاء، يخاطب
أهل مكة، وفيه إلزام
الحجة على المشركين بعد
هلاك الكفار، يقول الله
خير لمن عبده أم الأصنام
خير لمن عبدها؟
والمعنى: أن الله ينجي

مَنْ عَبَدَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، والأصنام لم
تغن شيئا عن عابديها عند نزول
العذاب بهم.

٣٢ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾، معناه ألهمكم خير أم
الذي خلق السموات والأرض،
﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾،
يعني المطر، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾،
بساتين جمع حديقة، قال الفراء:
الحديقة البستان المحاط عليه، فإن
لم يكن عليه حائط فليس بحديقة،
﴿ذَلِكَ بِهَجْوَةٍ﴾، أي منظر
حسن، والبهجة: الحسن يبتهج به
من يراه، ﴿فَمَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ
تُثْبِتُوا شَجَرَةً﴾، أي ما ينبغي
لكم، لأنكم لا تقدرون عليها.
﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾، استفهام على
طريق الإنكار أي هل معه معبود

سواه يعينه على صنعه بل ليس معه
إله. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ كَفَّارٌ﴾، يعني كفار
مكة، ﴿يَقْدِرُونَ﴾، يشركون.

٣٣ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾،
لا تميد بأهلها، ﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا﴾،
وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾، تطرد بالمياه،
﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالا ثوابت،
﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب
والمالح، ﴿حَاجِرًا﴾، مانعا لئلا
يختلط أحدهما بالآخر، ﴿أَوَّلَهُ مَعَ
اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾،
توحيد ربهم وسلطانه.

٣٤ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾،
المكروب المجهود، ﴿إِذَا دَعَا﴾
وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، الضر، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾، سكانها يهلك قرنا
وينشي آخر. وقيل: يجعل أولادكم
خلفاءكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن
في الأرض. ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
تَذْكُرُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء
والآخرون بالتاء.

٣٥ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، إذا سافرتهم، ﴿وَمَنْ
يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا لِّبَنِي دَرِّيِّ رَحْمَتِهِ﴾
أي قدام المطر، ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٣٦ ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾،
بعد الموت، ﴿وَمَنْ يَرْفَعُ رِزْقَهُ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن
الأرض النبات. ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ
مَا شَاءَ رَبُّنَا﴾، حجتكم على
قولكم أن مع الله إلها آخر. ﴿إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٣٧ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْفَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»، نزلت في المشركين حيث سألوا النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿وَمَا يَتَّقُونَ أَيَّانَ، متى، يَمُوتُونَ﴾.

﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: «أدرك» على وزن أفعل أي: بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد: ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا يتفهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾، يعني هم اليوم في شك من الساعة، وقرأ الآخرون بل «إدراك» موصولاً مشدداً مع ألف بعد الدال المشددة، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق. وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنة، وهم في شك منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه، قراءة ابن عباس «بلى» بإثبات الياء، «أدراك» بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك، وفي حرف أبي «أم تدارك علمهم»،

والعرب تضع بل موضع «أم» و«أم» موضع «بل»، وجملة القول فيه أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الشواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا، وذكر علي بن عيسى [الرماني] أن معنى «بل» ههنا: «لو» ومعناه: لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا.

قوله عز وجل ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾، بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾، جمع عم وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول هم جهلة بها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿أَوَدَا كُنَّا تَرَا وَمَابَاؤُنَا أَيُّهَا الْمُفْرِحُونَ﴾، من قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة «إذا» غير مستفهم، «أننا» بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي «إذا» بهمزتين «إننا» بنونين، وقرأ الآخرون بالاستفهام [فيهما].

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا﴾، أي هذا البعث، ﴿نَحْنُ وَمَا بَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك،

﴿وَلَا تَكُنْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾، نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْدٌ﴾، أي دناء وقرب، ﴿لَكُمْ﴾، وقيل تبعكم، والمعني ردفكم، أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] قال الفراء: اللام صلة بـ «أدرك»، كما تقول: نقدته مائة، ونقدت له «بعض» الذي سَتَعْمَلُونَ من العذاب، فحل بهم ذلك يوم بدر.

﴿وَلِلَّهِ رُكُّوا لَهُ فَضْلٌ عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ﴾، قال مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ذلك. ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ﴾، تخفي، ﴿صُدُّوا عَنْكُمْ وَفَأَيُّكُمْ﴾.

﴿وَمَا مِنْ عَلَاقَةٍ﴾، أي جملة غائبة من مكتوم سر، وخفي أمر، وشيء غائب، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَانٍ مُبِينٍ﴾، أي في السروح المحفوظ.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُفَصِّلُ الْبَيِّنَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، أي يبين لهم، ﴿أَكْثَرُ الَّذِينَ هُمْ فِيهِ يَفْتَلِتُونَ﴾، من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يظمن بعضهم على بعض، فنزل القرآن بيان ما اختلفوا فيه.

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْهَادِينَ﴾، يعني القرآن «لهدي» وَحَمَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

بالعربية، فنقول أن الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة
لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل
الكوفة «أن الناس» بفتح الألف أي
بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر على
الاستئناف، أي إن الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون قبل خروجها. قال ابن
عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف
ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن
جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء
الطاطري: «تَكْلُمُهُمْ» بفتح التاء
وتخفيف اللام من التَّكْلَمِ وهو
الجرح.

وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية «تَكْلِمُهُمْ أَوْ تَكْلِمُهُمْ» قال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفونى، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال ودابة الأرض وخاصة أحدكم وأمر العامة».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالله، أنا
عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا
محمد بن عيسى الجلودي، أنا
إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا
مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن
أبي شيبة، أنا محمد بن بشر عن أبي
حيان عن أبي زرعة عن عبدالله بن

برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي﴾
 الْقُمِّي، قرأ الأعمش،
 وحمزة: «تهدي» التاء
 وفتحها على الفعل

«العمي» بنصب الياء ههنا وفي الروم. وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم، «العمي»، بكسر الياء، «عَنْ صَلَّاتِهِ»، أي ما أنت بمُرشد من أعماء الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، «إِنْ تَسْمَعْ»، ما تسمع، «إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا»، إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، «فَهُمْ مُتَّبِعُونَ»، مخلصون.

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا وَفَعَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة إذا غضب الله عليهم، ﴿أَخْرَجَنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن، وتقول لآخر هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، قال مقاتل تكلمهم

[illegible]

﴿يَا﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾، [يفصل]
﴿يَتَّبِعُهُ﴾، أي بين المختلفين في
الدين يوم القيامة، ﴿مُحْكِمًا﴾،
الحق، ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ﴾، المنيع فلا يرد
له أمر، ﴿الْقَلِيلُ﴾، يأحوالهم فلا
يخفى عليه شيء.

﴿۷۹﴾ ﴿فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾، الْيِّنِ.

(٨٧) ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفَّارَ،﴾ يعني الكفار، ﴿وَلَا تَسْمَعُ الْاَصْمَ الْاَعْمَى،﴾ قرأ ابن كثير: «لا يسمع» بالياء وفتحها وفتح الميم «الصم» رفع وكذلك في سورة الروم [٥٢]، وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم، الصم نصب. ﴿إِذَا وَلَوْ وُقِّيْتَ﴾، معرضين، فإن قيل ما معنى قوله: ﴿وَلَوْ وُقِّيْتَ﴾، وإذا كانوا صمّاً لا يسمعون سواء وَلَوْ أو لم يولوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع

عمرؤ قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً».

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن فنجويه، أنا أبو بكر بن خزيمة، أنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي، أنا هشيم بن حماد، أنا عمرو بن محمد العبقرى، عن طلحة بن عمرو، عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي عن أبي الطفيل عن أبي سريحة الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «فيئما الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل - يعني المسجد الحرام - لم يزعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» كذا قال ابن عمر وما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصاية عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يفوتها

هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاوز الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشترون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، ويقال للكافر: يا كافر.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد، أنا أبو بكر بن مالك القطيعي، أنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أنا أبي، ثنا يزيد، ثنا حماد هو ابن أبي سلمة، أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان ليجمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر».

وروي عن علي [رضي الله عنه] قال: ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنها رجل، والأكثر على أنها دابة.

وروي ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده بعضا موسى نكتة بيضاء يضيء لها وجهه،

ولا يبقى كافر إلا نكتت [في] وجهه بخاتم سليمان فيستود لها وجهه، حتى إن الناس يتباليعون في الأسواق: بكم يا مؤمن؟ بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، فلذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَرَوْنَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه، أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، أنا أبو جعفر أحمد بن جرير الطبري، أنا أبو كريب الأشجعي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صلع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

وبه عن محمد بن جرير الطبري قال: حدثني عصام بن داود بن الجراح، حدثنا أبي [حدثنا] سفيان بن سعيد، أنا منصور بن المعتمر، عن ربيعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يا رسول الله من أين تخرج؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى [عليه الصلاة والسلام] يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضرب الأرض تحتهم وتشق الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وریش، لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تُسمي الناس مؤمناً وكافراً، أما المؤمن فتترك وجهه

كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه كافر».

وروي عن ابن عباس: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه.

وعن عبدالله بن عمرو، قال: تخرج الدابة من شعب [بالأجياد] فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا، فتتمر بالإنسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك، فتخطمه.

وعن ابن عمر قال: تخرج الدابة ليلة جمع، والناس يسرون إلى منى.

وعن سهيل بن صالح عن [أبيه] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بش الشعب شعب أجياد»، مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين».

وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾، أي: من كل قرن جماعة، ﴿فَمَنْ يَكْذِبْ بَيَّانًا﴾، وليس من ههنا للتبعض، لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿فَهُمْ يُرْضَوْنَ﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوْهُمُ الْقِيَامَةُ﴾، قال، الله لهم،

﴿كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا﴾، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿فَمَآ أَتَاكُمْ مَّقْمُلُوْهُ﴾، حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها، ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين؟.

﴿وَقَعَ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾، [أي] بما أشركوا، ﴿فَهُمْ لَا يَخْلُتُونَ﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَخْلُتُونَ﴾ ولا يُؤَدُّ لَكُمْ فَعْدُهُ ﴿[المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾، خلقنا، ﴿الْأَلْبَنَ لِبَنَاتِهِ فِيهِ﴾، مضيناً يبصر فيه، ﴿وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ لَكَاِبَتٌ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ﴾، يصدقون فيعتبرون.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وقال الحسن: الصور هي القرن، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿فَنُفِخَ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي فصعق، كما قال في آية أخرى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا، وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء.

روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ﴾، قال: «هم الشهداء متقلدون أسياهم حول العرش».

وروي سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع إليهم.

وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله عز وجل. أي الذين استثناهم الله تعالى.

وقال الكلبي، ومقاتل: يعني جبريل، ومكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة، ثم يقبض الله روح ميكائيل، [ثم روح إسرافيل] ثم روح ملك الموت، [ثم روح جبريل] فيكون آخرهم موتاً جبريل عليه السلام.

وروي أن الله تعالى يقول لملك الموت: خذ نفس إسرافيل، ثم يقول من بقي يا ملك الموت؟ فيقول سبحانه ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم، فيقول [الله] من بقي؟ فيقول: سبحانه ربي تباركت وتعاليت، بقي جبريل وملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت فيموت، فيقول: يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني، قال فيقول: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيروى أن فضل خلقه على خلق ميكائيل

كالطود العظيم على ظرب من الظرب.

ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش، فيقبض روح جبريل وميكائيل، ثم أرواح حملة العرش، ثم روح إسرافيل، ثم روح ملك الموت.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينفخ

في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

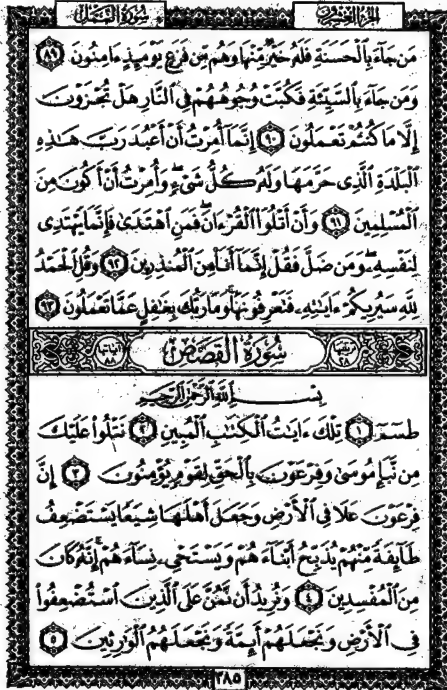
وقال الضحّاك: هم رضوان والحدور، ومالك، والزبانية. وقيل: عقارب النار وحياتها. قوله عز وجل: «وَأُولَئِكَ» أي كل الذين أحيوا بعد الموت، «أَتَوَهُ» قرأ الأعمش وحزمة وحفص «أَتَوَهُ» مقصوداً بفتح التاء على الفعل أي جاؤوه، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى: «وَلَهُمْ مَا فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» [مريم: ٩٥]، «دَخِرِينَ»، صاغرين.

قال الله تعالى: «وَرَزَى لِمَجَاجِلٍ

تَحْتَهَا جَائِلَةٌ»، قائمة واقفة، «وَمِنْ تَحْتِهَا مَرْ السحاب»، أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض. فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمتها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر، «شَعَ اللَّهُ»، نصب على المصدر، «الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ

شَيْءٍ»، يعني أحكم، «إِنَّهُ خَيْرٌ نَبَا تَفْعَلُونَ»، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

﴿٨٨﴾ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ»، بكلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني: أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة: بالإخلاص. وقيل: هي كل طاعة «فَلَهُ خَيْرٌ نَبَا تَفْعَلُونَ»، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه، يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا، لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إله إلا الله. وقيل: فله خير منها يعني رضوان الله، قال تعالى: «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» [التوبة: ٧٢]، وقال محمد بن كعب: وعبد الرحمن بن زيد: «فله خير



منها» يعني الأضعاف، أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرة فصاعداً، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص، منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سبيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف، ولا مطمع للخصوم في الأضعاف، ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، «وَمِنْ فَرَجِ يَوْمِئِذٍ مَا يُنْزِلُونَ»، قرأ أهل الكوفة «من فزع» بالتنونين «يومئذ» بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وبالتنونين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

﴿٨٩﴾ «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ»، يعني الشرك، «فَكَتَبَتْ وَيُجَاهِدُهُم فِي النَّارِ»، يعني ألحقوا على وجوههم، يقال:

وَمَنْ لَّمْ يَلْمِ فِي الْأَرْضِ وَيَرَوْى وَرَعُونَ وَهُمْ يَخُوتُهُمَا
 مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَدُونَ ﴿٩١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ
 أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
 وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمَرْسُولِ ﴿٩٢﴾
 فَالْقَطْعُ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لِيُحْذَرُوا لَهْمُ عَذَابٍ وَحَرًّا إِنَّ
 فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَخُتُومَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿٩٣﴾
 وَقَالَتْ أُمَمَاتٌ مِّنْ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنُنِي وَأَبْصَارِي
 أَن يَنْفَعَنِي أَوْ تَخْدُمُوا وَلَا أَوْفَاءُ لَمْ يَسْمَعُوا لِي وَأَسْبَحَ
 فِرْعَوْنُ أُمَمٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ كَذَبَتْ لِي بِدَعْوَىٰ يَدِي أَن
 رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِنَا الْيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ وَقَالَتْ
 لِأَخِيهِ قُصِيدٌ قُصِرَتْ بِهِ عَنْ حُجَّتِي وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 ﴿٩٥﴾ وَرَمَيْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِ مِن قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
 عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورُ ﴿٩٦﴾
 فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آلِهِ ذَكَرْنَاهُمْ لَنَا وَنَحَرْنَا وَلَعَلَّكُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ حَافِظًا لِّمَنْ يَخْتَرُ ﴿٩٨﴾

علي إلا البلاغ، نسختها
 آية القتال.

﴿٩١﴾ وَقُلْ لِلْعَالَمِينَ،
 على نعمه، ﴿سَائِرِكُمْ
 مَا يَنْبَغِي﴾، يعني يوم بدر،
 من القتل والسبي وضرب
 العلائكة وجوههم
 وأدبارهم، نظيره قوله عز
 وجل: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا
 تَسْتَعْجِلُون﴾ [الأنبياء:
 ٣٧]، وقال مجاهد:
 سيزيكم آياته في السماء
 والأرض وفي أنفسكم،
 كما قال: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي
 فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾
 [فصلت: ٥٣]،

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾، يعني تعرفون الآيات
 والدلالات، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ﴾، وعدلهم بالجزاء على
 أعمالهم.

سورة القصص

مكية إلا قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ
 ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، إلى قوله: ﴿لَا
 يَنْفَعِي الْكَافِرِينَ﴾ [٥٢ - ٥٥].
 وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة،
 وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْكَ مَعَارُفُ﴾
 [٨٥]. [وهي ثمان وثمانون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ طَسَدَ.
 ﴿٢﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ.
 ﴿٣﴾ تَتْلُو عَلَيْهِ مِنْ نَّبَاٍ مُّوسَىٰ

وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ، بالصدق، ﴿لِقَوْرِ
 يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون بالقرآن.

﴿١﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا، استكبر
 وتجبر وتعظم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض
 مصر، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾، فرقا
 وأصنافا في الخدمة والتسخير،
 ﴿يَسْتَفِيعُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، أراد
 الطائفة بني إسرائيل، ثم فسر
 الاستضعاف فقال: ﴿يَدْبِجُ آيَاتَهُمْ
 وَيَسْتَخِي سِتْرَهُمْ﴾. سعى هذا
 استضعافا لأنهم عجزوا أو ضعفوا
 عن دفعه عن أنفسهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿٢﴾ وَرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَىٰ الذِّكْرِ
 أَشْفِقُوا فِي الْأَرْضِ، يعني بني
 إسرائيل، ﴿وَجَعَلَهُمْ آيَةً﴾، قاة
 في الخير يقتدئ بهم. وقال قتادة
 ولادة ملوكا دليله قوله عز وجل:
 ﴿وَجَعَلَكُمْ ثُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]،
 وقال مجاهد: دعاء إلى الخير.
 ﴿وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، يعني أملاك
 فرعون وقومه يخلفونهم في
 مساكنهم.

﴿٣﴾ وَتُحْيِي لَمْ فِي الْأَرْضِ، نوطن
 لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها
 لهم مكانا يستقرون فيه، ﴿وَرُي
 فِرْعَوْنَ﴾، قرأ الأعمش، وحمزة،
 والكسائي، «يرى» بالياء وفتحها،
 ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَخُتُومَهُمَا﴾،
 مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ
 الآخرون بالنون وضمها، وكسر الراء،
 ونصب الباء ونصب ما بعده بوقوع
 الفعل عليه، ﴿وَتَنْهَى مَا كَانُوا
 يَحْذَرُونَ﴾، والحذر هو التوقي من
 الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم
 على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا

كَبَّثَ الرجل إذا القيته على وجهه
 فانكب واكب، وتقول لهم خزنة
 جهنم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشر.

﴿٩١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرتُ﴾،
 يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما
 أُمِرت، ﴿أَن أَعْبُدَ رَبَّ هَؤُلَاءِ
 الْبِلَادَةِ﴾، يعني مكة، ﴿الَّذِي
 حَرَّمَهَا﴾، يعني جعلها الله حرما
 آمنا، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم
 فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا
 يختلئ خلاها، ﴿وَلَمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾،
 خلقا وملكا، ﴿وَأُمِرتُ أَن أَكُونَ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ﴾، لله.

﴿٩٢﴾ وَأَن أَتْلُو الْقُرْآنَ، يعني
 وأمرت أن أتلى القرآن، ﴿فَمَنِ أَهْتَدَىٰ
 لِنَاصَةٍ يَتَّبِعْهُ يَنصِبْهُ﴾، أي نفع اهتدائه
 يرجع إليه، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾، عن الإيمان
 وأخطأ طريق الهدى، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا
 مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، من المخوفين فليس

على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحلرون.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَيْرُؤُسَ﴾، وهو وحي إلهام لا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأم موسى يوخاند بنت لاوى بن يعقوب، ﴿أَنَّهُ أَرْضِيحِيَّةٌ﴾، واختلفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾، يعني من الذبح، ﴿كَأَلَيْهِ فِي أَلْيَةٍ﴾، واليم: البحر وأراد ههنا النيل، ﴿وَلَا تَخَافِي﴾، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾، على فراقه، ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَيَاسُوتُ مِنَ الْمَرْسِيَاتِ﴾.

روى غطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر، استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي، ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر، فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوههم إلى أن أنجاهم الله على يدي نبيه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى، فلما حزنها الطلق أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فلينفعنني حبك إني اليوم، قالت: فعالجت قبالتها، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى. فارتعش كل مفصل منها، ودخل حب موسى قلبها. ثم قالت

لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك فإني أراه غدونا، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى في خرقه ووضعته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التنو مسجور، ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا لها: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى:

فأين الصبي؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته، قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتاً فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها النجار: ما تصنعين بهذا التابوت، قال: ابن لي أخبثه في التابوت، وكرهت الكذب، قال ولم تقل: أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمم أم موسى، فلما هم بالكلام

أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده فلم يدرك الأماء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأماء فلما هم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه فوق في واد يهوى فيه حيران، فجعل الله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان، فعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخر الله ساجداً، فقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدلّه الله عليه، فخرج من الوادي فأمن به وصدقته، وعلم أن ذلك من الله عز وجل.

وقال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوايل وتقدم إليهن يفتشن النساء تفتيشاً لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها، ولم يتغير لونُها، ولم يظهر لبنها، فكانت القوايل لا يتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها «أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم» الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها، لا يبكي ولا يتحرك، فلما

خافت عليه عملت تابوتاً له مطبقاً ثم ألقته في البحر ليلاً.

قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له: أيها الملك لا تبرا إلا من قبل البحر، يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرا من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت ابنة فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتأبوت تضربه الأمواج فقال فرعون: إن هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجرة إيتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فذنت منه آسية فرائت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهد، وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصه لبناً فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون فلما [أخرجوه] من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان ينسبل من ريقه

فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه [من] بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر خوفاً منك فاقتله، فهم فرعون بقتله، فقالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه.

قال رسول الله ﷺ: «الو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها».

فقيل لآسية: سميه فقالت: قد سميته موسى لأننا وجدناه في الماء والشجر فموسى هو الماء وسى هو الشجر، فذلك قوله عز وجل.

﴿فَالْقَلْبَ مَالِ رُحُونَ﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة والكسائي «حزناً» بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي، وهما لغتان، ﴿إِنَّ رُحُونَ وَهُمْ لَفِي سَكَنٍ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، عاصين آمنين.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾، قال وهب: لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجد فيه موسى فلما نظر إليه قال عبراني من الأعداء

فغاظه ذلك، وقال: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أمّاً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾، وروي أنها قالت له: إنه أتاننا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أن هلاكهم على يديه، فاستحياه فرعون، وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته: عسى أن ينفعك، فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعله الله، ولكنه أبى، للشقاء الذي كتبه الله عليه.

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحِبُ قُوَادٍ أَوْ مُؤَمِّنَاتٍ قُرَّتَا﴾، أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهمه، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن: فارغاً، أي ناسياً للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في اليوم ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقته في البحر، وأغرقت، ولما أتاها الخبر

سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿وَأَسْرَوْهُ﴾، أي بلغ أربعين سنة، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه ﴿وَأَلَيْتَهُ حُكْمًا وَطَعًا﴾، أي: الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَحَّلَ الْمَدِينَةَ﴾، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر.

وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها طابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، ﴿وَحَّلَ جِبْنَ عَقْلَهُ مِنْ أَهْلِهَا﴾، وهو وقت القافلة واشتغال الناس بالقلولة.

وقال محمد بن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء.

واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت.

قال السدي: وذلك أن موسى عليه السلام كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيبل بأرض منف قد دخلها نصف النهار، وليس في طرفها أحد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَوَحَّلَ الْمَدِينَةَ عَلَى جِبْنَ عَقْلِهِ مِنْ أَهْلِهَا﴾، قال محمد بن إسحاق: كان لموسى شعبة من بني إسرائيل يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق

فرعون وقومه فخالقهم في دينه حتى كثر ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخيفاً فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها.

وقال ابن زيد: لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير، فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده ﴿وَوَحَّلَ الْمَدِينَةَ عَلَى جِبْنَ عَقْلِهِ مِنْ أَهْلِهَا﴾، يعني عن ذكر موسى، أي من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم [به]، وروي عن علي في قوله: ﴿جِبْنَ عَقْلِهِ﴾ كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم، ﴿فَوَيْلٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، يختصمان ويتنازعان، ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾، من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾، من القبط، قيل: الذي كان من شيعة السامري، والذي من عدوه من القبط، قيل: طباط فرعون اسمه فلتئون. وقيل: هذا من شيعة وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر، وكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى، لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، ﴿فَاسْتَنْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾،

فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثه: طلب الغوث، فغضب موسى واشتد غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى، فقال للفرعوني خل سبيله، فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أهلك فنازعه، فقال الفرعوني: لقد هممت أن أحمله عليك، وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش، ﴿وَوَكَّزَهُ مُوسَى﴾، وقرأ ابن مسعود «فلكزه موسى»، ومعناها واحد، وهو الضرب بجميع الكف. وقيل: «الوكز» الضرب في الصدر «واللكز» في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد، وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع.

وفي بعض التفاسير: عقد موسى ثلاثاً وثمانين وضربه في صدره، ﴿فَفَقَعَ عَلَيْهِ﴾، أي قتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفعه في الرمل، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، أي بين الضلالة.

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿فَأَنْفِرْ لِي فَفَعَرَ لَهُ إِسْكُفًا مِّنَ الْفُفُورِ الْيَسِيمِ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَيَّ بِالْمَغْفرة، ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾، عوناً، ﴿وَالْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، وقال قتادة:

لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

﴿فَاصْبِرْ فِي الْمَوْتَةِ﴾، أي في
المدينة التي قتل فيها القبطي
﴿عَائِدًا﴾، من قتله القبطي،
﴿وَرَبِّ﴾، ينتظر سوءاً، والترقب:
انتظار المكروه، وقال الكلبي: ينظر
متى يؤخذ به، ﴿فَإِذَا أَلَيْسَ لِمَنْتَصِرٍ
بِالْأَمْسِ يَنْصَرِيخُ﴾، يستغيث ويصيح
به من يُعَد.

قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا مئتا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن يقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً [آخر] فاستغاى على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾، للإسرائيلي، ﴿إِنَّكَ لَنَافِقٌ مُبِينٌ﴾، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلك بسببك، وتقاتل اليوم. آخر وتستغيثني عليه؟ وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك، والأول أصوب، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالْأَيِّ
هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا، وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى
أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ بِالْإِسْرَائِيلِيِّ
لِيَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ، فَظَنَّ الْإِسْرَائِيلِيُّ
أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ لَمَّا رَأَى مِنْ
غَضَبِهِ وَسَمِعَ قَوْلَهُ: إِنَّكَ لَغَوِي
مُبِينٌ، ﴿فَقَالَ يَتُومَتِمْ أَرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ

كَمَا قُلْتَ نَفْسًا وَأَلْسِنًا إِنْ تُرِيدُ ، مَا تَرِيدُ ، إِنْ أَنْ تَكُونُوا جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، بِالْقَتْلِ ظُلْمًا ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُتَصَلِّينَ ، فُلَمَا سَمِعَ الْقِبْطِيُّ مَا قَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِمُوسَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ ذَلِكَ الْفِرْعَوْنِي ، فَانْطَلَقَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ مُوسَى .

قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

(١٥) ﴿وَمَا رَيْلٌ﴾، من
 شيعة موسى، ﴿مِنْ أَقْصَا
 آيٍ مِنْ آخِرِهَا﴾، قال أك
 التاويل: اسمه خزقيل
 فرعون، وقيل: اسمه ش
 وقيل: شمعان، ﴿تَسَى﴾،
 في مشيه، فأخذ طريقاً ق
 سبق إلى موسى، فأخبره وأ
 أخذ طريقاً آخر، ﴿هَآئِلُكُمْ
 الْكَلَّا يَأْتِرُونَ بِكَ﴾، يعني
 قوم فرعون يتشاورون
 ﴿يَقْتُلُوكَ﴾ قال الزجاج
 بعضهم بعضاً بقتلك، ﴿فَأَخْرَجَ
 الْمَدِينَةَ﴾، ﴿إِنِّي لَكِ مِنَ النَّاصِحِينَ
 بِالْأَمْرِ لَكَ بِالْخُرُوجِ﴾.

﴿فَرَجَّ مِنْهَا﴾، موسى، ﴿خَالِئًا
بَرْقًا﴾، أي ينتظر الطلب، ﴿قَالَ رَبِّ
يُخْرِجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين،
وفي القصة: أن فرعون بعث في طلبه
حين أخبر بهربه فقال اركبوا ثنيات
الطريق فإنه لا يعرف الطريق.

وَلَمَّا تَوَسَّعَتْ رِيفَاتُهُمْ قَالَ لِيَمِينِهِمْ قَالَتْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَسُولٌ قَبْلَ هَٰذَا مِنْ رَبِّكُمْ فَخُلُوا فِي آيَاتِهِمْ قُلُوبُهُمْ غَفَا لِعَذَابِنَا سَاءَ أَلَمًا ﴿٣٦﴾ وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مِثْقَالٍ وَبَدَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ يَسْأَلُونَ وَجَدْنَاهُمْ لَدُنْهُمْ أَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ مَنْ مَلَأَ مِثْقَالَ الْحَبَّةِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ نَفْسٍ مِنْ نَجَارِثِ الْهَبْلِ وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مِثْقَالٍ سَأَلُوهُ لِمَا أَزَلَّتْ عَنْ رُءُوسِهِمْ سَبْحَةً فَجَبَّ عَيْنُهُمْ قُلْ مَنِ احْتَدَىٰ سَبِيلِي لَأَجْعَلَنَّ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجْهًا مَرْمُومًا ﴿٣٧﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَزَلْتُ عَنْ رَأْسِي خَبْرَ قَبِيرَةٍ ﴿٣٨﴾ فَاجْعَلْ لِي آيَةً لَأُحَدِّثَ بِهِمَا نَدْوًى عَلَى أَسْتَحْيَا وَلَئِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجِفٌ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ مَأْسَوْنِي لَمَّا ظَلَمَ جَمْعَهُمْ وَمَعَىٰ خَلْقَهُمْ فَبَدَّلَ الْآيَاتِ لَأَمُحِفَّ نَجْوَتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَتْ لِحَدِيثِهِمَا تَكُنَّيْنِ اسْتَخْرِي رَأْسِي خَيْرٌ مِنْ اسْتِخْرَافِ الْقَوْمِ الْأَثِيمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَنِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْخُذَنِي فَتُنْفِئَ جِجْجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا كُنَّ عَشْرًا مِنْ عَشْرِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفُتَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَصَلِيِّينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّمَا أَجْلَحِينَ فَصَبَّ قَاعَ عُدُوكَ عَلَى رَأْسِهِ عَلَى مَا قَوْلَ رَكْبَلٍ ﴿٤٣﴾

﴿وَلَمَّا تَوَسَّعَتْ عَلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ دَارَ الْآخِرَةِ﴾
 أي قصد نحوها ماضياً إليها، يقال:
 داره تليق دار فلان، إذا كانت
 محاذيتها، وأصله من اللقاء.

قال الزجاج: أي سلك الطريق التي يلقى مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم، سميت البلدة باسمه، وكان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿قَالَ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي سِرَّهَ الْكَيْلِ﴾، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قبل: فلما دعا جاء ملك يده عترة فلنطلق به إلى مدين.

قال المفسرون: خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقول، حتى كان يرى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقم خف قدغيه. قال ابن

عباس: وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَمَّا وَدَّ مَلَأَهُ مَثَقًا﴾، وهو بشر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾، جماعة، ﴿بَنَاتٍ الْأَوَّلِينَ يَسْقُونَ﴾، مواشيهم، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾، أي الجماعة [وقيل بعيداً عن الجماعة بجانب عنهم]، ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذَوَّدَانِ﴾، يعني تحبان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، وقال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله، ﴿وَقَالَتِ﴾، يعني موسى للمرأتين، ﴿مَا خَطَبُكُمَا﴾، ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس، ﴿وَقَالَتَا لَا نَسْقِي﴾، أغنامنا، ﴿حَتَّى يَصْدِرَ الرِّجَاءُ﴾، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر «يصدر» بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال، أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والرعاء جمع راع، مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء، لأننا امرأتان لا نطبق أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا [وتولوا] سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض [من الماء]، ﴿وَأَوَّلُكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، لا يقدر أن يسقي مواشيه، ولذلك احتجنا نحن إلى

سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك، والسدي والحسن: [هو] شعيب النبي عليه السلام.

وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبیر: هو بشرون بن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كُفَّ بصره، فدفن بين المقام وزمزم، وقيل: رجل ممن آمن بشعيب، قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربيهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس. وقال ابن إسحاق: إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين.

ويُروى: أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر، فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين. ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة، فروى منه جميع الغنم، فذلك قوله:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾، ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ من طعام، ﴿فَقَبِيرٌ﴾، قال أهل اللغة اللام بمعنى «إلى» يقال: هو فقير له، وفقير إليه، يقول إني لما أنزلت إلي من خير، أي طعام، فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه.

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقه خبز يقيم بها صلبه. قال محمد [بن علي] الباقر: لقد قالها وإنه

لمحتاج إلى شق تمره. وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: لقد قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمره. وقال مجاهد: ما سأل إلا الخبز، قالوا: فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطن، قال لهما: ما أعجلكما [أنتما قبل الرعاء] قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه لي.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾، ﴿لِمَا نَزَّلْنَا بِقَدَرٍ﴾.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء، ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَذُوقُكَ إِلَيْنَا﴾، قال أبو حازم سلمة بن دينار: لما سمع ذلك موسى أراد أن لا يذهب، ولكن كان جائعاً فلم يجد بداً من الذهاب، فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفاً، فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، فلما دخل على شعيب إذ هو بالعشاء مهياً فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال موسى: أعوذ بالله، فقال شعيب: ولم ذاك ألت بجانع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإننا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال له

شعيب: لا والله يا شاب، ولكنهما عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى وأكل. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله، ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ نَحْنُ مِنَ الْقَوَمِ الْأَقْلِيلِينَ﴾، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

﴿قَالَتَ إِحْدَهُمَا يَتَأَتَّى اسْتَجِرَّكَ﴾، اتخذه أجيئاً ليرعى أغنامنا، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، يعني خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة، فقال لها أربوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أنا قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل إلا أربعون رجلاً، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك.

﴿قَالَ﴾ شعيب عند ذلك، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾، واسمهما «صفورة» و«ليا» في قول شعيب الجبائي وقال ابن إسحاق: «صفورة» و«شرقا» وقال غيرهما الكبيرى صفراء والصغرى صفيراء. وقيل زوجه الكبيرى، وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها «صفورة» وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجَ﴾، يعني أن تكون أجيئاً لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني تجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثمانى حجاج، تقول العرب: أجرك الله

بأجرك أي أثابك، والحجج السنون، واحدتها حجة، ﴿إِنَّ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، أي إن أتمت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عليك، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُشَّ عَلَيْكَ﴾، أن أزمك تمام العشر إلا أن تبرع، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ السَّائِلِينَ﴾، قال عمر [رضي الله عنه]: يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

﴿قَالَ﴾، موسى ﴿وَلَا يَتَّبِعُنِي﴾، يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت عليّ فلك وما شرطت من تزويج إحداهما فلي، والأمر بيننا، تم الكلام، ثم قال: ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾، يعني أي الأجلين و«ما» صلة «قضيت» أتمت أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿وَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا ظلم عليّ بأن أطلب بأكثر منها، ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ قَوْلٌ وَكِيلٌ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك. وقيل: حفيظ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن عبدالرحيم، أنا سعيد بن سليمان، أنا مروان بن شجاع، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن جبير، قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس فسأله، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل.

وروي عن أبي ذر مرفوعاً: إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى؟ فقل خيرهما وأبرهما، وإذا سئلت بأي المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت، فقالت: يا أبت استأجره، فتزوج أصغرهما وقضى أوفاهما.

وقال وهب: أنكحه الكبرى. روي عن شداد بن أوس مرفوعاً: بكى شعيب النبي ﷺ حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فقال الله: ما هذا البكاء؟؟ أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: لا يا رب، ولكن شوقاً إلى لقاءك، فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهنيئاً لك لقاءني يا شعيب، لذلك أخذتكم موسى كليماً. ولما تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، واختلقوا في تلك العصا.

قال عكرمة: خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه.

وقال آخرون: كانت من آس الجنة، حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته، فصار من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، وكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاه موسى.

وقال السدي: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك [في] صورة رجل، [قال] فأمر ابنته أن تأتبه

﴿أَوْ جَذَوْفٍ مِّنَ النَّارِ﴾، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث لغات، قرأ عاصم «جذوة» بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرهما، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذئ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، تستدفئون.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِّن شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾، لموسى، جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبياً. وقال عطاء: يريد المقدسة، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، من ناحية الشجرة.

قال ابن مسعود: كانت سَمُرَة خضراء تبرق.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عوسجة، قال وهب: من العليق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنها العُثَاب، ﴿أَن يَكُونُوا إِذْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّمَا جَانُّ﴾، وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾، هارباً منها، ﴿وَلَمْ يَعْقُبْ﴾ ولم يرجع [إليها] فنودي، ﴿يَكُونُ أَقْبَلُ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

﴿أَسْأَلُكَ﴾، أدخل ﴿بِكَفِّ جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَصْءٍ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، برص، فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَمْلَكَ مِّنْ أَرْوَابِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: بضم الراء وسكون الهاء وبفتح الراء

أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم، فطلبت من أبيها [شعيب] فقال شعيب: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها.

وقيل: أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته [في غنمه] إكراماً له وصلة لابنته، فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستسقى الأغنام، فضرب موسى

بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم [شعيب] أن ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامرأته فوقى له بشرطه وسلم الأغنام إليه.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا فَصَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾، يعني أتمه وفرغ منه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾، قال مجاهد: لما قضى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر، فأذن له، فخرج بأهله إلى جانب مصر، ﴿عَائِسَ﴾، يعني أبصر، ﴿مِن جَانِبِ الظُّوْرِ تَكَرَّرَ﴾، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ أمرأته الطلق، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي مَأْسَتْ نَارًا لَعَلِّي مَلِكُكُمْ مِّنْهَا عَجْرًا﴾، يعني عن الطريق، لأنه كان قد أخطأ الطريق،

﴿فَلَمَّا فَصَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، أنسك من جانب الظُّوْرِ تَكَرَّرَ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي مَأْسَتْ نَارًا لَعَلِّي مَلِكُكُمْ مِّنْهَا عَجْرًا أَوْ جَذَوْفٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِّن شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَكُونُوا إِذْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَانُّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكُونُ أَقْبَلُ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٣﴾ أَسْأَلُكَ بِكَفِّ جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَصْءٍ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَمْلَكَ مِّنْ أَرْوَابِ الرَّهْبِ فَلَمَّا ذَاكَ بُرْهَنَ لَّهُمْ مِّنْ زَيْلِكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَنَّى أَن بُرْهَنَ لَّهُمْ مِّنْ زَيْلِكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ هُوَ أَفْضَحُ بَيِّنًا لِّسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنَصِّرُكَ بِعَصَاكَ يَا عَبْدُ اللَّهِ أَتَشْكُرُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا إِنَّهُمَا وَنِعْتُنَا أَنفُسَنَا وَنَمْلِكُ مَا نَشَاءُ فَيَصِلُونَ إِلَيْكُمَا فَتَبَيَّنَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٦﴾

بعصا، فدخلت فأخذت العصا فأنته بها فلما رآها شعيب قال لها: ردي هذه العصا [فإنها ودیعة عندي]، وآتیه بغیرها فألقها وأرادت أن تأخذ غیرها فلا تقع فی یدها إلا هي، حتی فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت ودیعة [عندي أعطیها لغيري]، فذهب فی أثره وطلب أن یرد العصا فأبى موسى أن یعطیه. وقال: هي عصای فرضیا أن یجعلا بینهما أول رجل یلقاهما فلقیها ملك فی صورة آدمي فحكم أن تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ لیأخذها فلم یطقها، فأخذها موسى بیده فرفعها فتركها له الشيخ، ثم إن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته إليه.

قال موسى للمرأة: اطلبي من

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ أَهْلَ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٠﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مِنْ رِزْقِكَ إِشْدَرْنَا قُرُونًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ وَلَوْلَا أَنْ صَبَّيْنَاهُمْ تُصَيْبَةً يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُوا رِسْنَا لَوْلَا أَرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُفِيعَ ءَايَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا حَاسَءَ هُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَى بِرَبِّنَا مَا أَوْفَى مُوسَى أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِخْرَانُ تَطْهَرُوا قَالُوا إِنَّا بِكُمْ كَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٤﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَى هَوْنَهُ يَغْتَرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾

إليه وأقف على حاله، ﴿وَأَوْفَى لَأَطْلَعُ﴾، يعني موسى، ﴿مَدْيَنَ﴾، في زعمه أن للأرض وللخلق إليها غيري، وأنه رسوله.

﴿وَأَسْتَكَبَرُ هُوَ وَخُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْحَقُّ وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ لَأَيُّنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾، قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، ويعقوب: «يرجعون» بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون بضم الياء وفتح الجيم.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَخُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾، قادة ورؤساء، ﴿يَكْفُرُونَ إِلَى الْكَافِرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ﴾، لا يمنعون من العذاب.

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَؤُلَاءِ أَلْدَيْنَا لَقِئَهُمْ خَزِيراً وَعَذَاباً﴾، أي القبيح، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبُورِينَ﴾، أي المبعدين الملعونين، وقال أبو عبيدة: من المهلكين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما [قال]: من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون، يقال: قُبِحَ الله وقُبِحَ إذا جعله قبيحاً، ويقال: قبحه قبحاً، وقبحوا، إذا أبعدوا من كل خير.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿بِكُتُبٍ لِّلنَّاسِ﴾، يعني ليصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به، ﴿وَعُدًى﴾، من الضلال لمن عمل به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، لمن آمن به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بما فيه من الموعظ والبصائر.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾، يعني: بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد حيث ناجى موسى ربه، ﴿إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾، يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [أي] الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾، خلقنا أمماً من بعد موسى عليه السلام، ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ﴾، أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره.

وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلقت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها، ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ أَهْلَ مَدْيَنَ﴾، مقيماً، ﴿وَمِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، كمقام موسى وشعيب فيهم، ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾، تذكرهم بالوعد والوعيد، قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم، ﴿وَلَكِنَّا

خمسون ألف ببناء سوى الاتباع والأجراء، ومن يطبخ الأجر والخص وينجر الخشب ويضرب المسامير، فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، أراد الله عز وجل أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابه [فوضعها في القوس] فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة دماً، فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل جنح غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب، ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشيء إلا هلك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدُ فِي يَنْهَكُنَّ عَلَى الظُّلُمِ فَاغْبُكُنَّ لِي مَرِحاً لَعَلِّي أَطِيعُ إِلَهُ إِلَهُ مُوسَى﴾، أنظر

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمَّا هُمْ يَنْذُرُونَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ هُمْ وَمَوَدُّوهُمْ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا بَلَغَ لَهُمْ أَمْلُهُمْ هُمْ وَمَوَدُّوهُمْ هُمْ يَنْذُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ لَهُمْ أَمْلُهُمْ هُمْ وَمَوَدُّوهُمْ هُمْ يَنْذُرُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِذَا بَلَغَ لَهُمْ أَمْلُهُمْ هُمْ وَمَوَدُّوهُمْ هُمْ يَنْذُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا بَلَغَ لَهُمْ أَمْلُهُمْ هُمْ وَمَوَدُّوهُمْ هُمْ يَنْذُرُونَ ﴿٥١﴾

مِنْ تَلْدِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٤٦﴾
يعني أهل مكة، «لَعَلَّهُمْ يَنْذُرُونَ».

﴿٤٧﴾ «وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ»، عقوبة ونقمة، «وَمَا قَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ» من الكفر والمعصية، «فَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا إِيَّاكَ لَكُنَّا مُشْرِكِينَ»، «وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِينَ»، وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة، [بكفرهم]، يعني لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولا ولكن بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

﴿٤٨﴾ «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا»، يعني محمداً ﷺ، «قَالُوا»، يعني كفار مكة، «لَوْلَا هَذَا»، «أَوْفَى»، محمد، «وَقُلْ مَا أَوْفَى بِيضَاءُ الْعَصَا، وقيل: مثل ما أوتي موسى كتاباً جملة واحدة. قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوَسَّى مِنْ قَبْلُ»، أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، «قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا»، قرأ أهل الكوفة: «سحران» أي: التوراة والقرآن، «تظاهرا» يعني: كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع.

قال الكلبي: كانت مقالاتهم تلك حين بعثوا إلى رؤوس اليهود

كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾، أي أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها. ﴿٤٧﴾ «وَمَا كُنْتَ بِمُحَذِّرٍ» بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى، «إِذْ نَادَيْنَا»، قيل: إذ ناديتنا موسى خذ الكتاب بقوة.

وقال وهب: قال موسى يا رب أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إلى ذلك، وإن شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابه من أصلاب آبائهم.

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير: نادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفع بعضهم، قال الله: يا أمة محمد فأجابه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: «إليك اللهم لييك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، قال الله تعالى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي، قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني، من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة، وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر. قوله تعالى: «وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ» أي ولكن رحمتناك رحمة بإرسالك بالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك، «لِيُذَكِّرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ

بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: «سحران تظاهرا»، وقروا الآخرون: «سحاران» يعنون محمداً وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكسب، «وَقَالُوا إِنَّا يَكْفُرُونَ».

﴿٤٩﴾ «قُلْ»، لهم يا محمد، «فَاتُوا بِكِتَابِ رَبِّكَ اللَّهُ هُوَ أَقْدَرُ مِنْهُمْ»، يعني من التوراة والقرآن، «إِنَّمَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

﴿٥٠﴾ «فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ بِمَا طَلَبْتَ، أَي: [إن] لم يأتوا بما طلبت، «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُفِطِرُ سَوَاءٌ مِمَّا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّكَ هَوًىً وَيَغْيِرُ مُدَى رَبِّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

﴿٥١﴾ «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ»، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

بيننا، قال القراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بينا لكفار مكة ما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**.

﴿الَّذِينَ آمَنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقيل من قبل القرآن، ﴿هُمْ يَدْعُونَ﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل
الذين قدموا من الحبشة وآمنوا
بالنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُقْوُونَ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل
الكتاب، أربعون من نجران، واثنان
وثلاثون من [أهل] الحبشة، وثمانية
من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

﴿وَلَدَا بَيْنَ عَلَيْهِمَا﴾، يعني
القرآن، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّنَا﴾.

وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، **«إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ نُسَلِّينَ»**، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّةً﴾،
لِإِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْكِتَابِ
الْآخِرِ، ﴿وَمَا صَبَرُوا﴾، عَلَى دِينِهِمْ،
قَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ اسْلَمُوا فَأَوْدُوا.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن
محمد السرخسي، أنا أبو علي
زاهر بن أحمد، أنا أبو عبد الله
محمد بن حفص الجويني، أنا
أحمد بن سعيد الدارمي، أنا عثمان،
أنا شعبة، عن صالح، عن الشعبي،
عن أبي بردة، عن أبي موسى
الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:
«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل
كانت له جارية فأذهبها فأحسن أدبها
ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل
الكتاب آمن بكتابه وآمن
بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله
ونصحه سيده».

قوله عز وجل: ﴿يَذَرُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، قال ابن عباس
 رضي الله عنهما: يدعون بشهادة أن
 لا إله إلا الله الشرك، قال مقاتل:
 يدعون ما سمعوا من الأذى والشتم
 من المشركين بالصفح والعفو
 والمغفرة، ﴿وَمَا رَفَقْتَهُمْ بِثِقُوتٍ﴾،
 في الطاعة.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ﴾، القبيح
من القول، ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، وذلك
أن المشركين كانوا يسمون مؤمنى

أهل الكتاب ويقولون تباً لكم تركتم دينكم، فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم، ﴿وَقَالُوا لَنَا دِينُنَا وَلَكُمْ دِينُكُمْ، سَلِّمْ عَلَيْهِمْ﴾، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة، معناه سلمتم منا لنُعَاوِضَكُمْ بِالشَّمِّ والقُبْحِ مِنَ الْقَوْلِ، ﴿لَا تَبْتَغِ الْغَيْبِينَ﴾، أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقرايته، ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَوَعَدُ اللَّهِ بِالْمُتَحَرِّينَ﴾، قال مجاهد ومقاتل: بمن قدر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تميزني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع، لأقررت بها عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَقَالُوا إِن نَّبْعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ
نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾، مكة.

نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة.

وهو معنى قوله: ﴿تُخَفِّفُ مِنْ أَثْقَالٍ﴾، والاختطاف: الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا مَائِيًّا﴾، وذلك أن

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَبِيٍّ وَفَتَحَ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَبَعَثْنَا
 اللَّهُ خَيْرَ الْبَنِيَّاءِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ آمَنَ وَعَدْنَاهُ عِدًّا حَسَنًا
 فَهُوَ لَقِيَهُ وَكُنْ مُنْفَعَتُهُ مِنَ الْجَنَّةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ الَّذِينَ
 كُتِرَتْ رَحْمَتُكَ ﴿٦٠﴾ قَالَ الَّذِينَ هُنَا حَقُّهُمُ الْقَوْلَ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَارَكَ الَّذِي
 يَمْدُدُ ﴿٦١﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَسَبَّحُوا
 لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ
 فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٣﴾ فَجِئْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا
 يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَمَّا مَنْ قَالُوكَ وَمَنْ يُجِيبُ
 صَلَاتِهِمْ فَمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِسِينَ ﴿٦٥﴾ وَذَلِكَ
 بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَمَنْ كَانُوا يَكْفُرُونَ فَهُمْ لَقِيَهُمْ وَمَنْ كَانُوا
 يَكْفُرُونَ فَهُمْ لَقِيَهُمْ وَمَنْ كَانُوا يَكْفُرُونَ فَهُمْ لَقِيَهُمْ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَالْآخِرَةُ وَالْأُولَى الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَالْآخِرَةُ وَالْأُولَى

والأشراف يسكنون
 المدائن، والمواضع التي
 هي أم ما حولها، ﴿يَلُوحَا﴾
 عليهم ما ينزلهم، قال
 مقاتل: يخبرهم الرسول
 أن العذاب نازل بهم إن لم
 يؤمنوا، ﴿وَمَا كُنَّا﴾
 مهلكي القسوة إلا وأعلمها
 ظالمون، مشركون،
 يريد أهلكهم بظلمهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَبِيٍّ وَفَتَحَ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَبَعَثْنَا اللَّهُ خَيْرَ الْبَنِيَّاءِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة
 القرءاء: «تعلقون» بالتاء وأبو عمرو
 بالخيار بين التاء والياء.

﴿آمَنَ وَعَدْنَاهُ عِدًّا حَسَنًا﴾
 أي الجنة، ﴿فَهُوَ لَقِيَهُ﴾، مصيبة
 ومدركه وصائر إليه، ﴿كُنْ مُنْفَعَتُهُ﴾
 من الجنة الدنيا، ويزول عن قريب
 ﴿فَمَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾،
 النار، قال قتادة: يعني المؤمن
 والكافر، قال مجاهد: نزلت في
 النبي ﷺ وأبي جهل.

وقال محمد بن كعب نزلت في
 حمزة وعلي وأبي جهل، وقال
 السدي: نزلت في عمار والوليد بن
 المغيرة.

﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ الَّذِينَ كُتِرَتْ رَحْمَتُكَ﴾، فسي
 الدنيا أنهم شركائي.

﴿قَالَ الَّذِينَ هُنَا حَقُّهُمُ الْقَوْلَ﴾،
 وجب عليهم العذاب وهم رؤوس

العرب في الجاهلية كانت تغير
 بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم
 بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث
 كانوا، لحرمة الحرم، ومن المعروف
 أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب
 والحمام من الحداق، ﴿يَجِيءُ﴾، قرأ
 أهل المدينة ويعقوب: «تجبي» بالتاء
 لأجل الشمرات، والآخرين بالياء
 للحائل بين الاسم المؤنث والفعل،
 أي يجلب ويجمع، ﴿إِلَيْكَ﴾، يقال:
 جيت الماء في الحوض أي جمعته،
 قال مقاتل: يحمل إلى الحرم،
 ﴿فَمَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾
 أَكْفَرَهُمْ لَا يَتْلُونَ، أن ما يقوله
 حق.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَتَلَكُمَا مِنْ قَرِينَةٍ﴾ أي من أهل قرية،
 ﴿بَطَرْتُمُوهَا﴾، أي فسي
 معيشتها، أي أشرت وطغت، قال
 عطاء: عاشوا في البطر فاكلوا
 رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿فَمَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:
 لم يسكنها إلا المسافرون وماز
 الطريق يوماً أو ساعة، معناه لم
 تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً.
 وقيل: معناه لم يعمر منها إلا أقالها
 وأكسرهما خراب، ﴿وَكَمْ أَتَلَكُمَا مِنَ الْقُرُونِ﴾، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرُونِ﴾،
 أي القرى الكافر أهلها، ﴿حَتَّى يَبْتُغِيَّ﴾
 في أممها رسولاً، يعني في أكبرها
 وأعظمها رسولاً [أي] ينزلهم،
 وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها،
 لأن الرسول يبعث إلى الأشراف،

الضلالة، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾،
 أي دعوناهم إلى الخي وهم الأشباع،
 ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾، أضلناهم كما
 ضللنا، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، منهم، ﴿مَا
 كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، برى بعضهم
 من بعض وصاروا أعداء، كما قاله
 تعالى: ﴿الْأَعْدَاءُ يَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُمْ﴾
 لبعض عدو، [الزخرف: ٦٧].

﴿وَقِيلَ﴾، للكفار، ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، أي الأصنام لتخلصكم من
 العذاب، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾،
 لم يجيبوهم، ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، وجواب «لو» محذوف
 على تقدير: لو أنهم كانوا يهتدون فيه
 الدنيا ما رأوا العذاب.

﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾، أي يسأل الله
 الكفار، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَجِئْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، خفيت

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مِنَ اللَّيْلِ عَذْرَاءٌ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِّنَ اللَّيْلِ عَذْرَاءٌ يَأْتِيكُمْ بِظِلٍّ تَشْكُرُونَ
فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٠﴾ وَتَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَآؤُلَا بَرهانُكُمْ فَمَكْمُلُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَلَهُ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَقْدِرُونَ ﴿٧١﴾ إِن قَدْ رُونَ كَاتٍ مِن قُورَيْشٍ وَقَبِيلٍ
عَلَيْهِمْ وَآيَاتُهُ مِّنَ الْكُتُبِ مَا إِن مَفَاحِمُهُ لَنَسُوا بِالْعَصْبَةِ
أُولَى الْقُوَّةِ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
﴿٧٢﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْتَغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ ﴿٧٣﴾

ويختار الله ما كان لهم
الخيرة، أي: يختار ما هو
الأصلح والخير. وقيل:
هو للنفي أي ليس إليهم
الاختيار، أو ليس لهم أن
يختاروا على الله كما قال
تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾
[الأحزاب: ٣٦]،
والخيرة: اسم من الاختيار
تقام مقام المصدر، وهي
اسم للمختار أيضاً كما
يقال: محمد خيرة الله من
خلقه، ثم نزه نفسه فقال:

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَعَمَلَكُمَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، يظهرون.

﴿وَقَوْلُ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، يحمده
أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في
الآخرة في الجنة، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾،

فصل القضاء بيني الخلق، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل
طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته
بالسقاء، ﴿وَالَّذِي تَرْجِعُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿قُلْ
أَرَأَيْتُمْ﴾، أخبروني يا أهل مكة، ﴿إِن
جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾،
دائماً، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، لا نهـاـز
معه، ﴿مِنَ اللَّيْلِ عَذْرَاءٌ يَأْتِيكُمْ
بِضِيَاءٍ﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة،
﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، سماع فهم
وقبول.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، أخبروني يا أهل
مكة، ﴿إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ
سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، لا ليل
فيه، ﴿مِنَ اللَّيْلِ عَذْرَاءٌ يَأْتِيكُمْ بِظِلٍّ
تَشْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾، ما
أنتم عليه من الخطأ.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، أي في الليل،
﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، بالنهار، ﴿وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾، نعم الله عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، كرر
ذكر النداء للمشركين لزيادة التقرير
والتوبيخ.

﴿وَتَرَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مِنَ
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولهم
الذي أرسل إليهم كما قال: ﴿فَكَيْفَ
إِذَا حُشِّنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾
[النساء: ٤١]، ﴿فَقُلْنَا هَآؤُلَا
بَرهانُكُمْ﴾، حجتكم بأن معي شريكاً.
﴿فَمَكْمُلُوا أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، التوحيد، ﴿لَهُ
وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ﴾، في
الدنيا.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِن قَدْ رُونَ
كَاتٍ مِن قُورَيْشٍ وَقَبِيلٍ
عَمَهُ، لَأنه قارون بن يصهر بن
قاهث بن لاري بن يعقوب عليه
السلام، وموسى بن عمران بن
قاهث.

وقال ابن إسحاق: كان قارون عم
موسى وكان أخا عمران، وهما ابنا
يصهر، ولم يكن في بني إسرائيل
أقرباً للتوراة من قارون، ولكنه نافق
كما نافق السامري، ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾،
قيل كان عاملاً لفرعون على بني
إسرائيل، فكان يبغى عليهم

واشتبهت، ﴿عَلَيْهِمُ الْأُنْيَاءُ﴾، أي
الأخبار والأعداء، وقال مجاهد:
الحجج، ﴿يَوْمِيذٍ﴾، فلا يكون لهم
عذر ولا حجة، ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾:
لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجون،
وقيل: يسكنون لا يسأل بعضهم
بعضاً.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَمَقَرَّ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾، من
السعداء الناجين.

﴿قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، نزلت هذه الآية
جواباً للمشركين حين قالوا: لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين
«عظيم» يعني: الوليد بن المغيرة، أو
عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله
تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم.
قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ
لِخِيَرَةٌ﴾، قيل: «ما» للإثبات، معناه:

ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال. وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقال شهر بن حوشب: زاد في طول ثيابه شبراً.

وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو، «وَمَا يَنْتَهُ مِنَ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ»

وهي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب، هذا قول قتادة ومجاهد

وجماعه، وقيل: مفاتيحه خزائنه، كما قال: «وَيَنْتَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ»

[الأنعام: ٥٩] أي خزائنه، «لَتَنْتَهُ» بِالْمُضِيِّ أَوَّلِي الْقُوَّةِ، لتثقلهم أي

وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب،

تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به

مثقلاً، واختلفوا في عدد العصبة، فقال مجاهد: ما بين العشرة إلى

خمس عشرة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين

الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل:

أربعون رجلاً. وقيل: سبعون.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يحمل مفاتيحه

أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال. وقال جرير عن منصور عن

خيشمة: قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً

ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز، ويقال: كان قارون أينما

ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من

خشب، فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول

الإصبع، وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين

بغلاً، «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ» [أي] قال لقارون قومه من

بني إسرائيل، «لَا تَفْرَحْ»، لا تبطر ولا تأسر ولا

تمرح، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ»، الأشريرين

الباطرين الذين لا يشكرون الله على ما

أعطاهم. ﴿٧٧﴾ «وَأَتَيْنَ فِيمَا

أَمْسَكَ اللَّهُ الذَّارِ الْآخِرَةَ» [أي] اطلب فيما أعطاك الله

من الأموال والنعمة والجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه

في رضا الله تعالى، «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»، قال مجاهد،

وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن

حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة. وقال السدي: بالصدقة

وصلة الرحم، وقال علي: لا تنس صحبتك [وقوتك] وشبابك وغناك أن

تطلب بها الآخرة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو الحسن أحمد بن

محمد بن شاذان، أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي، أنا

الحسين المروزي، أنا عبدالله بن المبارك، أنا جعفر بن برقان عن

زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ

لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل

المرءية»

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَّلَهُمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدَ أَهْلَكَ

مِنْ قَبْلِهِ، مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُدْرِكُهُنَّ الْمَوْتُ ﴿٧٨﴾ فَرَجَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ

فِي رَيْبِهِمْ قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَوْمُ لُوطَ لَوْلَا عِظْمُ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَبَلَغَكُمْ قَوَابِلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ ﴿٨٠﴾ لَحَسْبُنَا

يَوْمَ دِيَارِ الْأَرْضِ فَمَا كَانَ مِنْ مَقَرٍّ يَنْبَغِي وَيَوْمَئِذٍ دُونَ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا

مَكَانَهُمْ لَأَمْشِيَ بِهِمْ يَقُولُونَ نَكُنْ اللَّهُ يَسْطُرُ الزُّرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ حَافِيًا لَحَسْبُنَا

وَيَكُنْ لَكُمْ لَأَمْشِيَ بِهِمْ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ نَاكَ الذَّارِ الْآخِرَةَ فَبَعَثَهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

مِنْ جَنَّةٍ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالنَّفْسِ فَكَلا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّعْيَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٢٤٥]

خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل

فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك....

الحديث مرسل.

قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن

زاذان في قوله: «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال: قوتك وقوت

أهلك، «وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»، أي أحسن بطاعة الله كما

أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك،

«وَلَا تَبْغِ»، ولا تطلب، «الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ»، وكل من عصى الله فقد

طلب الفساد في الأرض، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ».

﴿٧٨﴾ «قَالَ»، يعني قارون، «إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي» أي على

ففضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره، وقيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِ عِثْرٌ﴾ بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْمُ أَنتَ اللَّهُ فَذَٰلِكَ مِنْ قَبْلِهِ مِمَّا قُورِنَ﴾، البكافرة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمًّا﴾، للأموال، ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ دُورِهِمْ أَلْمُتَرِثُونَ﴾، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم. وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقيع وتوبيخ.

﴿٧٩﴾ نَخْرَجُ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قال إبراهيم النخعي، خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر، وقال ابن زيد في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. وقال مجاهد: على براذين بيض عليها سرج الأرجوان. قال مقاتل: خرج على بغلة شهاء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلبي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب، ﴿قَالَ أَلْيَسَ لَكُمْ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيَّ لَنَا مِثْلَ مَا

أَوْفَكَ قَدَرُونَ إِنَّكُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، من المال. ﴿وَقَالَ أَلْيَسَ لَكُمْ أَوْفُوا بِالْعِلْمِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأخبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة، قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا. ﴿وَيَلَكُمُ الثَّوَابُ اللَّهُ خَيْرٌ﴾، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿لِمَنْ آمَنَ﴾، وصدق بتوحيد الله، ﴿وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾، مما أوتي قارون في الدنيا، ﴿وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الْمُتَكِبُونَ﴾، قال مقاتل: لا يؤتاها، يعني الأعمال الصالحة. وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله: ﴿ويلكم ثواب الله خير﴾ إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

﴿٨٠﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَقْنَا بِهِ يَدَارِيهِ الْأَرْضِ﴾.

قال أهل العلم بالأخبار: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقراهم للتوراة وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكروني به إذا نظروا إلى السماء، ويعلمون أنني منزل منها كلامي، فقال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً، فإن بني إسرائيل تحقر هذه الخيوط، فقال له ربه: يا موسى إن الصغير من أمري

ليس بصغير، فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، فدعاهم موسى عليه السلام وقال: إن الله يأمركم أن تجعلوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم، فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون، وهي رئاسة المذبح، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتتزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك في نفسه وأتى موسى فقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا، فقال له موسى: ما، أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له، فقال قارون: والله لا أصدقك حتى تريني بيانه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيكم، فحزمها وألقاها في قبه التي كان يعبد الله فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل قارون موسى باتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً

ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملا من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل فقال لهم: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجهشوا بفلانة البغي، فنجعل لها جعلاً حتى تقتذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعاها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طسباً من ذهب، وقيل: قال لها إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقتذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنههم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام [فيهم] فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة،

ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال: ادعوها فإن قالت، فهو كما قالت، فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها القسم وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق، وقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله ﷺ، فقالت: لا، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاعضب لي، فأوحى الله تعالى إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذت الأرض بأقدامهم. وفي رواية: كان [قارون] على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه

السلام في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله إلى موسى ما أخطأ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته.

وفي بعض الآثار: لا أصعب الأرض بعدك طوعاً لأحد. قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامته وجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِأَخِيهِ الْأَرْضَ﴾، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ فَتْوَى﴾، جماعة، ﴿يَتَضَرَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يمنعونه من الله، ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، من الممتنعين مما نزل به من الخسف.



﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَائِلَهُمْ بِآلَاتِنَا﴾، صار أولئك الذين تمتنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتنعمون على ذلك التمني، والعرب تعبر عن الصبرورة بأضحى وأمسى وأضحى تقول: أصبح فلان عالماً، وأضحى معدماً، وأمسى حزيناً، ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنْكَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد: ألم تعلم، وقال قتادة: ألم تر. قال الفراء: هي كلمة تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وذكر أنه

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴿٨٣﴾، أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين، وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿رَأَيْدَكَ إِلَى مَعَاوٍ﴾، إلى مكة، وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مجاهد، قال القتيبي: معاد الرجل: بلده، لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده، وذلك.

أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ إِلَهِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ رَأَيْدَكَ إِلَى مَعَاوٍ﴾ وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكة ولا مدينة. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لرأذك إلى معاد إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾، أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ إنك لفي ضلال، فقال الله عز وجل: قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، يعني المشركين ومعناه [الله] أعلم بالفرقين.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾، أي يوحى

بشأنه من عباده ويقدر، أي يوسع ويضيق، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾، قرأ حفص ويعقوب: بفتح الخاء والسين، وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿وَيَكَاذِبُونَ لَا يُلْقِي الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٨٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ فِي ظُلُمَاتٍ لَّهِ لَيْلٌ لَا يُبِيدُونَ ضَلُوكَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استكباراً عن الإيمان، وقال عطاء: «علوا» استطالة على الناس

وتهاوناً بهم. وقال الحسن: لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطان.

وعن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿وَلَا تَسَاءَلُوا﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. وقال ابن جريج ومقاتل: العمل بالمعاصي، ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾، أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه. وقال قتادة: الجنة للمتقين.

﴿٨٦﴾ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِي فَرَضَ

إِنَّ إِلَهِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَيْدَكَ إِلَى مَعَاوٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٣﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَذِّنْ لِلْكَافِرِينَ وَلَا تَكُونْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكُفْرُ وَالْيَهُودُ رُجُومٌ ﴿٨٦﴾ سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت، يعني أما تربته وراء البيت. وعن الحسن: أنه كلمة وقيل: هو تنبيه بمنزلة ألا وقال قطرب «ويك» بمعنى ويملك حذف اللام منه كما قال عترة:

ولقد شفى وأبرأ سقمها

قول الفوارس ويك عنتر أقدم أي ويملك، و«أن» منصوب بإضمار، واعلم أن الله، وقال الخليل: «وي» مفصولة من «كان» ومعناها التعجب، كما تقول وي لم فعلت ذلك! وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي! متندمين على ما سلف منهم، وكان معناه أظن ذلك وأقدره، كما تقول: كان الفرج قد أتاك، أي أظن ذلك وأقدره، ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ

إليك القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهْرًا لِلْكَافِرِينَ﴾، أي معيناً لهم على دينهم. وقال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين آبائه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه.

﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، يعني القرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنزَلْتَ إِلَيْكَ وَآدَعُ إِنَّ رَبَّكَ﴾، إلى معرفته وتوحيده، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّرِكَاءِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي: لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم.

﴿٨٨﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، أي إلا هو، وقيل: إلا ملكه، وقال أبو العالية: إلا ما أريد به وجهه، ﴿وَلَا أَلْحُكُمُ﴾، أي فصل القضاء، ﴿وَلَا لِيُؤْتِيَنَا اللَّهُ الْخَيْرَ فِي الْآخِرَةِ فَيَجْزِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ﴾.

سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿الْعَنَكَبُوتُ﴾ أَحَبُّ النَّاسِ، أظن الناس، ﴿أَن يَرْكَبُوا﴾، بغير اختبار ولا ابتلاء، ﴿أَن يَقُولُوا﴾، أي بأن يقولوا، ﴿أَمَّا وَهُمْ لَا

يَقْتُشِرُونَ﴾، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم؟ كلا لاختبرتهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية. قال الشعبي: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا يقبل منكم إقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فممنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله هاتين الآيتين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما [قال]: وأراد الناس الذين آمنوا بمكة: سلمة بن هشام، وعياش بن [أبي] ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر وغيرهم.

وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر، كان يعذب في الله عز وجل.

وقال مقاتل: نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر، كان أول قتل من المسلمين يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع أبواه وامراته فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يَقْتُشِرُونَ﴾ بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان، ثم فرض عليهم الصلاة، والزكاة، وسائر الشرائع، فشق على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾،

يعني الأنبياء والمؤمنين، فممنهم من نشر بالمشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في قولهم آمنا، ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، والله عليم بهم قيل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومته [الذي فيما نزله]، وقال مقاتل: فليرين الله. وقيل: ليميز الله كقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿١﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني الشرك، ﴿أَن يَسْفُتُوا﴾، يُعْجِزُونَا وَيُفْتَوِنَا، فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي بش ما حكموا حين ظنوا ذلك.

﴿٢﴾ ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: من كان يطمع في ثواب الله، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾. يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني يوم القيامة لكائن. ومعنى الآية أن من يخشى الله أو يأمله فليستعد له، وليعمل لذلك اليوم، كما قال: ﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١١] الآية، ﴿وَمَوْ السَّخِيبِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿٣﴾ ﴿وَمَن جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾، له ثوابه، والجهاد: هو

الصالحين، وهم الأنبياء والأولياء،
وقيل: في مدخل الصالحين، وهو
الجنة.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾،
أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ
فِتْنَةً الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ﴾، أي:
جعل أذى الناس وعذابهم
كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع
من عذاب الناس ولم يصبر عليه،
فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف
[من] عذابه، هذا قول السدي وابن
زيد، قالوا: هو المنافق: إذا أودى
في الله رجوع عن الدين فكفر، ﴿وَلَكِنْ
جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، أي فتح ودولة
للمؤمنين، ﴿يَقُولُونَ﴾، يعني هؤلاء
المنافقين للمؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا
مَعَكُمْ﴾، على عدوكم وكنا مسلمين
وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا،
فكذبهم الله فقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ
يَأْتِلُم بِمَا فِي صُدُورِ الْمُكَذِّبِينَ﴾، من
الإيمان والفاق.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾،
صدقوا فثبتوا على الإسلام عند
البلاء، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، بترك
الإسلام عند نزول البلاء. واختلفوا
في [سبب] نزول هذه الآية.

قال مجاهد: نزلت في ناس كانوا
يؤمنون بالسببهم فإذا أصابهم بلاء من
الناس أومصية في أنفسهم افتتوا.

وقال عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما: نزلت في الذين
أخرجهم المشركون معهم إلى
بدر، وهم الذين نزلت فيهم: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِبِينَ أَنفُسِهِمْ﴾
[النساء: ٩٧].

سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه وهو
سعد بن مالك [أبو]
إسحاق الزهري وأمه حمنة
بنت أبي سفيان بن
أمية بن عبد شمس لما
أسلم، وكان من السابقين
الأولين، وكان باراً بأمه
قالت له أمه: ما هذا الدين
الذي أحدثت؟ والله لا
أكل ولا أشرب حتى
ترجع إلى ما كنت عليه،
أو أموت فتعبر بذلك أبد
الدهر، فيقال: يا قاتل
أمه، ثم إنها مكثت يوماً
وليلة لم تاكل ولم تشرب

ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت
ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تاكل
ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال:
يا أماه لو كانت لك مائة نفس
فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني
فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما
أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله
تعالى هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه
والإحسان إليهما وأن لا تطعهما في
الشرك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ
جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تَطْعَمْهُمَا﴾.

وجاء في الحديث: «لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق»، ثم
أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إِنَّ
مَرْحَمَتَكُمْ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،
أخبركم بصلاح أعمالكم وسيثها
فأجازيكم عليها.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، في زمرة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَصَيَّنَّا الْإِنْسَانَ
بِإِلَهِهِ خُشْعًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تَطْعَمْهُمَا إِلَىٰ مَرْحَمَتِكُمْ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ يَقُولُ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ
قَوْمٍ إِذْ هُمُ كَذَّابُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

الصبر على الشدة، ويكون ذلك في
الحرب، وقد يكون على مخالفة
النفس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَنَفَىٰ عَنِ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾،
عن أعمالهم وعبادتهم.

﴿٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، لنبتليهم،
يعني: حتى يصير بمتزلة ما لم يعمل،
والتكفير: إذهاب السيئة بالحسنة،
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،
أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة،
وقيل: نعطيهم أكثر مما عملوا
وأحسن، كما قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّبَةِ
فَلَهُ عَشْرُ أَثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَصَيَّنَّا
الْإِنْسَانَ بِإِلَهِهِ خُشْعًا﴾، أي برأ بهما
وعطفاً عليهما، معناه ووصينا
الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن.

نزلت هذه الآية والتي في سورة
لقمان [١٤] والأحقاف [١٥] في

وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وقال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السورة مكية.

(٧) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم. وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، فذلك قوله: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر ومعناه جزاء، مجازة: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كقوله: ﴿تَلَّيْقُوا آلِيَّمْ وَإِسْطَاقِلْ﴾ [طه: ٣٩]، وقيل: هو جزم على الأمر، كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمَحْمُولِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

(٧) ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾، أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قوله عز وجل: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْثَانَهُمْ كَأَثْمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْثَانِ الَّذِينَ يُعَلِّقُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. ﴿وَلِيَسْتَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرَقُونَ﴾، سؤال توبيخ وتقرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَاكٍ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَنذَرْتَهُمُ الطُّوفَانَ﴾،

فغرقوا، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾،
قال ابن عباس: مشركون.
﴿١٥﴾ ﴿فَأَجْنَحْنُهُ وَاصْحَبْ
السَّفِينَةَ﴾، يعني من
الغرق، ﴿وَصَحَّحْنَا﴾،
يعني السفينة ﴿مَالِكٌ﴾، أي
عبدة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾، فإنها
كانت باقية على الجودي
مدة مديدة. وقيل: جعلنا
عقوبتهم للغرق عبرة [للمن
بعدهم]. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما: بعث
نوح لأربعين سنة وبقي في
قومه يدعوهم ألف سنة إلا
خمسين عاماً، وعاش بعد
الطوفان ستين سنة حتى

كثير الناس وفشوا، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة.

﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾،
 يَا وَارِثَنَا إِبْرَاهِيمَ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ، أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَخَافُوهُ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
 كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾.

(١٧) ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَشْوَاقًا﴾، ﴿وَتَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا أَصْنَامًا﴾، قال مجاهد: تصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها ألهة، ﴿إِن كُنتُم تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ رَيْفُكُمْ﴾، لا يقدرُونَ أن يرزقوكم، ﴿فَأَنذَرُوكُم﴾، فاطلبوا، ﴿عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾، ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾.

﴿۱۸﴾ ۞ وَلَئِنْ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ
أَمْرًا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ
وغيرهم فَأهلكوا، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

الحمد لله

الماء العذب

فَاجْتَنِبْهُ وَأَصْحَبْ السُّفَهَاءَ وَهَجَلْنَهَا يَا أَيْدِي الْعَالَمِينَ
 (١٥) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ قَالُوا لَقَوْمٌ آتَتْهُمُ الْغَلَمَةُ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَقْلُمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَقْبَلُونَهُنَّ
 مِنْ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَخْتَفُونَ إِنْ كُنَّ مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنَ
 ذُرِّيَةِ اللَّهِ لَا يُدْخِلُكُمْ فِيهِمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 وَآتَيْتُمُوهُ فَاسْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي تُوَسَّوْنَ (١٧) وَلَيْدَكُمُ الْوَيْلُ
 فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْثَرِينَ مِنْكُمْ وَمَعَ الْعُسُوفِ إِلَّا الْغُلَامُ
 الْيَتِيمُ (١٨) أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
 يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ مِثْرَابٌ الْأَرْضِ
 فَأَنْطَرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُهُمْ لِلْقِسْطِ الْأَخِيرَةِ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ وَيُرْسِلُ
 مَنْ يَشَاءُ وَالَّذِينَ تَقُولُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَتَذَكَّرُ اللَّهُ وَلَهُمْ آجِدُهُ
 أُولَئِكَ يَدْعُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

﴿۱۱﴾ اَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ
اَللّٰهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ اِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ اَللّٰهِ
يَسِيرٌ ۚ كَيْفَ يَخْلُقُهُمْ اِبْتَدَاءً نُّطْفَةً ثُمَّ
عَلَّقَهُ ثُمَّ مَضَعَهُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فِي
الْاٰخِرَةِ عِنْدَ الْبَعْثِ ﴿اِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ اَللّٰهِ
يَسِيرٌ﴾

﴿قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾
 كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فَمَنْظُرُوا إِلَى
 ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم،
 ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْفِثُ النَّشَأَ الْآخِرَةَ﴾، أي
 ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية
 بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها
 مبدأ لا يتعذر عليه إنشاؤها
 معيلاً، قرأ ابن كثير وأبو عمرو:
 «النشأة» بفتح الشين ممدودة حيث
 وقعت، وقرأ الآخرون يسكون الشين
 مقصورة نظيرها: الرافة والرافة، ﴿إِنَّ
 اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن﴾
يَشَاءُ وَلِلّٰهِ تَقَابُوسٌ ﴿٢٦﴾ ، تردون .

بَعْضُكُمْ بَعْضًا، تنبراً الأوثان من عابديها وتنبراً القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة، ﴿وَمَاؤُسُكُمْ﴾، جميعاً العابدون والمعبودون، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾.

﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ﴾، يعني صدقه، وهو أول من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه، (وقال) يعني إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾، فهاجر من كوثي، وهو من سواد الكوفة، إلى حران ثم إلى الشام، ومعه لوط وامراته سارة، وهو أول من هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْكَافِرُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ أُجُورًا﴾ في الدنيا، وهو النشاء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى مكانه في الجنة، ﴿وَاللَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَئِن الصَّالِحِينَ﴾، أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس مثل آدم ونوح.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَعَنُوا﴾﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: «أنكم» بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿لَتَأْتُنَّ الْفُجُورَةَ﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُنَّ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُنَّ السَّيْلَ﴾، وذلك أنهم

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿يَقَابِلَتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِ﴾ بالقرآن وبالبعث، ﴿أُولَئِكَ يَمْشُونَ مِنْ زُحْمٍ﴾، جثي، ﴿وَأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعَادٌ﴾، ﴿يَوْمَ﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جل ذكره:

﴿فَقَامَ كَانُ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتُلْقُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَهُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾، وجعلها عليه برداً وسلاماً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون.

﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم لقومه، ﴿إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب: «مود» رفعاً بلا تنوين، «بينكم» خفصاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي مودة بينكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة، وحفص: «مود» نصباً بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الباقون «مود» منصوبة منونة «بينكم» بالنصب، معناه إنكم [إنما] اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتُلْقُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَهُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَسُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ ﴿٢٣﴾ فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَمَا آتَيْنَاهُ أُجُورًا ﴿٢٥﴾ وَالدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَئِن الصَّالِحِينَ ﴿٢٦﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفُجُورَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَيُّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي كَادِكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، فإن قيل ما وجه قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع آدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء أراد من يمدحه ومن ينصره فأضمر «من»، يريد لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول الرجل [للرجل] لا يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة، أي ولا بالبصرة لو كان بها، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي.

كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمز بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم. وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء، **﴿وَتَأْتُونَ فِي تَكَوِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾**، السنادي، والندی، والمنتدي، مجلس القوم ومتحدثهم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي، أنا جدي لامي أبو الحسن المحمودي، أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، أن بشر بن معاذ حدثهم: أنا يزيد بن زريع، أنا حاتم بن أبي صغيرة، عن سيمك بن حرب، عن أبي صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن أم هانئ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: **﴿وَتَأْتُونَ فِي تَكَوِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾**، قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال: «كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون بهم».

وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولى به. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض بذلك، وقال القاسم بن محمد: كانوا يتضارطون في مجالسهم. وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم. وعن عبدالله بن سلام قال: كان يبيز بعضهم على بعض. وعن مكحول قال: كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل

الإزار، والصفير، والحذف، واللوطية، **﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾**، لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القباح، **﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾**، له استهزاء **﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**، أن العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

﴿وَقَالَ﴾، لوط، **﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾**، بتحقيق قولي في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾، من الله بإسحاق ويعقوب، **﴿قَالُوا﴾**

إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، **﴿إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**.

﴿وَقَالَ﴾، إبراهيم للرسول، **﴿إِنْ فِيهَا لُوطُ قَالُوا﴾**، قالت الملائكة: **﴿تَحْتَ أَغْلَرٍ بَيْنَ يَدَيْ لَتُنَجِّيَنَّهُ﴾**، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: **﴿لَتُنَجِّيَنَّهُ﴾** بالتخفيف، وقرأ الباقر بالتشديد، **﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**، أي الباقرين في العذاب.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، ظن أنهم من الإنس، **﴿يَوْمَ يَوْمٍ﴾**، [حزن بهم]، **﴿وَصَافَ بِهِمْ﴾**، بمجيئهم **﴿ذُرَّعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾**، من قومك علينا، **﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾**، بإهلاكنا إياهم، **﴿إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**، قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر،

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطُ قَالُوا تَحْتَ أَغْلَرٍ بَيْنَ يَدَيْ لَتُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَافِرِينَ بِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرَّعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ رَكَنَّا بَيْنَهَا آيَةً يَنْتَهِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ تَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَخَذُّهُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَكَذَآؤُنْمُودَ وَفَدَّيْنِ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزَكَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْلَاهُمْ فَضَدَّهُمْ هُنَّ السَّيْلُ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

ويعقوب: «مُنْجُونَكَ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، **﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾**، عذاباً، **﴿يَوْمَ السَّمَاءِ﴾**، قال مقاتل: الخسف والحصب، **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**.

﴿وَلَقَدْ رَكَنَّا بَيْنَهَا﴾، من قريات لوط، **﴿آيَةً يَنْتَهِ﴾**، عبرة ظاهرة، **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**، يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبغهاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً،

وَقَرُورٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَّكَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُرْسَلٌ
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ
﴿٣٨﴾ قُلْنَا أَخَذْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَفَّفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٩﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَكَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بِعَبَابٍ وَإِنْ أَرَأَيْتَ الَّتِي تَلْبَسُ الْعَنَكَبُوتُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤١﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ تَقْرِيبُهَا لِلتَّائِبِينَ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكِلِيُّونَ
﴿٤٢﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ أَتُلُّ مَا أُرِيَّتْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقْرَأَ الْفَصْلَةَ إِنَّ الْفَصْلَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٤﴾

الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿تَقْرِيبُهَا﴾، نبيها، ﴿لِلتَّائِبِينَ﴾، قال مقاتل لكفار مكة: ﴿وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكِلِيُّونَ﴾ أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أنا ابن برزة، أنا الحارث ابن أبي أسامة، أنا داود بن المخبّر، أنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ تَقْرِيبُهَا لِلتَّائِبِينَ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكِلِيُّونَ﴾، قال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

﴿٣٨﴾ قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أي للحق وإظهار الحق، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في خلقها، ﴿لَآيَةً﴾، لدلالة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على قدرته وتوحيده.

﴿٣٩﴾ ﴿أَتُلُّ مَا أُرِيَّتْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني القرآن، ﴿وَأَقْرَأَ الْفَصْلَةَ﴾، الفحشاء، ما قبح من الأعمال، والمنكر، ما لا يعرف في الشرع. قال ابن مسعود وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً.

وقال الحسن، وقتادة: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته ونال عليه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُرْسَلٌ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات، ﴿فَلَمَّا تَكَرَّرَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ﴾، أي فالتين من عذابنا.

﴿٣٩﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَكَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ﴾، وهم قوم لوط، و«الحاصب»: الريح التي تحمل الحصباء، وهي الحصى الصغار، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، يعني ثمود، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَفَّفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، يعني قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾،

يعني قوم نوح، وفرعون وقومه، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾، يعني: الأصنام يرجون نصرها ونفعها، ﴿كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبَابٍ﴾، لنفسها تاوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهاء، لا يدفع عنها حراً ولا برداً، فكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرراً. ﴿وَإِنْ أَرَأَيْتَ الَّتِي تَلْبَسُ الْعَنَكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قرأ أهل البصرة، وعاصم يدعون بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ الآخرون بالتاء.

﴿٤٢﴾ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْأَشْبَاهُ وَالْمَثَلُ﴾: كلام سائر يتضمن تشبيه

﴿فَقَالَ يَتْلُوهُمُ اتَّخَذُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي واخشوا اليوم الآخر، ﴿وَلَا تَتَّقُوا فِي الْأَرْضِ مُتَّبِعِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جثثين﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾، أي وأهلكنا عاداً وثموداً، ﴿وَقَدْ تَبَيَّرَ لَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿وَمِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿وَوَرَزَتْ لَهُمُ النَّجِطَلُ أَغْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [أي] عن سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُتَّبِعِينَ﴾.

قال مقاتل، والكلبي، وقتادة: كانوا معجبيين في دينهم وضلالهم، يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر.

﴿٤٥﴾ ﴿وَقَرُورٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَّكَ﴾، أي وأهلكنا هؤلاء،

وروي عن أنس قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبته، فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال: «إن صلاته تنهاه يوماً» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوماً».

وقال ابن عون: معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي بقراءتك. وقيل: أراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق، قال: «ستنها قراءته».

وفي رواية قيل: يا رسول الله إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لثردعه».

قوله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي ذكر الله أفضل الطاعات.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران ببغداد، أنا أبو علي الحسين بن صفوان البرادعي، أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، أنا هارون بن

معروف، أنا أبو علي الضريير، أنا أنس بن عياض، ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن أبي بحرثة، عن أبي الدرداء رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك [يا رسول الله] قال: «ذكر الله».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا [أبو] منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو الأسود، أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي السمح، عن [أبي] الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ [أنه] سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً» فقالوا: يا رسول الله و[من] الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً، لكان الذاكر لله كثيراً أفضل منه درجة».

وروي أن أعرابياً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن

سفيان، أنا مسلم بن الحجاج القشيري، أنا أمية بن بسطام العيشي، أنا يزيد بن زريع، أنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ علي جهل يقال له جُمندان، فقال: «سيروا هذا جُمندان سيق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً والذاكرات».

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا خلاد بن أسلم، ثنا النضر، أنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال قوم: معنى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي «ذكر الله إيساكم أفضل من ذكركم إياه». ويروي ذلك عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة.

ويروي ذلك مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وقال عطاء في قوله: ﴿إِنَّ أَكْبَرُ الْمَشْكُورَةِ تَنْعَنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية. ﴿وَاللَّهُ

وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقاً لم تكذبوه.

(٤٧) قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ فالذين آمنوا بهم الكتاب يؤمنون به، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾، يعني أهل مكة، ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، وهم مؤمنو أهل مكة، ﴿وَمَا يَحْمَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحداوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

(٤٨) ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو﴾، يا محمد، ﴿مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾، يعني من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب، ﴿وَلَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، يعني ولا تكتب قبل يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿إِذَا لَازَمَتِ الْمُبْطِلُونَ﴾، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤوه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: «المبطلون» هم اليهود، ومعناه: إذا لشكوا فيك واتهموك، وقالوا إن الذي نجد نعتة في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

(٤٩) ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، قال الحسن يعني القرآن آيات بينات، ﴿فِي صُورِ الْكِتَابِ أَتَوْا أُمْلَةً﴾، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما

ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، ﴿وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَمْ سُئِلُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا عثمان بن عمر، أنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب

يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا» وما أنزل إليكم.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري، أنا ابن أبي نملة الأنصاري، أن أباه أبا نملة الأنصاري أخبره: أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من اليهود ومزمجنازة، فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم،

وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَمْ سُئِلُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِمِثْلِكَ إِذَا لَازَمَتِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الْكِتَابِ أَتَوْا أُمْلَةً وَمَا يَحْمَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾

يَعْلَمُ مَا تَصْعَوْنَ»، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

(٥٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، لا تخاصموهم، ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي: أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية إلا الذين ظلموكم، لأن جميعهم ظالم بالكفر. وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: ﴿فَتِلْكَ الْأَيَاتُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]. ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يريد إذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوه عليه،

كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، ﴿ثُمَّ إِنَّا رُجِعُوهُمْ﴾، فنجزيتكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: «يرجعون» بالياء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، بالثاء ساكنة من غير همز، يقال: ثوى الرجل إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وتشديد الزاو وهمزة بعدها أي لننزلنهم، ﴿بَيْنَ الْجَنَّةِ نَافَاً﴾، علالي، ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَفْتَحُونَ أَبْوَابَ الْمَعْلِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم، ﴿وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، يعتمدون.

﴿وَكُلٌّ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: «كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟» فأنزل الله: ﴿وَكُلٌّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ ذات حاجة إلى غداء، ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطيور، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، حيث كنتم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لأقوالكم: لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم، وقال سفيان عن علي بن الأقرم: «وكأين من دابة لا تحمل رزقها»، قال: لا تدخر شيئاً لغد. قال سفيان: وليس شيء من

خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة.

أخبرنا [أبو سعيد] أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني أبو عبدالله الحسين بن محمد الثقفي، أنا عبدالله بن عبدالرحمن الدقاق، أنا محمد بن عبدالعزيز، أنا إسماعيل بن زرارَةَ الرقي، أنا أبو العطف الجراح بن منهال، عن الزهري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ حائطاً من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: «كل يا ابن عمر»، قلت: لا أشتهيها يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه»، وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاماً ولم أجده، فقلت إنا لله، الله المستعان، قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقبصر أضعافاً مضاعفة، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عمّرت وبقيت في حثالة من الناس يخبثون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت هذه الآية: ﴿وَكُلٌّ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أنا أبو العباس السراج، أنا قتيبة بن سعيد، أنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، أن النبي ﷺ: كان لا يدخر شيئاً لغد.

وروي أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله

لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً».

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبدالله الملك المظفري، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، أنا أبو نصر بن حمدويه المطوعي، أنا أبو الموجه محمد بن عمرو، أنا عبدان عن أبي حمزة عن إسماعيل هو ابن أبي خالد، عن رجلين أحدهما زيد اليامي، عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته».

وقال هشيم عن إسماعيل بن زيد [اليامي] عن أخبره عن ابن مسعود.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾، يعني كفار مكة، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنْ يَوْكُلُونَ﴾.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَ عِلْمٍ.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

فِي آدَنَ الْأَرْضِ»، سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون.

أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم، لأن أهل فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس، لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليها رجلاً يقال له شهريراز، وبعث قيصر جيشاً [وأمر] عليهم رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا فوالله ليظهرن على فارس على ما أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال: كذبت، فقال: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أناجيك عليه، والمناجبة: المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت إنما

البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماذه في الأجل»، فخرج أبو بكر ولقي أبيّاً، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا، فتعال أزايدك في الخطر وأماذك في الأجل، فاجعلها مائة قلووس ومائة قلووس إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، قال: قد فعلت، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أنه فلزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلًا، فكفل له ابنه عبدالله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أنه عبدالله بن أبي بكر فلزمه، فقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلًا، فأعطاه كفيلًا، ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرّحه رسول الله ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجبته. وقيل: كان يوم بدر.

وقال الشعبي: لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناجبة بين أهل مكة، وفيها صاحب قمارهم أبي بن خلف، والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار، حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداخن وبنوا الرومية فقام أبو بكر أبيّاً وأخذ مال الخطر من ورثته، فجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «تصدق به».

وكان سبب غلبة الروم فارساً على ما قال عكرمة وغيره: أن شهريراز بعدما غلبت الروم لم يزل يطأهم

ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، فبينما أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب إذ قال لأصحابه: لقد رأيت كائني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهريراز إذا أتاك كتابي [هذا] فابعث إلي برأس فرخان، فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان إن له نكاية وصوتاً في العدو، فلا تفعل البتة، فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل عليّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس أني قد نزعنا عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان الملك، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل شهريراز، وقال: إذا ولى فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه، فلما قرأ شهريراز، الكتاب قال سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان ورفع إليه الصحيفة [فلما قرأها] قال اتنوني بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه، فقال: لا تعجل علي حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد، فرد الملك إلى أخيه، وكتب شهريراز إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف، فألقني، ولا تلقني إلا في خمسين رومياً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق، وخاف أن يكون قد مكر به حتى أنه عيونه

وَعَدَ اللَّهُ لَإِيحْيِيَنَّ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لَأُولِي الْبَاقِ وَالْحَقُّ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَلَئِنْ كَثُرُوا فِي النَّاسِ لِيُقَآيَ بِهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَنَعَّمُوا عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَصَوْهَا وَمَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلَّوهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْزَؤُوا أَنَّهُمْ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَأَكْفَرُوا بِهَا يَسْتَفْزِعُونَ ﴿٦﴾ اللَّهُ يَذَرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِطُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا يُشْرِكُونَ كُفْرَهُمْ ﴿٩﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِطُ يُفْقَرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا الْآزِفَةُ ؕ أَمَّا نِوَا وَمَحِلُّوهُ الصَّلَاحِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١١﴾

ومعنى الآية: الم، غلبت الروم فارساً في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبون يغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والاول اصح وهو قول اكثر المفسرين. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَيُؤَيِّدُ﴾ من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فاي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. ﴿وَيَوْمَ يُنْفِخُ﴾ يَفْخُ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿يَنْصُرُ مَن يَكُنْهُ وَهُوَ الْمُعِزُّ﴾، الغالب، ﴿الزَّحِيَّةُ﴾، بالمؤمنين.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾، نصّب على المصدر أي: وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس، ﴿لَا يَحْطِلُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَسْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرّون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، وقال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطيء وهو لا يحسن أن يصلي ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، ساهون عنها جاهلون

أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً، ثم بسط لهما فالتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، ومع كل واحد منهما سكين، فدعوا بترجمان بينهما، فقال شهريراز: إن الذين خربوا مدائنك، أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعهنا جميعاً فنحن نقاتله معك، قال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان معاً بسكينهما، فأديلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم، ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومن معه [بذلك] فلذلك قوله عز وجل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ يَوْمَ تَفُتُّ الْأَرْضُ﴾.

أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿وَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَدِينَةٍ﴾، أي الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿سَيَقْلِبُونَهُ﴾، فارساً.

﴿فِي بُضْعِ سِنِينَ﴾، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، [وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع]. وقيل: ما دون العشرة. وقرأ عبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غلبت» بفتح الغين واللام، «سيغلبون» بضم الياء ويفتح اللام، وقالوا نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارساً،

بها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، أي لوقت معلوم إذا انتهت إليه فنية، وهو [يوم] القيامة، ﴿وَلَئِنْ كَثُرُوا فِي النَّاسِ لِيُقَآيَ بِهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَنَعَّمُوا عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَصَوْهَا﴾، حرقوها وقلبوها للزراعة، أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، ﴿وَمَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿فَمَا

من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع أهل سبع سموات صلاتهم وتسيحهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي البعث يوم القيامة، ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ أي سبحوا الله و[قل] معناه صلوا لله، ﴿وَعِشْيَا وَرَبِّهِمْ﴾ أي تدخلون في المساء، وهو صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَرَبِّهِمْ فَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ أي تدخلون في الصباح، وهو صلاة الصبح.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له، ﴿وَعِشْيَا﴾ أي صلوا لله عشياً يعني صلاة العصر، ﴿وَرَبِّهِمْ تَطْهَرُونَ﴾، تدخلون في الظهيرة وهو الظهر، قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقبتها.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن شمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله ويحمده [في كل يوم] مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زيد البحر».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش

ثم يعيدهم بعد الموت أحياء، ولم يقل يعيدهم، رده إلى الخلق، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيجزئهم بأعمالهم، قرأ أبو عمرو وأبو بكر: «يرجعون» بالياء والآخرين بالثاء.

﴿١٩﴾ ﴿وَبِوَيْمٍ وَقُومِ النَّعَاطَةِ يَلِيشُ الْمُتَّبِعُونَ﴾، قال قتادة، والكلبي: ييأس المشركون من كل خير. وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. وقال مجاهد: يفتضحون.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾، جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

﴿٢١﴾ ﴿وَبِوَيْمٍ وَقُومِ النَّعَاطَةِ يَوْمَ يُنْفَرُونَ﴾، أي يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً.

﴿٢٢﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة، ﴿يُخَبَّرُونَ﴾، قال ابن عباس: يكرمون. وقال مجاهد وقاتادة: يُثَمِّمُونَ. وقال أبو عبيدة يسرون، والحيرة السرور، وقيل: «الحيرة» في اللغة، كل نعمة حسنة، والتحجير التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: تحيرون هو السماع في الجنة. وقال الأوزاعي: إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، وقال: ليس أحد

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٧﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبِّهِمْ فَسُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَرَبِّهِمْ تَطْهَرُونَ ﴿١٩﴾ خُجِرَ النَّعَى مِنَ اللَّيْلِ وَخُجِرَ اللَّيْلِ مِنَ النَّعَى وَخُجِرَ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ ءَايَتُهُ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ ءَايَتُهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ ءَايَتُهُ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ النَّبِيَّكُمْ وَأَوَّلِيكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ ءَايَتُهُ مَنَاسِكُ بِالْبَيْتِ وَالنَّهَارِ وَأَنْبَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَنْ ءَايَتُهُ يُرِيكُمْ الْغَيْبَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾

كان الله ليظلمهم، بنقص حقوقهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، يبخس حقوقهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْزَأُوا﴾ أي أساءوا العمل، «الشؤاؤا»، يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: «السؤاى» اسم لجهنم كما أن «الحسنى» اسم للجنة، «أن كَذَّبُوا»، أي لأن كذبوا، وقيل تفسير «السوء» ما بعده، وهو قوله «أن كذبوا» يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿وَيَايَتِ اللَّهِ وَكَاوُا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: «عاقبة» بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُم﴾، أي يخلقهم ابتداءً

الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، ثنا السري بن خزيمة الأبيوردي، ثنا المعلى بن سعد، أنا عبد العزيز بن المختار، عن سهيل، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله، ويحمده مائة، مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد [عليه]».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة بن
سعيد، أنا محمد بن فضيل، أنا
عمارة بن الققعاق عن أبي زرعة،
عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيلتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان
حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا
أبو منصور محمد بن محمد بن
سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن
أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا
حميد بن زنجويه، أنا علي بن
المديني، أنا ابن عيينة عن محمد بن
عبدالرحمن مولى آل طلحة قال:
سمعت كريماً أبا رشدين يحدث عن
ابن عباس عن جويرية بنت
الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ
خرج ذات غداة من عندها وكان
اسمها بزة فحوّله رسول الله ﷺ
وسماها جويرية، وكره أن يقال خرج
من عند برة، فخرج وهي في

المسجد ورجع بعدما
تعالى النهار. فقال: ما
زلت في مجلسك هذا منذ
خرجتُ بعد؟ قالت:
نعم، فقال: «لقد قلتُ
بَعْدَكَ أربع كلمات ثلاث
مرات لو [وزنت
بكلماتك] لوزنتهنَّ:
سبحان الله ويحمده عددُ
خلقه، ورضاء نفسه، وزيَّةُ
عرشه، ومدادُ كلماته».

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، قرا حمزة

والكسائي. «تُخْرِجُونَ» بفتح التاء
 وضم الراء، وقرأ الباقر بنضم التاء
 وفتح الراء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَبِهُونَ﴾، تنبسطون في الأرض.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق حواء من ضلع آدم، ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتواذان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾، في عظمة الله وقدرته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ
وَالْأَرْضِ وَخِلَافُ السِّنِّكُمْ﴾، يعني
اختلاف اللغات من العربية والعجمية

شركة الترفيز

المجلة الإسلامية والعربية

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ وَلَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَعْنَةٌ كُلَّمَا قِيلَ نَبِّئُونَا بِآيَاتِ اللَّهِ قَالُوا هِيَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا أَتَبَّرُ لَوِيضَتُنَا وَإِنَّكُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى خَلْقِهِ فَيُصَوِّدُهُمْ وَأَمَّا هُوَ فَعُورٌ عَلَيْهِ لَوْنٌ مِثْلُ لَوْنِ الْخَلْقِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ثُمَّ لَا تَكُونُونَ لَهُمْ سَائِدِينَ كَمَا كُنْتُمْ سَائِدِينَ بَلْ أَتَعْبَ الْأَبْدَانُ ظَلَمُوا أَحْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ ﴿١٨﴾ وَأَقْرَبُ بِهِمُ لِلَّذِينَ خِيفَ إِنْ فطَرَ اللَّهُ أَلْفَ فِطْرٍ النَّاسُ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ لِيُذِلَّ لِرِجَالٍ اللَّهُ ذَالِكِ الْبَإْسُ الْفَتِيرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَاثْقُوا وَأَقْبِلُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا قُرْآنًا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلٌّ فِي حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢١﴾

3.7

وغيرهما، ﴿وَالْوَيْحَةُ﴾، أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، قرأ حفص: «للعالمين» بكسر اللام.

﴿٣٣﴾ وَمِنْ مَنَاسِكُمْ بِإِثْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، أَي
مَنَامِكُمْ بِاللَّيْلِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ
بِالنَّهَارِ أَيِ تَصَرُّفِكُمْ فِي طَلَبِ
الْمَعِيشَةِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سَمَاعٌ تَدَبَّرَ
واعتبار.

﴿٢٤﴾ وَمَنْ أَعْيَيْنَهُ يُبَيِّنْكُمْ الْآيَاتِ
خَوَافًا، لِلْمَسَافِرِ مِنَ الصَّوَاعِقِ،
﴿وَطَمَعًا﴾، لِلْمَقِيمِ فِي الْمَطَرِ.
﴿وَيُرِيدُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْخِلُ بِهِ﴾،
يعني بالمطر، ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾،
أي بعد يبسها وجذوبتها، ﴿إِن فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

﴿٢٦﴾ ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الشرك، ﴿يَغْتَرِ عَلَيْهِمْ﴾، جهلاً بما يجب عليهم، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، أي أضله الله، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَقْوَ وَهَيْكَلِ لِلَّذِينَ﴾، أي أخلص دينك الله، قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه: إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان، ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده، ﴿حَنِيفًا﴾، مثلاً مستقيماً عليه، ﴿فَظَرَّتْ أَلْوَهُ﴾، دين الله وهو نصب على الإغراء، أي إلزم فطرة الله، ﴿أَلَنِي فَظَرَّ النَّاسَ عَلَيَّهَا﴾، أي خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة: الدين، وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن [محمد بن] محمش الزياي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُؤَلَّدُ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانَهُ أَوْ نَصْرَانَهُ أَوْ يُمَجْسَانَهُ كَمَا تَنْتَجُونَ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءِ حَتَّى تَكُونُوا

مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء، وهذا معنى رواية ابن حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، أي الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثله شيء، وقال قتادة هي أنه لا إله إلا الله هو ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في خلقه.

﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي بين لكم شياً بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي عبيدكم وإمائكم، ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾، من المال، ﴿فَأَنْتُمْ﴾، وهم، ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي [فيما] شرع [سواء] أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيتكم، ﴿تَغْفُلُونَ عَنْ كَيْفِيَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: تخافون أن يشارككم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمره، وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يجب أن ينفرد به.

قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من مماليتكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي؟ ومعنى قوله: ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار كقوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأمثالهم، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ

وَالْأَرْضَ بِأَمْرٍ﴾. قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةُ مِنَ الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: من القبور، ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، منها، وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَاتِلُونَ﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً. وعن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾، قال الربيع بن خيثم، والحسن وقاتدة، والكلبي: أي: هو حين عليه وما شيء عليه بعزير، وهو [في] رواية العوفي عن ابن عباس، وقد يجيء أفعّل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
أي عريضة طويلة. وقال مجاهد وعكرمة: «وهو أهون عليه» أي أيسر، ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندكم. وقيل: هو أهون عليه، أي: على الخلق، يقومون بصيحة واحدة، فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً ثم

أنتم تجدعونها»، قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ورواه الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير، وزاد: ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرِ النَّاسِ عَلَيْهِ﴾.

قوله: «من يولد يولد على الفطرة» يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار، وهو الخيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره، كما قال تعالى: ﴿وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]،

وقالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل، ألا ترى أنه يقول: «فأبواه يهودانه»، فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم».

ويحكي [معنى] هذا عن الأوزاعي وحماد بن سلمة. وحكي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته، أي على خلقته التي جُبل عليها في علم الله تعالى من السعادة أو الشقاوة، فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها [وعامل]

في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه - لشقائه - على اعتقاد دينهما، وقيل: معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات

النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتد غيره، ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى وأتباعهم لأبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة، ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه. قوله: ﴿لَا يُبْدِلْ يَخْلَقِ اللَّهُ﴾ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، فهو خبر بمعنى النهي، أي لا تبدلوا دين الله، قاله مجاهد وإبراهيم، ومعنى الآية الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك، ﴿ذَلِكَ أَلِيبُ الْآلِيبِ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل لا تبديل لخلق الله أي: ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة لا يبدل، فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً. وقال عكرمة

وإذا مسَّ النَّاسَ ضَرْعٌ دَعَوْهُمْ مُبِينٌ إِلَيْهِمْ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرَّقَ مِنْهُمْ رِيحٌ يَشْرُكُونَ ﴿٣١﴾ يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَمَتَعُوا فَسَوْفَ يَكْفُلُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ أَزْنَانَا ظَالِمَةٌ لَّهُنَّ سُلْطَانًا فَهَبْ نَحْنُ بِمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَوْمَ فَتْمَتِ الْيَوْمِ إِذَا هُمْ يَقْطِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ فَاتَّخَذَ الْأَقْرَبِيُّ حَقْبَهُ وَالْمُسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ حَبْرِ اللَّيْلِ يُرِيدُونَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَتَيْتُمُوهَا رَبَّاءُ لِيَرْبُوا فِي أُمُورِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُمُوهَا رُكُونًا تَرْبُدُونَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَلَئِكَ هُمُ الْمُضْمِرُونَ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُجْعَلُكُمْ مَكَلًا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَقُولُ مِنَ الَّذِينَ مِنْ شَيْءٍ حَبْرٌ حَبْرٌ وَقَدْ نَلَّ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾

٤٠٨

ومجاهد: معناه تحريم إخصاء البهائم.

﴿مُبِينٌ﴾ أي: فاقم وجهك أنت وأمتك مبينين إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿مُبِينٌ إِلَيْهِ﴾، أي: راجعين إليه بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة، ﴿وَأَقْبُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿مِنْ أَلْيَتِ الْوَيْتِ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، ﴿كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أي راضون بما عندهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضَرْعٌ﴾، فحط وشدة، ﴿دَعَوْهُمْ مُبِينٌ إِلَيْهِ﴾، مقبلين إليه بالدعاء، ﴿يَوْمَ فَتْمَتِ الْيَوْمِ﴾، خصباً

ونعمة، ﴿إِذَا فِرَيقٌ مِّنْهُمْ يَرْيَهُم بِئْرُكُونَ﴾.

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿فَتَسْمَوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، حالكم في الآخرة.

﴿أَمْ أُنِزَّلْنَا عَلَيْهِمْ شَاطِئًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حجة وعذراء، وقال قتادة: كتاباً، ﴿فَهُوَ يَنْكَلِمُ﴾، ينطق، ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكُونُونَ﴾، أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾، أي الخصب وكثرة المطر، ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾، يعني فرح البطر، ﴿وَكَانَ ضُجْبُهُمْ سَيْئَةً﴾، أي: الجذب وقلة المطر، ويقال الخوف والبلاء ﴿بِمَا قَدَّمْتَأْيُسُونَ﴾، من السيئات، ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾، يياسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقَرْيَةِ حَتَّىٰ﴾، من البر والصلة، ﴿وَالْيَسِيرِينَ﴾، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿وَأَنَّ السَّيْلَ﴾، يعني المسافر، وقيل: هو الضيف، ﴿ذَلِكَ حَتَّىٰ لِلْيَتِيمِ يُرِيدُونَ رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَا مِنْ رِّبَا﴾، قرأ ابن كثير: «أنيتم» مقصوراً، وقرأ الآخرون بالمد، أي

أعطيتهم، ومن قصر فمعناه: ما جئتم من ربا، ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما تقول: أتيت خطئاً، وأتيت صواباً، فهو يؤول في المعنى إلى قول من مد: ﴿لِيَرْبُوا فِي أُمُورِ النَّاسِ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي: لتربوا أنتم وتصبروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فَلَا يَرَوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾، في أموال الناس أي: في اختطاف أموال الناس واجتذابها.

واختلفوا في معنى الآية.

فقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وطاوس، وقاتدة، والضحاك، وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيب أكثر منها فهذا جائز حلال، ولكن لا يشاب عليه في القيامة، وهو معنى قوله عز وجل ﴿فَلَا يَرَوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَنَزَّكِرْ﴾ [المذثر: ٦]، أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله.

وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لوجه الله، فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى، ﴿وَمَا ءَاتَيْنَا مِنْ رَّكَزَةٍ﴾، أعطيتهم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ فَاتَّوَلَّيْتُمْ هُمُ الْمُضِلُّونَ﴾، يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة

عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمونون، إذا هزلت أو سمت إبلهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُسْخِطُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَٰذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَقُولُ مَن ذَٰلِكُمْ مَن شِئْءٍ سَخِطْنَاهُ وَقَالَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات، وأراد بالبر البوادي والمفاوز، وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمي المصر بحراً، تقول: أجذب البر وانقطعت مادة البحر، ﴿بِمَا كَسَبَتْ آيَاتِي النَّاسِ﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، وقال عطية وغيره: «البر» ظهر الأرض من الأمصار وغيرها، «البحر» هو البحر المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلوا أجواف الأصناف [لأن الصدف] إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤاً، وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: الفساد في البر: قتل أحد ابني آدم أخاه، وفي البحر: غصب الملك الجائر السفينة، وقال الضحاك: كانت الأرض خضرة مونة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة، وكان ماء البحر عذباً وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم، فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زعافاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً.

قال قتادة: هذا قبل مبعث النبي ﷺ، امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، فلما بعث الله محمداً ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي، يعني كفار مكة، ﴿لِيَذِبْنَهُمْ بِعَصَى آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

﴿ثُمَّ يَرَوْنَهُ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ شُرَكَّاءَ﴾، فأهلكوا بكفرهم.

﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَبِيرِ﴾، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني يوم القيامة، لا يقدر أحد على رده من الله، ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ بَصْعَةً مِّن يَدَيْهِ﴾، أي: يتفرقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، أي ويسال كفره، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِ يَمْهَدُونَ﴾، يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ بُمِثْرَتِهِ﴾، تبشر بالمطر، ﴿وَلِيَذِيقَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ نِعْمَةَ الْمَطَرِ وَهِيَ الْخَصْبُ﴾، ﴿وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْبَحْرَ فِي الْبَحْرِ﴾، بهذه الرياح، ﴿بِأَمْرِهِ يُنْفِثُ السَّحَابَ﴾، ولتطلبوا

من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات الواضحات على صدقهم، ﴿فَانْتَفَيْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، عذبنا الذين كذبوهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وإنجاؤهم من العذاب، ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العقابة والنصر على الأعداء، قال الحسن: أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا أحمد بن زنجويه، أنا أبو شيخ الحراني، أنا موسى بن أعين عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يرذ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرذ عنه نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا﴾، أي ينشره، ﴿فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء، ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كَيْفًا﴾، قطعاً متفرقة،

﴿فَلْيَسِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، كان أكثرهم شركيين ﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَبِيرِ﴾، قبل أن يأتي بوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِ يَمْهَدُونَ﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ بُمِثْرَتِهِ وَلِيَذِيقَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ نِعْمَةَ الْمَطَرِ وَهِيَ الْخَصْبُ﴾، ﴿وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْبَحْرَ فِي الْبَحْرِ﴾، ﴿بِأَمْرِهِ يُنْفِثُ السَّحَابَ﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَفَيْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كَيْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ شَأْنِهِ مِنْ عِبَادِهِ فَإِذَا هُمْ يَنْسُتَبِرُونَ﴾، ﴿وَلَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِهِ أَمْرٌ يُفْعَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلَلِينَ﴾، ﴿فَنَنْظُرُ إِلَى مَأْتَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُسَيِّئٌ مُّؤْتَى﴾، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾، المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾، وسطه، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسْقَطُ﴾، أي السودق، ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ إِذَا هُمُ يَسْتَبَرُونَ﴾، يفرحون بالمطر.

﴿وَلَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِهِ أَمْرٌ يُفْعَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلَلِينَ﴾، أي آيسين، قيل: وإن كانوا أي وما كانوا إلا مبلسين، وأعاد قوله «من قبله» تأكيداً، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر والثانية إلى إنشاء السحاب.

وفي حرف عبدالله بن مسعود: «وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين»، غير مكرر.

﴿فَنَنْظُرُ إِلَى مَأْتَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾، هكذا قرأ أهل الحجاز، والبصرة، وأبو بكر، وقرأ الآخرون: «إلى آثار رحمة الله»، على الجمع، أراد برحمة الله: المطر، أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، قال

لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿يُفَكِّكُنَّ﴾ أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور، وقيل: «في كتاب الله» أي «في حكم الله»، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين [أوتوا العلم] في كتاب الله والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم البعث، يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرأوا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ رِزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أي: قالوا للمنكرين لقد لبثتم، «إلى يوم البعث فهكذا يوم البعث»، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، «وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل:

﴿قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدَرَتُهُمْ﴾، يعني عذرهم، «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»، لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة، قرأ أهل الكوفة: «لا ينفع» بالياء ههنا وفي «حتم» المؤمن [وافق نافع في حم المؤمن]، وقرأ الباقر بالناء فيهما.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَسَّتْهُمُ بَيَاتِهِمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَشْتَرْنَا إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾، ما أنتم إلا على باطل.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا

ضَلَّلْنَاهُمْ إِنْ شِئْتَ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَفْسٍ﴾، قرىء بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة، يريد من ذي ضعف، أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ خَلَقْنَا مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، «ثم جعل من بعد ضعف قوة» أي من بعد ضعف الطفولة شباباً وهو وقت القوة،

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [هرماً] «وشيبةً يخلق ما يشاء»، من الضعف والقوة والشباب والشيخية، «وهو ألعليش»، بتدبير خلقه، «ألفديش»، على ما يشاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يحلف المشركون، «ما لبثوا»، في الدنيا، «غير ساعة» إلا ساعة، استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَكُونُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُفَكِّكُونَ﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا.

قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا بِحَافِرِهِ مُمْضِرًا أَطْلُوهَا مِنْ بَعْدِهِمْ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ النُّفُسَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِعِدِّ الْعَمَى عَنْ ضَلَّالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُفَكِّكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْيَوْمَ الْبَعْثُ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَسَّتْهُمُ بَيَاتِهِمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَشْتَرْنَا إِلَّا مَبْطُلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾

مقاتل: أثر رحمة الله أي: نعمته وهو النبت وإخراج الشمر منه، «كَيفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمَوْتَى»، يعني أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحي الموتى، «وهو على كل شيء قدير».

﴿وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا بِحَافِرِهِ مُمْضِرًا﴾ باردة مضرة فافسدت الزرع، «فَرَأَوْهُ مُضْفَرًا» أي رأوا النبت والزرع مصفراً بعد الخضرة، «أَطْلُوهَا»، لصاروا، «مِنْ بَعْدِهِ» من بعد إصفرار الزرع، «يَكْفُرُونَ»، يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ النُّفُسَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿وَمَا أَنْتَ بِعِدِّ الْعَمَى عَنْ



التأويل، من يشتري ذات
لَهُوْ أَوْ ذَا لَهُوْ الحديث.

أخبرنا أبو سعيد
الشريحي، أنا أبو إسحاق
الشعبي، أنا أبو طاهر
محمد بن الفضل بن
محمد بن إسحاق
المزكي، ثنا جدي
محمد بن إسحاق بن
خزيمة، أنا علي بن
حجر، أنا مشعل بن
ملحان الطائي، عن
مطرح بن يزيد، عن عبيد
الله بن زجر، عن علي بن
يزيد، عن القاسم بن
عبد العزيز، عن أبي أمامة

يَسْتَحِفُّكَ، في نصرتك وإظهارك
على عدوك ﴿وَلَا يَسْتَحِفُّكَ﴾، ولا
يستجهلك، معناه: لا يحملتك
الذين لا يوقنون على الجهل
وتابعهم في الغي، وقيل لا يستخفن
رايك وحلمك، ﴿الَّذِينَ لَا
يُوقِنُونَ﴾، بالبعث والحساب.

سورة لقمان

مكية وهي أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ
الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٣﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ قُرْآنَ حِمْزَةٍ وَرَحْمَةٍ
بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، أي هو هدى
ورحمة، وقرأ الآخرون بالنصب على
الحال ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِآخِرَتِهِمْ هُمْ يُوَفُّونَ
﴿٣﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾.

﴿١﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَّهُوَّ
الْحَدِيثِ﴾، الآية. قال الكلبي
ومقاتل: نزلت في النضر بن
الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي
الحيرة ويشتري أخبار العجم
فيحدث بها قريشاً، ويقول: إن
محمدأ يحدثكم بحديث عاد
وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم
واسفنديار وأخبار الأكاسرة،
فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن، فأنزل الله هذه الآية، وقال
مجاهد: يعني شراء القيان
والمغنيين، ووجه الكلام على هذا

قال مكحول: من اشترى جارية
ضاربة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً
عليه حتى يموت لم أصل عليه،
إن الله يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي
لَّهُوَّ الْحَدِيثِ﴾ الآية.

وعن عبدالله بن مسعود، وابن
عباس، والحسن، وعكرمة،
وسعيد بن جبير قالوا: «لهو»
الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه،
ومعنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَّهُوَّ
الْحَدِيثِ﴾ أي يستبدل ويختار الغناء
والمزامير والمعازف على القرآن،
قال أبو الصبأ البكري سألت ابن
مسعود عن هذه الآية فقال: هو
الغناء، والله الذي لا إله إلا هو،
يردها ثلاث مرات.

وقال إبراهيم النخعي: الغناء يثبت
التفاق في القلب، وكان أصحابنا
ياخذون بأفواه السكك يخرقون
الدفوف. وقيل: الغناء رقية الزنا.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل
تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن
حرام»، وفي مثل هذا أنزلت هذه
الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَّهُوَّ
الْحَدِيثِ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، «وما
من رجل يرفع صوته بالغناء إلا
بعث الله عليه شيطانين: أحدهما
على هذا المنكب والآخر على هذا
المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت».

أخبرنا عبدالرحمن ابن عبدالله بن
أحمد القفال، أنا أبو منصور
أحمد بن الفضل البروجدي، أنا أبو
أحمد بكر بن محمد بن حمدان
الصيرفي، أنا محمد بن غالب بن
تمام، أنا خالد بن أبي يزيد، عن
هشام هو ابن حسان، عن محمد هو
ابن سيرين، عن أبي هريرة أن
النبي ﷺ «نهى عن ثمن الكلب
وكسب الزمارة».

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ لِلَّهِ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ عَظِيمٌ يَبْنِي لَكَ الْبُيُوتَ الشَّرَكَ أَطْلَعُ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَضَعَتْهُ وَعَلَى رُحْمِهِ وَأَمَّا إِلَى الْحَدِيدِ فَأَنْشُرْكَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَإِنْ جَهَدَكَ عَنْ أَنْ تُشْكِرَ لِي مَالِيَسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ مَسِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثَمَرِي مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ يَبْنِي أَيْهَا نَكَ مِنْكَ مِنْكَ حَيَوْنٍ مِنْ خَرْدَلٍ تَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَبْنِي أَفْعَالُكَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ مِنَ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٢﴾ وَلَا تَصْغُرْ خَلْقَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَنْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْمَأً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَتْنِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتُ لَصُوتُ الْمُصَوِّرِ ﴿١٤﴾

خَلْقَيْنِ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ رُوحَهَا وَاللَّهُ فِي الْأَرْضِ رَؤُوسِ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَتَنْفِي فِيهَا مِنْ كُلِّ دَانَةٍ وَأَزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٨﴾

﴿٩﴾ هَذَا، يعني الذي ذكرت مما تعينون، ﴿خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُوفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، من ألهتكم التي تعبدونها، ﴿بَلِ الْغَالِبُونَ فِي ضَلَالٍ ثُبِينٍ﴾.

﴿١٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور، وقال محمد بن إسحاق، وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقال وهب: إنه كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر أنه كان ابن خالة أيوب.

قال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل. واتفق العلماء على أنه كان حكيماً، ولم يكن نبياً، إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبياً، وتفرد بهذا القول. وقال بعضهم: خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة.

وروي أنه كان نائماً نصف النهار فتُودِي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض لتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي [بين العافية والبلاء] قبلت العافية ولم أقبل

وقال ابن جريج: هو الطبل. وعن الضحاك قال: هو الشرك. وقال قتادة: هو كل لهو ولعب، ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ﴾، يعني يفعله عن جهل، قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. قوله تعالى: ﴿وَتَّخِذْهَا هُزْؤًا﴾، أي: يتخذ آيات الله هزواً. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب: «ويتخذها» بنصب الدال عطفاً على قوله: «ليضل» وقرأ الآخرون بالرفع نسقاً على قوله: «يشترى»، ﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِمْ فَلْيَتْلُوكَ وَكَانَ مَسْكُورًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿٨﴾ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا مُرًّا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَكُنْ فِي أَعْيُنِهِمْ

البلاء، وإن عزم علي فسمعاً وطاعة، فإني أعلم إن فعل ذلك بي أعاني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان أن يعدل [فيخذل أو يعان] فبالأحرى أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً، ومن يخر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقته، فنام نومة فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم تُودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان، فهو في الخطيئة غير مرة، كل ذلك يعفو [الله] عنه، وكان لقمان يؤزره بحكمته.

وعن خالد الربيعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. وقال سعيد بن المسيب: كان خياطاً. وقيل: كان راعي غنم.

فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألسنت فلاناً الراعي [قال: نعم قال]: فبم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني. وقال مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين. قوله عز وجل: ﴿إِنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمِنْ يَنْشُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾، واسمه أنعم ويقال مشكم، ﴿وَهُوَ

يَعْلَمُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَكْثَرُكَ لَطْلُؤٌ عَظِيمٌ»، قرأ ابن كثير: «يا بني لا تشرك بالله» بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، «يا بني إنها» بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، «يَبْنِي أَفِيرُ الْفَكْلَوَةُ» [لقمان: ١٧] بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. وقال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف. «وَفِصْلُهُ»، أي فطامه، «فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ لَأَكَلْتُ النَّصِيرَ»، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

﴿وَلِنْ جَهَنَّمَكَ عَلَّ أَنْ تَشْرِكَ بِِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، «وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»، أي: دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن

عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وأمنت به؟ قال: نعم، هو صادق، فآمنوا به، ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام، أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: «وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»، يعني أبا بكر، «ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»، وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه، وقد مضت القصة وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

﴿يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكَ وَتَفَالَّ حَبْرٌ مِّنْ حَرَدَلٍ﴾ الكناية في قوله: «لَهَا» راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: «يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكَ وَتَفَالَّ حَبْرٌ مِّنْ حَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ»، قال قتادة تكن في جبل. وقال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها.

قال السدي: خلق الله الأرض على حوت - وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿تَ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] - والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، والصخرة على الريح. «أَوْ فِي السَّمَكَيْنِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ»، باستخراجها، «خَيْرٌ»، عالم بمكانها، قال

الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء، صغيرها وكبيرها، وفي بعض الكتب إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانثقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله.

﴿يَبْنِي أَفِيرُ الْفَكْلَوَةُ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصِيرُ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، يعني من الأذى، «إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى فيهما، من الأمور الواجبة التي أمر الله بها وهي من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «ولا تصعر» بتشديد العين من غير ألف، وقرأ الآخرون: «تصاعر» بالألف. يقال: صعر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبراً، ورجل أصعر: أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول: لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبراً. وقال الربيع بن أنس وقاتدة: لا تحقرن الفقراء ليكن الفقر والغنى عنك سواء، «وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا»، خيلاء تكبراً، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ»، في مشيه «فَخَوِرٌ»، على الناس.

﴿وَأَقْبِدْ فِي شَتَاكَ﴾، أي ليكون مشبك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: «يَسْتَوِ عَلَى الْأَرْضِ

والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة، والباطنة: إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وقال سهل بن عبدالله: الظاهرة اتباع الرسول، والباطنة محبته. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأميه بن خلف، وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وجواب لو محذوف، ومجازه: يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي: الله، يعني يخلص دينه لله ويفوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، في عمله، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا﴾، أي: نمهلهم ليمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿فَمَنْ نَضَطَّرُّهُ﴾، ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿إِنَّ عَذَابَ عَلِيظٍ﴾، وهو عذاب النار.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ

إليه شاة أخرى، وقال: اذبحها واثني بأخبت مضغتين منها فأثاه باللسان والقلب، فسأله مولاة [عن ذلك]، فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبت منهما إذا خبثا.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّا تَرَوْنَا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾﴾، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ﴾، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمُوا وَابْعَثُوا الْبَرِّيَّةَ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ آبْحُرٍ مَا نَقِدَتْ كُنُفَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كُفْرًا وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، ﴿وَالْآخِرُونَ مَنُونَةٌ عَلَى

الواحد ومعناه الجمع أيضاً كقوله: ﴿إِن مَّقْدُوا يَمُتَ اللَّهُ لَا تَحْصُوهُمُ﴾ [إبراهيم: ١٤]، ﴿ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة. وقال الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، والباطنة، المعرفة. وقال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق، والرزق، والإسلام، والباطنة [ما ستر من الذنوب]، وقال الربيع: الظاهرة: بالجوارح، والباطنة: بالقلب، وقيل: الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة: الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة: تمام الرزق والباطنة: حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء،

الزَّيْرَوَانُ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴿٢١﴾ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمُوا وَابْعَثُوا الْبَرِّيَّةَ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ آبْحُرٍ مَا نَقِدَتْ كُنُفَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كُفْرًا وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾

هَوْنًا [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَأَغْضَضَ بِن صَوْتِكَ﴾، اخفض صوتك، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، ﴿لَصَوْتُ الْخَيْرِ﴾، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار.

وقال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْخَيْرِ﴾، قال: صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار. وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْخَيْرِ﴾، قال: هي العطسة القبيحة المنكرة. قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم [ومن] حكمه.

قال خالد الربيعي: كان لقمان عبداً حبشياً فدفع مولاة إليه شاة وقال: اذبحها واثني بأطيب مضغتين منها، فأثاه باللسان والقلب، ثم دفع

لَهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

﴿٢٦﴾ «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

﴿٢٧﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ الْآيَةَ».

قال المفسرون: نزلت بمكة، قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَوْتِيَتْ مِنَ الْغُلِيِّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أخبار اليهود فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» أفعنيتنا أم قومك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: كَلَّا قَدْ عَنِيت، قالوا: ألسنت تتلوا فيما جاءك، أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن علمتم به انتفعت»، قالوا: يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فكيف يجتمع هذا، علم قليل وخير كثير؟ فانزل هذه الآية. وقال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينطفئ فينقطع، فنزلت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ أي برئت أقلاماً، ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُودُ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب: «والبحر» بالنصب عطفاً على «ما»، والباقون بالرفع على الاستئناف «يَمْدُودُ» أي يزيده، وينصب فيه «مِنْ بَمَدٍّ» من خلفه، «سَبْعَةُ أَجْحُرٍ مَا يُؤَدَّتْ كِلْمَتُ اللَّهِ»، وفي

الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية، وعلى قول غيره مكية، وقالوا: إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم.

﴿٢٨﴾ «مَا خَلَقْتُمْ وَلَا

بَعَثْتُمْ إِلَّا كَتَفَيْنِ وَجَدُوهُ، أَي [إِلَّا] بَعَثْتُمْ نَفْسَ وَاحِدَةً، وَبَعَثْنَا لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿٢٩﴾ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

﴿٣٠﴾ «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، أَي ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، ﴿وَلَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الْبَاطِلِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٣١﴾ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ، إِنْ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾، عجائبه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾، على أمر الله، ﴿شَكُورٍ﴾، لنعمه.

﴿٣٢﴾ «وَلَوْ أَنَّ غُيِّبَ نَوَاجِدُ الظُّلُمِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: كَالْجِبَالِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: [وَالسَّيِّدُ]: كَالسَّحَابِ. وَالظُّلْمِ

الَّذِي تَرَى اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الْبَاطِلِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَلَوْ أَنَّ غُيِّبَ نَوَاجِدُ الظُّلُمِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمَ لَا تَجْزِي الْإِلَهَ عَنْ وَلِيِّهِ وَلَا مَوْلُوهُ هُوَ إِلَّا عَنِ الْوَلِيِّ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ عِلْمِ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَمَا تَدْرِي مَا تَدْرِي وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

جمع ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها، وجعل الموج، وهو واحد، كالظل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾، أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني: ثبت على إيمانه. نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولاضعن يدي في يده، فسكنت الرياح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه.

وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول مضمحل للكفر.

وقال الكلبي [فمنهم] مقتصد في القول: أي من الكفار، لأن بعضهم كان أشد قولاً وأعلى في الافتراء من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿أَلَمْ يَنْزِلْ﴾
الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، قال مقاتل: لا شك فيه
أنه تنزيل من رب العالمين.

﴿٣﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون
﴿أَفَرَبِّهِ﴾، وقيل الميم صلة أي
أيقولون افتراه؟ استفهام توبيخ،
وقيل: «أم» بمعنى الواو، أي
ويقولون افتراه. وقيل: فيه إضمار
مجاز فهل يؤمنون، أم يقولون
افتراه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني
القرآن، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدْرَ قَوْمًا مَّا
أَنْتُمْ﴾، يعني: لم يأتهم، ﴿مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، قال قتادة: كانوا
أمة أمية لم يأتهم نذير قبل
محمد ﷺ. وقال ابن عباس،
ومقاتل: ذلك في الفترة التي كانت
بين عيسى عليه السلام وبين
محمد ﷺ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿٤﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِينَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي يحكم
الأمر وينزل القضاء والقدر، ﴿وَمَنْ
السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وقيل: ينزل
الوحي مع جبريل من السماء إلى
الأرض، ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾، يصعد،
﴿إِلَيْهِ﴾، جبريل بالامر، ﴿فِي يَوْمٍ
كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مَسْوَرَةٍ مِمَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾،

أي في يوم واحد من أيام الدنيا
وقدره مسيرة ألف سنة، خمسمائة
نزوله، وخمسمائة صعوده، لأن ما
بين السماء والأرض خمسمائة عام،
يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم

امراتي جلي، فمتى تلد؟
وقد علمت أين ولدت
فبأي أرض أموت؟
فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ
اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَمْدُدُ مَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾،
وقرأ أبي بن كعب «بأي
أرض» والمشهور «بأيه
أرض» لأن الأرض ليس
فيها من علامات التأنيت
شيء، وقيل: أراد
بالأرض المكان.

أخبرنا عبد الواحد [ابن
أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا
عبد العزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن
ساعدة، أنا ابن شهاب، عن سالم بن
عبدالله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ
قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله
عنده علم الساعة، وينزل الغيث،
ويعلم ما في الأرحام، وما تدرى
نفس ماذا تكسب غداً، وما تدرى
نفس بأي أرض تموت»، ﴿إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

سورة السجدة

مكية [وهي ثلاثون آية].

قال عطاء: إلا ثلاث آيات من
قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْتَاً﴾ [١٨] إلى
آخر ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٢﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ بَلْ هُوَ الْغَيْثُ مِنْ دُونِكَ لِتَشْدُرَ قَوْمًا
مَّا أَنْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴿اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مَسْوَرَةٍ مِمَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ ﴿ذَلِكَ
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ وَسَّوَّهُ إِلَى صُورَةِ
بَشَرٍ مِمَّنْ يَمِيزُ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْأَنْعَامِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٩﴾ ﴿فَلْيَتَنَزَّلِ
مِنْ سَمَاءٍ مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهِيَ أَتَانِي
خَلْقٌ جَدِيدٌ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفُورُونَ ﴿١١﴾ ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ
مَنْ أَلَّهَ الْغُيُوتِ الَّذِي فِيكُمْ تُمَلِّكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَرْجِعُ مَنْ تَشَاءُ

بعض، ﴿وَمَا يَجْعَلُ رِيَاءِنَا إِلَّا كُلَّ
خَسَارٍ كَفُورٍ﴾، والختر أسوأ الغدر.

﴿١٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ
وَلَا تَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي، لا يقضي
ولا يغني، ﴿وَالَّذِ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ
هُوَ جَانٍ﴾، مغب، ﴿عَنْ وَلَدِهِ
مُتَبَّأً﴾، قال ابن عباس: كل امرئ
تهمه نفسه، ﴿إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
تُفَرِّغُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغْنِيكُمْ
عَنِ اللَّهِ الْفَرُودُ﴾، يعني الشيطان. قال
سعيد بن جبير: هو أن يعمل
المعصية وتتمنى المغفرة.

﴿١٣﴾ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ﴾، الآية.

نزلت في الحارث بن عمرو بن
حارثة بن محارب بن حفصة، من
أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن
الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا
أجلبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت

لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعونه في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله: ﴿تَمُوتُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل، والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله «إليه» أي إلى الله.

وقيل: على هذا التأويل [أي] إلى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه.

وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة، يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي: يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره ألف سنة، وهو يوم القيامة، وأما قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاحاً في الدنيا».

وقال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظاهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا

إخبار عن شدته وهوله ومشقته. وقال ابن أبي مليكة: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة؟ فقال له ابن عباس: أيام سماها الله لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم.

﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالْغُهِبِ﴾، يعني ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السموات والأرض، عالم ما غاب عن [عبان] الخلق وما حضر، ﴿الْمَرْيُومُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُمْ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة «خلقه» بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي أحسن خلق كل شيء، قال ابن عباس: أنقنه وأحكمه. قال قتادة: حسنه. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه. ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾، يعني آدم.

﴿ثُمَّ جَعَلْهُ سَلَكَةً﴾، يعني ذريته، ﴿وَمِنْ سُلَالَةٍ﴾، نطفة، سميت سلالة لأنها تسلك من الإنسان ﴿وَمِنْ نَّوْءٍ مُّهِينٍ﴾، أي ضعيف وهو نطفة الرجل.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾، وسوى خلقه، ﴿وَنَبَّهَهُ يُبْدِئُ مِن رُّبُوبِهِ﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿وَجَعَلَ

لَكُمْ﴾، بعد أن كنتم نطفاً، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحده.

﴿وَقَالُوا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، يعني منكري البعث، ﴿أَوَدَّا صَلَافًا﴾، هلكنا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، وصرنا تراباً، وأصله من قولهم: ضل الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿أَوَلَا لَنُيَخْلِطَنَّهُمْ﴾، استفهام إنكار. قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ يَلْفَلَفُونَ﴾، أي بالبعث بعد الموت.

﴿قُلْ بَنَوْنَاكُمْ﴾، يقبض أرواحكم، ﴿تِلْكَ أَلُمُوتُ الْكُلُوبِ وَكُلُّكُمْ﴾، أي وكل يقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد، [المضروب للخلق في الأزل]، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت.

وروي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة، فهو يقبض أنفوس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب [فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين].

وقال ابن عباس: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب. وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء.

وفي بعض الأخبار: أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فيلزع أعوانه وروح الإنسان فإذا بلغ ثغره نحره قبضه ملك الموت.

ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً.

وأشهر الأقاويل أن المراد منه: صلاة الليل، وهو قول الحسن، ومجاهد، ومالك، والأوزاعي، وجماعة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: «لقد سئلت عن أمر عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿حِزَّةً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، قال: فأخذ بلسانه فقال: اكفف عليك هذا، فقلت: يا

رسول الله وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «تلكك أمك يا معاذ وهل يُكَب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد المخلدي، أنا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حمد بن زنجويه، أنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهية عن الإثم».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا روح بن أسلم، أنا حماد بن سلمة، أنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب رُبنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته»، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقاً مما معه عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه، فعلم ما عليه في

الانهزام وما له في الرجوع، فرجع فقاتل حتى أهرق دمه، فيقول الله لملائكته: «انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أهرق دمه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا قتيبة بن سعيد، أنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن معانق، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إصبع، أخبرني عبد الله بن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، أن الهيثم بن أبي سنان، أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أحاً لكم لا يقول



﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [ابن أحمد] الملبحي، أنا أحمد بن عبد الله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق بن نصر، أنا أبو أسامة عن الأعمش، أنا أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرأ بله ما

اطلعت عليه»، ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾، نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً وأخذ منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتبية، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل: لا يستويان، لأنه لم يرد مؤمناً واحداً

وفاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ، الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿نَزَلًا يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَالَيْنَ فَسَقُوا فَأَوتاهمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكَ الْغَدَابَ الْآكِرَ﴾، [أي سوى العذاب الأكبر]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قال أبي بن كعب، والضحاك، والحسن، وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر، وهو قول قتادة والسدي، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْآكِرِ﴾ يعني عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إلى الإيمان، يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني المشركين، ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِي﴾، يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره.

الرفث، يعني بذلك عبد الله بن رواحة، قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
ببيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
قوله عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس خَوْفًا من النار وطَمَعًا في الجنة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، قيل أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: [هو عام] في الواجب والتطوع.

﴿٢٣﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾، قرأ حمزة ويعقوب «أخفي لهم» ساكنة الياء أي، أنا أخفي لهم، ومن حجته قراءة ابن مسعود «نخفي» بالنون، وقرأ الآخرون بفتحها، ﴿وَمِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، مما تقر به أعينهم،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا غندر، عن شعبة، عن قتادة رحمة الله قال: وقال لي خليفة، أنا يزيد بن زريع، أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قال: أنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربعاً مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه».

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، أنا عبد الله المحاملي، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزار، أنا محمد بن يونس، أنا عمر بن حبيب القاضي، أنا سليمان التيمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما سُري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره».

وروي في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة، وقال السدي: «فلا تكن في مرية من لقائه» أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول، «وَعَمَلَنَّهُ»، يعني الكتاب وهو التوراة، وقال قتادة: موسى، «هُدًى لِقَىٰ إِبْرَاهِيمَ».

﴿وَعَمَلَنَّا مِنْهُمْ﴾، يعني من بني إسرائيل، «أَيُّمَةً»، قادة في الخير يقتدى بهم، يعني الأنبياء

الذين كانوا فيهم. وقال قتادة: أتباع الأنبياء، «يَهْدُونَ»، يدعون، «يَأْتِيَانَا لَمَّا صَبَرْنَا»، قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم، أي حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، «وَكَاثُرًا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ يَوْمَ الْيَمِينِ».

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِقَصْرِ يَقْضَىٰ﴾، يقضي، «يُنْهِنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، لم يتبين، «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَستَوْنَ فِي مَسْكِنِهِمْ لَآ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ»، آيات الله وعظاته فيعتظون بها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا لَآلِ الْأَرْضِ الْجُرُزَ﴾، أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، قال ابن عباس: هي أرض باليمن. وقال مجاهد: هي أرض بابين، «فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ»، من العشب والتبن، «وَأَنْفُسُهُمْ»، من الحبوب والأقوات، «أَفَلَا يَصْبِرُونَ».

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد.

قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم. وقال الكلبي: يعني فتح مكة.

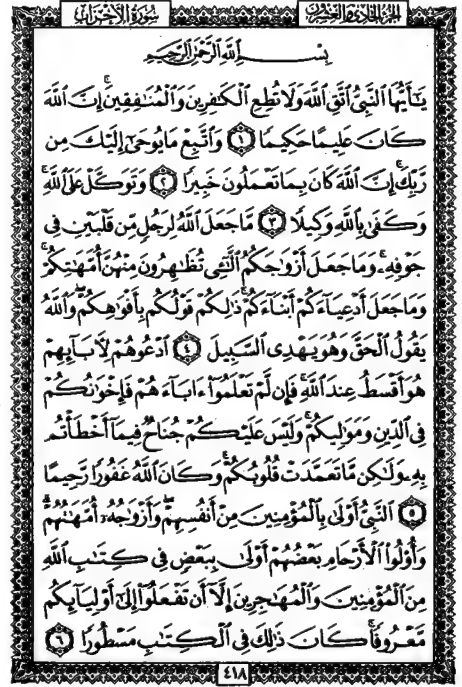
وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا

عليكم، فيقولون متى هذا الفتح. ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾، يوم القيامة، «لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ»، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، «وَلَا هُمْ يُظْهَرُونَ»، لا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، «وَأَنْظِرْ لَهُمْ تُنْتَظَرُونَ»، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم ينتظرونك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فهمم فإنهم ينتظرون ذلك.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو نعيم، أنا سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة أنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [السجدة: ١ - ٢]، و﴿قُلْ أَقْ عَلَيَّ الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو نعيم، أنا سفيان، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [السجدة: ١ - ٢]، و﴿يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ يَوْمَ الْيَمِينِ﴾ [الملك: ١].



سورة الأحزاب

مدينة [وهي ثلاث وسبعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلكتنا، اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في

قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

أي دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ههنا أي اثبت قائماً. وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة يعني أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، من أهل المدينة، عبدالله بن أبي وعبدالله بن سعد وطعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾، بخلفه، قبل أن يخلقهم، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَسْمَعُونَ خَيْرًا﴾، قرأ أبو عمرو «يعملون خبيراً» و«يعملون بصيراً» بالياء فيهما وقرأ غيره بالناء. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ثق بالله، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً لك، وقيل كفيلاً برزقك.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُودِهِ﴾.

نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله

قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما لك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده.

وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، قرأ أهل الشام والكوفة «اللاتي» ههنا وسورة الطلاق [٤] بياء بعد الهمزة، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ الباقون بتلين الهمزة، وكلها لغات معروفة، ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ قرأ عاصم بالالف وضم التاء وكسر الهاء مخففاً، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففاً، وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء، وقرأ الآخرون بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولن لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها إن

شاء الله تعالى في سورة المجادلة ٣ - [٤]. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾، يعني من تبنيتموه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾، فيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له، يدعو الناس إليه ويرث ميراثه.

وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني، ﴿ذَلِكَمُ قولكم﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ﴾، يعني قوله الحق، ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، أي يرشد إلى سبيل الحق.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾، الذين ولدوهم، ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾، أعدل، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا معلى بن أسد، أنا عبدالعزيز بن المختار، أنا موسى بن عقبة، حدثني سالم، عن عبدالله بن عمر، أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال: ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلْيَتَّخِذُوا﴾، يعني فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ

وَمَوَالِكُمْ﴾، إن كانوا محررين وليسوا ببنينكم، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليكم أي أولياءكم في الدين، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك، ومحل «ما» في قوله تعالى: ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ خفض رداً على «ما» التي في قوله: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ مجازة ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا غندر، أنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكره وكان قد تسور حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام».

﴿١﴾ قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعاهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من [طاعة] أنفسهم. وقال ابن زيد: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما

قضى فيهم، كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه. وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن محمد، أنا أبو عامر، أنا فليح، عن هلال بن علي عن عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا، أنا أولى به في الدنيا والآخرة» اقرأوا إن شئتم ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأيا مؤمن مات وترك مالا فليبره عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاه.

قوله عز وجل: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾، وفي حرف أبي «وأزواجه وأمهاتهم وهو [أب] لهم» وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ زَوْجِهِمْ﴾، ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن أخواتهن، هم أخوال المؤمنين وخالاتهم.

قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر، وهي أخت أم المؤمنين، ولم يقل هي خالة المؤمنين، واختلفوا في أنهن هل كن

ويبشر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعو إلى عبادته ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم، ﴿وَمِنْكُمْ﴾ أي من نوح وإبراهيم وموسى النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي ﷺ بالذكر لهما.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الحديثي، أنا عبدالله بن أحمد بن يعقوب المقرئ، أنا محمد بن محمد بن سليمان الساعدي، أنا هارون بن محمد بن بكار بن بلال، أنا أبي، أنا سعيد، يعني ابن بشير عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»، قال قتادة: وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، فبدأ به ﷺ قبلهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾، عهداً شديداً على الإوفاء بما حملوا.

﴿لَسْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي من الصادقين، يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، بتكذيب من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسال الصادقين عن عملهم لله عز وجل. وقيل: ليسال الصادقين

رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾، يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، فنسخت هذه الآية الموارثة بالمآخاة والهجرة وصارت بالقرابة.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي أولياكم معروفاً، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه.

وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمه لحق الإيمان والهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أولياكم معروفاً، يعني إلا أن توصوا لذوي قرباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾، أي كان الذي ذكرت من أن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرطبي: في التوراة.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً

﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ مَرَّمُوا وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾
﴿لَسْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً
﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرْ وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّكَ إِذْ جَاءَكَ تُكْمِلُ جُودُ مَا رَسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالاً وَهُوَ كَأَنَّكَ تَرَاهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
﴿إِذَا جَاءَكَ تُكْمِلُ مِنْ قَوْمِكَ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَإِذَا رَأَيْتَ الظَّالِمِينَ فَاصْرَوْهُمْ وَأَلْبَسُوا الْقُلُوبَ الْخَاسِرَ وَتَطْمَئِنُّ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾
﴿هَٰذَا لَكَ آيَةُ الْيَوْمِ الْمُشْرُوكِ وَذَلَّلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾
﴿وَلَا يَقُولُ الْكَافِرُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾
﴿وَلَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْتِلُ الْغَيْبُ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا أَوْ يَسْتَفِذُونَ فَاصْرَوْهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّا نَؤْتِيَانَا غُورَةً وَمَا هِيَ بِغُورَةٍ إِن يَرِيدُوا إِلَّا فِرَارًا﴾
﴿وَلَوْ خِلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْئَادِهِمْ سَأَلُوا الْوَفْئَةَ لَا تَوْفَاؤُهَا مَا تَشْتَرُونَهَا إِلَّا أَكْثِيرًا﴾
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا لَكَ الْبَيْتَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسَوِّلاً﴾

أمهات النساء المؤمنات؟ قيل: كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً. وقيل: كن أمهات المؤمنين دون النساء.

وروى الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أمه! فقلت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم، فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن. قوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة.

قال الكلبي: أخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، في حكم الله، ﴿يَنْزِلُ فِي النَّبِيِّينَ﴾، النبيين أخى

بأفواهم عن صدقهم في قلوبهم.
﴿وَأَمَّا لِلْكُفْرِ مَآبًا أَلِيمًا﴾.

① قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وذلك حين حُوصِرَ المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، إذ جاءكم جُودٌ، يعني الأحزاب، وهم قريش، وغطفان، ويهود قريظة والنضير، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾، وهي الصبا.

قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني نصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا آدم، أنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكْتُ عَادَ بِالْدُبُورِ».

قوله تعالى: ﴿وَمُحَمَّدًا لَمَّا تَرَوْكَ﴾، وهم الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذٍ، فعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردةً فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفاقت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال.
﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمُنُّ تَمَلُّونَ بَصِيرًا﴾.

قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، ومن لا أتهم، عن عبدالله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم في بعض: أن نفرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق، وحيثي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهودة بن قيس وأبي عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا منكمون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد، فديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منهم، قالوا: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقْلَبُوتُ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ ٥١ - ٥٥، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس غيلان، فدعواهم إلى ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن

قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في [بني] فزارة، والهارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسمود بن ربيعة بن نيرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلما سمع [بهم] رسول الله ﷺ وما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حَزَبٌ، فقال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حصرنا خندقنا عليها، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الأصبهاني، أنا محمد بن جعفر الطبري، ثنا حماد بن الحسن، ثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا كثير بن عبدالله، عن عمرو بن عوف، حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال النبي ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

قال عمرو بن عوف: كنت، أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن

محمد، أنا معاوية بن عمرو، أنا أبو إسحاق، عن حميد، قال: سمعت أنساً يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا: مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء [بن عازب] قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه أو اغبر بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بَغَوْا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا ورفع بها صوته أبيتنا.

رجعنا إلى حديث ابن إسحاق قال [فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل

ورقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: «أرأيتم ما يقول سلمان؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا»، فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعده صدق وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ قال فنزل القرآن: ﴿هَلْ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وأنزل الله في هذه القصة: ﴿هَلْ أَلِهُمَّ مَلَكًا﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن

المازني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفروا حتى إذا كنا بجانب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فلما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره فلإنا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا، حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فلإنا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق [والتسعة على شق الخندق]، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضر بها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير [فتح] كبر [معه] المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية [فصدعها] وبرق عنها، برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير [فتح] وكبر المسلمون [معه]، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير [فتح]، وكبر المسلمون [معه]، فأخذ بيد سلمان

نجد، حتى نزلوا بذنب نَقَمُوا إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراير فَرُفِعُوا فِي الْأَطَامِ، وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بِحَيِّ بْنِ أَخْطَبِ أَغْلَقَ دُونَهُ حَصْنَهُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ حَيُّ بْنُ أَبِي أَنْ يَفْتَحَ لَهُ فَنَادَاهُ حَيُّ: يَا كَعْبُ افْتَحْ لِي، فَقَالَ: وَيَحْكُ يَا حَيُّ إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشُومٌ وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وَفَاءً وَصِدْقًا، قَالَ: وَيَحْكُ افْتَحْ لِي أَكَلِمَكَ، قَالَ: مَا، أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَغْلَقْتَ دُونِي إِلَّا عَلَى جَشِيشَتِكَ أَنْ أَكُلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَأَحْفَظُ الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيَحْكُ يَا كَعْبُ جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِحَرِّ طَامِ، جِئْتُكَ بِقَرِيشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ، وَبَغْطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِذَنْبِ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، وَقَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِّ الدَّهْرِ وَبِجَهَامٍ قَدْ هَرَأَ مَاؤُهُ بِرَعْدٍ وَبِرَقٍّ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَدَعْنِي وَمُحَمَّدًا وَمَا أَنَا عَلَيْهِ فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِنْ

محمد إلا صدقاً ووفاءً، فلم يزل حيي بن أخطب يكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً ووفاءً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، [فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ السخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعيده بن معاذ، أحد بني عبد الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعيد بن عباد أحد بني ساعدة، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبدالله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتؤا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهراً للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دغ عنك مشاتمهم فإن ما بيننا وبينهم أرى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معه إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا: غَضَلُ وَالْقَارَةُ [أي] لغدر عضل والقارة بأصحاب

رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وحتى قال أوس بن قيطي، أحد بني حارثة بن قيطي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملأ من رجال قومه، فائذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فلإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عمر، وهما قائد غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجزى بينه وبينهم الصلح على ذلك، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ، وسعد بن عباد، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا يد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: [لا] بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت

العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأخذوا منا ثمرة واحدة، إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: فانت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: ليجهدوا علينا. فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم، [ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود، أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، ونوفل بن عبد الله وضار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر، قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا: تهيثوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة

التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذت منه إحداهما، قال: أجل، فقال له علي بن أبي طالب: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال: ولم يا ابن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك، قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعفره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتناولوا وتجاولا، فقتله علي، فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقتل مع عمرو رجلان منه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبدالدار أصابه سهم، فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، وكان [قد] اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قتله أحسن من هذا، فنزل إليه علي فقتله، فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسد وثمنه، فشانكم به، فخلّى بينهم وبينه. [قالت عائشة أم المؤمنين: كنا يوم الخندق في حصن، بني حارثة، وكان من أحرز

حصون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمّر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة وهو يقول شعر:

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل
لا بأس بالموت إذا خان الأجل
فقال له أمه: الحق يا بني فقد والله أجزت، قالت عائشة فقلت لها: يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فرمي سعد يومئذ بسهم وقطع منه الأكحل، رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عزق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي من أن أجاهدهم من قوم هم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارغ، حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمّر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة،

فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذا أتانا أت، قالت: فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى، يطيف بالحصن وإني والله لم آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب، والله، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً اعتجرت، ثم أخذت عموداً، ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه [لا] لأنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب.

قالوا: أقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم:

يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عهدنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهروهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرון على أن تحولوا عنه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان، أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بعيدة، إن رأوا نهزةً وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقتلوا معكم محمداً، حتى تناجزوه، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أمر رأيت أن حقاً علي أن أبلغكم نصيحاً لكم، فاكتبوا علي، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد تدبروا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد تدبرنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان، رجلاً من أشrafهم فتعطيكمهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتصمون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً

واحد، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تثموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتبوا علي، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان [ذلك] مما صنع لرسول الله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فقال لهم بنو قريظة: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث بعضهم فيه حديثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن صرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بذلك الذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمن والله أن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم

إلا أن يقتاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أنيتهم، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

روى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وروى غيره عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله رأيت رسول الله ﷺ وصحبتهم، قال: نعم يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نهجد، فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم، وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون

رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، فلم يكن لي بدٌّ من المقام إليه حين دعاني، فقلت: لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتته، وإن جنبني ليضطربان فمسح رأسي ووجهي، ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي، وشددت عليّ سلاحي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً [وجنود] الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً [قال] وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعت في كبد قوسي فأردت أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع إلي فرددت سهمي في كنتاتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، قام فقال: يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فلينظر من هو، [قال:] فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت، فقال: سبحان الله أما تعرفني، أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع

والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأنني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته الخبر، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، قال: فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء، فإدناني النبي ﷺ منه، وأنا مني عند رجليه، وألقى عليّ طرف ثوبه، وألرز صدري ببطن قدميه فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، أي من فوق الوادي من قبل المشرق، وهم أسد، وغطفان، وعليهم مالك بن عوف النصري، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، يعني من بطن الوادي؛ من قبل المغرب، وهم قريش وكنانة، عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان الذي جر غزوة - الخندق - فيمأه قيل، إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿وَلَا زَاغِيَ الْأَبْصَارُ﴾،

مالت وشخصت من الرعب، وقيل: مالت عن كل شيء فلم تنظر [إلا] إلى عدوها، ﴿وَلَيْكُمُ الْقُلُوبُ﴾، فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع، والحنجرة: جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء: معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره، ﴿وَتَطْمَنُّونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر: الظنونا، والرسولا، والسيلا، بإثبات الألف وصلًا ووقفًا، لأنها مثبتة في المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف في الحاليين على الأصل، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس الآي.

﴿مَنَّا لَكَ أَبَتِي﴾، أي عند ذلك اختبر، ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، بالحصص والقتال، ليتبين المخلص من المنافق، ﴿وَنَزَلْنَا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾، حركوا حركة شديدة.

﴿لَا يَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾، معتب بن قشير، وقيل: عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك وضعف اعتقاد، ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد ففتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا

يستطيع أن يجاوز وحله، هذا والله الغرور.

﴿لَا تَأْتِيكَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ﴾، أي من المنافقين، وهم أوس بن قيطي وأصحابه، ﴿يَتَأَهَّلُ يَرْبُ﴾، يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب [اسم أرض]، مدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض الأخبار:

أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: «هي طابة»، كأنه كره [هذه اللفظة] ﴿لَا مَقَامَ لَكَ﴾، قرأ العامة بفتح الميم، أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿فَارْجُوا﴾ إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ، وقيل: عن القتال إلى مساكنكم، ﴿وَسَتَنَزِلُ قَرِينٌ مِّنْهُمْ أَتَيْنَ﴾، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ يَوْمَنَا عَورَةٌ﴾، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق، وقرأ أبو رجاء العطاردي «عورة» بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق إليها، فكذبهم الله فقال: ﴿يَوْمًا هِيَ يَوْمَةٌ إِنْ يُرِيدُوا إِلَّا فِرَارًا﴾، أي ما يريدون إلا الفرار.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لو دخلت عليهم المدينة، [يعني] هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب، ﴿مِنْ أَقْفَائِهِمْ﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ثُمَّ سَلُّوا الْقِتَّةَ﴾، أي الشراك، ﴿لَا تَوْعَا﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأنثوا مقصوراً، أي لجأؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا

يَا﴾، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾، ولأسرعوا الإجابة إلى الشراك طيبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا. ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل غزوة الخندق، ﴿لَا يُولَوْنَ الْأَثَرُ﴾، من عدوهم أي لا ينهزمون.

قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة، هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، فساق الله إليهم ذلك.

وقال مقاتل والكلبي: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: «اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة»، قالوا: قد فعلنا ذلك فذلك عهدكم.

وهذا القول ليس بمرضي، لأن الذين بايعوا محمداً ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفرًا، لم يكن فيهم شك ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد، ﴿وَكَانَ عَهْدُ

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لِمَنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَمِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ نَظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَمِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا فَلْيَحْطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ حَسْبُ الْأَحْزَابِ لَمْ يَذْهَبُوا وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا أَلَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

أَلَوْ مَسْئُولًا، أي مسؤولاً عنه.

﴿١٦﴾ ﴿قُلْ﴾، لهم ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾، الذي كتب عليهم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿وَإِذَا لَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل.

﴿١٧﴾ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يمنعكم من عذابه، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾، هزيمة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، نصرة، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لِمَنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، أي قريباً ينفعهم، ﴿أَوْ لَا نَصِيرًا﴾، أي ناصرأ يمنعهم.

﴿١٨﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي ارجعوا إلينا، ودعوا محمداً، فلا تشهدوا معه الحرب، فلما نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة:

هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يشبطون أنصار النبي ﷺ ويقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لرحماً لالتهمهم، أي: ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا الرجل فإنه هالك، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلت إلى المنافقين، وقالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في

هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً، وإننا نشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا، فأقبل عبدالله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحداً ما ترجون من محمد؟ ما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا ههنا، انطلقوا بنا إلى إخواننا، يعني اليهود، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً. قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾، الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، رياء وسمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

﴿١٩﴾ ﴿أَمِحَّةٌ عَلَيْكُمْ﴾، بخلاء بالنفقة في سبيل الله [والنصرة]، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة، وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَ لَكُمْ لَكُمْ نَظَرُونَ إِلَيْكَ

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، في الرؤوس من الخوف والجبن، ﴿كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أي كدوران الذي يغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿وَإِذَا ذُهِبَ لَكُمْ لَكُمْ سَلَفُوكُمْ﴾، أدركم ورموكم في حالة الأمن، ﴿وَالسِّنَةُ جِدَادٍ﴾، ذرية، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان: مبلق ومصلق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا الستهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال، فليست أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿أَمِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ﴾، أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنون، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا فَلْيَحْطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿حَسْبُ الْأَحْزَابِ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿الْأَحْزَابِ﴾، يعني قريشاً وغطفان اليهود، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم ينصرفوا عن قتالهم جبناً ورفقاً وقد يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿يَوَدُّوا أَلَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ﴾، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوةً، إذا خرج إلى البادية. ﴿يَسْتَلُوكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: «يسألون» مشددة ممدودة أي

يتساءلون، ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، تعذيراً، أي يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا. قال الكلبي: إلا قليلاً أي رمياً بالحجارة. وقال مقاتل: إلا رياء وسمعة من غير احتساب. قوله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، قرأ عاصم: «أسوة» حيث كانت بضم الهمزة، والباقون بكسرهما، وهما لغتان، أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الائتساء، كالقدوة من الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كُسرَتْ رِباعيته وجرح وجهه، وقتل عمه وأودي بضروب من الأذى، فواثاكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستنوا بسنته، ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾، بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾، في جميع المواطن على السراء والضراء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا﴾، تسليماً لأمر الله وتصديقاً لوعده، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَعْدُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وعد الله إليهم ما

ذكر في سورة البقرة [٢١٤]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْكُمِ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَمُرَّ اللَّهُ قَرِيبًا﴾، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما راوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، [أي تصديقاً لله وتسليماً لأمر الله].

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أي قاتلوا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿فَإِنْهُمْ مِّنْ قَضَىٰ نَجَبٍ﴾، أي فرغ من نذره، ووفى بعهده، فاضرب على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النحب: النذر، والنحب: الموت أيضاً، قال مقاتل: «قضى نجه» يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نجه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نحب فلان في سيرة يومه وليلته أجمع إذا مذل لم ينزل، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [يعني] الشهادة.

وقال محمد بن إسحاق: «فمنهم من قضى نجه» من استشهد يوم بدر واحد، «ومنهم من ينتظر» يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين، إما الشهادة أو النصر،

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَجَبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ كَانَ عَفْوًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يُبَالِ الْأَخْيَارُ وَالْمُؤْمِنِينَ الْفِتْنَةَ وَكَانَ اللَّهُ قَرِيبًا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْخُذُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْلُوعُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ قُلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّهَا فَمَا آتَاكُمْ أُتِيَكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ فَرِحَ الْجَاهِلُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَنْ تُحْشَىٰ نَزْدَكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ الْحَسَنَاتِ مَنْكُرُ الْأَجْرَاعِ عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَتْلُو آيَاتِهِ مَن يَأْتِي مِنْكُمْ فَرِحَ جَسَدُهُ فَرِحَتْ نَفْسُهُ يَضَعُفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢١]

﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾، عهدهم ﴿تَبْدِيلًا﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن سعيد الخزاعي، أنا عبد الأعلى عن حميد قال: سألت أنساً.

(ح) وحدثني عمرو بن زرارة، أنا زيادة حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعذر إليك ما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر

إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بيناته، قال أنس: كنا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر الآية.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا [أبو] معاوية، عن الأعشى، عن شقيق، عن خباب بن الارت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمره، فكننا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجله خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجله شيئا من الإذخر، قال: و[منا] من أينعت له ثمرته فهو يهديها».

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعمي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر، أنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأذربلسي، أنا محمد بن سليمان الجوهري بأنطاكية، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا الصلت بن

دينار، عن أبي نصر، عن جابر بن عبد الله قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة بن عبيد الله فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحوه فلينظر إلى هذا».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن أبي شبة، أنا وكيع بن إسماعيل، عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء بالعهد، ﴿وَيُذِيبَ الْمُتَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قريش وغطفان، ﴿يَغْطِيهِمْ﴾، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا، ﴿لَوْ يَتَأَلَّوْا حَيْرًا﴾، ظفرا، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، بالملائكة والريح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، قويا في ملكه عزيزا في انتقامه.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿مِنْ صِيَاحِهِمْ﴾، حصونهم ومعقلهم، واحداها صيصية، ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحاقة صيصية.

وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف

الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، وعليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غلست شقه، فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم.

وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺ يمسح الغبار عن وجهه وعن فرسه، فقال [جبريل]: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهذ إليهم فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال ولبلال، فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن: أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إليهم، وابتدراها الناس فسار علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم، أظنك سمعت لي منهم أدنى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا، فلما دنا

رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، ومَرَّ رسول الله ﷺ على أصحابه بالصَّوْرَيْنِ من قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: هل مَرَّ بكم أحد؟ قالوا: نعم يا رسول الله مَرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال عليه السلام: ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم، فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم [يقال لها بئر أناء]، فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلّا في بني قريظة»، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عففهم به رسول الله ﷺ.

قال: وحاصروهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم، قالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا

الرجل ونصدقهُ فوالله إنه لقد تبين لكم أنه مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال كعب: فإذا أبيتم هذه فهل قتلقت أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد [وأصحابه] رجالاً مصلتين بالسيف ولم نترك وراءنا ثقلًا يهمنّا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك [نهلك] ولن نترك وراءنا شيء نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء، فقالوا تقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمثوا فيها فأنزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: أنفسد سيتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً؟ قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان ييكون في وجهه فرق لهم، فقالوا [له]: يا أبا لبابة أتري لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، قالوا: ماذا يفعل بنا إذا نزلنا؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت

قدماي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه، قال: أما لو قد جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ يضحك فقلت: مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: ألا أبشره بذلك يا رسول الله؟ فقال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال: فثار الناس عليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مَرَّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى [صلاة] الصبح أطلقه، قال: ثم إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزل فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي

فَمَزَّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ سُعْدِيِّ، وَكَانَ عَمْرُو قَدْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدَرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَا أَغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ حِينَ عَرَفَهُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي مِنْ عَشْرَاتِ الْكِرَامِ ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ، فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ، فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَأْنَهُ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ قَدْ نَجَاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَوْثَقَ بَرْمَةً فَيَمُنُ أَوْثَقَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ نَزَلُوا عَلَى حَكَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصْبَحَتْ رَمَتُهُ مَلَقَاةً لَا يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ، فَقَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حَكَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنُتَوِّبَتِ الْأَوْسُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزَرَجِ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي الْخَزَرَجِ بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ حَاصِرَ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ، فَنَزَلُوا عَلَى حَكْمِهِ فَسَأَلَهُمْ إِيَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُولٍ، فَوَهَبَهُمْ إِيَّاهُ فَلَمَّا كَلِمَةُ الْأَوْسِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيكُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ قَدْ جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خِيْمَةِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهَا رَفِيدَةٌ

فِي مَسْجِدِهِ، وَكَانَتْ تَدَاوِي الْجَرْحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضِيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ اجْعَلُوهُ فِي خِيْمَةِ رَفِيدَةٍ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَنَاهُ قَوْمُهُ فَاحْتَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّأُوا لَهُ بِوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا أَبَا عَمْرُو أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَأَتِمَّا وَلَاكَ ذَلِكَ لِنَحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، فَارْجِعْ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي الْأَشْهَلِ فَنَعَى لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدُكُمْ فَأَنْزِلُوهُ»، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرُو إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَاكَ مَوَالِكَ لَتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدُ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنَّ الْحَكْمَ فِيهَا مَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَهُنَا فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ سَعْدُ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ الرِّجَالَ وَتَقْسِمَ الْأَمْوَالَ وَتُسَيِّبَ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ.

[قَالَ] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَعْدٍ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحَكْمِ اللَّهِ مِنْ

فَوْقَ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ»، ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَوَاقِ الْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ سَوَاقُ الْيَوْمِ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنْدَقًا ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنْدَاقِ، يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَئِيسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتْمَانَةٌ أَوْ سَبْعِمِائَةٌ، وَالْمَكْثَرُ لَهُمْ يَقُولُ كَانُوا بَيْنَ ثَمَانِمِائَةٍ إِلَى تِسْعِمِائَةٍ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَالًا: يَا كَعْبُ مَا تَرَى يَصْنَعُ بَنَانُ فَقَالَ كَعْبُ: أَفَنِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ أَمَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ وَإِنْ مِنْ يَذْهَبُ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ، هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّابُّ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَأَتَى حَيَّ بْنَ أَخْطَبٍ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَيْهِ حِلَّةٌ تَفَاحِيَةٌ قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمْوَضِعِ الْأَنْمَلَةِ أَنْمَلَةٌ لثَلَاثَ يَسْلُبُهَا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحِجْلٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ وَلَكِنِّي مَنْ يَخْذُلُ اللَّهُ يَخْذُلُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ [كِتَابٌ] وَقَدْرُهُ وَمُلْحَمَةٌ كَتَبْتُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ.

وَرَوَى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَاءِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً قَالَتْ وَاللَّهِ إِنَّهَا عِنْدِي تَتَحَدَّثُ مَعِي وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبِطْنًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ

بالسيف إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة قالت: أنا والله هي، قالت: قلت وملك مالك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: حدثت أحدثته، قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

قال الواقدي: وكان اسم تلك المرأة شابة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد، رمث عليه رحى فدعا رسول الله ﷺ بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد، قال: وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعث، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله، فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك» فاتاه فقال له إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة، فأتى ثابت

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أهله وماله؟ قال: هم لك فاتاه فقال: إن رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك ولذلك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك، فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: ماله يا رسول الله؟ قال: هو لك، قال: فاتاه فقال إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك، فقال: أي ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه امرأة مضيئة تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا عزال بن شموئيل؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبة، قال: يلقيهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً. قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أنبت منهم، ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعزل في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منهما الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان وللفراس سهم، وللراجل ممن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً

وكان أول فيء وقع فيه السهمان، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبانيا من سبانيا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خثانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك. فتركها وقد كانت حين سبائها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك في أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لشعلة بن شعبة يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسر ذلك.

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال: اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إليّ أن أجاهدكم من قوم كفروا رسولك، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش على رسولك شيئاً فأبقني لها وإن كنت قد قطعته الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك، فانفجر كلّمه فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء

عمر من بكاء أبي بكر ولاني لفي
حجرتي، قالت [عائشة]: وكانوا كما
قال الله تعالى: ﴿رَحِمَهُمُ اللَّهُ﴾^{٢٩}
[الفتح: ٢٩]، وكان فتح بني قريظة
في آخر ذي القعدة سنة خمس من
الهجرة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
التغيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن
محمد، أنا يحيى بن آدم، أنا
إسرائيل، سمعت أبا إسحاق يقول،
سمعت سليمان بن صرد يقول،
سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى
الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا
يغزوننا نحن نسير إليهم».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة، أنا
الليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن
أبيه، عن أبي هريرة أن
رسول الله ﷺ كان يقول «لا إله
إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر
عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا
شيء بعده».

قال الله تعالى في قصة بني قريظة: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا﴾، وهم الرجال يقال كانوا ستمائة، ﴿وَأُخْرَىٰ قُتِلُوا﴾، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: تسعمئة.

﴿وَأَوْرَثَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾
وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَإِنَّهَا بِرَأْسِهَا وَأَنْتُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ

ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال
ققتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال
الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة
كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَرِيضَتُهَا فَعَلَيْكُمْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ﴾
متعة الطلاق، ﴿وَأَسْرِخْكُمْ مَرَلًا مَرَلًا﴾.

وَوَسَّوْهُمْ وَالَّذِينَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُفْسِدِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا.

سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وأذينه بغيرة بعضهن على بعض، فخرجهن رسول الله ﷺ وألى أن لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه؟ وكانوا يقولون: طلق

رسول الله ﷺ نساء، فقال عمر:
لأعلمن لكم شأنه، قال: فدخلت
على رسول الله ﷺ فقلت: يا
رسول الله أطلقتهن؟ قال: «لا»،
قلت: يا رسول الله إني دخلت
المسجد والمسلمون يقولون طلق
رسول الله ﷺ نساء، أفأنزل
فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم
إن شئت»، قال: فقم على باب
المسجد وناديت بأعلى صوتي لم
يطلق رسول الله ﷺ نساء، فنزلت
هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ
الْأَمْرَيْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ
إِلَى الرُّسُولِ وَالَّتِ أَوَّلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]،
قال: فكنت، أنا استنبطت ذلك

الأمر، وأنزل الله آية التخيير:

وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخبيرية، وجويرة بنت الحارث المصطلقية، رضوان الله عليهن، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ففروى الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك. قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: **لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدِ** ﴿الأحزاب: ٥٢﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغفار بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفیان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا زهير بن حرب، أنا روح بن عبادة، أنا زكريا بن إسحاق أخبرنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً بيابه ولم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن [فأذن] له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، فقال: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة

سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول لا تسألن رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوَّجِكَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنْكُمْ أَزْوَاجًا عَظِيمًا﴾، قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشير أبيك»، قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبيي؟ بل أختار الله ورسوله وأختار الدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله ﷺ فقلت حين بدأ بي: يا رسول الله إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في تسع

وعشرين أعدهن؟ فقال: «إن الشهر تسع وعشرون».

واختلف العلماء في هذا الخيار أنه هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن، وقتادة، وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: ﴿فَمَّا لَوِيتَ أَفْئِدَتَكَ وَامْتَحَنَكَ مَرَّكَ جَمَلًا﴾، بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبيك»، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقاً.

واختلف أهل العلم في حكم التخيير: فقال عمر وابن مسعود وابن عباس: إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلاقاً واحدة، وهو قول عمر بن عبد العزيز، وابن أبي ليلى، وسفيان، والشافعي، وأصحاب الرأي، إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلاقاً بائنة إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية، وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج تقع طلاقاً واحدة، وإذا اختارت نفسها فثلاث، وهو قول الحسن وبه قال مالك.

وروي عن علي أيضاً [أنها] إذا اختارت زوجها تقع طلاقاً واحدة وإن اختارت نفسها فطلاقاً بائنة، وأكثر

العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، أنا أبي، أنا الأعمش، أنا مسلم، عن مسروق، عن عائشة قالت: خيرنا رسول الله ﷺ فاختارنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِي مِنْكُمْ وَيُفَضِّلُ شَيْئًا﴾، بمعصية ظاهرة، قيل: هي كقوله عز وجل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْمِلَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: ٢٥] لا أن متهمين من أتت بفاحشة. وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق. ﴿يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عمر: «نضعف» بالنون وكسر العين وتشديدها، «العذاب» نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين «العذاب» رفع ويشدها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: «ضعفين»، وقرأ الآخرون: «بضاعف» بالالف وفتح العين، «العذاب» رفع، وهما لغتان مثل بعد وباعد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَذَابُهَا عَلَى اللَّهِ هِينًا وَتَضَعِيفَ عَقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه

فاتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُكُمُ تَزِجُ الْجَنَّةِ الْأُولَى﴾.

وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى: ما ذكرنا، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وقيل: قد تذكر الأولى إن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَنَ الصُّلُوَّةَ وَأَمَّا يَئِيكَ الزَّكْوَةُ وَالْأَمَنُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل.

وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال قتادة: يعني السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك، وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وتلا قوله:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُلُ فِي يَوْمِئِذٍ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [وهو قول عكرمة ومقاتل]، وذهب أبو سعيد الخدري، وجماعة من التابعين، منهم مجاهد، وقاتدة، وغيرهما: إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين.

ثنا أبو الفضل زياد بن محمد

الحنفي، أنسا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري، أنا أبو بكر محمد [بن] يحيى بن محمد بن صاعد، أنا أبو همام الوليد بن شجاع، أنا يحيى بن زكريا بن [أبي] زائدة، أنا أبي عن مصعب بن شببة، عن صفية بنت شببة الحجبية، عن عائشة أم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مُرَجَّل من شعر أسود، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه، ثم جاء حسين فادخله فيه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي، أنا [أبو] عبدالله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب [ثنا] الحسن بن مكرم، أنا عثمان بن عمر، أنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: في بيتي أنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»، قالت: فقلت يا رسول الله، أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله».

قال زيد بن أرقم: أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُلُ فِي

يَوْمِئِذٍ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾، أي القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، قال قتادة: يعني السنة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواظبه. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، أي لطيفاً بأوليائه خبيراً بجميع خلقه.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ السَّالِفِينَ وَالْمُتَلَفِينَ﴾، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله، إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا يقبل الله منا طاعة، فأنزل الله هذه الآية. قال مقاتل: قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه. [إنا] نخشى أن لا يكون فيهن خير. فنزلت هذه الآية.

وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: «وومم ذاك؟» قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ السَّالِفِينَ وَالْمُتَلَفِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾، المطيعين ﴿وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ﴾، في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم، ﴿وَالصَّادِقَاتِ﴾، على ما أمر الله به، ﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالْمُتَوَاضِعِينَ﴾، المتواضعين، ﴿وَالْمُتَوَاضِعَاتِ﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت،

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِسَاءَ وَطَرًا رَزَعْنَاهَا لِيَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَتْلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَادِمُ اللَّيْتَيْنِ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ وَذَكَرُوا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ رَسِيصُهُ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُكَ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

ومن صان نفسه عن

الكذب فهو داخل في

قوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾

وَالْمُتَّقِينَ، ومن صبر

على الطاعة، وعن

المعصية، وعلى الرزية:

فهو داخل في قوله:

﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

ومن صلى فلم يعرف من

عن يمينه وعن يساره فهو

داخل في قوله:

﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

ومن تصدق في كل أسبوع

بدرهم فهو داخل في

قوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾

وَالْمُتَّقِينَ، ومن صام من كل شهر

الأيام البيض، الثالث عشر، والرابع

عشر، والخامس عشر، فهو داخل

في قوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو

داخل في قوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

ومن صلى الصلوات

الخمس بحقوقها فهو داخل في

قوله: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً

وَأَجْرًا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، الآية.

نزلت في زينب بنت جحش

الأسدية، وأخيها عبدالله بن جحش،

وأُمهما أمية بنت عبدالمطلب عمة

النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ

زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان

رسول الله ﷺ اشتري زيندا في

الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما

خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت

وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت

أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة

عمتك يا رسول الله فلا أرضاه

لنفسى، وكانت بيضاء جميلة فيها

حدة، وكذلك كره آخرها ذلك،

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ

لِمُؤْمِنٍ﴾، يعني عبدالله بن جحش،

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني أخته زينب، ﴿إِذَا

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾، أي إذا

أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح

زينب لزيد، ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ﴾.

قرأ أهل الكوفة «أن يكون» بالياء

للحائل بين التانيث والفعل، وقرأ

الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من

أمرهم، والخيرة الاختيار، والمعنى

أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما

أمر الله ورسوله به، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾، أي

أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعا ذلك

رضيا بذلك وسلما، وجعلت أمرها

بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها،

فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل

بها وساق رسول الله ﷺ إليها عشرة

دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً

وإزاراً وملحفة وخمسين مداً من

طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ

عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، الآية.

نزلت في زينب [بنت جحش]

وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوج

زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم

﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾، مما رزقهم الله،

﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُتَّقِينَ،

وَالْمُتَّقِينَ فَرُوجُهُمْ، عما لا يحل،

وَالْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ اللَّهُ كَثِيرًا

وَالَّذِينَ، قال مجاهد: لا يكون

العبد من الذاكرين لله كثيراً حتى

يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

وروي أن النبي ﷺ قال: «سبق

المفردون»، قالوا: وما المفردون يا

رسول الله؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً

والذاكرات».

قال عطاء بن أبي رباح: من

فوض أمره إلى الله عز وجل فهو

داخل في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ

وَالْمُسْلِمِينَ﴾، ومن أقر بأن الله ربه

ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبه

لسانه، فهو داخل في قوله:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ومن

أطاع الله في الفرض، والرسول في

السنة: فهو داخل في قوله:

إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسننها، فقال: سبحان الله مقلب القلوب وانصرف، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد، فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: «ما لك أرابك منها شيء؟» قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذي بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك» [يعني زينب بنت جحش]، «وَأَتَى اللَّهَ فِي أَمْرِهَا، ثُمَّ طَلَقَهَا زَيْدٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ لِذَلِكَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، بِالْإِسْلَامِ ﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْهِ﴾ بِالتَّزْوِيجِ وَالْإِعْتِاقِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، «أَسْبَغَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، يعني زينب بنت جحش، «وَأَتَى اللَّهَ فِيهَا وَلَا تَفَارِقُهَا، وَتَحْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»، أي تسر في نفسك ما الله مظهره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها.

وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ود أنه طلقها. «وَتَحْفَى النَّاسُ»، قال ابن عباس والحسن: تستحيهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها. «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَنَّهُ».

قال [ابن] عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كنتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية: «وَتَحْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ».

وروي سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: «وَتَحْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَحْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَنَّهُ؟» قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، [ثم قال]: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له: «أمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك.

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زَوَّجْنَاهَا» فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها [لكان] أظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد [إن] التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول الحسن مرض، وإن كان القول الآخر

وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر. وقوله: «أَسْبَغَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَى اللَّهَ»، أمر بالمعروف وهو خشية لا إثم فيه، قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَنَّهُ»، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق.

فإنه عليه السلام قد قال: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له»، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عز وجل: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَتْنَهَا وَكَرَّهَا»، أي حاجة من نكاحها، «زَوَّجْنَاهَا»، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها.

قال أسد: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نساءك امرأة تدلي بهن: جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج حدثنني محمد بن حاتم بن ميمون، أنا بهز، أنا سليمان بن

المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها علي»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدتها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم، حتى امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حَجْرَ نساءه يسلم عليهن، ويقولن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري، أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخله معه فالتقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا سليمان بن حرب، أنا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: ما أولم النبي ﷺ على شيء من نساءه ما أولم على زينب، أولم بشاة. أخبرنا محمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو سعيد محمد بن

موسى الصيرفي، أنا أبو العباس الأصم، أنا محمد بن هشام بن ملاس النمري، أنا مَرْزَانُ الفزاري، أنا حميد عن أنس قال: أولم رسول الله ﷺ حين ابنتى زينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً.

قوله تعالى: ﴿لَيْكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، إنهم، ﴿فِي أَرْجَحِ أَدْعَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، والأدعياء جمع الدعي وهو المتبني، يقول: زوجتك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيه لتعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني، وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، أي كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، أي فيما أحل الله له، «سُنَّةَ اللَّهِ»، أي كسنة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي الزموا سنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم. قال الكلبي ومقاتل: أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هو هوبها فكذلك جمع بين محمد ﷺ وبين زينب.

وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام. وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، قضاء مقضياً كائنًا ماضياً.

﴿الَّذِينَ يَلْفُفُونَ رِجَالَهُمْ﴾، يعني سنة الله في الأنبياء الذين يلففون رسالات الله، ﴿وَيَخْشَوْنَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي لا يخشون قالة الناس ولا تمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وَكُنْ يَاقُوه حَبِيبًا﴾، حافظاً لأعمال خلقه ومحاسنهم.

ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ﴾، ﴿كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين. فإن النبي ﷺ قال للحسن: «إن ابني هذا سيد؟».

قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم [الذي لم يلده]، ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَرُ النَّبِيِّينَ﴾، ختم الله به النبوة.

وقرأ ابن عامر وعاصم: «خاتم» يفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً. وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

يَعْلَمُونَ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُمْ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤١﴾ يٰٓأَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٢﴾ وَإِنِّي
إِلَى اللَّهِ بِذِي قُوَّةٍ وَسِرًّا مُّخْبِرًا ﴿٤٣﴾ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ يٰٓأَيُّهَا
مَنْ اللَّهُ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ
وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِأَلَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٥﴾
يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُونَهَا
فَمَنْعُوهُنَّ وَسِرَّوهُنَّ سِرًّا كَرِيمًا ﴿٤٦﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتُ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا ءَاتَى اللَّهُ عَلَيْكَ وَنِسَاءَ عَمِكَ وَنِسَاءَ عَنَتِكَ
وَنِسَاءَ خَالَكِ وَنِسَاءَ خَلَدَيْكَ الَّتِي هَاجَرَ مِنْكَ وَأَمْرًا
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَرَّمَ اللَّهُ عَفْوَكَ رَاحِمًا ﴿٤٧﴾

[٤٤]

يعلمون أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ يٰٓأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ أي بالليل والنهار، في البر والبحر وفي النصح والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدًا.

﴿وَسَيُخَوِّدُ﴾، أي ضلّو له، ﴿يَكْرَهُ﴾، يعني: صلاة الصبح،

﴿وَأَمْسِلَا﴾، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلًا صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني: قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ﴿ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، فالصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار للمؤمنين، قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أياصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله [الرحمة وقيل الصلاة من الله] على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخدشاهي، أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبكر الجوريزي، أنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل الأنبياء [قبلي] كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها، فكنت أنا سدوت موضع اللبنة، ختم بي النبيان وختم بي الرسل».

أخبرنا عبدالله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا علي بن أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وغير واحد قالوا، أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي».

قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما أعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا يُنتهى إليه، ولم

عباده. وقيل: الشاء عليه.

قال أنس: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَلَكَمَّ يَصُورُونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية. قوله: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني: أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾، أي تحية المؤمنين، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾، أي يرون الله، ﴿سَلَامٌ﴾، أي يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات.

وروي عن البراء بن عازب قال: «تحتيتهم يوم يلقونه» يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه.

وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم، «وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا»، يعني الجنة.

﴿٥٥﴾ قوله عز وجل: «يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»، أي: شاهداً للرسول بالتبليغ، ومبشراً لمن آمن بالجنة، ونذيراً لمن كذب [بآياتنا] بالنار.

﴿٥٦﴾ «وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ»، إلى توحيده وطاعته، «يُذَوِّبُهُمْ بِأَمْرِهِ»، «وَمِيرَاجًا شَدِيدًا»، سماء سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

﴿٥٧﴾ «وَيُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا».

﴿٥٨﴾ «وَلَا تَطْلُعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْفِقِينَ»، ذكرنا تفسيره في أول السورة، «وَدَعَّ أَذْنَهُمْ»، قال ابن عباس وقتادة: أصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال. «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا»، حافظاً.

﴿٥٩﴾ قوله عز وجل: «يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ»، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق، وقال كل امرأة أنكحها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق، وهو قول علي وابن عباس، وجابر، ومعاذ، وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب، وعروة، وشريح،

وسعيد بن جبير، والقاسم، وطاوس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وسليمان بن يسار، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم، وبه قال الشافعي، وروي عن ابن مسعود: أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم النخعي، وأصحاب الرأي، وقال ربعة ومالك والأوزاعي: إن عتبن امرأة يقع، وإن عم فلا يقع.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، إن كان قالها فزلة من عالم في [أن] الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق، يقول الله تعالى: «إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ»، ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد الديموري، أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة، أنا الربيع بن سليمان، أنا أيوب بن سويد، أنا ابن أبي ذئب عن عطاء، عن جابر [قال]: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق قبل النكاح».

قوله عز وجل: «مَنْ قِيلَ أَنْ تَمْسُوهُنَّ»، تجامعوهن، «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْدُوهُنَّ»، تحصونها بالأقراء والأشهر، «فَتَمْسُوهُنَّ»، أي أعطوهن ما يستمتعن به.

قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة، فإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها. وقال قتادة:

هذه الآية منسوخة بقوله: «فَتَصِفُ مَا قَوَّضْتُمْ» [البقرة: ٢٣٧]، وقيل: هذا أمر ندب، فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر. وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، «وَمَنْ خَوَّنَ سِرًّا جَيْلًا»، خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار.

﴿٥٥﴾ قوله تعالى: «يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»، أي: مهورهن، «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَّا فَأَنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ»، رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفة وجورية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له [إبراهيم]، «وَنَتَايَ عَيْكَ وَنَتَايَ عَيْنِكَ»، يعني نساء قرش، «وَنَتَايَ خَالِكَ وَنَتَايَ خَلَّتِكَ»، يعني نساء بني زهرة، «أَلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ»، إلى المدينة فمن لم تهجر منهن معه لم يجز له نكاحها.

وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له، لأنني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء.

ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل، «وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ»، أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه.

واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي ﷺ نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر؟ فذهب جماعة إلى أنه كان لا

يحل له ذلك، لقوله: ﴿وَأَمَّا زَكَاةُ﴾ مؤنثة، وأول بعضهم الهجرة في قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَلَكَ﴾ على الإسلام أي أسلمن معك، فبدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح يتعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالزيادة على الأربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه ولا مشاركة لأحد معه فيه. واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج، وهو قول سعيد بن المسيب، والزهرري، ومجاهد، وعطاء، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه يتعقد بلفظ الهبة والتملك، وهو قول إبراهيم النخعي، وأهل الكوفة، ومن قال لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي ﷺ، فذهب قوم إلى أنه كان يتعقد في حقه بلفظ الهبة، لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذهب آخرون إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق الأمة لقوله عز وجل: ﴿إِنْ أَرَادَ الْكَافِرُ أَنْ يُسْتَكْمَلَ﴾، وكان اختصاصه ﷺ في ترك المهر لا في لفظ النكاح.

واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ وهل كانت عنده امرأة منهن، فقال عبدالله ابن عباس،

ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين.

وقوله: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا﴾ على طريق الشرط والجزاء، وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة.

واختلفوا فيها، فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية، يقال لها: أم المساكين. وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث. وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل: هي أم

شريك بنت جابر من بني أسد. وقال عروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم من بني سليم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي أوجبنا على المؤمنين، ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي: أحللتنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿تَرْجِي﴾، تؤخر، ﴿مَنْ نَفَاةٍ يَتَّبِعُ﴾، أي تضم، ﴿إِلَيْكَ مَنْ نَفَاةٍ﴾، اختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القسم

﴿تَرْجِي مَنْ نَفَاةٍ يَتَّبِعُ﴾، أي تضم، ﴿إِلَيْكَ مَنْ نَفَاةٍ﴾، اختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القسم

بينهن، وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن.

قال أبو رزين، وابن زيد: نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة، فهجرهن النبي ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير، فأمره الله عز وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، على أنهن أمهات المؤمنين ولا يتكحن أبداً، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن، ويرجي من يشاء، فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم. أو قسم لبعضهن دون بعض، أو فضل لبعضهن في النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف

يشاء، وكان ذلك من خصائصه
فرضين بذلك واختارنه على هذا
الشرط.

واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً
منهم عن القسم، فقال بعضهم: لم
يخرج أحداً، بل كان رسول الله ﷺ
مع ما جعله الله له من ذلك، يسوي
بينهن في القسم إلا سودة فإنها
رضيت بترك حقها من القسم،
وجعلت يومها لعائشة، وقيل: أخرج
بعضهن.

روى جرير عن منصور عن أبي
رزين قال: لما نزلت آية التخيير
أشفقن أن يطلقهن، فقلن:
يا نبي الله اجعل لنا من مالك
ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا،
فنزلت هذه الآية، فأرجى
رسول الله ﷺ بعضهن وأوى إليه
بعضهن، وكان ممن أوى إليه
عائشة، وحفصة، وزينب، وأم
سلمة، فكان يقسم بينهن سواء،
وأرجى منهن خمساً: أم حبيبة،
وميمونة، وسودة، وصفية،
وجويرية، فكان يقسم لهن ما شاء.

وقال مجاهد: «ترجي من تشاء
منهن» يعني تعزل من تشاء منهن بغير
طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل
بلا تجديد نكاح. وقال ابن عباس:
تطلق [من تشاء] منهن وتمسك من
تشاء.

وقال الحسن: تترك نكاح من
شئت وتتكح من شئت من نساء
أمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا
خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها
حتى يتركها رسول الله ﷺ.

وقيل: تقبل من تشاء من

المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن لك
فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا
تقبلها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن
سلام، أنا ابن فضيل، أنا هشام عن
أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من
اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ
فقال عائشة: أما تستحي المرأة أن
تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت:
«تَرَجَى مَن تشاء مِّنْهُنَّ»، قلت: يا
رسول الله ما أرى ريك إلا يسارع
في هواك.

قوله تعالى: «وَمَن ابْتَغَىٰ مَن
عَزَلْتَ»، أي طلبت وأردت أن تؤوي
إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم،
«فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» لا إثم عليك،
فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه
ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويوطأ
من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد
إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على
سائر الرجال، «وَلَا أَذَنُ أَنْ تَفَرَّ
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ»، أي التخيير
الذي خيرتك في صحبتهم أقرب إلى
رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل
لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله
عز وجل، «وَوَضَعَتْ يَمَآءَ أَيْتُهُنَّ»،
أعطيتهن، «كُلُّهُنَّ»، من تقرب
وارجاء وعزل وإيواء، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
فِي قُلُوبِكُمْ»، من أمر النساء والميل
إلى بعضهن، «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
خَبِيرًا».

قوله تعالى: «لَا يَحِلُّ لَكَ
الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ

أَزْوَاجٍ»، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «لا
تحل» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من
بعد يعني «من بعد» هؤلاء التسع
اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن
النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله
ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه
النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن
وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن
عباس وقتادة.

واختلفوا في أنه هل أبيع له النساء
من بعد؟

قالت عائشة: ما مات
رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء
سواهن.

وقال أنس: مات على التحريم.

وقال عكرمة والضحاك: معنى
الآية لا يحل لك النساء إلا اللاتي
أحللنا لك وهو قوله: «إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ» [الأحزاب: ٥٠] الآية، ثم
قال: «لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدُ» إلا
اللاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم
ذكرها. وقيل لأبي بن كعب: لو
مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له أن
يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك؟
قيل: قوله عز وجل: «لَا يَحِلُّ لَكَ
الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدُ»، قال: إنما أحل الله
له ضرباً من النساء [من بعد النساء]،
فقال: «يَكَايُهَا النَّيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ» [الأحزاب: ٥٠].

ثم قال: «لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ
بَعْدُ»، قال أبو صالح: أمر أن لا
يتزوج أعرابية ولا عربية، ويتزوج من
نساء قومه من بنات العم والعمة
[والخال] والخالة إن شاء ثلاثمائة،

وقال مجاهد: معناه لا يحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات بعد

المسلمات ولا أن تبدل بهن، يقول أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى، يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلا ما ملكت يمينك، أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن.

وروي عن الضحاك: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ﴾ أي ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حيالك أزواجاً غيرهن بأن تطلق فتتخج غيرهن، فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين، وحرمن على غيره حين اخترته، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَنْفُجَ﴾، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك، وأبادلك بامرأتي، تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَنْفُجَ﴾، يعني لا تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [أي] لا بأس أن تبدل بجارتك ما شئت، فأما الحرائر فلا.

وروي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: دخل عبيدة بن حصن على النبي ﷺ بغير إذن، وعنده عائشة، فقال له النبي ﷺ: «يا عبيدة فأين الاستئذان؟» قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين، فقال عبيدة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن

هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم ذلك»، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذا أحق مطاع وإنه على ما تورين لسيد قومه».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْبُنَ﴾، يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتتخج بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَؤُوفًا﴾، حافظاً. وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء.

روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل».

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوريزي قال: أنا أحمد بن حرب، أنا أبو معاوية عن عاصم وهو ابن سليمان عن بكر بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة، فقال لي النبي ﷺ: «هل نظرت إليها؟» قلت: لا، قال: «فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا عبد الله بن حامد، أنا حامد بن محمد، أنا بشر بن موسى، أنا الحميدي، أنا سفيان، أنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»، قال الحميدي يعني الصغر.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، الآية. قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا يحيى بن بكير، أنا الليث بن عقيّل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، قال: وكانت أم هانئ تواظبني على خدمة النبي ﷺ، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل، في مبتنى رسول الله ﷺ بزيّتب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فطالوا المكث، فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمضى النبي ﷺ ومشيت

حتى جاء [عتبة] حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا، فرجع النبي ﷺ، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الفتر، وأنزل الحجاب.

وقال أبو عثمان، واسمه الجعد، عن أنس قال: فدخل رسول الله ﷺ البيت وأرخى الستر وإنني لفي الحجرة، وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِلُ مِنَ الْحَقِّ﴾.

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ يقول إلا أن تَدْخُلُوا، ﴿إِنَّ طَعَامَهُ﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿فَبِعَرِّ ظَهْرَيْنِ إِنَّهُ﴾، غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال أتى الحميم: إذا انتهى حره، وإتى أن يفعل ذلك إذا حان، إتى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحها مددت فقلت الإناء، وفيه لغتان إنى يأنى، وأن يثين مثل حان يحين، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾، أكلتم الطعام، ﴿فَانْثَرُوا﴾، تفرقوا وأخرجوا من منزله، ﴿وَلَا تُسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾، ولا طالبين الأنس

للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فنهوا عن ذلك، ﴿إِنَّ دَلَّكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجِلُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِلُ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة [من نساء] رسول الله ﷺ متنبئة كانت أو غير متنبئة، ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَتُؤْمِنُونَ﴾ من الريب، وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما:

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا يحيى بن بكير، أنا الليث، حدثني غفيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبد الرحيم بن منيب، أنا يزيد بن هارون، أنا حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقني ربي في ثلاثة، قلت: يا رسول الله

لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى [فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى]، وقلت: يا رسول الله إنه يدخل عليك الزُّبُرُ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما أذى به رسول الله ﷺ نساؤه، قال: فدخلت عليهن فجعلت أستقربهن واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهن أو ليبدلته الله أزواجاً خيراً منكُنَّ، حتى أتيت على زينب فقالت: يا عمر ما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، قال: فخرجت فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [أي] ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة.

قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله، فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرم، وقال: ﴿إِنَّ دَلَّكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾، أي ذنباً عظيماً.

وروي معمر عن الزهري، أن العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له، وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنْ تَدْرَأُونَ شَيْئًا أَوْ تَخْشَوْنَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد

علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حُجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه [بها] عشرة».

أخبرنا أبو بكر [محمد] بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم [بن] عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن سليمان مولى الحسن بن علي، عن عبدالله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه جاء ذات يوم والبشر [يرى] في وجهه، فقال: «إنه جاءني جبريل فقال [إن ربك يقول] أما يرضيك يا محمد، أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن عاصم هو ابن عبيد [الله] قال: سمعت عبدالله [بن عامر] بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل العبد من ذلك أو ليكثر».

حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أنا [جناح] بن نذير المحاربي بالكوفة، أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أنا أحمد بن حازم، أنا عبدالله بن موسى وأبو نعيم، عن سفيان، عن عبدالله بن السائب، عن زاذان، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام».

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون، فأما اليهود فقالوا: عزيز ابن الله ويد الله مغلوله، وقالوا إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه.

وروي أن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى: شمتني عبيد، يقول اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

وروي عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمو أقلب الليل والنهار».

وقيل: معنى «يؤذون الله» أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة هم أصحاب التصاوير.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن العلاء، أنا ابن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة».

وقال بعضهم: يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿وَتَكِلَ الْفَرِيضَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي أهل القرية.

وروي عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، وقال من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة».

ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وإرتكاب معاصيه، ذكره علي ما يتعارفه الناس بينهم، والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد، وإيذاء الرسول، قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلم مجنون.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَسَبُوا﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرعونهم بغير جرم، ﴿فَقَدْ أَحْضَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّا مُبْتَلَيْنَ﴾.

وقال مقاتل: نزلت: في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة.

وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيغمزون المرأة

فإن سكنت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً، يخرجون في درع وخمارة الحرة والأمة كذلك، فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

﴿٥٩﴾ فقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِيكَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبَابٍ﴾، جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وعبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر، ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ﴾، أنهن حرائر، ﴿فَلَا يُؤْذِينَ﴾، فلا يتعرض لهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متفنتة فعلاها بالدرة، وقال يا لكاع أنتشبهين بالحرائر، ألقى القناع.

﴿٦٠﴾ قوله عز وجل: ﴿لَيْنَ لِّرَبِّكَ﴾ الْمُتَّقُونَ، عن نفاقهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، فجور، يعني الزناة، ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينِ﴾، بالكذب.

وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانهزموا، ويقولون قد أتاكم العدو ونحوها.

وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿لَتُعْرِضَنَّ بِهِمْ﴾، لتعرضنك بهم ولتسلطنك عليه، ﴿ثُمَّ لَا يَجْأُرُوكَ فِيهَا﴾، لا يساكنونك في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، حتى يخرجوا منها، وقيل: لتسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

﴿٦١﴾ ﴿تَلْمِزِينَ﴾، مطرودين، نصب على الحال، ﴿آيَاتِنَا نُنْفِثُهَا﴾،

وجدوا وأدركوا، ﴿أُخْذُوا وَقُتِلُوا﴾، أي الحكم فيهم هذه على جهة الأمر به.

﴿٦٢﴾ ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾، أي كسنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، من المنافقين والذين فعلوا مثل [ما فعل] هؤلاء، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿٦٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾، أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنْ الْكَافِرِينَ وَأَهْدَ لِمَنْ سَبَّحُوا خَلِيلِينَ فِيهَا أَيْدٍ لَا يَجُدُونَ وَلِيًّا وَلَا نُصِيرُكَ يَوْمَ تُنْقَلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، ظهر أبطون حين يسحبون عليها، ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَلَمْنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرَّمْلُولا﴾، في الدنيا.

﴿٦٦﴾ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَلَمْنَا سَادَتَنَا﴾،

يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمَنْ الْكَافِرِينَ وَأَهْدَ لِمَنْ سَبَّحُوا خَلِيلِينَ فِيهَا أَيْدٍ لَا يَجُدُونَ وَلِيًّا وَلَا نُصِيرُكَ يَوْمَ تُنْقَلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَلَمْنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرَّمْلُولا ﴿٦٤﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَلَمْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا فَأُضِلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِزَعْمٍ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِ لَعَنَّا كَذِبًا ﴿٦٦﴾ يَتَأَيَّابُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ مَنَعُوا فِرَارًا لَّوْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٧﴾ يَتَأَيَّابُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٨﴾ صَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٩﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٠﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾

قرأ أبو عامر ويعقوب ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، ﴿وَكَرِهْنَا فَأُضِلُّونَا السَّبِيلًا﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِزَعْمٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾، أي ضعفي عذاب غيرهم. قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَتِ لَعَنَّا كَذِبًا﴾، قرأ عاصم وكبيراً بالباء قال الكلبي أي عذاباً كثيراً، وقرأ الآخرون بالتاء كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

﴿٧٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأَيَّابُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ مَنَعُوا فِرَارًا لَّوْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾، أي فطهره الله مما قالوا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾، أي

كريمًا ذًا جاء، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجهه، إذا كان ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة. وقيل: كان محبباً مقبولاً. واختلفوا فيما أودى به موسى.

فأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا روح بن عبادة، أنا عوف، عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما تستر موسى هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة [وإما آفة]، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده ليغتسل فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وبراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً». فذلك قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا

قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً».

وقال قوم: إذاؤهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله، فبراه الله مما قالوا.

وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتتخذ موسى بنفسها على رأس الملا فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو الوليد، أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبد الله قال: قَسَمَ النبي ﷺ قَسْماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: «يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، قال ابن عباس: صواباً. وقال قتادة: عدلاً. وقال الحسن: صدقاً. وقيل: مستقيماً. وقال عكرمة هو: قول لا إله إلا الله.

﴿يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْيُنَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يتقبل حسناكم. وقال مقاتل: يزكي أعمالكم، ﴿وَيُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أي ظفر بالخير كله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾، الآية. وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أودها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس.

وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال، والميزان، وأشد من هذا كله الودائع. وقال مجاهد: الأمانة الفرائض وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا عنه. وقال زيد بن أسلم: هو الصوم والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها، فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له. وقال بعضهم: هي أمانات الناس والوفاء بالعهد، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهم: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنن جوزيتن وإن

عصيتين عوقيتن، فقلن: لا يا رب، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره في السموات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طُورًا أَوْ كَرِهْنَا قَالُوا أَتَيْنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال للحجارة: ﴿وَلَنْ يَتَنَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالتَّنَائُفُ وَالنَّجْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالتَّنَائُفُ﴾ [الحج: ١٨] الآية.

وقال بعض أهل العلم: ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن، وقال بعضهم: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية. والأول أصح، وهو قول العلماء. ﴿قَالَيْنِ أَنْ يَحْمِلَهَا وَاشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، أي خفن من الأمانة أن لا يؤدبنا فيلحقهن العقاب، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، يعني آدم عليه السلام، فقال الله: يا آدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطعها فهل

أنت أخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم، وقال [أحملها] بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى أما إذا تحملت فسأعينك، أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجاب، وأجعل للسانك لحيين وغلقاً فإذا خشيت فأغلق، واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها وبين أن يخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر.

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مثَّلت الأمانة كصخرة ملقاة، ودُعيت السموات والأرض والجبال إلى [حملها] فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطبق حملها، وجاء آدم من غير أن يدعى، وحرك الصخرة، وقال: لو أمرت بحملها لحملتها، فقلن له: احملها، فحملها إلى ركبته ثم وضعها، وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له: احملها فحملها إلى حقوه، ثم وضعها، وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له: احمل، فحملها حتى وضعها على عاتقه، فأراد أن يضعها فقال الله: مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة. ﴿إِنَّمَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلوماً حين عصى ربه، جهولاً لا يدري ما العقاب في

ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل. وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني، في قوله وحملها الإنسان قولان، فقالوا: إن الله اثتمن آدم وأولاده على شيء واثتمن السموات والأرض والجبال على شيء، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض، والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له. وقيل: قوله: ﴿قَالَيْنِ أَنْ يَحْمِلَهَا﴾ أي أذَيْنِ الأمانة، يقال: فلان ليم يحتمل الأمانة أي لم يخن فيها وحملها الإنسان أي خان فيها، يقال: فلان حمل الأمانة أي ائتم فيها بالخيانة. قال الله تعالى: ﴿وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، إنه كان ظلوماً جهولاً، حكى عن الحسن على هذا التأويل: إنه قال: وحملها الإنسان يعني الكافر والمنافق، حملاً الأمانة أي خائناً. وقول السلف ما ذكرنا.

﴿٧٣﴾ قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ﴾ قال مقاتل: ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، ﴿وَيُؤْتِي اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، يهديهم ويرحمهم بما أذوا من الأمانة. وقال ابن قتيبة أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.

فِي ذَلِكَ، أَي فِيمَا تَرَوْنَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ﴿لَا يَبْصُرُ﴾، تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَعْثِ، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنتِيبٍ﴾، تَأْتِي رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ. ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يَعْنِي النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ، وَقِيلَ: الْمَلِكُ. وَقِيلَ: جَمِيعُ مَا أُوتِيَ مِنْ حَسَنِ الصَّوْتِ وَتَلْبِيْنِ الْحَدِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا خُصَّ بِهِ، ﴿يَنْجَالُ﴾، أَي وَقِيلْنَا يَا جِبَالُ، ﴿أَوِّيْ﴾، أَي سَبِّحِي، ﴿مَعَهُ﴾، إِذَا سَبَّحَ، [وَقِيلَ هُوَ تَفْعِيلٌ مِنَ الْإِيَابِ وَهُوَ الرَّجُوعُ، أَي رَجَعِي مَعَهُ]، وَقَالَ الْقَتِيبِيُّ: أَصْلُهُ مِنَ التَّأْوِيْبِ فِي السَّيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَسِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ فَيَنْزِلَ لَيْلاً [كَأَنَّهُ قَالَ أَوِّيْ النَّهَارَ كُلَّهُ] بِالتَّسْبِيْحِ مَعَهُ. وَقَالَ وَهْبٌ: نُوحِي مَعَهُ، ﴿وَالطَّيْرُ﴾، عَطَفَ عَلَى مَوْضِعِ الْجِبَالِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنَادَى فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَسَخَرْنَا وَأَمَرْنَا الطَّيْرَ أَنْ تَسْبِّحَ مَعَهُ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: «وَالطَّيْرُ» بِالرَّفْعِ رَدًّا عَلَى الْجِبَالِ، أَي أَوِّيْ أَنْتَ وَالطَّيْرُ. وَكَانَ دَاوُدُ إِذَا نَادَى بِالنَّاحِيَةِ أَجَابَتْهُ الْجِبَالُ بِصَوْدَاها وَعَكَفَتِ الطَّيْرُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهِ، فَصَدَى الْجِبَالُ الَّذِي يَسْمَعُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ مِنْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: كَانَ دَاوُدُ إِذَا تَخَلَّلَ الْجِبَالَ فَسَبَّحَ اللَّهَ جَعَلَتِ الْجِبَالُ تَجَاوِبُهُ بِالتَّسْبِيْحِ نَحْوَ مَا يَسْبِّحُ. وَقِيلَ: كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا لَحِقَهُ فَتُورُ أَسْمَعَهُ اللَّهُ تَسْبِيْحَ الْجِبَالِ تَنْشِيْطًا لَهُ. ﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَلِيدُ﴾، حَتَّى كَانَ الْحَدِيدُ فِي يَدِهِ كَالشَّمْعِ وَالْمَعْجِينِ يَعْمَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبِ مَطْرُوقَةٍ. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى مَا رَوَى فِي

الْأَخْبَارِ: أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَلَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَخْرُجَ لِلنَّاسِ مُتَكَبِّراً، فَإِذَا رَأَى رَجُلًا لَا يَعْرِفُهُ يَقْدُمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ عَنْ دَاوُدَ فَيَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي دَاوُدَ وَالْيَكْمَ هَذَا أَي رَجُلٌ هُوَ فَيَسْتَنْوِي عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ خَيْرًا، فَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مَلِكًا فِي صُورَةِ آدَمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ دَاوُدُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ عَلَى عَادَتِهِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: نَعَمْ الرَّجُلُ هُوَ لَوْلَا خَصْلَةٌ فِيهِ، فَزَاعَ دَاوُدُ ذَلِكَ وَقَالَ: مَا هِيَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟

قَالَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ وَيَطْعَمُ عِيَالَهُ مِنْ بَيْتِ الْعَالِ، قَالَ: فَتَنَبَّهَ لِذَلِكَ وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَتَّبِعَ لَهُ سَبَبًا يَسْتَفِي بِهِ عَنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَيَتَّقُونَ مِنْهُ وَيَطْعَمُ عِيَالَهُ، فَأَلَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْحَدِيدَ وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرْعِ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا. وَيَقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَبِيعُ كُلَّ دَرْعٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دَرْهَمٍ، فَيَأْكُلُ وَيَطْعَمُ مِنْهَا عِيَالَهُ وَيَتَصَدَّقُ مِنْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. وَيَقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ دَرْعًا يَبِيعُهَا بِسِتَّةِ آلَافِ دَرْهَمٍ، فَيَتَّقُونَ الْفُقَرَاءَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَلَى فُقَرَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». ﴿أَنْ أَتَمَّلَ سَيِّئَاتِي﴾، دُرُوعًا كَوَامِلَ وَاسْعَاتٍ طَوَالًا تَسْحَبُ فِي الْأَرْضِ، ﴿وَقَدِيزَ فِي السَّرْدِ﴾، وَالسَّرْدِ

أَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَبِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّا مَاءً بَدَدْنَاهُمْ وَأَنَّا جَعَلْنَاهُمْ نُحُلًا مِمَّا تَحْتَفِ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تَقَطُّ عَلَيْهِمْ كَقَامِثِ السَّحَابِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنتِيبٍ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ نِجَالًا أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَلِيدُ ﴿٧﴾ أَنَا عَمَلٌ سَخِطْتُ وَفَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا أَصْلَابَهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ ﴿٨﴾ وَاسْلُتْنِ الرِّيحَ عُدُوهُمَا أَسْبِقْنِي يَوْمَ أَصْلَأَهُمْ بِرِيحِي وَأَسْلَأَهُمُ الْفُطُورَ مِنَ الْيَمِينِ مَنْ يَعْمَلْ يَنَّ يَدَيْهِ يَلْبِذْ زَبَابًا مِنْ بَرِّهِمْ عَنْ أَمْرٍ أُنذِرُهُمْ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾ يَعْمَلُونَ لِمَا يُهَاجِرُ مِنْ مَحْدَرٍ وَمَقْشِلٍ وَجَفَانٍ كَالْغُرَابِ وَقَدَّرَ رَأْسِيَّتَ أَعْمَلُوا أَمَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ مِنْ عِبَادِي الْكَافِرُونَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَفْضَيْنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ مَا دَلَّمْهُ مِنْ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَعَايِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَوَ كَاوَابِعِلُونَ الْعَبَّاسُ عَلَى الْعَذَابِ النَّهْنِ ﴿١١﴾

[٤٢٩]

نَسَجَ الدَّرْعُ، يُقَالُ لَصَانُهُ: السَّرَادُ وَالزُّرَادُ، يَقُولُ: قَدِرَ الْمَسَامِيرُ فِي حَلْقِ الدَّرْعِ أَيْ لَا تَجْعَلِ الْمَسَامِيرَ دَقَاقًا فَتَفْتَلِتُ وَلَا غَلَظًا فَتَكْسِرَ الْحَلْقَ، وَيُقَالُ «السَّرْدُ» الْمَسَامِيرُ فِي الْحَلْقَةِ، يُقَالُ: دَرْعٌ مَسْرُودٌ أَيْ مَسْمُورَةٌ الْحَلْقَ، وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ اجْعَلْهُ عَلَى الْقَصْدِ وَقَدِرَ الْحَاجَةُ، ﴿وَأَعْمَلُوا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يَرِيدُ دَاوُدَ وَآلَهُ، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ﴾.

﴿وَأَسْلَأَهُمُ الْفُطُورَ﴾، أَيْ وَصَيَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ «الرِّيحَ» بِالرَّفْعِ أَيْ [لَهُ تَسْخِيرٌ] الرِّيحَ، ﴿قَدُّوْهُمَا شَرًّا وَرَوَّاهُمَا شَرًّا﴾، أَي سَيَّرَ عُدُوَّ تِلْكَ الرِّيحِ الْمَسْخَرَةَ لَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَسَيَّرَ رَوَّاحَهَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَكَانَتْ تَسِيرُ بِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ. قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ يَغْدُو مِنْ دِمَشْقَ فَيَقِيلُ بِإِصْطَخَرٍ وَكَانَ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ،

ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل: إنه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند، ﴿وَأَسْلَمْنَا لَمْ يَعْنِ الْقَطْرُ﴾، أي أدبنا له عين النحاس، والقطر النحاس.

قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان، ﴿وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْخِلُ يَدَّيْهِ فِيهَا دُمُودَ النَّحْلِ﴾، بأمز ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي يعدل، ﴿مِنْهُمْ﴾، من الجن، ﴿عَنِ أَمْرِئِنَا﴾، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، ﴿يُذِيقُهُ مِنْ عَذَابِ النَّعِيمِ﴾، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرته.

﴿يَعْمَلُونَ لَكُم مَّا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحْدُودٍ﴾، أي مساجد، والأبنية المرتفعة وكان مما عملوا [له] بيت المقدس ابتدأه داود ورفعته قدر قامة رجل، فأوحى الله إليه إني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب إتمام بناء بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه لهم، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض من معادنه، وأمر ببناء

المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ريشاً، وأنزل كل ريش منها سبطاً من الأسباط، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفرقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنه، فأتى من ذلك بشيء لا يحصى إلا الله عز وجل، ثم أحضر الصناعيين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب البواقيت واللكلئ، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللكلئ والبواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروز فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناء لله عز وجل، وأن كل شيء فيه خالص لله، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

وروي عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة، سألته حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسألته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده،

فأعطاه إياه، وسألته أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا أخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك».

قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فحرب المدينة وهدمها ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر، فحملة إلى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر. قوله عز وجل: ﴿وَتَبَيَّنَ﴾ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام. وقيل: كانوا يصورون السباع والطيور. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، ولعلها كانت منباجة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله. ﴿وَجَفَّانَ﴾، أي قنصاع واحدتها جفنة، ﴿كَلْبَرَابِ﴾، كالحياض التي يجبي فيها الماء، أي يجمع واحدتها جابية، يقال: كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون [منها] وقدور راسيات [ثابتات] لها قوائم لا تحركن عن أماكنهن لعظمنهن، ولا ينزلن ولا يعطلن، وكان يصعد عليها بالسلام، وكانت باليمن، ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، أي وقلنا اعملوا آل داود شكراً، مجازة: اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه، ﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِي﴾

لَقَدْ كَانَ لِسُلَيمَانَ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلَّامٍ زُرِّيٍّ رِيحٍ وَأَشْكُرُوا لِمَوْلَاهُ طَيْبَةً رَبِّ عَفُورٍ
﴿١٤﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ وَكَذَّبُوا بِحُجَّتِهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ حُطَّ وَأَقْلَ وَتَوَّعْنَ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَزَائِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَأَهْلُ نَجْرٍ إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٦﴾
وَعَمَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنَةً ﴿١٧﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِنَا أَفْعَالُكُمْ وَأَطَاعُوا أَمْرَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَعْدَائِهِمْ وَمَرْقَمَهُمْ كُلَّ مَرْقَمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فِرْقَاتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا لِيَلْعَلَّ مَنْ يُوَفِّي بِالْآخِرَةِ يَمُنْهُ هُوَ وَمَنْ هِيَ شَاكِرَةٌ وَرَبِّكَ
عَلَى كُلِّ فِتْنَةٍ حَاسِبٌ ﴿٢٠﴾ قُلْ أَدْعُوا إِلَهُكَ رَبَّكَ وَمَنْ دُونَهُ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُقَالُ ذُرُوفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يُوَفِّيهِمْ مِنْ ظَهْرِ ﴿٢١﴾

(٤٢)

عصاه فمات قائماً وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه، وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، [وهم] ينظرون إليه يحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضه عصا سليمان، فخر ميتاً فعملوا بيموته. قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضه فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب.

فذلك قوله: ﴿مَا دَعْتُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ﴾، وهي الأرضه التي، ﴿تَأْكُلُ مِنْ شَأْنِهِمْ﴾، يعني عصاه، قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو «منساته» بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز، وهما لغتان، ويسكن ابن عامر الهمز، وأصلها من نسات الغنم، أي زجرتها وسقتها، ومنه: نسا الله في أجله أي آخره، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾، أي سقط على الأرض، ﴿تَبَيَّنَ لِلْجِنِّ﴾، أي علمت الجن وأيقنت، ﴿أَنَّهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، أي فسي التعب والشقاء، مستخرين لسليمان وهو ميت يظنونونه حياً، أراد الله بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم. وذكر الأزهري: أن معنى «تبين

الشكور»، أي العامل بطاعتي شكراً لنعمتي، قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته. وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول: كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْقَوْلَ﴾، أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والستتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخله في المرة التي مات فيها، وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع، فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت لذواء تركت، حتى نبتت الخروبة، فقال لها: ما أنت؟ قالت: الخروبة، قال: لأي شيء نبتت؟ قالت: لخراب مسجدك، فقال سليمان: ما كان الله ليخبره وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس! فنزعها وغرسها في حائط له، ثم قال: اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنسان أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على

الجن»، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون [الغيب] لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنسان ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس «تبينت الإنسان أن لو كانوا يعلمون الغيب، ما لبثوا في العذاب المهين» أي علمت الإنسان وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: «تبينت» بضم التاء [والباء] وكسر الباء أي أعلمت الإنسان الجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وتبين لازم ومتعد، وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه.

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسُلَيمَانَ﴾

روى أبو سيرة النخعي عن

فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: «كان رجلاً من العرب وولداً له عشرة من الولد، تيامن منهم ستة، وتشاء أربعة، فأما الذين تيامنوا: فنكنة، والأشعريون، وأزد، ومذحج، وأنمار، وحمير، فقال رجل: وما أنمار؟ [فقال الذين منهم خشع وبجيلة وأما] الذين تشاءموا فعاملة وجذام، ولخم، وغسان، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان». **﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾**، قرأ حمزة وحفص «مسكنهم» بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف، وقرأ الآخرون «مسكنهم» على الجمع، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، **﴿لَايَةٍ﴾**، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: **﴿جَنَّاتٍ﴾**، أي هي جنتان يستنانان، **﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾**، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل عن يمين من أتاهم وشماله، وكان لهم وادٍ قيل أحاطت الجنتان بذلك الوادي **﴿كُلُوا﴾**، أي قيل لهم كلوا، **﴿مِنْ رَزَقِ رَبِّكُمْ﴾**، يعني من ثمار الجنتين، قال السدي ومقاتل: كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ مكتلها من أنواع الفواكه من غير أن تمس شيئاً بيدها، **﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾**، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى: اعملوا بطاعته، **﴿بِلَدَّةٍ طَيِّبَةٍ﴾**، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة، قال ابن زيد: لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا

ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء، فذلك قوله تعالى: **﴿بِلَدَّةٍ طَيِّبَةٍ﴾**، أي طيبة الهواء، **﴿وَرَبِّ غَفُورٍ﴾**، قال مقاتل: وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب.

﴿فَأَعْرِضُوا﴾.

قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً فدعاهم إلى الله وذكرهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف الله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحس هذه النعم عنا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: **﴿فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾**، والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق.

وقيل: كان ماء أحمر، أرسله الله عليهم من حيث شاء.

وقيل «العرم»: الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة، وقال ابن عباس، وهب، وغيرهما: كان ذلك السد بنته بلقيس، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالعرم، وهو المستأة بلغة حمير، فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنيت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن، فاحتبس

السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الباب الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك، فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جناتهم وخرب أراضهم.

قال وهب: وكان مما يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم: أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت منها الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغللت في السد فنقبت وحفرت حتى أوهنته للسيل، وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خدلاً فدخل فيه حتى قطع السد، وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل، فتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب، يقولون صار بنو فلان أيدي سبأ وأيادي سبأ أي تفرقوا وتبددوا، فذلك قوله تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾**، **﴿وَبَلَدَتْهُمْ يَمْنَهُمْ﴾**، أي دبتهم.

قرأ العامة بالتنوين، وقرأ أهل البصرة: «أكل خمط» بالإضافة، الأكل: الشمر، والخمط: الأراك وثمره يقال له: البربر، هذا قول أكثر

المفسرين: وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعماً من الممرارة حتى لا يمكن أكله فحطط.

وقال ابن الأعرابي: الحطط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبيع، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به، فمن جعل الحطط اسماً للمأكول فالتنوين في «أكل» حسن، ومن جعله أصلاً وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ، تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم [وأعناب كرم]، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنها منه، «وَأَكَلُوا وَتَقَوُّوا مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ»، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر [وهو شجر معروف]، شجر النبق ينتفع بورقه لغسل الرأس ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرأ برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فضيحه الله من شر الشجر بأعمالهم.

﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزئناهم بكفرهم، «وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ»، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب «وهل نجازي» بالنون وكسر الزاي، «الكفور» نصب لقوله: «ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ»، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي، «الكفورة» رفع، أي وهل يجازي مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مجاهد: يجازي أي يعاقب. ويقال في العقوبة: يجازي، وفي المثوبة يجزي، قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في

نعمه. قال الفراء: المؤمن يُجْزَى ولا يجازي أي يجزى للشواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ هِيَ قَرْيَةُ الشَّامِ، «قَرْيَةُ ظَهْرَةَ»، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقولون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، «وَقَدَرْنَا فِيهَا أَلْسِنَةً»، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار.

وقال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها، وعلى رأسها مكتلها فتمتن بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك، «مِيرْثاً فِيهَا»، أي وقلنا لهم سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانوا يسرون فيها، «لَيْسَالِي وَأَيَّامًا»، أي بالليالي والأيام أي وقت شتئهم، «أَيَّامِينَ»، لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي.

﴿١٩﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا»، فاجعل بيننا وبين الشام فلولاً ومفاوز لنركب فيها الرواحل وننزود الأزواد، فمعجل الله لهم الإجابة. وقال

مجاهد: بطروا النعمة وشموا الراحة. قرأ ابن كثير. وأبو عمرو: بعد التشديد من التباعد، وقرأ الآخرون (باعد)، بالالف، وكل على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب: «رَبَّنَا» برفع الياء، «باعد» بفتح العين والذال على الخبر، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة ويطروا وأنشروا. «وَعَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ»، بالبطر والطنيان.

قوله تعالى: «فَجَعَلْنَاهُمْ لِمَا يُهْمُونَ» عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، «وَوَضَعْنَاهُمْ كُلَّ مَضْرُوءٍ فَرَقْنَاهُمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ مِنَ الْبِلَادِ كُلِّ تَفْرِيقٍ». قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، أما غسان فلهقوا بالشام ومز الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، ومز آل خزيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» لعبراً ودلالات، «لِكُلِّ صَبَّارٍ» عن معاصي الله، «فَكُورٍ»، لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء شاكراً للنعماء. قال مطرف: هو المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ حُجُومًا»، قرأ أهل الكوفة: «صدق» بالتشديد أي ظن فيهم ظناً حيث قال: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» [ص: ٨٢] «وَلَا يَجِدُ أَكْفَرَهُمْ شَرِيكَ» [الأعراف: ١٧] فصدق ظنه حقيقه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ إِنَّكَ لَمْ تَرَ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢١﴾ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُنَّ آوِي ضَلَّلِ مِثْرِبَ ﴿٢٢﴾ قُلْ لَا تَسْتَلُوكَ عَمَّا أَفْرَمًا وَلَا تَسْتَلْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا تُسْفِطُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ اتَّخَفْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ كَلَّالٍ هَوَالٍ ﴿٢٥﴾ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَّكُمْ يَوْمَ الْبَعْدِ يَوْمٌ لَا تَسْتَعْمِلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقُدُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تُوَفَّى إِلَّا الظُّلُمَاتُ مَوْفُورَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِجْمَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلُ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مَوَدَّةٌ ﴿٣٠﴾

٤٢١

[فيهم]. قال الحسن: إنه لم يسأل عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط وإنما وغدهم ومناهم فاغثروا.

﴿٢١﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿إِلَّا لَتَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾، أي إلا لتعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيث، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾، رقيب.

﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ﴾، يا محمد لكفار مكة، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أنهم آلهة، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وفي الآية حذف أي: ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿لَا يَلْبِثُونَ إِلَّا ذُرِّيَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، من خير وشر ونفع وضر ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، يعني الآلهة، ﴿فِيهَا﴾، في السموات والأرض، ﴿مِنْ شُرَكَائِهِ﴾، من شركه، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾، أي وما لله، ﴿بَيْنَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، عون.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، الله في الشفاعة، قاله تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحمزة

وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبا. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿فَاتَّبِعُوا إِلَّا نَفِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عِبَادُ لَكَ لَكَّ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٤٢]، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

قال ابن قتية: إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله، قال لأعريتهم أجمعين ولأضلتهم، لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً فيهم، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه

والكسائي: «أذن» بضم الهمزة، ﴿حَقٌّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي [زاي] أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم: إنما يفزع عن قلوبهم من غشية نصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل.

وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد، أنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، أنا نعيم بن حماد، أنا أبو الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان قال: قال: رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من

يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سألهم ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله.

وقال بعضهم: إنما يفرعون حذراً من قيام الساعة.

قال مقاتل والكلبي والسدي: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، خمسمائة وخمسين سنة، وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحياً، فلما بعث الله محمداً ﷺ كَلَّمَ جبريل عليه السلام بالرسالة إلى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمداً ﷺ عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة، فلما انحدر جبريل جعل يمرّ بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم قالوا: قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير.

وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركون. وقال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالرزق النبات، ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، أي إن لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿وَلَوْ أَنَّ أُولَئِكَ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى، ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالكذب.

وقال بعضهم: «أو» بمعنى الوار، والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، يعني: نحن على الهدى وأنتم في الضلال.

﴿قُلْ لَا تَسْتَوُونَ عَمَّا أَلْمَزْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَفْصَحُ﴾، يقضي، ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الشَّافِعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾، أي أعلموني الذين ألحقتموهم به [شركاء] أي في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿كَلَّا﴾، لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَزِيدُ﴾، الغالب على أمره، ﴿الْعَلِيِّ﴾، في تدبيره لخلقه

فأنى يكون له شريك في ملكه.

﴿قُلْ عَزَّ وَجَلَّ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، يعني للناس [عامه] أحمرهم وأسودهم، ﴿يُضِيرُ وَيَكْذِبُ﴾، أي مبشراً ومنذراً، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة».

وقيل: كافة أي: كافاً يكفهم عما هم عليه من الكفر، والهاء للمبالغة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يعني [يوم] القيامة.

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَدِيرُونَ﴾.

﴿﴾، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص منه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعني التوراة والإنجيل، ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ مَوْفُورُونَ﴾، محبوسون، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يَجْمَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدل، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَفْهِمُوا﴾، استحقروا وهم الاتباع، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، وهم القادة والأشراف، ﴿أَوَلَا أَنْتُمْ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أنتم منعموناً عن الإيمان بالله ورسوله.

و«الضعف» رفع تقديره: فأولئك لهم الضعف جزاء، وقرأ العامة بالإضافة، «وَهُمْ فِي الْعَرْشِ عَامُونَ»، قرأ حمزة: «في العُرفة» على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: «لَتَبْلُغَنَّهُمْ مِنْ الْجَزَاءِ غُرْفًا» [العنكبوت: ٥٨].

﴿٣٨﴾ «وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ»، يعملون، ﴿فِي آيَاتِنَا»، في إبطال حاجتنا، ﴿مُتَجَرِّبِينَ»، معاندين يحسبون أنهم يُعجزوننا ويفوتوننا، «أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ».

﴿٣٩﴾ «قُلْ إِنْ رَفَى يَسْطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»، يعطي خلقه، قال سعيد بن جبیر: ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه. وقال الكلبي: ما تصدقتم [به] من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق، إما أن يجعله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة، «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»، خير من يعطي ويرزق.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أنفق عليك».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسماعيل، ثنا أخي، عن سليمان هو ابن بلال، عن معاوية بن أبي مزرود، عن أبي الحباب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً

أَعْنَى الَّذِينَ كَفَرُوا»، في النار الاتباع والمتبعين جميعاً. «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من الكفر والمعاصي في الدنيا.

﴿٤٠﴾ «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا»، رؤساؤها وأغنياءها، «إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ كَاذِبُونَ».

﴿٤١﴾ «وَقَالُوا»، يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا، «وَحَنَّا أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا»، ولو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا

الأموال والأولاد، «وَمَا نَحْنُ بِمُعْزِينَ»، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

﴿٤٢﴾ «قُلْ إِنْ رَفَى يَسْطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»، يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحاناً لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»، أنها كذلك.

﴿٤٣﴾ «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآثِي قَرْيَتِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى»، أي قري، قال الأخفش: زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً، «إِلَّا مَنْ آمَنَ»، لكن من آمن، «وَعَمِلَ صَالِحًا»، قال ابن عباس: يريد إيمانه وعمله يقرّبه مني، «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَتَيْتُمْ بِمَا عَمِلُوا»، أي يضاعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبعمئة قرأ يعقوب: «جزاء» منصوباً منوناً

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَّهُمْ سَدَدْنَاهُمْ عَنِ الْمُنَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُلٌّ بِكُفْرِهِمْ قَوْمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ الْآيِلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آصِنَاتِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَاثِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْزِينَ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنْ رَفَى يَسْطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآثِي قَرْيَتِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَتَيْتُمْ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُوبِ وَهُمْ فِي الْمَوْتِ وَهُمْ فِي الْقَبْرِ وَهُمْ فِي السَّعِيرِ ﴿٤٣﴾

﴿٣٨﴾ «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا»، أجابهم المتبوعون في الكفر، «لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَّهُمْ سَدَدْنَاهُمْ عَنِ الْمُنَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُلٌّ بِكُفْرِهِمْ قَوْمِينَ»، بترك الإيمان.

﴿٣٩﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ الْآيِلِ وَالنَّهَارِ»، أي مكرهم بنا في الليل والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام، كما قال الشاعر:

ونمت وما ليل المطى بنائم
وقيل: مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: «فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَلُ فَنَسُوا قُلُوبَهُمْ» [الحديد: ١٦]. «إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ»، وأظهروا «النَّدَامَةَ»، وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، «لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي

خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلقاً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا ابن أبي أويس، أنا عبدالعزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو الربيع، أنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي، أنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه كتب له بها صدقة»، قلت: ما يعني [ما] وقى الرجل عرضه؟ قال: «ما أعطى الشاعر وذا اللسان للمتقى، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عز وجل».

قوله: «قلت ما يعني» يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر.

قال مجاهد: إذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد، ولا يتاول هذه الآية. «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» [سبا: ٣٩]، فإن الرزق مقسوم لعل رزقه قليل، وهو ينفق

نفقة الموسع عليه. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جِيماً﴾، قرأ يعقوب وحفص: «يحشرهم»، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، «جيماً»، يعني هؤلاء الكفار، «ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُوا إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ»، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾

[مريم: ١١٦]، فتتبرأ منهم الملائكة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً لك، «أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ»، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ»، يعني الشياطين، فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: «يَعْبُدُونَ الْجِنَّ»، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله: «يَعْبُدُونَ» أي يطيعون الجن، «أَكْثَرَهُمْ يَوْمَ تُؤْتَوْنَ»، يعني مصدقون للشياطين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿قَالَيْمٌ لَا يَبْلُكُ بِشُكْرِ لِعِضِّ نَعْمًا﴾﴾، بالشفاعة، «وَلَا حَرَّأَ» بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر، «وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جِيماً﴾، أي يوم يحشرونهم جميعاً، «قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَوْمَ تُؤْتَوْنَ» ﴿قَالَيْمٌ لَا يَبْلُكُ بِشُكْرِ لِعِضِّ نَعْمًا﴾، أي لا ينفعهم شكرهم لبعض نعمنا ولا ضررنا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴿وَلَا تَنْتَهِنَ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٍ نَبَتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَمَا أَنْتُمْ وَآلُؤُمَا هَذَا إِلَّا فُلْكَ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا أَسْحَرُ مِثْلُ ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا أَجْعَالَهُمْ﴾ ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولَهُمْ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِهِمْ جِدَّةً أَنْ تُقُولُوا لِلَّهِ شَيْئٌ وَفَرَدَيْ ثُمَّ لَنَضَكَّهُمْ أَمَّا يُصْاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ إِنْ هُوَ إِلَّا يَدْعِيهِمْ مِنْ فِيْءِ عَذَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا لِلَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَجَعْتُ إِلَى عِلْمِ الْغُيُوبِ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ تِلْكَ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٍ نَبَتْ قَالُوا مَا هَذَا﴾، يعنون محمداً ﷺ، «وَلَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَمَا أَنْتُمْ وَآلُؤُمَا هَذَا إِلَّا فُلْكَ مُفْتَرًى»، يعنون القرآن، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»، أي بين.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾، يعني هؤلاء المشركين، «﴿مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾﴾، يقرؤونها، «﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾»، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم رسلنا، وهم: عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط وغيرهم، «﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾﴾، يعني هؤلاء المشركين، «﴿وَمَقَسَّرَ﴾﴾، أي عسر، «﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾»، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، «﴿فَكَذَّبُوا رَسُولَهُ﴾﴾ فكيف كان

يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إني ضلالتني على نفسي، ﴿وَلَنْ أَهْتَدِيَّ فِيمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ رُبُّكَ﴾، من القرآن والحكمة، ﴿إِنَّمَا سَمِعْتُ قَرِيبٌ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ﴾، قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾، أي فلا يفوتوني كما قال: ﴿وَلَا تَجِدُ مَكَسٍ﴾ [ص: ٣]، وقيل: إذ فرغوا [عند الموت] فلا قوت ولا نجاة، ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، قال الكلبي من تحت أقدامهم، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيشما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أبيزى خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمراً تعتبر به.

﴿٤٧﴾ ﴿وَقَالُوا أَمَّا نَبُذُ﴾، حين عاينوا العذاب، وقيل: عند اليأس. وقيل: عند البعث. ﴿وَأَنْكُ﴾، من أين، ﴿لَكُمْ التَّائُشُ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: التناوش بالمد والهمزة، وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مد ولا همز، ومعناه التناول أي كيف لهم تناول ما بعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريباً في الدنيا فضيعوه، ومن همز قيل: معناه هذا أيضاً.

وقيل: التناوش بالهمز من النيش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشاً أي مبطناً متأخراً، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما يصاحبكم من جنة. ﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ

عليه، على تبليغ الرسالة، ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾، جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني، ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لم أسألكم شيئاً كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿إِنْ أَمَرْتُ﴾، ما ﴿إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

ثوابي، ﴿ثَوْبٌ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِرُ بِالْحَقِّ﴾، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه يأتي بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، رفع بخبر أن، أي: وهو علام الغيوب.

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدى شيئاً أو يعيد، كما قال تعالى ﴿بَلْ نَقْذِرُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾، وقال: قتادة: «الباطل» هو إبليس أي ما يخلقه إبليس أحداً ابتداءً ولا يبعث. وهو قول مقاتل والكلبي، وقيل: «الباطل» الأصنام.

﴿٥١﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾، وذلك أن كفار مكة [كانوا]

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَلَنْ أَهْتَدِيَّ فِيمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ رُبُّكَ إِنَّمَا سَمِعْتُ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَمَّا نَبُذُ وَأَنْكُ لَكُمْ التَّائُشُ مَنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرْنَا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَقَدْ فُوتُوا بِالْأَقْبَبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ قَطَفٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذْ أَوْفَىٰ بِهِمْ بِوَعْدِهِمْ إِذْ عَاثُوا الْكُفْرَ أَفَلَا يَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ مَثَلِيَّ وَلَوْلَا إِذْ يَبْعَثُ رَبِّي إِلَهًا مِثْلَهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِ الْمَعَادِ تَمَازُجًا ﴿٢﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣﴾ أَلَمْ يَفْخَعْ اللَّهُ الْفُلَّاسِينَ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تَمْسِكُ لَهُمَا وَاسِئَةٌ فَلَا تَمْرِيلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ تَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا فَعَسَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَرَهُلٍ مِنْ خَلْقٍ غَرَّ اللَّهُ بِزُفْقِهِمْ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَ تَوْفُكُورُ ﴿٥﴾

كبير، أي إنكاري وتغييري عليهم، يُحَذِّرُ كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

﴿١﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾، أي بخصلة واحدة، ثم بين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مَثَلِيَّ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وَفَرْدِيَّ﴾، أي واحداً واحداً، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، جميعاً أي تجتمعون فتتظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا يَصْحِكُكُمْ مِنْ جُنُودٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس، وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: ﴿وَأَنْتَ تَقُومُوا لِلَّهِ يَوْمَ الْقِسْفِ﴾ [النساء: ١٢٧]. ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله

مثال سبق، ﴿يَا عِلِّ الْمَلِيكَةِ﴾
رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ ﴿ذَوِي﴾
أَجْنَحَةٍ ﴿مَشَقَىٰ﴾ وَتِلْكَ
وَرَبِّهِ

قال قتادة ومقاتل :
بعضهم له جناحان ،
وبعضهم له ثلاثة أجنحة ،
وبعضهم له أربعة أجنحة ،
ويزيد فيها ما يشاء وهو
قوله : ﴿ يَزِيدُ فِي كَلِمَاتِي مَا
يَشَاءُ ۚ ﴾ ، وقال (عبدالله) بن
مسعود في قوله عز وجل :
﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكَرِيمِ ﴾ [النجم : ١٨] ،
قال رأى جبريل في
صورته له ستمائة جناح .

﴿مَّا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾، قيل: من مطر ووزق، ﴿فَلَا تُمْسِكْ لَهُمْ﴾، لا يستطيع أحد [على] حبسها، ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا تُرْسِلْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، فيما أمسك لكم، ﴿فِي مَا أَرْسَلْنَا مِنْ مَطَرٍ وَوزق﴾.

سورة فاطر

مكية [وهي خمس وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَالِقِهَا وَمَبْدَعِهَا عَلَى غَيْرِ

عن المغيرة بن شعبه، أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «غير» بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن «من» زائدة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال: لا خالق غير الله، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَتْ تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وَلَا يَكُذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ
مِّن قَبْلِكَ، يُعْزِي نَبِيَّهُ ﷺ، وَلِلَّهِ
الْحُكْمُ الْأَمْرُ.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني وعد القيامة، ﴿فَلَا تَعْرَضُكُمْ لِمِيقَاتِ الْيَوْمِ الْأَدْنَى وَلَا يُفَرِّقُكُمْ بِاللَّهُ الْفَرِّدُ﴾، وهو الشيطان.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾، أي أشياعه وأولياءه، ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾﴾، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبیر: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم. فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ﴾ شبه وموه ﴿عليه﴾ وخسن ﴿لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي قبيح عمله، ﴿فَرَّاهُ حَسَنًا﴾، زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازة: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، فيكون معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

وقال الحسين بن الفضل: فيه

تقديم وتأخير مجازة: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرأه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، وقرأ أبو جعفر: «فلا تذهب» بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مَسْقُوتَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّعُورُ﴾ من القبور.

﴿قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيُ الْغُرَّةَ فَلِلَّهِ الْغُرَّةُ جَمِيعًا﴾﴾، قال الفراء معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعز ببطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي فليطلبه من عنده، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزيز كما قال الله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [كَلَّا] [مریم: ٨١].

وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْغُرَّةَ فَإِنَّ الْغُرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني،

أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا الحجاج بن نصر، أنا المسعودي عن عبدالله بن المحارق، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: إذا حدثتكم حديثاً أنبأتكم بمصادقه من كتاب الله عز وجل: ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه حتى صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين، ومصادقه ذلك من كتاب الله عز وجل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، ذكره ابن مسعود. وقيل: «الكلم الطيب» ذكر الله. وعن قتادة: «إليه يصعد الكلم الطيب» أي يقبل الله الكلم الطيب. قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي يرفع العمل الصالح الكلام الطيب، فالهاء في قوله ﴿يَرْفَعُهُ﴾ راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبیر، والحسن، وعكرمة، وأكثر المفسرين. وقال الحسن وقاتدة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رذ كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما قر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح رذ الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿١٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَرْوَاحُ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ يُشِيرُ إِلَىٰ ذِكْرِ رَبِّكَ وَلَوْ أَنَّ قُلُوبُكَ وَسِعْتَ كَمَا يُغْنِيكَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَهُكَ لَآتَىٰكَ إِلَهُكَ الْهَدْيَ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ إِلَهُكَ لَخَلَخَلَ عَلَيْكَ الْغَافُ لَا تَحْصِي الْأَشْيَاءَ إِلَّا فِي قَلْبِكَ وَإِنَّمَا الْإِنسَانُ عَلَىٰ غَفْلٍ كَثِيرٍ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيمٌ سُودٌ ﴿٢٢﴾ وَكَانَ النَّاسُ عَلَىٰ الدَّوَابِّ وَقَلْبَهُمْ لَئِيْفٌ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ خَلَفْنَا الْقُلُوبَ كَذَلِكِ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْقَضُوا مِقْدَارَ فَنَائِهِمْ مِيرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ كِبَارًا كُنْ تَكُونُ ﴿٢٥﴾ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾ وَبِزَيَادَتِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّمَا نَعْلَمُ غُورُ شُكْرِهِمْ ﴿٢٧﴾

بِشْرِكِكُمْ [أي] يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها، ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون. ﴿وَلَا يَتَّبِعُكَ نِقْلٌ خَيْرٌ﴾، يعني: نفسه أي: لا يتبشك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

﴿يَتَابِعُ النَّاسُ أَنتَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، إلى فضل الله والفقير المحتاج، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وما ذللك على الله بعزيز، شديد.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تَرَوْا وَازِدَةً وَزِدَ أُخْرَىٰ وَلَنْ تَدْعَ مُثْقَلَةٌ﴾، أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها، ﴿إِنْ جِئْتَهَا﴾، أي حمل ما عليها من الذنوب، ﴿لَا يَحْتَمِلُ مِتَّةً ثَقِيَّةً وَكَزَّ كَانَتْ قَرْيَةً﴾، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن

عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني حمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع [حمل شيء] حسبي ما علي.

﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾، يخافون، ﴿رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروه. وقال الأخفش:

تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى﴾، صلح وعمل خيرا، ﴿فَأَنَّمَا يَنزِلُ لِنَفْسِهِ﴾، لها ثوابه، ﴿وَالَى اللَّهُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، يعني الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى غن الهدى والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرک.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾، يعني الكفر والإيمان.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: «الحرور» الريح الحارة بالليل، و«السموم» بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَرْوَاحُ﴾، يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾، حتى يتعظ ويحجب، ﴿وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يحيوا.

﴿١٨﴾ ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾، ما من أمة فيما مضى ﴿إِلَّا خَلَا﴾، سلف، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾، نبي منذر.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، بالكتب، ﴿وَالْكِتَابِ النَّبِيِّ﴾، الواضح كرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد.

﴿٢١﴾ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي إنكاره.

﴿٢٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيمٌ سُودٌ﴾، يعني سود غرايب على التقديم والتأخير، يقال أسود غريب، أي شديد السواد تشبهاً بلون الغراب، أي طرائق سود.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، ذكر الكتابة لأجل «من»، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار، مجازة: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن

حفص، أنا أبي [ثنا] الأعمش، أنا مسلم، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»، وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

وقال رجلٌ للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال الشعبي: إنما العالم من خشي الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾﴾، يعني قرأوا القرآن، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفراء: قوله «يرجون» جواب لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾.

﴿﴿يُؤْتِيهِمُ أَجْرَهُمُ﴾﴾، جزاء أعمالهم بالشواب، ﴿وَيَرْيَدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ﴿إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من الكتب، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غُيُوبَ قُلُوبِكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، يعني الكتاب الذي أنزلناه إليك الذي ذكر في الآية الأولى، وهو القرآن، جعلناه ينتهي إلى: ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، ويجوز أن يكون «ثم» بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: ﴿ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ الْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ١٧].

أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد، وقيل: «أورثنا» أي أخرجنا، ومنه الميراث لأنه آخر عن الميت، ومعناه أخرجنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأفلتاكم له ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

روي عن أسامة بن زيد في قوله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، الآية قال: قال النبي ﷺ: «كلهم من هذه الأمة».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي أخبرني [أبو]

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من الكتب، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غُيُوبَ قُلُوبِكُمْ﴾.

الحسين بن محمد بن فنجويه، أنا محمد بن علي بن الحسين بن القاضي، أنا بكر بن محمد المروزي، أنا أبو قلابه، [ثنا] عمرو بن الحصين، عن الفضل بن عميرة، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، الآية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»، قال أبو قلابه: فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه.

واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن

عيسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللهم ارحم غربتي، وأنس وحشتي وسق لي جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك، سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿لَمْ يَرْزُقْنَا الْكَتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْهَضُوا ظَاهِرًا لِنَفْسِهِمْ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فقال: «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسير، وأما الظالم لنفسه فيحاسبه [الله] في المقام حتى يدخله بهم، ثم يدخل الجنة» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا لَمَّا دَعَا إِلَى الْخَيْرِ أَذْهَبَ عَنَّْا الْحَزَنُ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَرْزُقْنَا الْكَتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا.

وقال مجاهد، والحسن، وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب

المشامة، ومنهم مقتصد وهم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم.

وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرآئي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره. وقيل: الظالم من وُحِدَ الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وُحِدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه. والسابق من وُحِدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله.

وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارئ له العالم به، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبار والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبدالله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل. قال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا

يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لثلاث يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة. وقال أبو بكر الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قرية، فإن عصى دخل في حيز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين.

وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سابق إلى الجنة أو إلى رحمة الله «بالخيرات» أي بالأعمال الصالحات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بأمر الله وإرادته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، يعني إيراثهم الكتاب.

﴿٣٣﴾ ثم أخبر بشوايهم فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، يعنني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو «يدخلونها» بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿وَقَالُوا﴾، أي ويقولون إذا دخلوا الجنة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقلب القلب، وخوف العقابة، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا. وقيل: هم المعيشة. وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن [محمد بن] الضحاک الخطيب، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائيني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أنا أبو العباس أحمد بن محمد الترابي، ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأنني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم،

ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿الَّذِي أَلْطَمَنَا﴾، أنزلنا، ﴿نَارَ الْقَامَةِ﴾، أي الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَفْسٌ﴾، أي لا يصيبنا فيها عناء ومشقة، ﴿وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نُفُوسٌ﴾، إعياء من التعب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، أي لا يهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، أي قتله.

وقيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتوا، كقوله: ﴿وَوَدَّاعُوا يَنْكَرُ لِقَاضٍ عَلَيْنَا الْمَوْتَ فَنَسْتَرِيحَ﴾، أي ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، من عذاب النار، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاثِرٍ﴾، كافر، قرأ أبو عمرو «يجزي» بالياء وضما وفتح الزاي «كل» رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي، «كل» نصب.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿فِيهَا﴾ وهم يفتعلون من الصراخ وهو الصياح يقولون، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، منها من النار، ﴿تَعْمَلْ مِثْلًا بِغَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم: توبيخاً ﴿أَوَلَمْ نُنْعِمْكُمْ مَّا بِتُكَكَّرُ بِهِ مِنْ نَدْرٍ﴾، قيل: هو البلوغ. وقال عطاف وقتادة والكلبي: ثمان عشرة

سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروي ذلك عن علي، وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرئ آخر أجله حتى يلغى ستين سنة».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهاويه حدثنا الحسن بن عرفة، أنا المحاربي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يخرج ذلك».

قوله: ﴿وَمَا كُنَّا نُنْذِرُ﴾، يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة، وسفيان بن عيينة، ووکیع: هو الشيب. معناه: أولم تعمركم حتى شبت. ويقال: الشيب نادر الموت. وفي الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد

هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ عَلَيْهِ كُفْرًا وَلَا
 يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
 كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَمْ أُنْثِيَتْهُمْ نِسَاءَهُمْ عَلَى بَيْنٍ يَنْتَبِهُنَّ لَهُنَّ بَعْدُ الظَّالِمُونَ
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُوبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسَيِّدُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنَّ زَالِئَانِ أَمْسِكُهَا مِنْ أَمْرِ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 إِنَّكُمْ كَانُمْ لَعِلْمًا غُفُورًا ﴿٤٠﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
 جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنَ الْإِنْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
 مَا زَادَهُمْ إِلَّا غُفُورًا ﴿٤١﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ
 وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
 الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
 ﴿٤٢﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ شَيْئًا
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٣﴾

أنى رسول الله لنكونن أهدى ديناً
 منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ،
 فلما بعث محمد كذبه، فأنزل الله
 عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
 لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾، رسول، ﴿لَيَكُونُنَّ
 أَهْدَى مِنْ إِنْجِدَى الْأُمَمِ﴾، يعني من
 اليهود والنصارى، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 نَذِيرٌ﴾، محمد ﷺ، ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا
 غُفُورًا﴾، أي ما زادهم مجيئه إلا
 تباعداً عن الهدى.

﴿٣٨﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ، نصب
 ﴿اسْتَكْبَارًا﴾ على البدل من النفور،
 ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، يعني العمل القبيح،
 أضيف المكر إلى صفته.

قال الكلبي: هو اجتماعهم على
 الشرك وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة
 «مكر السيء» بسكون الهمزة تخفيفاً
 وهي قراءة الأعمش، ﴿وَلَا يَحِيقُ
 الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، أي لا يحل ولا يحيط
 المكر السيء، ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، فقتلوا
 يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة
 الشرك لا تحل إلا بمن أشرك.
 والمعنى: إن وبال مكرهم راجع
 عليهم، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، ينتظرون،
 ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾، إلا أن ينزل بهم
 العذاب كما نزل بمن مضى من
 الكفار، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ
 تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ
 مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ، يعني
 ليفوت عنه، ﴿مِنْ قُوَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
 فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

قال مقاتل: هل أعطينا
 كفار مكة كتاباً، ﴿فَهَمَّ عَلَى
 يَسْتَرْبِتُهُ﴾، قرأ ابن
 كثير، وأبو عمرو،
 وحمزة، وحفص «بينة»
 على التوحيد، وقرأ
 الآخرون «بينات» على
 الجمع، يعني دلائل
 واضحة منه مما في ذلك
 الكتاب من ضروب
 البيان. ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِبُوا
 مَا يَنْتَهِبُونَ﴾، أي
 بَعْضًا إِلَّا غُرُوبًا، والغرور
 ما يغر الإنسان مما لا
 أصل له، قال مقاتل:

يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم
 من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة
 غرور وباطل.

﴿٤١﴾ قوله تعالى: ﴿لَئِنْ اللَّهُ يُسَيِّدُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أي كيلا
 تزولا، ﴿وَلَكِنَّ زَالِئَانِ أَمْسِكُهَا مِنْ أَمْرِ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 أَمْرٍ مِنْ بَدْوَةٍ﴾، أي ما يمسكها أحد
 من بعده، أي أحد سواه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا
 عَلِيمًا غُفُورًا﴾، فإن قيل: فما معنى
 ذكر الحلم ههنا؟ قيل: لأن السموات
 والأرض همت بما همت به من
 عقوبة الكفار فأمسكها الله تعالى
 عن الزوال لحلمه وغفرانه أن
 يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،
 يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل
 الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله
 اليهود والنصارى أتتهم رسلهم
 فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا لو

قرب الموت. قوله: ﴿فَذُوقُوا فَمَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيرٍ﴾.

﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ.

﴿٣٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي
 الْأَرْضِ، أي يخلف بعضهم بعضاً،
 وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها.
 ورات فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر
 به. ﴿مَنْ كَفَرَ عَلَيْهِ كُفْرًا﴾، أي عليه
 وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾، غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ
 الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ
 دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي جعلتموهم
 شركائي بزعمكم يعني: الأصنام،
 ﴿أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
 شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ أُنْثِيَتْهُمْ نِسَاءَهُمْ كُنُكًا﴾،

الكفار حيث قالوا:

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو خبر بعد خبر، أي إنه لمن المرسلين وإنه على صراط مستقيم.

وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، قرأ ابن عامر وحمره والكسائي وحفص ﴿تَنْزِيلَ﴾ بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو تنزيل العزيز الرحيم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾، من الجرائم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا﴾، يعني على ظهر الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿مِنْ دَابَّتْ﴾، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا رَهْءَاءَ لِلَّهِ كَانَ يَبْصِيرًا﴾، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته].

سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَسْ﴾، ﴿يَسْ﴾، ﴿وَسْ﴾، [القلم: ١]، قرأ بإخفاء النون فيهما: ابن عامر، والكسائي، وأبو بكر وقالون يخفي النون من ﴿يَسْ﴾ ويظهرها من ﴿وَسْ﴾، والباقيون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل ﴿يَسْ﴾ حسب اختلافهم في حروف التهجي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: [هو] قسم، ويروى عنه أن معناه: يا إنسان، بلسغة طيء، يعني محمداً ﷺ، وهو قول الحسن، وسعيد بن جبير، وجماعة. وقال أبو العالية: [معناه] يا رجل. وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

﴿وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الرَّسُلِينَ﴾، أقسم الله بالقرآن أن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو رد على

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا دَابَّتْ﴾، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا رَهْءَاءَ لِلَّهِ كَانَ يَبْصِيرًا﴾. ﴿يُسُورًا﴾. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ﴿يَسْ﴾، ﴿وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ﴾، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الرَّسُلِينَ﴾، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا مَا آوَاهُم مِّمَّهُمْ عَصَاوُونَ﴾، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئِدًا لَا تُفْقِدُ﴾، ﴿الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ فَيشَرُّهٗ بِعَفْوٍ وَأَجْرٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿إِنَّا نَحْنُ الْحَقُّ وَنَبَأُ كُذِّبَ مَا قَدْ مَوَّلُوا الشُّرُكَّ وَكَلَّمُوا وَآخَصَيْنَاهُ بِإِيمَانٍ﴾. ﴿٧١﴾.

وأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعنى الله تعالى بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيفة الفحل يخطر بذهني، لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئِدًا لَا تُفْقِدُ﴾.

قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، [بل] أراد: ومنعناهم عن الإيمان بموانع، فنجعل الأغلال مثلاً للملك، قال الفراء: معناه: إنا نجسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْفُوعَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] معناه لا تمسكها عن

﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا﴾، قيل: ﴿مَا﴾ للنفي أي: لم ينذر آباؤهم، لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، أي: لتنذر قوماً بالذي أنذر آباؤهم، ﴿فَهُمْ عَصَاوُونَ﴾، عن الإيمان والرشد.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذا كقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئِدًا لَا تُفْقِدُ﴾، نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين.

وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه بالحجر وهو يصلي، فأتاه يوماً وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفعه أثبت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، فلما عاد إلى أصحابه

رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قال: نعم، نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ ستين، قال: فانطلق بنا نطلع على حاله، فأتى بهما إلى منزله فمسحاً ابنه، فقام في الوقت - بإذن الله - صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك، - قال وهب: كان اسمه انطيوخس -، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قال: فانتهى الخبر إليه فدعاهما، فقال: من أنتما؟ قال: رسولا عيسى، قال: وفيم جئتما؟ قال: ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال لهما: ولكما إله دون آلهتنا؟ قال: نعم، من أوجدك وألهتك؟ قال: قوماً حتى أنظر في أمركما، فتتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق. قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلأ إلى ملكها، وطال مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرأ الله، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على إثرهما ليتصرهما، فدخل شمعون البلد متكرراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسأ به، فرفعأ خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنسأ به وأكرمه، ثم قال له ذات

يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قال: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: فصفا وأوجزأ، فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قال: ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤأ بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زالأ يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذأ يندقتين من الطين فوضعهما في حدقتيه فصارتأ مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك، فقال الملك: ليس لي عنك سر [أسره إليك] إن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للمرسلين: إن قدر إلهكم الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنأ به وبكما، قالأ: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه [وينظره]، وكان غائباً فجاءوا بالميت

وقد تغير وأروح فجعلأ يدعوان ربهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربه سرأ، فقام الميت، وقال: إني قدمت منذ سبعة أيام ووجدت مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه آمنأ بالله [حتى تنجوا منها]، ثم قال: فتحت لي أبواب السماء فظفرت بفرايت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله [قد] أثر في الملك أخبره بالحال، ودعاه إلى الإسلام فأمن الملك وآمن قوم كثير، وكفر [قوم] آخرون.

وقيل: إن ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت، فقال شمعون للملك: اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك، فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما في السر، فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت، وقالت: أسلموا فإنهما صادقان، قالت: ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يردها إلى مكانها فذروا ثراباً عل رأسها وعادت إلى قبرها كما كانت.

وقال ابن إسحاق عن كعب وهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فيبلغ ذلك حبساً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُمُ اثْنَيْنِ﴾، وقال وهب:

اسمهما يوحنا وبولس، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾، يعني فقوينا ﴿يَا أَيُّهَا﴾، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا، بالتخفيف والتثقل.

وقيل: أي فغلبناه كقولهم: من عز بز. وقال كعب: الرسولان صادق وصادق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى ﴿فَقَالُوا﴾، جميعاً لأهل أنطاكية، ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ﴾، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

﴿قَالُوا رَبَّنَا بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّثْلَهُمْ﴾.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا نَطْمَعُ بِكُمْ﴾، تشاء منا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: [ما] أصابنا هذا [إلا] بشؤمكم، [لأن] لم تنهوا لرجلنا عن لقتلتكم، وقال قتادة: بالحجارة، ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم، يعني أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿إِنْ دُكِّرْتُمْ﴾، يعني وعظمت بالله، وهذا استفهام محذوف، الجواب [مجازة]: إن

ذكرتم [أو] وعظمت بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر أن بفتح الهمزة الملية ذكرتم بالتخفيف، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾، مشركون مجاوزون الحد.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، وهو حبيب النجار، وقال السدي: كان قضاراً.

وقال وهب: كان رجلاً يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿قَالَ يَتَوَقَّرِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَتَّبِعُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد ربه، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: أتسألون على هذا أجراً؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: ﴿يَتَوَقَّرِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَتَّبِعُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم؟

﴿فقال﴾: ﴿وَمَا لِي لَّا أَتَّبِعَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾، قرأ حمزة ويعقوب «مالي» بإسكان الياء، والآخرين بفتحها. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أبق. وقيل: إنه لما قال: اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه إلى

الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم على دينهم وتعبد آلهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِي لَّا أَتَّبِعَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، يعني وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾ تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم.

﴿اتَّبِعُوا مَن دُونَهُ أَلْهَةً﴾، استفهام بمعنى الإنكار، أي لا تأخذ من دونه ألهة، ﴿إِنْ يَرِئِدَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾، بسوء ومكروه، ﴿لَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ﴾، لا تدفع عني، ﴿شَيْئًا﴾، أي لا شفاعة لها أصلاً فتغني ﴿وَلَا يَنْفَعُونَ﴾ من ذلك المكروه وقيل لا ينقذون من العذاب لو عذبي الله إن فعلت ذلك.

﴿إِنِّي إِذَا لَيَّ ضَلَلْتُ يَتَّبِعُونِي﴾، خطأ ظاهر.

﴿إِنِّي إِذَا لَيَّ ضَلَلْتُ يَتَّبِعُونِي﴾، يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. قال ابن مسعود: وطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره. قال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي، حتى قطعوه وقتلوه. وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقة فعلقوه بسور من سور المدينة، وقبروه بأنطاكية فادخله الله الجنة، وهو حي فيها يرزق.

﴿فذلك قوله عز وجل﴾: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، فلما أفضى إلى الجنة، ﴿قَالَ بَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا عَقْر لِي رَبِّي﴾، أي بخفران ربي لي، ﴿وَيَعْلَمَانِ مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين

الرسول، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النعمة، فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

﴿٢٨﴾ فذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، يعني الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي وما كنا نفعل هذا، بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي على قوم حبيب من بعد قتله ﴿مِنَ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بين عقوبتهم.

﴿٢٩﴾ فقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿فَأَنآ هُمْ يَخْسَدُونَ﴾، ميتون.

﴿٣٠﴾ ﴿يَخْشَرُونَ عَلَى الْآبَاءِ﴾، قال عكرمة: يعني يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة: شدة الندامة.

وفيه قولان: أحدهما: يقول الله تعالى: ﴿يَخْشَرُونَ﴾ وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسول، والآخر أنه من قول الهالكين.

قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد. يعني الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم.

قال الأزهري: الحسرة لا تدعى، ودعاؤها تنبيه المخاطبين.

وقيل: العرب تقول: يا حسرتا ويا عجباً، على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكأنه يقول: يا أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب، وثم بين سبب الحسرة والندامة، فقال: ﴿يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا مِن بَعْدِهِ يُدْهِنُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ يَرْزُقْنَا﴾، ألم يخبروا يعني أهل مكة، ﴿كَرَّ أَهْلُكُنَا بِقُلُومِ قُرُونٍ﴾، والقرن أهل كل عصر، سمووا بذلك لاقرانهم في الوجود، ﴿أَنَّهُمْ لَآتِيهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِن كُلُّ لَمَنَّا بَجِيعٌ﴾، قرأ عاصم وحمزة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد ههنا وفي الزخرف [٣٥] والطارق [٤]، وافق ابن عامر إلا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فمن شدد جعل ﴿إِن﴾ بمعنى الجحد، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا، تقديره: وما كل إلا جميع، ومن خفف جعل ﴿إِن﴾ للتحقيق و﴿لَمَّا﴾ صلة، مجازه. وكل جميع، ﴿لَدُنَّا مَحْضَرُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَوَآيَةَ لَّمَّا الْأَرْضُ أَلْيَسَتْ أَحْيِيَّتُهَا﴾، بالمطر، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا

﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، ﴿يَخْشَرُونَ عَلَى الْآبَاءِ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا مِن بَعْدِهِمْ لَنَنْزِلُوهُمْ فِي تَتَابُعٍ﴾، ﴿أَنَّهُمْ لَآتِيهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ﴿وَإِن كُلُّ لَمَنَّا بَجِيعٌ﴾، ﴿وَوَآيَةَ لَّمَّا الْأَرْضُ أَلْيَسَتْ أَحْيِيَّتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَسِفْنَا كُفْرًا﴾، ﴿وَحَبْلًا فِيهَا اجْتَنَبُوا مَخِيلًا وَأَعْنَبُوا وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾، ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا تَشِيعُ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا فَسُحْرٌ وَمَا لَا يَحْكُمُونَ﴾، ﴿وَوَآيَةَ لَّمَّا الْأَرْضُ أَلْيَسَتْ أَحْيِيَّتُهَا فَإِذَا هُمْ كَافِرُونَ﴾، ﴿وَالْقَمَرُ قَدْرًا وَسَارِلًا﴾، ﴿عَادَ كَالْعُيُونِ الْقَدِيرِ﴾، ﴿لَا الشَّمْسُ بِسُجُنٍّ لِّمَا أَن تَدْرِكُ الْفُجْرَ وَلَا الْيَلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

حَبًّا، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما، ﴿فَنَسِفًا يَأْكُلُونَ﴾، أي من الحب.

﴿٣٥﴾ ﴿وَحَبْلًا فِيهَا اجْتَنَبُوا مَخِيلًا﴾، من نخيل وأعنب وفجَّرنا فيها، في الأرض، ﴿مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾، أي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «عملت» بغيرها، وقرأ الآخرون «عملته» بالهاء، أي: يأكلون من الذي عملته، ﴿أَيْدِيهِمْ﴾، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى ﴿مَا﴾ التي هي بمعنى الذي. وقيل: و﴿مَا عَمِلَتْهُ﴾ أي للنفسي في قوله ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا بمعنى قول الضحاك ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل

لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فططلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: «والشمس تجري لا مستقر لها»، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ﴾، أي قدرنا له، قرأ ابن كثير، ونافع، وأهل البصرة «والقمر» برفع الراء لقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ إِذَا سَلَّخُوا بَيْنَهُمُ الْغَرَازِ﴾، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: ﴿قَدَرْتَهُ﴾ أي قدرنا القمر، ﴿مَنَازِلَ﴾، وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس [٥]، فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْقَدِيرِ﴾، العرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ، فإذا قدم وعق يبس وتقوس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به.

﴿٣٧﴾ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾، أي: لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ الْآثَرِ﴾، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما

إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقد صح عن النسبي رحمته الله أنه قال: «مستقرها تحت العرش».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا الحميدي، أنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر قال:

سألت رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي أخبرنا وكيع، محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن الأعمش عن إبراهيم [التيمي] عن أبيه عن أبي ذر قال:

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن

وَمَا يَكُنَّ إِلَّا حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿٣٦﴾ وَطَلَعْنَا لَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِنْ تَسَاءَلُوا فَهَهُمْ فَلَا ضَعْفَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَقْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْأَرْضُ مَتْنًا وَمَتْنًا إِلَىٰ جَنِّينَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا آيَاتِنَا فَتُكِرُوا فَكِرُوا فَآلَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَطَّلِعُونَ عَلَىٰ آيَاتِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَتَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٣﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِيدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٥﴾ وَتُفْصِحُ فِي السُّبُورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا مِنْ بَيْنَيْنَا مِنْ مَرْفَدٍ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٧﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَحِيدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُخْضَرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا لَوْ لَا أَفْطَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾

دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾، نعمة الله.

﴿٣٦﴾ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي الأصناف كلها، ﴿وَمَا تَنْبُتُ الْأَرْضُ﴾، من الشمار والحبوب، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني الذكور والإناث، ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

﴿٣٧﴾ ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، تدل على قدرتنا، ﴿أَيْلٌ سَلَخُ﴾، ننزع ونكشط، ﴿وَيَوْمَ الْآثَرِ فَإِذَا هُمُ مُتَلَيِّمُونَ﴾، داخلون في الظلمة، ومعناه تذهب بالنهار ونجى بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

﴿٣٨﴾ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، أي إلى مستقر لها. قيل:

صاحبه قامت القيامة. وقيل: ﴿لَا
الْشَّمْسُ يَنْبُئُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي
تجتمع معه في فلك واحد ﴿وَلَا أَلِيلٌ
سَائِلُ النَّهَارِ﴾ أي لا يتصل ليل بليل
لا يكون بينهما نهار فاصل، ﴿وَكُلٌّ فِي
فَلَاقٍ يَسْبِقُونَ﴾، يجرون.

﴿وَأَيُّكُمْ لَمْ آتَا حَلَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾،
قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب
﴿وَذُرِّيَّتُهُمْ﴾ بجمع، وقرأ الآخرون
﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، فمن جمع
كسر التاء، ومن لم يجمع نصبها،
والمراد بالذرية: الآباء والأجداد،
واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع
على الأولاد، ﴿فِي أَفْئَاتِ الشُّعُونِ﴾،
أي المملوء، وأراد سفينة نوح،
وهؤلاء من نسل من حُمل مع نوح،
وكانوا في أصلابهم.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ نِثْلِهِ مَا
يَرْكَبُونَ﴾، قيل: أراد به السفن
[الصغار] التي عملت بعد سفينة نوح
على هيئتها. وقيل: أراد [به] السفن
[الصغار] التي تجري في الأنهار،
فهو في الأنهار كالفلك الكبار في
البحار، هذا قول قتادة، والضحاك
وغيرهما.

وروي عن ابن عباس: أنه قال:
﴿وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ نِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾،
يعني الإبل، فالإبل في البر كالسفن
في البحر.

﴿وَلَنْ نَسْأَلَ تَرْفَعَهُمْ فَلَا ضَرْجَ﴾،
أي لا مغيث، ﴿لَكُمْ وَلَا هُمْ
يُقَدَّرُونَ﴾، ينجون من الغرق. قال
ابن عباس: ولا أحد يشقذهم من
عذابي.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتْنًا إِلَى
حِينٍ﴾، إلى انقضاء آجالهم، يعني:

إلا أن يرحمهم [الله] ويمتعمهم إلى
حين انقضاء آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾، قال ابن
عباس: «ما بين أيديكم» يعني
الآخرة، فاعملوا لها، وما «خلفكم»
يعني من الدنيا، فاحذروها، ولا
تغترون بها. وقيل: «ما بين أيديكم»
وقائع الله فيمن كان قبلكم من
الأمم، وما خلفكم عذاب الآخرة،
وهو قول قتادة ومقاتل. ﴿لَكُمْ
رُحْمُونَ﴾، والجواب محذوف تقديره:
إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه، دليله
ما بعده.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ مَالٍ مِنْ
مَالِكٍ رَبِّهِمْ﴾، أي دلالة على
صدق محمد ﷺ، ﴿إِلَّا كَاوًا عَنَّا
مُفْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاكُمْ﴾، أعطاكم الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ﴾،
أنرزق، ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾،
وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة:
أنفقوا على المساكين مما زعمتم من
أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله
من جروثهم وأنعامهم، قالوا:
أنطعم، أنرزق من لو يشاء الله أطعمه
رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه،
فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من
لم يطعمه الله، وهذا مما يتحسك به
البخلاء، يقولون: لا نعطي من
حرمة الله، وهذا الذي يزعمون
باطل، لأن الله أغنى بعض الخلق
وأفقر بعضهم ابتلاء، فمتع الدنيا من
الفقر لا بخلًا وأمر الغني بالإففاق لا
حاجة إلى ماله، ولكن ليبلو الغني

فيما فرض له من مال الغني بالفقر
فيما أمر وفرض له في مال الغني،
ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله
وحكمه في خلقه، ﴿إِنْ أَشَرْتَ إِلَّا فِي
حَكْلٍ ثَبِيرٍ﴾، يقول الكفار
للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطأ بين
في اتباعكم محمداً وترك ما نحن
عليه.

﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الَّذِي
أُيِّدَ بِهِ الْقِيَامَةُ وَالْبَعْثُ﴾، إن كثر
مصدقين.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا
يَنْظُرُونَ﴾﴾، أي ما ينتظرون، ﴿إِلَّا
صَيِّغَةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس: يريد
النفخة الأولى، ﴿تَأْخُذُكُمْ وَمَنْ
يَخْتَصِمُونَ﴾، يعني يختصمون في أمر
الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون
في المجالس والأسواق، قرأ حمزة
﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ بسكون الخاء وتخفيف
الصاد، أي يغلب بعضهم بعضاً
بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد
الصاد، أي يختصمون، أذغمو التاء
في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب
وورش يفتحون الخاء ينقل حركة
التاء المدغمة إليها، ويجزمها أبو
جعفر وقالون، ويروم فتحة الخاء أبو
عمرو، وقرأ الباقون بكسر الخاء.

وروي أن النبي ﷺ قال:
﴿لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ
ثَوْبَهُمَا بِيَسْهُمَا فَلَا يَتْبَاعِيَانِهِ وَلَا
يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ
رَجُلٌ أَكْلَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ قِيَامَهُ﴾﴾، أي: لا يقبلون
على الإيصاء. قال مقاتل: عجزوا
عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

﴿٥١﴾ ﴿فَمَنْ أَرْزُقُهُ﴾، أي حلائلهم، ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي «ظلل» بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ العامة ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾، يعني السرر في الحجال، واحدها أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، دؤوا اتكاء.

﴿٥٢﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَاجِيَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾، يتمنون ويشتون.

﴿٥٣﴾ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، أي يسلم الله عليهم قولاً. أي بقوله الله لهم قولاً.

أخبرنا أبو سعيد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي الأصفهاني، أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني، أنا أبو عاصم العباداني، أنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ عزَّ وجلَّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه،

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار.

وقيل: قالت الملائكة لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. قال مجاهد: يقول الكفار: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فيقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنْ كَانَتْ﴾، ما كانت، ﴿إِلَّا صَيِّغَةً وَاحِدَةً﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِرَجِيعٍ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «شغل» بسكون الغين والباقون بضمها، وهما لغتان، مثل الشخت والشخت، واختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في اقتضاض الأبكار. وقال وكيع بن الجراح: في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: في ضيافة الله تعالى: ﴿تُكَبَّرُونَ﴾، قرأ أبو جعفر «فكهنون» حيث كان، وافقه حفص في المطففين؛ وهما لغتان مثل

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَبَّرُونَ﴾، ﴿فَمَنْ أَرْزُقُهُ﴾ في ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرْيَافِ مُتَّكِئِينَ ﴿٥١﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَاجِيَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٢﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٣﴾ أَلَمْ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِذْ لَكُمْ عُدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥٤﴾ وَأَنْ أَعِزَّنِي هَذَا أَجْرًا مَسْتَقِيمًا ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٥٧﴾ أَسْأَلُهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٨﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصُرُ أَجْزُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتُمْ بُعِيدُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَاهُمْ عَلَى مَعَايِنِهِمْ فَمَا اسْتَسْقَمُوا مَذْيَبًا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾ وَمِنْ تَعْبِيرَةٍ نَنْسَخُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الْغُفْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ لِنُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَنَحْيِي الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾

يَرْجِعُونَ، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم شيء.

﴿٥١﴾ ﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾، وهي [النفخة] الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَارِ﴾، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَبْطُلُونَ﴾، يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

﴿٥٢﴾ ﴿قَالُوا يَوَيْلًا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، قال أبي بن كعب، وابن عباس، وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل.

وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عابنوا جهنم وأنواع عذابها، صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا ثم قالوا:

فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم.

وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة، يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

﴿وَأَمْتَرُوا أَيَّامَ النَّجْمِ﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار، فيكون فيه أبد الأبد، لا يرى ولا يرى.

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ﴾، ألم آمركم يا بني آدم، ﴿أَلَمْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ بَيْنٌ﴾، ظاهر العداوة.

﴿وَأَلَمْ نَعْبُدْكُمْ﴾، أطيعوني ووجدوني، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿جِيلًا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ يعقوب ﴿جِيلًا﴾ بضم الجيم وقرأ عمرو، بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام، وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة، ومعناها:

الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً، ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ﴾. ما أناكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لما دنوا من النار.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، بها في الدنيا.

﴿أَصْلَوْهَا﴾، ادخلوها. ﴿الْيَوْمَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُّ أَزْجُلَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن حفصويه السرخسي، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أنا عبد الجبار بن العلاء، أنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: سأل الناس رسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضاؤون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تضاؤون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «فالذي نفسي بيده لا تضاؤون في رؤية ربكم، كما لا تضاؤون في رؤية أحدهما» قال: فيلقى العبد قال فيقول: أي عبيد ألم أكرمك؟ ألم أسودك؟ ألم أزوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأتركك تترأس

وتترع؟ قال: بلى يا رب، قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا رب، قال: فالיום أنساك كما نسيتني قال: فيلقى الثاني، فيقول: ألم أكرمك، ألم أسودك، ألم أزوجك، ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك تترأس وتترع؟ قال: فيقول: بلى يا رب، قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا

رب - وقال غيره سفيان تراس وترع في الموضعين - قال: فالיום أنساك كما نسيتني، قال: ثم يلقى الثالث، فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك، وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، وبني يخبر ما استطاع، فيقال له: ألم نبعث عليك شاهداً؟ قال: فيفكر في نفسه من الذي تشهد عليه فيختم على فيه، ويقال لفخذه: أنطقي، قال: فتنتطق فخذه، ولحمه وعظامه بما كان يعمل، قال: وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي سخط الله عليه.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الذبيري، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالقدم فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا

مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثني هاشم بن القاسم، أنا غيب الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عبيد المكتب، عن فضيل، عن الشعبي، عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مِمَّ أضحك؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا رب ألم تَجْزني من الظلم؟» قال: فيقول: بلى: قال: فيقول: فإنني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهدوا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لَكُنَّ وسحقاً فَعَنَكُنْ كُنْتُ أناضل».

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدوا لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] يقول كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، فتبادروا إلى الطريق، ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عمياً يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس، وقتادة، ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن

غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾ ولم أفعل ذلك بهم؟ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾، يعني مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قومود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿فَمَا أَتَّخَذُوا مُبْتَدِئاً وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع.

﴿وَمَنْ نَقُصِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، قرأ عاصم وحمزة ننكسه بالتشديد، وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضم الكاف مخففاً، أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق: وقيل: ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿أَفَلَا يَقُولُونَ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهْ﴾﴾، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيباً لهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهْ﴾ أي ما يتسهل له ذلك، وما كان يتزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد الشقفي، أنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا يوسف بن

عبدالله بن ماهان، أنا موسى بن إسماعيل، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي ﷺ: كان يتمثل بهذا البيت:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً
فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً
فقال أبو بكر وعمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهْ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا شريك، عن المقدم بن شريح، عن أبيه قال: قلت لعائشة: أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة، قالت: وربما قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وقال معمر عن قتادة: بلغني أن عائشة سئلت: هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت أخي بني قيس، طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فجعل يقول: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا

رسول الله، فقال: «إني لست بشاعر ولا ينبغي لي».

﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني ما القرآن، ﴿وَلَا يُكْرَهُ﴾، موعظة، ﴿وَوَرَّانَ ثُبِينٍ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿يُنْذِرُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب «لتنذر» بالياء وكذلك في [سورة الأحقاف]، وافق ابن كثير في الأحقاف [١٢] أي: لتنذر يا محمد، وقرأ الآخرون بالياء أي: لينذر القرآن، «مَنْ كَانَ حَكًا»، يعني مؤمناً حي القلب، لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿وَيَحْيِ الْقُورَ﴾، وتجب حجة العذاب «عَلَّ الْكَافِرِينَ».

﴿قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٌ أَلْبِيًا﴾، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، «أَنَعَمَّا فَهَمَّ لَهَا مَلِكُونَ»، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل هي مسخرة لهم.

﴿وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَوَلَّلْنَاهَا لَهْمَ﴾، سخرناها لهم، «فَوَيْتَنَّا رُكُوبَهُمْ»، أي ما يركبون هي الإبل، «وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ» [أي]: من إيمانها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، «وَسَارِيحٌ»، من البانها، «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ»، رب هذه النعم.

﴿وَأَنفَلُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَّهُمْ يَصْرُونَ﴾، يعني: لستمعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَهُمْ﴾. قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على

نصرهم ومنعهم من العذاب. «وَهُمْ لَهْمٌ جُنْدٌ مُّخَضَّرُونَ»، أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تستطيع لهم نصراً. وقيل: هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند معضرون في النار.

﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني قول كفار مكة في تكذيبك، «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ»، فسي

ضمايرهم من التكذيب، «وَمَا يُعْلِنُونَ»، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بالسهم من الأذى.

﴿قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْأَيْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّفُوفٍ قَلْبًا مَّوَّ حَصِيرٍ﴾، جدل بالباطل، «ثُبِينٍ»، بين الخصومة، يعني إنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة.

نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم؟ فقال النبي ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار»، فأنزل الله هذه الآيات.

﴿وَصَرَّيْنَا لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُمْ﴾، بدء أمره ثم، «قَالَ مَنِ ابْنِي أَلْعَلَّمُ وَهِيَ رَمِيَّةٌ»، بالية، ولم يقل

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٌ أَلْبِيًا أَنَعَمَّا فَهَمَّ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَوَلَّلْنَاهَا لَهْمَ جُنْدٍ مَّخَضَّرُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَنفَلُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَّهُمْ يَصْرُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَهُمْ وَهُمْ لَهْمٌ جُنْدٌ مُّخَضَّرُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ ﴿٧٥﴾ وَأَوَلَمْ يَرِ الْأَيْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّفُوفٍ قَلْبًا مَّوَّ حَصِيرٍ ﴿٧٦﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٨﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِن نَّحْوِهِمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٠﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدَأُ مَلَكُوتَهُ كُلَّ نَفْسٍ وَكَذَلِكَ يُصَوِّرُهَا ﴿٨١﴾ ثُمَّ يُعْطِيهَا أَشْوَاقَهَا ﴿٨٢﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ الْمَصِيرُ ﴿٨٣﴾

رمية، لأنه معدول عن فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن إعرابه، كقوله: «وَمَا كَانَتْ أُمَّيَ بَوِيًا» [مريسم: ٢٨]، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باعية.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾، خلقها، «أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ».

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى العفار، فمن أراد منتهن النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهم خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عز وجل.

تقول العرب: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا



علي بن الحسين
الدرابجردي، حدثنا
عبدالله بن عثمان، أخبرنا
عبدالله بن المبارك، عن
سليمان التيمي، عن أبي
عثمان - وليس بالنهدي -
عن معقل بن يسار قال:
قال رسول الله ﷺ:
«اقرأوا على موتاكم سورة
يس».

ورواه محمد بن العلاء
عن ابن المبارك، وقال
عن أبي عثمان وليس
بالنهدي عن أبيه عن
معقل بن يسار.

سورة الصفات

مكية وهي مائة واثنان وثمانون
آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالصَّافَّاتُ صَفًا﴾، قال ابن
عباس، رضي الله عنهما، والحسن
وقتادة: هم الملائكة في السماء
يصفون كصفوف الخلق في الدنيا
للصلاة.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز
القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن
جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي
محمد بن العلاء أحمد اللؤلؤي،
حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث،
حدثنا عبدالله بن محمد النفيلي،
حدثنا زهير قال: سألت سليمان
الاعمش عن حديث جابر بن سمرة
في الصفوف المقدمة فحدثنا عن
المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة

عن جابر بن سمرة، قال: قال
رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما
تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا:
وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟
قال: «يتمون الصفوف المقدمة
ويرتاضون في الصف».

وقيل: هم الملائكة تصف
أجنحتها في الهواء واقفة حتى
يأمرها الله بما يريد. وقيل: هي
الطيور دليله قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ
صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١].

﴿قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتُ صَفًا﴾﴾، يعني الملائكة تزجر السحاب
وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر
القرآن تنهى وتزجر عن القبائح.

﴿وَالصَّافَّاتُ صَفًا﴾، هم الملائكة
يتلون ذكر الله عز وجل. وقيل: هم
جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم
أقسم الله تعالى به وموضع القسم:

﴿قوله: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾﴾،
وقيل: فيه إضمار، أي ورب الصفات
والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفار
مكة قالوا: ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ آلِهَةً وَاحِدًا﴾
[ص: ٥]؟ فأقسم الله بهؤلاء إن
إلهكم لواحد.

﴿وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾
وَرَبُّ الْمَشْرِقِ، أي مطالع الشمس قبل
أراد به المشرق والمغرب كما قال في
موضع آخر ﴿فَلَا أُمِيتُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، فإن قيل:
قد قال في موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَرَبُّ
الْمَغْرِبِ﴾ [آخر] [المعارج: ٤٠]، وقال في
موضع [آخر] [المعارج: ٤٠]، وقال في
موضع [آخر] [المعارج: ٤٠]، وقال في

العناب. ﴿فَإِذَا أُنشِرَتْ نِبْتُهُ تُوقَدُونَ﴾،
تقدحون وتوقدون النار من ذلك
الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من
خلق الإنسان.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يُقَدِّرُ﴾، وقرا
يعقوب يقدر بالياء على الفعل، ﴿عَلَى
أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى﴾، أي: قل بلى
هو قادر على ذلك، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾،
يخلق خلقاً بعد خلق، ﴿الْعَلِيمُ﴾
بجميع ما خلق.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿تَسْبَحَنَ الَّذِي يَكُونُ
مَلَكُوتُ﴾، أي ملك، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَرَبِّهِ
رُحُومُونَ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي
الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو
الطاهر الزيادي، أنا أبو بكر
محمد بن الحسين القطان، حدثنا

موضح: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩]، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

قيل: أما قوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَرَبُّكَ لِلْمَغْرِبِ﴾، أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل: كل موضع شرت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد [به] رب جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت.

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمًا الَّذِي بَيْنَهُ الْكُوكَبُ﴾، قرأ عاصم، برواية أبي بكر ﴿بَيْنَهُ﴾ منونة، ﴿الْكُوكَبُ﴾ نصب أي بتزيين الكواكب، وقرأ حمزة وحفص ﴿بَيْنَهُ﴾ منونة ﴿الْكُوكَبُ﴾ خفضاً على البدل، أي بزيينة بالكواكب، أي زينها بالكواكب. وقرأ الآخرون ﴿بَيْنَهُ الْكُوكَبُ﴾، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

﴿وَحَفَظًا﴾ أي: حفظناها

حفظاً. ﴿بَيْنَ كُلِّ شَيْطَانٍ قَائِدٌ﴾، متمرد يرمون بها.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم، أي لا يسمعون، فادغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿إِلَى آلَاءِ الْأَعْلَى﴾، أي إلى الكتب من الملائكة، والملا الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملا الأعلى، ﴿وَيَقْدُرُونَ﴾، ويرمون، ﴿بَيْنَ كُلِّ جَانِبٍ﴾، من كل أفاق السماء بالشهب.

﴿مُحَوَّرًا﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحراً ودحوراً، إذ طرده وأبعده، ﴿وَقَدَّمَ عَذَابًا وَاسِئًا﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخللون.

﴿إِلَّا مَنَ خَلَقَ السَّطَفَةَ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾، لحقه [وأدركه] ﴿فِيهَا ثَابِتٌ﴾، كوكب مضي قوي لا يخطئه يقتله، أو يحرقه أو يخله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ونيل المراد، كراكب البحر، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمي به الشياطين ثاقباً لأنه يتقبهم.

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنَ خَلَقْنَا﴾، يعني من السموات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد

خلقاً كما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِن خَلْقِ النَّاسِ﴾ [آحاف: ٥٧]، وقال: ﴿أَلَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ أَشَدُّ أَلَمًا بَيْنَهُمَا﴾ [النازعات: ٢٧]، وقيل: ﴿أَمْ مَنَ خَلَقْنَا﴾ يعني من الأمم الخالية، لأن من يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم، وقد أهلكتهم بذنوبهم، فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟ ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِن طِينٍ لَّازِبٍ﴾، يعني جيد حر لاصق يعلق باليد، ومعناه: اللازم أبدل الميم باء كأنه يلزم اليد [إذا وضعت فيه فيصبعها وتراكم عليها] وقال مجاهد والضحاك: متين.

﴿بِكُلِّ عَيْنَةٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من آدميين، كما قال: ﴿لَيْسَ بَيْنَهُمْ سِرٌّ اللَّهُ بَيْنَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقال عز وجل: ﴿كُنُوا لِلَّهِ غَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٦٧]، والعجب من آدميين: إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحيان والرضا.

كما جاء في الحديث: «عجب ربكم من شاب ليست له صبرة».

وجاء في الحديث: «عجب ربكم من سؤالكم وقتوطكم وسرعة إجابته إياكم» وسئل الجنيذ عن هذه الآية، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: ﴿وَأَن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ

إبليس وجنوده، واحتج بقوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الْقَبِيلَ﴾ [يس: ٦٠].

﴿١٣﴾ فَأَمْدُومُ إِلَى مِرْبَدٍ لَمَجِيمٍ، قال ابن عباس: دلوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدموهم. والعرب تسمي السابق هادياً.

﴿١٤﴾ وَقَفُومٌ، واحبسوهم، يقال: وقفه وقفاً وقوفاً وقوفاً. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حُسُوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقبل: وقفومهم ﴿١٥﴾ سَمَّوْنٌ، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم. وروي عنه: عن لا إله إلا الله.

وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة أشياء: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن علمه ماذا عمل به».

﴿١٦﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ، أي لا تتناصرون، يقال لهم تويخاً: مالكم لا ينصر بعضكم بعضاً، يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حين قال يوم بدر: «مَنْ جِيعَ شَنْصِرٍ» [القمر: ٤٤].

﴿١٧﴾ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ كُذِّبُوا﴾، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون، يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

﴿١٨﴾ وَأَقْبَلَ بَشْغَمٌ عَلَى بَعْضٍ، أي الرؤساء والأتباع ﴿١٩﴾ يَسْأَلُونَ، يتخاصمون.

﴿٢٠﴾ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ، يعني سحر بين.

﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ إِمَّا يُرْسِلُونَا أَمْ إِنَّا لَأَنفُسُنَا أَفْوَاجٌ، يعني سألوا ربهم عما يفعلون بنا.

﴿٢٢﴾ أَوْ إِنَّا لَنَافُسُنَا أَفْوَاجٌ، أي وآباءنا الأولون.

﴿٢٣﴾ نَلَّ نَمٌ، تبعثون، وأنتم دُخْرُونَ، صاغرون، والدخور أشد الصغار.

﴿٢٤﴾ فَإِنَّمَا مِنْ أَيْ قِصَّةِ الْبَيْتِ أَوْ الْقِيَامَةِ، أي صيحة، ونبذة، يعني نفخة البعث، فَإِنَّمَا مُمْ يَنْظُرُونَ، أحياء.

﴿٢٥﴾ وَقَالُوا نَبُوءَاتُ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.

﴿٢٦﴾ هَذَا يَوْمَ الْقَبْلِ، يسوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء، ﴿أَلَيْسَ كَقَدْحٍ بَدِئَهُ غَدِيرٌ﴾.

﴿٢٧﴾ اخْضَرُوا أَلْيَنَ عَصَاكَ، أي: أشركوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿وَأَذَوَّعَهُمْ﴾، أشباههم وأنباعهم وأمثالهم، قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر، مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: وأزواجهم المشركات. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ كُذِّبُوا يَوْمَ تُسْأَلُونَ ﴿١٤﴾ وَأَقْبَلَ بَشْغَمٌ عَلَى بَعْضٍ ﴿١٥﴾ يَسْأَلُونَ ﴿١٦﴾ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿١٧﴾ بَلْ كُذِّبُوا ﴿١٨﴾ وَأَقْبَلَ بَشْغَمٌ عَلَى بَعْضٍ ﴿١٩﴾ يَسْأَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ إِمَّا يُرْسِلُونَا أَمْ إِنَّا لَأَنفُسُنَا أَفْوَاجٌ ﴿٢٢﴾ أَوْ إِنَّا لَنَافُسُنَا أَفْوَاجٌ ﴿٢٣﴾ نَلَّ نَمٌ ﴿٢٤﴾ فَإِنَّمَا مِنْ أَيْ قِصَّةِ الْبَيْتِ أَوْ الْقِيَامَةِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا نَبُوءَاتُ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ هَذَا يَوْمَ الْقَبْلِ ﴿٢٧﴾ اخْضَرُوا أَلْيَنَ عَصَاكَ ﴿٢٨﴾ وَأَذَوَّعَهُمْ ﴿٢٩﴾ أَشْبَاهَهُمْ وَأَنْبَاعَهُمْ وَأَمْثَالَهُمْ ﴿٣٠﴾ قَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ: كُلُّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ عَمَلِهِمْ، فَأَهْلُ الْخَمْرِ، مَعَ أَهْلِ الْخَمْرِ وَأَهْلُ الزِّنَا، مَعَ أَهْلِ الزِّنَا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمِقَاتِلٌ: وَقُرْنَاءَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ كُلِّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانِهِ فِي سِلْسِلَةٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: وَأَزْوَاجُهُمُ الْمُشْرِكَاتُ. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فِي الدُّنْيَا، يَعْنِي الْأَوْثَانَ وَالطَّوَاعِثَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي

قَوْمَهُمْ [الزعد: ٥] أي هو كما نقوله، وقرأ الآخرون بفتح الناء على خطاب النبي ﷺ: أي عجبتم من تكذيبهم إياك، ﴿وَلَمْ يَخْشَوْا﴾، يعني وهم يسخرون من تعجبك.

قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أنكل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجَبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

﴿٣١﴾ وَلَوْ أَنَّ رَأْيَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ كَرِهٌ لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ لُحًّا لَلْخَالِصِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْ أَنَّ رَأْيَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ كَرِهٌ لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ لُحًّا لَلْخَالِصِينَ ﴿٣٣﴾ يَعْنِي: إِذَا عَطَوْا بِالْقُرْآنِ لَا يَتَعَطُونَ. عَابَسَ وَمِقَاتِلٌ يَعْنِي انشفاق القمر، ﴿يَسْخَرُونَ﴾، يسخرون ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية.

﴿وَقَالُوا﴾، أي الاتباع للرؤساء، ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾، أي من قبل الدين فضللونا عنه وترونا أن الدين ما تضللونا به، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، كما أخبر الله تعالى عن إبليس: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي عَنْ أَدِيمِ إِيمَانٍ فُتَاتًا﴾، ﴿وَمِنْ خَلْقِهِمْ وَفَعَلْنَاهُمْ رَحْمَةً﴾ [الأعراف: ١٧]، فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق. وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمتعنى قوله: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها. وقيل: عن «اليمين» أي عن القوة والقدرة، كقوله: ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، والمفسرون على القول الأول.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني الرؤساء للاتباع، ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، لم تكونوا على الحق فضلكم عنه، أي إنما الكفر من قبلكم.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، من قوة وقدرة فننهركم على متابعتنا، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ﴾، ضالين.

﴿فَعَنَى﴾، وجب، ﴿عَلَيْنَا﴾، جميعاً، ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾، يعني كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿لَا تَلَذَّاهُمْ جَهَنَّمَ مِنَ الْغَوْثِ وَالْكَافِرِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿إِنَّا لَنَافِقُونَ﴾، اليعذاب، أي أن الضال والمضل جميعاً في النار.

﴿فَأَقْرَيْتُكُمْ﴾، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه،

﴿إِنَّا كُنَّا غَائِبِينَ﴾، ضالين.

﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿فَأَنزَلْنَا فِي الرُّسُلِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَأَنْذَرْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آي] الرؤساء والأتباع.

﴿إِنَّا كُنَّا نَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين جعلوا الله شركاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، يتكبرون عن كلمة التوحيد، ويمتنعون منها.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَنَا بُرْهَانٌ مِنَ رَبِّنَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، يعني النبي ﷺ.

﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا عَلَيْهِمْ﴾: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ ﴿وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشرك.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، الموحدين.

﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يَرْزُقْ قَوْمٌ﴾، يعني بكرة وعشياً كما قال: ﴿وَقَدْ رَزَقْنَاهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿فَوَكَّدَ﴾ جمع الفاكهة، وهي الشمار كلها رطبها وبابسها، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت، ﴿وَقَدْ تَكْرَهُونَ﴾، شواب الله.

﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾، لا يرى بعضهم قفا بعض.

﴿يُلَاقِي عَلَيْهِمْ بِكَاهِنَةٍ﴾، إنباء فيه شراب ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إنباء،

﴿مِنْ نَعِيمٍ﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العينون.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾، قال الحسن: خمر أشد بياضاً من اللبن، ﴿لَذَّةٍ﴾، أي لذيلة، ﴿لِلْشَّيْءِ﴾.

﴿لَا فِيهَا عَمَلٌ﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. وقال الكلبي [ليس فيها] إثم. وقال قتادة: وَجَّعَ البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداق والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْكَرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿يُزْكَرُونَ﴾ بكسر الزاي واقفهما عاصم في الواقعة [١٩]، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما ففتح فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: أنزف الرجل فهو منزوف ونزوف إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينفذ شرابهم، يقال أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنت خمرته.

﴿وَصَدَقَتْ قَوَائِدُ الظُّرَى﴾، حابسات الأعين غاضبات الجفون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿عَيْنٌ﴾، أي حسان الأعين، يقال: رجل لمعين وامرأة عيناء ونساء عين.

﴿كَأَنَّهُنَّ يَخْرُصْنَ﴾، جمع البيضة، ﴿تُكُونُونَ﴾، مصون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه

الموت: أما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

﴿٣٦﴾ فيقولون: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْدُ الْعَظِيمِ﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

﴿٣٧﴾ قال الله تعالى: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَمِلُونَ﴾، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: ﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يَنْزِلْ تَعْلَمُونَ﴾، إلى ﴿فَلَيعْمَلَ الْعَمِلُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾، التي هي نزل أهل النار، والزقوم: [ثمررة] شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، ينكر أهل النار على تناولها، فهم يتزقموه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة.

﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا نُشَّةً لِلْكَافِرِينَ﴾، للكافرين وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ وقال ابن الزبير لصناديد قريش: إن محمداً يخوفنا بالزقوم، والزقوم بلسان بربر: الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته، وقال: يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد.

﴿٤٠﴾ فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبَ لَهُمْ تَنَكُّلاً رَجُلِينَ﴾ ﴿٣٢﴾.

﴿٣٣﴾ يقول آفة لك لين المصدين، بالبعث.

﴿٣٤﴾ ﴿لَوْ دَا مَنَّا وَكُنَّا قُرَاكَا وَعَظَلْنَا أَوْنَا لَكَيْتُونَ﴾، مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ﴾، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنتُمْ مُطْلِقُونَ﴾، إلى النار، وقيل: يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف منزلة أخي، فيقول أهل الجنة: أنت

أعرف به منا.

﴿٣٦﴾ ﴿فَأَطْلَعْ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع هذا المؤمن، ﴿قَرَّةً﴾ في سَوَاةِ الْجَحِيمِ، فرأى قرينه في وسط النار، وإنما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ﴾، له، ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَأَقْرُونَ﴾، والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: [معناه] والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾، رحمته وإنعامه علي بالإسلام، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، معك في النار.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾، ﴿وَمَا إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ﴾، في الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح

يَقُولُ أَوْ لَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٣٢﴾ أَمْ دَا مَنَّا وَكُنَّا قُرَاكَا وَعَظَلْنَا أَوْنَا لَكَيْتُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلِقُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَطْلَعْ قَرَّةً فِي سَوَاةِ الْجَحِيمِ ﴿٣٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَأَقْرُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٣٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْدُ الْعَظِيمِ ﴿٤١﴾ لِيُنْزِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَمِلُونَ ﴿٤٢﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا نُشَّةً لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٤٥﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ زُرُّوعٌ وَشِجَارُ طَيْلِينَ ﴿٤٦﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ فِيهَا الْقَوْدُ وَمِنَ الْبُظُوفِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الشَّوَابِينَ حِيمٍ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٤٩﴾ إِنَّهُمْ الْقَوْدُ أَبَدًا فَرَضًا لِّئِنْ فَهِمَ عَلَى النَّارِ مَهْرُورُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَأَنْظَرَكِيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَنذِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٥٥﴾ وَنَحْنُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٥٦﴾

رده إلى اللفظ. قال الحسن: [شبههم] ببعض [النعام لأن] النعمة تُكفها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة ﴿بَيَّضَةً﴾ مشربة صفرة، والعرب تشبهها ببضعة النعامة.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

﴿٥٨﴾ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾، يعني من أهل الجنة، ﴿إِنِّي كَأَن لِّي فَرِيقٌ﴾، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هَرَّ الْبَاقِينَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾
 عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾
 عِبَادَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ يَنْ
 شِعْبُهُمْ لِيَزْهِقَ ﴿٧١﴾ إِذْ جَاءَهُمْ زَيْلٌ مِّنْ سُلَيْمٍ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ
 لِأَيُّهَا قَوْمِي قَوْمِي مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٣﴾ أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ إِلهٍ لَّهِ تُرِيدُونَ
 ﴿٧٤﴾ فَمَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْغُلُوبَ ﴿٧٥﴾ فَتَنْظُرُونَ فِي الْغُلُوبِ ﴿٧٦﴾
 فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ مَلَكًا مِّنْ رَبِّي يَقُولُ ﴿٧٧﴾ إِنَّ الْإِلَهَ إِلَهُكُمْ
 فَقَالَ أَلَا أَنَا كَلَمٌ ﴿٧٨﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرْبًا
 بِالْأَيْمَنِ ﴿٨٠﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٨١﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَوْنَ
 ﴿٨٢﴾ وَاللَّهِ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا ابْنُوا آلَهُنَا قَالَ أَعُوذُ
 فِي الْحَيَاةِ ﴿٨٤﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٨٥﴾
 وَقَالَ إِنِّي ذَاتُ خَلْقٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾
 ﴿٨٨﴾ فَتَشْرِيهِمْ بِغُلَامٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
 يَتِيمٌ إِنِّي أَرَأَيْتُ إِذَا نُحِيَ إِذَا نَحَاكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿٩٠﴾ قَالَ
 يَكُونُ أَفْضَلُ مَا تَوْفَّرُ سَعْيُكَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩١﴾

﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ
 أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ، مَنْ
 الأمم الخالية.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّزَيِّرِينَ ﴿٦٨﴾
 فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُتَدَبِّرِينَ، الكافرين أي
 كان عاقبتهم العذاب.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمُتَحَصِّنِينَ، الموحدين
 نجوا من العذاب.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا
 نُوحًا، دعا ربه على قومه
 فقال: ﴿٧٣﴾ إِنِّي مَقْلُوبٌ مِّنْ قَلْبِي ﴿٧٤﴾

[القمر: ١٠] ﴿٧٥﴾ فَلْيَعْمُرِ
 الْمُجْسِمُونَ، نحن يعني
 أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُ هَرَّ الْبَاقِينَ
 الْعَظِيمِ، الغم العظيم الذي لحق
 قومه وهو الغرق.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هَرَّ الْبَاقِينَ،
 وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح،
 روى الضحاك عن ابن عباس قال:

لما خرج نوح من السفينة مات من
 كان معه من الرجال والنساء إلا ولده
 ونساءهم، قال سعيد بن المسيب،
 كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام
 ويافث، فسام أبو العرب وفارس
 والروم، وحام أبو السودان، ويافث
 أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج
 وما هنالك.

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْآخَرِينَ، أي
 أبقينا له نساء حسناً وذكرنا جميلاً فيمن
 بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم
 القيامة.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ طَلْعَهَا، ثمراها سمي طلعا
 لطلوعه، ﴿٨٤﴾ كَانَتْ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ،
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم
 الشياطين بأعينهم شبه بها لقبها،
 لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية
 القبح قالوا: كانه شيطان، وإن كانت
 الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها
 متصور في النفس، وهذا معنى قول
 ابن عباس والقرطبي، وقال بعضهم:
 أراد بالشياطين الحيات، والعرب
 تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا.
 وقيل: هي شجرة قبيحة مرة منتنة
 تكون في البادية، تسميها العرب
 رؤوس الشياطين.

﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾ فَلْيَتَمَرَّ لَأَكُونَ مِنَّا فَالِقُونَ مِنَّا
 الْبُطُونَ، والملء حشو الوعاء بما لا
 يحتمل الزيادة عليه.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٨﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيَّا لَنَاقًا،
 خلطا ومزاجا، ﴿٨٩﴾ مِّنْ جَمِيمٍ، من ماء
 حار شديد الحرارة، يقال: لهم إذا
 أكلوا الزقوم: شربوا عليه الحميم،
 فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم
 فيصير شوباً له.

﴿٨٩﴾ - ﴿٩٠﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ، بعد
 شرب الحميم، ﴿٩١﴾ لَّإِلَى الْجَحِيمِ،
 وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه
 وهو خارج من الجحيم كما يورد
 الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم،
 يدل عليه قوله تعالى: ﴿٩٢﴾ يَطَّوُّونَ يَتِيًّا
 وَيَتَّى جَمِيمًا ﴿٩٣﴾ [الرحمن: ٤٤]،
 وقرأ ابن مسعود: ﴿٩٤﴾ ثُمَّ إِنْ مَنَعْلَهُمْ
 لَإِلَى الْجَحِيمِ.

﴿٩٥﴾ - ﴿٩٦﴾ إِنَّهُمْ الْفَقْرُ وَجَدُوا،
 ﴿٩٧﴾ عَابَادَةُ مَلَائِكَةٍ ﴿٩٨﴾ فَهُمْ عَلَى عَائِدَةٍ
 يَهْرَقُونَ، يسرعون، قال الكلبي:
 يعملون مثل أعمالهم.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، أي
 سلام عليه منا في العالمين. وقيل: أي
 تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه
 إلى يوم القيامة.

﴿١٠١﴾ - ﴿١٠٢﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، قال
 مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن
 في العالمين.

﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ، يعني الكفار.

﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٦﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿١٠٧﴾
 يَنْ شِعْبُهُمْ لِيَزْهِقَ، أي من أهل دينه وملته
 وسنته، ﴿١٠٨﴾ لِيَزْهِقَ، إِذْ جَاءَهُمْ زَيْلٌ يَقْلِبُو
 سُلَيْمٍ، مخلص من الشرك والشك.

﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا قَوْمِي قَوْمِي مَاذَا
 تَعْبُدُونَ، استفهام توبيخ.

﴿١١١﴾ - ﴿١١٢﴾ أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ إِلهٍ لَّهِ تُرِيدُونَ،
 يعني أتلفكون إفكاً وهو أسوأ
 الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

﴿٨٧﴾ قَالُوا لَكَ بِرَبِّكَ آيَاتٌ، إِذَا لَقِيتُمُوهُ وَقَدْ عَبْدِتُمْ غَيْرَهُ أَنَّهُ يَصْنَعُ بِكُمْ.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ قَنَظَرُ نَظَرَةٍ فِي التَّجْوِيرِ ﴿٩٠﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ قَوْمٌ يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَ النُّجُومِ فَعَامِلُهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا [يَتَعَاطَوْنَ] لَثَلَا يَتَكْرَهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكَايِدَهُمْ فِي أَصْنَامِهِمْ لِيَلْزِمَهُمُ الْحُجَّةُ فِي أَنَّهَا غَيْرُ مَعْبُودَةٍ، وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْغَدِّ عِيدٌ وَمَجْمَعٌ وَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ وَيَقْرَبُونَ لَهُمُ الْقَرَابِينَ، وَيَضَعُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الطَّعَامَ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إِلَى عِيدِهِمْ، زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عَلَيْهِ فَإِذَا انْصَرَفُوا مِنْ عِيدِهِمْ أَكَلُوهُ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ أَلَا تَخْرُجُ غَدًا مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا، فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَطْمُونٌ، وَكَانُوا يَفْرُونَ مِنَ الطَّاعُونَ فَرَارًا عَظِيمًا. قَالَ الْحَسَنُ: مَرِيضٌ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: وَجَعٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: سَأَسْقُمُ.

﴿٩١﴾ قَتَلُوا عَنْهُ مَبِيَّيْنِ، إِلَى عِيدِهِمْ فَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى الْأَصْنَامِ فَكَسَرَهَا.

﴿٩٢﴾ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرَّغَ إِلَٰهُ إِلَهُهُمْ﴾، مَالٌ إِلَيْهَا مِيلَةٌ فِي خَفِيَّةٍ، وَلَا يُقَالُ رَاغٌ حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُهُ مَخْفِيًا لَهَا بِهَاجَةٍ وَمَجِيئِهِ، ﴿فَقَالَ﴾ اسْتَهْزَأَ بِهَا. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَّ﴾، يَعْنِي الطَّعَامَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ.

﴿٩٣﴾ - ﴿٩٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ ﴿٩٥﴾ فَرَّغَ عَلَيْهِمْ مَالٌ عَلَيْهِمْ مَتَرًا بِأَيْدِيهِمْ، أَيُّ كَانَ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ

الْيَمْنَى لِأَنَّهَا أَقْوَى عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الشَّمَالِ. وَقِيلَ: بِالْيَمِينِ أَيْ بِالْقُوَّةِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْقِسْمَ أَيْ الْقِسْمَ الَّذِي سَبَقَ مِنْهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَأْتِيهِ لَكَيْدٌ أَصْنَامُهُ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿٩٦﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ، يَعْنِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ، ﴿يُزْفُونَ﴾، يَسْرِعُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا بِصُنْعِ إِبْرَاهِيمَ بِالْهَتَمِ فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ لِيَأْخُذُوهُ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحُمَزَةُ ﴿يُزْفُونَ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، وَهِيَ لَفْظَانِ وَقِيلَ بِضَمِّ الْيَاءِ: أَيُّ يَحْمِلُونَ دَوَابَّهُمْ عَلَى الْجَدِّ وَالْإِسْرَاعِ.

﴿٩٧﴾ قَالَ، لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِ الْحِجَاجِ، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُبُونَ﴾، يَعْنِي مَا تَنْحِتُونَ بِأَيْدِيكُمْ [مِنَ الْأَصْنَامِ].

﴿٩٨﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ، بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

﴿٩٩﴾ قَالُوا إِنَّا لَمَّا بَيْنَنَا فَأَلْوُكُهُ فِي الْجَحِيمِ، مُعْظَمُ النَّارِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: بَنَوْا لَهُ حَائِطًا مِنَ الْحِجَارَةِ طُولُهُ فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَمَلُؤُوهُ مِنَ الْحَطَبِ وَأَوْقَدُوا فِيهِ النَّارَ فَطَرَحُوهُ فِيهَا.

﴿١٠٠﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا، شَرًّا وَهُوَ أَنْ يَحْرِقُوهُ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ لَأَسْفَلِينَ﴾، أَيُّ الْمَقْهُورِينَ حَيْثُ سَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ وَرَدَّ كَيْدَهُمْ.

﴿١٠١﴾ وَقَالَ، يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾، أَيُّ مَهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي، وَالْمَعْنَى: أَهْجَرُ دَارَ الْكُفْرِ وَأَذْهَبُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّي، قَالَهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]،

﴿سَيِّدِينَ﴾، إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ وَهُوَ الشَّامُ. قَالَ مُقَاتِلٌ: فَلَمَّا قَدِمَ الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ سَأَلَ رَبَّهُ الْوَلَدَ. ﴿١٠٢﴾ فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾، يَعْنِي هَبْ لِي وَلَدًا صَالِحًا مِنَ الصَّالِحِينَ.

﴿١٠٣﴾ فَتَشْرَنُهُ بِقُلُوبِهِمْ حَلِيمٌ، قِيلَ: غِلَامٌ فِي صُغُرِهِ حَلِيمٌ فِي كِبَرِهِ، فَفِيهِ بَشَارَةٌ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ يَعِيشُ فَيَنْتَهِي فِي السِّنِّ حَتَّى يَوْصَفَ بِالْحِلْمِ.

﴿١٠٤﴾ فَأَمَّا بَلْعٌ مَعَهُ السَّعَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَتَقَادَةُ: يَعْنِي الْمَشْيَ مَعَهُ إِلَى الْجَبَلِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا شَبَّ حَتَّى بَلَغَ سَعِيهِ سَعَى إِبْرَاهِيمَ.

وَالْمَعْنَى: بَلَغَ أَنْ يَتَصَرَّفَ مَعَهُ وَرَبْعِيْنَهُ فِي عَمَلِهِ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي الْعَمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَمُقَاتِلِ بْنِ حِيَانَ وَابْنِ زَيْدٍ، قَالُوا: هُوَ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاخْتَلَفُوا فِي سَنَةِ، قِيلَ: كَانَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَقِيلَ: كَانَ ابْنُ سَبْعِ سَنِينَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ بَيْنَى إِلَيْنِ أَرَأَيْتَ فِي النَّارِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْغِلَامِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ بَعْدَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْكِتَابِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ إِسْحَاقُ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِسْحَاقُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَنْ التَّابِعِينَ وَاتَّبَاعَهُمْ: كَعَبِ الْأَحْبَارِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَتَقَادَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَعُكْرَمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَمُقَاتِلٌ، وَالزَّهْرِيُّ، وَالسَّيْدِيُّ، وَهِيَ رَوَايَةٌ

عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وقالوا: وكانت هذه القصة بالشام.

وروي عن سعيد بن جبير قال: أَرَىٰ إبراهيم ذبح إسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحدر بمنى، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روعة واحدة وطويت له الأودية والجبال. وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبدالله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع به أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي وهي رواية عطاء بن أبي رباح، ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، قال: المفدى إسماعيل، وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ.

ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ يُكَلِّمُ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الْاَتَمَّ ﴿أَمْرٌ بِذَبْحٍ مِنْ بَشَرِهِ، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود [٧١] ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ﴾، ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: ﴿وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ يُكَلِّمُكَ فِي الصَّلَاتِ﴾ [الصافات: ١١٢]، دل على أن المذبوح غيره، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود [٧١]: ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ وَبَنِيَّ وَرَبَّهُ﴾ [إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ]، فكما بشره بإسحاق

بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه. قال القرظي: سأل عمر بن عبدالعزيز رجلاً كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه، ويزعمون أنه إسحاق بن إبراهيم.

ومن الدليل عليه: أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القران في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة.

وعن ابن عباس قال: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وحش، يعني يس.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه.

وأما قصة الذبيح قال السدي: لما دعا إبراهيم فقال: رب هب لي من الصالحين، وبشر به، قال: هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له: أوف بذرك، هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بذبح ابنه،

فقال عند ذلك لإسحاق: انطلق فاقرب قرباناً لله تعالى فأخذ سكيناً وجلاً فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال، فقال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ فقال: ﴿يَكُونُ لِي أَثَرٌ فِي الْكَنَانِ أَتَىٰ الذَّبْحَ فَأَنْظَرَ مَاذَا رَزَىٰ قَالَ يَكُونُ لِي أَثَرٌ مَا تَوَسَّسَ﴾.

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حُمِلَ على البراق فيغد من الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم جرماته، أمر في المنام أن يذبحه، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روي في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانياً، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل، فمن ثم سمي يوم عرفة، قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متواليات، فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه، فقال: ﴿يَكُونُ لِي أَثَرٌ فِي الْكَنَانِ أَتَىٰ الذَّبْحَ فَأَنْظَرَ مَاذَا رَزَىٰ﴾.

قرأ حمزة والكسائي «ثري» بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته، وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يميل الراء، قال له ابنه: ﴿يَكُونُ لِي أَثَرٌ مَا تَوَسَّسَ﴾.



أتيت أمي فاقراً عليها
السلام مني وإن رأيت أن
ترد قميصي على أمي
فافعل، فإنه عسى أن
يكون أسلى لها عني،
فقال له إبراهيم عليه
السلام: نعم العون أنت يا
بني على أمر الله، ففعل
إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم
أقبل عليه فقبله وقد ربطه
وهو يبكي والابن أيضاً
يبكي، ثم إنه وضع
السكين على حلقة فلم
تحك السكين.

وروى: أنه كان يجز
الشفرة في حلقة فلا

تقطع، فشحذها مرتين أو ثلاثة
بالحجر، كل ذلك وهي لا تستطيع.
قال السدي: ضرب الله تعالى صفحة
من نحاس على حلقة، قالوا: فقال
الابن عند ذلك يا أبت كبني بوجهي
إلى الأرض على جبيني فإنك إذا
نظرت في وجهي رحمتني وأدرتكت
رقّة تحول بينك وبين أمر الله تعالى،
وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع،
ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة
على ففاه فأنقلبت السكين ونودي:
﴿أَنْ يَكْبِرَ بِهِمْ﴾ قَدْ صَدَقَ الرَّؤُفُ.

وروى أبو هريرة عن كعب
الأخبار وابن إسحاق عن رجاله قال:
لما رأى إبراهيم ذبح ابنه قال
الشیطان: لئن لم أفتن عند هذا آل
إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً،
فتمثل له الشيطان رجلاً وأتى أم
الغلام، فقال لها: هل تدرين أين

وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر
إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ
الحبل والمديّة نطلق إلى هذا الشعب
نحطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في
شعب ثبير أخبره بما أمر، ﴿قَالَ
يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تَوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الْعَابِدِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، انقادا وخضعا
لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم
إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿وَتَلَّامُ
لِلْجَيْنِ﴾، أي صرعه على الأرض.
قال ابن عباس: اضجعه على جبينه
على الأرض والجهة بين الجبينين،
قالوا: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه يا
أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب،
واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح
عليها من دمي شيء فينقص أجري
وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك
وأسرع مَرَّ السكين على حلقي ليكون
أهون علي فإن الموت شديد، وإذا

ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به
يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا
والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت:
كلا هو أرحم به وأشد حباً له من
ذلك، قال: إنه يزعم أن الله قد أمره
بذلك، قالت: فإن كان ربه أمره
بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه،
فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك
الابن وهو يمشي على إثر أبيه،
فقال: يا غلام هل تدري أين يذهب
بك أبوك؟ قال: نحطب لأهلنا من
هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا
أن يذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم
أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما
أمره به ربه فسمعاً وطاعة، فلما امتنع
منه الغلام أقبل على إبراهيم عليه
السلام فقال له: أين تريد أيها
الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب
لحاجة لي فيه، قال: والله إني لأرى
الشیطان قد جاءك في منامك فأمرك
بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم عليه
السلام، فقال: إليك عني يا عدو الله
فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع
إبليس بغیظه لم يصب من إبراهيم
وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه
بعون الله تعالى.

وروى أبو الطفيل عن ابن
عباس، أن إبراهيم لما أمر بذبح ابنه
عرض له الشيطان بهذا المشعر
فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى
جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه
بسبع حصيات حتى ذهب، ثم
عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه
بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه
عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع
حصيات حتى ذهب، ثم مضى

إبراهيم لأمر الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا وَقَالَ لِّلْمَلَكِ﴾.

﴿١٠٤﴾ - ﴿١٠٥﴾ ﴿وَنَذَرْنَاهُ﴾، الواو في ونادينا صلة مقحمة، مجازة نادينا كقوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوا فِي عِبَادِي الْجَبُلَ وَأَوْحَا إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥] أي أوحينا إليه، فنودي من الجبل، ﴿أَن يَكُونُوا قَدْ صَدَقَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَّبُكَ يُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾، تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ يُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده [كذلك] نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

﴿١٠٦﴾ ﴿إِن كَذَّبْنَا لَكُمُ الْبَلَاءَ الَّتِي﴾، الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء ههنا النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا، وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصداقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا.

وقيل: كان [قد] رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم، فلذلك قال له: قد صدقت الرؤيا.

﴿١٠٧﴾ قوله: ﴿وَقَدَرْنَا﴾ يذبح عظيم، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل، وكبر الكبش، وكبر إبراهيم، وكبر ابنه، فأخذ إبراهيم

الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه.

قال أكثر المفسرين: كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم هابيل. قال سعيد بن جبير: حق له أن يكون عظيماً. قال مجاهد: سماه عظيماً لأنه متقبل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب. وقال الحسن: ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من نير.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسناً.

﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ كَذَلِكَ يُجْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَنَزَّلْنَاهُ بِإِسْحَاقَ يَنْبَاً مِنَ الْعَالَمِينَ، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبي.

﴿١١١﴾ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿وَوَكَّلْنَا﴾، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا نَحْنُ﴾، أي مؤمن، ﴿وَعَالَمٌ يُقْضَى﴾، أي كافر، ﴿ثُمَّ﴾، أي ظاهر الكفر.

﴿١١٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى

مُوسَى وَكَرَّمْنَا﴾، أنعمنا عليهم بالنبوة.

﴿١١٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ قَوْمَهُمَا﴾، بني إسرائيل، ﴿وَمِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون لإياهم. وقيل: من الغرق.

﴿١١٤﴾ ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿فَكَانُوا هُمْ الْعَاقِلِينَ﴾، على القبط.

﴿١١٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي المستبر وهو التوراة.

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٧﴾ ﴿وَقَدَرْنَا﴾ الصِّرَاطَ السَّيِّئِ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَكَرَّمْنَا ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ يُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.

﴿١١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ إِنَّا لَوْنُ الْمُرْسَلِينَ﴾، روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين. وهذا قول عكرمة.

وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

وقال أيضاً محمد بن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيال النبي عليه السلام، عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من

دون الله، فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبياً وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة، ويؤتى إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بواها بني إسرائيل وقسمها بينهم، فأحل سبطاً منهم ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبياً، وعليهم يومئذ ملك يقال له: آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له: بعل، وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة وجوه، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك، فإنه صدقه وآمن به فكان إلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده، وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها أزييل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها، وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة الأنبياء، يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتُم إيمانه، وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم، وكانت في نفسها غير محصنة، وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل، قتلهم كلهم بالاغتيا، وكانت معمرة يقال أنها ولدت سبعين ولداً، وكان لآجب هذا جار [وهو] رجل صالح يقال له مزدكي، وكانت له جنيئة يعيش

منها، ويقبل على عمارتها ومرمتها، وكانت الجنيئة إلى جانب قصر الملك وامراته، وكانا يشرفان على تلك الجنيئة ينتزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقبلان فيها، وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن إليه، وامراته أزييل تحسده لأجل تلك الجنيئة، وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرُونَ ذكرها ويتعجبون من حسننها، وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً، ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته أزييل ذلك، فجمعت جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سب زوجها آجب فأجابوها إليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك إذا قامت عليه البينة، فأحضرت مزدكي وقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور، فأمرت بقتله، وأخذت جنيئته، فغضب الله عليهم للعبد الصالح.

فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر، فقال لها: ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده، فقد جاورنا منذ زمان فأحسننا جواره وكففتنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا، فختمت أمره بأسوأ الجوار، فقالت: إنما غضبت لك وحكمت فيه بحكمك، فقال لها: أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان، فبعث الله تعالى إلياس إلى آجب الملك وقومه، وأمره أن

يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لولته حين قتلوه ظلماً، وألى على نفسه أنهما إن لم يتوبا على صنيعهما ويردا الجنيئة على ورثة مزدكي أن يهلكهما، يعني آجب وامراته في جوف الجنيئة، ثم يدعهما جيفتين ملقأتين فيها حتى تتعري عظامهما من لحومهما، ولا يتمتعن بها إلا قليلاً.

قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته والجنيئة، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له: يا إلياس والله ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلاً وما أرى فلاناً وفلاناً سمي ملوكاً منهم قد عبدوا الأوثان إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون بمملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما ترى لنا عليهم من فضل.

قال: وهم الملك بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحسن إلياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه، فلحق بشواهي الجبال، وعاد الملك إلى عبادة بعل، وارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه.

ويقال: إنه بقي سبع سنين شريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره، فلما مضى سبع سنين أذن الله في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله عز وجل ابناً [كان] لآجب وكان أحب ولد إليه وأشبههم به، فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلأ وكانوا قد فتنوا ببعل

وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن، فوكلوهم به وجعلوهم أنبياءه، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم، والأربعمائة يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيثونها للناس، فيعملون بها ويسمونهم أنبياء.

فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل، ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبههم، ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع إليه، فلما طال عليهم ذلك قالوا لأجيب: إن في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلها تشفع لك إلى إلهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لأجابك.

قال: ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليماً وهو كافر بإلهك، قال أجيب: وكيف لي أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني، وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع نقصده، فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فأقتله فأرضي إلهي، ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة إلى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفي ابنه، فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلهمهم.

وقال الله: لا تخف فإني

سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم، فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم: إن الله تعالى أرسلني إليكم وإلى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه، وقلوا له: إن الله تعالى يقول لك أأنت تعلم يا أجيب أني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم، ورزقهم وأحياهم وأماتهم، فجعلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بي، وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت، إني خلقت باسمي لأغيظنك في ابنك ولأميته في فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً [من] دوني.

فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعباً، فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحط عليهم، وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده، عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا، فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب، فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا إليك، وقصوا عليه كلام إلياس.

فقال أجيب: لا ننتفع بالحياة ما كان إلياس حياً وما يطاق إلا بالمكر والخديعة، فقيض له خمسين رجلاً من قومه ذوي القوة والبأس، وعهد إليهم عهده، وأمرهم بالاحتياط له والاعتيا به وأن يطعموه في أنهم قد

آمَنُوا به، هم ومن وراءهم ليستنهم إليهم [أي يسكن] ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس، ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون: يا نبي الله ابرز إلينا وامنن علينا بنفسك، فإننا قد آمنا بك وصدقناك، وملكنا أجيب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك وجميع بني إسرائيل، يقرؤون إليك السلام ويقولون: قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت، فآمنا بك وأجبنك إلى ما دعوتنا فهل إلينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فإننا ننقاد لما أمرتنا، وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا، فارجع إلينا.

قال: وكل هذا منهم مُمَكِّرَةٌ وخديعة.

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه، وطمع في إيمانهم، وخاف [من] الله إن هو لم يظهر لهم، فألهمه الله التوقف والدعاء، فقال: اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارهم بنار تحرقهم فما استم قوله حتى حُصِبوا بالنار من فوقهم، فاحترقوا أجمعين، قال: وبلغ أجيب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء، واحتال ثانياً في أمر إلياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي، فأقبلوا أي حتى توقلوا، أي سعدوا قلل تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون: يا نبي الله إنا نعوذ

بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكيفيناك مؤنتهم، فالآن قد كفناك ربك أمرهم وأهلكهم وانتقم لنا ولك منهم. قال: فلما سمع إلياس مقالتهم دعا إلى الله بدعوته الأولى فأمطر [الله] عليهم النار، فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه.

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً على غضب وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه، إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه، فلم يمكنه فوجه نحو إلياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به إلياس فينزل معه، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً، وإنما أظهر له [ذلك] لما اطلع عليه من إيمانه، وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأي.

فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إن أراد التخلف عنهم، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به لم يروعه، ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له إنه قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فهلك بدعوته، فانطلق إليه وأخبره إنا قد تبنا وأبنا، وأنه لا يصلحنا في توبتنا، وما نريد

من رضى ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا، يأمرنا ويهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا. وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، وقال له: أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد، وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده، [قال:] وكان ذلك مكرراً من الملك.

فانطلق الكاتب والفئة حتى [أتى] علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداه فعرف إلياس صوته، فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقاً إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فآلقه، وجدد العهد به فبرز إليه وسلم عليه وصافحه، وقال له: ما الخير؟ فقال له المؤمن: أنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه.

وقص عليه ما قالوا ثم قال: وإنني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني فمرني بما شئت [فإني] أفعله، إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك وإن شئت ترسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك، وإن شئت دعوت ربك فجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإن أحب إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك، فلم يأمن أن يقتله، فانطلق معه فإني سأشغل عنكما أحب فأضاعف على ابنه البلاء، حتى لا يكون له هم غيره، ثم أميته

على شر حال، فإذا مات هو فارجع عنه.

قال: فانطلق معهم حتى قدموا على آجب، فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه، فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن إلياس، فرجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لإلياس، وسأل عنه الكاتب الذي جاء به، فقال له: ليس لي علم به شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه، ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه، فأعرض عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه، فلما طال الأمر على إلياس ملّ السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أم يونس بن متى ذي النون، استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع، فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها، ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تَعُودِهِ فسحة الجبال فأحب للقوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه، فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها فقده.

ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها يونس حين فطمته، فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه، فوجدته وقالت له: إني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتني واشتد لفقده بلائي، وليس لي ولد غيره،

فأرحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني وإني قد تركته مسجى لم أدفنه، وقد أخفيت مكانه.

فقال لها إلياس: ليس هذا مما أمرت به، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي، فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب إلياس لها.

فقال لها: متى مات ابنك؟ قالت: منذ سبعة أيام فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها، فوجد ابنها ميتاً له أربعة عشر يوماً، فتوضأ وصلى ودعا، فأحيا الله تعالى يونس بن متى.

فلما عاش وجلس وثب إلياس وتركه وعاد إلى موضعه، فلما طال [عليه] عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعاً فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه؟ أأنت أميني على وحيي ووحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي؟ فسلني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

قال: تميتني وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني، فأوحى الله تعالى إليه: يا إلياس ما هذا اليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحتها بك وبأشباهك، وإن كنتم قليلاً ولكن سلني فأعطك، قال إلياس: إن لم تمطني فأعطني ثأري من بني إسرائيل.

قال الله تعالى: فأني شيء تريد أن أعطيك؟ قال: تمكن من خزائن

السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة [سبع سنين] إلا بشفاعتي، فإنهم لا يذلهم إلا ذلك.

قال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك، وإن كانوا ظالمين، قال: فست سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك، قال: فخمس سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك قال: فأربع سنين قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك ولكني أعطيك ثارك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك.

قال إلياس: فبأي شيء أعيش؟ قال: أسخر لك جيشاً من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف [ومن] الأرض التي لم تقحط، فقال إلياس: قد رضيت، قال: فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً، وإلياس على حاله مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان، وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل شراً. قال ابن عباس: أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمزم إلياس بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ قالت: نعم شيء من دقيق وزيت قليل.

قال: فدعا ربه ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقاً، وملأ خوابيها زيتاً، فلما رأوا ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مزم بي رجل من حاله كذا وكذا،

فوصفته بوصفته فعرفوه، فقالوا ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم، ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره، فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع إلياس فأمن به وصدقه ولزمه.

وكان يذهب حيث ما ذهب وكان إلياس قد أسن فكبر واليسع غلام شاب، ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس: أنك قد أهلكك كثيراً من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطيور والهوام بحبس المطر، فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال: يا رب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، فقيل له: نعم، جاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال: إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ودعوت [لكم] الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها، فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء.

ثم قالوا لإلياس: إنا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا، فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم

فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٥﴾ وَرَكَعَاتِهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٦﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّمِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ وَلَيْسَ لَوْلَا لَيْسَ لِلْمُتْرَسِلِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ بَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَكِنْ لَنُرِيدَنَّ لَهُمْ مُصِيبِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِنَّا لَنَافِلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا لَنَمُصِّبَنَّ الْتُرْسِلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٧﴾ فَسَاهَمَ كَانَ مِنَ الْمُتَدَحِّينَ ﴿١٣٨﴾ فَالْقَمْعَةُ الْهَوْتُ وَهُوَ يُعْلِمُ ﴿١٣٩﴾ فَوَلَوْ أَنَّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٠﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤١﴾ فَبَنَيْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ يَصِيرُ ﴿١٤٢﴾ وَأَنَّا نَبْنِئُهَا شَجَرَةً يَنْ يَقْلِيحُ ﴿١٤٣﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَاقِي آلِ يَاسِينَ ﴿١٤٤﴾ فَاسْتَفْتَاهُ أُولَئِكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ السُّنُوتُ ﴿١٤٥﴾ أَمْ خَلْقُوا الْمَلَكِيَّةَ إِنَّا نَكُنُ لَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٦﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهٍ يَقُولُونَ ﴿١٤٧﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكِذِبُونَ ﴿١٤٨﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَسِينِ ﴿١٤٩﴾

٤٥١

فرع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فكساه الريش فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم، فقتل آجب وامراته أزيل في بستان مزدكي، فلم تزل جيفتهما ملقأتين في تلك الجنية حتى بليت لحومهما ورميت عظامهما، ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله تعالى إلى اليسع وأيده، فأمنت به بنو إسرائيل فكانوا يعظمونه، وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقه اليسع.

وروى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان بيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام.

وقيل: إن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ لَيْسَ لِلْمُتْرَسِلِينَ.

﴿١٢٤﴾ - ﴿١٢٥﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ آلَا نُنْفِقُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾، ﴿بَلَا﴾، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الرب بلغة أهل اليمن.

﴿وَنَدُّوهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، فلا تعبدونه.

﴿١٢٦﴾ ﴿اللَّهُ رَزَقُ رَبِّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿اللَّهُ رَزَقُ رَبِّ﴾ بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف.

﴿١٢٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، في النار.

﴿١٢٨﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، من قومه فإنهم نَجَّوْا من العذاب.

﴿١٢٩﴾ - ﴿١٣٠﴾ ﴿وَرَكَعَاتِهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾، قرأ نافع وابن عامر «آل ياسين» بفتح الهمزة مشبعة، وكسر اللام مقطوعة، لأنها في المصحف مفصولة. وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة.

فمن قرأ «آل يس»، مقطوعة، قيل: أراد آل محمد ﷺ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد آل إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل.

واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياس لغة في إلياس مثل إسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين وميكايل وميكايلين.

وقال الفراء: هو جمع أراد [به] إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبد الله بن مسعود: سلام على إداسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

﴿١٣١﴾ - ﴿١٣٢﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِنَّمِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم، وأحييت بلادهم، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم، وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه، فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عز وجل أن يريجه منهم، فقبل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا فخرج فيه إلى موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار، وقيل: لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق به الفرس فناداه اليسع: يا إلياس، ما تأمرني؟ فقفذ إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به،

وَلَوْ كُنَّا لَبِئْسَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ بَخَّسَتْ وَاهِلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا مَخْرُجًا فِي الْعَذَابِ، أَيِ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

﴿١٣٦﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ، والتدمير: الإهلاك.

﴿١٣٧﴾ وَلَئِكَ لَنُزَوِّجَنَّهُمْ، على آثارهم ومنازلهم، ﴿مُضْجِعِينَ﴾، [أي] وقت الصباح.

﴿١٣٨﴾ وَيَأْتِلُ، يريد تمررون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتعتبرون [بهم].

﴿١٣٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤْمِنَ كَإِنِّ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي من جملة رسل الله.

﴿١٤٠﴾ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، يعني هرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خشي على نفسه القتل فخرج كالمشور منهم، فقصده البحر فركب السفينة، فاحتبست السفينة فقال الملاحون: ههنا عبد أبق من سيده، فافترعوا فوقعت القرعة على يونس، فافترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس، فقال يونس: أنا الأبقي، وزج نفسه في الماء.

وروي في القصة: أنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له، فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها، فحال الموج بينه وبين المركب ومز المركب، ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر، فبقي فريداً، فجاء مركب آخر فركبه فقعد ناحية من

القوم، فلما مرت السفينة في البحر ركدت، فافترعوا، وقد ذكرنا القصة في سورة يونس.

﴿١٤١﴾ فذلك قوله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ﴾، فقارع، والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة، ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾، أي المقروعين.

﴿١٤٢﴾ ﴿فَالْقَمَّةَ الْكُوثَ﴾، ابتلعه، ﴿وَمَوْ مِثْمَ﴾، أي آت بما يلام عليه.

﴿١٤٣﴾ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾، من الذاكرين لله قبل ذلك، وكان [عليه السلام] كثير الذكر، وقال ابن عباس: من المصلين. وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنته قدم عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكر الله تعالى له طاعته القديمة. وقيل: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير: يعني قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿١٤٤﴾ ﴿لَئِنْ فِي بَطْنِهِ إِكْرَامٌ يُعْمَلُونَ﴾، لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

﴿١٤٥﴾ ﴿فَتَذَكَّرَهُ﴾، طرحناه، ﴿وَالْعُرْكِ﴾، يعني على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء الأرض الخالية عن الشجر والنبات. ﴿وَمَوْ سَيْفَرٌ﴾، عليل كالفرخ الممعد.

وقيل: كان قد بلي لحمة ورق عظمه ولم يبق له قوة.

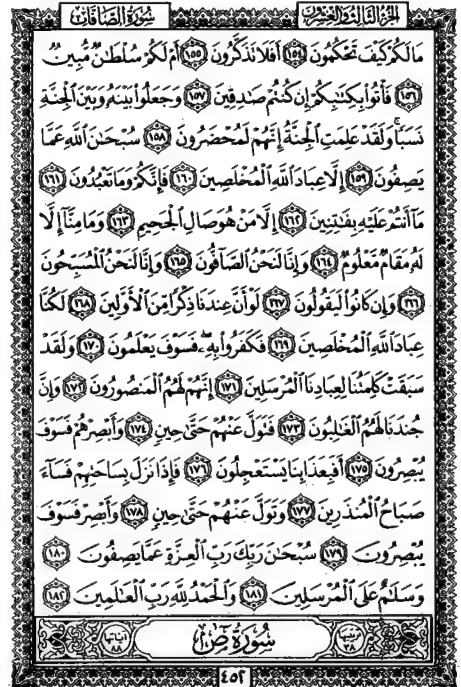
واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة

أيام. وقال عطاء: سبعة أيام. وقال الضحاك: عشرين يوماً.

وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً. وقال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

﴿١٤٦﴾ ﴿وَأَنْتَنَّا عَلَيْهِ﴾، أي لسه، وقيل: عنده، ﴿شَجَرَةً يَنْ يَقْطُرُ﴾، يعني القرع، على قول جميع المفسرين، وقال الحسن ومقاتل: كل نبت يمد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطر، قال مقاتل بن حيان: فكان يونس يستظل بالشجرة، وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي، فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزناً شديداً وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي، فبعث الله تعالى إليه جبريل وقال: اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك وقد أسلموا وتابوا، فإن قيل: قال ههنا: ﴿فَتَذَكَّرَهُ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَلَا أَنْ تَذَكَّرَهُ صَمَةً مِنْ رَبِّهِ لَنُذِرَ﴾ [القلم: ٤٩] فهذا ما يدل على أنه لم ينبذ؟ قيل: «لولا» هناك ترجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه بالنعمة فنبذ، وهو غير [مذموم].

﴿١٤٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ أي وقد أرسلناه، وقيل:



﴿فَنَسُوا﴾، يعني

الذين أرسل إليهم يونس
بعد معاناة العذاب،
﴿فَسْتَنْهَمُ إِلَى جَيْنٍ﴾، أي
حين انقضاء آجالهم.

﴿قوله تعالى:

﴿فَنَسْتَنْهَمُ﴾، فاسأل يا
محمد أهل مكة وهو سؤال
توبيخ، ﴿الرَّيْكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبُتُورُ﴾، وذلك أن
جهينة وبني سلمة وبني
عبدالدار زعموا أن الملائكة
بنات الله - تعالى الله عما
يقول الظالمون علواً كبيراً -
يقول: جعلوا لله البنات

ولأنفسهم البنين.

﴿لَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾،
معناه: أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿وَهُمْ
شَاهِدُونَ﴾، حاضرون خلقنا إياهم،
نظيره قوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾
[الزخرف: ١٩].

﴿١٥١﴾ - ﴿١٥٢﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْ
إِفْكِهِمْ﴾، من كذبهم، ﴿يَقُولُونَ وَلَدَ
اللهُ وَلَهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿١٥٣﴾ ﴿أَصْطَفَى﴾، قرأ أبو جعفر
﴿لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿أَصْطَفَى﴾ موصولاً على
الخبر عن قول المشركين، وعند
الوقف يستدئ: اصطفى بكسر
الالف، وقراءة [العامه] بقطع
الالف لأنها ألف استفهام دخلت
على ألف الوصل، فحذفت ألف
الوصل وبقيت ألف الاستفهام
مفتوحة مقطوعة، مثل استكبرت
ونحوها، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
الْبَنِينَ﴾.

كان إرساله بعد خروجه من بطن
الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم
آخرين. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، [قال ابن
عباس: معناه: «ويزيدون» أو بمعنى
السواو كقوله: ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾
[المرسلات: ٦]] قال مقاتل
والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال
الزجاج: ﴿أَوْ﴾ ههنا على أصلها،
ومعناه أو يزيدون على تقديركم
وظنكم، كالرجل يرى قوماً فيقول
هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على
تقدير المخلوقين، والأكثرون على
أن معناه ويزيدون.

واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة،
فقال ابن عباس ومقاتل: كانوا
عشرين ألفاً.

ورواه أبي بن كعب عن
رسول الله ﷺ، وقال الحسن: بضاً
وثلاثين ألفاً. وقال سعيد بن جبير:
سبعين ألفاً.

﴿١٥٤﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، لله
بالبنات ولكم بالبنين.

﴿١٥٥﴾ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أفلا تتعظون.

﴿١٥٦﴾ ﴿لَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ﴾،
برهان بين على أن الله ولداً.

﴿١٥٧﴾ ﴿فَأَنَّا يَكْتُمُونَ﴾، الذي لكم
فيه حجة، ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، في
قولكم.

﴿١٥٨﴾ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَبْأً﴾.

قال مجاهد وقادة: وأراد بالجنة:
الملائكة، سُموا لاجتنانهم عن
الأبصار. وقال ابن عباس: [هم]
حي من الملائكة يقال لهم الجن،
منهم إبليس، قالوا: هم بنات الله.
وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل
تزوج من الجن فخرج منها
الملائكة، تعالى الله عن ذلك [علواً
كبيراً]، وقد كان زعم بعض قریش
أن الملائكة بنات الله - تعالى الله -،
فقال أبو بكر الصديق: فمن
أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن،
وقال الحسن: معنى النسب أنهم
أشركوا الشياطين في عبادة الله،
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾، يعني قائلتي
هذا المقالة، ﴿لَمُحَضَّرُونَ﴾، في النار
ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

﴿١٥٩﴾ - ﴿١٦٠﴾ ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾،
هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم
لا يحضرون.

﴿١٦١﴾ قوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُوا﴾،
يقول لأهل مكة، ﴿وَمَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، من
الأصنام.

﴿١٦٢﴾ ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ﴾، على ما
تعبدون، ﴿بِقَتِينٍ﴾، بمضلين أحداً.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار، أي سبق له في علم الله الشقاوة.

﴿وَمَا تَعَالَى﴾: ﴿وَمَا تَعَالَى إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾، يقول جبرائيل للنبي ﷺ وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

وروينا عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أُطِيتَ السماءَ وحقَّ لها أن تَشُطَّ، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

قال السدي: إلا له مقام معلوم في القرية والمشاهدة. وقال أبو بكر الوراق: إلا له مقام معلوم يعبد الله عليه، كالخوف والرجاء والمحبة والرضا.

﴿وَلَا تَنَعَّى الْكَافِرُونَ﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

﴿وَلَا تَنَعَّى النَّبِيُّونَ﴾، أي المصلون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح، وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

﴿وَلَا كَانُوا﴾، أي وقد كانوا يعني أهل مكة،

﴿ليقولون﴾، [هذه] لام التأكيد.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾، أي كتاباً مثل كتاب الأولين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فكفروا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، هذا تهديد لهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كُنُتَ لِمَآدَانَا الْمُرْسَلِينَ﴾، وهي قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿إِنَّمَا لَهُمُ الْغُورَةُ﴾ ﴿وَلَا جُنَّةَ لَهُمُ الْقَلِيلُونَ﴾، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

﴿فَقَوْلٌ﴾، فأعرض، ﴿عَنَّهُمْ حَقٌّ حِينٌ﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم بدر وقال السدي: حتى يأمر بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

﴿وَأَيُّرْتُمْ﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يَبْعُرُونَ﴾، ذلك فقالوا: متى هذا العذاب؟

﴿فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ ﴿أَفَمَعَدَانَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَإِذَا نَزَّلَهُ، يعني العذاب، ﴿يَسْأَلُونَ﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فَكَأَنَّ صَبَاحَ الْفُتُورِ﴾، فينس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي،

أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، أخبرنا مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خيبر، أتاه ليلاً وكان إذا جاء قوماً بليل لم يغز حتى يصبح، قال: فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكانلها، فلما رأوا النبي ﷺ، قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» ثم كرر ما ذكرنا تأكيداً لوعيد العذاب.

﴿فَقَالَ﴾ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَقٌّ حِينٌ﴾ وَأَيُّرْتُمْ، العذاب إذا نزل بهم، ﴿فَسَوْفَ يَبْعُرُونَ﴾، ثم نزه نفسه.

﴿فَقَالَ﴾ ﴿سُبْحَنَ رَبِّيَ الْأَعْلَى﴾، الغلبة والقوة، ﴿عَنَّا يَعْظُونَ﴾، من اتخاذ صاحبة والأولاد.

﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

﴿وَلَعَنَهُ اللَّهُ رِبِّيُّوهُمُ الْأَعْلَى﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهلوية، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية، عن أصبغ بن

وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم. وبين الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة.

وقال القتيبي: بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم بـ «ص» والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق [و] خلاف وعداوة لمحمد ﷺ.

وقال مجاهد: ﴿فِي عِزِّهِ﴾ معازين. ﴿كُرْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني من الأمم الخالية، «فنادوا»، استغاثوا عند نزول العذاب وحول النعمة، ﴿وَلَاتَ جِنَّةً مَكِيَّةً﴾، قوة، ولا فرار، و«المناص» مصدر ناص ينوص، وهو الفوت والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر، وياص ييوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زيدت فيها التاء، كقولهم: رب وربت وثم وثمت، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاة، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائي بالهاء: «لاه»، وذهب جماعة إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم ابتدئ «تحين» وهو اختيار أبي عبيدة، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان، وهذا كقول أبي وجرة السعدي:

«العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما مطعم» وفي حديث ابن عمر، وسأله رجل عن عثمان، فذكر مناقبه ثم

ذی الذکر، أي ذي البيان، قاله ابن عباس ومقاتل، وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِرُوا بِأَعْيُنِنَا﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو قسم، واختلفوا في جواب القسم، قيل: جوابه قد تقدم، وهو قوله «ص» أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق.

وقال الفراء: «ص» معناها وجب وحق، فهي جواب قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ﴾ كما تقول: نزل والله، وقيل: جواب القسم

محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كما قال [ق] «وَالْقُرْآنَ» التَّحِييدُ بِلِ عِيْرًا [ق: ١ و ٢]. وقيل:

فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا، ﴿فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِي﴾، والقرآن ذي الذكر.

قال الأخفش: جوابه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ﴾ [ص: ١٤] كقوله: «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا» [الشعراء: ٩٧]، وقوله: «وَاللَّهِ وَاللَّيْلُ» وَمَا أَفْرَدَكَ مَا الْفَارِقُ الْفَارِقُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ [الطارق: ١ - ٤] إِنْ كُلُّ نَفْسٍ، وقيل: جوابه قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا نَفْسٌ﴾ [ص: ٥٤].

وقال الكسائي: قوله: ﴿إِنْ ذَلِكَ لَمَقْصُودٌ أَهْلِي النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]،



بنانة عن علي قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سورة ص

مكية وهي ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ص﴾، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: «ص» مفتاح اسم الصمد، وصادق الوعد. وقال الضحاك: معناه صدق الله.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ، «وَالْقُرْآنَ

قال: «أذهب بها تلان إلى أصحابك، يريد الآن. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض: مناص، أي: اهربوا وخذوا حذرکم، فلما أنزل الله بهم العذاب ببدر قالوا: مناص، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ مَنَاصٍ﴾ أي ليس هذا حين هذا القول. ﴿وَيَجِبُوا﴾، يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، «أَنْ جَاءَهُمْ سُيُوفٌ مِنْهُمْ»، يعني رسولاً من أنفسهم ينزلهم، ﴿وَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾. ﴿أَجْمَلُ آلِهَةٍ إِلَهًا وَجِدًا﴾.

وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش، وفرح به المؤمنون.

فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سنأ الوليد بن المغيرة، فقال لهم: امشوا إلى أبي طالب، فأتوا أبا طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا يسألوني؟» قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال النبي ﷺ: «أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطيكها وعشر

أمثالها، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله» فنفروا من ذلك وقاموا، وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ عَجَابٌ﴾، أي عجيب.

والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكرام، وكبير وكبار، وطويل وطوال، وعريض وعراض.

﴿وَأَنطَلَقَ اللَّأُ يَتَنَّهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِمْ﴾، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب، ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ يُرَادُ﴾، أي لأمر يراد بنا.

وذلك أن عمر بن الخطاب لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

﴿وَمَا سَكَنَّا بِهَذَا﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، ﴿إِنَّ هَذَا لَأَنطَلَقٌ﴾، كذب وافتعال.

﴿أَمْزِيلَ عَلَى الْإِكْرُ﴾، القرآن، ﴿مِنْ بَيْنَنَا﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَّمْ يَكُنْ فِي سَبْكِ يَنْ ذِكْرِي﴾، أي

وحيي وما أنزلت، ﴿بَلْ لَّمْ يَذُوقُوا عَذَابِي﴾، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

﴿أَمْزِيلَ عَذَابِي﴾، أعنيهم، ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾، يعني نعمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شأوا، ونظيره ﴿أَمْزِيلَ يَفْسُخُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أي نبوة ربك، ﴿الْمَرْيُ الْوَهَابِ﴾، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ.

﴿أَمْزِيلَ لَكُمْ تِلْكَ الْأَنْتَرَى﴾، أي ليس لهم ذلك، ﴿تَلْزَمُوا فِي الْأَنْتَرَى﴾، أي إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر تويخ وتعجيز.

﴿جُنْدٌ مَا هَذَا﴾، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك، و﴿مَا﴾ صلة، ﴿مَرْيُومَ﴾ مغلوب، ﴿مِنْ الْأَحْزَابِ﴾، أي من جملة الأجناد يعني قريشاً، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال ﴿سَيَرْيُومُ الْكُفْرَ وَيَرْيُومُ الذُّبْنَ﴾ [القمر: ٤٥]، فجاء تأويلها يوم بدر، وهناك إشارة إلى بدر ومصارعهم من الأحزاب، أي من جملة الأحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهرهم وأهلكوا.

أَصِيرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ وَيَخِرُّ عَنِ الْعَرْشِ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطُّورِ
 مَحْشُورٌ كُلُّ لَهٍّ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَتَدْنُو مَأْكَمَ مَاءِ آتِنَهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْأَحْصَمِ إِذْ سَوَّرُوا
 الْيَحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْزَنْ
 حَصَمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا وَبَعْضٍ فَاتَّخَذُوا الْحَقَّ لِبَاسًا غِلًّا وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً
 وَلِيَّ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَيْنَا جَاءُوا وَإِنْ كُنَّا مِنْهُ لَحَاطِلَةً لَأَنبَغِي
 بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُعَذِّبُونَ الْكَافِرِينَ وَحَسَنَ تَعَابٍ
 ﴿٢٥﴾ نَبْدَاوُدَ إِذَا جَعَلْنَا خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

وهو رواية عطية عن ابن عباس.

وقال الكلبي ومقاتل: الأوتاد جمع الوند وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد، يشد كل يد ورجل منه إلى سارية، ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت.

وقال مجاهد ومقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض، ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه.

﴿وَتَقْوَى وَفَوِّمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، الذين تحزبوا على الأنبياء، واعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

﴿إِنْ كُلُّ﴾، ما كل، ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾، ينتظر، ﴿هَؤُلَاءِ﴾، يعني كفار مكة، ﴿إِلَّا صَبَاحَةً وَحَدَّةً﴾، وهي نفخة الصور، ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي «فواق» بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: [معناه] من رجوع، أي ما يرد ذلك الصوت

فيكون له رجوع. وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثنوية، أي صَزَفُ وَرَدُّ، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف، وفرق بعضهم بين الفتح والضم.

فقال الفراء، وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، ذهب بها إلى إفاقة المريض من علته، والفوق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن، فما بين الحلبتين فوق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضاً مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما نزلت في الحاقة [١٩ ٢٥]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ يَمِينِهِ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ شِمَالِهِ﴾، قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب.

وقال سعيد بن جبير: يعنون حقلنا ونصيبنا من الجنة التي تقول. وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب. وقال عطاء: قاله النضر بن الحارث، وهو قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاطْبِطْ عَلَيْنَا جِكَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. وعن مجاهد قال: «قطنا» حسابنا، ويقال لكتاب الحساب «قط». وقال أبو

﴿١٧﴾ ثم قال معزياً لنبيه ﷺ ﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس، ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت، وقال القتيبي: تقول العرب: هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد.

وقال الأسود بن يعفر: «ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد» وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد.

وقال الضحاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني أنهم كانوا يقرون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي الوند الشيء، وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم،

عبيدة والكساني: القِطَّ الكتاب بالجواز.

﴿١٧﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، أي على ما يقولون الكفار من تكذيبك، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامَ دَاوُدَ، وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةَ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ».

وقيل: ذو القوة في الملك. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، رجاء إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس مطيع. قال سعيد بن جبیر: مسيح بلغة الحبش.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّا سَخَرْنَا لِمُوسَىٰ مَعَهُ﴾، كما قال: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. ﴿لَنَسْبَحَنَّ﴾، بتسبيحه، ﴿وَاللَّسَنَ وَالْإِشْرَاقَ﴾، قال الكلبي: غدوة وعشية، والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها، وفسره ابن عباس: بصلاة الضحى.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن أبي شيبة، ثنا الحسين بن بختويه، ثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، ثنا الحجاج بن

نصير، أنا أبو بكر الهذلي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاللَّسَنَ وَالْإِشْرَاقَ﴾، قال: كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ماهي حتى حدثني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى، فقال: «يَا أُمَّ هَانِئِ هَذِهِ صَلَاةُ الْإِشْرَاقِ».

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالطَّيْرَ﴾، أي وسخرنا له الطير، ﴿مُحْشَرَةً﴾، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿كُلُّ لَهْرٍ أَوَّابٌ﴾، مطيع رجاء إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أواب معه أي مسبح.

﴿٢٠﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا مُلْكَهُمُ﴾، أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا محمد بن خالد بن الحسن، ثنا داود بن سليمان، ثنا محمد بن حميد، ثنا محمد بن الفضل، ثنا داود بن أبي الفرات، عن علي بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً من بني إسرائيل استعدي على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام فقال أن هذا غصني بقرأ، فسأله داود فجحد، فقال للآخر: البينة؟ فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا

ولست أعجل حتى أثبت، فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل، فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتبه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال: إن الله أوحى إلي أن اقتلك، فقال: تقتلني بغير بينة؟ قال داود: نعم والله لأنفذ أمر الله فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال له: لا تعجل حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فلذلك أخذت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتد به ملكه فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مُلْكَهُمُ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا الْجِبَالَ﴾، يعني النبوة والإصابة في الأمور، ﴿وَوَصَّلَ لِقَائِهِ﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: «فصل الخطاب» الشهود والأيمان، وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد» إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول من قاله داود عليه السلام.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ أَتَدْرِكُونَ﴾، هذه الآية من [قصة] امتحان داود عليه السلام، اختلف العلماء بأخبار

الأنبياء عليهم السلام في سببه، فقال قوم: كان سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم.

فروى السدي والكلبي ومقاتل: عن أشياخهم قد دخل حديثهم بعضهم في بعض، قالوا: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها، ابتلي إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف، فقال: رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً، فأوحى الله إليه أنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس، فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن.

وقيل: كان جناحها لها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجله فأعجبه حسنهما، فمد يده ليأخذها ويرى بني إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله تعالى، فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها، فامتد إليها ليأخذها، فتنحت، فتبعها فطارت

حتى وقعت في كوة، فذهب ليأخذها، فطارت من الكوة، فنظر داود أين تقع فبعث من يصيدها، فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل. هذا قول الكلبي وقال السدي: رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً، فعجب داود من حسنهما وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنهما، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها، فقيل هي تيشايح بنت شايح امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة باللقاء مع أيوب بن سوريا ابن أخت داود. وذكر بعضهم أنه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته، فكان ذنبه هذا القدر.

وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى ابن أخته أيوب أن أبعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد، فبعثه وقدمه ففتح له، فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا، فبعثه ففتح له، فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً، فبعثه فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فهي أم سليمان عليهما السلام.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته.

قال أهل التفسير: كان ذلك مباحاً لهم غير أن الله تعالى لم يرض له

ذلك لأنه كان ذلك رغبة في الدنيا، وازدياداً للنساء، وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها.

وروي عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام: أنه كان قد جزأ الدهر أجزاءً يوماً لنسائه، ويوماً للعبادة، ويوماً للقضاء بين بني إسرائيل ويوماً لبني إسرائيل يذكروهم ويذكرونه ويبيكهم ويبيكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروه فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك. وقيل: إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إذا ابتلي اعتصم، فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا، قال: وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار إليه قتل، ففعل فأصيب فتزوج امرأته، قالوا: فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، فطلبوا أن يدخلوا عليه، فمتنعما الحرس فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾، خبر الخصم، ﴿إِذْ سَرَّوْا إِلَيْكَ﴾، صعدوا وعلوا، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع

والمذكر والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنين موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].

﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما علي، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ﴾، أي نحن خصمان ﴿بَيْنَ بَعْضَا عَلَى بَعْضٍ﴾ جنتناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قالوا: ﴿بَيْنَ بَعْضَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما ﴿فَأَعْرَضْنَا عَنْ الْخَيْ وَالْحَيَّ وَلَا تَنْطَلِطُ﴾، أي لا تجر، يقال: شط الرجل شططاً وأشط إشطاطاً إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من شطت الدار وأشطت إذا بغدت. ﴿وَأَقْدَمْنَا إِلَى سَوَاءٍ الْخَيْرِطِ﴾، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلمما.

﴿٢٣﴾ فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، أي على ديني وطريقي، ﴿لَمْ يَتَّعِ وَتَعُونَ نَجْمَةً﴾، يعني امرأة، ﴿وَوَلَّى نَجْمَةً وَاحِدَةً﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنجمة عن المرأة.

قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نجاج ولا بغى فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً أو اشترى بكر داراً، ولا ضرب هنالك ولا شراء، ﴿فَقَالَ أَكُولِيَا﴾، قال ابن عباس: اعطينها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته

ضمها إلي فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليها، والمعنى: طلقها لأزواجها، ﴿وَعَزَّيْ﴾، وغلبني، ﴿فِي الْخِطَابِ﴾، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. قال الضحاك: يقول إن تكلم كان أنصح مني وإن حارب كان أبطش مني.

وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ﴾، أي قال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمَتِكَ إِيَّايَ﴾، أي بسؤاله نعتك ليضمها إلى نجاجه، فإن قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿وَإِنَّ كَيْدَ بَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾، الشركاء، ﴿يَتَّبِعُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يظلم بعضهم بعضاً، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم لا يظلمون أحداً. ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾، أي قليل هم و﴿مَا﴾ صلة يعني الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ﴾، أيقن وعلم، ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، إنما ابتليناه.

وقال السدي بإسناده: أن أحدهما لما قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ الآية قال

داود للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نجمة ولأخي نجمة واحدة وأنا أريد أن أخذها منه فأكمل نجاجي مائة، وهو كاره، قال: إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا، يعني طرف الأنف وأصله والجبهة، فقال: يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، ولك تسع وتسعون امرأة، فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته، فنظر داود فلم ير أحداً عرف ما وقع فيه.

وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة أن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله.

وقيل: كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته، فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطبها وعنده تسع وتسعون امرأة.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، قال: ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدثني يونس بن

عبد الأعلى الصيرفي أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن داود النبي حين نظر إلى المرأة فهم أن يجمع على بني إسرائيل وأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حصر العدو فقرّب فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به وبمن قدم بين يدي التابوت، فلم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان يقصان عليه قصته فظن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه. وهو يقول في سجوده: ربّ زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده، فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهمم الذي هممت به، فقال داود: إن الرب قادر على أن يغفر لي الهمم الذي هممت به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب دمي الذي عند داود، فقال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن، قال: نعم فخرج جبريل وسجد داود، فمكث ما شاء الله ثم نزل، فقال: سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له هب لي دمك الذي عند داود

فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتيت عوضاً عنه».

وروي عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وهب بن منبه، قالوا جميعاً: إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه، وعلم داود أنه إنما عني به فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل، ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يتلى الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلّيت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفنتته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلّقتني وكان من سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال هذا داود الخاطيء، سبحان خالق النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور، إلهي بأي قدم أقوم أمامك وأقوم بين يديك يوم القيامة، يوم تزل أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده؟ سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حرّ شمسك فكيف

أطيق حرّ نارك، سبحان خالق النور، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك، فكيف أطيق سوط جهنم؟ سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور، إلهي أنت تعلم سري وعلايتي فأقبل عذري، سبحان خالق النور، إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهوأي، سبحان خالق النور، إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني، سبحان خالق النور، إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور.

قال مجاهد: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه وغطى رأسه، فنودي: يا داود أجاثع فتطمع؟ أم ظمآن فتسقى؟ أو عار فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب.

قال: فنحب نوبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة.

قال وهب: إن داود أتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا رب كيف وأنت لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا فناده، فأنا أسمع نداءك فتحلل منه، قال: فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى يا أوريا، فقال: لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما جاء بك يا نبي الله؟ قال: [جئت] أسألك أن تجعلني في حل مما كان

مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عرضتُك للقتل، قال: قد عرضتني للجنة فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود ألم تعلم أنني حكم عدل لا أقضي بالعتت، ألا علمته، إنك قد تزوجت امرأته، قال: فرجع إليه فتاداه فأجابه فقال: من هذا الذي قطع عليّ لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها، قال: فسكت فلم يجبه ودعاه فلم يجبه وعادوه فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل يحثو التراب على رأسه، ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، والويل لداود [ثم الويل له] إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل لداود له حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك، قال: يا رب كيف وصاحبني لم يعف عني؟ قال: يا داود أعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول له رضيت عن عبدي داود؟ فيقول: يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي، قال: يا رب الآن قد عرفت

أنك قد غفرت لي. فذلك قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، أي ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألتني عبدالله بن طاهر عن قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ هل يقال للراعي «خَرٌّ»؟ قلت: لا، ومعناه فخر بعدما كان راكعاً أي: سجد. ﴿وَأَنَابَ﴾، أي رجع وتاب.

﴿فَقَفَرْنَا لَمْ دَلَّكَ﴾، يعني ذلك الذنب، ﴿وَأَنَّ لَكَ﴾، بعد المغفرة، ﴿عِتْدًا﴾، يوم القيامة، ﴿لَزُلْزَلَةٍ﴾، لقربة ومكانة، ﴿وَحُسْنِ مَتَابٍ﴾، أي حسن مرجع ومنقلب. وقال وهب بن منبه: إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ولا نهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء في إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يستبح في الفيافي والجيال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه

الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع، فإذا أمسى رجع، فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده، فيدخل الدار التي فيها المحارب فيسقط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي، فيجلسون في تلك المحارب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، وترفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه، ثم يمسح بها وجهه، ويقول: يا رب اغفر لي ما ترى، فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله.

قال وهب: ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك: أول أمرك ذنب وآخره معصية، ارفع رأسك، فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلا بله بدموعه.

وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «إن مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماء، ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض».

قال وهب: لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ قال: فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما

إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد
عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا
أبو العباس محمد بن أحمد
المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي،
ثنا قتيبة [ثنا] محمد بن يزيد بن
خنيس، ثنا الحسن بن محمد بن
عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي
ابن جريج أخبرني عبيد الله بن أبي
يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ قال:
يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا
نائم كأنني أصلي خلف شجرة
فسجدت فسجدت الشجرة
لسجودي، فسمعتها تقول: اللهم
اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني
بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً،
وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك
داود.

وقال الحسن: قال ابن جريج:
قال لي جلدك: قال ابن عباس: فقرأ
النبي ﷺ سجدة ثم سجد ص
فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره
الرجل عن قول الشجرة.

(٦) قوله عز وجل: ﴿يَذَّكَّرُؤُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمور العباد بأمرنا، ﴿فَاعْمُرْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ﴾، بالعدل، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَسَبُوا وَهُمْ فِي الْحِسَابِ﴾، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال التزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما

إلا الأسر، وإذا ذكر
رحمة الله تراجعت.

وفي القصة: أن
الوحوش والطير كانت
تستمع إلى قراءته فلما
فعل ما فعل كانت لا
تصغي إلى قراءته.

فروي أنها قالت: يا
داود ذهب خطيئك
بحلاوة صوتك.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن حرب وأبو

النعمان قالوا: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجدة ص ليست من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها.

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
التميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن
عبد الله، ثنا محمد بن عبيد
الطنافسي، عن العوام قال: سألت
مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألت
ابن عباس من أين سجدت؟ قال:
أوما تقرأ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَنَ﴾، إلى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤-
٩٠]، وكان داود ممن أُمِرَ نبيكم
أن يقتدي به، فسجدها داود،
فسجدها رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن

وَمَا عَلَّمْنَا السَّعَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطِلَافِ ذَلِكَ ظَلُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٦﴾ كَذَّبَ أَزْوَاجُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَأُزْجُوا
الْأُزْجَ ﴿٢٧﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدَانِ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٢٨﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْغَنِيُّ الضَّمَنِاتِ الْغِيَادَ ﴿٢٩﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَجِيبُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٠﴾
رُدُّوهُمَا فَطُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْقَابِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جُنْدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَعْدِيٍّ عَلَيَّ بَعْدَ إِلَهِكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٣﴾
فَنَحْنُ لَهُ الْبَرِيحُ يَوْمَ يَأْمُرُ بِرَحْمَةٍ مِّنْ حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٤﴾ وَالْقَيْنَ
كُلَّ بَلَاءٍ وَتَوَلَّى وَوَعَصِى ﴿٣٥﴾ وَآخِرِينَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٦﴾ هَذَا
عَطَاؤُنَا فَتَنَّا أَوْ أَشَدَّ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَهْفًا وَحَسَنَ
مَنَآبٍ ﴿٣٨﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِئْسَ وَعْدًا وَعَذَابٌ ﴿٣٩﴾ أَزْكُرْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ هَذَا مُقْتَسِلٌ يُارِدُ وَتَرَكَتُ

رفع فيها طعاماً ولا شرباً إلا بكى إذا
رأها، وما قام خطيباً للناس إلا بسط
راحته فاستقبل الناس ليروا وسم
خطيبته، وكان يبدأ إذا دعا فاستغفر
للخاطئين قبل نفسه.

وقال قتادة عن الحسن: كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين، يقول: تعالوا إلى داود الخاطي فلا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبيكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه، وكان يذر عليه الملح [والتراب] والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين.

قال: كان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله وقام الليل كله.

وقال ثابت: كان داود إذا ذكر
عقاب الله تخلعت أوصاله فلا بشدها

نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾، قال ابن عباس: لا لشواب ولا لعقاب. ﴿ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآثَارِ﴾.

﴿أَمْ يَحْمِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَأَثْمَ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة من الخير ما تعطون، فنزلت هذه الآية: ﴿أَمْ يَحْمِلُ الْمُنَافِقُونَ كَأَثْمَ الَّذِينَ﴾، أي المؤمنين كالكفار. وقيل: أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ، أي لا نجعل ذلك.

﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، أي هذا الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مُبَارَكًا﴾، كثير خيره ونفعه، ﴿لِيَذَّبُوا﴾، أي ليستدبروا، ﴿بِإِذْنِهِ﴾، وليستفكروا فيها، وقرأ أبو جعفر ﴿ليستدبروا﴾ بناء واحدة وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته: اتبعه، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾، ليتعظ، ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَوَقَّعْنَا لِتَاوُودَ سُلَيْمَانَ وَمَعَ الْوَعْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾. ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ التَّفَنُّنَ لَلِيَادِ﴾.

قال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين، فأصاب منهم ألف فارس. وقال مقاتل: ورث من أبيه داود ألف فارس. وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً أخرجت من البحر لها أجنحة. قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه

فعرضت عليه تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يُعلم بذلك [هيبه له] فاغتم لذلك هيبه الله، فقال: ردوها علي فردوها عليه، فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقريباً إلى الله عز وجل وطلباً لمرضاته، حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك مباحاً له وإن كان حراماً علينا كما أبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام وبقي منها مائة فرس، فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء، [وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً. وعن عكرمة: كانت عشرين ألف فرس، لها أجنحة].

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ التَّفَنُّنَ لَلِيَادِ﴾، والصفائف هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل، يقال: صفن الفرس بصفن صففوناً إذا قام على ثلاث قوائم، وقلب أحد حوافره.

وقيل: الصافن في اللغة القائم.

وجاء في الحديث: «من سره أن يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ مقعده من النار». أي قياماً، والجياد الخيار السراع، واحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق.

﴿فَقَالَ إِيَّاهُ أَجَبْتُ حَبَّ

الْحَبِّ﴾، أي أثرت حب البخير [عن ذكر: ربي] وأراد بالخير: الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام، فتقول: ختل الرجل وخترته، أي: خدعته، وسميت الخيل خيراً لأنه معقود بنواصيها الخير، الأجر والمغرم، قال مقاتل: يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، أي توارت الشمس بالحجاب: أي استترت بما يحجبها عن الأبصار، يقال: الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سبعة، والشمس تغرب من ورائه.

﴿رُؤُوسًا عَظِيمًا﴾، أي ردوا الخيل علي، فردوها، ﴿فَنُفِثَ مَنَّا بِالشُّرَى وَالْأَفْئَاتِ﴾، قال أبو عبيدة: طفق يفعل مثل ما زال يفعل، والمراد بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحاً له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يثوب عن ذنب بذنب آخر.

وقال محمد بن إسحاق: لم يعثفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفاً على ما فاتته من فريضة ربه عز وجل. وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحاً وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته.

وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة. وقال الزهري وابن

كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده، يكشف الغبار عنها حباً لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول.

وحكي عن علي أنه قال في معنى قوله: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ يقول سليمان بأمر الله عز وجل للملائكة الموكلين بالشمس ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ يعني الشمس، فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها، وذلك أنه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو حتى توارت بالحجاب.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه.

وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، بها ملك عظيم الشأن، لم يكن للناس إليه سبيلاً لمكانه في البحر، وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء.

حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستولى واستفاء وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك، يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً وجمالاً، فاصطفاه لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحبه شيء من نساؤه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها،

فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزني ذلك.

قال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك كذلك ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي.

فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل، حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله كبر سني ورق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني الذهاب، فقد أحبيت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم

بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى، فأتى على كل نبي ما فيه، فذكر ما فضله الله حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف، فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً [وغيظاً] فلما دخل سليمان داره أرسل إليه.

فقال: يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأتيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت تشني عليّ بخير في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري؟ فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: في داري؟ فقال: في دارك، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت ذلك إلا عن شيء بلغك، ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائها.

ثم أمر بشباب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا تغزلها إلا الأبقار ولا تنسجها إلا الأبقار ولا تغسلها إلا الأبقار لم تمسسها امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده فأمر برماد ففرش له،

ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بشيابه تذللًا لله تعالى، وتضرعاً إليه يبكي ويدعو، ويستغفر مما كان في داره.

فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمانة، وكان إذا دخل مذهبها أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبها فأتاها الشيطان، صاحب البحر، واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: خاتمي [يا] أمانة فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمانة وقد غيرت حاله وهيته عند كل من رآه.

فقال: يا أمانة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونونه، ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى

الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً عدة ما كان عبد الوثن في داره.

فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن فهل أنكرتن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلايته، فدخل على نسائه، فقال: ويحك هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن أشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء العبين، ثم خرج على بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في العامة، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشي أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم، فخرج سليمان بسمكتيه، فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذها فجعله في يده ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس، وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد أحدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين فقال:

اتنوني بصخر فطلبت الشياطين حتى أخذته فأتي به وجاؤوا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سدّ عليه بأخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر. هذا حديث وهب.

وقال الحسن: ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه.

وقال السدي: كان سبب فتنة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي أثر نسائه وآمنهن عنده، وكان يأتنها على خاتمه إذا أتى حاجته، فقالت له يوماً: إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل فابتلي بقوله لزوجه نعم.

فأعطاه خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذه وجلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان فسالها خاتمه فقالت: ألم تأخذ؟ قال: لا، وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم حتى دخلوا على نسائه.

فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، فيكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحرقوا به ونشروا التوراة فقرأوها فطار من بين أيديهم، حتى وقع على شرفة، والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه،

فاستطعمه من صيده، وقال: إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجه، فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مئّر عندهم، فشق بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهائه، وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان، فقاموا يعتذرون مما صنعوا.

فقال: ما أؤاخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كائن لا بد منه، فلما أتى مملكته أمر جنياً أتى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه، وأمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك حتى تقوم الساعة.

وفي بعض الروايات: أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنه، فأتى آصف فقال لسليمان إنك مفتون بذهبك، والخاتم لا يتماسك في يدك أربعة عشر يوماً، ففرّ إلى الله تائباً، وإني أقوم مقامك، وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك، ففرّ سليمان هارباً إلى ربه آخذاً آصف الخاتم، فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ فأقام آصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن ردّ الله على سليمان ملكه، فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت.

وروي عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه احتجب عن الناس ثلاثة أيام؟ فلم تنظر في أمور عبادي؟ فابتلاه الله عز وجل. وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا.

وقيل: قال سليمان يوماً لأطوفن الليلة على نسائي كلهن فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعهن فما خرج له منهن إلا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله ونسي، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وإيم الله الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

وقال طاوس عن أبي هريرة: [قال سليمان] لأطوفن الليلة بمائة امرأة، قال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي. وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقى على كرسيه هو

صخر الجنى، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً فلما رجع.

﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْكِبُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّيْ، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هب لي ملكاً لا تسلبني في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته في ما مضى من عمري. ﴿وَاللَّهُ أَتَى الْوَقْأَ﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكاً ولكنه أراد بقول: ﴿لَا يَنْكِبُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّيْ﴾ تسخير الرياح والطيور والشياطين، بدليل ما بعده.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْكِبُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، فرددته خائفاً».

﴿٣٦﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُكَّاءً﴾، لينة ليست



فمعناه بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون ذكرى الدار بدلاً عن الخالصة. وقيل: «أخلصناهم»: جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة.

٤٧ - ٤٨ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْآخِرِينَ﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ هَذَا ذِكْرُ أَي: شرف وذكر جميل تذكرون به ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكْرٍ﴾.

٥٠ ﴿حَسْبُ عِلِّيُّ مُنْفَعَةٌ لَهُمُ الْآخِرِينَ﴾، أي أبوابها مفتحة لهم.

٥١ - ٥٢ ﴿مُتَّحِينَ فِيهَا يَتَبَوَّأُونَ فِيهَا يَنْكِحُهُمْ كُنُفَهُمْ وَكَرَّابُ﴾ وَعِنْدَهُمْ قَعَرَةٌ طَرَفُهَا أَرْبَابٌ، مستويات الأسنان، بنات ثلاث وثلاثين سنة، واحداها ترب.

وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن.

٥٣ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾،

قرأ ابن كثير «يوعدون» بالياء ههنا وفي «ق» أي: ما يوعد المتقون، وافق أبو عمرو ههنا، وقرأ الباقون بالياء فيهما، أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون، ﴿يُؤْتِي الْحِسَابَ﴾، أي في يوم الحساب.

٥٤ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا

لَمْ يَنْفَكْ، فنساء وانقطاع.

٥٥ ﴿هَذَا﴾ أي الأمر

هذا ﴿وَارَكَّ الطَّيِّفِينَ﴾،

للكافرين، ﴿لَثَرٌ مَكَابٍ﴾،

مرجع.

٥٦ ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها،

﴿يَتَسَنَّ الْهَادِ﴾.

٥٧ ﴿هَذَا﴾ أي هذا العذاب،

﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَبِيرَ وَغَسَّاقٍ﴾، قال الفراء:

أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، و«الحميم» الماء الحار الذي انتهى حره «وغساق»، قرأ حمزة والكسائي وحفص «وغساق» حيث كان بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن شدد جعله اسماً على فعال نحو الخباز والطباخ، ومن خفف جعله اسماً على فعال نحو العذاب.

واختلفوا في معنى الغساق، قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم بيرده، كما تحرقهم النار بحرّها. قال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده. وقيل: هو المنتن بلغة الترك. وقال قتادة: هو ما يغسق أي ما يسيل من القيح والصيد من جلود

أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم غسقت عينه إذا انصبت، والغسقان الانصباب.

٥٨ ﴿وَآخِرُ﴾، قرأ أهل البصرة «آخر» بضم الألف على جمع أخرى، مثل الكبرى والكبر، واختاره أبو عبيدة لأنه نعت بالجمع، فقال: أزواج، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد. ﴿يَنْ شَكْلِهِ﴾. مثله أي مثل الحميم والغساق، ﴿أَزْوَاجُ﴾، أي أصناف آخر من العذاب.

٥٩ ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَرَبٌ مَعَكُمْ﴾،

قال ابن عباس: «هذا» هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة: هذا يعني: الاتباع، فوج جماعة مقتحم معكم النار، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج، والافتحام الدخول في الشيء رمية بنفسه فيه، قال الكلبي: إنهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار، خوفاً من تلك المقامع، فقالت القادة: ﴿لَا مَرْجَاَ بِهِمْ﴾، يعني بالأتباع، ﴿إِنَّهُمْ سَالُوا نَارًا﴾، أي داخلوها كما صلبنا.

٦٠ ﴿قَالُوا﴾، فقال الاتباع

للقادة، ﴿يَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَاَ بِكُمْ﴾، والمرحب والرحب: السعة، تقول العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض. ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْا لَنَا﴾، يقول الاتباع للقادة: أنتم بدأتكم بالكفر قبلنا، وشرعتم وسنتموا لنا، وقيل: أنتم

قدتم هذا العذاب لنا، بدعائكم إيانا إلى الكفر، ﴿يَقْسُ الْقَرَارُ﴾، أي فبس دار القرار جهنم.

﴿قَالُوا﴾، يعني الأنبياء، ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾، أي شرعه وسنه لنا، ﴿فَرَدَدْنَاهُ عَنَّا فَنَمُقَاتِلُ فِي السَّارِ﴾، أي ضعف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيات وأفاعي.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني صناديد قريش وهم في النار، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رَيْبًا كَمَا كُنَّا نَعُدُّ﴾، في الدنيا، ﴿بَيْنَ الْأَشْرَارِ﴾، يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخبياً وصهياً وبلالاً وسلمان رضي الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

﴿أَفَعَدَّ اللَّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُ بِهَا الْأُولَى﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي: ﴿بَيْنَ الْأَشْرَارِ﴾ أَفَعَدَّ اللَّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُ بِهَا الْأُولَى، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني: القراءة الأولى أولى، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخرياً فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى «بل»، ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْآبَاسُ﴾، قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب، ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾، أي مالت، ﴿عَنْهُمُ الْآبَاسُ﴾، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين

دخلوها؟ وقيل: أم هم في النار لكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيراً منا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَحَقُّ﴾ ثم بين فقال، ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، أي تخاصم أهل النار في النار لحق.

﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، مخوف، ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

قوله: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿نَزِيلٌ عَظِيمٌ﴾، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة كقوله: ﴿مَمَّ يَسْتَعِزُّونَ﴾ عَنِ الْقَبْلِ الطَّيِّبِ [النبا: ١ - ٢].

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ مَا كَا لَكَ مِنْ عِلْمٍ وَاللَّكُمُ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ﴾، يعني الملائكة، ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيْكَ إِلَّا أَنَّا أَنَا نُبَيِّرُ شَيْئًا﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿أَنَّمَا﴾ في موضع رفع أي ما يوحى إلي إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحى إلي إلا أنني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: ﴿إِنَّمَا﴾ بكسر الألف، لأن الوحي قول.

ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال مر بنا خالد بن اللجلاج فدعاه مكحول فقال: يا أبا إبراهيم حدثنا حديث عبد الرحمن بن عائش، قال: سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَن صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّد؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَتَى رَبِّي، قَالَ: فَمَوْضِعُ كَفِّهِ بَيْنَ كَتِفِي فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى الْإِبْرِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم قال: «فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّد؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا هُنَّ؟ قُلْتُ: الْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَإِبْلَاجُ الْوُضُوءِ أَمَاكُنَهُ فِي الْمَكَارِهِ، قَالَ: وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَعْشُ بِخَيْرٍ وَيَمُتُ بِخَيْرٍ وَيَكُنْ مِنْ خَاطِئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَمِنْ الدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ وَأَنْ يَقُومَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، [ثم] قَالَ: قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ وَتَرَكْتُ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَتَتُوبَ عَلَيَّ وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مُفْتُونٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَعْلَمُوهُنَّ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُنَّ لِحَقٌّ».

﴿قُلْ﴾، قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ

الكتاب مبتدأ وخبره، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الذِّكْرِ﴾، أي تعزّل الكتاب من الله
لا من غيره.

﴿ ١ ﴾ → إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِنْكَ الْكِتَابِ
بِالْحَقِّ، قَالَ مُقَاتِلٌ: لَمْ يَنْزِلْهُ بَاطِلًا
لِغَيْرِ شَيْءٍ، → فَأَعْبُدُوا اللَّهَ تَحْمِلَةً لَهُ
الَّذِينَ، الطاعة.

﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنِينَ﴾ : قال
تخاطبة : شهادة أن لا إله إلا الله . وقيل :
وقيل : لا يستحق الدين الخالص إلا الله .
وقيل : الدين الخالص من الشرك هو
الله . ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَلِهَةً﴾ : أي من دون الله ، ﴿أَزْوَاجًا﴾ ، يعني
الأصنام ، ﴿مَا تَسْبُحُكُمْ﴾ ، أي قالوا ما
نعملهم ، ﴿إِلَّا لِيُزَيِّنُوا لَكَ اللَّهُ زُفْرًا﴾ ،
وملكك قبل ابن مسعود : ابن عباس .

قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم: مَنْ رَبُّكُمْ وَمَنْ خَلَقَكُمْ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبدانكم الأوتان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي غريبى، وهو اسمٌ أقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَكُّ بَيْنَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر المسلمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَلِمًا﴾، لا يرشد للدينه من كلامه، فقال: إن الأكلة لتشتنع وكفى بالتخاذ الأكلة بمونة كلبياً وكفى.

﴿لَوْ لَدِيَ اللَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ رِجَالًا مِمَّا تَتَّبِعُونَ﴾ لَاسْتَفْلَحَ، ﴿وَلَا يَخْلُقُ﴾، ﴿وَمَا يَمْلِكُ مَا يَشَاءُ﴾، ﴿بِعِزَّتِهِ الْمَلَايِكَةُ﴾، ﴿كَمَا قَالَ﴾، ﴿لَوْ أَرَادَ أَنْ تُنَادُوا وَكُنَّا أَعْفَىٰ مِنَ الْغَيْثِ﴾، ﴿وَلَنُفِثَنَّ﴾، ﴿الْأَنْبِيَاءُ﴾، ﴿٤٧﴾، ثُمَّ لَوْ نَفْسُهُ

فقال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾،
تتربها له عن ذلك وعما لا
يليق بطهارته، ﴿مُرَّ اللَّهُ
الْوَيْحُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿عَلَى السَّمَكَاتِ﴾
وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ يَكُونُ الْإِنْسَانُ
عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ
عَلَى الْإِيلِ، قال قتادة:
يعني يمشي هذا هذا، كما
قال: ﴿يَتَنَبَّأُ الْإِنْسَانُ النَّهَارَ﴾
[الأعراف: ٥٤، الرعد: ٣]، وقبل: يدخل
أحدهما على الآخر كما
قال: ﴿يُولِجُ الْإِنْسَانُ فِي
النَّهَارِ وَيُطْلَعُ النَّهَارُ فِي
الْإِيلِ﴾ [الحج: ٦١]،

四、

خَلَقَكُمْ
 مِنَ الْأَنت
 طَلَامِ
 السَّالِكِ لَا
 اللَّهُ عَزَّ
 لَكُمْ وَلَا
 وَيُفَعِّدُ
 وَلَا
 حُتْمًا وَنَ
 يُحِلُّ قَرَنَ
 الْفَرَسِ
 الْأَجْرَ وَوَا
 لَا يَسْتَوْفُو
 مَا شَاءَ اللَّهُ
 وَأَرْضُ اللَّهِ

وقال الحسن والكليبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير ألف والجمع، ومنه كوز العملة. ﴿وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَوْمٍ لِلَّهِ لِيَأْخُذَ بِشَرِّهِمْ وَالْمَرْيُومُ الْقَبْرُ﴾.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
 يعني آدم، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾،
 يعني حواء، ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
 الْأَنْجَارِ ﴾، يعني الأنهار ههنا:
 الأحداث والإنشاء، كقوله تعالى:
 ﴿ لَوْ كُنَّا فَكُنْ لَنَا بُزْرَى ﴾
 [الأعراف: ٢٦]، وقيل: إنه أنزل
 الماء الذي هو سبب نبات القطر

理

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ الْأَنْثَرِ قَسِيَةً أَزْوَاجٌ مُخْتَلِفٌ فِي بَلْوَانِ أَهْلِيكُمْ مِنْكُمْ
خَلْقًا مِنْ بَدَنٍ خَلَقِي فِي طَلَسْتُمْ لَدَيْكُمْ اللَّهُ زَكَمُ لَهُ
الْشَّلَاقُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْ شَرُّهُ ❶ إِنْ كُنْتُمْ رَأَيْتُمْ
اللَّهُ غُيَّ عَنْكُمْ وَلَا يَرَى لِيَا بَادُو الْكُفْرَ وَإِنْ شَكَرْتُمْ لَا يَزِيدْ
لَكُمْ وَلَا يَنْقُصْ وَلَئِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ كُفْرًا تَزِيدُكُمْ مِنْكُمْ
فَيُتْلِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ ❷
❸ وَلَقَدْ آتَيْنَا الْإِنْسَانَ شُرْكَاءَ كَثِيرًا أَتَى اللَّهُ ثُمَّ لَمَّا حَوَّلَهُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَوْمًا مَكَانَ يَدْعُو إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِمْ وَأَمَّا
أُولَئِكَ مَنْ سَلَبُوا لَهُمْ فَتَسْمَعُ كَذْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ مِنْ أَحْسَنِ
النَّارِ ❹ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا مَكَّةَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَدْ بَاحْضَرَّ
الْآخِرَةَ وَرَوَّاهُ تَعَزُّزًا يَوْعَلُ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَتْلُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَتْلُونَ إِنْ تَنْتَكِرُوا أُولَئِكَ الْأَقْبَابِ ❺ قُلْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ
مَاسُوا الْقُرْآنَ كُنْ لِيْلَيْنِ الْفَسْطَوَانِ هَذَا وَاللَّيْلَةُ تَكْسَرُ
وَأَوَّلُ اللَّوْ وَكِرْعَةً إِنْ تَأْتُوا الْقُرْآنَ وَنُحْمًا يُزْكَرُ بِهِ وَيَسَابِ ❻

109

الذي يكون منه لباس، وسبب
النبات الذي ينقى به الأنعام. وقيل:
﴿ وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنْ الْأَشْجَارِ أَجْثَادًا
تَنْزِيلًا مِزْجًا، إِنْ أَنْتُمْ لَكُمْ
أَعْيُنٌ عَصِيْبَةٌ، مِمَّنْ يَبْغُونَ
الْأَنْعَامَ. ﴾ يَعْظُمُ فِي بَطْنِ أَشْجَارِكُمْ
عَلَّامٌ يَنْبَغِي خَلْقُهُ، نطفة ثم علقه ثم
مضغه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [سورح: ١٤]، ﴿ فِي
عَلَقَتَيْ تَلْحِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وعلقته البطن وعلقته الرحم وعلقته
المشيمة، ﴾ ﴿ يَعْظُمُ الْإِنْسَانُ، أَيِ الَّذِي
خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، ﴾ ﴿ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ عَظِيمًا، ﴾ من
طريق الحق بعد هذا البيان.

﴿٧﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَقُولُ
مَنْكُمْ وَلَا يَرْجُو لِيَكُونَ الْكُفْرُ، قَالَ
ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده
الهمومين الكفر، وهم الذين قَالُوا اللَّهُ
تعالى: ﴿إِنْ يَكُونِ الْفَسَادُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمْ

سُلْطَنُونَ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعْ بِمَا يَدَّأُ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٦]، يريد بعض العباد، وأجره قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل، وإن كان ينارذته، ﴿وَلَنْ تَنَكَّرُوا﴾، تؤمنوا بربكم وتطيعوه، ﴿وَرَبُّهُ لَكُمْ﴾، فيشيكم عليه، قرأ أبو عمر ﴿رِضَةً لَكُمْ﴾ ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة، والباقون بالإشباع، ﴿وَلَا تَزِدْ وَلَا تَزِدْ وَنَدَّ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لَكَ رَبُّكَ مَرْمَعُكُمْ فَيَنْتَحِمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ﴾ رَمَّ حُبّاً إِلَيْهِ راجعاً إليه مستغنياً به، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نَقْمَةً وَنَهَضَ أَعْظَمَ نَعْمَةً مِنْهُ﴾، ترك، ﴿مَا كَانَ يَدْعَا إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي نسي الضم الذي كان يدعو الله إلى كشفه، ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ أَتَدَاكَ﴾، يعني الأوثان، ﴿وَالْعَمَلُ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ليسرد عن دين الله، ﴿فَلَنْ﴾، لهذا الكافر، ﴿تَمَتَّ بِكَرِّكَ قَلِيلاً﴾، في الدنيا إلى أجلتك، ﴿وَاللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وقيل: عام في كل كافر. ﴿أَنْتَ هُوَ فَتَيْتُ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وحمزة «أمن» بتخفيف

الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان، أحدهما: أن تكون الهم في «أم» صلة، فيكون معنى الكلام استفهاماً وجوابه محذوفاً، مجازة: أمن هو قانت كمين غير قانت؟ كقوله: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢]، يعني كمن لم يشرح صدره. والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازة: الذي جعل الله أنداداً أخيراً أم [من] هو قانت؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على [من]، معناه: أهذا كالذي جعل الله أنداداً. وقيل: الألف في «أمن» بمعنى حرف النداء، كقوله: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أيني فلان. وبني فلان، فيكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، وبما من هو قانت «هاتك ألي»، إنك من أهل الجنة قاله ابن عباس.

وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان.

وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار ومسلمان، والقائض المقيم على المطابقة قال ابن عمر: «القيوس» قراءة القرآن وطول القيام، وإناء الليل: ساعاته، ﴿سَلَامًا وَقَائِمًا﴾، يعني في الصلاة، ﴿وَوَجَّهًا آخِرَةً﴾، يخافه الآخرة، ﴿وَوَجَّهًا

رَمَّةً نَوِيَّةً﴾، يعني كمن لا يفعل شيئاً من ذلك، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْكُورُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْكُورُونَ﴾، قيل الذين يعلمون عثار، والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي، ﴿إِنَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، أي آمنوا وأحسنوا العمل، ﴿حَسَنَةٌ﴾ يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الناحية حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿وَأَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها ﴿إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامِ لَنَجْزِي الْمُكْرِمِينَ﴾، الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للآذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما أشتد بهم البلاء، وصبروا وهاجروا.

قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين، فإنه يحصى لهم حياً.

ويروى: «يؤتي» بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينظر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صاباً بغير حساب، قال الله تعالى ﴿إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامِ لَنَجْزِي الْمُكْرِمِينَ﴾، حتى يتعنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تفرض بالمقاريض

مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ﴾، مخلصاً له التوحيد لا أشرك به شيئاً.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ السَّائِلِينَ﴾، من هذه الأمة.

﴿قُلْ إِنِّي لَنَافٍ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، وعبدت غيره، ﴿فَلَا يَوْمَ عِقَابٍ﴾، وهذا حين دعي إلى دين آباءه.

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ عَظِيمًا لَهُ دِينِي﴾، فاعبدوا ما شئتم من دونه. أمر توبخ وتهديد، كقوله ﴿اعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿قُلْ لِيُخْبِرُوا الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ أَزْوَاجَهُمْ وَخُدَمَهُمْ﴾، يوم القيمة، قال ابن عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ لُتْرُنَ الَّذِينَ﴾.

﴿لَهُمْ فِي قُوفِهِمْ ظِلٌّ مِنْ النَّارِ﴾، أطباق سردقات من النار ودخانها، ﴿وَمِنْ تَحْتِمْ ظِلٌّ﴾، فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سمي الأسفل ظلاً لأنها ظلل لمن تحتم ظليها قوله عز وجل: ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قُوفِهِمْ عَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]

﴿ذَلِكَ يُخَوِّثُ اللَّهَ بِهِ وَيَبَادُرُ بَيْنَهُمَا فَاتَّقُوا﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَانَ﴾، الأوثان، ﴿وَأَنْ يَتَذَكَّرُوا وَأَنْبَأُوا إِلَى اللَّهِ﴾، رجعوا إلى عبادة الله، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَانَ﴾، في الدنيا [و] الجنة في العقبى، ﴿فَيُنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ﴾، الذين يستمعون القول، ﴿فَيَسْمَعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

قال السدي: أحسن ما يؤمرون به فيعملونه. وقيل: هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم

وذكر العفو، والعفو أحسن الأمور. وقيل: ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم. وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن.

وقال عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا، فنزلت فيهم: ﴿فَيُنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ﴾، الذين يستمعون القول، ﴿فَيَسْمَعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، وكله حسن. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

وقال ابن زيد: نزلت ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَانَ﴾، الآيتان، في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل،

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ﴾، وأمرت لأن أكون أول السائلين. ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، قل الله أعظم عذاباً مني. ﴿قُلْ لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، لهم من قوفهم ظلل من النار ومن تحتم ظلل ذلك يخوف الله ويصعد ويصعد فأتقوا. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَانَ﴾، لا يعبدوا ما سوا الله إلى الله هم الشريون فذريهم. ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، آمن حتى عليه كلمة العذاب. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، في النار. ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا نَارَهُمْ فَهُمْ مِنْ قُوفِهِمْ عَرِيفٌ﴾، لكن الذين أتوا النار هم من قوفهم عرِفٌ مَنِيَّةٌ تجري بين قفها الأوتار. ﴿لَا يَخْلُقُ اللَّهُ الْكُفْرَ﴾، أي وعداً لا يخلقه. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الملك النعيمي، أنا

وأبو ذو الغفاري، وسلمان الفارسي. والأحسن: قول لا إله إلا الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: ﴿لَا تَتَّقُونَ﴾ [السجدة: ١٣] وقيل: كلمة العذاب قوله: ﴿هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي﴾. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ من في النار، أي لا تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا نَارَهُمْ فَهُمْ مِنْ قُوفِهِمْ عَرِيفٌ﴾، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها، ﴿تَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهَا الْأَنْهَارُ وَفَتْحُهَا﴾، أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً لا يخلقه. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الملك النعيمي، أنا

تحاتت عنه ذنوبه كما يتحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا موسى بن إسحاق الأنصاري، ثنا محمد بن معاوية، ثنا الليث بن سعد، ثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد بهذا الإسناد، وقال: «إذا اقتصر جلد العبد من خشية الله حرّمه الله على النار».

قال قتادة: «هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن قنجر، ثنا ابن شيبه، ثنا حمدان بن داود، ثنا سلمة بن شيبه، ثنا خلف بن سلمة، ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ [عليهم] القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشياً عليه، فقالت: أعوه بالله من الشيطان الرجيم.

وبه عن سليمان بن سلمة ثنا يحيى بن يحيى، ثنا سعيد بن عبد الرحمن بن الجهمي أنه ابن عمر مَرَّ برجل من أهل العراق ساقطاً فقال:

ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط، قال ابن عمر: «إننا لنخشى الله وما نقصط؟» وقال ابن عمر: «إن الشيطان يدخل في جوف أحدكم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ».

وذكر عند ابن سيرين: الذين يضرعون إذا قرئ عليهم القرآن، فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم، على ظهر بيت باسطاً رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق.

﴿ذَلِكَ﴾، يعني أحسن الحديث، «هَذَى اللَّهُ يَدَيَّ مِنْ يَسَكَةٍ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَهُ مَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعُ بَوَاحِشَهُمْ مَوَدَّةَ الْعَذَابِ﴾، أي شدته، «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال عطاء: يرمى به في النار منكوساً فأول شيء منه تمسه النار وجهه. قال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يده إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتغل النار في الحجر، وهو معلق في عنقه فخرّ ووجهها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده. ومجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟ «وَقِيلَ»، يعني تقول الخزنة، «لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ»، أي وباله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة كذبوا الرسل، «فَأَنذَرْتَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ»، يعني هم آمنون غافلون من العذاب.

﴿فَأَنذَرْتَهُمُ اللَّهُ لِلزَّيْرِ﴾ العذاب والنيران، «فِي الْمَوَاقِفِ النَّارِ وَالْعَذَابِ الْآخِرِ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

﴿وَلَقَدْ خَرَيْنَا النَّارَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظون.

﴿قُرْآنًا صَوْتًا﴾، نصب على الحال، «فَمَرَّ بِهِ صَوْتٌ»، قال ابن عباس: غير مختلف. قال مجاهد: غير ذي لبس. قال السدي: غير مخلوق. ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق. «وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»، الكفر والتكذيب به.

﴿عَذَابَ اللَّهِ مَثَلًا لَكُم﴾، قال الكسائي: نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل، «فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ»، متنازعون مختلفون حيلة أخلاقهم، يقال: رجل شگس شرس، إذا كان سيء الخلق مخالفاً للناس، لا يرضى بالإنصاف، «وَرَجُلًا سَلَمًا لِكُلِّ».

قرأ أهل مكة والبصرة «سالمًا» بالألف أي خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقنبر الآخرون «سالمًا» بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا منازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم، لا منازع لك فيه. «هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا»، هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن من الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار لا يستويان، ثم قال:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِي جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَمْ يَأْتِ شَاءَ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهمَ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ الْبَيِّنَاتُ لِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ وَيُحْذِرَهُمْ مِنَ الذَّنْبِ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُبِلٍ ۝ الْبَيِّنَاتُ لِيُجْزِيَ أَتْقِيَاءَ ۝ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي ۝ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَمَلُهُمْ عَلَى مَكَانٍ كُمْ إِنْ عَمِلُوا فَيَسُوفَ نَعْلَمُهُمْ ۝ مَنْ يَأْتِ بِهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝﴾

عبدالله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه» قال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

وقال ابن عمر: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾، قلنا: كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا.

وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا.

وعن إبراهيم قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾ قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا؟

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، ثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن

أحمد ﷺ، أي الله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، أي سيموت، ﴿وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾. أي سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميت بالتحفيف لم يموت وسيموت، ولذلك لم يخفف من فارق الروح، ولذلك لم يخفف ههنا.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا ابن مالك، ثنا بن حنبل، حدثنا أبي، ثنا ابن نمير، ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن

عبد العزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلل اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضيل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد كان شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته، قال: فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طُرح في النار».

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾، فزعم أن له ولداً وشريكاً، ﴿وَكَذَّبَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾، منزل ومقام، ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾.

تفلقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿فَيَمِيسُكَ إِلَيَّ مَتْنٌ عَلَيْكَ الْمَوْتُ﴾، فلا يردّها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي ﴿فَيَمِيسُ﴾ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، ﴿الموت﴾ رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، ﴿الموت﴾ نصب لقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾. ﴿وَيَرْسِلُ الْآخَرَى﴾، ويرد الأخرى وهي التي لم يقض عليها الموت إلى الجسد، ﴿إِلَى أَهْلِ ثَمَرَةٍ﴾، إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة. ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا عبد الله بن عمر، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة

إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث، يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث.

﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُعَاعًا لَهُ﴾، بما محمد، ﴿أَوَلَوْ كَانُوا يَعْنِي الْأَلَهَةَ﴾، لا يملكون شيئاً، من الشفاعة، ﴿وَلَا يَقُولُونَ﴾، أنكم تعبدونهم، وجواب هذا محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة اتخذونهم.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا﴾، قال مجاهد: لا يشفع أحد إلا بإذنه، ﴿لَمْ تَكُنْ لِّلشَّكْرِي وَالْأَتْرَافِ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ شَرِّهِمْ﴾، وإذا ذكر الله وحده أشمأزت، نفرت، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد. وقال قتادة: استكبرت. وأصل الاستمناز النفور والاستكبار. ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

﴿وَلَمَّا ذُكِّرُوا بِهِم مِّن دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون.

قال مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة النجم فالتقى الشيطان في أمنيه: تلك الغرائيق

العلی، ففرح به الكفار.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم الإسفرائيني، أنا أبو عروانة، ثنا السلمي، ثنا النضر بن محمد، ثنا عكرمة بن عمار، أنا يحيى بن أبي كثير، ثنا أبو سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل؟ قالت: كان يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِيعًا وَمِثْلَهُ مِمَّا لَأَقْتَدُوا بِهِ مِنْ شَيْءِ الْغُلَامِ يَوْمَ يَقُولُ وَيَأْتِيَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة.

قال السدي: ظنوا أنها حسنة فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.

وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يدلوني ما لم أحسب.

﴿وَيَذَرُكُمْ سَتَرَاتُ مَا كَسَبُوا وَسَاتِقٌ بِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ **وَيَذَرُكُمْ** أي يتركهم **سَتَرَاتُ مَا كَسَبُوا** أي مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأوليائه الله. **﴿وَسَاتِقٌ بِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**

﴿فَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامُ فَتَرَ﴾ شدة، **﴿فَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامُ﴾** أي حركته، **﴿فَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامُ﴾** أعطيناه، **﴿فَتَرَ﴾** أي علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علم الله عندي، وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام، **﴿فَتَرَ﴾** يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية. وقيل: بل كلمته التي قالها فتنة. **﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**، أنه استدراج وامتحان.

﴿فَقَدْ قَالُوا الَّذِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾، قال مقاتل: يعني قارون فإنه قال: **﴿إِنَّمَا أَوْفَّقَهُ عَلَىٰ حِلِّهِ عِتَابٌ﴾** [القصص: ٧٨] **﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**، فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

﴿فَأَصَابَهُمْ سِتْرَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي جزاؤها يعني العذاب، ثم أورد كفار مكة فقال: **﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سِتْرَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾**، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يوسع الرزق لمن يشاء **﴿وَيَقْدِرُ﴾** أي يقرر على من يشاء، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**

﴿قوله عز وجل﴾: **﴿قُلْ يَكِيدُ الَّذِينَ أَتَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾**

روى سماعيل بن جبيرة عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى

يلقى أتاماً يضاعف له العذاب، وأنا قد فعلت ذلك كله، فأنزل: **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾** [مريم: ٦٠] فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨ و ١١٦]، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فأنزل الله تعالى: **﴿قُلْ يَكِيدُ الَّذِينَ أَتَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾**، فقال وحشي: نعم هذا، فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة.

وروي عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا،

وَيَذَرُكُمْ سَتَرَاتُ مَا كَسَبُوا وَسَاتِقٌ بِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٨﴾ **وَيَذَرُكُمْ** أي يتركهم **سَتَرَاتُ مَا كَسَبُوا** أي مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأوليائه الله. **﴿وَسَاتِقٌ بِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**

فاقتنوا فكتنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء حسراً ولا عدلاً أبداً، وقوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه، فأنزل الله هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا.

وروي مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: ليس بشيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** [محمد: ٣٣]، فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يطل أعمالنا فقلنا الكبار والفواحسن، قال: فكتنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكفنا عن القول في ذلك، وكنا إذا رأينا أحداً

أصاب منها شيئاً خفناً عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له.

وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر.

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال: يا مذكر لم تقتط الناس؟ ثم قرأ: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ اتَّبَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم التبراني، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد الحموي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي، ثنا عبدالله بن حميد، ثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا: ثنا حماد بن سلمة عن ثابت، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ اتَّبَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا يبالي.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن بشار، ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعاً وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله، فقال: هل [لي من] توبة؟ فقال: لا، فقتله [فكمل به المائة] [وجعل يسأل] فقال له رجل: انت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فتأى بصدرة نحوها،

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقبري وأوحى إلى هذه أن تباعدتي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب به بشير فغفر له».

ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الإسناد، وقال: «فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله وكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال له: قتل مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فألى أيتهما كان أدنى فهو له، فقيسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل - لم يعمل خيراً قط - لأهله إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قُدر الله عليه

ليعذبته عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن عكرمة عن عمار، ثنا ضمضم بن جوس قال: دخلت [مسجد] المدينة فناداني شيخ، فقال [لي]: يا يمانى تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، قال فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحداً لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنباً، فجعل يقول له: أقصر عما أنت فيه، قال فيقول: خلني وربي، قال: حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعث علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَافًا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَخْرُجُونَ
﴿٦٢﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَطُفِئَتِ
النَّارُ وَالشُّجَّارَةُ وَوُضِيَ لِلَّذِينَ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٣﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّاحًا ۖ وَإِذَا جَاؤُهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُنَا
بِأَنْ تَكُونُوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَأَنْ تَتَذَكَّرُوا يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٦٤﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَمَنْ مَتَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٥﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُرَّاحًا ۖ وَإِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٦٦﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

الأصل، وقرأ أهل المدينة
بنون واحدة خفيفة على
الحذف، وقرأ الآخرون
بنون واحدة مشددة على
الإدغام.

﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
وَالَيْكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، أي
الذي عملته قبل الشرك
وهذا خطاب مع
رسول الله ﷺ، والمراد
منه غيره. وقيل: هذا
أدب من الله عز وجل لنبيه
وتهديد لغيره، لأن الله
تعالى عصمه من الشرك.
﴿وَلَا تُكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٦٦﴾ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٧﴾ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا
شيبان عن منصور عن إبراهيم عن
عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال:
جاء حبر من الأحبار إلى
رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد إنا
نجد أن الله يجعل السموات على
إصبع، والأرضين على إصبع،
والشجر على إصبع، والماء والثرى

﴿لَا يَسْأَلُهُمْ الشُّمُوءُ﴾، لا يصيبهم
المكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿٦٧﴾ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٧﴾ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح
السموات والأرض بالرزق والبرحة.
وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن
النبات. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكُونُونَ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿٦٧﴾ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتُوبُ آمِينَ ﴿٦٧﴾

على إصبع، وسائر الخلق على
إصبع، فيقول: أنا للملك، فضحك
النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصدقاً
لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ ۖ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِسْطِ﴾.

ورواه مسلم بن الحجاج عن
أحمد بن عبد الله بن يونس، عن
فضيل بن عياض، عن منصور قال:
«والجبال والشجر على إصبع، وقال
[ثم] يهزهن هزاً، فيقول (أنا الملك
أنا الله)».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم
الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن
إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن
فنجويه، ثنا عمر بن الخطاب، ثنا
عبد الله بن الفضل، ثنا أبو بكر بن
أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن
عمر بن حمزة، عن سالم بن
عبد الله أخبرني عبد الله بن عيسى
قيل: قبال وسول الله ﷺ:
«يطوي الله السموات يوم القيامة ثم
يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا
الملك أين الجبارون أين
المتكبرون؟، ثم يطوي الأرضين ثم
يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا
الملك أين الجبارون أين
المتكبرون؟».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم
عن أبي بكر بن أبي شيبة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، ثنا
أبو طاهر محمد بن أحمد بن
الحارث، ثنا محمد بن يعقوب
الكسايني، أنا عبد الله بن محمود، أنا
إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا

عبد الله بن المبارك، عن يونس، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَمِقَ مَنْ فِي السَّمَكِوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في الذين استثناهم الله عز وجل، وقد ذكرناهم في سورة النمل [٨٧]، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله وحده، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾، أي في الصور، ﴿أَنفَرُوا﴾، أي مرة أخرى، ﴿فَإِذَا هُمْ بِقِيَامٍ يُنظَرُونَ﴾، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد، ثنا أبو معاوية [عن] الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه تركب الخلق يوم القيامة.

﴿٧٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾، أضاءت، ﴿بِشُورِ رَبِّهَا﴾ بتور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه في

يتفاضلون في نوره كما لا يتفاضلون في الشمس في اليوم الضحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، أي كتاب الأعمال، ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَتْ كُلُّ قَبْرٍ مَنَماً سَائِراً وَنَبَذَتْ﴾ [ق: ٢١]، ﴿وَوُضِعَ يَتِيمُهُم بِالْحَقِّ﴾، أي بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾، أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿٧٣﴾ ﴿وَوُضِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أي ثواب ما عملت، ﴿وَهُوَ أَهْلُهَا بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، قال عطاء: يريد أنني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

﴿٧٤﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سوفاً عذفاً، ﴿زُمَرًا﴾، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: زمراً أي جماعات في نفرقة، واحدها زمرة. ﴿حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة «فتحت، وفتحت» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخاً وتقريعاً لهم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، من أنفسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُذَكِّرُوكُمْ بِآيَاتِهِ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ وَجِبَتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ

الْكَاثِرِينَ﴾، وهو قوله: ﴿لَأَنزِلَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿٧٥﴾ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وسبق الذين أنفقوا ديارهم إلى الجنة زمراً حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، قال الكوفيون: هذه الواو زائدة حتى تكون جواباً لقوله: ﴿حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا﴾ كما في سؤق الكفار، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا مُوسَىٰ وَفَتَحْنَا الْقُرْآنَ وَضَيْكَةً﴾ [الأنبياء: ٤٨] أي ضياء، والواو زائدة، وقيل: الواو واو والحال، مجازة: وقد فتحت أبوابها، فادخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفها في الآية الأولى أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فإذا لم تجعل الواو زائدة في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ اختلفوا في جواب قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ قيل: جوابه قوله: ﴿جَاءُوهَا﴾، وقال لهم خزنتها، والواو فيه ملغاة تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها.

وقال الزجاج: القول عندي أن الجواب محذوف، تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لِخَزَنَتِهَا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليها، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لِخَزَنَتِهَا﴾ يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طيبكم له.



الْأَرْضِ يَرِيهَا عِبَادِي
الْمَلَكَةُ حَافِيَةً [الأنبياء:
١٠٥]. ﴿نَزَّلُوا﴾، نزل،
﴿مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَأَ﴾، قال الله تعالى:
﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾،
ثواب المطيعين.

﴿وَرَى الْمَلَكَةُ
حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾،
أي محدقين محيطين
بالعرش، مطيفين بحوافيه
أي بجوانبه، ﴿يُسَبِّحُونَ
مُحَمَّدَ رَزِيمًا﴾، قيل: هذا
تسبيح تلذذ لا تسبيح
تعبد، لأن التكليف متروك
في ذلك اليوم، ﴿وَقُضِيَ
لَهُمْ بِالْحَقِّ﴾، أي قضى بين أهل
الجنة والنار بالعدل، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول أهل الجنة:
شكراً لله حين تم وعد الله لهم.

سورة غافر

مكية وهي خمس وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي، أنا أبو منصور محمد بن
محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد الجبار
الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا
عبد الله بن موسى، ثنا إسرائيل، عن
أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن
عبد الله قال: إن مثل القرآن كمثل
رجل انطلق يتراد لأهله منزلاً فمر
بأثر غيث فبينما هو يسير فيه

ويتعجب منه إذ هبط على روضات
دمثات، فقال: عجبت من الغيث
الأول فهذا أعجب منه وأعجب،
فقليل له: إن مثل الغيث الأول مثل
عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء
الروضات الدمثات مثل آل حم في
القرآن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو
إسحاق الشعلبي، أنا أبو محمد
الرومي، ثنا أبو العباس السراج،
حدثنا قتيبة، ثنا ابن لهيعة، عن
يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن
[أبي] الجراح حدثه عن ابن عباس
قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن
الحواميم.

وقال ابن مسعود: إذا وقعت في
آل حم وقعت في روضات أئانق
فيهن. وقال سعد بن إبراهيم: كن
آل الحواميم يُسَمِّنُ العرائس.

﴿١﴾ قوله عز وجل: ﴿لَحْمٌ﴾، قد
سبق الكلام في حروف التهجّي.

قال السدي عن ابن عباس: حم
اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه
قال: «الرَّ» و«حَم» و«نون»، حروف
«الرحمن» مقطعة. وقال سعيد بن
جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح
أسمائه حكيم حميد حي حليم
حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك
مجيد منان. وقال الضحّاك
والكسائي: معناه قضى ما هو كائن
كأنه أشار إلى أن معناه: حَمٌ، بالضم
وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر حم بكسر الحاء، والباقون
يقتضونها.

﴿٢﴾ - ﴿٣﴾ ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ﴾ غافر: ﴿١﴾، سائر

قال ابن عباس: طاب لكم
المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا
النار حبسوا على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى
إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة، فقال
لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلِّمُوا
عَلَيْكُمْ بِئْسَ مَا دَخَلْتُمَا خَلِيلِينَ﴾.

وروي عن علي عليه السلام قال:
سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها
وجدوا عند بابها شجرة يخرج من
تحت ساقها عيانا فيغتسل المؤمن
من إحداها فيطهر ظاهره، ويشرب
من الأخرى فيطهر باطنه، وتلقيهم
الملائكة على أبواب الجنة يقولون:
سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين.

﴿٧٤﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾، أي أرض
الجنة. وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ
كُنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْلُ أَتَى

الذنب، ﴿وَقَابِلِ الْآتِبِ﴾، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توباً. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وخزومة وخوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿ذِي الْقُوَّةِ﴾، ذي الغنى عن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد: «ذي الطول» ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم. وقيل: ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ﴾.

﴿مَا يَجِدُ فِي إِلَهِكَ أَشَدَّ﴾، في دفع آيات الله بالكذب والإنكار، ﴿لَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يَجِدُ فِي إِلَهِكَ أَشَدَّ﴾، ﴿وَلَا الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيَشْفِقَنَّ صِدْقَ﴾ [البقرة: ١٧٦].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا عبدالله بن أحمد، ثنا محمد بن خالد أنا داود بن سليمان، أنا عبدالله بن حميد، ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن جдалاً في القرآن كفر».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد

الصفار، ثنا أحمد بن منصور الوهادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتمارون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه».

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَرْزُقْكَ مَلَأْتُمْ فِي الْبِلَادِ﴾، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم الغداب، نظيره قوله عز وجل: ﴿لَا يَرْزُقْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [الأنعام: ١٩٦].

﴿كَذَّبَتْ قَلْبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَالْأَفْرَافُ مِنْ بَنِيهِمْ﴾، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالكذب من بعد قوم نوح، ﴿وَعَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ رُسُلَهُمْ يَاسْتَجِئُوهُ﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمى الأسير أخيداً، ﴿وَحَدَّلُوا بِالْكَيْلِ يُتَحَصَّنُوا﴾، ليبطلوا، ﴿بِهِ لُكُؤٌ﴾، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا مَثْرُ تَفَلُّةٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿وَلَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [الفرقان: ٢١] ونحو ذلك، ﴿فَأَخَذْتُمْ فِيكَفٍ كَانَ عِقَابِ﴾.

﴿وَكَذَلَّةٍ حَقَّتْ كُنُتْ رَزَاةٍ﴾، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت،

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قومك، ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾، حملة العرش والطائفة به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمئة عام.

ويروى: أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسماوات إلى خبزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجلال، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان قدوس رب الملائكة والروح.

وقال ميسرة بن عروبة: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها.

وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجاباً من نور.

وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عني ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: إن ما بين القائمة

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عمر بن عبدالله الرقاشي، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا هارون بن رباب، ثنا شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، قال: وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم.

قوله عز وجل: ﴿يَسْتَفْرِشُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿يُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، دينك. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الشفلى للمؤمنين هم الشياطين.

﴿رَبَّنَا وَأَذِلَّهُمْ جَنَّتِ عَدُوِّ آلِي وَعَدَّيْهِمْ وَمَنْ مَكَلَّحَ﴾، آمن، ﴿وَنَآبِئِهِمْ وَأَرْزَاجِهِمْ وَذَرِيَّتِهِمْ لَأَنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال سعيد بن جبیر: يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم [الجنة].

﴿وَقِهِمُ السَّخَنَاتِ﴾، العقوبات، ﴿وَمَنْ قَى السَّخَنَاتِ﴾،

ما أعظمك وأجلتك أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كله لك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعو اليمى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربع مائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من دُرّ أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين حجاباً من ياقوت أصفر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من لُج، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه، وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه إذا حركه، ليس لهم كلام إلا التسبيح [والتسليم والتحميد والتكبير] والتمجيد. قوله عز وجل: ﴿يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يصدقون بأنه واحد لا شريك له.

رَبَّنَا وَأَذِلَّهُمْ جَنَّتِ عَدُوِّ آلِي وَعَدَّيْهِمْ وَأَرْزَاجِهِمْ وَذَرِيَّتِهِمْ لَأَنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّخَنَاتِ وَمَنْ قَى السَّخَنَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ذَلِكَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ إِنْ أَرِيدَ كُفْرُوًا يَتَذَكَّرْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُفْرُكُمْ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ إِنْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَتَأْمَنَّا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَيْنِ فَأَعْرِضْنَا بَيْنَهُمَا قَهْلُ إِلَى خُطْبَةٍ مِنْ سَبِيلِ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَرُسُلُهُ كَفَرُوا وَلَئِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمَنُوا فَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا مَنْ يَلِيهِ ﴿١٣﴾ فَأَدْعُوا اللَّهَ عَظِيمَ لَكَ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ رِزْقَهُمْ يَوْمَ تَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الصُّوفُ فَهُمْ لَا يَخِفُونَ ﴿١٥﴾ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ إِنَّ اللَّهَ يُنْصِرُ الْقَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُ لَهُمُ الْخُزْءَ الَّذِي كَانُوا يُخْفُونَ ﴿١٦﴾

من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب [حجاب] من نور، وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة. وقال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سبحانك وبحمدك

أي ومن ثمة السببات يعني العقوبات، وقيل: جزاء السيئات، **يَوْمَئِذٍ قَدْ رَجَعْتَ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**.

﴿١٠﴾ قوله عز وجل: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتُونَكَ**، يوم القيامة وهم في النار وقد مَقَتُوا أنفسهم حين عُرِضَتْ عليهم سيئاتهم، وعابنوا العذاب، فيقال لهم: **لَمَقَتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُنْفَخُ** إلى الإِيمَنِ فَتُكْفَرُونَ، **يَلْعَنُنِي** لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدهون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

﴿١١﴾ **قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ** أَتَيْنَا، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وقادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتى التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى: **كَذَبْتَ تُكَذِّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** [البقرة: ٢٨]، وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة. **فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: **هَلْ لَكَ مِنْ دُونِ مَكِيلٍ** [الشورى: ٤٤].

﴿١٢﴾ قال الله تعالى: **إِنَّكُمْ بِأَفْئِهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ**، فيه

مترك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازة: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعى الله وحده كفرتم، أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم، وقلتم: **بَعَلْ آيَةُ الْإِلَهِ رَجِئًا** [ص: ٥]، **إِنْ يُشْرَكَ بِهِ**، غيره: **تُؤْمِنُوا**، تصدقوا ذلك الشرك، **فَالْتَمَسْتُمْ لِلَّهِ الْعَمَلِ الْكَبِيرِ**، النبي لا أعلى منه ولا أكبر.

﴿١٣﴾ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ** **آيَاتِهِ وَيُرْسِلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِيقًا**، يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، **وَمَا يَذْكُرْ**، وما يستعظ بهذه الآيات، **لَا مَنْ يُنِيبُ**، يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره.

﴿١٤﴾ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**، الطاعة والعبادة. **وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**.

﴿١٥﴾ **فَرِيقٌ الَّذِينَ** درجات الأنبياء والأولياء في الجنة، **وَالْأُخَرِ الَّذِينَ**، خالقه ومالكة، **يُلْقَى الرُّوحُ**، ينزل الوحي، سماه روحاً لأنه تحية به القلوب كما تحيا به الأبدان بالأرواح، **فَمَنْ أَمَرَهُ**، قال ابن عباس: من قضائه. وقيل: من قوله. بوقال مقاتل: بأمره. **هَلْ مِنْ بَيْنَهُمْ مِنْ يَبْأُوهُ لِيُنْذِرَ**، أي لينذر النبي بالوحي، **يَوْمَ التَّلَاقِ**، وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد

اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** **وَلْيَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ أَزْفَرُ الْأَوَّلُونَ** **لَهُ الْخَاصِرُ الْكَافِرِينَ مَا لَمْ يَحْذَرُونَ** **مِنْ حَيْسَرٍ وَلَا شَنِيعٍ** **يُطَاعُ** **يَسْلَمُ عَلَيْهِ الْأَعْيُنُ وَمَا تُغْنِي الشُّدُورُ** **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ** **يَتَّقُونَ** **وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** **لَوْ لَمْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ آتُونٍ وَلَا نَاقٍ** **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُمُ قَوْمٌ شَرِيدُونَ** **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** **إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**

يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السموات وأهل الأرض. قال قتادة ومقاتل: يلتقي فيه المخلوق والخالق. قال ابن زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون بن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله.

﴿١٦﴾ **يَوْمَ هُمْ بَرْزُؤُهُمْ**، خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء، **لَا يَتَّقِي عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ**، من أعمالهم وأحوالهم، **فَمَنْ**، ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق، **لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**، فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول، **لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ**، الذي قهر الخلق بالموت.

﴿١٧﴾ **الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**، **يُجْزَى** المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، **لَا**

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنَّهُ أَخْلَفُ
أَنْ يَبْدُلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٨﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَا يُؤْمِنُ بَيُّومِ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُنَا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبُكَ فَاصْبِرْ إِنَّهُ يَنْصُرُنَا اللَّهُ
بِعَدَّتِهِ كَذِبُهُمْ أَتَقْتُلُونَهُمْ أَمْ هُم مُّشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ يَقُولُونَ
لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ
بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا لِسَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا
اللَّهُ وَالرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٦﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٧﴾ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
دُخَانًا وَمُتَعَدِّينَ يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدًا يُصْلِحُ السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
لَا يَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْبُزْخِ ﴿٢٨﴾

الأعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿وَمَا تُخَفِي الصُّلُوفُ﴾. ﴿وَاللَّهُ يَقْنِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، يعني الأوثان، ﴿لَا يَقْنُصُونَ﴾، لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء.

قرأ نافع وابن عامر تدعون، بالشاء، وقرأ الآخرون بالياء. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَجْعَلْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، قرأ ابن عامر «منكم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿وَأَنَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾، فلم ينفعهم ذلك. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، يدفع عنهم العذاب.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ العذاب الذي نزل بهم، ﴿يَأْتِيهِمْ كَأَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ﴾.

قال قتادة: هذا غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه

السلام أعاد القتل عليهم، فمعناه أعيدوا عليهم القتل. ﴿وَأَسْتَعِيذُوا نِسَاءَهُمْ﴾، ليصلوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرتة، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿إِلَّا فِي مَكَلٍّ﴾، أي يذهب كيدهم باطلاً، ويحق بهم ما يريد الله عز وجل.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لملشه ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا، ﴿إِنِّي لَأَتْلُو أَن يَبْدُلَ﴾، أن يغير، ﴿وَيَنْصُرَكُمْ﴾، الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، قرأ يعقوب وأهل الكوفة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾، وقرأ الآخرون ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾، وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يُظْهِرُ بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، ﴿الْفَسَادَ﴾ نصب لقوله: ﴿أَن يَبْدُلَ دِينَكُمْ﴾، حتى يكون الفعلان على نسق واحد، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، ﴿الْفَسَادَ﴾، رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لما توعده فرعون بالقتل، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيُّومِ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ واختلوا في هذا المؤمن قال مقاتل

ظلم اليوم إنك الله سريع الحساب. ﴿٢٨﴾ ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾، يعني يوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله عز وجل: ﴿أَرْزُقُوا الْأَرْزَاقَ﴾ [النجم: ٥٧]، أي قربت القيامة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، وذلك أنها تنزل عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواهم فيموتوا ويستريحوا. ﴿كُظْيِمِينَ﴾، مكروبين محتلين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيْرٍ﴾، قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، يشفع فيهم.

﴿٢٩﴾ ﴿يَسْلُمُ حَايَةَ الْأَغْنَى﴾، أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: [هوا] نظر

والسدي: كان قبطياً ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿وَمَا رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الدُّنْيَةِ يَتَّقِ﴾ [الفصص: ٢٠]، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء.

وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبران. وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبیباً. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، لأن يقول ربي الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي بما يدل على صدقه، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾، لا يضركم ذلك، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾، فكذبتموه وهو صادق، ﴿يُضِلُّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْبُدُكُمْ﴾.

قال أبو عبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب. قال الليث: بعض ههنا صلة يريد: يصيبكم الذي يعدكم.

وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال: أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليجب الكل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾، إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ﴾، مشرك، ﴿كَلَّا﴾، على الله.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله

التميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ يَأْتِ الْبَيِّنَاتِ فِي الْأَرْضِ﴾، غالبين في أرض مصر، ﴿فَتَن يَضْرِبُوا مِنْ بَابِ اللَّهِ﴾، من يمنعا من عذاب الله، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب، وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾، من الرأي والنصيحة، ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾، لنفسي. وقال الضحاك: ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، ما أَدْعُوكم إلا إلى طريق الهدى.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَوَقَّعُ إِلَيَّ عُتَاكُ عَلَيْهِمْ يَتْلُو الْأَحْزَابَ﴾ يَتْلُو تَأْتِي قَوْمَهُمْ وَتَوَلَّى وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، أي مثل عادتهم في الإقامة

على التكذيب حتى أتاهم العذاب، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، أي لا يهلكهم قبل اتخاذ الحجة عليهم.

﴿يَتَوَقَّعُ إِلَيَّ عُتَاكُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْتِلاوَةِ﴾، يوم القيامة يُدعى كل أتاس بأمامهم وينادي بعضهم بعضاً، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب الأعراف، وينادي بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، يا أهل النار خلود فلا موت.

وقرأ ابن عباس والضحاك: «يوم التناد» بتشديد الدال أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض كما تناد الإبل إذا شردت عن أربابها.

وقال الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهِمْ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقرئ: ﴿يَتَوَقَّعُ إِلَيَّ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَنْ تَنفَعُوا مِنْ آفَاتِهِ السَّخَرُونَ وَالْأَرْضُ فَاتَتْهُمْ﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُذْرِبِينَ﴾، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارين غير معجزين، ﴿هَالِكُمْ مِنْ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

أَتَيْمُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ،
طريق الهدى.

﴿٣٦﴾ «يَقُولُوا إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ»، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، «وَلَا الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْفِرَارِ»، التي لا تزول.

﴿٣٧﴾ «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجِزِيهِ إِلَّا نُجْمًا هَهِئًا وَفِي سَعِيرٍ فَلَا يَصْلِحُ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قال مقاتل: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير.

﴿٣٨﴾ «وَيَقُولُوا مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوْبَةِ»، يعني مالكم كما تقول العرب: مالي أراك حزينا؟ أي مالك؟ يقول: أخبروني عنكم؟ كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله، «وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ»، إلى الشرك الذي يوجب النار، ثم فسر فقال:

﴿٣٩﴾ «تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَتَرِ»، العزيز في انتقامه ممن كفر، الغفار لذنوب أهل التوحيد.

﴿٤٠﴾ «لَا جَزَاءَ، حَقًّا»، أي إلى الوثن، «لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ»، قال السدي: لا يسجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة دعوة. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا لأن الأوثان لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها. «وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ»،

﴿٤١﴾ «كَذَرْنَا»، أي كبر ذلك الجدل [عند الله] مقصداً، «عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا»، قرأ أبو عمرو وابن عامر «قلب» بالتنوين، وقرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبدالله بن مسعود «على قلب كل متكبر جبار».

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٧﴾ «وَقَالَ فِرْعَوْنُ»، لوزيره، «يَهْمَكُنْ آتِيَنِي بِمِثْلِهِ»، والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصله من التصريح

وهو الإظهار، «لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْتَبَكِ»، يعني طرفها وأبوها من سماء إلى سماء، «فَأُطْلِعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى»، قراءة العامة برفع العين نسفاً على قوله: «أَتْلُعَ الْأَسْتَبَكِ»، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الأعرج، على جواب «لعل» بالفاء «وَلَايَ لَأُطْلِعَنَّ»، يعني موسى «كَذِبًا»، فيما يقول أن له رباً غيري، «وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ»، قرأ أهل الكوفة ويعقوب «وَصَدَّ» بضم الصاد نسفاً على قوله: «زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ» قال ابن عباس: صدّه الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي صدّ فرعون الناس عن السبيل. «وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ»، يعني وما كيد في إبطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسر وهلاك.

﴿٤٨﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقُولُوا

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَا زَلَّمْتُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَدْوٍ مِّثْلَهُ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ وَيَعْتَدِ سُلْطَانُ أَتْلُهُمْ كَذَرْنَا مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ آتِيَنِي بِمِثْلِهِ لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْتَبَكِ ﴿٣٨﴾ أَتْلُعُ السَّمَكِينَ فَأُطْلِعُهُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُطْلِعَنَّ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقُولُوا وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفِرَارِ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجِزِيهِ إِلَّا نُجْمًا هَهِئًا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾

﴿٤٢﴾ «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى»، يعني يوسف بن يعقوب «مِنْ قَبْلُ»، أي من قبل موسى، «بِالْبَيِّنَاتِ»، يعني قوله: «ءَايَاتُ مُّصَوَّرَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [يوسف: ٣٩]، «فَا زَلَّمْتُمْ فِي شَيْءٍ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ»، قال ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له، «حَتَّى إِذَا هَلَكَ»، مات، «قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَدْوٍ مِّثْلَهُ رَسُولًا»، أي أقنعتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ»، مشرك، «مُرْتَابٌ»، شك.

﴿٤٣﴾ «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ»، قال الزجاج: هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله أي: في إبطالها بالتكذيب، «بِغَيْرِ سُلْطَانٍ»، حجة، «أَتْلُهُمْ»، من الله،

موجعنا إلى الله فيجازي كلاً بما يستحق، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾، المشركين، ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿مَسْذُكُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾، إذا عاينتكم للعذاب حين لا ينفعكم التذكير، ﴿وَأَوْفَى أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، يعلمهم الحق من المبطل، ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه.

﴿وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾، ما أرادوا به الشر، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطياً، ﴿وَحَاقَ﴾، نزل، ﴿يَقَالُ فِرْعَوْنُ مَوْتُهُ الْعَذَابِ﴾، الفرق في الدنيا والنار في الآخرة.

﴿وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّارُ﴾، هي رفع على البدل من السوء، ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة، ومقاتل، والسدي، والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيماً ما دامت الدنيا.

أخبرنا أبو الحسين السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل

الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال لهذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: «الساعة»، «ادخلوا»، بحذف الالف والوصل ويضمها في الابتداء وضم الخاء من الدخول، أي يقال لهم

ادخلوا يا «آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»، وقرأ الآخرون ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء من الإدخال، أي يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يزيد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا.

﴿وَلَا يَتَحَفَّظُونَ فِي النَّارِ﴾، أي اذكربا محمد لقومك إذ يختصمون، يعني أهل النار في النار، ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، في الدنيا، ﴿فَهَلْ أَشْرُ مُثْقَلُونَ عَلْنَا﴾، نصيباً من النار، والتبع يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: جمع لا واحده، وجمعه أتباع.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْيَسَاءِ﴾، وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ، حين

﴿وَيَقُولُ مَا لَئِنْ أَدْعَوْكُمُ إِلَى النَّارِ وَتَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لِيَ بِكُمْ﴾، ﴿يَعْلَمُ وَأَنَا أَدْعُوكُمُ إِلَى الْغَيْرِ الْعَمَرِ﴾، لا حجة أنما تدعونني إليه ليس لكم دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآلِ الْغَوَاكِ الشَّرِيفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿مَسْذُكُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَوْفَى أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿وَلَا يَتَحَفَّظُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَشْرُ مُثْقَلُونَ عَلْنَا صِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْيَسَاءِ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَدِيعَةِ حِمْلِهِمْ ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخَفَّفْ عَلْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾

اشتد عليهم العذاب، ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفَّفْ عَلْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوا﴾، يعني خزنة جهنم لهم، ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾، أنتم إذا ربكم، أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْمُظَلِّينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أي يبطل ويضل ولا ينفعهم.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال ابن عباس: بالخطبة والقهرة وقال الضحاك: بالحنة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحنة على من خالفهم، وقد نصرهم الله

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ فَأُنْكِرْكُمْ رَسُولَكُمْ بِالْأَيْتِ قَالُوا
بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
﴿٥٢﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ
وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْهُدًى وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٥﴾ هُدًى
وَزَكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿٥٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي آبَائِهِمْ
أَنَّهُمْ بَعَثُوا سُلَاطِينَ أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُمْ بِيَعْلَمُونَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّكِينُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٨﴾ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْأُمُوسَةُ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٢﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾، يَا
محمد على أذاهم، ﴿إِنَّكَ
وَعَدَ اللَّهُ﴾، في إظهار
[دينك] وإهلاك أعدائك،
﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي:
نسخت آية القتال آية
الصبر، ﴿وَاسْتَغْفِرْ
لِذَنبِكَ﴾، هذا تعبد
من الله ليزيده به درجة
وليصير سنة لمن بعده،
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾،
صلي شاكرًا لربك،
﴿وَالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾، قال
الحسن: يعني صلاة
العصر وصلاة الفجر.
وقال ابن عباس:

الصلوات الخمس.

﴿٥٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم، والصدر
موضع القلب، فكنى به عن القلب
لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾، قال
ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك
إلا ما في صدورهم من الكبر
والعظمة، ﴿مَّا هُمْ بِيَعْلَمُونَ﴾، قال
مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك
الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم.
قال ابن قتية: إن في صدورهم إلا
تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن
يغلبوه ما هم ببالغي ذلك. قال أهل
التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم
قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا
المسيح بن داود - يعنون الدجال -
يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه
البر والبحر، ويرد الملك إلينا،
قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾،

من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُ هُوَ
السَّكِينُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،
مع عظمهما، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم في
الصدور، ﴿بَيْنَ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي
من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا
يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك
على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر
أي أعظم من خلق الدجال، ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني
اليهود الذي يخاصمون في أمر
الدجال.

وروي عن هشام بن عامر قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما
بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق
أكبر فتنة من الدجال».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد
الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن
عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن
زكريا العلافري، أنا إسحاق بن
إبراهيم الديري، ثنا عبدالرزاق، ثنا
معمر عن قتادة عن شهر بن
حوشب، عن أسماء بنت يزيد
الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ
في بيتي فذكر الدجال.

فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين:
سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها،
والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك
السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي
نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها
كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى
ذات ظلف ولا ذات ضرس من
البهائم إلا هلك، وإن من أشد فتنته
أنه يأتي الأعرابي فيقول: رأيت إن
أحييت لك إليك اليس تعلم أنني

بالقهر على من ناوأهم وإهلاك
أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا
بالانتقام من أعدائهم، كما نصر
يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به
سبعون ألفاً، فهم منصورون بأحد
هذه الوجوه، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾،
يعني يوم القيام يقوم الحفظة من
الملائكة يشهدون للرسول بالتبليغ
وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿٥٤﴾ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
مَعَذَرَتُهُمْ﴾، إن اعتذروا عن كفرهم
لم يقبل منهم، وإن تابوا لم يقبلهم،
﴿وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾، البعد من الرحمة،
﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، يعني جهنم.
﴿٥٥﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى﴾،
قال مقاتل: الهدى من الضلالة،
يعني التوراة، ﴿وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
الْكِتَابَ﴾، التوراة.
﴿٥٦﴾ ﴿هُدًى وَزَكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾،
الآلِيبُ.

ريك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو إبله كأحسن ما يكون ضروراً وأعظمه أسمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرايت إن أحيت لك أباك وأخاك ألسنت تعلم أنني ريك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه. قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع القوم في اهتمام وغم مما حدثهم، قالت: فأخذ يلحمتي الباب فقال: مهيم أسماء؟ فقلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: «إن يخرج وأنا حي فأنأ حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن»، قالت أسماء فقلت: يا رسول الله والله إنا لنعجن عجناً فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقدس».

وبهذا الإسناد أخبرنا معمر، عن ابن خيثم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ: «يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار».

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأنشئ على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما

من نبي إلا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا جويرية عن نافع عن عبدالله قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنة طافية».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني، أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا علي بن حجر، ثنا شعيب بن صفوان عن عبدالملك بن عمير عن ربيع بن حراش عن عقبة بن عمرو بن مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال؟ قال: «إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب» فقال عقبة: وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني إبراهيم بن المنذر، ثنا ابن الوليد، حدثنا ابن عمرو، وهو الأوزاعي، ثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومناق».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسين علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل دُبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك».

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن [أبي] هارون العبيدي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السيّجان».

ويرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي

أَيْلَ لَيْسَكُوا فِيهِ وَالْهَكَارَ مَبْعُورًا
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ كَمْ
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَالَّذِينَ يَدْعُونَ دُكُلًا ﴿١١﴾
يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام
الدلائل كذلك، ﴿يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا
يَدْعُونَ اللَّهَ بِمَحْدُونٍ﴾.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿١٠﴾، فَرِاشًا،
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَةً﴾، سَقْفًا كَالْقَبَةِ،
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، قال
مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال
ابن عباس: خلق ابن آدم قائمًا معتدلًا
يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم
يتناول بفيه. ﴿وَوَضَعْنَا مِنَ الْطَبَقَاتِ﴾،
قيل: هو من غير رزق الدواب
﴿ذَلِكَ كَمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿١١﴾، قال الفراء:
هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازة:
فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد
عن ابن عباس قال: من قال لا إله
إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله
رب العالمين، فذلك قوله عز وجل:
﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿١١﴾.

﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ
الدِّينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
الْيَتِيمَتُ مِنْ رَبِّي وَأُمرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ
الْمَلَكِينَ ﴿١١﴾، وذلك حين دعى إلى
الكفر.

محمد بن أحمد بن
عبد الجبار الرياني، ثنا
حميد بن زنجويه، ثنا
محمد بن يوسف، ثنا
سفيان بن منصور عن زر
عن يسيع الكندي عن
النعمان بن بشير قال:
سمعت رسول الله ﷺ
يقول على المنبر: «إن
الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ:
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾،
﴿إِنَّ الدِّينَ يَشْكُرُونَ عَنْ
عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَلِيلِينَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
أحمد بن علي الزرقى، ثنا أبو
الحسن علي بن يوسف الشيرازي
أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن
موسى القرشي ببغداد، ثنا محمد بن
عبيد [الله] بن العلاء، ثنا أحمد بن
بديل، ثنا وكيع، ثنا أبو المليح قال:
سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة
قال: قال النبي ﷺ: «من لم
يدع الله غضب الله عليه».

وقيل: الدعاء: هو الذكر
والسؤال، ﴿إِنَّ الدِّينَ يَشْكُرُونَ عَنْ
عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَلِيلِينَ﴾،
قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر:
﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بضم الياء وفتح
الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء
وضم الخاء، ومعنى داخرين
صاغرين ذليلين.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ الدِّينَ يَشْكُرُونَ عَنْ عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَلِيلِينَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَيْسَكُوا
فِيهِ وَالْهَكَارَ مَبْعُورًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ كَمْ
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالَّذِينَ
يَدْعُونَ دُكُلًا ﴿١٥﴾ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ
اللَّهَ بِمَحْدُونٍ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بَنَةً وَمَوَازِينَ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَوَضَعَكُمْ
الطَّبَقَاتِ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ كَمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ هُوَ الْعَلِيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ
إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الدِّينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
الْيَتِيمَتُ مِنْ رَبِّي وَأُمرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿٢١﴾

كلهم ذو ساج وسيف محلى».
﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِ
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَلَا يَسْتَوِ الْقِيلَ مَا
تَذْكُرُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة
﴿تَذْكُرُونَ﴾، بالشاء، وقرأ الآخرون
بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر
عن قوم.

﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾، أي القيامة
لآتية لا ريب فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي اعبدوني دون
غيري أجيبكم وأجبكم وأغفر لكم،
فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل
الإنابة استجابة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أبو منصور محمد بن
[محمد بن] سمعان، ثنا أبو جعفر

ما تقول، ﴿وَفِي عَادَانَا وَثَرٌ﴾، صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع، ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ﴾، خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول، ﴿فَاعْمَلْ﴾، أنت على دينك، ﴿وَأَنَا عَمِلُوكُمْ﴾، على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿يُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا لِلنَّهِكْرِ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، قال الحسن: علمه الله التواضع، ﴿فَأَسْتَوِيُوا إِلَيْهِ﴾، توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله، ﴿وَأَسْتَوِيُوا﴾، من ذنوبكم، ﴿فَقُلْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، قال ابن عباس: الذين [لا] يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة: لا تقرون بالزكاة ولا ترون إيتاءها واجباً، وكان يقال: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك. وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاقة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يكون أعمالهم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومعناه [كأس] المليون لأنه ينقص مئة الإنسان

مئة الله، ﴿الَّذِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله استواه ولا ينفعهم إيمانهم عند معاناة العذاب. ﴿وَيُخَيَّرُ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ﴾، بذهاب الدارين، قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم يبين لهم خسرائهم إذا رأوا العذاب.



سورة فصلت

مكية وهي أربع وخمسون آية. **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿حَتَّىٰ تَنْزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الأخفش: تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل. ﴿كُنْتُ قِيلَتْ عَائِشَةُ﴾، بنت أبياتة ﴿فَرَأَا عَرِيكَ لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه نصب قرآناً يوقوع البيان عليه أي: فصلناه قرآناً.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، نعتان للقرآن أي بشيراً لأولياء الله ونذيراً لأعدائه، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي لا يصغون إليه تكبراً.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني مشركي مكة ﴿فَلَوْ بَايَعُوا أَكْفَرُوا﴾، في أغطية، ﴿فَمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾، فلا نفقه

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ رَسُولٌ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْتِيَنَّ اللَّهُ فَإِنْ هَاجَرَ مِنْهُ فَبِئْسَ الْخَبِيرُ هُنَاكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْفُسَ لِرِكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا نَفْسٌ كُتِبَتْ ﴿٣٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَلَوْلَا غَلَبَتِ حَاجَتُهُ فِي صَلَاتِهِمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ ﴿٤٠﴾ وَتُورِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿٤١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَظُفُّوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ آلِ يُونُسَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَذَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِآيَاتِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّمَا نَسَاءٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَذَرِكْهُمْ يَفْعَلُهُمْ إِنْ شَاءَ لَهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلَتْ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرُ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم؟

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا﴾، رضوا، ﴿وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾، قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم، لن نبعث ولن نعذب، سمي ذلك علماً أعلى ما يدعونه ويرغمونه وهو في الحقيقة جهل.

﴿وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِآيَاتِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، فلما رأوا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّمَا نَسَاءٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يعني نبرأنا مما كنا نعدل بالله.

﴿فَلَمَّا يَكْ يَفْعَلُهُمْ إِنْ شَاءَ لَهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، عذابنا، ﴿سَأَلَتْ اللَّهُ﴾، قيل نصبها بنزع الخافض، أي كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على الإغراء أي احدثوا



من بلد إلى بلد. قال الكلبى قدر الخبز لأهل قطر [والتمر لأهل قطر] والذرة لأهل قطر، والسمك لأهل قطر وكذلك أقواتها. ﴿١٠﴾ أَرْزُقُوا آبَاءَكُمْ، يريد خلق ما في الأرض وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكير، كما تقول: تزوجت أمس امرأة واليوم

وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المزمضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم [الأجر] كأصح ما كانوا يعملون فيه. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادى، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ حَسَنَةٍ مِّنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ مَرَضَ قِيلَ لِلْمَلِكِ الْمَوْكَلِ بِهِ أَكْتَبَ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أَطْلُقَهُ أَوْ أَكْفَتْهُ إِلَيَّ».

ثنتين وإحداهما هي التي تزوجتها بالأمس.

﴿١١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ إِنِّي لَنَكْفُرُونَ بِآلِئِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ، «وَيَعْمَلُونَ لَهُمْ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

﴿١٢﴾ «وَيَعْمَلُ فِيهَا» أَي فِي الْأَرْضِ، «وَيَوْمَيْنِ» جِبَالًا ثَوَابِتَ، «مِنْ قَوْعِهَا» مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ، «وَيَوْمَيْنِ» أَي فِي الْأَرْضِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالشَّامِ، «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا».

قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك: قدر في كل بلدة ما لم يجعله في [البلدة] الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة

أفعلاه، كما يقال: اتت ما هو الأحسن، أي: أفعله.

وقال طاوس عن ابن عباس: «اتنيا [طائعين] أعطيا [قالت أتينا: أعطينا] يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد.

قال ابن عباس: قال الله عز وجل: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما أفعلا ما أمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع، ﴿١٣﴾ «إِنِّي أَنَا طَائِعِينَ»، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازة: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

﴿سُورَةُ الْاِسْمَاءِ﴾ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿سُورَةَ﴾ رَفَعَ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ، أَي هِيَ سُورَةٌ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِالْجَرِّ عَلَى نَعْتِ قَوْلِهِ: ﴿فِي اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿سُورَةَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ اسْتَوَتْ [سُورَةٌ] اسْتَوَاءً، وَمَعْنَاهُ: سُورَةٌ لِلْسَّائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ قَتَادَةُ وَالسَّيِّدِي: مَنْ سَأَلَ عَنْهُ فَهَكَذَا الْأَمْرُ سُورًا لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَانًا جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَ فِي كَمْ خَلَقْتَ الْأَرْضَ وَالْأَقْوَاتَ.

﴿١٤﴾ «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ»، أَي: عَمِدَ إِلَى خَلْقِ السَّمَاءِ، ﴿وَيَوْمَيْنِ﴾، وَكَانَ ذَلِكَ الدَّخَانُ بِخَارِ الْمَاءِ، ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أَي أَتَيْنَا مَا أَمَرَكُمَا أَي

فَقَضَيْنَهُمْ سَبْعَ سَعَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا أَسْمَاءُ الَّذِينَ بِمِصْرَ حَفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صِغْفُورًا مِثْلَ صِغْفُورٍ
عَادٍ وَنُحُودٍ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً يَاسِقًا أَوْ سُلُوفًا يَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا أَمَّا أَنْزَلَ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَوْنًا أَلَمْ يَكُنْ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْصُورَةٍ لِيَذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَلَ عَلَى
الْأَيْمَانِ فَخَلَدْنَاهُمْ نَصِيبًا صِغْفُورًا أَلْهَوْا بِهِمَا كَاوُودَ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْشَرُ
أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا نَارُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَصْنَهُمْ يَقُولُونَ مَاءً كَاوُودَ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عِزًّا وَرَبُّكُمْ يَوْمَ يَخْرُجُ الْكُفْرُ يَخْرِجُهُمْ مِنْهَا وَيَخْلُقُ لَهُمْ مِنْ تَحْتِهَا
أَرْضًا وَهُمْ يَخْرُجُونَ ﴿٢٠﴾

أَعْرَضُوا، يعني هؤلاء
المشركين عن الإيمان بعد
هذا البيان، **فَقُلْ**
أَنْذَرْتُكُمْ، خوّفتكم،
صِغْفُورًا مِثْلَ صِغْفُورٍ
عَادٍ وَنُحُودٍ، أي هلاكاً مثل
هلاكهم، والصاعقة
المهلكة من كل شيء.

﴿١٢﴾ **إِذْ جَاءَهُمْ**،
يعني عاداً وثموداً،
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ، أراد
بقوله: **مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**
الرسول الذين أرسلوا إلى
آبائهم من قبلهم، **وَمِنْ**
خَلْفِهِمْ يعني من بعد

الرسول الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين
أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكناية
في قوله من بين أيديهم راجعة إلى
عاد وثمود وفي قوله **وَمِنْ خَلْفِهِمْ**
راجعة إلى الرسل، **أَلَّا**، بأن لا،
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا
لَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَسِقًا أَوْ
سُلُوفًا يَكْفُرُونَ، أي لو شاء ربنا دعوة
الخلق لأنزل ملائكة، **فَلَمَّا يَمَّا**
أُزِيلَتْ بِهِمُ كُفْرُهُمْ.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو
إسحاق الثعلبي، ثنا عبدالله بن حامد
الأصفهاني، ثنا أحمد بن محمد بن
يحيى العيادي، أنا أحمد بن
مجدة بن العريان، ثنا الحماني، ثنا
ابن فضيل، عن الأجلح، عن
الذبال بن حرملة، عن جابر بن
عبدالله قال: قال الملا من قريش
وأبو جهل: قد التبس علينا أمر
محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا

بالشعر والكهانة والسحر، فاتاه
فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره، فقال
عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علماً وما يخفى علي أن كان
كذلك أو لا، فاتاه فلما خرج إليه
قال: يا محمد أنت خير أم هاشم؟
أنت خير أم عبدالمطلب؟ أنت خير
أم عبدالله؟ فيم تشتم ألهتنا؟ وتفضل
آبائنا؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا
لك ألويتنا فكنت رأساً ما بقيت، وإن
كان بك البائة زوجناك عشر نسوة
تختار من أي بنات قريش؟ وإن كان
بك المال جمعنا لك ما تستغي أنت
وعقبك من بعدك؟ ورسول الله ﷺ
سأكت لا يتكلم، فلما فرغ قرا
رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن
الرحيم **حَدَّثَنَا** **تَزِيلُ بْنُ الرَّحْمَنِ**
الرَّحِيمِ **كِتَبْتُ** **فَقِيلَتْ** **مَائَتَةٌ**،
إلى قوله **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ**
صِغْفُورًا مِثْلَ صِغْفُورٍ **عَادٍ وَنُحُودٍ**، الآية
فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم
ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى
قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل:
يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا
قد صبا إلى دين محمد، وقد أعجبه
طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته،
فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال
أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا
إلا أنك صبوت على دين محمد
وأعجبك طعامه، فإن كانت بك
حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك
عن طعام محمد، فغضب عتبة
وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً،
وقال: والله لقد علمتم أنني من أكثر
قريش مالا، ولكنني أتيتك وقصصت

﴿١٧﴾ **فَقَضَيْنَهُمْ سَبْعَ سَعَوَاتٍ فِي**
يَوْمَيْنِ، أي أتمهن وفرغ من
خلقهن، **وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ**
أَمْرَهَا، قال عطاء عن ابن عباس:
خلق في كل سماء خلقها من
الملائكة وما فيها من البحار وجبال
البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال
قتادة والسدي: يعني خلق فيها
شمسها وقمرها ونجومها. وقال
مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد
من الأمر والنهي، وذلك يوم
الخميس والجمعة. **وَرَبَّنَا أَسْمَاءُ**
الَّذِينَ بِمِصْرَ، كواكب،
وَحَفْظًا، لها ونصب حفظاً على
المصدر، أي حفظناها بالكواكب
حفظاً من الشياطين الذين يفسدونها
السمع، **ذَلِكَ**، الذي ذكر من
صنعه، **تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**، في ملكه،
الْعَلِيمِ، بخلقه.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: **فَإِنْ**

عليه القصبة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَمَرْتُمْ فَقُلْ أُنذِرْتُكُمْ صَافَةً مِثْلَ صَافَةٍ﴾ الآية فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكلم العذاب.

وقال محمد بن كعب القرظي: حَدَّثْتُ أَنَّ عَتِيبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا، قَالَ يَتُومًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَكَلِمُهُ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا بَعْضُهَا، فَنُعْطِيهِ وَيَكْفِ عَنَّا، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حِمْرَةٌ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَمَنْ إِلَيْهِ فَكَلِمُهُ، فَقَامَ عَتِيبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مَثْبُوحٌ حَيْثُ عَلِمْتَ مِنَ الْبَسِطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكِيلِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَرَقْتَ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَهْتَ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبْتَ أَلْهَتَهُمْ وَكَفَرْتَ مِنْ مَنَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا نَنْظُرُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تَرِيدُ بِنَا جُنْتُ بِهِ مَا لَا جَمْعَ لَكَ مِنْ أَهْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ [مِنْ] أَكْثَرِنَا مَا لَا، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ شَرَفًا سُوِّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي بَكَ رِثْيَا تَرَاهُ لَا يَسْتَطِيعُ رَدَهُ طَلَبْنَا لَكَ الْقَبْرَ، وَلَعَلَّ هَذَا شَيْعَرٌ جَاشَ بِهِ صَدْرُكَ،

فإنكم لعجري بني عبدالمطلب تغلبون على ذلك قال لا يقدر عليه غيركم، حتى إذا فرغ ما عنده من سائر الأمور التي يزعم أنها تردّه عنا يقول فقال له رسول الله ﷺ: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: لفعل، فقال: ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿جَمَدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كُنْتُ قَصَلْتُ كُنْتُ قَرَأْتُكَ هَرَبًا، ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبه أنصت له وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك، فقام عتبه إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: وما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني خلوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ [عظيم] فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال والله ما سحرني: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.

١٥ قوله حمز وجل: ﴿فَلَمَّا كَانَتْ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ لِقَىٰ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وذلك أن هوداً

هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الْوَهَّابُ خَلَقَهُمْ ثُمَّ أَشَدُّ مِنَّهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِهِ يَحْتَدُونَ﴾.

١٦ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شَرِيفًا﴾، عاصفاً شديدة الصوت، من العصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصبر وهو البسرد، ﴿فِي آيَاتِهِ كِبَارُتُ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب: ﴿نَحْمَاتُ﴾ بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرهما أي: نكدات مشوِّحات ذات نحوس، وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، دأبت الرياح عليهم [عسرات] من غير مطر، ﴿لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخُرْبِيِّ﴾، أي عذاب السهون والشذيل، ﴿فِي الْكَيْفِ الْأَيَّامِ وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَتَمُّ﴾، أشد إهانة و﴿وَمَنْ لَا يَصُدِّقْ﴾.

١٧ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بيناهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله ﴿هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ [الأنسان: ٣]، ﴿فَاسْتَجَبُوا أَمْرِي عَلَى الْكُفْرِ﴾، فاستشاروا للكفر على الإيمان، ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ صَافَةً الْعَذَابِ﴾، أي مهلكة العذاب، ﴿الْمُؤَنِّ﴾، أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويهزبهم، ﴿يَا كَاوًا كَكُورًا﴾.

١٨ - ١٩ ﴿وَجِئْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَيْنَهُمْ نَجْوً وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَصَادُكُمُ إِلَى الْمَوْتِ﴾، قرأ نافع ويعقوب:

وَقَالُوا الْجُلُودُ هِيَ أَرْثَىٰ قَالُوا أَلَمْ نَقُلْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
 أَطْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلْقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
 وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
 وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمَحُونَ ﴿٢٢﴾
 وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْ ذِكْرُكُمْ أَفْصَحُكُمْ
 مِنَ الْخَفِيِّينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا قَالُوا فَالْأَرْثَىٰ مَتَىٰ لَهُمْ وَأَنْ
 يَسْتَعْتِبُوا أَعْدَاءَهُمْ مِنَ الْمُتَعْتِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَفِيصْنَاهُمْ
 قُرْآنًا فَذَرْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَإِنَّهُمْ
 كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
 وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلْيَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
 أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يَدَّارًا لِّلْخَلْقِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّهَ أَنْ يُضِلَّ نَاِمِينَ الْيَمِينِ
 وَالْأَيْمَنِ جَعَلَهُمَا نَجَاتٍ أَفَادَامَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ ﴿٢٩﴾

٤٧١

«نحشر» بالنون، «أعداء» نصب،
 وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح
 الشين «أعداء» رفع أي يجمع إلى
 النار، «فهم يورعون»، يساقون
 ويدفعون إلى النار، وقال قتادة
 والسدي: يحبس أولهم على آخرهم
 ليتلاحقوا.

﴿٢٠﴾ «حَقَّ إِذَا مَا جَاءَكُمْ وَمَا»، جاؤوا
 النار «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ
 وَمُجُودُهُمْ»، أي بشراتهم، «بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ»، وقال السدي وجماعة:
 المراد بالجلود الفروج. وقال مقاتل:
 تنطق جوارحهم بما كتبت الألسن
 من عملهم.

﴿٢١﴾ «وَقَالُوا»، يعني الكفار
 الذين يحشرون إلى النار، «لِالْجُلُودِ
 لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْظِقْنَا اللَّهَ الَّذِي
 أَطْلَقَ كُلَّ شَيْءٍ»، تم الكلام ههنا.
 وقال الله تعالى: «وَهُوَ خَلْقَكُمْ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ»، وليس هذا من جواب

الجلود، «وَالَّذِي تُرْجَعُونَ». ﴿٢٢﴾
 «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ»، أي تستخفون
 عند أكثر أهل العلم. وقال
 مجاهد: تتفنون. وقال
 قتادة تظنون «أَنْ يَشْهَدَ
 عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
 وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ
 اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا
 تَصْمَحُونَ».

أخبرنا عبد الواحد [ابن
 أحمد] المليحي، أنا
 أحمد بن عبد الله النعيمي،
 أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا
 الحميدي، أنا شفيان، أنا

منصور، عن مجاهد، عن أبي
 معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال:
 اجتمع عند البيت ثقفان قرشي، أو
 قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم،
 قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم:
 أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال
 الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع
 إن أخفيانا، وقال الآخر: إن كان
 يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا
 أخفيانا، فأنزل الله تعالى: «وَمَا
 كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ
 وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَصْمَحُونَ».

قيل: الثقفي وعبد بالليل وختناه
 القرشيان: ربيعة، وصفوان بن أمية.

﴿٢٣﴾ قوله تعالى: «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ
 الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْ ذِكْرُكُمْ»، أهلككم،
 أي ظنكم أن الله لا يعلم كثير مما
 تعملون، أركام، قال ابن عباس:

طرحكم في النار، «فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ»، ثم أخبر عن حالهم فقال:
 ﴿٢٤﴾ «فَإِنْ يَصْبِرُوا قَالُوا فَالْأَرْثَىٰ مَتَىٰ
 لَهُمْ»، مسكن لهم، «وَأَنْ
 يَسْتَعْتِبُوا»، يسترضوا ويطلبوا
 العتبي، «فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُتَعْتِبِينَ»،
 المرضى، والمعتب الذي قبل عتابه
 وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني
 فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي،
 واستعتبته طلبت منه أن يعتب أي
 يرضى.

﴿٢٥﴾ «وَفِيصْنَاهُمْ قُرْآنًا مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»، أي بعثنا
 ووكنا، وقال مقاتل: هيأنا. وقال
 الزجاج: سبينا لهم. «قُرْآنًا»، نظراء
 من الشياطين حتى أضلوهم،
 «فَذَرْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»، من أمر
 الدنيا حتى أتروه على الآخرة، «وَمَا
 تَخْلَفُهُمْ»، من أمر الآخرة فدعوه
 إلى التكذيب به وإنكار البعث،
 «وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ»، مع
 أسم، «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ
 وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ».

﴿٢٦﴾ «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا»، من
 مشركي قريش، «لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
 الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ»، قال ابن عباس:
 يعني: الخطوا فيه، وكان بعضهم
 يوصي إلى بعض إذا رأيتهم محمداً
 يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر
 واللغو. قال مجاهد: والغوا فيه
 بالمكاء والصفير. وقال الضحاك:
 أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول:
 وقال السدي: صيحوا في وجهه.
 «لَعَلَّكُمْ تَقْلَبُونَ»، محمداً على
 قراءته.

﴿٢٧﴾ «فَلْيَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي»، يعني

بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿بِرَّكَ أَهْلُوا اللَّهَ﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال ﴿وَالْقَارُ﴾، أي هو النار، ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي في النار، ﴿دَارُ الْمُنَادِي﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿بِرَّكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُوا﴾ محمدون.

(٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَيُّ
فِي النَّارِ يَقُولُونَ، ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ
أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ، يَعْصُونَ
إِبْلِيسَ وَقَابِيلَ بْنِ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ
لَاذَهُمَا سَنَّا الْمَعْصِيَةِ، ﴿فَعَمَلُهُمَا تَحْتَ
أَقْلَامِنَا، فِي السَّانَةِ، ﴿لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ، ﴿لِيَكُونَا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
مِنَ النَّارِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِيَكُونَا
أَشَدَّ عَذَابًا مِّنَّا.

قوله عز وجل: **وَإِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ**
قَالُوا رَبَّنَا إِنَّهُمْ آتُواكَ مِنْ شَيْءٍ
أَبْرَأَ الْبَدَنُ لِلْإِنْسَانِ **وَمَا يَدْعُوهُ**
إِلَّا شَهْوَاؤُهُ وَسِوَا اللَّهِ
غَيْرُ شَافِعٍ لَهُ **وَمَا يَدْعُوهُ**
إِلَّا شَهْوَاؤُهُ وَسِوَا اللَّهِ
غَيْرُ شَافِعٍ لَهُ

يقول عمر بن الخطاب رضي الله
عنه: الاحتقاة أن تستقيم على الأمر
والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب.
يقال: عفا بن عفا، رضي الله
عنه: أخلصوا العمل لله...
يقال: علي رضي الله عنه: أدو
الفرافير.

وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض.

وَقَالَ الْحَسَنُ اسْتَقِيمُوا عَلَيَّ
أَمْرَ اللَّهِ عَالِي، فَعَمَلُوا بِطَاعَتِهِ
وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ.

وقال مجاهد وعكرمة
استقاموا على شهادة أن لا
إله إلا الله حتى لحقوا
بالله

وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يردوا.

وقال قتادة: كان
الحسن إذا تلا هذه الآية
قال: اللهم أنت ربنا
فأرزقنا الاستقامة

قوله عز وجل: ﴿سَتَرَدُّ عَلَيْهِمُ أَلْمَتُهُمْ﴾، قال ابن عباس: عند الموت.

وقال قتادة ومقاتل: إذا
قاموا من قبورهم، قال
وكيع بن الجراح: البشري

تكون في ثلاث مواطن: عند الموت
وفي المقبر وعند البعث **والأول**
تخافوا، من الموت وقال لعجابه:
لا تخافوا علي ما تقدمون عليه من أمور
الآخرة. **والثاني** **تخافوا**، على ما
خلفكم من أهل بؤلبد، فإننا نخلفكم
في ذلك كله. **والثالث** أعطاه بن أبي
ربيع: لا تخافوا ولا تحزبوا على
ذنوبكم، فإنني أغفرها لكم، **والرابع**
تخافوا، لأنكم تعلمون.

(٢٦) ﴿عَنْ أَوْلِيَاكُمْ﴾ : تقول لهم
العلاقة الذين تشر عليهم بالشارة
﴿عَنْ أَوْلِيَاكُمْ أَنْصَارَكُمْ وَأَحِبَّاكُمْ﴾ :
﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : في الآخرة : علي
في الدنيا والآخرة . وقال السدي :
تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا
معكم في الدنيا . ونحن أولياؤكم في
الآخرة يقولون لا تغاركم نحن
ندخلوا الجنة . ﴿وَأُولَاكُمْ﴾ : فيكم
﴿فَتَقَرَّبُوا إِلَيْكُمْ﴾ : من العبادات

السلامة والنجاة

وَالْوَارِثُ اللَّهُ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ خِيَرَةً عَلَىٰ آلِهِمْ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَلَا تَحْجَرُوا أَوْلِيَاءَ آبَائِهِمْ
وَالْأَقْرَبِينَ سَدُّوا ۖ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ خِيَرَةً
عَلَىٰ آلِهِمْ وَوَلَّوْا كُفْرًا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِمْ
فَنُفِخَ فِي سُورَةٍ ۖ فَتَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالسُّورَةُ
الْأُولَىٰ مِنْ رَبِّهَا فَتَنَزَّلَ الْحَقُّ ۖ وَكَانَ
أَحْسَنَ ۖ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حُجُومٌ
وَمَا بَلَغُوا إِلَّا الْإِلَهَ الْأَوَّلَ فَتَنَزَّلَتْ سَاقِهَا
فَالْعِلَاقُ ۖ وَإِنَّا بَصُرْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْجٌ
إِلَيْهِمْ هَذَا السَّيْحُ الْعَلِيْمُ ۖ وَفِي آيَاتِهِ
بَارُ وَالْأَشْشَسُ وَالْقَمَرُ لَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْئِ
الَّذِي سَخَّرَ اللَّهُ أَلْيَ خَلْقِهِ لَهُ ۖ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ۖ فَإِنِ اسْتَكْبَرْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ
فَعَلِمَ آلُ رَبِّكَ وَالنَّجَّارُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ

وَاللَّذَاتِ، وَرُكُكُمَ فِيهَا، فِي الْجَنَّةِ
 هَذَا نَعْنُوهُ، وَتَتَمَوَّنَ رُكُكُهُمْ عَالَمُهُ
 (٧٦) (٧٧) وَرُكُكُهُمْ وَرُكُكُهُمْ
 غَيْرُ رُكُكِهِمْ وَرُكُكُهُمْ وَرُكُكُهُمْ
 دَعَا إِلَى مَالِكِهِ، إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ،
 وَرُكُكُهُمْ وَرُكُكُهُمْ وَرُكُكُهُمْ
 الْمُسْلِمِينَ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَالْمُسْلِمِينَ
 وَابْنُ عَابِلٍ، هُوَ وَرُكُكُهُ اللَّهِ وَرُكُكُهُ
 إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ
 الْحَسَنُ: هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَجَابَهُ اللَّهُ
 فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ
 إِلَيْهِ، وَمَعْنَى هَذَا الْحَسَنُ، وَرُكُكُهُمْ
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّوْحِيدُ، وَرُكُكُهُمْ
 غَائِثُهُ: أَرَى هَذِهِ آيَةَ تَزَلُّزَتِ فِي
 الْعَالَمِينَ، وَقَالَ عَزْرَمَةُ: هُوَ الْمَوْفُودُ
 [وَقَالَ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْبَاهِلِيُّ: وَرُكُكُهُمْ
 هَذَا الْحَسَنُ، وَرُكُكُهُمْ وَرُكُكُهُمْ
 وَالْإِقَامَةُ، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمَةَ:
 هُوَ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ،
 أَخْبَرَنِي أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ

كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿وَلَهُمْ لِكُتُبٌ عَزِيزٌ﴾، قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كريم على الله: قال قتادة: أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل إليه سبيلاً.

﴿وَهُوَ قَوْلُهُ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾، قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الزجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى «الباطل»: الزيادة والنقصان. وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله، ﴿تَنزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ غَبِيبٍ﴾، ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم.

﴿قَالَ﴾ ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾، من الأذى، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساخر، كما يقال لك وكذبوا كما كذبت، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفُورٌ﴾، لمن تاب وآمن بك ﴿وَدُوٌّ عِقَابٍ أَلِيمٌ﴾، لمن أصر على التكذيب.

﴿وَلَوْ جَمَعْتُمْ﴾، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس، ﴿قُرْآنًا أَعْجَبَ﴾، بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾، فلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿مُتَجَوِّزٌ وَعَزِيزٌ﴾، يعني: أكتتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على

وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمترجم أعجمي.

قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار، غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، يكنى أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمداً، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلْ﴾، يا محمد،

﴿هُوَ﴾، يعني القرآن،

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرًا

هُدًى من الضلالة وشفاء، لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي مَآذِنِهِمُ وَفَرُّهُمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ﴾، قال قتادة: عموماً عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به، ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي [من] مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾، فمصدق ومكذب، كما اختلف قومك في كتابك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿لَفُضِّضَ بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم، ﴿وَلَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْكَ﴾، من صدقك،

﴿إِلَّا يَوْمَ يَرُدُّهُمْ إِلَى جَنَّةٍ مَّعْرُوفَةٍ﴾، أي إلى جنة معروفة، ﴿وَيَرَوْنَ فِيهَا كَلْبًا مَّا يُدْرِكُهُ يَلْبَسُ مِن بَدَنِهِ﴾، أي يلبس بدنه، ﴿فَإِذَا دَعَا إِلَى شِرْكِهِمْ أَعْتَمُوا﴾، أي أعظموا، ﴿وَوَدَّاعُوا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي لو كانوا يعلمون، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إِيَّاهُ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ لَكَ أَقْرَبُ﴾، أي يكون لك أقرب، ﴿وَلَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُفَكِّكُونَ الصُّلُوفَ﴾، أي لو كنت تعلم أنهم يفككون الصلوف، ﴿فَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾، أي فإنهم لكاظمون، ﴿وَلَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُفَكِّكُونَ الصُّلُوفَ﴾، أي لو كنت تعلم أنهم يفككون الصلوف، ﴿فَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾، أي فإنهم لكاظمون، ﴿وَلَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُفَكِّكُونَ الصُّلُوفَ﴾، أي لو كنت تعلم أنهم يفككون الصلوف، ﴿فَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾، أي فإنهم لكاظمون.

﴿غَرِيبٌ﴾، موقع لهم الرية.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي



بعملي وأنا محقوق بهذا،
﴿وَمَا أَلْقُ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾
ولكن رجعت لك ربي إن لي
عندك للخصم، يقول
هذا الكافر: لست على
يقين من البعث، فإن كان
الأمر على ذلك، ورددت
إلى ربي أن لي عنده
للحسنى، أي الجنة، أي
كما أعطاني في الدنيا
سبعطيني في الآخرة
﴿فَلْيَتَنَزَّلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا
عَمِلُوا﴾، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: لنفتنهم
على مساوئ أعمالهم،
﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِن عَذَابٍ

والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة.
﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، يعني دين
الإسلام.
وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من
عند الله. وقيل: محمد ﷺ يتبين
لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى.
وقال عطاء وابن زيد: في الآفاق
يعني أقطار السماء والأرض من
الشمس والقمر والنجوم والنبات
والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من
لطيف الصنعة ويديع الحكمة، حتى
يتبين لهم أنه الحق: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ
بِرَبِّكَ أَنتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾، قال
مقاتل: أو لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ لَآئِهَ عَلَىٰ
كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه
شيء.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾، في شك من البعث، ﴿أَلَا إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ﴾، أحاط بكل شيء علماً.

سورة الشورى

مكية وهي ثلاث وخمسون آية.
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿١﴾ - ﴿حَدَّثَنَا﴾، سئل
الحسين بن الفضل: لِمَ تَقْطَعُ حَمَ
عَسَقَ وَلَمْ يَقْطَعْ كَهَيْعَصَ؟ فقال:
لأنها سور أوائلها حَمَ، فجرت
مجري نظائرها فكان حَمَ مبتدأ
وعسق خبره، ولأنهما عُدَا آيتين،
وأخواتها مثل «كهيعص» و«المص»
و«المر» عُدَّتْ آية واحدة.
وقيل: لأن أهل التأويل لم
يختلفوا في «كهيعص» وأخواتها

غَلِيظٌ. ﴿١﴾ ﴿وَلَا أَتَيْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ
وَنَآءً بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو
دُعَاوٍ عَرِيضٍ﴾، كثير والعرب تستعمل
الطول والعرض في الكثرة، يقال:
أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض،
أي أكثر.
﴿٢﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ
هَذَا الْقُرْآنَ مِن عِندِ اللَّهِ ثُمَّ
كَفَرْتُمْ بِهِ مِن أَهْلٍ مِّنْهُ هُوَ فِي
شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، خلاف للحق بعيد
عنه أي فلا أحد أضل منكم.
﴿٣﴾ ﴿سَرُّبِهِمْ أَلَيْسَ فِي آفَاقٍ﴾،
قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني
منازل الأمم الخالية. ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾،
بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في
الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي
أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد
والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق
ما يفتح من القرى على محمد ﷺ

﴿أَذْنَاكَ﴾، أعلمناك، ﴿هَآؤُنَا مِن شَيْبَةٍ﴾، أي من شاهد بأن لك
شريكاً لما عاينوا العذاب تبرأوا من
الأصنام.
﴿٤﴾ ﴿وَوَصَّلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا
يَدْعُونَ﴾، يعبدون، ﴿مِن قَبْلُ﴾، في
الدنيا ﴿ووظنوا﴾، أيقنوا، ﴿هَآؤُنَا مِن نَّجْمٍ﴾، مهرب.
﴿٥﴾ ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنسَانُ﴾، لا يمل
الكافر، ﴿مِن دَعَاوِ الْغَيْبِ﴾، أي لا
يزال يسأل ربه الخير، يعني المال
والغننى والصحة، ﴿وَلِإِن مَّسَّهُ
الشَّرُّ﴾، الشدة والفقر، ﴿فَيَوَّسْ﴾،
من روح الله، ﴿فَنُصِطُّ﴾، من
رحمته.
﴿٦﴾ ﴿وَلَيْنَ أَدْقَنَتهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾،
آتيناه خيراً وعافية وغمى، ﴿وَبَدَّ
حُزْنَهُ مَسْتَهْ﴾، من بعد شدة وبلاء
أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَآؤُنَا﴾، أي

أنها حروف التهجي لا غير .
واختلفوا في «حم» فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها حم أي قضى ما هو كائن، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حم حلمه، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها.

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: حم حرب يعز فيها الدليل ويذل فيها العزيز من قريش، م مالك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سيء، يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه .
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه «حم عسق» .

فذلك قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُرْسِئُ إِلَيْكَ﴾، وقرأ ابن كثير ﴿يُوحِي﴾ بفتح الحاء وحقته قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَلَوْلَا الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وعلى هذه القراءة قوله: ﴿كَانَ الْغَيْثُ الْمَكِيدُ﴾ تبين للفاعل، كأنه قيل من يوحى؟ فقيل الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون ﴿يُوحِي﴾ بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب.

١ - ﴿لَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَفَرَّ اللَّعْلُ الْعَظِيمُ﴾ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِن تَوَاقُفٍ، أي كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ

وَلَدًا﴾ نظيره في سورة مريم [٨٨]: ﴿وَقَالُوا أَتُخَذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنهُ .
﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾، من المؤمنين، ﴿إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

٢ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم.

٣ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾، مكة، يعني أهلها، ﴿وَمِن حَوْلِهَا﴾، يعني قرى الأرض كلها، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين، ﴿لَا رَبَّ فِئَةٍ﴾، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون. ﴿فَرِيقٌ فِي الْمَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي النَّعِيمِ﴾ .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، ثنا أبو منصور الخمشاذي ثنا أبو العباس الأصم، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي، ثنا بشر بن بكر، حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الزاهر، حدثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

قال الشعلبي: وأخبرنا أبو

عبدالله بن فنجويه الدينوري، ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، [ثنا] هشام بن القاسم، ثنا ليث، حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي، عن عبدالله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان، فقال: «أندرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله [لا أن نخبرنا]، فقال «للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأضلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأضلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، قال عبدالله بن عمرو: فقيم العمل إذا يا رسول الله؟ فقال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْمَنَّةِ﴾ فضل من الله، ﴿وَفَرِيقٌ فِي النَّعِيمِ﴾ عدل من الله عز وجل» .

٤ قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيَافِئَكُمْ فِيهِ أَنْتُمْ
تَشْتَوُونَ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَمْ يَخْلُقْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِئْسَ الظَّنُّ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ ۚ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوا الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَعِيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُصِّي بَيْنَهُمْ وَلَكِنِ الدِّينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادَعُ أَهْلَ الْوَعْدِ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَلْفُتْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلَمَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ إِنَّا أَعْمَلْنَا لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

الذي يحكم بين المختلفين
هو، ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ﴾
وَأَلَيْسَ أَلَيْسَ

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، من مثل
خلقكم حلال، قيل: إنما
قال من أنفسكم لأنه خلق
حواء من ضلع آدم. ﴿وَمِنْ
الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً
ذكوراً وإناثاً،
﴿يَذُرُكُمْ فِيهِ﴾، يخلقكم،
﴿فِيهِ﴾، أي في الرحم.
وقيل: في البطن. وقيل:
في هذا الوجه من الخلق.
قال مجاهد: نسلًا بعد

نسل من الناس والأنعام. وقيل:
«في» بمعنى الباء أي يذروكم به.
وقيل: معناه يكثرهم بالتزويج.
﴿لِيَافِئَكُمْ فِيهِ﴾، المثل صلة
أي ليس هو كشيء فادخل المثل
للتوكيد، كقوله: ﴿إِنَّمَا آمَنَوا بِبَيْتِ مَا
آمَنَتم بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقيل:
الكاف صلة، مجازة ليس مثله شيء.
قال ابن عباس رضي الله عنهما:
ليس له نظير ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَمْ يَخْلُقْ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾، مفاتيح الرزق في
السموات والأرض. قال الكلبي:
المطر والنبات ﴿بِئْسَ الظَّنُّ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأن مفاتيح الرزق
بيده، ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

لجميعهم أمه وحده، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: على دين واحد.
وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله
تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَكِنِ
يُتَخَلَّفُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾، في دين
الإسلام، ﴿وَالْقَالُونَ﴾، الكافرون،
﴿فَمَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾، يدفع عنهم
العذاب، ﴿وَلَا ضَيْرٍ﴾، يمنعهم من
النار.

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، بل اتخذوا أي
الكافرون، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، أي من
دون الله، ﴿أَوَلَيْسَ فَالَهُ هُوَ الرَّزْقُ﴾، قال
ابن عباس رضي الله عنهما: وليك يا
محمد وولي من أتبعك، ﴿وَهُوَ يُحْيِي
الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾،
من أمر الدين، ﴿فَتَحْكُمُوا إِلَى اللَّهِ﴾،
يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل
الذي يزيل الريب، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ﴾.

الشرعية، قال مجاهد: أوصيناك وإياه
يا محمد ديناً واحداً. ﴿وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، من القرآن وشرائع
الإسلام، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، واختلفوا في وجه
الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال
وتحريم الحرام. وقال الحكم:
تحريم الأمهات والبنات والأخوات.
وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا
أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
والإقرار بالله الطاعة له، فذلك دينه
الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد
والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما
ذكر من بعد وهو قوله: ﴿لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، بعث الله
الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة
والجماعة وترك الفرقة والمخالفة،
﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ﴾، من التوحيد ورفض الأوثان
ثم قال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ
يَشَاءُ﴾، يصطفي لدينه من عباده من
يشاء، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾،
يقبل إلى طاعته.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾، يعني أهل
الاديان المختلفة، وقال ابن عباس
رضي الله عنهما: يعني أهل الكتاب
كما ذكر في سورة المنفكين: ﴿وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ [البينة: ٤]، الآية. ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم
فعلوا ذلك، ﴿بَعِيَا بَيْنَهُمْ﴾، أي
للبغي، قال عطاء: يعني بغياً بينهم
على محمد ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير
العذاب عنهم، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾،

وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَهُمْ يَخْشَوْنَ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِمْ فَهُمْ يُكْسِفُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهُم بِشَيْءٍ عَالِمًا إِذْ فَضَحُوا عَنْهُمْ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهُم بِشَيْءٍ عَالِمًا إِذْ فَضَحُوا عَنْهُمْ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهُم بِشَيْءٍ عَالِمًا إِذْ فَضَحُوا عَنْهُمْ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهُم بِشَيْءٍ عَالِمًا إِذْ فَضَحُوا عَنْهُمْ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهُم بِشَيْءٍ عَالِمًا إِذْ فَضَحُوا عَنْهُمْ قِيَامَ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ ﴿٢٠﴾

نبيكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم، ﴿١٥﴾ بعد ما استجب لهم، أي استجاب له الناس فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، ﴿١٦﴾ خصومتهم داجئة، ﴿١٧﴾ عند ربهم وعليتهم باطلة، ﴿١٨﴾ وكلهم عذاب شديد، في الآخرة.

﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَاتِ، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل، وسمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء، وتهى عن البخس، ﴿وَمَا يَذْكُرْكَ لَئَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازة: الوقت قريب. وقال الكسائي: إتيانها قريب.

﴿١٨﴾ قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيباً: متى تكون الساعة فانزل الله هذه الآية ﴿يَسْتَغِيلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، ظناً منهم أنها غير آتية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾، أي خائفون، ﴿وَمَنْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَآتِي﴾، أنها آتية لا ريب فيها، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ﴾، يخاصمون وقيل تدخلهم الحمية والشك، ﴿فِي السَّاعَةِ لَئِي سَلَكِ بَعِيدٌ﴾.

﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَكُونُ، قال

وهو يوم القيامة، ﴿لَتَقْبَلَنَّ مِنْ يَدِهِ﴾، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿وَلَا الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ﴾، يعني اليهود والنصارى، ﴿وَمَنْ يَدْرِي﴾، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة: معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. ﴿لَئِي سَلَكِ يَتَّ مُرِيبٌ﴾، أي من محمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ فَلِلَّهِ الْقَادِرُ، أي فالى ذلك كما يقال دعوت إلى فلان وفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد، ﴿وَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ﴾، أي أثبت على الدين الذي أمرت به، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾، أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿وَأُفَرِّقُ لِأَحِبِّائِي بَيْنَكُمْ﴾، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالٌ وَلَكُمْ أَعْمَالٌ﴾، يعني إلهاً واحداً وإن اختلفت أعمالنا فكل يُجازى بعمله، ﴿لَا حِيَةَ﴾، لا خصومة، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، نسخها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾، في المعاد لفصل القضاء، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي اللَّهِ، يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل

ابن عباس رضي الله عنهما: حفي بهم. قال عكرمة: بار بهم. قال السدي: رفيق. قال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم، يدل عليه قوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢]، فكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر بن محمد الصادق: اللطف في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة. ﴿وَهُوَ الْقَرُّوُ الْمَرِزُ﴾.

﴿٢٢﴾ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ، الحَرْث في اللغة: الكسب، يعني من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿وَرَزَقَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء من الزيادة، ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ

بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طائوساً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، قال سعيد بن جبير: قرىب آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: عجلت أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

وكذلك روى الشعبي وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي. وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك رضي الله عنهم، وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذابون.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، وهذا قول الحسن، قال: هو القرىب إلى الله، يقول إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

واختلفوا في قرابته [وقيل هم] فاطمة الزهراء وعلي وابناهما وفيهم نزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وروينا عن يزيد بن حيان عن

قوله تعالى: ﴿٢١﴾ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِمَّا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ، يعني كفار مكة، يقول أم لهم آلهة سئوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ أَفْضَلُ﴾، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: ﴿يَكِلُ الشَّأْنُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]،

﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، ﴿وَرَأَى الْأَغْلِيالِينَ﴾، المشركين، ﴿مِمَّنْ عَذَابُ آلِيمٍ﴾، في الآخرة.

﴿٢٢﴾ تَرَى الْأَغْلِيالِينَ﴾، المشركين يوم القيامة، ﴿مُشْفِقِينَ﴾، وجلين، ﴿مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾، جزاء كسبهم واقع بهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٢٣﴾ ذَلِكَ الَّذِي﴾، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، بأنهم أهله، ﴿فَلَا تَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا تَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُمُهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَ عَلَى اللَّهِ كِتَابًا فَلَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بَخْسَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخْلِقُ الْحَقَّ يَكُونَتِ عَيْنُهُمْ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ الْقَوْلَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْلَمُ أَعْنَ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلْتُمْ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَجِبْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَرْزُقُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِمَا دُونَ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْقَبْطَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَوْمَ نَكْتُمُوهُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا يَشَاءُ نَدِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا تُصِيبُوا بِهَا نَارًا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ وَتَعْمَلُوا فِيهَا كَثِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَتَتْكُمْ مَعْجِرَةٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٠﴾

الَّذِي﴾، يريد بعمله الدنيا، ﴿تَزِيدُهُ مِنْهَا﴾، قال قتادة: أي نوته بقدر ما قسم الله له، كما قال: ﴿عَمَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِنَمُنُّهُ﴾ [الإسراء: ١٨]. ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، لأنه لم يعمل للآخرة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي، ثنا محمد بن يوسف الفريابي، ثنا سفيان عن المغيرة، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشرت هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب».

زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: مَنْ أهل بيته؟ قال: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن عبد الوهاب، ثنا خالد، ثنا شعبة عن واقد قال: سَمِعْتُ أَبِي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال: اِرْقَبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفرقوا في جاهلية ولا في إسلام.

وقال قوم: هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه، فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿وَمَا أَنتَ لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٨٠]، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧]، فهي منسوخة بهذه الآية، ويقولوه: ﴿قُلْ مَا أَنتَ لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [الزمر: ٨٦]، وغيرها من الآيات،

وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم، والحسين بن الفضل، وهذا قول غير مرضي، لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء. وقوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: لكنني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم.

كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «أذكركم الله في أهل بيتي». قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْقَرْ فَسَنُزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، أي: من يكتسب طاعة نزل له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، الذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾، للقليل من الحسنات حتى يضاعفها.

﴿إِنَّمَا يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني كفار مكة، ﴿إِنَّمَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَحْمِلْهُ عَلَى وَلَدِكَ﴾، قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسبك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية ثم ابتداء فنقل: ﴿وَمَنْعَ اللَّهِ الْكَيْدَ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازة: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع، ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذف من قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء: ١١٥]

[١١] و﴿سَنَعِ الرَّيْبَةَ﴾ [العلق: ١٧] أخبر أن ما يقولون باطل يمحوه الله، ﴿وَيُحْيِي لِلَّذِي يَكْتُمُونَ﴾، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَكُنَّ الصُّدُورُ﴾، قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَى أَجْرٍ إِلَّا الْقَوْلُ فِي الْقُرْبَى﴾، وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم الذين اتهموه: يا رسول الله [فلنا] نشهد أنك صادق.

﴿فَنَزَلَ:﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿وَتَقَبَّلُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ﴾، إذا تابوا فلا يواخذهم بها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة عن سليمان بن الأعمش عن عمارة بن عمير، عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل، أظنه قال: في بدوية مهلكة معه زاحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل فنام فاستيقظ وقد

ضَلَّت راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالوا: ثنا عمر بن يونس، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

﴿وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْيَتَامَىٰ فِيمَحْوَاهَا إِذَا تَابُوا﴾ ﴿وَتَقَرَّبُوا مَا تَفْعَلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص «تفعلون» بالياء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ وبعده ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي ويجيب الذين آمنوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذا دعوه.

وقال عطاء عن ابن عباس:

ويشيب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال أبو صالح عنه: يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله. قال في إخوان إخوانهم. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾، قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمتيناها فأنزل الله عز وجل الآية ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِ﴾، ﴿لَبَعَثُوا﴾، لطفوا وعتوا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: بغيم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس. ﴿وَلَكِنْ يَزِيدُهُمْ﴾، أرزاقهم، ﴿يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾، كما يشاء نظراً منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿إِنَّهُ يَبْدُوهُ خَيْرٌ بِصِيرَةٍ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الضالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي، ثنا صدقة بن عبدالله، ثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال: «يقول الله عز وجل من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت

له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومويداً، إن دعاني أجبت، وإن سألني أعطيت، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إنني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إنني عليم خبير».

﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْفِتْنَةَ﴾، المطر، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾، يعني من بعد ما يش الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته، ﴿وَيَشْرُرُ رَحْمَتَهُ﴾، ييسط مطره، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾، لأهل طاعته، ﴿الْحَبِيلَةَ﴾، عند خلقه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ فِيهِنَّ﴾، فإِنَّهُمَ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، يعني يوم القيامة.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يعني المنتصرين، ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾، بعقوبة ومواخظة.

﴿إِنَّمَا النَّيِّلُ عَلَى الَّذِينَ يُظْلِمُونَ﴾ أي يبدؤون بالظلم، ﴿وَيَوْمُونَ فِي الْأَرْضِ يَقْتِرِ الْخَوِيُّ﴾، يعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَصَفَرَ﴾، فلم ينتصر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الصبر والتجاوز، ﴿لَيَنْ عَزْرُ الْأُمُورِ﴾، حقها وحزمها. قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزماً.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ يَنْ يَدِيرُ﴾، فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله، ﴿وَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾، يوم القيامة، ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرْءٌ مِنْ سَبِيلٍ﴾، يسألون الرجعة في الدنيا.

﴿وَرَبُّهُمْ يَمْشُرُونَ عَلَيْهِمَا﴾، أي على النار، ﴿خَشِيعِينَ﴾، خاضعين متواضعين، ﴿مِنَ الذَّلِّ يَظْهَرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾، خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلك في أنفسهم. وقيل: ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف من الذل. وقيل: إنما قال: ﴿مِنَ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل: معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً والنظر بالقلب خفي. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا

ففي هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكثهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

﴿وَيَعْرَؤُا سَيِّئَةَ سِنَتِهِمْ﴾، سمي الجزاء سيئة وإن لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل: يعني القصاص في الجراحات والدماء. قال مجاهد

والسدي: هو جواب القبيح إذا قال له أحد: أخزأك الله تقول أخزأك الله، وإذا شتمك فاشتمة بمثلها من غير أن تعتدي. قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الشوري ما قوله عز وجل: ﴿وَيَعْرَؤُا سَيِّئَةَ سِنَتِهِمْ﴾، قال: أن يشتمك رجل فتشتمه، أو أن يفعل بك فتفعل به، فلم أجد عنده شيئاً فسألت هشام ابن حجية عن هذه الآية، فقال: الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه. ثم ذكر العفو فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، عن ظلمه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، بالعفو بينه وبين ظالمه، ﴿فَلْيَجْرِ عَلَى اللَّهِ﴾، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين يبدؤون بالظلم.

وَرَبُّهُمْ يَمْشُرُونَ عَلَيْهِمَا خَشِيعِينَ مِنَ الذَّلِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا لَنَخْسِرُكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ بَصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٣٩﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ مَنَارَ حِمَّةٍ فَأَعَمَّاهُمْ لِنَفْثِهِمْ سِنِينَ ﴿٤١﴾ يَمَاقِدُ مَاتَ بِهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٢﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ أُنثَاهُ وَهُمْ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورُ ﴿٤٣﴾ أَوْزَرُوهُمْ ذِكْرَانَا إِنَّا نَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً عَلَيْهِمْ ذِكْرٌ ﴿٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِشِرَارٍ أَنْ يَكْلَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَجْهًا أَوِينَ وَرَأَى جِبَابَ أَوْرُسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٤٥﴾

بالجمع، وقد ذكرنا معنى الكبار في سورة النساء. ﴿وَالْفَوْحُ﴾، قال السدي: يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحد. ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنزَلَتْهُمْ شُرُوعًا وَنُتُبًا﴾، يتشاورون فيما يدور لهم ولا يعملون ﴿وَمَا زَكَّاهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِنَّا مَسَّحْنَاهُمُ الْأَبْغَاءَ﴾، الظلم والعدوان، ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية. قال إبراهيم:

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَأَنَّا كُنَّا نَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ
يَكُنْ لَكُمْ مَنَافِيَ السَّمَكُوتِ وَمَنَافِيَ الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تُصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٧﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥٨﴾ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿٥٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّمَا فِي الزَّكَاةِ لَدِينَا
لَعَلَّكُمْ تَحْكُمُونَ ﴿٦١﴾ أَفَصْرَبْتُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ وَصَحَّفَا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴿٦٢﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦٣﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاثُورًا يُنْتَهَرُونَ ﴿٦٤﴾
فَأَقْبَلَكُمُ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَنَحْنُ الْمَوَّلُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْمَلَائِكَةُ ﴿٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٥٨﴾ أَوْ يُرْجِعُهُمْ ذَكَرْنَا
وَأَنشَأْنَا، يجمع له بينهما
فيولد له الذكور والإناث،
﴿وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ
عَقِيماً﴾، فلا يلد ولا
يولد له. قيل: هذا في
الأنبياء عليهم السلام
﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً﴾
يعني لو طأ لم يولد له ذكر
إنما ولد له ابنتان،
﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذَّكَورَ﴾، يعني إبراهيم
عليه السلام لم يولد له
أنثى، ﴿أَوْ يُرْجِعُهُمْ ذَكَرْنَا
وَأَنشَأْنَا﴾ يعني محمد ﷺ
ولد له بنون وبنات،
﴿وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ يحسبى
وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما،
وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة
في حق كافة الناس. ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ
قَرِيرٌ﴾.

﴿٥٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ
لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾، وذلك
أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا
تكلم الله وتنتظر إليه إن كنت نبياً كما
كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم
ينظر موسى إلى الله عز وجل،
فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ يوحى إليه في
المنام أو بالإلهام، ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ
حِجَابٍ﴾، يسمعه كلامه ولا يراه كما
كلمه موسى عليه الصلاة والسلام،
﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، إما جبريل أو
غيره من الملائكة، ﴿فَيُوحِي بِأُذُنِهِ
مَا يَشَاءُ﴾، أي يوحى ذلك الرسول
إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء،

لَخَشِيَةِ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، قيل: خسروا أنفسهم
بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن
صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿إِلَّا إِنْ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَّةٍ
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾، طريق إلى الصواب
والى الوصول إلى الحق في الدنيا
والجنة في العقبى قد انسد عليهم
طريق الخير.

﴿٦١﴾ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾، اجيبوا
داعي الله يعني محمداً ﷺ، ﴿وَمَنْ
قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ
عَذَابِ اللَّهِ﴾، لا يقدر أحد على دفعه وهو
يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ
تُلْجَأُونَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ
نَكِيرٍ﴾ من منكر غير ما بكم.

﴿٦٢﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾، عمن
الإجابة، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا
إِنْ عَلَيْهِمْ﴾، ما عليك، ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ
وَأَنَّا إِنَّا آذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾،
قال ابن عباس: يعني الغنى
والصحة. ﴿فَرِحَ بِمَا كَانَ فُتِنَهُمْ
سَيِّئَةً﴾، فحط، ﴿يَمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾، أي لما تقدم
من نعمة الله عليه ينسى ويوجد بأول
شدة جميع ما سلف من النعم.

﴿٦٣﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ﴾، له التصرف فيهما بما
يريد، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
إِنشَاءً﴾، فلا يكون له ولد ذكر،
قيل: من يمن المرأة تبكيراها بالأنثى
قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ
بالإناث، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذَّكَورَ﴾، فلا يكون له أنثى.

قرأ نافع: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ برفع اللام
على الابتداء، ﴿فَيُوحِي﴾ ساكنة
الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام
والياء عطفًا على محل الوحي لأن
معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا أن يوحى إليه أو يرسل رسولاً.
﴿إِنَّمَا عَلَى حَكِيمٍ﴾.

﴿٦٤﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما أوحينا
إلى سائر رسلنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا
مِّنْ أَمْرِنَا﴾، قال ابن عباس: نبوة.
وقال الحسن: رحمة. وقال السدي
ومقاتل: وحياً. وقال الكلبي: كتاباً،
وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن
دينار: يعني القرآن. ﴿مَا كُنْتَ
تَدْرِي﴾، قبل الوحي، ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ﴾، يعني شرائع الإيمان
ومعامله.

قال محمد بن إسحاق بن
خزيمة: الإيمان في هذا الموضع
الصلاة، ودليله قوله عز وجل: ﴿وَمَا

كَانَ اللَّهُ يُصِيعُ إِيْسَنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا﴾ قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿تَهْدِي بِهِ﴾، نرشد به، ﴿مَنْ نُّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَلَكُمْ تَهْدِي﴾، أي لتدعو، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني الإسلام.

﴿٥٣﴾ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُن فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ آيَاتُ اللَّهِ تُبَيِّنُ الْأُمُورَ﴾، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.

سورة الزخرف

مكية وهي تسع وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْكَبِيرِ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.
﴿٣﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قوله جعلناه أي صيرنا [قراءة] هذا الكتاب عربياً. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال: جعل فلان زبيداً أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَتَهُكَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّتَاءُ﴾ [الزخرف: ١٩] وقوله: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، وقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْمَآءِ﴾ [التوبة: ١٩]، كلها

بمعنى الوصف والتسمية.

﴿١﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾، يعني القرآن، ﴿فِي أُرِّ الْكِتَابِ﴾، في اللوح المحفوظ قال قتادة: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله.

قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ ﴿وَلَقَدْ﴾ في أُرِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج: ٢٢]. ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلني رفيع شريف محكم من الباطل.

﴿٥﴾ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا عرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائلته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله. وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين.

قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طياً فلا تدعون ولا

توعظون. وقال الكلبي: أفترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم. قال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم. ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَكْثَرُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم [قوماً] مسرفين مشركين.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاوُؤًا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، أي وما كان يأتيهم، ﴿مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاوُؤًا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كاستهزاء قومك بك، يعزي نبيه ﷺ.

﴿٨﴾ ﴿فَأَقْصَىٰ شَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، أي أقوى من قومك، يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿وَمَنْ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي صفتهم وستهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الأهلاك.

﴿٩﴾ ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ﴾، أي سألت قومك، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْغَلِيْمُ﴾، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى ههنا تم الأخبار عنهم ثم ابتداً دالاً على نفسه بصنعه فقال:

﴿١٠﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لِمَلَكُمُ تَهْتَدُونَ﴾. إلى مقاصدكم في أسفاركم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نُنذِرَكُم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ أُولَئِكَ جُنُودُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُهُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢١﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُم فَاظْفُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَُرْجِعُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ سَمِعَتْهُ لَوَّاهٌ وَإِيسَاءُ ثُمَّ خَلَّاهُ مِنْ حُبِّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولُهُ نَبِيٌّ ﴿٢٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا بَشَرٌ أَتَانَا بِهِ كَذِبُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٨﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَن قَوْمٍ لَّمْ يَلْمَسْهُمْ فِي مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَعَدْنَاهُمْ قَوْمٍ بِبَعْضِ دَرَجَاتٍ لَّيْسَ بِخَدِّبَتِهِمْ بَعْضًا سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَمِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣١﴾

يدريكم أنهم إناث؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾، عنها في الآخرة.

﴿٢٠﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني الأوثان وإنما لم يجعل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاء منا بعبادتها، قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، فيما يقولون ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا بعبادتها، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

﴿٢١﴾ ﴿أَمْ مَا يَنْصُرُكُمْ كَيْتَابٌ مِنَ قَبْلِهِ﴾، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿فَهُمْ بِهِ سَائِسُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نُنذِرَكُم مُّقْتَدِرُونَ﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الأولين مهتدين.

﴿٢٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نُنذِرَكُم مُّقْتَدِرُونَ﴾، بهم.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: ﴿قال﴾ على الخبر، وقرأ

الآخرون ﴿قل﴾ على الأمر، ﴿أُولَئِكَ جُنُودُكُمْ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿جنتاكم﴾ على الجمع، والآخرون ﴿جنتكم﴾ على الواحد، ﴿بأهدى﴾، بدين أصوب، ﴿وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، قال الزجاج: قال لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جنتكم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوه. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿فَاتَّقِنَا مِنْهُم فَاظْفُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، أي بريء، ولا يشئى البراء ولا يجمع ولا يؤث لأنه مصدر وضع موضع النعت. ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾، يرشدني لدينه.

﴿٢٨﴾ ﴿وَجَعَلَهَا﴾، يعني هذه الكلمة، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ﴾ [في ذريته]، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرطبي: يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها نبيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقال ابن زيد: يعني قوله: ﴿أَسْلَمْتُ رِيبَ الْكَلْبَيْنِ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقرأ: ﴿هُوَ سَتَكُنُّبُ السَّالِيلِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿لَعَلَّهُمْ يُرْجِعُونَ﴾، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم، وقال السدي:

وأبو عمرو ﴿عند الرحمن﴾ بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: ﴿بَلْ عِصَا مُكْرِمَاتٍ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقرأ الآخرون: ﴿عند الرحمن﴾ بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] الآية: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة على ما يسم فاعله، ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا، وهذا كقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصفات: ١٥٠]، ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾، عنها.

قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: ﴿ما

لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل.

﴿يَلِ مَمَتٌ هَكَذَا رَبَّاهُمْ﴾،
يعني المشركين في الدنيا، ولم
أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم،
﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْغَوْ﴾، يعني القرآن،
وقال الضحّاك: الإسلام. ﴿وَرَسُولٌ
مِّنْهُمْ﴾، يبين لهم الأحكام وهو
محمد ﷺ، وكان من حق هذا
الأنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا،
وعصوا.

(٢٦) (٢٥) وهو قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ
 الْمُرْسَلُونَ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا هَذَا
 سِحْرٌ وَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ
 هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ
 عَظِيمٍ﴾، يعنون الوليد بن المغيرة من
 مكة، وعروة بن مسعود الثقفي
 بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد:
 عتبة بن ربيعة من مكة، وابن
 عبدالمطلب الثقفي من الطائف. وقيل:
 الوليد بن المغيرة من مكة، ومن
 الطائف حبيب بن عمرو بن عمير
 الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما.

﴿٢٦﴾ قال الله تعالى: ﴿أَمَرَ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، يعني النبوة،
قال مقاتل: يقول: بأيديهم مفاتيح
الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ ثم
قال: ﴿عَنْ قَسَمَاتِ يَتَهُمْ مَعِيَّتَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فجعلنا هذا غنياً وهذا
فقيراً وهذا مالكاً وهذا مملوكاً، فكما
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق
كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة
من شئنا، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ﴾، بالغنى والمال، ﴿لِيَتَّخِذَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُرُبًا﴾، ليستخدم

بعضهم بعضاً فيسخر
الأغنياء بأموالهم الأجراء
الفقراء بالعمل، فيكون
بعضهم لبعض سبب
المعاش، هذا بماله، وهذا
بأعماله، فيلتمم قوام أمر
العالم. وقال قتادة
والضحاك: يملك بعضهم
بمالهم بعضاً بالعبودية
والملك. ﴿وَرَمَتْ
رَبِّكَ﴾، يعني الجنة،
﴿خَيْرٌ﴾، للمؤمنين، ﴿وَمِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾، مما يجمع
الكفار من الأموال.

﴿ ٢٢ ﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، أَي

لولا أن يصيروا كلهم كفاراً
فيجتمعون على الكفر، ﴿أَجْمَعْنَا لِمَنْ
بَكَرَ بِالرَّحْمَنِ الْيُوثَمَ سُقًا مِّنْ
فَضَّةٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر
وأبو عمرو: ﴿سُقًا﴾ بفتح السين
وسكون القاف على الواحد، ومعناه
الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]،
وقرأ الآخرون بضم السين واليَاقاف
على الجمع، وهي جمع سقف مثل
رُحْنٌ وَرُغْنٌ، قال أبو عبيدة: ولا
ثالث لهما. وقيل: هو جمع
سقيف. وقيل: جمع سقوف جمع
الجمع. ﴿وَمَعَاجٍ﴾، مضاعف ودرجاً
من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَلْقَهُرُونَ﴾، يعلون
ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح
إذا علوته.

﴿٣٦﴾ وَلِيُؤْتِيَهُمَ آيَاتِهِ، من فضة،
﴿وَمُرَرَّ﴾ أي جعلنا لهم سرراً من
فضة، ﴿عَلَّامًا بَنَاتٍ﴾.

وَيُسَبِّحُهمْ آدَمُ وَآلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ۚ وَزَكَرَ فَلَقُوا
كُلَّ ذِكْرٍ لَمَّا مَنَّ عَلَى الْخَلْقِ وَذَكَرَ عِندَ رَبِّكَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ عِندَ رَبِّكَ نَفْعًا لَمْ شَأْنًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَأَتَاهُمُ لِيُصَدِّقَهُمْ فِي السَّبِيلِ وَيُحَسِّنَ
أَتَاهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقًّا إِذَا جَاءَ أَقَالَ بَلَيْتَ بُيُوتَ بَنِيكَ
بَعْدَ الْبُشْرَىٰ قَبْلَ الْفَرَقِ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتُحْكَمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ
الصَّهْوَ أَوْ تَهْدِي السَّمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَمَا مَذْهَبُكَ مِنْ أَفَانَتِهِمْ مُتَّفِقُونَ ﴿٤١﴾ أَتُورِثُكَ الْآلِ
وَعَدْتَهُمْ قُلْنَا عَلَيْهِمْ تَفَقُّدُهُ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَسْقَىٰ الْآلِ الْأُخْرَىٰ
إِلَيْكَ أَنْكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا ذِكْرُكَ وَالْقَوْمُ
وَسَوْفَ تَسْتَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَتَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَحْنُ
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِفِعَالِ إِبْرَاهِيمَ رَسُولِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ يَنْتَهَكُونَ ﴿٤٧﴾

﴿وَزُخْرًا﴾، أي وجعلنا مع ذلك لهم زخرفاً وهو الذهب، نظيره: ﴿أَوْ يَكُونُ الْكَسَبُ مِنْ ذُرْوَاهِ﴾ [الإسراء: ٤٩٣]، ﴿وَأَنْ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾، قرأ حمزة وعاصم: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد على معنى: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا فكان: ﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا، وخففه الآخرون على معنى: وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: ﴿إِنْ﴾ للإبتداء، و﴿مَا﴾ صلة، يريد: إن هذا كله متاع الحياة الدنيا، يزول ويذهب، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، خاصة يعني الجنة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي، أنا أبو العباس
عبد الله بن محمد بن هارون
الطيسفوني، أنا أبو الحسن محمد بن
أحمد الترابي، أنا أبو بكر أحمد بن
عمر بن بسطام، أنا أحمد بن سيار

يعني لا يتفعمكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب، وقال مقاتل: لن يتفعمكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

﴿فَأَن تَشِيعَ الْفُتُورُ أَوْ تَهْدَى أَلْفُتًى وَمَنْ كَانَتْ فِي صَلَائِهِ مُبِينٌ﴾، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

﴿فَإِنَّا نَذْهَبُ بِكَ﴾، بأن نميتك قبل أن نعلبهم، ﴿فَإِنَّا نَمُتُّهُمْ مُتْنِمُوتٌ﴾، بالقتل بعدك.

﴿أَوْ رُبِّيكَ﴾، في حياتك، ﴿أَلَيْ وَعَدْتَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقَدِّرُونَ﴾، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة عليهم في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.

وروي أن النبي ﷺ أري ما يُصيب أمته بعده فما زني ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله لنفسه.

﴿فَاسْتَسِمْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾، يعني القرآن، ﴿لَكَ﴾، أي لشرف لك، ﴿وَلَقَوْمِكَ﴾، من قريش، نظيره:

بفتح الشين أي يعم، يقال: عشى يعشى عشيّاً إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿فَقِيضَ لَمْ شَيْطَانًا﴾، قرأ يعقوب: ﴿يَقِيضُ﴾ بالياء، والياقون بالنون، نسب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه. ﴿فَهُوَ لَمْ قَرِينٌ﴾، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني الشياطين، ﴿يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقِيضَ لَمْ شَيْطَانًا﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: ﴿جاءنا﴾ على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءنا، على الثنية يعنون الكافر وقريته قد جعلنا في سلسلة واحدة. ﴿كَآلَ﴾، الكافر لقريته الشيطان، ﴿وَبَلَّيْتُ بَيْتِي وَبَيْتَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العُمران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والاول أصح، ﴿فَلْيَسَّرْ لَّيْسَ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زوج بقريته من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

﴿وَلَنْ يَفْعَلَهُمُ الْيَوْمَ﴾، في الآخرة، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿ذَكَرَ فِي الْمَدَائِدِ مُشْرِكُونَ﴾،

القرشي، ثنا عبدالرحمن بن يونس أبو مسلم، ثنا أبو بكر بن منظور، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله أخبرنا محمد بن إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك، عن مجالد بن سعيد، عن قيس بن [أبي] حازم، عن المستورد بن شداد أخي بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقيوها» من هوائها ألقيوها، قال رسول الله ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أشعو عشواءً إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه، وملت إليه، وملت عنه».

قال القرظي: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف.

وقرأ ابن عباس: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾

﴿قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي شرفكم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، عن حقه وأداء شكره.

روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدي؟ لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا؟ قال: لقريش.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنا».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

وقال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبنی هاشم.

وقيل: «ذكر لك»: شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُشْبِدُونَ﴾﴾، اختلفوا في هؤلاء المسؤولين.

قال عطاء عن ابن عباس: لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال: يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سَلْ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا، الآية،

فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكفيت».

وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل.

وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ وهو قول ابن عباس في سائر الروايات، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتلين يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: «واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ

﴿وَمَا زِدْتُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَأَعْلَمَ لَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ إِنَّا كُفَّاهُكَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ ﴿٥١﴾ وَقَالَ فِي قُورَيْشٍ قَوْمِيهِ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عَلَىٰ قَوْلِ اللَّهِ وَيَنْهَوُا الْأَنْفُسَ فِي قُورَيْشِهِمْ عَنْ قَوْلِ الْفِتْرِ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَوْجُودٌ وَلَا يَكْفُرُ بِهِ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ لُحُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ بِكُتُبٍ مُنْقَرِيَةٍ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَحَقَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ بِهَمٍّ كَأَوْفَرٍ مِنْ دَقِيقٍ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا هَمَّ سَوْفَا أَنْتَقِمَا وَهَمَّ فَأَعْرَفْنَاهُمْ جَمْعِيَّةً ﴿٥٦﴾ فَمَجَّلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَسَّامُورُ بْنُ مَرْزُوقٍ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الرَّاءُ الْهَمْسَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ لِجَدَلٍ أَمْ لَمَّا قَوْمٌ مَّحْمُودُونَ ﴿٥٩﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَدُوٌّ لِّاتِّمَاعٍ آلِيهِ وَصَلَتْنَا مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾

إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٦٣﴾، استهزاء.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا زِدْتُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾، قرينتها وصاحبيتها التي كانت قبلها، ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾، بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى، وعذاباً لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿فَعَلَّمَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم.

﴿٦٥﴾ ﴿وَقَالُوا﴾، لموسى لما عاينوا العذاب، ﴿وَنُفَاتِهِ السَّاحِرُ﴾، يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له، لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفة مدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره.

وقال الزجاج: خاطبوه به لما

وَأَنفَعُ لِمِمْلَكَةٍ لِلشَّاعَةِ فَلَا تَشْرِكْ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا يَصِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عِذْوٌ مِنْهُ وَلَسَاجَةٌ عِيسَى بِالْإِنْسَانِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَنقَرُوا اللَّهَ وَيُطِيعُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ ﴿٥٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَيَجَادُ لَأَقُولُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٥٨﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُ مِنَ الْأَنْسَاءِ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِشْتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦١﴾

﴿أم﴾ بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله ﴿أم﴾، وفيه إضمار مجازة: أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتداء فقال أنا خير، ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿وَلَا يَكَاذِبِينَ﴾ يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ﴾، إن كان صادقاً، ﴿أَسُورَةٌ مِنْ ذَمِّهِ﴾، قرأ حفص ويعقوب ﴿أسورة﴾

جمع سوار، وقرأ الآخرون ﴿أسورة﴾ على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سؤدوا رجلاً سؤروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب علينا طاعته. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾، متتابعين يقارن بعضها بعضاً يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾، أي استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالاً، وقيل: حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه عن رأيه، إذا حمّله على الجهل وأزاله عن الصواب، ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾، على تكذيب موسى، ﴿لَإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿أَنعَ لَنَا رَبُّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ﴾، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فأسأله يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾، مؤمنون، فدعى موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الْمَلَأَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ﴾، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

﴿وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَوِي أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ وَصَرَّ وَكَذِبُوا أَلَا تَهْتَكُونَ﴾، أنهار النيل، ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِي﴾، وقال قتادة: يجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمرى. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، عظمتي وشدة ملكي.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَا خَيْرٌ﴾، بل أنا خير،

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾، أغضبونا، ﴿أَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجعلناهم سلفاً، قرأ حمزة والكسائي ﴿سلفاً﴾ بضم السين واللام.

قال الفراء: هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف، أي تقدم، وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس، وخادم وخدم، وراصد ورصد، وهما جميعاً الماضون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف، إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل: سلفاً لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن يجيء بعدهم.

﴿وَلَمَّا شَرِبَ إِنْهُنَّ مَرَّتَيْنِ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبدالله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي ﴿يصدون﴾ بضم الصاد، أي يعرضون، نظيره قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودَهُ﴾ [النساء: ٦١]، وقرأ الآخرون بكسر الصاد.

واختلفوا في معناه. قال الكسائي: هما لغتان مثل يعرضون ويعرضون، وشد عليه يشد ويشد، ونم بالحديث ينم وينم، وقال ابن

عباس: معناه يضجون. وقال سعيد بن المسيب: يصحون. وقال الضحاك: يعجون. وقال قتادة: يجزعون. وقال القرظي: يضجرون: ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذة إلهاً كما عبدت النصارى عيسى.

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ قال قتادة: «أم هو» يعنون محمداً، فعبده ونطيعه وترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنون عيسى، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿مَا صَرَّوْهُ﴾، يعني هذا المثل، ﴿لَكَ إِلَّا جَلَدٌ﴾، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَسْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] هؤلاء الأصنام. ﴿بَلْ مَرْ قَوْمٌ خَاصُّونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الحمشاوي، أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن نمير، ثنا حجاج بن دينار الواسطي، عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ مَرْ قَوْمٌ خَاصُّونَ﴾.

﴿ثُمَّ ذَكَرَ عِيسَى فَقَالَ:﴾

﴿هُوَ﴾، ما هو، يعني عيسى السلام، ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾، بالنسبة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ آية وعبرة، ﴿لِقَوْمٍ إِسْرِئِيلَ﴾، يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير أب.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكًا﴾، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾، يكونون خلفاء منكم يعمرّون الأرض ويعبدوني ويطيعونني. وقيل: يخلف بعضهم بعضاً.

﴿وَإِنه﴾، يعني عيسى عليه السلام، ﴿لَوَلَّمْ لِّلسَّاعَةِ﴾، يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقاتدة: ﴿وَأَنْتُمْ لَوَلَّمْ لِّلسَّاعَةِ﴾، بفتح اللام والعين أي أماراة وعلامة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام».

ويروى: «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه مصرتان، وشعر رأسه ذهين، ويده حرية وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله

النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا ابن بكير، ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع بن مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»؟

وقال الحسن وجماعة: «وإنه» يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها. ويخبركم بأحوالها وأحوالها، ﴿فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾، فلا تشكن فيها، قال ابن عباس: لا تكذبوا بها، ﴿وَالْيَهُودُ﴾، على التوحيد، ﴿هَذَا﴾، الذي أنا عليه، ﴿صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾، لا يصرفتكم، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، عن دين الله، ﴿إِنَّهُ لَكُرْ عَذُوبٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾، بالنسبة، ﴿وَالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، من أحكام الشريعة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هذا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَهِمْ هَلْ يُنظَرُونَ﴾، هل ينتظرون، ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَشَعَةٌ﴾، فجاءة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٦٧﴾ **الْأَخْلَاقَ**، على المعصية في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، إلا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد، أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير، ثنا ابن عبد الأعلى، عن قتادة، ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي إسحاق أن علياً قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أنني ملائكتك، يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليشن أحكما على صاحبه، فيقول: نعم الأخ، ونعم الخليل، ونعم صاحب، قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أنني غير ملائكتك، فيقول بشن الأخ، وبشن الخليل، وبشن صاحب.

﴿٦٨﴾ **يَتَوَكَّلْ**، أي فيقال لهم يا عبادي، ﴿لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

روي عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين

يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد: ﴿يَتَوَكَّلْ لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرجوها الناس كلهم فبقيها.

﴿٦٩﴾ **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**، فيبأس الناس منها غير المسلمين.

﴿٧٠﴾ فيقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾، تسرون وتنعمون.

﴿٧١﴾ **يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ**، جمع صفحة وهي القصعة الواسعة، ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، ﴿وَفِيهَا﴾، أي في الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص «تشتهيه»، وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الآخرون بحذف الهاء. ﴿وَتَكُنُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَالْعِلَلِ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن المبارك، عن سفيان عن علقمة بن مرثد، عن عبدالرحمن بن سابط قال: قال رجل: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل، فقال: «إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تترك فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت، إلا فعلت»، وقال اعرابي: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ فإني أحب

الإبل، فقال: «يا اعرابي إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتئت نفسك ولذت عينك».

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة إلا نبت مكانها مثلاًها».

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ **إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ**، المشركون، ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ لا يُغْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوُونَ ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَكَادُوا بِتَنَالِكِ﴾، يدعون خازن النار، ﴿لِيَقْبِضَ عَلَيْنَا زُلْزَلًا﴾، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ تَكُونُونَ﴾، مقيمون في العذاب.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يذكره عن أبي أيوب، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون، قال: هانت والله - دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها

بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

﴿٧٨﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ.

﴿٧٩﴾ أَمْ أَمْرُكُمْ، أحكموا، أَتُكْرَهُ، في المكر برسول الله ﷺ، فَإِنَّا مَكْرُومُونَ، محكمون أمراً في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادوا كدتهم مثله.

﴿٨٠﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ بَرْمَهُمْ وَنَجْزِيهِمْ، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿يَكَلِّمُونَ﴾ نسمع ذلك ونعلم، ﴿وَرُسُلَنَا﴾ أيضاً من الملائكة يعني الحفظة، ﴿لَنَسِيحِينَ يَكْتُبُونَ﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فانا أول من عبده فانه واحد لا شريك له ولا ولد. وروي عن ابن عباس: ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي ما كان للرحمن ولد، فانا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل: ﴿إِنْ﴾ بمعنى الجحد: وقال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فانا أول من أعبدته بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: «العبادين» بمعنى الآفنين، يعني أنا أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم. ويقال: معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد إذا أنف أو غضب عبداً. وقال قوم: قل ما يقال: عَبْدٌ فهو عابد، إنما يقال: فهو عبد.

﴿٨١﴾ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون من الكذب.

﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَحْزُومِينَ، في باطلهم، ﴿وَلَيَعْلَمُونَ﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ، قال قتادة: يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَفِي لَكُنُوزِهِ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَالِمِينَ﴾، بمصالحهم.

﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرين بالتاء. ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون «من» في محل الرفع، وقيل: «من» في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بالسبب.

﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

إِنَّ الْمَشْرِيقَ فِي عِلَابِ جَهَنَّمَ خَالِدَةٌ ﴿٨٦﴾ لَا يَمُرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبِيلُونَ ﴿٨٧﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٨٨﴾ وَتَذَكَّرَ اسْمَكَ يَكُنِيَ لِقَاسٍ عَلَيْكَ قَوْلٌ إِذَا تَكْرَّمْتُمْ ﴿٨٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٩٠﴾ أَمْ أَمْرُكُمْ فَإِنَّا مُكْرَمُونَ ﴿٩١﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ بَرْمَهُمْ وَنَجْزِيهِمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٩٣﴾ سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩٤﴾ فَذَرَهُمْ مَحْزُومِينَ وَلَيَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يُوْعِدُونَ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٩٧﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُزَكَّى عَنْ عِبَادَتِهِ. ﴿١٠٠﴾ وَيَقِيلُ يَرْبِّ، يعني قول محمد ﷺ شاكية إلى ربه يا رب، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، قرأ عاصم وحمة «وقيله» بجر اللام والهاء، على معنى وعنده علم الساعة. وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُزَكَّى، يصرفون عن عبادته.

﴿١٠١﴾ وَيَقِيلُ يَرْبِّ، يعني قول محمد ﷺ شاكية إلى ربه يا رب، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، قرأ عاصم وحمة «وقيله» بجر اللام والهاء، على معنى وعنده علم الساعة. وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

﴿١٠٢﴾ فَاصْصَحْ عَنْهُمْ، أعرض عنهم، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾، معناه: المتاركة، كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصاص: ٥٥]، ﴿فَسَوْفَ يَلْعَنُونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالتاء، وقرأ والباقون بالياء، قال مقاتل: نسختها آية السيف.

ويولد له ولقد خرج اسمه في

الموتى.

وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله يقضي الأفضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر.

﴿١﴾ «أمرأ»، أي أنزلنا أمرأ، ﴿٢﴾ «مِنْ عَيْنًا»، قال الفراء: يُصَب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقاً وأمرأ، أي تأمر أمرأ ببيان ذلك. ﴿٣﴾ «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»، محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»، قال ابن عباس: رافة مني بخلقها ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة، ﴿٦﴾ «وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، رب السموات والأرض وما بينهما، ﴿٧﴾ «قَرَأَ أَهْلَ الْكُوفَةِ: ﴿رَبِّ جَرًّا، رداً على قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، ورفع الآخرين رداً على قوله: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقيل: على الابتداء، ﴿٨﴾ «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ»، أن الله رب السموات والأرض.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ الْأَوَّلِينَ»، من هذا القرآن، ﴿١١﴾ «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ»، يهزؤون به لاهون عنه.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ «فَلْيَقْبِ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»، تقديره: هو عذاب إلهي، ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي: يقولون هذا عذاب أليم.

اختلفوا في هذا الدخان.

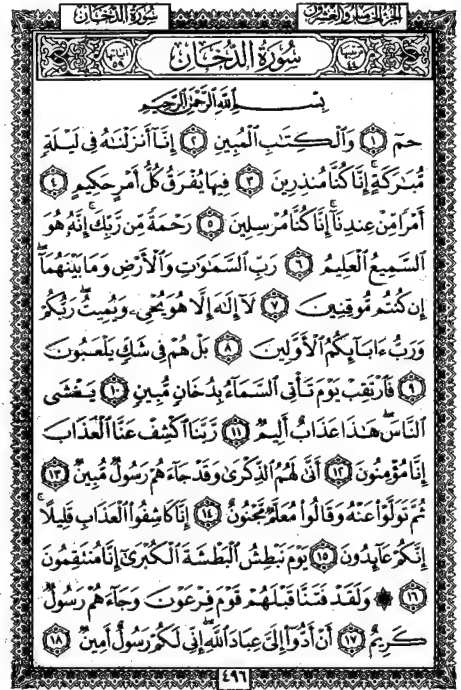
[واسمه مصعب] حدثه

عن القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنساناً في قلبه شحنة أو مشركاً بالله». ﴿١٤﴾ «إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ».

﴿١٥﴾ «فِيهَا»، أي في الليلة المباركة، ﴿١٦﴾ «يُفْرَق»، أي يفصل، ﴿١٧﴾ «كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»، محكم، وقال ابن عباس: يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما

هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والأجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة. وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح



سورة الدخان

مكية وهي تسع وخمسون آية. ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ «حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَتٍ الْقَدْرَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَجْوًاً فِي عَشْرِينَ سَنَةً. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا الأصمعي بن الفرج، أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن كثير، عن سفيان، ثنا منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً [فأخبرته بغضب] فجلس؟ فقال: من علم فليمتل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان. فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فداع الله لهم، فقرأ: ﴿فَارْقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾، يعني يوم بدر، ولزماناً يوم بدر، ﴿الَّتِي غَلَبَتْ أَرْوَمَ﴾، إلى [قوله] ﴿سَيَقِيلُونَ﴾، والروم قد مضى. ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش، قال قالوا:

﴿رَبَّنَا أَكْفِ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿فَارْقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين للزمام والروم والبطشة والقمر والدخان. وقال قوم: هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد، فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيد، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني، ثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، ثنا محمد بن جرير الطبري، حدثني عصام بن رواد بن الجراح، ثنا أبي، أنا أبو سفيان بن سعيد، ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ «أول الآيات الدخان، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن آيين، تسوق الناس إلى المحشر ثقيل

معه إذا قالوا»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخره وأذنيه وديره.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَذِكْرًا﴾، من أين لهم التذكر والانتعاض؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾، ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، أعرضوا عنه، ﴿وَقَالُوا مُعَلَّوْنَ﴾، أي يعلمه بشر، ﴿تَجْمُونَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾، أي عذاب الجوع، ﴿فَلْيَلَا﴾، أي زماناً يسيراً، قال مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿إِنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾، إلى كفرهم.

﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾، وهو يوم بدر، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء، وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، بلونا، ﴿بِقَلْبَةٍ﴾، قبل هؤلاء، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على الله وهو موسى بن عمران.

﴿أَن آذَنَّا لَكَ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، يعن بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، ﴿إِنِّي لَكَز رَسُولٌ بَرِينٌ﴾، على الوحي.

صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم
عمل صالح فتبكي السماء على
فقدته، ولا لهم على الأرض عمل
صالح فتبكي الأرض عليه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله الفنجوي، ثنا أبو علي المقرئ، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أحمد بن إسحاق البصري، ثنا مكي بن إبراهيم، ثنا موسى بن عبيدة الرزدي، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد إلا له في السماء بابان، باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقدها وبكيا عليه»، ثم تلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾.

قال عطاء: بكاء السماء حمرة
أطرافها. قال السدي: لما قتل
الحسين بن علي بكى عليه السماء
وبكاؤها حمرتها، ﴿وَمَا كَانُوا
يَنْظُرُونَ﴾، لم ينظروا حين أخذهم
العذاب لتوبة ولا لغرها.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نَبِيَّ إِسْرَٰءِيلَ مِنَ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ، قتل الأبناء
واستحياء النساء والتعب في العمل .

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿مِنْ قُرْعَتٍ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُتَرَفِّينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ﴾،
يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿عَلَىٰ﴾،
﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾،
على عالمي زمانهم.

﴿وَالْيَتِيمَ﴾ (٢٣) ﴿وَالْيَتِيمَ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ
بَلَدًا مِثْلَ﴾ ، قال قتادة: نعمة بينه
من فلق البحر وتظليل الغمام، وإنزال
المن والسلوى، والنعمة التي أنعمها

أنت وأصحابك، ﴿هَرَوَّا﴾، ساكناً على حالته وهيئته، بعد أن ضرته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع، اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه اترك البحر راهياً أي ساكناً، فسمي بالمصدر، أي ذا رهو، وقال كعب: اتركه طريفاً. قال قتادة: طريفاً يابساً. قال قتادة: لما قطع موسى البحر وخرج بمن معه من بني إسرائيل فنظر إلى البحر فإذا هو على

حاله لم يلتئم، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، ف قيل له: اترك البحر رهواً كما هو، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾، أخبر [الله] موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه [البحر] كما جاوزة، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ فقال: ﴿كَذَّٰبُكَ أَكْبَرُ﴾، يعني بعد الغرق، ﴿مِن جَنْبٍ وَغَيْرِهِ﴾، ﴿وَرُدُّهُ وَمَقَامُ كَرِيمٍ﴾، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

﴿٧٧﴾ ﴿وَمَعَهُ﴾، ومتعة وعيش لين، ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾، ناعمين، وفاكهين: أشربين بطرين.

﴿٧٨﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾، قال الكلبي: كذلك أفعَل بمن عصاني، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾، يعني بني إسرائيل.

﴿٢٩﴾ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ ، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض أربعين

[illegible]

﴿وَإِنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ﴾، أي لا تجبروا عليه بترك طاعته، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لُبَطْلٌ﴾، ببرهان بين على صدق قلبي، فلما قال ذلك نعوذ بالقتل.

فقال: ﴿قُلْ إِنِّي عُدْتُ إِلَى رَبِّي وَرَبِّكُمْ
أَنْ تَرْجُمُونِ﴾، أن تقتلون، وقال ابن
عباس تستمونني وتقولوا هو ساحر.
وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

﴿وَإِنْ لَرَفُوعًا إِلَىٰ فَاعْتَرِلُونِ﴾،
فاتركوني لا معي ولا علي. وقال
ابن عباس: فاعتزلوا أذاي باليد
واللسان، فلم يؤمنوا.

﴿قَدْ عَلَا رَبُّهُ أَنْ هَذَا قَوْمٌ
مُجْرِمُونَ﴾، مشرکون فاجابه الله وأمره
أن یسری.

﴿۲۳﴾ فقال: ﴿فَأَنْتَرِ بِعَادَىٰ يَلِٰٓٔا﴾،
 أي ببني إسرائيل، ﴿وَإِنَّكُمْ
 سَمُومٌ﴾، يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَرَّ﴾، إذا قطعته

عليهم. قال ابن زيد: ابتلاههم بالرخاء والشدة، وقرأ: ﴿وَيَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْفَيْرِ فَتَنَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، يعني مشركي مكة ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾، إن هي إلا مَوْتُنَا الْأُولَى، أي لا مorte إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها، وهو قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾، بمبعوثين بعد موتنا.

﴿٣٧﴾ ﴿فَأَنَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إن كنتم صَادِقِينَ، أنا نبعث أحياء بعد الموت، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿أَفَمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُنَجِّجُ﴾، أي ليسوا خيراً منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة: هو تبع الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة، وبني سمرقند وكان من ملوك اليمن، سمي تبعاً لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى «تبعاً» لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير، فكذبوه.

وكان من خبره ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب أسعد بن مليك جاء بكرب حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها خلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة، فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن

هؤلاء لكرام فينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما: كعب وأسد من أحبار بني قريظة، عالمان وكانا ابني عم، حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة. فأتاهما مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده مكة، وهذه دار هجرته ومنزل الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي عدوهم.

قال تبع: من يقاتله وهو نبي؟ قالوا: يسير إليه قومه فيقتلون ههنا، فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة، ثم إنهما دعوا إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن، فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا: إنا نذلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة، قال: أي بيت؟ قالوا: بيت بمكة، وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد قط بسوء إلا هلك، فذكر ذلك للأحبار، فقالوا: ما نعلم الله في الأرض بيت غير هذا البيت، فاتخذوه مسجداً وانسك عنده وانحز واحلق رأسك، وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ما ناوأم أحد قط إلا هلك، فأكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله، فلما قللوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح، وكسا

البيت الوضائل، وهو أول من كسا البيت، ونحر بالشعب ستة آلاف بدينة، وأقام به [سنة] أيام وطاف به وحلق وانصرف.

فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكمنا إلى النار.

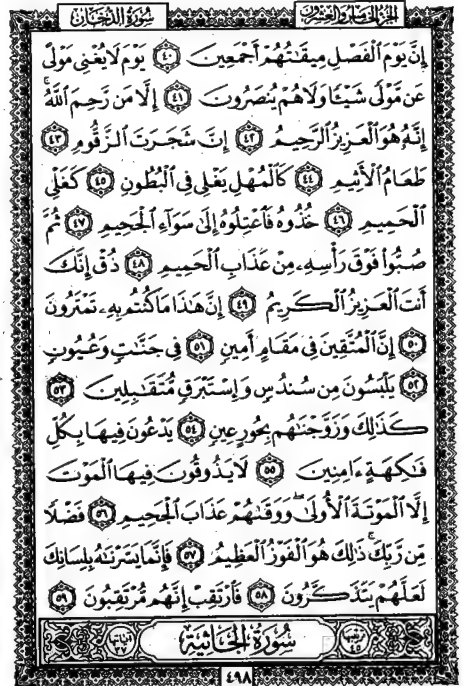
وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير.

وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضربهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصهقت عند ذلك حمير على دينهما، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن.

وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال: كان أبو كرب أسعد الحميري من التبايع آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعماية سنة.

وذكر [لنا] أن كعباً كان يقول: ذم الله قومه ولم يذمه.

وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً.



«ما أدري تبع نبياً كان أو غير نبي».

«وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»، من الأمم الكافرة، «أَفَلَا تَكْتُمُونَ» كانوا تجرمين.

٣٨ - ٣٩ «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْمٌ * مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، قيل: يعني للحق وهو الشواب على الطاعة والعقاب على المعصية. «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

٤٠ «وَإِنَّ يَوْمَ الْقَصْرِ»،

يوم يفصل الرحمن بين العباد، «بِيعْتُهُمْ أَجْمَعِينَ»، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرين.

٤١ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً»، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً، «وَلَا هُمْ يُصْرُونَ»، لا يمنعون من عذاب الله.

٤٢ «إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ»، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، «إِنَّهُمْ هُمُ الْعَزِيزُ»، في انتقامه من أعدائه، «الرَّجِيمُ»، بالمؤمنين.

٤٣ - ٤٤ «إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُودِ * طَعَامٌ لِلْإِنْسِ»، أي ذي الإنث، وهو أبو جهل.

٤٥ - ٤٦ «كَالْمُهْلِ»، هو دردي الزيت أسود، «يَتَلَفَى فِي الْبُطُونِ»، قرأ ابن كثير وحفص «يَتَلَفَى» بالياء، جعل الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، «فِي الْبُطُونِ»، أي بطون الكفار،

«كَتَلَى الْحَبِيرِ»، كالماء الحار إذا اشتد غليانه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو بكر العبدوسي، أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، ثنا سليمان بن يوسف، ثنا وهب بن جرير، ثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره».

٤٧ قوله تعالى: «خُذُوهُ»، أي يقال للزبانية: خذوه يعني الأثيم، «فَاعْتَلَوْهُ»، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلاً، إذا ساقه بالعنف والدفع والجبذ، «إِنَّ سَوَاءَ الْحَبِيرِ»، وسطه.

٤٨ «ثُمَّ صُبُّوا قَوْلَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ»، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فيثقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماء حميماً قد انتهى حره.

٤٩ «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ذُقْ»، هذا العذاب، «وَلَا تَكُ»، قرأ الكسائي «أنك» بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول: أنا العزيز الكريم، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، «أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»، عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا حسن بن موسى، ثنا بن لهيعة، حدثنا أبو زرعة عمرو بن جرير عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن أبي شيبه، ثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني، ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكَهْمَةٍ﴾،
اشتهوها، ﴿آمِنِينَ﴾، من نفارها
ومن مضرتها. وقال قتادة: آمنين من
الموت والأوصاب والشياطين.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو
إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن

499

❖ ❖ ❖

وَمِنْ آيَاتِ الْمُبَارَكِ ﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ
وَمِنْ آيَاتِ الْمُبَارَكِ ﴿١٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا
يُكْسَبُ مِنْ دَابَّاتٍ مَائَاتٌ ﴿١٤﴾ قُرْأَنُ حَمْدَةِ

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ رُجُوعٌ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَالتَّوْرَةَ وَزَكَرْنَا مِنْ آلِهَتِهِمْ وَقَضَيْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ ﴿٧﴾ وَأَتَيْنَهُمْ بِمُوسَىٰ مِنْ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْمَوْلُوعُ فَمَا يَتَّبِعُونَ ﴿٨﴾ رَبَّكَ يَقْنُي يَتَّبِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّهُمْ أَنْ يَغْتَاوَنَ عُنَافَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ أَظْلَمَ لِيَنْبُذَهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ هَذَا صِرَاطٌ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُاهُمْ وَمَتَّعْنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْمَافِئِ وَالتَّجْوِزِ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٤﴾

ويعقوب: «تؤمنون»
بالتاء، على معنى قل لهم
يا محمد: فبأي حديث
تؤمنون، وقرأ الآخرون
بالياء.

﴿٧﴾ قَوْلُ لِكُلِّ آفَاكٍ
أَيُّرُ، كذاب صاحب إثم
يعني: النضر بن
الخثار.

﴿٨﴾ - ﴿١٠﴾ رَسَمَ مَا كُنْتَ
اللَّهُ تَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُبْرِئُ مَشْكَرًا
كَانَ لَمْ يَسْمَعْ فَبَيَّرَهُ بِمَلَأَ
الْبَرِّ إِذَا عَلِمَ مِنْ مَا كُنْتَ
قال مقاتل: من القرآن،
«فَبَيَّرَ أَخَذَهَا هَرَبًا أُولَئِكَ لَمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ»، وذكر بلفظ

الجمع رداً إلى «كل» في قوله: «لِكُلِّ
آفَاكٍ أَيُّرُ».

﴿١١﴾ «وَنَرَأَيْهِمْ»، أمامهم،
«جَعَلَهُمْ»، يعني أنهم في الدنيا
يتمتعون بأموالهم ولهم في الآخرة
النار يدخلونها، «وَلَا يُبْرِئُ عَنْهُمْ مَا
كَسَبُوا»، من الأموال، «فَبَيَّرَ وَلَا مَا
أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ»، ولا ما
عبدوا من دون الله من الآلهة، «وَلَمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ».

﴿١٢﴾ «هَذَا»، يعني هذا القرآن،
«هُدًى»، بيان من الضلالة، «وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرِجْ
أَيُّرُ».

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ
لَكَ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ فِيهِ يَأْتِرُهُ وَيَسْخَرُ لَكَ
مِنْ فُلَيْهِ. وَلَمْ تَكُنْ تُشْكِرُونَ» سَخَّرَ لَكَ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ومعنى
تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا، فهو
مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به،

والكسائي ويعقوب «آيات»
«وتصريف الريح آيات» بكسر التاء
فيهما رداً على قوله: «لآيات» وهو
في موضع النصب، وقرأ الآخرون
برفعهما على الاستئناف على أن
العرب تقول إن لي عليك مالا وعلى
أخيك مال، ينصبون الثاني
ويرفعونه، «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»، أنه لا إله
غيره.

﴿١٥﴾ «وَأَخْلَفَ الْبَيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَوَّلَ
اللَّهُ مِنَ السَّحَابِ مِنْ رَدْدِهِ»، يعني الغيث
الذي هو سبب أرزاق العباد، «فَاتَّخَذَ
يَدَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ مَا كُنْتَ
لِقَوْمٍ يَقُولُونَ».

﴿١٦﴾ «رَبَّكَ مَا كُنْتَ اللَّهُ تَتْلُو مَا عَلَيْكَ
يَأْتِي»، يريد هذا الذي قصصنا
عليك من آيات الله نقصها عليك
بالحق، «فَبَيَّرَ حَبِيبٌ بَعْدَ اللَّهِ»، بعد
كتاب الله، «وَأَيُّرُ يُؤْمِنُونَ»، قرأ
ابن عامر وحزمة والكسائي وأبو بكر

«جَمِيعًا مِنْهُ»، فلا تجعلوا لله أنداداً.
قال ابن عباس: «جميعاً منه» كل
ذلك رحمة منه. قال الزجاج: كل
ذلك تفضل منه وإحسان. «وَإِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

﴿١٧﴾ قَوْلُ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ، أي لا
يخافون من وقائع الله ولا يبالون
بقمته.

قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه، وذلك أن رجلاً من بني غفار
شتمه بمكة فهم عمر رضي الله تعالى
عنه أن يبطش به، فأنزل الله هذه
الآية، وأمره أن يغفو عنه.

وقال القرطبي والسدي: نزلت في
أناس من أصحاب رسول الله ﷺ
من أهل مكة كانوا في أدنى شديد من
المشركين، من قبل أن يؤمروا
بالمقاتلة، فشكروا ذلك إلى
رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية
ثم نسخها آية القتال.

«لِيَجْزِيَ قَوْمًا»، قرأ ابن عامر
وحزمة والكسائي «لنجزى» بالنون،
وقرأ الآخرون بالياء، أي
ليجزى الله، وقرأ أبو جعفر
«ليجزى» بضم الياء الأولى وسكون
الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو:
وهو لحن. قال الكسائي: معناه
ليجزى الجزاء قوماً، «بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ».

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
رُجُوعٌ» وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
الْكِتَابَ، التوراة، «وَالْمِيزَانَ وَالتَّوْرَةَ
وَزَكَرْنَا مِنْ آلِهَتِهِمْ مِنَ اللَّاتِئَةِ»، الحلالات يعني

وَالْكَسَائِي وَحَفْص
وَيَعْقُوبُ «سواء»
بالنصب أي نجعلهم
سواء، يعني أحسبوا أن
حياة الكافرين «ومماتهم»
كحياة المؤمنين وموتهم
سواء كلا، وقرأ الآخرون
بالرفع على الابتداء والخبر
أي محياهم ومماتهم سواء
فالضمير فيها يرجع إلى
المؤمنين والكافرين
جميعاً، معناه المؤمن
مؤمن محياه ومماته أي في
الدنيا والآخرة والكافر
كافر محياه ومماته في
الدنيا والآخرة، «سواء ما

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَىٰ هُوَ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ عَلَيْهِ عَنِ صَيْدِهِ
وَعَلَىٰ صَرْوِهِ عَشْرَةً قَمِنْ يَهْدِيهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ وَلَهَا مَوَاطِنُ
إِلَّا الذُّهْرُ وَمَا لَكُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا يَتْلُونَ
عَلَيْهِمْ مَا يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَئِنْ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ إِنَّا
كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلِ اللَّهُ يَجْعَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ أَنَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَبَيْنَهُمَا مِائَةُ صَفِّ السَّيِّدِينَ ﴿٢٠﴾
رَأَىٰ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ ثَنِيَّةً إِلَىٰ شَيْءٍ وَكَانَ الْعَرْشُ ذَاتَ
مَقَالٍ ﴿٢١﴾ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ هَذَا كَيْتَابُنَا عَلَىٰ عَمَلِكُمْ بِالنِّفَاقِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا أَلَيْسَ الْأَوَّلُ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَبَدَّلَ اللَّهُ دِينَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْبَرُّ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ كَرِيماً فَكَانَتْ كُرْهُكُمْ قَوْمًا
تُجْرِمُونَ ﴿٢٥﴾ إِنْ تَقِيلُوا عَنْهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنَقِزُ الْأَعْنَاقَ وَمَنْعُومٌ فَاسْتَيْبَسُوا
يَحْكُمُونَ ﴿٢٧﴾ بَشَسْ مَا يَقْضُونَ، قَالَ
مُسْرُوقٌ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَحْجَكِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ،
لَقَدْ رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ أَوْ كَادَ
أَنْ يَصْبَحَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
يُرِدُّهَا بِرُكْعٍ بِهَا وَيَسْجُدُ وَبِكَيْ:
«مَنْ حَسِبَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ
يُجَاهِلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ» الآية.

﴿٢٧﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالْفَلَاقَ وَتَجَزَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٨﴾.

﴿٢٩﴾ «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَىٰ هُوَ»،
قال ابن عباس والحسن وقتادة:
معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما
يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته لأنه
لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم
ما حرم الله. وقال الآخرون: معناه
اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه
نفسه. قال سعيد بن جبير: كانت

المن والسلوى، «وَفَقُلْتُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ»، أي عالمي زمانهم، قال
ابن عباس: لم يكن أحد من
العالمين في زمانهم أكرم على الله
ولا أحب إليه منهم.

﴿٢٧﴾ «وَوَاقْنَتْهُمْ يَتْلُونَ مِنْ
الْأَمْرِ»، يعني العلم بمبعث
محمد ﷺ وما بين لهم من أمره،
«فَمَا تَتْلَوْنَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَيْنَا يَتْلُوهُ إِنْ رَأَىٰ بَقِيَّةَ يَتْلُوهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

﴿٢٨﴾ «فَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ سُنَّةً وَطَرِيقَةً بَعْدَ
مُوسَىٰ، «فَمَنْ أَتَأْتِرِ»، من الدين،
«فَأَتَيْتُهَا وَلَا تَنْجِي أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ»، يعني مراد الكافرين،
وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع
إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل
منك.

﴿٢٩﴾ فقال جل ذكره: «إِنَّهُمْ كَنْ
يَقُولُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»، لسن
يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن
اتبعت أهواءهم، «فَوَالَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَصْمِهِمْ
أَوْيَاةَ بَعْضِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ».

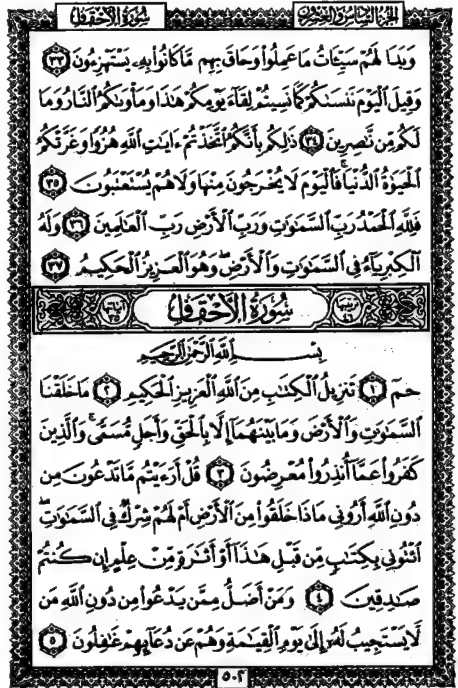
﴿٣٠﴾ «هَذَا»، يعني القرآن،
«صَبْرٌ»، معالِم، «لِلنَّاسِ»، في
الحدود والأحكام يبصرون بها،
«وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

﴿٣١﴾ «لَمْ حَسِبْ»، بل حسب،
«الَّذِينَ اتَّخَذُوا السَّيِّئَاتِ»، اكتسبوا
المعاصي والكفر «أَنْ يَجَاهِلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، نزلت في نفر
من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن
كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في
الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.

«سَوَاءٌ يَجَاهِلُهُمْ» قرأ حمزة

العرب يعبدون الحجارة والذهب
والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من
الأول رموه أو كسروه، وعبدوا
الآخر. قال الشعبي: إنما سمي
الهوى لأنه يهوى بصاحبه في النار.
«وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ»، منه بعاقبة
أمره، وقيل على ما سبق في علمه
أنه ضال قبل أن يخلقه، «وَحَمَّ»،
طبع، «فَلَمْ يَسْتَوِ»، فلم يستمع
الهدى، «وَوَقَّيْهِ»، فلم يعقل
الهدى، «وَوَقَّيْهِ عَلَىٰ صَرْوِهِ عَشْرَةً»،
قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح
الغين وسكون الشين، والباقون
«غشوة» ظلمة فهو لا يبصر الهدى،
«فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ»، أي فمن
يهديه بعد أن أضله الله، «أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ».

﴿٣٢﴾ «وَقَالُوا»، يعني منكري
البعث، «فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ»، أي
ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، «فَوَقَّيْهِ



وَيَا لَهْم سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَخَافَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٥﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسَفْنَا لُوطًا وَنَكُونُ خَرَابًا ﴿٣٦﴾
 لَكُونُوا نَصِيرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كَانُوا فَعَلُوا فِي الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ يَكُنِ فِيهَا مِنَّا شَيْءٌ مِمَّا يَرْكَبُونَ ﴿٣٨﴾
 الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَنْبَتُونَ ﴿٣٩﴾
 فَلِلَّهِ الْمُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ السَّمَاءِ ﴿٤٠﴾ وَلَهُ
 الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٤١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَنْتُمْ بِكُتُبِهِمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرْوُونَ عَلِيمًا كُنْتُمْ
 مُّكِيدِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَسْأَلُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ دُعَاءِ غَافِلُونَ ﴿٥﴾
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ تِلْكَ الْيَوْمَ الْفَيْسَمُ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾

٥٠

الطاهري، ثنا جدي
 عبدالصمد بن عبدالرحمن
 البزاز، أنا محمد بن زكريا
 العذافري، أنا إسحاق بن
 إبراهيم الدبري، ثنا
 عبدالرزاق، أنا معمر، عن
 أيوب عن ابن سيرين،
 عن أبي هريرة رضي الله
 عنه قال: قال
 رسول الله ﷺ: «لا يسب
 أحدكم الدهر فإن الله هو
 الدهر، ولا يقولن للعب
 الكرم، فإن الكرم هو
 الرجل المسلم».

ومعنى الحديث: أن
 العرب كان من شأنهم ذم
 الدهر، وسبه عند النوازل، لأنهم
 كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من
 المصائب والمكاره، فيقولون:
 أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم
 الدهر.

كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا
 يَنْبَغُكَ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ فإذا أضافوا إلى
 الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا
 فاعلها، وكان مرجع سبهم إلى الله
 عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة
 للأمور التي يضيفونها إلى الدهر،
 فنهوا عن سب الدهر.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَأَنَّا نَحْنُ عَلَيْنَهُمْ مَائِدَاتُهَا
 يُسَيِّئُونَ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا
 بِقَائِلَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ قُلِ اللَّهُ
 يَخْتَبِرُكُمْ بِمَا يَسْئَلُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُ لَكَ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ ﴿٢٩﴾، أي ليوم القيامة، ﴿لَا رَبَّ
 فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْتَطِلُونَ﴾، يعني

الكافرين الذين هم أصحاب
 الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم
 خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَبِّي كُلُّ أَشْءٍ جَانِبٌ﴾، بركة
 على الركب، وهي جلسة المخاصم
 بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
 من الله.

قال سلمان الفارسي: إن في
 القيامة ساعة هي عشر سنين، يخر
 الناس فيها جثاة على ركبهم حتى
 إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: لا
 أسألك إلا نفسي. ﴿كُلُّ أَشْءٍ تَدْعُو إِلَيَّ
 كَيْتَبٌ﴾، الذي فيه أعمالها، وقرأ
 يعقوب ﴿كُلُّ أَشْءٍ﴾ بالنصب، ويقال
 لهم، ﴿الْيَوْمَ تَجُزُّونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿هَذَا كَيْتَبٌ﴾، يعني ديوان
 الحفظ، ﴿يَطْلُقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾،
 يشهد عليكم ببيان شاف، كأنه
 ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح
 المحفوظ. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾، أي نأمر الملائكة بنسخ
 أعمالكم، أي بكتبتها وإثباتها عليكم.
 وقيل: نستنسخ أي نأخذ نسخته
 وذلك أن الملكين يرفعان عمل
 الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه
 ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو
 نحو قولهم هلم واذهب، وقيل:
 الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ
 الملائكة كل عام ما يكون [من]
 أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون
 إلا من أصل، فينسخ كتاب من
 كتاب. وقال الضحاك: نستنسخ أي
 نثبت. وقال السدي: نكتب. وقال
 الحسن: نحفظ.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

وَيَسِّرُوا﴾، أي يموت الآباء ويحيا
 الأبناء، وقال الزجاج: يعني نموت
 ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿وَمَا يَنْبَغُكَ
 إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أي وما يفنينا إلا مر
 الزمان وطول العمر واختلاف الليل
 والنهار. ﴿وَمَا لَكُمْ بِذَلِكَ﴾، أي الذي
 قالوه، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾، أي لم يقوله
 عن علم، ﴿إِنْ تَمَّ إِلَّا يَطْرُقُونَ﴾.
 أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد
 المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن
 محمد محمش الزيايدي، أنا أبو بكر
 محمد بن الحسين القطان، ثنا أبو
 الحسن أحمد بن يوسف السلمي، ثنا
 عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن
 منبه، ثنا أبو هريرة رضي الله عنه،
 قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله
 تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر،
 فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار،
 فإذا شئت قبضتهما».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد

الْمَلَكُوتِ يَذِجُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ ذَٰلِكَ
هُوَ الْقَوْرُ الثَّانِي، الظفر الظاهر.

﴿وَأَنَّا الَّذِينَ كَفَرْنَا﴾، يقال
لهم، ﴿فَأَنزَلْنَا نَارًا مِّنَ السَّمَاءِ تَلْقَىٰ عَلَىٰ كُرْسِيِّكَ
فَأَسْكَنْتَهُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، متكبرين
كافرين.

﴿وَأَنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة:
«والساعة» نصب عطفاً على الوعد،
وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء
﴿فَلَمَّا مَا تَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَارُكَ لَأَظْهَرُ
لَنَا﴾، أي ما نعلم ذلك إلا حدساً
وتوهماً. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾، أنها
كانت.

﴿وَبَدَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾، في الدنيا أي
جزاءها ﴿وَصَافَّ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْكَكُ
نَتْرَكُكُمْ فِي النَّارِ، ﴿كَأَنِّي أَخَذْتُ بِوَصْفِكَ
هَٰذَا الْيَوْمَ، ﴿وَمَا تَذَكَّرُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
تَعْمِينَ﴾ ﴿ذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ أَغْلَظْتُ إِلَيْكَ اللَّهُ هَٰذَا
وَعَزَّكَ لِلْمِيزَةِ الدُّنْيَا﴾، حتى قلتم: لا
بعث ولا حساب، ﴿هَٰلِكِينَ لَا يُخْرَجُونَ
مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء
وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الباء
وفتح الراء، ﴿وَلَا لَهُمْ يَسْتَعْتِرُونَ﴾، لا
يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله،
لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبة.
﴿٣٢﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿يَسْتَعْتِرُونَ رَبَّكَ السَّكَوتَ
وَرَبَّ الْأَرْضِ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَاللَّهِ الْكَرِيمُ
فِي السَّكَوتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ السَّكَوتِ
الْعَلِيكُ﴾، العظمة، ﴿فِي السَّكَوتِ
وَالْأَرْضِ وَرَبُّ السَّكَوتِ الْعَلِيكُ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن

محمد القاضي، حدثنا
السيد أبو الحسن
محمد بن الحسين
العلوي، أنا أبو حامد
أحمد بن محمد بن
الحسن الشرقي، ثنا
أحمد بن حفص
وعبد الله بن محمد الفراء
وقطن بن إبراهيم قالوا،
أنا حفص بن عبد الله،
حدثني إبراهيم بن
طهمان، عن عطاء بن
السائب، عن الأغر أبي
مسلم، عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل الكبرياء رائتي،
والعظمة إزاري، فمن نازعني في
واحد منهما أدخلته النار».

سورة الأحقاف

مكية وهي خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٥﴾ ﴿يَوْمَ نَزَّلُ الْكِتَابَ
مِنَ اللَّهِ الْمُبِينِ﴾ ﴿١﴾ ﴿يَوْمَ نَسُفُ السَّكَوتَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَمْدِ وَجَلَّ شَعْرُ﴾ يعني
يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي
إليه السموات والأرض، وهو إشارة
إلى فتائهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا
أُنذِرُوا﴾ خوفوا به في القرآن من
البعث والحساب، ﴿مُخْرَجُونَ﴾.

﴿٢﴾ ﴿يَوْمَ نَسُفُ السَّكَوتَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَمْدِ وَجَلَّ شَعْرُ﴾ يعني
يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي
إليه السموات والأرض، وهو إشارة
إلى فتائهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا
أُنذِرُوا﴾ خوفوا به في القرآن من
البعث والحساب، ﴿مُخْرَجُونَ﴾.

سورة الأحقاف

وَأَذْخِرُ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١﴾ وَإِذَا
نُفِّلَ عَنْهُمْ سَأَلُوا أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ لَعَلَّاهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِّلُهُمْ وَلَٰكِنِ أَفْقَرْتُمْ فَلَا تَسْلُكُونَ
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْقِضُونَ فِيهِ كَفَرْتُمْ بِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِشْرِكِهِ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعِمِنَ الرُّسُلِ
وَمَا أَدْرَى مَا تُفْعَلُونَ وَلَا يَكْرَهُنَّ أَنْبَاءُ الْآمَانِيِّ إِلَىٰ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَانَ مِنَ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِذَلِكَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامُوا وَاسْتَكْبَرُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كُنَّا حُرًّا لَأَنفَقْنَا سِقَوتَ اللَّهِ وَآدَامُتَهُمْ بِهَتْدَاهُ وَهُمْ
فَسِيْقُونَ هَٰذَا أَفَّاكَ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كُتِبَ مُصَدِّقًا لِّمَا نَزَّلَ الْكِتَابَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرُوا بِالْحَسَنَاتِ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا زَيْنًا
أَنَّهُ تَمَّ أَسْتَفْتُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْغَنَةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

٥٠٣

يُثَرِّكُ فِي السَّكَوتِ أَتَقُولُ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ
هَٰذَا﴾، أي بكتاب جاءكم من الله
قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿وَأَن
أُنذِرُ مَنِ عَلِمَ﴾، قال الكلبي: أي
بقية من علم يؤثر على الأولين، أي
يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة
ومقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال
قتادة: خاصة من علم. وأصل
الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال:
أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل
للخبر: أثر إن كنتم صديقين.

﴿١﴾ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾، يعني
الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء
يسألونها، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني
أبداً ما دامت الدنيا، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ﴾، لأنها جملة لا تسمع ولا
تفهم.

﴿٢﴾ ﴿وَأَذْخِرُ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ

وَكَاثُرًا بِبَادِيَتِهِمْ كُفْرًا جاحدين، بيانه قوله: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَتَّبِعُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿٧﴾ وَإِذَا تَلَّٰى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَّبِعْتَنِي قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ، يسمون القرآن سحراً.

﴿٨﴾ أَتَرَىٰ بِقَوْلِ آبَرَةٍ، محمد من قبل نفسه، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ، يَا مُحَمَّد، إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبتني على افتراضي، فكيف أفترى على الله من أجلكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾، [أي] الله أعلم ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿كُلُّ يَوْمٍ تَشِيعُهُ بَغِيٌّ وَإِنِّكَ﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿وَهُوَ الْقَفْوَورُ الرَّجِيحُ﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به.

﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ، أي بديعاً مثل نصف ونصيف، وجمع البدع أبدع، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به،

فأنزل الله ﴿لِيُفَرِّقَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُجِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح: ٥] الآية، وأنزل: ﴿وَيُفَرِّقَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَنَ أَلَّهُ فَضْلًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة، قالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديث، فنسخ ذلك.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيد قال: كانت أم العلاء الأنصارية تقول: لما قدم المهاجرون المدينة: اقترعت الأنصار على سكنتهم، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون في السكنى، فمرض فمرضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي أن قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ «وما يدريك أن الله قد أكرمه؟» فقلت لا والله لا أدري فقال النبي ﷺ «أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» قالت: فوالله لا أزكي بعده أحداً أبداً، قالت: ثم رأيت لعثمان

بعد في النوم عينا تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: «ذاك عمله».

وقالت جماعة: قوله ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى الأرض التي أريت؟ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾، ألتسرك في مكاني أم أخرج ولياكم إلى الأرض التي رفعت لي؟

وقال بعضهم ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، إما أن أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي، وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم [وما أدري ما يفعل بكم] أيها المكذبون، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أم أي شيء يفعل بكم، مما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَبِالنُّورِ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ آلِيهِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩]، وقال في أمته: ﴿وَمَا كَانَتْ

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: ٢٣]، فأخبر الله ما يصنع به وبأمته، هذا قول السدي: «إِنْ أُنِجَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْكَ»، أي ما أتبع إلا القرآن، ولا ابتدع من عندي شيئاً، «وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، معناه: أخبروني ماذا تقولون، «إِنْ كَانَ»، يعني القرآن، «وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ»، أيها المشركون، «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى يَسَّى»، المثل: صلة، يعني عليه، أي على أنه من عند الله «فَأَمَّنْ»، يعني الشاهد، «وَأَسْتَكْبَرْتُمْ»، عن الإيمان به، وجواب قوله: «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» محذوف على تقدير: أليس قد ظلمتم؟ يدل على هذا المحذوف قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، وقال الحسن: جوابه: «فَمَنْ أَضَلَّ مِنْكُمْ» كما قال في سورة السجدة [١٠]. واختلفوا في هذا الشاهد، قال قتادة والضحاك: هو عبدالله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن منير، سمع عبدالله بن بكير، ثنا حميد، عن أنس قال: «سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخرتف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا

نبي: فما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل أتفاء، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ»، [البقرة: ٩٧]، فأما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول الطعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني يبهتوني، فجاءت اليهود فقال لهم: أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبدالله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن يوسف قال: سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن عاصم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على

وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى يَسَّى»، قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث.

قال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران.

وقال الشعبي: قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبدالله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من اليهود، «لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ»، دين محمد ﷺ، «خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ»، يعني عبدالله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان. وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم: قال الله تعالى: «وَرَادَّ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ»، يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان «فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْشَاءُ قَائِلٍ»، كما قالوا أساطير الأولين.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي
 ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَعَاذٍ وَأَنْجَاوُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا بِوَعْدِهِ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لِوَالِدَيْهِ أَفِئْتُمَا لِي كَمَا أَفَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيتَانِ اللَّهَ وَإِلَيْكَ مَعْرَاجُهَا فَأَنذَرْتُهُنَّ يَوْمَ
 مَا هَذَا إِلَّا أَطْوَارُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَفَىٰ عَلَيْهِمْ
 الْغُورُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ كَانُوا
 خَيْرِينَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَعَالِمُهَا وَلِيُؤْمِنَهُمْ أَعْمَالُهم وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَبْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْنَا أَذْهَبَ هَمُّ طَيْبِكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْعَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْرَوْنَ عَذَابُ الْهُونِ
 بِمَا كَانْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَا لَكُمْ نَسُوهُمْ ﴿١٩﴾

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتُوا
 فَلَا حَوَافَّ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿١٥﴾ قوله عز وجل:
 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
 إِحْسَانًا﴾. وقرأ أهل
 الكوفة: ﴿إحساناً﴾ كقوله
 تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣]
 والنساء: ٣٦، الأنعام:
 ١٥١ والإسراء: ٢٣،
 ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا﴾، يريد شدة الطلق،

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرهاً
 بفتح الكاف فيهما، وقرأ الآخرون
 بضمهما. ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ﴾، فطامه،
 وقرأ يعقوب: ﴿وفصله﴾ بغير ألف،
 ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، يريد أقل مدة الحمل
 وهي ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع
 أربعة وعشرون شهراً.

وروى عكرمة عن ابن عباس
 رضي الله عنه قال: إذا حملت المرأة
 تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين
 شهراً، وإذا حملت ستة أشهر
 أرضعت أربعة وعشرين شهراً. ﴿حَتَّىٰ
 إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، نهاية قوته، وغاية
 شبابه واستوائه، وهو ما بين ثمانين
 عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك
 قوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وقال
 السدي والضحاك: نزلت في
 سعد بن أبي وقاص، وقد مضت
 القصة.

وقال الآخرون: نزلت في أبي

بكر الصديق وأبيه أبي قحافة
 عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت
 صخر بن عمرو.

قال علي بن أبي طالب: الآية
 نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه
 جميعاً، ولم يجتمع لأحد من
 المهاجرين أسلم أبواه غيره
 أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من
 بعده، وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ
 وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ
 ابن عشرين سنة في تجارة إلى
 الشام، فلما بلغ أربعين سنة وثبت
 النبي ﷺ آمن به ودعا ربه - قَالَ
 رَبِّ أَوْزِعْنِي، اللهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾،
 بالهداية والإيمان، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
 تَرْضَاهُ﴾.

قال ابن عباس: وأجابه الله عز
 وجل فاعتق تسعة من المؤمنين
 يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من
 الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً
 فقال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾،
 فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا
 جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه
 وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة
 النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه
 عبد الرحمن بن أبي بكر وابن
 عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا
 النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من
 الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ
 أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، يعني أعمالهم
 الصالحة التي عملوها في الدنيا،
 وكلها حسن، والأحسن بمعنى
 الحسن، فيشبههم عليها، ﴿وَتَنْجَاوُ عَنْ

القرآن، ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾، يعني
 التوراة، ﴿إِمَامًا﴾، يقتدى به،
 ﴿وَرَحِمَةً﴾، من الله لمن آمن به،
 ونصباً على الحال عن الكسائي،
 وقال أبو عبيدة: فيه إضمار، أي
 جعلناه إماماً ورحمة، وفي الكلام
 محذوف، تقديره: وتقدمه كتاب
 موسى إماماً ولم يهتدوا به، كما قال
 في الآية الأولى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا
 بِهِ﴾، وهذا كُتِبَ مُصَدِّقٌ، أي
 القرآن مصدق للكتب التي قبله،
 ﴿لِسَاءَ عَرِيسًا﴾، نصب على الحال،
 وقيل بلسان عربي، ﴿يُنْزِلُ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا﴾، يعني مشركي مكة، قرأ أهل
 الحجاز والشام ويعقوب: ﴿لَتُنْزِرُ﴾
 بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ
 الآخرون بالياء يعني الكتاب،
 ﴿وَنُزِّلَ لِلْمُخْسِنِينَ﴾، وبشرى في
 محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق
 وبشرى.

كذا؟ ﴿وَأَسْتَعْتَمَّ بِهَا﴾، يقول: أذهبتم طياتكم يعني اللذات وتمتعتم بها؟ ﴿فَالْيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تستكبرون، ﴿فِي الْأَرْضِ يُقْبَرُ لِمَوْتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْأَلُونَ﴾، فلما ونح الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

وروينا عن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «أولئك قوم قد عجلوا طياتهم في الحياة الدنيا».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، [الشاشي] حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالنا ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين [علي بن محمد بن عبد الله] بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا

القول، الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول، وجب عليهم العذاب، ﴿فِي أُمْرِ﴾، مع أمم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْأُمَمِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة، قال مقاتل: ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيه الله جزاء أعمالهم. وقيل: «ولكل» يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين «درجات»، يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها: قال ابن زيد في هذه الآية: درج أهل النار تذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة تذهب علواً. ﴿وَلِيُؤْثِرَهُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء، وقرأ الباقون بالنون. ﴿أَفْضَلَهُمْ﴾، ليكمل لهم ثواب أعمالهم، ﴿وَهُمْ لَا يُلْقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَرْمُؤُاْ إِلَيْهِمْ كَلْبًا عَلَى الثَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿أَذْقَمْتُمْ مَلِيئِكُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿أَذْقَمْتُمْ﴾، بالاستفهام، ويهزم ابن عامر همزتين، والآخر بلا استفهام على الخبر، كلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت

سَوَاقِيهِمْ، فلا نعاقيهم عليها، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿تَنْقَلُ﴾ ﴿وَتَنْجَازُ﴾ بالنون، ﴿أَحْسَنَ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء، وضمها ﴿أَحْسَنَ﴾ رفع. ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾، مع أصحاب الجنة، ﴿وَقَدْ أَهْبَذُوا الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، وهو قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أَهْبَذُوا الْمُرُوءَاتِ وَالْمُرُوءَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٧٢].

﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْكَافِرِينَ﴾، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، ﴿أَبَى لَكُمْ﴾، وهي كلمة كراهية، ﴿أَفْعَدَ إِلَيْكُمْ أَنْ أُخْرِجَ﴾، من قبري حياً، ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾، فلم يبعث منهم أحد، ﴿وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ﴾، يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له: ﴿وَلَيْلَهُ مَا يَنَ إِذَا وَقَدْ أَهْبَذُوا حَقَّ قَبُولُ مَا هَذَا﴾، ما هذا الذي تدعواني إليه، ﴿إِلَّا أَسْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت في عبد الله.

وقيل: في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه، قاله الحسن وقتادة، وقال الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يطله قوله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ

عبدالرحمن بن عوف أتى بطعام
وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن
عمير وهو خير مني فكفن في بردة
إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن
غُطي بها رجلاه بدا رأسه، قال:
واراه قال: وقتل حمزة وهو خير
مني. فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة
ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو
قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد
خشينا أن تكون حسانتنا عُجِّلَت لنا،
ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وقال جابر بن عبد الله: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتريت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتريت شيئاً يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: **اذْهَبْهُمَ طَائِفًا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا**.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدًا مُبِينًا﴾ يعني هوداً، ﴿وَإِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَغْثَى﴾ قال ابن عباس: «الأغصاف» وإد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل باليمن في حضر موت بموضع يقال له مهرة، وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سبابة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

قال قتادة: ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياء باليمن، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها «الشُخر» و«الأحفاف» جمع حقف، وهي المستطيل المعص من المال.

قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون

الخزاعي، أنا الهيثم بن
كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا
عبد الله بن عبد الرحمن،
ثنا روح بن أسلم ثنا أبو
حاتم البصري، ثنا
حماد بن سلمة، أنا
ثابت، عن أنس قال: قال
رسول الله ﷺ: «لقد
أخفت في الله وما يخاف
أحد، ولقد أوديت في الله
وما يؤذي أحد ولقد أتت
علي ثلاثون من بين ليلة
ويوم ومالي ولبلال طعام
يأكله ذو كبد إلا شيء
يرأيه إبط بلال».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يوسف بن عيسى، ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة أنه قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبدالله بن أبي توبة الكشيمني، ثنا
أبو طاهر محمد [بن أحمد] بن
الحارث، ثنا أبو الحسن محمد بن
يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن
محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله
الخلال، ثنا عبدالله بن مبارك، عن
شعبة بن الحجاج، عن سعد بن
إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن

[illegible]

عبد الرزاق، ثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً وما هو إلا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساء من الأنصار خيراً، كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن.

أخبرنا عبدالله بن الصمد
الجوزجاني، أنا أبو القاسم
الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب
الشاشي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا
عبدالله بن معاوية الجمحي، ثنا
ثابت بن يزيد، عن هلال بن
خثّاب، عن عكرمة، عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: كان
رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة
طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء،
وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد
الجوزجاني، أنا أبو القاسم

جبلًا، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، ﴿وَقَدْ خَلَّى النُّذُرُ﴾، مضت الرسل، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي من قبل هود، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، إلى قومهم، ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ لَكَاثُ عَلَيْكَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا لَئِنَّا لَبِئْنَا بِكَ لَتَصْرِفْنَا﴾، لنتصرفنا، ﴿عَنْ الْمَوْتِ﴾، أي عن عبادتها، ﴿فَأَنَّا بِمَا نَعْبُدُكَ﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ﴾، هود، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُفْلِحُكَ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾، من الوحي إليكم، ﴿وَلَكِنَّكَ أَرْسِلُهُ قَوْمًا بِمَهْلُوكٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، يعني ما يوعدون به من العذاب، ﴿عَارِضًا﴾، سحاباً يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿فُتْقِلَ أَوْزِينُهُمْ﴾، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّظْطَرٌّ﴾، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجعلت الريح تحمل الفسفاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جردة.

﴿تَذَكَّرْتُ كُلِّ قَوْمٍ﴾، مرت به من رجال عاد وأموالها، ﴿يَأْتِرُ رَبَّهُمْ﴾، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح

بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح لمقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأملت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس، أنا ابن وهب، أنا عمرو بن الحارث أخبرنا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأته عرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: «هَذَا عَارِضٌ مُّظْطَرٌّ»، الآية».

﴿فَأَمْسَبُوا لَا يَرْجِعْ إِلَّا مَسْكَنُهُمْ﴾، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب ﴿يَرَى﴾، بضم الياء «مسكنهم» برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مسكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، «مسكنهم» نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مسكنهم لأن

السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِذْ نَكَثْتُمْ فِيهِ﴾، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وظول العمر وكثرة المال. قال المبرد: «ما» في قوله «فيما» بمنزلة الذي، و«إن» بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا وَاقِئًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَوْءٍ إِذْ كَانُوا يَصْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا شَكَّرْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿مِنْ الْقَرْيَةِ﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿وَوَرِّقْنَا الْآيَاتِ﴾، الحجج والبيانات، ﴿لَكَلَّهِمْ يَرْجُونَ﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي مكة.

﴿قُلُوا﴾، فهلا ﴿تَضَرَّعْتُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾، يعني الأوثان، التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل، القربان كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وجمعه قرباين، كالرهبان والراهبين. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم، ﴿وَذَلِكَ لِيُكْذِبُوا﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون أنها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يكذبون أنها آلهة.



﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمُونَ الْقُرْآنَ﴾، الآية. قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتبس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه.

فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال

الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله ما أكلحك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أزد عليك الكلام، لئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلحك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير ثقيف، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكموه علي، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيدهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به

سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، والجأوه إلى حائط لعنبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه، فعمد إلى ظل حيلة من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمان رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات

وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»، فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل ذلك عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوي؛ فقال له رسول الله ﷺ: آمين قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال له رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تُقبل هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، فقال: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه، ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة

حين يشس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمَرَّ به نفر من جن أهل نصيبين باليمن، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى آثَارِ مَا كَانَ يَوْمَ دُرَيْسَ لَمَّا كَانَتْ لَيْلٌ لَّنْكَ عَلَى نَبِيهِ: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَّ

أَنَّهُ اسْمٌ مِّن لَّيْلِ﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجن.

وروي: أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر، وكان أول بعث بعث ركباً من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة.

وقال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنهم من [بنى] الشيصان وهم أكثر الجن عدداً، وهم عامة جنود إبليس، فلما رجعوا قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

وقال جماعة: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفرًا من الجن من أهل نينوى، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فأياكم يتبعني؟ فأطرقوا ثم استتبعمهم فاطرقوا، ثم استتبعمهم الثالثة فاطرقوا، فأتبعه عبدالله بن مسعود، قال عبدالله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخط لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق إلي وقال لي: أنمت؟

فقلت: لا والله يا رسول الله ﷺ، وقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا، قال: لو خرجت [والله] لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، ثم قال: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم يا رسول الله رأيت رجلاً سوداً مستشغري ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة. قال فقالوا: يا رسول الله تقذرنا الناس [علينا]، فنهى النبي ﷺ أن يستنجي بالعظم والروث، قال فقلت: يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ قال: إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثاً إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، قال فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً؟ فقال: إن الجن تدارأت في قتل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق، قال: ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم أتاني، فقال: هل معك ماء؟ قلت: يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصبيت على يده فتوضأ وقال: «تمرّة طيبة وماء طهور».

وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شططاً من الزط فأفزعه حين رآهم، فقال: اظهروا، ف قيل له: إن هؤلاء قوم من الزط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ، يريد الجن.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغفار بن محمد، ثنا

محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى، ثنا عبد الأعلى، ثنا داود وهو ابن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، قال: وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن».

ورواه مسلم [بن الحجاج] عن علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بهذا الإسناد إلى قوله: «آثار نيرانهم».

قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلاً من حديث عبادة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾،

اختلفوا في عدد ذلك النفر.

فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زويدة من التسعة الذي استمعوا القرآن. ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنَسُونَا﴾، قالوا: صه.

وروي في الحديث: «أن الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطبرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون».

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾، قال بعضهم لبعض «أنسوننا» واسكتوا [أي] لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، ﴿فَلَمَّا قَفَّيْنَا﴾، فرغ من تلاوته، ﴿وَلَوْ أَنَّ لَكَ قَوِيَهُمْ﴾، انصرفوا إليهم، ﴿مُنْذِرِينَ﴾، مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

﴿قَالُوا يَنْقُوتَنَا إِنَّا سَيِّئَاتٌ﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مَوْسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى.

﴿يَنْقُوتَنَا أَيْبُونَا دَاعِي إِلَيْهِ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿وَوَاعُونَا بِهِ يَقْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، «من» صلة أي ذنوبكم، ﴿وَيُخْرِجُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فاستجاب لهم من قومهم

نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافقوه في البطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً.

قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعاً.

واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وتآلوا قوله: ﴿يَقْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه. وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تواباً، وهذا مثل البهائم.

وعن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا تواباً فيعودون تواباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلْبِسُنِي كُتًّا تَرَابًا﴾، وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى.

وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وذكر النقاش في تفسيره حديث أنهم يدخلون الجنة. فقيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسيحه وذكره، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة.

وقال أرطاة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب، هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: ﴿لَوْ يَلْمِزُكَ إِنْسٌ فَقُلْ هَـؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرحمن: ٥٦]

و٧٤، قال فالإنسيات للإنس والجنيات للجن. وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة، في رضى ورحاب، وليسوا فيها.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، أنصار يمنعونه من الله، ﴿أَوَلَيْكَ فِي سَكَلَى ثُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِوتَ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَمْ بِحَقِّهِمْ يُقَدِّرْ﴾، لم يعجز عن إبداعهم، ﴿بِقَادِرٍ﴾، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: ﴿تَنَبَّأْتُ بِالْقَحْطِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقال الكسائي والفراء: العرب تدخل الياء في الاستفهام مع الجحد، فتقول: ما أظنك بقائم، وقرأ يعقوب «يقدر» بالياء على الفعل، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبدالله قادر بغير باء، ﴿أَنْ يَخْبِيَ الْمَوْتُ بِكَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الْأَعْرَابِ﴾، فيقال لهم، ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّيَ قَالَ﴾، أي فيقال لهم، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَاسِمٍ﴾، قاسم: كما صبر أولوا العزم من الرسل، قال ابن عباس: ذوو الحزم. وقال الضحاك: ذوو الجذ والصبر.

واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل. كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم،

ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبويض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولوا عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا تبرى أنه قيل للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْتُورِ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام [٩٠] وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَفْشَوْا﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء.

وقال مقاتل: هم ستة: نوح، صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر، وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَلَوْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [آبي مريم: ١٧]، وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، ثنا أبو

ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابي الشيخ الحافظ، أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، أنا محمد بن الحجاج، أنا السري بن حيان، أنا عباد بن عباد، ثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، وقال: ﴿قَاسِمٍ﴾ كما صبر أولوا العزم من الرسل، وإني والله لا بد لي من طاعته، والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لِمَنْ﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: ﴿كُلُّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُونَ﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿لَوْ يَكُنَّا فِي الدُّنْيَا﴾، في الدنيا، ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن، ثم قال: ﴿بَلَّغْ﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمُ

فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿وَمَا تَنْقُضُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، ويقول: ﴿وَأَقْبَلُوا الشُّرَكَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وهو قول الأوزاعي وأصحاب الرأي، قالوا: لا يجوز المنّ على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الشوري والشافعي وأحمد وإسحاق، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الأسارى ﴿فَمَا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا فِدَا﴾، وهذا هو الأصح والاختيار لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، ثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فريطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «وماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي

الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، ﴿وَهُوَ لَمُنٌّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مشركو مكة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأنصار. ﴿كَفَرَتْ عَنْهُمْ سُبَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، حالهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، نصب على الإغراء، أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم. ﴿وَإِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾، بالغنم في القتل وقهرتموهم، ﴿فَتَشَدُّوا الرِّقَابَ﴾، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: ﴿مَا كَانَتْ لِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَفَتِ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿فَمَا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا فِدَا﴾، يعني بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم متاً بإطلاقهم من غير عرض، وإما أن تفادوهم فداء، واختلف العلماء في حكم هذه الآية،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سُبَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَتَشَدُّوا الرِّقَابَ فَمَا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا فِدَا حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَجْعَلُ اللَّهُ وَضْلَكُمْ بِالْهَمِّ وَيُلْجِلُكُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا اللَّهُ ﴿٥﴾ وَيَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَيُخَبِّرُهُمُ اللَّهُ بِضُرَّتِكُمْ وَبَيِّنَاتٍ مِمَّا كُفَرْتُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسْلُبُهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ قِطْرًا وَكَفَّ كَانَ حَنِينُهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٩﴾

الْقَتِيلُونَ، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: مافي الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية.

سورة محمد

مدينة وهي ثمان وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، أبطلها فلم يقبلها وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾، قال سفيان

يا محمد خير إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتیک من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين

قال: أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل فأوثقوه، وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف.

قوله تعالى: ﴿عَنْ نَّضَعُ لَكُمْ أَوْزَارًا﴾، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر، ما يحمله الإنسان فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالسرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقاتلكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثنخنا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال» وقال الكلبي: حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء: حتى لا يبق إلا مسلم أو مسالم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، الذين كفروا، وبيئت من حكم الكفار، ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَنَشَّرَ فِيهِمْ﴾، فأهلكهم وكفاهم أمرهم بغير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾، أمرهم بالقتال، ﴿يَتْلُوا بِعَصْفِكَ الْمُتَّقِينَ﴾، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾،

قرأ أهل البصرة وحفص: ﴿قَاتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون ﴿قَاتِلُوا﴾ بالالف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿فَلَنْ يُبْعِلَ أَغْلَظُكُمْ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد، وقد فشئت في المسلمين الجراحات والقتل.

﴿سَيَسْأَلُهُمْ﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ﴾، يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم.

﴿وَيُخَوِّفُهُمْ لِمَنَّةٍ عَرَفَهَا اللَّهُ﴾، أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها أحداً كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدي إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس: ﴿عَرَفَهَا اللَّهُ﴾ أي طببها لهم، من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾، أي دينه ورسوله، ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾، على عدوكم، ﴿وَيُخَوِّفْ أَعْيُنَكُمْ﴾، عند القتال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: بُعِدَ لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم. وقال الضحاك: خيبة لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. قال الفراء: هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُجْزَوْنَ كَمَا نَأَى عَنْهُمُ النَّارُ مَتَى لَهُمْ فِيهَا قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَلَمْ يَحْجِرْكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنَزَلَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَنْزٌ لَهُمْ سَوْءٌ عَلَيْهِمْ أَتَوْا أَوْلَاهُ ۚ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَلٍ لَذٍ لَشَرِيبٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْرِفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كُنْ هُوَ خَلِّدُ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَهُمْ مِنْ يَسْتَعِثُّ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ مَا قَالُوكُمُ الْيَوْمَ إِلَّا أَوَّلُكُمْ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَوْلَاهُ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى وَآتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَافُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِفْعَاءُ نَفْسِهِمْ ذَكَرْنَاهُمْ ۚ فَأَعْلَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُكَ ذُنُوبَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَكِّلَكُمْ ۝٥٨

الدنيا، ﴿وَأَكُونُ كَمَا نَأَى﴾ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، ﴿وَالنَّارُ مَتَى لَهُمْ﴾.

﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ أَشَدَّ قُوَّةٍ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أشد قوة من أهل مكة، ﴿أَلَيْ أَخْرَجَكَ﴾ أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿أَهْلُكُمْ﴾، ولم يقل: أهلكتها، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنت أحب بلاد الله إلي وأحبّ بلاد الله إلى الله وأحبّ بلاد الله إلي» ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك، فانزل الله هذه الآية.

﴿أَفَنَزَلَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، يقين من دينه محمد والمؤمنون، ﴿كَنْزٌ لَهُمْ سَوْءٌ عَلَيْهِمْ وَأَتَوْا أَوْلَاهُ﴾، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾، أي صفتها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، آجن متغير منتن، قرأ ابن كثير ﴿آسِنٍ﴾ بالقصر، والآخرين بالمد، وهما لغتان يقال: آسن الماء يأسن أسناً، وآسن يأسن ويأسن، وأجن يأجن أجناً، أسوناً وأجوناً إذا تغير، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَلٍ لَذٍ لَشَرِيبٍ﴾، لذيذة للشرب، لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة».

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر، ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْرِفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كُنْ هُوَ خَلِّدُ فِي النَّارِ﴾، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾، شديد الحر تسعر عليهم جهنم منذ خلقت إذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، فخرجت من أديبارهم والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا وأحدها معي.

﴿وَمَنْ يَسْتَعِثُّ إِلَيْكَ﴾، يعني من هؤلاء الكفار، ﴿مَنْ يَسْتَعِثُّ إِلَيْكَ﴾، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً، ﴿حَتَّىٰ﴾.

التردي في النار. ويقال للعاثر: تعسا إذا لم يريدوا قيامه، وضده لعا إذا أرادوا قيامه، ﴿وَأَسْلَ أَهْلُكُمْ﴾، لأنها كانت في طاعة الشيطان.

﴿ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال، ﴿يَأْتِيَهُمْ كَرْهًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، ثم خوف الكفار.

﴿فَقَالَ﴾: ﴿اللَّهُ يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُهُمْ كَيْفَ كَانَ عَظِيمَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم، ﴿وَالْكَافِرِينَ أَتَيْنَاهُمْ﴾، أي لم يؤمنوا يتوعد مشركي مكة.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وليهم وناصرهم، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، لا ناصر لهم، ثم ذكر مال الفريقين فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُجْزَوْنَ كَمَا نَأَى عَنْهُمُ النَّارُ مَتَى لَهُمْ فِيهَا قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَلَمْ يَحْجِرْكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنَزَلَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَنْزٌ لَهُمْ سَوْءٌ عَلَيْهِمْ أَتَوْا أَوْلَاهُ ۚ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَلٍ لَذٍ لَشَرِيبٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْرِفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كُنْ هُوَ خَلِّدُ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَهُمْ مِنْ يَسْتَعِثُّ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ مَا قَالُوكُمُ الْيَوْمَ إِلَّا أَوَّلُكُمْ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَوْلَاهُ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى وَآتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَافُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِفْعَاءُ نَفْسِهِمْ ذَكَرْنَاهُمْ ۚ فَأَعْلَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُكَ ذُنُوبَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَكِّلَكُمْ ۝٥٨﴾.

إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ، يعني فإذا خرجوا من عندك، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾، من الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَهُ﴾، محمد، ﴿مَا يَقُولُ﴾، يعني الآن، وهو من الانتاف وإيقال: انتفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبداً لله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله ﷺ قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فلم يؤمنوا، ﴿وَأَبْغَوْا أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الكفر والفتاق.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني المؤمنين، ﴿زَادَهُمْ﴾، ما قال الرسول، ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وفقهم للعمل بما أمر الله به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿فَبَدَّلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَسَافَةً أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق الهاشمي، ثنا الحسين بن الحسن، ثنا ابن المبارك، أنا معمر بن راشد، عن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غش مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر».

قوله عز وجل: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَافُهُمْ﴾، أي أماراتها وعلاواتها، واحداً شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن المقدم، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا أبو حازم، ثنا سهل بن سعد قال: رأيت النبي ﷺ قال بأصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمر الحوضي، ثنا هشام، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقتل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن سنان، ثنا فليح، حدثني هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذا جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال

بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال: وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه، قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُبد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

قوله عز وجل: ﴿فَأَنَّ لَهُمْ لِيَوْمَ جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾، فمن أين لهم التذكر والاعتاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: ﴿يَوْمَ يُنَادِي لِلْإِنْسَانِ إِنَّهُ لَكَ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿فَأَعْلَوْا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها إلا إلى الله. وقيل فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا لله.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾، أمسر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزباني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي بردة، عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «أنه ليغان على قلبي وإنني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة».

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ سَرَسٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَطَرُّفًا مَعْتَبِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوَّلُ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ قَالُوا كَذَبُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَارَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَبِيغًا مَعَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرُوتٍ مِنْهُمُ هُمْ وَادْبَرَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ ۚ

﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ حرصاً منهم على الجهاد، ﴿لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ ۖ تأمرنا بالجهاد، ﴿فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ ۖ قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ سَرَسٌ﴾ ۖ يعني المنافقين، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ ۖ شزراً بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو، ﴿تَطَرُّفًا مَعْتَبِي﴾

عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ ۖ كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿فَأَوَّلُ لَهُمْ﴾ ۖ وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

﴿٢١﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ ۖ وهذا ابتداء محذوف الخير تقديره: طاعة، وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو مثلاً طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله، واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالاجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿فَإِذَا عَزَمَ

الْأَمْرُ﴾ ۖ أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، ﴿فَلَقَوْا كَذَبُوا اللَّهَ﴾ ۖ في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ۖ وقيل جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا لكان خيراً لهم.

﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ۖ فلعلمكم قرأ نافع عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها وهما لغتان والفتح أنصح ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ۖ أعرضتم عن القرآن وفارقتهم أحكامه، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ۖ تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فففسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ۖ قرأ يعقوب ﴿وتقطعوا﴾ بفتح الشاء خفيف، والآخرين بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب ابن شريك والفراء: يقول فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب ﴿توليتم﴾ بضم الشاء والواو وكسر اللام، يقول: إن وليتمكم ولاية جائزة خرجتم معهم في الفتنة وعاونوهم.

﴿٢٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ ۖ عن الحق.

قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ۖ هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَلُّكُمْ﴾ ۖ قال ابن عباس والضحاك: «متقلبكم» متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، و«مثواكم» مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار.

وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم ما أركم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، فلا تفهم مواضع القرآن وأحكامه، و﴿أم﴾ بمعنى (بل).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عقيل بن محمد، أنا المعافى بن زكريا، أنا محمد بن جرير، ثنا بشر، ثنا يزيد قال: ثنا سعيد قال: ثنا حماد بن زيد، ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به.

﴿٢٥﴾ إِذْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، رجعوا كفاراً، ﴿يَنْ بَدِ مَا بَيْنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾، قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم، وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون، ﴿الْشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾، زين لهم القبيح، ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾، قرأ أهل البصرة بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وقرأ مجاهد بإرسال الياء على وجه الخير من الله عز وجل عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ بفتح الالف أي وأملى الشيطان لهم مذ لهم في الأمل.

﴿٢٦﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ، يعني المنافقين أو اليهود، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا تَزَكَّى اللَّهُ﴾، وهم

المشركون، ﴿سَتُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سراً فأخبر الله تعالى عنهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر، والباقون بفتحها على جمع السر.

﴿٢٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بَصَرِيَّتٍ وَمُجْمَعَةٍ وَتَذَكَّرْتُمْ.

﴿٢٨﴾ ذَلِكَ، أي الضرب، ﴿يَأْتِيهِمْ أَتَّبَعُوا مَا اسْتَحْطَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس:

بما كنتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فَأَخْطَأَ أَهْلَهُمْ﴾.

﴿٢٩﴾ لَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يَخْرُجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدوا حتى يعرفوا نفاقهم، واحداً ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿٣٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، أي لأعلمناكم وعرفناكم، ﴿فَلَقَرَفَقْنَاهُمْ بِسَمْعِهِمْ﴾، بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها.

قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم.

﴿٣١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ بِسَمْعِهِمْ وَلَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٢﴾ وَلَسَبُّوكُمْ حَتَّى تَبْلُغُوا الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَبَلَغُوا الْخَوَارِكَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْمَآلِكُ لَنْ يَصُرُوا لِلَّهِ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ أَهْلُهُمْ ﴿٣٤﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالطَّبَعِ وَاللَّهُ وَالطَّبَعِ الرَّسُولَ لَا يَبْغُوا أَهْلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ يَبْغُوا لَكُمْ مَالَهُمْ ﴿٣٦﴾ فَلَا تَهْتَفُوا بِذَلِكَ إِلَى التَّكَلُّفِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَهْلَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا لِكُلِّ لَوْمَةٍ لَوْمَةٌ وَلَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَتَقُولُوا نَزَّلْنَا بِكُمُ الْجُنُودَ وَلَا يَسْتَلْكُمُ أَمْرُكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْهَا فَيَخَفْكُمْ تَبْخَلُوا وَخُجِجْ أَصْفَانَهُمْ ﴿٣٩﴾ هَآؤُنْهُمْ هَآؤُنْهُمْ تَدْعُونَ لِيُخْرِجُوا سَبِيلَ اللَّهِ فَيَنْقُصَكُمْ مِنْ بَيْعِلٍ وَمَنْ يَبْخُلْ فَلْيَا بَخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَلَنْ تَتَوَلَّوْا أَصْفَانَهُمْ قَوْمًا عَمِيَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٤٠﴾

﴿٣١﴾ وَلَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لحن يلحن لحناً فهو لحن إذا فطن للشيء.

ومنه قول النبي ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض».

والفعل من الخطأ لحن يلحن لحناً فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخليته وعقيدته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

﴿٣٢﴾ وَلَسَبُّوكُمْ، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمرهم بالجهاد

والقتال، ﴿حَتَّى تَقَرَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْكُمْ﴾، أي علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿وَيَتَلَوُا خُبَارَكُمْ﴾، أي نظهرها ونكشفها بإبائه من أبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَلْيَتَلَوُكُمْ حَتَّى تَقَرَّ﴾، ويبلو بالإبائه فيهن، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتْلُو آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَهَا﴾، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا مَلَكًا فَقَالَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ﴾، وقرأ يعقوب ﴿وَلْيَتَلَوُكُمْ﴾، وقرأ الواو رداً على قوله: ﴿وَلْيَتَلَوُكُمْ﴾، وقرأ الآخرون بالفتح رداً على قوله ﴿حَتَّى تَقَرَّ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي رسول الله ﷺ، ﴿وَنَافَقُوا الرِّسُولَ مِنْ بَدَى مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْغُفْلُ أَنْ يُضَرُّوا اللَّهُ شَيْئًا﴾، إنما يضرون أنفسهم، ﴿وَسَمَّيْطُ أَهْلَهُمْ﴾، فلا يرون لها ثواباً في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿يَتْلُو الَّذِينَ آمَنُوا أَلِفًا مِائَةً﴾، الله وأطيعوا الرسول ولا تطولوا أهلكم، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر.

وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال.

وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فبتطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، قيل: هم أصحاب القليب وحكمها عام.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى التَّلِيٍّ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصرة، ﴿وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترأ وتره إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها.

ثم حض على طلب الآخرة فقال: ﴿إِنَّمَا لِلنَّبِيِّ الدُّنْيَا لَيْفٌ وَلَهُوَ﴾، باطل وغرور، ﴿وَلَنْ تُوَفَّوْا وَتَنْفَقُوا﴾، الفواحش، ﴿يُؤْتِيكُمْ أَجْرَكُمْ﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة، ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ﴾، ربحكم، ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليشيكم عليها الجنة، نظيره قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٧]، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦]، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها

في الصدقات، إنما يسألانكم غيضاً من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفساً، وقروا بها عيناً.

والى هذا القول ذهب ابن عينة، يدل عليه سياق الآية: ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْ﴾، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلاناً إذا جده، وألحف عليه بالمسألة، ﴿يَسْأَلُكُمْ﴾، بها فلا تعطوها، ﴿وَيُخْرِجُ أَصْحَابَكُمْ﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

﴿هَكَانَتْ هَذِهِ تَدْعُونَ لِيُغْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿فَيُنْصَرِّحَ بِنَبِيِّكُمْ﴾، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿وَمَنْ يَسْأَلْكُمْ فَإِنَّمَا يَسْأَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿وَلَنْ تَنَالُوا يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا خَيْرٌ مِنْكُمْ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر، حدثنا إسحاق النجيبى المصرى المعروف بابن النحاس، أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا ابن وهب، ثنا مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي

سُورَةُ الْفَتِيحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 مَا شِئْنَا ۖ لِيَقْرَأَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ
 وَصَفَتْكُمْ عَلَيْهِ وَهَدَيْكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
 صَرَاحًا عَزِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 نَادِ وَأَلَيْسَ تَأْمَنُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيُخْلِكَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ خَلِيلِينَ فِيهَا وَتُكْفَرُ عَنْهُمْ
 ذُنُوبُهُمْ ۖ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ قُوًى عَظِيمًا ۝ وَتُصَدِّقُ
 سَفُوفَتِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالظَّالِمِينَ
 سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ آلَاءُ السَّوَةِ وَغَيْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
 لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلَهُ جُنُودُ
 الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 رَاوِدًا وَذَكِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا يَا آلَ الْوُحُولِ
 وَتُؤْمِنُوا وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝

511

الشمس، ثم قرأ ﴿إِنَّا مَخَّانَا لَكَ فَمَا مِثْلَانَا﴾ * لِيَقْرَأَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنْذِرَ بِعَذَابِهِ حَالَكُمْ وَتَهْدِيكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

أخبرنا أحمد بن عبدالله
الصالحى، أنا أبو عمر
بكر بن محمد المزنى، ثنا
أبو بكر محمد بن عبدالله
حفيد العباس بن حمزة،
ثنا الحسين بن الفضل
الجللى، ثنا عفان، ثنا
همام، ثنا قتادة، ثنا أنس
قال: نزلت على
النبي ﷺ ﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ
فَتَنًا مِّنْهُ﴾ إلى آخر الآية،

هزيمة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا بَنِيَّادِلَ قَوْمَا عَدَوِّكُمْ ثُمَّ لَا يُكَفِّرُوا عَنْكُمْ﴾، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس».

سورة الفتح

مدينة وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما لبثت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لمهي أحب إليّ مما طلعت عليه

مرجعه من الحديدية وأصحابه
مخالطهم الحزن والكآبة، فقال:
«نزلت علي آية هي أحب إلي من
الدنيا جميعاً»، فلما تلاها
نبي الله ﷺ قال رجل من القوم:
هنيئاً مريئاً لك قد بين الله ما يفعل
بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله هذه
الآية التي بعدها: ﴿يَنْزِلُ السَّمَاءَ
وَالْمُوسَى جَاءَتْ بِحُورٍ مِّنْ نَّهَا الْأَنْهَارِ،
حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ.

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، اختلفوا في
هذا الفتح ، وروي عن أبي جعفر
الرازي عن قتادة عن أنس : أنه فتح
مكة ، وقال مجاهد : فتح خيبر ،
والأكثر على أنه صلح الحديبية ،
ومعنى الفتح فتح المنغلق ، والصلح
مع المشركين بالحديبية كان متعذراً
حتى فتحه الله عز وجل .

وروى شعبة عن قتادة عن أنس :
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، قال : صلح
الحديبية .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن
موسى، عن إسرائيل، عن أبي
إسحاق، عن البراء قال: تعدون أنتم
الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة
فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان، يوم الحديبية كنا مع
النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية
بئر، فزحناها فلم نترك فيها قطرة،
فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس
على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء
فتوضأ ثم تغمض ودعا ثم صبه
فيها فتركناها غير بعيد، ثم إننا
أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

وقال الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
مَنْ كَفَرَ فَإِنَّمَا يَكْفُرُ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي آيَاتِهِ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
اللَّهُ قَسِيصٌ بِهِ أَعْرَاجُ عَظِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَمِعْنَا آمْرَكَ وَآهَلُونا فَأَسْتَغْفِرُكَ يُقُولُونَ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلُوبُهُمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَتْلُو
تَحِيَّتَ الْوَلَدِ ﴿١٦﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَظَنَّ يَكُونُ الْأَشْوَ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُؤَلَّوْنَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سِوَارًا ﴿١٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٩﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مِثَاقٍ لِنَاقِدْ وَهَذَا دِينُنَا نَعْبُدُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُسَيِّدُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَسْبِقُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُسْتَبَدُّونَ بَلْ كَانُوا لَا يَتَفَقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

مردود إلى قوله:
﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
وَالْمُؤْمِنِينَ [محمد: ١٩].
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾
﴿لِيُخَلِّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ﴾ الآية.

وقال محمد بن
جرير: هو راجع إلى
قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ
اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ
النَّاسَ يَخْلُفُونَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفَوَيْلٌ لِمَنْ
بَدَّلَ اللَّهُ دِينَهُ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ [النصر:
١ - ٣]، ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك في

الجاهلية قبل الرسالة، وما تأخر إلى
وقت نزول هذه السورة. وقيل: ما
تأخر مما يكون، وهذا على طريقة
من يجوز الصغائر على الأنبياء.
وقال سفيان الثوري: «ما تقدم» مما
عملت في الجاهلية و«ما تأخر» كل
شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك
على طريق التأكيد، كما يقال: أعطى
من رآه ولم يره، وضرب من لقيه
ومن لم يلقه. وقال عطاء
الخراساني: ما تقدم من ذنبك: يعني
ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما
تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. ﴿وَرَبُّهُ
يَسْمُرُ عَلَيْكَ﴾، بالنبوة والحكمة،
﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ رِجْلَكَ شَيْئًا﴾، أي يشبك
عليه، والمعنى ليجمع لك مع الفتح
تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى
الصراط المستقيم وهو الإسلام.
وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

﴿وَرَبُّكَ اللَّهُ نَبَرٌ عَزِيزٌ﴾

غالبًا. وقيل: معزًا.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾،
الطمأنينة والوقار، ﴿فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾، لثلاث تنزع نفوسهم لما
يرد عليهم، قال ابن عباس كل
سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا
التي في سورة البقرة [٢٤٨]،
﴿لِيُزَادُوا إِيْمَانًا تَعَاضُّوا بِهَا﴾، قال ابن
عباس: بعث الله رسوله بشهادة أن
لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم
الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج
ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم،
فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا
تصديقاً إلى تصديقهم. وقال
الضحاك: يقيناً مع يقينهم. قال
الكلبي: هذا في أمر الحديدية حين
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق،
﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لِيُخَلِّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ
اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾.

وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة
قالوا لما نزل «ليغفر لك الله»: هنيئاً
مريضاً فما يفعل بنا فنزل: ﴿لِيُخَلِّدَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ الآية.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ﴾، يريد أهل
النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة،
﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، أن لن
ينصر [الله] محمداً والمؤمنين،
﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، بالعذاب
والهلاك، ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾

لك فتأثينا، قال: فتح الحديدية،
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ
الهدي محله، وظهرت الروم على
فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل
الكتاب على المجوس.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم
من صلح الحديدية، وذلك أن
المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في
قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق
كثير، وكثر بهم سواد الإسلام.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
ثُمَّ بَيَّنَّا﴾، أي قضينا لك قضاء بيتاً. وقال
الضحاك: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير
قتال، وكان الصلح من الفتح المبين،
قيل: اللام في قوله: ﴿لِيُغْفِرَ﴾ لام
كي، معناه إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي
يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في
الفتح. وقال الحسين بن الفضل: هو

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَمَا هِيَ مَصِيرًا .

﴿٧﴾ ﴿٨﴾ وَرَبُّهُ جُودٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيْبًا حَكِيْمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتَسْمَعُوا أَيْ تَعِينُوهُ وَتَنْصُرُوهُ، ﴿وَتُؤْمِرُوهُ﴾، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ وههنا وقف، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، أي تسبحوا الله يريد تصلوا له، ﴿بِكُفْرَةٍ وَاصِيلًا﴾، بالغداة والعشي، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وليؤمنوا، ويعزروه، ويوقروه، ويسبحوه» بالياء فيهن لقوله: ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء فيهن.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّ إِلَٰهَ الْأَبْنَاءِ بِيَمِينِكَ﴾، يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا، ﴿إِنَّمَا يَبْتَغُونَ اللَّهَ﴾، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن يحيى، ثنا يزيد بن زريع، عن خالد، عن الحكم بن عبد الله بن الأعرج، عن معقل بن يسار، قال

لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت ولكن بابعائه على أن لا نفر.

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيح بابعائه جماعة على الموت، أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفر.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة. قال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة.

﴿فَمَنْ تَكَّنْ﴾، نقض البيعة، ﴿فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾، ثبت على البيعة، ﴿فَسَمِعْتَنِي﴾، قرأ أهل العراق «فسيؤتيه» بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿أَجْرًا عَظِيْمًا﴾، وهو الجنة.

﴿١١﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قریش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة

وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتشاغل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ يعني الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك.

﴿سَخَطْنَا مَوَٰثِقَ آبَائِهِمْ﴾، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم «فاستغفر لك»، تخلفنا عنك، فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْسَ بِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا.

﴿قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾، سوءاً «أَرَادَ بِكُمْ نَفًّا»، قرأ حمزة والكسائي: «ضراً» بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالرفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه. ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَمَلَّكُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿١٢﴾ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ آتِيَكُمْ رَسُولٌ أَلْتُمُسُكُمُ إِلَٰهَ أَهْلِيكُمْ أَبَدًا﴾، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿وَرَبُّكَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿وَلَكِنَّتُمْ لَكُمْ الشَّوْكَ﴾، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون

قَالَ لِلْمُحَلِّينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أَتَىٰ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنزَلْنَاهُمْ وَأَرْسَلْنَاهُمْ فَإِنْ طَائِفَةٌ أُوتُوا مِنْكُمْ أَنْ يَقُولُوا هَٰذَا جَنَّةُ اللَّهِ الْمُبَرَّاتُ لَسَٰئَ لَكُمْ فِي هَٰذَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَمَنْ يُجِزْ أَخَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَجْعَلْ اللَّهُ وَجْهَهُ لِلْأُخْرَىٰ وَيُغْنِي عَنْهُ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ وَمَعَانِيَةً كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِيَةً كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ۚ وَكَفَىٰ آيَاتِ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَآخَرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۚ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا تُحْدِثُونَ وَلِئَاوُلَا نَصِيرًا ۚ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَدَيَّلَ ۚ

٥١٣

معه انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، هلكى لا تصلحون لخير.

١٣ - ١٥ ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَقُولُ لِيَنْزِلْ سَكَنٌ وَنُزُلٌ مِّنْ سَمَاءٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۚ سَيَقُولُ الْمُتَكَلِّفُونَ﴾،

يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، ﴿إِذَا أَطْلَقْتُمْ﴾، سرتهم وذهبت أياها المؤمنون، ﴿إِنَّكَ مَعَانِيَةً لِّتَأْخُذُوهَا﴾، يعني غنائم خيبر، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئاً، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ

اللَّهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بغير ألف جمع كلمة، وقرأ الآخرون: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة.

وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير منهم أحد، قال ابن زيد: هو قول الله عز وجل: فإن رجعت الله إلى طائفة منهم ﴿فَأَسْتَدْوِلكَ لِلْخُرُوجِ قَتْلَ أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]،

والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل، ﴿قَدْ لَنْ تَقِيُمُونَا﴾، إلى خيبر، ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿فَسَيُؤَلِّقُ بَلَّ تَحْدُونَا﴾، أي يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، ﴿بَلَّ كَانُوا لَا يَقْقَهُونَ﴾، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، منهم وهو من صدق الله والرسول.

١٦ ﴿قُلْ لِلْمُحَلِّينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أَتَىٰ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنزَلْنَاهُمْ وَأَرْسَلْنَاهُمْ فَإِنْ طَائِفَةٌ أُوتُوا مِنْكُمْ أَنْ يَقُولُوا هَٰذَا جَنَّةُ اللَّهِ الْمُبَرَّاتُ لَسَٰئَ لَكُمْ فِي هَٰذَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَمَنْ يُجِزْ أَخَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَجْعَلْ اللَّهُ وَجْهَهُ لِلْأُخْرَىٰ وَيُغْنِي عَنْهُ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ وَمَعَانِيَةً كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِيَةً كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ۚ وَكَفَىٰ آيَاتِ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَآخَرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۚ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا تُحْدِثُونَ وَلِئَاوُلَا نَصِيرًا ۚ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَدَيَّلَ ۚ

وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. قال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. ﴿فَقَتِّلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِنْ طَائِفَةٌ أُوتُوا مِنْكُمْ أَنْ يَقُولُوا هَٰذَا جَنَّةُ اللَّهِ الْمُبَرَّاتُ﴾، يعني الجنة، ﴿وَلَنْ تَقُولُوا﴾، تعرضوا ﴿كَمَا تَقُولْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، عام الحديبية، ﴿يَعْبُدُوكَ عَدَايَا أَلِيَّا﴾، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمالة: كيف بنا يا رسول الله؟

١٧ ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾، يعني في التخلف عن الجهاد، ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤْذِبْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ﴿ندخله﴾ و﴿نعذبه﴾، بالنون فيهما، وقرأ الآخرون بالياء لقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

١٨ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ﴾، بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا، ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وكانت سمره.

قال سعيد ابن المسيب: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهب الشجرة، فقال: أين

كانت؟ فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا، فلما كثر اختلافهم قال سيروا، قد ذهبت الشجرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، ثنا حاتم، ثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره.

وروى سالم عن جابر قال: كنا خمس عشرة مائة.

وقال عبدالله بن أبي أوفى: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثمن المهاجرين.

وكان سبب هذه البيعة - على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم - أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له، يقال له

الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فبعثوا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس [بمكة] من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت بحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى تناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، قال بكر بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: بل على ما استطعتم.

وقال جابر بن عبدالله ومعقل بن يسار: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفره فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بني سلمة، قال جابر: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته مستتراً بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، ثنا علي بن أحمد بن نصرويه، ثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبدالحميد الجوني، ثنا محمد بن رمح، ثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

قوله عز وجل: ﴿فَلْيَمَّزَ فِي قُلُوبِهِم مِّنَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ﴾، ﴿فَأَرْزَلَهُ السَّكِينَةَ﴾، الطمانينة والرضا، ﴿وَعَلَيْهِمْ وَأَنْتَهُمْ قَتْلًا قَرِيبًا﴾، يعني فتح خيبر.

﴿وَمَقَاتِلَ كَثِيرَةٍ يَنْحُدُونَ﴾، من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقبار وأموال، فاقترسها رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَقَاتِلَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُ بِهَا﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿فَتَجِدَ لَكُمْ هُدًى﴾، يعني خيبر، ﴿وَكُلَّ آيَةٍ أَنْتَ عِنْدَ النَّاسِ عَنكَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ

لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿وَلِتَكُونَ﴾، كفهم وسلامتكم، ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وحراستهم في مشيهم ومغيبهم، ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، يشبثكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة وقيناً بصلح الحديبية وفتح خيبر، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ: كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر إليهم، فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم قال: فخرجنا إلى خيبر فأنهيناهم إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد - والله - محمد والخميس، فلجأوا إلى الحصن، فلما رآهم رسول الله ﷺ

قال: «الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أنا أبو علي الحنفى، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إياس بن سلمة حدثني أبي قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم: «تَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا وَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنْ الْأَلَى قَدْ بَغَا عَلَيْنَا»

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» فقال: أنا عامر [قال] غفر لك ربك، قال وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا ما متعتنا بعامر، قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

«قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب»

قال: وبرز له عمي عامر، فقال: «قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر» قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر

يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي رضي الله عنه وهو أرمد، فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فأتيت علياً رضي الله عنه فجثت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمعني أمي حيدره كليث غابات كربه المنظرة أوفيههم بالصاع كيل السندرة قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

وروى حديث خيبر [جماعة] سهل بن سعد، وأنس، وأبو هريرة، يزيدون وينقصون وفيه: أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال

الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»، فدعا علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فأتى مدينة خيبر، فخرج مرحب، صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز، فبرز إليه علي فضربه ففقد الحجر والبيضة والمغفر وقلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بنت عبدالمطلب: أو يقتل ابني يا رسول الله؟ قال: لا بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ويحوز الأموال.

قال محمد بن إسحاق: وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة ألقت عليه اليهود حجراً فقتله، ثم فتح العموص، حصن بن أبي الحقيق، فأصاب منه سبايا، منهم صفية بنت حبي بن أخطب، جاء بلال بها وبأخرى معها، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهما التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف

المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاه لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بمرأتين على قتلى رجالهما، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرأ وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها، فأتى رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو، فأخبرته هذا الخبر وأتى رسول الله ﷺ بزوجه كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضر فسأله، فجمده أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ إني قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك؟» قال: نعم.

فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن عليه، ثنا عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتى لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذيه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، قالها ثلاثاً، قال: وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قال عبدالعزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس يعني الجيش، قال: فأصبنا غنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا نبي الله ﷺ أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حبي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ﷺ أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها.

فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها فتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، وبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء

بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السوق، قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالواحد ثنا الشيباني قال: سمعت ابن أبي أوفى يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خبير، فلما كان يوم خبير وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ اكفثوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً. قال عبدالله [ابن أبي أوفى]: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ عنها لأنها لم تخمس.

وقال آخرون: حرما البتة. وسألت عنها سعيد بن خبير فقال: حرما البتة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن حبيب الحارثي، أنا خالد بن الحارث، ثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت أن أقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك، أو قال علي» قال: قالوا ألا تقتلها يا رسول الله؟ قال: «لا» وتجاوز عنها رسول الله ﷺ، قال:

فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن إسماعيل: قال يونس: عن الزهري قال عروة، قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا حرمي، أنا شعبة قال أخبرني عمارة، عن عكرمة، عن عائشة قالت: لما فتحت خبير قلنا: الآن نشيع من التمر.

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن المقدم، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خبير أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: نتركهم على ذلك ما شئنا، فأقروا حتى أجلاهم عمر في أمارته إلى تيماء وأريحاء.

قال محمد بن إسحاق: فلما سمع أهل فدك بما صنع

رسول الله ﷺ بخبير بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. ثم إن أهل خبير سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، ففعل على أنا إذا شئنا أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خبير للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكرثت فيها السم، وسممت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر عنها، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

قال: ودخلت أم بشر [بن] البراء على رسول الله ﷺ تعودته في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «يا أم بشر ما زالت أكلة خبير التي أكلت بخبير مع

ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري.

وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر، وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوها حتى اليوم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا لَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا لَنَضْحَكُنَّكَ﴾ يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، ﴿لَوْ لَا الْآيَةُ﴾، لانهزموا، ﴿ثُمَّ لَا يَجُودُونَ وَلَا يَصْبِرُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿سَيَسْأَلُ اللَّهُ النَّبِيَّ الَّذِي فَتَحَ لَكَ الْغَنَاءَ﴾، أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَلِيقٍ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الآخرون بالشاء،

واختلفوا في هؤلاء.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على

رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، وأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَلِيقٍ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

وقال عبدالله بن مغفل المزني: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، على ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: جئتم في عهد أو جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: اللهم

﴿٢١﴾ وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَلِيقٍ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٢﴾ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّئَةُ مَوَدَّةٌ لَأُتُّوهُمُ لَاحْزَنُهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَنَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَنْهُمْ عَدُوًّا أَلَيْسَ إِذْ جَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلْنَا اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّوْمَةُ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٣﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ أَنْتُمْ أَنْتُمْ وَالْغَنَاءُ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَكُنْ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ رِجَالٌ لَا تَخَافُونَ قَوْلَ الْعَصَاةِ وَلَا تَعْلَمُونَ أَفْجَعًا مِنْ ذَلِكَ فَتَنَّا قُرَيْبًا ﴿٢٤﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٥﴾

لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، الآية. روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالاً: خرج رسول الله ﷺ من المدينة زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، يريدون زيارة البيت، لا يريدون قتالاً، وساق معه سبعين بدنة، والناس سبعائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمره، وبعث عنها له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطا قريباً من عسفان، أنه عتبة الخزاعي وقال: إن قريشاً جمعوا لك جنوعاً وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلون

وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس، أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه»، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله، فنفروا، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحت، فقالوا: خلّات القصواء فقال النبي ﷺ: ما خلّات القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرّات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياه، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتربضه الناس ترئضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكى الناس إلى النبي ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ، فنزل في البئر فغرز في جوفه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما

هم كذلك إذ جاء بدیل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوز المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلّو بيني وبين البيت، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا قد جمّوا، وإن هم أبو فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره»، فقال بدیل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدّثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أي قوم أأست بالوالد؟ قالوا: بلى قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني بشيء من أمر محمد؟ قالوا: لا، قال: أأستم تعلمون أنني استنشرت أهل عكاظ، فلما بلّحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا [الرجل] قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها ودعوني آته، قالوا: آتته، فأتاه فجعل يكلم

النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: يا محمد أأريت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لا أرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر الصديق: امصص بظر اللات، أنحن نمر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر أأست أسعى في غدرتك، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال:

أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظرة تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتة، فقالوا: آتة، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له»، واستقبله الناس يلبيون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت؟ فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُذُن قد قُلِّدَتْ وأشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدَّوْا عن البيت، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحل صدّ الهدي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس إنما أنت رجل أعرابي لا علم لك،

فغضب الحليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتة، فقالوا: آتة، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ فينبما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال عكرمة فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد سهل لكم من أمركم»، قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ لعلي: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله، فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب يا علي محمد بن عبدالله».

قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله ألا أعطيتهم إياها، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو واصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض، فقال له النبي ﷺ: وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به، فقال سهيل: والله لا نخلي بينكم وبينه في هذا العام لربما تحدث العرب إنا أخذنا ضُغطة منكم ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك مئاة رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما متعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبدالله، قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله» ثم قال لعلي رضي الله عنه: «أمحُ رسول الله»، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: «فأرنيه» فأراه إياها، فمحاها النبي ﷺ بيده وفي رواية فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبدالله، قال البراء: صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين ردّه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردّه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بحلبان السلاح السيف والقوس ونحوه.

وروي ثابت عن أنس: أن قریشاً صالحوا النبي ﷺ فاشترطوا: إن من جاءنا منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: «نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً، ومخرجاً».

رجعنا إلى حديث الزهري قال: فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أفاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، فقال: فما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهل يجره ليرده إلى قریش، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأنا لا نغدر» فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل، فقال: اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به

أباه فضن الرجل بأبيه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم.

قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ.

قال الزهري في حديثه عن عروة عن مروان والمصور، ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت النبي ﷺ، فقلت: أأست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: أأستنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى»، قلت: فلم تُعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي في البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا تأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: أأستنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلم تُعطي الدنية في ديننا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدئك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضاً غمّاً وحزناً.

قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين». قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: «والمقصرين»، قالوا: يا رسول الله فلم ظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال «لأنهم لم يشكوا».

قال ابن عمر: وذلك أنه تريض قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت.

قال ابن عباس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيط المشركين بذلك.

وقال الزهري في حديثه: ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾، حتى بلغ ﴿يَصِمُ الْكَافِرُ﴾ [المتحينة: ١٠]، فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان، الأخرى صفوان بن أمية، قال: فنهاهم أن يردوا النساء، وأمر برد الصداق، قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير عتبة بن أسيد، رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهري بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم فقدموا على رسول الله ﷺ وقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر وإنه الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»، ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستله الآخر من غمده، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جريت به ثم جريت به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأخذه وعلا به فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: «ويلك مالك؟» قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول،

فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجانني الله منهم، فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وبلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقدموا عليه بالمدينة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْزَمَ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَابْتَغُوا غَنَمَ بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حتى بلغ ﴿حِجَّةَ الْبَيْتِ﴾، وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقرأوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت.

﴿٢٥﴾ قال الله تعالى: ﴿مَنْ أَلْزَمَ كَفَرُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أن تطوفوا به. ﴿وَالْقُدْسِ﴾، أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿مَتَكُونًا﴾،

محبوساً، يقال: عكفته عكفاً إذا حبسته وعكوفاً للآزم، كما يقال: رجع رجلاً ورجوعاً، ﴿إِنْ يَلْعَنُ مَلَكٌ﴾، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿لَمْ تَكُونُوا﴾، لم تعرفوهم، ﴿إِنْ تَقُوتُهُمْ﴾، بالقتال وتوقعوا بهم، ﴿فَتَضَيِّقُكُمْ مِنْهُمْ مَعَزَةٌ يَتَرَعَّدُونَ﴾، قال ابن زيد: معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَخُذُوا رَقَبَتَهُمْ﴾ [النساء: ٩٢]. وقيل: هو أن المشركين يعيبنكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجلاً مؤمناً ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، فالسلام في «اليدخل» متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿لَوْ تَرَكْنَا مِنْهُ الْفُتُورَ﴾، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِالْأَسْبَاطِ وَالْقَتْلِ بِأَيْدِيكُمْ﴾، وقال بعض أهل العلم: «العذبات» جواب لكل من الآيتين

أحدهما: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾، والثاني: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، ثم قال: ﴿لِيَتَجَلَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَمِيَّةً﴾، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿حِجَّةٌ لِّلْجَاهِلِيَّةِ﴾، التي دخلت قلوبهم، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وابن زيد وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله» وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً.

وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحيم الرحيم. ﴿وَكَانُوا أَعْيُنًا﴾، من كفار مكة، ﴿وَأَهْلَهَا﴾، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِفُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ﴾.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمينين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم دخلوا مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

وروي عن مجمع بن جارية الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباغر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، قال فخرجنا نوجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فقال عمر: أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده».

ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جل ذكره: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾، أخبر أن الرؤية التي أراها

إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق. قوله ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ يعني وقال: لتدخلن.

وقال ابن كيسان: لتدخلن قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدياً بأداب الله، حيث قال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا﴾ [آل: ٢٣]. وقال أبو عبيدة: ﴿إِنْ﴾ بمعنى إذ مجازة: إذ شاء الله، كقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٩١]، وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك.

كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»، فالاستثناء راجع إلى اللحق بأهل لا إله إلا الله إلى الموت. ﴿مُخَلِّينَ رُءُوسَكُمْ﴾، كلها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾، بأخذ بعض شعورها، ﴿لَا تَخَافُوتَ قَوْمَ مَا تَمَّ تَقَلُّبُهَا﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَرُسُلُهُمْ يَشْفَعُونَ﴾، الآية. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام،

﴿فَتَمَّا بَرَّيَا﴾، وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

﴿وَتَحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ﴾، تسم الكلام ههنا، قال ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدأ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، ﴿أَيُّدَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رافة، ﴿رَحْمَةً بَيْنَهُمْ﴾، متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: ﴿إِذْ لَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾، أخبر عن كثرة صلاتهم ومدامتهم عليها، ﴿يَتَتَوْنَ فُضْلًا يَنْ أَلَّهِ﴾، أن يدخلهم الجنة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾، أن يرضى عنهم، ﴿سَيِّمَانَهُمْ﴾، أي علامتهم، ﴿فِي وَجْهِهِمْ يَنْ أَثَرُ السُّجُودِ﴾. اختلفوا في هذا السيماء.

فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا.

وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر.

وقال آخرون: هو السميت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس

بالذي ترون لكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمنه وخشوعه، وهو قول مجاهد: والمعنى: أن السجود أورثهم الخشوع والسميت الحسن الذي يعرفون به.

وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر. قال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هو بمرضى.

قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالبة لأنهم يسجدون على

التراب لا على الأنواب. وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿وَالَّذِي ذَكَرْتُ﴾، مثلهم، صفتهم ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾، ههنا تم الكلام ثم ذكر نعمتهم في الإنجيل، فقال: ﴿وَتَنَزَّلُ﴾، صفتهم، ﴿فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّمَ أَخْرَجَ سَطَطَهُ﴾.

قرأ ابن كثير وابن عامر: سَطَطَهُ بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر، وأراد فراخه، يقال أسطأ الزرع فهو مشطى، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطوه.

وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: ﴿فَتَازَرَوْا﴾، قرأ ابن عامر: ﴿فَازَرَوْا﴾ بالقصر والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشذ أزره، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾، ذلك الزرع،

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّمَ أَخْرَجَ سَطَطَهُ فَتَازَرَوْا فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا بَيْتَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ لِيُحْشَبَ أَنْ تَحِبَّ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُمْسُونَ أَمْوَالَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا بَيْتَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَمَا يُنْفَخُ عَنْهُمْ أَوْصَالُ

٥١٥

﴿فَاسْتَوَى﴾، أي تم وتلاحق نباته وقام، ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾، أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾، أعجب ذلك زراعه، هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرُونَ.

قال قتادة: مثل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يثبتون نبات الزرع يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون.

وروي عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان رضي الله عنه، ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا﴾ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ﴿يَبْتَغُونَ

فَقَلَّا مِنَّا بَقِيَّةَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

وقيل: ﴿كَرَرُ﴾ محمد ﴿أَخْرَجَ شَقَطَهُ﴾، أبو بكر ﴿فَأَزَادَهُ﴾ عمر ﴿فَأَسْتَغْلَظَ﴾ عثمان للإسلام ﴿فَأَسْتَوَى عَلَى سُرُوقِهِ﴾ علي بن أبي طالب استقام الإسلام بسيفه، ﴿يُحِبُّ الزَّرَّاحَ﴾ قال: هم المؤمنون ﴿لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾، قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: لا تعبدوا الله سراً بعد اليوم.

حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعى السرخسى إملاء، أنا أبو بكر عبدالله بن أحمد القفال، ثنا أبو أحمد عبدالله بن محمد الفضل السمرقندى، ثنا شيخى أبو عبدالله محمد بن الفضل البلخى، ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد، ثنا عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، عن عبدالرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عوف: أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن قاسم، ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي، ثنا أحمد بن هاشم الأنطاكي، ثنا قطبة بن العلاء، ثنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء،

عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي [بأمتي] أبو بكر، وأشدّهم في [أمر] الله عمر، وأصدقهم حياة عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقراهم أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأميين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

ورواه معمر عن قتادة مرسلًا وفيه: «وأفضاهم علي».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا معلى بن أسد، ثنا عبدالعزيز بن المختار قال خالد الحذاء، ثنا عن أبي عثمان قال حدثني عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن الخطاب»، فعدّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

أخبرنا أبو منصور عبدالملك وأبو الفتح نصر بن الحسين، ابنا علي بن أحمد بن منصور محمد بن الحسين بن شاذويه الطوسي بها، قالوا: ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، نا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدي، ثنا إبراهيم بن إسماعيل هو ابن يحيى بن سلمة بن كهيل، ثنا أبي عن أبيه عن سلمة عن أبي

الزعراف عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وتمسكوا بهد عبدالله بن مسعود».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أن أحدًا ارتج عليه النبي ﷺ وأبو بكر [وعمر] وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اثبت أحد ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، ثنا أبو سعيد الأشج، أنا وكيع، ثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبیش، عن علي قال: عهد إلي النبي ﷺ أنه لا يُحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

أخبرنا أبو المظفر التميمي، أنا عبدالرحمن بن عثمان، أنا خيثمة بن سليمان، ثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائني، ثنا محمد بن الفضل بن عطية، عن عبدالله بن مسلم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من مات من أصحابي [بأرض] كان نورهم وقائدهم يوم القيامة».

قوله عز وجل: ﴿لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾، أي إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظًا للكافرين.

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي، ثنا أبو معمر الفضل بن إسماعيل بن إبراهيم الإسماعيلي أنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ثنا أخيرني الهيثم بن خلف الدوري، ثنا المفضل بن غسان بن الفضل الغلاتي، ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، ثنا عبيدة بن أبي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

حدثنا أبو المظفر بن محمد بن أحمد بن حامد التميمي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، ثنا إبراهيم بن عبد الله العباسي القصار بالكوفة، أنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني، ثنا أبو محمد عبد الله بن عروة، ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إشكاب، ثنا شيبان بن سوار، ثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خباب عن أبي سليم الهمداني، عن أبيه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً ينتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، نبزهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»، في إسناده هذا الحديث نظر، قول الله عز وجل: ﴿رَوَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، قال ابن جرير: يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم وقول على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه ﴿مُفَرَّغَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني الجنة والله أعلم.



سورة الحجرات

مدنية وهي ثمان عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا عَلَى بَيْنِ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ يعقوب: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ بفتح التاء والدال، من التقدم أي لا تقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم، مثل بين وتبين، وقيل: هو متعد على ظاهره، والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا

القول والفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين الدين الإمام، والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما، واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحية، وهو قول الحسن، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن حرب، ثنا شعبة، عن زبيد، عن الشعبي، عن الجراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء».

وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر

القعقاع معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت.

ورواه نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وزاد: قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

ولم يذكر عن أبيه، يعني أبا بكر. وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وُضع في كذا وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾، في تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَّعٌ﴾، لأقوالكم، ﴿عَلِمَ﴾ بأفعالكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿أَنْ تَحْطَ أَعْمَلُكُمْ﴾، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل [بن] عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا الحسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ [عنه] سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو وما شأن ثابت أشتكى؟» فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال: فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمت أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة».

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون [من] أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، وغلب ثابت البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي [ابن] سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي فشدي عليّ الضبة بمسمار [فضرته بمسمار] وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ، فأتى عاصم

رسول الله ﷺ، فأخبره خبره فقال له: اذهب فادعه، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: تكسر الضبة فكسرهما، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» قال: أنا صيِّبٌ وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟» فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعُلُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا.

فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب، رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهمزت طائفة منهم، فقال: أف للهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قتل.

واستشهد ثابت وعليه درع فرأه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يسير به في طوله وقد وضع على درعي برمة، فأتى خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي،

وأبى أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ
وقل له: إن عليّ ديناً حتى يقضيه
عني، وفلان وفلان من وقيتي عتيق،
فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه
والفرس على ما وصفه له، فاسترد
الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك
الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته، قال
مالك بن أنس: لا أعلم وصية
أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه.

قال أبو هريرة وابن عباس: لما
نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم
رسول الله ﷺ إلا كآخي السرار.

وقال ابن الزبير: لما نزلت هذه
الآية ما حدث عمر النبي ﷺ بعد
ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى
يستفهمه مما يخفص صوته،
فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
أَمْرَهُمْ﴾، يخفصون ﴿أَمْرَهُمْ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ﴾، لإجلالاً له، ﴿وَأُولَئِكَ
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلَهُمْ أَتَقْوَى﴾،
اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب
بالنار فيخرج خالصه، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾، قرأ العامة بضم الجيم،
وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم، وهما
لغتان، وهي جمع الحجر والحجر
جمع الحجرة فهي جمع الجمع.

قال ابن عباس: بعث
رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر
وأمر عليهم عيينة بن حفص
الفزاري، فلما علموا أنه توجه
نحوهم هربوا وتركوا عيالهم،
فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم
على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك
رجالهم يفدون الذراري، فقدموا

وقت الظهيرة، ووافقوا
رسول الله ﷺ قائماً في
أهله، فلما رأتهم الذراري
أجهشوا إلى آبائهم
يبكون، وكان لكل امرأة
من نساء الله ﷺ حجرة،
فعجلوا قبل أن يخرج
إليهم رسول الله ﷺ،
فجعلوا ينادون: يا محمد
أخرج إلينا، ويصيحون
حتى أيقظوه من نومه،
فخرج إليهم فقالوا: يا
محمد فادنا عيالنا، فنزل
جبريل عليه السلام فقال:
إن الله يأمرك أن تجعل
بينك وبينهم رجلاً، فقال

لهم رسول الله ﷺ: «أترضون أن
يكون بيني وبينكم سيرة بن عمرو،
وهو على دينكم؟» فقالوا: نعم،
فقال سيرة: إني لا أحكم بينهم إلا
وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة،
فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن
تفادي نصفهم وتعتق نصفهم، فقال
رسول الله ﷺ: «قد رضيت»،
ففادي نصفهم وأعتق نصفهم فقال
رسول الله ﷺ: من كان محرراً من
ولد إسماعيل فليعتق. فأنزل الله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾
﴿أَمْرَهُمْ لَا يَقْوَى﴾،
ونصفهم بالجهل وقلة العقل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، قال مقاتل:
لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم
جميعاً وتطلقهم بلا فداء، ﴿وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال قتادة: نزلت في ناس من

سورة الحجرات

سورة الحجرات

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
أَنْ تُبَيِّنُوا قَوْمًا بِجَهَنَّمَ فَنُفِصُوا عَنْ مَا قَعَلْتُمْ زَيْدِينَ﴾
﴿وَأَعْلَمُوا أَن يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ يُبْعَثُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَمِ﴾
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانِ وَزَيْدِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُشَادُونَكُمُ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَبًا فَأَصْلَحُوا بِإِيتِمَانٍ فَإِنْ بَعَثْتُمْ إِلَيْهِمَا
عَلَى الْأَخْرَى فَقِيلُوا أَلَيْ تَبْعَى حَقَّ نَبِيِّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ إِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بِإِيتِمَانٍ بِالْعَدْلِ وَأَقْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾
﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرُجُ مِنْ قَوْمٍ
عَسْرٌ أَنْ يَكُونُوا عَسْرًا فِيهِمْ وَلَا يَسَاءُ عَسْرٌ أَنْ يَكُونَ عَسْرًا
فِيهِمْ وَلَا تَلْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَئِمَّةُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاللَّهُ يَخْلُوكُمُ﴾

٥١١

أعراب بني تميم جاؤوا إلى
النبي ﷺ فنادوا على الباب.

ويروى ذلك عن جابر قال:
جاءت بنو تميم فنادوا على الباب:
أخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا
زين، وذمنا شين، فسمعها
النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ وهو
يقول: «إنما ذلكم الله الذي مدحه
زين وذمه شين». فقالوا: نحن ناس
من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا
لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ:
«ما بالشعر بعث ولا بالفخار أمرت،
ولكن هاتوا ما عندكم»، فقام شاب
منهم فذكر فضله وفضل قومه، فقال
النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس
وكان خطيب النبي ﷺ: «قم
فأجبه»، فأجابه، وقام شاعرهم فذكر
أبياتاً، فقال النبي ﷺ لحسان بن
ثابت: «أجبه» فأجابه، فقام
الأقرع بن حابس، فقال: إن محمداً

لمؤتى له والله ما أدري هذا الأمر
تكلم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن
من خطيبنا قولاً، وتكلم شاعرنا
فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولاً،
ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن
لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال
له النبي ﷺ: «ما يضرك ما كان قبل
هذا»، ثم أعطاهم رسول الله ﷺ
وكساهم، وكان قد تخلف في
ركابهم عمرو بن الأهتم لحدادة
سنه، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما
أعطاهم، وأزرى به بعضهم وارتفعت
الأصوات وكثر اللغط عند
رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ الْآيَاتِ
الْأَرْبَعِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَفْوٌ رَجِيمٌ﴾.

وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من
العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم
لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل
فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به،
وإن يكن ملكاً نعش في جناحه،
فجاؤوا فجعلوا ينادونه: يا محمد يا
محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ
رَجِيمٌ.

﴿٦﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾،
الآية.

نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي
مُعيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني
المصطلق بعد الوقعة مصدقاً، وكان
بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما
سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر
رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم

يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق
إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني
المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا
قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم
أن يغزوههم، فبلغ القوم رجوعه فأتوا
رسول الله ﷺ، وقالوا: يا
رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا
نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من
حق الله عز وجل، فبدا له الرجوع،
فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب
جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا
نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله،
فاتهمهم رسول الله ﷺ، وبعث
خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر
وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه،
وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما
يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة
أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل
فيهم ما تستعمل في الكفار، ففعل
ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان
صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ
منهم صدقاتهم، ولم ير منهم إلا
الطاعة والخير، فانصرف إلى
رسول الله ﷺ وأخبره الخبر،
فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
عَقِبَهُ، ﴿بَيِّنٌ﴾، بخبر، ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن
شُبِّهُوا﴾، كي لا تصيبوا بالقتل
والقتال، ﴿قَوْمًا﴾، براء، ﴿يَمْهَلَكُوْهُ
فَتَضِلُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَوَلَّيْنَ﴾، من
إصابتكم بالخطأ.

﴿٧﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو
تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه
أحوالكم فتفضحوا، ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾،
أي الرسول، ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾،

مما تخبرونه به فيحكم بآيكم،
﴿لَأَمِنْتُ﴾، لأتممت وهلكتم، والعت:
الإثم والهلاك. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَنُ﴾، فجعله أحب الأديان
إليكم، ﴿وَرَزَقْنَا﴾، حسنه ﴿فِي
قُلُوبِكُمْ﴾، حتى اخترتموه، وتطيعوا
رسول الله ﷺ، ﴿وَوَكَّرَ﴾ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ، قال ابن عباس: يريد
الكذب، ﴿وَاللَّعِيَانُ﴾، جميع
معاصي الله، ثم عاد من الخطاب
إلى الخبر، وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ
الرَّشِيدُونَ﴾، المهتدون.

﴿٨﴾ ﴿فَضَلَّ﴾، أي كان هذا
فضلاً، ﴿يَنُورُ اللَّهُ وَنُورُهُ عَلَيْهِ﴾
حِكْمَةٌ.

﴿٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَلَفْظَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَنَبَّأُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾،
الآية.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا
معتمر قال: سمعت أبي يقول: إن
أنساً قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت
عبد الله بن أبي، فانطلق إليه
النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق
المسلمون يمشون معه، وهي أرض
سبخة، فلما أتاهم النبي ﷺ فقال:
إليك عني، والله لقد آذاني نتن
حمارك، فقال رجل من الأنصار:
والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب
ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل
من قومه فتشامتا، فغضب لكل واحد
منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب
بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها
نزلت: ﴿وَلَا تَلَفْظَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا يَتَنَبَّأُ .

ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض .

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لأخذن حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن بينهما قتال بالسيف .

وقال سفيان عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى عليّة وحبسها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا، وجاء قومه فاقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تَلْفُتْ بَيْنَهُمَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . **أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا يَتَنَبَّأُ** بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿فَإِنْ بَكَتْ عَلَيْهِمُ﴾ ، تعدت إحداهما، ﴿عَلَى الْآخَرَةِ﴾ ، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿فَقَبِّلُوا إِلَٰهِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ ، ترجع، ﴿إِلَٰهَ أَتَىٰ إِلَٰهِي﴾ ، في كتابه وحكمه، ﴿فَإِنْ فَادَتْهُ﴾ ، رجعت إلى الحق، ﴿فَأَصْلَحُوا يَتَنَبَّأُ بِالْعَدْلِ﴾ ، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿وَأَقْبِلُوا﴾ ، اعدلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، في السدين والولايه، ﴿فَأَصْلَحُوا يَتَنَبَّأُ﴾ ، إذا اختلفا واقتتلا، قرأ يعقوب ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ بالناء على

الجمع، ﴿وَاللَّوْا لِلَّهِ﴾ ، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿لَمَّا كَرِهَ لَكُمْ﴾ .

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا محمد بن سعيد، ثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين .

يدل عليه ما روي عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا من الشرك فرّوا، فقبل: منافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا .

والباعي في الشرع هو الخارج على الإمام العدل، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل، ونصبوا إماماً فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيتهم

قاتلهم الإمام حتى يفثوا إلى طاعته، ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم، نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل: ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح .

وأتي علي رضي الله عنه يوم صفين بأسير فقال له: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين .

وما أثلثت إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليهما .

قال ابن شهاب: كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول، وأثلث فيها أموال كثيرة، ثم صار للناس إلى أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم، فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أثلفه .

أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماماً فلا يتعرض لهم إن لم يتنصبوا قتلاً ولم يتعرضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطاع الطريق .

رؤي أن علياً سمع رجلاً يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلا لله تعالى، فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث: لا نهضكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا تمنعكم الغي ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبذكم بقتال .

﴿وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخْرَ قَوْمٌ﴾، الآية .

للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر.
وقال الحسن: كان اليهودي
والنصراني يسلم، فيقال له بعد
إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا
عنه ذلك. قال عطاء: هو أن تقول
لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير.

وروي عن ابن عباس: قال:
«التنازع بالألقاب» أن يكون الرجل
عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن
يعير بما سلف من عمله، «بش»
الاسم أن يقول يا يهودي أو يا فاسق
بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن
من فعل ما نهى عنه من السخرية
واللمز والنيز فهو فاسق، وبش
الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا
تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق،
«وَمَنْ لَّمْ يَبْ» من ذلك، «وَأُولَئِكَ
مَّمَّ الظَّالِمُونَ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا كَثِيرًا
مِّنَ الظَّنِّ﴾.

قيل: نزلت الآية في رجلين
اعتابا رفيقهما، وذلك أن
رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر
ضم الرجل المحتاج إلى رجلين
موسرين يخدمهما، ويتقدم لهما إلى
المنزل فيبهى لهما ما يصلحهما من
الطعام والشراب، فضم سلمان
الفارسي إلى رجلين في بعض
أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل
فغلبته عيناه فلم يبهى لهما شيئاً،
فلما قدما قالاه: ما صنعت شيئاً؟
قال: لا غلبتني عيناى، قالاه:
انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا
منه طعاماً، فجاء سلمان إلى
رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال

غمز ثابت الرجل، فقال:
من هذا؟ قال: أنا فلان،
فقال له ثابت: ابن فلانة،
وذكر أماً له كان يعير بها
في الجاهلية، فنكس
الرجل رأسه واستحيا،
فأنزل الله تعالى هذه
الآية.

وقال الضحاك: نزلت
في وفد بني تميم الذي
ذكرناهم، كانوا يستهزؤون
بفقراء أصحاب النبي ﷺ
مثل عمار وخباب وبلال
وصهيب وسلمان وسالم
مولى أبي حذيفة، لما رأوا
من رثاء حالهم،

فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا
منهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ
مِّن قَوْمٍ﴾ أي رجال من رجال،
و«القوم» اسم يجمع الرجال والنساء،
وقد يختص بجمع الرجال، «عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَسَاءَلُوا عَنْ
أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ».

روي عن أنس أنها نزلت في نساء
رسول الله ﷺ حين عيرن أم سلمة
بالقصر.

وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها
نزلت في صفية بنت حيي بن
أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت
يهوديين.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي لا يعب
بعضكم بعضاً، ولا يطعن بعضكم
على بعض، ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾،
التنازع التفاعل من النيز وهو اللقب،
وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي
به. قال عكرمة: وهو قول الرجل

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا تَلْمِزُوا أَلْقَابَكُمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَتَيْتُمْ أَحَدَكُمْ بِرَأْسِ كَلْبٍ لِّحْمٍ أَخِيهِ مِمَّا فَكَرْتُمْ هُوَ وَأَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعْرًا وَفَصَالًا لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالِ يَا أَيُّهَا الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تَزُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا دَخَلُوا الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَإِنْ طِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ عَمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَصْلَحْتُكُمْ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السُّنُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِنْ أَسْلَمْتُكُمْ رَبُّ اللَّهِ يُعَذِّبْكُمْ أَوْ يُغْنِيكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ أَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبُ السُّنُونِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

قال ابن عباس نزلت في ثابت بن
قيس بن شماس وذلك أنه كان في
أذنه وقر، فكان إذا أتى
رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس
أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه،
فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد
فاتته ركعة من صلاة الفجر، فلما
انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ
أصحابه مجالسهم، فضع كل رجل
بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد،
فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً
يجلس فيه قام قائماً كما هو، فلما
فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو
رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس،
ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا
يتفسحون له حتى انتهى إلى
رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال
له: الرجل تفسح، فقال الرجل: قد
أصبت مجلساً فاجلس، فجلس ثابت
خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة

له رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد، وقل له: إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك» وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ على رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة طعام ولكن بخل، فبعثنا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالوا: لو بعثناك إلى بشر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاء إلى رسول الله قال لهما: «مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما» قالوا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: «بل ظلمتم تأكلون لحم سلمان وأسامة» فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ اللَّحْمِ

وَأَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ بِأَهْلِ الْخَيْرِ سَوَاءً، ﴿إِنَّكَ بَعْضُ النَّاسِ فِثْنٌ﴾، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما: إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر: ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوارثهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم

والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً».

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أنا عبدالله بن ناجية، ثنا يحيى بن أكثم، أنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد، عن أوفى بن دلهم، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه، ولا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك.

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرأ، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيئاً نأخذه به. ﴿وَلَا يَنْتَبِ بِعَضِّكُمْ بِعَضِّ﴾، يقول: لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا

عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبت، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو الطاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا: لا يأكل حتى يطعم، ولا يرحل حتى يرحل، فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه»، فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه».

قوله عز وجل: ﴿إِيجُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، قال مجاهد: لما قيل لهم ﴿إِيجُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ قالوا: لا، قيل: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غالباً. قال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضر بك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي،

أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن أبي شيبه، ثنا الفريابي، ثنا محمد بن المصنف، ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، حدثني صفوان بن عمرو، ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

قال ميمون بن سياه: بينما أنا نائم
إذا أنا بحجيفة زنجي وقائل يقول:
كل، قلت: يا عبدالله ولم أكل؟
قال: بما اغتبت عبد فلان، فقلت:
والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً،
قال: لكنك استمعت ورزيت به،
فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع
أحداً يغتاب عنده أحداً.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾
﴿٧٦﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، الْآيَةِ.

قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، يُعَيِّرُهُ بأمه، قال النبي ﷺ: «من الذكور فلانة؟» فقال ثابت: أنا يا رسول الله ﷺ فقال: «انظر في وجوه القوم» فنظر فقال: «ما رأيت يا ثابت؟» قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى»، فنزلت في ثابت هذه الآية، وفي الذي لم يتفسح: ﴿وَكُنَّا بِهَا الْذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَعَّأُوا فِي الْمَجَالِدِ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال مقاتل: لما كانت يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ ببلايا حتى علا ظهر الكعبة وأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، قال الحارث بن هاشم: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يعيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا: فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا: فأنزل الله تعالى هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء.

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾، جمع شعب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوباً لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شَعَبَ أي: جمع، وشعب، أي: فرق. ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ شُعُوبٍ وَحِدَةً﴾، وهي دون الشعوب، واحدتها قبيلة وهي كَبْكُر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العُمائر، واحدتها عمارة، بفتح العين ووهم كشيبيان من بكر، ودارم من تميم، ودون العُمائر البطون، واحدتها بطن، وهم كبنِي غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبنِي هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة

وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي
يوصف به، وقيل: الشعوب من
العجم، والقبائل من العرب،
والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو
روق: الشعوب من الذين لا يعتزون
إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن
والقرى، والقبائل العرب الذين
ينتسبون إلى آبائهم. ﴿وَتَعَارَفُوا﴾،
ليعرف بعضكم بعضاً في قرب
النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم
أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أنقاهم
فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾،
لأن الله عليهم خير، قال قتادة: في
هذه الآية إن أكرم الكرم التقوى،
والأم اللوم الفجور.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه، أنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي، ثنا عبدالله بن حميد، ثنا يونس بن محمد، ثنا سلام بن أبي مطيع، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسب المال، والكرم التقوى».

قال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى،
وكرم الآخرة التقوى.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم، أنا
عبدالله بن أحمد بن حمويه، أنا
إبراهيم بن خزييم، ثنا عبد بن
حميد، أنا الضحاك بن مخلد، عن
موسى بن عبيدة، عن عبدالله بن
دينار، عن ابن عمر أن النبي ﷺ
طاف يوم الفتح على راحلته يستلم
الأركان بمحجنه، فلما خرج لم يجد
مناخاً، فنزل على أيدي الرجال، ثم
قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه،

وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عُيْبَةَ الجاهلية وتكبرها بأبائها [وفخرها بالآباء وتكبرها]، إنما الناس رجلان برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، ثم قال: أقول قولِي هذا واستغفر الله لي ولكم».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن ابن سلام، ثنا عبدة عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عمرو الناقد، ثنا كثير بن هشام، ثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآءًا﴾، الآية.

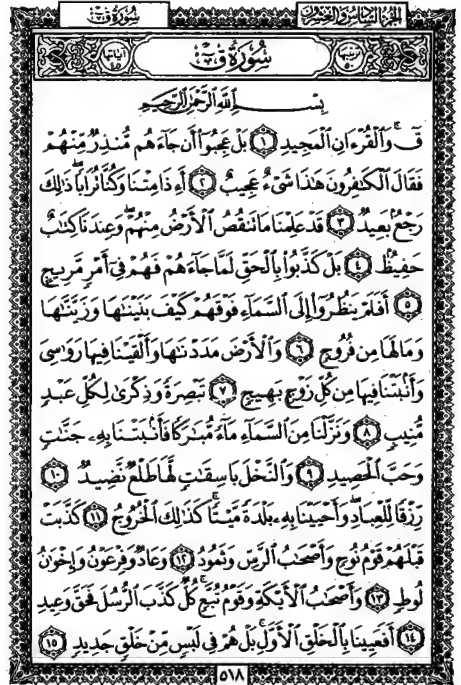
نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدية فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتنتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجنتك بالأنقال والعيال والذرازي، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمتنون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآءًا﴾ صدقنا، ﴿قُلْ لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، انقذنا استسلمنا مخافة القتل والسيب، ﴿وَلَكِنَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن غرير الزهري، ثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب أخبرني عامر بن سعد عن أبيه قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطاً

وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ فيهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إليّ، فقامت إلى رسول الله فساررتة، فقلت: مالك عن فلان والله إنني لأراه مؤمناً، قال: «أو مسلماً» قال: فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إنني لأراه مؤمناً قال: «أو مسلماً» فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إنني لأراه مؤمناً قال: «أو مسلماً» قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه».

فالإسلام هو الدخول إلى السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشقاء، وأصاف إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان والجنان، كقوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْتَ أَتَلَمَّكَ رَبِّي أَتَغْلِبُكَ﴾ [البقرة: ١٣١]، ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَكِنَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿وَلَنْ نُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانية. قال ابن عباس تخلصوا الإيمان، ﴿لَا يَتَّكِبُ﴾ قرأ أبو عمرو «يا لتكم» بالالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَمَسْتُمُ﴾ [الطور: ٢١] والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يالت ألتا ولات يليت ليتاً إذا نقص،



﴿١٧﴾ وَيَمُوتُ عَلَيْكَ أَمْ سَلَمُوا قَدْ لَمْ تَمُوتُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ، أَي بِإِسْلَامِكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ، وفي مصحف عبد الله [إذ هداكم للإيمان]، إن كنتم صَادِقِينَ، إنكم مؤمنون.

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، قرأ ابن كثير «يعملون» بالياء وقرأ الآخرون بالياء.

سورة ق

مكية وهي خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ق﴾ قال ابن عباس: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرطبي: هو مفتاح اسمه «القدير»، و«القادر» و«القاهر» و«القريب» و«القابض»، وقال عكرمة والضحاك: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، منه خضرة السماء، والسماء مقببة [عليه]، عليه كتفاه، ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، وقيل: معناه قضي الأمر أو قضي ما هو كائن كما قالوا في «حم» [السجدة: ١]. و«الفرقان» المجيد، الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا في جواب هذا

القسم، فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف، مجازه: والقرآن المجيد لتبعثن. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا، وجوابات القسم سبعة إن الشديدة كقوله: «وَالْفَجْرِ» و«لَيَالٍ عَشْرٍ» [الفجر: ١٤] وما النفي كقوله: «وَالصَّحْحَىٰ» [الضحى: ١] ودَعَا رَبَّكَ وَمَا قُلْ [الضحى: ١] و«وَاللَّامِ الْمَفْتُوحَةِ» كقوله: «وَرَبَّكَ لَنَسْتَلْهُنَّ أَجْمِينَ» [الحجر: ٩٢] وإن الخفيفة كقوله تعالى: «إِنْ كُنَّا لَنَافِلِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [الشعراء: ٩٧] ولا كقوله: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَمُدُّ إِلَهُكَ مِنَ الْمَوْتِ» [النحل: ٣٨] وقد كقوله تعالى: «وَالْقَائِمِينَ وَحُفَّتْهَا» قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس: ١ و٩]، وبلى كقوله: «وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ».

﴿٢﴾ ﴿ق﴾ بَلِ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ، يخوف، وَيَنْهَاهُمْ، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَجْوَىٰ عِيبٍ، غريب. ﴿٣﴾ ﴿ق﴾ أَوَدَا مِتْنَا وَكُنَّا زُرَّابًا، نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ذَلِكَ رَجَعٌ، أي رد إلى الحياة «يَعِيدُ»، وغير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت.

﴿٤﴾ قال الله عز وجل: «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ»، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، «وَعِدْنَا

مَنْ أَمْلَكَكُمْ شَيْئًا»، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئاً، «إِنَّ اللَّهَ عَزُودٌ رَجِيمٌ»، ثم بين حقيقة الإيمان. ﴿٥﴾ فَقَالَ: «إِنَّا الْمُتَوَكِّلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا»، لم يشكوا في دينهم، «وَحَنَّادُوا يَأْمُرُ لَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»، في إيمانهم، فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

﴿٦﴾ فأنزل الله عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ»، والتعليم ههنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدِينكم وأدخل الباء فيه، يقول: أنخبرون الله بدِينكم الذي أنتم عليه، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُلُّ مَقْصِدَ عِبَادِهِ»، لا يحتاج إلى إخباركم.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ قَانُونَ بِهِ ۚ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَا تُحِبُّ ۚ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۚ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ ۚ وَجَاهَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ۚ وَجَاهَتْ كُلُّ فِئَةٍ مُعَاهِدًا ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ۚ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكُفِّنَا عَنْكَ غِظَاءَ كَافِرٍ ۚ وَكَانَ يَوْمَ هَٰذَا مَدَىٰ عَيْنٍ ۚ أَيُّهَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ۚ مَتَّاعٌ لِلْغَيْرِ مُعْتَدٍ ۚ رَيْبٌ ۚ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۚ مَا خَرَّ قَالِيًا فِي أَعْدَادِ الشُّعَدَاءِ ۚ قَالُوا رَبَّنَا أَلْفَنُوسَةٌ وَلَكِنْ كَافَرُوا فَسَلَّ لِي يَمِينُ ۚ قَالُوا لَنَنْخَسِعَنَّهُ لَكَ وَفَدَمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعْدِ ۚ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَالَمِينَ ۚ يَوْمَ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هَلْ آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ۚ وَأُفْلِتَ لُبِّي ۚ الْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ هَٰذَا مَا وَعَدُونَا لِكُلِّ أُوَاقٍ حَفِيفٍ ۚ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ۚ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۚ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۚ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا أَلَدٌ مِّنْ لَّدُنَّا ۚ وَرَبِّدْ ۚ

٥١٩

وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي حب النبت الحصيد.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوالاً، يقال: بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت. وقال سعيد بن جبير: مستويات. ﴿لَمَّا طُلِعَ﴾ ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع

كُنْتُ حَفِيفٌ، محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ، وقيل: حفيظ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم، فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ، مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مفتري، فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم، ثم دلهم على قدرته.

﴿قَالَ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ يَنْزِلُهَا﴾، بغير عمد، ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾، بالكواكب، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، شقوق وفشوق وصدوع واحداً فرج.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطناها على وجه الماء، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾، جبلاً ثوابت، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، حسن كريم يبهج به، أي يسر بنظره.

﴿بَصِيرَةٍ﴾، أي جعلنا ذلك تبصرة، ﴿وَذَكَّرْنَا﴾، أي تبصيراً وتذكيراً، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، أي ليتبصر به ويتذكر به.

﴿وَزَكَّيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَبِيدِ﴾، يعني البر والشعير

﴿أَفَعَيْنَا بِالْحَقِّ الْآدِلَ﴾، يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعيا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عي به. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾، أي في شك، ﴿مِنْ خَلْقِ بَعِيدٍ﴾، وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ قَانُونَ مَا نُؤْتِيهِمْ بِهِ نَقُصُّ﴾، يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾، أعلم به، ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾، أي يتلقى

أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نُفُودٍ﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

﴿وَزَكَّيْنَا لِلْيَابِثَاتِ﴾، أي جعلناها رزقاً للعباد، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾، أي بالمطر، ﴿بَلَدَةً مَّيْتًا﴾، أنبتنا فيها الكلا، ﴿كَذَٰلِكَ الْفَرْجُ﴾، من القبور.

﴿١٧﴾ - قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَلْبُهُمْ قَوْمٌ نُّوحٍ وَأَخَذَتْ أَرْبَعٌ وَنُوحٌ وَرَافَا وَفِرْعَوْنَ وَآخُوهُ لُوطٌ وَأَخَذَتْ أَلْيَكُ وَنُوحٌ نُّوحٌ﴾، وهو تبع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان. ﴿كُلُّ كَذَّبٍ أَزْهَلٌ﴾، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿فَقُتِلَ وَعِدٌ﴾، وجب لهم عذابي ثم أنزل جواباً لقولهم ذلك رجع بعيد.

ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿يُحْيِي الْيَمِينِ وَيَحْيِي الْبَالِ﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿يُعِدُّ﴾، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً كالرسول يجعل لل اثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿قُولُوا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ آلَعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

﴿يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، ﴿لَا لَدَيْهِ رَيْبٌ﴾، حافظ، ﴿يُعِدُّ﴾، حاضر أينما كان.

قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه وعند جماعه. وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنه في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه. وقال الضحاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن يظف عتقته.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا الفضل بن العباس بن مهران، ثنا طالوت، ثنا حماد بن سلمة أنا

جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرأ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر».

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿وَالْتَمَى﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءته سكرة الموت، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تُعِدُّ﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدث عن الشيء أحيد حيداً ومجيداً إذا ملت عنه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ﴾، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

﴿وَمَكَّتْ﴾، ذلك اليوم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿وَنُفِخَ﴾، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال

الآخرون: هما جميعاً من الملائكة. ﴿فَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾، اليوم في الدنيا، ﴿فَكُنْفَتَا عَنْكَ غَفْلَتُكَ﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعتك وبصرتك، ﴿فَمَرَكَ الْيَوْمَ حَيْدٌ﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾، الملك الموكل به، ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدٍ﴾، معد محضر، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله. ﴿فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِقَرِينِهِ﴾، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾، هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلها وازجرها وخذاها وأطلقها، للواحد، قال الفراء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي. وقال الزجاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتقين. ﴿كُلُّ كَفَّارٍ فِيهِ﴾، عاص معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله.

﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، ﴿فَتَمْتَرُ﴾، ظالم لا يقر بتوحيد الله، ﴿فَتَرْيِبُ﴾، شاك في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

﴿الَّذِي جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا مَآخَرٌ﴾

فَأَلْقِيَا فِي النَّارِ الْكَافِرَ، وهو النار.

﴿٢٧﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ، يعني الشيطان الذي قبيض لهذا الكافر، ﴿رَبَّنَا مَا أَفْلَحْنَا﴾، ما أضللتنا وما أغويتنا، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا فِي سَكَلٍ يَبِيدٌ﴾، عمن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته، يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق.

﴿٢٨﴾ قَالَ، يعني يقول الله ﴿لَا تَخْضِعُوا لَدَيْهِ وَقَدْ فَدَّيْتُ لَكُمْ بِأَلْعَدِ﴾، في القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاض.

﴿٢٩﴾ ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾، لا تبديل لقولي وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال قوم: معنى قوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأنني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي، واختيار الفراء، لأنه قال: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ ولم يقل ما يبدل قولي ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فأعاقبهم بغير جرم.

﴿٣٠﴾ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْضِعُوا لَدَيْ﴾، وقـــأ الآخرون بالنون، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾، وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه

يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿وَنَقُولُ﴾، جهنم، ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل ابن سليمان.

وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾، قبل دخول جميع أهلها فيها.

وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، فلما سبق أعداء الله إليها لا يُلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء، فتقول: ألسنت قد أقسمت لئمتاني؟ فيضع قدمه عليها، تعالى عما يقول الظالمون، ثم يقول: هل امتلأت؟ فتقول: قط قط قد امتلأت فليس في مزيد.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، ثنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، أنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، ثنا شيبان بن عبدالرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط قط وعزتك، وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل

حتى ينشئ الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة».

﴿٣١﴾ ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾، قربت وأدנית، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، الشرك، ﴿غَيْرَ يَبِيدٍ﴾، [هل] ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

﴿٣٢﴾ ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾، قرأ ابن كثير بالياء والآخرين بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على السنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿لِكُلِّ آثَابٍ﴾، رجاء إلى الطاعة عن المعاصي.

قال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد [هو] الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك: هو التواب. وقال ابن عباس وعطاء: هو المسيح، من قوله: ﴿يَجْعَلُ أَوَّلِي مَمَرٌ﴾ [سبأ: ١٠] وقال قتادة: هو المصلي. ﴿حَفِظَ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي: المراقب، قال سهل بن عبدالله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

﴿٣٣﴾ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ﴾، محل «مَنْ» جر على نعت الأواب. وقيل رفع على الاستثنا، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد، وقال الحسن: إذا أرخى

وَكُنْ أَهْلًا لَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَهْلُ سَبَإٍ مِمَّنْ تَبَعُوا قِبْلَتَ الْأَيْدِي وَوُجُوهُهُمْ قِبْلَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ذَلِكَ لِلَّذِينَ أُنْزِلَتْ فِيهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلِيُخْبِرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ خُلِقَ الْأَنْثَىٰ أَنَّ الْأُنْثَىٰ كَذَّابَةٌ أَكْثَرُ كَذِبًا وَأَنَّ الْأُنْثَىٰ فَخْرٌ حَرَامٌ وَفِي الْآيَةِ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٠

الستر وأغلق الباب. ﴿وَجَاءَ يَقْنَبُ
مُنِيبٌ﴾، مخلص مقبل إلى
طاعة الله.

(٢٤) ﴿أَدْخُلُوهُمْ﴾، أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. ﴿يَكْتُمُونَ﴾، بسلامه من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامه من زوال النعم، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقُلُوبِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا حَتَّى تَسْمَعُوا دَعْوَةَ رَسُولٍ﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس هو النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿٣٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ

بَطْلًا فَنَبِّئُوهُ فِي الْيَدِيَّ،
ضربوا وساروا وتقلبوا
وطافوا، وأصله من
النقب، وهو الطريق كأنهم
سلكوا كل طريق، ﴿هَٰذَا
مِنْ عَجَمٍ﴾، فلم يجدوا
محيصاً من أمر الله.
وقيل: هل من محيص
مفر من الموت؟ فلم
يجدوا فيه، إنذاراً لأهل
مكة وأنهم على مثل
سبيلهم لا يجدون مفراً
عن الموت يموتون،
فصيرون إلى عذاب الله.

﴿٣٧﴾ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ

فيما ذكرت من العبر
والعذاب وإهلاك القرى،
﴿لَذِكْرِي﴾، تذكرة وعظة، ﴿لَنْ كَانُ
لَمْ قَلْبُ﴾، قال ابن عباس: أي عقل.
قال الفراء: هذا جائز في العربية،
تقول: مالك قلب وما قلبك معك،
أي ما عقلك معك. وقيل له: قلب
حاضر مع الله. ﴿أَوَ أَلْقَى السَّمْعَ﴾،
استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا
يحدث نفسه بغيره، تقول العرب:
ألقى إلي سمعك، يعني استمع،
﴿وَمَوْ سَهَيْدُ﴾، يعني حاضر القلب
ليس بغافل ولا ساه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، إعياء وتعَب.

نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد: أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد

والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء،
والمدائن والأنهار والأقوات يوم
الأربعاء، والسموات والملائكة يوم
الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم
الجمعة، وخلق في أول الثلاث
الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة،
وفي الثالث آدم قالوا: صدقت إن
أتممت، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم
استراح يوم السبت، واستلقى على
العرش، فانزل الله تعالى هذه الآية
رداً عليهم.

﴿قَاسِمٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾،
من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد،
وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿وَسَيَحْجَمِدُ رَبُّكَ﴾، أي صل حمداً لله،
﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة
الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، يعني
صلاة العصر. وروي عن ابن عباس
قال: قبل الغروب الظهر العصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال جاهد: ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلى. ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُودَ﴾ قرأ أهل الحجاز وحمة: ﴿إِدْبَارِ الشُّجُودِ﴾ بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن، والشعبي، والنخعي، والأوزاعي: أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وروي عنه مرفوعاً، هذا قول أكثر المفسرين.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]

مقاتل: يعني إسرافيل ينادي بالحشر يا أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَنْ كُنَّا قِيَمَ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض. قال الكلبي: هي أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾، وهي الصيحة الأخيرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقُرْءِ﴾، من القبور.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَآلِهُمُ﴾ ﴿يَوْمَ تَنْفَعُ الْآرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعاً﴾ ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾، جمع سريع أي يخرجون سرعاً، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾، جمع علينا ﴿يَسِيرٌ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿نَحْنُ أَكْبَرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة في تكذيبك، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِبَارِئٍ﴾، بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ نَحَافٍ وَعِيدٍ﴾، أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ نَحَافٍ وَعِيدٍ﴾.



سورة الذاريات

مكية وهي ستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿وَالذَّارِيَّتِ ذُرُوءُ﴾، يعني الرياح التي تذر ذرُوءاً، يقال: ذوت الريح التراب وأذرت.

الحسين الروقي الطوسي بها، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أنا محمد بن [محمد بن] يوسف، ثنا محمد بن أيوب، أنا مسدد، ثنا خالد هو ابن عبدالله، ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ سَبَحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ [مَكْتُوبَةٍ] ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ تِسْعَةُ وَتِسْعُونَ، ثُمَّ قَالَ تَمَامُ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسحاق، أنا يزيد، أنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: «كيف ذاك؟» قالوا: صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال، قال: «أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله: تسبحون في دُبُرِ كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً».

﴿٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادُوا لِلَّهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ قُرْبَى﴾، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال

المليحي، أنا أبو المنصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو أيوب الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ معاهدةً منه على الركعتين أمام الصبح.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا صالح بن عبدالله، ثنا أبو عروانة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المجبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المثنى، ثنا بدل بن المجبر، ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود أنه قال: ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر: بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

وقال مجاهد: قوله ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُورِ﴾ هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن



الحسن: حبكت بالنجوم.

قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهي جمع حباك وحيكة، وجواب القسم قوله:

﴿إِنْكَرْ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَفِي قَوْلِي تَخَلُّفٌ﴾، في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن سحر وكهانة

وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب.

﴿يُؤْتِكُ عَنْهُ مَنْ أَفْكُ﴾، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن. وقيل: ﴿عن﴾ بمعنى: من أجل، أي: يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف. وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

﴿قِيلَ لِّلْمُرْسُونِ﴾، لعن الكذابين، يقال: تخرّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿الَّذِينَ تَمْ فِي عَذَابٍ﴾، غفلة وعمى وجهالة ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكذيباً واستهزاء.

﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم ﴿يَوْمَ﴾، أي يوم هم ﴿عَلَى النَّارِ يُنْزَلُونَ﴾، أي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: ﴿على﴾ بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾، عذابكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْبِلُونَ﴾، في الدنيا تكذيباً به.

﴿إِنَّ التَّائِبِينَ فِي جَنَّتِ وَعِیُونَ﴾، ما أنتمهم، أعطاهم، ﴿رُزْقُهُمْ﴾، من الخير والكرامة، ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، قبل دخولهم الجنة، ﴿مُحْسِنِينَ﴾، في الدنيا.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، والهجوع النوم بالليل دون النهار، و«ما» صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً، وهذا معنى قول سعيد بن جبیر عن ابن عباس، يعني: كانوا قلّ ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئاً إما من أولها أو من أوسطها [أو من آخرها].

قال أنس بن مالك: كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء. وقال

﴿فَالْمُحْسِنَاتُ يَوْمَئِذٍ وَفَرَّ﴾، يعني السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء.

﴿فَالْمُحْسِنَاتُ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ﴾، هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً.

﴿فَالْمُحْسِنَاتُ يَوْمَئِذٍ﴾، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

﴿ثُمَّ ذَكَرَ الْمُقْسِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ﴾، ﴿إِنَّمَا تَرَعَدْنَ﴾، من الثوب والعقاب، ﴿لَصَادِقٌ﴾.

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، الحساب والجزاء، ﴿لَوْعَةٍ﴾، لكائن.

﴿ثُمَّ ابْتَدَأَ قَسْماً آخَرَ فَقَالَ﴾، ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ اللَّيْلِ﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج الثوب فأجاد: ما أحسن حبكة! قال سعيد بن جبیر: ذات الزينة. قال

محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة. قال مطرف بن عبدالله بن الشخير قل ليلة أنت عليهم جمعوها كلها. قال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل. ووقف بعضهم على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ أي كانوا من الناس قليلاً ثم ابتدا: ﴿وَيَنْ أَلَيْلَ مَا يَجُورُونَ﴾، وجعله جحداً أي لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة، وهو قول الضحاك ومقاتل.

﴿وَالْأَسْحَارَ مِمَّ يَسْتَفِرُّونَ﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي، أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا قتيبة، ثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفني فأغفر له».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن

عبدالله، ثنا سفيان، ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللهم لك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت - ولا إله غيرك».

قال سفيان: وزاد عبدالكريم أبو أمية: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة، أنا الوليد عن الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم

قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّلسَّائِلِ وَالْخَيْرِ﴾، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم، ولا يجري عليه من الفياء سهم، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنِعَ الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرع أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَنَعْمُرُّوهُ﴾ بِلَ نَحْنُ عَمْرُوهُنَّ [الواقعة: ٦٦].

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّلسَّائِلِ وَالْخَيْرِ﴾، إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والشمار وأنواع النبات. ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّلسَّائِلِ وَالْخَيْرِ﴾، أي إذ كانت نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً إلى أن نفخ فيها الروح، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. وقال ابن الزبير: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين. ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

﴿٥٢﴾ ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّلسَّائِلِ وَالْخَيْرِ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر

﴿٢٣﴾ قَالَ مَا خَلَ بكم أَنبَاءُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ لِّيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةٌ مِنْ طِينٍ ﴿٢٦﴾ مُّسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٢٧﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَتَرَكْنَاهُمْ آيَةً لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ الْعَذَابَ الْآلِيمَ ﴿٣٠﴾ وَفِي مَوْجٍ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ بَعْضُهُمْ أَعْيُنُ شَيْبٍ ﴿٣١﴾ فَنُفِّلُوا بِرَحْمَتِنَا أَلْأَعْيُنَ وَنَحْنُ مُّخَوِّدُونَ ﴿٣٢﴾ فَذَرْنَاهُمْ فِي الْقَمِّ وَهُمْ يَلْمُونَ ﴿٣٣﴾ وَفِي غَاوٍ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٤﴾ مَا تَذَرُونَ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ سَاءَ لِمِيسٍ ﴿٣٥﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَسْبَحُوا حَقَّ يَوْمٍ ﴿٣٦﴾ فَنَسُوا عَنْ آمُرِهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٣٨﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَكْمَالَهُمْ ثِيَابًا مَسْكُوتَةً ﴿٣٩﴾ وَفِي الْإِسْمَاءِ ابْنَتَهَا بِأَبِيهَا وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُنْهَدُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ وَفَرَأَيْنَا إِلَى اللَّهِ آيَةً لَكُمْ مِنْهُ تَذَكُّرٌ مِّنْ أَنْ تَتَعَمَّلُوا مَعَ اللَّهِ ﴿٤٣﴾ وَفَرَأَيْنَا إِلَى اللَّهِ آيَةً لَكُمْ مِنْهُ تَذَكُّرٌ مِّنْ أَنْ تَتَعَمَّلُوا مَعَ اللَّهِ ﴿٤٤﴾

٥٢٢

الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وَمَا تُوَعَّدُونَ﴾، قال عطاء: من الشواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿٢٣﴾ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿يُنْزَلُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿مثل﴾ برفع اللام بدلاً من الحق، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ﴿مَا أَنْتُمْ نَظْفَرُونَ﴾، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق آدمي، كما تقول: أنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة: وقال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن

ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له. ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ﴾، ذكرنا عددهم في سورة هود [٧٨]، ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراماً عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم

الخليقة، وضيف الكرام مكرمون. وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليه وطلاقة الوجه. وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعويين.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

﴿٢٥﴾ ﴿إِذْ نَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾، قال، إبراهيم، ﴿سَلَامٌ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾، أي غريباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

﴿٢٦﴾ ﴿فَرَأَيْنَا﴾، فعدل ومال، ﴿إِنَّكَ أَهْلُهُ فَجَاءَ بِعَبِلٍ سَمِينٍ﴾، مشوي.

﴿٢٧﴾ ﴿فَرَفَعَهُ إِلَى رَبِّهِ﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قَالَ أَلَا نَأْكُلُ مِنْ مَا فَزَعُوا مِنْهُمْ خَيْفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِ﴾، فَأَقْبَلَتْ أُمُّ آدَمَ فِي صَرْفٍ، أي صبيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَتُولاكَ آدَمُ﴾ [هود: ٧٢]، ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كمادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، مجازة: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدن غلاما، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، يعني قوم لوط.

﴿٣٠﴾ ﴿لِّيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةٌ مِنْ طِينٍ مُّسَوِّمَةٌ﴾، معلمة، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

﴿٣١﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾، أي في قري قوم لوط، ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك قوله: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِأَهْلِكَ يَفْطِحُ مِنَ الْأَيْلِ﴾ [هود: ٨١].

﴿٣٢﴾ ﴿فَمَا يَزِيدُنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾، أي

غير أهل بيت، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وَرَكَّابًا فِيهَا﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿مَاءِنَةً﴾، عبرة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

﴿وَفِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْهُنَّ عَذَابٌ آَلِيمٌ﴾، أي وتركتنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، وفي موسى، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿يَرْكَبُهُمُ﴾، أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم، كالركن الذي يتقوى به البنيان، نظيره قوله: ﴿أَوْ مَآوِيَةٍ إِلَىٰ ذِكْرِي فَوَيْلٌ لَّكَ [هود: ٨٠]، وَقَالَ سَوْفَ أَوْجِبُكَ﴾، قال أبو عبيدة: ﴿أو﴾، بمعنى الواو.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْمَةُ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارَ لَّيْلٍ﴾، أغرقناهم فيه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

﴿وَفِي عَادٍ﴾، أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً.

﴿مَا تَدْرِي مِنْ قُوَّةِ أُنْتِ عَلَيْهِمْ﴾، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم

وأموالهم، ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْحَيْرِ﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس ويدبس. قال مجاهد: كالتين اليبس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعْبُدُوا هَٰؤُلَاءَ﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: ﴿الصَّعْقَةُ﴾، وهي الصوت الذي يكون في الصاعقة، ﴿وَمَنْ يَنْظُرْنَ﴾، يرون ذلك عياناً.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك السرعة، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَبِهِينَ﴾، منتقمين مثلاً. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾، قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي: ﴿وقوم﴾، بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْمَةُ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارَ لَّيْلٍ﴾، معناه: أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿مِنَ قَبْلِ﴾، أي

من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون. ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالْعَمَلُ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ﴾، بقوة وقدره، ﴿وَأَنَّا لَمُوسُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال الحسن: المطيقون.

﴿وَالْأَرْضُ قَرَشْنًا﴾، بسطناها ومهدناها لكم، ﴿فَتِمَّ الْمَهْدُونُ﴾، الباسطون نحن: قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي.

﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشاء والصف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمُر. ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا زُكُورَهُمْ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن عبدالله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُرَّ مَنَّةٍ ذِكْرٌ شَيْنٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا



أَخْرَجَ إِلَى لَكَ مِنْهُ نَبِيٌّ يُبَيِّنُ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ، أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك، ﴿مَا أَقَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة، ﴿وَمِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ قال الله تعالى: ﴿اتَّصَوْا بِدِيٍّ﴾، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالكذب وتواطؤا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿وَجَلَّ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك، ﴿فَقَوْلٌ عَنَّهُمْ﴾، فأعرض عنهم، ﴿فَمَا أَتَى يَمْلُؤُكُمْ﴾، لا لوم عليك فقد أدبت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به.

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي

قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِينَ﴾، فطابت أنفسهم.

قال مقاتل: معناه عظم بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من سبق في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عظم بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، قال الكلبي والضحاك

وسفیان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ من المؤمنين ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هم على ما جُبلوا عليه من الشقاوة والسعادة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا ليعبدون. أي: إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَسْرَأُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]، وقال مجاهد: إلا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يُعَرَف وجوده

وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ خَلْقٍ مِّنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولَ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقيل: معناه إلا ليعبدوني، ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع وضرر. وقيل: إلا ليعبدوني إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَّاهُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]،

﴿٥٧﴾ ﴿مَا أَرِيدُ بِكُمْ مِنْ زُرْقٍ﴾، أي أن يزرقوا أحداً من خلقي ولا أن يزرقوا أنفسهم، ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾، أي أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه.

كما جاء في الحديث: يقول الله: «يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني»، أي فلم تطعم عبيدي، ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال:

﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾، يعني لجميع خلقه، ﴿هُوَ الْقَوِيُّ الْمُتَّقَدِّرُ﴾، وهو القوي المتقدر المبالغ في القوة والقدرة.

﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا من أهل مكة، ﴿ذُرِّيَّةً﴾، نصيباً من العذاب، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل

الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، ﴿فَلَا يَسْتَمِعُونَ﴾، بالعذاب يعني أنهم أخرجوا إلى يوم القيامة.

٥٩ يدل عليه قوله عز وجل: ﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

سورة الطور

مكية وهي تسع وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ
١ ﴿وَالتَّوْرِ﴾، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله تعالى به.

٢ ﴿وَكُنْتَ تَسْطُرُ﴾، مكتوب.
٣ ﴿قُلْ رَّبِّي مُنْشِقُ﴾، الرق: ما يكتب فيه، وهو آدم المصحف والمنشور المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله.

دليله قوله عز وجل: ﴿وَنُخْرِجُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَنْبًا بَلَقْتَهُ مُنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

٤ ﴿وَالْيَبْرِ الْأَمْرُ﴾، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال

الكعبة يقال له: الصُّراح، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبداً.

٥ ﴿وَالشَّفِ الْأَرْجُ﴾، يعني السماء نظيره قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

٦ ﴿وَالْأَخْرِ الْأَسْجُورِ﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور، وهو قوله ابن عباس: وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزداد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لا يركب رجل بحراً إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً».

وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته. وقال الحسن وقتادة وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب. وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالمالح. وروي الضحاك عن النزال بن سيرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان. يمتطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً فينبئون في قبورهم.

هذا قول مقاتل: أقسم الله بهذه الأشياء.

٧ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، نازل كائن.

٨ ﴿فَلَا تَكُ مِنَ الْدَافِعِ﴾، مانع.
قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أساري بدر فدفع إلي وهو يصلي بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد فسمعتهم يقرأ «والطور» إلى قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فأتاك من دافع، فكانما صدع قلبي حين سمعته، ولم يكن أسلم يومئذ، قال: فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب. ثم بين أنه متى يقع فقال:

٩ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾، أي تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاءها بعضها في بعض: وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب.

١٠ ﴿وَسَيُرَى الْجِبَالُ سَيًّا﴾، فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثوراً.

١١ - ١٢ ﴿وَيُؤْمِنُ لِلشَّكَايَةِ﴾، فشدّة عذاب، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلشَّكَايَةِ﴾، الذين هم في حوض يأمون، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لا هم.

١٣ ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ﴾، يدفعون، ﴿إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يفلون

أَفِصْرُهَا أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٦﴾ فَتَكْبِهِمْ يَمَاءٌ أَنْهَمُ رَيْحُ
وَرَوْحُهُمْ دُرِّيُّمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى شُرَرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
فَلَقْنَا بَيْنَهُمْ دُرِّيَّتَهُمْ مِن تَحْتِ الْأَرْضِ وَمَا كُنْتُمْ بِمَالِكٍ
رَهِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ فِيهَا كُهُولًا وَفُجَرَاءَ شَبَابٍ ﴿٢١﴾ يَنْدَرُونَ
بِهَا كَأَسَا لَا لَوْفُهَا وَلَا تَأْنِيهِ ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُمَارُ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوُزٌ مُّكْوَنٌ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَنْ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَكُنَّا عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ فَذَكِّرْنَا أَلَنَّا نَعْمَتَ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا نَحْمُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ مَّتَدَّيْصٌ بِهِ رَبُّ
السَّعِيرِ ﴿٢٩﴾ فَلَا تَرْصُدُوا أَنِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٠﴾

٥٤٤

أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزجاً في أقفيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ يَهَا تَكْذِبُونَ﴾، في الدنيا.

﴿أَفِصْرُ هَذَا﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوُخُوا، به، وقيل لهم: ﴿أَفِصْرُ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَصْلَوْهَا﴾، قاسوا شدتها، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، الصبر والجزع، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَتَكْبِهِمْ يَمَاءٌ أَنْهَمُ رَيْحُ وَرَوْحُهُمْ دُرِّيُّمْ﴾، معجبين بذلك ناعمين، ﴿يَمَاءٌ أَنْهَمُ رَيْحُ وَرَوْحُهُمْ دُرِّيُّمْ﴾.

رَبِّهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ، ويقال لهم:

﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، مأمون العاقبة من التخمّة والسقم، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى شُرَرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قرأ أبو عمرو: ﴿اتَّبَعْنَاهُمْ﴾ بقطع الألف على التعظيم، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، بالالف وكسر التاء فيهما لقوله: ﴿الْفَقْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

﴿أَتَتْنَهُمْ﴾، ليكون الكلام على نسق واحد، وقرأ الآخرون ﴿واتبعتهم﴾ بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة، ثم اختلفوا في ذريتهم، قرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضم التاء، والثانية بالالف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالالف وكسر التاء في الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الأولى ونصبها في الثانية.

واختلفوا في معنى الآية: فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين ﴿الْفَقْنَا بَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكملة

لآبائهم لتقرّ بذلك أعينهم، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. وهو قول الضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضلهم ويلحقهم بدرجة بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَتَيْنَهُمْ﴾، قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء، ﴿مِنَ عَمَلِهِمْ﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي، ثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفي، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جبارة بن المغلس، ثنا قيس بن الربيع، ثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ﴾، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، إلى آخر الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبد الله بن

فنجويه الدينوري، ثنا أبو بكر مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال: سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»، فلما رأى الكراهية في وجهها، قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما»، قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلَمْنَا بَيْنَهُمْ دَرِيئًا﴾. قال: «كُلُّ أَرْبَعٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ»، قال مقاتل: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتين في النار، والمؤمن لا يكون مرتين، لقوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنٌ﴾ إلا اتَّخَذَ الْيَتِيْمَ [المقدر: ٣٨] و٣٩ ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.

﴿٢٢﴾ فقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ﴾، زيادة على ما كان لهم ﴿وَلَحَرَّ مِنَّا يَنْتَحِرُونَ﴾، من أنواع اللحمين.

﴿٢٣﴾ ﴿يَنْتَحِرُونَ﴾، يتعاطون ويتناولون، ﴿فِيهَا كَأْسٌ لَا لَوَّ فِيهَا﴾، وهو الباطل، وروي ذلك عن قتادة، وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا رث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها.

وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفشوا، ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم. قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر. وقيل: لا يأتون في شربها.

﴿٢٤﴾ ﴿وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمْ﴾، بالخدمة ﴿وَعِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾، في الحسن والبياض والصفاء، ﴿وَلَوْ كُنُّوا مَخْزُونٌ مَخْزُونٌ لَمْ تَمْسَهُ الْأَيْدِي﴾.

قال سعيد بن جبيرة: مكنون يعني في الصدف. قال عبدالله بن عمرو: ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه.

وروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال: قالوا يا رسول الله: الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم؟ وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يسأل بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا﴾، في الدنيا، ﴿مُسْفِينٍ﴾، خائفين من العذاب.

﴿٢٧﴾ ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، بالمغفرة، ﴿وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، قال الكلبي: عذاب النار. وقال

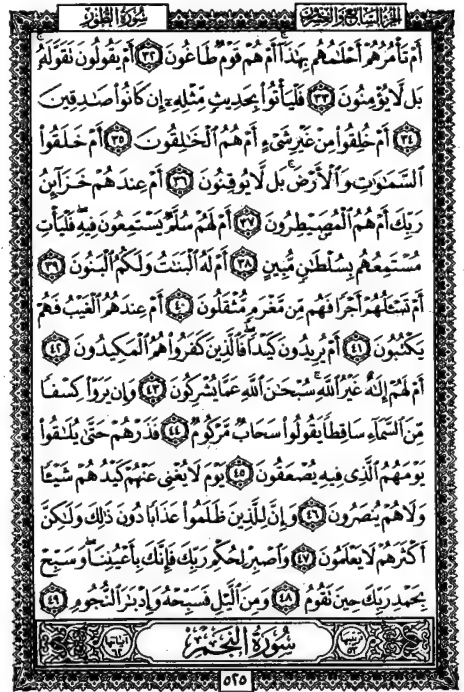
الحسن: «السوم» اسم من أسماء جهنم.

﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾، في الدنيا، ﴿تَدْعُوهُ﴾، تخلص له العبادة، ﴿إِنَّهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي «أنه» بفتح الألف، أي لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿هُوَ الْأَبَرُّ﴾، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿تَذَكَّرَ﴾، يا محمد بالقرآن أهل مكة، ﴿فَمَا أَنْتَ بِمُحَمَّدٍ رَبِّكَ﴾، برحمته وعصمته، ﴿يَكَاهِنُ﴾، تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي، ﴿وَلَا يَحْتَوِي﴾، نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

﴿٣٠﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين، ﴿شَاعِرٌ﴾، أي هو شاعر، ﴿يَتَرَفَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، أو يتفرق أصحابه، وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سُميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ تَرَفَّصُوا﴾، انتظروا بني الموت، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَفِّصِينَ﴾، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم، فتعذبوا يوم بدر بالسيف.



يكون، لأن تعلق الخلق
بالخالق من ضرورة
الاسم، فلا بد له من
خالق، فإن أنكروا الخالق
لم يجز أن يوجدوا بلا
خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾،
لأنفسهم وذلك في البطلان
أشد، لأن ما لا وجود له
كيف يخلق؟ فإذا بطل
الوجهان قامت الحجة
عليهم بأن لهم خالقاً
فليؤمنوا به، ذكر هذا
المعنى أبو سليمان
الخطابي، قال الزجاج:
معناه أخلقوا باطلاً لا
يحاسبون ولا يؤمرون؟

وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثاً وتركوا
سدى لا يؤمرون ولا يهون، فهو
كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير
شيء، أي لغير شيء، أم هم
الخالقون لأنفسهم فلا يجب
عليهم الله أمر؟

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾، فيكونوا هم الخالقين،
ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾.
﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾،
قال عكرمة: يعني النبوة. قال
مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك
بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟
قال الكلبي: خزائن المطر والرزق،
﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ﴾، المصلطون
الجبارون، قال عطاء: أرباب
قاهرون فلا يكونوا تحت أمر
ونهي، ويفعلون ما شاؤوا، ويجوز
بالسين والصاد جميعاً، قرأ ابن
عامر بالسين ههنا وفي قوله:

﴿بِمُصْطَرٍّ﴾، وقرأ حمزة بإشمام
ألزاي فيهما، وقرأ ابن كثير ههنا
بالسين و﴿بِمُصْطَرٍّ﴾ [الغاشية: ٢٢]
بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد
فيهما.

﴿أَمْ لَمْ نَكُنْ﴾، مرقى ومصعد
إلى السماء، ﴿يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾، أي
يستمعون عليه الوحي، كقوله:
﴿وَأَوْصَيْنَاكَ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:
٧١] أي عليها، معناه: ألهم سلم
يرتقون به إلى السماء، فيستمعون
الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق
بالوحي، فهم مستمكون به كذلك؟
﴿فَلْيَايَسِّرْ سَمْعَهُمْ﴾، إن ادعوا ذلك،
﴿يَسْطَلِكُنَّ بُيُوتَهُنَّ﴾، بحجة بينة.

﴿أَمْ لَمْ نَكُنْ﴾، أي لم نكن،
هذا إنكار عليهم حين جعلوا الله ما
يكرهون، كقوله: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ إِرَادَتِكَ
الْبَيِّنَاتِ وَلَهُمُ الْآيَاتُ﴾.

﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَى﴾، جعلاً على
ما جتهد به ودعوتهم إليه من الدين،
﴿فَهُمْ يَنْتَقِرُونَ ثِقْلُونَ﴾، أثقلهم ذلك
الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك
عن الإسلام.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾، أي علم
ما غاب عنهم حتى علموا أن ما
يخبرهم الرسول من أمر القيامة
البعث باطل. وقال قتادة: هذا
جواب لقولهم: ﴿تَنْزِيلُ يَوْمِ رَبِّهِ
الْأَوَّلُ﴾، يقول: أعندهم علم الغيب
[أي علم ما غاب عنهم] حتى علموا
أن محمداً ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فَهُمْ
يَكْتُمُونَ﴾، قال القتيبي: فهم يكتبون
أي يحكمون، والكتاب الحكم.

قال النبي ﷺ للرجلين اللذين
تخاصما إليه: «أقضي بينكما
بكتاب الله، أي بحكم الله، وقال

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانُ﴾، عقولهم،
﴿يَهْدَى﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا
يُوصَفُونَ بالأحلام والعقول،
فأزرى الله بعقولهم حين لم تميز لهم
معرفة الحق من الباطل، ﴿أَمْ هُمْ﴾، بل
هم، ﴿قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾، أي تخلق
القرآن من تلقاء نفسه، والتقول:
تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا
في الكذب وليس الأمر كما زعموا،
﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالقرآن استكباراً.

﴿ثُمَّ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ فَقَالَ﴾:
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾، أي مثل
القرآن في نظمه وحسن بيانه، ﴿إِنْ
كَانُوا صَادِقِينَ﴾، أن محمداً تقوله
من تلقاء نفسه.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، قال
ابن عباس: من غير رب، ومعناه:
أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا
بلا خالق؟ وذلك مما لا يجوز أن

ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾، مكر أبك ليهلكوك، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾، أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بيدر.

﴿أَمْ لَمْ يَلِدْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾، يرزقهم وينصرهم، ﴿سَبَّحَنَ اللَّهُ عَنَّا يَشْكُرُونَ﴾، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر «أم» كلمة استفهام وليس بعطف.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾، قطعة، ﴿فَرَأَى السَّمَاءَ سَاقِطًا﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿فَأَنْقَضَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿يَقُولُوا﴾، لمعاندتهم هذا، ﴿سَعَابَ تَرْكُومٍ﴾، بعضه على بعض يسقينا.

﴿فَدَرَبَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾، يعاينوا، ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت، قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الباء أي يهلكون.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا مِمَّ يَنْصَرُونَ﴾، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال

البراء بن عازب: هو عذاب القبر. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن العذاب نازل بهم.

﴿وَأَمَّا لِمِثْرِ نَارِكُمْ﴾، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي بمرأى منا، قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. ﴿وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال سعيد بن جببر وعطاء: أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً أزددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة له.

أخبرنا أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد القفال، أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البرونجدي، أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، ثنا أحمد بن عبيد الله النرسي، ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً فكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كان كفارة لما بينهما».

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صل الله حين تقوم من مقامك. وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قال، ثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال، عن عمرة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان [بن] الأشعث، ثنا محمد بن نافع، ثنا زيد بن حباب، أخبرني معاوية بن صالح، أنا أزهري بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبر الله عشراً وحمد الله عشراً، وسبح الله عشراً وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: «اللهم اغفر لي واهلدي وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، أي صل له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَابْتَغِ الْفُجُورَ﴾، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ وجواب القسم.
قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، يعني
محمداً ﷺ ما ضل عن طريق
الهدى، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾، ﴿وَمَا يَطَّوَّقُ﴾،
﴿الْمُؤَيَّةُ﴾، يعني بالهوى يريد لا يتكلم
بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن
محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء
نفسه.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ إن مؤي، ما نطقه في
الدين، وقيل: القرآن، ﴿إِلَّا وَحْيٌ
يُؤْتَىٰ﴾، يعني وحى من الله يوحى
إليه.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ مَلَكُهُ شَيْدُ الْقُوَىٰ، وهو
جبريل، والقوى جمع القوة.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ذُو مِرْقَ، قوة وشدة في
خلقه، يعني جبريل. قال ابن
عباس: ذومرة يعني ذو منظر حسن.
وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ وَمَوْءُوءُ، يعني محمداً ﷺ،
وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف
في مثل هذا أن يظهروا كناية
المعطوف عليه، فيقولون: استوى
هو وفلان، وقلما يقولون: استوى
وفلان، ونظير هذا قوله: ﴿وَوَدَّ كُنَّا
نُرَاكَ وَأَبَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧]، عطف
الأباء على المكنى في كنا من غير
إظهار نحن، ومعنى الآية: استوى
جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة
المعراج، ﴿وَالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ﴾، وهو
أقصى الدنيا عند مطلع الشمس،
وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو
كناية عن جبريل أيضاً، أي قام في
صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق
الأعلى.

وذلك أن جبريل كان يأتي

وهو يهتف مغيبه، والعرب
تسمي الشرا نجماً.

وجاء في الحديث عن
أبي هريرة رضي الله عنه
مرفوعاً: «ما طلع النجم
قط وفي الأرض من
العامة شيء إلا رفع» وأراد
بالنجم الشرا. وقال
مجاهد: هي نجوم السماء
كلها حين تغرب، لفظه
واحد ومعناه الجمع،
سُمي الكوكب نجماً
لطلوعه، وكل طالع نجم
يقال: نَجَمَ السَّنُ، والقرنُ
والنبت إذا طلع.

وروي عن عكرمة عن
ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم،
يعني ما تُرمى بها الشياطين عند
استراقهم السمع. وقال أبو حمزة
الثمالي: هي النجوم إذا انتشرت يوم
القيامة. وقيل: المراد بالنجم
القرآن، سُمي نجماً لأنه نزل نجوماً
متفرقة في عشرين سنة، وسمي
التفريق: تنجيماً، والمفرق: منجماً،
هذا قول ابن عباس في رواية عطاء،
وهو قول الكلبي، والهوى: النزول
من أعلى إلى أسفل. وقال
الأخفش: النجم هو النبت الذي لا
ساق له، ومنه قوله عز وجل:
﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].
وهو يهتف سقوطه على الأرض.

وقال جعفر الصادق: يعني
محمداً ﷺ إذا نزل من السماء إلى
الأرض ليلة المعراج، «والهوى»
النزول، يقال: هوى يهوى هويماً إذا
نزل، مثل مضى يمضي مضياً.



حين تدبر النجوم أن تغيب بضوء
الصباح، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال الضحاك: هو فريضة صلاة
الصبح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا
زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق
الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن
مالك، عن ابن شهاب، عن
محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه
أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ
في المغرب بالطور.

سورة النجم

مكية وهي اثنان وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، قال ابن
عباس في رواية الوالبي والعوفي:
يعني الشرا إذا سقطت وغابت،

رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، والمراد بالأعلى جانب المشرق، وذلك أن محمداً ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، وأما في السماء فعند سدره المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ.

① - ② قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، فكان قاب قوسين أو أدنى، اختلفوا في معناه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن يوسف، ثنا أبو أسامة، ثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشوع عن الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة فآين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى؟ قالت: ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد الأفق.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا طلق بن غثام، ثنا زائدة عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، قال أخبرنا عبدالله يعني ابن مسعود أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح.

فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، «فتدلى» فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا، لأن التدلي سبب الدنو، وقال آخرون: ثم دنا الرب عز وجل من محمد ﷺ فتدلى، ففقر منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى.

وروي في قصة المعراج عن شريك بن عبدالله عن أنس: ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى.

وهذا رواية أبي سلمة عن ابن عباس، والتدلي هو النزول إلى الشيء، حتى يقرب منه. وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه. وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي قدر قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمي به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد عليهما السلام مقدار

قوسين، قال مجاهد: معناه حيث الوتر من القوس.

وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالتصقا بينهما، يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه.

وقال عبدالله بن مسعود: قاب قوسين أي قدر ذراعين، وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة، والقوس: الذراع يقاس بها كل شيء، أو أدنى بل أقرب.

③ ﴿فَأَرْوَى﴾، أي أوحى الله، ﴿وَأَلَّا عَلَيْهِ مَا أُورِثَ﴾، محمد ﷺ، قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي والحسن والربيع وابن زيد: معناه أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عز وجل. قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿لَمْ يَمْدَكَ يَتِيمًا فَقَاوَى﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح: ٤]، وقيل: أوحى إليه إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

④ ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادَ مَا رَأَى﴾، قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أي ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتحفيف، أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازة: ما كذب الفؤاد فيما رأى،

واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وهو قول ابن مسعود وعائشة.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر بن محمد، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زر عن عبد الله قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى جبريل وله ستمائة جناح.

وقال آخرون: هو الله عز وجل. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده، وهو قول ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا وكيع، ثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، قالوا: رأى محمد ربه.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلعة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً بالروية.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم ير رسول الله ﷺ ربه.

وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد ذكب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تُدْرِكُهُ النَّفْسُ مَاذَا تَكْسِبُ فُؤَادًا﴾ [القمان: ٣٤]، ومن حدثك أنه كتّم شيئاً فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بِلَغْ مَا أُزِيلُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أتى أراه».

﴿أَفْتَنَّاكَ مِنْ دُونِهَا﴾ ﴿وَمَا يَرَى﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «أفتنورونه» بفتح التاء بلا ألف، أي أفتجحدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقّه إذا جحدته.

وقرأ الآخرون: «أفتمارونه» بالالف وضم التاء، على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن غيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به، والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما رآه وعلمه.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه نازلاً من السماء نزلة أخرى، وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألة التخفيف من أعباد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربه في بعضها.

وروي عنه: «أنه رأى ربه بفؤاده مرتين».

وعنه: «أنه رآه بعينه»، وقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾.

وروي عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال:

﴿عِنْدَمَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ إِذْ يَنْفَى الْيَنْدَرَةُ مَا يَنْفَى ﴿١٥﴾ قال: فراش من ذهب.

وروي في حديث المعراج: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فسلمت عليه، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل أذن الفيلة».

والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق.

قال هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن شعبة، ثنا المسوحي، ثنا عبيد بن يعش، ثنا يونس بن بكير، أنا محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة عام يستظل في الغصن منها مائة ألف ركب، فيها فراش من ذهب، كأن ثمرها القلال».

وقال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلوى والحلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وهي طوبى التي

ذكرها الله تعالى في سورة الرعد.

﴿عِنْدَمَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَنْفَى الْيَنْدَرَةُ مَا يَنْفَى﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب.

وروي في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسننها، وأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة».

وقال مقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان. وقال السدي: من الطيور.

وروي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال: غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان، حتى يقعن على الشجرة، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ. وعن الحسن قال: غشيها نور رب العزة فاستنارت.

ويروي في الحديث: «رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى».

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، أي ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده، دليله قوله: ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]، وقيل: معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، ثنا أبي، ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمرو، ثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله [قال]: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: «رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء».

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا: من الله اللات، ومن العزى العزى. وقيل: العزى تأنيث الأعز، أما اللات قال قتادة: كانت بالطائف، وقال ابن زيد: بيت بنخله كانت قريش تعبد، وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: اللات بتشديد الشاء، وقالوا: كان رجلاً يلت

السويق للحاج، فلما مات عكفوا عن قبره يعبدونه.

وقال مجاهد: كان في رأس جبل له غنيمة يسلاً منها السمن ويأخذ منها الأقط، ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيساً فيطعم منه الحاج، وكان يبطن نخلة، فلما مات عبده، وهو اللات.

وقال الكلبي: كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم، وكان يسلاً السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم، فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدها، فسدرة الطائف على موضع اللات. وأما العزى قال مجاهد: هي شجرة يغطفان كانوا يعبدونها.

فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس ويقول:

يا عز كفرانك لا سبحانك إنني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها. ويقال: إن خالداً رجع إلى النبي ﷺ فقال: قد قلعتها، فقال: ما رأيت؟ قال: ما رأيت شيئاً، فقال النبي ﷺ: ما قلعت، فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة، فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبداً».

وقال الضحاك: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة

يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة، حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة، فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها. وقال ابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبد ثقيف.

﴿وَنَزَّهَ﴾، قرأ ابن كثير بالمد والهمزة، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز، لأن العرب سمت زيد مناة وعبد مناة، ولم يسمع فيها المد. قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد.

قالت عائشة رضي الله عنها في الأنصار: كانوا يهلون لمناة، وكانت حذو قديد. قال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة. وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة، فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء. وقال بعضهم: ما كُتِبَ في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء، وما كُتِبَ بالهاء فيوقف

عليه بالهاء. وأما قوله: ﴿أَنَّا لِنَأْتِيَ﴾، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، وأما الأخرى فإن العرب لا تقول للثالثة أخرى، إنما الأخرى ههنا نعت للثانية. قال الخليل: فالياء لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَنَافِئُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أخر: وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كره ذلك.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿الَّذِينَ أَذْكُرُوا﴾، قال ابن عباس: ﴿الَّذِينَ إِذَا فُتِنُوا﴾، أي قسمة جائزة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء. وقال الحسن: غير معتدلة. قرأ ابن كثير: «ضئزئ» بالهمز، وقرأ الآخرون بغير همز.

قال الكسائي: يقال منه ضاز يضيز ضيزاً، وضاز يضوز ضوزاً، وضاز يُضاز ضازاً إذا ظلم ونقص، وتقدير ضيزى من الكلام فعلى بضم الفاء، لأنها صفة والصفات لا تكون إلا على فعلى بضم الفاء، نحو حبلى وأنثى ويُشرى، أو فعلى بفتح الفاء، نحو غضبى وسكرى وعطشى، وليس في كلام العرب فعلى بكسر

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تِسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَذِّقُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ كَرِهَ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجِرَى الَّذِينَ أَشْكُرُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجِرَى الَّذِينَ أَكْسَرُوا بِالْحَسَنَىٰ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرَهُمْ إِلَهًا وَالْفَوَاحِشُ إِلَّا اللَّهُمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِكَ إِذَا أَنْشَأَ كُرْسِيًا الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْشَأَ أُمَّةً فِي ظُنُونِ أَهْلِكَ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْتَدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعْمَدَ عُلُوًّا أَلْفَيْ فَوْرٍ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يَبْأَيَا فِي ضَحِيٍّ مُّؤَمِّنٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ رَأَيْتَ الرَّبَّ فِي الْآخِرَةِ وَرَأَيْتَ الْغُرَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسِكٌ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ سَعِيَّةً سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ يُجْرَىٰ الْجُرَدُ الْأَوَّلَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَنْ لَّكَ رَبُّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكُ وَأَنْتَ كِيٌّ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَنْتَ كَيَّا ﴿٤٢﴾

المراد من قوله: ﴿وَكُرِّمَ﴾ تَكْرِيمًا، الكثرة فهو كقولهم: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ لَّدُنِّي عَتَهُ حَاجِرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تِسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ، أي بتسمية الأنثى حين قالوا إنهم بنات الله.

﴿٢٨﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ، قال مقاتل: معناه ما يستطيعون أنهم بنات الله، ﴿إِنْ يَذِّقُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: الحق

الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسماء مثل ذكرى وشعري وكسرى، وبكسر الضاد ههنا لثلاث تنقلب الياء وأوا وهي من بنات الإله كما قالوا في جمع أبيض بيض، والأصل بوض مثل خمر وصفر، فأما من قال: ضاز يضوز فالاسم منه ضوزي مثل شورى.

﴿٢٩﴾ فَإِنْ هِيَ، ما هذه الأصنام، ﴿إِلَّا أَنْتَ سَيِّدُنَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿إِنْ يَذِّقُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفُتُوحُ﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.

﴿٣٠﴾ ثُمَّ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى، أي ظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعاة الأصنام؟

﴿٣١﴾ وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى، لا يملك أحد فيهما شيئاً إلا بإذنه.

﴿٣٢﴾ وَكَرِّمَ تَكْرِيمًا فِي السَّمَاوَاتِ، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿لَا تَقْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ يَبْرَأَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾، في الشفاعاة، ﴿لَمَنْ يَشَاءُ وَرَضَى﴾، أي من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد، لأن

بمعنى العذاب، أي أن ظنهم لا ينقذهم من العذاب.

﴿٣٣﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿وَلَوْ كَرِهَ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

﴿٣٤﴾ ثُمَّ صَغُرَ رَأْيُهُمْ فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن أثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

﴿٣٥﴾ أَعْمَدَ عُلُوًّا أَلْفَيْ فَوْرٍ، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لَيَجِرَى الَّذِينَ أَكْسَرُوا﴾، فاللام في قوله:

﴿لَيَجِرَى﴾ متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلًا بما يستحقه، الذين أسأوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿وَيَجِرَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾، وحدوا ربهم بالحسن، بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿٣٦﴾ ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرَهُمْ إِلَهًا وَالْفَوَاحِشُ﴾، اختلَفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن، ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبدالله بن عمرو بن

العاص: اللّمم ما دون الشرك. وقال السدي قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللّٰهُ﴾، فقلت: هو الرجل يلم بالذنوب ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليهما ملك كريم.

وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا اللّٰهُ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن تغفر اللهم تغفر جناً وأبي عبد لك إلا ألماً».

وأصل اللّمم والإلمام ما يعمل به الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة، ولا إقامة عليه.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه: لكن اللّمم، ولم يجعلوا اللّمم من الكبائر والفواحش.

ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي، ورواية طاووس عن ابن عباس.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمود بن غيلان، أنا عبد الرزاق، أنا معمر بن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله

كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وزاد: «والعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطي».

وقال الكلبي: «اللمم» على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حذاً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي خطر. وقال الحسين بن الفضل: اللّمم النظرة من غير عمد فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب. ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَءِيعٌ غَفُورٌ﴾، قال ابن عباس: لمن فعل ذلك ثم تاب، تم الكلام ههنا، ثم قال: ﴿هُوَ أَكْثَرُ بِكَ إِذْ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنَ الْآرْضِ﴾، أي خلق أباكم آدم من التراب، ﴿وَإِذْ أَنْتَ آيَةً﴾، جمع جنين، سمي جنيناً لاجتماعه في البطن، ﴿فِي بَطْنِ أُمِّهِمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، فلا تبرؤوا عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها.

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿هُوَ أَكْثَرُ بِكَ يَوْمَ أَتَى﴾، أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

﴿أَنْزَلَتْ﴾ قوله عز وجل: ﴿أَنْزَلَتْ﴾، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فغيره بعض المشركين، وقال له: أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن الذي عاتبه إن هو وافقه ورجع إلى شركه أعطاه كذا من ماله أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عذبه بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله عز وجل: ﴿أَنْزَلَتْ﴾، أدبر عن الإيمان.

﴿وَأَعْطَى﴾، صاحبه، ﴿قَلِيلًا وَكَثِيرًا﴾، بخل بالباقي، وقال مقاتل: أعطى يعني الوليد قليلاً من الخير بلسانه، ثم أكد، يعني قطعه وأمسك ولم يبق على العطية.

وقال السدي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور.

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَكَثِيرًا﴾، أي لم يؤمن به، ومعنى أكد: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب:

أكدى الحافر وأجل، إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

﴿٣٥﴾ **أَعْنَدُ عِلًّا الْغَيْبِ فَهُوَ رَاقٍ**، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

﴿٣٦﴾ **أَمْ لَمْ يَلْبَسْ**، لم يخبر، ﴿يَمَّا فِي سُحُوفٍ مُّؤْتٍ﴾، يعني أسفار التوراة.

﴿٣٧﴾ **وَاتَّزَوَّجَهُ**، وفي صحف إبراهيم عليه السلام، ﴿الَّذِي وَفَّيَ، تَمَّ وَأَكْمَلْ مَا أَمَرُ بِهِ. قَالَ الْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَقَتَادَةُ: عَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ إِلَى خَلْقِهِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَفَّيَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ.

قال الربيع: وفَّيَ رؤياه وقام بذبح ابنه. وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة. وقال أبو العالية: وفَّيَ سهام الإسلام. وهو قوله: ﴿وَلَا يَنْفَكُ عَنْ رُؤْيَاهِ إِنَّكَ قَائِمٌ لِلْبُفْرَةِ: [١٢٤]، والتوفية الإتمام. وقال النضحاك: وفي ميثاق المناسك.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، ثنا إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: ﴿وَاتَّزَوَّجَهُ الْكَلْبُ وَفَّيَ﴾ [قال] وكان يصلي أربع ركعات أول النهار.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المجوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو جعفر السمناني، ثنا أبو

منهر، ثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ابن آدم أركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره».

﴿٣٨﴾ ثم بين ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزُرَّةً وَزُرَّةً﴾، أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بثأم غيرها، وفي هذا إبطال قول من ضمنه للوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم. ودوى عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامراته وعبد، حتى كان إبراهيم فنهأهم عن ذلك، وبلغهم عن الله ﷻ ﴿أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزُرَّةً وَزُرَّةً﴾.

﴿٣٩﴾ **وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**، أي عمل كقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكَ لَتَكُنْ﴾ [الليل: ٤]، وهذا أيضاً في صحف إبراهيم وموسى. قال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، بقوله: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ [الطور: ٢١]، فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فلما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم.

لما روي أن امرأة رفعت صبياً لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر».

وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها، فهل لها أجر إن

تصدقت عنها؟ قال: «نعم». وقال الربيع بن أنس: ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ يعني الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له. قيل: ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو، فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير.

ويروى أن عبدالله بن أبي كان أعطى العباس قميصاً إليه ليه، فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكنفه فيه.

فلم يبق له حسنة في الآخرة بثاب عليها.

﴿٤٠﴾ **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**، في ميزانه يوم القيامة، من أريته الشيء.

﴿٤١﴾ **فَمَنْ يَمُنْ بِالْغَيْبِ الْغُيُوبِ**، الأكمل والأتم أي يجزئ الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلاناً سعيه وسعيه، قال الشاعر:

إن أجز علقمة ابن سعد سعيه
لم أجزه ببلاء يوم واحد
فجمع بين اللغتين.

﴿٤٢﴾ **وَأَنَّ لَكَ رَبَّكَ لَتَنبَأَنَّ**، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم. وقيل: منه ابتداء النية وإليه انتهاء الآمال.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخيرني الحسن بن محمد الشيباني، أنا محمد بن سيماء بن الفتح الحنيلي، ثنا علي بن محمد المصري، أنا أبو إسحاق [ابن إبراهيم] بن منصور الصعدي، أنا العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه عن



النبي ﷺ.

الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ لَكَ رَبَّكَ أَلْتَنَّهُ﴾، قال: «لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ».

وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة».

﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكُ وَأَبْكُ﴾، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فيقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا قيس هو ابن الربيع الأسدي، ثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناسدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا، يعني

﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكُ وَأَبْكُ﴾، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال وأقنى أي أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال [وأقنى] بالإبل والبقر والغنم. وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم. وقال ابن عباس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى. قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما أعطى وقنع. وقال ابن زيد: أغنى أكثر وأقنى أقل، وقرأ: ﴿يَسْكُ الرِّقَّةَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢]، وقال الأخفش: أقنى أفقر. وقال ابن كيسان: أولد.

﴿وَأَنْتُمْ هُمْ رَبُّ النَّفْسِ﴾، وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان، يقال لأحدهما العبور وللأخرى الغميصاء، سميت بذلك لأنها أخفى من الأخرى، والمنجرة بينهما. وأراد ههنا الشعري العبور وكانت خزاعة تعبدها، وأول من سن لهم ذلك رجل من أشراهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعري [تقطعا] طولاً فهي مخالفة لها، فعبدتها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه بن أبي كبشة لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعري.

﴿وَأَنْتُمْ أَهْلُكَ عَادَا الْأُولَى﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال، ويهمز واوه قالون عن نافع، والعرب تفعل ذلك فتقول:

﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّبِّينَ الذَّكَّرَ وَالْأُنثَى﴾، من كل حيوان. ﴿مِنْ نَفْسٍ إِذَا تَقَى﴾، أي تصب في الرحم، يقال: منى الرجل وأمنى. قال الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون: [تمنى] تقدر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْأُخْرَى﴾، أن الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

قم لأن عنا، تريد: قم الآن عنا، ويكون الوقف عندهم عاداً، والابتداء «أولى»، بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة، ويجوز الابتداء: لولى، بحذف الهمزة المفتوحة، وقرأ الآخرون: ﴿عَادَا الْأُولَى﴾، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى.

﴿وَنُوحًا﴾، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، ﴿قَاتِلِينَ﴾، منهم أحداً.

﴿وَقَوْمَ ثُوجِيشَ قَبْلَ﴾، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّمَا كَانُوا هُمْ أَكْثَرُ الظَّالِمِينَ﴾، ليطول دعوة نوح إليهم وعثرهم على الله بالمعصية والتكذيب.

﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾، يعني قرى قوم لوط، ﴿أَقْرَبَ﴾، أسقط أي أهواها جبريل بعدما رفعها إلى السماء.

﴿فَنَسْنَاهَا﴾، ألبسها الله، ﴿مَاءً عَقْنٍ﴾، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

﴿وَبِأَيِّ آيَةٍ يُرَى﴾، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿نَسْمَانِ﴾، تشك وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿وَمِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾، أي رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة يقول: أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله.

﴿أَفَرَأَيْتِ الْآزِفَةَ﴾، دنت القيامة واقرت الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، أي مظهرة مبينة كقوله تعالى: ﴿لَا يَجْلِبُهَا لُوقَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدراً كالخافية والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها راد يعني: إذا غشيت الخلق أهوالها وشدايدها لم يكشفها ولم يرددها عنهم أحد، وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك.

﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَذَّبَ﴾، يعني القرآن، ﴿تَتَّبِعُونَ وَمَنْ يَكْفُرْ﴾، الاستهزاء، ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾، لما فيه من الوعد والوعيد.

﴿وَأَنْتُمْ سَيِّئُونَ﴾، لاهون غافلون، والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنا سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك: أشرون بطرون. وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض.

﴿فَأَعْبُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، أي واعبدوه.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله

النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبد الوارث، ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد، عن عبيد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة: النجم، قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيت بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا آدم بن أبي إياس، أنا ابن [أبي] ذئب، أنا يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها.

قلت: هذا دليل على أن سجود الثلاثة غير واجب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء. وهو قول الشافعي وأحمد. وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة على القارئ والمستمع جميعاً، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.



سورة القمر

مكية وهي خمس وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ ﴿٢﴾ أَفَرَأَيْتِ الْقَمَرَ ﴿٣﴾

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن عبد الوهاب، أنا بشر بن المفضل، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما.

وقال شيبان عن قتادة: فأراهم انشقاق القمر مرتين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله قال: انشق القمر بمكة. وقال مقاتل: انشق القمر ثم التأم بعد ذلك.

وروى أبو الضحى عن

مسروق عن عبدالله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا الشفار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله عز وجل: ﴿١﴾ أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَأَشَقَّ الْقَمَرَ ﴿٢﴾

﴿٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا ﴿٤﴾ سِحْرٌ مُّسْتَعَرَّبٌ ﴿٥﴾ أَي ذَاهِبٌ وَسُوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قر واستقر، هذا قول مجاهد وقاتدة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر، أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد، وأمرته إذا أحكمت قنله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

﴿٦﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٧﴾ أَي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عز وجل، واتبعوا ما زين لهم

الشیطان من الباطل، ﴿٨﴾ وَكَذَّبُوا أَمْرٌ مُّسْتَعَرَّبٌ ﴿٩﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فيظهر، وما كان منه في الآخرة فيسعفر.

وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر. وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقر قراره. فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالشواب والعقاب. وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل: كل ما قدر كائن واقع لا محالة. وقرأ أبو جعفر «مستقر»، بجزء الراء، ولا وجه له.

﴿١٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴿١١﴾ مِنْ الْأَنْبَاءِ ﴿١٢﴾، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿١٣﴾ مَا فِيهِ مَرْجَحٌ ﴿١٤﴾، متناهى مصدر بمعنى الازدجار، أي نهى وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهته عن السوء، وأصله مزجج، قلبت التاء دالاً.

﴿١٥﴾ حِكْمَةً بَلِيَّةً ﴿١٦﴾، يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿١٧﴾ فَمَا تَتَذَكَّرُ ﴿١٨﴾، يجوز أن تكون ﴿ما﴾ نفعاً على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاماً، والمعنى: فأني شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿وَمَا تَتَذَكَّرُ﴾ [يونس: ١٠١]، والنذر جمع نذير.

﴿١٩﴾ فَقَوْلُهُمْ ﴿٢٠﴾، أي أعرض

عنهم نسخها آية القتال. قيل: ههنا وقف تام. وقيل: ﴿قَوْلَ عَتَمَ يَوْمَ يَنْفُخُ الْفُخَّ﴾، أي إلى يوم [ينفخ] الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس، ﴿إِلَى مَقَامِ نُكْرٍ﴾، منكر فطبع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً، قرأ ابن كثير: ﴿نُكْرٍ﴾ بسكون الكاف، والآخرين بضمها.

﴿حُشّاً أَصْغَرُوهُ﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي: ﴿خاشعاً﴾ على الواحد، وقرأ الآخرون: ﴿حُشّاً﴾ بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتانيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم، قال الشاعر:

من إيساد بن نزار بن معبد وفي قراءة عبدالله: ﴿حُشَوَّةٌ أَصْغَرُوهُ﴾، أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿يَمْرُؤُونَ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾، من القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَفِرٌ﴾، منبث حياري، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: ﴿كَالْفَرَّاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [الفارعة: ٤]، وأراد أنهم يخرجون فرعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها، تكون مختلطة بعضها في بعض.

﴿مُهْطِئِينَ﴾، مسرعين مقبلين، ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، إلى صوت إسرافيل، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَرِجٍ﴾، صعب شديد.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾،

أي قبل أهل مكة، ﴿قَوْمٌ نَبُحَ مُكَدِّرًا عِدًّا﴾، نوحاً، ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَاتَّخَذَ﴾، أي زجروه عن دعوته ومقاتلته بالشتيم والوعيد، وقالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتَبُحْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال مجاهد معنى: ازدجر أي استطيع جنونا.

﴿قَدَمًا﴾، نوح، ﴿وَنِدَاءً﴾، وقال، ﴿إِنِّي مُنَادٍ﴾، مقهور، ﴿فَأَنْتَبِهْ﴾، فانتقم لي منهم.

﴿فَنَنْهَآ أَبَوَيْكَ السَّكَانَ يَأْوِي إِلَيْهِمْ﴾، مُتَّصِبٌ انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً، وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى الْأَرْضِ عِوَانًا فَاتَّقَى الْمَاءُ﴾، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: اتقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعداً لأن الماء يكون جمعاً وواحداً، وقرأ عاصم الجحدري: فالتقى المأان. ﴿عَلَى أَمْرِ قَدٍ قُدِّرَ﴾، أي قضى عليهم في أم الكتاب. وقال مقاتل: قدر الله أن يكون المأان سواء فكانا على ما قدر.

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾، يعني نوحاً، ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ دُوسِرٍ﴾، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، ﴿دُوسِرٍ﴾ أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شدتها بالمسامير. وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجوؤها، أي

تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها وقال الضحاك: الألواح جليانيها، والدسر أصلها وطرفها.

﴿فَخَرَى بَيْعًا﴾، أي بمرأى منا. وقال مقاتل بن حيان: يحفظناه ومنه قولهم للمروج: حين الله عليك. قال سفيان: بأمرونا. ﴿جَزَاءً لِّئِنْ كَانَ كُفْرًا﴾، قال مقاتل بن حيان يعني فعلنا به وبهم من انجاء نوح وإغراق قومه ثولياً لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: «من» بمعنى «أما» أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد، جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والغاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا﴾، يعني الفعلة التي فعلنا، ﴿كَأَيَّةَ﴾، يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله بياقروني من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿فَهَلْ يَنْتَذِرُونَ﴾، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله التميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود عن قوله: ﴿فَهَلْ يَنْتَذِرُونَ﴾، أو مذكرو؟ قال: سمعت عبدالله يقرأها ﴿فَهَلْ يَنْتَذِرُونَ﴾، وقال

﴿لَقَدْ لَعَنَّ الَّذِينَ﴾، أنزل الذكر
الروحي، ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَا يَلْ هُوَ كَذَابٌ
أُثِرُ﴾، بطر متكبر يريد أن يتعظم
علينا بادعائه النبوة، و«الأثر» المرح
والتجبر.

﴿سَيَلْمُونَ﴾، قرأ ابن عامر
وحزمة: «ستعلمون»، بالناء على
معنى قال صالح لهم، وقرأ الآخرون
بالياء، يقول الله تعالى: «سَيَلْمُونَ
عَذَابُ»، حين ينزل بهم العذاب. وقال
الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد
للتقريب على عادة الناس، يقولون:
إن مع اليوم غداً، ﴿بِئْسَ الْكَذَابُ
الْأُثِرُ﴾.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾، أي
باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي
سألوا أن يخرجها منها، وذلك أنهم
تعتوا على صالح، فسألوه أن يخرج
لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء،
فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَتَنَّا
لَهُمْ﴾، محنة واختباراً لهم،
﴿فَاتَّقِيتَهُمْ﴾، فانتظر ما هم صانعون،
﴿وَأَسْلَمْنَا﴾ [واصبراً] على ارتقابهم،
وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

﴿وَيَنْبِئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِئْءٌ بَيْنَهُمْ﴾،
وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما
قال «بينهم» لأن العرب إذا أخبرت
عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني
آدم على البهائم، ﴿كُلُّ رِزْقٍ﴾،
نصيب من الماء، ﴿تَحْضَرُهُ﴾ يحضره
من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة
حضرت شربها، وإذا كان يومهم
حضروا شربهم، وحضر واحتضر
بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني

الأربعاء في آخر الشهر.

﴿يَنْزِعُ النَّاسُ﴾،
تقلعهم ثم ترمي بهم على
رؤوسهم فتدق رقابهم:
وروي أنها كانت تنزع
الناس من قبورهم،
﴿كُنُفُهُمْ أَشْعَارُ نَخْلِ﴾، قال
ابن عباس: أصولها،
وقال الضحاك: أوراك
نخل. «شُعَيْرُ»، منقلع
من مكانه ساقط على
الأرض وواحد الأعجاز
عجز، مثل عضد
وأعضاء، وإنما قال:
«أَشْعَارُ نَخْلٍ» وهي
أصولها التي قطعت

فروعها لأن الريح كانت تبين
رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى
أجسام بلا رؤوس.

﴿١١﴾ - ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِيرِي﴾ * وَلَقَدْ يَنزِعُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مُذَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذِيرِ﴾، بالإنذار
الذي جاءهم به صالح.

﴿١٢﴾ ﴿فَقَالُوا أَأُتْرَكُ﴾، آدمياً، ﴿وَمَا
وَجَدْنَا نَبِيِّنَا﴾، ونحن جماعة كثيرة
وهو واحد، ﴿إِنَّا لَنَعْلَمُ خَلْقَ﴾،
خطأ وذهاب عن الصواب،
﴿وَسَعِيرٍ﴾، قال ابن عباس: عذاب،
وقال الحسن: شدة عذاب. وقال
قتادة: عناء، يقولون: إنا إذا لقي
عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته.
قال سفيان بن عيينة: هو جمع
سعير. وقال الفراء: جنون، يقال
ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس
هائمة على وجهها. وقال وهب:
وسُعر: أي بُعد عن الحق.

وَيَنْبِئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِئْءٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شِرِيبٌ خِضْرٍ ﴿١٦﴾ تَأْتُوا صَالِحًا
فَقَالُوا مَقَرٌّ ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيِّغَةً وَجَدُوا أَنَّهَا كَذِبٌ كَذِبٌ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ يَنزِعُ الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿٢٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذِيرِ ﴿٢١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَامِلًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَبِّرُهُمْ بِسْمِ اللَّهِ ﴿٢٢﴾ فَتَمَّ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنَّذِيرِ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ رَدُّوهُ عَنْ صَيْغِهِمْ فَبَطَّسْنَا عَلَيْهِمْ قُدُورًا
عَلَى وَتَوَّارٍ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٢٦﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ يَنزِعُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ
﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ لُوطٍ الْغَدُّ ﴿٢٩﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَمَا كَذَّبْتُمْ
أَنْذَعْتُمْ عَنْ مُقْتَدِرِ اللَّهِ أَنْذَعْتُمْ عَنْ مَنْ أَوَّلَكُمْ أَوْلَكُمْ بِرَأْسِهِ
فِي الْأَنْزِلِ ﴿٣٠﴾ أَرْسَلْنَا عَنْ جِبْرِائِيلَ ﴿٣١﴾ سَبْعَ مَلَكٍ
وَبَوَّاءَ الدُّمْرِ ﴿٣٢﴾ يَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَهْلُهَا وَأَمْرٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّا الْمَحْجِرِينَ فِي صَلَاتِهِمْ وَسُعُرِهِمْ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحِبُّونَ فِي النَّارِ
عَلَى رُءُوسِهِمْ دُورًا مِّنْ سَعِيرٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّا لَنَعْلَمُ خَلْقَهُمْ وَنَذِيرِي ﴿٣٦﴾

سمعت النبي ﷺ يقرؤها: ﴿فَهَلْ مِنْ
مُذَكِّرٍ﴾، دالاً.

﴿١٦﴾ ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي﴾،
أي إنذار، قال الفراء: تقول العرب
والنذر مصدران، تقول العرب
أنذرت إنذاراً ونذراً، كقولهم أنفقت
إنفاقاً ونفقة، وأبقت إيقاناً وبقيناً،
أقيم الاسم مقام المصدر.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ يَنزِعُ﴾، سهلنا،
﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، ليتذكر ويعتبر به،
وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ
والقراءة، وليس شيء من كتب الله
يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن. ﴿فَهَلْ مِنْ
مُذَكِّرٍ﴾، متعظ بمواعظه.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنَذِيرِي﴾ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَّرَصَرًا ﴿٢٠﴾ شديدة الهبوب، ﴿فِي يَوْمٍ
غَيْرِ مُسْتَقَرٍّ﴾، شديد دائم الشوم،
استمر عليهم بنحو سنة فلم يبق منهم
أحد إلا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم

يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

﴿٢٩﴾ **فَنَادَا صَالِحًا**، وهو قدار بن صالف، **فَتَطَاعَنَّا**، فتناول الناقة بسيفه **فَقَرَّ**، أي فمقرها. ﴿٣٠﴾ **فَكَفَّ** كَانَ عَلَيْنَا وَتَذَرُ، ثم بين عذابهم.

﴿٣١﴾ فقال: **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ صَيْحَةً وَابَّةً**، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، **فَنَادَا كَهَيِّبٍ كَالْمُنْظَرِ**، قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقال ابن زيد: هو البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح، والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم، والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيبس هشياً، وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٤﴾ **وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَّادَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ** كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطاً **وَالْتَذَرُوا** **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَامِيًا**، ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، يعني يرميهم بالحنجارة، ثم استثنى فقال: **إِلَّا مَالَهُ لُوطًا**، يعني لوطاً وابنتيه، **فَجَبَّتْهُمْ**، من العذاب، **وَسَحَّرَ**،

جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، **كَذَلِكَ**، يعني كما أنعمنا على آل لوط، **فَجَبَّتْهُمْ** من شكر، قال مقاتل: من وحده الله لم يعذبه مع المشركين.

﴿٣٥﴾ **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ**، لوط، **بَطْلَنَتَا**، أخذنا إياهم بالعقوبة، **فَنَكَارُوا بِالذِّكْرِ**، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

﴿٣٦﴾ **وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ عَنْ شَيْبَوَيْه**، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه **فَنَلَسَتَا** **أَعْيُنَهُمْ**، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خل بينهم وبين الدخول فإننا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عمياً يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: **فَنَلَسَتَا أَعْيُنَهُمْ**، يعني صيرناها كبساتر الوجه لا يرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الضحاك: لمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروه فرجعوا. **فَتَذَوَّرُوا عَلَيْنَا** **وَتَذَرُوا**، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.

﴿٣٧﴾ **وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً**، جاءهم وقت الصبح، **عَلَانًا** **تَشْتَوِي**، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤١﴾ **فَتَذَوَّرُوا عَلَيْنَا** **وَتَذَرُوا** **وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَّادَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ** **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مَالٌ فَرَعُونَ الذِّكْرَ**، يعني

موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

﴿٤٢﴾ **كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُفَّارًا**، وهي الآيات التسع، **فَنَلَنَّهُمْ**، بالعذاب، **فَلَمَّا تَرَوْهُم**، غالب في انتقامه، **فَتَقَدَّرُوا**، قادر على إهلاكهم، لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

﴿٤٣﴾ **أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ**، أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقيمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، **أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ بَرَكَةً**، من الغلاب، **فَلَمَّا تَرَوْهُم**، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿٤٤﴾ **أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ بَرَكَةً**، يعني كفار مكة، **فَتَحَنَّنَ جَمِيعُ أَهْلِ مَكَّةَ**، نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر من عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الأي.

﴿٤٥﴾ قال الله تعالى: **سَيَبْرُهُمْ** **الْجَمْعُ**، قرأ يعقوب: **سنهزم** بالنون، **الجمع**، نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها، **الجمع** رفع على غير تسمية الفاعل، يعني كفار مكة، **يَبْرُونَ الذِّكْرَ**، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الأي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع، أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.



سيهزم، فلما كان يوم بدر
 رأيت النبي ﷺ يشبُّ في
 درعه ويقول: ﴿سَيِّئٌ
 لِّمَنْعٍ وَيُولُونَ الذِّبْرَ﴾ أي
 النِّسَاءُ مَوَدِّعُهُمُ وَالنِّسَاءُ أَهْلُهُ
 وَأَمْرٌ، أي أعظم داهية
 وبليّة وأشد مرارة من
 الأسر والقتل يوم بدر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾،
 المشركين، ﴿فَلْيَسْئَلُوا
 وَشُعْرٌ﴾، قيل: في ضلال
 بعد عن الحق. قال
 الضحاك: وشُعْر أي نار
 تسعر عليهم. وقيل: في
 ضلال ذهب عن طريق
 الجنة في الآخرة، وشُعْر:

نار مستعرة، قال الحسين بن فضل:
 إن المجرمين في ضلال في الدنيا
 ونار في الآخرة. وقال قتادة: في
 عناء وعذاب.

﴿ثُمَّ بَيَّنَّ عَذَابَهُمْ فَقَالَ: يَوْمَ
 يُسْتَعْرَضُونَ﴾، يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى
 وَجُوهِهِمْ﴾، ويقال لهم ﴿ذُقُوا مَسَّ
 سَقَرٍ﴾.

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أي
 ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح
 المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل
 شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

أخبرنا أبو الحسن علي بن
 الحسين القرشي، أنا [أبو] مسلم
 غالب بن علي الرازي، أنا أبو معشر
 يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب،

ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أنا
 أحمد بن نصر النيسابوري، أنا
 عبدالله بن الوليد العدني، أنا الثوري
 عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن

محمد بن عباد المخزومي عن أبي
 هريرة قال: جاءت مشركو قريش إلى
 النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت
 هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
 وَسُعْرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
 بِقَدَرٍ﴾.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف
 الجويني، أنا أبو محمد محمد بن
 علي بن محمد بن شريك الشافعي
 الخدشاهي، أنا عبدالله بن
 محمد بن مسلم أبو بكر الجوريزي،
 أنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أنا
 عبدالله بن وهب أخبرني أبو هانئ
 الخولاني، عن أبي عبد الرحمن
 الحجلي، عن عبدالله بن عمرو بن
 العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ
 يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل
 أن يخلق السموات والأرض
 بخمسين ألف سنة، قال: وكان
 عرشه على الماء».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا
 زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق
 الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك
 عن زياد بن سعد، عن عمرو بن
 مسلم، عن طاوس اليماني قال:
 أدركت ناساً من أصحاب
 رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء
 بقدر الله»، قال: وسمعت عبدالله بن
 عمرو رضي الله عنه يقول: قال
 رسول الله ﷺ: «كل شيء قدر حتى
 العجز والكيس، أو الكيس
 والعجز».

أخبرنا أحمد بن عبدالله
 الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن
 الحسن الحيري، أنا أبو جعفر

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
 المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن
 المثنى، ثنا عبد الوهاب، ثنا خالد،
 عن عكرمة، عن ابن عباس قال:
 قال النبي ﷺ وهو في قبه يوم بدر:
 «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك،
 اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم»،
 فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا
 رسول الله، فقد ألححت على ربك،
 [فخرج] وهو في الدرع وهو يقول:
 ﴿سَيِّئٌ لِّمَنْعٍ وَيُولُونَ الذِّبْرَ﴾.

﴿يَكُلُّ النَّسَاءُ مَوَدِّعُهُمُ وَالنِّسَاءُ
 أَهْلُهُ وَأَمْرٌ﴾.

قال سعيد بن المسيب: سمعت
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 يقول: لما نزلت: ﴿سَيِّئٌ لِّمَنْعٍ
 وَيُولُونَ الذِّبْرَ﴾ كنت لا أدري أي جمع

محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أنا يعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش، عن رجل عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» زاد عبيد الله «خير» وشره.

ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال: عن ربعي عن علي ولم يقل: عن رجل، وهذا أصح.

﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً كَلِمَةٍ﴾ قوله: «واحدة»، ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾، يعني فعله الأشياء من خير وشر، ﴿وَالْأَنْزِلُ﴾، في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ كَبِيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، ﴿مُنْتَظَرٍ﴾، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتبت.

﴿إِنَّ لِلنَّفِيِّ فِي جَنَّتٍ﴾، بساتين، ﴿وَنَهْرٍ﴾، أي أنهار، ووحدته لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة ومنه النهار. وقرأ الأعرج: ﴿وَنَهْرٍ﴾ بضمين جمع النهار يعني لا ليل لهم.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾، فسي مجلسي حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾، ملك قادر لا يعجزه شيء. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله النمكن بالصلق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.



سورة الرحمن

مكية وقيل مدنية وهي ثمان وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْخَصَّةِ ﴿١﴾ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [قيل: نزلت حين قالوا وما الرحمن، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، قال الكلبي علم القرآن محمداً. وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

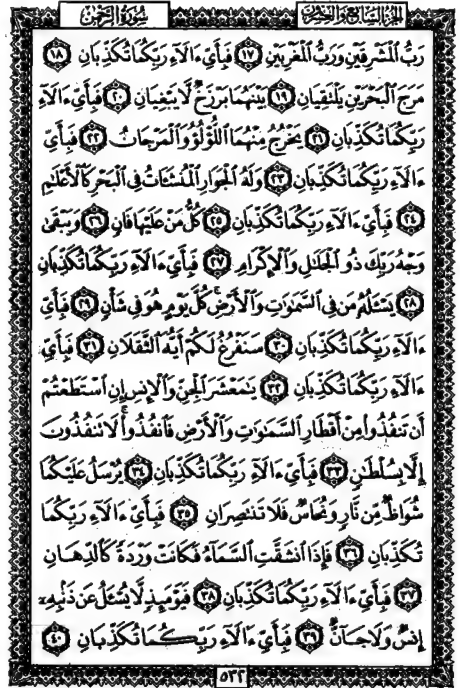
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، يعني آدم عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة [ألف] لغة أفضلها العربية. وقال الآخرون:

الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان النطق والكتابة الفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال ابن كيسان: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال مجاهد: كحسبان الرحي يدوران في مثل قطب الرحي، قال غيره: معناه أي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها، قاله ابن عباس وقتادة. وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني [أن] بهما تحسب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف [يحسب] شيئاً. وقال الضحاك: يجريان بقدر، والحسبان يكون مصلر حسب حساباً وحسباناً مثل الغفران والكفران، والرجحان والنقصان، وقد يكون «الحسبان» جمعاً كالشبهان والركبان.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، النجم ما ليس له ساق من الثبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلهما كما قال: ﴿يَنْفَخُونَ فِيهِمُ مِنْ أَيْمَانٍ وَشِمَائِلٍ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ﴾ [النحل: ٤٨] وقال مجاهد:



﴿وَالْأَرْضُ وَمَنْحَمَاهَا﴾^(٧)، للخلق الذين يشهم فيها.

﴿فِيهَا فَكَّهَمُ﴾^(٨)، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: [يعني] ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٩) الأوعية التي يكون فيها التمر لأن ثمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كم، وكل ما ستر شيئاً فهو الكم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقميص كمة.

قال الضحاك: ذات الأكمام أي ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها ليفها. وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينشق.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾^(١٠) أراد بالحب جميع الحبوب التي تحرث في الأرض [والعصف]، قال ابن مجاهد: هو ورق الزرع. قال ابن كيسان: ﴿الْعَصْفُ﴾ ورق كل شيء يخرج منه الحب، يبدو أولاً ورقاً وهو العصف ثم يكون سوقاً ثم يحدث الله فيه أكماماً، ثم يحدث من الأكمام الحب. وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو التبن. وهو قول الضحاك وقتادة. وقال عطية عنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن

النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه. ﴿وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾^(١١)، فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ الْبِزْزَانَ﴾^(١٢)، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل [والإنصاف] والمعنى أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى:

﴿أَلَّا تَقْلُتُوا فِي الْمِيزَانِ﴾^(١٣)، أي لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير [قوله] «ألا تطغوا» يعني لثلاث تميّلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾^(١٤)، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. قال [سفيان] بن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾^(١٥)، ولا تنقصوا [الميزان]، ولا تطففوا في الكيل والوزن.

عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم [هذا] الذي يشم، قال الضحاك: العصف هو التبن والريحان ثمرته، وقراءة العامة: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(١٦)، كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة، وقرأ ابن عامر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(١٧) بنصب الباء والنون و«ذا» بالالف على معنى: خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء، وقرأ حمزة والكسائي ﴿والريحان﴾ بالجر عطفاً على العصف فذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الجن والإنس.

﴿فِي أَيِّ مَاءٍ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١٨) فقال: ﴿فِي أَيِّ مَاءٍ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١٩)، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيذاً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه [ونعماءه] ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالآبادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفنتك هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك أفنتك هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك أفنتك هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسن تقريراً، وقيل خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤].

وروي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم

سكوناً، للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾، وهو أبو الجن، وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿وَمِنْ مَّارِجٍ بَيْنَ بَازِلٍ﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعملو النار إذا أوقدت، من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ، مشرق الصيف ومشرق الشتاء، وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

﴿١٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ﴿مَجِّ الْيَمِينِ﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ﴿بَلَيَّانِ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿يَتَّبِعُنَا بِرِزْقٍ﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿لَا يَبْيِغِيَانِ﴾، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطفغان على الناس بالفرق. وقال الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما. وعن قتادة أيضاً: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر. وقال مجاهد والضحاك: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام.

﴿٢٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿يَخْرُجُ فِيهَا زَكَاةٌ﴾، قرا أهل المدينة والبصرة ﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿الَّذُلُوفُ وَالْمَرِيَاثُ﴾، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيان ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل: ﴿يَتَمَشَّرُ لَيْلٍ وَالْإِنْسُ أَلَدٌ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وكانت الرسل من الإنس دون الجن.

وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهاها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة.

واللؤلؤ ما عظم من الدر، والمرجان صغارها. وقال مقاتل: ومجاهد على الضد من هذا. وقيل: المرجان الخرز الأحمر. وقال عطاء الخراساني: هو اليسر.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَلَهُ الْخَازِنُ﴾، السفن الكبار، ﴿الْمُنْتَنَاتُ﴾، وقرأ حمزة وأبو بكر المنشآت بكسر الشين أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت. وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، كالجبال جمع غلم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر وبالجبال في البر.

﴿٢٤﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿كُلٌّ مِّنْ غَنَاءٍ﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه ﴿فَان﴾، هالك.

﴿٢٦﴾ ﴿وَوَيْتَنَ يَمِينَهُ رَبُّكَ ذُو الْمَلَكُوتِ﴾، ذو العظمة والكبرياء، ﴿وَالْإِكْرَارِ﴾، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، من ملك وإنس وجن. وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السموات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضاً لهم الرزق والمغفرة.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً.

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويفك عانياً، ويفرج مكروباً، ويعجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثة في خلقه ما يشاء.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي إملاء، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزار، أنا يحيى بن الربيع المكي، أنا سفيان بن عيينة،

أنا أبو حمزة الشمالي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن مما خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء قلমে نور وكتابه نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الإخبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب، والشواب والعقاب.

وقيل: شأنه جل ذكره أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر، عسكرياً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكرياً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرياً من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعاً إلى الله عز وجل. وقال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت. وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد بر جديد.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفَّاثُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: سيفرغ بالياء لقوله: ﴿تَسْتَلِمُونَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَرَبِّعِي وَجْهَ رَبِّكَ﴾، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾، فأتبع الخبر، وقرأ الآخرون بالنون، وليس المراد منه الفراغ عن شغل، لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة،

كقول القائل لأتفرغ لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن.

وقال آخرون: معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت لي. وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعدهم أهل الفجور، ثم قال سيفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فيتم ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل: ﴿آيَةُ النَّفَّاثِينَ﴾، أي الجن والإنس، سمياً ثقلين لأنهما ثقلاً على الأرض أحياء وأمواتاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل.

قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما، وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفَّاثُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَسْتَلِمُونَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿وَمِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من جوانبهما وأطرافهما، ﴿فَأَنْفَذُوا﴾، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات

والأرض. فاهربوا وأخرجوا منها، والمعنى حيث ما كنتم أدركنم الموت، كما قال جل ذكره: ﴿أَيُّهَا النَّفَّاثُونَ﴾ [النساء: ٧٨].

وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، ﴿لَا تَنْفَذُوا إِلَّا بِأَمْرِي﴾، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني.

وروي عن ابن عباس قال: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله عز وجل. وقيل قوله: إلا بسلطان أي إلى سلطان كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] أي إلي.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفَّاثُونَ﴾، وفي الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون ﴿يَسْتَلِمُونَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الآية. فذلك قوله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَرْطٌ مِّنْ نَّارٍ﴾، قرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين والآخرين بضمها، وهما لغتان مثل صوار من البقر وصوار وهو اللهب الذي لا دخان فيه هذا قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، ﴿وَنَحْسٌ﴾، قرأ

فهو أن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: ﴿وَلَنْ يَسْتَيْسِرُوا بَعَثَانًا يَمَآءَ كَالْهَيْهَلِ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال كعب الأحبار: «أن» وإد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخل أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، وذلك قوله: ﴿يَطْرُقُونَ بِإِثْمٍ وَيَسْتَرْجِعُونَ﴾.

﴿يَأْتِي آتَاؤُهُمْ نَزَارٌ كَأَنَّهُمْ فِيهِ مُعْتَدُونَ﴾، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى هنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله ﴿يَأْتِي آتَاؤُهُمْ نَزَارٌ كَأَنَّهُمْ فِيهِ مُعْتَدُونَ﴾، ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.

﴿قَالَ: وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَاهِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُخَالِفُ﴾ [الرعد: ٣٣] وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله. وقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾ قال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته.

قال الضحاك: هذا لمن راقب الله

في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله، وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يجب أن يطلع عليه أحد.

وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.

أخبرنا أبو الحسن علي بن [الحسين] القرشي، أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس، أنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، أنا محمد بن حميد الهمداني، أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفى عن يزيد بن سنان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويط بن عبدالعزيز، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله يقص على المنبر وهو يقول: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء».

﴿يَأْتِي آتَاؤُهُمْ نَزَارٌ كَأَنَّهُمْ فِيهِ مُعْتَدُونَ﴾، ثم وصف الجنتين.

﴿قَالَ: ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، أغصان واحدا فنن، وهو الغصن المستقيم طويلاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة ظل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان. قال سعيد بن جبيرة والضحاك: ألوان الفواكه، واحدا فنن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب. وجمع عطاء بين القولين فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة. وقال قتادة: ذواتاً فضل وسعة على ما سواهما.

﴿يَأْتِي آتَاؤُهُمْ نَزَارٌ كَأَنَّهُمْ فِيهِ مُعْتَدُونَ﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسليم والأخرى السلسيل. وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.

﴿يَأْتِي آتَاؤُهُمْ نَزَارٌ كَأَنَّهُمْ فِيهِ مُعْتَدُونَ﴾، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً

وبإسأ. قاله ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَآءُ رَبِّكَ كَذِبَآئُ﴾ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ قُرْبَىٰ﴾، جمع فراش، ﴿بَلَاغًا﴾، جمع بطالة وهي التي تحت الظهارة. وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض. ﴿مِنْ إِسْتَبْرَآءٍ﴾، وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق. فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عز وجل: ﴿لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وعنه أيضاً قال: بطائنها من إستبرق فظواهرها من نور جامد. وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر.

﴿وَحَىٰ آلْجَنَّةِ ذَاكَ﴾، الجنى: ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم.

قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً. قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَآءُ رَبِّكَ كَذِبَآئُ﴾ ﴿فِيهِنَّ قَبُورُ الْقُرُوفِ﴾، غاضات الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم. قال ابن زيد: تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك. ﴿لَوْ يَطْمِئِنُّنَّ﴾ لم يجامعن ولم يفترعن، وأصله الطمئ وهو الدم ومنه قيل

للحائض طامث، كأنه قال لم يدمهن بالجماع، ﴿إِنْ يَفْقَهُنَّ وَلَا يَجَآنَ﴾، قال الزجاج: فيه دليل على أن الجني يغشى ما يغشى الإنسي. قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه. قال مقاتل في قوله: ﴿لَوْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْ يَفْقَهُنَّ وَلَا يَجَآنَ﴾: لأنهن خلغن في الجنة. فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة.

قال الشعبي: هن من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً، وهو قول الكلبي يعني: لم يجامعن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان. وقرأ طلحة بن مصرف: ﴿لَا يَطْمِئِنُّنَّ﴾ بضم الميم فيهما، وقرأ الكسائي إحداهما بالضم، فإن كسر الأولى ضم الثانية وإن ضم الأولى كسر الثانية.

لما روى أبو إسحاق السبيعي قال: كنت أصلي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فاسمعهم يقرؤون ﴿لَوْ يَطْمِئِنُّنَّ﴾ بالرفع، وكنت أصلي خلف أصحاب عبدالله بن مسعود فاسمعهم يقرؤون بكسر الميم، وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الأخرى لثلاث يخرج عن هذين الآخرين.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَآءُ رَبِّكَ كَذِبَآئُ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

وروي عن أبي سعيد في صفه أهل الجنة عن رسول الله ﷺ: ﴿لكل رجل منهم زوجتان على كل

زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهن دون لحمهما ودمائهما وجلدهما﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كركب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكراً وعشياً لا يسقمون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتفلون، آتيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الآلوة ورشحهم المسك﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، أنا هارون بن محمد بن هارون، أنا حازم بن يحيى الحلواني، أنا سهل بن عثمان العسكري، أنا عبدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها. إن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فأما الياقوت فإنه حجر

ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

وقال الكسائي: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾ أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وقضة والأخريان من ياقوت.

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مُدَّاهِنَانِ﴾، ناعمتان سوداوان من ربهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد ربا ادهيما فهو مدهام.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهَا عَيْنَانِ مُضْتَكَّانِ﴾، فوارتان بالهاء لا تنقطعان والنضج فوزان الماء من العين.

قال ابن عباس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله. وقال أنس بن مالك: تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامية على أنهما من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل، كما قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨].

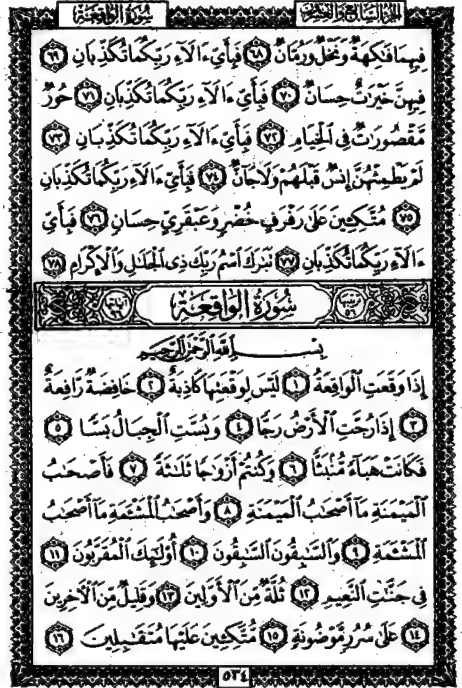
أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن حازم، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا

الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ: ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنَ﴾ ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فيقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾، أي من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. قال ابن

عباس: من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع: جنتان للمقربين السابقين فيهما [من] كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبدالله، أنا عبدالعزيز بن عبدالصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن



لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيت من ورائه. وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنَ﴾، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه، أنا ابن أبي شيبه، أنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، أنا الحجاج بن يوسف المكتوب، أنا بشر بن

عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر كربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم.

١٩ - ٢٠ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَا تَكْذِبَانِ﴾ **فِينِ**، يعني في الجنات الأربع، **خَيْرٌ جَنَّاتٍ**.

روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله: **﴿خَيْرٌ جَنَّاتٍ﴾**؟ قال: **«خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حَسَانُ الْوُجُوهِ»**.

٢١ - ٢٢ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَا تَكْذِبَانِ﴾ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ**، محبوبات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغيبن لهم بدلاً.

وروي عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحاً، ولنصفيها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». **﴿فِي الْخِيَارِ﴾**، جمع خيمة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

المثنى، أنا عبد العزيز بن عبد الحميد، أنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرون يطوف عليهم المؤمنون».

٢٣ - ٢٤ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَا تَكْذِبَانِ﴾ **لَا يَلْبِسُهُنَّ شَيْءٌ يَلْبِسُهُنَّ وَلَا جَنَّةٌ مِّثْلُ مَا فِي رَبِّكَا تَكْذِبَانِ** **مُكَيَّنَ عَلَى رَقَبَتَيْ خَيْرٍ**، قال سعيد بن جبير: «الرُفْرُف» رياض الجنة «خضر» مخصبة. وروى ذلك عن ابن عباس، وأحدثها رفرقة، وقال: الرُفَارِفُ جمع الجمع، وقيل: الرُفْرُفُ البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي.

وزوى العوفي عن ابن عباس: الرُفْرُفُ فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عينة الزوابي. وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رُفْرُف. **﴿وَعَبْرَتِي جَنَّاتٍ﴾**، هي الترابسي والطنافس الشخان، وهي جمع وأحدثتها عبقرية، وقال قتادة: العبقرى عناق الزرابي.

وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة [ما هي] وقال القتيبي: كل ثوب موشى عند العرب عبقرى. وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي. قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى.

ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فربه».

٢٥ - ٢٦ ﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَا تَكْذِبَانِ﴾ **يَرْزُقُهُمْ رَبُّكَ مِنْ لَدُنْكَ وَمَا لَهُمْ لَكَ لَبَّاسٌ وَلَا أَكْثَرُ**، قرأ أهل الشام **﴿ذُرُ الْكَلْبِ﴾** بالفواو وكذلك هو في مصاحفهم إجابة على الاسم.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجوبسي، أنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، ثنا أبو بكر الجوريزي، أنا أحمد بن حرب، أنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول، عن عبدالله بن الحارث عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

سورة الواقعة

مكية وهي ست وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْإِسْمِ

١ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، إذا

قامت القيامة. وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

٢ ﴿إِنَّا لَوَقَّعُهَا﴾، لمحيشها،

﴿كَاذِبَةٌ﴾، كذب، كقوله: **﴿لَا تَشْعُ**

فِيهَا لَنِيَّةٌ﴾ [الغاشية: ١١]، أي لغو

يعني أنها تقع صدقاً وحققاً. والكاذبة

اسم كالعافية والنازلة.

٣ **﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾**، تخفض

أقواماً إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين.

﴿١﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا، حركت وزلزلت زلزلاً، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً. قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها. وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتج.

﴿٢﴾ وَتُتَبَّ الْأَجَالُ بُتًا، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: تُتَت فتاً فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً. وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييراً. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: ﴿قُلْ يَنْفُخُ رَاقٍ شَفَا﴾ [طه: ١٠٥] قال ابن كيسان: جعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة.

﴿٣﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا، غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.

﴿٤﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا، أصنافاً، ﴿ثَلَاثًا﴾.

﴿٥﴾ ثم فسرهما فقال: ﴿فَأَصْحَبُ آلِ مَيْمَنَةٍ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال

الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه ﷺ فقال: ﴿مَا أَصْحَبُ آلِ مَيْمَنَةٍ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

﴿٦﴾ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَأْ أَصْحَبُ الشِّمَالِ، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ومنه يسمى الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي، وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم. وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

﴿٧﴾ وَالسَّيِّئُونَ الشِّرْكِيُّونَ، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة. وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام. قال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبليتين، دليله قوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى. وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات

الخمس. وقال الضحاك: إلى الجهاد.

وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر. قال الله تعالى: ﴿سَاقُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْقِيَامَةِ وَهُمْ لِمَا سَيِّئُونَ﴾ [المؤمنين: ٦١]، وقال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه.

وروي عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة. وقيل: هم أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في الجهاد في سبيل الله. وقال القرظي: إلى كل خير.

﴿٨﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ، من الله. ﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ فِي جَنَّاتٍ الْيُسْرَى ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ، والثلة: جماعة غير محصورة العدد.

﴿١١﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا، يعني من هذه الأمة، قال الزجاج [هم] الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ.

﴿١٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ، منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض. قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

﴿مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَّقِينَ﴾، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، للخدمة، ﴿وَلَدْنَهُ﴾، غلمان، ﴿عَلْدُونَ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون.

وقال الفراء: تقول العرب لمن كبير ولم يشمط إنه مخلد. قال ابن كيسان: يعني ولداناً لا يحولون من حالة إلى حالة.

قال سعيد بن جبير: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط.

قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا أذان لها ولا عرى، والأباريق [جمع إبريق] وهي ذوات الخراطيم سميت أبريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿وَكَايُنَ بَيْنَ يَمِينٍ﴾، خمر جارية.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ [لا يذهب عقولهم] أي لا يسكرون هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.

﴿وَفَكَهَوُا مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾، يختارون ما يشتهون يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

﴿وَلَقَدْ طَبَّرَ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما

اشتبهى، ويقال: إنه يقع على صفحة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون، أي وبحور عين أتبعه قوله: «بأكواب وأباريق - وفاكهة - ولحم طير» في الإعراب وإن اختلفا في المعنى لأن الحور لا يطفأ بهن.

كقول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوماً

وزججن الحواجب والعيونا والعين لا تزجج وإنما تكحل ومثله كثير، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين. وقرأ الباقر بالرفع أي يطوف عليهم حور عين.

وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين ورجاء في تفسيره: «حور عين» بيض ضخام العيون.

﴿كَأَنَّمِلَ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونِ﴾، المكزون في الصدف لم تمسه الأيدي.

ويروى أنه يسطع نور في الجنة قالوا وما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها.

ويروى: أن الحوراء إذا مشيت لسمع تقديس الخلاخل من ساقها وتمجيد الإسورة من ساعديها، وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها،

سورة الواقعة

سورة الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدْنٌ عَلْدُونَ ﴿١٦﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَايُنَ بَيْنَ يَمِينٍ ﴿١٧﴾ وَلَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٨﴾ وَفَكَهَوُا مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ طَبَّرَ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَأَنَّمِلَ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونِ ﴿٢١﴾ حَرَّةً يُهَاكُوْنَ يُسَلِّمُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا ﴿٢٤﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٥﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٦﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَأَمْوَاسٌ كُورِبٌ ﴿٢٨﴾ وَفَكَهَوُا كَثِيرٌ ﴿٢٩﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٠﴾ وَفُورٌ مَّرْجُوعٌ ﴿٣١﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنَاسًا ﴿٣٢﴾ فَجَالَسْنَهُنَّ أَكْثَارًا ﴿٣٣﴾ عُرًى أَقْرَبًا ﴿٣٤﴾ لَا صَحْبَ الْيَمِينِ ﴿٣٥﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ آلِ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثَلَاثٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣٨﴾ فِي سُورٍ وَخَمِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَطَلْحٍ مِّنْ مَّصْبُورٍ ﴿٤٠﴾ لَا يَرِدُ وَلَا كَرِيرٌ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ مَتَرِفِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَأَنَّمْ أُصْرُونَ عَلَى لَحْيَتِ الْعَظِيمِ ﴿٤٣﴾ وَكَأَنَّمْ يَقُولُ أَهْلًا بِشَاوِكَا شَرِكَا ﴿٤٤﴾ وَعَظْمًا أَوْ نَالَمْعُورُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ كَمَا ذُكِرُوا الْوَلُونَ ﴿٤٦﴾ قَدَارٌ ﴿٤٧﴾ الْوَلُونَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٩﴾

٥٢٥

وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصبران بالسيح.

﴿حَرَّةً يَبَاكُوْا يُسَلِّمُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾، إِلَّا قِيلًا، أي قولاً: ﴿سَلَامًا﴾، نصيبها اتباعاً لقوله قِيلًا أي يسمعون قِيلًا سلاماً سلاماً. قال عطاء: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره:

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ في سِدْرٍ مَّخْضُودٍ، لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه. قال: وليس شيء من ثمرة الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها

مأكول ومشروب ومشموم ومتنور إليه. قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً. قال سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال. قال أبو العالية والضحاك: ونظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدرها، وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَلَيْلٍ﴾ أي موز واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال الفراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: ﴿وَلَيْلٍ مَّضُورٍ﴾، فقال: وما شأن الطلح إنما هو «طلع منضود» ثم قرأ «طلعها هضيم»، قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.

والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة.

قال مسروق: أشجار الجنة من عروقتها إلى أفنانها ثمر كله.

﴿وَلَيْلٍ مَّذُورٍ﴾، دائس لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا يتقطع ممدود.

أخبرنا أبو علي بن حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي، ثنا

عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَيْلٍ مَّذُورٍ﴾ قال: شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحذثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا.

﴿وَمَا وَتَّكَوِبُ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخذود لا يتقطع. ﴿وَلَفْكَهُو كَيْفَرٌ﴾ لا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَبْنُوعَةٌ، قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها.

وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن. وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.

وجاء في الحديث: «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين».

﴿وَفَرُّشٍ مَّزْرُوعَةٍ﴾، قال علي رضي الله عنه: ﴿وَفَرُّشٍ مَّزْرُوعَةٍ﴾ على الأسرة. وقال جماعة من المفسرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن حبيش، ثنا أبو عبدالرحمن النسائي، ثنا أبو كريب رشدين بن سعد، عن عمرو بن

الحارث عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفَرُّشٍ مَّزْرُوعَةٍ﴾ قال: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام».

وقيل: أراد بالفرض النساء والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، «مرفوعة» رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾، خلقناهن خلقاً جديداً، قال ابن عباس: يعني الأدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقاً آخر.

﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي عن الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا عبد بن حميد، أنا مصعب بن المقدم، أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، قال: فقلت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا».

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم

الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخطيب، أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور، أنا أبو بكر محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد، أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي، ثنا سفيان الثوري [موسى بن عبيدة] عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِثَةً﴾، قال: «عجائز كن في الدنيا عماشاً رمصاً» ﴿فَمَلَأْنَهُنَّ أَبْكَاراً﴾.

وقال المسيب بن شريك: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقاً جديداً كلما أناهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً.

وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا.

وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله، لم يقع عليهن ولادة، فجعلناهن أبكاراً عذارى، وليس هناك وجع.

﴿٢٧﴾ ﴿قُرْآنًا﴾ قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر: «عربياً» ساكنة الراء، الباكون بضمها وهي جمع عروب أي عواشق متحبيبات إلى أزواجهن. قاله الحسن ومجاهد: وقتادة وسعيد بن جبير. وهي رواية الوالي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: مَلَقَةٌ. وقال عكرمة: غنجة. وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عربا حسان الكلام. ﴿تَرَاكِبًا﴾، مستويات في السن على سن واحد.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا بن شبة ثنا الفريابي، عن علي بن أبي شيبة، أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً بيضاً جعداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجاية إلى صنعاء».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «ينظر إلى وجهه في خداه أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون أبناء [ثلاث و] ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك عن محمد بن سليم عن النجاشي عن عتاب العبدى عن عبدالله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال: أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دان - لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه.

﴿٢٨﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَنَ الْيَمِينُ﴾، يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين.

﴿٢٩﴾ ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْأَوَّلِينَ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَالثَّلَاثَةَ يَوْمَ الْآخِرِينَ﴾، من مؤمني هذه الأمة، هذا قول عطية ومقاتل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد العدل، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن اللدقاني، ثنا محمد بن عبدالعزيز، ثنا عيسى بن المساور، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عيسى بن موسى عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَالثَّلَاثَةَ يَوْمَ الْآخِرِينَ﴾ بكى عمر رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله أمانا برسول الله ﷺ وصدقناه ومن ينجو منا قليل؟ فأنزل الله عز

وجل: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْآخِرِينَ﴾ فعدا رسول الله ﷺ عمر فقال: «قد أنزل الله عز وجل فيما قلت»، فقال عمر رضي الله عنه: رضينا عن ربنا وتصديق لنبينا، فقال رسول الله ﷺ: «من آدم إلينا ثلة، ومنى إلى يوم القيامة ثلة، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مُسَدَّد، ثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبدالرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عُرِضَتْ عليّ الأمم فجعل يمزّ النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن يكونوا أمتي، فقيل هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقيل لي: أنظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكننا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناءنا فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال:

نعم، فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال عليه السلام: «قد سبقك بها عكاشة».

ورواه عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى عليّ موسى عليه السلام في كبكبة بني إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت: أي رب [من] هؤلاء؟ قيل: هذا أخوك موسى ومن بني إسرائيل، قلت: رب فأين أمتي؟ قيل: انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدّت بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت رب رضيت رب رضيت، قيل: انظر عن يسارك فإذا الأفق قد سدّ بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت: رب رضيت، فقيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة لا حساب عليهم، فقال نبي الله ﷺ: إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من أهل الأفق فلإني قد رأيت ثم أناساً يتهاوشون كثيراً».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة فقال «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم قال: والذي نفس محمد

بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة، وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك، قالوا: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْآخِرِينَ﴾ من سابقي هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ من هذه الأمة في آخر الزمان.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الدينوري، ثنا أحمد بن إسحاق السني، أنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، ثنا محمد بن كثير، أنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْآخِرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي».

١١ - قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ إِذَا هُمْ فِي سَفَرٍ﴾، ربح حارة ﴿وَرَبِّهِمْ﴾، ماء حار.

١٢ ﴿وَقُلْ لِّمَن يَخْشَى﴾، دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود. وقال ابن كيسان يحموم اسم من أسماء النار.

١٣ ﴿لَا يَكُونُ فِيهَا حَرٌّ وَلَا كَرِيمٌ﴾، قال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم

تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل: وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: «فَاصْبِحْ يَقْلُبُ كَفْبُهُ عَلَى مَا أَفْقَ فِيهَا» [الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تشلاومون. قال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلفف على ما فات، وهو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أي تنعمت وتفككت أي حزنت.

﴿إِنَّا لَمُتْرُونَ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «أنا» بهمزتين وقرأ الآخرون [إنا] على الخبر، ومجاز الآية فظلمتم تفكهون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا. وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام العذاب. وقال الضحاك وابن كيسان: غرما أموالنا وصار ما أنفقنا غرماً علينا، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض.

﴿وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ نَحْنُ عَرَمُونَ﴾، محدودون ممنوعون أي حرماً ما كنا نطلبه من الربيع في الزرع.

﴿أَوَلَيْسَ لِلَّهِ الْإِنْسَانُ نَشْرُونَ﴾، ما أنتم أنزلتموه من المزيء أم نحن المزيئون، السحاب واحدها مزنة، «أَمْ نَحْنُ الْمَزِیُّونَ» لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ، قال ابن عباس شديد الملوحة، قال الحسن: مرأ. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَيْسَ لِلَّهِ الْإِنْسَانُ نَشْرُونَ﴾، تقدحون وتستخرجون من زندكم.

﴿أَن تَأْتِيَنَّهُمُ الشَّجَرَةُ﴾، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، «أَمْ نَحْنُ الْمُنْشَرُونَ» نحن جعلناها، خلقناها يعني نار الدنيا ﴿تَذَكَّرْ﴾، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل. وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها تسعة وستين جزءاً».

﴿وَمَتَّعْنَا﴾، بلغة ومنفعة، ﴿لِلْمُقَرَّبِينَ﴾، المسافرين والمقوي النازل في الأرض والقي والقوا هو القفر الخالية البعيدة من العمران يقال: قوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدون لها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: للمقربين يعني للمستمتعين بها من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة

ويصطلون من البرد، ويتنفعون بها في الطبخ والخبز.

قال الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم، يحملونها في الخرق والجوابيق. وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً. قال قطرب: المقوي من الأضداد يقال للمفقر مقو لخلوه من المال، ويقال للغني: مقو لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم ولا صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: فلا أقسم، على التحقيق. وقيل: قوله ﴿فَلَا﴾ رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال ﴿أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾. قرأ حمزة والكسائي «بموقع» على التوحيد. وقرأ الآخرون «بمواقع» على الجمع. قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً. وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَنَسْفًا لَوْ تَفَعَّلُونَ عَظِيمًا ﴿٧٧﴾ إِنَّكُمْ، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم. ﴿لَنَسْفًا كَرِيمًا﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله. قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

﴿٧٨﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُومٍ، مصون عند الله في اللوح المحفوظ محفوظ من الشياطين.

﴿٧٩﴾ وَلَا يَشْعُرُ، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يروى هذا عن أنس، وهو قول سعيد بن جبير، وأبي العالية، وقتادة وابن زيد: أنهم الملائكة.

وروى حسان عن الكلبي قال هم السفرة الكرام البررة، وروى محمد بن فضيل عنه لا يقرؤه إلا الموحدون. قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن. قال الفراء: لا يجد طغمة ونفعة إلا من آمن به. وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات. وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للمجنب ولا للمحاض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء، وطاوس، وسالم والقاسم، وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم، وحماة، وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والمجنب حمل المصحف ومسّه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق

الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم (أن لا يمسه القرآن إلا طاهر).

والمراد بالقرآن المصحف، سماه قرآنًا على قرب الجواز والاتساع.

كما روي أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو».

وأراد به المصحف.

﴿٨٠﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر للمخلوق خلق.

﴿٨١﴾ أَفَيْتَا لِكُلِّبَيْنِ، يعني القرآن «أنتم»، يا أهل مكة، «مدهنون»، قال ابن عباس: مكذبون. قال مقاتل بن حيان: كافرون نظيره: «وَوَدُّوا لَوْ تُكَلِّمُ بِكُذُوبَةٍ» [القلم: ٩]، والمدمن والمدامن الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب: مدمن، وإن صرح بالكذب والكفر.

﴿٨٢﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ، حفظكم ونصيبكم من القرآن، «أنكم

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُومٍ ﴿٧٧﴾ لَا يَشْعُرُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ أَفَيْتَا لِكُلِّبَيْنِ أَنْتُمْ مَدْهُنُونَ ﴿٨٠﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ مُكَذِّبُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا لَقِيتِ الْغُلَامَ فَأَنْشُرْجِيهِ وَنُظِّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِيَّاكُمْ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ مُرْسِيينَ ﴿٨٤﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرِيينَ ﴿٨٦﴾ فَوَيْحٌ لِلرَّعِيانِ وَحَيْثُ يَبْعَثُ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُصْطَبِ ﴿٨٨﴾ أَلَيْسَ لِكُلِّبَيْنِ سَلَامٌ أَلَمْ يَنْصَبِ الْعِلْمَيْنِ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٠﴾ فَتَرَى الْيَوْمَ الْيَقِينَ ﴿٩١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَلِيمِ ﴿٩٢﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا مَعْشَرَ الْمَلَكُوتِ خُذُوا فِي يَدَيْكُمْ
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

تَكْذِبُونَ»، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به. وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان، بمعنى ما شكر، وهذا في الاستسقاء بالأثواء، وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقليل لهم: أنجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم، يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن

مسعود، عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم»، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب».

ورواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ وزاد: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَقْسِدُ بَمَاقِعِ الْأَعْيُنِ إِلَى قَوْلِهِ: «وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ»﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن سلمة المرادي، ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله تعالى الغيث فيقولون: مطرنا بكوكب كذا وكذا».

قوله عز وجل: ﴿تَلَوَّلَا﴾، فهلا، ﴿إِذَا بَلَغَ لِحَافُكُمُ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

﴿وَأَنْتُمْ جِيئَ بِكُمْ نَتُورُونَ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت ينظرون إليه متى تخرج نفسه. وقيل: معنى قوله

تنظرون أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، الذين حضروه.

﴿تَلَوَّلَا﴾، فهلا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَزَّزَيْنَ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسنين ومجزيين.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: ﴿تَلَوَّلَا إِذَا بَلَغَ لِحَافُكُمُ﴾، وعن قوله: ﴿تَلَوَّلَا إِنْ كُنْتُمْ عَزَّزَيْنَ﴾، بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل: ﴿هَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد، معناه إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال.

﴿فَإِنَّمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفَرِّقِينَ﴾، وهم السابقون.

﴿فَرُوحٌ﴾ قرأ يعقوب ﴿فرواح﴾، بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم.

ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبيرة: فرح. وقال الضحاك: مغفرة ورحمة. ﴿وَرِيحَانٌ﴾، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم، قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه. ﴿وَحَنَّتْ نَفْسُهُ﴾، قال أبو بكر الوراق: «الروح» النجاة من النار والريحان» دخول دار القرار.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ - ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المتوفى، ﴿وَمِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فسلك لك من أصحاب اليمين، أي سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.

وقال الفراء وغيره: فسلم لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلم لك إنك من أصحاب اليمين وألفيت إن كان، كالرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: «سلام لك» أي عليك من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾، بالبعث، ﴿الضَّالِّينَ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

﴿نَزَلَ مِنْ جَمِيرٍ﴾، فالذي يعدلهم حميم جهنم.

سورة الحديد

مدنية وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، يعني هو «الأول» قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجوداً، و«الآخر» بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو «الظاهر» الغالب العالي على كل شيء، و«الباطن» العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس: وقال يمان: «هو الأول» القديم و«الآخر» الرحيم، و«الظاهر» الحليم، و«الباطن» العليم.

وقال السدي: هو الأول بيره إذ عرفك توحيد، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذ عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن يعلم الغيوب. وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿وَهُوَ يَكْلُ كُلَّ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا محمد بن فضيل، أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجلفري، حدثني أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق، ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حذلم وابن راشد قالوا: أخبرنا بكراً بن قتيبة، ثنا روح بن عبادة، ثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» [قال] وكان أبو طيبة لا يدعها أبداً.



﴿وَتَصْلِيَةُ جَمِيعٍ﴾، وإدخال نار عظيمة.

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قصة المحتضرين، ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: «الباء» زائدة ومعناه فسبح اسم ربك العظيم.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا ابن فنجويه، أنا ابن شيبه، ثنا حمزة بن محمد الكاتب، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه وهو إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمود بن غيلان، ثنا أبو داود، قال: أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ».

﴿بَابُ بَابِهِ فِي الرَّحْمَةِ﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة، ﴿وَعَلِيمٌ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿الْعَذَابِ﴾، وهو النار.

﴿١٤﴾ يُنَادُوهُمْ رُوي عبدالله بن عمر قال: إن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿فَضَرِبَ يَنَّهُمْ سُورَ لَمْ بَابُ﴾ هو سور بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وادي جهنم. وقال شريح: كان كعب يقول: في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله عز وجل: ﴿فَضَرِبَ يَنَّهُمْ سُورَ لَمْ بَابُ﴾ الآية، «ينادونهم» يعني: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجز بينهم بالسور ويقوا في الظلمة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا نصلي ونصوم؟ ﴿فَأَلَّا بَلَّ وَلَكِنَّكَ فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ﴾، أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿وَرَزَقْتُمْ﴾، بالإيمان والتوبة. قال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ الموت وقتلتم يوشك أن يموت فنستريح منه، ﴿وَأَزَلَلْتُمْ﴾، شككتهم في نبوته وفيما أوعدكم به. ﴿وَعَزَّزْتُمْ الْأَمَانِ﴾، الأباطيل وما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّى جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾، يعني الموت، ﴿وَعَزَّزْتُمْ بِاللَّهِ الْكَرُورُ﴾، يعني الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.

﴿١٥﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ يَدٌ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب

﴿تُؤْخَذُ﴾، بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿يَدٌ﴾ بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، ﴿وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، ﴿مَأْوَانَكُمْ النَّارُ مِنْ مَوْلَانَكُمْ﴾، صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، ﴿وَيُشَى الْأَمِيرُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿تَخْشَعُ قُلُوبُ عَلَىكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصاً من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية. فعلى هذا تأويل قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، يعني في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين.

قال عبدالله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إلا أربع سنين. وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

﴿١٦﴾ فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾، ألم يحن

للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ترق وتلين وتخضع لذكر الله، ﴿وَمَا زَلَّ﴾، قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي، وقرأ الآخرون بتشديدها، ﴿مِنْ أَمْنٍ﴾، وهو القرآن، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿فَقَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواضع الله والمعنى: أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر. روي أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال لهم: أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فاتلوها ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم. ﴿وَكَبُرَ بِهِمْ فِتْيُونُ﴾، يعني الذين تركوا الإيمان بعبسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ وقوله عز وجل: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ﴾، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد، ﴿وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَبًا﴾، بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾، ذلك

القرض **﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾**، ثواب حسن وهو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، والصادق الكثير الصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية.

قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحزمة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.

﴿وَالشَّهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين. وقال الضحاك: هم الذين سميانهم. وقال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية. وقال قوم: تم الكلام عند قوله: **﴿هُمْ﴾** **﴿الصَّادِقُونَ﴾** ثم ابتدا فقال: **﴿وَالشَّهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾**، قالوا والسواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال: قوم هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله. **﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾**، بما عملوا من العمل الصالح، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، على الصراط **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**.

﴿قوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾، أي أن الحياة الدنيا، و**﴿ما﴾** صلة أي إن الحياة في هذه الدار، **﴿وَلَهُمْ﴾**، باطل لا حاصل له، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، فرح ثم ينقصي، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، منظر يتزينون به، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، تفخر به بعضكم على بعض.

﴿وَنُورُهُمْ﴾ في الأموال والأولاد، أي مباحة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال **﴿كَذَلِكَ غِيثُ أَحَبِّ﴾**

الكنار، أي الزروع، **﴿بَنَاتُهُ﴾**، ما نبت من ذلك الغيث، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، بعد خضرته ونبس، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، بعد خضرته ونضرت، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويقتى، **﴿وَنُورُهُمْ﴾**، قال مسقاتل: لأعداء الله، ولأولياته وأهل طاعته.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

﴿وَمَا فَاتَكُمْ﴾، سارعوا إلى **﴿مَقُورَةٍ مِّنْ زَيْتٍ وَنَجْوَىٰ غَرْثٍ﴾** كعرض السموة والأرض، لو وصل بعضها ببعض، **﴿وَأَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**، فبين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.

سورة الحديد

سورة الحديد

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَذَلِكَ غِيثُ أَحَبِّ الْكُفَّارِ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدُ مُضْغَرَاتُهُمْ يَوْمَ يَكُونُ حُلُمًا فِي الْأَخْرِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾** سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ **﴿مَالِكَاتٍ مِّنْ تَوْحِيدٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كَثِيرٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ **﴿الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْمُنْكَرِ وَمَنْ يَرْكَبْهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**

٢٤

﴿قوله عز وجل: ﴿مَا آتَاكُمْ﴾، يعني في الأرض، **﴿مِنْ﴾** قحط المطر وقلة النبات ونقص الشمار، **﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾**، يعني الأمراض وفقد الأولاد، **﴿وَلَا فِي كَثِيرٍ﴾**، يعني اللوح المحفوظ، **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَ﴾**، من قبل أن تخلق الأرض والأنفس. وقال ابن عباس: من قبل أن تبرا المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النعمة، **﴿وَلَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾، تحزنوا، **﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾**، من الدنيا، **﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾**، تبطروا بما آتاكم، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله **﴿فاتكم﴾** فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون **﴿فاتكم﴾** بمد الألف، أي: أعطاكم. قال عكرمة: ليس

الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما
يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب.
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي في أمره
عزيز في ملكه.

١٦ - ١٧ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَبَيِّنَّا مُمْتَدِّ وَكثير مَنَّهُمْ
فَنَسِيتُوا ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آدَمَ إِدْرِيمَ
يُرْسِلُنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، على دينه،

﴿رَافِقًا﴾، وهي أشد البرقة،
﴿وَرَحْمَةً﴾، كانوا مترادين بعضهم
لبعض، كما قال الله تعالى في
وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ
يَتَّبِعُهُمُ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوا﴾، من قبل أنفسهم وليس
هذا يعطف على ما قبله وانتصابه
بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا
رهبانية أي جاؤوا بها من قبل
أنفسهم، ﴿مَا كَتَبْنَا﴾، أي ما
فرضناها، ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَةً رَضَوْنَ
اللَّهُ﴾، يعني ولكنهم ابتغوا
رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك
الرهبانية ما حملوا أنفسهم من
المشاق في الامتناع من المطعم
والمشرب والملبس والنكاح والتعب
ففي الجبال، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَائِهَا﴾، أي لم يراعوا الرهبانية حق
عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في
دين ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام
منهم أناس على دين عيسى عليه
الصلاة والسلام حتى أدركوا
محمدًا ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله
تعالى: ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا

﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ﴾، يعني العدل.
وقال مقاتل بن سليمان:
هو ما يوزن به أي ووضعنا
الميزان كما قال: ﴿وَالسَّمَةَ
رَفَعْنَا وَوَضَعْنَا الْمِيزَانَ﴾
[الرحمن: ١٧] بأن وضع
﴿وَالْمِيزَانَ﴾ يَقُومُ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ﴾، ليتعاملوا بينهم
بالعدل، ﴿وَأَرْسَلْنَا
الْحَدِيدَ﴾.

روي عن ابن عمر
يرفعه: إن الله أنزل أربع
بركات من السماء إلى
الأرض: الحديد والنار
والماء والملح، وقال أهل

المعاني معنى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا
الْحَدِيدَ﴾، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج
لهم الحديد من المعادن وعلمهم
صنعتة بوجيه. وقال قطرب: هذا من
النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان
نزلاً حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك
نزلاً لهم. ومثله قوله، ﴿وَأَرْسَلْنَا لَكُمُ
مِّنَ الْأَنْفَةِ ثَنِيَّةً أَرْزَجَ﴾ [الزمر:
٦٦]. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، قوة شديدة
يعني السلاح للحرب.

قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني
آلة [الدفع] وآلة الضرب، ﴿وَنَسْفَعُ
لِلنَّاسِ﴾، مما ينتفعون به في
مصلحتهم كالسكين والفأس والإبرة
ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة،
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، أي أرسلنا رسلنا
وأرسلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل
الناس بالحق والعدل وليعلم الله
وليرى الله، ﴿مَن يَصْرَفُ﴾، أي دينه.
﴿وَنُرْسِلُهُ بِالْقَيْبِ﴾، أي قام بنصرة

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِالْأَيْبِ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَرْسَلْنَا الْهَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَعْنَاهُ النَّاسَ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْرَفُ
بِالْقَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَبَيِّنَّا مُمْتَدِّ
وَكثير مَنَّهُمْ فَنَسِيتُوا ﴿١٧﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آدَمَ إِدْرِيمَ
يُرْسِلُنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَةً رَضَوْنَ اللَّهُ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا أَجْرَهُمْ
وَكثير مَنَّهُمْ فَنَسِيتُوا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمُوا بِرِيسَالِهِ فَإِنَّكُم كَفَرْتُمْ مِن رَّحْمَتِي وَهَلَكَ لَكُم
نُورٌ تَنُورُونَ ﴿١٩﴾ وَتَقَرَّبْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ لَّا تَلْمِزُوا
أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ قَوْلٍ مِّن قَوْلِ نَحْنُ اللَّهُ وَإِنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن
اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً.
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كُلَّ مُجْتَالٍ﴾، متكبر
بما أوتي من الدنيا، ﴿فَخَرِبَ﴾،
يفخر به على الناس.

قال جعفر بن محمد الصادق: يا
ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا
يرده إليك الفوت، ومالك تفرح
بموجود لا يتركه في يدك الموت.

٢٢ ﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾، قيل:
هو في محل الخفض على نعت
المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء
وخبره فيما بعده. ﴿وَيَأْتِيَنَّ النَّاسَ
بِالْبَغْيِ وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أي يعرض عن
الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَافِرُ﴾،
قرأ أهل المدينة والشام: ﴿فإن الله
الغني﴾، بإسقاط «هو» وكذلك هو
في مصاحفهم.

٢٣ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا بِالْأَيْبِ﴾، بالآيات والحجج،

أَكْرَفُكُمْ»، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرافة والرحمة، ﴿وَكَبِيرٌ يَنْتَهُمُ فَيَقُولُونَ﴾، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عبدالله بن حاتم، أنا أحمد بن عبدالله المزني، ثنا محمد بن عبدالله بن سليمان، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا الصعق بن حزن، عن عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهن، فرقة آزت الملوك وقتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، فأخذوهم وقتلوه، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فباحوا في البلاد وترهبوا، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ فقال النبي: من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون».

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حماز فقال لي: «يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون

بالمعاصي، فغضب أهل الإيمان فقاتلوه، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهورنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدهو إليه، فقالوا: تعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام، يعنون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال، وأخذوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الآية، ﴿فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَنَتَّهْمُ﴾ يعني من ثبتوا عليها أجرهم، ثم قال النبي ﷺ: «يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع».

وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

وروي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت ملوك بني إسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتهم أو دخلوا غيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا أسطوانات، ثم أرفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعمانا وشرابنا، ولا نرد

عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسبح في الأرض ونهيم وتشررب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي نحتفر الآبار ونحترب البقول فلا تردّ عليكم ولا نمرّ بكم، ففعلوا بهم ذلك قمض أولئك على مناج عيسى عليه الصلاة والسلام، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غرّ الكتاب، فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان فتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما يسبح فلان ونأخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها هؤلاء الضالّون، فما رعوها حق رعايتها، يعني الآخرون الذين جاؤوا من بعدهم، قاتلنا الذين آمنوا منهم أجرهم، يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﷻ ﴿يَنْتَهُمُ فَيَقُولُونَ﴾ [هم] الذين جاؤوا من بعدهم، قال: فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره وآمنوا به.

﴿٢٨﴾ فقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ ﴿وَاتَّقُوا رَسُولَهُ﴾، محمد ﷺ، ﴿وَاتَّقُوا كُتُبَ اللَّهِ﴾، نصيبين، ﴿مِنْ دَعْوَاهُ﴾، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم:

انقطع الكلام عند قوله ﴿ورحمة﴾ ثم ابتدا: ورهبانية ابتدعوها، وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا النوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها يعني الطاعة والملة ﴿حَقَّ رِطَابُهَا﴾ كناية عن غير مذكور ﴿فَنَاقَتَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمَا﴾، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد، معنى قوله: ﴿إِلَّا آيَتَا رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناه عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرناهم بالترهب. قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِتَابًا﴾ نصيبين من رحمته.

وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فادبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده» ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ تَوَكُّلاً﴾ يعني على الصراط، كما قال: ﴿تَوَكُّلْهُمْ يَتَوَكَّلْ﴾ [التحریم: ٨] ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النور هو القرآن. وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به. ﴿وَيُغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقيل: لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب

قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] قالوا للمسلمين: أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وبكتابتنا وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِتَابًا مِنْ رَبِّكُمْ فَجْعَلْ لَهُمُ الْآجِرِينَ إِذَا آمَنُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وزادهم النور والمغفرة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [و] قال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي ليعلم ولا صلة، ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ قَوْلٍ مِّنْ فَمَلِّ اللَّهِ﴾، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً،

فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى: وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء؟ قال الله تعالى: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا قال: فإنه فضلي أعطيه من شئت».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمد بن العلاء، ثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم، فقال: أكملوا بقية يومكم هذا، ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل



ولدي وأحب الناس إلي،
فقال رسول الله ﷺ:
حرمت عليه، فقالت:
أشكو إلى الله فناقني
ووحدي فقد طالت [معه]
صحبتي ونقضت له
بطنني، فقال
رسول الله ﷺ: ما أراك
إلا قد حرمت عليه ولم
أمر في شأنك بشيء،
فجعلت تراجع
رسول الله ﷺ، وإذا قال
لها رسول الله ﷺ:
حرمت عليه هتفت
وقالت: أشكو إلى الله

ولك الأجر الذي جلعت لنا فيه،
فقال أكملوا بقية عملكم فإنما بقي
من النهار شيء يسير، فأبوا فاستأجر
قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا
بقية يومهم حتى غابت الشمس،
فاستكملوا أجر الفريقين كليهما
فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا
النور [أي القرآن].

سورة المجادلة

مدنية وهي اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ
فِي زَوْجِهَا﴾، الآية.

نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت
تحت أوس بن الصامت، وكانت
حسنة الجسم، وكان به لمم فأرادها
فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر
أمي، ثم ندم على ما قال وكان
الظهار والإيلاء من طلاق أهل
الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا قد
حرمت علي فقالت: والله ما ذاك
طلاق، وأنت رسول الله ﷺ وعائشة
رضي الله عنها تغسل شق رأسه،
فقالت: يا رسول الله إن زوجي
أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة
غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل
مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر
سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من
شيء يجمعني وإياه تنعشني به؟ فقال
رسول الله ﷺ: حرمت عليه،
فقالت: يا رسول الله والذي أنزل
عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو

وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة
لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية
البيت أسمع بعض كلامها ويخفي
علي بعضه إذ أنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ

اللَّهُ﴾ الآيات.

ومعنى قوله ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾
تخاصمك وتحاورك وتراجعك في
زوجها، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا﴾، مراجعتكما الكلام، ﴿إِنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، سميع لما تناجيه
وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه،
ثم دم الظهار.

﴿١﴾ فقال: ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ
مِنْ نِسَائِهِمْ﴾، قرأ عاصم
﴿يَظْهَرُونَ﴾ فيها بضم الياء وتخفيف
الطاء وألف بعدها وكسر الهاء، وقرأ
ابن عامر، وأبو جعفر، وحمزة،
والكسائي: بفتح الياء والهاء،
وتشديد الظاء وألف بعدها، وقرأ

فاقتي وشدة حالي وإن لي صبية
صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن
ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع
رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني
أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان
نبيك فرجي، وكان هذا أول ظهار
في الإسلام، فقامت عائشة تغسل
شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في
أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله،
فقالت عائشة: أقصري حديثك
ومجادلتك أما تريين وجه
رسول الله ﷺ؟ وكان
رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه
[الوحي] أخذه مثل السبات، فلما
قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك
فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ:
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾،
الآيات، قالت عائشة: تبارك الذي

الآخزون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. ﴿وَمَا هُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات بأمهات وخفض التاء في أمهاتهم على خبر ﴿مَا﴾ ومحل نصب كقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] المعنى ليس هن بأمهاتهم ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ﴾ أي ما أمهاتهم، ﴿إِلَّا اللَّيْلُ وَلَدْنَهُنَّ وَلَيَّهِنَّ لَيَقُولُنَّ مُشْكِرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾، لا يعترف في شرع ﴿وَزُورًا﴾، كذبًا، ﴿وَلَيْكَ اللَّهُ لَعْنَةُ عُقُورٍ﴾، عفا عنهم وغفر لهم يلجأ بالكفارة عليهم، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامراته أنت علي كظهر أمي، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي، وكذلك لو قال: أنت علي كبطن أمي أو كراس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو راسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضواً منها بعضها آخر من أعضاء أمه فيكون ظهاراً.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهاراً وإن شبهها بعضو آخر لا يكون ظهاراً. ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي، وأراد به الإعرزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً حتى يريده، ولو شبهها بجذته فقال أنت علي كظهر جدتي يكون ظهاراً، وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر أختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الأصح من الأقاويل.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ

يُؤَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، ثم حكم الظهار: أنه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر، والكفارة تجب بالعود بعد الظهار. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، واختلف أهل العلم في العود فقال [جماعة] أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبو العالية، وقال: ﴿ثُمَّ يَدُّونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة أخرى فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري. وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا: لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال: قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زماناً يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل فإن طلقها عقيب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفارة عليه لأن العود للقول هو المخالفة، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفه ومعناه [على] هذا، قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال، وفي بعض ما قال يعني رجع عما قال، وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك أن قصده بالظهار التحريم فإذا أمسكها على النكاح فقد

خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فإن راجعها، صار عائداً ولزمته الكفارة قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا﴾ والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: ﴿فَمَن لَّر يَسْتَطِيعْ فَلْيَصَاعِمْ سِتِينَ مِّسْكِيًا﴾ [المجادلة: ٤] ولم يقل من قبل أن يتماساً، وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام.

واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالقبلة والتلذذ فذهب أكثرهم إلى أنه لا يحرم سوى الوطء وهو قول الحسن، وسفيان الثوري، وأظهر قول الشافعي، كما أن الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاع وذهب بعضهم إلى أنه يحرم لأن اسم «التماس» يتناول الكل ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصي الله تعالى، والكفارة في ذمته. ولا يجوز أن يعود ما لم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة أخرى، وقال بعض أهل العلم: إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان، وكفارة الظهار مرتبة عليه: يجب عليه عتق رقبة مؤمنة،

فإن لم يجد فعلية صيام شهرين متتابعين، فإن أظفر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكيناً، وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين، ﴿ذَلِكَ تَوْفِيقُكَ﴾، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

① ﴿مَنْ لَمْ يَجِدْ﴾، يعني الرقبة، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّ﴾، فإن كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى خدمته، أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لنفقه ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم. وقال مالك والأوزاعي: يلزمه الإعتاق إذا كان واحداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه. وقال أبو حنيفة: إن كان واحداً لعين الرقبة يجب عليه إعاقها، وإن كان محتاجاً إليها فأمّا إذا كان واحداً لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم، فلو شرع المظاهر في صوم شهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة، ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين، وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين. قوله عز وجل: ﴿مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلْطَعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾، يعني المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكيناً.

أخبرنا أبو عبدالله بن محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن

علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، فظاهر منها وكان به لم، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً تظاهر مني وذكرت أن به لمأ فقالت: والذي بعثك بالحق ما جنتك إلا رحمة له إن له في منافع، فأنزل الله القرآن فيهما فقال رسول الله ﷺ: «مره فليعتق رقبة» قالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها، قال: مره فليصم شهرين متتابعين، فقالت: والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع، قال: مره فليطعم ستين مسكيناً، قالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: «مره فليذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمر صدقة، فليأخذه صدقة عليه ثم ليصدق به على ستين مسكيناً».

وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرأة أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته

فقال: أنت بذاك؟ فقلت: أنا بذلك قاله: ثلاثاً، قلت: أنا بذاك وها، أنا ذا فامض في حكمك الله، فإني صابر لذلك، قال: فأعتق رقبة، ففريت صفحة عتقي بيدي فقلت: والذي بعثك بالحق ما أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، فقلت: يا رسول الله ﷺ وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ قال: فاطعم ستين مسكيناً، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وخشاً ما لنا عشيّاً، قال: لذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك فاطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك، قال: فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة أمرلي بصدقتكم فادفعوها إلي، قال: فادفعوها إليه.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل، ﴿وَقَالَاتُ حُرُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما وصف من الكفارات في الظهار، ﴿وَاللَّكِنِ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: لمن جحدته وكذب به.

⑤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كُفْرًا﴾، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿كَانَ كَيْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾، إليك، ﴿وَأَنْتَ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ مِنْهُم وَلَا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهِم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الْتَوْحَىٰ ثُمَّ يُعْذِرُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَنْتَحِرُونَ بِالْأَلْبَانِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا تُحْيِيكَ بِهِ اللَّهُ وَتَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنَّا نَنْتَحِيثُمْ فَلَا تَنْتَحِرُوا بِالْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجِبُوا بِالْأَيْدِ وَالْقَوَىٰ وَأَنْفُوا اللَّهُ الَّذِينَ إِلَيْهِ تُعْذِرُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا التَّوْحَىٰ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاقْصِرُوا وَفَصَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

يَنْتَحِرُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ.

١ - ﴿٧﴾ يَوْمَ يَنْتَهِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَنْتَهِمُ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ، حفظ الله أعمالهم، «وَسُورَةُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِالنَّاءِ لثَانِيَتِ النَجْوَى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل، «مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ»، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، «إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ»، بالعلم وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضاً إلا هو رابعهم بالعلم، يعلم نجواهم «وَلَا حَسَمَ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَلَا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» قَرَأَ يَعْقُوبُ أَكْثَرَ بِالرَّفْعِ عَلَى مَحَلِّ الْكَلَامِ قَبْلَ دُخُولِ مِنْ «ثُمَّ يَنْتَهِمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الْتَوْحَىٰ ثُمَّ يُعْذِرُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَنْتَحِرُونَ بِالْأَلْبَانِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا تُحْيِيكَ بِهِ اللَّهُ وَتَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنَّا نَنْتَحِيثُمْ فَلَا تَنْتَحِرُوا بِالْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجِبُوا بِالْأَيْدِ وَالْقَوَىٰ وَأَنْفُوا اللَّهُ الَّذِينَ إِلَيْهِ تُعْذِرُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا التَّوْحَىٰ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاقْصِرُوا وَفَصَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك

عليهم وكثر شكواهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الْتَوْحَىٰ ثُمَّ يُعْذِرُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ﴾، أي المناجاة ﴿ثُمَّ يُعْذِرُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ﴾، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَنْتَحِرُونَ﴾، قرأ الأعمش وحمزة «ينتجون» على وزن يفتعلون، وقرأ الآخرون «ويتناجون» لقوله: ﴿إِنَّا نَنْتَحِيثُمْ فَلَا تَنْتَحِرُوا بِالْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، «وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا تُحْيِيكَ بِهِ اللَّهُ»، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ، «وَيَقُولُونَ»، السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونهم أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: «عليكم» فإذا خرجوا قالوا: ﴿قَدْ

أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ»، يريدون لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول، قال الله عز وجل: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد الوهاب، ثنا أبو أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا: السام عليك قال: «وعليكم»، فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في».

ثم إن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود.

١١ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاقْصِرُوا وَفَصَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

١٢ ﴿إِنَّمَا التَّوْحَىٰ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي من تزيين الشيطان، ﴿يَخْشَوْنَ اللَّهَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الَّذِينَ آمَنُوا، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿وَلَيْسَ﴾، التناجي، ﴿بِعَزَائِهِمْ شَيْئًا﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئاً، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا﴾، الآية.

قال مقاتل بن حيان: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية.

وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته.

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقيل: كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا﴾ أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم في المجلس لأن الكل جالس مجلساً، معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون «في المجلس» على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ ﴿فَاسْبَحُوا﴾: أوسعوا، يقال: فسح يفسح فسحاً إذا وسع في المجلس، ﴿يَسْجِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا».

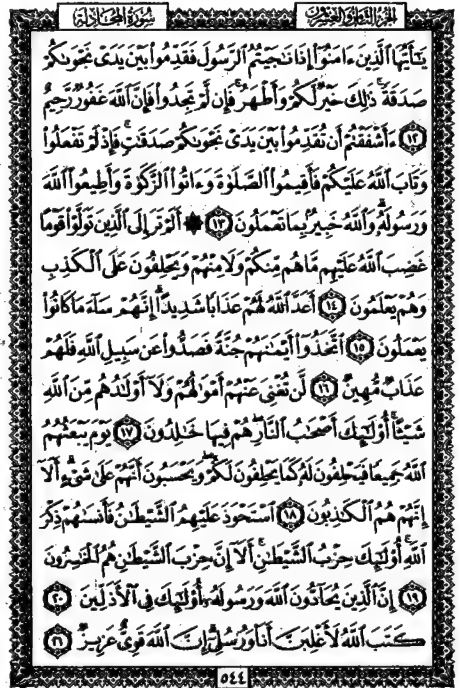
أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقبل أفسحوا».

وقال أبو العالية، والقرظي والحسن: هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم.

وقال عكرمة والضحاك: كان رجال يتناقلون عن الصلاة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه: إذا نودي للصلاة فانهضوا لها. وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، ﴿دَرَجَاتٍ﴾، فأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا، وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الإكرام، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: [يا] أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ دَرَجَاتٍ﴾ المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.



قال: فلإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن السموات والأرض والحوت في الماء لتدعوه، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء [هم] ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم

يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ [به] فقد أخذ بحظ وافر».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج، أنا الحسن بن يعقوب العدل، ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء، ثنا جعفر بن عون، أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، قال: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون

الجاهل، فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلماً، ثم جلس فيهم».

① قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّعْتُمْ أَرْسُولَ فَرِّقُوا بَيْنَ يَدَيَّ تَجَوَّعُوا﴾، أمام مناجاتكم، ﴿سَدَقَ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويشبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ.

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثر مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة.

قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم ينجاه إلا علي رضي الله عنه تصدق بدينار ونجاه، ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة.

وروي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال: «أما ترى ديناراً قلت: لا يطيقونه، قال:

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، ثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي، أنا محمد بن يونس القرشي، أنا عبد الله بن داود، ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول عليه السلام في حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا رغبة فيه؟ قال: نعم

«فكم» قلت: حبة أو شعيرة، قال: «إنك لزهيد»، فنزلت: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَثِرٍ مَلَكُوتٍ﴾، قال علي رضي الله تعالى عنه: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿وَالْمُطَهَّرُ إِنَّمَا يُعَدُّوْا إِنَّا لِلَّهِ عُتُورٌ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

﴿١٧﴾ «أَشَقُّمُ أَنْ نَقْدِمُوا» قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿بَيْنَ يَدَيَّ نَحْوَكُمْ صَدَقَةٌ فَإِذَا لَرَّ تَعْمَلُوا﴾، ما أمرتم به، ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازة، فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم وتجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة. قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار. ﴿فَأَيُّمُوا الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾، الواجبة، ﴿وَأَيُّمُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلًا مِّمَّا
عَصَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في
المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم
ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم، وأراد
بقوله: ﴿عَصَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود،
﴿مَّا هُمْ بِنَعْمِكَ﴾ ولا يَنْتَهُمُ، يعني
المنافقين ليسوا من المؤمنين في
الدين والولاية ولا من اليهود
والكافرين، كما قال: ﴿مُذَلِّذِينَ بَيْنَ

﴿وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِّبِ وَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾.

قال السدي ومقاتل: نزلت في
عبدالله بن نبتل المناقي، كان بجالس
رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى
اليهود، فينما رسول الله ﷺ في
حجرة من حجراته إذ قال: «يدخل
عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعيني شيطان»، فدخل
عبدالله بن نبتل وكان أزرق العينين،
فقال النبي ﷺ: «علام تشتعني أنت
وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل
وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبه،
فأنزل الله عز وجل هذه الآيات،
فقال: «﴿وَيَعْلَمُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَمُمْ
يَلْعَنُونَ﴾. أنهم كذبة».

(١٥) - (١٦) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 ﴿أَعْدُوا لَيْسَتُمْ﴾، الكاذبة، ﴿حَنَّةٌ﴾،
 يستجنون بها من القتل ويدفعون بها
 عن أنفسهم وأموالهم، ﴿فَصَلُّوا عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾، صدوا المؤمنين عن
 جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم،
 ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

(٧) - (٨) ﴿لَنْ تُقَىٰ عَنْهُمْ﴾ ، يوم القيامة ، ﴿أَنْتُمْ وَلَا أَوْلَاكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَحَبُّ الْكَافِرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمَاعًا يَفْقَهُونَ﴾ ، كاذبين ما كانوا مشركين ، ﴿كَمَا يَحْمِلُونَ لَكَ﴾ ، في الدنيا ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُ ثَمُودَ﴾ من إيمانهم الكاذبة ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

۱۱-۲۰ ﴿اَسْتَعِزَّ﴾، غلب

واسترلى، عَلَيْهِمُ السَّيْلُنَ فَاسْتَمِمْ وَكَمْ
 اللَّهُ أَوْلِيَّكَ حَرْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حَزَبَ
 الشَّيْطَانُ مُمْ لِكَيْفَ ۖ إِنْ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ
 اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَّكَ فِي الْأَذَلِّينَ،
 الأسفلين أي هم في جملة من
 يلحقهم اللذل في الدنيا والآخرة.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾، قضى الله قضاءً ثابتاً، ﴿لَأَعْلَمَنَّ أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ﴾، ﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كُتْمَانَا لِيَأْتِيَاكَ الْمُسْلِمِينَ﴾، ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ النَّصُورُونَ﴾ [الصفات: ١٧١ و١٧٢]، قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب، فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة. ﴿لَأَعْلَمَنَّ أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ﴾، ﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كُتْمَانَا لِيَأْتِيَاكَ الْمُسْلِمِينَ﴾، الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته.

قيل: نزلت في حاطب بن أبي
بلتعة حين كتب إلى أهل مكة
وسأني في سورة الممتحنة، إن
شاء الله عز وجل.

وروى مقاتل بن حيان عن مرة
الهمداني عن عبدالله بن مسعود في
هذه الآية قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا
أَبَاءَهُمْ﴾ يعني أبا عبيدة بن
الجراح، قتل أباه عبدالله بن الجراح
يوم أحد أو أبناءهم، يعني أبا بكر
دعا أخته يوم بدر إلى البراز، وقال:

العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين: ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاهدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة - ذكرناه في سورة آل عمران -

وكان النبي ﷺ اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية المسلمين الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة، فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك - ذكرناه في سورة المائدة - فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال: نعم، قالوا: ذرنا نيكى شجوناً ثم ائتمر أمرك، فقال النبي ﷺ: «اخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال، ودس المنافقون - عبدالله بن أبي ابن سلول

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحًى مِّنْ أَمْرِنَا ﴿٥٢﴾، وقيل:
برحمة منه. وقيل: أمدهم.
بجبريل عليه السلام.
﴿وَيَذَرُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانٌ عَنْهُ
أَوَّلَ إِلَهِمَ جَزَاءُ الْإِنسَانِ
الَّذِي كَفَرَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَحْصِي قَوْمًا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيُوَدُّوا الْآخِرِينَ بَوَّاءُونَ مَنْ
 حَكَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَمَلَهُمْ تَتَّبِعُوا لَكُمْ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانُ أَتَدْرِكُهُمْ بِلُوحٍ وَفِي دَعَائِهِمْ حَسَبَاتٌ يَجْعَلُ
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلْقَ بَيْنَهُمَا فِئَةً رَاضٍ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَانقَلَبُوا
 خَوْسًا مِنْ اللَّهِ فَأَنْزَلَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدْ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ يَتَنَزَّلُونَ مِنْهُمُ بِالْيَدِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي
 قَاعَتِهِمْ لِتَكُونُ الْبَصِيرُ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

سورة الحشر

مدينة وهي أربع وعشرون آية .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل سورة النضير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأً وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا

يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك يا أبا بكر».

﴿أَوْ إِخْرَجَهُمْ﴾ يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلياً وحزمة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. ﴿أَوَّلِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه. وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، قواهم بنصر منه. قال الحسن: ستمى نصره إياهم روحاً لأن أمرهم يحيها به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحججه، كما قال: ﴿وَكُنَّا لَهُ

وأصحابه - إليهم: أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان [نصف] بيننا وبينك، فيستمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سرياً حتى أدرك النبي ﷺ، فسأزه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان [من] الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقفد الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا

رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم.

وقال ابن عباس: على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي.

وقال الضحاك: أعطى كل ثلاثة نفر بعيراً وسقاً [من طعام] ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرع وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»﴾، يعني بني النضير، ﴿وَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، التي كانت ببشر، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان. ﴿لَا أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا.

قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية، فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «اخرجوا»، قالوا إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام».

وقال الكلبي: إنما قال لأول «الحشر» لأنهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرع وأريحاء من الشام في أيام عمر. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا: ﴿هَٰذَا مَا كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، أيها المؤمنون ﴿أَنَّ يَخْرِجُوا﴾، من المدينة لعزبتهم ومنعتهم وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة، ﴿وَكُنْتُمْ أَنْتُمْ مَلَايْكَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾، أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿فَأَنذَهُمُ اللَّهُ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿وَمَنْ جَاءَ لَرَّ يَحْيَبُونَ﴾، وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلاتهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وَوَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ﴾، يقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿يَخْرُجُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، ومعناهما واحد، ﴿يُؤْتِيهِمْ يَأْذِيهِمْ وَيَكِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل، كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إيلهم، ويخرب المؤمنون باقيها.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ① مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا قَائِمَةً عَلَى أَوَّلِهَا فَإِذَا نِ الْوَيْحَى الْفَاسِقِينَ ② وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ③ مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآبَى السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رُسُلُ فَخْرِهِ وَمَا تَنْهَكُمُ عَنْه فَأَنْتُمْ أَنْتُمُ اللَّهُ أَنْتُمْ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ لِلْفَقْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَنْتَقُونَ فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَبُشْرًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأُوتِيكَ اللَّهُ الْفَيْدُونَ ⑤ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَيْعَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ ⑥

وانظروا فيما نزل بهم،
﴿يَتَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، يا
ذوي العقول والبصائر.

① - ② ﴿وَلَوْ لَا أَنْ
كَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَلَاءَ﴾،
الخروج من الوطن،
﴿لَمَذِبْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل
والسبي كما فعل ببني
قريظة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ النَّارِ﴾ ذلك، الذي
لحقهم، ﴿يَأْتِيَهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

③ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ
لَيْسَةٍ﴾، الآية.

وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل
ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر
بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع
أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد
زعمت أنك تريد الإصلاح أفمن
الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟
فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل
عليك الفساد في الأرض، فوجد
المسلمون في أنفسهم من قولهم،
وخشوا أن يكون ذلك فساداً،
واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا
تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا. وقال
بعضهم: بل نغيظهم بقطعها،
فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى
عن قطعه وتحليل من قطعه من
الإثم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا

الليث عن نافع عن ابن عمر قال:
حرق رسول الله ﷺ نخل بني
النضير وقطع البويرة: فنزلت: ﴿مَا
قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا قَائِمَةً
عَلَى أَوَّلِهَا فَإِذَا نِ الْوَيْحَى الْفَاسِقِينَ﴾.

أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعه
وما تركوه فبإذن الله، ﴿وَلْيُخْرِجُوا
الْفَاسِقِينَ﴾، واختلفوا في اللينة فقال
قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة،
وهو قول عكرمة وقادة.

ورواه زاذان عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ
يقطع نخيلهم إلا العجوة.

وأهل المدينة يسمون ما خلا
العجوة من التمرة: الألوان واحدها
لون ولينة. وقال الزهري: هي ألوان
النخل كلها إلا العجوة والبرنية.
وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها
من غير استثناء. وقال العوفي عن
ابن عباس رضي الله عنهم: هي لون
من النخل. وقال سفیان: هي كرام
النخل. وقال مقاتل: هي ضرب من
النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد
الصفرة يرى نواه من خارج يغيب
فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم
وأعجبها إليهم، وكانت النخلة
الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف،
وأحب إليهم من وصيف، فلما
رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم
وقالوا للمؤمنين: إنكم تكثرهون
الفساد في الأرض وأنتم تفسدون
دعوا هذا النخل قائماً هو لمن غلب
عليها، فأخبر الله تعالى أن ذلك
بإذنه.

④ ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، أي
رده على رسوله، يقال: أفاء يفيء أي

قال ابن زيد: كانوا يقلعون
العمد، وينقصون المقوف،
وينقبون الجدران، ويقلعون
الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا
يسكنها المؤمنون حسداً منهم
وبغضاً. قال قتادة: كان المسلمون
يخربون ما يليهم من ظاهرها
ويخربها اليهود من داخلها. قال
ابن عباس رضي الله عنهما: كلما
ظهر المسلمون على دار من
دورهم هدموها لتتسع لهم
المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون
دورهم في أدبارها فيخرجون إلى
التي بعدها فيتحصنون فيها
ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي
خرجوا منها أصحاب
رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز
وجل: ﴿يُخْرِقُونَ بُيُوتَهُمْ وَيُخْرِقُونَ
الْمُؤْمِنِينَ فَاتَعِظُوا﴾، فاتعظوا

رجع وأفاء الله، «يَتِمُّ» أي من يهود بني النضير، «فَمَا أَوْجَفْتُمْ» أَوْضَعْتُمْ، «عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ»، يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفاً وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجب المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا إليها شقة. ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حرباً، «وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّطَ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحرث بن الصمة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفاً، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فأدخلهم فلبث يرفاً قليلاً ثم جاء فقال: هل لك في عباس

وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير - فقال الرهط: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر.

قال: اتشدوا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس، فقال: أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر أن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال: «وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ»، إلى قوله: «قَدِيرٌ»، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد أعطاكموها وشها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، ففعل بذلك رسول الله ﷺ حياته. ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعمل بها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ، وأنتم حيثل جميع، وأقبل على علي وعباس: تذكرا أن أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم أنه فيها صادق

بار راشد فليع للحق: ثم توفي الله أبا بكر، فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم أنني فيه صادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعته إليكما على، أن عليكما عهد الله وميثاقه لئعملان فيهما بما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما؟ أتلتزمان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعها إلي فإني أكفيكماها.

قوله عز وجل: «مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى»، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة، «فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِأَهْلِ الْقُرَى وَالْمَسْكِينِ وَآلِ النَّبِيِّ»، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء، إن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله.

واختلف أهل العلم في مصروف

الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان: أحدهما هو للمقاتلة، والثاني لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم إلى أنه يخمس، فخمسه لأهل الغنمة وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: ﴿مَّا آتَاكُمُ الرَّسُولُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَىٰ فَرَارًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، وقال: ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم. ﴿كُلٌّ لَا يَكُونُ دَوْلَةً﴾، قرأ العامة بالياء، ﴿دولة﴾ نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر ﴿تكون﴾ بالتاء ﴿دولة﴾ بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحيث لا خبر له، والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿بَيْنَ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء. معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأعياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المربع، ثم يصطفي منها بعد المربع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ﴾

أعطاكم، ﴿الرَّسُولُ﴾، من الفيء والغنمة، ﴿فَحُذُّوْهُ وَمَا تَهَنَّكُمُ عَنْهُ﴾، من الغلول وغيره، ﴿فَاتَّهَبُوا﴾، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك [قد] لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَحُذُّوْهُ وَمَا تَهَنَّكُمُ عَنْهُ فَاتَّهَبُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهي عنه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ثم بين من له الحق في الفيء فقال:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَىٰ فَرَارًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي خرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز وجل، ﴿وَيَضُرُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فسي إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار

والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أنا أبو العباس الطحان، أنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان، أنا علي بن عبدالعزيز المكي، أنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أمية بن خالد بن عبدالله بن أسيد عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين.

قال أبو عبيد: هكذا قال عبدالرحمن وهو عندي أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد.

وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة».

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، وهم الأنصار تبوؤوا الدار توطئوا الدار، أي المدينة، اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بستين. ونظم الآية: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس

بمكان نبوء، «يُخْبِرُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدِثُونَ فِي شُئُونِهِمْ حَاجَةً»، حزازة وغيظاً وحسداً، «وَمِمَّا أَوْثَرُوا»، أي مما أعطي المهاجرون دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار قطابت أنفس الأنصار بذلك، «وَيُخْبِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ»، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، «وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ»، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبد الله بن داود، عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث إلى نسائه هل عندكن من شيء؟ فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيني طعامك وأصحبني سراجك ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاورين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من أفعالكما، فأنزل الله عز وجل:

«وَيُخْبِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يَقُولُ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحكم بن نافع، أنا شعيب، ثنا أبو الهيثم عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشارككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه سيصيبكم أثره بعدي».

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمت لكم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة»، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله عز وجل: «وَيُخْبِرُونَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يَقُولُ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرق العلماء بين الشح والبخل.

روي أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلك، فقال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: «وَمَنْ يَقُولُ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال عبد الله: ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبش الشيء البخل.

وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل إلى ما ليس له. وقال سعيد بن جبيرة: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم. قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه، ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه.

أخبرنا الإمام [أبو علي] الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حزاز القهنتري، ثنا أبو عبد الله محمد بن

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَجْنَ الْأَذْبَانِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَئِنْ أَشْرَكْتَ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ وَكَانَ بَيْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَنْتَابُونَ كَيْمًا لِأَفِي قُرَى مُحْضُونَ أُورُونَ وَرَهْ جُنْدٍ بِأَسْهُمٍ يَنْتَهَرُونَ يَدَيْدًا تَحْسَبُهُمْ جَيْمًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَى ذَلِكَ بَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كُنْزُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كُنْزُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم وللمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا غِشًا وحسداً وبغضاً﴾، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ﴾، فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناء الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا أحمد بن عبدالله بن سليمان، ثنا محمد بن عبدالله بن نمير، ثنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبدالملك بن عمير،

إسحاق [بن سعيد] السعدي، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا القعني، ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مِقْسَم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أنا أبي وشعيب قالا: أنا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع، هو ابن اللجلاج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في

عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسيبتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

وقال مالك بن مغول: قال عامر بن شرحبيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟، فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى من خير من أهل ملتكم، فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم، فقالوا: أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسيبواهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله بسفك دماهم، وتفرق شملهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة.

قال مالك بن أنس: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: ﴿مَّا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٨ و ٩]، حتى أتى على هذه الآية: ﴿لَفَقَرْنَا الْكَاهِنِينَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ﴾ [الحشر: ٨ و ٩] إلى قوله: ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، أي اظهروا خلاف ما أضمرنا يعني عبدالله بن أبي بن

سلول وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير، جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفار مثلهم. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَتُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أُمَمًا﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿أَبَدًا وَلَنْ تُؤَلَّفَهُ لِنَصْرِكُمْ وَاللَّهُ يَبْهَتُهُمْ إِنَّهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم. قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَفَنَّ الْأُذُنُ﴾، أي لو قدر وجود نصرهم. قال الزجاج: معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأذبار منهزمين، ﴿فَإِنْ لَا يُصَرِّفُونَ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

﴿لَأَنتُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿أَشَدُّ رِقَابَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، ﴿وَذَلِكَ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عظمة الله.

﴿لَا يَنْتَلِزِعُونَ مِنْكُمْ﴾، يعني اليهود، ﴿جِيئًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُنَحَّنَةٍ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَجَاءَتْ بِهِ ثَلَاثُ نَضِرٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «جدار» عل الواحد، وقرأ الآخرون «جدر» يضم الجيم والدال على الجمع.

﴿بِأَسْهَرِ بَيِّنَةٍ شَدِيدَةٍ﴾، أي بعضهم حفظ على بعض وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديدة، فإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله، ﴿وَعَسَىٰ لَهُمْ جِيئًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَاءٌ﴾، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿كَتَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿فَرِيًّا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ذَاتُوا وَكَاكُ أَتْرِمِهِمْ﴾، يعني القتل بيد، كان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد: وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في تخادعهم.

﴿فَقَالَ﴾: ﴿كَتَلَّ الشَّيْطَانُ﴾، [أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان] ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ﴾.

وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مودة

الشياطين فقال: ألا أجد أحداً منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس إليه على جهة الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند، فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انتقل برصيصا أطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله قدم في نفسه حين لم يجبه، فقال له: إنك قاديثني وكنت مشتغلاً عنك، فما حاجتك؟ قال: حاجتي أنني أحببت أن أكون معك، فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك، وتجتمع على العبادة فتدعوني وأدعوك، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً بعدها، فلما انتقل ربه قائماً يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فأرتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً

ولا ينفصل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهداه تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهداه، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون، قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم به الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل، قال: فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطرب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونا أفاعلجها؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجيب، فانطلقوا إليه فسأله ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا، فيدعو فيعافون، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات

واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطرب فقال لهم: أنريدون أن أعالجها؟ قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعته، ثم قولوا له هي أمانة عندك، فاحتسب فيها، قال: فانطلقوا إليه فسأله فأنبأ عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها، ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عابن الجارية وما بها من الحسن والجمال، فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، ثم أقبل في صلاته فجاءه الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته فجاءه الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات، ثم أقبل على صلاته فجاءه الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها، فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار للذنوب والخطايا، فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على

ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتترّب، فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه، فدخل فخنقها ثم انطلق بها [من صومعته] فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ بطرف إزارها فبقي طرف [إزارها] خارجاً من التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقه وانصرفوا [من عنده]، فلما أمسوا وهم مكرويون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال: ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه خاف منكم فقتلها ودنّنها في موضع كذا وكذا فقال الأخ في نفسه: هذا حلم وهو من عمل الشيطان، فإن برصيصا خير من ذلك، قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر. فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قاله الأكبر فلم يخبر أحداً فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأوسط وأنا والله قد رأيت مثله، وقال الأكبر وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصا وقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها؟ فكأنكم اتهمتموني، فقالوا: والله لا نتهمك واستحيوا منه فانصرفوا فجاءهم



وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾
[أي جزاء من ظلم نفسه
بطاعة الشيطان وخالف
مولاه واتبع هواه] قال ابن
عباس: ضرب الله هذا
المثل ليهود بني النضير
والمنافقين من أهل
المدينة، وذلك أن الله عز
وجل أمر نبيه ﷺ بإجلاء
بني النضير عن المدينة
فدس المنافقون إليهم،
وقالوا: لا تجيئوا محمداً
إلى ما دعاكم ولا تخرجوا
من دياركم، فإن قاتلكم
فإننا معكم وإن أخرجكم
خرجنا معكم، فأجابوهم

الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة
في موضع كذا وإن طرف إزارها
خارج من التراب فانطلقوا فقرأوا
أختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا
في مواليتهم وغلمانهم ومعهم
الفؤوس والمساخي فهدموا صومعته
وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به إلى
الملك فأقر على نفسه، وذلك أن
الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر
يجتمع عليك أمران، قتل ومكابرة
اعترف، فلما اعترف أمر الملك بقتله
وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه
الأبيض فقال: يا برصيصا أتعرفني؟
قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي
علمتك الدعوات فاستجيب لك
ويحك ما اتقيت الله في أمانتك خنت
أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني
إسرائيل، أما استحييت، فلم يزل
يعيره، ثم قال في آخر ذلك ألم
يكفك ما صنعت حتى أقررت على
نفسك وفضحت نفسك وفضحت
أشباك من الناس، فإن مت على
هذه الحالة لم يفلح أحد من
نظرائك، قال: فكيف أصنع قال
تطيعني في خصلة واحدة حتى
أنجيك مما أنت فيه فأخذ بأعينهم
فأخرجك من مكانك؟ قال: وما
هي، قال: تسجد لي، قال: ما
أستطيع قال: افعل، قال: بطرفك
افعل فسجد له فقال: يا برصيصا هذا
الذي كنت أردت منك صارت عاقبة
أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء
منك ﴿إِنَّ أَنَا لَأَنَّى اللَّهُ رَبِّيَ الْعَلِيِّ﴾.

ودربوا على حصونهم وتحصنوا في
ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى
جاءهم النبي ﷺ فناصبوه الحرب
يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم
وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من
برصيصا وخذله، فكان عاقبة
الفريقين النار. قال ابن عباس
رضي الله عنه: فكان الرهبان بعد
ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلا
بالتقية والكتمان، وطمع أهل الفسق
والفجور في الأبحار [والرهبان]
ورموهم بالبهتان والقيح حتى كان
أمر جريج الراهب، فلما برأه الله مما
رموا به انبسطت بعده الرهبان
وظهروا للناس. وكانت قصة جريج
على ما:

إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا
مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن
حرب، ثنا يزيد بن هارون، أنا
جرير بن حازم، ثنا محمد بن
سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ
قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة:
عيسى ابن مريم وصاحب جريج
وصاحب يوسف».

وكان جريج رجلاً عبداً قاتخذ
صومعة فكان فيها فاتته أمه وهو
يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا
رب أمي وصلاتي؟ فأقبل على
صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد
أنته وهو يصلي، فقالت: يا جريج،
فقال: أي رب أمي وصلاتي؟ فأقبل
على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته
حتى ينظر إلى وجوه المومسات،
فتذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته،
وكانت امرأة بني يتمثل بحسنها،

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر،
أنا عبد الغافر بن محمد، ثنا
محمد بن عيسى الجلودي، ثنا

﴿١٨﴾ يقول الله تعالى: ﴿كَانَ
عَقِبَهَا﴾، يعني الشيطان وذلك
الإنسان ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

فقلت: إن شئتم لأقتننه لكم، قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوق وقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنت بهذه البغية فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: بنبي لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الشدي وأقبل عليه ونظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع، قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها، قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلاً فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلاً، فهناك تراجعاً الحديث، فقالت: مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله،

فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنت وسرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلاً، فقلت: اللهم اجعلني مثلاً، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلاً.

❶ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكَتُفِرْقَسْ مَا قَدَّمْتُمْ لِغُرُوبِ﴾، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحكم أي شيء قدم لنفسه، عملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

❷ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرَاؤُا أَنْفُسَهُمْ﴾، أي حفظوا أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

❸ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾.

❹ قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَانِقاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزاقته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿وَبَلَّغْنَا الْكَلِمَةَ لِقَابِهَا فَتَعَالَى لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ هَيْئَةٌ تَعْلَمُهُمْ بِتَفْكِهَا﴾.

❺ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَزَّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

❻ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، ﴿السَّلَامُ﴾، الذي سلم من النقائص، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾، قال ابن عباس: هو الذي آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: ﴿وَمَا أَمْنُهُمْ مِنْ خَوَافٍ﴾ [قريش: ٤]، وقيل: معناه الصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب، ﴿الْمُهَيِّوُنُ﴾، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل.

يقال: هيمن يهيمن فهو مهيم إذا كان رقيباً على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقط وهرقت، ومعناه المؤمن، قال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ. وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله. ﴿الْمَزِيدُ الْجَبَّارُ﴾، قال ابن عباس: الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة

فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضئ بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله تعالى هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَوَدَّةَ السَّبِيلِ﴾.

قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جنت؟» قالت: لا، قال: «أمهاجرة جنت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: «وأين أنت من شبان مكة؟» وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبدالعزى، فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاهم عشرة دنانير، وكساهم برداً، على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب

في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرساناً، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها واخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»، قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب، فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتحوا متاعها [ونبشوها] فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه فقال: أخرجني الكتاب وإلا لأجردنك ولأضرين عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذوابتها، وكانت قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم، قال: «فما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله ﷺ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين

ظهرانهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقهم رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر؟» فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله عز وجل في شأن حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾، قيل: أي المودة، والباء زائدة كقوله: ﴿وَمَنْ بُرِّدَ فِيهِ بِالْحَكَامِ يَطْلُرُ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال الزجاج: معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾، الواو للحال أي وحالهم أنهم كفروا، ﴿يَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْوَحْيِ﴾، يعني القرآن ﴿يَتَّبِعُونَ الْأَمْرَ وَالْإِتْيَاقَ﴾، أي لان من مكة، ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، أي لان آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم، ﴿وَاللَّهُ رَئِيسُكُمْ﴾، هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا يَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْوَحْيِ يَتَّبِعُونَ الْأَمْرَ وَالْإِتْيَاقَ﴾، ﴿جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ وَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال مقاتل بالنصيحة، ﴿وَأَنَا أَكْثَرُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾، من المودة للكفار، ﴿وَمَا أَكْثَرْتُمْ﴾، أظهرتم بالسنتكم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ يَنْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أخطأ طريق الهدى.

﴿إِنْ يَنْفَرُكُمُ﴾، يظفروا بكم

ويروكم، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، بالضرب والقتل،
﴿وَالْيَدِ يَسْطَرُّ الشُّرُوءَ﴾، بالشتم، ﴿وَرُدُّوا
تَوَكَّفُورُونَ﴾، كما كفروا، يقول لا
تناصحوهم فإنهم لا يناصرحونكم ولا
يوادونكم.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ﴾، معناه
لا يدعونكم ولا يحملنكم ذور
أرحامكم وقرباتكم وأولادكم التي
بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ
والمؤمنين وترك مناصحتهم ومولاة
أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم، ﴿وَلَا
أَوْلَاكُمْ﴾، الذين عصيتهم الله لأجلهم،
﴿يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ﴾، فيدخل
أهل طاعته الجنة وأهل معصيته
النار، قرأ عاصم ويعقوب ﴿يَقُولُ﴾
يفتح الياء وكسر الصاد مخففاً وقرأ
حمزة والكسائي بضم الياء وكسر
الصاد مشدداً، وقرأ ابن عامر بضم
الياء وفتح الصاد مشدداً، وقرأ
الآخرون بضم الياء وفتح الصاد
مخففاً. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾،
قدوة، ﴿حَسَنَةٌ فِي الزَّيْهِدِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ﴾، من أهل الإيمان ﴿إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ﴾، من المشركين، ﴿إِنَّا بَرَاءُكُمْ
وَبَيْنَكُمْ﴾، جمع بريء، ﴿وَمَا تَقْبَلُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كَثَرًا يُكَذِّبُ﴾، جحدنا
وأنكرنا دينكم، ﴿وَبَيْنَا بَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تَقُومُوا بِاللَّهِ
وَعَدَهُ﴾، يأمر حاطباً والمؤمنين
بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة
والسلام، والذين معه من المؤمنين
في التبرؤ من المشركين، ﴿إِلَّا قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَأَسْتَفِرَّ لَكَ﴾، يعني لكم
أسوة [حسنة] في إبراهيم وأموره إلا

في استغفاره لأبيه المشرك
فإن إبراهيم عليه الصلاة
والسلام كان قد قال لأبيه
لاستغفرون لك، ثم تبرأ
منه على ما ذكرناه في
سورة التوبة، ﴿وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، يقول
إبراهيم عليه السلام لأبيه
ما أغنى عنك ولا أرفع
عنك عذاب الله إن عصيته
وأشركت به، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ
تَوَكَّلْنَا﴾، يقول إبراهيم ومن
معه من المؤمنين، ﴿وَوَلَيْكَ
أَمْنُنَا وَلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال
الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا
أنهم على الحق فيفتنوا.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا
بعذاب من عندك فيقولون لو كان
هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك.
﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾، أي في
إبراهيم ومن معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، هذا بدل من
قوله «لكم» وبيان أن هذه الأسوة لمن
يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة،
﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، يعرض عن الإيمان
ويوال الكفار، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾،
عن خلقه، ﴿الْكَلِيدُ﴾، إلى أوليائه،
وأهل طاعته. قال مقاتل: فلما
أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى
المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا
لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٧﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
لَّا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِينِكُمْ
أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِينِكُمْ وَأُظْهِرُوا أَوَّلَ أَخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا تَوَلَّوْا تَوَلَّوْا
مُتَّحِرِينَ فَأَمَّا جُحُودُ اللَّهِ أَعْلَمَ بِلَيْسِهِ لَئِنْ عَلِمْتُم مَّا تُؤْمِنُونَ
فَلَا تَجُحِدُونَ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَن لَّكُمْ جُلُودٌ وَلَآ لَكُمْ بِحُلُومٍ وَمَا أَفْعَوْا
مَّا أَفْعَوْا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوا نِسَاءَهُنَّ إِذَا الْتَمَسْتُمُوهُنَّ لِيُثْبِتُوا
وَلَا تُشْكِرُوا بِعَصِمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوْا أَمَا أَفْعَوْا لَسَلُّوْا مَا أَفْعَوْا
ذَلِكُمْ حَكْمُ اللَّهِ عَمَّا يُجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ وَإِن فَانَكُرُوا
مَن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقَاتِلُكُمْ فَكَأَنَّمَا لَازِلَتِ ذَهَبَتْ
أَرْوَاحُهُمْ بَنَل مَا أَفْعَوْا وَأَفْعَوْا اللَّهُ الَّذِي أَنَّهُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٥٥٠

وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله:
﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، أي من كفار
مكة، ﴿مَوَدَّةً﴾، ففعل الله ذلك بأن
أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء
وأخواناً وخالطوهم وناكحوهم،
﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم
رخص الله تعالى في صلة الذين لم
يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:
﴿لَّا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِينِكُمْ أَن
تَبَرُّوهُمْ﴾، أي لا ينهاكم الله عن بر
الذين لم يقاتلوكم، ﴿وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ﴾، تعدلوا فيهم بالإحسان
والبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، قال
ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا
قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا
يقاتلوهم ولا يعينوا عليه أحداً،
فرخص الله في برهم.
وقال عبدالله بن الزبير: نزلت في

أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهديا، ضباباً وأقطاً وسمناً وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلني على بيتي حتى أستاذن رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة، ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدّتهم [مع أبيها] فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: [نعم] صليها.

وروي عن ابن عيينة قال: فأنزل الله فيها ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُنَافِقُوا فِي الدِّينِ﴾.

ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

① ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَكُنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِفْرَاقِكُمْ﴾، وهم مشركو مكة، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُكُمْ﴾.

② قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتُ فَاصْخَرُوهُنَّ﴾، الآية.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور بن مخزومة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتُ فَاصْخَرُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ إلى ﴿وَلَا تُمْسِكْنَ﴾.

قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلى قوله ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾.

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك [كلاماً]

يكلّمها به] والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن إلا بقوله.

قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - وقال مقاتل: صيفي بن الراهب - في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد رد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتُ﴾، من دار الكفر إلى دار الإسلام، ﴿فَاصْخَرُوهُنَّ﴾.

قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوج ولا عشقاً لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وجباً لله ولرسوله، قال: فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك فحلفت فلم يردّها، وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ أي هذا

الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهم، ﴿إِنَّ عَلَيْنَهُمْ نَذِيرًا فَلَا تُرْجِعُوهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مَنَ جِلَّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحْشَوْنَكُمْ﴾، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿وَمَا أَفْقَرُ﴾، يعني أزواجهن الكفار، الذي دفعوا إليهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا مَاتَ أَبْنَاهُنَّ الْيَتَامَى﴾، أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهما وبين أزواجهن الكفار، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد، والآخرون بالتخفيف من الإمساك، ﴿بِعَصَمِ الْكُفَّارِ﴾، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، والآخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية أم ابنه عبيد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم، وهما على شركهما، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها،

ففرق الإسلام بينهما فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية.

قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله ﷺ.

﴿وَنُكِّلُوا﴾، أيها المؤمنون، ﴿مَا أَفْقَرُ﴾، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركون مرتدة فاسألوا ما انفقت من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم، ﴿وَلَسْتُمْ لَهُمْ﴾، يعني المشركون الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَا أَفْقَرُ﴾، من المهر ممن تزوجها منكم، ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، قال الزهري: لولا الهندنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات [المشركون على نساءهم، وأبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نساءهم].

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ فَانَكُوا﴾، أيها المؤمنون، ﴿فَوَقَّعَ بَيْنَ أَنْزَلَكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحقن بهم مرتدات، ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾.

قال المفسرون معناه غنمتم، أي غزوتهم فأصبتم من الكفار عقيبي وهي الغنيمة، وقيل ظهرتم وكانت العاقبة

لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج ﴿فَعَقِبْتُمْ﴾ بالتشديد وقرأ الزهري ﴿فَعَقِبْتُمْ﴾ خفيفة بغير ألفاء وقرأ مجاهد ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أي صنعتهم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب وعقب وعَقَّبَ وَأَعَقَّبَ وَتَحَقَّبَ وَتَعَاقَبَ وَاعْتَقَبَ، إذا غنم، وقيل: التعقيب غزوة بعد غزوة، ﴿فَكَافَرُوا بِالْوَيْلِ ذُبِثَ أَنْزَلَهُمْ﴾، إلى الكفار منكم، ﴿يُنْزَلُ مَا أَفْقَرُ﴾، عليهم من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار. وقيل: فعاقبتهم المرتدة بالقتل.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركون من نساء المؤمنين والمهاجرين ست فتوة: أم الحكم بنت أبي سفيان، كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود، وهند بنت أبي جهل بن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وأم كلثوم بنت جرويل، كانت تحت عمر بن الخطاب، فكلهن رجعن عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نساءهم من القيمة. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الْوَثِقَ أَنْتُمْ يَوْمَ تُؤْمَرُونَ﴾، واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النسالة إلى أزواجهن،



التورية، وإضمار الإيمان، ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية، فعلى هذا كان رد المهر مندوباً. واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاقدة الكفار؟

فقال قوم: لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة، وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة، وقال قوم: هي غير منسوخة ويرد إليهم ما أنفقوا.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ

الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاشِرَنَّكُمُ، الآية.

وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنبئة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ أبايعهن ﴿عَلَّ أَنْ لَا يَشْرُكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، فرفضت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «ولا يسرقن»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنني أصبت من ماله هبات، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك

حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال: «وَلَا يَزِينَنَّ»، فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فقال: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ»، فقالت هند: ربيناهن صغاراً وقتلتموهن كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «وَلَا يَأْتِيَنَّ يَهُودِيٍّ يَفْقَرِيكُمْ بَيْنَ الْأَيْدِيَّ وَأَرْجُلَيْكُمْ»، وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «وَلَا يَصْهَبَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ»، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن.

قوله: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ» أراد وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية، قوله: «وَلَا يَأْتِيَنَّ يَهُودِيٍّ يَفْقَرِيكُمْ بَيْنَ الْأَيْدِيَّ وَأَرْجُلَيْكُمْ»: ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفتري بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله: «وَلَا يَصْهَبَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ»: أي في كل أمر وافق طاعة الله. قال بكر بن عبد الله المزني: في كل أمر فيه رشد من. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة

كان واجباً أو مندوباً؟ وأصله أن الصلح هل كان وقع على رد النساء؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعاً، لما روينا «أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا» ثم صار الحكم في رد النساء منسوخاً بقوله: «فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ»، فعلى هذا كان رد المهر واجباً.

والقول الآخر: أن الصلح لم يقع على رد النساء، لأنه يروى عن علي أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وذلك لأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها، وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوفت، وأكبرهت عليها لضعف قلبها، وقلة هدايتها إلى المخرج منها بإظهار كلمة الكفر مع

بالرجال. وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونشفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث، ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا «أَنْ لَا يَتْرُكَنَّ بِأَلْفِهِ شَيْئًا»، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلاة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت وبايعها.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا هذبة بن خالد، ثنا أبان بن يزيد، ثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثه، أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة». وقال: «النياحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن حفص، ثنا أبي، أنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

قوله: «فَبَايَعَهُنَّ»، يعني إذا بايعنك فبايعهن، «وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ أَلَّهُ إِنَّ أَلَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمود بن غيلان، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: «لَا يَتْرُكْنَ بِأَلْفِهِ شَيْئًا» قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا محمد بن عبد الله بن حمدون، أنا مكى بن عبدان، ثنا عبدالرحمن بن بشر، ثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، سمع أميمة بنت رقية تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال لنا: «فيما استطعتن وأطقتن»، فقلت: رسول الله ﷺ أرخص بنا من أنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا - قال سفيان يعني ضافحنا - فقال:

«إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة كقولني لثلاثة امرأة».

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم اليهود وذلك أن أناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، «قَدْ يَسْأَلُ»، يعني هؤلاء اليهود، «مِنْ الْآخِرَةِ»، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، «كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَهْلِ الْقُبُورِ»، أي كما يسئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة. قال مجاهد: الكفار حين دخلوا قبورهم أسوا من رحمة الله. قال سعيد بن جبير: يسئسوا من الآخرة كما يسئس الكفار الذين ماتوا فعابوا الآخرة. وقيل: كما يسئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.

سورة الصف

مدنية [وقال عطاء: مكية وهي أربع عشرة آية].

يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه ولبدلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل:



السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ
الْقُدُّوسِ الْقَهَّارِ الْحَكِيمِ ﴿١٤﴾ هُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ،
يعني العرب كانت أمة أمية
لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا
مِّنْهُمْ﴾ ، يعني محمداً ﷺ
نسبه نسبهم ، ولسانه
لسانهم ليكون أبلغ في
إقامة الحجة عليهم
﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِذْ
كُنَّا مِن قَبْلُ لَنَّى مَثَلُ
ثِيْنٍ﴾ ، أي ما كانوا قبل
بعثة الرسول إلا في ضلال
مبين يعبدون الأوثان .

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾

الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم
على نصر الدين وجهاد المخالفين .

﴿يُنَادِي الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا
أَصَارَ اللَّهِ﴾ ، قرأ أهل الحجاز وأبو
عمرو «أنصاراً» بالتثنية ﴿لِلَّهِ﴾ بلام
الإضافة ، وقرأ الآخرون «أَصَارَ اللَّهِ»
بالإضافة كقوله : ﴿يَعْنِ أَصَارَ اللَّهِ﴾ ،
﴿كَأَنَّ قَالِ عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ ، أي
أنصروا دين الله مثل نصرة الحواريين
لما قال لهم عيسى عليه السلام ،
﴿مَنْ أَصَارِكُمْ إِلَ اللَّهِ﴾ ، أي مَنْ
يتصرنني مع الله ، ﴿قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ يَعْنِ
أَصَارَ اللَّهِ قَامَتِ عَلَاقَةُ بَنِي بَوَّازٍ لِبَرْبِهِ
وَكُفِّرَتْ عَلَاقَةُ﴾ ، قال ابن عباس : يعني
في زمن عيسى عليه السلام .

وذلك أنه لما رفع تفرق قومه
ثلاث فرق : فرقة قالوا كان الله
فارتفع ، وفرقة قالوا كلنا ابن الله
فرفعه الله إليه ، وفرقة قالوا كان
عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم
المؤمنون ، واتبع كل فرقة منهم طائفة
من الناس ، فاقتلوا فظهرت الفرقتان
الكافرتان على المؤمنين ، حتى
بعث الله محمداً ﷺ فظهرت
[الفرقة] المؤمنة على الكافرة ، فذلك
قوله تعالى : ﴿يُنَادِي الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا
عَدُوِّكُمْ فَاصْبِرُوا لَهَا﴾ ، غالبين عالين .

وروى مغيرة عن إبراهيم قال
فأصبحت حجة من آمن بعيسى
ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى
كلمة الله وروحه .

سورة الجمعة

مدنية [وهي إحدى عشرة آية] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي

الشفقي قالوا : حدثنا قتيبة ، ثنا
عبد العزيز ، عن ثور ، عن أبي
الغيث ، عن أبي هريرة قال : كنا
جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه
سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿وَأَخْرَجَ
مِنْهُمْ لَنَا يَحْكُمُوا بِهِمْ﴾ قال رجل : من
هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجع
النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثاً ،
قال : وفينا سلمان الفارسي ؟ قال :
فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ،
ثم قال : «لو كان الإيمان عند الثريا
لناله رجال من هؤلاء» .

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد
الطاهري ، أنا جدي عبد الصمد بن
عبد الرحمن البزاز ، أنا محمد بن
زكريا العذافري ، أنا إسحاق الديري ،
ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن جعفر
الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي

وفي آخرين وجهان من الإعراب :
أحدهما الخفض على الورد إلى
الأميين مجازه : وفي آخرين . والثاني
النصب على الرد إلى الهاء والهم
في قوله «ويعلمهم» أي ويعلم
آخريين منهم ، أي [من] المؤمنين
الذين يدينون بدينهم ، لأنهم إذا
أسلموا صاروا منهم ، فإن المسلمين
كلهم أمة واحدة .

واختلفوا العلماء فيهم فقال قوم :
هم النعجم ، وهو قول ابن عمر
وسعيد بن جبير ورواية ليث عن
مجاهد ، والدليل عليه ما :

أخبرنا أبو جعفر محمد بن
عبد الله بن المعلم الطوسي بهاء ثنا
أبو الحسن محمد بن يعقوب ، أنا
أبو النضر محمد بن محمد بن
يوسف ، ثنا الحسن بن سفيان ،
وعلي بن طيفور ، وأبو العباس

بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء.

قرأ الأعمش: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بسكون الميم، وقرأ العامة بضمها، واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة، منهم من قال: لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام.

وقيل: لأن الله تعالى فرغ من خلق جميع الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات. وقيل: لاجتماع الجماعات فيها. وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة. وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة: أول من قال «أما بعد» كعب بن لؤي، وكان أول من سمى الجمعة جمعة، وكان يقال له: يوم العروبة.

عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة وقبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة، قبل أن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة. وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله ونصلي فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم

والعمل بما فيها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، ﴿كَتَبَ الْحِمَارُ بِحِمْلٍ أَشْقَارًا﴾، أي كتباً من العلم واحدها سفر، قال الفراء: هي الكتب العظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء عليهم السلام يعني: من سبق في علمه أنه لا يؤمن لا يهديهم.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَرْسِلْنَا لَكُمْ رَسُولًا لَوْلَا مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿فَتَسَوَّاهُم مِّثْلَ الْقَوْمِ﴾، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

﴿وَلَا يَسْتَوِي أَعْدَا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَدِ الْعَذِيبِ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْفَعُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودِكُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، أي في يوم الجمعة كقوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠] أي في الأرض، وأراد



هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه».

وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ [إلى يوم القيامة] وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد. قوله: ﴿لَنَا يَلْعَنُوا﴾، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل: ﴿لَنَا يَلْعَنُوا﴾ أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأو الصحابة. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الذُّكْرَ﴾، أي كلفوا القيام بها

العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ف صلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد.

وروي عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن كعب، أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة، فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة؟ قال: لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له: بقيع الخضعات، قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون.

وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه [على ما] ذكر أهل السير: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً نزل بقاء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، فأقام بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً، فجمع هناك وخطب.

قوله تعالى: ﴿فَاسْمِعُوا لَكَ ذِكْرَ اللَّهِ﴾، أي فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع، إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، وكان عمر بن الخطاب يقرأ: فامضوا إلى ذكر الله، وكذلك

هي في قراءة عبدالله بن مسعود. وقال الحسين: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وعن قتادة في هذه الآية: ﴿فَاسْمِعُوا لَكَ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ قال: السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها، وكان يتأول قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ أَلْتَقَى﴾ [الصفافات: ١٠٢] يقول فلما مشى معه.

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري، أنا محمد بن [أحمد بن] محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن اثبوتها تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

قوله: ﴿لَكَ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: ﴿فَاسْمِعُوا لَكَ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ قال هو موعظة الإمام، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ذلكم، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، من المبايع، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،

مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان، فتجب على كل من جمع العقل، والبلوغ، والحرية، والذكورة، والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فروض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا إبراهيم بن محمد، حدثني سلمة بن عبدالله الخطمي عن محمد بن كعب أنه سمع رجلاً من بني وائل يقول: قال النبي ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً». وذهب أكثرهم إلى أنه لا جمعة على العبيد. وقال الحسن وقاتدة والأوزاعي: تجب على العبد المخارج. ولا تجب على المسافر عند الأكثرين. وقال السنخعي والزهري: تجب على المسافر إذا سمع النداء، وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف، جاز له ترك الجمعة، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل.

أخبرنا عبدالواحد [بن] أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، [حدثنا مسدد] حدثنا إسماعيل أخبرنا عبدالحميد صاحب الزيادي، ثنا عبدالله بن الحارث بن عمر، حدثنا محمد بن

سيرين [قال] قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل صلوا في بيوتكم، فكان الناس استنكروا، فقال: فعله من هو خير مني، إن الجمعة عزيمة، وإنني كرهت أن أخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدنص.

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة، فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي، ثنا أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي السمرقندي، أنا يحيى بن حسان، ثنا معاوية بن سلام، أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو على أحواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا علي بن خشرم، أنا عيسى بن يونس، عن محمد بن عمرو، عن

عبدة بن سفيان، عن أبي الجعد يعني الضمري قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاثة مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه».

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة، وفي العدد الذي تنعقد بهم الجمعة، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها.

أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلاً من أهل الكمال، بأن يكونوا أحراراً عاقلين بالغين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً إلا ظعن حاجة، يجب عليهم إقامة الجمعة فيها، وهو قول عبيد الله بن عبدالله وعمر بن عبدالعزيز، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً على هذه الصفة وشرط عمر بن عبدالعزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم والي، والوالي غير شرط عند الشافعي، وقال علي: لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي، ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تنعقد بأربعة والوالي شرط، وقال الأوزاعي وأبو يوسف: تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم والي. وقال الحسن وأبو ثور: تنعقد باثنين كسائر الصلوات. وقال ربيعة: تنعقد باثني عشر رجلاً، والدليل على جواز إقامتها في القرى ما:

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

المثنى، أنا أبو عامر العقدي، ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس قال: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين.

وإذا كان الرجل مقيماً في قرية لا تقام فيها الجمعة، أو كان مقيماً في برية، فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة، فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة. وقال سعيد بن المسيب: تجب على كل من آواه المبيت. وقال الزهري: تجب على من كان على ستة أميال. وقال ربيعة: على أربعة أميال. وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا جمعة على أهل السواد قرية كانت القرية أو بعيده. وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة، وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت، أما إذا سافر قبل الزوال [أو] قبل طلوع الفجر فيجوز، غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو، وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة

مقيماً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة، والدليل على جوازه ما:

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى، ثنا أحمد بن منيع، ثنا [أبو] معاوية، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبدالله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، فغدا أصحابه وقال: أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم، فلما صلى مع النبي ﷺ رآه فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟» قال: أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم، فقال: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم».

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً عليه هيئة السفر يقول: لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت، فقال عمر: أخرج فإن الجمعة لا تخبس أحداً عن سفر.

وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضله منها:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد الفقيه، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأبحار، فجلست معه فحدثني عن

الثوراة، وحدثه عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت له: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأبحار وما حدثته في يوم الجمعة، قال عبدالله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي فيها» وتلك ساعة لا يصلي فيها؟ فقال عبدالله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها؟ قال أبو هريرة: بلى، قال: فهو ذاك.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبدالله بن وداعة عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أحمد بن خالد، ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعن أبي أمامة يعني ابن سهل بن حنيف حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستن، ومس من طيب إن كان عنده وليس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس ثم ركب ما شاء الله أن يركب، وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها»، وقال أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ فَلَهُ عَشْرُ نَعْلَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أخبرنا أبو طاهر حمير بن

عبد العزيز القاشاني، أنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي محمد أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا محمد بن حاتم الجَزْجَرَانِي، ثنا ابن المبارك عن الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني أبو الأشعث الصنعاني، حدثني أوس بن أوس الثقفي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلبغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول فإذا خرج الإمام طويت الصحف. واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً حتى ذكر الدجاجة والبيضة».

⑤ قوله عز وجل: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني الرزق وهذا أمر بإباحة كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾

فَأَحْطَاذُوا ⑥ [المائدة: ٢]، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعبادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جببر ومكحول: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ هو طلب العلم. ﴿وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

⑦ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْا فَالْهَآءُ﴾ الآية.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمر، ثنا خالد بن عبد الله، أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾.

ويحتج بهذا الحديث من يرى الجمعة باثني عشر رجلاً، وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة، لا شرط هذا العدد.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي: لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط.

وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رآه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع

النبي ﷺ إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو متابعتكم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً».

وقال مقاتل: بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة، وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا آتته، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبُرٍّ وغيره، فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس ليتاعوا منه، فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «كم بقي في المسجد؟» فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء»، فأنزل الله هذه الآية.

وأراد باللهو الطبل. وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطل والتصفيق. وقوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم.

وقال علقمة: سئل عبد الله: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ ﴿وَزَكَّوْا فَالْهَآءُ﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا إبراهيم بن

محمد أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا أبو الأحوص، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس.

وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال: «كنت أصلي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً».

والخطبة فريضة في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن [و] يدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزاء، وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن مامويه، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة، ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني، ثنا

عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة، فصلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى وفي الثانية: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فقال عبيد الله: فلما انصرف مشيت إلى جنبه فقلت له: لقد قرأت بسورتين سمعت علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن ضمرة بن سعيد المازني، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ بهل أنك حديث الغاشية.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى، ثنا قتيبة، ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وهل أنك حديث الغاشية.

وربما اجتمع في يوم واحد فيقرأ بهما، ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت وهو: الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر، والعدد، والإمام، والخطبة،

ودار الإقامة، فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهراً، ولا يجوز للإمام أن يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد، وهو عدد الأربعين عند الشافعي، فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة، بل يصلي الظهر، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا، فأصح أقوال الشافعي، أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة، كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة، فلو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقي أن يصلوها أربعاً، وفيه قول آخر إن بقي معه اثنان أتمها جمعة.

وقيل: إن بقي معه واحد أتمها جمعة، وعند المذنب إذا انفضوا بعد ما صلى الإمام بهم ركعة أتمها جمعة، وإن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى أتمها أربعاً وإن انتقص من العدد واحد، وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي يشترطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة فإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوَمِنَ الْبَاطِلِ﴾، أي ما عند الله من الشواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، لأنه موجد الأرزاق فلهياه فاسألوا ومنه فاطلبوا فهو موجود على الدوام لا يخيب من سألته لأنه أكرم الأكرمين.



سورة المنافقون

مدينة [وهي إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ»، يعني عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه، «قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ»، لأنهم أضمرُوا خلاف ما أظهروا.

② «اتَّخَذُوا آيَاتِنَا حُجَّةً»، ستره، «فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ، «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

③ «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا»، أقصروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، «ثُمَّ كَفَرُوا»، إذا خلوا إلى المشركين «فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»، بالكفر، «فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ»، الإيمان.

④ «وَلَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ»، يعني أن لهم أجساماً ومناظر، «وَلَا يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ»، فتحسب أنه صدق.

قال عبدالله بن عباس: كان عبدالله بن أبي جسيماً فصيحاً ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: «أَنْتُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ»، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، قرأ أبو عمرو والكسائي: «خشب» بسكون الشين، وقرأ الباقون بضمها، «مسندة»

مالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملت، والتشثيل للتكثير، وأراد أنها ليست بأشجار تشمر، ولكنها خشب مسندة إلى حائط، «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ»، أي لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم، أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمراً بهتك أستارهم ويبسح دماءهم ثم قال، «هُرِّمُوا الْمَكْرُوهَ»، هذا ابتداء وخبره، «فَأَحْذَرْتُمْ»، ولا تأمنهم، «فَتَنَلَّهَمُ اللَّهُ»، لعنهم الله «أَنْ يَكُونُوا»، يصرفون عن الحق.

⑤ «وَلَا قِيلَ لَهُمْ مَا لَوْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ»، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة عن

الاستغفار، قرأ نافع ويعقوب «لَوَلَّوْا» بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد، لأنهم فعلوها مرة بعد مرة «وَلَا يَتَّقُونَ»، يعرضون عما دعوا إليه، «وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»، متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

⑥ «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة من أصحاب [السير أن] رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله نبي المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فافأها عليهم، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج، على ذلك الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال، وكان فقيراً، فغضب عبدالله بن أبي ابن

سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن، فقال ابن أبي: أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك ياكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولتحولوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى يتنفصوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المغض في قومك محمد ﷺ في عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين، فقال عبدالله بن أبي: اسكت فإنما كنت اللعب، قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد فراغه من العدو، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس، وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي فأنه فقال له: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبدالله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيدا لكاذب،

وكان عبدالله في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، فعذره النبي ﷺ وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه، وقال له عمه وكان زيد معه: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ﷺ والناس كلهم يقولون إن عبدالله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار مقتوك وكان زيد يسائر النبي ﷺ فاستحيا أن يدنو من النبي ﷺ، فلما استقبل رسول الله ﷺ وسار للقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم عبدالله بن أبي؟» قال: وما قال، قال: «زعم إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها والأذل» فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً، وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي، لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنأ أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها رجل أبر بوالديه مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري

فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر. فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا» قالوا: وسار رسول الله ﷺ يوضه ذلك حتى أمسى، وليلته حتى أصبح، وصدر يومه ذلك حتى أذنهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجلبوا من الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبي، ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع، يقال له نقيع فهاجت ريح شديدة أذنتهم وتحرقوا منها، وضلت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلاً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة»، قيل: من هو؟ قال: رفاعة بن زيد بن الثابت، فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي، فأنه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: «ما أزعجني أنني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقته، هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فلما هي كما قال: فجاءوا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء



رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يبلث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات، قالوا: فلما نزلت الآية وبيان كذب عبدالله بن أبي قيل له: يا أبا جباب إنه قد نزل فيك آتي شدد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فأمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي، إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوًّا وَرُؤُوسَهُمْ﴾ الآية.

﴿٧﴾ ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجُوا﴾، يتفرقوا، ﴿وَالَّذِينَ خَرَّابُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿وَالَّذِينَ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

﴿٨﴾ ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، من غزوة بني المصطلق، ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فعزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. ﴿وَالَّذِينَ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

﴿٩﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾، لا تشغلكم ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال المفسرون يعني الصلوات الخمس نظيره قوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ فِتْنَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال، ﴿وَمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾، فيسأل الرجعة، ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْتَمِئْتُ﴾، هلا أخرتني أمهلنتي، وقيل: ﴿لَا﴾ صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني، ﴿إِنَّ أَجَلَ قَرِيبٍ فَاسْتَدْرَكَ﴾، فاتصدق وأزكي مالي، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي ممن المؤمنين، نظيره، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنَ الْبَاغِيَّينَ﴾ [الرعد: ٢٣] غافر: ٨، هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين. وقيل: نزلت الآية في المؤمنين. والمراد بالصلاح هنا الحج.

وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت. وقرأ هذه الآية. وقال: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قرأ أبو عمرو و«أكون» بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فأصدق، وقال: إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً، وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفاً على قوله فأصدق لو لم يكن فيه الغاء لأنه لو لم يكن فيه

اليهود وكهناً للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة، قال زيد بن أرقم: جلست في البيت لما بي من الهم والحياء، فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبدالله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: «يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنتك» وكان عبدالله بن أبي أتى بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدالله بن عبدالله حتى أناخ [راحلته] على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبدالله بن أبي قال: [ما] وراءك، قال: مالك وملك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل، فشكا عبدالله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر



ليصيبه فيسلم لقضائه،
﴿وَاللَّهُ يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَأَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ
الْمُبِينُ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل
المؤمنون﴾.

﴿١٩﴾ قوله عز وجل:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن
مِنَ آيَاتِكُمْ وَأَوْلَايِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾.

قال ابن عباس: هؤلاء
رجال من أهل مكة
أسلموا وأرادوا أن يهاجروا

إلى المدينة، فمنعهم أزواجهم
وأولادهم، وقالوا صبرنا على
إسلامكم فلا نصبر على فراقكم
فأطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال
تعالى ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم
وتدعوا الهجرة، ﴿وَإِن تَقَوُّوا
وَتَصَفَّحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هذا فيمن أقام على الأهل
والولد ولم يهاجر، فإذا هاجر رأى
الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في
الدين هم أن يعاقب زوجته وولده
الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا
به في دار الهجرة لم ينفع عليهم ولم
يصبهم بخير، فأمرهم الله عز وجل
بالعفو عنهم والصفح.

وقال عطاء بن يسار: نزلت في
عوف بن مالك الأشجعي: كان ذا
أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا
إليه ورقوه، وقالوا: إلى من ندعنا؟
ففرق لهم وقيم، فأنزل الله ﴿إِن

مِنَ آيَاتِكُمْ وَأَوْلَايِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ
بِحَمْلِهِمْ إِيَّاكُمْ عَلَى تَرْكِ الطَّاعَةِ،
فاحذروهم أن تقبلوا منهم، ﴿وَإِن
تَقَوُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلا
تعاقبوه على خلافهم إياكم فالله
غفور رحيم.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَايُكُمْ
فِتْنَةٌ﴾، بلاء واختبار وشغل عن
الآخرة، يقع بسببها الإنسان في
العظام ومنع الحق وتناول الحرام،
﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال
بعضهم: لما ذكر الله العداوة أدخل
فيه «من» للتبعيض، فقال: إن من
أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم، لأن
كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر «من»
في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَايُكُمْ
فِتْنَةٌ﴾ لأنها لا تخلو عن الفتنة
واشتغال القلب. وكان عبدالله بن
مسعود يقول: لا يقول أحدكم اللهم
إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس
منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد
إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن
ليقل: اللهم إني أعوذ بك من
مضلات الفتن.

أخبرنا أبو منصور محمد بن
عبد الملك المظفري، أنا أبو سعيد
أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه،
أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق
الفقيه، ثنا أحمد بن بكر بن
يوسف، ثنا علي بن الحسين، أنا
الحسين بن واقد، عن عبدالله بن
بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول:
كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء
الحسن والحسين، وعليهما قميصان
أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل
رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما

غبن عن أهله ومنازله في الجنة
فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه
الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره
في الإحسان، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
سَلِيمًا يَكُفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قرأ أهل
المدينة والشام «نكفر» «ندخله»،
وفي سورة الطلاق [١١] «ندخله»
بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء،
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِتَايَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيَسَّىٰ النَّصِيرُ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بإرادته وقضائه، ﴿وَمَن
يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾، فيصدق أنه لا يصبه
مصيبة إلا بإذن الله، ﴿يَهْدِي اللَّهُ﴾،
يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه
لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن

قول مالك وأصحاب الرأي.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْصِرُوا إِلَيْهَا﴾، أي عدد أقرانها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى، ﴿وَأَنْقِرُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُمْ مِنْ بَيْتِهِمْ﴾، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، ﴿وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض عدتها، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أئمت، فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو غرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهائياً ولا يجوز ليلاً.

فإن رجالاً استشهدوا بأحد فقالت نسأوه: نستوحش في بيوتنا، فأذن لهم النبي ﷺ أن يتحدثوا عند إحداها، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها.

وأذن النبي ﷺ لخالة جابر حين طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها.

وإذا لزمته العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وجائية، والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة، لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حَبْثٍ﴾، قال ابن عباس: الفاحشة المبينة أن تبدو على أهل زوجها

امراً تلزمها العدة بالأقراء، فأما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض، أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط، أو الأيسة بعدما جامعها، أو طلق الحامل بعد ما جامعها، أو في حال رؤية الدم، لا يكون بدعياً، ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء، لأن النبي ﷺ قال: «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعياً لأن النبي ﷺ أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها، ولولا جوازه في جميع الأحوال لأشبه أن يتعرف الحال، ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً يعصي الله تعالى.

ولكن يقع الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس.

كما رواه يونس بن جبير، وأنس بن سيرين، عن ابن عمر، وما رواه نافع عن ابن عمر: «ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» فاستحباب، استحباب تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته إياها للطلاق، كما يكره النكاح للطلاق، ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث، عند بعض أهل العلم، حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعياً، وهو قول الشافعي وأحمد، وذهب بعضهم إلى أنه بدعة، وهو

فيحل إخراجها، وقال جماعة: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها، فلها أن تتحول من بيت زوجها. والفاحشة: النشوز. وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة. ﴿وَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بِهِ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنه المراجعة.

﴿إِذَا بَلَغَ الْبُلُغَ﴾، أي قرين من انقضاء عدتهن، ﴿فَأَنْصِرُوا﴾، أي راجعوهن، ﴿يَمَعْرُوفٍ﴾، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم، ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾، أيها الشهود ﴿لِلَّهِ﴾، ﴿ذَلِكَمُ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة.

وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابناً له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر

العدو ابني وشكا إليه أيضاً الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتق الله واصبر»، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلأ وجاء بها إلى أبيه.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فسي ابنه.

① ﴿وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ما ساق من الغنم.

وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: نعم، فأنزل الله هذه الآية.

قال ابن مسعود: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه. وقال الربيع بن خيثم: «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» من كل شيء ضاق على الناس. وقال أبو العالية: «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» من كل شدة. وقال الحسن: «مخرجاً» عما نهاه الله عنه.

﴿وَمَنْ يُوَكِّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، يتق الله فيما نابه كفاه ما أمه.

وروي أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾، قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم ﴿بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ بالإضافة، وقرأ الآخرون «بالغ» بالتثنية «أمره» نصب، أي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه. قال مسروق: في هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾، توكل عليه أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

① قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي يَمُنُّ مِنَ الْحَيِضِ﴾، فلا يرجون أن يحضن، ﴿إِنْ أَرَادْتُمْ﴾، أي شككتم فلم تدروا ما عدتهن، ﴿فَوَدَّعْتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾، قال مقاتل: لما نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَثْسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري: يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى؟ فأنزل الله: ﴿وَالَّذِي يَمُنُّ مِنَ الْحَيِضِ﴾ يعني القواعد اللاني قعدن عن الحيض ﴿إِنْ أَرَادْتُمْ﴾ شككتم في حكمهن ﴿فَوَدَّعْتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾. ﴿وَالَّذِي لَرَّ يَحْضُنَّ﴾، يعني الصغائر اللاني لم يحضن فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر،

وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي، وحكي عن عمر: أنها تريض تسعة أشهر فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك. وقال الحسن: تريض سنة فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر. وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَكْفَالُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها أبو السنايل بن بعك فقال: قد تصنعت للأزواج إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنايل - أو: ليس كما قال أبو السنايل - قد حلفت فتزوجي».

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

② ﴿ذَلِكَ﴾، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿أَمَرَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.



تسكنها، فأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى، حاملاً كانت أو حائلاً، عند أكثر أهل العلم. يروي ذلك عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلا أن تكون حاملاً وهو قول الحسن وعطاء والشعبي.

واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً يروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبي، وبه قال

الشافعي وأحمد، ومنهم من أوجبها بكل حال يروي ذلك عن ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلا أن تكون حاملاً لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَىٰ حَتْلٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ والدليل عليه من جهة السنة ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا مصعب بن مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعر فسخطه، فقالت: والله ما لك علينا من شيء فجاء رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له،

فقال لها: «ليس لك عليه نفقة» وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فأذنيني» قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد» قالت فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة بن زيد» فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به.

واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة فيه.

لما روي عن عائشة أنها قالت: كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها.

وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان للسانها ذراية، أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً، والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملاً كانت أو حائلاً عند أكثر أهل العلم.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أن لها النفقة، إن كانت حاملاً، من التركة حتى تضع، وهو قول شريح، والشعبي، والنخعي، والثوري، واختلفوا في سكنها، وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان

﴿أَسْكُوهُمْ﴾، يعني مطلقات نساكنكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، «من» صلة أي أسكنوهم حيث سكنتم، ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾، سعتكم وطاقتم يعني إن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ﴾، لا تؤذوهم، ﴿لِئَلَّا تُضَارُّوهُمْ﴾، مساكنتهم فيخرجن، ﴿وَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَىٰ حَتْلٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فيخرجن من عدتهن.

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة وتعني بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت جارية ورجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً

أحدهما لا سكنى لها بل تعدت حيث تشاء، وهو قول علي وابن عباس وعائشة، وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، والثاني: لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وبه قال مالك، وسفيان الثوري، وأحمد، وإسحاق، واحتج من أوجب لها السكنى بما.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة، فقالت: قال رسول الله ﷺ: نعم، فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله ﷺ فدعيت له، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت: فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فتابعه وقضى به.

فمن قال بهذا القول قال: إذنه

لفريعة أولاً بالرجوع إلى أهلها صار منسوخاً بقوله آخراً: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» ومن لم يوجب السكنى قال: أمرها بالمكث في بيتها آخراً استحباباً لا وجوباً.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَرْضُنَّ لَكُمْ﴾، أي أرضعن أولادكم، ﴿فَأَرْضُنَّ لَكُمْ﴾، على إرضاعهن، ﴿وَأَتَرُوا يَتَكُمْ بِمَرْفُوقٍ﴾، ليقبل بعضهم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والمخاطب للزوجين جميعاً، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرر، ﴿وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي الرِّضَاعِ وَالْأَجْرَةِ﴾، فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبى الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿فَسَتَرْضِعُ لَكُمْ أُمَّيْ﴾.

﴿يُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَوَتِهِ﴾، على قدر غناه، ﴿وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾، من المال، ﴿لَا يَكِلُ اللَّهُ نَفْسًا﴾، في النفقة، ﴿إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا﴾، أعطاه من المال، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَدَلًا لِّشَرِّكٍ﴾، بعد ضيق وشدة غنى وسعة.

قوله عز وجل: ﴿وَكَيْفَ يَن قَرِيبَةً مِّنْهُ﴾، عصت وطغت، ﴿عَن أَثَرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، أي وأمر رسله، ﴿فَمَا سَبِّحَتْهَا حَسَابًا مَّوَدَّهَا﴾، بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها يعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب،

وهو قوله: ﴿وَقُلْنَا عَذَابًا لَّكَرًا﴾، منكرأ فظيعاً وهو عذاب النار لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر البلايا، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً.

﴿فَنَاقَتْ رَبَّهَا﴾، جسزاء أمرها، وقيل: نقل عاقبة كفرها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾، خسراناً في الدنيا والآخرة.

﴿أَمَدَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْكُلُوا آَلَاءَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ وَأَمَّا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

﴿رُسُلًا﴾، بدلاً من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولاً وقبلي مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول. وقيل: ذكراً أي شرفاً. ثم بين ما هو فقال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ اللَّهِ مِمَّا يُخَرِّجُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَرُسُلًا ءَاتَيْنَاهُم مِّنْ أَمْرٍ إِلَى أَلْوَرِّ وَمَن يُؤْمِرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ حَاسِبًا يَدْعُهُ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَلَا قَدْ أَصْنَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا﴾، يعني الجنة التي لا يقطع نعيمها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ سِتَّةَ فُتُوحٍ﴾، في العدد ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْطَرَ﴾، بالوحي من السماء الصابغة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدير فيهن من عجب تبديره فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها وينقلها من حال إلى حال. وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه خلق من



الحلواء والعسل، وكان إذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول: لا فقولي له: ما

هذه الرياح، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الرياح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرت نحلته العرْفُط، سأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة قالت سودة: والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أباده بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقا منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أكلت مغافير، قال: «لا» قالت: فما بال هذه الرياح قال: «سقتني حفصة شربة عسل» قالت: جرت نحلته العرْفُط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: «لا» حاجة لي به» قالت تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها اسكتي.

وأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحسن بن محمد [ابن] الصباح، ثنا الحجاج عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً فتواصيت، أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا بأس شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّىٰ مَرْثَاتٍ أَرْوَاهُكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ وَصَّيْنَاكَ فِي آيَاتِنَا أَنْ لَا تَحْلُبَ أَيْمَنُكَ وَاللَّهُ مُوَلِّدُكَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَيَاتًا فَلْيَأْتِ بِهَا يَدًا وَأُظْهِرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلْيَأْتِ بِهَا يَدًا قَالَتْ مَنْ أَبَاؤُ هَذَا قَالَ نَبَاؤُ الْعَالَمِ الْأَخِيرِ ۝ إِنْ نُبَاؤُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُتَسَلِّمِينَ مَوْتًا قَلِيلًا يَتَبَنَّىٰ عِنْدَ بَنَاتِ سَخِيحَةٍ تَبَنَّىٰ وَأَبْكَارًا ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَآفَاقُ الْأَنْفُسِ وَكَأَلَيْكَ أُنَارُ الرَّغْوَدِهَا النَّاسُ وَالْحَمَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا تَنْزِدُهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ لِمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۝﴾

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، أنا إبراهيم بن موسى، أنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء بإسناده وقال: قال: «لا ولكن كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت فلا تخبري بهذا أحدا» يتيغي بذلك مرضاة أزواجه.

وقال المفسرون: وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع

خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضاؤه. ﴿لَعَلَّكُمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فلا يخفى عليه شيء.

سورة التحريم

مدنية وهي اثنتا عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّىٰ مَرْثَاتٍ أَرْوَاهُكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ وَصَّيْنَاكَ فِي آيَاتِنَا أَنْ لَا تَحْلُبَ أَيْمَنُكَ وَاللَّهُ مُوَلِّدُكَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَيَاتًا فَلْيَأْتِ بِهَا يَدًا وَأُظْهِرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلْيَأْتِ بِهَا يَدًا قَالَتْ مَنْ أَبَاؤُ هَذَا قَالَ نَبَاؤُ الْعَالَمِ الْأَخِيرِ ۝ إِنْ نُبَاؤُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُتَسَلِّمِينَ مَوْتًا قَلِيلًا يَتَبَنَّىٰ عِنْدَ بَنَاتِ سَخِيحَةٍ تَبَنَّىٰ وَأَبْكَارًا ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَآفَاقُ الْأَنْفُسِ وَكَأَلَيْكَ أُنَارُ الرَّغْوَدِهَا النَّاسُ وَالْحَمَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا تَنْزِدُهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ لِمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۝﴾

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب

عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمّتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحفاً، ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال رسول الله ﷺ: «أليست هي جاريتي أجلبها الله لي؟ اسكتي فهي حرام عليّ ألتمس بذلك رضاك، فلا تخبري بذلك امرأة منهن» فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمّته مارية، وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تنزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني العسل ومارية ﴿تَبْنِي مَرَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأمره أن يكفر يمينه ويراجع أمته، فقال:

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمُْ فِعْلَهُ أَيْمَانَكُمْ﴾، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة [٨٩] ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم، ﴿وَقَدْ أَلَمْتُكُمْ﴾.

واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين، فإن قال لزوجته: أنت علي حرام، أو حرمتك، فإن نوى به

طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظهاراً فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجارته فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين، فإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جارته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرم طعاماً فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

أخبرنا عبد الواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا معاذ بن فضالة، ثنا هشام عن يحيى، عن ابن حكيم، وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام: يُكْفَرُ، وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَاتِئًا﴾، وهو تحريم فئاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبري بذلك أحداً» وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسر أمر الخلافة بعده فحدث به حفصة. قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من

بعدي. وقاله ميمون بن مهران: أسر إليهد أن أبا بكر خليفتي من بعدي. ﴿قُلْنَا نَبَأْتُكَ بِهِ﴾، أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وَأَلْهَمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنباء به، ﴿عَرَفَ بَعْضُهُمْ﴾، قرأ [البسوا] عبد الرحمن السلمي والكسائي ﴿عرف﴾ بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجزاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازنك عليه، وجزاها به عليه بأن طلقها.

فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير.

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فاتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامه وإنها من جملة نساءك في الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الآخرون ﴿عرف﴾ بالتشديد، أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به. قال الحسن: ما استقصى كبريم قط، قال الله تعالى: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

وذلك أن النبي ﷺ لما رأى

الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما، فأخبرت به حفصة عائشة وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض، يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿فَلَمَّا تَبَايَعَا بِهِ﴾، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿فَقَالَتْ﴾، حفصة، ﴿مَنْ أَبَاكَ هَذَا﴾، أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿فَقَالَ تَبَايَعَ عَلِيُّ الْخَيْرُ﴾.

① ﴿إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ﴾، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء، يخاطب عائشة وحفصة، ﴿فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب [عن] الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبدالله بن أبي ثور، عن عبدالله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما: ﴿إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حتى حج فحججت معه وعدلت معه بإداوة، فبرز ثم

جاء، فسكيت على يديه من الإداوة، فتوضاً فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما: ﴿إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال: واعجباً لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت، أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جثت بما حدث من خير، ذلك اليوم من الأمر أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطلق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأنزعني فقلت خابت من فعلت منهن ذلك، ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة أفاضب إحدكن النبي ﷺ حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خبت وخسرت، أفأتمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي، لا تستكثري على النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوضاً منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة، قال عمر: وكنا تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي

الأنصاري يوم نويته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أنتم هو، ففرغت فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم؟ فقلت: ما هو أجاه غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك أولم أكن حذرتك؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري ها هو ذا [معتزل] في المشربة، فخرجت فجثت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد، فجثت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت للغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلم النبي ﷺ ثم رجع إلي فقال: قد كلمت النبي ﷺ فذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجثت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال: قد ذكرت لك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجثت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فاستأذن ثم رجع إلي فقال: قد ذكرت لك له فصمت، وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه

متكئاً على وسادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني، وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني، ودخلت على حفصة فقلت لها لا يفرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله تعالى فليوسع علي أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله تعالى، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: «أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ، وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسع وعشرين ليلة، وكان يقول: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى، فلما مضت تسعاً وعشرون ليلة، دخل على عائشة رضي الله عنها فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً فإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة

أعدها عدأ؟ فقال: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نساءه، فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: «إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بالجواب حتى تستأمرى أبويك» وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «وَبَيْنَا أَلَيْسَ لَكَ إِزْوَجٌ؟» [الأحزاب: ٢٨ و ٥٩] إلى تمام الآيتين، فقلت: أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا عمر بن يونس الحنفي، ثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن زميل حدثنا عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه وذكر الحديث. وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك

وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا أبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت وأحمد الله تعالى بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولني الذي أقول، ونزلت هذه الآية: «عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَيِّلَهُ أَرْزَامًا مِّمَّا تَكُونُ» [التحريم: ٥].

«وَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَيْسَ بِأَمْرٍ لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا» - قوله: «وَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَيْسَ بِأَمْرٍ لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا» أي تتظاهرا أو تتعاضدا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرين بتشديدها، «وَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَيْسَ بِأَمْرٍ لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا» - قوله: «وَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَيْسَ بِأَمْرٍ لَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا» روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: «وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ» أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين. قوله: «وَالْمَلَائِكَةُ بِمَدِّ ذَلِكَ ظُهُرُ» قال مقاتل: بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، أي: أعوان النبي ﷺ، وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجميع، كقوله: «وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا» [النساء: ٦٩].

⑤ «عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ» أي واجب من الله إن طلقكن رسوله، «أَنْ يُبَيِّلَهُ أَرْزَامًا مِّمَّا تَكُونُ» خاضعات لله بالطاعة، «مُؤْمِنَاتٍ» مصدقات بتوحيد الله، «مُؤْتَمِنَاتٍ» طائعات، وقيل: داعيات وقيل مصليات، «كَتَبْتُ عَلَيْكُمْ سَلَامًا» صائحات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات وقيل: يسحن معه حيث ما

﴿يَقُولُونَ﴾، إذ طغى نور المنافقين، ﴿رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا وَاعْغِرْ لَنَا لُكَّاتَكَ عَلَى كُلِّ مَنٍّ قَدِيرٌ﴾.

① ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ السَّعِيرُ﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصلحين والصالحات من النساء.

② فقال جل ذكره: ﴿حَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَاسْمُهَا وَاعِلَةُ﴾، واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعه والهة، ﴿كَانَتْ تَحْتِ عِبْدَتَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَتَيْنِ﴾، وهما نوح ولوط عليهما السلام، ﴿فَخَلَّتَا عَنْهَا﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف. وقال الكلبي: أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان، ﴿فَلَمَّا يُغَيَّبُ عَنْهَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لم يدفعها عنهما مع نبوتها عذاب الله، ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِينَ﴾، قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً.

③ فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَامَتْ إِجْمَعًا﴾، وهي آسية بنت مزاحم، قال المفسرون:

الواحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لَا يَصْنَعُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

④ - ⑤ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَتَذَكَّرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَعِزُّونَ مَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا آمَنُوا ثَوْرًا إِلَى اللَّهِ قَوِيَّةً نَصُورًا، قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم «نصوحاً» بضم النون، وقرأ العامة بفتحها أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه.

واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألا يعود فيه. قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم، قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سبي الإخوان. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَبَدِّلَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أي لا يعذبهم الله بدخول النار، ﴿ثَوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ﴾، على الصراط،

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا آمَنُوا ثَوْرًا إِلَى اللَّهِ قَوِيَّةً نَصُورًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَبَدِّلَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ثَوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا وَاعْغِرْ لَنَا لُكَّاتَكَ عَلَى كُلِّ مَنٍّ قَدِيرٌ ⑤ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ السَّعِيرُ ⑥ حَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَاسْمُهَا وَاعِلَةُ كَانَتْ تَحْتِ عِبْدَتَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَتَيْنِ فَخَانَتْهُمَا فَلَا يُغْنِي عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِينَ ⑦ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَامَتْ إِجْمَعًا رَبُّنَا يَنْتَهِزُ فِي الْجَنَّةِ وَرِجَّتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَيَعْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ⑧ وَمَرْثَمُ ابْنِ عِمْرَانَ الَّذِي أَحْصَتْ تَرْجَاهَا فَخَفَا فِيهِ مِنْ رَبِّهَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ ⑨

ساح ﴿ثِيَابُهَا وَأَكْبَارُهَا﴾، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: ﴿إِنْ طَلَّقْتُكُمْ﴾ وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، وهذا إخبار عن القدرة لأن [ليس] في الوجود أمة هي خير من أمة محمد ﷺ.

① قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته، ﴿وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾، يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ناراً، ﴿وَوُودَهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهِا مَلَكُوتُهُ﴾، يعني خزنة النار، ﴿وَغُلَظُّهَا﴾، فظاظ على أهل النار، ﴿شِدَادُهَا﴾، أنوياء يدفع



إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام. **«وَكُنْتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ»**، أي من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات. وقال عطاء: من القانتين أي من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

وروينا عن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت

خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون».

سورة الملك

مكية [وهي ثلاثون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ١ **«بِذَرِكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة. وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. قيل: إنما قدم الموت لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما،

لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس. قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة **«إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَتَيْنِي بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ»**، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته. وفي القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد المأ. وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب. **«وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ وَرَبِّتَنِي وَأَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ وَإِنِّي كُنْتُ مِنَ الْكَاثِرِينَ»**، قال: جماعه. **«وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ الْفُلُولِيِّينَ»**، الكافرين.

٧ **«وَمِمَّنْ آتَيْنَا عِمْرَانَ النَّحْلَ إِحْسَنَتْ رَجُلَهَا فَغَضَبْنَا عَلَيْهِ»**، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، **«وَمِنْ زُوجِنَا وَصَدَقْتِ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا»**، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، **«وَكُتِبَ»**، قرأ أهل البصرة وحفص **«وَكُتِبَ»** على الجمع، وقرأ الآخرون **«وَكُتِبَ»** على التوحيد، والمراد منه الكثرة أيضاً. وأراد **«بِكُتِبَ»** الكتب التي أنزلت على

ثم طرأت عليها الحياة. وقال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء إلا حي، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقي على العجل فحي **«يَبْلُوكُم»**، فيما بين الحياة إلى الموت، **«إِنَّا كُنَّا أَحْسَنَ عَمَلًا»**.

روي عن ابن عمر مرفوعاً أحسن عملاً: أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلفه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص إذا كان الله، والصواب إذا كان على السنة. وقال الحسن: أيكم أزهّد في الدنيا وأترك لها. وقال

الماء الكثير بالحب القليل.

﴿٨﴾ «تَكَادُ تَمَيَّرُ»، تنقطع، «مِنْ الْقَيْطِ»، من تغيطها عليهم، قال ابن قتبية: تكاد تنشق غيظاً على الكفار، ﴿كَلَّمَآ أَلْفِي نِيَا فَوْجَ﴾، جماعة منهم، ﴿سَأَلَمَ خَزَنَتَهَا﴾، سؤال توبخ، ﴿أَنَّهُ بِأَنكُرٍ نَذِيرٍ﴾، رسول ينذرهم.

﴿٩﴾ «قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا»، للرسول، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَشْتَأْ إِلَّا فِي سَخُلٍ كِثِيرٍ﴾.

﴿١٠﴾ «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا جَاءُونَا بِهِ»، الرسل ما جاءونا به، ﴿أَوْ نَقُولُ﴾، منهم، وقال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نغفله ففعل به. ﴿مَا نَسْمَعُ الْهَدَىٰ أَوْ نَعْقِلُ مَا جَاءُونَا بِهِ﴾، لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار.

﴿١١﴾ «فَأَعْرِضُوا يَذَّيْبِهِمْ فَسَحَقًا»، بعداً، ﴿لَا يَحْكِبُ السَّعِيرِ﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي «فسحقاً» بضم الحاء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان مثل الربع والرعب والسحت والسحت.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَذَاتُ الشُّدُورِ، قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد.

﴿١٤﴾ فقال الله جل ذكره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، ألا يعلم ما في الصدور من خلقها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، لطيف علمه في القلوب

استوائها، ﴿فَاتَّبَعَ الْبَصَرُ﴾، كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع، ﴿مَهَلٌ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾، شقوق وصدوع.

﴿١٥﴾ «ثُمَّ أَتْبَعَ الْبَصَرُ كَرِهَيْنَ»، قال ابن عباس مرة بعد مرة، ﴿يَنْقَلِبُ﴾، ينصرف ويرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاشَاكَ﴾، صاغراً ذليلاً مبعداً لم ير ما بهوي، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، قليل منقطع لم يدرك ما طلب. وروي عن كعب أنه قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية ممررة بيضاء، والثالثة

حديد، والرابعة صفراء، وقال: نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، وبين السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحارى [من] نور.

﴿١٦﴾ «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا»،

أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس. وقوله ﴿يَمْصُبُونَ﴾

الكواكب، واحداً مصباح، وهو السراج سمي الكوكب مصباحاً لإضاءته، ﴿وَجَعَلْنَا دُرُوجَهُمَا﴾، مرامي، ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾، إذا استرقوا السمع، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، النار الموقدة.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرِيبُهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَوْ أَنَّ لَهُمُ الْكُوفُورَ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا يَحْمَوْنَ لَهَا شَيْعًا»، وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات، ﴿وَيَقُفُّونَ﴾، تغلي بهم كغلي المرجل. وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور

وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَذَاتُ الشُّدُورِ ﴿١٥﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ ﴿١٧﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَعُورُ ﴿١٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاشِبًا فَسَتَلْقَوْنَ كَيْفَ يَذَرُ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْعَذَابِ قَوْمَهُمْ ضَعِفَتْ وَيَقِضْنَ مَا يُتَّبَعُونَ إِلَّا الرِّحْمَانُ أَنْهَىٰ كُلَّ قَوْمٍ بِصِيرِ ﴿٢١﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ يَظْهَرُ مِنْ دُونِ الرِّحْمَانِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٢﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُونَ أُنْصُكَ يَرْفَعُونَ لِحَافٍ عَنْهُ وَيَقُولُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِنْ يَسْتَوِي مِرْكَأَتِ وَجْهِهِمَا هَذَيْنِ أَمْ يَبْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٧﴾ يَقُولُونَ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي يَدْعُنَا كُنْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ مَا أَنَا بَشِيرٌ مُبَشِّرٌ ﴿٢٩﴾

الفراء: لم تقع البلوى على أي إلا وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع ومثله «سَلَّمْتُ أَبْنِيَّ بِذَلِكَ رَجِيمٌ» [القلم: ٤٠] أي سلمهم وانظر أيهم، فدأي، رفع على الابتداء وأحسن خبره، ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في انتقامه ممن عصاه، ﴿الْغَفُورُ﴾، لمن تاب إليه.

﴿٣٠﴾ «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَوَاتِرٍ يَبَاقًا»، طبقاً على طبق بعضها فوق بعض، ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي من «تفوت» بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها، وهما لغتان كالتحمل والتحامل، والتظهر والتظاهر، ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضاً لقلّة



تَكْرِ، أي إنكاري عليهم بالعباد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْفُتُورِ قَوْمَهُ مَتَكُونُ﴾، تصف أجنتها في الهواء، ﴿وَيُقْبَضُ﴾، أجنتهن بعد البسط، ﴿مَا يُمِيزُكُمْ﴾، في حال القبض والبسط أن يسقطن، ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾، استفهام إنكار. قال ابن عباس: أي منعة لكم، ﴿يَضَعُكُمْ فِي دُونِ الرَّحْمَنِ﴾، يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم.

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أي في غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَكُمْ﴾، أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم، ﴿وَلَمْ يَلْحَظْ فِي عَنُقٍ﴾، تماد في الضلال، ﴿وَتَقْوَرٍ﴾، تباعد من الحق وقال مجاهد: كفور.

﴿ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ: أَأَمَّنْ يَتَّبِعُ مُبِينًا عَلَى وَجْهِهِ﴾، ركباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يميناً ولا شمالاً وهو الكافر. قال قتادة: ركباً على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة، ﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَتَّبِعُ سَوِيًّا﴾، معتدلاً يبصر الطريق وهو، ﴿عَلَى سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو المؤمن. قال قتادة: يمضي يوم القيامة سويّاً.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ

الخير بما فيها من السر والوسوسة. وقيل: ﴿مَنْ﴾ يرجع إلى المخلوق، أي ألا يعلم الله مخلوقه.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾، سهلاً لا يمتنع المشي فيها بالحزونة، ﴿فَأَنْشَأُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، قال ابن عباس وفتادة: في جبالها. وقال الضحاك: في أكامها. وقال مجاهد: في طرقها وفجاجها. قال الحسن: في سبلها. وقال الكلبي: في أطرافها. وقال مقاتل: في نواحيها. قال للفراء: في جوانبها. والأصل في الكلمة الجانب، ومنه منكب الرجل، الريح النكباء وتنكب فلان. ﴿وَوَكَّلْنَا مِنْ رِزْقِهِ﴾، مما خلقه رزقاً لكم في الأرض، ﴿وَرِثَیَ النَّشُورِ﴾، أي وإليه تبعثون من قبوركم.

﴿ثُمَّ خَوْفَ الْكَفَارِ فَقَالَ: مَا أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس: أي عقاب من في السماء إن عصيتموه، ﴿أَنْ يَخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَوَزَّوْا﴾، قال الحسن: تتحرك بأهلها. وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقىهم إلى أسفل [والأرض] تعلقو عليهم وتمر فوقهم. يقال: مار يمر، إذا جاء وذهب.

﴿ثُمَّ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، ريحاً ذات حجارة كما فعل بقوم لوط. ﴿فَسَتَلْقَوْنَهُمُ﴾، في الآخرة وعند الموت، ﴿كَيْفَ تَلْبِيزٍ﴾، أي إنذاري إذا عايتهم العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني كفار الأمم الماضية، ﴿فَكَيْفَ كَانَ

الْتَسَعُ وَالْأَصْرُ وَالْآفِئدة قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، ويقولون متى هذا الزود إن كنتم صادقين، قل إنما أوتينا عند الله وإلنا أنا نزيه شئين، فلما رأوه، يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد:

يعني العذاب ببلو، ﴿زَلَّةٌ﴾، أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنتان والجمع، ﴿سَيِّئَت وَجْوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وسيئ ساء إذا قبح، ﴿وَقِيلَ لَهَا أَي قَال لَهَا الْخِزْنَةُ﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾، تفتعلون، من

الدعاء [أي: تدعون تتمنون أن يجعل لكم]، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون.

﴿٢٨﴾ **قُلْ**، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك، **﴿أَزِيدُكُمْ إِنْ أَهْلَكْتُ اللَّهَ وَمَنْ مَعِيَ﴾**، من المؤمنين، **﴿أَزِيدُكُمْ﴾**، فأبقاها إلى منتهى آجالنا، **﴿فَمَنْ يُضِلُّ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**، فإنه واقع بهم لا محالة. وقيل: معناه أرايتم إن أهلكني الله فعذبني ومن معي أو رحمنا فغفر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

﴿٢٩﴾ **قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ**، الذي نعبد، **﴿إِنَّمَا بِهِ وَعْدُكَ﴾**، فتسألون، قرأ الكسائي بالياء وقرأ الباقون بالتاء. **﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال [منا] نحن أم أنتم.

﴿٣٠﴾ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**، أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء. قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، **﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾**، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن الفارسي، ثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد، ثنا أبو يحيى البزاز، ثنا

محمد بن يحيى، ثنا أبو داود، ثنا عمران عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة [من النار] وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك].



سورة القلم

مكية [وهي اثنتان وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ **هَـ** اختلّفوا فيه فقال ابن عباس: هو الحوت الذي على ظهره الأرض. وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: **﴿هَـ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾**.

واختلّفوا في اسمه، فقال الكلبي ومقاتل: بهموت. وقال الواقدي: ليوثا. وقال كعب: لوثيا. وعن علي: اسمه بلهوث: قالت الرواة: لما خلق الله الأرض وفتحها بعث من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع [فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق الأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع]، حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله عليه من الفردوس ثوراً له

أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه فأخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مذ البحر وأزبد وإذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: **﴿بَنِيَّ إِنَّمَا إِنْ تَكُ وَثَقَالَ حَجَرٌ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي أَسَمَكَةٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان: ١٦] فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نوناً وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة. يقال: فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار: كوني فكانت. [قال] كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه، فقال له: أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقىتهم عن ظهرك، فهم لويثا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه ففج الحوت إلى الله منها فاذن لها الله فخرجت. قال كعب:

فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنتظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت إلى ذلك كما كانت. وقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: [هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة. وقال عطاء: افتتاح اسمه نور وناصر. وقال محمد بن كعب:] أقسم الله بنصرته للمؤمنين. ﴿وَالْقَلَمِ﴾، هو الذي كتب الله به الذكر، وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض.

ويقال: أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق نصفين، ثم قال [له]: أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم.

﴿مَا أَنْتَ بِمُتَعَمِّدٍ﴾، بنبوة ﴿رَبِّكَ يَمْجُرُونَ﴾، هذا جواب لقولهم ﴿يَكَايَا أَلَىٰ نَرِّكَ عَلَيْنَا أَلَّا نَكُونُ﴾ [الحجر: ٦] فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال: ﴿مَا أَنْتَ بِمُتَعَمِّدٍ رَبِّكَ﴾، بنبوة ربك ﴿يَكَايَا﴾، هذا جواب القسم أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة. وقيل: بعصمة ربك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه: ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانه لك اللهم ويحمدك أي والحمد لك.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. قال قتادة: هو ما كان ياتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهى الله، والمعنى إنك لملئ الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمي الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله: ﴿خُلِّقَ الْمَلَكُ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية.

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة بن سعيد،

ثنا جعفر بن سليمان الضبيعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أب قط ما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً وما مسست خزاً قط ولا حبرياً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا [أبو] عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني، ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عبد الله بن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «خياركم أحسانكم أخلاقاً».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن هشام بن ملاس، ثنا مروان الفزاري، ثنا حميد الطويل عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال: يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت اجلس إليك، قال: ففعلت فقعد إليها رسول الله ﷺ، حتى قضى حاجتها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن عيسى، ثنا هشيم، أنا حميد الطويل، ثنا أنس بن مالك، قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت.

وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، أخبرنا عمران بن زيد التغلبي عن زيد القعني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له.

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا عبدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا إسماعيل بن عبد الله حدثني مالك عن إسحاق عن

عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ [وعليه] برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعتاء.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا علي المدني، ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، والله تعالى يغض الفاحش البذيء».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم، ثنا داود بن يزيد الأودي سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم. أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم. أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن أكثر ما

يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنا أبي وشيعب قالا، ثنا الليث عن ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار».

⑤ قوله عز وجل: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ رَغِيْبًا﴾، فستري يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب.

⑥ ﴿وَأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾، قيل معناه بأيكم المجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، كما يقال ما بفلان مجلود ومعقول، أي جلادة وعقل، وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس: وقيل: الباء بمعنى في، مجازة: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم؟ وقيل: الباء بمعنى «مع» و«المفتون» هو الشيطان والمعنى مع أيكم الشيطان مع المؤمنين أم مع الكافرين؟ وهذا معنى قول مجاهد. وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

⑦ - ⑧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِنِينَ﴾، يعني مشركي

الخلق السيئ الخلق. قال
 الفراء: هو الشديد
 الخصومة في الباطل.
 وقال الكلبي: هو الشديد
 في كفره، وكل شديد عند
 العرب عتل، وأصله من
 العتل وهو الدفع بالعنف.
 قال عبيد بن عمير: العتل
 الأكل الشروب القوي
 الشديد في كفره لا يزن
 في الميزان شعيرة، يدفع
 الملك من أولئك سبعين
 ألفاً في النار دفعة واحدة.
 ﴿بَدَّ ذَلِكَ﴾، أي مع ذلك
 يريد مع ما وصفناه به
 ﴿زَيْمٍ﴾، وهو الذئبي

مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آباه
 فنهاه أن يطيعهم.

﴿وَدُّوا لَوْ نَكُنْهُمْ فَيَرْهَوْنَ﴾،
 قال الضحاك: لو تكفرو فيكفرون.
 وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون
 لك. قال الحسن: لو تصانعهم في
 دينك فيصانعونك في دينهم. قال
 زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي
 فينافقون ويرأون. قال ابن قتبية:
 أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة
 ويعبدون الله مدة.

﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ جَلَّافٍ﴾، كثير
 الحلف بالباطل. قال مقاتل: يعني
 الوليد بن المغيرة. وقيل:
 الأسود بن عبد يغوث. وقال عطاء:
 الأخنس بن شريق. قوله:
 ﴿مُؤْمِنٍ﴾، ضعيف حقير. قيل: هو
 فعيل من المهانة وهي قلة الرأي
 والتمييز. وقال ابن عباس: كذاب،
 وهو قريب من الأول لأن الإنسان
 إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

﴿هَازٍ﴾، مغتاب يأكل لحوم
 الناس بالطعن والغيبة. وقال الحسن
 هو الذي يغمز بأخيه في المجلس،
 كقوله ﴿همزة﴾ [الهمزة: ١] ﴿مُتَلَمِّسٍ﴾
 يَتَمِيسُ، قتات يسعى بالنميمة بين
 الناس ليفسد بينهم.

﴿مُنْتَلَحٍ لِلْخَيْرِ﴾، بخيل بالمال
 قال ابن عباس: «مناع للخير» أي
 للإسلام، يمنع ولده وعشيرته عن
 الإسلام، يقول: لئن دخل واحد
 منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء
 أبداً. ﴿مُتَقَنٍّ﴾، ظلم يتعدى الحق،
 ﴿أَنِيمٍ﴾، فاجر.

﴿مُتَلِّئٍ﴾، العتل: الخليظ
 الجافي. وقال الحسن: هو الفاحش

الملصق بالقوم، وليس منهم، قال
 عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا
 هو دعي في قریش وليس منهم. قال
 مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد
 ثماني عشرة سنة. وقيل: الزنيم
 الذي له زئمة كزئمة الشاة. وروى
 عكرمة عن ابن عباس أنه قال في
 هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل
 زنيم فعر، وكانت له زئمة في عقه
 يعرف بها. وقال سعيد بن جبیر:
 عن ابن عباس قال: [كان] يعرف
 بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها. قال
 ابن قتبية: لا نعلم أن الله وصف
 أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من
 عيوب الوليد بن المغيرة، فالحق به
 عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد]
 المليحي، أنا أبو منصور محمد بن
 محمد بن سمعان الواعظ، حدثني
 أبو محمد بن زنجويه بن محمد، ثنا

علي بن الحسن الهلالي، ثنا
 عبدالله بن الوليد العدني عن سفيان،
 حدثني معبد بن خالد القيسي، عن
 حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال
 رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل
 الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم
 على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل
 النار كل عتل جواظ متكبر».

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَرَبٍّ﴾،
 قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة وأبو
 بكر ويعقوب «أَنْ» بالاستفهام، ثم
 حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا
 مد، ويحد الهمزة الأولى أبو جعفر
 وابن عامر ويعقوب، ويلينون الثانية،
 وقرأ الآخرون بلا استفهام على
 الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه:
 الآن كان ذا مال وربين؟

﴿إِذَا تَكَلَّمَ عَلَيْكَ مَا يَنْتَكُ قَالَ﴾
 استطيع الأولي، أي: جعل مجازاة
 النعم التي خولها من البنين والمعال

الكفر بآياتنا. وقيل: معناه لأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخير فمعناه: لا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿إِذَا تَنَالَىٰ عَالِيَهُ﴾. ﴿إِنَّمَا قَالَ أَضَلُّهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿١٦﴾ ثم أوعده فقال: ﴿سَيَكُونُ عَلَى الْقَرْطُومِ﴾، والخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه. قال الفراء: خص الخرطوم بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله. وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه. قال القتبي: تقول العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة! قد وسمه ميسم سوء، يريد ألصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا تنمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾، ابتلينا، ﴿أَصْحَابَ الْبَلَاءِ﴾.

روى محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَلَاءِ﴾، قال: كان بستان باليمن يقال له الضروان، دون صنعاء بفرسخين، يطؤه أهل الطريق، كان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة

بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل [فلم يجزه] فإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضاً، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يفعل إذا كان المال كثيراً والعيال قليلاً فأما إذ قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوماً ليغدو غداة قبل خروج الناس فليصر من نخلهم ولم يستثنوا، يقول: يعني لم يقولوا: إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين، فأروها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها، فأصبحت كالصريم فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا تَنَالَىٰ﴾، حلفوا، ﴿بِصِرْمَتِنَا﴾، ليحدثنا، وليقطع ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾، لا يقولون إن شاء الله. ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ ﴿فَلَاكَ عَلَيْكَ يَا لَيْلَىٰ﴾، عذاب، ﴿مَنْ نَزَّكَ﴾، ليلاً ولا يكون الطائف إلا بالليل وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَقُرْ﴾، تقرأ.

﴿٢٠﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، كالليل المظلم الأسود. وقال الحسن: أي صرم منها الخير فليس فيها شيء.

وقال الأخفش كالصبح الصريم من الليل، وأصل الصريم المصروم، مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. وقال ابن عباس: كالرماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿٢١﴾ ﴿فَتَنَادَا مُصِيرِينَ﴾، نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا.

﴿٢٢﴾ ﴿إِنْ أَقْدُوا عَلَىٰ حَرْوِكُمْ﴾، يعني الثمار والزروع والأعقاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيرِينَ﴾، قاطعين للنخل.

﴿٢٣﴾ ﴿فَأَنطَلَقُوا﴾، مشوا إليها، ﴿وَقُرْ يَنْفَعُونَ﴾، يتسارون يقول بعضهم لبعض سراً.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ لَا يَسْخَرَكُنَّ يَوْمَ عَلَيْكَ يَسْكُرُونَ﴾، وقَدْ عَلَيَّ حَرٌّ، الحرد في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو العالية: على جد وجهه. وقال القرطبي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقتبي: غدوا ونيتهم على منع المساكين، يقال: حاردت السنة، إذا لم يكن لها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن. وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين. وعن ابن عباس: على قدرة، ﴿قَدِيرِينَ﴾، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

﴿٢٦﴾ ﴿فَلَا رَأْيَ قَالُوا إِنَّا لَمَكَاوُنٌ﴾، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا

لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا.

(٢٧) فقال بعضهم: ﴿لَنْ نَحْضُرَ مَعَهُمْ﴾، حرماً خيراً ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

(٢٨) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم، ﴿أَوَّلَ أَقْلٍ لَكُمْ تَوَلَّاهُمْ﴾، هلا تستنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم، «ليصر منها مصبحين»، وسمي الاستثناء تسييحاً لأنه تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته. وقال أبو صالح: كان استثناءهم سبحانه الله، وقيل: هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم.

(٢٩) ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾، نزهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين.

(٣٠) ﴿فَاتَّبَعُوا بِعَثَمٍ عَلَى بَعْضِ يَتْلُوهُمْ﴾، يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

(٣١) ﴿قَالُوا بَرِّئْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغيانا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

(٣٢) ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُؤْتِيَنَا مِنَّا رِزْقًا وَإِلَّا رَبَّنَا يَرْهَبُون﴾، قال عبدالله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً.

(٣٣) ﴿كَذَلِكَ أَمَلْنَا﴾، أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَوْ كَانُوا يَلْمِزُونَ﴾.

(٣٤) ثم أخبر بما عنده للممتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ أَلِيمٍ﴾، فقال المشركون: إنا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكذيباً لهم.

(٣٥) - (٣٧) ﴿فَاتَّبَعُوا النَّبِيِّينَ﴾، ﴿كَلِمَاتٍ نَّزَّلْنَاهَا عَلَيْكَ﴾، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي نَزَّلْنَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، ﴿يُوهِي﴾، ﴿فِي هَذَا الْكِتَابِ﴾، ﴿تَذَكُّرُونَ﴾، ﴿تَقْرَءُونَ﴾.

(٣٨) ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿لَا تَغْوُونَ﴾، تختارون وتشتبون.

(٣٩) ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾، عهدود ومواثيق، ﴿عَلَيْهَا بَلَاءٌ﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوفتكم بها منا فلا ينقطع عهدكم، ﴿إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وذلك العهد، ﴿لَا تَحْكُمُونَ﴾، لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله، وكسر ﴿إِنْ﴾ في الآيتين لدخول اللام في خبرهما.

(٤٠) ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿سَلِّمْهُمْ إِلَهُهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، كقيل لهم أي: أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

(٤١) ﴿أَمْ لَمْ تُشْرِكُوا﴾، أي عندهم شركاء الله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونونه. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

(٤٢) ﴿يَوْمَ يَكْتَفَى عَنْ سَاقٍ﴾، قيل:

يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم، أي فليأتوا بها في ذلك اليوم لتنفهم وتشفع لهم ﴿يَوْمَ يَكْتَفَى عَنْ سَاقٍ﴾ قيل: عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير: يوم يكشف عن ساق: عن شدة الأمر. وقال ابن قتبية: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة، شمر عن ساقه، ويقال: إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني سويد بن سعيد، حدثني جعفر، حدثني حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، فلا يبقى أحد إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر

وَعَبَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ فَتَدْعَى الْيَهُودَ
فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا:
كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ،
فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطَشْنَا يَا رَبَّنَا
فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُونَ؟
فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ
يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي
النَّارِ، ثُمَّ تَدْعَى النَّصَارَى فَيَقَالُ لَهُمْ:
مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ
الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا
اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيَقَالُ
لَهُمْ؟ مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطَشْنَا
يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا
تَرُدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمْ
سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا،
فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ
إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ
أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ
مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَاذَا
تَنْتَظِرُونَ؟ لِتَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ
تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي
الدُّنْيَا أَفْقَرُ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ
نَصَاحِبِهِمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبِّكُمْ،
فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نَشْرُكَ بِاللَّهِ
شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ
لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولَ هَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ
فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مِنْ كَانَ
يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذُنُ اللَّهِ
لَهُ بِالسُّجُودِ، فَلَا يَبْقَى مِنْ كَانَ يَسْجُدُ
نِفَاقًا وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً
وَاحِدَةً كَلِمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى
قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ
فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَقَالَ: أَنَا رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ

رَبَّنَا، ثُمَّ يَضْرِبُ الْجَسْرَ عَلَى جَهَنَّمَ
وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ
سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
الْجَسْرُ؟ قَالَ: دَحْضُ مُرَّةٍ فِيهِ
خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ يَكُونُ
يَنْجِدُ فِيهَا شُوكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ،
فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرِّقِ
وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ
وَالرَّكَابِ، فَتَنَاجَى مُسْلِمٌ وَمَخْدُوشٌ
مُرْسَلٌ، وَمُكْرَدِسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ
فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ
بَأَشَدَّ مَنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ
الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا
يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ،
فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرَجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ، فَتَحْرَمُ
صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا
كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ
وَالِى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ
فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ:
ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ
دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ
خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ
فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:
ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ
نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ،
فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ:
رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ أَحَدًا،
ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ،
فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ:
رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّنْ
أَمَرْتَنَا بِهِ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ
يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ
فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَظْلُمُ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]،
فَيَقُولُ اللَّهُ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ،
وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ،
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ
قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ
يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حَمِيمًا
فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ
لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ
الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا
تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى [الشجر] مَا
يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضَرُ،
وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ
أَبْيَضُ؟ قَالَ: فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي
رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ
هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ الَّذِينَ
أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ
وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ
رَبَّنَا: أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ
الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ
مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ
أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَائِي فَلَا
أَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ هَذَا
الْحَدِيثَ عَنْ يَحْيَى بْنِ بَكِيرٍ عَنْ
الْليثِ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ
أَسْلَمَ بِهَذَا الْمَعْنَى:

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ [ابْنُ أَحْمَدَ]
الْمِلْحِي، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
النَّعِمِي، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، ثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا آدَمُ، ثَنَا
الْليثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ
سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ

ينفذونك، يقال: زلق السهم إذا أنفذ، قال السدي: يصيبونك بعيونهم. قال النضير بن شميل: يعينونك. وقيل: يزيلونك. وقال الكلبي: يصرعونك. وقيل: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك.

وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون ينظروهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في كلام العرب يقول القائل: نظر إلي نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿لَنَّا نَمُوتَ أَلْيَزَكِرْ﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَجْنُوتٌ﴾، أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

﴿٥٢﴾ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَوْءُ﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَّا وَكِرَ لِّلْمُتَلِينَ﴾، قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا

أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه، أنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العين حق» ونهى عن الوشم. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، ثنا محمود بن آدم المروزي، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعه الزرقى أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن ابني جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم؟ قال: «نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين».

سورة الحاقة

مكية [وهي اثنتان وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿لِّلْهَاقَّةِ﴾، يعني القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواقي الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] قال الكسائي: الحاقة يوم الحق.

﴿٢﴾ ﴿مَا لِّلْهَاقَّةِ﴾ هذا استفهام معناه التفتيح لثأنها، كما يقال: زيد ما زيد، على التعظيم لثأنها.

﴿٣﴾ ﴿وَمَا أَثَرُكَ مَا لِّلْهَاقَّةِ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الأهوال.

﴿٤﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَاغُوتٍ وَبِالْقَارِعَةِ﴾، قال ابن عباس وقناة: بالقيامة سميت قارعة لأنها تفرق قلوب العباد بالخافة. وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم بنبيهم حتى نزل فقرع قلوبهم.

﴿٥﴾ ﴿فَأَنَّا نَسُوهُ فَأَلْهَكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد: كما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَاغُوتٍ﴾ [الشمس: ١١] وقال قناة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصباح فأهلكتهم. وقيل: طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح.

﴿٦﴾ ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَلْهَكُوا بِرِيحٍ مَّرَصْرَاسٍ وَّعَاتٍ﴾، عتت على خزائنها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

﴿٧﴾ ﴿سَرَعَا عَلَىٰ هِمٍ﴾. أرسلها عليهم. وقال مقاتل: سلطها عليهم. ﴿سَبَّحَ بُرْجٌ وَنَسِيخَ آيَاتِهِ﴾، قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت عجوزاً لأنها في عجز

منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه
ثور ووجه نسر.

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي،
أنا أبو الفضل محمد بن الحسين
الحدادي، أنا محمد بن يحيى
الخالدي، أنا إسحاق بن إبراهيم
الحنظلي، ثنا عبد الرزاق، ثنا
يحيى بن العلاء النجلي عن عمه
شعيب بن خالد، ثنا سماك بن
حرب عن عبد الله بن عميرة عن
العباس بن عبد المطلب قال: كنا
جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء
فمرت سحابة فقال النبي ﷺ:
«أتدرون ما هذا؟» قلنا: السحاب،
قال: «والمزن»، قلنا: والمزن،
قال: «والعنان»، فقلنا: والعنان،
فسكتنا فقال: «هل تدرون كم بين
السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله
أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة
سنة، وبين كل سماء إلى سماء
مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غلظ
كل سماء خمسمائة سنة، وفوق
السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله
ما بين السماء والأرض، ثم فوق
ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن
وركبهن كما بين السماء والأرض،
ثم فوق ذلك العرش بين أسفله
وأعلاه كما بين السماء والأرض والله
تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه
من أعمال بني آدم شيء».

ويروى هذا عن عبد الله بن عميرة
عن الأحنف بن قيس عن العباس.
وروي عن ابن عباس أنه قال:
«وَقَوْمٌ يُسَبِّحُونَ ثَمَانِيَةً» أي ثمانية
صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم
إلا الله.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجَاءُ﴾، على الله،
﴿لَا تَحْزَنَ﴾، قرأ [حمزة والكسائي لا
يخفى] بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء،
﴿يُنْكَرُ حَافِيَةً﴾، أي فعلة خافية. قال
الكلبي: لا يخفى على الله منكم
شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس
ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدا
ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها
تطاير الصحف فأخذ بيمينه وأخذ
بشماله.

﴿وَذَكَرَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَنَّا
مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُمْ يَئِيسُهُمْ يَقُولُ عُذْرُهُ أَلَّا
يُكْتَبَ﴾﴾، الهاء في «كتابه» هاء
الوقف.

﴿إِنِّي لَنَسْفَةٍ﴾ علمت وأيقنت،
﴿أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِي﴾، أي أني أحاسب
في الآخرة.

﴿فَهُوَ فِي يَمِينِهِ﴾، يعني حالة
من العيش، ﴿رَأَيْتُهُ﴾، مرضية
كقوله: ﴿مَلَأُوهُ دَائِي﴾ يريد برضاها بأن
لقي الثواب وأمن العقاب.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، رفيعة.

﴿فَطَوَّفَتْهَا دَائِيَةً﴾، ثمارها
قريبة لمن يتناولها ينالها قائماً وقاعداً
ومضطجعاً يقطعون كيف شاؤوا.

﴿وَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾﴾، قدمتم لآخرتكم
من الأعمال الصالحة، ﴿فِي الْآلَاءِ
لِقَائِهِ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُمْ يَشْكُرُهُ﴾،
قال ابن السائب ثلوى يده اليسرى
خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل:
تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف
ظهره ثم يعطى كتابه. ﴿يَقُولُ يَلَيِّنِي رُبُّ
أَوْفَى كَيْفِهِمْ﴾، يتمنى أنه لم يؤت كتابه

لما يرى فيه من قبائح أعماله.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا مَا حِصَانَةٌ﴾ - ﴿وَلَوْ أَنَّنَا مَا حِصَانَةٌ﴾
يَلَيِّنِي كَأَنَّهُ الْقَاضِيَةُ، يقول يا ليت
الموتة التي متها في الدنيا كانت
القاضية [الفاغرة] من كل ما بعدها،
والقاطعة للحياة، فلم أحي بعدها.
والقاضية موت لا حياة بعده، يتمنى
أنه لم يبعث للحساب. قال قتادة:
يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في
الدنيا شيء أكره من الموت.

﴿مَا أَفْقَى عَنِّي مَالِيَةٍ﴾، لم
يدفع عني من عذاب الله شيئاً.

﴿فَلَهُ عَنِّي مُلْكِيَّةٌ﴾، ضلت
عني حجتني، عن أكثر المفسرين،
وقال ابن زيد: زال عني ملكي
وقوتي. قال مقاتل: يعني حين
شهدت عليه الجوارح بالشرك
يقول الله لخزنة جهنم:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾، اجمعوا يده
إلى عنقه.

﴿ثُمَّ لَنُخَسِّمَنَّ لَهُ﴾، أي أدخلوه
الجحيم.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾
فَأَنفَلُوهُ، فأدخلوه فيها. قال ابن
عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك،
فتدخل في دبره تخرج من منخره.

وقيل: تدخل في فيه وتخرج من
دبره. وقال نوف البكالي: سبعون
ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً، كل باع
أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في
رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع
سبعون ذراعاً. وقال الحسن: الله
أعلم أي ذراع هو.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر
محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو

الحسن محمد بن يعقوب الكسائي،
أنا عبدالله بن محمود، ثنا أبو
إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال،
ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن
يزيد عن أبي السمع، عن عيسى بن
هلال الصدفي، عن عبدالله بن
عمرو بن الحاص قال: قال
رسول الله ﷺ: «لو أن روضة مثل
هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة
أرسلت من السماء إلى الأرض وهي
مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض
قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس
السلسلة التي ذكرها الله في القرآن
لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار.
قبل أن تبلغ أصلها» أو قرعها.

وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ﴾ - ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ،
لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر
أهله بذلك.

﴿قُلِّبَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا مِثْمًا﴾ ﴿٢٥﴾
قريب ينفعه ويشفع له.

﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَنِينٍ﴾،
وهو صديد أهل النار مأخوذ من
الفصل، كأنه غسالة جروحهم
وقروحهم. قال الضحاك والربيع:
هو شجر يأكله أهل النار.

(٢٧) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾، أي الكافرون.

﴿فَلَا أَقِيمُ﴾، ﴿وَلَا رَدْ﴾
 لكلام المشركين كأنه قال: ليس كما
 يقول المشركون أقسم، ﴿بِمَا تَرُونَ
 تُبَيِّرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَا تُبَيِّرُونَ﴾ أي بما ترون
 وبما لا ترون. قال قتادة: أقسم
 بالأمشياء كلها فيدخل فيه جميع

المكونات والموجودات.
وقال: أقسم بالدنيا
والآخرة. وقيل: ما
تبصرون ما على وجه
الأرض وما لا تبصرون ما
في بطنها. وقيل: ما
تبصرون من الأجسام وما
لا تبصرون من الأرواح.
وقيل: ما تبصرون:
الإنس وما لا تبصرون:
الملائكة والجن. وقيل:
النعم الظاهرة والباطنة.
وقيل: ما تبصرون ما
أظهر الله للملائكة والروح
والقلم، وما لا تبصرون ما
استأثر بعلمه فلم يطلع
عليه أحد.

﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن، ﴿لَتَوَلَّى﴾
رَسُولٌ كَرِيمٌ، أي تلاوة رسول كريم
يعني محمداً ﷺ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْتَوْنَ﴾ ﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿وَلَا يَقُولُ كَمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَيُؤْمِنُونَ وَيُذَكِّرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿بِالْقَلِيلِ نَفِي إِيْمَانِهِمْ أَصْلًا كَقَوْلِكَ لَمَنْ لَا يَزُورُكَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿قَلَمَّا تَاتَيْنَا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَأَنْتَ تَرِيدُ لَا تَاتِيْنَا أَصْلًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿نَزَّلَ مِنَ رَبِّكَ الْحَكِيمَ﴾
﴿لَوْ نَفَقُوا﴾، ﴿تَخْرُصُ﴾ و﴿اخْتَلَقُ﴾،
﴿عَلَيْنَا﴾، ﴿مُحَمَّدُ﴾، ﴿بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾،
وَأَتَى بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

(١٩) ﴿لَا تَقْرَأُ مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، قيل
﴿من﴾ صلة، مجازة، لأخذه
وانتقمنا منه باليمين أي بالحق،
كقوله: ﴿كُنتُمْ تَأْمُرُونَا عَنِ الْيَمِينِ﴾

قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَرِثَاسُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا يَبْتَغُونَ كَيْدًا فِي الْيَوْمِ الْمُنِيِّ ﴿١٠٠﴾ فَلَا تَقِمْ لِلْمَلِكِ مَا تَشَاءُونَ فِي الْبِلَادِ أُولَئِكَ ثُبُورٌ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا الْقَوْلُ مِنْكُمْ لِدَعَائِكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَا يَقُولُ كَافِرٌ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ ﴿١٠٣﴾ نَزَلَ مِنْ رَبِّهِ الْغَلِيظُ ﴿١٠٤﴾ وَلَوْ قَوْلَ غَائِبَةٍ مِنَ الْقَوْمِ لَكُنَّا عَالِمُونَ ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ تَلَفَتْهَا حَتَّىٰ إِنْ أَهْلَكْنَاهَا لَتَكُونَنَّ بِدُونِ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا تَلَفَتْ أَكْثَرُ الْأَنْفُسِ أَهْلَكْنَاهَا إِنَّهَا كَانَتْ بِدُونِ ﴿١٠٧﴾ وَإِنَّمَا تَلَفَتْ أَكْثَرُ الْأَنْفُسِ أَهْلَكْنَاهَا إِنَّهَا كَانَتْ بِدُونِ ﴿١٠٨﴾ وَإِنَّمَا تَلَفَتْ أَكْثَرُ الْأَنْفُسِ أَهْلَكْنَاهَا إِنَّهَا كَانَتْ بِدُونِ ﴿١٠٩﴾ وَإِنَّمَا تَلَفَتْ أَكْثَرُ الْأَنْفُسِ أَهْلَكْنَاهَا إِنَّهَا كَانَتْ بِدُونِ ﴿١١٠﴾

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَّا سَأَلَ يَصْدُورِ نَاقِرٌ ۝ الْكَافِرِينَ أَتَسْلَمُونَ نَاقِرٌ ۝ وَتَقُولُ أُولَئِكَ الْمَسَاجِدُ ۝ تَبْتَغِ السَّلَامَةَ وَالْزُكُوفَ وَالْزُكُوفَ ۝ يَوْمَ كَانَ مَقْدَرُهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاتَّخَذُوا مَذَاجِيحًا ۝ إِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَا كَانُوا يُفْعَلُونَ ۝ وَفَرَّقَهُمْ فِيمَا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّلِيلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا تَقْصِلُ جُودُ حُمَيْمًا ۝

٥٦٨

[الصفات: ٢٨]، أي: من قبل الحق. وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة. قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن.

إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين
أي بالقوة عبر عن القوة باليمين،
لأن قوة كل شيء في يمينه. وقيل:
معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل
معناه: لأذلناه، وأهاناه، كالسلطان
إذا أراد الاستخفاف ببعض من يريد،
يقول لبعض أعيانه: خذ بيده فأقمه.

﴿ثُمَّ لَقْنَاهُ فِيهِ السُّوءَ﴾، قال أبو عباس: أي نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين: وقال مجاهد: الجبل الذي في الظهر. وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَلِفٍ حَةٍ﴾
حَاجِرِينَ ﴿﴾، مَا مَعِينٍ يَحْجِزُونَنَا عَنْ

عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: «حاجزين» بالجمع هو فعل واحد رداً على معناه كقوله: «لَا تَقْرُؤْ بِرَبِّكَ أَحَدٌ مِنْ رُسُلِهِ» [البقرة: ٢٨٥].

﴿وَالَّذِينَ﴾، يعني القرآن، «لَذَكَرُوا لِلنَّاسِ»، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ «وَأَنَّا لَمَعَدٌ أَنَّ يَنْكُرُ مُكْذِبِينَ» وَالَّذِينَ لَحَرَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

﴿٥١﴾ «وَالَّذِينَ لَحِقَ الْبَئِيسَ»، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿٥٢﴾ «مَسَّحَ بِإِيمٍ رَبِّكَ الْغَاطِرَ».

سورة المعارج

مكية [وهي أربع وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ «سَأَلَ سَائِلٌ»، قرأ أهل المدينة والشام «سأل» بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقول: سأل يسأل مثل خاف يخاف، يعني سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها ألفاً. وقيل: هو من السيل، وسأل واد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: «مَذَابٍ»، قيل: هي بمعنى

«عن» كقوله: «مَسَّحَ بِإِيمٍ خَيْرٌ» [الفرقان: ٥٩] أي عنه خبيراً، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب «وَالْقَائِمِ»، نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب.

﴿٢﴾ فقال الله مبيناً مجيباً لذلك السائل: «لِلْكَافِرِينَ»، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً فسألوه فأنزل الله: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ» أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة. وقيل: الباء صلة ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين، أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: «اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» [الأنفال: ٣٢]، الآية، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً. وهذا قول ابن عباس ومجاهد: «كَيْسَ لَرٍّ» أي للعذاب «دَافِعٍ» أي مانع.

﴿٣﴾ «مِنْ أَوَّلَى الْمَعَارجِ»، قال ابن عباس: أي ذي السموات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة.

﴿٤﴾ «مَسَّحَ الْمَلَكُكُهُ»، قرأ الكسائي «يعرج» بالياء، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الآخرون «مَسَّحَ» بالتاء، «وَالرُّبُوبِ»، يعني جبريل عليه السلام، «إِلَيْهِ» أي إلى الله عز وجل: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، من سني الدنيا لو صعد


غير الملك وذلك أنها تصعد منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة، لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة. وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسون ألف سنة. وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة. وقال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضاً: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، ليس يعني به مقدار طوله هذا دون غيره لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعاً. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، ثنا عبدالله بن سعيد، ثنا أسد بن موسى، ثنا ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» فما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا».

دأبها. وقال قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه. وقال أبو العالية: لمحاسن وجهه. وقال ابن جرير: الشوى جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمى فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل.

(٧) ﴿تَدْعُوا﴾، النار إلى نفسها،
﴿مَنْ أَذْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَرَوَّلَا﴾،
عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا
منافق إلي إلي. قال ابن عباس:
تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم
بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط
الطير الحب. حكى عن الخليل. أنه
قال: تدعو أي تعذب. وقال: قال
أعرابي لآخر: دعاك الله أي
عذبك الله.

﴿وَجَمْعٌ﴾، أي جمع المال،
﴿فَأَرْعَى﴾، أمسكه في الوعاء ولم يؤد
حق الله منه.


 ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾
 روى السدي عن أبي صالح عن ابن
 عباس قال: الهلوع الحريص على ما
 لا يحل له. وقال سعيد بن جبیر:
 شحيحاً. وقال عكرمة: ضجوراً.
 وقال الضحاك والحسن: بخيلاً.
 وقال قتادة: جزوعاً. وقال مقاتل:
 ضيق القلب. والهلوع: شدة
 الحرص، وقلة الصبر. وقال عطية
 عن ابن عباس: تفسيره ما بعده.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ مُنُوعًا﴾، يعني إذا أصابه الفقر لم يصير، وإذا أصاب المال لم ينفق. قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره، ثم تعبد به

﴿٢٢﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبه بن عامر عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أهم الذين يصلون أبدا؟ قال: لا ولكنهم إذا صلوا لم يلفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا خلفهم.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ

تَمَلُّوْهُ لِسَالِيَٖلٍ وَٱلْمَحْرُوْمِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ

يُضِلُّوْنَ سُبُوْهُ ٱلْأَيْلِیُّ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ شَافِقُونَ﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَرِ

بٌ مَّاوٍنٌ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ

غَيْرُ مُلَوِّمِينَ﴾ ﴿فَمَن أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَسْتِمَارٍ وَعَدِيدٍ

رَّعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ ، قَرَأَ

حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبُ

بشهاداتهم على الجمع ، وقَرَأَ

الْآخَرُونَ بشهاداتهم على التوحيد .

﴿قَائِمُونَ﴾ أَي يَقُومُونَ فِيهَا بِٱلْحَقِّ وَلَا

يَكْتُمُونَهَا وَلَا يَغَيِّرُونَهَا .

﴿۲۴﴾ - ﴿۲۵﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي فما بال الذين كفروا، قفوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُثْرِينَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿فَبِكَمْ مُطْغِينَ﴾، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزؤون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّهِ﴾،
 حلقاً وفرقاً، العزّون: جماعات في
 تفرقة واحدها عزة.

﴿أُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ
يَدْخُلَ جَنَّةَ نَبِيِّ﴾، قال ابن عباس:
معناه أطمع كل رجل منهم أن يدخل
جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم
فيها وقد كذب نبي؟

﴿كَلَّا﴾، لا يدخلونها، ثم
ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا
يَمْلِكُونَ﴾، أي من نطفة ثم من علقه
ثم من مضغة، نبه الناس على أنهم
خلقوا من أصل واحد وإنما
يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان
والطاعة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم
الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن
إبراهيم الثعلبي أخبرنا الحسين بن
محمد بن فنجدويه، ثنا موسى بن
محمد بن علي، ثنا جعفر بن محمد
القرطبي، ثنا صفوان بن صالح، ثنا
الوليد بن مسلم، ثنا جرير بن عثمان

الرحي، عن عبدالرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بشر بن جحاش قال: قال النبي ﷺ ويصق يوماً في كفه ووضع عليها إصبعه فقال: يقول الله عز وجل «ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، والأرض منك ويؤيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق، وأنى أوان الصدقة؟»

وقيل: معناه إنا خلقناهم من أجل ما يعملون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب. وقيل: «ما» بمعنى «من»، مجازة: إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّي الشَّرَفَ وَالْعَرْبَ﴾، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه، ﴿إِنَّا لَنَدِيرُهُمْ﴾ عطف أن نبذل حياً بينهم، على أن نخلق أمثال منهم وأطوع لله [ورسوله]، ﴿وَمَا نَحْنُ بِسَبُوقِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿فَلَنَذَرُهُمْ يَمُوتُوا﴾، فسي باطلهم، ﴿وَلَنَمُوتَا﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوعَدُونَ﴾، تسختها آية القتال.

﴿٤٨﴾ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَذْدَانِ﴾، أي القبور، ﴿يَرَكَا﴾، إلى إجابة الداعي، ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ﴾، قرأ ابن عامر وحفص «نصب» بضم النون والصاد، وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نصب عيني. وقال الكلبي: إلى علم وراية. ومن قرأ بالضم. قال مقاتل والكسائي:

يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. [كقوله: ﴿وَمَا دُحِجَ عَلَى النَّصَبِ﴾] [المائدة: ٣] قال الحسن: يسرعون إليها أيهم يستلمها أولاً. ﴿يُوفُونَ﴾، أي يسرعون.

﴿٤٩﴾ ﴿خَشِمَةً﴾، ذليلة خاضعة ﴿أَصْرَمُ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ﴾، يغشاهم هوان، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة.

سورة نوح

مكية [وهي ثمان وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ، بِأَن أُنذِرَ قَوْمَكَ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ آيَةٍ﴾، المعنى: إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿٢﴾ ﴿قَالَ يَنْفِرُونَ بِي لَكَ نَذِيرٌ شَيْنٌ﴾، أنذركم وأبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، «من» صلة أي يغفر لكم ذنوبكم. وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أن يعاقبكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم، ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا

﴿٥﴾ ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّي الشَّرَفَ وَالْعَرْبَ إِنَّا لَنَدِيرُهُمْ﴾ ﴿وَمَا نَحْنُ بِسَبُوقِينَ﴾ ﴿فَلَنَذَرُهُمْ يَمُوتُوا وَلَنَمُوتَا﴾ ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوعَدُونَ﴾ ﴿خَشِمَةً أَصْرَمُ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَذْدَانِ﴾ ﴿يَرَكَا﴾ ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ﴾ ﴿وَحَفْصُ النَّوْنِ وَالصَّادِ﴾ ﴿وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ النَّوْنِ وَسُكُونِ الصَّادِ﴾ ﴿يَعْنُونَ إِلَى شَيْءٍ مِّنْصُوبٍ﴾ ﴿يَقَالُ: فَلَانِ نَصَبٌ عَيْنِي﴾ ﴿وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: إِلَى عِلْمٍ وَرَايَةٍ وَمِنْ قَرَأَ بِالضَّمِّ﴾ ﴿قَالَ مِقَاتٌ وَالْكَسَائِيُّ:

يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، يقول آخروا قبل الموت، تسلموا من العذاب، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾، نفاراً وإدباراً عن الإيمان والحق.

﴿٧﴾ ﴿وَإِنِّي كُنَّا دَعْوَهُمْ﴾، إلى الإيمان بك، ﴿لِنَغْفِرَ لَهُمْ جَمَلًا أَسْعَفَ مَا كَانُوا﴾، لشلا يسمعوا دعوتي، ﴿وَأَسْتَفْتُوا يَا نَاهِيَهُمْ﴾، غطوا بها وجوههم لشلا يروني، ﴿وَأَمَرُوا﴾، على كفرهم. ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾، عن الإيمان بك، ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، معلناً بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

﴿٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَفْتُ لَهُمْ﴾، أي كررت

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ يَرْكَبُهَا﴾، مصباحاً مضياً.

﴿٧﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنْتَبَهُ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم، خلقه من الأرض، والناس ولده، قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ اسم جعل في موضع المصدر أي إنباتاً، قال الخليل: مجازة فنبته نباتاً.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ يُبْدِئُ فِيهَا﴾، بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾، منها يوم البعث أحياء، ﴿إِخْرَاجًا﴾.

﴿٩﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ يَسَاطًا﴾، فرشها وسطها لكم.

﴿١٠﴾ ﴿لَتَشْكُرُوا مِنَّا سُبُلًا فَيَجْعَلُهَا طَرَقًا وَسَاعَةً﴾.

﴿١١﴾ ﴿قَالَ نُوْحٌ رَبِّ إِنِّي نَدُّنُكَ﴾، يعني لم يجيبوا دعوتي، ﴿وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي ذُرِّيَّةً مَالِكَةً وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَتَنُوكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزددهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

﴿١٢﴾ ﴿وَنَكَّرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، أي كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكبار، بالتخفيف، وكبار بالتشديد، شدد للمبالغة، وكلها بمعنى واحد، كما يقال: أمر عجيب وعجائب وعجائب بالتشديد هو أشد في المبالغة. واختلفوا في مكرهم. وقال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً. وقال الضحاك: افترخوا على الله [كذباً] وكذبوا رسله. وقيل: منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرصوهم على قتله.

﴿١٣﴾ ﴿قَالُوا﴾، لهم ﴿لَا تَذَرُنَا الْهَيْكَلَ﴾، أي لا تتركوا عبادتها،

بها القطر، ثم قرأ: ﴿فَنَنْتَقِلُ﴾ استغفروا ربكم إنكم كنتم عفاكم ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يَدْرَارًا﴾.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَيُنَزِّلُ دَرَرًا﴾، قال عطاء: يكثر أموالكم وأولادكم، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّتَيْنِ﴾، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، قال ابن عباس: ومجاهد: لا ترون الله عظمة. وقال سعيد بن جبير: مالكم لا تعظمون الله حق عظمته. وقال الكلبي: لا تخافون الله حق عظمته، والرجاء:

بمعنى الخوف، والوقار: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم. قال الحسن: لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً.

﴿١٦﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَمْوَالَكُمْ﴾، تارات، حالاً بعد حال، نطفة ثم علقه ثم مضغة إلى تمام الخلق.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كما يقال أثبت بني تميم، وإنما أتى بعضهم، وفلان متوار في دور بني فلان وإنما هو في دار واحدة. وقال عبدالله بن عمرو: إن الشمس والقمر وجوههما إلى السموات وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما إلى الأرض. ويروى هذا عن ابن عباس.

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يَدْرَارًا ﴿١٤﴾ وَيُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿١٥﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿١٦﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿١٧﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿١٨﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿١٩﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿٢٠﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿٢١﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿٢٢﴾ وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا وَمِمَّا يُنَزِّلُ دَرَرًا ﴿٢٣﴾

الدعاء معلناً، ﴿وَأَنْشَرْتُمْ لَهُمْ إِبْرَاهِيمًا﴾، قال ابن عباس: يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرّاً ببني وبينه، أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿فَنَنْتَقِلُ﴾ استغفروا ربكم إنكم كنتم تكذبون، وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسايتهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواسيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدراراً. وروى مطرف عن الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما الغيث بمجاذيب السماء التي يستنزل

في الأرض فيذهب وينجي، أصله من الدوران، وقال القتيبي: إن أصله من الدار، أي نازل دار.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾، قال ابن عباس، والكلبي، ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنه، فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾، قال محمد بن كعب ومقاتل، والربيع، وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأببس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة، وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَدْ نُوحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَفْرَقْتَهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال.

﴿رَبِّ أَفْقَرُ لِي وَلَوْلَاكَ﴾، واسم أبيه لمك بن متوشلخ، واسم أمه سمحاء بنت أنوش، وكانا مؤمنين، وقيل: اسمها هيجل بنت لاموش بن متوشلخ فكانت بنت عمه ﴿وَلَمَّا دَخَلَ بُيُوتَهُ﴾، داري، ﴿مُؤْمِنًا﴾، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفيتني. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل، ﴿وَلَا يُزِيذُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾، هلاكاً ودماراً فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم [عن آخرهم].

الشیطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت.

وروي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطعمها التراب، فلم تنزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام آخر، فاللات كانت لشقيف، والعزى لسليم وغطفان وجشم، ومناة لقديد، وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة.

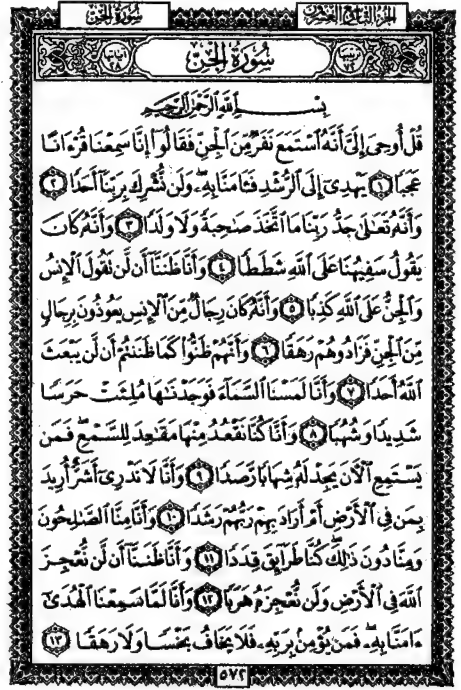
﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل: ﴿رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال مقاتل: أضل كبرائهم كثيراً من الناس. ﴿وَلَا يُزِيذُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾، أي من خطبائهم، و﴿مَّا﴾ صلة، وقرأ أبو عمر و﴿خطبايهم﴾ وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أَفْرَقُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَأَذِلُّوا نَارًا﴾، قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فادخلوا ناراً في الآخرة، ﴿فَلَمَّا يَجِدُوا أَنَّهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَادًا﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِّنَ الْكَافِرِينَ دَيْبَارًا﴾، أحداً يدور

﴿وَلَا تَذَرْنِي وَدًا﴾، قرأ أهل المدينة [وداً] بضم الواو والياقون بفتحها، ﴿وَلَا سَوَآءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، هذه أسماء ألهمتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح [تُعبد] في العرب بعده، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يَغُوث فكانت لمراد ثم لبني غطف بالجرف عند سبأ، وأما يَعُوق فكانت لهمدان، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ذكره في تفسيره. وروي سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قوله تعالى: ولا تذرني ودًا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً قال: كانت وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى



سورة الجن

مكية [وهي ثمان وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾
 ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾، وكانوا تسعة من جنّ نصيبين. وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف [٢٩] ﴿فَقَالُوا﴾، لما رجعوا إلى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرُونًا عَمَّا جَاءَ﴾، قال ابن عباس: بليغاً، أي قرآنًا ذا عجب يعجب منه بلابغته.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿فَقَامُوا بِهِ وَكَنَّ شِرْكَهٖ بَيْنَنَا وَبَيْنَ آدَمَ﴾.

﴿وَأَنَّهُ قَتَلُوا جَدَّ رَبِّنَا﴾، قرا أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم ﴿وَأَنَّهُ قَتَلَهُ﴾ بفتح الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وقرا الآخرون

بكرهم، وفتح أبو جعفر منها ﴿وأنه﴾ وهو ما كان مردوداً على الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجن، والاختيار كسر الكل لأنه من قول الجن لقومهم، فهو معطوف على قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرُونًا عَمَّا جَاءَ﴾، وقالوا: ﴿وَأَنَّهُ قَتَلَ﴾ ومن فتح [رده] على قوله: ﴿فَقَامُوا بِهِ﴾، وآنا بكل ذلك، ففتح ﴿أن﴾ لوقوع الإيمان عليه، ﴿جَدَّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال:

جد الرجل، أي عظم، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: ﴿جَدَّ رَبِّنَا﴾ أي أمر ربنا: وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرطبي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿مَا أَخَذَ مَنَاجِيَهُ وَلَا وَلَدًا﴾، قيل: تعالى جلّ جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولداً.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُ شَطَطًا﴾، كذباً وعدواناً وهو وصفه بالشريك والولد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، حسبنا، ﴿أَن لَّنْ نَّقُولَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾، قرأ يعقوب

﴿تَقُولُ﴾ بفتح الواو وتشديدها ﴿عَلَىٰ أَنَّهُ كَذِبًا﴾، أي كنا نظنهم في قولهم إن الله صاحبة ولداً حتى سمعنا القرآن.

﴿قَالَ اللَّهُ﴾^١ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَكُنَّ مِنَ الْإِنسِ يُوَدُّونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْغَيْبِ﴾، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في أرض قفرة قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أسحاق المروزي حدثنا موسى بن سعيد النعمان بن بطرسوس، ثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، ثنا القاسم بن مالك عن عبدالرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي سائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى متاد لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله فأنى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَكُنَّ مِنَ الْإِنسِ يُوَدُّونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْغَيْبِ﴾، يعني زاد الإنس والجن باستعاذتهم بقادتهم، ﴿وَهُمَا﴾، قال ابن عباس: إثماً، وقال مجاهد:

طفغياناً. وقال مقاتل: غياً. قال الحسن: شراً. قال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طفغياناً، يقولون: سدنا الجن والإنس، والرهق في كلا العرب الإثم وغشيان المحارم.

﴿وَأَنْتُمْ ظَنُّوا﴾، يقول الله تعالى إن الجن ظنوا، ﴿كَا ظَنُّهُمْ﴾، يا معشر الكفار من الإنس، ﴿أَنْ كُنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، بعد موته.

﴿وَأَنَّا﴾، يقول الجن، ﴿لَسْنَا السَّمَكُ﴾، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿فَوَجَدْنَاهَا غُطَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾، من الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾، من النجوم.

﴿وَأَنَّا كَمَا تَنفَّذُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ﴾، مَنفَّذٌ لِلسَّمَاءِ، أي كنا نستمع، ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾، أرصد له ليرمي به، قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلاً ثم قالوا:

﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾، برمي الشهب، ﴿أَمْ أَرَادَ يَوْمَ نَزَّلَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمَنَّانُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾، دون الصالحين. ﴿كَمَا طَرَفَ فِي ذِكْرِكَ﴾، أي جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قدداً إذا اختلفت خالاتهم، وأصلها من القد وهو القطع، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: ذوو أهواء

مختلفة. وقال الحسن والسدي: الجن أمثالكم فمنهم قديرية ومرجثة ورافضة. وقال ابن كيسان: شيعاً ورفراً لكل فرقة هوى كاهواء الناس.

وقال سعيد بن جبير: ألواناً شتى. وقال أبو عبيدة: أصنافاً.

﴿وَأَنَّا ظَنَّا﴾، علمنا وأيقنا، ﴿أَنْ كُنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لن نفوته إن أراد بنا أمراً، ﴿وَكُنْ تُعْجِزُهُ هَرَبًا﴾، إن طلبنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى﴾، القرآن وما أتى به محمد، ﴿ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمَرْ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِخَسَا﴾، نقصاناً من عمله وثوابه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾، ظمناً. وقيل: مكروهاً يغشاه.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الجائرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله نداً، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الذين كفروا، ﴿فَكَانُوا لِبَهْمٍ حُطَّاءَ﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة.

﴿ثُمَّ رَجِعَ إِلَى كِفَارِ مَكَّةَ فَقَالَ﴾: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٦﴾ وَأَلَوْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ يَنْبَغُ فِيهِ وَمَنْ يَرْضَعْنِ ذِكْرِيهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْ تَرَوْا فَقُلُوا رَبُّكُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ الْحَمْدُ ﴿١٩﴾ وَأَنْتُمْ كَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٣﴾ لَوْلَا بَلَاغُ مِنَ اللَّهِ وَرُسُلُهُ وَمَنْ يَخُفِ اللَّهَ وَرُسُلَهُ فَلَنْ لَهُ مَنَازِلُ جَنَّاتٍ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٤﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا بُعْدَ النَّجْمِ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرٍ وَأَكْبَرٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنِّي أَدْرَأْتُ أَقْرَبَ مَا تَوْعَدُونَ أَقْرَبَ بِحَقِّ رَبِّي أَنِّي أَصْبَأُ عَلَيْهِمْ ﴿٢٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٢٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٢٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٣٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٤٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٦٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٧٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٨٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٤﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٦﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٧﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٨﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿٩٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَأْسِهِ لَخَبِثَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ ﴿١٠٠﴾

على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا﴾، كثيراً، قال مقاتل: وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيراً وعيشاً رغداً، وضرب الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُوا فِي جَنَّاتٍ﴾ [المائدة: ٦٦]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَقْبَرُوا لَفُتِحْنَا عَنْهُمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿٧﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَنْبَغُ فِيهِ﴾، أي لاختيرهم كيف شكرهم فيما حُولُوا. وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن. وقال آخرون: معناها وأن لو

استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيراً ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه، عقوبة لهم واستدراجاً حتى يفتنوا بها فعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: ﴿فَلَمَّا شَاءَ مَا دُعُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية. ﴿وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب «يسلكه» بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، أي ندخله، ﴿هَذَا صَعَدَا﴾، قال ابن عباس: شاقاً، والمعنى ذا صعد، أي ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال النحس: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبیر: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد وأن نشهد معك الصلاة ونحن نأوون؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾. وروي عن سعيد بن جبیر أيضاً: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان

والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أنا [أبو] عبدالله محمد بن يعقوب، ثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالوا: ثنا معلى بن أسد، ثنا وهيب، عن عبدالله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة - وأشار بيده إليها -، واليدين والركبتين، وأطراف القدمين، ولا أكف الثوب ولا الشعر».

فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة، فواحدها مسجد، بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.

﴿وَأَنَّهُ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، يعني النبي ﷺ، ﴿يَدْعُوهُ﴾، يعني يعبد ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿كَادُوا﴾، يعني الجن، ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبیر عنه، هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقاتدة وابن زيد: يعني لما

قام عبدالله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليطلبوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر وينصره على من ناواه. وقرأ هشام عن ابن عامر «لبدأ» بضم اللام، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ أبو جعفر وعاصم وحزمة «قل» على الأمر، وقرأ الآخرون «قال» يعني رسول الله ﷺ: «إنما أدعوا ربِّي»، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجريك، فقال لهم: «إنما أدعوا ربِّي»، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾، لا أقدر أن أدفع عنكم ضرراً، ﴿وَلَا رَحْداً﴾، أي لا أسوق لكم أو إليكم رشداً، أي خيراً يعني أن الله يملكه.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، لن يمنعني منه أحد إن عصيته. ﴿وَلَنْ أَيْدِي دُونِهِ تُلْطَحْنَ﴾، ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزاً. وقال الكلبي: مدخلاً في الأرض مثل السرب.

﴿وَلَا يُلْقَا مِنَّا اللَّهُ وَرِسَالَتِي﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله



صورة ملك أخبروه بأنه
شيطان، فاحذره وإذا جاءه
ملك قالوا له: هذا رسول
ربك.

﴿١٨﴾ لَعَلَّكُمْ، قرا
يعقوب ليعلم بضم الياء أي
ليعلم الناس، ﴿أَنْ﴾
الرسول، ﴿قَدْ أَتَيْنَا﴾، قرا
الآخرون بفتح الياء أي
ليعلم الرسول أن الملائكة
قد أبلغوا، ﴿رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾
ولما لم يما لديهم، أي
علم الله ما عند الرسل فلم
يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَى﴾
كل شيء عدداً، قال ابن

وتوفيقه. وقيل: لا أملك لكم ضراً
ولا رشداً لكن أبلغ بلاغاً من الله
فإنما، أنا مرسل به لا أملك إلا ما
ملكته. ﴿وَمَنْ يَسِرْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾،
ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ﴾
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً.

﴿٢٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ،
يعني العذاب يوم القيامة،
﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، عند نزول العذاب،
﴿مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، أهم
أم المؤمنون.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنْ أَرَدْتُ، أي
ما أدري، ﴿أَقْرِبُ مَا يُوعَدُونَ﴾، من
العذاب وقيل يوم القيامة، ﴿أَمْ يَجْعَلُ﴾
لَهُمْ رَوْقًا أَمْدًا أجلاً وغاية تطول
مدتها يعني: أن علم وقت العذاب
غيب لا يعلمه إلا الله ﴿عَلِيمٌ﴾
الغيب رفع على نعت، قوله
﴿رَبِّي﴾، وقيل: عالم الغيب: ﴿فَلَا﴾
يُظْهِرُ، لا يطلع، ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَمَدًا﴾
إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ، إلا من
يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء
من الغيب لأنه يستدل على نبوته
بالآية المعجزة بأن نخبر عن الغيب،
﴿فَإِنَّكُمْ يَسْأَلُكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾،
ذكر بعض الجهات دلالة على
جميعها ﴿رَصَدًا﴾ أي يجعل بين يديه
وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه
من الشياطين أن يسترقوا السمع،
ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا
إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره:
كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس
في صورة ملك يخبره فيبعث الله من
بين يديه ومن خلفه رصداً من
الملائكة يحرسونه ويترددون
الشياطين، فإذا جاءه شيطان في

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾، أي
للصلاة، ﴿لَا يَلْبِثُونَ﴾، وكان قيام
الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره
فقال: ﴿يَضَعُ أَوْ أَتَىٰ مِنْهُ قِيْلًا﴾،
إلى الثلث.

﴿٢٩﴾ ﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ﴾، على النصف
إلى الثلثين، خيره بين هذه النصف
فكان التي وأصحابه يقومون
على هذه المقادير، وكان الرجل لا
يدري متى ثلث الليل ومتى النصف
ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح
مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب،
واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت
أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم
ونسخها بقوله: ﴿فَلَقَدْ وَفَّيْنَاكَ﴾
﴿الزَّيْلَ﴾، فكان بين أول
السورة وآخرها سنة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي، أنا أبو نعيم

عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد
ما خلق فلم يفته علم شيء حتى
مشا قبل الدر والخرول، ونصب
﴿عدداً﴾ على الحال، وإن شئت على
المصدر، أي عد عدداً.

سورة المزمّل

مكية [وهي عشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ، أي الملتف
بثوبه، وأصله المزمّل أدغمت التاء
في الزاي، ومثله المدثر أدغمت التاء
في الدال، يقال: تزمّل وتذرثر بثوبه
إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا
أيها النائم قم فصل. قال الحكماء:
كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول
الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خطب
بعد بالنبي والرسول.

عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا يحيى بن بشير، ثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة، ثنا قتادة، عن زبارة بن أبي أوفى، عن سعيد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ، فقلت: أليس تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قلت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قالت: أليس تقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمُ﴾؟ قلت: بلى قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة.

قال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ رَتِيلًا﴾، قال ابن عباس: بينه بياناً. قال الحسن: أقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلاً. قال قتادة: تثبت فيه تثبتاً. وعن ابن عباس أيضاً: أقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن عاصم، ثنا همام عن قتادة قال:

سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مذكراً مذكراً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا شعبة، ثنا عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، قال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذا الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين من آل حاميم في كل ركعة.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد مثويه، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتبه إليّ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي، ثنا زيد بن أكرم، ثنا محمد بن الفضل، ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: لا تنتروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مثويه، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إليّ، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى،

ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، ثنا ابن المبارك، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبيد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر والأسود والأبيض اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو بكر محمد بن نافع البصري، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن إسماعيل بن مسلم العبدى عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة.

ورواه أبو ذر، قال: قام النبي ﷺ ليلة حتى أصبح بآية، الآية: ﴿إِنْ مَدَّيْتُمْ فَأَمْرُهُمْ صَبَاحٌ بَأْسُهُمْ تَفَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيبُ الْمُحْكَمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿إِنَّا سَتَلْنَا عَلَىكَ قَوْلًا قَبِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديداً. قال الحسن: إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقیل. قال

قتادة: ثقيلاً هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقیل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالية: ثقیل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقیل على المنافقين. قال الحسين بن الفضل: قولاً خفيفاً على اللسان ثقیلاً في الميزان. قال الفراء: ثقیل ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. قال ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهذا أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتصد عرقاً.

① قوله عز وجل: ﴿إِنْ نَاشِئَةً أَلَيْلٌ﴾، أي ساعته كلها وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة إذا بدت وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله

ناشئة. وقال سعيد بن جبیر وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. يروى عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْناً﴾، قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «وطاء» بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطأة والموافقة، يقال: وطأت فلاناً مواطأة ووطئاً، إذا وافقته، وذلك أن مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار. وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء، أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة.

ومنه قوله ﷺ: «اللهم اشدّ وطأتك على مضر».

وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ، يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة. وقال الفراء: أثبت قياماً أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار خلق لتصرف العبادة،

والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشد نشاطاً. وقال ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار لأنه لا تعرض له حوائج. وقال الحسن: أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطان. ﴿وَأَقْرَبُ قِيلاً﴾، وأصوب قراءة وأصح قولاً لهذه الأسماء وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولاً بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب من عبادة النهار.

② ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾، أي تصرفاً وتقلباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء، وقيل: سبحاً طويلاً أي فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل، وقرأ يحيى بن يعمر «سبخاً» بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفاً للبدن.

منه قول النبي ﷺ لعائشة، وقد دعت على سارق: «لا تسبخي عنه بدعائك عليه»، أي لا تخففي.

③ ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَيْلًا﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿رَيْتَلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾، قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصاً. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته. وقال سفيان: توكل عليه توكلأ. وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته، وصدقة بته: أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتيل: تفعيل، منه يقال: تبتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه

وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَقْضًى﴾، كائناً.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي آيات القرآن ﴿تَذَكُّرٌ﴾، تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْكَ رِيبَهُ سَبِيلًا﴾، بالإيمان والطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْغَىٰ﴾، أقل من، ﴿تَلْوِي أَيْلٍ وَتَضَعُ رُكْلَيْكَ﴾، قرأ أهل مكة والكوفة ﴿وَتَضَعُ رُكْلَيْكَ﴾، بنصب الفاء والشاء وإشباع الهامين ضمّاً، أي وتقوم نصفه وثلكه وقرأ الآخرون بجر الفاء والشاء وأشباع الهامين كسراً، عطفاً على ثلثي، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا لَبَّىٰ رَبِّكَ مِنَ الْغَيْبِ﴾ يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْإِلَّ وَالتَّهْلُ﴾، قال عطاء: لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصِرُوهُ﴾، قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصِرُوهُ﴾ [أي]، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام، فقال ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصِرُوهُ﴾ لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿فَنَابَ عَلَيْكَ﴾، فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، ﴿فَاقْرَأْ مَا يَنْشُرُ مِنَ الْفَقْرَانِ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن أبي حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرف

تنفك أبداً واحدهما نكل. قال الكلبي: أغللاً من حديد، ﴿وَجَحِيماً﴾،

﴿وَلَعَلَّامًا ذَا عِصْمَةٍ﴾، غير سائغة يأخذ بالحق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضرع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيماً﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، أي تنزلزل وتتحرك، ﴿وَكُنَّتِ الْجِبَالُ كِبَاسًا فَهَالِكًا﴾، رملاً سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهار من أعلاه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ﴾ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ أَمْرًا رَبَّهُ فَأَغْنَتْهُ﴾ أخذاً وبيلاً، شديداً ثقيلاً، يعني عاقبته عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتكم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، شمطاً من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك.

﴿ثُمَّ وَصَفَ هَوْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ فقال: ﴿الْأَسْمَاءُ مُتَّفِقُونَ فِيهِ﴾، متشقق لنزول الملائكة به أي بذلك المكان.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْغَىٰ مِنَ الْإِلِّ وَتَضَعُ رُكْلَيْكَ وَطَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْإِلَّ وَالتَّهْلُ عَلَيَّ أَنْ لَنْ تُخْصِرُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا يَنْشُرُ مِنَ الْفَقْرَانِ إِنْ عَلِمَ أَنَّ سَبِيلَكَ مِنْكُمْ رَحْمَةٌ وَإِخْرَاجُ بَصَرِ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالْآخَرُونَ يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا يَنْشُرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ فَصَاحِبُوا وَاقْرَأُوا الْفَقْرَ كَرِيمًا خَيْرٌ مِمَّا يَخْتَارُونَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْفَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكَفَىٰ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٤﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَسْتَكْبِرْ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا تَفَرَّقْنَا فَأَنْفُوسٌ فَاذْكُرْ يَوْمَ يُدْعَىٰ عِبْرَةٌ ﴿٨﴾ فَذِكْرُ الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَذِيبٌ ﴿٩﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١١﴾ وَبَنِينَ مَثُودًا ﴿١٢﴾ وَنَهَدْتُ لَهُ مَتَاعًا ﴿١٣﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّكَ كَانْتَ لَافِي سَعْيٍ ﴿١٥﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُ سَعْيُكَ ﴿١٦﴾

نفسك، ولذلك قال: تبتلاً. قال ابن زيد: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

﴿زَبَّ لِلشَّرِّ وَالْقُرْبِ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص ﴿رب﴾ برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَنْتَ رَبَّكَ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ وَكَرَّ﴾، قِيَمًا بأمورك ففوضها إليه.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْبِطْهُمْ هَبْرًا جِيلًا﴾، نسختها آية القتال.

﴿وَذَرْنِي وَالْكَافِرِينَ أَزِلْ أَلْعَنُوا وَمَهْلِكُ قِيَلًا﴾، نزلت في صنديد المستهزئين. وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعمين بيد فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا بيد.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾، عندنا في الآخرة، ﴿أَنْكَلًا﴾، قيوداً عظاماً لا

أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله عز وجل يقول: فاقروا ما تيسر منه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عثمان بن أبي صالح، ثنا ابن لهيعة حدثني حميد بن مخراق، عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قطار من الأجر».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني القاسم بن زكريا، عن عبيد الله بن موسى، عن شيان، عن يحيى عن محمد بن عبدالرحمن مولى بني زهرة، عن أبي سلمة عن عبدالله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في عشرين ليلة»، قال قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك».

قوله عز وجل: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، «وَاللَّحُورُونَ يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، لا يطيقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما

رجل جلب شيئاً ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبدالله: «وَاللَّحُورُونَ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ تَحْتِ الْأُفُقِ وَاللَّحُورُونَ يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

«فَاقْرَءُوا مَا تَسَرَّعْتُمْ»، أي ما تيسر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّءُوا اللَّهَ قُرْآنًا حَسَنًا»، [قال ابن عباس]: يريد سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف. «وَمَا تَقْرَءُوا لَئِنْ تَوَخَّيْتُمْ تُعْجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ»، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتكم، «وَأَقِمْ زَكَاةً»، من الذي أخرتم، ولم تقدموه، ونصب «خَيْرٌ وَأَقِمْ» على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له في الإعراب.

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة، أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو خيثمة، ثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال عبدالله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله، قال:

«ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر». «وَأَسْتَفْهَرُوا اللَّهَ»، لئلا ينوبكم، «وَأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَحِيمٌ».



سورة المدثر

مكية [وهي ست وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»، قلت: يقولون: «اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الْكَلَامَ الَّذِي خَلَقَ» [العلق: ١]؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال لي جابر لا أحدثك إلا بما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواربي هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت من خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرايت شيئاً فأنيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: قدثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال فنزلت: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ رُدِّ قَلْبَكَ ۖ وَرَبِّكَ كَذِبٌ».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، عن عُقيل قال ابن شهاب: سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله قال: سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال: «فينا، أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري [قبل السماء] فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فخشيت منه رعباً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنُ قُورَيْشًا﴾ إلى قوله: ﴿فَاقْبُرْ﴾، قال أبو سلمة: والرجز الأوثان، ثم حمي الوحي بعد وتابع.

١ - قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنُ قُورَيْشًا﴾، أي أنذر كفار مكة.

٢ - ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان.

٣ - ﴿وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكنى عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

«واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أنقنع» والعرب تقول في وصف الرجل

بالصدق والوفاء إنه طاهر الثياب، وتقول لمن غدر إنه للنس الثياب، وقال أبي بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم، البسها وأنت برّ طاهر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر. وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسن. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم. وقال طاوس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها.

٤ - ﴿وَأَرْجُ فَاقْبُرْ﴾، قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء، وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان ومعناهما واحد. قال مجاهد وعكرمة وقاتة والزهري وابن زيد وأبو سلمة: المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فَاقْبُرُوا الرِّجْزَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم. وقال أبو العالية والربيع: الرجز، بضم الراء الصنم، وبالكسر النجاسة والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية

اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

٥ - ﴿وَلَا تَمَنَّ تَتَكَبَّرْ﴾، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسرين، قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة. قال الضحاك: هما ربهان من حلال وحرام، فأما الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالربا. قال قتادة: لا تعط شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا، يعني أعط لربك وأرد به الله. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكشره، قال الربيع: لا تكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خفيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: جبل متين إذا كان ضعيفاً دليله قراءة ابن مسعود ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَتَكَبَّرَ مِنَ الْخَيْرِ﴾، وقال ابن زيد معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً أو عرضاً من الدنيا.

٦ - ﴿وَرَبَّكَ فَاصْبِرْ﴾، قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أوديت فيه. وقال ابن زيد: معناه حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه الله عز وجل. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

٧ - ﴿إِنَّا نَبْرُ فِي الْتَأْوِيلِ﴾، أي نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني النفخة الثانية.

٨ - ﴿فَنفُخُ﴾، أي النفخ في

انصرف إلى منزله فقالت قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبون قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا، فقال له الوليد: مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك النفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنت تدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة لثقال من فضل. طعامهم، فغضب الوليد، فقال: ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالا وولداً، وهل شيع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَذْرٌ﴾ في محمد والقرآن ﴿وَقَدْ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

﴿ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾، لعن، وقال الزهري: عذب، ﴿كَيْفَ قَدْ﴾، على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ. ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدْ﴾، كرهه للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما قال لأضرته كيف صنع أي على أي حال صنع. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن ويرده. ﴿ثُمَّ عَسَىٰ وَهِيَ﴾، كلع وقطب وجهه فنظر بكرهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء. ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾، عن الإيمان، ﴿وَأَشْكَرَ﴾، تكبر حين دعى إليه. ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا﴾، ما هذا الذي يقرؤه محمد، ﴿إِلَّا نَجْرٌ يُفْتَرُ﴾، يروي ويحكي عن السحرة. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، يعني يساراً وجبراً فهو يآثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة. ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ﴾: ﴿سَأُفْلِحُ﴾، سأدخله، ﴿سَقَرٌ﴾، وسقر اسم من أسماء جهنم. ﴿وَمَا أَتَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ لا تبي ولا تذر، أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئاً إلا أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: لا تمتيت ولا تحيي يعني لا تبقي من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً كلما احترقوا جددوا. وقال السدي: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئاً وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا لجهنم.

﴿ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحة السقم والحزن إذا غيره، قال مجاهد: تلعف الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل. وقال ابن عباس: وزيد بن أسلم محرقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً نظيره قوله: ﴿وَوَرِثَ الْجَنَّةَ الْكَاوِثَ﴾ [الشعراء: ٩١]، و﴿ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾، رفع على نعت، ﴿سَقَرٌ﴾ في قوله: ﴿وَمَا أَتَاكَ مَا سَقَرٌ﴾، و﴿الْبَشَرِ﴾ جمع بشرة وجمع البشر أبقار. ﴿ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر، وجاء في الأثر: أعينهم كالبريق الخاطف، وأنبياهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبتي أحدهم مسيرة سنة، تُزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم. قال عمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أقيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد أسيد بن كلداء بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين.

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكي الأيمن وتسعة بمنكي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة.

﴿٢١﴾ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، لا رجالاً آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتْهُمْ فِي الْقُلَّةِ﴾، إلا فتنة للذين كفروا، أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا، ﴿لَيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل إنهم تسعة عشر، ﴿وَرَدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقاً بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم، ﴿وَلَا يَزَالُ﴾، لا يشك، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، في عددهم، ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِرَّةً﴾، شك ونفاق، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾، مشركو مكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، أي شيء أراد بهذا الحديث؟ وأراد بالمثل الحديث نفسه. ﴿كَذَلِكَ﴾، أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنَاتِهِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَهْدِي جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لنحمد أعوان إلا تسعة عشر؟ قال عطاء: ﴿وَمَا يَهْدِي جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال:

﴿وَمَا هِيَ﴾، يعني النار، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾، إلا تذكرة وموعظة للناس. ﴿٢٢﴾ ﴿كَلَّا وَالْقُرَى﴾، هذا قسم يقول حقاً.

﴿٢٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَذْبَحُوا﴾، قرأ نافع وحزمة وحفص ويعقوب ﴿إِذَا﴾ بغير ألف، ﴿أَذْبَحُوا﴾، بالألف، وقرأ الآخرون ﴿إِذَا﴾ بالألف، ﴿دَبَّرُوا﴾ بلا ألف، لأنه أشد موافقة لما يليه، وهو قوله: ﴿وَالصَّيْحُ إِذَا أَشْرَقَ﴾، ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه إذ وإنما بجانب الأقسام إذا وكلاهما لغة، يقال: دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهباً. قال أبو عمرو: دبر لغة قريش، وقال قطرب: دبر أي أقبل، تقول العرب: دبرني فلان أي جاء خلفي، فالليل يأتي خلف النهار.

﴿٢٤﴾ ﴿وَالصَّيْحُ إِذَا أَشْرَقَ﴾، أضواء وتبين.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّمَا لَإِنْدَى الْأَكْمَرُ﴾، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكبر كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

﴿٢٦﴾ ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يعني النار نذيراً للبشر. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله لإحدى الكبر لأنها معروفة، ونذيراً نكرة، قال الخليل: النذير مصدر كالنكير، ولذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه وتعالى، مجازة: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيراً للبشر أي إنذاراً لهم قال أبو رزين يقول: أنا لكم منها نذير،

فاتقوها. وقيل: هو صفة محمد ﷺ معناه: يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر، فأنذر، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿٢٧﴾ ﴿لَيْسَ ثَمَّةَ﴾، بدل من قوله للبشر: ﴿يَكُونُ يَتَقَدَّمُ﴾، في الخير والطاعة، ﴿أَوْ يَتَلَوَّرُ﴾، عنها في الشر والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر. ﴿٢٨﴾ ﴿كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَسَبَتْ رُوحُهُ﴾، مرتحنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها.

﴿٢٩﴾ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْبَيْتِ﴾، فإنهم لا يرتعون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة: علق الناس كلهم إلا أصحاب البيت.

واختلفوا فيهم: روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين. وروي أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وعنه أيضاً: هم الذين أعطوا كتبهم بإيمانهم، وعنه أيضاً: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال القاسم: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ يَنْسَوْنَ﴾، عن التَّائِبِينَ، المشركون.

﴿٣٢﴾ ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، أدخلكم، ﴿فِي سَقَرٍ﴾، فأجابوا.

أبو معاوية، عن الأعمش،
عن يزيد الرقاشي، عن
أنس قال: قال
رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ
أهل النار فيعذبون قال:
فيمر بهم الرجل من أهل
الجنة فيقول الرجل منهم:
يا فلان قال فيقول: ما
تريد؟ فيقول: أما تذكر
رجلاً سفاك شربة ماء يوم
كذا وكذا؟ قال فيقول:
وانك لانت هو؟ فيقول:
نعم، فيشفع له فيشفع
فيه. قال: ثم يمر بهم

الرجل من أهل الجنة فيقول: يا
فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما
تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم
كذا وكذا؟ فيقول: إنك لانت هو؟
فيقول: نعم، فيشفع له فيشفع فيه.
﴿فَمَا لَمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ﴾،
عن مواظ القرآن معرضين نصب
على الحال، وقيل صاروا معرضين.
﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾، جمع حمار،
﴿سُتْفِرَّةٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام
بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها،
فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة،
ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال:
نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال
عجب واستعجب.

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، قال
مجاهد وقتادة والضحاك: القسورة،
جماعة الرماة لا واحد لها من
لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن

عباس. وقال سعيد بن جبير: هم
القناص وهي رواية عطية عن ابن
عباس. قال زيد بن أسلم: هم
رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند
الحرب قسور وقسورة. وعن أبي
المتوكل قال: هي لفظ القوم
وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن
عباس قال: هي حبال الصيادين.
وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو
قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر
الروحشية إذا عابت الأسد هربت،
كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا
النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال
عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال
لسواد أول الليل قسورة.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ
صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾، قال المفسرون: إن
كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ:
ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب
منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه
باتباعك. قال الكلبي: إن المشركين
قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من
بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً عند
رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك،
والصحف الكتب، وهي جمع
الصحيفة، ومنشورة منشورة.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾، لَا
يُؤْتُونَ الصَّحُفَ. وقيل: حقاً وكل ما
ورد عليك منه فهذا وجهه بل، ﴿بَلْ
لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، أي لا يخافون
عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو
خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات
بعد قيام الأدلة.

﴿كَلَّا﴾، حقاً، ﴿إِنَّهُمْ﴾،

فَأَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٥٨﴾ فَمَا لَمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ ﴿٥٩﴾
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّثَنَّرَةٌ ﴿٦٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٦١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً ﴿٦٢﴾ لَّا بَلْ يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ ﴿٦٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ تَذَكَّرُوا ﴿٦٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرُوا ﴿٦٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴿٦٦﴾
سُورَةُ الْفَجْرِ ﴿٦٧﴾
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِغَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ
الْإِنْسَانُ أَن يَجْعَ عَظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدَّرِينَ عَلَٰهُ أَن سُوءَ بَأْسِهِ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ فَخُذْ إِنَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَادَارِقُوا الْعَصْرَ ﴿٧﴾
وَسَحَفَ الْعَمْرَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ قَوْلُ الْإِنْسَانِ وَيَسْأَلُ
أَيُّ الْقَرَارِ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَُ الْقِيَمَةِ ﴿١٢﴾ يَتَّبِعُ الْإِنْسَانُ
يَوْمَُ يَسْأَلُ وَأَخْرَجَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ سِيمَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُ
مَعَادِرُهُ ﴿١٥﴾ لَّا تَحْرُكَ بِهِ سِلَاسُكَ لِيَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ أَن عِلْمَانَا حَمِيمٌ
وَقَرْنَانَا ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ فَالْجَنَّةَ قَرَأْنَا ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيِّنَاتُنَا ﴿١٩﴾

﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا لَوْ كُنَّا مِنَ الْمَلَأَيْنِ﴾، الله.
﴿٢٠﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السَّيِّئِينَ﴾
وَكُنَّا نَحْشُرُ، في الباطل، مَعَ
الْمَلَأَيْنِ ﴿٢١﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٢﴾ حَتَّىٰ
أَتْنَا الْقَبِيلَ، وهو الموت.

﴿٢٣﴾ قال الله عز وجل: ﴿قَالَ
تَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾. قال ابن
مسعود: تشفع الملائكة والنبيون
والشهداء والصالحون وجميع
المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا
أربعة، ثم تلا: ﴿قَالُوا لَوْ كُنَّا مِنَ
الْمَلَأَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾،
قال عمران بن الحصين: الشفاعة
نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين
تسمعون.

أخبرنا أحمد بن عبد الله
الصالح، أنا أحمد بن الحسن
الحييري، أنا حاجب بن أحمد
الطوسي، ثنا محمد بن حماد، ثنا

يعني القرآن، ﴿تَذَكَّرُ﴾، موعظة.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْ﴾، اتعظ

به.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾، قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرين بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَنْكَرَ اللَّهُ﴾، قال مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾، أي أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا عمر بن الخطاب، ثنا عبدالله بن الفضل، ثنا هدية بن خالد، ثنا سهيل بن أبي حزم، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ قال: قال ريكم عز وجل: «أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي غيره، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن اغفر له».

وسهيل هو ابن عبدالرحمن القطعي، أخر حزم القطعي.

سورة القيامة

مكية [وهي أربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قرأ

القواس عن ابن كثير «لأقسم» الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

﴿وَلَا أُقِيمُ﴾، بِالنَّفْسِ الْوَلَامَةِ، بالألف وكذلك قرأ عبدالرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة

والصحيح، أنه أقسم بهما جميعاً و«لا» صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد القسم كقولك لا والله. وقال الفراء: «لا» رد لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتداء فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة. وقال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة وقيامه أحدهم موته، وشهد علقمة جنازة فلما دفنت

قال: أما هذا فقد قامت قيامته. ﴿وَلَا أُقِيمُ﴾ بِالنَّفْسِ الْوَلَامَةِ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. قال قتادة: اللوامة الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل. قال الفراء: ليس من نفس بزة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن عملت شراً قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَنْ يَجْعَلَ عِظَامُهُ﴾.

نزلت في عدي بن ربيعة، حليف بني زهرة، ختن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم اكفني جازي السوء يعني عدياً والأخنس» وذلك أن عدي بن

ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر «أَنَّهُ لَنْ يَجْعَلَ عِظَامُهُ» بعد التفرق والبلوى فتحبيه، قيل: ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: ﴿قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

﴿لَنْ يَجْعَلَ عِظَامُهُ﴾، أي نقدر استقبال صرف إلى الحال، قال الفراء «قادرين» نصب على الخروج من نجمع كما تقول في الكلام أتخسب أن لا نقوى عليك؟ بلى قادرين على أقوى منك، يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِكُلِّهَا﴾، أنامله، فتجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفع بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكافر، أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعبد الصلوات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قداماً في الله ما عاش راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجراً لميله عن الحق.

﴿يَسْتَلِ الْيَقِينُ﴾، أي متى يكون ذلك تكديماً به.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَرَأْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴿يَوْمَ﴾ بَفْتَحَ الرَّاءِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكُسْرَاهَا وَهَما لَغَتَانِ. قَالَ قَتَادَةُ وَمِقَاتِلُ: شَخْصُ الْبَصْرِ فَلَا يَطْرَفُ مِمَّا يَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي كَانَ يَكْذِبُ بِهَا فِي الدُّنْيَا. قِيلَ: وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: عِنْدَ رُؤْيَا جَهَنَّمَ تَبْرُقُ أَبْصَارُ الْكَافِرِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ وَالْخَلِيلُ بَرَقَ بِالْكَسْرِ أَيُ فَزَعَ وَتَحِيرَ لَمَّا يَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ، وَبَرَقَ بِالْفَتْحِ أَيُ شَقَّ عَيْنَهُ وَفَتَحَهَا مِنَ الْبَرِقِ وَهُوَ التَّلَاثُ.

﴿وَسَخَفَ الْفَرُّ﴾، أَظْلَمَ وَذَهَبَ نُورُهُ وَضُوءُهُ.

﴿وَجُمِعَ النَّشْ وَالْقَمَرُ﴾، أَيُ صَارَا أُسُودَيْنِ مَكُورَيْنِ كَأَنَّهُمَا ثُورَانِ

عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾، أَيُ الْكَافِرُ الْمَكْذِبُ ﴿يَوَدُّ أَنَّ الْفَرَّ﴾، أَيُ الْمَهْرَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ الْفَرَارِ. وَقِيلَ: هُوَ مُصَدَّرُ أَيُ أَيْنَ الْفَرَارِ.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾﴾، لَا حَصْنَ وَلَا حَرَزَ وَلَا مَلْجَأَ. وَقَالَ السَّيِّدِيُّ: لَا جَبَلَ، وَكَانُوا إِذَا فَزَعُوا لَجَّؤُوا إِلَى الْجَبَلِ فَتَحَصَّنُوا بِهِ [فَقَالَ: قُلْ] لَا جَبَلَ يَوْمَئِذٍ يَمْنَعُهُمْ.

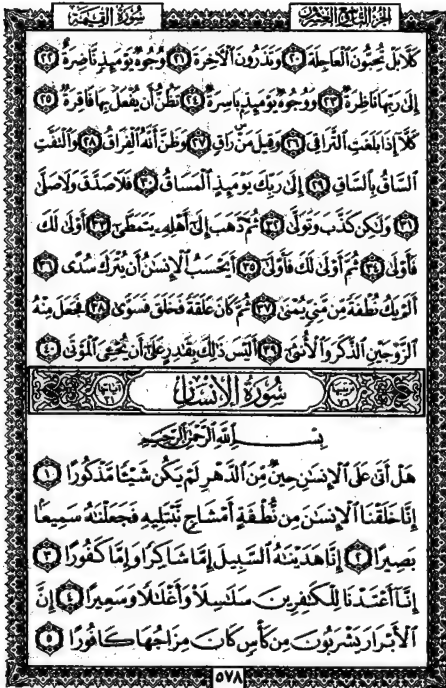
﴿إِنَّكَ رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ تَتَقَبَّرُ﴾، أَيُ مُسْتَقَرُّ الْخَلْقِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْمَصِيرُ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ إِنَّكَ رَبُّكَ أَلْتَنَبَّهَ﴾ [النَّجْم: ٤٢].

﴿يَوْمَئِذٍ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا قَدَّمَ قَبْلَ الْمَوْتِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَسَيِّئٍ، وَمَا أَخَّرَ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُ بِهَا. وَقَالَ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَا قَدَّمَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَخَّرَ مِنَ الطَّاعَةِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: بِمَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَأَخَّرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَضْيَعَهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ. وَقَالَ عَطَاءٌ بِمَا قَدَّمَ فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ وَمَا أَخَّرَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِمَا قَدَّمَ مِنْ أُمُورِهِ لِنَفْسِهِ وَمَا أَخَّرَ خَلْفَهُ لِلوَرِثَةِ.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، قَالَ عَكْرَمَةُ وَمِقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ: مَعْنَاهُ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى

نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَقَبَاءُ يَرَقُبُونَهُ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ [بِمَا عَمِلَهُ] وَهِيَ سَمْعُهُ وَيَصْرُهُ وَجَوَارِحُهُ، وَدُخُولُ الْهَاءِ فِي الْبَصِيرَةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ هَهُنَا جَوَارِحُهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ، يَعْنِي لَجَوَارِحِهِ، فَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَرَدُّكُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أَيُ لَأَوْلَادِكُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَعْتاً لِاسْمِ مُؤَنَّثٍ أَيُ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ عَيْنَ بَصِيرَةٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَعَطَاءٌ: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَاهِدٌ وَهِيَ رِوَايَةُ الْعُوفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالهَاءُ فِي بَصِيرَةٍ لِلْمِبالِغَةِ دَلِيلٌ عَلَى التَّأْوِيلِ. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا يَنْفَيْكَ الْآيَمُ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿وَلَوْ أَنَّ مَعَاذِرَهُ﴾، يَعْنِي يُشْهَدُ عَلَيْهِ الشَّاهِدُ وَلَوْ اعْتَذَرَ وَجَادَلَ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَابْنِ زَيْدٍ وَعَطَاءٍ. قَالَ الْفَرَاءُ: وَلَوْ اعْتَذَرَ فَعَلِيهِ [مِنْ نَفْسِهِ مِنْ يَكْذِبِ عَذْرِهِ وَمَعْنَى] الْإِلْقَاءِ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ: ﴿فَالْقَوْلُ إِنَّا لَهُمُ الْقَوْلُ إِنَّا لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسَّيِّدِيُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَعَاذِرَهُ﴾ يَعْنِي وَلَوْ أَرَخَى السُّتُورَ وَأَغْلَقَ الْأَبْوَابَ وَأَهْلَ الْيَمَنِ يَسْمُونَ السُّتَرَ مَعْذَاراً وَجَمْعُهُ مَعَاذِيرُ، وَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: وَإِنْ أَسْبَلَ السُّتَرَ لِيُخْفِيَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فَإِنَّ نَفْسَهُ شَاهِدَةٌ عَلَيْهِ.



الدنيا على العقبي
ويعملون لها يعني كفار
مكة، ومن قرأ بالتاء فعلى
تقدير قل لهم يا محمد:
بل تحبون وتذرون.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ **يَوْمَ يُنْفَخُ**، يوم القيامة
﴿نَافِثَةٌ﴾، قال ابن عباس:
حسنة، وقال مجاهد:
مسرورة. وقال ابن زيد:
ناعمة. وقال مقاتل: بيض
يعملوها النور. وقال
السدي: مضيئة. وقال
يمان: مسفرة. وقال
الفراء: مشرقة بالنعيم.
يقال: نضر الله وجهه

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ
لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن
سعيد، ثنا جرير عن موسى بن أبي
عائشة، عن سعيد بن جبیر، عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله عز
وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ
بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا
نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه
وشفتيه فيشد عليه، وكان يعرف منه
فأنزل الله عز وجل الآية التي في
﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ
لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعٌ وَقَوْمَانَةٌ﴾، قال
علينا أن نجتمع في صدرك ونقرأه.

﴿١٨﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ قَالَتْ قَدْ أَقْبَلْنا﴾، فإذا
أنزلناه فاستمع.

﴿١٩﴾ ﴿ثُمَّ لَئِنْ عَلَيْنَا لَبَايَةٌ﴾، علينا
أن نبينه بلسانك. قال: وكان إذا أتاه
جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما
وعده الله عز وجل.

ورواه محمد بن إسماعيل عن
عبدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن
موسى بن أبي عائشة بهذا الإسناد.
وقال: كان يحرك شفثيه إذا نزل
عليه، يخشى أن ينفث منه، فقل
له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ﴿إِنْ عَلَيْنَا
جَمْعٌ﴾، أن نجتمع في صدرك
﴿وَقَوْمَانَةٌ﴾ أن تقرأه.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿لَا يَدْعُوُ الْكِلْبَةَ
وَتَذْكُرُ الْأَعْمَى﴾. قرأ أهل المدينة
والكوفة تحبون وتذرون بالتاء فيهما،
وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون

رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةٌ﴾
إلى ربها ناطقة.

﴿٢٠﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةٌ﴾، عابسة
كالحة مغبرة مسودة.

﴿٢١﴾ ﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا قَافِرٌ﴾،
تستيقن أن يعمل بها عظيم من
العذاب، والفارقة: الداهية العظيمة،
والأمر الشديد يكسر فقار الظهر.

قال سعيد بن المسيب: قاصمة
الظهر. قال ابن زيد: هي دخول
النار وقال الكلبي: هي أن تحجب
عن رؤية الرب عز وجل.

﴿٢٢﴾ ﴿لَا إِنْ كَلَّمَتْ﴾، يعني النفس
كناية عن غير مذكور ﴿الَّتِي﴾،
فحشرج بها عند الموت والترافي
جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة
النحر والعاتق، ويكنى بيلوغ النفس
الترافي عن الإشراف على الموت.

﴿٢٣﴾ ﴿فَقِيلَ مَنْ لَكُوفُ﴾، أي قال من

ينضره نضرًا، ونضره الله وأنضره
ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة.
قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
الْخَيْرِ﴾ [المطففين: ٢٤]، ﴿إِلَّا رَبُّهَا
نَاطِقَةٌ﴾، قال ابن عباس: وأكثر الناس
تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب. قال
الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها
أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم
الترابي، أنا عبدالله بن أحمد
الحموي، أنا إبراهيم بن خزيمة
الشاشي، أنا عبدالله بن حميد، ثنا
شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال:
سمعت ابن عمر يقول: قال
رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة
منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه
ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف
سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى
وجهه غدوة وعشية»، ثم قرأ

حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه بريقته أو دوائه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه؟ فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿وَلَقَدْ﴾، أيقن الذي بلغت روحه التراقي، ﴿أَنَّ الْفِرَاقَ﴾، من الدنيا.

﴿وَاللَّئِي لَآتَيْنَ السَّادَ﴾، قال قتادة الشدة بالشدة. قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة، قال سعيد بن جبير: تتابعت عليه الشدائد، قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه، قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من [أيام] الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت. وقال الضحاک: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفتا عند الموت.

﴿إِلَّا نَبْكَ بَوْمِذٍ نَّسَا﴾، أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

﴿فَلَا سَكَنَ وَلَا مَصْرَ﴾، يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى الله.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آثِلَيْهِ﴾، رجع إليهم، ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾، يتبختر ويختال في

مشيه قيل: أصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد.

﴿أَوَّلَ لَكْ فَأَوَّلَ﴾، ثم أول لك فأول لك، وهذا عيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، يقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى: ﴿فَتَذَكَّرْنَا الَّذِيْنَ يَكُونُكُمْ مِنْهُ الْكُفَّارُ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: ﴿أَوَّلَ لَكْ فَأَوَّلَ﴾، ثم أول لك فأول لك، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وإني لأعز من مشى بين جيليها؟ فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع، وقتله أسوأ قتلة.

وكان النبي ﷺ يقول: «إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل».

﴿وَأَنبَحُ الْإِنْسَانُ أَن يَرْكَ﴾، هملأ لا يؤمر ولا ينهى، قال السدي: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع.

﴿أَنزَلَ بِكَ فَطَنَهُ مِنَ نَبِيِّ بَيْنَ﴾، تصف في الرحم، قرأ حفص عن عاصم «يمنى» بالياء وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة.

﴿ثُمَّ كَانَ عَقَبُهُ فَتَقَلَّقَ مَوْرَى﴾،

فجعل فيه الروح وسوى خلقه.

﴿يَجْمَلُ بَيْنَ الرَّبِّينِ الْأَكْزَرِ وَالْأَكْثَرِ﴾، خلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾، الذي فعل هذا، ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ لَكَوْكَ﴾.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن أشعث، ثنا عبدالله بن محمد الزهري، ثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْبَرَ أَتَكْفِيهِ﴾» [التين: ٨] فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١] فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ لَكَوْكَ﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾، فبلغ ﴿وَيَأْتِي حَبِيبٌ بِعَدُوِّ يَوْمُؤُنَ﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل: ﴿هَآئِنَا وَاللَّهِ﴾.

أخبرنا عمر بن العزيز، أنا أبو القاسم بن جعفر، أنا أبو علي اللؤلؤي، أنا أبو داود، ثنا محمد بن المثنى، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ لَكَوْكَ﴾ قال: سبحانك بلى، فسألوه

عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

سورة الإنسان

قال عطاء: هي مكية. وقال مجاهد وقتادة: مدنية. وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلا آية وهي قوله: ﴿فَأَسْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ يَتَهُمْ أَيْمَانًا أَوْ كُفُورًا﴾ [٢٤] وهي إحدى وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَنتَ﴾، ﴿قَدْ أَتَى﴾، ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفُ سَنَةٍ﴾، أربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح.

روي أن عمر سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فقال عمر: ليتها تمت يريد ليه بقي على ما كان، قال ابن عباس: ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني ولد آدم، ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾، يعني مني الرجل ومني المرأة، ﴿أَمْشَاجٍ﴾، أخلط واحدها مشج ومشيج، مثل خدن وخدين، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في

الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وكذلك قال الكلبي قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة. وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة. وقال الحسن: نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبست ارتفع الحيض. وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر. ﴿تَبْتَلِيهِ﴾ تختبره بالامر والنهي، ﴿فَجَعَلْتَهُ سَمِيحًا بَصِيرًا﴾ قال بعض أهل العربية: فيه تقديم وتأخير، مجازة: فجعلناه سميحاً بصيراً لتبتيه، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضيالة، وعرفناه طريق الخير والشر. ﴿إِنَّا شَاكِرًا لِّمَا كَفَرْنَا﴾، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيماً. وقيل: معنى الكلام الجزاء، يعني: بينا له الطريق إن شكر أو كفر.

﴿ثُمَّ بَيَّنَّا مَا لِلْفِرْقَيْنِ فَقَالَ﴾، ثم بين ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّا أَغْنَيْنَاكَ الْكَافِرِينَ سَلِيلًا﴾، يعني

في جهنم، قرأ أهل المدينة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿سَلِيلًا﴾ و﴿قَوَارِيرًا﴾ ﴿قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥] بالالف في الوقف، وبالتنوين في الوصل فيهن جميعاً، وقرأ حمزة ويعقوب بلا الف في الوقف، ولا تنوين في الوصل فيهن، وقرأ ابن كثير ﴿قَوَارِيرَ﴾ الأولى بالالف في الوقف وبالتنوين في الوصل، و﴿سَلَّاسِلَ﴾ و﴿قَوَارِيرَ﴾ الثانية بلا ألف ولا تنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص ﴿سَلَّيْلًا﴾ و﴿قَوَارِيرًا﴾ الأولى بالالف في الوقف على الخط وبغير تنوين في الوصل، و﴿قَوَارِيرَ﴾ الثانية بغير ألف ولا تنوين. قوله ﴿وَأَفْلَحَ﴾ يعني في أيديهم، تغل في أعناقهم ﴿وَسَوْرًا﴾، وقوداً شديداً.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، واحد هم بار، مثل شاهد وأشهد وناصر وأنصار، و﴿فَزَيَّ﴾ أيضاً مثل نهر وأنهار، ﴿يُشْرَبُونَ﴾، في الآخرة، ﴿بَيْنَ كَافٍ﴾، فيه شراب ﴿كَانَ يَرَاهَا كَافُورًا﴾، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب وريحه ويرده لأن الكافور لا يشرب، وهو كقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي كناره، وهذا معنى قول مجاهد: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

الآية، قال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكيناً ويَتِيماً وأسيراً.

وروى مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير، فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً يأكلوه، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، ووطؤوا يومهم ذلك.

وهذا قول الحسن وقتادة، أن الأسير كان من أهل الشرك، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حسن يرجى ثوابه.

﴿ إِنَّا ظَلَمْنَاكَ رَبَّنَا ظَلَمْنَاكَ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴾
 مَكِّيَّةٌ ۝ وَكَانَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ وَالشُّكُورُ ۝
 مصدر كالقعود والدخول والخروج. ۝
 قال مجاهد وسعيد بن جببر. إنهم
 لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك
 من قلوبهم، فأثنى عليهم.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَظِيمًا﴾،
تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته،
ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال
يوم صائم وليل قائم. وقيل: وفي
اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة،
﴿فَلَمَّا رَأَى﴾، قال قتادة ومجاهد
ومقاتل: «القمطير»: الذي يقبض
الوجوه والجباه بالتعبس. وقال
الكلبي: العبوس الذي لا انبساط
فيه، «القمطير»: الشديد، قال

زاهر بن أحمد، أنا أبو
 إسحاق الهاشمي، أنا أبو
 مصعب، عن مالك، عن
 طلحة بن عبد الملك
 الأيلي، عن القاسم بن
 محمد، عن عائشة زوج
 النبي ﷺ أن
 رسول الله ﷺ قال: «من
 نذر أن يطيع الله فليطعه،
 ومن نذر أن يعصي الله
 فلا يعصه».

﴿وَعَاوَنَ يَوْمَ كَانَ شُرُوءُ
مُتَّطِلِينَ﴾، فاشياً ممتداً،
يقال: استطار الصبح إذا
امتد وانتشر. قال مقاتل:
كان شره فاشياً في

السماوات فانشقت وتناثر الكواكب
وكونت الشمس والقمر وفزعت
الملائكة، وفي الأرض فنسفت
الجبال وغارت المياه، وتكسر كل
شيء على الأرض من جبل وبناء.

﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾
أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم
له وحاجتهم إليه. وقيل: على
حب الله، ﴿مَتَكِبًا﴾، فقيراً لا مال
له، ﴿وَنَائِبًا﴾، صغيراً لا أب له
﴿وَأَيُّبًا﴾، قال مجاهد وسعيد بن
جبير وعطاء: هو المسجون من أهل
القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء
أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ
لأهل الشرك. وقيل: الأسير
المملوك. وقيل: المرأة.

لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي
النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ أَيُّ
أَسْرَاءَ».

واختلفوا في سبب نزول هذه

عَيْنَا تَرَىٰ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَجْعَلُونَ فِتْنَةً لِّهَا وَيَجْعَلُونَ
 يَوْمَ مَا كَانَ شَرٌّ مِّنْ طَافِرًا ﴿٦﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِيبٍ وَسَكِينًا
 وَيَسِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّمَا طَعِمُوا لِيُذَوِّعَ اللَّهُ لَأَرْبَابِهِمْ كِبْرَهُ وَلَا تُشْكِرُ
 ﴿٨﴾ إِنَّمَا عَافَا مِنْ رَّبِّهَا تَوَاعُوسًا فَطِيرًا ﴿٩﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَكَاءَ
 الْيَوْمِ وَلَفَّعَهُمْ ضَرَّةً وَشَرًّا ﴿١٠﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
 ﴿١١﴾ مُتَجَنِّبِينَ فِيهَا عَنِ الذَّلَالِ كُلِّ لِيُؤْمِنُوا فِيهَا أَسْمَاءً لَا يُزْهَمُ فِيهَا
 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوبُهَا تَدْلِيلًا ﴿١٢﴾ وَطُفَّاءٌ عَلَيْهِمْ نَارُهَا
 مِنْ فِضَّةٍ وَأَوْكَايَ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٣﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٤﴾
 وَمُسْقُونٍ فِيهَا كَأْسٌ لَّهُمْ مَرَا جَاهًا وَنَجِيلًا ﴿١٥﴾ عِثَابُهَا اسْمُ سُلَيْمَى
 ﴿١٦﴾ وَطُفُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَذَنٌ عُلْدَنٌ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِيبَتُهُمْ ثُمَّ لَوْ أَنَّ شَرًّا
 ﴿١٧﴾ وَإِذَا دَرَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَرِيمًا ﴿١٨﴾ عَلَيْهِمْ نَارُ سُدُوسٍ
 خَضِرٌ وَإِسْتِزْقٌ غُلُوًّا سَاوِينَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ مِنْهُمْ شَرًّا
 طَهُورًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لِكُرْجَاهُ وَكَانَ سَعْيُكُمْ تَشْكُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا
 نَحْنُ زَيْنَا نَعْلِكَ الْفَرَّانِ تَنْزِيلًا ﴿٢١﴾ نَاصِيَةٍ لِّكُرْبِكَ وَلَا تُطْلَعُ
 مِنْهُمْ وَأَيُّهَا أَوْكُورًا ﴿٢٢﴾ وَأَذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٣﴾

٥٧٩

﴿٦﴾ عَيْنٌ، نصب تبعاً للكافور. وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿تَبَرَّيْ﴾، قيل: يشربها والباء صلة وقيل بها أي منها، ﴿عَبَادُ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس أولياء الله، ﴿يُفَجِّرُهَا قَتَرِي﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره ههنا وههنا إلى حيث يريد.

﴿يُؤْتُونَ يَاقْتِزِينَ﴾، هَذَا مِنْ صفاتهم فِي الدُّنْيَا أَيْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ، قَالَ قَتَادَةُ: أَرَادَ يُؤْفِقُونَ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَمَعْنَى النَّذْرِ الْإِجَابُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعُكْرَمَةُ: إِذَا نَذَرُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَفَوَّاهُ بِهِ.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

سلسبيلاً لأنها في غاية السلامة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: ﴿تسمى﴾ أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم.

﴿وَلَدَانِ عَنِّي﴾ ﴿وَلَدَانِ عَنِّي﴾ ﴿وَلَدَانِ عَنِّي﴾ إذا رأيتهم حينئذ تولوا شكراً، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نشر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوماً. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم.

﴿وَلَدَانِ عَنِّي﴾ أي إذا رأيت بصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿رَأَيْتَ فِيهَا﴾، لا يوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكاً لا زوال له.

﴿عَلَيْهِمْ يُلْقَى السُّنْبُ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة ﴿عليهم﴾ ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة، أي فوقهم وهو نصب على الظرف، ﴿يُلْقَى السُّنْبُ﴾. ﴿خَضِرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ﴾، قرأ نافع وحفص ﴿خَضِرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ﴾ مرفوعان عطفاً على الثياب، وقراها حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر ﴿خَضِرٌ﴾ بالجر ﴿وَأَسْتَبْرَقٌ﴾ رفع، وقرأ أبو جعفر

فَصَوْ ﴿قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القواير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها.

قال الكلبي: إن الله جعل قواير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة، فجعل منها قواير يشربون فيها، ﴿مَذْرُوعًا قَبِيرًا﴾، قدروا الكأس على قدر ربهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

﴿وَسُقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ رِجَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، يشق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيه جداً، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكر الله [في] القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عَيْنًا فِيهَا شَرَبَ سَكِينًا﴾، قال قتادة: سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا، قال مجاهد: حديدة شديدة الجرة.

قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت

الأخفش: «القمطير»: أشد ما يكون من الأيام وأطول في البلاء، يقال: يوم قمطير وقماطر إذا كان شديداً كريهاً، واقمطر اليوم فهو مقمطر.

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، الذين يخافون، ﴿وَلَقَدْ نَعَرَهُ﴾، حسناً في وجوههم، ﴿وَمَرَرَهُ﴾، في قلوبهم.

﴿وَمَرَرَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾، على طاعة الله واجتباب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾، قال الحسن: أدخلهم الله الجنة والبسهم الحرير.

﴿مُنْكَبِينَ﴾، على الحال، ﴿فِيهَا﴾، في الجنة، ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ﴾، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعوا، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا نَهَارًا﴾، أي صيفاً ولا شتاء. قال مقاتل: يعني شمساً يؤذيهم حرها ولا زمهريراً يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب «دانية»، بالعطف على قوله «متكئين»، وقيل: على موضع قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا نَهَارًا﴾، ويرون ﴿وَدَانِيَةً﴾، وقيل: على المدح، ﴿وَوَلَّكَتْ﴾، سخرت وقربت، ﴿فَطَرَتْهَا﴾، ثمارها، ﴿تَذِيلًا﴾، يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

﴿وَسُقَاتُ عَلَيْهِمْ يَدَايَهُ يَنْ يَسْقُو أَكْوَابًا كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿قَوَارِيرًا﴾



كان آخر ذلك أتوا
بالشراب الطهور،
فيشربون فتطهر بطونهم
ويصير ما أكلوا رشحاً
يخرج من جلودهم ريحاً
أطيب من المسك الإذفر،
وتضمهر بطونهم وتعود
شهوتهم. وقال مقاتل:
هو عين ماء على باب
الجنة من شرب منها
نزع الله ما كان في قلبه
من غل وغش وحسد.

﴿إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً
وَكَانَ سَعِيرًا فَتَبَيَّنُوا
مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي ما
وصف من نعيم الجنة كان
لكم جزاء بأعمالكم وكان
سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله
مشكوراً، قال عطاء: شكرتم عليه
فأنبيكم أفضل الثواب.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، قال ابن عباس:
متفرقا آية بعد آية، ولم ينزل جملة
واحدة. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا يُطِعْ
يَتَّبِعْ﴾، يعني من مشركي مكة،
﴿وَمَا أَزْكُرُ﴾، يعني وكفوراً،
والألف صلة، قال قتادة: أراد بالآثم
والكفور أبا جهل وذلك أنه لما
فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه
أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت
محمداً يصلي لأطأن عنقه. وقال
مقاتل: أراد بالآثم عتبة بن ربيعة،
وبالكفور الوليد بن المغيرة، قال
للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما
صنعت لأجل النساء والمال فارجع
عن هذا الأمر، قال عتبة: فإنا

وأهل البصرة والشام على ضده
فالرفع على نعت الثياب والجر على
نعت السندس. وإستبرق بالرفع على
أنه معطوف على ﴿يَبْئُتُ سُدُنِي خُفْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ فحذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه كقوله «واسأل
القرية» أي أهل القرية، ومثله قوله:
خز أي ثوب خز، وأما جر إستبرق
فعلى أنه معطوف على سندس وهو
جر بإضافة الثياب إليه، وهما جنسان
أضيفت الثياب إليهما كما تقول:
ثوب خز وكتان فتضيفه إلى الجنسين
﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقْنَا مِنْ يَدِهِ وَفَصِّرُوا مَنَافِقَهُمْ رَبُّهُمْ
شَرِيفٌ طَهُورٌ﴾، قيل: طاهرراً من
الأقذار والأقذاء لم تدنسه الأيدي
والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو
قلاية وإبراهيم: إنه لا يصير بولاً
نجساً ولكنه يصير رشحاً في
أبدانهم، ريحه كريح المسك، وذلك
أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا

أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بغير
مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من
المال حتى ترضى، فارجع عن هذا
الأمر، فأنزل الله هذه الآية.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَبِّكَ بِكُرْ وَأَيُّهَا
أَيُّهَا فَاسْتَجِدْ لَهُ﴾، يعني صلاة
المغرب والعشاء، ﴿وَسَيِّئَةٌ لَيْلًا
طَوِيلًا﴾، يعني التطوع بعد
المكتوبة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، أي الدار
العاجلة وهي الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ
وَرَاءَهُمْ﴾، يعني أمامهم، ﴿وَيَوْمًا
تَبْيِلًا﴾، شديداً وهو يوم القيامة. أي
يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون
له.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا
قُرُونًا وَأَحْكَمْنَا﴾، ﴿أَسْرَهُمْ﴾، قال
مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي
خلقهم، يقال رجل حسن الأسر، يعني
أي الخلق، وقال الحسن: يعني
أوصالهم شدداً بعضها إلى بعض
بالعروق والعصب.

وروي عن مجاهد في تفسير
الأسر قال: الفرج يعني موضع
مصرفي البول والغائط إذا خرج
الأذى تقبضاً. ﴿وَأَذَّا شَتًّا بَذَلْنَا أَشْهَابَهُمْ
تَبْيِلًا﴾، أي إذا شتينا أهلكتناهم.
وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً
منهم.

﴿إِنْ هَذِهِ﴾، يعني هذه
السورة، ﴿تَذَكُّرٌ﴾، تذكير وعظة،
﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾،
وسيلة للطاعة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾، قرأ

ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ﴿يشاؤون﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَأَ اللَّهُ﴾ أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَأُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أي المشركين. ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

سورة المرسلات

مكية [وهي خمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْثَلَاثِ

﴿وَالرَّسَلَاتِ غُرَا﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفاً أي كثيراً تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى مجاهد وقتادة. قال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿وَالْمُصَنِّتِ عَصَا﴾، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَالنَّازِلَاتِ نَزَا﴾، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

﴿وَالْمُزِيلَاتِ مَرَا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي

آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده.

﴿وَالْمُغْنِيَاتِ ذُرَا﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ﴾ [غافر: ١٥].

﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾، أي للإعذار والإنذار، قرأ الحسن ﴿عذراً﴾ بضم الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامة بسكونها، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وحفص [عن عاصم] ﴿نذراً﴾ ساكنة الذال، وقرأ الباقون بضمها، ومن سكن قال لأنهما في موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار وليسا بجمع فينقلان. وقال ابن كثير ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب برواية رويس بن حسان: ﴿عذراً﴾ سكون الذال و﴿نذراً﴾ بضم الذال، وقرأ روح بالضم في العذر والنذر جميعاً، وهي قراءة الحسن، والوجه فيهما أن العذر والنذر بضمين كالأذن والعُنُق هو الأصل ويجوز التخفيف فيهما كما يجوز التخفيف في العنق والأذن، يقال: عذّر ونذّر، وعذّر ونذّر، كما يقال: عُنُقٌ وعُنُقٌ، وأذن وأذن، والعذر والنذر مصدران بمعنى الإعذار والإنذار كالنكير والعذير والتنذير، ويجوز أن يكونا جمعين لعذير ونذير، ويجوز أن يكون العذر جمع عاذر، كشارف وشرف، والمعنى في التحريك والتسكين واحد على ما بينا

إلى هنا أقسام ذكرها على قوله:

﴿إِنَّا نُوْعِدُونَ﴾، من أمر الساعة والبعث، ﴿وَرَفِيعٌ﴾، لكائن ثم ذكر متى يقع.

﴿إِنَّا الْجُومُ طُوسٌ﴾، محي نورها.

﴿وَالنَّسَاءُ شَجَرٌ تُرِيحُ﴾، شقت.

﴿وَالنَّجَالُ تُفَتُّ﴾، قلعت من أماكنها.

﴿وَالنَّارُ تُرْسُلُ أُنْتِ﴾، قرأ أهل

البصرة ﴿وقت﴾ بالواو، وقرأ أبو

جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ

الآخرون بالألف وتشديد القاف،

وهما لغتان. والعرب تعاقبت بين

الواو والهمزة كقولهم: وكذت

وأكدت، ورخت وأرخت،

ومعناها جمعاً لمقات يوم معلوم،

وهو يوم القيامة ليشهدوا على

الأمم.

﴿لَا تَبْرَأُ يَوْمَ تُبْرَأُ﴾، أي

أخرت، وضرب الأجل لجمعهم

فعبج العباد من ذلك اليوم.

﴿ثُمَّ بَيِّنْ فَقَالَ: يَوْمَ

الْفَصْلِ﴾، قال ابن عباس: يوم يفصل

الرحمن عز وجل بين الخلائق.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ

الْفَصْلِ﴾، وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْكَارُ

تُفَكِّكُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني الأمم الماضية

بالعذاب في الدنيا حين كذبوا

رسلهم.

﴿ثُمَّ تَنْتَهِمُ الْآخِرِينَ﴾،

السالكين سبلهم في الكفر والتكذيب

يعني كفار مكة بتكذيبهم

محمدًا ﷺ.

واحدتها شررة، ﴿كَالْقَصْرِ﴾، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون. وقال عبدالرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله: ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ يَشْكُرُ كَالْقَصْرِ﴾ قال: هي الخشب العظيم المقطعة، وكنا نعد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشئاء، فكانا نسميها القصر. وقال سعيد بن جبير، والضحاك: هي أصول النخل والشجر العظيم، واحداثها قصرة، مثل تمره وتمر، وجمرة وجمر، وقرأ علي وابن عباس ﴿كَالْقَصْرِ﴾ بفتح الصاد، أي أعناق النخل، والقصرة العنق، وجمعها قصر وقصرات.

﴿كُلُّهُ﴾ رد الكناية إلى اللفظ، ﴿جَمَلَتْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿جمالة﴾ على جمع الجمل، مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد الأشياء العظيم المجموعة، وقرأ الآخرون ﴿جمالات﴾ بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى تكون كأوساط الرجال، ﴿صُفْرٌ﴾، جمع الأصفر، يعني لون النار. وقيل: الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث «أن شر نار جهنم أسود كالقير»، والعرب تسمي سود الإبل صفر لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال ليبيض الظباء: آدم

دورهم ومنازلهم وتكفتمهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٧﴾ وهو قوله: ﴿أَحْيَاءُ وَأَمْواتاً﴾ وجملاً فيها رؤس، عالياً، ﴿فَتَشِيعُ﴾، عالياً، ﴿وَأَسْفِنُكُم مَّاءَ قُرْآنًا﴾، عذبا.

﴿٢٨﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾، في الدنيا. ﴿٣٠﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِلَيَّ لَيْلٌ ذِي تَلَكِّ شَعْبٍ﴾، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهيب، فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهيب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

﴿٣١﴾ ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لَا ظِلُّلٌ﴾ لا يظل من الحر، ﴿وَلَا يَنْفِي مِنَ الْلَهَبِ﴾، قال الكلبي: لا يرد لهيب جهنم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهيب.

﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّمَا﴾، يعني جهنم، ﴿تَرَىٰ يَشْكُرُ﴾، وهو ما تطاير من النار،

﴿٣٣﴾ ﴿أَتَخْلُقُونَ مِثْلَ مَاوْتَمِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْتُمْ فِي قُرَارِ مَكِينٍ﴾ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿أَتَجْعَلُ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿أَحْيَاءُ وَأَمْواتاً﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَدِيدَةً وَأَسْفِنُكُم مَّاءَ قُرْآنًا﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِلَيَّ لَيْلٌ ذِي تَلَكِّ شَعْبٍ﴾ ﴿لَا ظِلُّلٌ وَلَا يَنْفِي مِنَ الْلَهَبِ﴾ ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ يَشْكُرُ كَالْقَصْرِ﴾ ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صُفْرًا﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَطْفِئُونَ﴾ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَا وَلَا وَاوَيْنَ﴾ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿إِنْ أَسْفِنُ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿وَفَوْكِهِ مَنَاسِكُهُنَّ﴾ ﴿كُلُوا وَأَمْرُهُمْ فِيهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿كُلُوا وَتَسْمَعُوا لِقَوْلِ الْكُفْرِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ كُونُوا لَا تَرْكَبُوا﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿فَإِيَّاهِمْ يَعْبُدُونَ وَيُؤْمِنُونَ﴾

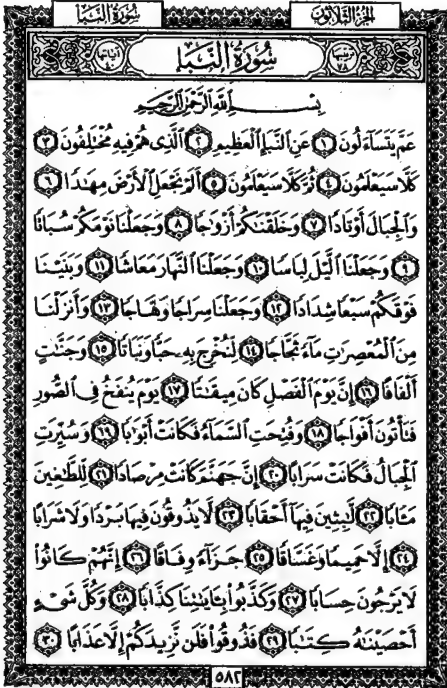
﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿أَتَرِ تَخْلُقُونَ مِثْلَ مَاوْتَمِينَ﴾، يعني النطفة.

﴿٣٦﴾ ﴿فَجَعَلْتُمْ فِي قُرَارِ مَكِينٍ﴾، يعني الرحم.

﴿٣٧﴾ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، وهو وقت الولادة.

﴿٣٨﴾ ﴿فَقَدَرْنَا﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾، وقيل: معناها واحد، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾، أي المقدرين.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَلَّيْلٌ يُؤْمِرُ لِلْمَكِيدِينَ﴾ ﴿أَتَجْعَلُ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، وعاء، ومعنى الكفت: الضم والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه. وقال الفراء يريد تكفتمهم أحياء على ظهرها في



﴿لَا يَرْكُوعُونَ﴾، لا يصلون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿٥٩﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فَإِنِّي حَسِبْتُ بِسْمُ، أي بعد القرآن، ﴿يَوْمِيزُونَ﴾، إذا لم يؤمنوا به.

سورة النبا

مكية [وهي أربعون

آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿عَمَّ﴾، أصله (عن ما) فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله: (فيم)، و(بسم)، ﴿بِسْمَةِ لُؤْنٍ﴾، أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون.

وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ، قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما تقول: أي شيء زيد؟ إذا أعظمت أمره وشأنه.

﴿١﴾ ثم ذكر أن تسألهم عماذا فقال: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾، قال مجاهد والأكثر: هو القرآن، دليله قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، وقال قتادة: هو البعث.

لأن يباضها بعلوه كدرة.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَطْعُونَ، أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لَكُمْ فَيَقْدِرُونَ﴾، رفع عطف على قوله «يَوْمِيزُونَ»، قال الجنيدي: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأباديه ونعمه.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ، هذا يوم الفصل بين أهل الجنة والنار، ﴿جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾، يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كذبوا أنبياءهم.

﴿٣٩﴾ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحثالوا لأنفسكم.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾ إِنَّ الْكُفْرَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿وعيون﴾، الماء.

﴿٤٢﴾ ﴿وَوَرِكُهُمْ مَسَاجِدُ تَتَّبِعُونَ﴾. ﴿٤٣﴾ ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَنَسُوا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا بطاعتي.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَنَسُوا قَلِيلًا﴾، في الدنيا، ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾، مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَلَا يَوْمِيزُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا، يعني صلوا،

﴿٢﴾ - ﴿١﴾ ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخَالِفُونَ﴾، فمصدق ومكذب، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، كلا نفي لقوله سيعلمون عاقبة تكذيبهم حتى تنكشف الأمور.

﴿٣﴾ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم على أثر وعيد. قال الضحاك: كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر صناعته ليعلموا توحيده.

﴿٤﴾ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾، فراشاً.

﴿٥﴾ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، لئلا تزلزل الأرض حتى تميد.

﴿٦﴾ ﴿وَتَخَلَّاتَكُمْ أَنْهَارٌ﴾، أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

﴿٧﴾ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ قَطْعًا﴾، أي راحة لأبدانكم. قال الزجاج: السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم لأن أصل السبت القطع.

﴿وَجَعَلْنَا آتِلَ لِبَاسًا﴾، غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا أَثَارَ مَسَاكٍ﴾، المعاش العيش، وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سبباً للمعاش والتصرف في المصالح. قال ابن عباس: يريد تبتغون من فضل الله، وما قسم لكم من رزقه. ﴿وَبَيَّنَّا قَوْمَكُمْ سِمًا شِدَادًا﴾، يريد سبع سموات.

﴿وَجَعَلْنَا يَرْكَبًا﴾، يعني الشمس، ﴿وَرَجَابًا﴾، مضيئاً منيراً. قال الزجاج: الوهاج الوقاد. وقال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي: يعني الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس: قال الأزهرى: هي الرياح ذوات الأعاصير، فعلى هذا التأويل تكون «من» بمعنى الباء أي بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدر المطر، وقال أبو العالية والربيع والضحاك: المعصرات السحاب وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، وقال الفراء: المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض. وقال ابن كيسان: هي المغيشات من قوله: ﴿فِيهِ يُمْطَرُ الْبَارُ وَفِيهِ يَمُوتُونَ﴾. وقال الحسن، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان: من المعصرات أي من السموات. ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾، أي صلاباً، وقال

مجاهد: مدرأاً. وقال قتادة: متباعاً يتلو بعضه بعضاً. وقال ابن زيد: كثيراً.

﴿لَتَنْجِيَنَّ يَدَهُ﴾، أي بذلك الماء، ﴿حَبًا﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿وَنَبَاتًا﴾، ما تنبت الأرض مما تأكله الأنعام.

﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَاكًا﴾، ملتفة بالشجر واحدها لف لفيف، وقيل: هو جمع الجمع، يقال جنة لفا وجمعها لف، بضم اللام وجمع الجمع ألفاف.

﴿وَإِنَّ يَوْمَ الْقَضَاءِ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿كَانَ يَبْقَا﴾، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَادُونَ﴾، نواييا، زمراً زمراً من كل مكان للحساب.

﴿وَيُخَوِّتُ السَّمَاءَ﴾، قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي شقت لنزول الملائكة، ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾، عن وجه الأرض، ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، طريقاً وممرأ فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: كانت مرصاداً أي معدة لهم، يقال: أرصدت الشيء إذا أعدته له. وقيل: هو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، والمرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو.

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، أي ترصد الكفار.

وروي مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبعة محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع، فيسأل عن الصوم فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال: انتظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فرغ منه انطلق به إلى الجنة.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين، ﴿مَنَابًا﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

﴿لَيْلِينَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب «لَيْلِينَ» بغير ألف، وقرأ العامة «لَايِلِينَ» بالألف وهما لغتان. ﴿فِيهَا أَصْقَابًا﴾، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. وروي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال مجاهد: الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً، [كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمئة سنة، كل سنة ثلاثمئة وستون يوماً، وكل يوم ألف سنة] قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿لَيْلِينَ فِيهَا أَصْقَابًا﴾ فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد،

فليس للأحقاب عدة إلا الخلود. وروى السدي عن مرة عن عبدالله قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا. وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة. قال: وهذه الآية منسوخة نسختها ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠] يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، روي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومنه ما قال الكسائي وأبو عبيدة، تقول العرب: منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم. وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا شرباً ينفعهم من عطش.

﴿إِلَّا جَيْمًا رَجَسًا﴾، قال: «الفساق»: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار، وقد ذكرناه في سورة ص.

﴿جَزَاءً وَكَفَّارًا﴾، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم. وقال مقاتل: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي بما جاء

به الأنبياء، ﴿كَذَّبُوا﴾، يعني تكذيباً، قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فَعَالٌ وقال: قال لي أعرابي منهم على المعزوة يستفتيني: الحلق أحب إليك أم القصار:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿فَقَدْ وَفَّوْا﴾، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

﴿إِنَّ لِلنَّارِ مَقَازٍ﴾، فوزاً ونجاةً من النار، وقال الضحاك: متزهاً.

﴿حُلَاقٍ وَأَغْنَى﴾، يريد أشجار الجنة وثمارها.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن، واحدتها كاعب، ﴿أَرْوَاقًا﴾، مستويات في السن.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾، باطلاً من الكلام، ﴿وَلَا كَذِبًا﴾، تكديباً، لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي «كذاباً»، بالتخفيف [وهو] مصدر كاذب كالمكاذبة، وقيل: هو



الكذب. وقيل: هو بمعنى التكذيب كالمشدد.

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾، أي جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً «حساباً» أي كافياً وافياً، يقال: أحسبت فلاناً، أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. وقال ابن قتيبة: عطاء حساباً أي كثيراً. وقيل: هو جزاء يقدر أعمالهم.

﴿زَيِّتٍ أَسْفَوْتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «رب» رفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون بالجذر اتباعاً لقوله «من ربك» وقرأ ابن عامر، وعاصم ويعقوب «الرحمن» جرّاً اتباعاً لقوله: ﴿زَيِّتٍ أَسْفَوْتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع، فحزمة والكسائي يقرآن «رب» بالخفض لقرينه من قوله: ﴿جَزَاءً مِنْ

بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأمم ولؤمني الجن عودوا تراباً [فيعودون تراباً] فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وبه قال الليث بن أبي سليم، مؤمنو الجن يعودون تراباً.

وقيل: إن الكافر ههنا إبليس، وذلك أنه عاب آدم وأنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشدة والعذاب، قال [إبليس]: يا ليتني كنت تراباً. قال أبو هريرة فيقول التراب لا، ولا كرامة لك من جعلك مثلي؟

سورة النازعات

مكية [وهي ست وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّزَّازَاتُ غَرَابُ﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، [بعدما نزعها حتى إذا كادت أن تخرج ردها في جسده فهذا عمله بالكفار] والغرق اسم أقيم مقام الإغراق، أي والنازعات إغراقاً، والمراد بالإغراق المبالغة في المد، وقال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الأظافر وأصول القدمين، ويردها في جسده بعدما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعدما ينزعها، فهذا عمله بالكفار. وقال مقاتل ملك الموت

الملائكة. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، في الدنيا، أي حقاً. وقيل: قال: لا إله إلا الله.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَاصًا﴾، مرجعاً وسبيلاً بطاعته، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَنَّا قَرِيبًا﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

قال عبدالله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. ومثله عن مجاهد، وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطيور فيقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى، فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم تراباً.

وعن أبي الزناد عبدالله بن ذكوان قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر

رَبِّكَ، ويقرآن الرحمن بالرفع لبعده منه على الاستئناف، وقوله: ﴿لَا يَلْكُونَ﴾ في موضع رفع خبره، ومعنى: ﴿لَا يَلْكُونَ مِنْهُ خَطَابًا﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعاً إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، أي في ذلك اليوم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام [هوا] وحده صفّاً وقامت الملائكة كلهم صفّاً واحداً، فيكون عظم خلقه مثلهم. وعن ابن مسعود [قال]: الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال، ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة، يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يحيي يوم القيامة صفّاً وحده. وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، هؤلاء جند وهؤلاء جند.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم. وقال الحسن: هم بنو آدم. ورواه قتادة عن ابن عباس، وقال: هذا مما كان يكتبه ابن عباس ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشعبي: هما سماء رب العالمين، يوم يقوم سماء من الروح وسماء من

وأعوانه ينزعون أرواح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس. وقال السدي: هي النفس حين تغرق في الصدر. قال الحسن وقتادة وابن كيسان: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب. وقال عطاء وعكرمة: هي القسي. وقيل: هي الغزاة الرماة.

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾، هي الملائكة تنشط نفوس المؤمنين، أي تحل حلاً رقيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق، حكى الفراء هذا القول، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت العقال، إذا حللته ونشطته إذا عقدته بأنشطة.

وفي الحديث: «كأنما أنشط من عقال».

وعن ابن عباس: هي نفوس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت.

وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنشط: الجذب والزعزعة، يقال: نشط الدلو نشطاً إذا نزعها. قال الخليل: النشط والإنشاط مدك الشيء إلى نفسك، حتى ينحل. وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس. وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب. وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي

تذهب، يقال: نشط من بلد إلى بلد إذا خرج في سرعة، ويقال: حمأ ناشط، ينشط من بلد إلى بلد، وقال عطاء وعكرمة: هي الإزهاق.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ يُقْبِضُونَ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلاً رقيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبو صالح: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابع إذا أسرع في جريه. وقيل: هي خيل الغزاة. وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقال عطاء: هي السفن.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ سَبَقًا﴾، قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

﴿وَالْمَلَكُوتِ أَمْرًا﴾، قال ابن عباس: هم الملائكة وكلوا بأمور عزفهم الله عز وجل العمل بها. قال عبدالرحمن بن سابط: يدبر الأمر في الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام.

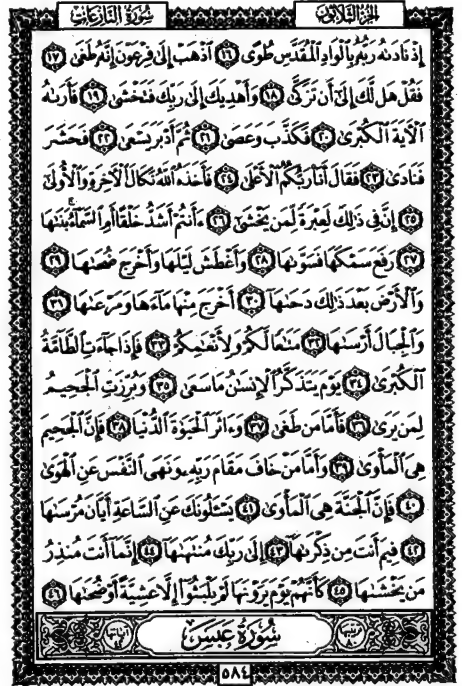
أما جبريل فموكل بالرياح

والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينتزل بالأمر عليها، وجواب هذه الأقسام محذوف على تقدير: لتعيش ولتحاسبين. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَرُجُّفُ الرَّائِفَةُ﴾﴾، يعني النفخة الأولى، ينزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق.

﴿تَبَهُهُمُ الرَّادَّةُ﴾، وهي النفخة الثانية ردت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل. وقال مجاهد: ترجف الراجفة تنزلزل الأرض والجبال، تتبعها الرادفة حين تنشق السماء، وتحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. وقال عطاء: «الراجفة» القيامة، و«الرادفة» البعث. وأصل الراجفة: الصوت والحركة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا عبدالله بن يوسف بن أحمد بن مالك، ثنا محمد بن هارون الحضرمي، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن



للبعث إذا قيل لهم إنكم
مبعوثون من بعد الموت:
﴿وَأَنَّا لَتُرَدُّونَ فِي الْخَافِرَةِ؟﴾
أي: إلى أول الحال
وابتداء الأمر، فنصير
أحياء بعد الموت كما كنا؟
تقول العرب: رجع فلان
في حافرتة، أي رجع من
حيث جاء، والحافرة
عندهم اسم لابتداء
الشيء، وأول الشيء.
وقال بعضهم: «الحافرة»:
وجه الأرض التي تحفر
فيها قبورهم، سميت
الحافرة بمعنى المحفورة،

كقوله: ﴿يَحْشُرُ رَاضِيَةً﴾
[الحاقة: ٢١، القارعة: ٧] أي
مرضية. وقيل: سميت حافرة لأنها
مستقر الحوافر، أي أننا لمرددون
إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً
نمشي عليها؟ وقال ابن زيد: الحافرة
النار.

﴿وَأَوَدَّا كُنَّا عِظْلًا خَيْرَةً﴾، قرأ
نافع، وابن عامر، والكسائي،
ويعقوب «أئنا» مستفهم، «إذا»
بتركه، ضده أبو جعفر، الباقون
باستفهامها، وقرأ حمزة، والكسائي،
وأبو عمرو «عِظْلًا خَيْرَةً»، وقرأ
الآخر «نخرة» وهما لغتان، مثل
الطمع والطامع والحذر والحافر،
ومعناها البالية، وفزق قوم بينهما،
فقالوا: النخرة البالية، والناخرة
المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر،
أي: تصوت.

أبي بن كعب، عن أبي بن كعب
قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب
ربيع الليل قام، وقال: «يا أيها
الناس اذكروا الله، اذكروا الله،
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء
الموت بما فيه، جاء الموت بما
فيه».

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، خائفة
قلقة مضطربة، وسمي الوجيف في
السير لشدة اضطرابه، يقال: وجف
القلب ووجف وجوفاً ووجيفاً
ووجوباً ووجيباً. وقال مجاهد:
وجلة. وقال السدي: زائلة عن
أماكنها، نظيره ﴿إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾، ذليلة
كقوله: ﴿خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ﴾
[الشورى: ٤٥] الآية.

﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنكرين

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، يعني المنكرين،
﴿إِنَّا كَرَّةٌ خَائِرَةٌ﴾، رجعة
خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت
لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت.
﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾، ﴿إِنَّمَا
يُنِ﴾، يعني النفخة الأخيرة،
﴿نَجْرَةٌ﴾، صيحة، ﴿وَبِعْدَةٍ﴾،
يسمعونها.

﴿إِنَّمَا هُمْ بِالْخَائِرَةِ﴾، يعني
وجه الأرض، أي صاروا على وجه
الأرض بعدما كانوا في جوفها.
والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض:
ساهرة. قال بعض أهل اللغة: تراهم
سموها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان
وسهرهم. قال سفيان: هي أرض
الشم. وقال قتادة: هي جهنم.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿هَلْ أَتَاكَ
حَبِيثٌ مُوسَى﴾، يقول قد جاءك يا
محمد حديث موسى.

﴿إِنَّمَا نَادَا رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَنَيْنِ
طَوًى﴾.

﴿فَقَالَ يَا مُوسَى﴾: ﴿أَنفَعُ لَكَ
رَبِّهِمْ إِنَّهُ طَوًى﴾، علا وتكبر وكفر بالله.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى﴾، قرأ
أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي:
أي تتزكى وتتطهر من الشرك، وقرأ
الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح،
قال ابن عباس: تشهد أن لا إله
إلا الله.

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾، أي
أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده
فتخشى عقابه.

﴿قَوْلُهُ آيَةُ الْكُرْبِيِّ﴾، وهي
العصا واليد البيضاء.

﴿تَكْذِبُ﴾، بأنهما من الله،
﴿وَعَمَى﴾.

﴿مِمَّ أَذْرَى﴾، تولى وأعرض
عن الإيمان ﴿يَتَعَن﴾، يعمل بالفساد
في الأرض.

﴿فَمَحَّرَ﴾، فجمع قومه
وجنوده، ﴿فَنَادَى﴾، لما اجتمعوا.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَوَّلَى﴾، فلا
رب فوقى. وقيل: أراد أن الأصنام
أرباب وأنا ربكم وربها.

﴿فَأَعْلَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾،
قال الحسن وقتادة: عاقبه الله فجعله
نكال الآخرة والأولى، أي في الدنيا
بالغرق وفي الآخرة بالنار. وقال
مجاهد وجماعة من المفسرين: أراد
بالآخرة والأولى كلمتي فرعون قوله:
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ يَوْمَ الْإِثْمِ غَيْرَ﴾
[القصاص: ٣٨] وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ
الْأَوَّلَى﴾، وكان بينهما أربعون سنة.

﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فعل
بفرعون حين كذب وعصى،
﴿لِأَمْرَةٍ﴾، عظة، ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾، الله
عز وجل.

﴿ثُمَّ خَاطَبَ مُنْكَرِي الْبَيْتِ﴾
فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَدْعُونَ خَلْقًا أَمْ لَكُمْ أَنَّهُمْ﴾،
يعني أخلقكم بعد الموت أشد عنكم
وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في
قدرة الله واحد، كقوله: ﴿لَخَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
الْحَائِثِ﴾ [غافر: ٥٧]، ثم وصف
من خلق السماء فقال: ﴿يُنَبِّئُهَا﴾.

﴿وَنَحَّ سَكَنَهَا﴾، سقنها
﴿تَوَنَّى﴾، بلا شقوق بلا شطور ولا
فطور.

﴿وَأَغْطَشَ﴾، أظلم، ﴿بَيْنَهُمَا﴾،
والغطش والغبش الظلمة، ﴿وَأَخْرَجَ
شُعَبَهَا﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها،
وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة
والنور كلاهما ينزل من السماء.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بسعد
خلق السماء، ﴿دَحَنَهَا﴾، بسطها،
والدحو: البسط. قال ابن عباس:
خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن
يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى
السماء فسواهن سبع سموات، ثم
دحا الأرض بعد ذلك. وقيل:
معناه: إذ الأرض مع ذلك دحاهما،
كقوله عز وجل: ﴿عَتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ
زَيْبِرٌ﴾ [القلم: ١٢] أي مع ذلك.

﴿وَأَخْرَجَ يَنْبُتًا مَاءَعًا﴾
﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ ﴿وَالْيَبَابَ أَرْسَنَاهَا﴾ ﴿مِمَّا لَكُمْ
وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الْفَائِئَةُ الْكُبْرَى﴾،
يعني النفخة الثانية التي فيها البعث
وقامت القيامة، وسميت القيامة
«طامة» لأنها تطم على كل هائلة من
الأمور، فتعلو فوقها وتغمر ما
سواها، والطامة عند العرب: الداهية
التي لا استطاع.

﴿يَوْمَ يَذَّكَّرُ الْأُنْصَارُ مَا سَعَى﴾،
ما عمل في الدنيا من خير وشر.

﴿وَوَرِثَ الْجَبِينُ لَمَنْ يَرَى﴾،
قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر
إليها الخلق.

﴿فَمَا مِنْ لَمْتٍ﴾، في كفرة.
﴿وَأَنَّ لَظُفْرًا أَذْيًا﴾، على
الآخرة.

﴿وَإِنَّ الْبَاسِمَ مِنَ الْبَارِئِ﴾
وَأَنَّ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْفُتُورِ، عن المحارم التي تشتبهها،
قال مقاتل: هو الرجل يهيم بالمعصية
فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

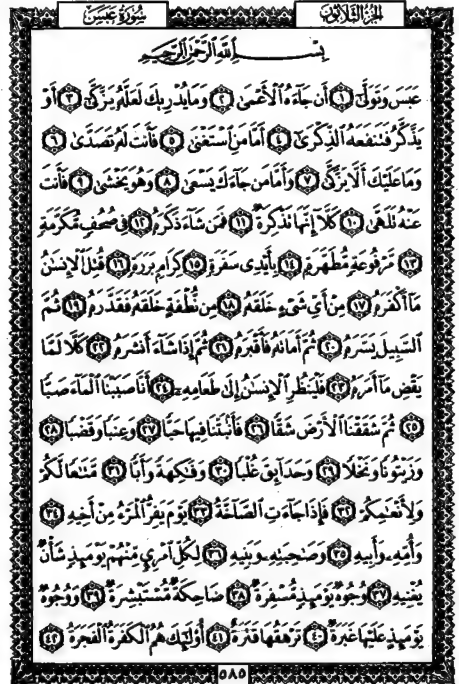
﴿وَإِنَّ الْبَلَاءَ مِنَ الْبَارِئِ﴾
يَتَلَوَّنَا عَنِ الشَّاعَةِ أَيَّانَ تُرْسِنَاهَا، متى
ظهورها وثبوتها.

﴿وَمِمَّ أَتَى مِنَ الْكِرْهَاتِ﴾، لست
في شيء من علمها وذكرها، أي لا
تعلمها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مُنْهَبَهَا﴾، أي منتهى
علمها عند الله.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنْذِرٌ مِمَّ يَنْفَتِنَاهَا﴾،
قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أي إنما
أنت مخوف من يخاف قيامها، أي
إنما ينفع إنذارك من يخافها.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾، يعني كفار قريش،
﴿يَوْمَ يَوْمُنَا﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿لَوْ
يَلْتَمِزُوا﴾، في الدنيا، وقيل: في
قبورهم، ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، قال
الفراء: ليس للعشية ضحى، إنما
الضحى اسم لصدر النهار، ولكن هذا
ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: أتيتك
العشية أو غداتها، إنما معناه آخر يوم
أو أوله، نظيره قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ مَا
يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَمِزُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ﴾
[الأحقاف: ٣٥].



سورة عبس

مكية [وهي اثنتان وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿عَبَسَ﴾، ﴿كَلَجَ﴾، ﴿وَنُكَرَ﴾،

أعرض بوجهه.

﴿أَن جَاءَهُ الْآخِزُ﴾، وهو ابن أم مكتوم واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي.

وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبدالمطلب وأبي بن خلف، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أفرئتني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مقبل على غيظه حتى ظهرت الكراهية في وجهه

رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعميد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه. وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله هذه الآية، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاها رسول الله ﷺ.

قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء.

﴿وَمَا يَذْكُرُ لَعَلَّ يَذْكُرُ﴾، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك، وقال ابن زيد: يسلم. ﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾، يتعظ، ﴿فَنَنْفَعُهُ﴾، الموعظة قرأ عاصم (فتنفعه) بنصب العين على جواب «لعل» بالفاء، وقراءة العامة بالرفع نسقاً على قوله: ﴿يَذْكُرُ﴾.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾، قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

﴿فَأَن تَلَمَّ تَلَمَّ﴾، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه، قرأ أهل الحجاز «تصدى» بتشديد الصاد، أي تصدى، وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكُ﴾، أن لا

يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾، يمضي يعني: ابن أم مكتوم.

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾، الله عز وجل.

﴿فَأَن تَعَثَّ تَلَعَّ﴾، تتشاغل وتعرض عنه.

﴿كَلَّا﴾، زجر أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿إِنَّمَا﴾، يعني هذه الموعظة. وقال مقاتل: آيات القرآن. ﴿نَذْكُرُهُ﴾، موعظة وتذكير للخلق.

﴿فَنَشَاءُ﴾، من عباد الله ﴿ذَكَرُهُ﴾، أي اتعظ به. وقال مقاتل: فمن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ بمشيئته وتفهمه، والهاء في «ذكره» راجعة إلى القرآن والتنزيل والوعظ. ثم أخبر عن جلالة عنده فقال:

﴿فِي مِحْنٍ تَكْذِبُ﴾، يعني اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَبَى الْأَشْهُفِ﴾، ﴿أَلَاؤُكَ﴾ ﴿مِصْحَفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨ و ١٩].

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، ربيعة القدر عند الله عز وجل. وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة. ﴿نُظَرَّتُمْ﴾، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

﴿وَيَأْتِي سَفَرٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: كنية، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر، يقال: سفرت أي كتبت. ومنه قيل للكتاب: سفر وجمعه أسفار. وقال

الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم.

﴿١٦﴾ ثم أننى عليهم فقال: ﴿كَلِمَ بَرٍّ﴾، أي كرام على الله، بررة مطيعين، جمع بار.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، أي لعن الكافر.

قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب ﴿أَفْلَحَ أَكْفَرُ﴾، ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب، قال الزجاج: معناه اعجبوا أنتم من كفره. قال الكلبي ومقاتل: هو ﴿ما﴾ الاستفهام، يعني أي شيء حملة على الكفر؟ ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

﴿١٨﴾ فقال: ﴿مِنْ أَيْ قُوَّةٍ خَلَقَهُ﴾، لفظة استفهام ومعناه التقرير.

﴿١٩﴾ ثم فسره فقال: ﴿مِنْ قُوَّةٍ خَلَقَهُ قُدْرُهُ﴾، أطواراً: نطفة ثم علقه إلى آخر خلقه. قال الكلبي: قدر خلقه رأسه وعينه ويديه ورجليه.

﴿٢٠﴾ ﴿فَمَنْ أَلْبَسَ يَسْرَهُ﴾، أي طريق خروجه من بطن أمه. قاله السدي ومقاتل، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به، كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] ﴿وَقَدْ يَتَنَّهُ الْفَجِينُ﴾ [البلد: ١٠]، وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه.

﴿٢١﴾ ﴿مَنْ أَمَّا لَكَ فَاقْبَرُ﴾، جعل له قبراً يوارى فيه. قال الفراء: جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقي كالسباع والطيور. يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله أي صيره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر، كما يقال: طردت فلاناً والله أطرده أي صيره طريداً.

﴿٢٢﴾ ﴿مَنْ إِذَا مَلَئَتْهُ أَثَرُ﴾، أحياء بعد موته.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا﴾، رداً عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر، وقال الحسن: حقاً. ﴿أَنَا يَقِينٌ مَا أَمْرُ﴾، أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر.

﴿٢٤﴾ فقال: ﴿يَنْتَظِرُ الْإِنْسَانُ إِلَّا طَمَئِينَةً﴾، كيف قدره ربه [ودبر له] وجعله سبباً لحياته. وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

﴿٢٥﴾ ثم بين فقال: ﴿أَنَا﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿أَنَا﴾ بالفتح على تكرير الخافض، مجازة فليتنظر إلى أنا، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف. ﴿مَبِينًا لِّلَّهِ مَبِينًا﴾، يعني المطر.

﴿٢٦﴾ ﴿مَنْ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾، بالنبات.

﴿٢٧﴾ ﴿فَالْبَلَدُ بِمَا عَاشَ﴾، يعني الحبوب التي يتغذى بها.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَنْ وَصَّيْنَا﴾، وهو القم

الرطب، سمي بذلك لأن يقضب في كل الأيام أي يقطع. وقال الحسن: القضب العلف للدواب.

﴿٢٩﴾ ﴿وَرَزَوْنَا﴾، وهو ما يعصر منه الزيت، ﴿وَنَقَلْنَا﴾، جمع نخلة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَمَدَّيْنَا عُلَّاقًا﴾، غسلاظ الأشجار واحداها أغلب، ومنه قيل: الغليظ الرقبة أغلب. وقال مجاهد ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض، قال ابن عباس: طوالاً.

﴿وَنَكَّهْنَا﴾، يريد ألوان الفواكه، ﴿وَأَبَّأْنَا﴾، يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب. قال عكرمة: «الفاكهة» ما يأكله الناس، والأب ما يأكله الدواب.

ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم والأب لأنعامكم.

وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام.

﴿٣١﴾ وروى عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: ﴿وَنَكَّهْنَا﴾ ﴿وَأَبَّأْنَا﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب؟ ثم رفع عصاً كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا دفعوه.

سورة التكويد

مكية [وهي تسع وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل السرخسي إملاء، أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا إبراهيم بن خالد، ثنا عبدالله بن بحير القاضي، قال: سمعت عبدالرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾».

① قوله عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قال علي بن أبي طلحة [عن ابن عباس]: أظلمت، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: ذهب ضوءها. وقال سعيد بن جبير: غُورَت. وقال مجاهد: اضمحلت. وقال الزجاج: لفت كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً إذا لففتها، وأصل التكويد جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها. قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله، أنا عبدالله بن عبدالرحمن، ثنا محمد بن عبدالعزيز، ثنا ابن أبي أويس، ثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان» فقلت: يا رسول الله، واسواته ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه».

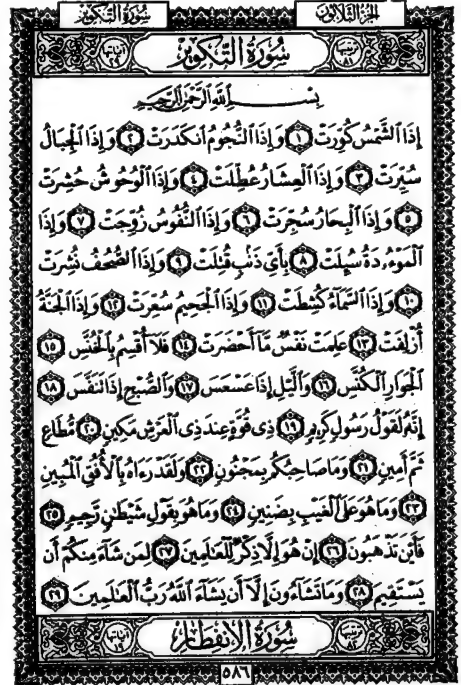
② ﴿يُجِوُّ يَوْمَهُدْ تُتَرَبَّدُ﴾، مشرقة مضببة.

③ ﴿مَلَامِكُ﴾، بالسرور ﴿تُسْتَبِيرُ﴾، فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل.

④ ﴿يَوْمَهُدْ يَوْمَهُدْ عَيْنَا مَبْرُورُ﴾، سواد وكابة مما يشاهدونه من الغم والهم.

⑤ ﴿تَرَفَّتْ قُرُونُهُ﴾، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف. قال ابن عباس: تغشاها ذلة. قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة: أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.

⑥ ﴿أُولَئِكَ﴾، الذين يصنع بهم هذا، ﴿مُكْرَّمَةُ الْقَبْرِ﴾، جمع الكافر والفاجر.



⑦ ﴿مَنْعًا لَكُمْ﴾، منفعة لكم يعني الفاكهة، ﴿وَلَا تُفَكِّكُ﴾، يعني العشب. ثم ذكر القيامة فقال: ﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ﴾، يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تنصخ الأسماع، أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمها.

⑧ ﴿يَوْمَ يُرَى الْكَرَّةُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَوْمَ يُرَى الْوَيْدُ مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾، لا يلتفت إلى أحد منهم لشغله بنفسه، حكى عن قتادة قال في هذه الآية: يفر المرء من أخيه، قال: يفر هابيل من قابيل، ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبتة ونوح عليه السلام من ابنه.

⑨ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ نِيتُهُمْ يَوْمَهُدْ ثَانٌ يَتَّبِعُ﴾، يشغله عن شأن غيره.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبدالعزيز بن المختار، ثنا عبدالله الدنانج حدثني أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَثَرَتْ﴾، أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، على وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدها عشاء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب، عَطَلَتْ تركت هملأ بلا راع أهملها أهلها، وكانوا لازمين لأذنابها، ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها، لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، يعني دواب البر، جمععت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حشرها موتها. وقال: حشر كل شيء الموت، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. وقال أبي بن كعب: اختلطت.

﴿وَإِذَا الْيَبَايُ اسْتُرِجَتْ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، قال ابن عباس:

أوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح، فصارت البحور كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي: ملئت، وهذا أيضاً معناه: ﴿وَالْبَحْرُ الْكَاسِحُ﴾ [الطور: ٦]، والمسجور: المملوء، وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: بيست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس [فيئنا هم كذلك إذ تناثرت النجوم] فيئنا هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش والسياب، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، واختلطت، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، ﴿وَإِذَا الْيَبَايُ اسْتُرِجَتْ﴾، قال: قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، قال: فيئنا هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فيئنا هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم. وعن ابن عباس أيضاً قال: هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وهي ما ذكره بقوله عز وجل:

روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويعرف بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وهذا قول عكرمة، وقال الحسن وقاتدة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، قال الربيع بن خثيم: يحشر الرجل مع صاحب عمله. وقيل: زوجت النفوس بأعمالها. وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالبحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وروى عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِلَتْ﴾، وهي الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها، أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة، يقال: وأد يثدو وأداً، فهو وائد والمفعول مؤود، روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

﴿وَإِذَا ذُنُوبُ قُلُتْ﴾، قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما، وأبو جعفر يقرأ: «قتلت» بالتشديد، ومعناه تسأل المؤودة، فيقال لها

صاح صيحة بشمود فأصبحوا جائمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾، في المنزلة.

﴿١١﴾ ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾، أي فسي السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج، بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، ﴿أَمِينٌ﴾، على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا سَاجِدٌ بِمَجْنُونٍ﴾، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿بِالْأَفْقِ الْكَلِيمِ﴾، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق، قاله مجاهد وقتادة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا محمد بن جعفر، ثنا الحسن بن عليوة، ثنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر، أنا ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء»، قال: لن

مجاريتها. وقال قوم: هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس في مجراها أي ترجع وراءها وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الأطباء في مغارها. وقال ابن زيد: معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى.

وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله أنها هي الوحش، وقال سعيد بن جبير: هي الأطباء. وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش.

﴿١٤﴾ ﴿وَأَتْلُوهَا إِذَا سَمِعْتُمْ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون أدبر. تقول العرب: عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

﴿١٥﴾ ﴿وَأَنْصِتْ إِذَا تَنَجَّسَ﴾، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع.

﴿١٦﴾ ﴿إِنَّمَا﴾، يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يعني جبريل، أي نزل به جبريل عن الله تعالى.

﴿١٧﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول: قتلت بغير ذنب. وروي أن جابر بن زيد كان يقرأ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِلَتْ﴾ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومثله قرأ أبو الضحى.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب «نشرت» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، لقوله: ﴿يَبْقَى صُحُفًا مُنثَرَةً﴾ [المندر: ٥٢]، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

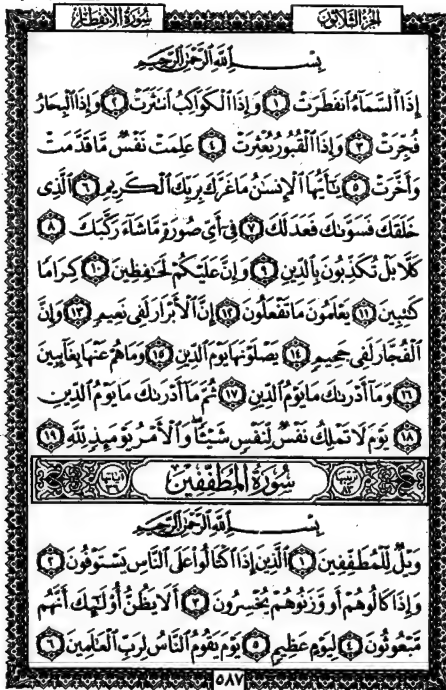
﴿١٩﴾ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قال الفراء: نزعت فطويت. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. وقال مقاتل: تكشف عمن فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

﴿٢٠﴾ ﴿وَإِذَا الْجَبَبِيمُ سُيِّرَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام، وحفص عن عاصم «سعرت» بالتشديد، وقرأ الباقر بالتخفيف أي: أوقدت لأعداء الله.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أَتِلَتْ﴾، قربت لأولياء الله.

﴿٢٢﴾ ﴿عَسَتْ﴾، عند ذلك ﴿تَنَسَّ﴾ أي كل نفس ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: ﴿إِذَا أَتَمَّشُ كُورَتٍ﴾ وما بعدها.

﴿٢٣﴾ - ﴿١١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالْقِسْطِ﴾. لَجَرَارِ الْكَلْبِ، ولا زائدة معناه أقسم بالخنس، قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى. وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس بالليل فتأوي إلى



﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿يَقُولُ شَيْطَانِي﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

﴿فَإِنَّ تَذْهَبِينَ﴾، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان؟ قال الزجاج: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

﴿ثُمَّ بَيْنَ فَقَالَ: إِنَّ هُوَ﴾، أي ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، موعظة للخلق أجمعين.

﴿لَمَنْ شَاءَ يَنْكَمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾، أي يتبع الحق ويقيم عليه.

﴿وَمَا تَنْهَاهُمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرُونَ على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا شراً إلا بخذلانه.

سورة الانفطار

مكية [وهي تسع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، انشقت.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَزَعَتْ﴾، تساقطت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، فجر

تقوى على ذلك، قال: بلى، قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: بالأبطح، قال: لا يسعني، قال: فههنا، قال: لا يسعني، قال: فبعرفات، قال: ذلك بالحري أن يسعني فواعده، فخرج النبي ﷺ في الوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ كبر وخر مغشياً عليه. قال: فتحول جبريل في صورته فضعه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف فكيف لك لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور، حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته.

﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كان غائباً عنه من الأنبياء والقصاص، ﴿بِمَنْزِلٍ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالطاء أي بمتهم، يقال: فلان يظن بمال ويزن أي يتهم به والظنة التهمة، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخل، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتّم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، تقول العرب: ضننت بالشئ بكسر النون أضن به ضناً وضنانة فأننا به ضنين أي بخيل.

بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح، فصارت بحراً واحداً. وقال الربيع: فجرت فاضت.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، بحثت وقلب ترابها وبعث ما فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثت الحوض وبعثته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قيل ما قدمت من عمل صالح أو سيئ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات، على ما ذكرنا في قوله: ﴿يَوْمَ الْإِنْشَاءِ يُؤْمَرُ بِمَا قَدَّمَ وَآخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيرِ﴾، ما خدعك وسؤل لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟ قال

عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله عز وجل، فأنزل الله هذه الآية يقول: ما الذي غرك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلاً بكفرك.

قال قتادة: غره عدوه المسلط عليه يعني الشيطان. قال مقاتل: غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره. وقال السدي: غره رفق الله به.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة. فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: يا فضيل ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه فقال: ما غرك بي؟ قلت: غرني بك برك بي سالفاً وآتفاً. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرني بك كرم الكريم. قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لفته الإجابة حتى يقول: غرني كرم الكريم.

﴿أَلَيْسَ خَلْقَكَ سُوءًا فَعَدْلُكَ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر «فعدلك» بالتخفيف فصرفت وأمالك إلى أي صورة شاء حسناً وقبيحاً وطويلاً وقصيراً. وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معشداً للخلق والأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قال مجاهد والكلبي ومقاتل: في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم. وجاء في الحديث: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾»، وذكر الفراء قولاً آخر ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابة، أو حيوان آخر.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾، قرأ أبو جعفر بالياء، وقرأ الآخرون بالياء لقوله: ﴿وَلَا عَلَىكُمْ حَافِظِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ﴾، بالجزء والحساب.

﴿وَلَا عَلَىكُمْ حَافِظِينَ﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿كِرَامًا﴾ على الله، ﴿كَبِيرِينَ﴾، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿يَقْتُلُونَ مَا تَفْتَلُونَ﴾، من خير أو شر.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتنب معاصيه.

﴿وَلَا الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المزني: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله؟ فقال: فأين أجده في كتاب الله؟ فقال عند قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، ﴿وَلَا الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. قال سليمان فأين

رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَهَا﴾، يدخلونها، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم القيامة.

﴿وَمَا تُمْ عَنْهَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾، كسر تفخيماً لشانه.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ فقال: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ، قرأ أهل الكوفة والبصرة «يَوْم» برفع الميم رداً على اليوم الأول، وقرأ الآخرون بنصبها أي في «يوم» يعني هذه الأشياء في يوم لا تملك. ﴿تَنْقَسُ لَيَقِينَ شَيْئًا﴾، وقال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، أي يوم لا يملك الله في ذلك أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا.

سورة المطففين

[مدينة] [وهي ست وثلاثون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس. قال الزجاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد

(كالوا أو وزنوا) بالالف
كسائر الأفعال مثل جاؤوا
وقالوا: واتفقت
المصاحف على إسقاط
الالف، ولأنه يقال في
اللغة: كلتك ووزنتك. كما
يقال كلت لك ووزنت
لك. وقوله: ﴿يخسرون﴾
أي ينقصون، قال نافع:
كان ابن عمر يمر بالبائع
فيقول اتق الله أوف الكيل
والوزن، فإن المطففين
يوقفون يوم القيامة حتى
إن العرق ليلجمهم إلى
أنصاف آذانهم.

— ١ — ﴿أَلَا يَتْلُو﴾

يستقيّن، ﴿أولئك﴾، الذين يفعلون ذلك، ﴿أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ﴾ ﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾،
يعني يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، من
قبورهم، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لأمره
ولجزائه ولحسابه.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن المنذر، أنا معن حدثني مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه».

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، أنا
أبو طاهر محمد بن أحمد بن
الحارث، ثنا محمد بن يعقوب

المخلدي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، ثنا عبد الرحمن بن بشر، ثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلنَّاطِقِينَ﴾ فاحسنوا الكيل.

وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية، فإله تعالى جعل الويل للمطففين.

ثم بين أن المطففين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى الْنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، وأراد إذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم، و(من)، و(على) يتعاقبان. قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وأراد الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن.

﴿وَلَا تَكُلُوْهُمۡ اَوْ يَزُوْهُمْ﴾
يُخْسِرُوْهُ، أي كالأول لهم أو وزنوا
لهم أي للناس، يقال: وزنك حقك
وكلتك طعامك، أي وزنت لك
وكلت لك كما يقال نصحتك
ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك
كسبتك وكسبت لك. قال أبو عبيدة
وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين
يقف على ﴿كألوا ووزنوا﴾ وابتدئ
﴿هم يخسرون﴾ قال أبو عبيدة:
والاختيار الأول، يعني أن كل واحدة
كلمة واحدة، لأنهم كتبوهما بغير
الف، ولو كانتا مقطوعتين لكتب:

ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليتردعوا، وتام الكلام ههنا، وقال الحسن: «كلا» ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾، قال عبدالله بن عمر، وقتادة، ومجاهد، والضحاك: ﴿سِجِّينَ﴾ هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن فتجويه: ثنا موسى بن محمد، ثنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، ثنا المسيب، ثنا الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «سجين» أسفل سبع أرضين، و«عليون» في السماء السابعة تحت العرش.

وقال شمرة بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾، فقال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبل فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم، ويوضع تحت جند إبليس، لمعرفة الهلاك بحساب يوم القيامة.

وإليه ذهب سعيد بن جبير، قال: سجين تحت جند إبليس. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته، وقال الكلبي:

هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، وخضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها. وروى ابن أبي نجيج عن مجاهد أيضاً قال: سجين صخرة تحت الأرض السفلى، تغلب، فيجعل كتاب الفجار فيها. وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس.

وجاء في الحديث: «الفلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح».

وقال عكرمة: ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فعيل من السجن، كما يقال: فسيق وشريب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجِّينَ﴾، قال الزجاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿كِتَابَ مَرْقُومَ﴾، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: إن كتاب الفجار أي هو كتاب الفجار مرقوم أي هو كتاب مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحو حتى يجازوا به. وقال قتادة ومقاتل: رقم عليه بشركائه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر. وقيل: مختم بلغة حمير.

﴿قَالَ يَوْمَئِذٍ لِلْمَلَكَيْنِ﴾، ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾، ﴿وَمَا يَكْتُمُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُتَذَكِّرٍ أَتَيْتَهُ إِذَا تَوَلَّى عَلَيْهِ مَا بَشَا قَالَ اسْتَطِيرَ الْأَلْبَانِ﴾.

﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي، ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أنا إبراهيم بن حزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبدالله بن حميد الكشي، ثنا صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان، عن الققعاق بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تملأ قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وأصل «الرين» الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين ريناً وريوناً إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَشْهُورُونَ﴾، قال ابن عباس: كلا يريد لا يصدقون، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَشْهُورُونَ﴾، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكهم. وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته. قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا. قال الحسين بن الفضل كما حججهم في الدنيا عن

توحيدهم حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وسئل مالك عن هذه الآية فقال: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رآوه. وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾: دلالة على أن أولياء الله يرون الله عياناً، ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾، لداخلوا النار.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾، أي تقول لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه، ثم بين محمل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾.

روينا عن البراء مرفوعاً: «أن عليين في السماء السابعة تحت العرش». وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال [عطاء عن] ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون. وقال الفراء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ - ﴿كُتِبَ تَرْوُهُمْ﴾، ليس هذا بتفسير عليين، أي مكتوب أعمالهم، كما

ذكرنا في كتاب الفجار، وقيل: كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول مقاتل، وقيل: رقم لهم يخبر وتقدير الآية على التقديم والتأخير، مجازها: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم في عليين، وهو محل الملائكة، ومثله إن كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿يَكْتُبُهُ الْمَلَكُونَ﴾، يعني الملائكة الذين في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، وذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَيِّبٍ﴾ - ﴿عَلَى الْأَعْيُنِ يُعَيَّرُونَ﴾، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَقَرةَ النَّيْرِ﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض، قال الحسن: النقرة في الوجه والسرور في القلب، وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿تعرف﴾ بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل ﴿نقرة﴾ رفع، وقرأ الباقر بفتح التاء وكسر الراء ﴿نقرة﴾ نصب.

﴿يَسْتَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾، خمر صافية طيبة قال مقاتل: الخمر البيضاء. ﴿مَخْتَوٍ﴾، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، قال مجاهد: ﴿مَخْتَوٍ﴾ أي مطين.

﴿خَتَمُهُ﴾، أي طينته، ﴿مِسْكٌ﴾، كأنه ذهب إلى هذا

المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين. [وقال] ابن مسعود: مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه، وعاقبته مسك، فالمختوم الذي له ختام، أي آخر وختم كل شيء الفراغ منه. وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك. وقراءة العامة ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ بتقديم التاء، وقرأ الكسائي ﴿خاتمته﴾ وهي قراءة علي وعلقمة ومعناهما واحد كما يقال: فلان كريم الطابع والطابع والخاتم والختام آخر كل شيء. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل. وقال مجاهد: فليعمل العاملون، نظيره قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ فُلُوكَ الْمُتَنَافِسِينَ﴾ [الصفافات: ٦١]، قال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون. وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريد كل أحد لنفسه ويفس به على غيره، أي يضمن.

﴿وَرَمَازُهُمْ مِنْ تَنَبُّيٍّ﴾، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وقيل: يجري في الهواء مستنماً فينصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة، وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير. قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب. قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمقربين يشربونها صرفاً ويمزج

اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالِئِمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ هل الآذيك، من الدر والياقوت، ينظرون، إليهم في النار.

﴿٢٦﴾ قال الله تعالى: ﴿هل ثوب﴾، هل جوزي، الكفار ما كانوا يتفنون، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هنا التقرير. ثوب وأثاب بمعنى واحد.

سورة الانشقاق

مكية [وهي خمس وعشرون آية].
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ إِذَا النُّجُومُ انْشَقَّتْ، انشقاقها من علامات القيامة.

﴿٢﴾ وَأَذَّتْ رِبْحًا، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع، وحققت، أي وحق لها أن تطيع ربها.

﴿٣﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، مد الأديم العكاظي، وزيد في سعتها. وقال مقاتل: سويت كمد الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل.

﴿٤﴾ وَأَلْقَتْ، أخرجت، ها فيها، من الموتى والكنوز، غلَّتْ، خلت منها.

﴿٥﴾ وَأَذَّتْ رِبْحًا وَحَقَّتْ، واختلفوا في جواب «إذا» قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الشواب

المؤمنون بالكفار، ﴿يَتَفَتَحُونَ﴾، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

﴿٦﴾ إِذَا انْقَلَبُوا، يعني الكفار، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ انقلبوا فكهين، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم.

﴿٧﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ، رآوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾، يأتون محمداً ﷺ يرون أنهم على شيء.

﴿٨﴾ وَمَا أُرْسِلُوا، يعني المشركين، ﴿حَتَّىٰ﴾، يعني على المؤمنين، ﴿حَفِظِينَ﴾، أعمالهم أي لم يוכלوا بحفظ أعمالهم.

﴿٩﴾ قَالِئِمَ، يعني في الآخرة، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، قال أبو صالح وذلك أنه يفتح للكفار وهم في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يفعل بهم ذلك مراراً والمؤمنون يضحكون.

وقال كعب: بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له، كان في الدنيا، اطلع عليه من تلك الكوى، كما قال: ﴿هَاطَعٌ قَرَاهُ فِي سَوَاوِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، فإذا



لسائر أهل الجنة. وهو قوله: ﴿وَمَرَأَتُهُم بَيْنَ قَتِينٍ﴾.

﴿١٨﴾ حِينَ يَتْرَبُ رِبَا الْمُتَرَبِّينَ، وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿بَيْنَ قَتِينٍ﴾ قال هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿عَيْنًا﴾ نصب على الحال، ﴿يَتْرَبُ﴾ أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفاً.

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، أشركوا يعني كفار قريش أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين. ﴿يَضْحَكُونَ﴾، وبهم يستهزؤون.

﴿٢٥﴾ إِذَا مَرَأَتُهُمْ، يعني مر

والعقاب. وقيل جوابه: ﴿تَأْتِيَا﴾
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَافٍ، ومجازه: إذا
 السماء انشقت لقي كل كادح ما
 عمله. وقيل: جوابه وأذنت، وحيث
 تكون الراو زائدة ومعنى قوله:
 ﴿كَافٍ لَكَ رَبُّكَ كَدًّا﴾، أي ساع إليه
 في عملك، والكدح: سعي الإنسان
 وجهده في الأمر من الخير والشر
 حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر.
 وقال قتادة والكلبي والضحاك: عامل
 لربك عملاً، ﴿مُتَّفِقِدٍ﴾، أي ملاقي
 جزاء عملك خيراً كان أو شراً.
 ﴿يَأْتَا مَن أُرِيقَ كَبِيرٌ﴾،
 ديوان أعماله، ﴿يَبِينُهُ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ﴾
 حساباً يبيراً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
 المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد ابن
 أبي مريم، أنا نافع، عن ابن عمر
 حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج
 النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا
 تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه.
 وإن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ
 عَذِبٌ» قالت عائشة رضي الله عنها
 فقلت: يا رسول الله أوليس
 يقول الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ﴾
 حساباً يبيراً؟ قالت فقال: «إنما ذلك
 العرض، ولكن من نُوقِشَ في
 الحساب يهلك».

﴿وَنَقَلُ إِلَهُ أَهْلِهِ﴾، يعني في
 الجنة من الحور العين والأدميات،
 ﴿مُسْرُورًا﴾، بما أوتي من الخير
 والكرامة.

﴿وَأَنَا مَن أُرِيقَ كَبِيرٌ وَرَدَّ﴾
 ظهري، فتغل يده اليمنى إلى عنقه

وتجعل يده الشمال وراء ظهره،
 فيؤتى كتابه بشماله من رواء ظهره.
 وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من
 وراء ظهره.

﴿هَسَوْتُ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، ينادي
 بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا
 ويلاه يا ثبوراه، لقوله تعالى: ﴿دَعَا﴾
 مُنَالِكُ ثُبُورًا [الفرقان: ١٣].

﴿وَصَلَّى سَيْرًا﴾، قرأ أبو
 جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة
 «وَصَلَّى» بفتح الباء خفيفاً كقوله:
 ﴿صَلَّى النَّارَ الْكَبِيرًا﴾ [الأعلى: ١٢]،
 وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الصاد
 وتشديد اللام لقوله: ﴿وَصَلَّى جَمِيعٌ﴾
 [الواقعة: ٩٤]، ﴿مَرَّ لِلْجَمِّ سَلُوءٌ﴾
 [الحاقة: ٣١].

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا﴾،
 يعني في الدنيا، باتباع هواه وركوب
 شهوته.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾، أن لن
 يرجع إلينا ولن يبعث.

﴿ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا﴾، أي ليس
 كما ظن بل يحور إلينا ويبعث، ﴿إِنَّ﴾
 رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ من يوم خلقه إلى
 أن بعثه.

﴿قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقِيمُ﴾
 بِالْشَّفَقِ﴾، قال مجاهد: هو النهار
 كله. وقال عكرمة: ما بقي من
 النهار. وقال ابن عباس وأكثر
 المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في
 الأفق بعد غروب الشمس. وقال
 قوم: هو البياض الذي يعقب تلك
 الحمرة.

﴿وَأَيْلَى وَمَا وَتَى﴾، أي
 جمع وضم، يقال وسقته أسقه
 وسقاً، أي جمعته، واستوسقت

الإبل إذا اجتمعت وانضمت،
 والمعنى: والليل وما جمع وضم ما
 كان بالنهار منتشراً من الدواب،
 وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل
 شيء إلى مأواه. روى منصور عن
 مجاهد قال: ما لف وضم وأظلم
 عليه. وقال مقاتل بن حيان: ما أقبل
 من ظلمة أو كوكب. وقال سعيد بن
 جبير: وما عمل فيه.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، اجتمع
 واستوى وتم نوره وهو في الأيام
 البيض. وقال قتادة: استدار وهو
 اقتعل من الوسق الذي هو الجمع.

﴿وَلَتَرَكُنَّ﴾، قرأ أهل مكة
 وحمزة والكسائي «لتركين» بفتح
 الباء، يعني لتركين يا محمد «طبقاً
 عَنْ طَبَقٍ»، قال الشعبي ومجاهد:
 سماء بعد سماء. قال الكلبي: يعني
 تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة
 بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب
 من الله تعالى والرفعة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
 المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن
 النضر، أنا هشيم، أنا أبو بشر عن
 مجاهد قال قال ابن عباس: ﴿لَتَرَكُنَّ﴾
 طبقاً عَنْ طَبَقٍ حالاً بعد حال، قال:
 هذا نبيكم ﷺ.

وقيل: أزد به السماء تتغير لوناً
 بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة
 كالمهل، فتشقق بالغمام مرة وتطوى
 أخرى. وقرأ الآخرون بضم الباء لأن
 المعنى بالناس أشبه، لأنه ذكر من

رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتبة فقرأ إذا السماء انشقت، فسجد فقلت: ما هذا؟ قال سجدت بها خلف أبي القاسم ؑ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾،

بالقرآن والبعث.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعَى﴾. في

صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتُمون.

﴿فَيَنْهَرُهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، غير مقطوع ولا منقوص.

سورة البروج

مكية وهي اثنان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّامَةُ لَبِئْسَ لِلَّهِ الْبَرَّاجِ﴾

﴿وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ﴾، هو يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن موسى، عن عبدة عن أيوب بن خالد، عن عبدالله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها

النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن عبد العزيز، أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شيراً شبراً وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»

﴿قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، استفهام إنكار.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَجِدُّونَ﴾. قال الكلبي ومقاتل: لا يصلون.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة، ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في «اقرأ باسم ربك» وإذا السماء انشقت.

أخبرنا، عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، أنا معمر قال: سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي



قبل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَ بَيْبِئَةٍ﴾، «وشماله» وذكر من بعد ﴿فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وأراد لتركيبن حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و«عن» بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيراً ومرة غنياً.

وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد وأحوال الموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ. وقال أبو عبدة: لتركيبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيز من شيء إلا أعاده منه.

وهذا قول ابن عباس والأكثر: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. وروى عن ابن عمر: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وقال عبدالعزيز بن يحيى «الشاهد» محمد ﷺ، والمشهود الله عز وجل، بيانه قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. وروى ابن أبي نجيع عن مجاهد قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. وقال عكرمة الشاهد: الإنسان والمشهود يوم القيامة. وعنه أيضاً: الشاهد الملك يشهد على ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وتلا: ﴿وَمَعَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِرٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، و﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقيل: الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم، وقال عطاء بن يسار: الشاهد آدم وذريته، والمشهود يوم القيامة. وروى الوالي عن ابن عباس: الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة. وقال

الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم. بيانه: ﴿وَذَلِكَ جَمَلْتُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنُكْثِرُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾، فقال: الشاهد هو الله والمشهود نحن، بيانه: ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]. وقيل: الشاهد الأنبياء والمشهود محمد، بيانه قوله: ﴿وَلَوْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، أي لعن، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد. واختلفوا فيهم.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن سعدان الخطيب أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم، ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، ثنا هبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، ففقد إليه وسمع

كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربه، فشكا إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر، فأخذ حجراً ثم قال اللهم: إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقلتها فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويدوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جلس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما [ههنا] لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت أمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي عز وجل، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فنجى بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل كذا وتفعل

مكانها، وفي يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربي الله، فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه.

وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة، وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر، وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بداً من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت، فأعجبه ذلك، وذكر قريباً من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول لك، قال: فكيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم إلهي، ففعل الملك فقتله، فقال الناس: لا إله إلا الله إله عبدالله بن تامر لا دين إلا دينه، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخذ أخذوا وملاه نارا ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن قال: ديني دين عبدالله بن تامر ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاث أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فآلقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت،

سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً فأتى الملك، فقيل له: أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخذت وأضرم بها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتعاسست أن تقع عليها، فقال لها الغلام: يا أماء اصبري فإنك على الحق.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة.

وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه فخذ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، ثم غلب أرباط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً فاقترحم البحر بفرسه فغرق، قال الكلبي: وذو نواس قتل عبدالله بن التامر.

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر، أن خربة احترقت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دماً وإذا تركت ارتدت

كذا، قال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ

فألقي الثاني في النار، ثم قال لها: ارجعي، فأبى، فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهتت المرأة بالرجوع، فقال الصبي: يا أماء لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق، ولا بأس عليك، فألقي الصبي في النار، وألقيت أمه على أثره.

وقال سعيد بن جبيرة وابن أبيزى: لما انهزم أهل إسفندهار قال عمر بن الخطاب: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت، وما المخرج منه قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، وتقول: إن الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته، فقام خطيباً فقال: إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات، فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا، أو نقر به، وما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرؤا فجرد فيهم السيف. فأبوا أن يقرؤا. فخذ لهم أخدوداً وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ولم يطعه قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله.

وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالاً ونساء فخذوا لهم أخدوداً ثم أوقدوا

فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: أنكفرون أم تقذفكم في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال أبو الطفيل عن علي رضي الله عنه: كان أصحاب الأخدود نبههم حبشي، بعث من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي رضي الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، الآية، فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم فقتل أصحابه فأخذوا وأوثق من أفلت منهم فخذوا أخدوداً فملؤوها ناراً فمن اتبع النبي رُمي فيها، ومن تابعهم تركوه، فجأؤوا بامرأة ومعها صبي رضيح فجزعت، فقال الصبي: يا أماء مري ولا تنافقي.

وقال عكرمة: كانوا من النبط أحرقوا بالنار.

وقال مقاتل: كانت الأخدود ثلاثة، واحدة بنجران باليمن، وواحدة بالشام، والأخرى بفارس. أما التي بالشام فهو أبطاموس الرومي، وأما التي بفارس فبختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فأما التي بالشام وفارس فلم يُنزل الله فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران، وذلك أن رجلاً مسلماً ممن يقرأ الإنجيل أجر نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام، فتابعه هو وسبعة

وثمانون إنساناً من بين رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخذ لهم في الأرض وأوقد فيها ناراً فعرضهم على الكفر، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه، وإن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت [حتى] ترجع فقال لها ابنها: يا أماء إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنتها في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنساناً. فذلك قوله عز وجل: ﴿يُلَاقِيهِمْ فِيهَا النَّارُ وَالْأَنْدَادُ﴾.

⑤ ﴿أَلَا وَكَانَ الْآخِرُ﴾، يدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

⑥ ﴿إِذْ هَرَعَلَيْهَا قُودٌ﴾، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود.

⑦ ﴿وَهُمْ﴾، يعني التملك وأصحابه الذين خذوا الأخدود، ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿شُهُودٌ﴾، حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون أن المؤمنين في ضلال حين تركوا عبادة الصنم.

﴿٨﴾ وَمَا فَعَمُوا مِنْهُمْ ۖ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا كَرِهُوا مِنْهُمْ، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، قَالَ مَقَاتِلُ مَا عَابُوا مِنْهُمْ. وَقِيلَ: مَا عَلِمُوا فِيهِمْ عَيْبًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ذَنْبًا إِلَّا إِيْمَانَهُم بِاللَّهِ، ﴿الْمَرْبُوعُ الْحَمِيدُ﴾.

﴿الَّذِي لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
أَفْعَالُهُمْ﴾ ﴿شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾، عذبوا وأحرقوا، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يقال: فتنن الشيء إذا أحرقته، نظيره: ﴿يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى النَّارِ نُنْتِنُ﴾، ﴿ثُمَّ لَوْ تَبَوَّأُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾، بكفرهم، ﴿وَكُلَّمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ﴾، يعني لقد قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل أصحاب الأعداء والسماء ذات البروج. وقال قتادة: جوابه:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله: ﴿إِنَّ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ﴾، أَي

يخلقهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم
أحياء بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، لذنوب المؤمنين، ﴿الْأَوْدُدُ﴾، المحب لهم، وقيل: معناه المودود، كالحلوب والركوب، بمعنى المحلوب والمركوب. وقيل: يغفر ويود أن يغفر، وقيل: المتوّد إلى أوليائه بالمغفرة.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿المجيد﴾ بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: ﴿رَبُّ ذُو الْعَرْشِ الْكَرِيمُ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، [ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها]، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة «ذو العرش».

﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾، لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع منه شيء طلبه.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ بِحَدِيثِ الْجَنَّةِ﴾، قد أتاك خبر الجموع للكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بين من هم.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَهُمُودٌ﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِكُمْ، من قومك
 يا محمد، ﴿فِي تَكْذِيبِكُمْ﴾، لك وللقرآن
 كدأب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن
 كان قبلهم من الكفار.

﴿١٥﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ،
عالم بهم لا يخفى عليه شيء من
أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل
من كان قبلهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾، کریم

شريف كثير الخير، ليس كما زعم
المشركون أنه شعر وكهانة.

﴿فِي تِلْكَ مَعْقُودٌ﴾، قرأ نافع «محفوظ» بالرفع على نعت القرآن فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن فنجويه، أنا مخلد بن جعفر، ثنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعدته واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب وحافته الدر والياقوت ودفته ياقوتة حمراء، وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك.

قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن
يمين العرش.

سورة الطارق

مكية [وهي سبع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾.

قال الكلبي: نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي ﷺ فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلا ماء ثم ناراً، ففرع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجم رُمي به وهو آية من آيات الله عز وجل»، فعجب أبو طالب، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾.

وهذا قسم، والطارق النجم يظهر بالليل، وما أنك ليلاً فهو طارق.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْوَارِقُ﴾.

ثم فسره قال: ﴿النَّجْمِ أَتَقَاتِبُ﴾، أي المضيء المنير، قال مجاهد: المتوهج، قال ابن زيد: أراد به الثريا، والعرب تسميه النجم. وقيل: هو زحل، سُمي بذلك لارتفاعه، [تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً]: قد ثقب.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾، جـواب القسم، ﴿لَّمَّا عَلَيَّ حَافِظٌ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد يعنون ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون ﴿لَمَّا﴾ بمنزلة ﴿إِلَّا﴾ يقولون: نشدتك الله لما قمت، أي إلا قمت، وقرأ الآخرون بالتخفيف، جعلوا ﴿مَا﴾ صلة، مجازة: إن كل نفس لعلها حافظ، وتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ

عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير وشر.

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة. قال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم يخلّي عنها.

﴿فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَمَّ حَقِّهِ﴾، أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه، أي فلينظر نظر المتفكر.

﴿ثُمَّ يَنْتَظِرُ الْوَارِقُ﴾، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهو

المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿عِشْكُو رَاضِيَةً﴾ [القارعة: ٧] والحاقة: ٢١]، والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر.

قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر. وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر: وقال ابن زيد: الصدر.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجِيئٍ لَّاقِيٌ﴾، قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماء كما كان من قبل لقادر.

سورة الطارق

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ أَتَقَاتِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّ حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَمَّ حَقِّهِ ﴿٥﴾ دَاقِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجِيئٍ لَّاقِيٌ ﴿٨﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ النَّاصِعِ ﴿٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٠﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ ﴿١١﴾ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٢﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٣﴾ فَمَنْ الْكَافِرِينَ أَتَمُّهُمْ رُؤْيَا ﴿١٤﴾

سورة الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سَوَىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الرُّعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَ غَنَاءَ أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَقَرْتُكَ فَلَا تَسَىٰ ﴿٦﴾ أَلَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنَّمَا يَكُونُ جَهَنَّمُ وَمَا يَكُونُ ﴿٧﴾ لِلنَّاسِ ﴿٨﴾ فَذَكَرَ إِنْ نَعِمَ الْوَكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَكَّرُنَّ يَحْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَنْجِنَهَا الْأَشْقَىٰ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُورَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ ﴿١٣﴾ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٤﴾ قَدْ أَطْلَعَ مِنْ رُؤْيَىٰ ﴿١٥﴾ وَذَكَرَ اسْمُ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٦﴾

﴿٥١﴾

وقال مقاتل بن حيان: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة.

وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج.

وقال قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر. وهذا أولى الأقاويل.

﴿١﴾ لقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ السَّرَائِرُ﴾، وذلك يوم القيامة تبلى السرائر، تظهر الخفایا. قال قتادة ومقاتل: تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمت ولم يصم، وصليت ولم يصل، واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها.

سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، يعني

قل سبحان ربي الأعلى وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن

إبراهيم الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا أحمد بن عبدالله بن

محمد بن عبدالله، ثنا عبدالله بن عمر بن أبان، ثنا وكيع، عن

إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن البطين، عن سعيد بن

جبير، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال:

«سبحان ربي الأعلى».

وقال قوم: معناه نزه ريك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وجعلوا

الاسم صلة، ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحداً إلا أن أحداً

لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربنا، إنما يقولون: سبحان الله

وسبحان ربنا، فكان معنى سبح اسم ريك الأعلى: سبح ريك. وقال

آخرون: نزه تسمية ريك بأن تذكره وأنت معظم ولذكره محترم، وجعلوا

الاسم بمعنى التسمية.

وقال ابن عباس: سبح أي صل بأمر ريك الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، قال

الكلبي: خلق كل ذي روح، فسوى اليدين والرجلين والعينين. قال

الزجاج: خلق الإنسان مستوياً،

ومعنى سوى: عدل قامته.

قال ابن عمر: يبدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

﴿ثُمَّ لَمْ يَنْفَعِ قُوَّةً وَلَا نَصِيرَ﴾، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا

ناصر ينصره من الله.

﴿ثُمَّ ذَكَرَ قَسْماً آخَرَ فَقَالَ﴾:

﴿وَأَنَّهُ ذَاتَ الْخَرَجِ﴾، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر. وقال

ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الْصَنْعِ﴾، أي

تتصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار.

﴿وَجَوَابَ الْقَسْمِ قَوْلُهُ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَلَوْ فَصَّلْ﴾، حق وجد يفضل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالْعَلْبِ﴾، باللعب والباطل.

﴿ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ فَقَالَ﴾: ﴿يَتَّبِعُونَ كَيْدَ﴾، يخافون

النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدَ﴾، وكيد الله

استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون.

﴿فَتَهْلِكُ الْكُفْرُونَ﴾، قال ابن

عباس: هذا وعيد من الله عز وجل لهم، ﴿أَنَّهُمْ رَوَّيَا﴾، قليلاً ومعنى

مهمل وأمهمل: انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال

بآية السيف.



﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَنَّا﴾، قرأ

الكسائي ﴿قَدَّرَ﴾ بتخفيف الدال، وشدها الآخرون، وهما بمعنى واحد.

وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر، والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عزفها كيف يأتي الذكر الأنثى.

وقيل: قدر الأرزاق وهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش.

وقيل: خلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

وقال السدي: قدر مدة الجنين في الحرم ثم هدا للخروج من الرحم.

قال الواسطي: قدر السعادة والشقاوة عليهم، ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر

عليه.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْأَنْجَارَ﴾، أنبت

العشب وما ترعاه النعم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

﴿فَجَعَلَهُ﴾، بعد الخضرة، ﴿غَشَاءً﴾، هشياً بالياً، كالغشاء الذي

تراه فوق السيل. ﴿أَخْوَا﴾، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلا إذا

جف ويس أسود.

﴿سَنَفَرْنَا﴾، سنعلمك

بقراءة جبريل عليك، ﴿وَلَا تَسْأَلُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن تسأله، وما نسخ الله

تلاوته من القرآن، كما قال: ﴿مَا تَسْأَلُ مِنْ دُونِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والإنساء نوع من النسخ.

وقال مجاهد والكلبي: كان



﴿وَلَا يَخِرُّ﴾، حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ﴾

﴿زَكَرَ﴾، تطهر من الشرك

وقال: لا إله إلا الله، هذا

قول عطاء وعكرمة،

ورواية الوالبي وسعيد بن

جبير عن ابن عباس.

وقال الحسن: من كان

عمله زاكياً. وقال

آخرون: هو صدقة الفطر،

روي عن أبي سعيد

الخدري في قوله: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ زَكَرَ﴾ قال: أعطى

صدقة الفطر.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ

فَصَلَّى﴾، قال خرج إلى

العيد فصلى صلاته، وكان ابن

مسعود يقول: رحم الله امرأ تصدق

ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية.

وقال نافع: كان ابن عمر إذا

صلى الغداة يعني من يوم العيد قال:

يا نافع أخرجت الصدقة؟ فإن قلت:

نعم مضى إلى المصلى، وإن قلت لا

قال فالآن فأخرج فإنما نزلت هذه

الآية في هذا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَرَ﴾ وذكر

اسم ربه فصل، وهو قول أبي العالية

وابن سيرين.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجه

هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكية،

ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قال الشيخ الإمام محيي السنة

رحمه الله: يجوز أن يكون النزول

سابقاً على الحكم كما قال: ﴿وَأَنْتَ

رَبُّ يَثْرَجَ الْيَمِّ﴾ [البلد: ٢].

فالسورة مكية، وظهر أثر الحل

يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة

النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه

السلام لم يفرغ من آخر الآية حتى

يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة

أن ينساها، فأنزل الله: ﴿سَتَرْتُكَ فَلَا

تَسْمَعُ﴾، فلم ينس بعد ذلك شيئاً.

﴿إِنَّهُ يَلْمِزُ الْجَهَنَّمَ﴾، من القول

والفعل، ﴿وَمَا يَقْنَنُ﴾، منهما،

والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية.

﴿وَيُتْرِكُ الْيَسْرَى﴾، قال

مقاتل: نهون عليك عمل أهل

الجنة، وهو معنى قول ابن عباس:

نيسرك لأن تعمل خيراً، واليسرى

عمل الخير. وقيل: نوفقك للشرعة

اليسرى وهي الحنيفية السمحة.

وقيل: هو متصل بالكلام الأول

معناه: أنه يعلم الجهر مما تقرأه على

جبريل إذا فرغ من التلاوة، (وما

يخفى) ما تقرأه في نفسك مخافة

النسيان، ثم وعده فقال: ﴿وَيُتْرِكُ

الْيَسْرَى﴾، أي نهون عليك الوحي

حتى تحفظه وتعلمه.

﴿قَدْ زَكَرَ﴾ عطف بالقرآن، ﴿لَنْ

نَنْفَعَكَ الْإِكْرَارُ﴾، الموعظة والتذكير،

والمعنى: نفعت أو لم تنفع، ولم

يذكر الحالة الثانية، كقوله: ﴿سَرَّيْلُ

تَيْبِكُمْ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨١]،

وأراد الحر والبرد جميعاً.

﴿سَيَذَرُكَ﴾، سيتعظ، ﴿مَنْ

يَنْتَنِي﴾، الله عز وجل.

﴿وَنَجِّنِي﴾، أي يتجنب

الذكرى ويتباعد عنها، ﴿الْأَكْفَرُ﴾،

الشقي في علم الله.

﴿الَّذِي يَصَلُّ ثَلَاثَةَ أَثَرٍ الْكَبِيرِ﴾،

العظيمة والفضيلة لأنها أعظم وأشد

حراً من نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَبُوءُ بِهَا﴾، فيستريح،

والسلام: «أحلت لي ساعة من نهار»

وكذلك نزل بمكة: ﴿سَيَهْرُمُ الْبَطْنُ

وَيُولُونَ الذُّبُرُ﴾ [القمر: ٤٥].

قال عمر بن الخطاب: كنت لا

أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم

بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع

ويقول: «سيهزم الجمع ويولون

الدبر».

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي وذكر ربه

فصلى، وقيل: الذكر تكبيرات العيد

والصلاة صلاة العيد، وقيل: الصلاة

ههنا الدعاء.

﴿بَلْ تَقُولُونَ﴾، قرأ أبو عمرو

ويعقوب بالياء يعني الأشقيين الذين

ذكروا وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة

أبي بن كعب «بل أنتم تقولون الحياة

الدنيا».

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَثَرٌ﴾، قال

سورة الغاشية

مكية [وهي ست وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقِيَامَةِ تَغْشَى كُل شَيْءٍ بِالْأَهْوَالِ﴾.

﴿وَجُورٍ يُؤَسِّدُ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿خَشِيمَةً﴾، ذليلة.

﴿عَامِلَةً نَّاسِيَةً﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومعنى النصب: الدأب في العمل بالتعب.

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار.

وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها.

قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل، والأغلال، وبه قال قتادة: وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، قال الكلبي: يجرون على وجوههم في النار. وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار، والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها.

عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لم أثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا. قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركتنا الآجل.

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾، إلى أربع آيات، ﴿لَقَدْ أَفْضَحَ الْأَوَّلَى﴾، أي: الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

﴿ثُمَّ بَيَّنَّ الصَّحُفَ فَقَالَ: صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد [بن محمد] بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، ثنا سعيد بن كثير، ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وفي الوتر بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

﴿صَلَّى نَارًا﴾، قرأ أهل البصرة وأبو بكر ﴿تصلى﴾ بضم التاء اعتباراً بقوله: ﴿تُفَقِّ مِنْ عَيْنِ مَآيَةٍ﴾، وقرأ الآخرون بفتح التاء، ﴿عَآيَةٍ﴾، قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله.

﴿تُفَقِّ مِنْ عَيْنِ مَآيَةٍ﴾، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها ورداً عطاشاً. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرايهم ثم ذكر طعامهم.

﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقاتدة: هو نبت ذو شوك لا طعم بالأرض، تسميه قریش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه. وهو رواية العوفي عن ابن عباس. قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا ببس. قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع: الشوك اليابس الذي ببس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، جاء في الحديث عن ابن عباس: الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا مريثة، كلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود

وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله عز وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً تسمى شبرقاً فإذا يبس لا يأكله شيء. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَا يَسِينُ وَلَا يَغْنَى﴾ مِنْ جُوعٍ﴾.

ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿وَجُوعٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ﴾، قال مقاتل في نعمة وكرامة. ﴿لَسِيَّهَا﴾، في الدنيا، ﴿رَاضِيَةً﴾، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْعُ فِيهَا لَبِئَةٌ﴾. لغو وباطل قرأ أهل مكة والبصرة ﴿لا يسمع﴾ بالياء وضمها، ﴿لاغية﴾ رفع، وقرأ نافع بالتاء وضمها ﴿لاغية﴾ رفع، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها ﴿لاغية﴾ بالنصب على الخطاب للنبي ﷺ.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ فيها سرد مرسوعة، قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَكْرَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ عندهم. جمع كوب، وهو إلا بريق الذي لا عروة له.

﴿٢٥﴾ ﴿وَنَارُوقٌ﴾، وسائد ومرافق، ﴿مَصْشُوقَةٌ﴾، بعضها بجانب بعض

واحدثها «ثمرة» بضم النون.

﴿١١﴾ ﴿وَزَكَرَى﴾، يعني البسط العريضة قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل وحدثها زربية «مبشوة»، مبسوطه، وقيل: متفرقة في المجالس.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكرهم الله تعالى صنعه فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وكانت الإبل من عيش العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات.

فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم.

وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة، وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها، فقالوا: كيف نصعداها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها، ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درها، والإبل من أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن. وقيل: إنها مع عظمتها تلين للحمل

الثقيل وتتقاد للقاء الضعيف. حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

﴿١٨﴾ ﴿وَلِلَّائِمَةِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، عن الأرض بغير عمد حتى لا ينالها شيء يغيرها.

﴿١٩﴾ ﴿وَلِلَّيَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، على وجه الأرض مرسة لا تزول.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلِلَّأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿فَذَكِّرْ لِمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ لست عليهم بمسيطر، بمسلط فتقتلهم وتكرهم على الإيمان نستخها آية القتال.

﴿٢٣﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾، استثناء منقطع عما قبله، معناه لكن من تولى، ﴿وَكَفَرَ﴾، بعد التذكير.

﴿٢٤﴾ ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وهو أن يدخله النار وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقطع والقتل والأسر.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: أب يؤوب أوباً وإياباً، وقرأ أبو جعفر «إيابهم» بتشديد الياء، وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فإنه قال يقال: أيب إياباً، على فعل فيعلاً.

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، يعني



أبو روق عن الضحاک: هي العشر الأول من شهر رمضان. وروی أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمان بن رباب هي العشر الأول من المحرم التي عاشيرها يوم عاشوراء.

﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾، قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في الشفع والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله تعالى:

﴿وَعَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا﴾ [النبا: ٨] والوتر: هو الله عز وجل. روي ذلك عن أبي سعيد الخدري، وهو قول عطية العوفي، وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، الكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص: ١]، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروی قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر.

وقال قتادة: هي الصلوات منها شفع ومنها وتر. وروي ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً.

جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل.

سورة الفجر

مكية وهي ثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالْفَجْرُ﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة: وقال عطية عنه: صلاة الفجر. وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم، تفجر منه السنة. وقال الضحاک: فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر.

﴿وَالْيَالِ عَشْرٍ﴾، روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة. وهو قول مجاهد وقاتدة والضحاک والسدي والكلبي: وقال

وروى عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب.

وعن عبدالله بن الزبير قال: الشفع يوم النفر الأول، والوتر يوم النفر الأخير.

روي أن رجلاً سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر، فقال: أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل: ﴿مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر. وقال مقاتل بن حيان: الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: الشفع درجات الجنة لأنها ثمان، والوتر دركات النار لأنها سبع، كأنه أقسم بالجنة والنار، وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والحياة والموت، والوتر انفراد صفات الله عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف. وعلم بلا جهل، وحياة بلا ممات.

﴿وَالْيَالِ إِذَا يَسَّرَ﴾، أي إذا سار وذهب كما قال تعالى: ﴿وَالْيَالِ إِذَا أَذْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل، وأراد كل ليلة. وقال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة، قرأ أهل الحجاز والبصرة

﴿يسري﴾ بالياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والباقون يحذفونها في الحالين، فمن حذف فيلوقاق رؤوس الآي، ومن أثبت فلأنها لام الفعل، والفعل لا يحذف منه في الوقف. نحو قوله: هو يقضي وأنا أقضي، وسئل الأخفش عن العلة في سقوط الياء، فقال: الليل لا يسري ولكن يسرى فيه، فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الإعراب، كقوله: ﴿هَؤُمَا كَانَتْ أَتَاكِ بَيْتًا﴾ [مریم: ٢٨]، ولم يقل بغية لأنها صرفت من باغية.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما ذكرت، ﴿قَسَمٌ﴾، أي مقنع ومكتفى في القسم، ﴿إِلَى جِجْرٍ﴾، لذي عقل، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القبائح، ونهى لأنه ينهى عما لا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَهٌ مَرَدَّدٌ﴾ [الفجر: ١٤]، واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل:

﴿١﴾ - ﴿٧﴾ ﴿لَمْ تَرَ﴾، قال الفراء: ألم تحبر. وقال الزجاج: ألم تعلم ومعناه التعجب. ﴿كَيْفَ قُلَّ رَبُّكَ﴾، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعماراً وأشد قوة من هؤلاء، واختلّفوا في إرم ذات العماد، فقال سعيد بن المسيب: دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة. وقيل: معناها القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد.

قال مقاتل: كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم إليه وهو إرم بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. وقال محمد بن إسحاق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.

وقال الكلبي: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود [وأهل السواد] وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم وثمود إرم، فأهلك الله عاداً ثم ثمود وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي يقول الله فيها.

﴿٨﴾ ﴿لَئِنْ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي أَلْيَدٍ﴾، وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس، وقال بعضهم: سمو ذلك العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً. وقوله: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي أَلْيَدٍ﴾، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقيل: سمو ذات العماد لبناء بناء بعضهم فشيء عمد، ورفع بناء، يقال: بناء شداد بن عاد على صفة لم يخلق في الدنيا مثله وسار إليه في قومه، فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صيحة من

السماء فأهلكهم جميعاً.

﴿٩﴾ ﴿وَتُؤَدُّ﴾، أي وشمود ﴿الَّذِينَ جَاءُوا أَهْمَرًا﴾، قطعوا الحجر، صخرة وأحدثها ﴿بِالْوَادِ﴾، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً، وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في التؤادي وصلأ ووقفاً على الأصل، وأثبتها ورش وصلأ، والآخرون بحذفها في الحالين على وفق رؤوس الآي.

﴿١٠﴾ ﴿وَرُؤُوسَ ذِي الْأُتَادِ﴾، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأتاد، وقد ذكرناه في سورة ص [١٢].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا مخلد بن جعفر، ثنا الحسن بن علويه، ثنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس: أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأنه كانت له امرأة، وهي امرأة خازن فرعون حزيبيل، وكان مؤمناً بكتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون.

فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فأرسل إليها فمألها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري

بإلهك وأقري بأني إلهك، قالت: لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين، فقالت له: ولو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله، وكان لها ابتتان فجاء بابنتها الكبرى فذبها على قرب منها، وقال لها: اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك، وكانت رضيعاً، فقالت: لو ذبحت من على وجه الأرض على في ما كفرت بالله عز وجل، فأتى بابنتها الصغرى فلما اضطجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، فقالت: يا أماء لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة، اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته، فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة.

قال: ويبحث في طلب زوجها حزبي لم يقدر على، فقيل لفرعون: إنه قد روي في موضع كذا في جبل كذا، فبعث رجلين في طلبه فانتهايا إليه وهو يصلي ويلي صفوف من الوحوش خلفه يصلون، فلما رأيا ذلك انصرفا، فقال حزبي: اللهم إنك تعلم أنني كتبت إيماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد، فأيا هذان الرجلين كتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله، وأيا هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار، فانصرف الرجلان إلى فرعون

فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملا، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم فلان، فدعا به فقال: أحق ما يقول هذا؟ قال: لا ما رأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله، ثم صلبه، قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها، فقالت: يا فرعون أنت شر الخلق وأخبتهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون، وإن إلهي وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أن الجنون كان بالماشطة أصابها، قالت: أعوذ بالله من ذلك إنني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له، فقال أبوها: يا آسية ألست من خير نساء العالمين وزوجك إله العماليق؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك، إن كان ما يقول حقاً فقولاً له أن يتوجني تاجاً تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله، فقال لهما فرعون: اخرجا عني، فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهوّن عليها ما يصنع بها

فرعون، فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، فقبض الله روحها وأسكنها الجنة.

﴿الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْأُتَادِ﴾، يعني عاداً وثمود وفرعون، عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا.

﴿فَاكْتُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، قتادة: يعني لوناً من العذاب صبه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجري ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَارِئٌ﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويصبر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممر الناس عليه والمرصاد، والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. المعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد. وقال السدي: أرصد [الله النار] على طريقهم حتى يهلكهم.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، امتحنه، ﴿رَبَّهُ﴾، بالنعمة، ﴿فَاكْرَمَهُ﴾، بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾، بما وسع عليه، ﴿فَيَقُولُ زُتْ أَكْرَمْتَنِي﴾، بما أعطاني.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، بالفقر، ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ يَذْقُهُ﴾، قرأ أبو جعفر



الميراث، ﴿أَكْثَلًا لَّمَّا﴾، شديداً وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللبم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لممت ما على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته.

﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾. أي كثيراً، يعني: تحبون جمع المال

وتولعون به، ويقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر واجتمع.

﴿كَلَّا﴾، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر.

وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلفهم على ما سلف منهم حين لا يفهمهم، فقال عز من قائل: ﴿إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء.

﴿وَيَمَاءَ رَيْثِكَ﴾، قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه. وقال الكلبي: ينزل حكمه، ﴿وَالْمَالُكَ صَفًّا صَفًّا﴾، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًّا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبعة صفوف.

وابن عامر ﴿فقدّر﴾ بتشديد الدال، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان أي ضيق عليه رزقه. وقيل: قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه. ﴿فَقُولُ رَوْحَ أَهْنِي﴾، أذلني بالفقر. وهذا يعني به الكافر، تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر، فرد الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة.

﴿كَلَّا﴾ لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته. قرأ أهل الحجاز والبصرة ﴿أكرمني وأهانني﴾، بإثبات الياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والآخرون يحذفونها وصلًا ووقفًا. ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، قرأ أهل البصرة (يكرمون، ويحضون، ويأكلون، ويحبون) بالياء فيهن، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ لا تحسنون إليه. وقيل: لا تعطونه حقه. قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه.

﴿لَا تُحْشَرُونَ عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾، أي لا تأمرون بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿تحاضون﴾ بفتح الحاء وألف بعدها، أي لا يحض بعضهم بعضاً عليه.

﴿وَتَأْكُلُونَ كَثْرَتَ﴾، أي

﴿وَيَمَاءَ يَوْمَئِذٍ يَمِيزُ﴾، قال عبدالله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: تقاد جهنم سبعين ألف زمام كل زمام [بيد] سبعين ألف ملك، لها تغيط وزفير حتى تنصب على يسار العرش. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم يجاء بجهنم، ﴿يَبْدَأُ كَرًّا لِّلنَّاسِ﴾، يتعظ ويتوب الكافر، ﴿وَأَنَّ لَهُ الْكُوفُونَ﴾، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة؟

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّتْ لِي يَتَّى﴾، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي لأخرتي التي لا موت فيها.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَعْذِبُ عَنْابُهُ أَحَدًا وَلَا يُؤْتَى وَكَافَّةً أَحَدًا﴾، قرأ الكسائي ويعقوب ﴿لَا يَعْذِبُ﴾، ﴿وَلَا يُؤْتَى﴾ بفتح الذال والشاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يؤتى كوثاقه يومئذ،

وقيل: هو رجل بعينه. وهو أمية بن خلف. يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، وقرأ الآخرون بكسر الذال والشاء، أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله. قال مجاهد: المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت جاشاً لأمره وطاعته. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة. وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى. وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله. وقيل المطمئنة بذكر الله، بيانه قوله: ﴿وَنَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، واختلفوا في وقت هذه المقالة، فقال قوم: يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها:

﴿آرْجِيْ إِنْ رَبِّكَ﴾ إلى الله، ﴿رَاضِيَةً﴾، بالشوَاب، ﴿مُتَمِّتَةً﴾، عنك، وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها.

قال عبدالله بن عمرو: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء

يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة. فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يوثى بها الرحمن فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له فيه الرحيان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نوره مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهل إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل [إليه] قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان.

وقال أبو صالح في قوله: ﴿آرْجِيْ إِنْ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّتَمِّتَةً﴾، قال: هذا عند خروجها من الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل: ﴿فَآذِنِي فِي عَبْدِي﴾ ﴿وَأَذِنِي جَنِّي﴾.

وقال آخرون إنما يقال لها ذلك عند البعث ارجعي إلى ربك، أي إلى صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقال الحسن: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما أعد لك، مرضية رضي عنها ربك.

﴿٢٨﴾ ﴿فَآذِنِي فِي عَبْدِي﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين، نظيره: ﴿وَأَذِنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٩].

﴿٢٩﴾ ﴿وَأَذِنِي جَنِّي﴾، وقال بعض أهل الإشارة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة.

وقال سعيد بن جبير: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم ير على صورة خلقه فدخل نعشه، ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن ثلثت هذه الآية على شفير القبر، ولم نذر من قرأها: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿آرْجِيْ إِنْ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّتَمِّتَةً﴾ ﴿فَآذِنِي فِي عَبْدِي﴾ ﴿وَأَذِنِي جَنِّي﴾.



سورة البلد

مكية وهي عشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، يعني أقسم، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يعني مكة.

﴿٢﴾ ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، أي حلال، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن ضبابة وغيرهما، فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم.

فقال: «ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ثم قال: «إن الله حرم مكة يوم

خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة.

والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له. قال شرحبيل بن سعد: ومعنى قوله وأنت حل بهذا البلد، قال: يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلون إخراجك وقتلك؟

﴿وَاللَّهُ وَثَقٌ وَعَدٌ﴾، يعني آدم عليه السلام وذرته.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مضائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا [والآخرة]. وقال سعيد بن جبير: في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته. وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه. قال يمان: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. وأصل الكبد: الشدة. وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك: يعني منتصباً معتدلاً القائمة، وكل شيء خلق فإنه يمشي مكباً [إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً] وهي رواية مقسمة عن ابن عباس: والكبد الاستواء والاستقامة. وقال ابن كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمه فإذا أذن الله

في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي أمه. وقال مقاتل: في كبد أي في قوة نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه.

﴿أَيْحَسِبُ﴾، يعني أبا الأشدين من قوته، ﴿أَنْ لَّنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى. وقيل: هو الوليد بن المغيرة.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾، يعني أنفقت، ﴿مَالاً كَثِيراً﴾، أي كثيراً بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ، قرأ أبو جعفر لبدأ بتشديد الباء على جمع لابد، مثل راكم وركع، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع «لبد»، وقيل على الواحد مثل قُثم وحطم.

﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قال سعيد بن جبير وقاتدة: أظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ وقال الكلبي: إنه كان كاذباً في قوله أنفقت كذا وكذا، ولم يكن أنفق جميع ما قال يقول أظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه ليعتبر.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾، ﴿فَلَسَا وَتَفَتَيْنِ﴾، قال قتادة: نعم الله متظاهرة يقررك بها كما تشكره.

وجاء في الحديث: «إن الله عز

وجل يقول: ابن آدم إن نازعتك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعتك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعتك عليه بطبقتين، فأطبق، وإن نازعتك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعتك بطبقتين فأطبق».

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قال: أكثر المفسرين طريق الخير والشر، والحق والباطل، الهدى والضلالة، كقوله، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورٌ﴾ [الإنسان: ٢٣] وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال الشديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك: والتجدة طريق في ارتفاع.

﴿فَلَا أَقْنَمُ الْقَبْلَ﴾، يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السفبان، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة.

وقيل: ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْقَبْلَ﴾ أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقنم: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة ولا الإطعام، وهذا معنى قول قتادة وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها.

وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسبن

محمد بن كثير العبدي، ثنا
عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن
طلحة بن مصرف اليامي عن
عبد الرحمن بن عوسجة عن
البراء بن عازب قال: جاء أعرابي
إلى رسول الله ﷺ فقال: يا
رسول الله علمني عملاً يدخلني
الجنة، قال: «لئن كنت أفصرت
الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق
النسمة وفك الرقبة»، قال: قلت: أو
ليسا واحداً؟ قال: «لا، عتق النسمة
أن تنفرد بعقتها، وفك الرقبة: أن
تعين في ثمنها، والمنحة الوكوف،
والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن
لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق
الظمآن، وأمر بالمعروف وأنه عن
المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف
لسانك إلا من خير».

وقال عكرمة قوله: ﴿فَكَ رَقِبَةً﴾،
يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة
﴿أَوْ إِيْلَعَةً فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾،
مراجعة، يقال: سغب يسغب سغباً
إذا جاع.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أي ذا قرابة يريد يتيماً بينك وبينه قرابة.

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرٍ﴾، قد
لصق بالتراب من فقره وضربه. وقال
مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح
في التراب لا يقيه شيء، والمتربة
مصدر ترب يترب تراباً ومتربة إذا
افتقر.

ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: ﴿ثم﴾ بمعنى الواو، ﴿وَوَاسَّوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿وَالْعَصْرَ﴾، على فرائض الله

﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْعُقْبَةُ، مَا اقْتَحَمَ
الْعُقْبَةُ، قَالَ سَفِيَانُ
بْنُ عَيَيْنَةَ: كُلُّ شَيْءٍ، قَالَ:
وَمَا أَدْرَاكَ فَإِنَّهُ أَخْبَرَهُ،
وَمَا قَالَ: وَمَا يَدْرِيكَ فَإِنَّهُ
لَمْ يَخْبِرْ بِهِ.

﴿فَكَ﴾ - ﴿فَكَ﴾ - ﴿فَكَ﴾
 رَقَوْهُ ﴿فَكَ﴾ أَوْ لَطَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي
 سَفَرٍ ﴿فَكَ﴾، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ
 وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ
 ﴿فَكَ﴾ بِفَتْحِ الْكَافِ،
 ﴿رَقِبَةً﴾ نَصَبَ، ﴿أَوْ﴾
 أَطْعَمَ ﴿فَكَ﴾ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ
 وَالْمِيمِ عَلَى الْمَاضِي،
 وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿فَكَ﴾

يرفع الكاف، «رقبة» جرأ، «أو
 طَعَنَ» على المصدر، وأراد بفك
 الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق
 رقبة كانت الرقبة فداءً من النار.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل، ثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريراني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني ابن الهاد، عن عمر بن علي بن حسين، عن سعيد بن مرجانة قال: سمعته يحدث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّجْمُ إِذَا جَلَّهَا ۝
وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَشَّهَا ۝ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَيْنَهَا ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا ۝
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ رَكَّبَهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بَطْغَوْهَا ۝ إِذِ ابْتُغِيَ أَسْفُكُهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَافَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّيْنَاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَشَّ ۝ وَالنَّجْمُ إِذَا جَلَّ ۝ وَسَخَطَ الْأَكْرُ وَالْأَفْ ۝
إِذْ سَعَرَ النَّفْسُ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝
فَسَيَرُ الْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝
فَسَيَرُ الْعُسْرَى ۝ وَبِإِنْفِ عِنْدَ الْمُرَادَى ۝ إِذْ عَلَنَّا
لِلْهَدَى ۝ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝

٥٩٥

وقتادة: عقبة شديدة في النار دون
الجسر، فاقحموها بطاعة الله
تعالى.

وقال مجاهد والضحاك والكليبي:
هي صراط يضرب على جهنم كحد
السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً
وصعوداً وهبوطاً، وإن بجنبيه
كلاليب وخطاطيف كأنها شوك
السعدان، فجاج مسلم، وناج
متخدوش، ومكردس في النار
منكوس، فمن الناس من يمر كالبرق
الخاطف، ومنهم من يمر كالريح
العاصف، ومنهم من يمر كالفراس،
ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو،
ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم
من يزحف زحفاً، ومنهم الزالون،
ومنهم من يكردس في النار.

قال ابن زيد: يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال:

عروة بن ثابت الأنصاري، ثنا يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: رأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه شيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبههم وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قد قضي عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففرغت منه فرعاً شديداً، وقلت: إنه ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: سددك الله إنما سألتك لأختبر عقلك إن رجلاً من جهينة أو مزينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم [به] نبههم وأكدت به عليهم الحجة؟ فقال: «لا بل شيء قد قضي عليهم ومضى فيهم»، قال قلت: فقيم العمل إذا؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيه الله لها، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَتَقْوِينَ وَمَا سَوَّاهُ﴾ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا زهير بن معاوية عن أبي

بغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

﴿وَاللَّيْلَ وَمَا بَنَاهَا﴾، قال الكلبي ومن بناها وخلقها كقوله: ﴿فَأَنكِسُوا مَا كَتَبَ لَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي من طاب. قال عطاء: يريد والذي بناها، وقال الفراء والزجاج: «ما» بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: ﴿يَمَّا عَفَرَ لِي رَبي﴾ [يس: ٢٧].

﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَرَاهَا﴾، بسطها. ﴿وَتَقْوِينَ وَمَا سَوَّاهَا﴾، عدل خلقها وسوى أعضائها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عزفها ما تأتي وما تتقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

أنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلي، أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالله، ثنا موسى بن محمد، ثنا علي بن عبدالله، أنا عبدالله بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن إبراهيم، أنا

وأوامره، ﴿وَوَاسُوا بِالرَّحْمَةِ﴾، برحمة الناس.

﴿وَاللَّيْلَ وَمَا بَنَاهَا﴾، أصحب المشرق عليهم نار مؤصدة، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم، قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة ها هنا، وفي الهمزة وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقتة، وقيل: معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة.

سورة الشمس

مكية [هي خمس عشرة آية].
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوؤها، والضحى: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوؤها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في «طه» ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ [١١٩]، يعني لا يؤذيك الحر.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾، تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجاج: وذلك حين استدار، يعني كمل ضوؤه فصار تابعاً للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا جَلَها﴾، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً.

﴿وَالْأَيُّ إِذَا يَسْتَنَها﴾، يعني

الزبير عن جابر قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، أريت عمرتنا هذه العامنا هذا أم للأبد؟ قال: بل للأبد، قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقالام وجرت به المقادير؟ أو فيما يُستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفت به الأقالام وجرت به المقادير»، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: فقال كلمة خفيت عليّ، فسألت عنها نسيبي بعد، فذكر أنه سمعها، فقال: «اعملوا فإن كلاً ميسر لما خلق له».

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاهها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها، وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودسأها أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياء، والمعنى ههنا: أخلها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم، ثنا أبو بكر الجوريزي، ثنا أحمد بن حرب، ثنا أبو معاوية عن عاصم،

عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا ما قال رسول الله ﷺ لنا: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهيم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

﴿قوله عز وجل: كَذَّبَتْ ثَوْدُ يَطْقُونَهَا﴾، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب.

﴿إِذْ أَنْبَأَتْ أَشْقَاهَا﴾، أي قام، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحاً لما انبعث أشقاها وهو: قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيراً قام لعقر الناقة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ أَنْبَأَتْ أَشْقَاهَا﴾، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة.

﴿فَقَالَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، صالح عليه السلام «ناقة الله»، [أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله، «وسقياها»، شربها] أي ذروا

ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تعرضوا للماء يوم شربها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني صالحاً، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، يعني الناقة.

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. قال المؤرج: الدمدمة الهلاك باستئصال. ﴿يَذِيئُهُم﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، فسوى الدمدمة عليهم جميعاً، وعلمهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفراء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوى بينهم، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قرأ أهل المدينة والشام «فلا» بالفاء وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقر بالواو وهكذا في مصاحفهم «عقباها» عاقبتها. قال الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم. وهي رواية [علي بن أبي طلحة] عن ابن عباس: وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.



سورة الليل

مكية وهي إحدى وعشرون آية.
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه
﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَى﴾، بان وظهر من بين الظلمة.
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، يعني

ومن خلق، وقيل: هي «ما» المصدرة أي خلق الذكر والأنثى.

قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء والذكر والأنثى جواب القسم.

قوله: ﴿إِذَا سَجَرَ نَشَقٌ﴾، إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها.

روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ماله في سبيل الله، ﴿وَالَّذِينَ﴾، ربه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، هي رواية عطية عن ابن عباس. وقال مجاهد: بالجنة دليله قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَى﴾ [يونس: ٢٦] يعني الجنة. وقيل: صدق بالحسنى أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد الله عز وجل الذي وعده أن يفي به.

﴿فَسَيَرُّهُ﴾، فسنيهته في الدنيا، ﴿وَيَسَّرُّهُ﴾، أي لليلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل:

﴿وَأَمَّا مَنْ يَكْذِبْ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، سنهته للشر بأن نجزيه على يديه حتى يعمل بما لا

يرضى الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيراً.

وروي عن علي عن النبي ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها في الجنة أو النار»، فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل؟ قال: «لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَيَرُّهُ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ يَكْذِبْ﴾، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَيَرُّهُ﴾.

قيل: نزلت في أبي بكر الصديق اشتري بلالاً من أمية بن خلف ببرة وعشر أواق، فاعتقه فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَتَتَّبَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا سَجَرَ نَشَقٌ﴾ يعني سعي أبي بكر وأميه.

وروى علي بن خنجر عن إسحاق عن أبي نجيع عن عطاء، قال: كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في داره، وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «بعنيها بنخلة في الجنة فأبى»، فخرج فلقبه أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها بحش، يعني حائطاً له، فقال: هي لك فأبى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنشترتها مني بنخلة في الجنة، قال: «نعم» قال: هي لك، فدعا النبي ﷺ جار الأنصاري فقال: «خذها». فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَتَتَّبَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا سَجَرَ نَشَقٌ﴾ [في أبي] الدحداح والأنصاري

صاحب النخلة، ﴿وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَيَرُّهُ﴾، يعني الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ يَكْذِبْ﴾، يعني الأنصاري، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، يعني الشواب، ﴿فَسَيَرُّهُ﴾، يعني النار.

﴿وَمَا يَتَّقِ اللَّهَ﴾، الذي بخل به، ﴿إِذَا تَزَيَّعَ﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم.

﴿إِذَا عَلَيْنَا مِنَ الْهُدَى﴾، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة: قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال القرطبي: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصَدُّكَ السَّيْلُ﴾ [النحل: ٩] يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد. وقيل معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: ﴿يَبْكَوُكَ الْعَمِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُمُ﴾، فمن طلبها من غير مالكما فقد أخطأ الطريق.

﴿فَأَنْذَرَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿فَأَكْفَلَكُمْ﴾، أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج.

﴿وَلَا يَصْلَاهَا إِلَّا﴾، ﴿الَّذِينَ كَذَّبَ﴾، الرسول، ﴿وَوَلَّوْكَ﴾، عن الإيمان.

﴿وَسَيَجْزِيكَمُ اللَّهُ﴾، يريد بالأشقى الشقي، وبالأقنى التقى.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾، يعطي ماله، ﴿يَتَرَكُ﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة،



يعني أبا بكر الصديق، في قول الجمع.

قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال [له] أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فنزل: ﴿وَصَبَّحَهُمُ الْآلُفُّ﴾ إلى آخر السورة.

وذكر محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وقال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مر به أبو بكر

يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل! عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه؟ قال: قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، ثم اعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ست رقاب، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بداراً واحداً، وقتل

يوم بثر معونة شهيداً، وأم عميس، وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبیت الله ما تضر اللات والعزى، وما تنفعان، فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدي وابتنتها، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: كلا يا أم فلان، فقالت: خلا أنت أفسدتهما فأعتقتهما، قال: فيكم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، ومر بجارية بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها.

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال: أتبيعه؟ قال:

نعم أبيع به بنسطاس، وكان بنسطاس عبداً لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار، وغلمان وجوار ومواش، وكان مشركاً حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أمية: أبيع به بغلامك بنسطاس اغتنمه أبو بكر وياعه منه، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُ مِنْ يَتَمَوَّجَةٍ﴾، أي يجازيه يد يكافئه عليها.

﴿إِلَّا﴾، لكن ﴿إِنْفَاءً وَبُورًا﴾ يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

سورة الضحى

مكية [وهي إحدى عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان قال:

اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقد ليلىتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قريبك منذ ليلىتين أو

ثلاث، فأنزل الله عز وجل: **﴿وَالضُّحَىٰ﴾** **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾** مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ.

وقيل: إن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب.

وقال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال: «سأخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه. كان جرو في بيته، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جريج: اثنا عشر يوماً. وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً. وقال مقاتل: أربعون يوماً.

قال المفسرون: فقال المشركون: إن محمداً ودَّعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشد شوقاً إليك، ولكنني عبد مأمور»، فأنزل: **﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾** [مریم: ٦٤].

﴿١﴾ قوله عز وجل: **﴿وَالضُّحَىٰ﴾**، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجد، نظيره قوله **﴿أَوَ أَمِنَ أَقْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾** [الأعراف: ٩٨]، أي نهاراً. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في

الحر والبرد والصيف والشتاء.

﴿٢﴾ **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾**، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس: وقال الوالي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة، وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكناً.

﴿٣﴾ قوله تعالى: **﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ﴾**، هذا جواب القسم: أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

﴿٤﴾ **﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾**.

حدثنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالحي، أنا عبدالله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أنا ابن أبي عاصم، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا».

﴿٥﴾ **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾**، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن.

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «اللهم أمتي أمتي ويكي، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك فيهم». وقال حرب بن شريح: سمعت أبا جعفر محمد بن علي

يقول: إنكم معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: **﴿قُلْ يَكْبَادُونَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنَّهُمْ لَا يُفْقِطُونَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾**، وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله، قيل:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، **﴿فَتَرَىٰ﴾**. ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال جل ذكره:

﴿١﴾ **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾**.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي فقال: أنباني عبدالله بن حامد الأصفهاني، أنا محمد بن عبدالله النيسابوري، ثنا محمد بن عيسى، أنا أبو عمرو الحوضي وأبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وودت إنني لم أكن سألته، قلت: يا رب إنك آتيت سليمان بن داود ملكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا وآتيت فلاناً كذا؟ قال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فأوتيتك؟ قلت: بلى أي رب، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى أي رب، قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى أي رب».

وزاد غيره عن حماد قال: «ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك

وزرك؟ قلت: بلى أي رب.

ومعنى الآية: ألم يجدك يتيماً صغيراً فقيراً حين مات أبوك ولم يخلفك لك مالاً ولا ماوئىء، فجعل لك ماوئىء تأوي إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفالك المؤنة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾، يعني ضالاً عما أنت عليه ﴿فَهَدَى﴾ فهداك للتوحيد والنبوة: قال الحسن والضحاك وابن كيسان: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [يوسف: ٣] وقال: ﴿مَا كُنْتُ نَذْرِي مَا أَلَكْتُ وَلَا أَلَيْمُنْ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقيل: ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جدد عبدالمطلب.

روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فراه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فردّه إلى عبدالمطلب.

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء [على] ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفض إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، وردّه إلى القافلة فمن الله عليه بذلك.

وقيل: وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت، فعزّرتك نفسك وحالك.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أي فقيراً فأغنأك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق. واختاره الفراء. وقال: لم يكن غنياً عن كثرة المال ولكن الله رضاء بما آتاه وذلك حقيقة الغنى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

أنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزغرتاني، أنا أحمد بن سعيد، أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله، ثنا أبي حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحُبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه».

ثم أوصاه باليتامى والفقراء. ﴿فَقَالَ الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقال الفراء والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

أخبرنا أبو بكر محمد [بن]

عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن [أبي] بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَحْسُنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَسَاءُ إِلَيْهِ»، ثم قال بأصبعيه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى».

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيراً، فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردأً ليناً، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره. قال قتادة: رَدُّ السَّائِلِ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ، قال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم النخعي: السائل يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟ وروى عن الحسن في قوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال طالب العلم.

﴿وَأَمَّا يَتِمُّوْكَ فَحَدِّثْ﴾، قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك. وقال الليث عن مجاهد: يعني

القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل: اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكراً.

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمى البسطامي، أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سخته، أنا عبدالله بن محمد بن الحسين النصر أبادي، ثنا علي بن سعيد النسوي، أنا سعيد بن عفير، ثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصاري، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «من صنع إليه معروف فليجز به إن وجد، فإن لم يجد ما يجزي به فليش عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، ثنا أبو القاسم بن منيع، ثنا منصور بن أبي مزاحم، ثنا [أبو] وكيع عن أبي عبدالرحمن يعني القاسم بن الوليد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب».

والسنة في قراءة أهل مكة أن يكر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول: الله أكبر.

قال الشيخ الإمام محيي السنة ناصر الحديث قدوة الأئمة ناشر الدين ركن الإسلام إمام الأئمة مفتي الشرق أبو محمد الحسن بن مسعود رحمه الله.

كذلك قرأته على الإمام المقرئ أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ، قال: قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال: قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرأاً على أبي الحسن بن أبي بزة وأخبرهما ابن أبي بزة أنه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكي، وأخبره عكرمة أنه قرأ على شبل بن عباد وإسماعيل بن قسطنطين، وأخبراه أنهما قرأاً على عبدالله بن كثير، وأخبرهما عبدالله أنه قرأ على مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بكر كعب.

وأخبرنا الإمام المقرئ أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو، وقال: أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزبيدي بالتكبير، وقرأت عليه بثغر حران، قال: ثنا أبو بكر محمد بن

الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، وقرأت عليه بمدينة السلام، ثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الرعي، وقرأت عليه بمكة، قال: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بزة، وقرأت عليه قال لي: قرأته على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد قال: فلما بلغت «والضحى» قال لي: كبر حتى تختم، مع خاتمة كل سورة، فإذا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك.

وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون هجرة شيطانه، وودعه، فاغتم النبي ﷺ لذلك، فلما نزل «والضحى» كبر رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذوه سنة.



سورة الشرح

مكية وهي ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة؟
 ﴿وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزَادَكَ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك:

حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله: ﴿لَيْغَفَرَنَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وقال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم وقال عبدالعزیز بن یحیی وأبو عبیدة: يعني خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها.

﴿الَّذِي أَنْفَعَكَ مَخْرَجَكَ﴾، أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض، أي صوت.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو القاسم عبدالخالق بن علي المؤذن، ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، ثنا صفوان يعني ابن صالح أبو عبدالملك، ثنا الوليد يعني ابن مسلم، حدثني عبدالله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: قال الله تعالى: «إِذْ دُكِّرْتُ ذُكِّرْتُ مَعِيَ».

وعن الحسن قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ إذا دُكِّرْتُ ذُكِّرْتُ. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبداً لله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً. وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد

ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به، وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد أغرّ عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوخ ويشهد وضم الإله اسم النبي مع اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له من اسمه ليحمله

فدو العرش محمود وهذا محمد وقيل: [رفع ذكره] بأخذ ميثاقه على النبيين والزمامم الإيمان به والإقرار بفضله، ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاءً بأن يظهرهم عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جنتهم به، إن مع العسر يسراً كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء.

وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين».

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل، إنه لن يغلب عسر يسرين.

قال المفسرون: معنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله تعالى كرر

العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرفاً، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبت درهماً أنفقت درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا قلت إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف، فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ النكرة، فكانا يسرين، وكأنه قال: فإن مع العسر يسراً، إن مع ذلك العسر يسراً آخر.

قال أبو علي الحسين بن يحيى بن نضر الجرجاني صاحب النظم: تكلم الناس في قوله: «لن يغلب عسر يسرين»، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة. فوجب أن يكون عسراً واحداً ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً إن مع الفارس سيفاً، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين، فمجاز قوله: لن يغلب عسر يسرين أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مقل مخف، فكانت قریش تعبیه بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاعتم النبي ﷺ لذلك، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره، فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعده الغنى، يسليه بذلك عما خارمه من الغم، فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، مجازة: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً،



التشهد فادع لندياك وأخرتك. وقال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك. وقال منصور عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل. وقال حيان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين.

قال عطاء: تضرع إليه راهباً من النار راجباً في الجنة.

وقيل: فارغب إليه في جميع أحوالك. قال الزجاج: أي اجعل رغبتك إلى الله وحده.



سورة التين

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ① وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ، وقال ابن عباس، والتحسين، ومجاهد، وإبراهيم، وعطاء بن أبي رباح، ومقاتل، والكلبي: هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت. قيل: خص التين بالقسم لأنها فاكهة مخلص لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة. وخص الزيتون لكثرة منافعه ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباج والاصطباح. وقال

ثم أنجزه ما وعده، وفتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده، حتى كان يعطي المئين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ثم ابتداء فضلاً آخر من أمر الآخرة، فقال: إن مع العسر يسراً، والدليل على ابتدائه تعريه من الفناء والواو، وهذا وعد لجميع المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر يسراً، أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، فربما اجتمع له اليسر اليسر وهو ما ذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة، وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله عليه السلام: «لن يغلب عسر يسرين» أي: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لا يجمعهما في الغلبة.

كقوله ﷺ: «شهرًا عبيد لا ينقصان» أي لا يجتمعان في النقصان.

② فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، أي فاتعب، والتصب: التعب، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يعطك. وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.

وقال الشعبي: إذا فرغت من

عكرمة: هما جبلان. قال قتادة: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون. وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام. قال ابن زيد: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا.

③ وَطُورِ سِينٍ، يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله: «وَمَجْرَةَ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَةَ» [المؤمنون: ٢٠].

④ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، أي الآمن، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، هذه كلها أقسام والمقسم عليه قوله:

⑤ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

سورة العلق

مكية [وهي تسع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،

أكثر المفسرين: على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿مَا تَرَىٰ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَكُن يَعْلَمُ ﴿٥﴾﴾

وروى عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِيُخْبِرَكُمْ﴾ قال: إلا الذين قرؤوا القرآن، وقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزاماً للحجة.

﴿٦﴾ قَلَّمَ بِكُتُبِكَ﴾، أي بعد هذه الحجة، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿بِالَّذِينَ﴾، بالحساب والجزاء والمعنى، أن لا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج؟.

﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لِمَنْ يَكْفُرُ﴾، بأقصى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يا محمد.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ والتين والزيتون فانتفى إلى آخرها: أليس الله بأحكم الحاكمين، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو الوليد، ثنا شعبة عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: سمعت البراء قال: إن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.

تَقْوِيهِ، أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعقل والتمييز.

﴿٨﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير [أسفل] من هؤلاء جميعاً، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم [وإذا عرفت قلت: أكرم القائمين]. وفي مصحف عبدالله «أسفل السافلين» وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. قال أبو العالية: يعني إلى النار في شر صورة، في صورة خنزير.

﴿٩﴾ ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ﴾، فإني لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا. ﴿وَعَلَّمُوا الْقَلَامَ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة. وقال ابن عباس: هم نفرٌ ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، فأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.

بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة إلى أن توفي، وفتر الوحي.

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه، عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد، وقال: حدثني عبدالله بن محمد، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر قال الزهري، فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث، وقال: «أَقْرَأَ بِأَسَرِّ رَّبِّكَ أَلَدَى

خَلَقَ» حتى بلغ «مَا تَرَى يَوْمَ» وزاد في آخره فقال: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ. فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً حتى يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

أخبرنا أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الوراق، أنا مكى بن عبدان، أنا عبدالرحمن بن بشر، ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول سورة نزلت قوله عز وجل: «أَقْرَأْ بِأَسَرِّ رَّبِّكَ».

قال أبو عبيدة مجازة: أقرأ اسم ربك يعني أن الباء زائدة، والمعنى: أذكر اسمه، أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديباً، «أَلَدَى خَلَقَ» قال الكلبي: يعني الخلاق، ثم فسره فقال:

① «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعني ابن آدم، «بَيْنَ عَالِيٍّ» جمع علقه.

② «أَقْرَأَ»، كرهه تأكيداً ثم استأنف فقال: «رَبِّكَ الْأَكْرَمَ»، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يجعل عليهم بالعقوبة.

③ «أَلَدَى عَمَّرَ بِأَلْقَرٍ»، يعني الخط والكتابة.

④ «عَمَّرَ الْإِنْسَانَ مَا تَرَى يَوْمَ»، من

أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ههنا محمد ﷺ، بيانه: «وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ» [النساء: ١١٣].

⑤ «كَلَّمَكَ»، حقاً، «إِنَّا الْإِنْسَانَ لَبَقِيَ»، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

⑥ «أَنَ»، لأن، «رَدَّاهُ اسْتَفْعَى»، أن رأى نفسه غنياً، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل كان إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه.

⑦ «إِنَّا إِلَهُكَ الرَّبُّ الْعَلِيِّ»، أي المرجع في الآخرة.

⑧ - ⑨ «أَرَأَيْتَ أَلَدَى بَعَثَ نَجْمًا إِذَا مَلَكَ»، نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغفار بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبيد الله بن معاذ ومحمد بن عبدالأعلى القيسي، قالوا: ثنا المعتمر عن أبيه، حدثني نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، وعزم ليطأ على رقبته، فما فجأه منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، قال فقيل له: مالك يا أبا الحكم؟

﴿١١﴾ ثم قال: ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿لَا تُطِئُهُمْ﴾، في ترك الصلاة، ﴿وَأَسْجُدْ﴾، صل لله، ﴿وَاقْرَبْ﴾، من الله.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، ثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج، ومحمد بن سلمة قالوا: أخبرنا وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية عن سمي مولى أبي بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».

سورة القدر

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ،

يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة.

﴿٢﴾ ثم عجب نبيه فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا بَيِّنَةُ الْقَدْرِ﴾، سُميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة

والناهي مكذب متولٍ عن الإيمان، فما أعجب من هذا.

﴿٣﴾ أَوَّيْلًا، يعني أبا جهل، ﴿بِأَنَّهُ اللَّهُ يَرَى﴾، ذلك فيجازه به.

﴿٤﴾ ﴿كَلَّا﴾، لا يعلم ذلك، ﴿لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿لَنَسْفَعُ بِالْبَأْسِ﴾، لناخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار، كما قال ﴿فَيُؤْخَذُ بِالْوِثْقِ الْأَعْلَى﴾ [الرحمن: ٤١]، يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبتة جذباً شديداً، والناصية: شعر

مقدم الرأس.

﴿٥﴾ ثم قال على البذل: ﴿فَاصْبِرْ كَذِبَهُمْ فَالْمُلَّةَ﴾، أي صاحبها كاذب خاطئ.

قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل أنتنهرني؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً.

﴿٦﴾ قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَصْبرْ نَادِيَهُمْ﴾، أي قومه وعشيرته، أي فليستصر بهم.

﴿٧﴾ ﴿سَتَجِدُنَا رَبَّيْنَاهُ﴾، جمع زبني مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سما بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.



قال: إن بني وبينه لخذقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، قال: فأنزل الله - لا ندرى في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ خَفِيٌّ﴾، أَن رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿لَهُ إِلَهٌ﴾، رَبُّكَ الرَّحْمَنُ ﴿أَرَأَيْتَ إِلَىٰ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ الآيات. ومعنى أرايت ههنا تعجيب للمخاطب، وكرر هذه اللفظة للتأكيد.

﴿٨﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْفُلْكِ﴾، يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ.

﴿٩﴾ ﴿أَوَّيْلًا﴾، يعني أبا جهل، ﴿وَوَلَّاهُ﴾، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو على الهدى، أمر بالتقوى،

في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وهو مصدر قولهم: قدر الله الشيء بالتخفيف قدراً وقدرأً، كالنهر والنهر والشعر والشعر، وقدرته بالتشديد تقديرأً بمعنى واحد، قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: نعم، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير التي خلقها إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر. وقال الأزهري: ليلة العظمة والشرف من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي جاه ومنزلة، يقال: قدرت فلاناً أي عظمته. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١، الزمر: ٦٧، الحج: ٧٤]، أي: ما عظموه حق تعظيمه. وقيل: لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً.

واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. وروي عن عبدالله بن الحسين مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قد رفعت؟ قال: كذب من قال ذلك، قلت: هي في كل شهر أستقبله؟ قال: نعم. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علّق رجل طلاق امرأته وعقّق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف، يروى ذلك عن ابن مسعود، قال: من يقم

الحول يصيبها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمن أما إنه علم أنها في شهر رمضان، ولكن أراد أن لا يتكل الناس. والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المجبوبي، ثنا أبو عيسى، ثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليجي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا سفيان عن أبي يعفور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شدّ مثززه وأحيا ليله، وأيقظ أهله.

واختلفوا في أنها في أي ليلة من العشر؟.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا أبو سهل بن مالك، عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الوزان، أنا مكّي بن عبدان، ثنا عبدالله بن هاشم بن حيان، ثنا يحيى بن سعيد القطان، ثنا عبيدة بن عبدالرحمن، حدثني أبي قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكر، فقال: ما أنا بطالها بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر من تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة».

فكان أبو بكر إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد.

وأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثنى حدثني خالد بن الحارث، ثنا حميد الطويل، ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ راوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إني أرى رؤياكم قد توأطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر». وروي عن أبي سعيد الخدري: أنها ليلة إحدى وعشرين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان، واعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي

يخرج صباحها من اعتكافه، قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر، فقال أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عرش فوكف المسجد، قال أبو سعيد: فبصرت عينا رسول الله ﷺ قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. وقال بعضهم: هي ليلة ثلاث وعشرين.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أحمد بن خالد الحمصي، ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم حدثني [ابن] عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: إني أكون ببادية يقال لها الوطأة، وإنني بحمد الله أصلي بهم فمرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه، وإن أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل، وإن أحببت فكف». قال: فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن

زنجويه، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «كم مضى من الشهر؟» فقلنا: اثنان وعشرون وبقي سبع، فقال: «مضى اثنان وعشرون وبقي سبع، اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون».

وقال قوم: في ليلة سبع وعشرين، وهو قول علي وأبي وعائشة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبیش قال: قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن [ابن أم عبد] يقول: من يقيم الحول يصبها، فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتكلموا، هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أتى عملت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظناها وعددناها هي والله لا تنسى، قال قلنا: وما الآية؟ قال: «تطلع الشمس كأنها فاس ساطع» ومن علاماتها.

ما روي عن الحسن رفعه «إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها».

وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة

﴿حَتَّىٰ تَطْلُعَ النَّجْمُ﴾، أي إلى مطلع الفجر، قرأ الكسائي مطلع بكسر اللام، والآخرين بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى الطلوع، على المصدر، يقال: طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً، والكسر موضع الطلوع. * * *

سورة البينة

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ لَا يَكْفِيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وهم اليهود النصارى، وَالْمُشْرِكِينَ، وهم عبدة الأوثان، مُتَكِبِينَ [استهين عن كفرهم وشركهم وقال أهل اللغة زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفك أي انفصل، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

﴿٢﴾ ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يقرأ، ﴿صُحُفًا﴾، كتباً، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿مُكَلَّمَةً﴾، من الباطل والكذب والزور.

أخذ يحظه من ليلة القدر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو بكر بن عبدوس المزكي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن مكرم، ثنا يزيد بن هارون، أنا كهيس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ: إن وافيت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

﴿٣﴾ قوله عز وجل: ﴿نَزَّلَ آفَاقُكُمُ الْوَرْحُ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿فِيهَا﴾، أي في ليلة القدر، ﴿يَأْذَنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: ﴿يَحْفَظُونَ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله.

﴿٤﴾ سلام، قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته.

قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر.

﴿٥﴾ وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿يَأْذَنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾، أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شر. قال الضحاك: لا يُقَدَّرُ الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة.

وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، ولا أن يحدث فيها أذى.

ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجهتدوا في الطاعات حذراً من قيامها. ﴿٦﴾ قوله عز وجل: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: «يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر». فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك، ولأمتك إلى يوم القيامة.

قال المفسرون: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

حدثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، إملاء، ثنا أبو نعيم الإسفرائيني، أنا أبو عوانة، ثنا أبو إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا الزهري، أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقال سعيد بن المسيب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد

بالمهزة في الحرفين لأنه من قولهم: برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدداً بغير همز، كالذرية، ترك همزها في الاستعمال.

(٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءً مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٢﴾ وتناهى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين: رضا به ورضا عنه، فالرضا به: ربا ومديرا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر. قال السدي رحمه الله: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال: النبي ﷺ لأبي: «إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَوْ يَكُنِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسماني ربي؟ قال: نعم فبكي.

وقال همام عن قتادة: «أمرني أن أقرأ عليك القرآن».

سورة الزلزلة

مدينة [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلَزَلَتْهَا أَرْضٌ كَثِيرَةٌ قَلِيلَةٌ ﴿٢﴾ وَتُزَالَمَا، تحريكها.

الكتاب، والأول أصح، ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾، يعني هؤلاء الكفار، ﴿إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين، ﴿حَقَّاقَةً﴾، ماثلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، المكتوبة في أوقاتها، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، عند محلها، ﴿وَذَكَرَ﴾،

الذي أمروا به، ﴿وَبَيْنَ الْقَيْمَةِ﴾ [أي الملة والشرعة المستقيمة، أضاف الدين إلى القيمة وهي نعتة لاختلاف اللفظين، وأنت القيمة ردأ بها إلى الملة، وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمربه، كما قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله ﴿وَذَكَرَ﴾ [بَيْنَ الْقَيْمَةِ] فقال: القيمة جمع القيم، والقيم والقائم واحد، مجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد.

﴿١﴾ ثم ذكر ما للفرقتين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، قرأ نافع وابن عامر «البرينة»



﴿فِيهَا﴾، أي في الصحف، ﴿كُتِبَ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿قِيَمَةً﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

﴿١﴾ ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل. قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فأمن به بعضهم وكفر آخرون. قال بعض أئمة اللغة: معنى قوله ﴿مُفَكِّينَ﴾ أي هالكين، من قولهم: انفك صلاء المرأة عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتصق فتهلك. ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال

﴿وَأَخْرَجَ الْأَرْضَ أَنْفَاقًا﴾،

موتاهَا وَكَنُوزَهَا فَتَلْقِيهَا عَلَى ظَهَرِهَا.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا واصل بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعوونه فلا يأخذون منه شيئاً».

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ قيل:

في الآية تقديم وتأخير تقديره:

﴿يَوْمَئِذٍ نَخْبَأُ أَخْبَارَهَا﴾،

فيقول الإنسان: ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

أخبرنا أبو بكر محمد [بن] عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب، ثنا يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ نَخْبَأُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبرها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها،

تقول: عمل يوم كذا وكذا كذا كذا، قال: فهذه أخبارها».

﴿يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها. قال ابن عباس والقرطبي: أوحى إليها، ومجاز الآية: يوحى الله إليها، يقال: أوحى لها وأوحى إليها ووحي لها ووحي إليها واحد.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ﴾، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، ﴿أَشْنَأُكَ﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْقَرُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. ﴿لِيُرَوَّا أَعْمَلَهُمْ﴾، قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرحاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿حَبْرًا يَرَهُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وقال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته.

قال محمد بن كعب: في هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَبْرًا يَرَهُ﴾، من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهل وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له

عند الله خير، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزل ﴿وَيَطْمُونَ﴾ أَلْفَلَحَ عَلَى حَبْرٍ [الإنسان: ٨] كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها، يقول: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحب، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك، ويقول: إنما وعد الله النار على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر، فالإثم الصغير في عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة، وجميع محاسنه أقل من كل شيء.

قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَبْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفادة حين سئل عن زكاة الجمر فقال: «ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفادة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَبْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ».

وتصدق عمر بن الخطاب،

وعائشة بحبة عنب، وقالوا: فيها مثاقيل كثيرة. وقال الربيع بن خيثم: مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال: حسبي قد انتهت الموعظة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن القاسم، ثنا أبو بكر محمد [بن] عبدالله، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا علي بن حجر، ثنا يزيد بن هارون، ثنا اليمان بن المغيرة، ثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ تَعْدَلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَقُلُّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن، و«قُلُّ يَأْتِيهَا الْكَثِيرُ» تعدل ربع القرآن.



سورة العاديات

مكية وهي إحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والكلبي، وقتادة، والمقاتلان وأبو العالية وغيرهم: هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح، والضبح صوت أجوافها إذا عدت.

قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب والشعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فرح، وهو من قول العرب: ضبحته النار إذا غيرت لونه. وقوله: «ضَبْحًا» نصب على المصدر،

مجازه: والعاديات تضبح ضبحاً.

وقال علي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى، وقال: إنها نزلت في وقعة بدر كانت أول غزوة في الإسلام بداراً، وما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون الخيل العاديات؟ وإلى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي. وقال بعض من قال: هي الإبل قوله: «ضَبْحًا» يعني ضباحاً تمد أعناقها في السير.

﴿٢﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا، قال عكرمة، وعطاء، والضحاك، ومقاتل، والكلبي: هي الخيل تواري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحاً يقدحن بحوافرهن. وقال قتادة: هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم.

وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك. وقال محمد بن كعب: هي النيران تجتمع.

﴿٣﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ ضَبْحًا، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرطبي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى

منى، والسنة أن لا تدفع حتى تصبح، والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نغير.

﴿٤﴾ فَأَتَزَنَّ يَدِي، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، «تَنَعًا»، غباراً والنقع الغبار.

﴿٥﴾ فَوَسَطَنَ يَدِي جَمًّا، أي دخلن به وسط العدو، وهم الكتيبة يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطتهم بالتشديد وتوسطهم بالتشديد كلها بمعنى واحد. قال القرطبي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿٦﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان مضر ورببعة الكفور، ولسان كندة وحضر موت العاصي.

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائية مع قومه. وقال أبو عبيدة هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً.

وقال الفضيل بن عياض: الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان والشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة.

﴿٧﴾ وَإِنَّكَ لَنَسِيْدٌ، قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال ابن كيسان:



﴿فَقَالَ: «نَارُ حَاطِيَّةٍ»، أَي حارة قد انتهت حرها. * * *

سورة التكاثر

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الْهَيْكُمُ الْكَاثِرُ﴾، شغلتنكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى متم ودفنتم في المقابر.

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبني فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضللاً.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في حين من قریش، بني عبد مناف بن

الْبَثْثُوثُ، الفراش الطير التي تراها تنهافت في النار والمبثوث المتفرق.

وقال الفراء: كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَبَرِّجٌ﴾ [القمر: ٧].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، كالصوف المندوف.

﴿فَأَمَّا مَنْ نَقَّلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت

حسناته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، مرضية في الجنة. قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت سيئاته على حسناته.

﴿فَأَنَّهُمْ كَاوِيَةٌ﴾، مسكنه النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية قولها العرب للرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه. وقيل: أراد أم رأسه يعني أنهم يهويون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾، يعني الهاوية وأصلها ما هي، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة ثم فسرهما.

الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني الإنسان، ﴿لِحَبِّ الْحَرِّ﴾، أي لحب المال، ﴿لَشَدِيدٍ﴾ أي لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير، أي المال.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾، أثير وأخرج، ﴿مِمَّا فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾، جمع الكتاية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿يَوْمَ يُزْجَرُ لَعْنُهُ﴾، عالم، قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم. * * *

سورة القارة

مكية [وقيل مدنية وهي إحدى عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الْقَارِعَةُ﴾، اسم من أسماء القيامة لأنها تفرق القلوب بالفرق.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾، تهويل وتعظيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ

قصي، وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر، فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر عدداً، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثروهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا، حتى زاروا القبور فعدوهم، فقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثروهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً، فأنزل الله هذه الآية.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا النضر بن شميل، [أنا شعبة] عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَارُكُمْ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟»

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عبد الله [بن] أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

ثم رد الله عليهم فقال:

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر بالتكاثر، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم ثم تكرره تأكيداً فقال:

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد، والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقال الضحاك ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي علماً يقيناً فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: ﴿لَوْ حَقَّ الْيَقِينُ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف أي لو تعلمون علماً يقيناً لشغلتم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت.

﴿لَتَرْوُنَّ الْجَنَّةَ﴾، قرأ ابن عامر والكسائي «لترون» بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم عن بعيد.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾، مشاهدة، ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّهْمِ﴾، قال مقاتل: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره، ثم يعذبون على ترك الشكر، هذا قول الحسن. وعن ابن مسعود رفعه قال:

﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّهْمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه.

أخبرنا أبو بكر بن [أبي] الهيثم الترابي، أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، ثنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي، ثنا عبد الله بن حميد، ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عزم الأشعري قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال: ألم نصح جسمك؟ ونروك من الماء البارد».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شيبان. أبو معاوية، ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟» فقال: خرجت لألقى رسول الله ﷺ وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: «ما جاء بك يا عمر؟» قال: الجوع يا رسول الله، قال النبي ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخل



سورة العصر

مكية [وقيل مدنية وهي ثلاث آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ وَالْعَصْرِ ٢ إِذَا الْإِنْسَانُ لَقِي خَسِرًا ٣ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ٤
 والدهر. وقيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

١ إِذَا الْإِنْسَانُ لَقِي خَسِرًا ٢ أَي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي،

وبطانة لا تألوه إلا خبالاً، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي.

وروي عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وذلك قوله: «وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» [الإسراء: ٣٦]، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ. وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، ثنا الحسين بن الحسن بمكة، ثنا عبدالله بن المبارك والفضل بن موسى قالوا: ثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

قال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.



والشأن، ولم يكن له خدم، فلم يجده فقلوا لامراته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق ليستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء الهيثم بقرية يزعمها ماء فوضعها، ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديثه فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقتو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنفقت لنا من رطبه ويسره»، فقال: يا رسول الله إني أردت أن تتخيروا من رطبه ويسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ: «لا تذبحن ذات در»، فذبح لهم عناقاً أو جدياً فأتاهم بها، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم؟» قال: لا، قال النبي ﷺ: «فإذا أتانا سبي فأتنا»، فأتى النبي ﷺ برأسين ليس معها ثالث، فأناه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالح فيه ما قال رسول الله ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر،

وهما أكبر رأس ماله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم ليسوا في خسران، ﴿وَتَوَّاصَوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿وَالْحَقُّ﴾، بالقرآن قاله الحسن وقناة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد. ﴿وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهمم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَّدَتْهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٤ وه و٦].

سورة الهمزة

مكية [وهي تسع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾،

قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب، ومعناها واحد وهو العياب.

وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن بضده.

وقال سعيد بن جبير وقناة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم.

وقال ابن زيد: الهمزة الذي يهزم

الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوري: ويهزم بلسانه ويلزم بعينه.

ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جلسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يؤمض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة: للذي يسخر ويضحك من الناس، وأصل الهمز الكسر والعض على الشيء بالعنف. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية.

قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم.

وقال محمد بن إسحاق: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة في حق كل من هذه صفة.

﴿ثُمَّ وَصَفَهُ فَقَالَ﴾: ﴿أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكلبي ﴿جَمَعَ﴾ بتشديد الميم على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿وَعَدَدَهُ﴾،

أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتاداً له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

﴿يَحْسَبَنَّ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾،

في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

﴿كَلَّا﴾، رداً عليه أن لا يخلده ماله، ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾، ليطرحن،

﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، في جهنم، والحطمة من أسماء النار، مثل سقر، ولظى، سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

﴿وَمَا أَزِيدَنَّ﴾، ﴿وَمَا أَزِيدَنَّ﴾، ﴿وَمَا أَزِيدَنَّ﴾، أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطلاع والبلوغ بمعنى واحد، يحكى عن العرب: متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قال القرطبي والكلبي.

﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَدَّةٌ﴾، مطبقة مغلقة.

﴿فِي عَمَرٍ مُّدَّةٍ﴾، قرأ حمزة والكلبي وأبو بكر في ﴿عمد﴾ بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى: ﴿رَفَعَ الْكُنُوزَ بِعَمْرِ عَمْرٍ تَرْوَنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وهما جميعاً جمع عمود مثل أديم وأدم، وأدم، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: جمع عماد مثل إهاب وأهب وأهب.

قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.

وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبدالله «بعمد» بالباء.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرّها،

فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم زحف، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.



سورة الفيل

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَلَمْ نَرَكَيْتَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَقْبِلِ؟﴾

وكانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي:

إن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث «أرباط» إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو يكسوم، فساخط أرباط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع أرباط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرباط.

واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله، ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله، فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها مستخفياً فدخلها ليلاً فقعدها فيها وتغوط بها

ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجتراً علي ولطخ كنيسة بالعذرة؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها.

فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلاً لم ير مثله عظماً، وجسماً وقوة، فبعث به إليه فخرج أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وأخرج معه الفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له: ذو نفر، بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خيراً لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه، وخرج معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يدلك عليه.

فبعثوا أبا رغال، مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات

أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً من الحبشة، يقال له الأسود بن مسعود، على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعيم الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث حباطة الحميري إلى أهل مكة، وقال: سئل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أنني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبدالمطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبدالمطلب: ما له عندنا قتال ولا لنا به يد إلا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا [به] قوة، قال: فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أرفقه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيته حتى قدم المعسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشياً، ولكن سأبعث إلى أنيس، سائس الفيل، فإنه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده.

قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال

له: إن هذا سيد قريش صاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي، أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك وأحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً وسيماً فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه.

ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبدالمطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد إلي مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: لقد كنت أعجبتي حين رأيتك، ولقد زهدت فيك، قال: لِمَ؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبدالمطلب: أنا رب هذه الإبل وإن لهذا البيت رباً سيمنع عنه من يقصده بسوء، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فردت عليه، فلما ردت الإبل إلى عبدالمطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر الذي وقع بينه وبين أبرهة، وأمرهم أن يتفرقوا في

الشعاب ويتحزروا في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش فيهم، ففعلوا وأتى عبدالمطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك
امنعمهم أن يخربوا قراكا
وقال أيضاً:

لا هُمَّ إن العبد يم
نع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصل
يب وعابديه اليوم ألك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدواً محالك
جروا جموع بلادهم
والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم
جهلوا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركنهم وكعد

بتنا فأمز ما بدالك
ثم ترك عبدالمطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح بأبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهياً جيشه وهياً فيله، وكان فيلاً عظيماً لم يُر مثله في العظم والقوة، ويقال كان معه اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى.

فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقه فترعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك،

ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتد حتى صعد في أعلا [الجبل] وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في مقاره أمثال الحمص والعدس.

فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك، وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، وهم يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل.

وبعث الله على أبرهة داءً في جسده فجعل تساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة اتبعته مدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

قال الواقدي: وأما محمود فيل النجاشي فريض ولم يشجع على الحرم فنجأ، والفيل الآخر شجع فحصب.

وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرأ أصحاب الفيل: أن فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل، فنزلوا فأججوا ناراً

واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصغير إلى النجاشي فأسف غضباً للبيعة، واغتاظ غيظاً شديداً، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه: إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبياً نبيلاً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلدها نعلًا ثم أرسلها في الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئاً، فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت رباً يمنع، فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض، وعظمه ونحو له جزوراً. ثم قال أبو مسعود: انظر نحو البحر، فنظرت عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطئ البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: فهل تعرفها؟ قال: فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا

شامية، قال: ما قدها؟ قال: أشباه اليعاسيب، في منقارها حصى كأنها حصى الخذف، قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضاً أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حازت بعكسر القوم ركدت فوق رؤوسهم، فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في منقارها على من تحتها، مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم أنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحت انحطت من ذروة الجبل، قمشياً ربوة فلم يؤنسا أحداً ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حساً، فقالا: بات القوم سامدين، فأصبحوا نياماً، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون، وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه.

فعمد عبد المطلب فأخذ فأساً من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض حفرة فملأه من أموالهم من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه حفرة فملأها كذلك، ثم قال لأبي مسعود: هات فاختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معاً، قال أبو مسعود: اختر لي على نفسك، فقال عبد المطلب: إني لم ألك أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة، ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبد المطلب بذلك قريشاً وأعطته القيادة، فلم يزل

عبد المطلب وأبو مسعود في أهلهما في غنى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وبيته.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل. فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة. وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة.

والأكثر أن على أنه كان في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿لَا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ؟﴾ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد. وقال الضحاك: كانت القبيلة ثمانية. وقيل: اثنا عشر سوى الفيل الأعظم، وإنما وُحِدَ لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم. وقيل: لِيُؤْفَقَ رؤوس الآي.

﴿لَا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ؟﴾ كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة. وقوله ﴿فِي تَفْصِيلٍ﴾ عما أرادوا أضل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. قال مقاتل: في خسارة. وقيل: في بطلان.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤيلة.

قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. وقال الفراء: لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحداً إبالة. وقال الكسائي: إني كنت أسمع النحويين يقولون واحداً أبول، مثل عجول وعجاجيل. وقيل: واحداً من لفظها إيتل.



قُرَيْشٍ، وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قریش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قریش، وما ألفوا من رحلة الشتاء الصيف.

وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف. والعامه على أنهما سورتان.

واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: ﴿لإيلاف﴾ قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد وإكرامنا إياه على وجه التعجب، أي اعجبوا لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل منه.

وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال أبو عبيد لنعمتي على قریش، وقریش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبدالله بن [محمد بن] مسلم أبو بكر الجوربذي، ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أنا بشر بن بكر عن الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، ثنا وإثالة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى

كزراع وتبن أكلته الدواب فرائثه فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال عكرمة: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهينة الغلاف له.



سورة قریش

مكية [وهي أربع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لَيْلَيْ قُرَيْشٍ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ليلاف﴾ بغير همز ﴿إلافهم﴾ طلباً للخفة، وقرأ ابن عامر ﴿للاَف﴾ بهمة مختلصة من غير ياء بعدها، وقرأ الآخرون بهمة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا غير أبي جعفر في ﴿لَيْلَيْهِمْ﴾ أنها بياء بعد الهمزة إلا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ ﴿إلفهم﴾ ساكنة اللام بغير ياء، وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة؛ منهم أبي بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في ﴿لإيلاف﴾ تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿لَيْلَيْ

قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب.

وقال عكرمة: لها رؤوس كرووس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع. وقال سعيد بن جبیر: [طير] خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره لا تصيب شيئاً إلا هشمته.

﴿قُرَيْشِهِمْ بِحِجَارٍ مِّن يَّسِيلٍ﴾، قال ابن مسعود صاحبت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

﴿يَجْمَلُهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾،

كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من [بني] كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وسموا قريشاً من القرش، والقرش، وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقرش أي يكتسب، وهم كانوا تجاراً حراساً على جمع المال والإفضال. وقال أبو ريحانة: سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشاً؟ قال: لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلو، قال: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده شعر الجمحي:

وقريش هي التي تسكن البحر
ر سميت قريش قريشاً
سلطت بالعلو في لجة البحر
ر على سائر البحور جيوشاً
تأكل الغث والسمين ولا تند
رك فيه لذي الجناحين ريشاً
هكذا في الكتاب حي قريش
يأكلون البلاد أكلاً كميثاً
ولهم في آخر الزمان نبي

يُكثر القتل فيهم والخموشا
قوله تعالى: ﴿لِيَأْخُذَهُمْ﴾،
بدل من الإيلاف الأول، ﴿رِثْلَةً
أَلِيشَتْهُ وَأَلِيشَيفٌ﴾، «رحلة»، نصب
على المصدر، أي ارتحالهم رحلة
الشتاء والصيف.

وروى عكرمة وسعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
كانوا يشتون بمكة ويصيفون
بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن

يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت.

وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفاً، والأخرى في الصيف إلى الشام، وكان الحرم وادياً جدياً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولاً الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل من البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحمير، فالتقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فآلقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت.

فقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. أي الكعبة.

﴿أَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ جَوْعٍ﴾، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، ﴿وَأَمَّا أَنْتُمْ مِنْ جَوْعٍ﴾، بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم.

وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم عل الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني

حتى كان فقيرهم كغنيهم.

قال الكلبي: وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل: هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندي
هلاً مررت بذاك عبد مناف
هلاً مررت بهم تريد قراهم
منعوك من ضر ومن أكفاف
الرائشين وليس يُوجد رائش
والقائلين هلم للأضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يكون فقيره كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق
والراجلين برحلة الإيلاف
عمرو العلا هشم الشريد لقومه
ورجال مكة مستنون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه
سفر الشتاء ورحلة الأضياف
وقال الضحاك والربيع
وسفيان: ﴿وَأَمَّا أَنْتُمْ مِنْ جَوْعٍ﴾ من
خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم
الجذام.



سورة الماعون

مكية [وهي سبع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَرَأَيْتَ الْكَافِرَ﴾
﴿إِلَّا يَنْتَهِ﴾، قال مقاتل: نزلت في
العاص بن وائل السهمي. وقال
السدي ومقاتل بن حيان وابن
كيسان: في الوليد بن المغيرة. قال
الضحاك: نزلت في عمرو بن عائذ
المخزومي. وقال عطاء عن ابن
عباس: في رجل من المنافقين.

ومعنى يُكَذِّبُ بالدين أي بالجزاء والحساب.

﴿فَذَلَّلْكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة.

﴿وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِينَ﴾، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمَصْلِينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، أنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي، ثنا حرمي بن حفص القسملي، ثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي، ثنا عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال: «إضاعة الوقت».

قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا.

﴿لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْكَعُونَ﴾﴾، وقال في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرْأَوْنَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل. قيل: لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عقاباً إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها. وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياء، وإن فاتته لم يندم،

وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

﴿وَيَسْتَعِينُ الْمَاعُونَ﴾، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة، وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك.

وقال عبد الله بن مسعود: الماعون الفأس، والدلو، والقدر، وأشباه ذلك، وهي رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

قال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع.

وقال محمد بن كعب والكلبي: الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم.

قال قطرب: أصل الماعون من القلة، تقول العرب: ما له سعة ولا منعة، أي شيء قليل، فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً لأنه قليل من كثير.

وقيل: الماعون ما لا يحل منعه، مثل الماء، والملح، والنار.

سورة الكوثر

مكية [وهي ثلاث آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا

مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر عن المختار يعني بن قفل، عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي أنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿لَكَ شَانِئًا﴾ هُوَ الْآخِرُ. ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن محمد، ثنا هشيم، ثنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

قال الحسن: هو القرآن العظيم، قال عكرمة: النبوة والكتاب. وقال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة،

كنوفل فوعل من النفل، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطر: كوثرًا. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسوله ﷺ كما جاء في الحديث:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن أبي علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا حميد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللبن، وأحلى من العسل، وحافاته خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أذفر، فقلت لجبريل: ما هذا؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل».

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو سعيد الأشج، ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافاته الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضاً من الثلج».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن

أبي مريم، ثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منها لم يظم أبداً».

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن، إني لأضربهم بعصاي حتى يرفضوا عنه، وإن ليغث فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب، طوله ما بين بُصرى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو من مقامي هذا إلى عمان».

قوله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، قال محمد بن كعب: إن إناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحز لله عز وجل. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحز نسكك. وقال سعيد بن جبيرة ومجاهد: فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحز البدن بمنى وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَأْنُكَ﴾، عدوك ومبغضك، ﴿هُوَ الْآبَتُ﴾، هو الأهل الأذل المنقطع دابره.

نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا، وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له: من [ذا] الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتري يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال دعوه لنا فإنه رجل أبتري، لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش، وذلك أنه لما قدم كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة فتحن خير أم هذا الصنوبر المنبر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَبِيًّا مِنْ آلِكَاتِبٍ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالْغُثُوثِ﴾ [النساء: ٥١] الآية، ونزل في الذين قالوا إنه أبتري: ﴿إِنَّكَ شَأْنُكَ هُوَ الْآبَتُ﴾ أي المنقطع من كل خير.



سورة الكافرون

مكية [وهي ست آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ، إِلَى

آخر السورة.

نزلت في رهط من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، وأميه بن خلف، قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في أمرنا كله، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا

نصدقك ونعبد إلهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وأذوه وأصحابه.

﴿١﴾ ومعنى الآية: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ﴾، في الحال.

﴿٢﴾ ﴿لَا أَتَّبِعُ عِبَادَهُمْ﴾، في الحال، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، في الاستقبال، ﴿وَلَا أَتَّبِعُ عِبَادَهُمْ مَا أَعْبُدُ﴾، في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقوله: ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أي من أعبد، لكنه ذكره لمقابلة ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾. ووجه التكرار.

قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى مجاز خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار، إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز. وقال القتيبي: تكرار الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا: إن شرك أن ندخل في دينك عاماً فادخل في ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة.

﴿٣﴾ ﴿لَا تَدْعُ دِينَكَ﴾، الشرك،

﴿وَلِي دِينٍ﴾. الإسلام، قرأ ابن كثير ونافع وحفص: ﴿ولي﴾ بفتح الياء، والآخرين بإسكانها.

سورة النصر

مدينة وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ،

وَأَلْفَتْحُ، أراد فتح مكة.

وكانت قصته على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشاً عام الحديبية، واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شر قديم، ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له الوتر، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة، فأصابوا منهم رجلاً وتحاربوا واقتتلوا، ورفقت قرش بني بكر بالسلاح وقتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتذ بأنفسهم متكررين: صفوان بن أمية،

وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إله لي اليوم، أصيبوا نأركم فيه، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس، فقال:

«لا همّ إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلىدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا»
الآيات كما ذكرنا في سورة التوبة.

فقال رسول الله ﷺ: «قد نُصِرْتُ يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وهم رهط عمرو بن سالم، ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم وبظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة، ومضى بديل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى

رسول الله ﷺ، ليشدد العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: سرت إلى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى، فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من يعرها ففته فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شيء، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً.

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال ما، أنا بفاعل.

ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أنا لا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الدر لجاهدتكم به.

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة

بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمست القوم بي رحماً وأتربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرني بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد، فقال: يا أبا الحسن أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوتر ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس إني قد أجزت بين الناس، ثم ركب بعيرة فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته والله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟ قالوا: وماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز لك ذلك

محمد ﷺ؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد علي على أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بنية أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين تربته يريد؟ قالت: ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدة والتهيو، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها» فتجهز الناس.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ذكرناها في سورة الممتحنة.

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ماء - بين عسفان وأمع أقطر -، ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك [الليلة] أبو سفيان بن حرب وحكيم بن

حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبراً.

وقد قال العباس بن عبدالمطلب ليلتئذ: واصباح قريش، والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال أخرج إلى الأراك لعلني أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت وإني - والله - لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً، وقال بديل: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبا سفيان: خزاعة الأم من ذلك وأذل، فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبو الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فذاك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قيل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه، فردفني، ورجع صاحبه فخرجت أركض به بغلة رسول الله ﷺ، فكلما مرت ببنار من نيران المسلمين فنظروا إلي

وقالوا: هذا عم رسول الله ﷺ [على بغلة رسول الله ﷺ] حتى مررت ببنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ وقال إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر: فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلاضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجرتة، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا يتناجيه الليلة أحد دوني.

فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، قال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، [وذلك لأنني أعلم أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم]، فقال رسول الله ﷺ: «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به»، قال: فذهبت إلى رحلي فبات عندي.

فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن

ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وإن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، وكانوا قد جمعوا أناساً بالخدمة ليقاتلوا، وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما: «لا تقاتلا إلا من قاتلكم» وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدي، فقال سعد حين توجه داخلاً: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عباد، وما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها» فلم يكن بأعلى [مكة] من قبل الزبير قتال، وأما خالد بن الوليد فتقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك.

وقتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد، ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل بن الوليد، فشدّا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا في نفر سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم:

هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: والله ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك [الغداة] عظيماً، فقال: ويحك إنها النبوة، قال: نعم إذاً، فقلت: الحق الآن يقومك فحذرهم.

فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، قالوا: فمه؟ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، قال: وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ بمر الظهران فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يذغوانهم إلى الإسلام، ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي ﷺ عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار، وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالبحجون، وقال: «لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك» ومن ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك قبة.

وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف،

تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، قال العباس: قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

قال العباس قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس احبس بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها» قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ، قال: ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول سليم، قال يقول: مالي وللسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ. فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله من

عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركاً، ففرّ إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له.

وعبد الله بن خطل، كان رجلاً من بني تميم بن غالب، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وكان له مولى يخدمه وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه.

والحويرث بن نغير بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة.

ومقيس بن صبابه، وإنما أمر بقتله، لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدّاً، وسارة مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة.

وعكرمة بن أبي جهل، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

وأما عبدالله بن خطل، فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صبابه، فقتله نميلة بن عبدالله، رجل من قومه. وأما قينتا بن خطل فقتلت

إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمنها، وأما سارة، فتغيث حتى استؤمن لها فأمنها، فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن أبي طالب.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقف قائماً على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عتوة، ولذلك سُمي أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس للبيعة، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء.

قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب

الجمحي: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي، وقد خرج هارباً منك ليقدف نفسه في البحر، فأمنه، قال رسول الله ﷺ: هو آمن، قال: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جنتك به، فقال: ويلك اغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان فذاك أبي وأمي، أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك عزّه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتني؟ قال: «صدق»، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: «أنت فيه بالخيار أربعة أشهر».

قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال يقين من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حينئذ.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم،

ثنا شيان عن يحيى بن أبي كثير بن أبي كثير عن [أبي] سلمة عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً.

وقال محمد بن إسماعيل: قال عبدالله بن رجاء: ثنا حرب عن يحيى، ثنا أبو سلمة، أنا أبو هريرة أنه قال: عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من بني ليث يقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتى هذه، حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما [أن] يؤدوا وإما [أن] يفادوا، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه»، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلمت، فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي

طالب، قال: «مرحباً بأم هانئ»، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحقاً في ثوب واحد، ثم انصرف فقلت له: يا رسول الله زعم ابن أمي، علي بن أبي طالب، أنه قاتل رجلاً أجرته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ» وذلك ضحى.

قوله عز وجل: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مِنْ عَادَاكَ وَهُمْ قَرِيشٌ، وَالْفَتْحُ فَتَحَ مَكَّةَ».

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، زمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين. وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن.

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا﴾، فإنك حينئذ لاحق به.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو النعمان، ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أأذكلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» فتح مكة، فذلك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها

سورة المسد

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: يا صباحاه، قال: فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: مالك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم [أو ممسبكم] أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عز وجل: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» إلى آخرها.

قوله: «تَبَّتْ يَدَا» أي خابت وخسرت يدا أبي لهب، أي هو أخبر عن يديه، والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال و«التب» الخسارة والهلاك.

وأبو لهب هو ابن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، واسمه عبدالعزى. قال مقاتل كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه. وقرأ ابن كثير «أَبَى لَهَبٍ» ساكنة الهاء وهي مثل نهر ونهر.

قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى حدثني عبد الأعلى، ثنا داود عن عامر عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: «أخبرني ربي أنني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتهما أكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتهما: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»، فالفتح فتح مكة، «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ نَوَّابًا».

قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعت إلى نفسه.

قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح.

قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبتين يوماً.

واتفقوا في ذات «لَهَبٍ» أنها مفتوحة الهاء لوفاء في الفواصل، «وَتَبَّ» أبو لهب، وقرأ عبدالله: وقد تب. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عز وجل قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفندي نفسي بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: «مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ».

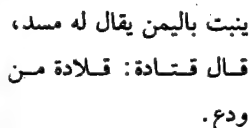
أي ما يغني، وقيل: أي شيء يغني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش، «وَمَا كَسَبَ» قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه.

كما جاء في الحديث: «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وإن ولده من كسبه».

ثم أوعده بالنار فقال: «سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ»، أي ناراً تلهب عليه.

﴿وَأَمَّا زَكَاةُكَ﴾، أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان «حَاَلَةَ الْحَطَبِ».

قال [ابن] زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين



وقال الحسن: كانت
خرزات في عنقها. وقال
سعيد بن المسيب: كانت
لها قلادة في عنقها
فاخرة، فقالت: لأنفقنها
في عداوة محمد ﷺ.

مكية [وهى أربع

آیات].

الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به. وقال سعيد بن جبیر: حمالة الخطايا، دليله قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، قرأ عاصم ﴿حمالة﴾ بالنصب على الذم، كقوله: ﴿ملعونين﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان: أحدهما ﴿سَمِطًا نَارًا﴾ هو، ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ والثاني: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ في النار أيضاً.

﴿فِي جِيدِهَا﴾، فِي عُنُقِهَا،
وَجَمْعُهُ أَجْيَادٌ، ﴿حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾.
وَاخْتَلَفُوا فِيهِ.

قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً، تدخل في فيها وتخرج من ذبرها، ويكون سائرهما في عنقها، وأصله من المسد وهو القتل، والمسد ما قتل وأحكم من أي شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلاً محكماً. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد، والمسد: الحديدية التي تكون في البكرة، يقال لها المحور، وقال الشعبي ومقاتل: من ليف. قال الضحاك وغيره: في الدنيا من ليف وفي الآخرة من نار، وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها.

قال ابن زید: حبل من شجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ريك، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

وروى أبو ظبيان، وأبو صالح،
عن ابن عباس: أن عامر بن الطفيل
وأريد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال
عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال:
«إلى الله»، قال: صِفْ لَنَا أَمَنَ ذُخْبٍ
هُوَ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ؟ أَمْ مِنْ حَدِيدٍ؟ أَمْ
مِنْ خَشَبٍ؟ فنزلت هذه السورة.
فأهلك الله أريد بالصاعقة وعامر بن
الطفيل بالطاعون.

وقد ذكرناه في سورة الرعد
[١٣].

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل:
جاء ناسٌ من أحبار اليهود إلى
النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك يا

محمد لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل
نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء
هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ممن
يرث؟ ومن يرث منه؟ فإنزل الله هذه
السورة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: قل هو الله الواحد.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبیر: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: تفسيره ما بعده.

روى أبو العالية عن أبي بن كعب
قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد
لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث
منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة:
هو السيد الذي قد انتهى سؤدده.

وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد. وعن سعيد بن جبير أيضاً: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب. تقول العرب: صمدت فلاناً أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته، والمقصود صمد بفتح الميم. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي. وقال الربيع: الذي لا تعتربه الأفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

﴿٢﴾ - ﴿١﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾، قرأ حمزة وإسماعيل ﴿كُفُؤًا﴾ ساكنة الفاء مهموزاً، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزاً، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هو على التقديم والتأخير مجازة: لم يكن له أحد كُفُؤاً أي مثلاً. قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] الملبحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أنا أبو

الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبيه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدائي وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويردها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال له رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهاني، أنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قلت: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأوا قل هو الله أحد».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين مولى زيد بن الخطاب أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ أَصَمُّدٌ ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ:

«وجبت»، فسألت: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة». فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فأثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا يزيد بن هارون، ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: «حبك إياها أدخلك الجنة».



سورة الفلق

[مدنية وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، قال ابن عباس وعائشة - رضي الله عنهما -: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبت إليه اليهود، فلم

يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطة، فأعطاه اليهود فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت السورتان فيه.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ: طُب حتى أنه ليخيل إليه أنه قد صنع شيئاً وما صنعه، وأنه دعا ربه ثم قال: «أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه» فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال الآخر: هو مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال في ذروان، وذروان بشر في بني زريق» قالت عائشة: فأتاه رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة، فقال: «والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين» قالت: فقلت له يا رسول الله فهلا أخرجته؟ قال: «أما، أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أثير على الناس به شراً».

وروي أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها.

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالحاني، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أنا ابن أبي عاصم، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، قال فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأناه جبريل، فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهود ولا رآوه في وجهه قط.

قال مقاتل والكلبي: كان في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة.

[وقيل: كانت العقدة مغروزة بالإبرة، فأنزل الله هاتين السورتين وهي إحدى عشرة آية] سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وروي: أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال، فنزلت المعوذتان.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا بشر بن هلال الصواف، ثنا عبد الوارث، ثنا عبدالعزيز بن صهيب، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن جبريل

عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، قال: «بسم الله أريك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أريك الله واشفئك».

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وأكثر المفسرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْوَيْلِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، والأول المعروف.

① - ② ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا جعفر بن محمد بن المغلس، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شر غاسق إذا وقب، هذا غاسق إذا وقب».

فعلى هذا المراد به القمر إذا خسف واسود: وَقَب، أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق

حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]».

أخبرنا أبو سعيد [أحمد بن إبراهيم] الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي، ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن [أبي] كثير حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ به المتعذون؟» قلت: بلى، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]»، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة، ثنا المفضل بن فضالة عن غفيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من

ويقال: رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمينه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه.

﴿٥﴾ فذلك ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

﴿٦﴾ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، يعني يدخل في الجنى كما يدخل في الإنسي، ويوسوس للجنى كما يوسوس للإنسي، قاله الكلبي، وقوله: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس، فسمى الجن ناساً كما سماهم رجلاً، فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَكُنَّ مِنَ الْإِنسِ يُؤْوَدُونَ بِكُلِّ يَمِينٍ﴾ [الجن: ٦]، وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقعوا فقيلاً: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن. وهذا معنى قول الفراء، قال بعضهم: أثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان، فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعاً، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، كأنه أمر أن يستعيز من شر الجن والإنس جميعاً.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي

الظلمة، يقال: غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس. قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سمي الليل غاسقاً لأنه أبعد من النهار، والغسق البرد. وقال ابن زيد: يعني الشربا إذا سقطت. ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها.

﴿٧﴾ ﴿وَمِنَ شَرِّ الْفَسْخِ وَالْمَعْدِ﴾، يعني السواحر اللاتي ينفنن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ. ﴿٨﴾ ﴿وَمِنَ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

سورة الناس

[مدنية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْثَلَاثِ ﴿١﴾-﴿١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهُ النَّاسِ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، يعني الشيطان يكون مصدراً واسماً، قال الزجاج: يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاء، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. [و] قال [قتادة]: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس،

جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه يده رجاء بركتها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحى قالا: ثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني،

أنا محمد بن يحيى، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] الملبحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن حمزة، حدثني ابن أبي حازم عن يزيد، يعني ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن

عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

[تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وحسبنا الله ونعم الوكيل].



فهارس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
١١٢٦	أتدرون من المفلس؟
١٠٨٠	أتدري أين تذهب
١٣٤	أتريدن عليه حديثه
١٢٧٠	أترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة
١٢١٩	أترضون أن يكون بيني سبرة بن عمرو؟
٤١٤	أترون هذه طارحة ولدها في النار؟
١١٦٨	أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ ..
١٨٣	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين؟ ..
١٣٥	أتريدن أن ترجعي إلى رفاعه؟
٦٩٩	أنضحكون وبين أيديكم النار؟
١١٠٥	أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب ...
	اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا
١٣٢٣	قوة إلا بالله
١١٥٠	أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله
١٢٩٦	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ...
٢٨٥	اتقوا الله في النساء فإنكم
١٣٧٠	اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم
٣١٣	اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم ..
١٢١٦	اثبت أحد ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
٢٩٣	اجتنبوا السبع الموبقات
١٠٨	اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة
	اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد
١٠٦	الهدى
١٢٧٥	اجعلوها في ركوعكم

الصفحة	الحديث
	حرف الألف
١٣٠٥	أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً
١٢٤٩	إبراهيم الذي وفي صلى أربع ركعات
٥٨٩	أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك ...
٨٩٣	أبشر يا هلال فإن الله قد جعل لك فرجاً ...
١٤٣٩	أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب
١٢٩٤	أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور ..
٤٢٢	أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام
٨٠٧	أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك
٨٦٨	ابعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ
١٢٤٩	ابن آدم اركع لي أربع ركعات
١٧٢	ابن آدم أنفق أنفق عليك
١٢١٦	أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة
١٤٤٥	أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق ...
٣٨٥	أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة
	أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم
١١٩٢	القرآن
٥٧٨	أنحب ذلك؟
٨٥٨	أتدرون أي يوم ذلك؟
١٤٢٧	أتدرون ما أخبارها؟
١٢٢٣	أتدرون ما الغيبة؟
١١٥٥	أتدرون ما هذان الكتابان؟
١٣٣٦	أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٣٠٣	إذا التقى الختانان أو مس الختان الختان ...	١٢٧٥	اجعلوها في سجودكم
١١٢٨	إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفض فراشه ...	٧٦٣	أحب الكلام إلى الله تعالى أربع:
١٣١٣	إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل		احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت
٨٤٢	إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب	٨٢٩	أبونا
١٠٤٩	إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر ..	٥٤٥	أحسستم وأجملتم كذا فاصنعوا
٣٠٠	إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا	٢٧٣	أحق الشروط أن توفوا به ما استحلتم
١١٢٤	إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح	٣٩٩، ٨٢	أحلت لنا ميتتان ودمان
٥٩٩	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...	٥٣٦	أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي ..
٩٣	إذا دخل رمضان صفدت الشياطين	١٣٥٧	أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس
٤٢٠	إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب	٧٥٦	أخبركم بما سألتكم غداً ولم يقل إن شاء الله ..
٥٤٤	إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد	٣٥٣	آخر سورة نزلت كاملة براءة
٣٢٩	إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً	٥٧٥	أخر عني يا عمر
٢٩١	إذا زنت أمة أحدكم فتيبن زناها	٥٧٩	أخرج يا فلان فإنك منافق
٧٩٥	إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس	٥٥٠	أخرجوا المشركين من جزيرة العرب
٩٠٢	إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع	٢٦٩	أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات
٧٥٣	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول	٦٣٣	أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله
١٤٦	إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٧٩٦	أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
٨٠٣	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار	١٢٦٩	أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم ..
١١٩٧	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	١٢٦٩	أدنى أهل الجنة منزلة لمن يغدو عليه ويروح ..
٦٧٤	إذا عملت سيئة فاعمل بخيرها حسنة تمحها ..	١٤١٣	إذا انبعث أشقاها: انبعث لها رجل عزيز
	إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا		إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء
١١	الضالين فقولوا:	٦٩٣	من
٨٧٩	إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى	٨١٣	إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل:
٦٨٧	إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ...	٤٥٤	إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها ..
٣٧٥	إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا	٧٠٦	إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح
٢٧	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٠٦٢	إذا أراد الله أن يوحى بالأمم تكلم بالوحي ...
٥١٠	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٨٤	إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة
١٠٦٣	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة	٣٥٩	إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك ...
٦٩٥	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت ملائكة ..	٣٥٩	إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى ...
٥٠٩	إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب ...	٩٠٢	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ..
	إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت	٩٧	إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار
٩٣	الشياطين	١١٢٥، ١١٢٤	إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله ...
	إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من	١٣١١	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون
١٣١٤	أبواب المسجد	٥٣٣	إذا أكثبكم فعليكم بالنيل

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٤٨	اشتد غضب الله على من قتله نبي	١٣٨٩	إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد ..
٥٨٤	أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ..	١٢٨٧	إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان
١٠٣٢	اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين	١٢٨	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ...
٣٢١	اشفعوا لتؤجروا ليقضي الله على لسان نبيه ..	٧٥	إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: ..
٢٥٨	أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله	٣٠٥	إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ
١٢١٠، ٥١٤	أشيروا علي أيها الناس	٣٤٧	إذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف ..
٩٠٣	أصرف بصرك	٣٠٢	إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب
١١٠٣	أطت السماء وحق لها أن تظن	٢٥٥	إذا وجدتم الرجل قد غل
٧٤٤	اطلبوا فضلة من ماء	١١٩٧	إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ..
١١٩٥	أطلقوا ثمامة	٤٤١	اذكروا أنتم اسم الله وكلوا
١٠٧٣	أعذر الله تعالى إليّ امرئ آخر أجله	١١٣٥	أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ..
٢٧٩	أعط ابنتي سعد الثلاثين وأمهما الثمن	١٠٦	أذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك
٦٧٩	أعطي يوسف نصف الحسن	٦٣٣	أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه ...
٨١٣	أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة	٧٨٩	أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة
١٥٧	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	٢٤٣	أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار
١٠٧٣	أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين	٤٣٧	أرايتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ..
٣٠٤	أعوذ برضاك من سخطك	١٣٠٧	أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ..
٧١٤	أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر ..	٢١٨	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً:
٤٢٥	أعوذ بوجهك	٩٤	أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ...
١١١	أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ	٩٤	أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا
٩٨٧	اغتمت خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ..	٤٦٧	غائباً
٩٩	اغزوا بسم الله وفي سبيل الله	١٢١٦	أرحم أمي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله ...
٦٨١	أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف	٢٩٥	أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله
	أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان	٥٤١	أرفعوا السيف إلا خراعة من بني بكر
١١٦	جائر	٥٨٥	استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها ...
٥٩	أفضل الصلاة طول القنوت	٦٨٧	استغفروا لأخيك واسألوا الله له التثبيت
	أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله	٧٧٩	استكثروا من الباقيات الصالحات
١٠١٩	المحرم	٢٩٢	استنصت الناس .. لا ترجعن بعدي كفاراً ..
٧٧٩	أفضل الكلام أربع كلمات	١١٩٥	أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني
١٢٣١	أفلا أخيركم بأمر تدركون من كان قبلكم ...		عقيل
٧٥٢	أفلا أكون عبداً شكوراً	٧٧	اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي
٣٢٨	أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنفاله خوفاً ..	٥٧٨	أسلم وغفار وشيء من جهنّة ومزينة خير ...
١٣١٤	أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ ..	٣١٣	اسمع وأطع ولو لعبد حبشي
٣٣٣	أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٩٦	ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم	١٢١٦	اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي:
١٠٣٦	ألا ترضوا يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم	١٣٥٩	اقرأ القرآن في كل شهر
١٠٣٨	الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم ...	٣٠١	اقرأ عليّ
٢٧٩	ألقوا الفرائض بأهلها	٧٥٥	اقرأوا القرآن قبل أن يرفع
٦٠٤	الذين إذا رؤوا ذكر الله	١٠٨٦	اقرأوا على موتاكم يس
١٨٧	ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا	١٤٢٢	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ...
١٢٠٦	الله أكبر، الله أكبر، خربت خيبر	١٢٤٠	أقضي بينكما بكتاب الله
١١٠٣، ١٢٠٧	الله أكبر خربت خيبر	٢٨٥	أقعدني في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله
٤٨٧	الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ..	١٠٨٤	أكان رسول الله ﷺ يمثل بشيء من الشعر ..
٥١٩	الله الذي لا إله غيره؟	٢٩٣	أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله
١٢١٧	الله الله في أصحابي	٦٧٦	اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
٢٦٧	اللهم اجعل في بصري نوراً وفي قلبي نوراً ..	٦٨٦	أكرموا عمّتكم .. النخلة
٦٩٦	اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً		أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم
	اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين	٥٦٩	أكل كل ذي ناب من السباع حرام
٨٨٤	اللهم أعم أبصارهم عنا	٤٤٨	أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال:
٥٦١	اللهم أعني عليهم بسبع كسب يوسف	١٢٥٠	ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ المتعذون؟
١١٧٥	اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث ..	١٤٥٠	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة
٢٤٢	اللهم العن فلاناً، وفلاناً، وفلاناً	٣٣٨	ألا أخبركم بأهل الجنة؟
٢٤٢	اللهم أمتي أمتي وبكى	١٣٣٧	ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا
١٤١٥	اللهم أمتي وبكى	٢٧٠	ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
٤١٠	اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار ..	١٠٨	ألا إن في قتل العمد الخطأ بالسوط أو العصا
١٠٢٦	اللهم أنجز لي ما وعدتني	٣٢٦	مائة
٥١٤	اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ...	٢٩٣	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟
٥٩٦	اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي	٩٩٧	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
١١٩٠	اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء وأبرأ ..	٢٤٥	ألا تجيبوه .. قولوا الله أعلى وأجل
١٠٣٣	اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس	١٠٨٦	ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ...
٤٤٢	اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك	٧٨٢	ألا تصلين؟ .. وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً
١٢٥٦	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب	١٢٩٥	ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
١٢٧٦	العرش العظيم	٣١٢	ألا لا إيمان لمن لا أمانة له
١١٢٨	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل	٢٨٩	ألا لا تغالوا صدقة النساء
٨٧٨	اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا	٥٨	ألا لا يحجج بعد هذا العام مشرك
		٢٣	ألا هل من مشمر للجنة
		٢٣٦	ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٢٥	امكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله	٧٧٢	اللهم سلط عليه كلباً من كلابك
٣٣٥	أمني جبريل عند البيت مرتين	٥٨٠	اللهم صل على آل أبي أوفى
٢٧	إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها ..	٢٠	اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
١١٣	إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم	٧٥١	اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين
	إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث	٢٤٥	اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك
٧٨١	سراياه	١٢٣٣	اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض
١٣٣٦	إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن	٣٤٣	اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني
١١٠٧	إن أحب الصيام إلى الله صيام داود	٥٣٠	اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها وفخرها
٣١٢	إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة	١٩٠	اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك
١١٤١	إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة	٢٥٤	ألم أعهد إليكم أن لا تركوا المركز
١٠١٩	إن أخاً لكم لا يقول الرفث	٢٩٧	إلى أقربهما منك باباً
	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك	٥٥٣	أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟
٧٩٦، ٦١٥، ١٦٨	الأصغر	٧٠١	أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ..
١٣٦٧	إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجهه	١٣٢٤	أما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه
١٢٦٨	إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض	٩٨	أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً
١٧٠	إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه	٦٩	أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها
٧٦٣	إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر ...	٥٢٢	أما إنهم مبخله مجبنة وإنهم لمن ريحان
١٣٣	إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً	٢٢٨	أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر
٥٨٦	إن للأواه الخاشع المتضرع	١٢١٨	أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً ..
	إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى	٢٦٩	أما ترضى أن تكون لهم الدنيا
٢٣٦	أدخلها	١٠٤٨	أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ...
	إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ	٢١٨	أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلماً
٨٦٢	الجمجمة	٣٦٠	أما ما ذكرت من آية أهل الكتاب فإن وجدتم
١١٤٣	إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً	١١٨٤	أما هو فقد أتاه اليقين من ربه
١١٤٤	إن الدعاء هو العبادة	٢٨٣	أما والذي نفسي بيده لأقضي بينكما
	إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا	١١٦	أمتوهكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى
٦٣٢	غلبه	١٢١٧	أمر القعقاع معبد بن زرارة
٧٦٠	إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه	٥٢١	أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرأوا المنكر
٨٩	إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة		أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف
٥٥٧	إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق	٨٦٦	باليث
٧٥٤	إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق	١٣٥٤	أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء
٢٨٤	إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح ...	٥٤٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٣٠٣	إن الصعيد الطيب وضوء المسلم	٢٧٢	أصك أربعاً وفارق سائرهن
١١٤٧	إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة	١٠٤٣	أصك عليك زوجك

الحدث	الصفحة	الحدث	الصفحة
إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة	٦١٥	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه	٦٨٧
إن الله عز وجل لم يفرض الزكاة إلا لطيب ..	٥٥٥	إن العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل أهل	
إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن		الجنة	٤٦٠
مائة	١٥٦	إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر ..	٦٥٤
إن الله عز وجل منعني أن أقبل منك صدقتك	٥٧٣	إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً	٧٨٧
إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته	١٢٣٨	إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم	٦٣٥
إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم	١٩١	إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ...	١٦٨
إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن		إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل	١٤٣٦
أشياء	٤١٥	إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق ... ٥٠٨	١٣٣٥
إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية		إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء	
لوارث	٨٧	عن الشرك	٧٩٦
إن الله قد رخص لي فلأزيدن على السبعين ..	٥٧٤	إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل	
إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا	١٢٤٨	الجنة	١٩٣
إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ..	١١٤٣	إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال	٧٠١
إن الله لا يظلم المؤمن حسنة	٢٩٩	إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك	١٤٢٦
إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة	٥٢١	إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات ..	٤٠٠
إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٦٨٠	إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة	٤١١
إن الله لا ينالم ولا ينبغي له أن ينالم	١٨٥	إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده:	٨٧٩
إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	١٢٢٥	إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً	٢٣٣
إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في		إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة	١٨٤
الصدقات	٥٦٥	إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم	
إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه	٦٣٠	ثلاثاً	٢٢٩
إن الله يؤيد حسان بروح القدس	٩٥٠	إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ...	٢٨٤
إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة	٥٣٣	إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في	
إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر	٥٣٣	نفسك	٧٤
إن الله يدخل قوماً النار	٢٦٨	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ..	٦٩٩
إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه	٦١٦	إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً وإن	
إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس		صاحبكم	٧٥٥
الخلائق	٣٠٠	إن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة ..	٨٨٠
إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم	١٣٠	إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار ..	٨٨٠
إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه	١٣٩٠	إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما وسوست	
إن المؤمن ليدرك بحسن خلق درجة	١٣٣٦	به أنفسها	١٨٣
إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه	٩٥٠	إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة ..	٤٥٣
إن المؤمنين وأولادهم في الجنة	١٢٣٩	إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه	٤٩٩

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٢٣	إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم ..	١٢٦٣	إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها ..
١١٧٢	إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم ..	٦٩٥	إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ..
٨٥٠	أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين ..	١٧٨	إن الملائكة لتلق روح رجل ..
١٢٥٢	أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم ..		إن الميت يسمع حس النعال إذا ولى عنه
	إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من		الناس ..
٩٦٩	مغربها ..	٦٨٧	إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه ..
١٣١٢	إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد ..	٢٣٤	إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ..
	إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة	٤٠٣	أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة ..
١٢٦٣، ٢٢	القمر ..	٧٢٧	أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة ..
٧٤٦	إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب ..	٨٧٥	أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على ..
١٢١٧	إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي ..	١٠٣٩	أن النبي ﷺ أمر رجلا كان جنبا ..
١٤٣٠	إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعم ..	٣٠٧	أن النبي ﷺ توضع فمصح بناصيته ..
١٠٥١	إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ..	٣٦٢	أن النبي ﷺ دعا في مسجد ..
٦٠٤	إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون ..	٤٢٥	أن النبي ﷺ سجد بالنجم ..
٢٨	إن بالمدينة جنبا قد أسلموا ..	١٢٥١	أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بإحدى ..
٩٦	إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ..	٣٣٣	أن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات ..
	إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين	٣٦١	أن النبي ﷺ ضرب وغرب ..
٤٥٣	فرقة ..	٢٨٣	أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ ..
٧٢٩	إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء ..	١٤٥١	أن النبي ﷺ كان إذا أصاب أهله ضر ..
	إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده	٨٣٠	أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل ..
٣٩٢	أحد ..	٣٦٣	أن النبي ﷺ كان إذا ركب ..
١١٤٢	إن بين يديه ثلاث سنين: ..	٣٦٣	أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة ..
٥٠٥	إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة؟ ..	٧١	أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ ..
٢٩٣، ٢٢	أن تجعل لله ندا وهو خلقك ..	١٤٢٠	أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئا لغده ..
٣٩٤	أن ترهب أمتي الجلوس في المساجد ..	١٠٨٤	أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت ..
٨٥	أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر ..	٣٣٣	أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس ..
٣٢٢	أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ..	٩٧	أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر ..
١٣٢	أن تطعمها إذا طعمت ..	١٧٧	أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم والكلب ..
	إن تغفر اللهم تغفر جمعا وأي عبد لك لا	٣٢٢	أن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم ..
١٢٤٨، ١١٣١	أما ..	٣٦٤	إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين ..
٧٤	أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله ..		أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة
٩٩٧	أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله ..	١٢٠٨	مسمومة ..
	أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على	١١٢٤	إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم ..
١٢٠٩	رسول الله ..	٥٩٥	أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح ..

الحدِيث	الصفحة
إن جدلاً في القرآن كفر	١١٣٥
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه	١٨٨
إن داود النبي عليه السلام حين نظر إلى المرأة	١١١٠
إن رأيتونا تخططنا الطير فلا تبرحوا	٢٤٦
إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك	٥٠٨
أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله .	٢٦٧
أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف ..	٢١٩
أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا	٨٠٩
منان	٨٠٩
أن رجلاً ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل	٤٥٦
سجل	٤٥٦
أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث	٥١٨
أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه	٥٢٧
أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء عند كل	٣٦١
أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية	٥٤٥
أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة	٥٥٢
أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح ..	٩١
أن رسول الله ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم	١٨٢
أن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة	١٦٢
أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن	٣٧٦
أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل	١٣٣٦
أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة	١٠٦٧
أن رسول الله ﷺ كان ينفل	٥٢٧
أن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً	١٣٣٥
أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى ..	١٢٧٣
أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار	٢٧٣
أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء	٢٨٩
أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر حرقوا	٣٠٢
أن سبعة نفست بعد وفاة زوجها	١٤٠
إن سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً ..	١٢١٧
إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية .	١٣٣٤
إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله	٣٩٤
إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله	٥٨٤
إن شئت دعوت الله أن يشفيك	٧٦

الحدِيث	الصفحة
إن شتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم	١٢٩٥
إن شتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني	٥٦٥
إن صلاته تنهاه يوماً	٩٩٧
إن صلاته لتردعه	٩٩٧
إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب	٢٤٥
إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء	٧٦
إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة	١١١٦
إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه	٧٢١
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في	٤١٠
الضبع بكبش	٤١٠
إن في الجنة غراً يرى ظاهرها من باطنها ...	١٠١٩
إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء ...	٢٣
إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة	٢٣
إن في المدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ولا	٣٢٩
قطعتم	٣٢٩
إن في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة .	٥٦٩
إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده ...	١٣٩٨
إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم	٧٩
إن كان الدم عبيطاً فليصدق	١٢٦
إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد	١٣٣٦
رسول الله	١٣٣٦
إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا	٣٩٤
وقوموا	٣٩٤
إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة	١٢٨١
إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير	٢٠٩
إن لكل نبي دعوة مستجابة	٧٥٣
إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة	١٢٦٥
إن لله تسعة وتسعين اسماً	٥٠٣
إن لله عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء	٦٠٤
إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن	٤١٣
إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني ..	١٠٥٢
إن للوضوء شيطاناً يقال له ولهان	٧٨١
إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد	١٠٤٥
إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات	٦٧٤

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٣٥	أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد	١١٣٤	إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد
١٢٠٥	أنتم خير أهل الأرض	١١١١	إن مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماء
١٤٢٤	أنزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها	٥٤٩	إن معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدق
	أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث	١٢٦٠	إن من خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء
٩١	ليال مضيئ	١٣٥	إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق
	أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما	١١٩٧	إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم
٤٣٢، ٣٧٨	تجد	٦٨٦	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
١٢٥٢	انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ	٩٥١	إن من الشعر لحكمة
١١٩١	انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه	١٢٣	إن من العنب خمراً
٧٠٢	انظروا إلى من هو أسفل منكم	٨٦	إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره
٧٠٤	انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه	٧٨٣	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
٨٩٣	انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج		إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من
١٢٦	أنفست؟	١٠٥٤	جلده شيء
١٢٤	أنفقت على نفسك	٣٨٩	إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت
١٧٢	أنفقي ولا تحصي فيحصى الله عليك	١١٦٩	إن هذا الأمر في قریش لا يعاديهم أحد
٥٦٧	إنك تأتي قوماً أهل كتاب غادعهم إلى		إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
٤١٢	إنك تعيش قرناً	٦٢	والأرض
٢٣٦	إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها		إن هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين
١٠٧٣	إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفدام	١٤٤١	إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب
٨٣٠	إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	١١٧٢	إن يدخلك الله الجنة لا تشاء أن تركب
٢٧٩	إنكم تقرئون الوصية قبل الدين	١٠٤٣	أنا أخشاكم الله
	إنكم قد حرمت أصنافاً من الغنم على غير	٦٧٣	أنا الله وأنا الرحمن وهي الرحم شقت
٤٤٧	أصل	٤٩٤، ٤٥	إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب
٤٣٥	إنكم سترون ربكم عياناً	١٤١٥	إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة
٢٩٤	إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم	٧٥٤	أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا
٧٨٠	إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً	٧٥٥	أنا سيد ولدي آدم يوم القيامة
١٢٨٢	إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم	٧٤	أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني
٢٤٩	إنما الأعمال بالنيات	١٤٣٩	أنا عند عقر حوضي أود الناس
٤١٦	إنما الولاء لمن أعتق	١٢١٠	إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا
٩٨	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي	٣٩٨	إننا لم نرده عليك إلا أنا حرم
٨٦٩	إنما أنا رحمة مهداة	٧٤	أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
٨٧٦	إنما أنا لكم مثل الوالد لولده	٢٩٧	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
٥٢٧	إنما ينو هاشم وبنو المطلب شيء واحد	١١٩٦	أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلي
٩٦	إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار	٥٥٨	أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٨٥	إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ...	٧٨٥	إنما سمي خضرأ لأنه جلس على فروة بيضاء
٥٨١	إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله	١١٣٥	إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله
٦٥	إني عند الله مكتوب خاتم النبيين	٣٩٩	إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى
٢٣٥	إني على الحوض حتى أنظر من يرد	٣٠٦	إنما يكفك هكذا فضرب
٢٨٢	إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر		إنه جاءني جبريل فقال: إن ربك يقول أما
	إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من	١٠٥٢	يرضيك
٣١٣	بعدي	٥٧١	إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان
١٣٠٧	إني لا أصفح النساء	٤٦٧	إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون
٨١٠	إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد	١٢٧٥	أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه
٨١٠	إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ..	١٢٣	إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء
٤٣	إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ ..	٨٦٦	أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول
١٢٢٥	إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه	١٢٩٤	أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين
١١٤٣	إني لأنذركموه وما من نبي إلا وأنذر قومه ..	١١٩٧	إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله
٥١٨	إني لفي الصف يوم بدر إذ التفّت عن يميني	١٣٩	إنه يشب الوجه فلا تجعله إلا في الليل
١٢٣	إني وجدت من فلان ريح شراب	١١٧١	إنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة
٩٥٠	أهجمهم أو هاجهم وجبريل معك	٨٤١	إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس
٩٥٠	أهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل	٣٢٣	إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار
٤٤	اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ..	٨٥٤	إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
٢٣	أهل الجنة جرد مرد كحل	٢٢	أنهار الجنة في غير أخدود
٢٣٦	أهل الجنة عشرون ومائة صف		إنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد
٢٢	أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون	٧٠٦	رسول الله
٧٠١	أوتي النبي ﷺ السبع الطوال	٨٠١	إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
	أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح	٧٦٢	إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وجهة
٤٢٣	الغيب	٤٩٤	إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله
٤٥٣	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان	١٣٨٦	إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها
١١٧٥	أول الآيات الدخان ونزول عيسى	٩٩	إني أحسن
٢٢	أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة	٢٥٧	إني أخشى عليهم أهل نجد
١٢٥١	أول سورة أنزلت فيها السجدة: النجم	٥٠٩	إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم
١٤٢١	أول سورة نزلت قوله عز وجل: اقرأ	١٤٢٤	إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع
٨٦٦	أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف	٧١١	إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ..
١٤٢٠	أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي ..	٥٥٩	إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين
٥٨٤	أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة	١١٩١	إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة
	أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين	١١٥٩	إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
٧٦٣	يحمدون	٢٣٨	إني رأيت في منامي بقرأ تدبج

الحديث الصفحة

أولئك العصاة ٩٢

أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك ... ٥٨٥

أيؤذيك هوامك؟ ١٠٥

إياكم والظن فإنه أكذب الحديث ١٢٢٣

إياكم ومحقرات الذنوب ٧٨١

أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ١١٢

آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ٥٧٣

أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ١٤٤٨

أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ ١٣٥٩

أيما امرأة سألت زوجها الطلاق ١٣٥

أين قريش؟ كم القوم؟ ٥١٨

أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة .. ٢٢٩

أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من ١١٧٨

أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى .. ٣٨٩

أيها الناس عليكم بالسكينة ١١٠

أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ... ٨٦٥

أيها الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة

ويبعدكم من ١٠٠٠

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ٧١٨

الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ٦٣٢

الأنبياء والأمثل فالأمثل ٧٦

الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها ١٥

حرف الباء

٩٧٠ بئس الشعب شعب أجياد

٩٦٨ بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها

٢٣٥ بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم

٣٨٥ ، ٣١٣ بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة

٣٢٧ بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً

٢٢٣ يخ بخ ذاك مال رابع

١٤٤٩ بسم الله أريقك أريقك من كل

١١٦٥ بسم الله الحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا

..... بشرت هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصرة

١١٥٨ والتمكين

الحديث

الصفحة

٢٨٨ بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشاً

١١٩٧ بعثت أنا والساعة كهاتين

٧٠٤ بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار

٢٩٢ بعثت بالحنيفة السمحة السهلة

٢٨٦ بعثني النبي ﷺ إلى رجل متزوج امرأة أبيه

٥٥١ ، ٢٥٥ بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن

١٤١٣ بعثنيها بنخله في الجنة

٤٠٣ بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر

٥١٧ بل أنتم الكراون

١٢١٨ بل هو من أهل الجنة

٤١٥ بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل

٥٤٥ بنى الله له بيتاً في الجنة

٢٢٦ بني الإسلام على خمس: شهادة

٧٢٥ بينا أنا في المسجد الحرام بين النائم واليقظان

١١٥٢ بين كل أذنين صلاة

١٤ بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل

١٠٨٢ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم

٨٥٠ بينا أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد

٧٢٥ بينما أنا في الحطيم بين النائم واليقظان

٤٣٣ بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض

٢٩٩ بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه

٤٣ بينما رجل يسوق بقرة إذ عبي فركبها

١٩٦ بيني وبينكم التوراة

٣٥٦ البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك

٨٩٣ البينة وإلا حد في ظهورك

حرف التاء

تابعوا بين الحج والعمرة ١٠٢
تجب الجمعة على كل مسلم ١٣١
تجدون الناس معادن كعادن الذهب والفضة ٥٩٢
تحتاج الجنة والنار فقال النار ٨٦٢
تحزوا ليلة القدر في العشر الأواخر ١٤٢٣
تحزوا ليلة القدر في الوتر من العشر ١٤٢٣
تحلفون خمسين يمناً وتستحقون دم صاحبكم ٤٣

الحدث	الصفحة	الحدث	الصفحة
حرف الجيم		حرف الثاء	
جثتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟ ..	١٢٠٩	تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس	٩٦٩
جاء الحق وزهق الباطل	٧٥٦	تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان	٩٦٩
جاء رسول الله ﷺ يعودي وأنا مريض	٢٨٠	تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه ..	٣٦٢
جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران فقال له:	٣٧٠	تردين عليه حديثه	٩٢
جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه	١٢٥٦	تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة	٦٧٤
جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم	٢٠٠	تعجبون من غيرة سعد؟ والله لانا أغير منه ..	٢٩٨
جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم	٥٩٩	تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً	١٢٠١
جامعوهم في البيوت واصنعوا كل شيء إلا	١٢٦	تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده	٧٥٢
النكاح	١٣٥٩	بخمس وعشرين	١٢٥٠
جاورت بحراء فلما قضيت جوارى	٨٠٩	تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق	١١٧٤
جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي	٣٠٦	تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان	١٤٢٧
جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً	١٢٦٤	تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال	٣١٧، ٢٥٩
جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما	١١٩٥	تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه ..	٥٦٣
الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل		تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه ..	٥٦٣
حرف الحاء		بيته	٦٤٣
حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا		تكلم في المهد أربع وهم صغار: ابن ماشطة	٦٩٢
حابستكم	٨٦٦	ابنة فرعون	٥٦
حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات	٨١٥	تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة	٦٠٥
حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه	٩٥٢	تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها	١٠٤
حجي واشترطي وقولي	١٠٤	تلك عاجل بشرى المؤمن	١٢٩
حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير	١٢٩٢	تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع	١٢٩
حرمت النار على ثلاث: عين بكت من خشية		تنكح المرأة لأربع	
الله	٧٦٢	حرف الذاء	
حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه	١٢٢٣	ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها	٤٥٣
حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ..	١٣٣١	ثلاث جدن جد وهزلن جد	١٣٦
حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ..	٢٠٥	ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم	٧٥٢
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما	٢٦٠	ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج ..	٦٧٣
ألقي في النار	٢٩٦	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ..	٢١٩
حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت	١١٣٦	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية ..	٩٨٤
حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون		ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل	١٢٨٢
		ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتل	٨٧
		ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فإذا ورقها ..	١٢٤٥

الصفحة	الحديث
٧٣٨	خير المال مهرة مأمورة
٢٩٦	خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك
١٤١٦	خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم
٢٩٦	خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها
٢٠٥	خير نساها مريم بنت عمران
١٣١٣	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
٢٣٥	خيركم قرني ثم الذين يلونهم
١٠٣٩	خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله
٥٣٣	الخير معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة

حرف الدال

١٤٣٩	دخلت الجنة فإذا أنا بنهر
	دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع
٥٦٤	صلاتهم
٣٦٤	دعها فإني أدخلتهما طاهرتين
١٧٩	دعوه فإن لصاحب الحق مقلاً
١٣٣	دعي الصلاة أيام أقرائك
١٠٩	دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة
١٠٩	دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان
٣٢٧	دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم
٦٩٠	الدعاء من العباد
١١١	الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة

حرف الذال

٧٨١	ذاك شيطان يقال له خنزب
١١٨٤	ذاك عمله
٣٥٤	ذكاة الجنين ذكاة أمه
١٢٤٣	ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل
٩٩٨	الذاكرون الله كثيراً

حرف الراء

٧١٩	رأى النبي ﷺ يصلي
١٢٤٥، ١٢٤٤	رأى جبريل في صورته له ستلثة جناح

الصفحة	الحديث
١٤٣٩	حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن
١٢٢٤	الحسب المال والكرم التقوى
١٢٢٥	الحمد لله الذي أذهب عنكم عية الجاهلية ..
	الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن
٤٢٢	أصبر
٤٢٢	الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن ..
٤٢٢	الحمد لله الذي لم يمئتي حتى أمرني أن أصبر
٤٢٢	نفسى
٧٦٣	الحمد لله رأس الشكر
١٣٥٦	الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار
٨٠٩	الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء

حرف الخاء

٥٠٦	خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في
١٣٣٥	الأرض
٢٧٤	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال ..
٢٨٢	خذ من كل حالمة ديناراً
٢٩٢	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ..
	خرج برجل فيمن كان قبلكم أرباب
	خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان
١٤٢٤	وفلان
١٠٢	خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع ..
٣٠٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ..
٤٥١	خط لنا رسول الله ﷺ خطأ ثم قال
	خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح
٩٥٠	النبل
٤١٢	خلق الله آدم عليه السلام من تراب
٦٧٣	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم ..
٤٤٨	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
٤٠٠	خمس قتلن حلال في الحرم
١١٧٥	خمس قد مضين للزمام والروم والبطشة
	خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلن
٤٠٠	جناح
١٢٤	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٤٢٥	سألت ربي ثلاثاً سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق	١١١	رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرج .
١٤١٥	سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته ..	١١١٩	رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة
٨٦	سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي	٢٤٠	رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه
	سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول	٣٦٣	رأيت رسول الله ﷺ تواضاً نحو وضوئي ...
١١٠	الله	٤٠٢	رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
١٣٥٦	سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ	٥٥٨	رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندب ...
١٠٧١	سابقنا سابق ومقتصدنا ناج	٢٤٦	رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله ..
٣٣٢	سافر رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة	٦٤٥	رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف
١٠٨	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٣٠	رأيت ليلة أسري بي رجلاً
١٧٣	سبعة يظلمهم الله في ظله	٢٧٧	رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر
١٠٤٢	سبق المفردون الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .	١٠٢١	رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طويلاً .
٥٣٣	ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل ..	١٠٣٤	رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ
٥٢١	ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم	٢٧٠	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا
٧٦٢	سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة	٦٥١	رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني ...
١١١٢	سجدة ص ليست من عزائم السجود	٧٨٧	رحمة الله علينا وعلى موسى
١٣٩٤	سجدت بها خلف أبي القاسم	٨٥	ردوا السائل ولو بظلف محرقة
١٣٩٤	سجدنا مع رسول الله ﷺ في	٧٤٠	رضا الله في رضا الوالد
٨٧٦	سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ	٧٤٠	رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي .
١٣٩٠	سجين: أسفل سبع أرضين	١٨٥	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
٧٧٦	سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار		رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحداً
١٠٢٥	سلمان منا أهل البيت		من القوم
٦٧٦	سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره ...	٢٥٢	ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها
١٢٤٢	سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب	١٢٣١	الرؤيا الصالحة من الله تعالى
١٤٥	سمعتها من رسول الله ﷺ	٦٣٦	الرؤيا جزء من أربعين أو ستة وأربعين
٥٥١	سنوا بهم سنة أهل الكتاب	٦٣٦	الربا سبعون باباً أهونها
	سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار	١٧٧	الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ...
١١٩٦	الجنة	٦٣	الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب ..
	سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى	٤٦٨	
٩٩١	باب الجنة		
٧٣٩	سيعيش هذا الغلام قرناً		
٢٤٣	السخي قريب من الله قريب من الجنة		
٣١٣	السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب		
	وكره		

حرف الزاي

١٣٧ زوجت أختاً لي من رجل فطلقها

حرف السين

سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقرب ربنا

الحديث الصفحة

حرف الشين

شاهت الوجوه	٥٤٧
شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة	٦٧٦
شغلونا عن الصلاة الوسطى	١٤٤
شيبني هود وأخواتها	٦٣٥، ٦٣٢
شيبني هود والواقعة والمرسلات	٦٣٥
الشعث النفل... العج الثج... زاد وراحلة	٢٢٧
الشمس والقمر يكوران يوم القيامة	١٣٨٥
الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا	
الهلال	٩٢
الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم	٢٥٩

حرف الصاد

صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح	١٣٥١
صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت	
إلى	١٣٢١
صدق الله وكذب بطن أخيك	٧١٤
صدقة السر تطفئ غضب الرب	١٧٣
صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة	٥١٦
صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً	٢٦٨
صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى	٧٤٠
صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة	٢٢٦
صلوا على صاحبكم	٢٥٥
صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة	٣٣٤
صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفا	٣٣٤
صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به	٣٩٩
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم	
ثنتان	٨٥
الصراف المستقيم: كتاب الله	١٠
الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر	
سنتين	٣٠٣
الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة	
السفر	٣٣١

الحديث الصفحة

الصلاة وما ملكت إيمانكم	٢٩٨
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة	٢٩٤
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة	٦٣٣
ورمضان	٩٤
الصيام والقرآن يشفعان للعبد	

حرف الضاد

ضحى رسول الله ﷺ بكشين أملحين	٣٦٠
ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم	١٠٢٦
ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد	٣١١
ضعوها مما يلي رأسه واجعلوها على رجليه	١٠٣٤

حرف الطاء

طريق مظلم لا نسلكه	١٥٦
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٥٩٢
طلق أربعاً وأمسك أربعاً	٢٧٢
طوبى شجرة غرسها الله بيده	٦٧٦
طول القنوت	١٤٥
الطاغوت رجز أرسل على بني إسرائيل	٤٧٦
الطعام بالطعام مثلاً بمثل	١٧٦

حرف العين

عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل	٣٥٣
عجائز كن في الدنيا عمشاً رمصاً	١٢٦٩
عجب ربكم من سؤالكم وقنوطكم	١٠٨٧
عجب ربكم من شاب ليست له صبوة	١٠٨٧
عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه	
ولحافه	١٠١٩
عجباً للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر	٧٦
عزاة حفاة... يا عائشة الأمر أشد من ذلك	٧٨٠
عرضت على رسول الله ﷺ عام أحد	٢٧٤
عرضت على الأمم فجعل يمر النبي ومعه	
الرجل	١٢٧٠

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٩٢	فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن	١٢٧٠	عرضت على الأنبياء الليلة باتباعها
١٢٦٥	فلم أر عبقرياً يفري فريه	٢٦٢	عرضت علي أمتي في صورها في الطين ...
٨٠٣	فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء	٣٢٢	عشرون .. ثلاثون
١٩٦	فهللوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم	٦٩٢	على الصراط
١٢٨	في أي الخمرتين أو في أي الخرزتين	١٢٠٣	على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ
٩٤	في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان	٢٢٣	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ..
١٢٦٨	في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	١٠١٩	عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ..
٦٧٦	في الجنة شجرة يقال لها طوبى	٦٧	عم الرجل صنو أبيه
٣٧٧	في السارق يسرق إن سرق فاقطعوا يده	١٢١٦	عهد إلى النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن ...
١٧٠	فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً	٩٩٦	العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
١٦٩	فيمين ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدُ أَحَدُكُمْ﴾	٣١٠	العيفة والطرق والطيبة من الجيت
		١٣٤٢	العين حق
		٢٩٤	العينان تزنيان واليدان تزنيان
	حرف القاف		حرف الغين
٤٤٩	قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها	٢٥٢	غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ...
٣١٧	قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله	٧٩٣	غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم
١٤٤٨	قال الله تعالى: «كذبي ابن آدم ولم يكن» ..		حرف الفاء
٥٩	قال الله تعالى: «كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك»	١٣٣	فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان
٧٠٩	قال الله تعالى: «كذبي عبيد ولم يكن ذلك له»	١٨٩	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه
١١٨٢	قال الله تعالى: «لا يقل ابن آدم يا خيبة» ...	٧٥٤	فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني
١٠٥٢	قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً»	٩٨٨	فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ..
١٠٥٢	قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»	٤٥٣	فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي
١٠٥٢، ٩١٤	قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر»	٣١٧	فأنت مع من أحببت
٣٥٨	قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: «هذا دين ارتضيته»	١٣٦٠	فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء
	قال رجل - لم يعمل خيراً قط - لأهله إذا مات فحرقوه	٣٥٥	فقلت فلائد بدن النبي ﷺ بيدي
		٧٢٥	فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ..
		١٤٥	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
		٥٩٢	فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ..
		١٥٧	فضلت على الأنبياء بست
		٣٠٥	فضلنا على الناس بثلاث
		٧٢٧	ففرض الله على أمتي خمسين صلاة
		٥٩٢	ففيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ..

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
	حرف الكاف		
١٢٢٨	كاتب الحسنات على يمين الرجل	١١١٦	قال سليمان: لأطوفن الليلة على سبعين ...
٤٥٨	كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة	١٣٥٦	قام النبي ﷺ بآية
١٢٤١	كان إذا قام كبر الله عشرأ	٣٨٤	قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك
٣٠٤	كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون العشاء ..	١١٨٨	قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن ..
٥٨٠	كان النبي ﷺ إذا أتاه قومه بصدقة	٣٠٣	قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا
١٢٤١	كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال	١٤٤٥	قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ
٣٨٩	كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة	٥٧	قد أصبتما الخير وأفلحتما
١٠٢١	كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تبارك	١٤١٦	قد أفلح من أسلم ورزق كافأاً وقتعه الله ...
٥٨٣	كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ...	٨٩٢	قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بهما
١٣٠٧	كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام	١٨٦	قد عفوت عنكم وغفرت لكم
٣٩٤	كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل		قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له في
١٣١٥	كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين ..	٥١٩	الأرض
٧٥٠	كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود		قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه .
١٤٢٤	كان النبي ﷺ يعتكف العشر	٨٢٨	قرأت على النبي ﷺ والنجم
١٤٠٢	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين	١٢٥١	قرن ينفخ فيه
١٠٢١	كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم	٤٢٧	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
٧٢٠	كان النبي ﷺ يقرأ غلاماً لبني المغيرة ...	٧٠١	قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ ...
١٢٩٢	كان النبي ﷺ يقطع نخلهم	٩٧٩	قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي
١٠٢٦	كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق	٧٤٢	قل آمنت بالله ثم استقم
١٠٦٣	كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى	٦٣٢	قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ٥٨٥ ، ٩٨٤
	الناس		قلت لعائشة رضي الله عنها: أرايت قول الله
	كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام	٧٧	تعالى: (أن الصفا
١٣١٠	على المنبر		قم يا عبيدة بين الحارث ويا حمزة بن
٣٦٨	كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم	٨٦٢	عبدالمطلب
١٣٣٥	كان خلقه القرآن		قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً
١٠٥٧	كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده	١٤٥	قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه
٢٢٤	كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام	١٠٥١	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
٧٨٩	كان ذهباً وفضة	١٤٢٥	قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني
١٣٦٨	كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ	١٢١٢ ، ١٠٥	قوموا فانحروا ثم احلقوا
٩٥٧	كان رجلاً له عشرة من البنين تيا من منهم ستة	٣٦	قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً
١٠٦٠	كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد	٢٧٨	القاتل لا يرث
١٣٣٥	كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً	٧٢	القبلة ما بين المشرق والمغرب
		٣٧٦	القطع في ربع دينار فصاعداً
		١٤٨	القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٨	كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية	٨٩٦	كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرأ أقرع بين ..
٣٣٤	كانت للقوم ركعة واحدة وللنبي	٣٤٣	كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع
١٣١٥	كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما	٩٧	كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه
٤٩٠	كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً	١٤٥٠	كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه
٩٩٥	كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون منهم ..	٤٤	كان رسول الله ﷺ إذا خطب استند إلى جذع
١٢٥٦	كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض	١٤٢٣	كان رسول الله ﷺ إذا دخل
١٣٢٣	كذب أبو السنابل	١٢٦٥	كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة
١٣٥	كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر ..	٧٤٣	كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفاً
٢٦٣	كفل الله لمن جاهد في سبيله	١٣٦٧	كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه جبريل
٣١٨	كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم	١٣٣٥	كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ..
٣٢١	كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول	١٧٠	كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة ..
٢٠٠	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي	١١٨٨	كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي
٢٠١	كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه	١٤٢٣	كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ..
٣٣١	كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر الصلاة ..	٣٣٥	كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ..
٨٨٨	كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسبيي ...	١٤٤	كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة ...
١٢٢	كل شراب أسكر فهو حرام	٤٩	كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته
١٢٥٦	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	٧٥٣	كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ ..
٩٤	كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها	٣٠٣	كان رسول الله ﷺ يقضي الحاجة
٥٥٤	كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كثر ..	١١١	كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ربنا آتانا ..
٣٩٧	كل مسكر حرام إن حتماً على الله أن لا يشربه	٢٨٩	كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية
١٢٣	كل مسكر خمر وكل مسكر حرام	١١٣٠	كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة
١٠٦٥	كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه	٢٨٧	كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات
٢٧٥	كل من مال يتيمك غير مسرف	٣٩١	كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل
٢١٣	كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه	١٣٩٥	كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ..
٢٢١	كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم	١٣١٥	كان يقرأ بـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثَةِ﴾ ..
١٢٨٨	كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه	٨٤٠	كان ينفخ النار على إبراهيم
٢٥٤	كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها ..	٨٩	كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية
٣٨٧	كلتا يديه يمين	٧٨٦	كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى ..
		١٢٧	كانت اليهود تقول في الذي يأتي أهله في دبرها
		٨٤٣	كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٣٥	الكماة من المن وماؤها شفاء للعين	١٢٧٥	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ١٠٠٥
١٤٣٩	الكوثر نهر في الجنة حافته الذهب	١٠٧١	كلهم من هذه الأمة
١٤٣٩	الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه	٤٠٠	كلوا رزقاً أخرجه الله إليكم أطعمونا إن كان
٤٩٨	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ..	٣٥٤	كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه
<div style="border: 1px solid black; padding: 5px; text-align: center;">حرف اللام</div>		٢٠٥	كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا
		١٣	كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ ...
٥٥٠	النصارى	٥٤٧	كنا إذا أحمر البأس نتقي به
١٤١٠	لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ..	٨٥	كنا إذا أحمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
٥٧٧	لا أجد ما أحملكم عليه	١٢٠٥	كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة
٤٦١	لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ...	١٥٢	كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر
١١٦٩	لا أسأل فقد اكتفيت	٣٦١	كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط
١٠٣٨	لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده ..	٤٤	كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا
٧٣٨	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ..	١٤٥	كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ..
٧٤٦	لا إنما هي أربعة أشهر وعشر	١٢٦	كنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر
٧٤٦	لا بل تستأني بهم	٩٢	كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا ..
١٤١١	لا بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم ...	١٢٦	كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ ...
١٤١٢	لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ..	١٣١٥	كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً ..
١٧٦	لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ..	١٢٦	كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد
٥٧٧	لا تجالسوهم ولا تكلموهم	١٣٣٦	كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد
١٨١	لا تجوز شهادة خائن أو خائنة	٣٠٤	كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ
٢٩٥	لا تحدثوا حلقاً في الإسلام	١٠٢٤	كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ..
١٨٧	لا تحرم النصبة من الرضاة والمصتان	٨١١	كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده
٢٩٨	أخاك	٨٠١	كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد
٥٦٦	لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة	٥٥٥	كية .. كيتان
٧٠١	لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا ..	١١٧١	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم؟
١٢٩٦	لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها ..	٤٢٧	كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه
١٢٢٩	لا تزال جهنم تقول هل من مزيد	٥٠٩	كيف يا رب والغضب
٥٠٤	لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله	٢٤٢	كيف يفلح قوم شجروا رأس نبيهم
١٠٨٨	لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة	٢٩٢	الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين
٤٠١	لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته لكم		
١٠٣٩	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله		
١٢١٧، ٢٣٥	لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠١١	لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن .		لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن
٧٤١	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ..	٥٧٩	أحدكم أنفق
٤٥٠	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	١١٧٨ ، ١١٧٧	لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم
١٤٠	لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث .		لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم
١٣٩	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد	٧٦١	الله
٨٠٣	لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من	٦٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
٢٩٨	لا يدخل الجنة سىء الملكة	٩٩٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا .
٦٧٤	لا يدخل الجنة قاطع	٧٠٢	لا تبغضن فاجراً بنعمته فإنك لا تدري
٧٠٧	لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر	٨٦	لا تقام الحدود في المساجد
٧٤٠	لا يدخل الجنة منان ولا عاق	٣٠٤	لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ .
١٢٠٥	لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ..	٣٧٤	لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول
٤٧٦	لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من ..	٩٣	لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين
٥٥٤	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات ...	٥٨٨	لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا من الصلاة
٢٧٨	لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ...	٤٥٣	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
١١٥٢	لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة	١٤٥١	لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن ..
٧٦	لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله	٧٥٠	لا خير في دين لا ركوع فيه
٨٧٧	لا يزال الله مقبلاً على العبد ما كان في صلته	٢٨٦	لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبث اللحم ...
١١٦٩	لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان ...	٢٤٥	لا سواء قتلانا في الجنة
١١٨٢	لا يسب أحدكم الدهر	٩٩٢	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
١٣١٣	لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي	١٠٤٦	لا طلاق قبل النكاح
١٠٣٥	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣٧٧	لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل ..
١٣١٣	لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع	١٢٠٥	لا نبرح حتى نناجز القوم
٣٦١	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	٥٣٩	لا نصرت إن لم أنصركم
١٠٦٩	لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً	١٢٩٣	لا نورث ما تركنا صدقة
٩٩٧	لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة .	٣٣٠	لا هجرة بعد الفتح
١٢٨٧	لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه	١٠٢	لا وأن تعتمروا خير لكم
١٢٨٧	لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة	١٢٥٧	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع
١٧٠	لا يكتسب عبد مالاً حراماً فيتصدق		لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي
٧٦٢	لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى ...	٨٨٤	ويتصدق
٩٧	لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال	٥٥٤	لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر
١٢٩	لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد .	٢٧٨	لا يتوارث أهل ملتين
٨٠٨	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار ..	١٢٩٦	لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ..
٦٦	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ..	٢٨٨	لا يجتمع بين المرأة وعمتها ولا بين
٢٣٩	لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها	٢٨٦	لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٠٥	لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات	٢٩٩	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه
١١٨٨	لقد كان يأتي علينا الشهر وما نوقد فيه نار	٧٥٢	لأمرقن صلاة رسول الله ﷺ
٥٩١	لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة	١٢٠٦	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
١١٣٤	لكل شيء لباب وللباب القرآن الحواميم	٧٧٩	لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
٢٨٠	للبنت النصف ولابنة الابن السدس	١٧٤	لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي
٥٣٦	لم تحل الغنائم لأحد من قبلي	٩٥٠	لأن يمتليء جوف أحدكم فيحاً خير له من
٩٨	لم دخلت من الباب وأنت محرم؟	١٠٣	لييك بحج وعمرة
٦٠٤	لم يبق من النبوة إلا المبشرات	٥٧٠	لتتبع سنن من قبلكم شبراً بشبر
١٢٤٤	لم ير رسول الله ﷺ ربه	١٣٩٤	لتتبع سنن من كان قبلكم شبراً شبراً
١١٠	لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة	٤١٩	لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة
٥٠٨	لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً	١٠٨١، ٥٠٥	لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما
	لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ	٦٣٣	لجميع أمتي كلهم
٥٥١	الجزية		لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف
٦٢	لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر	٦٩٩	على أمتي
١٨٦	لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى		لحم الصيد لكم في الإحرام حلال ما لم
١٠٢١	لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي	٣٩٩	تصيدوه
٢٦١	لما أصيب أخوانكم يوم أحد جعل الله	٥٨٥	لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة
	لما أغرق الله فرعون قال: أمنت أنه لا إله إلا	٣٩٧	لعن الله الخمر وشاربها وساقياها وبائعها
٦٠٨	الذي	٣٨٠	لعن الله الراشي والمرتشي
٧٢٧	لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل	٣٧٧	لعن الله السارق يسرق البيضة فقطع يده
٧٤٩	لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة	١٣٦	لعن الله المحلل والمحلل له
٧١	لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه	١٢٩٤	لعن الله الواشحات والمستوشحات
١٢٢٤	لما عرج بي مرت بقوم لهم أظفار	١٣٦	لعن المحلل والمحلل له
	لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه	١٧٧	لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله
١٠٥٨	ثلاثاً	١٢٩	لغو اليمين قول الإنسان لا والله
١٣٨٩	لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا	١١٨٨	لقد أخفت في الله وما يخاف أحد
	لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق	٥١٧	لقد أعانك عليه ملك كريم
٤١٣	العرش	١٢٠١	لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ
	لمه؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى		لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة
٥١٧	الطائفتين	١٠٣٦	أرقمة
٩٥٨	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	١١٨٨	لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم
٢٩٦	لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة	١٢٠٣	لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبائع
١٣٣	لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد		لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن
١٢٨	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	٧٢٩	مسراي

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٦٣١	ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد	٩٠٣	لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت
٧٩٤	ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج	١٢٦٥، ٢٢	لو أن روضة مثل هذه
٤٠٦	ليردن علي ناس من أصحابي الحوض	١٣٤٥	لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل
١٤١٦	ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن	٦٧٠	لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت
١٧٤	ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف	١٣١٣	فضل
٦٧٤	ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل	٢٥٤	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله
٣٣٨	ليس بالكذب من أصلح بين الناس	١٠٠٠	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
٤٣١	ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون إلى	١٠٧١	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
١٠٧٣	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم	٨٦	لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به
٣٧٧	ليس على خائن ولا منهب ولا مختلس قطع	٥٠	لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه
١٧١	ليس في حب ولا تمر صدقة	٨٧٨	لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
١٧١	ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة	١٤٢٢	لو دنا منه لاختطفته الملائكة عضواً عضواً
٢٥١	ليس لهم أن يعلنوا اللهم إن تقتل هذه العصابة	٣٥١	لو رأيته البارحة وأنا أستمع لقراءتك
٩٢	ليس من البر الصوم في السفر	٩٠٣	لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتبه لطعنت
١١٤٣	ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال	٩٤٧	لو قال فرعون يومئذ هو قرّة عين لي
٣٩٤	ليس منا من خصي ولا اختصى	١٣٠٩	لو كان الإيمان عند الثريا لئاله رجل من هؤلاء
١٣٠٧	ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ..	١٣١٠	لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل
٧٠٢	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	١١٦٨	لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة
٦٣١	ليصين أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها	٣٤١	لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر
٧٢٧	ليلة أسري بي لقيت موسى		لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت
١٣١٢	ليتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو		الداعي
		٦٤٩، ١٦٦	لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد
		٤٢	لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر
		٥٣٦	لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه
		٨٦٣	لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول
		١٠١٨	لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم
		٤٣٣، ٣٨٤	لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها
		٤١٩	لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام
		٣٦	لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء
		١٣١٤	ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
		٧٩٥	جناح
		٤٥٦	ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة

حرف الميم

٥٤٥	ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج
١٢٣١	ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ
٢٦٦	ما أخذ الله على أهل الجهل أن تعلموا
١١٧٨	ما أدري تبع نبياً كان أو غير نبي
١٤٥١	ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت
١٢٢	ما أسكر كثيره فقليله حرام
١١٦١	ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء
٢٤٤	ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم
٢٥	ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحانه الله ويحمده

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٨٧	ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير	١٧٠	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من
١٣٣٦	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط	٣١٩	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم ..
١١٧١	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا	٥٨٠	ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً
٣٩٠	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٢٧٤	ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح ...
٩٥	ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله	١٤٢٧، ٥٣٤	ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية ..
	ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا	٣٥٧	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل
٥٢٨	الفيء		ما أوحى إليّ أن أجمع المال وأكون من
٥٨٨	ما فعل كعب	٧٠٤	التاجرين
٧٢٥	ما فقد جسد النبي ﷺ ولكن الله	١٠٤٤	ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه
١٢٦٨	ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا	١٠٧١	ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه
	ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل	٨٧٨	ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء؟ ..
١٢٣١	أشد	٢٥٥	ما بال العامل نبهته على بعض أعمالنا
٧٥٣	ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان	٢٨٩	ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى ..
١٢٢	ما كان لنا خمر غير فضيخكم	١٢١٩	ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت
	ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل	١١٣٣	ما بين النفتحين أربعون
١٠٢٣	القرآن	٥٨٣	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ..
٥٥٩	ما لك يا أبا بكر		ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب
٣٥٨	ما لم تصطبحو أو تغتبقوا أو تحنثوا	٣١١	المسرع
٥٢٧	ما لي مما آفأ الله عليكم إلا الخمس	٣٣٦	ما بين هذين الوقتين وقت
١٠٤٨	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء ..	٣٧٨	ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟
٤٦٤	ما من أحد إلا وله منزلة في الجنة		ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
٨٠٣	ما من أحد يموت إلا ندم	٩٩٨	تكذبوهم
	ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين	٨٧	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به
٢٠١	يولد	٥٣٨	ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي ..
	ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه	٧٠١	ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ..
٦٧٣	العقوبة	٥٠٢	ما ذئبان جائعان أرسلنا في غنم بأفسد لها ..
	ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها		ما رأيتم رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول
٥٥٤	حقها	٢٥٣	الله
١١٧٦	ما من عبد إلا له في السماء بابان؟	٩٥٥	ما رأيتم رسول الله ﷺ مستجمعاً قط
	ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على	٧٤٣	ما رأيتم شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ
٣٠٩	ذلك	٥٣١	ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا
٢٤٤	ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً	٢٩٨	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى
	ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان		ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي
١٠٦٤	الله	١١٨٥	على الأرض

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٤٥	مثلي ومثل الأنبياء كمثلي قصر أحسن بنيانه ..	٥١٠	ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه
٧٨٦	مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم	٢٥٧	ما من عبد يموت له عند الله خير
	مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك	١٠٢٣	ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا
٧٦٣	مررت على النبي ﷺ وهو يبول فسلمت ...	١٧١	ما من مسلم يغرّس غرساً أو يزرع
١٣٢١	مره فليراجعها ثم ليمسك حتى تطهر		ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً
١٣١	مره فليراجعها حتى تطهر	١٠٠٩	على الله
١٣٢١	مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق	٧٥	ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول:
١٢٨٥	مره فليعتق رقبة	١٥٦	ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي
١٠٨٠	مستقرها تحت العرش	٦٣٠	ما من نفس منقوسة إلا قد كتب مكانها
١٧٩	مطل الغني ظلم	١٤١٣	ما من نفس منقوسة إلا كتب الله مكانها
١١٤٣	مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي	١٠٦٥	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ..
١٠١٦	مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة	٥٢٠	ما منعك أن تجيئني إذ دعوتك؟
٤٢٣	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	١٠٦٥	ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً ..
١٢٨	ملعون من أتى امرأته في دبرها		ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى
٥٥٥	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته	١٠٠٢	التسع
٢٦٢	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له	٤٢	ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة
١٢٧٠	من آدم إلينا ثلثة ومني إلى يوم القيامة ثلثة	٥٩٣	ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء
٣٣٠	من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام ..		ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم
١٤١	من أبغض الحلال إلى الله الطلاق	٤٠١	لوجبت
٣٥٩	من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع	٣٥٨	ما يبيحك يا عمر؟
٦٧٣	من أحب أن ييسر له في رزقه		ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا
٥٦٧	من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل	٧٦	هم
١٠٣٤	من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه	١١٩٧	ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى
١٣٨٤	من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ ..	٣١٣	مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام
٧١٩	من أحب دنياه أضر بأخوته ومن أحب آخرته ..	١٩٠	مثل القلب كريشة بأرض فلاة
٥٣٣، ١٧٥	من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً ..	٧٦	مثل المؤمن كمثلي الزرع
	من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه		مثل المجاهد في سبيل الله كمثلي القانت
١٠٢٣	حرام	٣١٨	الصائم
٣٢٠، ٣١٢	من أطاعني فقد أطاع الله	٢٣٤	مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها
٤٤٣	من أعان ظالماً سلطه الله عليه	١٢٨٢	مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثلي رجل
١٤١٠	من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو ...	٣٤٦	مثل المنافق كمثلي الشاة العائرة
٩٦٩	من أعظم المساجد حرمة على الله		مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم
٥٩٠	من اغبرت قدماء في سبيل الله حرمهما الله ..	٢٣٦	آخره
		٤٦٨	مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣٣	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	١٣١٣	من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب
٢٧٠	من رابط يوماً وليلة في سبيل الله		من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله من
٥٦٥، ١٧٥	من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة	٢١٨	الذاكر فلانة؟
٥٦٥	من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ..	٥١٧	من الكبائر الفرار من الزحف
٥٦٦، ١٧٤	من سأل وله أوقية أو عدلها فقد	٢٩٣	من الكبائر أن يسب الرجل والديه
٢٦٦	من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة	١٧٩	من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله
١٢٣١	من سبَّح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين	١٧٨	من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله
١١١٣	من سره أن يقوم له الرجال صفوفاً فليتبوأ	١٠١	من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ..
	من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه	٥٩١	من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له
٢٣٤	بالجماعة	٥٣٣	من بلغ يسهم في سبيل الله فهو له
١٢٨٨	من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به ..	٥٤٤	من بنى لله مسجداً بنى الله له
٧٩٦	من سمع سمع الله به ومن يراني يراني الله به ..	٤٥٣	من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ...
١٠٧٦	من سن في الإسلام سنة حسنة	١٣١٢	من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها
٢٠٤	من سيدكم يا بني سلمة	٥٥٥	من ترك بيضاء أو حمراء كوي بها
٣٩٧	من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب	١٤٥	من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله
٣٥٢	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..	٢٨	من تركهن خشية أو مخافة نائر فليس منا ...
٩٣	من صام رمضان إيماناً واحتساباً	٩٦	من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه
١٠١٨، ٩٣٢	من صلى العشاء في جماعة كان كقيام	٣٨١	من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره
	من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي	١٢٣٣	من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله
١٢	خداج	٣٥٧	من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة تردده
٥٤٢	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا	٣٦١	من توضع على طهر كتب الله له عشر حسنات
١٠٥٢	من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ..	٣٦٤، ٣٦٣	من توضعاً وضوئي هذا خرجت خطاياها ..
١٠٥٢	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ..	١٢٤١	من جلس مجلساً وكثر فيه لفظه
١٤١٧	من صنع إليه معروف فليجز به فإن لم يجد ..	٥٩١	من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا
٢٦١	من طال عمره وحسن عمله	١١٣، ١٠٨	من حج لله فلم يرفث ولم يفسق
٢٦٦	من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه	٣٨٨	من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل ..
٥٤٤	من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له	٧٩٦	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ..
١٣١٤	من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ..	١٢٩	من حلف يمين فرأى غيرها خيراً
	من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه ..	٢١٨	من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر ...
٧٥٣	الدعوة التامة	٣٩٦	من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ..
	من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله ..	١٣٩٣	من حوسب عذب
١٣٠١	السميع	١٢٦٢	من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل
	من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله ..	٨٦٤	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
١٠٠٥	ويحمده	٧٠٧	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور

الصفحة	الحديث
١٢١٦	من مات من أصحابي بأرض كان نورهم ...
١٢٦٩	من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ...
١٢٠، ١٠١	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ...
٢٩٧	من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا الله ...
١٣٧٠	من نذر أن يطبع الله فليطعه ...
٨١٥، ٧٧٤	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ...
٧٦	من يرد الله به خيراً يصب منه ...
٥٩٢	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ...
٥١٩	من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟ ...
٢٧١	من يوق شح نفسه يطع ربه ...
١٠٠٦	من يولد يولد على الفطرة ...
	مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف
١٢٨٦	والفحش ...
٦٨١	موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء .
٧٥٠	المؤمن أكرم على الله من الملائكة ...
٢٩٢	المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه
٣١٧	المرء مع من أحب ...
	المستبان ما قالاً فعلى البادى ما لم يعتد
٣٤٧	المظلوم ...
٢٢٥	المسجد الحرام ...
١٢٢١	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ...
٦٨٦	المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله
٣٨٠، ٣١٢	المقسطون عند الله على منابر من نور ...
٣٢٣	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ...

حرف النون

١٢٧٢	نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين ...
٣٦٣	نبدأ بما بدأ الله به ...
٧٧	نبدأ بما بدأ الله تعالى به ...
	نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في
٨٦٨	رحالكم ...
١٦٦، ١٦٥	نحن أحق بالشك من إبراهيم ...
٧٢٣	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم
١٢٦٥	نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب

الصفحة	الحديث
١٢٧٥	من قال سبحان الله العظيم ويحمده
	من قال سبحان الله ويحمده في كل يوم مائة
١٠٠٤	مرة
١١٤٤	من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها
١٤٢٥	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ...
٥٢٧	من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه
٢٩٢	من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب
	من قرأ أول سورة الكهف وأخراها كانت له
٧٩٧	نوراً
١١٧٩	من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح
١٨٥	من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين
١٣٥٩	من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة
	من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك
٤١١	السبعون
١٢٧٥	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم
١٤٢٠	من قرأ والتين والزيتون
١٣٦٨	من قرأ منكم والتين والزيتون
٥٣٢	من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ...
	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى
٢٩٨	جاره
٢٩٨	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره
١٤٥	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
١١٢٦	من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو ..
٣٤٣	من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما
	من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في
٢٤٩	قلبه
١٠٤	من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج
٢٤٣	من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه
٨٦٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه ..
٢٢٧	من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس .
١١٤٤	من لم يدع الله غضب الله عليه
١٤١٧	من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
٦٩٧	من مات على شيء بعثه الله عليه
٣٠٩	من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٠٤	هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها . هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم	١٢٠١	نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا
١٢٧٤	هل تدرون مما أضحكك . . من مخاطبة العبد ربه	٦٨٦	نزلت في عذاب القبر
١٠٨٤	هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ . . هل ترون قبلي هاهنا فوالله ما يخفى	٥٨٣	نزلت هذه الآية في أهل قباء
٢٩٧	هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه	٢٤٤	نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ مَمَتَّ مَلَائِكَتَانِ﴾
٩٤٩	هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة . . هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس . . هل عندك من شيء تصدقها؟	٥٣٠	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
٨٠٩	هل لكم إلى خير مما جئتم له	١٠٢٥	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
١٠٨٣	هل نظرت إليها فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم هل هو إلا بضعة منك	٤١٥	نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها . . نعم إلا الدين
٤٣٩	هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا	١٧٩	نعم المال الصالح للعبد الصالح
٢٩٠	وهكذا	٥٥٥	نعم إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة . . نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين . . نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق
٢٣٠	هم في الظلمة دون الجسر	١١٢٦	حق
١٠٤٩	هن إلى السبعمائة أقرب	١٣٣٩	نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة . . نعم ولك أجر
٣٠٥	هو الطهور ماؤه الحل ميتته	١٢٤٩	نعم، من لم يسجدهما فلا يقرأهما
٥٥٥	هو الغناء والله الذي لا إله غيره	٨٧٥	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
٦٩٢	هو مسجدكم هذا مسجد المدينة	١٤٣١	نفس المؤمن معلقة بدينه
٢٩٣	هي اليتيمة تكون في حجر وليها	١٧٩	نفس المؤمن معلقة بدينه
٩٢٨، ٤٠٠	هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما أن عملتم	١٢٠٨	نفركم على ذلك ما شئنا
١٠١١		٧٠٥	نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم
٥٨٢		٤٤٨	نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب
٣٤١، ٢٧١		٧٠٦	نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال
١٠١٥		١٠١١	نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة
		١٢٤٤	نور أني أراه
		٤٤٢	نور قذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له

حرف الواو

٥٣٣	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي
٦٢	وافقت الله في ثلاث
١٠٥٠	وافقني ربي في ثلاث
١٥٧	والذي نفس محمد بيده أن لهذه الآية لساناً . . والذي نفس محمد بيده لو تابعتكم حتى لا يبقى منكم
١٣١٤	

حرف الهاء

١٠٤١	هؤلاء أهل بيتي
١٠٤٩	هذا أحق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه . . هذا جبريل أخذ برأس فرسه
٥١٥	هذا جبل يحبنا ونحبه
٤٣	هذا والذي نفسي بيده من النعم
١٤٣١	هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا
١٢٠١	هذه عمرة استمتعنا بها
١٠٤	

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٨٨	وهم فيها كالحون قال: تشويه النار	والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم	
١٢١٣	ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال	ابن مريم	٢١١
٥٦٤	ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل	والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ..	١١٦١
٥٥٤	ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ...	والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على	
٧٤٠	الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ	أهل نجران	٢١٢
٤٥	الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر	والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن ..	١٣٤٦
<div style="border: 1px solid black; padding: 5px; text-align: center;"> حرف الياء </div>		والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ...	١٤٤٨
		والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي	٢٦٠
٨٠٢	يؤتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد ..	والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا	٣٢٢
٥١٥	يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل	والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله .	٢٥٩
٣٤٠	يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي؟	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف	٢٣٣
١٢٧٧	يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام .	والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على	
٥٥٩	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما	جبل لزل	٨٨٩
١٢١٢	يا أبا جندل احتسب	والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	٤٧٣
٣٢٩	يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ...	والذي نفسي بيده ما من رجل يكون له إبل ..	٢٦٢
١٩٦	يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين .	والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة	
٥٤٧	يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟ قال:	من كسب	٥٨١
٩٦	يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً	والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته ..	٤٩٤
١٥٧	يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟	والله إني لرسول الله وإن كذبتوني	١٢١١
٥٦٣	يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر؟ ..	وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء	١٢٦٢
١٤٨	يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني	وجهوا هذه البيوت عن المسجد	١٢٧
١٢٨١	يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟	وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل	٣٠٣
١٢٨١	يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم علي ...	وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا ..	٧٨٤
٤٠٢	يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة	وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها	
٥٩٠	يا أم سلمة تيب على كعب	المساكين	١١٧
١٣٣٥	يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت	وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى	٤٩٠
١٢٦٨	يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز	وكل الله بالرحم ملكاً فيقول:	١٣١٩
١١٠٧	يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق	ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض	١١٩٩
٩٨٣	يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي	ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً	٥٧٦
	يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو	وما هي بأعبد الله .. هذه مؤمنة	١٢٥
٣٥٨	علينا	وما يدريك أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً	٥٠٣
٥٧٤	يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا فتيكوا ..	وما يدريك أن الله قد أكرمهم؟	١١٨٤
١٣٨٠	يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة	وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع	١٣٠٢
٨٢	يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ..	وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً ..	٥٧٥

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٨٤	يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق	٩٣	يا أيها الناس إنه قد أظلمكم شهر عظيم
٤٦٠	يبعث كل عبد على ما مات عليه	٢٨٩	يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع
١١٤٣	يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً	٨٦٧	يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله
١٤٣٠	يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى	٥٣٠	يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو
٦٦٩	يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار		يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم
٣٠	يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار	١١٢٠	يعلم
١٩٥	يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى . .	٢٥٧	يا جابر ما لي أراك منكسراً
٧٠	يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له:	٧٢٨	يا جبريل إن قومي لا يصدقوني
٧٥٣	يحبس المؤمن يوم القيامة حتى يهتوما بذلك .	١٤١٥	يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك
٢٨٦	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة	٨٠٧	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا
٧٨٠	يحشر الناس على ثلاث طرائق	٧٢٠	يا رسول الله المؤمن يزني؟
٦٩٢	يحشو الناس يوم القيامة على أرض بيضاء . .	٩٨	يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً
٦٣١	يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون .	١٢٧	يا رسول الله هلكت قال: «وما الذي أهلكك»
٨٠٨	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه	٥١١	يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي
١٧٠	يخرص كما يخرص النخل	١٤٤٩	يا عائشة استعيزي بالله من شر غاسق
٤٦٣	يخلص المؤمنون من النار فيحبسون	١١٩٣	يا عائشة إن الدنيا لا تبغي لمحمد ولا لآل
٤٥٣	يدا الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار . .	٤٥٣	يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً
	يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في		يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت
٦٧٩ ، ١٨٨	الرحم	١٢٠٨	بخير
١٢٦٩	يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأ	١١٨٩	يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب
٢٥٤	يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب	٣٩٦	يا عبدالرحمن بن سمره لا تسأل الإمارة . . .
١٢١٢	يرحم الله المحلقين	٥٥٣	يا عدي اطرح هذا الوثن من عتقك
٦٨٩	يرحم الله أم إسماعيل لو تركت ماء زمزم . . .	٩٠٣	يا علي لا تتبع النظرة النظرة
١٠٥٤	يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصير	٢٨٣	يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي
٩٥	يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم	١٠٤٩	يا عيينة فأين الاستئذان
١٢٤٥	يسير الراكب في ظل الفتن منها مائة عام . . .	٤١٤	يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده . .
١١٣٢	يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن . .	١١٣٢	يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على
٦٢٧	يغفر الله للوط أن كان ليأوي إلى ركن شديد .		يا معشر المسلمين أبعدوى الجاهلية وأنا بين
١١٣٣	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء .	٢٢٨	أظهركم
٤٠٠	يقتل المحرم السبع العادي		يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى
١٤٣٠	يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك	١٢٢٣	قلبه
٤٥٤	يقول الله تبارك وتعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ»	٣٠٨	يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا
	يقول الله تبارك وتعالى: «أعددت لعبادي	٥٢٠	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
١٠٢٠	الصالحين»	١١٤٣	يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة .

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٢٩	يلتمس عليه القبر حتى تختلف أضلاعه	٢٤٦	يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين» .
٥٨٦	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	٢٢٣	يقول الله تعالى: «لأهون أهل النار عذاباً» .
١١٤٣	يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة	١٠٠٧	يقول الله تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء» .
	ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا	١٠٥٢	يقول الله سبحانه وتعالى: «شتمني عبدي» .
٤٦٣	أبدأ	١١٨٣	يقول الله عز وجل: «الكبرياء ردائي»
٢٩٣	ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة		يقول الله عز وجل: «من أهان لي ولبي فقد
١٩٤	ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا	١١٦٠	بارزني»
١١٧٤	ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان ..		يقول الله عز وجل لأهل الجنة: «يا أهل الجنة
١٢٣٣	ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة .	٥٧١	هل رضيتم»
٦٧٩	ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات ...		يقول الله عز وجل يوم القيامة: «يا آدم قم
١٢٦٩	ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة ..	٨٥٧	فابعث»
٩٧١	ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن	١٣٨٩	يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم
٢٧٢	ينكح العبد امرأتين، ويطلق طلقتين	١٣٤١	يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ..
٣٤٩	يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً	٥٢٢	يكفيك الثلث فتصدق به
١٣٩٤	اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود	٣٠٦	يكفيك الوجه والكفان
		٩٦٩	يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ترجمة الإمام البغوي	٥
سُورَةُ الْفَاتِحَةِ	٧
سُورَةُ الْبَقَرَةِ	١٢
سورة آل عمران	١٨٦
سورة النساء	٢٧٠
سورة المائدة	٣٥٤
سورة الأنعام	٤١١
سورة الأعراف	٤٥٥
سورة الأنفال	٥١٠
سورة التوبة	٥٣٨
سورة يونس	٥٩٣
سورة هود	٦١٢
سورة يوسف	٦٣٥
سورة الرعد	٦٦٦
سورة إبراهيم	٦٨١
سورة الحجر	٦٩٣
سورة النحل	٧٠٤
سورة الإسراء	٧٢٤
سورة الكهف	٧٦٣
سورة مريم	٧٩٧
سورة طه	٨١٣
سورة الأنبياء	٨٣١

الموضوع	الصفحة
سورة الحج	٨٥٧
سورة المؤمنون	٨٧٧
سورة النور	٨٩٠
سورة الفرقان	٩٢٠
سورة الشعراء	٩٣٥
سورة النمل	٩٥١
سورة القصص	٩٧٢
سورة العنكبوت	٩٩١
سورة الروم	١٠٠١
سورة لقمان	١٠١١
سورة السجدة	١٠١٦
سورة الأحزاب	١٠٢٢
سورة سبأ	١٠٥٦
سورة فاطر	١٠٦٧
سورة يس	١٠٧٥
سورة الصافات	١٠٨٦
سورة ص	١١٠٤
سورة الزمر	١١٢٠
سورة غافر	١١٣٤
سورة فصلت	١١٤٦
سورة الشورى	١١٥٤
سورة الزخرف	١١٦٤
سورة الدخان	١١٧٤
سورة الجاثية	١١٧٩
سورة الأحقاف	١١٨٣
سورة محمد ﷺ	١١٩٤
سورة الفتح	١٢٠١
سورة الحجرات	١٢١٧
سورة ق	١٢٢٦
سورة الذاريات	١٢٣١

الصفحة	الموضوع
١٢٣٧	سورة الطور
١٢٤٢	سورة النجم
١٢٥٢	سورة القمر
١٢٥٧	سورة الرحمن
١٢٦٥	سورة الواقعة
١٢٧٥	سورة الحديد
١٢٨٣	سورة المجادلة
١٢٩١	سورة الحشر
١٣٠١	سورة الممتحنة
١٣٠٧	سورة الصف
١٣٠٩	سورة الجمعة
١٣١٦	سورة المنافقون
١٣١٩	سورة التغابن
١٣٢١	سورة الطلاق
١٣٢٦	سورة التحريم
١٣٣١	سورة الملك
١٣٣٤	سورة القلم
١٣٤٢	سورة الحاقة
١٣٤٦	سورة المعارج
١٣٤٩	سورة نوح
١٣٥٢	سورة الجن
١٣٥٥	سورة المزمل
١٣٥٩	سورة المدثر
١٣٦٥	سورة القيامة
١٣٦٩	سورة الإنسان
١٣٧٣	سورة المرسلات
١٣٧٥	سورة النبأ
١٣٧٨	سورة النازعات
١٣٨٢	سورة عبس
١٣٨٤	سورة التكويد

الموضوع	الصفحة
سورة الانفطار	١٣٨٧
سورة المطففين	١٣٨٨
سورة الانشقاق	١٣٩٢
سورة البروج	١٣٩٤
سورة الطارق	١٣٩٩
سورة الأعلى	١٤٠٠
سورة الغاشية	١٤٠٢
سورة الفجر	١٤٠٤
سورة البلد	١٤٠٨
سورة الشمس	١٤١١
سورة الليل	١٤١٢
سورة الضحى	١٤١٤
سورة الشرح	١٤١٧
سورة التين	١٤١٩
سورة العلق	١٤٢٠
سورة القدر	١٤٢٢
سورة البينة	١٤٢٥
سورة الزلزلة	١٤٢٦
سورة العاديات	١٤٢٨
سورة القارعة	١٤٢٩
سورة التكاثر	١٤٢٩
سورة العصر	١٤٣١
سورة الهمزة	١٤٣٢
سورة الفيل	١٤٣٣
سورة قريش	١٤٣٦
سورة الماعون	١٤٣٧
سورة الكوثر	١٤٣٨
سورة الكافرون	١٤٤٠
سورة النصر	١٤٤٠
سورة المسد	١٤٤٦

الصفحة	الموضوع
١٤٤٧	سورة الإخلاص
١٤٤٨	سورة الفلق
١٤٥٠	سورة الناس
١٤٥٣	فهرس الأحاديث والآثار
١٤٨٣	الفهرس

